UNIVERSAL
LIBRARY
OU_234936
UNIVERSAL
LIBRARY

(فهرست الجزء الرابع من روح البيان)

سورة الفتح ٢
سورة الحجرات ٤١
سورة ق ٦٦
سورة الذاريات ٩٦
سورة الطور ١٢٢
سورة النجم ١٣٩
سورة القمر ١٧٥
سورة الرحمن ١٩٢
سورة الواقعة ٢١١
سورة الحديد ٢٣٠
سورة المجادلة ٢٥٩
سورة الحشر ٢٧٧
سورة الممتحنة ٣١٥
سورة الصف ٣٢٩
سورة الجمعة ٣٤٢
سورة المنافقين ٣٥٣
سورة التغابن ٣٦٣
سورة الطلاق ٣٧٧
سورة التحريم ٣٩٣
سورة الملك ٤١٠
سورة ن ٤٢٨
سورة الحاقة ٤٤٨
سورة المعارج ٤٦٣
سورة نوح ٤٧٦
سورة الجن ٤٨٧
سورة المزمل ٤٩٧
سورة المدثر ٥١٠
سورة القيامة ٥٢٣
سورة الانسان ٥٣٤
سورة المرسلات ٥٤٨
سورة النبأ ٥٥٦
سورة النازعات ٥٧٠
سورة عبس ٥٨١
سورة التكوير ٥٩٠
سورة الانفطار ٥٩٨
سورة المطففين ٦٠٣
سورة الانشقاق ٦١٠
سورة البروج ٦١٦
سورة الطارق ٦٢٥
سورة الاعلى ٦٢٨
سورة الغاشية ٦٣٥
سورة الفجر ٦٤٠
سورة البلد ٦٤٩
سورة الشمس ٦٥٤
سورة الليل ٦٥٨
سورة الضحى ٦٦٢
سورة الم نشرح ٦٦٨
سورة التين ٦٧١
سورة العلق ٦٧٣
سورة القدر ٦٧٩
سورة القيمة
سورة الزلزلة ٦٨٨
سورة العاديات ٦٩٠
سورة القارعة ٦٩٢
سورة التكاثر ٦٩٤
سورة العصر ٦٩٦
سورة الهمزة ٦٩٨
سورة الفيل ٧٠٠
سورة الايلاف ٧٠٥
سورة الماعون ٧٠٧
سورة الكوثر ٧٠٩
سورة الكافرين ٧١٠
سورة النصر ٧١١
سورة المسد ٧١٤
سورة الاخلاص ٧١٧
سورة الفلق ٧٢٠
سورة الناس ٧٢٣

الجزء الرابع من كتاب تفسير القرءان

المسمى بروح البيان للفاضل

الكامل الشيخ

اسماعيل حقى

افندى

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفتح سبع وعشرون اية مدنية بلا خلاف نزلت فى رجوع رسول الله عن مكة عام الحديبية وقال الزهرى نزلت سورة الفتح من اولها الى آخرها بين مكة والمدينة فى شان الحديبية قال البقاعى نزلت بضجنان بفتح الضاد المعجمة والجيم والنونين * فى القاموس ضجنان كسكران جبل قرب مكة وفى انسان العيون نزلت بكراع الغميم وهو موضع على ثلاثة اميال عسفان وهو كعثمان موضع على مرحلتين من مكة فان قلت اذا لم تنزل بالمدينة كيف تكون مدنية قلت المدنى فى الاصطلاح ما نزل بعد الهجرة نزل بالمدينة او غيرها كما ان المكى ما نزل قبلها كما فى حواشى سعدى المفتى (انا فتحنا لك) فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحرب او بدونه فانه ما لم يظفر منغلق مأخوذ من فتح باب الدار قال فى عين المعانى الفتح هو الفرج المزيل للهم لان المطلوب كالمنغلق فاذا نيل الفتح وفى المفردات الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وذلك ضربان احدهما يدرك بالبصر نحو فتح الباب والغلق والقفل والمتاع نحو قوله ولما فتحوا متاعهم والثانى ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو ازالة الغم وذلك ضربان احدهما فى الامور الدنيوية كغم يفرج وفقر يزال باعطاء المال ونحوه والثانى فتح المستغلق من العلوم نحو قولك فلان فتح من العلم بابا مغلقا انتهى واسناده الى نون العظمة لاسناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد فتح مكة وهو المروى عن انس رضى الله عنه بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لامحالة تأكيدا للتبشير كان تصدير الكلام بحرف التحقيق كذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح قال الامام الراغب انا فتحنا لك يقال عنى فتح مكة ويقال بل عنى ما فتح على النبى عليه السلام من العلوم والهدايات التى هى ذريعة الى الثواب والمقام المحمود التى صارت سببا لغفران ذنوبه انتهى وسيجىء غير هذا (فحاميناهما) اى بينا ظاهر الامر مكشوف الحال اوفارقنا بين الحق والباطل وقال بعضهم المراد بالفتح المبين هو الصلح مع قريش فى غزوة الحديبية وهى كدوهيدة وقد تشدد بئر قرب مكة حرسها الله تعالى او شجرة خدباء كانت هنالك كما فى القاموس سمى المكان باسمها وسببه انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى المنام انه دخل مكة هو واصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين اى بعضهم محلق وبعضهم مقصر وانه دخل البيت واخذ مفتاحه وطاف هو واصحابه واعتمروا فاخبر بذلك اصحابه ففرحوا ثم اخبر اصحابه انه يريد الخروج

للعمرة فتجهزوا للسفر وخرج عليه السلام بعد ان اغتسل بيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصوى من عند باب ومعه الف واربعمائة من المسلمين على الصحيح وايضا عليه كثير من اهل البوادى خشية قريش وساق عليه السلام معه الهدى سبعين بدنة وكان خروجه يوم الاثنين غرة ذى القعدة من السنة السادسة من الهجرة فلما وصل الى ذى الحليفة وهو ميقات المدنيين صلى بالمسجد الذى بها ركعتين واحرم بالعمرة واحرم معه غالب اصحابه ومنهم من لم يحرم الا من الجحفة وهو ميقات اهل الشام وانما خرج معتمرا لأمن اهل مكة ومن حولها من حربه ولعلموا انه عليه السلام انما خرج زائرا للبيت فلما كان الاصحاب فى بعض المحال اقبلوا نحوه عليه السلام وكان بين يديه ركوة يتوضأ منها فقال ما لكم فقالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء نشرب ولا ماء نتوضأ منه الا فى ركوتك فوضع رسول الله يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه الشريفة امثال العيون فشربوا وتوضأوا حتى قال جابر رضى الله عنه لو كنا مائة الف لكفانا وهو اعجب من نبع الماء لموسى عليه السلام من الحجر فان نبعه من الحجر متعارف معهود واما من بين اللحم والدم فلم يعهد وانما لم يخرجه عليه السلام بغير ملا مسة ماء تأدبا مع الله لانه المنفرد بابداع المعدومات من غير اصل وارسل عليه السلام بشر بن سفيان الى مكة عينا له فلما كانوا بعسفان جاء وقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بخروجك فلبسوا جلود النمر اى اظهروا العداوة واحتشدوا واستفزوا من اطاعهم من الاحابيش وهى قبيلة عظيمة من العرب وبعض زادهم وناؤهم واولادهم ليكون ادعى لعدم افرارهم فنزلوا بذى طوى وهو موضع بمكة مثلث الطاء ويصرف كما فى القاموس يعاهدون الله ان لا ندخلها عليهم عنوة ابدا فقال عليه السلام اشيروا على ايها الناس ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه وقال المقداد يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فقال عليه السلام فاضوا على اسم الله فساروا ثم قال هل من رجل يخرجنا عن طريق الى غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من اسلم وهو اجيه بن جنذب انا يا رسول الله فسلك بهم طريقا وعرا ثم افضوا الى ارض سهلة ثم امر رسول الله ان يسلكوا طريقا يخرجهم على مهبط الحديبية من اسفل مكة فسلكوا ذلك الطريق فلما نزلوا بالحديبية زحمأوها حتى لم يبق فيها قطرة ماء فاشتكى الناس الى رسول الله العطش وكان الخريد بدا فاخرج عليه السلام سهما من كنانته ودفعه الى البراء ابن عازب وامره ان يغرزه فى جوف البئر او تمضمض رسول الله ثم مجه فى البئر فجاش الماء بما املأت الارض فشربوا جميعا ورويت ابلهم وفى النفاسير لم ينفد ماؤها بعد وفى انسان العيون فلما ارتحلوا من الحديبية اخذ البراء السهم فجف الماء كأن لم يكن هنالك شئ فلما طمأن رسول الله بالحديبية اتاه بديل بن ورقاء وكان سيد قومه فسأله ما الذى جاء به فاخبره انه لم يأت يريد حربا بل جاء زائرا للبيت فلما رجع الى قريش لم يستقموا وارسلوا الحليس بن علقمة وكان سيد الاحابيش فلم يعتمدوا عليه ايضا وارسلوا عروة بن مسعود الثقفى عظيم الطائف وتمول العرب والمقام عروة بالخبر من عنده عليه السلام وقد رأى ما يصنع به اصحابه لا يبصق بصاقا الا تلقوه اى يدلك به من وقع فى يده وجلده ولا يسقط من شعره شئ الا اخذوه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له فقال يا معشر قريش انى جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه والله ما رأيت ملكا قوم قط مثل محمد فى اصحابه لخاف ان لا تنصروا عليه فقالت له قريش لا تتكلم بهذا يا ابا يعفور ولكن نرده عامنا هذا ويرجع من قابل ما ارادكم الا استصيكم قارعة ثم انصرف هو ومن معه الى الطائف واسلم بعد ذلك ودعا عليه السلام خراش بن امية الخزاعى فبعثه الى قريش وحمله عليه السلام على بعيره يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له فعقره اجل رسول الله وارادوا قتل خراش فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله واخبره بما لقى ثم دعا رسول الله عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبلغ عنه اشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله انى اخاف قريشا على نفسى وما بمكة من بنى عدى ابن كعب احد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن ادلك على رجل اعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله عنه فان بنى عمه يمنعونه فدعا عليه السلام عثمان فبعثه الى اشراف قريش يخبرهم بالخبر وامر عليه السلام عثمان ان يأتى رجالا مسلمين بمكة ونساء مسلمات ويدخل عليهم ويخبرهم ان الله قرب ان يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان فخرج عثمان رضى الله عنه الى مكة ومعه عشرة رجال من الصحابة باذن رسول الله

ليزوروا اهاليهم هناك فاتى عثمان قبل ان يدخل مكة ابان ابن سعيد فاجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله وجعله بين يديه فاتى عظماء قريش فبلغهم الرسالة وهم يردون عليه ان محمدا لا يدخل علينا ابدا فلما فرغ عثمان من تبليغ الرسالة قالوا له ان شئت فطف بالبيت فقال ما كنت لافعل حتى يطوف رسول الله وكانت قريش قد احتبست عثمان عندها ثلاثة ايام فبلغ رسول الله ان عثمان قد قتل وكذا من معه من العشرة فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم اى نقاتلهم فامره الله بالبيعة فنادى منديه ايها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله فاروا الى رسول الله وهو تحت شجرة من اشجار السمر بضم الميم شجر معروف فبايعوه على عدم الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة وبايع عليه السلام عن عثمان اى على تقدير عدم صحة القول بقتله فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم ان هذه عن عثمان فانه فى حاجتك وحاجة رسولك وسيجيء معنى المبايعة وقيل لها بيعة الرضوان لان الله تعالى رضى عنهم وقال عليه السلام لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة وقال ايضا لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية واول من بايع سنان بن ابى سنان الاسدى فقال للنبى عليه السلام ابايعك على ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله او اقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان (روى) ان عثمان رضى الله عنه رجع بعد ثلاثة ايام فبايع هو ايضا وكان محمد بن مسلمة على حرس رسول الله فبعث قريش اربعين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر رسول الله ليلا رجاء أن يصيبوا منهم احدا ويجدوا منهم غرة اى غفلة فاخذهم محمد بن مسلمة الا مكرزا فانه افلت واتى بهم الى رسول الله فحبسوا وبلغ قريشا حبس اصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن رسم رمى بسهم فاسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا وعند ذلك بعثت قريش الى رسول الله جمعا فيهم سهيل ابن عمرو فما رآه عليه السلام قال لاصحابه سهل امركم وكان يحب الفأل بمثل هذا فقال سهيل يا محمد ان ما كان من حبس اصحابك اى عثمان والعشرة وما كان من قتل من قاتلك لم يكن من رأى ذوى رأينا بل كنا كارهين له حين بلغنا ولم نعلم وكان من سفهائنا فابعث الينا من اصحابنا الذين اسروا اولا وثانيا فقال عليه السلام انى غير مرسلهم حتى ترسلوا اصحابى فقالوا نفعل فبعث سهيل ومن معه الى قريش بذلك فبعثوا من كان عندهم وهو عثمان والعشرة فارسل رسول الله اصحابهم ولما علمت قريش بهذه البيعة كبرت عليهم وخافوا أن يحاربوا واشار اهل الرأى بالصلح على ان يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثا فبعثوا سهيل بن عمرو ثانيا ومعه مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى الى رسول الله ليصالحه على ان يرجع من عامه هذا لئلا يتحدث العرب بأنه دخل عنوة ويعود من قابل فلما راه عليه السلام مقبلا قال اراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل اى ثانيا فالتأم الامر بينهم على الصلح وان كان بعض الاصحاب لم يرضوا به فى اول الامر حتى قالوا علام نعطى الدنية بفتح الدال وكسر النون وتشديد الياء النقيصة والخصلة المذمومة فى ديننا وهم مشركون ونحن مسلمون فأشار عليه السلام بالرضى ومتابعة الرسول ثم دعا عليه السلام عليا فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا اعرف هذا اى الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها الان قريشا كانت تقولها ثم قال رسول الله اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك ولم اصدك عن البيت ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه امح رسول الله فقال والله ما امحوك ابدا فقال ارنيه فأراه اياه فمحاه رسول الله بيده الشريفة وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال انا والله رسول الله وان كذبتمونى وانا محمد بن عبد الله وكان الصلح على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض ومن اتى محمدا من قريش ممن هو على دين محمد بغير اذن وليه رده اليه ذكرا كان او انثى ومن اتى قريشا ممن كان مع محمد اى مرتدا ذكرا كان او انثى لم ترده اليه وسبب الاول ان فى رد المسلم الى مكة عمارة للبيت وزيادة خير له فى الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله وسبب الثانى انه ليس من المسلمين فلا حاجة الى رده وشرطوا انه من احب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه وان بيننا وبينكم عيبة مكفوفة اى صدورا منطوية على ما فيها لا تبدى عداوة بل منطوية على الوفاء بالصلح وانه لا اسلال ولا اغلال اى لا سرقة ولا خيانة قال سهيل وانك ترجع عامك هذا فلا تدخل مكة وانه اذا كان عام قابل خرج منها قريش فدخلتها باصحابك فأقمت بها ثلاثة ايام معك سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس لا تدخلها بغيرهما وكان المسلمون

لا يشكون فى دخولهم مكة وطوافهم بالبيت ذلك العام للرؤيا التى رآها رسول الله فلما رأوا الصلح وما تحمله رسول الله فى نفسه دخلهم من ذلك امر عظيم حتى كاد وايهلكون خصوصا من اشتراط ان يرد الى المشركين من جاء مسلما منهم وكانت بيعة الرضوان قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه ولما فرغ رسول الله من الصلح واشهد عليه رجالا من المسلمين قام الى هديه فنحره وفرق لحم الهدى على الفقراء الذين حضروا الحديبية وفى رواية بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية رضى الله عنه حتى نحرت بالمروة وقسم لحمها على فقراء مكة ثم جلس رسول الله فى قبة من اديم احمر فحلق رأسه خداش الذى بعث الى قريش كما تقدم ورمى شعره على شجرة فاخذه الناس تبركا وأخذت ام عمارة رضى الله عنها طاقات منه فكانت تفسلها للمريض وتسقيه فيبرأ باذن الله تعالى فلما رأوا رسول الله قد نحر رافعا صوته باسم الله والله اكبر وحلق توانبوا ينحرون ويحلقون وقصر بعضهم كعثمان وابى قتادة رضى الله عنهما وقال عليه السلام اللهم ارحم المحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يرجوا ان يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين اى لان الظاهر من حالهم انهم اخروا بقية شعورهم رجاء ان يحلقوا بعد طوافهم وارسل الله ريحا عاصفة احملت شعورهم فألقتها فى قرب الحرم وان كان اكثر الحديبية فى الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم واقام عليه السلام بالحديبية تسعة عشر او عشرين يوما ثم انصرف قافلا الى المدينة فلما كان بين الحرمين واتى بكراع الغميم على ما فى انسان العيون وغيره انزلت عليه سورة الفتح وحصل للناس مجاعة شديدة حتى ان بعضهم نحر ظهوره فقال عليه السلام ابسطوا انطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد او طعام فليأت به ودعا لهم ثم قال قربوا اوعيتكم فأخذوا ما شاء الله وحشوا اوعيتهم واكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وقال عليه السلام لرجل من اصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء بأداوة وهى الركوة فيها ماء قليل فأفرغه فى قدح ووضع راحته الشريفة فى ذلك الماء قال الراوى فتوضأنا كلنا اى الالف والاربعمائة نضبه ضبا شديدا ولما انزلت سورة الفتح قال عليه السلام لاصحابه انزلت على سورة هى احب الى مما طلعت عليه الشمس وفى رواية لقد انزلت على سورة ما يسرنى بها حمر النعم والحمر بسكون الميم جمع أحمر والنعم بفتحتين تطلق على جماعة الابل لا واحد لها من لفظها والمراد بحمر النعم الابل الحمر وهى من أنفس اموال العرب يضربون بها المثل فى نفاسة الشئ وانه ليس هناك اعظم منها ثم قرأ السورة عليهم وهأهم وهناؤه يعنى ايشارا تهنيه كنت واصحابك نيرا وبراميرك باد كفتند وتكلم بعض الصحابة وقال هذا ما هو بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا فقال عليه السلام لما بلغه بئس الكلام بل هو اعظم الفتح لقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم وسألوكم القضية اى الصلح والتجأوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو اعظم الفتوح أنسيتم يوم احد وأذ أدعوكم فى اخراكم انسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو اعظم الفتوح والله يا نبى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت اعلم بالله وبأمره منا وقال له عمر رضى الله عنه ألم تقل لنا ندخل مكة آمنين قال بلى أفقلت لكم من عامى هذا قالوا لا قال فهو كما قال جبريل فانكم تأتونه وتطوفون به اى لانه جاء الوحى بعد ما أى وذكر بعضهم انه عليه السلام لما دخل مكة فى العام القابل وحلق رأسه قال هذا الذى وعدتكم فلما كان يوم الفتح واخذ المفتاح قال هذا الذى قلت لكم * يقول الفقير لا شك ان الاصحاب رضى الله عنهم لم يشكوا فى امر النبى عليه السلام ولم يكن كلامهم معدودا من قبيل الاعتراض عليه وانما سألوه استعلاما لما دخلهم شئ مما لا يخلو عنه البشر فان الامر عميق والافأدنى مراتب الارادة فى باب الولاية ترك الاعتراض فكيف فى باب النبوة ولله تعالى حكم ومصالح فى ايرادنا فتحنا بصيغة الماضى فانه باظهاره ناطق بفتح الصلح وبحقيقته مشير الى فتح مكة فى الزمان الآتى وكل منهما فتح اى فتح وحاصل ما قال العلماء انه سمى الصلح فتحا مع انه ليس بفتح لاعرفا لانه ليس بظفر على البلد ولا لغة لانه ليس بظفر للمغلق كيف وقد احصروا ومنعوا من البيت فحروا وحلقوا بالحديبية واى ظفر فى ذلك فالجواب ان الصلح مع المشركين فتح بالمعنى اللغوى لانه كان منغلقا ومتعذرا وقت نزولهم بالحديبية الا انه لما آل الامر الى بيعة الرضوان وظهر عند المشركين اتفاق كلمة المؤمنين وصدق عزيمتهم على الجهاد والقتال ضعفوا وخافوا حتى اضطروا الى طلب الصلح وتحقق بذلك غلبة المسلمين عليهم مع ان ذلك الصلح

قد كان سبب الامور اخر كانت متعلقة قبل ذلك منها ان المشركين اختلطوا بالمسلمين بسببه فسمعوا كلامهم وتأكن الاسلام فى قلوبهم واسلم فى مدة قليله خلق كثير بهم سواد اهل الاسلام حتى قالوا دخل فى تلك السنة فى الاسلام مثل من دخل فيه قبل ذلك واكثر وفرغ عليه السلام بهذا الصلح لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع خصوصا خيبر واغتنم المسلمون واتفقت فى تلك السنة ملحمة عظيمة بين الروم وفارس غلبت فيها الروم على فارس وكانت غلبتهم عليهم من دلائل النبوة حيث كان عليه السلام وعد بوقوع تلك الغلبة فى بضع سنين وهو ما بين الثلاث الى التسع فكانت كما وعد بها فاظهر بها صدقه عليه السلام فكانت من جملة الفتح وسر به عليه السلام والمؤمنون لظهور اهل الكتاب على المجوس الى غير ذلك من فتوحات الله الجليلة ونعمه العظيمة (ليغفر لك الله) غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه السلام فى اعلاء كلمة الله بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب قال بعضهم لما لم يظهر وجه تعليل الفتح بالمغفرة جعل الفتح مجازا مرسلا عن اسباب الفتح ليغفر لك فالفتح معلول مترتب على الافعال المؤدية الى المغفرة وان المغفرة علة حاملة على تلك الافعال فصح جعلها علة لما ترتب على تلك الافعال وهو الفتح وجعل الزمخشرى فتح مكة علة للمغفرة وهو اوفق للمذهب الحق لان افعال الله تعالى لا تعلل بالاغراض على مذهبهم فنسبة اللام على حقيقتها بل هى اما للصيرورة والعاقبة او تشبيه مدخولها بالعلة الغائية فى ترتبها على متعلقها وايضا ان العلة الغائية لها جهتا علية ومعلولية على ما تقرر فلا لوم على من نظر الى جهة المعلولية كالزمخشرى لظهور صحته كما فى حواشى سعدى المفتى والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بأن كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى قال ابن الشيخ فى اظهار فاعل قوله ليغفر لك ونصرك اشعار بأن كل واحد من المغفرة والنصرة متفرع على الالوهية وكونه معبودا بالحق والمغفرة ستر الذنوب ومحوها قال بعض الكبار المغفرة اشد عند العارفين من العقوبة لان العقوبة جزاء فتكون ازاحة عتب الاستيفاء فهو بمنزلة من استوفى حقه والغفران ليس كذلك فانك تعرف ان الحق عليك متوجه وانه انعم عليك بترك المطالبة فلا تزال خجلا ذا حياء ولهذا اذا غفر الله تعالى للعبد ذنبه احال بينه وبين تذكره وانساه اياه وانه لو تذكره لاستحى ولا عذاب على النفوس اعظم من الحياء حتى يود صاحب الحياء انه لم يكن شيأ كما قالت مريم الكاملة يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا هذا حياء من المخلوقين فكيف بالحياء من الله تعالى فيما فعل العبد من المخالفات ومن هذا الباب ما حكى ان الفضيل قدس سره وقف فى بعض حجاته ولم ينطق بشئ فلما غربت الشمس قال واسوأتاه وان عفوت (قال الصائب) هر كند ادشرم مرا رخصت نكاه * در هجر ووصل روى بديوار داشتم (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل لان حسنات الابرار سيئات المقربين على ما قاله ابو سعيد الخراز قدس سره (وفى المثنوى) آنكه عين لطف باشد بر عوام * قهر شد بر عاشق كيشان كرام * قال بعضهم اى جميع ما صدر منك قبل النبوة وبعدها مما يطلق عليه الذنب قال فى شرح المواقف حمله على ما تقدم على النبوة وما تأخر عنها لا دلالة للفظ عليه اذ يجوز ان يصدر عنه قبل النبوة صغيرتان احداهما متقدمة على الاخرى انتهى وفيه انه يصح أن يطلق على كل من الصغيرتين انهما قبل النبوة فان التقدم والتأخر اضافى وهو الاتم قال اهل الكلام ان الانبياء معصومون من الكفر قبل الوحى وبعده باجماع العلماء ومن سائر الكبائر عمدا بعد الوحى واما سهوا فجوزه الاكثرون واما الصغائر فتجوز عمدا عند الجمهور وسهوا بالاتفاق واما قبل الوحى فلا دليل يحيل السمع او العقل على امتناع صدور الكبيرة وقال عطاء الخراسانى ما تقدم من ذنبك اى ذنب ابويك آدم وحوآء بركتك روى ان آدم لما اعترف بالخطيئة قال يا رب اسألك بحق محمد أن تغفر لى فقال الله يا آدم كيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال لانك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لم تضف الى اسمك الا اسم احب الخلق اليك فقال الله صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى فغفرت لك ولولا محمد لما خلقتك رواه البيهقى فى دلائله وما تاخر من ذنوب امتك بدعوتك وشفاعتك سلمى قدس سره فرمودكه ذنب آدم را بوى اضافت كردچه دروقت زلت در صلب وى بوده كناه امت را بوى اسناد فرمودچه اويش رودكار سازايشانست وقال ابن عطاء قدس سره

لما بلغ عليه السلام سدرة المنتهى ليلة المعراج قدم هروا خر جبريل فقال لجبريل تتركني في هذا الموضع وحدى فعاتبه الله حين سكن الى جبريل فقال ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر فيكون كل من الذنبين بعد النبوة وقال سفيان الثورى رحمه الله ماتقدم ماعملت في الجاهلية وماتأخر مالم تعمله قال في كشف الاسرار ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره وضرب من لقيه ومن لم يلقه انتهى لكن فيه انه خارج من ادب العبارة فالواجب ان يقال ماتقدم اى ماعملت قبل الوحى وقيل ماتقدم من ذنب يوم بدر وماتأخر من ذنب يوم حنين حيث قال يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد في الارض ابدا وكرره مرارا وأوحى الله اليه من اين تعلم اني لو اهلكتها لااعبد ابدا فكان هذا الذنب المتقدم وقال يوم حنين بعد أن هزم الناس ورجعوا اليه لولم ارمهم اى الكفار بكف الحصى لم يهزموا فأنزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو الذنب المتأخر لكن فيه ان المتأخر متأخر عن الوقعة فيكون وعدا بغفران ماسيقع منه قال في بحر العلوم وأبعد من هذا قول ابى على الرودبادى رحمه الله لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك انتهى يقول الفقير ابو على قدس سره من كبار العارفين فكيف يصدر عنه ماهو ابعد عند العقول بل كلامه من قبيل قوله من عرف الله عرف كل شئ يعنى لو تصورت معرفة الله لاحد وهى لاتتصور حقيقة وكذا لو تصور منه عليه السلام ذنب لغفر له لكنه لايتصور لانه في جميع احواله اما مشتغل بواجب او بمندوب لاغير فهو كالملائكة في انه لايصدر منه المخالفة ولى معنى آخر في هذا المقام وهو ان المراد بالمغفرة الحفظ والعصمة ازلا وابدا فيكون المعنى ليحفظك الله ويعصمك من الذنب المتقدم والمتأخر فهو تعالى اتاحاء بمتقدم اشارة الى انه عليه السلام محفوظ معصوم في اللاحق كما في السابق فاعرفه وفي الفتوحات المكية استغفار الانبياء لايكون عن ذنب حقيقة كذنوبنا وانما هو عن امر يدق عن عقولنا لانه لاذوق لنا في مقامهم فلايجوز حمل ذنوبهم على ماتعقله نحن من الذنب انتهى ومؤاخذة الله عباده في الدنيا والآخرة تطهيرلهم ورحمة وفي حق الانبياء من جهة العصمة والحفظ والعقاب لايكون الا في مذنب والعقوبة تقتضى التأخر عن المتقدم لانها تأتى عقيبه فقد تجد العقوبة الذنب في المحل وقد لاتجده اما بان يقلع عنه واما ان يكون الاسم العفو والغفور استوليا عليه بالاسم الرحيم فزال فترجع العقوبة خاسرة ويزول عن المذنب اسم الذنب لانه لايسمى مذنبا الا في حال قيام الذنب به كما في كتاب الجواهر والدرر للشعراني وقال الشعراني في الكبريت الاحمر قلت ويجوز حمل نحو قوله ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر على نسبة الذنب اليه من حيث ان شريعته هي التي حكمت بانه ذنب فلولا اوحي به اليه ماكان ذنبا فجميع ذنوب امته يضاف اليه والى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبي ذكره الله وقد قالوا لم يعص آدم وانما عصى بنوه الذين كانوا في ظهره فكان قوله ليغفرلك الخ الاتطمينا له عليه السلام ان الله قد غفر جميع ذنوب امته التي جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة باقامة الحدود عليهم في دار الدنيا كما وقع لماعزو من الواجب على كل مؤمن اتصال الاجوبة للاكابر جهده وذلك مما يحبه الله ويحبه من احبائه فافهم هذا اعتقادنا الذى نلقى الله عليه ان شاء الله تعالى انتهى وفي التأويلات النجمية انا فتحنا لك فتحا مبينا يشير الى فتح باب قلبه عليه السلام الى حضرة ربوبيته بتجلى صفات جماله وجلاله وفتح ما انغلق على جميع القلوب ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك اى ليستر لك بانوار جلاله ماتقدم من ذنب وجودك من بدأ خلق روحك وهو اول شئ تعلقت به القدرة كما قال اول ماخلق الله روحي وفي رواية نورى وما تأخر اى من ذنب وجودك الى الابد وذنب الوجود هو الشركة في الوجود وغفره ستره بنور الوحدة لمحو آثار الاثنية انتهى وقال بعض الاكابر اعلم ان فتوح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة اولها الفتح القريب وهو فتح باب القلب بالترقى عن مقام النفس وذلك بالمكاشفات الغيبية والانوار اليقينية وقد شاركه في ذلك اكثر المؤمنين وثانيها الفتح المبين بظهور انوار الروح وترقى القلب الى مقامه وحينئذ تترقى النفس الى مقام القلب فتستنير صفاتها المظلمة بالانوار القلبية وتنتفى بالكلية وذلك معنى قوله تعالى ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر فالسابقة الهيئات المظلمة على فتح باب القلب والمتأخرة الهيئات النورانية المكتسبة بالانوار القلبية التي تظهر في التلوينات فيخفى حالها ولاتنتفى هذه بالفتح القريب وان انتفت الاولى لان مقام القلب لايكمل الابعد الترقى الى مقام الروح واستيلاء انواره على القلب فيظهر تلوين القلب وينتفى تلوين النفس بالكلية ويحصل في هذا الفتح مقام المشاهدات الروحية

والمسامرات السرية وثالثها الفتح المطلق المشار اليه بقوله اذا جاء نصر الله والفتح وهو فتح باب الوحدة بالفناء المطلق والاستغراق فى عين الجمع بالشهود الذاتى وظهور نور الاحدى فمن صحت له متابعة النبى عليه السلام اثابه الله مغانم كثيرة وفتوحات فان حسن المتابعة سبب لفيضان الانوار الالهية بواسطة روحانية النبى عليه السلام (قال الشيخ سعدى قدس سره) خلاف پيمبر كسى ره نكزيد * كه هركز بمنزل نخواهد رسيد * هندارسعدى كه راه صفا * توان رفت جز بر پى مصطفى * وذلك ان الفلاسفة والبراهمة والرهابنة ادعوا معرفة الله والوصول اليه بطريق العقل والرياضة والمجاهدة من غير متابعة الانبياء وارشاد الله تعالى فانقطعوا دون الوصول اليه (ويتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية (ويهديك صراطا مستقيما) فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل (وينصرك الله) اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى (نصرا عزيزا) اى نصرا فيه عزة ومنعة فعزيزا للنسبة اى ذا عز قال فى فتح الرحمن النصر العزيز هو الذى معه غلبة العدو والظهور عليه والنصر غير العزيز هو الذى معه الحماية ودفع العدو فقط انتهى او نصرا قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه اى المنصور مجازا للمبالغة ولم يجعل وصفا بوصف الناصر لقلة الفائدة فيه لان القصد بيان حال المخاطب لا المتكلم او نصرا عزيزا صاحبه ثم اظهار المراد من ذلك النصر هو ما ترتب على فتح مكة من النصر على الاعداء كهوازن وغيرهم ونصرامته على الاكاسرة والقياصرة وكانت الحكمة فى قتال بعض الرسل لمن خالفهم انما هى لمخالفة ما فطروا عليه من التوحيد الموجبة تلك المخالفة لفساد ذلك الفطر الذى هم فيه باعمالهم واحوالهم الفاسدة التى لا يحصل منها الا حل نظام الاسباب وتبديد ما ذلك الشخص مأمور بحفظه عن ذلك كله فالنبى رحمة للخلق ولو بعث بالسيف وقس عليه سائر من تصدى للامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال ابن عطاء قدس سره جمع الله لنبيه فى هذه السورة نعما مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة واتمام النعمة وهى من اعلام الاختصاص والهداية وهى من اعلام التحقق بالحق والنصر وهو من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب واتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية هى الدعوة الى المشاهدة والنصرة هى رؤية الكل من الحق من غير أن يرجع الى ماسواه نسأل الله ان ينصرنا ببذل الوجود المجازى فى وجوده الحقيقى (هو الذى انزل السكينة) بيان لما افاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمانينة يعنى انزلها (فى قلوب المؤمنين) بسبب الصلح والامن بعد الخوف لانهم كانوا قبل العدة بسبب انهم معتمرون وكان العدو مستعدين لقتالهم مع ما لهم من القوة والشوكة وشدة البأس فثبتوا وبايعوا على الموت بفضل الله تعالى (وقال الكاشفى ونحوه) چون در صلح حديبيه صحابه خالى از دغدغه وتردد نبودند حق سبحانه وتعالى فرمود هو الذى الخ فالمراد ثبتوا واطمأنوا بعد ان ماجوا وزلزلوا حتى عمر الفاروق رضى الله عنه على ما عرف فى القصة وذلك القلق والاضطراب انما هو لما دهمهم من صد الكفار ورجوعهم دون بلوغ مقصودهم وكانوا يتوقعون دخول مكة فى ذلك العام آمنين للرؤيا التى رآها عليه السلام على ما سبق (ليزدادوا) تازيادت كند (ايمانا) مفعول يزدادوا كما فى قوله تعالى وازدادوا تسعا (مع ايمانهم) اى يقينا منضما الى يقينهم الذى هم عليه برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها ومن ثمة قال عليه السلام لو وزن ايمان ابى بكر مع الثقلين لرجح وكلمة مع فى ايمانهم ليست على حقيقتها لان الواقع فى الحقيقة ليس انضمام يقين الى يقين لامتناع اجتماع المثلين بل حصول نوع يقين اقوى من الاول فان له مراتب لا تحصى من اجلى البديهيات الى اخفى النظريات ثم لا ينفى الاول ما قلنا وذلك كما فى مراتب البياض على ما حقق فى مقامه ففيها استعارة او المعنى أنزل فيها السكون الى ما جاء به النبى عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر فكلمة القران حينئذ على حقيقتها والقرآن فى الحقيقة لتعلق الايمان بزيادة متعلقه فلا يلزم اجتماع المثلين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبى عليه السلام التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد حتى اكمل لهم دينهم كما قال اليوم اكملت لكم دينكم فازدادوا ايمانا مع ايمانهم

فكان الايمان يزيد فى ذلك الزمان بزيادة الشرائع والاحكام واما الآن فلا يزيد ولاينقص بل يزيد نوره ويقوى بكثرة الاعمال وقوة الاحوال فهو كالجوهر الفرد فكما لايتصور الزيادة والنقصان فى الجوهر الفرد من حيث هو فكذا فى الايمان واما قوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى فالكفر بالطاغوت عين الايمان بالله فى الحقيقة فلايلزم ان يكون الايمان جزأ قال بعض الكبار الايمان الحقيقى هو ايمان الفطرة الذى فطر الله الناس عليها لاتبديل لها ويتحقق بالخاتمة وما بينهما يزيد الايمان فيه وينقص والحاكم للخاتمة لانها عين السابقة فيحمل قول من قال ان الايمان لايزيد ولاينقص على ايمان الفطرة الذى حقيقته مامات عليه ويحمل قول من قال ان الايمان يزيد وينقص على الحالة التى بين السابقة والخاتمة من حين يتعقل التكاليف فتأمل ذلك فانه نفيس انتهى وقال حضرة الهدائى قدس سره فى محاسنه المنيفة ليزداد ايمانا وجدانيا ذوقيا عينيا مع ايمانهم العلمى الغيبى فان السكينة نور فى القلب يسكن به الى ماشاهده ويطمئن وهو من مبادى عين اليقين بعد علم اليقين كأنه وجدان يقينى معه لذة وسرور وفى المفردات قيل ان السكينة ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه كما ورد ان السكينة لتنطق على لسان عمر وقال بعض الكبار ان السكينة تطلق على ثلاثة اشياء بالاشتراك اللفظى اولها ماأعطى بنوا اسرائيل فى التابوت كما قال تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم قال المفسرون هى ريح ساكنة طيبة تخرج قلب العدو بصوتها عيانا ذا التى الصفان وهو معجزة لانبيائهم وكرامة لاوليائهم والذى شئ من لطائف صنع الحق باقى على لسان المحدث الحكمة كما يلقى الملك الروحى على قلوب الانبياء مع تربيح الاسرار وكشف السر والثالث هى التى انزلت على قلب النبى عليه السلام وقلوب المؤمنين وهى شئ يجمع نورا وقوة وروحا يسكن اليه الخائف ويتسلى به الحزين كما قال تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين انتهى وقال بعض الكبار ان الانبياء والاولياء مشتركون فى تنزل الملائكة عليهم ومختلفون فيما تنزلت به فان ملك الالهام لاينزل على الاولياء بشرع مستقل ابدا وانما ينزل عليهم بالاتباع وبافهام ماجاءت به نبيهم مما لم يتحقق الاولياء بالعلم به فكل فيض ونور وسكينة انما ينزل من الله تعالى بواسطة الملك اما بلا واسطة وان كان فرق عظيم بين حال النبى والولى فانه كما ان النبى افضل والى هكذا وارده قوى واولى نسأل الله فضله وسكينته * هر آنكه يافت زفضل خدا سكينت دل * نماند درحرم سينه اش تردد وخلل (ولله جنود السموات والارض) الجنود جمع جند بالضم وهو جمع معد للحرب اى مختص به تعالى جنود العالم يدبر امرها كيفما يشاء يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينها السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح (وقال الكاشفى) ومر خدا راست لشكرهاى آسمانها ازملائكة وجنود زمين از وحوش مجاهد يس اى اهل ايمان جهاد كنيد وبنصرت الهى واثق باشيد كه هر كه لشكر آسمان وزمين درحكم وى بود بلكه ذرات كون سپاه وى بوده باشند اولياء خود را درروز نزال باعداى خود فرونگذارد * نصرت ازوطلب كه بميدان قدرتش * هرذره پهلوانى وهر پشه صفدريست * قال بعضهم كل مافى السموات والارض بمنزلة الجند له اوشاء لانتصر به كما ينصر بالجند وتأويل الآية لم يكن صد المشركين رسول الله عن قلة جنود الله ولاعن وهن نصره لكن عن علم الله واختياره انتهى وفى فتح الرحمن ولله جنود السموات والارض فلو اراد نصر دينه بغيركم لفعل وقال بعضهم هم سموات ارواح العارفين وقصور ارض قلوب المحبين وانفاسهم جنوده ينتقم بنفس منهم من جميع اعدائه فيقهرهم دعا نوح عليه السلام على قومه فقال لاتذر على الارض من الكافرين ديارا فهلك به اهل الارض جميعا الامن آمن ودعا موسى عليه السلام على القبط فقال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فصارت حجارة ولم يؤمنوا حتى راوا العذاب الاليم وقال سيد البريات عليه افضل التحيات حين رمى الحصى على وجوه الاعداء شاهت الوجوه فانهزموا باذن الله تعالى وكذا حال كل ولى وارث قاهر من اهل الانفاس بل كل ذرة من العرش الى الثرى جند من جنوده تعالى حتى اوسلط نملة على حية عظيمة لهلكت وقد قيل الدبة اذا ولدت ولدها رفعته فى الهواء يومين خوفا من النمل لانه تضعه لحمله كبيرة غير متيرة الجراح ثم تميز ولاقاها واذا جمع بين العقرب والفأرة فى اناء زجاج فرضت الفأرة ابرة العقرب فتسلم منها ويكفى قصة البعوض مع نمرود (وفى المثنوى) جمله ذرات زمين وآسمان * لشكر حقند كاه امتحان * بادراديدكه باعاد ان چه كرد *

اب راديدكه باطوفان چه كرد * انچه برفرعون زدآن بحركين * وآنچه باقارون نموداست اين زمين * آنچه باآن پيلبانان پيل كرد * وآنچه پشه كله نمرود خورد * وانكه سنك انداخت داودى بدست * كشت شش صد پاره واشكر شكست * سنك مى بايد بااعداى لوط * تاكه رآب سيه خوردند غوط * دست بركافر كواهى مى دهد * لشكر حق مى شود سرمى نهد * كر بكوبد چشم را كور افشار * درد چشم ازتو برآرد صد دمار * كر بدندان كوبد اوبينما ويال * پس به بيني توزدندان كوشمال * فلابد من التوكل على الله فانه عون كل ضعيف وحسب كل عاجز قال بعضهم ماسلط الله عليك فهو من جنوده ان سلط عليك نفسك اهلك نفسك بنفسك وان سلط عليك جوارحك اهلك جوارحك بجوارحك وان سلط نفسك على قلبك قاتلك فى متابعة الهوى وطاعة الشيطان وان سلط قلبك على نفسك وجوارحك زمها بالأدب فالزمها العبادة وزينها بالاخلاص فى العبودية (وكان الله) ازلا وابدا (عليما) مبالغا فى العلم بجميع الامور (حكيما) فى تقديره وتدبيره فكان بمعنى كان ويكون اى دالة على الاستمرار والوجود بهذه الصفة لامعينة وقتا ماضيا وقال بعض الكبار ولله جنود السموات من الانوار القدسية والامدادات الروحانية وجنود الارض من الصفات النفسانية والقوى الطبيعية فيغلب بعضها على بعض فاذا غلب الاولى على الاخرى حصلت السكينة وكمال اليقين واذا عكس وقع الشك والريب وكان الله عليما بسرآئرهم ومقتضيات استعداداتهم وصفاء فطرة الفريق الاول وكدورة نفوس الفريق الثانى حكيما فيما فعله وفى التأويلات النجمية ولله جنود السموات والارض اى كلها دالة على وحدانيته تعالى وهى جنود الله بالنصرة لعباده فى الظفر بمعرفه وكان الله عليما بمن هو اهل النصرة للمعرفة حكيما فيما حكم فى الازل لهم (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) متعلق بما يدل عليه ماذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اى دبر مادبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة (ويكفر عنهم سيئاتهم) هذا بارآء قوله ليغفر لك الله اى يغطيها ولايظهرها قبل ان يدخلهم الجنة ليدخلوها منظهرين من الآثام وتقديم الادخال على التكفير مع ان الترتيب فى الوجود على العكس من حيث ان التخلية قبل التحلية للمسارعة الى بيان ماهو المطلب الاعلى (وكان ذلك) اى ماذكر من الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) لايقدر قدره لانه منتهى مايتناله اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر والفوز الظفر مع حصول السلامة وعند الله حال من فوزا لانه صفته فى الاصل فلما قدم عليه صار حالا اى كائنا عند الله تعالى اى فى علمه وقضائه (ويعذب المنافقين والمنافقات) من اهل المدينة (والمشركين والمشركات) من اهل مكة عطف على يدخل والتعذيب هو ماحصل لهم من الغيظ بنصر المؤمنين وفى تقديم المنافقين على المشركين مالايخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب وقد تثاقل كثير منهم فلم يخرجوا معه عليه السلام فاعتذروا فقالوا لسانهم مالبس فى قلوبهم ولوصدقوا عند الناس فاصدقوا عند الله وقد قال تعالى يوم ينفع الصادقين صدقهم اى صدقهم عند الله لاعند الخلق ولذلك قال عليه السلام حامدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم اشارة الى مقام التحقيق والتصديق فان الدعوى بغير برهان كذب * برهان بايد صدق را * ورنه زدعواها چه سود (الظانين بالله ظن السوء) صفة لطائفتى اهل النفاق واهل الشرك وظن السوء منصوب على المصدر والاضافة فيه كالاضافة فى سيف شجاع من حيث ان المضاف اليه فى الحقيقة هو موصوف هذا المجرور والتقدير مسيف رجل شجاع فكذا التقدير هنا ظن الامر السوء وهو ان الله لاينصر رسوله ولايرجعهم الى مكة فاتحين والى المدينة سالمين كما قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وبالفارسية كمان بردند بخدا كمان بد وقال فى كشف الكشاف ان ظن السوء مثل رجل صدق اى الظن السيئ الفاسد المذموم انتهى وعند البصريين لايجوز اضافة الموصوف الى صفته ولاعكسها لان الصفة والموصوف عبارتان عن شئ واحد فاضافة احدهما الى الآخر اضافة الشئ الى نفسه وفى التأويلات النجمية الظانين بالله ظن السوء فى ذاته وصفاته بالاهواء والبدع وفى افعاله واحكامه بالظلم والعبث قال بعض العارفين مثال من احسن فى الله ظنه مثال من سلط الله عليه الشيطان ليفتنه ويمتحنه فلما جاءه الشيطان اخبره بانه رسول من عند الله وانه رسول رحمة وقال جئتك لأشد عضدك فى الخير والهمك رشدك لتكون عند ربك

فى درجة العرش فحسن بربه ظنه وخر ساجدا فصيره الله له الشيطان ملكا كما ظن كما روى ان الجن صنعت لسليمان عليه السلام ارضا وصفحتها بالزمرد الاخضر وحصبتها باللؤلؤ والجواهر لتفتنه بها وهو لا يعلم فرأى ان ذلك من مواهب ربه له فى دار الدنيا فخر ساجدا لله فأثبتها الله له ارضا مقدسة كما ظن الى ان مات على حسن ظنه بربه ومثال من اساء بربه ظنه مثال من ارسل الله اليه ملك رحمة ليرشده للخير فقال انما انت شيطان حيث تغويني فصيره الله له الملك شيطانا كما ظن وفى الحديث انا عند ظن عبدى بى وقال عليه السلام قبل موته بثلاثة ايام لا يموتن احد الا وهو يحسن الظن بالله وهو من امارات اليقين در روايت آمده است از بعض صحابه رسول عليه السلام كه رسول اورا خبر داده بود كه تو والى شوى در مصر حكم كنى وقتى قلعه را حصار كرده بودند وآن صحابى نيز درميان بود ساير اصحابرا گفت مرادر كفهٔ منجنيق نهند وبسوى كفار در قلعه اندازيد چون من انجا رسم قتال كنم ودر حصار بكشايم چون از سبب اين جرأت پرسيدند گفت رسول صلى الله عليه وسلم مرا خبر داده است كه من والئ مصر شوم وهنوز نشدم يقين ميدانم كه مصر رم تا والى نشوم فهم كن كه قوت ايمان اينست والا ازروى عرف معلوم است كه چون كسى رادر كفهٔ منجنيق نهند وبيندازند حال اوچه باشد * ظاهر وباطن ما آينه يكديگرند * سينهٔ صاف ترازاب روانم دادند (عليهم دائرة السوء) اى مايظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم لا يتجاوزهم الى غيرهم فقد اكذب الله ظنهم وقلب ما يظنونه بالمؤمنين عليهم بحيث لا يتخطاهم ولا يفرون بانصرة ابدا وهذا كقوله تعالى ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء بالفارسية وبرين كمان بر ند كانست كردش بد يعنى ايشان منكوب ومغلوب خواهند شد قال المولى ابو السعود فى التوبة قوله عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله تعالى خلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا انتهى فان قلت كيف يحمل على الدعاء وهو للعاجز عرفا والله منزه عن العجز قلت هذا تعليم من الله لعباده انه يجوز الدعاء عليهم كقوله قاتلهم الله ونحوه قال ابن الشيخ السوء بالفتح صفة مشبهة من ساء يسوء بضم العين فيهما سوءا فهو سوء ويقابله من حيث المعنى قولك حسن يحسن حسنا فهو حسن وهو فعل لازم بمعنى قبح وصار فاسدا ردئ بخلاف ساءه يسوءه سوءا ومساءة اى احزنه نقيض سره فانه متعد ووزنه فى الماضى فعل بفتح العين ووزن ما كان لازما فعل بضم العين وفعل يأتى فاعله على فعل كصعب صعوبة فهو صعب والسوء بضم السين مصدر لهذا اللازم والسوء بالفتح مشترك بين اسم الفاعل من اللازم وبين مصدر المتعدى وقيل السوء بالفتح والضم لغتان من ساء بمعنى كالكره والكره والضعف والضعف خلا ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ واما المضموم فجار مجرى الشر المناقض للخير ومن ثمة اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ان لا يضاف اليه الا على التأويل المذكور واما دائرة السوء بالضم فلان الذى اصابهم مكروه وشدة يصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله تعالى ان ارادكم سوءا او ارادبكم رحمة كما فى بعض التفاسير والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت فى الحادثة والمصيبة المحيطة لمن وقعت هى عليه فمعنى الآية يحيط بهم السوء احاطة الدائرة بالشئ او بمن فيها بحيث لا سبيل الى الانفكاك عنها بوجه الا ان اكثر استعمالها اى الدائرة فى المكروه كما ان اكثر استعمال الدولة فى المحبوب الذى يتداول ويكون مرة لهذا ومرة لذاك والاضافة فى دائرة السوء من اضافة العام الى الخاص للبيان كما فى خاتم فضة اى دائرة من شر لا من خير وقال ابو السعود فى التوبة السوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهى من اضافة الموصوف الى صفته فوصفت فى الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله تعالى ما كان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضى معنى السوء لان دائرة الدهر لا تستعمل الا فى المكروه فانما هو اضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه (وغضب الله عليهم) عطف لما تحققوه فى الآخرة على ما ستوجبوه فى الدنيا قال بعضهم غضبه تعالى ارادة العقوبة لهم فى الآخرة وكونهم على الشرك والنفاق فى الدنيا وحقيقته ان للغضب صورة ونتيجة اما صورة فتغير فى الغضبان يتأذى به ويتألم واما نتيجة فاهلاك المغضوب عليه وايلامه فعبر عن نتيجة الغضب بالغضب على الكناية بالسبب عن المسبب (ولعنهم) طردهم من رحمته (واعد لهم جهنم) واماده كردم براى ايشان دوزخ را والواو فى الفعلين

لاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ماقبلها لمابعدها اذ اللعن سبب الاعداد والغضب سبب اللعن للايذان باستقلال كل منهما في الوعيد واصالته من غير استتباع بعضهما لبعض (وساءت مصيرا) اى جهنم والمصير المرجع وبافارسية وبدبازكشتيست دوزخ (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا) اى بليغ العزة والقدرة على كل شئ (حكيما) بليغ الحكمة فيه فلا يفعل مايفعل الا على مقتضى الحكمة والصواب وهذه الآية اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان لله تعالى جنودا للرحمة يمنّ بهم ليدخل بهم المؤمنين الجنة معظما مكرما وان له تعالى جنودا للعذاب يسلطهم على الكفار يعذبهم بهم في جهنم والمراد ههنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة فان عادته تعالى ان يصف نفسه بالعزة في مقام ذكر العذاب والانتقام قال في برهان القرآن الاول متصل بانزال السكينة وازدياد ايمان المؤمنين فكان الموضع موضع علم وحكمة وقد تقدم ما اقتضاه فتح عند قوله وينصرك الله نصرا عزيزا واما الثاني والثالث الذي بعده فمتصلان بالعذاب والغضب وسلب الاموال والغنائم فكان الموضع موضع عزو غلبة وحكمة وفي كشف الاسرار يدفع كيد من عادى نبيه والمؤمنين بما شاء من الجنود هو الذي جند البعوض على نمرود والهدهد على بلقيس وروى ان رئيس المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول قال هب ان محمدا هزم اليهود وغلب عليهم فكيف استطاعته بفارس والروم فقال الله تعالى ولله جنود السموات والارض اكثر عددا من فارس والروم (وقال الكاشفي) ومر خدايراست لشكرهاى آسمان وزمين يعنى هر كدر آسمانها وزمينهاست همه مملوك ومسخر وبند چنبره لشكريان مر سردار خود را تكرار اين سخن جهت وعده مؤمنانست تا بنصرت الهى مستظهر باشند و براى وعيد مشركان ومنافقان تا از تكذيب رباني خائف كردند وفي الآية اشارة الى ما اعد الله من عظائم فضله وعجائب صنعه في سموات القلوب وارض النفوس يمدبها اولياءه وينصرهم بها على انفسهم ليفوزوا بكمال قربه ويخذل بها اعداءه ويهلكهم في اودية الاهوية ليصيروا الى كمال بعده وكان الله عزيزا يذل اعداءه حكيما فيما يعز اولياءه كما في التأويلات النجمية واعلم ان الله تعالى قد جعل في النار مائة دركة في مقابلة درج الجنة ولكل دركة قوم صون لهم من الغضب الالهي الحال بهم آلام مخصوصة تصل اليهم من ايدي الملائكة الموكلين بهم نعوذ بالله من سخطه وعذابه ونسأله الاولى من نعيمه وثوابه وللغضب درجات منها قطع الامداد العلمي المستلزم لتسلط الجهل والهوى والنفس والشيطان والاحوال الذميمة لكنه موقت الى النفس الذي قبل آخر الانفاس في حق من يختم له باسعادة ومنها مايتصل الى حين دخولهم جهنم وفتح باب الشفاعة ومنها مايقتضي الخلود في النار (قال الحافظ)

دارم از لطف ازل جنت فردوس طمع * كرچه دربانى ميخانه فراوان كردم

* والله غفور رحيم لمن تاب ورجع الى الصراط المستقيم (انا ارسلناك شاهدا) اى على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا يعنى على تصديق من صدقه وتكذيب من كذبه اى مشهودا قوله في حقهم يوم القيامة عند الله تعالى سوا شهد ايم او عليهم كما يقبل قول الشاهد العدل عند الحاكم وهو حال مقدرة فانه عليه السلام انما يكون شاهدا وقت التحمل والاداء وذلك متأخر عن زمان الارسال بخلاف غيره مما عطف عليه فانه ليس من الاحوال المقدرة (ومبشرا) على الطاعة بالجنة والثواب وعلى اهل الطلب بالوصول (ونذيرا) على المعصية بالنار والعذاب وعلى اهل الاعراض بالقطيعة وفي التوراة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للامين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا

سر خيل انبيا وسپهدار اتقيا * سلطان بار كاه دنى قاب دانى

(لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبي عليه السلام ولامته فيكون تعميما للخطاب بعد التخصيص لان خطاب ارسلناك للنبي خاصة ومثله قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خصه عليه السلام بالنداء ثم عمم الخطاب على طريق تغليب المخاطب على الغائبين وهم المؤمنون فدلت الآية على انه عليه السلام يجب ان يؤمن برسالة نفسه كما ورد في الحديث انه عليه السلام قال اشهد اني عبد الله ورسوله قال السهيلي في الامالي انما عرف نبوة نفسه بعد معرفته بجبريل وايمانه به اى بالعلم الضروري فاذا عرف نبوة نفسه وآمن بها رجب عليه ان يؤمن بما انزل اليه من ربه كما قال تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه ويجوز ان يكون الخطاب للامة فقط فان قلت كيف يجوز تخصيصهم الخطاب الثاني بالامة في مقام توجيه الخطاب الاول اليه عليه السلام بخصوصه قلت ان خطاب رئيس القوم يعم لتخاطب من معه من اتباعه فجاز ان يخاطب الاتباع

فى مقام تخصيص الرسل بالخطاب لان المقصود سماعهم (وتعزروه) وتقووه تعالى بتقوية دينه ورسوله قال فى المفردات التعزير النصرة مع التعظيم قال تعالى وتعزروه والتعزير دون الحد وذلك يرجع الى الاول فان ذلك تأديب والتأديب نصرة بقهر عدوه فان افعال الشر عدوان الانسان فى قمعه عنها فقد نصرته وعلى هذا الوجه قال النبى عليه السلام انصر اخاك ظالما او مظلوما فقال انصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تكفه عن الظلم انتهى وفى القاموس التعزير ضرب دون الحد او هو اشد الضرب والتفخيم والتعظيم ضد والاعانة كالعزر والتقوية والنصر انتهى وقال بعضهم اصله المنع ومنه التعزير فانه منع من معاودة القبيح يعنى وتمنعوه تعالى اى دينه و رسوله حتى لا يقوى عليه عدو (وتوقروه) وتعظموه باعتقاد انه متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع وجوه النقصان قال فى القاموس التوقير التبجيل والوقار كسحاب الرزانة انتهى يعنى السكون والحلم فاصله من الوقر الذى هو الثقل فى الاذن (وتسبحوه) وتنزهوه تعالى عما لا يليق به ولا يجوز اطلاقه عليه من الشريك والولد وسائر صفات المخلوقين او تصلوا له من السبحة وهى الدعاء وصلاة التطوع قال فى القاموس التسبيح الصلاة ومنه فلو لا انه كان من المسبحين اى من المصلين (بكرة واصيلا) اى غدوة وعشيا فالبكرة اول النهار والاصيل آخره ولو قدم فانه يراد بهما الدوام وعن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وفى عين المعانى البكرة صلاة الفجر والاصيل الصلوات الاربع فتكون الآية مشتملة على جميع الصلوات المفروضة وجوه بعض اهل التفسير ان يكون ضميرو تعزروه وتوقروه للرسول عليه السلام ولاوجه له لانه تفكيك اذ ضمير رسوله وتسبحوه لله تعالى قطعا وعلى تقدير ان يكون له وجه فمعنى تعظيم رسول الله وتوقيره حقيقة اتباع سنته فى الظاهر والباطن والعلم بانه زبدة الموجودات وخلاصتها وهو المحبوب الازلى وماسواه تبعله ولذا ارسله تعالى شاهدا فانه لما كان اول مخلوق خلقه الله كان شاهدا بوحدانية الحق وربوبيته وشاهدا بما اخرج من العدم الى الوجود من الارواح والنفوس والاجرام والاركان والاجسام والاجساد والمعادن والنبات والحيوان والملك والجن والشيطان والانسان وغير ذلك الا يشذ عنه ما يمكن للمخلوق دركه من اسرار افعاله وعجائب صنعه وغرائب قدرته بحيث لا يشاركه فيه غيره ولذا قال عليه السلام علمت ما كان وما سيكون لانه شاهد الكل وما غاب لحظة وشاهد خلق آدم عليه السلام ولاجله قال كنت نبيا وادم بين الماء والطين اى كنت مخلوقا وعالما بأنى نبى وحكم لى بالنبوة وادم بين ان يخلق له جسد وروح ولم يخلق بعد واحدا منهما فشهد خلقه وما جرى عليه من الاكرام والاخراج من الجنة بسبب المخالفة وما تاب الله عليه الى اخر ما جرى عليه وشاهد خلق ابليس وما جرى عليه من امتناع السجود لآدم والطرد واللعن بعد طول عبادته ووفور علمه بمخالفة امر واحد فحصل له بكل حادث جرى على الانبياء والرسل والامم فهوم وعلوم ثم ازل روحه فى قالبه ليزداد له نورا على نور فوجود كل موجود من وجوده وعلوم كل نبى وولى من علومه حتى صحف آدم وابراهيم وموسى وغيرهم من اهل الكتب الالهية وقال بعض الكبار ان مع كل سعيد رقيقة من روح النبى صلى الله عليه وسلم هى الرقيب العتيد عليه فاعراضه عنها بعدم اقباله عليها سبب لانتهاكه ولما قبض الروح المحمدى عن ادم الذى كان به دائما لا يضل ولا ينسى جرى عليه ما جرى من النسيان ومايئ عد واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم واليه ينظر قوله عليه السلام لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن اى ينزع منه الايمان ثم يزنى واعلم ان كل نبى له الولاية والنبوة فان كان رسولا فله الولاية والنبوة والرسالة فعلم رسالته هو كونه واسطة بين الله و خلقه وكذلك ان كان رسولا الى نفسه او اهله او قومه او الى الكافة فليس مع الرسول من عالم الرسالة الا قدر ما يحتاج اليه المرسل اليهم وما عدا ذلك فهو عالم ولايته فيما بينه وبين الله ولما تفاضلت الامم تفاضلت الرسل وبأتى النبى يوم القيامة ومعه امته واخر معه قومه واخر معه رهطه وهو ما دون العشرة واخر معه ابنه واخر معه رجل واخر ليتبع فيبقى دعائم يجب لاتيانه فى الوقت الشديد الظلمة ولما جاء نبينا عليه السلام نور الله نور العالم ظواهرها وبواطنها وكانت امته اسعد الامم واكثرها ولذا تجئ فى ثمانين صفا وباقى الامم من لدن ادم عليه السلام فى اربعين صفا وقد قال تعالى فى حقه مبشرا فانه لما ارسله الى الاحمر والاسود بشر هم بان لهم فى متابعته الرتبة المحبوبية التى هى مخصوصة به من بين سائر الانبياء والمرسلين فقد قال تعالى ونذيرا لئلا ينقطعوا عنه تعالى بشئ من الدارين كما انقطع اكثر الامم ولم يكونوا على شئ (قال الكمال الجندى) مرد تا روى نيارد زدو عالم بخداى * مصطفى وار كزين همه عالم نشود * نسأل الله

ان يجعلنا على حظ وافر من الاقبال اليه والوقوف لديه (ان الذين يبايعونك) المبايعة باكسى بيع ويابيعت وعهد كردن يعاهدونك على قتال قريش تحت الشجرة وبالفارسية بدرستى كه آنانكه بيعت ميكنند باتو درحديبيه سميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة المالية اى مبادلة المال بالمال فى اشتمال كل واحد منهما على معنى المبادلة فهم التزموا طاعة النبى عليه السلام والثبات على محاربة المشركين والنبى عليه السلام وعدلهم بالثواب ورضى الله تعالى قال بعض الانصار عند بيعة العقبة تكلم يارسول الله فخذلنفسك ولربك ماأحببت فقال عليه السلام اشترط لربى ان تعبدوه ولاتشركوا به شيأ ولنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم وابناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة رضى الله عنه فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولانستقيل (انما يبايعون الله) يعنى ان من بايعك بمنزلة من بايع الله كأنهم باعوا انفسهم من الله بالجنة كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك لان المقصود ببيعة رسوله هو وجه الله وتوثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه قال ابن الشيخ لما كان الثواب انما يصل اليهم من قبله تعالى كان المصود بالمبايعة منه عليه السلام المبايعة مع الله وانه عليه السلام انما هو سفير ومعبر عنه تعالى وبهذ الاعتبار صاروا كأنهم يبايعون الله وبالفارسية جزين نيست كه بيعت ميكنند باخداى چه مقصود بيعت اوست ورأى طلب رضاى اوست قال سعدى المفتى الظاهر والله اعلم ان المعنى على التشبيه اى كأنهم يبايعون الله وكذا الحال فى قوله (يد الله فوق ايديهم) اى كأن يد الله حين المبايعة فوق ايديهم حذف اداة التشبيه للمبالغة فى التأكيد وذكر اليد خذهم يد رسول الله حين البيعة على ما هو عادة العرب عند المعاهدة والمعاقدة وفيه تشريف عظيم ليد رسول الله التى تعلو أيدى المؤمنين المبايعين حيث عبر عنها بيد الله كما ان وضعه عليه السلام يده اليمنى على يده اليسرى لبيعة عثمان رضى الله عنه تفخيم لشأن عثمان حيث وضعت يد رسول الله موضع يده ولم ينل تلك الدولة العظمى احد من الاصحاب فكانت غيبته رضى الله عنه فى تلك الوقعة خيرا له من الحضور وقال بعضهم فيه استعارة تخييلية لتنزهه تعالى عن الجارحة وعن سائر صفات الاجسام فلفظ الله فى يد الله استعارة بالكناية عن مبايع من الذين يبايعون بالايدى ولفظ اليد استعارة تخييلية لما يديه الصدرة المنتزعة الشبيهة باليد مع ان ذكر اليد فى حقه تعالى لاجتماعه مع ذكر الايدى فى حق الناس مشاكلة ازداد بها حسن التخييلية ثم ان قوله يد الله فوق ايديهم على كل من القولين تأكيد لما قبله والمقصود تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما وحقيقته ان الله تعالى لو كان من شأنه التمثيل فتمثل للناس لفعل معه عين ما فعل مع نبيه من غير فرق فكان العقد مع النبى صورة العقد مع الله بل حقيقته كما ستجئ الاشارة اليه وقال الراغب فى المفردات يقال فلان يد فلان اى وليه وناصره ويقال لاولياء الله هم ايدى الله وعلى هذا الوجه قال الله تعالى ان الذين يبايعونك الآية ويؤيد ذلك ماروى لايزل العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به ويده التى يبطش بها الخ فيكون المعنى قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم كأنه قيل لهم يا محمد بنصرة الله لك لا بنصرة اصحابك ومبايعتهم على النصرة واثبات وقال بعضهم اليد فى المرضعين بمعنى الاحسان والصنيعة فالمعنى نعمة الله عليهم فى الهداية الى الايمان والى بيعة الرضوان فوق ماصنعوا من البيعة كقوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقال السدى يأخذون بيد رسول الله ويبايعونه ويد الله اى حفظ تلك المبايعة عن الانتقاض والبطلان فوق ايديهم كان احد المتبايعين اذا مد يده الى الآخر عند البيع يتوسط بينهما ثالث فيضع يده على يديهما ويحفظ يديهما الى أن يتم العقد لايترك واحدا منهما ان يقبض يده الى نفسه ويتفرق عن صاحبه قبل انعقاد البيع فيكون وضع الثالث يده على يديهما سببا لحفظ البيعة فلذلك قال تعالى يد الله فوق ايديهم بحفظهم ومنعهم عن ترك البيعة كما يحفظ المتوسط ايدى المتبايعين وقال اهل الحقيقة هذه الآية كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله فالنبى عليه السلام قد فنى عن وجوده بالكلية وتحقق بالله فى ذاته وصفاته وافعاله فكل ماصدر عنه صدر عن الله فبايعته مبايعة الله كما ان اطاعته اطاعة الله سلمى قدس سره فرموده كه اين سخن در مقام جمعست وحق سبحانه مرتبه جمع را براى هيچ كس تصريح نكرده الا براى نكه اخص واشرف موجدا تست ولهذا السر يقول عليه السلام يوم القيامة امتى امتى دون نفسى نفسى لانه لم يبق فيه بقية الوجود اصلا وفيه اسوة حسنة للكمل من افراد امته فاعرف جدا فمعنى يد الله فوق ايديهم اى قدرته الظاهرة فى صورة قدرة النبى عليه السلام فوق قدرتهم الظاهرة فى صور ايديهم لانه مظهر الاسم

الاعظم المحيط الجامع وكل الاسماء تحت حيطة هذا الاسم الجليل فيد النبي عليه السلام مع غيره كيد السلطان مع ماسواه وهواى قوله بدالله فوق ايديهم زيادة التصريح فى مقام عين الجمع لحصول هذا المعنى الاطلاقى مما قبله والحاصل ان الله تعالى جعل نبيه صلى الله عليه وسلم مظهرا لكمالاته ومرآتا لتجلياته ولذا قال عليه السلام من رآنى فقد رأى الحق ولما فنى عليه السلام عن ذاته وصفاته وافعاله كان نائبا عن الحق فى ذاته وصفاته وافعاله كما قيل (ع) نائبست ودست اودست خداى * وفى هذا المقام قال الحلاج انا الحق وابو يزيد سبحانى سبحانى ما اعظم شانى وابو سعيد الخراز لبس فى الجبة غير الله قال الواسطى اخبر الله بهذه الآية ان البشرية فى نبيه عارية واضافة لا حقيقة يعنى فظاهره مخلوق وباطنه حق ولذا يجوز السجدة لباطنه دون ظاهره اذ ظاهره من عالم التقييد وباطنه من عالم الاطلاق واذا كانت الصلاة جائزة على الموتى فما ظنك بالاحياء فاعرف جدا فانه انما جازت الصلاة على الموتى لاشتمالهم على حصة من الحقيقة المحمدية الجامعة الكلية (فمن نكث) النكث نقض نحو الحبل والغزل استعير لنقض العهد اى فمن نقض عهده وبيعته وازال ابرامه واحكامه (فانما ينكث على نفسه) فانما يعود ضرر نكثه على نفسه لان الناكث هو لا غير (ومن اوفى بما عاهد عليه الله) بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو واذا صله هو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة اى ومن اوفى بعهده وثبت عليه واعه (فسيؤتيه اجرا عظيما) هى الجنة وما فيها من رضوان الله العظيم والنظر الى جماله الكريم ويحتمل ان يراد بنكث العهد ما يتناول عدم مباشرته ابتداء ونقضه بعد انعقاده لما روى عن جابر رضى الله عنه انه قال بايعنا رسول الله بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم اى الى المبايعة حين دعوا اليها درموضح آورده كه سه چيز راجع باهل ان ميشود يكى مكر كه ولا يحيق المكر السيئ الا باهله دوم ستم كه انما بغيكم على انفسكم سيوم نقض عهد كه فمن نكث فانما ينكث على نفسه ودر عهد و پيمان كفته اند * پيمان مشكن كه هر كه پيمان بشكست * ازپاى درافتاد وبرون رفت زدست * از اكه بدردست بود پيمان الست * نشكسته بيج حال هر عهد كه بست (كما قال الحافظ) ازدم صبح ازل تا آخرى شام ابد * دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود (وقال) پيمان شكن هر آينه كرد د شكسته حال * ان العهود لدى اهل النهى ذمم * قال بعض الكبار هذه البيعة نتيجة العهد السابق المأخوذ على العباد فى بدء الفطرة فيضرهم النكث وينفعهم الوفاء قال الشيخ اسمعيل بن سودكين فى شرح التجليات الاكبرية قدس الله سرهما المبايعون ثلاثة الرسل والشيوخ الورثة والسلاطين والمبايع فى هؤلاء الثلاثة على الحقيقة واحد وهو الله تعالى وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى على بيعة هؤلاء الاتباع وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القيام بأمر الله وعلى الاتباع الذين بايعوهم شروط يجمعها المتابعة فيما امروا به فاما الرسل والشيوخ فلا يأمرون بمعصية اصلا فان الرسل معصومون من هذا والشيوخ محفوظون واما السلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظا والا كان مخذولا ومع هذا فلا يطاع فى معصية والبيعة لازمة حتى يلقوا الله تعالى ومن نكث الاتباع من هؤلاء فحسبه جهنم خالدا فيها لا يكلمه الله ولا ينظر اليه وله عذاب اليم هذا كما قال ابو سليمان الدارانى قدس سره هذا حظه فى الآخرة واما فى الدنيا فقد قال ابو يزيد البسطامى قدس سره فى حق تلميذه لما خالفه دعوا من سقط من عين الله فرؤى بعد ذلك مع الخنثين وسرق فقطعت يده هذا لما نكث اين هو ممن وفى ببيعته مثل تلميذ الدارانى قيل له القى نفسك فى التنور فألقى نفسه فيه فعاد عليه بردا وسلاما هذه نتيجة الوفاء انتهى يقول الفقير ثبت بهذه الآية سنة المبايعة واخذ التلقين من المشايخ الكبار وهم الذين جعلهم الله قطب ارشاد بان لوصلهم الى التجلى العينى بعد التجلى العلمى اذ لا فائدة فى مبايعة الناقصين المحتجبين لعدم اقتدارهم على الارشاد والتسليك وعن شداد بن اوس وعبادة بن الصامت رضى الله عنهما قالا كنا عند رسول الله عليه السلام فقال هل فيكم غريب يعنى اهل كتاب قلنا لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب فقال ارفعوا ايديكم فقولوا لا اله الا الله فرفعنا ايدينا ساعة ثم وضع رسول الله يده ثم قال الحمد لله اللهم انك بعثتنى بهذه الكلمة وامرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة انك لا تخلف الميعاد ثم قال أبشروا فان الله قد غفر لكم كما فى روح القلوب لعبد الرحمن البسطامى قدس سره وعن عبد الرحمن بن عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله وكنا حديثى عهد ببيعته فقلنا قد بايعناك يا رسول الله قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا وقلنا على م نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتقيموا الصلوات الخمس وتطيعوا

وامر كلمة خفية ولا تسألوا الناس ولقد رأيت بعض اولئك النفر يسقط سوط احدهم فلا يسأل احدا يناوله اياه رواه مسلم والترمذى والنسائى كما فى الترغيب والترهيب للامام المنذرى رحمه الله وعن عبادة بن الصامت قال اخبرنى ابى عن ابيه قال بايعنا رسول الله على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر اهله وان نقول بالحق حيث كنا ونخاف فى الله لومة لائم كما فى عوارف المعارف للسهروردى قدس سره وقوله وان لا ننازع الامر اهله اى اذا فوض امر من الامور الى من هو اهل لذلك الامر لا ننازع فيه ونسلم ذلك الامر له وقوله حيث كنا اى عند الصديق والعدو والاقارب والاباعد كما فى حواشى زين الدين الحنفى رحمه الله واخذ من التقرير المذكور اخذ اليد فى المبايعة وذلك بالنسبة الى الرجال دون النساء لما روى ان النساء اجتمعن عند النبى عليه السلام وطلبن ان يعاهدهن باليد فقال لا تمس يدى يد المرأة ولكن قولى لامرأة واحدة كقولى لمائة امرأة فبايعهن بالكلام ثم طلبن منه البركة فوضع يده الشريفة فى الماء ودفعه اليهن فوضعن ايديهن فيه كذا ذكره الشيخ عبد العزيز الديرينى فى الروضة الانيقة وكذا فى ترجمة الفتوحات حيث قال ورسول عليه السلام وفات كرد دست او بهيچ زن نامحرم نرسيد وباز نان مبايعه بسخن مى كرد وقول او بايك زن چنان بود كه با همه انتهى وقال فى انسان العيون بايعه عليه السلام ليلة العقبة الثانية السبعون رجلا وبايعه المرأتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا اقررن قال اذهبن فقد بايعتكن انتهى وفى الاحياء ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلاة ولمجالس الذكر اذا خيفت الفتنة اذ منعتهن عائشة رضى الله عنها فقيل لها ان رسول الله ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله ما احدثن بعده لمنعهن انتهى فحضورهن مجالس الوعظ والذكر من غير حائل يمنع من النظر اذا كان محظورا منكرا فكيف مس ايديهن كما فى متشيخة هذا الزمان ومبتدعته ورعاميسون المسك لاجل النساء اللاتى يحضرن مجالسهم ويبايعنهم كما سمعناه من الثقات والعياذ بالله تعالى ولنعد الى تحرير المقام قال ابو يزيد البسطامى قدس سره من لم يكن له استاذ فامامه الشيطان وحكى الاستاذ ابو القاسم القشيرى عن شيخه ابى على الدقاق قدس سرهما انه قال الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولا تثمر وهو كما قال ويجوز انها تثمر كالاشجار التى فى الاودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين والغرس اذا نقل من موضع الى موضع آخر يكون احسن واكثر ثمرة لدخول التصرف فيه وقد اعتبر الشرع وجود التعليم فى الكلب المعلم واحل ما يقتله بخلاف غير المعلم وسمعت كثيرا من المشايخ يقولون من لم ير مفلحا لا يفلح والنا فى رسول الله اسوة حسنة فاصحاب رسول الله تلقوا العلوم والآداب من رسول الله كما روى عن بعض الصحابة علمنا رسول الله كل شئ حتى الخراءة بكسر الخاء المعجمة يعنى قضاء الحاجة فلا بد لطالب الحق من اديب كامل واستاذ حاذق يبصره بآفات النفوس وفساد الاعمال ومداخل العدو فاذا وجد مثل هذا فليلازمه وليحبه وليتأدب بآدابه ليسرى من باطنه الى باطنه حال قوى كسراج يقتبس من سراج وليسلم من ارادة نفسه بالكلية فان التسليم له تسليم لله ولرسوله لان سلسلة التسليم تنتهى الى رسول الله والى الله (وفى المثنوى) گفت طوبى من رآنى مصطفى * والذى يبصر لمن وجهى راى * چون چراغى نور شمعى را كشيد * هر كه ديد انرا يقين آن شمع ديد * همچنين تا صد چراغ ار نقل شد * ديدن آخر لقاى اصل شد * خواه نور از واسين استان بجان * هيچ فرقى نيست خواه از شمعدان * وفى الحديث الحجر الاسود يمين الله فى ارضه فمن لم يدرك بيعة رسول الله فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله وفى رواية الركن يمين الله فى الارض تصافح بها عباده كما يصافح احدكم اخاه قال السخاوى معنى الحديث ان كل ملك اذا قدم عليه قبلت يمينه ولما كان الحاج والمعتمر يعين لهما تقبيله نزل منزلة تعيين الملك ويده ولله المثل الاعلى وكذلك من صافحه كان له عند الله عهد كما ان الملك يعطى الهدية والعهد بالمصافحة انتهى يقول الفقير لا شك ان الكعبة عند اهل الحقيقة اشارة الى مرتبة الذات الاحدية والذات الاحدية قد تجلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بجميع اسمائها وصفاتها فكانت الكعبة صورة رسول الله والحجر الاسود صورة يده الكريمة واما حقيقة سر الكعبة والحجر فذاته الشريفة ويمينه المباركة ومن هنا نعرف ان الانسان الكامل افضل من الكعبة وكذا يده اولى من الحجر ولما انتقل النبى عليه السلام خلفه ورثته بعده فهم مظاهر هذين السرين فلا بد من تقبيل الحجر فى الشريعة ومن تقبيل يد الانسان الكامل فى الحقيقة فانه المبايعة الحقيقية فانها عين المبايعة مع الله ورسوله ثم اذا وقعت المبايعة للمبايع فى ذلك اوان ارتضاع وزمان انفطام

فلا يفارق من بايعه الا بعد حصول المقصود بان يفتح له باب الفهم من الله ومتى فارق قبل اوان انفطام ينا له من الاعلال فى الطريق بالرجوع الى الدنيا ومتابعة الهوى ما ينال المفطوم لغير اوانه فى الولادة الطبيعية وكذا الحال فى العلم الظاهر فانه لابد فيه من التكميل ثم الاذن من الاستاذ للتدريس قال فى الاشباه لما جلس ابو يوسف للتدريس من غير اعلام ابى حنيفة ارسل اليه ابو حنيفة رجلا فسأله عن مسائل خمس * الاولى قصار جحد الثوب ثم جاء به مقصورا هل يستحق الاجر أو لا فاجاب ابو يوسف يستحق الاجر فقال له الرجل اخطأت فقال لا يستحق فقال اخطأت ثم قال له ان كانت القصارة قبل الجحود استحق والا * الثانية هل الدخول فى الصلاة بالفرض او بالسنة فقال بالفرض فقال اخطأت فقال بالسنة فقال اخطأت فتحير ابو يوسف فقال الرجل بهما لان التكبير فرض ورفع اليدين سنة * الثالثة طير سقط فى قدر على النار فيه لحم ومرق هل يؤكلان او لا فقال يؤكلان فخطأه فقال لا يؤكلان فخطأه ثم قال ان كان اللحم مطبوخا قبل سقوط الطير يغسل ثلاثا و يؤكل وترمى المرقة والا يرمى الكل * الرابعة مسلم له زوجة ذمية ماتت وهى حامل منه تدفن فى اى المقابر فقال ابو يوسف فى مقابر المسلمين فخطأه فقال فى مقابر اهل الذمة فخطأه فتحير فقال تدفن فى مقابر اليهود ولكن يحول وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد الى القبلة لان الولد فى البطن يكون وجهه الى ظهر امه * الخامسة ام ولد لرجل تزوجت بغير اذن مولاها فمات المولى هل تجب العدة من المولى فقال تجب فخطأه فقال لا تجب فخطأه ثم قال الرجل ان كان الزوج دخل بها لا تجب والا وجبت فعلم ابو يوسف تقصيره فعاد الى ابى حنيفة فقال تزيت قبل ان تحتلم (قال الشيخ سعدى) يكى در صنعت كشتى كيرى بسر آمده بود وسيصد وشصت بند فاخر در ين علم بدانستى وهر روز بنوعى كشتى كرفتى مكر كوشه خاطرش باجمال يكى ازشاكردان ميل داشت سيصد وبنجاه وند اورا آموخت مكر يك بند كه در تعليم آن دفع انداختى وتهاون كردى فى الجمله بسر در قوت وصنعت بسر آمد وكسى رايارا ومجال مقاومت نماند تابجدى كه پيش ملك كفت استادرا فضيلتى كه بزمانست از روى برزكيست وحق تربيت وكرنه بقوت از وكمتر نيستم وبصنعت بااو برابرملك را اين سخن پسنديده نيامد بفرمود تامصارعه كننده مقامى متسع ترتيب كردند وار كان دولت واعيان حضرت وزوراوران ان اقليم حاضر شدند پسر چون پيل مست در آمد بصدمتى كه اكر كوه آهنين بودى ازجاى بركندى استاد دانست كه جوان ازو بقوت برتست بدان بند غريب كه ازونهان داشته بود براودر آويخت وبدودست بركرفت اورا زمين بربالاى سر بردوبرزمين زد غريو از خلق برخاست ملك فرمود تا استاد راخلعت ونعمت بى قياس دادند و پسر راازجر وملامت كرد كه پاروزنده خويش دعوى مقاومت كردى وپسر نبردى كفت اى خداوند مرا بزور دست ظفر نيافت بلكه ازعلم كشتى دقيقه ماند بود كه زمن دريغ همى داشت امروز بدان دقيقه برمن دست يافت استاد كفت از بهر چنين روزنهان داشتم فعلم ان التلميذ لا يبلغ درجة استاذه فى زمانه فللاستاذ العلو من كل وجه * مريد ان بقوت زطفلان كند * مشايخ چوديوار مستحكمند * قال فى كشف النور عن اصحاب القبور واما هذا الزى المخصوص الذى اتخذه كل فريق من الصوفية كلبس المرقعات ومن زر الصوف والمليويات فهو امر قصدوا به التبرك بمشايخهم الماضية فلا ينهون عنه ولا يؤمرون به فان غالب ملابس هذا الزمان من هذا القبيل كالعمائم التى اتخذها الفقهاء والمحدثون والعمائم التى اتخذها العساكر والجنود والملابس التى يتخذها عوام الناس وخواصهم فانها جميعها مباحة وليس فيها شئ يوافق السنة الا القليل ولا نقول انها بدعة ايضا لان البدعة هى الفعلة المخترعة فى الدين على خلاف ما كان عليه النبى عليه السلام وكانت عليه الصحابة والتابعون رضى الله عنهم وهذه الهيئات والملابس والعمائم ليست مبتدعة فى الدين بل هى مبتدعة فى العادة ولا هى مخالفة للسنة ايضا على حسب ما عرف الفقهاء السنة بانها كل فعلة فعلها النبى عليه السلام على وجه العبادة لا العادة ولم يكن النبى عليه السلام يلبس العمامة على سبيل العبادة ولا يلبس الثياب المخصوصة على طريق العبادة وانما القصد بذلك ستر العورة ودفع اذية الحر والبرد ولهذا ورد عنه لبس الصوف والقطن وغير ذلك من الثياب العالية والسافلة فليس مخالفته فى ذلك مخالفة سنة وان كان الاتباع فى جميع ذلك افضل لانه مستحب انتهى قال فى العوارف لبس الخرقة اى من يد الشيخ علامة التفويض والتسليم ودخوله فى حكم الشيخ دخوله فى حكم الله تعالى وحكم رسوله عليه السلام واحياء سنة المبايعة مع رسول الله قالت ام خالد اتى النبى عليه السلام بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة وهى كساء اسود مربع له علمان فان لم يكن معلما فليس بخميصة

فقال عليه السلام من ترون اكسوهذه فسكت القوم فقال عليه السلام ائتونى بام خالد قالت فأتى بى فالبستها بيده فقال ابلى واخلقى يقولها مرتين وجعل ينظر الى علم فى الخميصة اصفر واحمر ويقول يا ام خالد هذا سناء والسناء هو الحسن بلسان الحبشة ولاخفاء بان لبس الخرقة على الهيئة التى يعمدها الشيوخ فى هذا الزمان لم يكن فى زمن رسول الله وهذه الهيئة والاجتماع لها والاعتداد بها من استحسان الشيوخ وقد كان طبقة من السلف الصالحين لايعرفون الخرقة ولايلبسونها المريدين فمن يلبسها فله مقصد صحيح واصل من السنة وشاهد من الشرع ومن لايلبسها فله رأى وله فى ذلك مقصد صحيح وكل تصاريف المشايخ محمولة على السداد والصواب ولاتخلو عن نية خالصة فيها انتهى كلام العوارف باختصار وقال الشيخ زين الدين الحافى فى حواشيه قد صح واشتهر بنقل الاولياء كابرا عن كابر على ماهو مسطور فى اجازات المشايخ ان رسول الله البس عليا الخرقة الشريفة وهو البس الحسن البصرى وكميل بن زياد رضى الله عنهما وفى المقاصد الحسنة ان أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من على سماعا فضلا عن ان يلبسه الخرقة قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الضرورى من اللباس الظاهر ما يستر السوات والرياش ما يزيد على ذلك مما تقع به الزينة والضرورى من اللباس الباطن وهو تقوى المحارم مضافا ما يوارى سواة الباطن والريش لباس مكارم الاخلاق مثل نوافل العبادات كالصفح والاصلاح فاراد اهل الله ان يجمعوا بين اللبستين ويتزينوا بالزينتين ليجمعوا بين الحسنيين فيشابهوا من الطرفين فلبسوا الخرقة والبسوها ليكون تنبيها على ما يريدونه من لباس بواطنهم وجعلوا ذلك اصلا واصل هذا اللباس عندى ما القى فى سرى ان الحق البس قلب عبده فانه قال ما وسعنى ارضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى فان الثوب وسع لابسه وظهر هذا الجمع بين اللبستين فى زمان الشبلى وابن خفيف الى هلم جرا فجرينا على مذهبهم فى ذلك فلبسناها من ايدى مشايخ جد سادات بعد ان صحبناهم وتأدبنا بآدابهم ليصح لباس ظاهرا وباطنا انتهى باختصار نسأل الله سبحانه ان يجعل لباس التقوى لباسا خيرا لنا وان يصحح نياتنا وعقائدنا واعمالنا واحوالنا انه هو المعين لاهل الدين الى ان يأتى اليقين (سيقول لك المخلفون من الاعراب) السين للاستقبال يقال خلفته بالتشديد تركته خلفى وخلفوا انفسهم تخليفا خلوها ورآء ظهورهم والتخليف بالفارسية واپس كذشتن ودر اينجا مراد از مخلفون بازپس كردكان خداى يعنى ايشان كه بازپس كرده اند از صحبت رسول عليه السلام از بابيه نشينان خلفهم الله عن رسول الله كما قال كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع الخالفين قال فى المفردات العرب اولاد اسمعيل عليه السلام والاعراب جمعه فى الاصل وصار ذلك اسما لسكان البادية وقيل فى جمع الاعراب اعاريب والاعرابى صار اسما فى التعارف للمنسوبين الى سكان البادية انتهى وفى القاموس العرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم مؤنث وهم سكان الامصار والاعراب منهم سكان البادية ويجمع على اعاريب انتهى وفى مختار الصحاح العرب جيل من الناس والنسبة اليهم عربى وهم اهل الامصار والاعراب منهم سكان البادية خاصة والنسبة اليهم اعرابى وليس الاعراب جمع لعرب بل هو اسم جنس انتهى وقال ابن الشيخ فى سورة التوبة العرب هو الصنف الخاص من بنى آدم سواء سكن البوادى ام القرى واما الاعراب فانه لايطلق الا على من يسكن البوادى فالاعراب جمع اعرابى كما ان العرب جمع عربى والمجوس جمع مجوسى واليهود جمع يهودى بحذف ياء النسبة فى الجمع ويدل على الفرق بين العرب والاعراب قوله عليه السلام حب العرب من الايمان وقوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا حيث مدح العرب وذم الاعراب الذين هم سكان البادية فعلى هذا يكون العرب اعم من الاعراب وقيل العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى والاعراب اهل البدو فعلى هذا القول يكونان متباينين انتهى والمراد هناهم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والدئل بالكسر تخلفوا عن رسول الله عليه السلام حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق معه الهدى ليعلم انه لايريد الحرب وثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله اليه عليه السلام بانهم سيعتلون اى عند وصولك الى المدينة ويقولون (شغلتنا) مشغول كردمارا والشغل العارض الذى يذهل الانسان وقد شغل فهو مشغول (اموالنا واهلونا) ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع والاموال جمع مال وهو كل ما يتملكه الناس من دراهم اودنانير اوذهب اوفضة اوحنطة اوخبز اوحيوان اوثياب اوسلاح اوغير ذلك والمال

العين هو المذهوب وسمى المال مالا لكونه بالذات تميل القلوب اليه وفى التلويح المال ما يميل اليه الطبع ويدخر لوقت الحاجة او ما خلق لمصالح الآدمى ويجرى فيه الشح والضنة انتهى والاهلون جمع اهل واهل الرجل عشيرته وذووا قرباه وقد يجمع الاهل على اهال وآهال واهلات ويحرك كأرضات على تقدير التأنيث اى على ان اصله اهله كما فى ارض فحكمه حكم تمرة حيث يجوز فى تمرات تحريك الميم (فاستغفر لنا) الله تعالى ليغفرلنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم) تكذيب لهم فى الاعتذار وسؤال الاستغفار يعنى انه تكذيب لهم فيما يتضمنه من الحكم من انا مؤمنون حقا معترفون بذنوبنا فالشك والنفاق هو الذى خلفهم لا غيره فى الآية اشارة الى ان القلوب الغافلة عن الله يقولون اى اهلها بألسنتهم ما ليس له حقيقة ولا شعور لقلوبهم على حقيقة ما يقولون فانهم يقولون ويريدون به معنى آخر كقولهم شغلتنا اموالنا واهلونا مجازا يريدون به اعتذارا لتخلفهم ولقولهم شغلتنا حقيقة وذلك ان اموالهم واهليهم شغلتهم عن ذكر الله والاعتبار بأوامره وعن متابعة النبى عليه السلام وهم مأمورون بها (قال المولى الجامى) مكن تعلق خاطر بنقش صفحه دهر * جريده وار همى زى وساده وش مى باش (قل) ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم (فمن يملك لكم من الله شيأ) اى فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله وقضائه على شئ من النفع (ان اراد بكم ضرا) اى ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما (او اراد بكم نفعا) اى ومن يقدر على شئ من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاى حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما (بل كان الله بما تعملون خبيرا) اى ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التى من جملتها تخلفكم وما هو من مبادية فمن ترك امر الله ومتابعة رسوله وقعد طلبا للسلامة دخل فى الآية ثم لم يجد خلاصا من الضرر والبلاء فان الله تعالى قادر على ايصال المكروه ولو بغير صورة القتال فلا بد من الصدق والعمل بالاخلاص والتوكل على الله تعالى فان فيه الخلاص نقلست كه يكروز كسان بحاج ظالم حسن بصرى را رضى الله عنه طلب كردند حسن در صومعهٔ حبيب عجمى قدس سره پنهان شد حبيب را گفتند امروز حسن را ديدى گفت ديدم گفتند كجاست گفت درين صومعه شد در صومعه رفتند چندانكه طلب كردند حسن را نيافتند چنانكه حسن گفت هفت بار دست برمن نهادند ومرا ديدند وبيرون آمدند وگفتند اى حبيب آنچه بحاج باشما كنند سزاى شماست تا چرا دروغ ميگويد حبيب گفت او در پيش من درين جا شد اگر شما نمى دانيد ونمى بينيد مرا چه جرم غوغائان ديگر باره طلب كردند نيافتند حسن از صومعه بيرون آمد گفت اى حبيب حق استادى نگاه داشتى ومرا بغوغائان عزيز كردى گفت اى استاد بروكه براست گفتن خلاص يافتى كه اگر دروغ ميگفتى هردو گرفتار خواستيم شدن (قال الحافظ) بصدق كوش كه خرشيد زايد از نفست * كه از دروغ سيه روى گشت صبح نخست * حسن گفت چه كردى كه مرا نديدند گفت نه بار آية الكرسى ونه بار آمن الرسول ونه بار قل هو الله احد بخواندم وباز گفتم كه خدايا حسن را بتو سپردم كه نگاهش دارى وهكذا يحفظ الله اولياءه الصادقين وينصرهم ويزل اعداءه الكافرين ويخذلهم (بل ظننتم) الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اى بل ظننتم ايها المتخلفون (ان لن ينقلب) لن يرجع وبالفارسية بلكه گمان ميبرديد انكه بازنگردد (الرسول) صلى الله عليه وسلم (والمؤمنون) الذين معه وهم الف واربعمائة (الى اهليهم) بسوى اهالئ خود بمدينة (ابدا) هركزاى بان يستأصلهم المشركون بالكلية فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما صابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة (وزين ذلك فى قلوبكم) واراسته شد اين گمان در دلهاى شما يعنى شيطان بيراست وقبلتموه واشتغلتم بشان انفسكم غير مبالين بهم (وظننتم ظن السوء) وگمان برديد گمان بد المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء والافهو من عطف الشئ على نفسه او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التى من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام فان الجازم بصحتها لا يخوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال فبهذا التعميم لا يلزم التكرار (وكنتم قوما بورا) اى هالكين عند الله مستوجبين سخطه وعقابه على انه جمع بأر من بار بمعنى هلك كعائذ وعوذ وهى من الابل والخيل الحديثة النتاج او فاسدين فى انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم فان البور الفاسد فى بعض اللغات وقيل البور مصدر من بار كالهلاك من هلك بناء ومعنى ولذا وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فيقال رجل بور وقوم بور وفى المفردات البوار فرط الكساد

ولما كان فرط الكساد يؤدى الى الفساد كما قيل كسد حتى فسد عبر بالبوار عن الهلاك وكانوا قوما بورا اى هلكى انتهى وفيه اشارة الى ان كل من ظن انه يصيبه فى الغزو قتل اوجراحة اومايكره من المصائب ثم يتخلف عن الغزو فانه من الهالكين وقد استولى الشيطان على قلبه فزين فى قلبه الحياة الدنيا ليؤثرها على الحياة الاخروية التى اعدت للشهداء والدرجات العلى فى الجنة والقربات فى جوار الحق تعالى * مكن زغصه شكايت كه درطريق طلب * براحتى نرسيد انكه زحمتى نكشيد (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) كلام مبتدأ من جهته تعالى ومن شرطية اوموصولة اى ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين (فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) اى لهم وانما وضع موضع الضمير العائد الى من الكافرون ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله وهو كافر فانه مستوجب السعير اى النار الملتهبة وتنكيرها للتهويل للدلالة على انها سعير لا يكتنه كنهها اولانها نار مخصوصة كما قال نارا تلظى فالتنكير للتنويع (ولله ملك السموات والارض) ومافيهما يتصرف فى الكل كيف يشاء وبالفارسية مر خدايراست بادشاهى آسمانها وزمينها زمام امور ممالك علوى وسفلى درقبضهٔ قدرت اوست (يغفر لمن يشاء) ان يغفر له وهو فضل منه (ويعذب من يشاء) ان يعذبه وهو عدل منه من غير دخل لأحد فى شئ منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة فى استغفاره عليه السلام لهم (وكان الله غفورا رحيما) مبالغا فى المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا فالآية تقرير لقوله تعالى فى الاحزاب ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما اى يعذب المنافقين ان شاء تعذيبهم اى ان لم يتوبوا فان الشرك لا يغفر البتة اويتوب عليهم اى يقبل توبتهم ان تابوا فالله تعالى يمحو بتوبة واحدة ذنوب العمر كله ويعطى بدل كل واحدة منها حسنة وثوابا قال ابوهريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله افرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد ومن الظمئان الوارد ومن العقيم الوالد ومن تاب الى الله توبة نصوحا انسى الله حافظيه وبقاع ارضه خطاياه وذنوبه * كرآيينه ازآه كردد تباه * شود روشن آيينهٔ دل يآه * توپيش ازعقوبت ذرعفو كوب * كه سودى ندارد دغان زيرچوب * وفى هذا المعنى قال الكمال الخجندى * تراچه سود بروز جزا وقايه وحرز * كه ازوقايهٔ عفوش حمايتى نرسيد * وفى الآية اشارة الى ان من اطفأ سعير نفسه وشعلة صفاتها بماء الذكر وترك الشهوات يؤمن قلبه ويجو من سعير النفس وهو حال من آمن بالله ورسوله والا فيكون سعير نفسه وشعلة صفاتها مستولية على القلب فتحرقه وماتبقى من آثاره شيا وهو حال من لم يؤمن بالله ورسوله ولله ملك سموات القلوب وارض النفوس يغفر لنفس من يشاء ويزكيها عن الصفات الذميمة ويجعلها مطمئنة قابلة لجذبة ارجعى ويعذب قلب من يشاء باستيلاء صفات النفس عليه وقلبه كما لم يؤمن به وكان الله غفورا القلب من يشاء رحيما لنفس من يشاء يؤتى ملك نفس من يشاء لقلبه وينزع ملك قلب من يشاء ويؤتيه لنفسه (سيقول المخلفون) المذكورون (اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) ظرف لما قبله لا شرط لما بعده وانطلقتم اى ذهبتم يقال انطلق فلان اذا مر متخلفا واصل الصلاق التخلية من وثاق كما يقال حبس طلقا ويضم اى بلا قيد ولا وثاق والمغانم جمع مغنم بمعنى الغنيمة اى الفئ اى سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا عما فاتكم من غنائم مكة اذا نصرفوا منها على صلح ولم يصيبوا منها شيأ فالسين يدل على القرب وخيبر اقرب مغانم انطلقوا اليها فهى هى فان قيل كيف يصح هذا الكلام وقد ثبت انه عليه السلام اعطى من قدم مع جعفر رضى الله عنه من مهاجرى الحبشة وكذا الدوسيين والاشعريين ولم يكونوا ممن حضر الحديبية قلنا كان ذلك باستنزال اهل الحديبية عن شئ من حقهم ولولا ان بعض خيبر كانت صلحا لما قال موسى بن عقبة ومن تبعه ماقالوا ولو كان ما اعطاهم من ذلك كما فى حواشى سعدى المفتى (ذرونا) بكذا ريد مارا امر من يذر الشئ اى يتركه ويقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه (نتبعكم) الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها (يريدون ان يبدلوا كلام الله) بان يشاركوا فى المغانم التى خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله تعالى فالمراد بكلام الله ماذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لاقوله تعالى لن تخرجوا معى ابدا فان ذلك فى غزوة تبوك (قل) اقناطا لهم (لن تتبعونا) اى لا تتبعونا فانه نفى فى معنى النهى للمبالغة وقال سعدى المفتى لن

ليس للتأبيد سيما اذا اريد النهي والمراد لن تتبعونا في خيبر اودية ومنهم على مرض القلوب وقال ابو الليث لن تتبعونا في المسير الى خيبر الا متطوعين من غير ان يكون لكم شركة في الغنيمة (كذلكم قال الله) هجين كفته است خداى تعالى (من قبل) اى عند الانصراف من الحديبية (فسيقولون) للمؤمنين عند سماع هذا النهي (بل تحسدوننا) اى ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشاركم في الغنائم الحسد تمني زوال النعمة عمن يستحق لها وربما يكون من ذلك سعي في ازالتها وروى المؤمن يغبط والمنافق يحسد وقال بعض الكبار لا يكون الحسد على المرتبة الا بين الجنس الواحد لا بين الجنسين ولذلك كان اول ابتلاء ابتلى الله به عباده بعثة الرسل اليهم منهم لا من غيرهم لتقوم الحجة على من جحد قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يعني لو كان الرسول الى البشر ملكا لنزل في صورة رجل حتى لا يعرفوا انه ملك لانهم لو راوه ملكا لم يقم بهم حسد (بل كانوا لا يفقهون) اى لا يفهمون قال الراغب الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم والفقه العلم باحكام الشريعة وفقه اى فهم فقها (الا قليلا) اى الا فهما قليلا وهم فطنتهم لامور الدنيا وهو وصف لهم بالجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين وعن علي رضي الله عنه اقل الناس قيمة اقلهم علما واعلم ان العلم انما يزداد بصحبة اهله ولما تخلف المنافقون عن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفهم الله بعدم الفقه فلا بد من مجالسة العلماء العاملين حتى تكون الدنيا وراء الظهر ويجعل الرغبة في الآخرة وقد قال عليه السلام اطلبوا العلم ولو بالصين فكلما بعد المزار كثر الخطى وعن بعضهم قال رأيت في الطواف كهلا قد اجهدته العبادة وبيده عصا وهو يطوف معتمدا عليها فسألته عن بلده فقال خرسان ثم قال لي في كم تقطعون هذا الطريق قلت في شهرين او ثلاثة فقال افلا تحجون كل عام فقلت له وكم بينكم وبين هذا البيت قال مسيرة خمس سنين قلت هذا والله هو الفضل المبين والمحبة الصادقة فضحك وانشا يقول

زر من هويت وان شطت بك الدار * وحال من دونه حجب واستار
لا يمنعنك بعد عن زيارته * ان المحب لمن يهواه زوار

وفي الآية اشارة الى ان الدنيا من مظان الحسد وهو من رذائل النفس وفي الحديث (لا تحاسدوا) اى على نعم الله تعالى مالا او علما او غير ذلك الا ان يقع الغبطة على المال المبذول في سبيل الله والعلم المعمول به المنشور (ولا تناجشوا) النجش هو ان تزيد في ثمن سلعة ولا رغبة لك في شرائها وقيل هو تحريض الغير على شر (ولا تباغضوا) الا ان يكون البغض في الله قال الشيخ الكلام باذى معنى لا تباغضوا لا تختلفوا في الاهواء والمذاهب لان البدعة في الدين والضلال عن الطريق يوجب البغض عليه (ولا تدابروا) اى لا تقاطعوا فان التدابر التقاطع وان يولي الرجل صاحبه دبره فيعرض عنه كما في الفائق اولا تغتابوا وصفة الاخوة التقابل كما قال اخوانا على سرر متقابلين وكما قال عليه السلام (وكونوا عباد الله اخوانا) قال الحافظ هيچ رحمي نه برادر بيرادر دارد * هيچ شوقي نه پدر رابه پسر مي بينم * دختر ازراهمه جنكست وجدل بامادر * پسر ازراهمه بدخواه پدر مي بينم * نسأل الله السلامة والعافية (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا العنوان لذمهم مرة بعد اخرى فان التخلف عن صحبة الرسول عليه السلام شناعة اى شناعة (ستدعون الى قوم) تجرب كروهي (اولي بأس شديد) اى اولي قوة في الحرب وبالفارسية كروهي بازور سخت وهم بنو حنيفة كسفينة ابو حي كما في القاموس والمراد اهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب او هم غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله او المشركون لقوله تعالى (تقاتلونهم او يسلمون) استئناف كأنه قيل لماذا فأجيب ليكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير واما من عدا المرتدين والمشركين من العرب فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام يعني ان المراد بقوله اولي بأس شديد هم المرتدون والمشركون مطلقا سواء كانوا مشركي العرب او العجم بناء على ان من عدا الطائفتين المذكورتين وهم اهل الكتاب والمجوس ليس الحكم فيهم ان يقتلوا الى ان يسلموا بل تقبل منهم الجزية بخلاف المرتدين ومشركي العرب والعجم فانه لا تقبل منهم الجزية كما يقاتلون حتى يسلموا وهذا عند الشافعي واما عند ابي حنيفة رحمه الله فمشركو العجم تقبل منهم الجزية كما تقبل من اهل الكتاب والمجوس والذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف انما هم مشركو العرب والمرتدون فقط عنده وفي الآية دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذا لم يتفق دعوة المخلفين الى قتال اولي البأس الشديد لغيره من الخلفاء وقد وعدهم الثواب على طاعته واوعدهم على مخالفته بقوله فان تطيعوا الخ ومن اوجب الله طاعته يكون اماما حقا فيكون ابو بكر اماما حقا الا اذا ثبت ان المراد بأولي البأس اهل حنين وهم

ثقيف وهوازن فلا دلالة للآية حينئذ على امامة ابي بكر لان الدعوة الى قتالهم كانت في حياته عليه السلام لانه عليه السلام عقيب فتح مكة فيكون المتخلفون ممنوعين من خيبر مدعوين الى قتال اهل حنين اى فيختص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم الجزية فتكون الآية دليلا على امامة عمر رضي الله عنه لانه هو الذي قاتلهم ودعا الناس الى قتالهم (فان تطيعوا) بس اگر فرمان برید كسي را كه خوانده شما است بقتال آن كروه (يؤتكم الله) بدهد شما را خداى (اجرا حسنا) هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وان تتولوا) اى تعرضوا عن الدعوة وبالفارسية واگر روى بگردانيد وپشت برداعى كنيد (كما توليتم من قبل) في الحديبية (يعذبكم عذابا اليما) لتضاعف جرمكم وبيان المتمم انه عليه السلام لما قال لهم ان تتبعونا دعت الحاجة الى بيان قبول توبة من رجع منهم عن النفاق فجعل تعالى لهذا القبول علامة وهو انهم يدعون بعد وفاته عليه السلام الى محاربة قوم اولي قوة في الحرب فمن اجاب منهم دعوة امام ذلك الزمان وحاربهم فانه يقبل توبته ويعطي الاجر الحسن فلولا هذا الامتحان لاستمر حالهم على النفاق كما استمرت حالة ثعلبة عليه فانه قد امتنع من ادا الزكاة ثم اتى بها ولم يقبل منه النبي عليه السلام واستمر عليه الحال ولم يقبل منه احد من الصحابة فعله تعالى علم من ثعلبة ان حاله لا تتغير فلم يبن لتوبته علامة وعلم من احوال الاعراب انهم اذا غير فبين لتغيرهما علامة وقال بعضهم ان عثمان رضي الله عنه قد قبل من ثعلبة وهو مجتهد معذور في ذلك وانه وقف على اخلاصه والعلم عند الله تعالى ولما حكم داود وسليمان عليهما السلام في الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم والنفش الرعي بالليل فحكم داود بشيء وحكم سليمان بامر آخر وقال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فاخذنا من هذا وامثاله ان كل مجتهد مصيب وان لم يكن نصا في الباب قال بعضهم لا تنكروا على احد حاله ولا لباسه ولا طعامه ولا غير ذلك الا باجازة الشرع وحللوا كل احد حاله وما هو فيه فنهم سائحون وتائبون ومعابدون وحامدون وساجدون ومسبحون ومستغفرون ومحققون فتد يكون الانكار سبب الاوحاش والوحشة سبب انقطاعهم عن باب الخلق ويرحم البعض بالبعض (قال الحافظ) عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت * كه كناه دكران تو نخواهند نوشت * من اكر نيكم و كر بدم تو برو خود را باش * هر كسي آن درود عاقبت كار كه كشت * نالهء مرغ سحر مكن از سابقهء لطف ازل * تو چه داني كه پس پرده كه خوبست كه زشت * برعمل تكيه مكن زانكه دران روزازل * تو چه داني قلم صنع بنامت چه نوشت * وفي الآية اشارة الى ان النفوس المتخلفة عن الطاعات والعبادات من الفرائض والنوافل لو دعيت الى الجهاد في سبيل الله او الجهاد الاكبر وهو جهاد النفس والشيطان والدنيا تقاتلونهم بنهي النفس عن الهوى وترك الدنيا وزينتها فان اجابوا واطاعوا فقد استوجبوا الاجر الحسن وان اعرضوا عن الطاعات والعبادات يعذبهم الله بعذاب اليم يتألمون به في الدنيا والآخرة (ليس على الاعمى) لما وعد على التخلف في الحرج عن الضعفاء والمعذورين فقال ليس على الاعمى وهو فاقد البصر (حرج) اثم في التخلف عن الغزو لانه كالطائر المقصوص الجناح لا يقع على من قصده والتكليف يدور على الاستطاعة واصل الحرج والحراج مجتمع الشيء كالشجر وتصور منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج وللاثم حرج (ولا على الاعرج حرج) لما بهما من العلة اللازمة احدى الرجلين او كلتيهما وقد سقط عمن ليس له رجلان غسلهما في الوضوء فكيف بالجهاد والاعرج بالفارسية لنك من العروج لان الاعرج ذاهب في صعود بعد هبوط وعرج كفرح اذا صار ذلك خلقة له وقيل للاضبع عرجاء لكونها في خلقتها ذات عرج وعرج كدخل ارتفق واستلى به شيء في رجله فمشى مشى العارج اى الذاهب في صعود وليس ذلك بخلقة او بثبات في غيرا لخلقة كما في القاموس (ولا على المريض حرج) لانه لا قوة به وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مريدا عتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة (ومن) وهركه (يطع الله ورسوله) اى فيما ذكر من الاوامر والنواهي في السر والعلانية (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) قال بعض الكبار انما سميت الجنة جنة لانها ستر بينك وبين الحق تعالى وحجاب فانها محل شهوات الانفس واذا اراد ان يريك ذاتك حجبك عن شهوتك ورفع عن عينيك ستر شهواتك غلبت عن جنتك وانت فيها ورأيت ربك والحجاب عليك منك فانت الغمامة على شمسك فاعرف حقيقة نفسك (ومن يتول) عن الطاعة وبالفارسية وهركه اعراض كند از فرمان خدا ورسول (يعذبه عذابا اليما) لا يقادر قدره وبالفارسية عذابي درد ناك كه دردان منقطع نكردد والم ان منقضي نشود وان عذاب حرمان است چه بمخالفت

امر خدا ازدولت لقاء مهجور وبنافرمانی رسول ازسعادت شفاعت محروم خواهد ماند * سوز آتش محرومیم که هیچ عذاب * زروی سوز والم چون عذاب حرمان نیست * وفی الآیة اشارة الی اصحاب الاعذار من ارباب الطلب فمن عرض له مانع یعجزه عن السیر بلا عزیمة منه وهمته فی الطلب ورغبته فی السیر وتوجهه الی الحق باق فلا حرج علیه فی ما یعتریه فیکون اجره علی الله وذلک قوله تعالی ومن یطع الله ورسوله یعنی بقدر الاستطاعة یدخله جنات تجری من تحتها الانهار ومن یتول یعنی یعرض عن الله وینقض عهد الطلب یعذبه عذابا الیما کما قال احد المشایخ فی وقته ابو عبدالله الشیرازی قدس سره رأیت رسول الله صلی الله علیه وسلم فی المنام وهو یقول من عرف طریقا الی الله فسلکه ثم رجع عنه عذبه الله بعذاب لم یعذب به احدا من العالمین وقد قالوا مرتد الطریقة اعظم ذنبا من مرتد الشریعة وقال الجنید لو اقبل صدیق علی الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اکثر مما ناله وقال بعضهم فی الآیة اشارة الی الاعمی الحقیقی وهو من لا یری غیر الله لا الاخرة التی اشیر الیها بالعین الیمنی ولا الدنیا التی اشیر الیها بالعین الیسری وهو معذور باستعمال الرخص والدخول فی الرفاهیه کما قال بعض الکبار ان المحقق لا یجوع نفسه الا اضطرارا سیما اذا کان فی مقام الهیبة وکسر الصفات فانه یکثر الکلام لشدة سطوات نیران الحقائق فی قلبه بالعظمة وشهودها وهی حمایة المقربین ولکن قد یقال کما دا علی قصد المحاق بأهله الانس بالله فهو بذلک یجمع بالسالک انتهی والی الاعرج الحقیقی وهو من وصل الی منزل المشاهدة فضرب بسیوف الوحدة والاطلاق علی رجل الانانیة والتقید فتعطل آلته بالفناء فتقاعد عدها لک وهم الافراد المشاهدون فلا حرج لهم ان لا ینزلوا الی مقام المجاهدین ایضا ومن هنا یعرف سر قولهم الصوفی من لا مذهب له فان من لا مذهب له لا سیر له ومن لا سیر له لا یلزم له آلة والی المریض الحقیقی وهو الذی اسقمه العشق والمحبة وهو معذور اذا باشر الرومانیات مثل السماع واستعمال الطیب والنظر الی المستحسنات فان مداواته ایضا تکون من قبیل العشق والمحبة لان العشق امرضه فیداوی بالعشق ایضا کما قیل

تداویت من لیلی بلیلی من الهوی * کما یتداوی شارب الخمر بالخمر

وقال بعضهم من کان له عذر فی المجاهدة فان الله یحب ان تؤتی رخصه کما یحب ان تؤتی عزائمه فاعرف ذلک (لقد رضی الله عن المؤمنین) رضی العبد عن الله ان لا یکره ما یجری به قضاؤه ورضی الله عن العبد هو ان یراه مؤتمرا لامره منتهیا عن نهیه وهم الذین ذکر شأن مبایعتهم وکانوا الفا واربعمائة علی الصحیح وقیل الفا وخمسمائة وخمسة وعشرین وبهذه الآیة سمیت بیعة الرضوان وقال بعض الکبار سمیت بیعة الرضوان لان الرضی فناء الارادة فی ارادته تعالی وهو کمال فناء الصفات وذلک ان الذات العلیة تحتجبة بالصفات والصفات بالافعال والافعال بالاکوان والآثار فمن تجلت علیه الافعال بارتفاع حجب الاکوان توکل ومن تجلت علیه الصفات بارتفاع حجب الافعال رضی وسلم ومن تجلت علیه الذات بانکشاف حجب الصفات فنی فی الوحدة فصار موحدا مطلقا فاعلا ما فعل وقارئا ما قرأ مادام هذا شهوده فتوحید الافعال مقدم علی توحید الصفات وتوحید الصفات مقدم علی توحید الذات والی هذه المراتب الثلاث اشار صلی الله علیه وسلم بقوله فی سجوده واعوذ بعفوک من عقابک واعوذ برضاک من سخطک واعوذ بک منک فاعلم ذلک فانه من لباب المعرفة (اذ یبایعونک تحت الشجرة) منصوب برضی وصیغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجر متعلق به والشجر من النبت ماله ساق والمراد بالشجرة هنا سمرة ای ام غیلان وهی کثیرة فی وادی الحجاز وقیل سدرة وکان مبایعتهم علی ان یقاتلوا قریشا ولا یفروا وروی علی الموت دون قال ابو عیسی معنی الحدیثین صحیح فبایعه جماعة علی الموت ای لا نزال نقاتل بین یدیک ما لم نقتل وبایعه اخرون وقالوا لا نفر یقول الفقیر عدم الفرار لا یستلزم الموت فلا تعارض وآن اصحاب را اصحاب الشجر گویند وکان علامة اصحاب رسول الله معه فی الغزاة ان یقول یا اصحاب الشجرة یا اصحاب سورة البقرة وآن ساعت که دست عهد بیعت کرفتند یارسول فرمان امد از حق تعالی تا در هاء آسمان بکشادند وفرشتکان از ذروه فلک نظاره کردند وازحق فرمان آمد بر طریق مباهات که ای مقربان افلاک نظر کنید بآن کروه که از بهر اعزاز دین اسلام واعلاء کلمة حق میکوشند جان بذل کرده وتن سپیل ودل فداو در وقت قتال روی نشانه تیر نه کرده وسینه سپر ساخته * شراب ازخون وجام اذکاسهٔ سر * بجای بانگ رود آواز اسبان * بجای دستهٔ کل دشنه وتیغ * بجای قرطه برتن درع وخفتان * کواه باشید ای مقربان که من از ایشان خشنودم ودر قیامت هریکی را از ایشان درامت محمد

چندان شفاعت دهم كه ازمن خشنود كردند وازين عهدنا اخر دو رهرمؤ منى كه ان بيعت بشنود وبدل بامر ايشان درقبول ان بيعت موافق بود من ان مؤ من راهمان خلعت دهم كه اين مؤمنا نرادادم وعندتلك المبايعة قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خيراهل الارض واستدل بهذا الحديث على عدم حياة الخضر عليه السلام حينئذ لانه يلزم ان يكون غيرالنبي افضل منه وقدقامت الادلة الواضحة على ثبوت نبوته كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله يقول الفقيرنبوة الخضر منقضية كنبوة عيسى عليهما السلام فعلى تقدير حياته يكون من اتباعه عليه السلام وامته كما قال عليه السلام لوكان اخي موسى حيا لماوسعه الاا تباعى وثبت ان عيسى من اصحابه عليه السلام وعندنزوله فى آخرالزمان يكون من امته فان قلت بحضورا لخضربين الاصحاب فى تلك المبايعة وان لم يعرفه احدفالامر ظاهروان قلت بعدم الحضورفلايلزم رجحان الاصحاب عليه من كل وجه اذبعض من هوفاضل مفضول من وجه قال فى انسان العيون صارت تلك الشجرة التى وقعت عندها البيعة يقال لهاشجرة الرضوان وبلغ عمربن الخطاب رضى الله عنه فى زمان خلافته ان ناسايصلون عندهافتوعدهم وامر بهافقطعت خوف ظهور البدعة انتهى وروى الامام النسفى رحمه الله فى التيسير انهاعميت عليهم من قابل فلم يدروا اين ذهبت يقول الفقيرمكن التوفيق بين الروايتين بانهم لماعميت عليهم ذهبوا يصلون تحت شجرة على ظن انهاهى شجرة البيعة فامر عمر رضى الله عنه بقطعها وفى كشف النور لابن النابلسى اماقول بعض المغرورين باننا نخاف على العوام اذا اعتقدواوليا من الاولياء وعظموا قبره والتمسوا البركة والمعونة منه ان يدركهم اعتقادان الاولياء تؤثرفى الوجود مع الله فيكفرون ويشركون بالله تعالى فنتهاهم عن ذلك ونهدم قبورالاولياء ونرفع البنايات الموضوعة عليها ونزيل الستورعنها ونجعل الاهانة للاولياء ظاهراحتى تعلم العوام الجاهلون ان هؤلاءالاولياء لوكانوامؤثرين فى الوجود مع الله تعالى لدفعواعن انفسهم هذه الاهانة التى تنعلها معهم فاعلم ان هذا الصنيع كفر صراح مأخوذ من قول فرعون على ماحكاه الله تعالى لنا فى كتابه القديم وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه انى اخاف ان يبدل دينكم اوان يظهرفى الارض الفساد وكيف يجوزهذا الصنيع من اجل الامرالموهوم وهوخوف الضلال على العامة انتهى يقول الفقير والتوفيق بين هذا وبين مافعله عمر رضى الله عنه ان الذى يصح هواتباع الظن لاالوهم (فعلم مافى قلوبهم) عطف على يبايعونك لماعرفت من انه بمعنى بايعوك لاعلى رضى فارضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بمافى قلوبهم من الصدق والاخلاص عندمبايعتهم له عليه السلام قال بعضهم ان من الفرق بين علم الحق وعلم عبيده ان علمهم لم يكن لهم الابعدظهورهم وحصول صورتهم واما علم الحق تعالى فكان قبل وجودالخلق وبعدهم فليس علمه تعالى بعناية من غيره بخلاف العبد (فأنزل السكينة عليهم) عطف على رضى اى فأنزل عليهم الطمأنينة وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح قال البقلى فى عرائسه رضى الله عنهم فى الازل وسابق علم القدم ويبقى رضاه الى الابد لان رضاه صفته الازلية الباقية الابدية لاتتغيرتغير الحدثان ولاباالوقت والزمان ولاباالطاعة والعصيان فاذاهم فى اصطفائيته باقون الى الابدلا يسقطون من درجاتهم بازلات ولاباشرية والشهوات لان اهل الرضى محروسون برعايته لايجرى عليهم نعوت اهل البعدوصاروا متصفين بوصف رضاه فرضواعنه كمارضى عنهم وهذابعد قذف انوارالانس فى قلوبهم بقوله فانزل السكينة عليهم قال ابن عطاء رضى الله عنهم فارضاهم واوصلهم الى مقام الرضى واليقين والاطمئنان فانزل سكينته عليهم لتسكن قلوبهم اليه (واثابهم) وپاداش داد ايشانرا فان الاثابة بالفارسية پاداش دادن والثواب مارجع الى الانسان من جزاء عمل يستعمل فى الخير والشر لكن الاكثر المتعارف فى الخير والاثابة تستعمل فى المحبوب وقدقيل ذلك فى المكروه نحو فأثابكم غما بغم على الاستعارة (فتحا قريبا) وهوفتح خيرغب انصرافهم من الحديبية (ومغانم كثيرة يأخذونها) اى واثابهم مغانم خيروكانت ذات عقارواشجارا خذوها من اليهود مع فتح بلدتهم فقسمت عليهم (وكان الله عزيزا) غالبا (حكيما) مراعيا لمقتضى الحكمة فى احكامه وقضاياه وقال ابن الشيخ حكيما فى امره حكم لهم بالظفر والغنيمة ولاهل خيربالسبى والهزيمة (وعدكم الله مغانم كثيرة) هى مافيئه على المؤمنين الى يوم القيامة والافاءة مال كسى غنيمت كردن (تأخذونها) فى اوقاتها المقدرة لكل واحدمنها (فعجل لكم هذه) اى غنائم خيبر (وكف ايدى الناس عنكم) اى ايدى اهل خيروهم سبعون الفاوحلفاؤهم من بنى اسدوغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا والحلفاء بالحاء المهملة جمع حليف وهو المعاهد للنصرة فان الحلف

المهدبين القوم وقيل ايدى اهل مكة بالصلح وبالفارسية ودست مردمان را ازشما كوتاه كرد وقال فى المفردات الكف كف الناس وهى ما يقبض ويبسط وكففته دفعته بالكف وتعورف الكف بالدفع على اى وجه كان بالكف وبغيرها حتى قيل رجل مكفوف لمن قبض بصره قال سعدى المفتى ان كان نزولها بعد فتح خيبر ظاهر لان السورة بتمامها نازلة فى مرجعه عليه السلام من الحديبية وان كان قبله على انها من الاخبار عن الغيب فالاشارة بهذه لتنزيل المغانم منزلة الحاضرة المشاهدة والتعبير بالماضى للتحقق (ولتكون آية للمؤمنين) عطف على علة اخرى محذوف قدم احد الفعلين اى فعجل لكم هذه اوكف ايدى الناس عنكم لتغنموها ولتكون امارة للمؤمنين يعرفون بها صدق الرسول فى وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ماذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام ويجوز ان تكون الواو اعتراضية على ان تكون اللام متعلقة بمحذوف مؤخر اى ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف (ويهديكم) بتلك الآية (صراطا مستقيما) موافقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه فى كل ما تأتون وما تذرون وفى الآية اشارة الى ماوعد الله عباده من المغانم الكثيرة بقوله ادعونى استجب لكم فكل واحد يأخذها بحسب مطمح نظره وعلو همته فمن كانت همته الدنيا فهى له معجلة وماله فى الآخرة من خلاق ومن كانت همته الآخرة فله نصيب من حظ الدارين وربما كف الله يد دواعى شهوات النفس عن المؤمنين ليكونوا من اهل الجنة كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ولو وكلهم الى انفسهم لاتبعوا الشهوات وهى دركات الجحيم اذ حفت النار بالشهوات وفى ترك الدنيا وشهوات النفس آية للمؤمنين حيث يهتدى بعضهم بهدى بعض ويصلون على هذا الصراط المستقيم الى حضرة الربوبية (قال الشيخ سعدى) پى نيك مردان بايد شتافت * هران كين سعادت طلب كرد يافت * وليكن تودنبال ديو خسى * ندانم كه درصالحان كى رسى * بپير كسى را شفاعت كرست * كه برجادهٔ شرع پيغمبرست * ثم ان خيبر حصن معروف قرب المدينة على ماقى القاموس وقال فى انسان العيون هو على وزن جعفر سميت باسم رجل من العماليق نزلها يقال له خيبر وهو اخو يثرب الذى سميت باسمه المدينة وفى كلام بعض خيبر بلسان اليهود الحصن ومن ثم قيل لها خيبر لاشتمالها على الحصون وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة ثمانية برد والبريد اربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة اميال بقول الفقير وكل ميلين ساعة واحدة فبينها وبين المدينة ثمانية وعشرون ساعة تلك الساعات النجومية لانه عدمن المدينة الى قبا ميلان وهى ساعة واحدة فتكون الثمانية البرد ثمانى واربعين ساعة تلك الساعات وفى القاموس البريد فرسخان والفرسخ اثنا عشر ميلا انتهى ولما رجع عليه السلام من الحديبية اقام شهرا الى بقية ذى الحجة وبعض المحرم من سنة سبع ثم خرج الى خيبر وقد استنفر من حوله عمن شهد الحديبية يغزون معه وجماعة ممن تخلفوا عنه فى غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال عليه السلام لاتخرجوا معى الا راغبين فى الجهاد اما الغنيمة فلا اى لاتعطون منها شيأ ثم امر مناديا ينادى بذلك فنادى به وامر ايضا انه لايخرج الضعيف ولا من له مركب صعب حتى ان بعضهم يخالف هذا الامر فتنفر مركوبه فيصرعه فاندقت فخذه فمات فأمر عليه السلام بلالا رضى الله عنه ان ينادى فى الناس الجنة لاتحل لعاص ثلاثا وخرج معه عليه السلام من نسائه ام سلمة رضى الله عنها ولما اشرف على خيبر وكان وقت الصبح رأى عمالها وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم وهى القفف الكبيرة قالوا محمد والخميس اى الجيش العظيم معه قيل له الخميس لانه خمسة اقسام المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وهما الجناحان والقلب وادبروا الى العمال هربا الى حصونهم وكانوا لايظنون ان رسول الله يغزوهم وكانوا بها عشرة آلاف مقاتل فقال عليه السلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وانما قاله بالوحى كما نطق به قوله تعالى فعجل لكم هذه وابتدأ من حصونهم بحصون النطاة وامر بقطع نخلها فقطعوا ربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع ومكث عليه السلام سبعة ايام يقاتل اهل حصون النطاة فلم يرجع من اعطى له الراية ففتح ثم قال لاعطين الراية غدا الى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه يفتح الله على يديه فتطاولها ابو بكر وعمر وبعض الصحابة من قريش فدعا عليه السلام عليا رضى الله عنه وبه رمد فتفل فى عينيه ثم اعطاه الراية وكانت بيضاء مكتوب فيها لا اله الا الله محمد رسول الله بالسواد فقال على علام اقاتلهم يارسول الله قال ان يشهدوا ان لا اله الا الله وانى رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم واموالهم والبسه عليه السلام درعه الحديد وشد سيفه ذا الفقار فى وسطه ووجهه الى الحصن وقال لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم اى من الابل النفيسة التى تصدق بها

فى سبيل الله فخرج على رضى الله عنه بالراية يهرول حتى ركزها تحت الحصن فخرج اليه من اهل الحصن الحارث اخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فتضاربا فقتله على وانهزم اليهود الى الحصن * صعوه كرباعقاب سازد جنك * دهد از خون خود پرش را رنك * ثم خرج اليه مرحب سيد اليهود وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكى السلاح البطل المجرب

اى تام السلاح معروف بالشجاعة وقهر الفرسان وارتجز على رضى الله عنه وقال

انا الذى سمتنى امى حيدره * ضرغام آجام وليث قسوره

وضرب عليا فطرح ترسه من يده فتناول عليا بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده يقاتل حتى قتل مرحبا وفتح الله عليه الحصن وهو حصن ناعم من حصون النطاة والقى الباب من يده وراء ظهره ثمانين شبرا وذلك بالقوة القدسية وفيه بيان شجاعة على حيث قتل شجيعا بعد شجيع وانهم ماقيل * كرچه شاطر بود خروس بجنك * چه زند پيش بازوى بين چنك * كربه شيرست در كرفتن موش * ايك موشست در مصاف پلنك * ثم انتقل عليه السلام من حصن ناعم الى حصن الصعب من حصون النطاة فأقاموا على محاصرته يومين حتى فتحه الله وما تخير حصن اكثر طعاما منه كالشعير والسمن والتمر والزيت والشحم والماشية والمتاع ثم انتقلوا الى حصن قلة وهو حصن بقى وهو آخر حصون النطاة فقاتلوا عنهم ما عهم ففتحه الله ثم سار المسلمون الى حصار الشق بفتح الشين المعجمة وهو اعرف عند اهل اللغة من الكسر ففتحوا الحصن الاول من حصونه ثم حاصروا حصن البراء وهو الحصن الثانى من حصن الشق فقاتلوا قتالا شديدا حتى فتحه الله ثم حاصروا حصون الكتيبة وهى ثلاثة حصون القموص كصبور والوطيح وسلالم بضم السين المهملة وكان اعظم حصون خيبر القموص وكان منيعا حاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد على رضى الله عنه ومنه سبيت صفية رضى الله عنها وانتهت المسلمون الى حصار الوطيح بالحاء المهملة سمى باسم الوطيح بن مارن رجل من اليهود وسلالم آخر حصون خيبر ومكثوا على حصارهما اربعة عشر يوما وهذان الحصنان فتحا صلحا لان اهلهما لما ايقنوا بالهلاك سألوا رسول الله عليه السلام الصلح على حقن دمائهم والذرية وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وارضها بذراريهم وان لا يحجب احدا منهم الاثوب واحد على ظهره فصالحهم عليه ووجدوا فى الحصنين المذكورين مائة درع واربعمائة سيف والف رمح وخمسمائة قوس عربية يجمعها واشياء اخر غالية القيمة وهى ما فى خزانة ابى الحقيق مصغرا وارسل عليه السلام الى اهل فدك وهى محركة قرية بخيبر يدعوهم الى الاسلام ويخوفهم فصالحوا معه عليه السلام على ان يحقن دماءهم ويخلفهم ويخلون بينه وبين الاموال ففعل ذلك رسول الله وقيل تصالحوا معه على ان يكون لهم النصف فى الارض ولرسوله الله النصف الآخر وكان فدك على الاول لرسول الله وعلى الثانى كان له نصفها لانها لم تؤخذ بمقاتلة وكان عليه السلام ينفق منها ويعود منها على صغير بنى هاشم ويزوج منها ايمهم ولما مات عليه السلام وولى ابو بكر رضى الله عنه الخلافة سألته فاطمة رضى الله عنها ان يجعل فدك او نصفها لها فابى وروى لها انه عليه السلام قال انا معاشر الانبياء لا نورث اى لا نكون موروثين ما تركناه صدقة اى على المسلمين ثم ان النبى عليه السلام امر بالغنائم التى غنمت قبل الصلح فجمعت واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا منها صفية بنت ملكهم حيى بن اخطب من سبط هرون بن عمران اخى موسى عليهما السلام فهداها الله فاسلمت ثم اعتقها رسول الله وتزوجها وكانت رأت ان القمر وقع فى حجرها فكان ذلك رسول الله وجعل وليمتها حيسا فى نطع والحيس تمر واقط وسمن ودخل بها رسول الله فى منزل الصهباء فى العود والصهباء موضع قرب خيبر كما فى القاموس وبات تلك الليلة ابو ايوب الانصارى رضى الله عنه متوشحا سيفه يحرسه ويطوف حول قبته حتى اصبح رسول الله فرأى مكان ابى ايوب فقال مالك يا ابا ايوب قال يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة قتلت اباها وزوجها وقومها وهى حديثة عهد بجاهلية فبت احفظك فقال عليه السلام اللهم احفظ ابا ايوب كما بات يحفظنى قال السهيلى رحمه الله فحرس الله تعالى ابا ايوب بهذه الدعوة حتى ان الروم لتحرس قبره ويستسقون به فيسقون فانه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين فلما بلغوا القسطنطينية مات ابو ايوب هناك فاوصى يزيد ان يدفنه فى اقرب موضع من مدينة الروم فركب المسلمون وعشوا به حتى اذا لم يجدوا مساغا دفنوه فسألتهم الروم عن شأنهم فاخبروهم انه كبير من اكابر المسلمين الصحابة فقالت ليزيد ما احمقك واحمق من ارسلك امنت ان ننبشه بعدك فنحرق عظامه

فخلف لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهدمن كل كنيسة بارض العرب ويدع قبورهم فحينئذ حلفوا له بنبيهم ليكرن من قبره وليحرسنه ما استطاعوا وقال صاحب روضة الاخبار مات ابو ايوب خالد بن زيد الانصاري رضي الله عنه بالقسطنطينية سنة احدى وخمسين مرابطا مع يزيد بن معاوية مرض فلما ثقل مرضه قال لاصحابه اذا انا مت فاحملوني فاذا صافتكم العدو فادفنوني تحت اقدامكم ففعلوا وقبره قريب من سورها معروف معظم وكان الروم يتعاهدون قبره ويستشفون به انتهى يقول الفقير ثبت ان قبر ابي ايوب انما تعين باشارة الشيخ الشهير آق شمس الدين قدس سره وقد كان مع الفاتح السلطان محمد العثماني في زمان الفتح وهذا يقتضي ان يكون محل قبره المنيف مندرسا بمرور الايام ولنعد الى تمام القصة ونهى النبي عليه السلام عن ايتان الحبالى حتى تضع وعن غير الحبالى حتى تستبرأ بحيضة ونهى عن اتيان المسجد لمن اكل الثوم والبصل وعن بعضهم ما اكل نبي قط ثوما ولا بصلا يقول الفقير دخل فيه الدخان الشائع شربه في هذا الزمان بل رائحته اكره من رائحة الثوم والبصل فاذا كان دخول المسجد ممنوعا مع رائحتهما دفعا لاذى الناس والملائكة فمع رائحة الدخان اولى وظاهر ان الثوم والبصل من جنس الاغذية ولا كذلك الدخان ومحافظة المزاج بشربه انما عرفت بعد الادمان المولد للامراض المهلكة فليس لشاربه دليل في ذلك اصلا فكما ان شرب الخمر ممنوع اولا وآخرا حتى اوتاب منها ومرض لا يجوز ان يشربها ولو مات من ذلك المرض يؤجر ولا يأثم فكذا شرب الدخان وليس استطابته الا من خباثة الطبع فان الطباع السليمة تستقذره لا محالة فتب الى الله وعد حتى لا يراك حيث نهاك ووقت عليه السلام قص الشارب وتقليم الاظفار واستعمال النورة بان لا يترك ذلك اربعين يوما وقدم عليه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر ابن عمه جعفر بن ابي طالب من ارض الحبشة وقد كان هاجر اليها ومعه الاشعريون فقام عليه السلام الى جعفر وقبله بين عينيه واعتنقه وقال والله ما ادري بأيهما افرح بفتح خيبر ام بقدوم جعفر وليس حديث القيام معارضا لحديث من سره ان يمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار لان هذا الوعيد انما توجه للمتكبرين ولمن يغضب ان لا يقام له وكان من جملة من قدم معهم من الحبشة ام حبيبة بنت ابي سفيان زوج النبي عليه السلام وذلك ان ام حبيبة كانت ممن هاجر الى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش فارتد عن الاسلام هناك وتنصر ومات على ذلك وبقيت هي على اسلامها ورأت في المنام كأن قائلا يقول لها يا ام المؤمنين فعلمت بان رسول الله يتزوجها فارسل عليه السلام في المحرم افتتاح سنة سبع الى النجاشي بالتخفيف ملك الحبشة وكان مؤمنا يزوجها منه عليه السلام فزوجها واصدقها اربعمائة دينار ولما قدم رسول الله خيبر كان الثمر اخضر فاكثر الصحابة من اكله فاصابتهم الحمى فشكوا ذلك الى رسول الله فقال بردوا لها الماء في الشنان اي في القرب ثم صبوا منه عليكم بين اذاني الفجر واذكروا اسم الله عليه ففعلوا فذهبت عنهم وفي هذه الغزوة اراد عليه السلام ان يتبرز فامر الى شجرتين متباعدتين حتى اجتمعتا فاستتر بهما ثم قام فانطلقت كل واحدة الى مكانها وفي خيبر كان اكله من الشاة المسمومة وذلك ان زينب ابنة الحارث اخي مرحب سمتها واكثرت في الذراعين والكتف لما عرفت انه عليه السلام كان يحب الذراع والكتف لكونهما ابعد من الاذى واهدتها له عليه السلام وكان قد صلى المغرب بالناس فلما انتهش من الذراع وازدرد لقمة ازدرد بشر ما في فيه ومات من اكل معه وهو بشر بن البراء واحتجم رسول الله بين الكتفين في ثلاثة مواضع وقال الحجامة في الرأس هي المعينة امرني بها جبرائيل حين اكلت طعام اليهودية وقد احتجم في غير هذه الواقعة مرارا واحتجم وسط رأسه وكان يسميها منقذا وذلك انه لما سحره اليهودي ووصل المرض الى الذات المقدسة امر بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة في كل متضرر بالسحر غاية الحكمية ونهاية حسن المعالجة وفي الحديث الحجامة في الرأس شفاء من سبع من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه والحجامة في البلاد الحارة انفع من الفصد والاولى ان تكون في الربع الثالث من الشهر لانه وقت هيجان الدم وعن ابي هريرة مرفوعا من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كانت شفاء من كل داء والحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء ويكره في الاربعاء والسبت ثم ارسل رسول الله الى ملك اليهودية فقال اسمعت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتني هذه التي في يدي اي الذراع قالت نعم قال ما حملك على ما صنعت قالت قلت ابي وعمي وزوجي ونلت من قومي ما نلت فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فعفا عنها * زخوان معجزا وكرنوالهٔ طلبي * حديث برهٔ بريان شنوكه ما حضرست * فلما مات بشر امر بها

فقتلت وصلبت وفى الاحياء اطعم عليه السلام السم فمات الذى اكل معه وعاش هو عليه السلام بعده اربع سنين انتهى قال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره انما لم يؤثر السم فى عمر حين جاء من قيصر لانه رضى الله عنه انما شرب بحقيقته لا ببشريته وانما اثر فى النبى عليه السلام بعد تنزله الى حالة بشريته وذلك ارشاده عليه السلام وان كان فى عالم التنزل غير ان تنزله كان فى مرتبة الروح وهى اعدل المراتب فلم يؤثر فيه حتى مضى عليه اثنا عشرة سنة فلما احتضر عليه السلام تنزل الى ادنى المراتب لان الموت انما يجرى على البشرية فلما تنزل الى تلك المرتبة اثر فيه انتهى فانتقل عليه السلام من الدنيا بالشهادة فاحرز جميع المراتب من النبوة والرسالة والصديقية والشهادة يقول الفقير قوله اثنا عشرة سنة وهكذا قال صاحب المحمدية وهو مخالف لما سبق عن الاحياء والحق ما فى الاحياء لان قصة السم كانت فى خيبر وقصة خيبر فى السنة السابعة من الهجرة فغير هذا وجه غير ظاهر كما لا يخفى ولما كان زمان خلافة عمر رضى الله عنه ظهر خيانة اهل خيبر فاجلى يهود فدك وانصارى نجران لانه عليه السلام قال لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب وجزيرة العرب ما احاط به بحر الهند وبحر الشام ثم دجلة والفرات اوما بين عدن ابين الى اطراف الشام طولا ومن جدة الى ريف العراق عوضا كما فى القاموس (واخرى) عطف على هذه اى فجعل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى (لم تقدروا عليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين فانهم لم يقدروا عليها الى عام الحديبية وانما قدروا عليها عقيب فتح مكة ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة اى من تكرار الهزيمة والرجوع الى القتال قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها بقتل جمال القوم حولة انكشفوا ثم كروا (فاحاط الله بها) صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اى قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها وقيل حفظها عليكم لتحكم ومنعها من غيركم يعنى جميع فتوح المسلمين قال ابن عباس رضى الله عنهما ومنه فتح قسطنطينية ورومية وعمورية ومدائن فارس والروم والشام اما قسطنطينية فمشهورة وهى الآن دار السلطنة للسلاطين العثمانية واما رومية ويقال لها رومية الكبرى فمدينة عظيمة من مدن الروم مثل قسطنطينية واما عمورية بفتح العين المهملة وضم الميم المشددة وبالراء فقد قال الامام اليافعى فى المرآة هى التى يسميها اهل الروم انكورية وهى مدينة كبيرة كانت مقر ملوكهم فتحها المعتصم بالله قال الراغب الاحاطة على وجهين احدهما فى الاجسام نحو احطت بمكان كذا وتستعمل فى الحفظ نحو كان الله بكل شئ محيطا اى حافظا له فى جميع جهاته وتستعمل فى المنع نحو الا ان يحاط بكم اى الا ان تمنعوا والثانى فى العلم نحو احاط بكل شئ علما فالاحاطة بالشئ علما هو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وكيفيته وغرضه المقصود به وبايجاده وما يكون منه وذلك ليس يكون الا لله وقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فنفى عنهم ذلك (وكان الله على كل شئ قديرا) لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشئ دون شئ اى منتهية عنده غير متجاوزة عنده لان علمه لا ينتهى فتأمل اعلم ان المغازى غزوة حنين وهو اسم موضع قريب من الطائف ويقال لغزوة حنين غزوة هوازن ويقال لها غزوة اوطاس باسم الموضع الذى كانت به الواقعة فى آخر الامر وسببها انه لما فتح الله على رسوله مكة اطاعت له قبائل العرب الا هوازن وثقيفا فان اهلهما كانوا طغاة مردة فاجتمعوا الى حنين فلما وصل خبرهم الى رسول الله عليه السلام تبسم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى فاجمع على السير الى هوازن وخرج فى اثنى عشر الفا فلما قربوا من محل العدو صفهم واعطى لواء المهاجرين عليا رضى الله عنه ولواء الخزرج الحباب بن المنذر رضى الله عنه ولواء الاوس اسيد بن حضير رضى الله عنه وركب عليه السلام بغلته الشهباء التى يقال لها فضة قد اهداها له صاحب البلقاء وقيل هى دلدل التى اهداها له المقوقس ولبس درعين والمغفر والدرعان هما ذات الفضول والسعدية بالسين المهملة والعين المعجمة وهى درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت فلما كان بحنين وذلك عند غبش الصبح اى ظلمته وانحدروا فى الوادى خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه فحملوا عليهم حملة رجل واحد ورموهم بالنبل وكانوا رماة لا يسقط لهم سهم فانهزم المسلمون راجعين منهزمين لا يلوى احد على احد وانحاز رسول الله ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم ابو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه الفضل فقال عليه السلام يا عباس اصرخ يا معشر الانصار يا اصحاب السمرة يعنى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان وكان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال فأجابوا لبيك لبيك حتى انتهى اليه جمع فاقتتلوا ثم قبض عليه السلام قبضة من تراب واستقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون انهزموا ورب محمد وراءهم

بالتراب فشت اعينهم من التراب فولوا مدبرين فتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ولما انهزم القوم عسكر بعضهم بأوطاس فبعث النبي عليه السلام في آثارهم ابا عامر الاشعري رضي الله عنه ورجع رسول الله الى معسكره يمشي في المسلمين ويقول من يدلني على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد اسند الى مؤخرة رحله لانه اثقل بالجراحة فثقل عليه السلام في جرحه فبرئ وامر عليه السلام بالسبي والغنائم ان تجمع فجمع ذلك كله واخذوه الى الجعرانة بالكسر والعين المهملة موضع بين مكة والطائف سمي بريطة بنت سعد وكانت تنقب بالجعرانة وهي المرادة في قوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها وكان بها الى ان انصرف رسول الله من غزوة الطائف ثم لما اتاها قسم تلك الغنائم وكان السبي ستة آلاف رأس والابل اربعة وعشرين الفا والغنم اكثر من اربعين الفا والفضة اربعة آلاف اوقية واحرم من الجعرانة بعمرة بعدان اقام بها ثلاث عشرة ليلة وقال اعتمر منها سبعون نبيا وقد اعتمر عليه السلام بعد الهجرة اربع عمر اولاها عمرة الحديبية والثانية عمرة القضاء من العام المقبل والثالثة عمرة الجعرانة والرابعة عمرته عليه السلام مع حجة الوداع وباقي البيان في غزوة حنين وما يتصل به قد سبق في اوائل التوبة عند قوله لقد نصركم الله الخ (ولو قاتلكم الذين كفروا) اي اهل مكة ولما يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر من بني اسد وغطفان (لولوا الادبار) اي لانهزموا ولم يكن قتال ولا مصارعة هرايشه بركرد انيدندى بشتها را بكريز يعنى هزيمت كردندى فان تولية الادبار كناية عن الانهزام وكذا في الفارسية كما قال * آنرا كه من باشم كه رو زجنك بيني بشت من * ودر الشئ خلاف القبل يقال ادبر الجيش اذا انهزم والخلف (ثم لا يجدون وليا) يحرسهم (ولا نصيرا) ينصرهم (سنة الله التي قد خلت من قبل) اى سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن خلا ومضى من الامم وهو قوله لاغلبن انا ورسلي فسنة الله مصدر مؤكد لفعله المحذوف (ولن تجد لسنة الله تبديلا) اى تغييرا لنقل الغلبة من الانبياء الى غيرهم * تحالست چون دوست دارد ترا * كه دردست دشمن كذارد ترا * هرچه درازل مقرر شده لامحاله كائن خواهد شد ودست تصرف هيچكس رقم تغيير وتبديل برصفحات ان نخواهد كشيد * تغيير حكم ازلى را نشايد * تبديل بفرمان قضا كار ندارد * دردائره امركم وبيش نكنجد * باسر قدر چون وچرا كار ندارد * وفي الآية اشارة الى مقاتلة النفوس المتمردة فالله تعالى ناصر الساكنين على قتال النفوس وقد قدر النصرة في الازل فلا تبديل لها الى الابد فالمنصور من نصره الله والمقهور من قهره الله ونصرة الله على انواع فمنها نصرة في الظلم فمن بعضهم كنا في المدينة نتكلم في بعض الاوقات في آيات الله تعالى المنعم بها على اوليائه وكان رجل ضرير بالقرب منا يسمع ما نقول فتقدم الينا وقال أنست بكلامكم اعلموا انه كان لي عيال واطفال فخرجت الى البقيع احتطب فرأيت شابا عليه قميص كتان ونعله في اصبعه فتوهمت انه تائه فقصدت ان اسلبه ثوبه فقلت له انزع ما عليك فقال لي مرفي حفظ فقلت له الثانية والثالثة فقال ولا بد فقلت ولا بد فأشار بأصبعه الى عيني فسقطتا فقلت بالله عليك من انت فقال انا ابراهيم الخواص وانما دعا ابراهيم الخواص على اللص بالعمى ودعا ابراهيم بن ادهم للذي ضربه بالجنة لان الخواص شهد من اللص انه لا يتوب الا بعد العقوبة فرأى العقوبة اصلح له وابن ادهم لم يشهد توبة الضارب في عقوبته فتفضل عليه بالدعاء له فتوهمنه وكرما فحصلت البركة والخير بدعائه للضارب فجاءه مستغفرا معتذرا فقال له ابراهيم الرأس الذي يحتاج الى الاعتذار تركته ببلخ يعني ان نخوة الشرف وكبر الرياسة الواقعة في رأسي حين كنت ببلخ قد استبدلت بها تواضع المسكنة والانكسار ومنها نصرة في الباطن فعن احمد بن ابي الحواري رحمه الله قال كنت مع ابي سليمان الداراني قدس سره في طريق مكة فسقطت مني السطيحة اى المزادة فاخبرت ابا سليمان بذلك فقال يا راد الضالة فلم البث حتى اتى رجل يقول من سقطت منه سطيحة فاذا هي سطيحتي فأخذتها فقال ابو سليمان حسبت ان يتركنا بلا ماء يا احمد فشربنا قليلا وكان برد شديد وعلينا الفراء فرأينا رجلا عليه طمران رثان وهو يترشح فقال له ابو سليمان نواسيك ببعض ما علينا فقال الحر والبرد خلقان من خلق الله تعالى ان امرهما غشياني وان امرهما تركاني وانا اسير في هذه البادية منذ ثلاثين سنة ما ارتعدت ولا انتفضت يلبسني فيها من محبته في الشتاء ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته جمعى كه پشت كرم بعشق نيند * نازسمور ومنت سنجاب مى كشند * يادارانى تشير الى ثوب وتدع الزهد تجد البرد يادارانى تبكى وتصيح وتستريح الى الترويح فمضى ابو سليمان وقال لم يعرفني غيره قيل في هذه الحكاية ما معناه انه لما حقق الله يقين ابي سليمان في رد السطيحة صانه من العجب بما رآه من حال هذا

الرجل حتى صغر فى عينيه حال نفسه وتلك سنة الله فى اوليائه يصونهم من ملاحظة الاعمال ويصغر فى اعينهم مايبذلونه من الاحوال وينصرهم فى تزكية نفوسهم عن سفساف الاخلاق رضى الله عنهم ونفعنا بهم وسلك بنا مسالك طريقتهم انه هو الكريم المحسن (وهو الذى كف ايديهم) اى ايدى كفار مكة (عنكم) اى بأن حملهم على الفرار منكم مع كثرة عددهم وكونهم فى بلادهم بصدد الذب عن اهليهم واولادهم (وايديكم عنهم) بأن حملكم على الرجوع عنهم وتركهم (ببطن مكة) اى فى داخلها (من بعد ان اظفركم) اى جعلكم ظافرين غالبين (عليهم) وبافشار سيدنا پس از انكه ظفر داد شمارا وغالب ساخت معان العادة المستمرة فيمن ظفر بعدو ان لا يتركه بل يستأصله والظفر الفوز واصله من ظفر اى نشب ظفره وذلك ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله عليه السلام خالد بن الوليد على جند وسماه يومئذ سيف الله فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد ذكره الطبرانى وابن ابى حاتم فى تفسيريهما قال سعدى المفتى لم يصح هذا والمذكور فى كتب السير وغيرها من الصحاح ان خالد بن الوليد كان يوم الحديبية طليعة للمشركين ارسلوه فى مائتى فارس فاتانى خبره حتى نذر بى اصحاب رسول الله فأمر رسول الله عباد بن بشر رضى الله عنه فتقدم فى خيله فقام بازائه ووصف اصحابه حتى حانت العصر فصلى رسول الله باصحابه صلاة الخوف فكيف يصح ماذكروه وقد صح ان اسلام خالد بن الوليد كان بعد الحديبية فى السنة الثامنة او قبلها انتهى وكذا قال فى انسان العيون خالد بن الوليد اسلم بعد وقعة الحديبية وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى اظهر المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت يعنى ان جماعة من اهل مكة خرجوا يوم الحديبية يرمون المسلمين فرماهم المسلمون بالحجارة حتى ادخلوهم بيوت مكة فلما كان الكف على الوجه المذكور فى غاية البعد قال تعالى وهو الذى الخ على طريق الحصر استشهدا به على ماتقدم من قولهما وقاتلكم الخ اوهم ثمانون رجلا ظلموا على رسول الله من قبل التنعيم عند صلاة الصبح ليأخذوه بغتة فاخذوا اسرا ثم اعتقهم رسول الله فخلى سبيلهم فيكون المراد ببطن مكة وادى الحديبة لان بعضها من الحرم وفى المفردات اصل البطن الجارحة ويقال للجهة السفلى بطن وللجهة العليا ظهر وبه شبه بطن الامر وبطن الوادى والبطن من العرب اعتبارا بأنهم كشخص واحد فان كل قبيلة منهم كعضو بطن وفخذ وكامل انتهى يقول الفقير لاشك ان وادى الحديبة واقع فى الجهة السفلى من مكة لانه فى جانب جدة المحروسة فيكون المراد ببطن تلك البلدة الادانى مكة والمعنى والله تعالى اعلم ان الله هو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم من الحديبة التى هى الجهة السفلى من مكة من بعد ان اقدركم عليهم بحيث اوقاتلتموهم غلبتم عليهم بأذنه تعالى على ماكان فى علمه كما قال واقاتلكم الخ وسياتى سر الكف فى الآية التى تلى هذه (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتكم وهزمكم اياهم اولا وطلبكم رسولهم وكفكم عنهم ثانيا تعظيم بيته الحرام وصيانة اهل الاسلام (بصيرا) عالما لا يخفى عليه شئ فيجازيكم بذلك وقال بعض العلماء من بعد ان اظفركم بهم يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا واما ان السورة نزلت قبله فلا يخالف لانه من الاخبار عن الغيب كقوله انا فتحنا لك نعم يرد عليه منع دلالته على العنوة فقد يكون الظفر على البلد بالصلح وكذلك قال الزمخشرى فى اول السورة الفتح الظفر بالبلدة اوصلح بحرب اوبغير حرب كما فى حواشى سعدى المفتى وقال فى بحر العلوم ودل على انها فتحت عنوة قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا لان لفظ الفتح اذا ورد مطلقا لا يقع الا على ما فتح عنوة انتهى يقول الفقير هذا ليس من قبيل الفتح المطلق ولو سلم فالفتح المطلق لا يدل عليه ولذا قارنه تعالى بالنصرة فى سورة النصر فان النصر يقتضى القهارية لا الفتح وقال فى عين المعانى وقد فتحت صلحا عند الشافعى فلنا بل عنوة لقوله عليه السلام لاصحابه احصدوهم بالسيف حصدا الا انا لم نضع الجزية على اهلها ولا الخراج على اراضيها كما هو مذهبنا فيما فتح عنوة لان مشركى العرب لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عندنا واما سواد الكوفة فهى ارض العجم انتهى وقصة فتح مكة على الاجمال ان الفتح كان فى شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة وكان السبب فى ذلك نقض عهد وقع من جانب قريش وذلك ان شخصا من بنى بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة وكانوا مسلمين فضربه فشجه فثار الشران الحيان وامد قريش لبنى بكر على خزاعة فبيتوا خزاعة اى اتوهم ليلا على غفلة فقتلوا منهم عشرين ولم يكن ذلك برأى ابى سفيان رئيس قريش وعند ما بلغه الخبر قال حدثنى زوجتى هند انها رأت رؤيا كرهتها رأت دما اقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة بالخاء المعجمة جبل بمكة والحجون بالحاء المهملة جبل

بعملاء مكة وقال والله ليغزونا محمد فكره القوم ذلك وخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم المدينة وقص على رسول الله القصة فقال عليه السلام نصرت يا عمرو بن سالم ودمعت عينا رسول الله وكان يقول خزاعة مني وانا منهم قالت عائشة رضي الله عنها اترى قريشا تجترئ على نقض العهد الذي بينك وبينهم فقال عليه السلام ينقضون العهد لامر يريده الله فقلت خير قال خير ولما ندمت قريش على نقض العهد ارسلوا اباسفيان ليشد العقد ويزيد في المدة فقال عليه السلام نحن على مدتنا وصلحنا ولم يقبل ذلك من ابي سفيان ولا احد من اصحابه فرجع الى مكة واخبر القصة وقال والله قد ابى علي وقد تبعت اصحابه فما رأيت قوما املك عليهم اطوع منهم له ثم ان رسول الله تشاور مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في السير الى مكة واخفى الامر عن غيرهما فقال ابو بكر هم قومك يا رسول الله فأشار الى عدم السير وحضه عمر حيث قال هم رأس الكفرة زعموا انك ساحر وانك كذاب وذكر له كل سوء كانوا يقولونه وايم الله لاتذل العرب حتى تذل اهل مكة فعند ذلك ذكر عليه السلام ان ابا بكر كابراهيم وكان في الله الين من اللين وان عمر كنوح وكان في الله اشد من الحجر وان الامر أمر عمر واشار عليه السلام بطي السر وامر اصحابه بالجهاز وارسل الى اهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل ناحية يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة ولما قدموا قال عليه السلام اللهم خذ العيون والاخبار من قريش حتى نبغتها في بلادها ثم مضى لسفره لعشر خلون من رمضان او نحو ذلك وكان العسكر عشرة آلاف فيهم المهاجرون والانصار جميعا وافطر عليه السلام في هذا السفر بالكديد وهو كامير محل بين عسفان وقديد كزبير مصغرا وامر بالافطار وعد مخالفة في ذلك عصيانا لشدة الحرارة الهواء ولما فيه من القوة على مقاتلة العدو وفي قديد عقد عليه السلام الالوية والرايات ودفعها للقبائل ثم سار حتى مر بمر الظهران وهو موضع على مرحلة من مكة وقد اعمى الله الاخبار عن قريش اجابة لدعائه فلم يعلموا بوصوله وكان ذلك منه عليه السلام شفقة على قريش حتى لا يضنوا بالمقاتلة وامر عليه السلام اصحابه فأوقدوا عشرة الاف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان العباس عم النبي عليه السلام قد خرج قبل ذلك بعياله مسلما اي مظهرا الاسلام مهاجرا فلقي رسول الله بالجحفة وهو بتقديم الجيم ميقات اهل الشام فرجع معه الى مكة وارسل اهله وثقله الى المدينة وقال له عليه السلام هجرتك يا عم اخر هجرة كما ان نبوتي آخر نبوة وبعث قريش ابا سفيان يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه امانا فلما وصل الى مر الظهران ليلا قال ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران عرفة وكان بينه وبين العباس مصادقة فلما لقيه اخذ بيده وذهب به الى رسول الله ليأخذ منه امانا فلما اتاه قال عليه السلام اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فائتني به فلما اتى به عرض النبي عليه السلام عليه الاسلام فتوقف فقال العباس له ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فهداه الله فشهد شهادة الحق وأسلم ثم قال يا رسول الله ارايت ان اعتزلت قريش فكفت ايديها آمنون هم قال عليه السلام نعم من كف يده واغلق داره فهو آمن فقال العباس يا رسول الله ان اباسفيان يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن القى سلاحه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام وهو من اشراف قريش في الجاهلية والاسلام فهو آمن وعقد عليه السلام لأبي روحة الذي آخى بينه وبين بلال رضي الله عنه لواء وامره ان ينادي من دخل تحت لواء ابي روحة فهو آمن وذلك توسعة للامان لضيق المسجد ودار ابي سفيان واستثنى عليه السلام جماعة من النساء والرجال امر بقتلهم وان وجدوا متعلقين بأستار الكعبة منهم ابن خطل ونحوه لان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب وكانوا طغاة مردة مؤذين لرسول الله عليه السلام اشد الاذى فعفا عمن آمن وقتل من اصر وقال عليه السلام للعباس احبس اباسفيان في مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها فأول من مر خالد بن الوليد في بني سليم مصغرا ثم قبيلة بعد قبيلة براياتهم حتى مر رسول الله ومعه المهاجرون والانصار وعمر رضي الله عنه يقول رويدا حتى يلحق اولكم اخركم قال ابو سفيان سبحان الله يا عباس من هؤلاء فقال هذا رسول الله في الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ثم نزعت منه واعطيت لابنه قيس وكان من دهاة العرب واهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والنبالة وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس وكانت الانصار اربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس فقال ابو سفيان ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة وقال يا عباس لقد اصبح ملك ابن اخيك اليوم عظيما فقال العباس انها

النبوة وامر عليه السلام خالد بن الوليد ان يدخل مع جملة من قبائل العرب من أسفل مكة وقال لا تقاتلوا الا من قاتلكم وجمع قريش ناسا لخندمة ليقاتلوا ولما لقيهم خالد منعوه الدخول ورموه بالنبل فصاح خالد فى اصحابه فقتل من قتل وانهزم من لم يقتل حتى وصل خالد الى باب المسجد وقال عليه السلام فى ذلك اليوم احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا ودخل عليه السلام مكة وهو راكب على ناقته القصواء مردفا اسامة بن زيد بكرة يوم الجمعة وعن بعضهم يوم الاثنين معتما بعمامة سوداء وقيل غير ذلك والاول انسب بمقام المعرفة والفناء واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله مكة وكثرة المسلمين ثم قال اللهم ان العيش عيش الآخرة وعن عائشة رضى الله عنها دخل رسول الله يوم الفتح من كداء وهو كسماء جبل بأعلى مكة واغتسل لدخول مكة وسار وهو يقرأ سورة الفتح حتى جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته ومحمد بن مسلمة آخذ بزمامها واستلم الحجر بمحجن فى يده وهو العصا المعوجة ولم يطف ماشيا لتعليم الناس كيفية الطواف وصلى عليه السلام بالمقام ركعتين وهو يومئذ لاصق بالكعبة فى جانب الباب ثم اخره الى المحل المعروف الآن بمقام ابراهيم والظاهر ان مقام ابراهيم وهو الحجر الذى انغمس فيه قدم ابراهيم عليه السلام عند ما بنى البيت قد محى اثره بكثرة مسح الايدى ثم فقد ومقام ابراهيم الآن محل ذلك الحجر واما الحجر الموضوع هناك فموضوع وكان فى داخل الكعبة وخارجها وفوقها يومئذ ثلاثمائة وستون صنما لكل حى من احياء العرب صنم وكان هبل اعظم الاصنام وكان من عقيق الى جنب البيت من جهة بابه والآن مطروح تحت باب السلام القديم يطأه الناس الى يوم القيامة لقول ابى سفيان يوم احد مفتخرا بذلك اعل هبل اعل هبل وذلك لان من اعزه الناس اذله الله فجاء عليه السلام ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منهم فيخر لوجهه وكان يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وامر علیا رضى الله عنه فصعد الكعبة وكسر ما فوقها ودخل عليه السلام الكعبة بعد ان ارسل بلالا الى عثمان بن ابى طلحة يأتى بمفتاح الكعبة فدخلها عليه السلام وصلى ركعتين ودعا فى نواحيها كلها وكان فى الكعبة صور كثيرة حتى صورة ابراهيم واسمعيل ومريم وصور الملائكة فأمر عليه السلام عمر رضى الله عنه فمحاها كلها وكانت الكعبة بيت الاصنام الف سنة ثم صارت مسجدا هل الاسلام الف سنة اخرى وكانت تشكو الى الله تعالى ما فعله الناس من الشرك حتى انجز الله وعده لها وفيه اشارة الى كعبة القلب فانها كانت بيت الاصنام قبل الفتح والامداد الملكوتى واعظم الاصنام الوجود (قال الشيخ المغربى) بود وجود مغربى لات ومنات اوبود * نيست بتى چوبو داود رهمه سومنات تو (وقال الحجندى) بشكن بت غرور كه دردين عاشقان * يك بت كه بشكند به ازصد عبادتست (وقال) مدعى نيست محرم دربار * خادم كعبه بواهب نبود * جلس رسول الله يوم الفتح على الصفا يبايع الناس فجاء الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الاسلام اى على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وعلى سائر الاحكام ودخل الناس فى دين الله افواجا وعفا عليه السلام عمن كان مؤذيا له منذ عشرين سنة ودعا له بالمغفرة وقال عليه السلام يا ايها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهى حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد يكون بعدى ولا تحل لى الا هذه الساعة اى من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على اهلها ألا قد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب واقام بمكة بعد فتحها تسعة عشر او ثمانية عشر يوما يقصر الصلاة فى مدة اقامته ثم خرج الى هوازن وثقيف كما مر وولى امر مكة عتاب بن اسيد رضى الله عنه وعمره احدى وعشرون سنة وامره ان يصلى بالناس وهو اول امير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وترك معاذ بن جبل رضى الله عنه معه معلما للناس السنن والفقه وبه ثبت الاستخلاف وعليه العمل الى يومنا هذا فان النبى انما يبعث لرفع الجهل وقس عليه الولى جعلنا الله واياكم من الوارثين (هم) اى قريش (الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) اى منعوكم عن ان تطوفوا به (والهدى) اى وصدوا الهدى وهو بالنصب عطف على الضمير المنصوب فى صدوكم والهدى بسكون الدال جمع هدية كتمرة وتمر وجدى وجدية وهو مختص بما يهدى الى البيت تقربا الى الله تعالى من النعم ايسره شاة واوسطه بقرة واعلاه بدنة يقال اهديت له واهديت اليه ويجوز تشديد الياء فيكون جمع هدية (معكوفا) حال من الهدى اى محبوسا يقال عكفته عن كذا اذا حبسته ومنه العاكف فى المسجد لانه حبس نفسه

(ان يبلغ محله) بدل اشتمال من الهدى اومنصوب بنزع الخافض اى محبوسا من ان يبلغ مكانه الذى يحل فيه نحره اى يجب فالمحل اسم للمكان الذى ينحر فيه الهدى فهو من الحلول لا من الحل الذى هو ضد الحرمة قال فى المفردات حل الدين حلولا وجب اداؤه وحلت نزلت من حل الاحمال عند النزول ثم جرد استعماله للنزول والمحلة مكان النزول انتهى وبه استدل ابو حنيفة على ان المحصر محل هديه الحرم فان بعض الحديبية كان من الحرم قال فى بحر العلوم الحديبية طرف الحرم على تسعة اميال من مكة وروى ان خيامه عليه السلام كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام وهى سبعون بدنة والمراد صدها عن تعليها المعهود الذى هو منى للحاج وعند الصف للمعتمر وعندا شافعى لا يختص دم الاحصار بالحرم فيجوز أن يذبح فى الموضع الذى احصر فيه *بين تعالى استحقاق كفار مكة للعقوبة بثلاثة اشياء كفرهم فى انفسهم وصد المؤمنين عن المسجد وصدهديهم عن بلوغ المحل فهم مع هذه الافعال القبيحة كانوا يستحقون ان يقتلوا او يقتلوا الا انه تعالى كف ايدى كل فرق عن صاحبه محافظة على ما فى مكة من المؤمنين المستضعفين ليخرجوا منها اويدخلوه على وجه لا يكون فيه ايذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات كما قال تعالى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء جميعا وكانوا بمكة وهم الفان وسبعون نفسا يكتمون ايمانهم (ان تطأوهم) بدل اشتمال منهم اومن الضمير المنصوب فى تعلموهم اى توقعوا بهم وتهلكوهم فان الوطأ عبارة عن الايقاع والاهلاك والاباحة على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان الوطأ تحت الاقدام مستلزم للاهلاك ومنه قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر اى خذهم اخذا شديدا وفى المفردات اى ذللهم ووطئ امرأته كناية عن المجامعة صار كالتصريح للعرف (فتصيبكم منهم) اى من جهتهم معطوف على قوله ان تطأوهم (معرة) مفعلة من عره اذا عراه ودهاه بما يكرهه ويشق عليه وفى المفردات العر الجرب الذى يعر البدن اى يعترضه ومنه قيل للمضرة معرة تشبيها بالعر الذى هو الجرب والمعنى مشقة ومكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء محالتهم والاثم بالتقصير فى البحث عنهم قال سعدى المفتى ذلت فى المذهب الحنفى لا لزم بقتل مثله شئ من الدية والكفارة وما ذكره الزمخشرى لا يوافق مذهبنا انتهى وقال بعضهم اوجب الله على قاتل المؤمن فى دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة فقال تعالى فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة (بغير علم) متعلق بان تطأوهم اى غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لو كف ايديكم عنهم وفى هذا الحذف دليل على شدة غضب الله تعالى على كفار مكة كانه قيل لولا حق المؤمنين موجود لفعل بهم ما لا يدخل تحت الوصف والقياس بناء على ان الحذف للتعميم والمبالغة (ليدخل الله فى رحمته) متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى الى الفتح بلا محذور فى رحمته الواسعة يقسمها (من يشاء) وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التى من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدى الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالكلية لكنهم كانوا قاصرين فى اقامة مراسم العبادة كما ينبغى فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم فى الرحمة الاخروية (لو تزيلوا) الضمير للفريقين اى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله فرقه وزيلته فتزيل اى فرقته فتفرق (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما) بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها وفى الآية اشارتان احداهما ان من خاصية النفس ان تصد وجه الطالب عن الله تعالى وتشوب الخيرات والصدقات التى يتقرب بها الى الله بالرياء والسمعة والعجب لئلا تبلغ محل الصدق والاخلاص والقبول والثانية ان استبقاء النفوس لاستخلاص الارواح وقواها مع ان بعض صفات النفس قابلة للفيض الالهى فيلزم الحذر من افساد استعدادها لقبول الفيض وعند التزكية فصفة لا يصلح الا قلعها كالكبر والشره والحسد والحقد وصفة تصلح للتبديل كالبخل بالسخاوة والحرص بالقناعة والغضب بالحلم والجبانة بالشجاعة والشهوة بالمحبة قال البقلى انظر كيف شفقة الله على المؤمنين الذين يراقبون الله فى السراء والضراء ويرضون ببلائه كيف حرسهم من الخطران وكيف اخذ اهم بسره عن صدمات قهره وكيف جعلهم فى كنفه حتى لا يطلع عليهم احد وكيف يدفع ببركتهم البلاء عن غيرهم فعلى المؤمن مراعاتهم فى جميع الزمان والتوسل بهم الى الله المنان فانهم وسائل الله الخفية *بخود سر فرو برده همچون صدف * نه مانند دربار اورده كف (اذ جعل الذين كفروا) منصوب باذكر على المفعولية اى اذكر وقت جعل

الكافرين بمن اهل مكة (فى قلوبهم الحمية) اى الانفة والتكبر فعيلة من حمى من كذا حمية اذا انف منه و فى المفردات عبر عن القوة الغضبية اذا ثارت وكثرت بالحمية يقال حميت على فلان اى غضبت عليه انتهى وذلك لان فى الغضب ثوران دم القلب وحرارته وغليانه والجار والمجرور اما متعلق بالجعل على انه بمعنى الالقاء او بمحذوف وهو مفعول ثان على انه بمعنى التصيير اى جعلوها ثابتة راسخة فى قلوبهم (حمية الجاهلية) بدل من الحمية اى حمية الملة الجاهلية وهى ما كانت قبل البعثة او الحمية النشاشة من الجاهلية التى تمنع اذعان الحق قال الزهرى حميتهم انفتهم من الاقرار للنبى بالرسالة والاستفتاح بسم الله الرحمن الرحيم او منعهم من دخول مكة وقال مقاتل قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلون علينا فهذه حمية الجاهلية التى دخلت فى قلوبهم (فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة اى فانزل الله عليهم الثبات والوقار فلم يلحق بهم ما لحق الكفار فصالحوهم ورضوا ان يكتب الكتاب على ما ارادوا يروى انه لما ابى سهيل ومن معه ان يكتب فى عنوان كتاب الصلح البسملة وهذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة بل قالوا اكتب باسمك اللهم وهذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة قال عليه السلام لعلى رضى الله عنه اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان أبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا مع ان اصل الصلح لم يكن عندهم بمحل من القبول فى اول الامر على ما سبق فى اول السورة مفصلا (والزمهم كلمة التقوى) اى كلمة الشهادة حتى قالوها وهذا الزام الكرم واللطف لا الزام الاكراه والعنف واضيفت الى التقوى لانها سبب اذ بها يتوقى من الشرك ومن النار فان اصل التقوى الاتقاء منهما وقد وصف الله هذه الامة بالمتقين فى مواضع من القرآن العظيم باعتبار هذه الكلمة وبسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله من شعار هذه الامة وخواصها اختارها لهم وصار المشركون محرومين منها حيث لم يرضوا بان يكتب فى كتاب الصلح ذلك وعن الحسن كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد فان المؤمنين وفوا حيث نقضوا العهد وعاونوا من حارب حليف المؤمنين والمعنى على هذا والزمهم كلمة اهل التقوى وهى العهد الواقع فى ضمن الصلح ومعنى الزامها اياهم تثبيتهم عليها وعلى الوفاء بها قال اهل العربية الكلمة قد تستعمل فى اللفظة الواحدة وبرادبها الكلام الكثير الذى ارتبط بعضه ببعض فصار ككلمة واحدة كتسميتهم القصيدة بأسرها كلمة وعندى يقال كلمة الشهادة قال الرضى وقد تطلق الكلمة مجازا على القصيدة والخطبة يقال كلمة شاعر وقال تعالى وتمت كلمة ربك والكلمة عند اهل العربية مشتقة من الكلم بمعنى الجرح وذلك تأثيرها فى النفوس وعند المحققين عبارة عن الارواح والذوات المجردة عن المواد والزمان والمكان لكون وجودها بكلمة كن فى عالم الامر اطلاقا لاسم السبب على المسبب والدليل على ذلك قوله تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم والمراد بكلمة التقوى ههنا حقيقة التقوى وماهيتها فان الحقيقة من حيث هى مجردة عن اللواحق المادية والتشخصات فالله تعالى الزم المؤمنين حقيقة التقوى ليتالوا بها قوة اليقين والتجرد التام وصفاء الفطرة الاصلية (وكانوا احق بها) متصفين بمزيد استحقاق لها فى سابق حكمه وقسم على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار (واهلها) عطف تفسير اى المستأهل لها عند الله والمختص بها من اهل الرجل وهو الذى يختص به وينسب اليه قيل ان الذين كانوا قبلنا لا يمكن لاحد منهم ان يقول لا اله الا الله فى اليوم والليلة الا مرة واحدة ولا يستطيع ان يقولها اكثر من ذلك وكان قائلها يمدبها صوته حتى ينقطع النفس التماس بركتها وفضلها وجعل الله لهذه الامة ان يقولوها متى شاؤا وهو قوله والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها من الامم السالفة وقال مجاهد ثلاث لا يحجبن عن الرب لا اله الا الله من قلب مؤمن ودعوة الوالدين ودعوة المظلوم كما فى كشف الاسرار (وفى المثنوى) بحر وحدانست جفت وزوج نيست * كوهر وماهيش غير موج نيست * اى محال واى محال اشراك او * دورازان دريا وموج پاك او * (وكان الله بكل شئ عليما) بليغ العلم بكل شئ من شأنه أن يتعلق به العلم فيعلم حق كل شئ فيسوقه الى مستحقه ومن معلوماته انهم احق بها اى من جميع الامم لان النبى عليه السلام كان خلاصة الموجودات واصلها وهو الحبيب الذى خلقت الموجودات بكلمته والكلمة هى صورة الجذبة التى توصل الحبيب بالحبيب والمحب بالمحبوب فهى بالنبوة احق لانه هو الحبيب لتوصله الى حبيبه وامته احق بها من الامم لانهم المحبون لتوصل المحب بالمحبوب وهم اهلها لان اهل

هذه الكلمة من يفنى بذاته وصفاته ويبقى باثباتها معها بلاانانيته وما بلغ هذا المبلغ بالكمال الا النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اما انا فلا اقول انا وامته لقوله تعالى كنتم خير أمة اخرجت للناس وكان الله بكل شئ عليما في الازل فبني وجود كل انسان على ما هو اهله فمنهم اهل الدنيا ومنهم اهل الآخرة ومنهم اهل الله وخاصته كذا في التأويلات النجمية قال ابو عثمان كلمة التقوى كلمة المتقين وهي شهادة ان لا اله الا الله الزمها الله السعداء من اولياء المؤمنين وكانوا احق بها واهلها في علم الله اذ خلقهم لها وخلق الجنة لاهلها وقال الواسطي كلمة التقوى صيانة النفس عن المطامع ظاهرا وباطنا وقال الجنيد من ادركته عناية السبق في الازل جرى عليه صون المواصلة وهو احق بها لما سبق اليه من كرامة الازل وقال بعض العارفين اعلم ان الله تعالى اسند الفعل في جانب الكفار اليهم فقال اذ جعل الذين كفروا وفي جانب المؤمنين اسنده الى نفسه فقال فانزل الله سكينته اشارة الى ان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم فليس لهم من يدبر امرهم اما المؤمنون فالله تعالى وليهم ومدبر امرهم وايضا فالحمية الجاهلية ليست الا من النفس لان النفس مقر الاخلاق الذميمة واما السكينة والوقار والثبات والطمأنينة فمن الله ثم ان الله تعالى قال فانزل الله بالفاء لا بالواو اشارة الى ان انزل السكينة بمقابلة جعل الحمية كانه قول اكرمني فاكرمته اشارة الى ان اكرامك بمقابلة اكرامه ومجازاته وفي ذلك تنبيه على ان قوما اذا طغوا وظلموا فالله تعالى يحسن الى المظلومين وينصرهم فيعطيهم السكينة والوقار وكمال اليقين وذلك عين النعيم في مقابلة ازعاج الظالمين وحقدهم واضطرابهم وذلك هو العذاب الاليم فهم اختاروا ذلك العذاب لانفسهم فالله تعالى اختار للمؤمنين النعيم الدائم والمراد بكلمة التقوى كل كلمة تقي النفس عما يضرها من الاذكار كالتوحيد والاسماء الالهية ولذلك ورد في الحديث من احصاها دخل الجنة وافضلها لا اله الا الله كما قال عليه السلام افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي شهادة ان لا اله الا الله ثم ان قوله تعالى وكانوا احق بها واهلها اشارة الى ان الاسماء الالهية ينبغي ان لا تعلم ولا تلقن الا اهلها ممن استعدلها واستحقها بالامانة والديانة والصلاح روي ان الحجاج احضر انسا رضي الله عنه فقال انت الذي تسبني قال نعم لانك ظالم وقد خالفت سنة رسول الله عليه السلام فقال كيف لو قتلتك اسوأ قتلة قال لو علمت ان ذلك بيدك لعبدتك ولكنك لا تقدر فان رسول الله علمني دعاء من قرأه كان في حفظ الله وقد قرأته فقال الحجاج الا تعلمني اياه فقال لا اعلمك ولا اعلمه احدا في حياتك حتى لا يصل اليك ثم خرج فقالوا لم لم تقتله فقال رأيت وراءه اسدين عظيمين فخفت منهما وروي ان عالما طلب من بعض المشايخ ان يعلمه الاسم الاعظم فاعطاه شيأ مغطى وقال اوصله الى مريدي فلان فاخذه ثم انه فتحه في الطريق لينظر ما فيه فخرج منه فأرة فرجع بكمال الغيظ فلما رآه الشيخ تبسم وقال يا خائن الآن لم تكن اميننا للفأرة فكيف تكون اميننا للاسم الاعظم فالكبار يحفظون الاسماء والادعية من غير اهلها لئلا يجعلوها ذريعة الى الاغراض الفاسدة النفسانية (قال السعدي) كسي را يا خواجه تست جنك * بدستش چرامي دهي چوب وسنك * سك آخر كه باشد كه خوانش نهند * بفرماي تا استخوانش نهند (وفي المثنوي) چند دزدي حرف مردان خدا * تا فروشي وستاني مرحبا * چون رخت رانيست درخوبي اميد * خواه كلكونه نه وخوا هي مديد (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) صدق يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثاني بحرف الجر يقال صدقك في كذا اي ما كذبك فيه وقد يحذف الجار ويوصل الفعل كما في هذه الآية اي صدقه عليه السلام في رؤياه وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة وهي ما سبق في اول السورة من انه عليه السلام راى قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم هذا فلما تأخر ذلك قال بعض المنافقين والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت وهو دليل قاطع على ان الرؤيا حق وليس بباطل كما زعم جمهور المتكلمين والمعتزلة فتبالهم كما في بحر العلوم قالوا ان خيلت الرؤيا عن حديث النفس وكان هيئة الدماغ صحيحة والمزاج مستقيما كانت رؤيا من الله مثل رؤيا الانبياء والاولياء والصلحاء وفي حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة (بالحق) اي صدقا ملتبسا بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال كون تلك الرؤيا ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام لان ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العالم القابل وقد جوزان يكون قسما بالحق الذي هو من اسماء الله او بنقيض الباطل وقوله (لتدخلن المسجد الحرام) جواب وهو على الاولين جواب قسم محذوف اي والله

لتدخلنه فى العام الثانى (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد لكى يقولوا فى عداتهم مثل ذلك لالكونه تعالى شاكا فى وقوع الموعود فانه منزه عن ذلك وهذا معنى ماقال ثعلب استثنى الله فيما يعلم ليستثنى الخلق فيما لايعلمون وفيه ايضا تعريض بان دخولهم مبنى على مشيئته تعالى ذلك لاعلى جلادتهم وقوتهم كما قال فى الكواشى استثنى اعلاما انه لافعال الا الله انتهى واللاشعار بان بعضهم لايدخلونه لموت اوغيبة اوغير ذلك فكلمة ان للتشكيك لاللشك وقال الحدادى الاستثناء قد يذكر للتحقيق تبركا كقولهم قد غفر الله لك ان شاء الله ولاتعلق لمن يصحح الايمان بالاستثناء لانه خبر عن الحال فالاستثناء فيه محال كما فى عين المعانى وروى ان النبى عليه السلام كان اذا دخل المقابر يقول السلام عليكم اهل القبور وانا ان شاء الله بكم لاحقون فيستثنى على وجه التبرك وان كان اللحوق مقطوعا به وقيل معناه لاحقون بكم فى الوفاة على الايمان فان شرطية ويمكن ان يقال تعليق اللحوق بالمشيئة بناء على ان اللحوق بخصوص المخاطبين ويتحصل من هذا ان الاستثناء من الامن لا من الدخول لان الدخول مقطوع لا الامن حال الدخول وقال بعضهم ان هنا بمعنى اذ كما فى قوله ان اردن تحصنا وقال ابن عطية وهذا احسن فى معناه لكن كون ان بمعنى اذ غير موجود فى لسان العرب وفيه وجه آخر وهو انه حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله فقوله لتدخلن الآية تفسير للرؤيا كأنه قيل هو قول الملك له عليه السلام فى منامه لتدخلن واذا كان التعليق من كلام الملك للتبرك فلا اشكال او حكاية لما قاله عليه السلام لاصحابه كأنه قيل قال النبى بناء على تلك الرؤيا التى هى وحى لتدخلن الخ يعنى لما قص رؤياه على اصحابه استأنف بان قال لتدخلن الخ (آمنين) من الاعادى حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله (محلقين رؤسكم) اى جمع شعورها والتحليق والتحلاق بسيار سردن سر كما فى تاج المصادر والحلق العضو المخصوص وحلقه قطع حلقه ثم جعل الحلق لقطع الشعر وجزه فقيل حلق شعره وحلق رأسه اى ازال شعره (ومقصرين) بعض شعورها والقصر خلاف الطول وقص شعره جز بعضه اى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون والا فلا يجتمع الحلق والتقصير فى كل واحد منهم فالنظم من نسبة حال البعض الى الكل يعنى ان الواو ليست لاجتماع الامرين فى كل واحد منهم بل لاجتماعهما فى مجموع القوم ثم ان قوله محلقين ومقصرين من الاحوال المقدرة فلا يردان حال الدخول هو حال الاحرام وهو لايجامع الحلق والتقصير وقدم الحلق على التقصير وهو قطع اطراف الشعر لان الحلق افضل من التقصير وقد حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بمنى واعطى شعر شق رأسه اباطلحة الانصارى وهو زوج ام سليم وهى والدة انس بن مالك فكان آل انس يتهادون به بينهم وروى انه عليه السلام حلق رأسه اربع مرات والعادة فى هذا الزمان فى اكثر البلاد حلق الرأس للرجل عملا بقوله عليه السلام تحت كل شعرة نجاسة فخلوا الشعر وانقوا البشرة وانما قلنا للرجل لان حلق شعر المرأة مثلة وهى حرام كما ان حلق لحية الرجل كذلك (لاتخافون) حال مؤكدة من فاعل لتدخلن واستئناف جوابا عن سؤال انه كيف يكون الحال بعد الدخول اى لاتخافون بعد ذلك من احد (فعلم مالم تعلموا) عطف على صدق والفاء للترتيب الذكرى فانه تعرض لحكم الشىء انما يكون بعد جرى ذكره والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلى المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اى فعلم عقيب ماأراه الرؤيا الصادقة مالم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم مايشهد بالصدق عملا فعليا (فجعل) لاجله (من دون ذلك) اى دون تحقق مصداق ماأراه من دخول المسجد الحرام الخ و بالفارسية پس ساخت براى شما يعنى مقرر كرد پيش ازين يعنى قبل ازدخول در مسجد حرام بجهت عمرة قضا (فتحا قريبا) هو فتح خيبر مضى عليه السلام بعد خمس عشرة ليلة كما فى عين المعانى والمراد بجعله وعده وانجازه من غير توسيط ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما فى قوله مالم تعلموا عبارة عن الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام القابل كما ذهب اليه الجمهور فتأباه الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على ارائة الرؤيا قطعا كما فى الارشاد وفى الآية اشارة الى ان الله تعالى امتحن المؤمن والمنافق بهذه الرؤيا اذ لم يتعين وقت دخولهم فيه فاخر الدخول تلك السنة فهلك المنافقون بتكذيب النبى عليه السلام فيما وعدهم بدخول المسجد الحرام ازداد كفرهم ونفاقهم وازداد ايمان المؤمنين بتصديق النبى عليه السلام مع ايمانهم وانتظروا صدق رؤياه فصدق الله رسوله الرؤيا بالحق فهلك من هلك عن بينة وحى من حى عن بينة ولذلك قال تعالى فعلم مالم تعلموا يعنى من تربية نفاق اهل النفاق وتقوية ايمان اهل الايمان فجعل من دون ذلك فتحا قريبا من فتوح الظاهر والباطن فلابد من الصبر فان الامور مرهونة باوقاتها

صد هزاران كيمياى حق آفريد * كيميائى هيچو صبر آدم نديد * نيست هرد قلوب ازطالب در دل جنت تابش شمس وجنت آب مغ * وقد صبر عليه السلام على اذى قومه وهكذا حال كل وارث قال معروف الكرخى قدس سره رأيت فى المنام كأنى دخلت الجنة ورأيت قصرا فرشت محاسنه بالدر والياقوت منوره وقائم والدانه فقلت لمن هذا فقيل لابى يوسف فقلت بم استحق هذا فقالوا بتعليمه الناس العلم وصبره على الالم ثم ان اصدق صفة الله تعالى وصفة خواص عباده وانه من اسباب الهداية (حكى) عن ابراهيم الخواص قدس سره انه كان اذا اراد سفرا لم يعلم احدا ولم يذكره وانما يأخذ كوزه ويمشى قال حامد الاسود فرأيته معه فى مسجد تناول ركوته ومشى فتبعته فلما وافينا القادسية قال لى يا حامد الى اين قلت ياسيدى خرجت لخروجك قال ان اردت مكة ان شاء الله قلت وانا اريد ان شاء الله مكة فلما كان بعد ايام اذا بشاب قد انضم الينا فمشى معنا يوما وليلة لا يسجد لله سجدة فعرفت ابراهيم وقلت ان هذا الغلام لا يصلى فجلس وقال ياغلام مالك لا تصلى والصلاة اوجب عليك من الحج فقال يا شيخ ما على صلاة قلت الست بمسلم قال لا قلت فاى شئ انت قال نصرانى ولكن اشارتى فى النصرانية الى التوكل وادعت نفسى انها قد احكمت حال التوكل فما صدقتها فى ادعت حتى اخرجتها الى هذا الغلاف ليس فيها موجود غير المعبود اثيرساد كنى واتمن خارى فقام ابراهيم ومشى وقال دعه معك فما زال يأتينا بالخير من حيث لا نحتسب واتينا بطن مر وقام ابراهيم ونزع خفيه فنشرهما بالماء ثم جلس وقال له ما اسمك قال عبد المسيح فقال يا عبد المسيح هذا دهليز مكة يعنى الحرم وقد حرم الله على امثالك الدخول بيده قال تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والذى اردت ان تستكشفه من نفسك فقد بان لك فاحذر ان تدخل مكة فتقتل رأيتك بمكة انكرنا عليك قال حامد فتركناه ودخلنا مكة وخرجنا الى الموقف فبينما نحن جلوس بعرفات اذ به قد اقبل عليه ثوبان وهو محرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا فأكب على ابراهيم يقبل رأسه فقال له ما وراءك يا عبد المسيح فقال له مهلا انا اليوم عبد من اسلم على يد ابراهيم حدثنى حديثك قال جلست بمكانى حتى اقبلت قافلة خارجة وتنكرت فى زى المسلمين كأنى محرم فباعة وقعت فبقى على الكعبة اضمحل عندى كل دين سوى دين الاسلام فأسلمت واغتسلت واحرمت وها انا طالبك يومى فالتفت الى ابراهيم وقال لحامد انظر الى هذا كان صديقا فى النصرانية كيف هداه الى الاسلام ثم صحبنا حتى مات بين القرآء ومن الله الهداية والتوفيق (هو) اى الله تعالى وحده (الذى ارسل رسوله) يعنى ان الله تعالى بجلال ذاته وعلو شأنه اختص بارسال رسوله الذى لا رسول احق منه باختصاصه اليه (بالهدى) اى كونه ملتبسا بالتوحيد وهو شهادة ان لا اله الا الله فيكون الجار متعلقا بمحذوف او به ولاجله فيكون متعلقا بأرسل (ودين الحق) اى وبدين الاسلام وهو من قبيل اضافة الموصوف الى صفته مثل عذاب الحريق والاصل الدين الحق والعذاب المحرق ومعنى الحق الثابت الذى هو ناسخ الاديان ومبطلها (ليظهره على الدين كله) اللام فى الدين للجنس اى ليعلى الدين الحق وغلبه على جنس الدين بجميع افراده التى هى الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او تسليط المسلمين على اهل سائر الاديان وقد انجز الله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولا يبقى الا مسلم او ذمة للمسلمين وكم ترى من فتوح اكثر البلاد وقهر الملوك اشد مما تعرف به قدرة الله تعالى وفى الآية فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتمكين النؤمنين على انه سيفتح لهم من البلاد واعظمهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وقد انجز كما اشير اليه آنفا واعلم ان قوله ليظهره اثبات السبب الموجب للارسال فهذا اللام لام الحكمة والسبب شرعا ولام العلة عقلا لان افعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض عند الاشاعرة لكنها مستتبعة لغايات جليلة فنزل ترتب الغاية على ما هى له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له (وكفى بالله) اى الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال (شهيدا) على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات وان لم يشهد الكفار وعن ابن عباس رضى الله عنهما شهد له بالرسالة وهو قوله (محمد رسول الله) فمحمد مبتدأ ورسول الله خبره وهو وقف تام والجملة مبتدأ للشهود به وقيل محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله رسول الله بدل او بيان او نعت اى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله قال فى تلقيح الاذهان اعلم ان الله سبحانه محمدا عليه السلام انه خلق الموجودات كلها من اجله اى من اجل ظهوره اى من اجل تجليه به حتى قال لبس شئ بين السماء والارض الا يعلم انى رسول الله غير عاصى

الانس والجن وقال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره لما تجلى الله وجد جمع الارواح فوجدها ولا روح نبينا صلى الله عليه وسلم ثم سائر الارواح فتقن التوحيد فقال لا اله الا الله فكرمه الله بقوله محمد رسول الله فأعطى الرسالة في ذلك الوقت ولذا قال عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الماء والطين انتهى ومعنى الحديث انه كان نبيا بالفعل عالما بالنبوة وغيره من الانبياء ما كان نبيا بالفعل ولا عالما بنبوته الا حين بعث بعد وجوده ببدنه العنصري واستكمل شرائط النبوة فكل من بدا بعد وجود المصطفى عليه السلام فهم نوابه وخلفاؤه مقدمين كالانبياء والرسل او مؤخرين كاولياء الله الكمل قال عليه السلام انا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري فهو الجنس العالي والمقدم وما عداه الى والمؤخر كما قال كنت اولهم خلقا وآخرهم بعثا فرسول الله هو الذي لا يساويه رسول لانه رسول الى جميع الخلق من ادرك زمانه بالفعل في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل بالآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه وقد اخذ على الانبياء كلهم الميثاق بان يؤمنوا به ان ادركوه واخذه الانبياء على امتهم وفي الحديث انا محمد واحمد ومعنى محمد كثير الحمد من اهل السماء والارض حمدوه ومعنى احمد اعظم حمدا من غيره لانه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره كما في شرح المشارق لابن الملك (قال الجامي) محمدت چون لائحه اي زحق * يافت شد نام او ازان منتق * واحمد في العرش اوا قاسم وفي السموات احمد وفي الارض محمد قال علي رضي الله عنه ما اجتمع قوم في مصيبة الا دخلوا فيها من اسمه محمد الا نبارك لهم فيها واشار الف احمد الى كونه فاتحا وقدما الان مخرجه مبدأ للمخرج واشار ميم محمد الى كونه خاتما ومؤخرا الان مخرجها مختتم المخرج كما قال نحن الآخرون السابقون واشار الميم ايضا الى بشته عند الاربعين قال بعضهم اكرم الله من الصبيان اربعة بأربعة اشياء يوسف عليه السلام بالوحي في الجب ويحيى عليه السلام بالحكمة في الصباوة وعيسى عليه السلام بالنطق في المهد وسليمان عليه السلام بالفهم واما نبينا عليه السلام فله الفضيلة العظمى والآية الكبرى حيث ان الله اكرمه بالسجدة عند الولادة والشهادة بأنه رسول الله وكل قول يقبل الاختلاف بين المسلمين الا قول لا اله الا الله محمد رسول الله فانه غير قابل للاختلاف فهذه مختص وان لم يتكلم بها احد وكذا اكرمه بشرح الصدر وختم النبوة وخدمة الملائكة والحور عند ولادته واكرمه بالنبوة في عالم الارواح قبل الولادة وكفاه بذلك اختصاصا وتفضيلا فلا بد للمؤمن من تعظيم شرعه واحياء سنته والتقرب اليه بالصلوات وسائر القربات لينال عند الله الدرجات وكانت رابعة العدوية رحمها الله تصلي في اليوم والليلة الف ركعة وتقول ما اريد بها ثوابا ولكن ليسر بها رسول الله عليه السلام ويقول للانبياء انظروا الى امرأة عن امتي هذا عملها في اليوم والليلة ومن تعظيمه عمل المولد اذا لم يكن فيه منكر قال الامام السيوطي قدس سره ويستحب لنا اظهار الشكر لمولده عليه السلام انتهى وقد اجتمع عند الامام تقي الدين السبكي رحمه الله جمع كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري رحمه الله في مدحه عليه السلام

فيا لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط احسن من كتب

وان تعرض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا او جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل انس عظيم بذلك المجلس ويكفي ذلك في الاقتداء وقد قال ابن حجر الهيتمي ان البدعة الحسنة متفق على ندبها وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك اي بدعة حسنة قال السخاوي لم يفعله احد من القرون الثلاثة وانما حدث بعد ثم لا زال اهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في ليله بانواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر من بركاته عليهم كل فضل عظيم قال ابن الجوزي من خواصه انه امان في ذلك العام وبشرى عاجلة ينال البغية والمرام واول من احدثه من الملوك صاحب اربل وصنف له ابن دحية رحمه الله كتابا في المولد سماه التنوير بمولد البشير النذير فأجازه بالف دينار وقد استخرج له الحافظ ابن حجر اصلا من السنة وكذا الحافظ السيوطي ورد على الفاكهاني المالكي في قوله ان عمل المولد بدعة مذمومة كما في انسان العيون (والذين معه) اي مع رسول الله عليه السلام وهو مبتدأ خبره قوله (اشداء) غلاظ وهو جمع شديد (على الكفار) كالاسد على فريسته (رحماء) اي متعطفون وهو جمع رحيم (بينهم) كالوالد مع ولده يعني انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فلو اكتفى بقوله اشداء على الكفار لربما وهم الفظاظة والغلظة فكمل بقوله رحماء بينهم فيكون من اسلوب التكميل وعن الحسن بلغ من تشددهم

على الكفار انهم كانوا يتحرزون من بئاباهم ان تلزق بابائهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ من تراحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه وذكر في التوراة في صفة عمر رضي الله عنه قرن من حديد امين شديد وكذا ابو بكر رضي الله عنه فانه خرج لقتال اهل الردة شاهرا سيفه راكبا راحلته فهو من شدته وصلابته على الكفار (قال الشيخ سعدي) نه چندان درشتي كن كه از تو سير كردند ونه چندان نرمي كن كه بر تو دلير شوند * درشتي ونرمي بهم در بهست * چو ركزن كه جراح ومرهم نهست * (وقال بعضهم) هست نرمي آفت جان سمور * وز درشتي ميرد جان خار پشت * وفي الحديث المؤمنون هينون ليّنون مدح النبي بالسهولة واللين لانهما من الاخلاق الحسنة فان قلت من امثال العرب لا تكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر على وفق ذلك ورد قوله عليه السلام لا تكن مرا فتعق ولا حلوا فتسترط يقال اعقيت الشيء اذا ازلته من فيك لمرارته واسترطه اي ابتلعه وفي هذا نهي عن اللين فما وجه كونه جهة مدح قلت لا شبهة في ان خير الامور اوسطها وكل طرفي الامور ذميم اي المذموم هو الافراط والتفريط لا الاعتدال والاقتصاد نسأل الله العمل بذلك (تراهم ركعا سجدا) جمع راكع وساجد اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات فهما حالان لان الرؤية بصرية واريد بالفعل الاستمرار والجملة خبر آخر او استئناف (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) اما خبر آخر او استئناف مبني على سؤال نشأ عن بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا ورضى وقال بعض الكبار قصدهم في الطاعة والعبادة الوصول والوصال وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال الراغب الرضوان الرضى الكثير (سيماهم) فعلى من سامه اذا أعلمه اي جعله ذا علامة والمعنى علامتهم وسمتهم وقرئ سيماؤهم بالياء بعد الميم والمدوهما لغتان وفيهما لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره قوله (في وجوههم) اي ثابتة في وجوههم (من اثر السجود) حال من المستكن في الجار واثر الشيء حصول ما يدل على وجوده كما في المفردات اي من التأثير الذي توثره كثرة السجود وما روي عن النبي عليه السلام من قوله لا تعلموا صوركم اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتقد بجبهته على الارض ليحدث فيها لمة السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة المسجد الذي لا يسجدون الا خالصا لوجه الله وكان الامام زين العابدين رضي الله عنه وهو على ابن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكذا علي بن عبد الله بن العباس يقال لهما ذو الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما في مواضعه منهما اشباه ثفنات البعير والثفنة بكسر الثاء من البعير الركبة وما مس الارض من اعضائه عند الاناخة وثفنت يده ثفنا اذا غلظت عن العمل وكانت له خمسمائة اصل زيتون يصلي عند كل اصل ركعتين كل يوم قال قائلهم

ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذي الثفنات

قال عطاء دخل في الآية من حافظ على الصلوات الخمس وقال بعض الكبار سيما المحبين من اثر السجود فانهم لا يسجدون لشيء من الدنيا والعقبى الا الله مخلصين له الدين وقيل صفرة الوجوه من خشية الله وقيل ندى الطهور وتراب الارض فانهم كانوا يسجدون على التراب لا على الاثواب وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار الا ترى ان من سهر بالليل وهو مشغول بالشراب واللعب لا يكون وجهه في النهار كوجه من سهر وهو مشغول بالطاعة وجاء في باب الامامة انه يقدم الاعلم ثم الاقرأ ثم الاورع ثم الاسن ثم الاصبح وجها اي اكثرهم صلاتا بالليل لما روي من الحديث قيل لبعضهم ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره كما يصيب القمر نور الشمس فينوره درنفحات مذكور ست چون ارواح ببركت قرب الهي صافي شد انوار موافقت براشباح ظاهر كردد * درويش را كواه چه حاجت كه عاشقست * رنك رخش زدوريه بين ويدان كه هست * وقال سهل المؤمن من توجه الله متقبلا عليه غير معرض عنه ولك سيما المؤمنين وقال عامر بن عبد القيس كاد وجه المؤمن يخبر عن مكنون عمله وكذلك وجه الكافر وذلك قوله سيماهم في وجوههم وقال بعضهم ترى على وجوههم هيبة لقرب عهدهم بمناجاة سيدهم وقال ابن عطاء ترى عليهم خلع الانوار لائحة وقال عبد العزيز المكي ليست هي النحولة والصفرة لكنها نور يظهر على وجوه العابدين يبدو من باطنهم على ظاهرهم يتبين ذلك للمؤمنين ولو كان ذلك في زنجي او حبشي انتهى ولا شك ان هذه الامة يقومون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وبعضهم يكون وجوههم من اثر السجود كالقمر ليلة البدر وكل ذلك من تأثير نور القلب وانعكاسه ولذا قال * آن سياهي كزبي ناموس حق ناقوس زد * در عرب

بوللیل بودانذر قیامت بوالنهار (ذلك) اشارة الى ماذكر من نعوتهم الجليلة (مثلهم) اى وصفهم العجيب الشان الجارى فى الغرابة مجرى الامثال (فى التوراة) حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة والتوراة اسم كتاب موسى عليه السلام قال من جوزان تكون التوراة عربية انها تشتق من وريت الزند فوعلة منه على ان التاء مبدلة من الواو سمى التوراة لانه يظهر منه النور والضياء لبنى اسرائيل وفى القاموس وورية النار وريتها ماتوري به من خرقة او حطبة والتوراة تفعلة منه انتهى وقال بعضهم فوعلة منه لا تفعلة لقلة وجود ذلك (ومثلهم فى الانجيل) عطف على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم فى التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها والانجيل كتاب عيسى عليه السلام يعنى بهمين نعت در كتاب موسى وعيسى مسطور ند تاكه معلوم ايم كردند وبايشان مژده مرشوند والانجيل من نجل الشئ اظهره سمى الانجيل انجيلا لانه اظهر الدين بعد ما درس اى عفا رسمه (كزرع اخرج شطأه) يقال زرع كمنع طرح البذر وزرع الله انبت والزرع الولد والمزروع والجمع زروع وموضعه المزرعة مثلثة الراء وهو الخ تمثيل مستأنف اى هم كزرع اخرج افراخه اى فروعه واغصانه وذلك ان اول مانبت من الزرع بمنزلة الام وما تفرع وتشعب منه بمنزلة اولاده وافراخه وفى المفردات شطأ فروع الزرع وهو ما خرج منه وتفرع فى شاطئه اى جانبيه وجمعه اشطاء وقوله اخرج شطأه اى افراخه انتهى وقيل هو اى الزرع الخ تفسير لقوله ذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم فى الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم فى التوراة (فآزره) المنوى فى آزره ضمير الزرع اى فقوى الزرع ذلك الشطأ وبالفارسية پس قوى كرد كشت آن يك شاخ را الان الامام النسفى رحمه الله جعل المنوى فى آزر ضمير الشطأ قال فآزره اى فقوى الشطأ اصل الزرع بالتفافه عليه وتكاثفه وهو صريح فى ان الضمير المرفوع للشطأ والمنصوب للزرع وهو من الموازرة بمعنى المعاونة فيكون وزن آزر فاعل من الآزر وهو القوة او من الايزار وهى الاعانة فيكون وزنه افعل وهو الظاهر لانه لم يسمع فى مضارعه يوازر بل يوزر (فاستغلظ) فصار غليظا بعد ما كان دقيقا فهو من باب استحجر الطين يعنى ان السين للتحول (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبته جمع ساق وهو اصوله (يعجب الزراع) حال اى حال كونه يعجب زراعه الذين زرعوه اى يسترهم بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وطول قامته وبالفارسية بشگفت ارد مزارعا وهذا تم المثل وهو مثل ضربه الله لاصحاب رسول الله قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب فى التوراة سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وفى الاسئلة المفحمة كيف ضرب الله المثل لاصحاب النبى عليه السلام بالزرع الذى اخرج شطأه ولماذا لم يشبههم بالخيل والاشجار الكبار المثمرة والجواب لان اصحاب النبى كانوا فى بدء الامر قليلين ثم صاروا يزادون ويكثرون كالزرع الذى يبدو ضعيفا ثم ينمو ويخرج شطأه ويكثر لان الزرع يحصد ويزرع كذلك المسلمون منهم من يموت ثم يقوم مقامه غيره بخلاف الاشجار الكبار فانها تبقى بحالها سنين ولانه تنبت من الحبة الواحدة سنابل وليس ذلك فى غير الزرع انتهى فكما ان اعمالهم نامية فكذا اجسادهم الا ترى انه قتل مع الامام الحسين رضى الله عنه عامة اهل بيته لم ينج الا ابنه زين العابدين على رضى الله عنه لصغره فاخرج الله من صلبه الكثير الطيب وقيل يزيد بن مهلب واخوتهم وذراريهم ثم مكث من بقى منهم نيفا وعشرين سنة لا يولد فيهم انثى ولا يموت منهم غلام وعن عكرمة اخرج شطأه بابى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى رضى الله عنهم (ليغيظ بهم الكفار) الغيظ اشد غضب وهو الحرارة التى يجدها الانسان من ثوران دم قلبه غاظه يغيظه فاغتاظ وغيظه فتغيظ واغاظه وغايظه كما فى القاموس وهو علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه اى جعلهم الله كالزرع فى النماء والقوة ليغيظ بهم مشركى مكة وكفار العرب والعجم وبالفارسية تا الله رسول خويش ويارانرا كافرانرا بدرد آرد ومن غيظ الكفار قول عمر رضى الله عنه لاهل مكة بعد ما اسلم لا نعبد الله سرا بعد اليوم وفى الحديث ارحم امتى بأمتى ابو بكر واقواهم فى دين الله عمر واصدقهم حياء عثمان واقضاهم على وأقرأهم ابى بن كعب وافرضهم زيد بن ثابت واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق من ابى ذر ولكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة ابن الجراح وقيل قوله ليغيظ بهم الكفار علة لما بعده من قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم

مغفرة واجرا عظيما) فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الآخرة مع مالهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ يقول الفقير نظر الكفار مقصور على ما في الدنيا مما يتنافس فيه ويتحاسد وكيف لا يغيظهم ما اعد للمؤمنين في الآخرة وليسوا بمؤمنين باليوم الآخر ومنهم للبيان كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان يعني همة ايشارا وعد فرمود آمرزش كناه ومزدى بزرك وهو الجنة ودرجاتها فلا حجة فيه للطاعنين في الاصحاب فان كلهم مؤمنون ولما كانوا يبتغون من الله فضلا ورضوانا وعدهم الله بالنجاة من المكروه والفوز بالمحبوب وعن الحسن محمد رسول الله والذين معه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لانه كان معه في الغار ومن انكر صحبته كفر اشد آعلى الكفار عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه كان شديدا غليظا على اهل مكة رحماء بينهم عثمان بن عفان رضي الله عنه لانه كان رؤفا رحيما ذا حياء عظيم تراهم ركعا سجدا على بن ابي طالب رضي الله عنه تاحدى كه هرشب آوازهزار تكبير احرام از خلوت وى باسماع خادمان عتبة عليه اش ميرسيد يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية العشرة المبشرة بالجنة وفي الحديث ياعلي انت في الجنة وشيعتك في الجنة وسيجيء بعدى قوم يدعون ولا يتركهم لقب يقال لهم الرافضة فاذا أدركتهم فاقتلهم فانهم مشركون قال يارسول الله ما علامتهم قال ياعلي انه ليست لهم جمعة ولا جماعة يسبون ابابكر وعمر قال مالك بن انس رضي الله عنه من اصبح وفي قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية قال ابو العالية العمل الصالح في هذه الآية حب الصحابة وفي الحديث ياعلي ان الله امرني ان أتخذ ابابكر والدا وعمر مشيرا وعثمان سنداوانت ياعلي ظهيرا فأنتم اربعة قداخذ ميثاقكم في الكتاب لايحبكم الا مؤمن ولا يبغضكم الا فاجر انتم خلائف نبوتي وعقدة ذمتي لاتقاطعوا ولا تدابروا ولا تغادروا كما في كشف الاسرار وفي الحديث لاتسبوا أصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مداحدهم ولا نصيفه المد ربع الصاع والنصيف نصف الشيء والضمير في نصيفه راجع الى احدهم لا الى المد والمعنى ان احدكم لا يدرك بانفاق مثل احد ذهبا من الفضيلة ما ادرك احدهم بانفاق مد من الطعام او نصيف له وفي حديث آخر الله الله في اصحابي لاتتخذوهم غرضا من بعدفمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه اى يأخذ الله للتعذيب والعقاب وفي الصواعق لابن حجر وكان للنبي عليه السلام مائة الف واربعة عشر الف صحابي عند موته انتهى وفي حديث الاخوة قال اصحابه نحن اخوانك يارسول الله قال لا انتم اصحابي واخواني الذين يأتون بعدى آمنوا بي ولم يروني وقال للعامل منهم اجر خمسين منكم قالوا بل منهم يارسول الله قال بل منكم ردوها علينا ثم قال لان كم تجدون على الخير اعوانا كما في تلقيح الاذهان يقول الفقير يلزم من هذا الخبر ان يكون الاخوان افضل من الاصحاب وهو خلاف ما عليه الجمهور قلت الذي في الخبر من زيادة الاجر للعامل من الاخوان عند فقدان الاعوان لا مطلقا فلا يلزم من ذلك ان يكونوا افضل من كل وجه في كل زمان قال في فتح الرحمن وقد اجتمع حروف المعجم التسعة والعشرون في هذه الاية وهي محمد رسول الله الى آخر السورة اول حرف المعجم فيها ميم من محمد وآخرها صاد من الصالحات وتقدم نظير ذلك في سورة آل عمران في قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا الآية وليس في القرآن آيتان في كل آية حروف المعجم غيرهما من دعا الله بهما استجيب له وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد رسول الله فتح مكة وقال ابن مسعود رضي الله عنه بلغني انه من قرأ سورة الفتح في اول ليلة من رمضان في صلاة التطوع حفظه الله تعالى ذلك العام ومن الله العون

تمت سورة الفتح المبين بعون رب العالمين في منتصف صفر الخير من شهور سنة الف ومائة واربع عشرة

سورة الحجرات ثمانى عشرة آية مدنية باجماع من اهل التأويل

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا ايها الذين امنوا) تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بأنه داع الى المحافظة ورادع عن الاخلال به (لاتقدموا) امرا من الامور (بين يدى الله ورسوله) ولا تقطعوه الا بعد ان يحكما به ويأذنا فيه فتكونوا اماعا ملين بالوحي المنزل واما مقتدين بالنبي المرسل ولفظ اليدين بمعنى الجهتين اللتين في سمت يدى الانسان وبين اليدين بمعنى بين الجهتين والجهة التي بينهما هي جهة الامام والقدام فقولك جلست

بين يديه بمعنى جلست امامه ومكان يحاذى يديه وقريبا منه واذا قيل بين يدى الله امتنع أن يراد الجهة والمكان فيكون استعارة تمثيلية شبه ماوقع من بعض الصحابة من القطع فى امر من الامور الدينية قبل ان يحكم به الله ورسوله بحال من يتقدم فى المشى فى الطريق مثلا وفاحته على من يجب ان يتأخر عنه ويقفو اثره تعظيما له فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها (واتقوا الله) فى كل ماتأتون وماتذرون من الاقوال والافعال (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بأفعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب ويجوز ان يكون معنى لاتقدموا لا تفعلوا التقديم بالكلية على ان الفعل لم يقصد تعلقه بمفعوله وان كان متعديا قال المولى ابو السعود وهو اوفى بحق المقام لافادته النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهانى وقد جوزان يكون التقديم لازما بمعنى التقدم وبناء مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منهم ومنه وجه بمعنى توجه وبين بمعنى تبين نهى عن التقدم لان التقدم بين يدى المرء خروج عن صفة المتابعة واستقلال فى الامر فيكون التقدم بين يدى الله ورسوله منافيا للايمان وقال مجاهد والحسن نزلت الآية فى النهى عن الذبح يوم الاضحى قبل الصلاة كأنه قيل لاتذبحوا قبل ان يذبح النبى عليه السلام وذلك ان ناسا ذبحوا قبل صلاة النبى عليه السلام فأمرهم ان يعيدوا الذبح وهو مذهبنا الا ان تزول الشمس وعند الشافعى يجوز اذا مضى من الوقت مايسع الصلاة وعن البراء رضى الله عنه خطبنا النبى عليه السلام يوم النحر فقال ان اول مانبدأ به فى يومنا هذا ان نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان نصلى فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شئ وعن عائشة رضى الله عنها انها نزلت فى النهى عن صوم يوم الشك اى لاتصوموا قبل ان يصوم نبيكم قال مسروق كنا عند عائشة يوم الشك فأتى بلبن فشربت وفى بحر العلوم قالت للجارية اسقيه عسلا فقلت انى صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وتلت هذه الآية وقالت هذه فى الصوم وغيره وقال قتادة ان ناسا كانوا يقولون لو انزل فى كذا اوصنع فى كذا ولو نزل كذا وكذا فى معنى كذا ولو فعل الله كذا وينبغى ان يكون كذا فكره الله ذلك فنزلت وعن الحسن لما استقر رسول الله بالمدينة اتته الوفود من الآفاق فاكثروا عليه بالمسائل فنهوان يبتدئوا بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ والظاهر أن الآية عامة فى كل قول وفعل ولذا حذف مفعول لاتقدموا ليذهب ذهن السامع كل مذهب ممايمكن تقديمه من قول اوفعل مثلا اذا جرت مسألة فى مجلسه عليه السلام لاتسبقوه بالجواب واذا حضر الطعام لاتبتدئوا بالاكل قبله واذا ذهبتم الى موضع لاتمشوا امامه الا لمصلحة دعت اليه ونحو ذلك ممايمكن فيه التقديم قيل لايجوز تقدم الاصاغر على الاكابر الا فى ثلاثة مواضع اذا سار والى لا اورأوا خيلا اى جيشا اودخلوا سيلا اى ماء سائلا وكان فى الزمان الاول اذا مشى الشاب امام الشيخ يخسف الله به الارض ويدخل فى النهى المشى بين يدى العلماء فانهم ورثة الانبياء دليله ماروى عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال رآنى رسول الله عليه السلام امشى امام ابى بكر رضى الله عنه فقال تمشى امام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة ماطلعت شمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين خيرا وافضل من ابى بكر رضى الله عنه كما فى كشف الاسرار واكثر هذه الروايات يشعر بأن المراد بين يدى رسول الله وذكر الله لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده حيث ذكر اسمه تعالى توطئة وتمهيدا لذكر اسمه عليه السلام ليدل على قوة اختصاصه عليه السلام برب العزة وقرب منزلته من حضرته تعالى فان ايقاع ذكره تعالى موقع ذكره عليه السلام بطريق العطف تفسير للمراد يدل عليها لامحالة كما يقال اعجبنى زيد وكرمه فى موضع أن يقال اعجبنى كرم زيد للدلالة على قوة اختصاص الكرم به وقال ابن عباس رضى الله عنهما معنى الآية لاتقولوا خلاف الكتاب والسنة يقول الفقير لعله من باب الاكتفاء والمقصود ولاتفعلوا خلافهما ايضا فان كلا منهما من قبيل التقدم لحدود الله وحدود رسوله وبهذا المعنى فى هذه الآية الهمت بين النوم واليقظة والله اعلم وفى الآية بيان رأفة الله على عباده حيث سماهم المؤمنين مع معصيتهم فقال يا ايها الذين آمنوا ولم يقل يا ايها الذين عصوا وهذا بناء مدح كما فى تفسير ابى الليث وايضا فيها وعيد لمن حكم بخاطره بغير علم بالفرق بين الالهام والوسواس ويقول انه الحق فالزموه ومقصوده الرياء والسمعة ومن شرط المؤمن ان لايرى رأيه وعقله واختياره فوق رأى النبى والشيخ ويكون مستسلما لما يرى فيه مصلحة ويحفظ الادب فى خدمته وصحبته ومن ادب المريد ان لايتكلم بين يدى الشيخ فانه سبب سقوطه من اعين الاكابر قال سهل لاتقولوا قبل ان يقول واذا قال فاقبلوا منه منصتين له مستمعين اليه واتقوا الله فى اهمال حقه وتضييع حرمته ان الله سميع

لما تقولون عليم بما تعملون وقال بعضهم لا تطلبوا ورآء منزلته منزلة فانه لا يوازيه احد بل لا بدانيه چشم اواز حياكوش اواز حكمت زبان اواز نا وتسبيح ودل اواز رحمت دست اواز سخا موى اواز مشك بويا * قيمت عطار ومشك اندر جهان كاسد شود * چون برافشاند صباز لفين عنبرساى تو (يا أيها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبي عليه السلام بعد النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل والصوت هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين فان الهواء الخارج من داخل الانسان ان خرج بدفع الطبع يسمى نفسا بفتح الفاء وان خرج بالارادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمى صوتا والصوت الاختيارى الذى يكون للانسان ضربان ضرب باليد كصوت العود وما يجرى مجراه وضرب بالفم فالذى بالفم ضربان نطق وغيره فغير النطق كصوت النساى والنطق اما مفرد من الكلام واما مركب كاحد الانواع من الكلام والمعنى لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته والباء للتعدية وقال فى المفردات تخصيص الصوت بالنهى لكونه اعم من النطق والكلام ويجوز انه خصه لان المكروه رفع الصوت لا رفع الكلام وعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ان الاقرع بن حابس من بنى تميم قدم على النبي عليه السلام فقال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله استعمله على قومه اى بتقديمه عليهم بالرياسة فقال عمر رضى الله عنه لا تستعمله يا رسول الله بل القعقاع بن معبد فتكلما عند النبي عليه السلام حتى ارتفعت اصواتهما فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافى فقال ما اردت خلافك فنزلت هذه الآية فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبي لم يسمع كلامه حتى يستفهمه وقال ابو بكر آليت على نفسى ان لا اكلم النبي ابدا الا كاخى السرار يعنى سوكند يادكردم كه بعد ازين هركز با رسول خدا سخن بلند نكويم مكر چنانكه با همراز پنهان سخن كويند (ولا تجهروا له بالقول) اذا كلمتموه وتكلموا بضاوا الجهر يقال لظهور الشئ بافراط لحاسة البصر نحو رأيته جهارا اوحاسة السمع نحو سواء منكم من اسر القول ومن جهر به (كجهر بعضكم لبعض) اى جهرا كائنا كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم اخفض من صوته وتعهدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة جلالة النبوة فنهوا عن جهر مخصوص مقيد وهو الجهر المماثل لجهر اعتادوه فيما بينهم لا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يتكلموا بالهمس والمخافتة فالنهى الثانى ايضا مقيد بما اذا نطق ونطقوا والفرق ان مدلول النهى الاول حرمة رفع الصوت فوق صوته عليه السلام ومدلول الثانى حرمة ان يكون كلامهم معه عليه السلام فى صفة الجهر كالكلام الجارى بينهم ووجوب كون اصواتهم اخفض من صوته عليه السلام بعد كونها ليست بأرفع من صوته وهذا المعنى لا يستفاد من النهى الاول فلا تكرار والمفهوم من الكشاف فى الفرق بينهما ان معنى النهى الاول انه عليه السلام اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا بأصواتكم فوق الحد الذى يبلغ اليه صوته عليه السلام وان تغضوا من اصواتكم بحيث يكون صوته عاليا على اصواتكم ومعنى الثانى انكم اذا كلمتموه وهو عليه السلام ساكت فلا تبلغوا بالجهر فى القول الجهر لدآ بينكم بل لينوا القول لينا يقارب الهمس الذى يضاد الجهر (ان تحبط اعمالكم) تاباطل نشود علها اى شما بسبب اين جرأت وهو علة اما النهى على طريق التنازع فان كلا واحد من قوله لا ترفعوا ولا تجهروا يطلبه من حيث المعنى فيكون علة للثانى عند البصريين وللاول عند الكوفيين كأنه قيل انتهوا عما نهيتم عنه لخشية حبوط اعمالكم او كراهته كما فى قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا فحذف المضاف ولام التعليل واما علة للفعل المنهى كأنه قيل انتهوا عن الفعل الذى تفعلونه لاجل حبوط اعمالكم فاللام فيه لام العاقبة فانهم لم يقصدوا بما فعلوا ه من رفع الصوت والجهر حبوط اعمالهم الا انه لما كان بحيث قد يؤدى الى الكفر المحبط جعل كأنه فعل لاجله فادخل عليه لام العلة تشبيها المؤدى الفعل بالعلة الغائية وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فاذلك كفر بل ما يوهم ان يؤدى اليه مما يجرى بينهم فى اثناء المحاورة من الرفع والجهر خلا ان رفع الصوت فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشئ يعنى ان الاستخفاف به عليه السلام كفر لا الاستخفاف بأمر الرفع والجهر بل هو المؤدى الى المنكر لانهم اذا اعتادوا الرفع والجهر مستخفين بأمرهما ربما انضم الى هذا الاستخفاف قصد الاهانة به عليه السلام وعدم المبالاة وكذا ليس المراد ما يقع من الرفع والجهر فى حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او نحو ذلك فانه مما لا بأس به اذ لا يتأذى به النبي عليه السلام فلا يتناوله النهى فى الحديث انه قال عليه السلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس

وكان العباس اجهر الناس صوتا (روى) ان غارة اتتهم يوما اى فى المدينة فصاح العباس باصباه فاسقط الحوامل لشدة صوته وكان يسمع صوته من ثمانية اميال كما مر فى الفتح وعن ابن عباس رضى عنهما نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس وكان فى اذنه وقر وكان جهورى الصوت اى جهيره ورفيعه وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن انس لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه السلام فأخبر بشأنه فدعاه عليه السلام فسأله فقال يارسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فأخاف ان تكون عملى قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وصدق رسول الله فان ثابتا مات بخير حيث قتل شهيدا يوم مسيلمة الكذاب وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام فقال له اعلم ان فلانا الرجل من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهو فى ناحية من العسكر وعنده فرس مشدود يرعى وقد وضع على درعى برمة فائت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعى وائت ابا بكر رضى الله عنه خليفة رسول الله وقل له ان على دينا لفلان حتى يقضى دينى وفلان من عبيدى حر فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالدا ابا بكر بتلك الرؤيا فأجاز ابو بكر وصيته قال مالك بن انس رضى الله عنه لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه الوصية (وانتم لا تشعرون) حال من فاعل تحبط اى والحال انكم لا تشعرون بحبو طها والشعور العلم والفطنة والشعر العلم الدقيق ودانستن از طريق حس وفيه مزيد تحذير لما نهوا عنه استدل الزمخشرى بالآية على ان الكبيرة تحبط الاعمال الصالحة اذ لا فائل بالفصل والجواب انه من باب التغليظ والمراد انهم لا يشعرون ان ذلك بمنزلة الكفر المحبط وليس كسائر المعاصى وايضا انه من باب ولا تكونوا ظهيرا للكافرين يعنى ان المراد هو الجهر والرفع المقرونان بالاستهانة والقصد الى التعريض بالمنافقين قال الراغب حبط العمل على اضرب احدها ان تكون الاعمال دنيوية فلا تغنى فى القيامة غناء كما اشار اليه تعالى بقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والثانى ان تكون اعمالا اخروية لكن لم يقصد صاحبها بها وجه الله كما روى يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له لم كان اشتغالك قال بقرآءة القرآن فيقال له كنت تقرأ ليقال فلان قارئ وقد قيل ذلك فيؤمر به الى النار والثالث ان تكون اعمالا صالحة لكن بازائها سيئات توفى عليها وذلك هو المشار اليه بخفة الميزان انتهى وحبط عمله كسمع وضرب حبطا وحبوطا بطل واحبطه الله ابطله كما فى القاموس وقال الراغب اصل الحبط وهو ان تكثر الدابة من الكلأ حتى تنفتح بطنها فلا يخرج منها شئ قال البقلى فى العرائس اعلمنا الله بهذا التأديب ان خاطر حبيبه من كمال لطافته ومراقبة جمال ملكوته كان يتغير من الاصوات الجهرية وذلك من غاية شغله بالله وجمع همومه بين يدى الله فكان اذا جهر احد عنده يتأذى قلبه ويضيق صدره من ذلك كانه يتقاعد سره لحظة عن السير فى ميادين الازل فخوفهم الله من ذلك فان تشويش خاطره عليه السلام سبب بطلان الاعمال ومن العرش الى الثرى لا يزن عند خاطره ذرة واجتماع خاطر الانبياء والاولياء فى المحبة احب الى الله من اعمال الثقلين وفيه حفظ الحرمة لرسول الله وتأديب المريدين بين يدى اولياء الله يقول الفقير ولكمال لطافته عليه السلام كان الموت عليه اشد اذ اللطيف يتأثر مما لا يتأثر الكثيف كما قال بعضهم قد شاهدنا اقواما من عرب البوادى يسلخ الحكام جميع جلد احدهم ولا يظهر ضجرا ولو سلخ اكبر الاولياء لصاح الان يؤخذ عقله بمشاهدة تمنع احساسه انتهى ومن هنا عرف ان الكل من الجهر والخفاء محلا فشديد النفس له الجهر ولينه له الاخفاء كما فى حال الذكر وليس كل احد صاحب مشاهدة وقال سهل لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم ان الاصحاب رضى الله عنهم كانوا بعد هذه الآية لا يكلمونه عليه السلام الا جهرا يقرب من السر والهمس وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام لانه حى فى قبره وكذا القرب منه عليه السلام فى المواجهة عند السلام بحيث كان بينه وبينه عليه السلام اقل من اربعة اذرع وكره بعضهم رفع الصوت فى مجالس الفقهاء تشريفا لهم اذهم ورثة الانبياء قال سليمان بن حرب ضحك انسان عند حماد بن زيد وهو يحدث بحديث عن رسول الله فغضب حماد وقال انى ارى رفع الصوت عند حديث رسول الله وهو ميت كرفع الصوت عنده وهو حى وقام وامتنع من الحديث ذلك اليوم وحاصله ان فيه كراهة الرفع عند الحديث وعند المحدث مع ان الضحك لا يخلو من السخرية والهزل ومجلس الجد لا يحتمل مثل ذلك ولو دخل السلف مجالس هذا الزمان من مجالس الوعظ والدرس واجتماع المولد ونحو ذلك خرجوا من ساعتهم لما رأوا من كثرة المنكرات وسوء الادب بزركان كفته اند من ترك الاداب رد عن الباب نهصد هزار رساله طاعت ابليس بيك

بى ادبى ضايع شد * نكاه دارادب در طريق عشق ونياز * كه كفته اند طريقت تمام آدابست * نسأل الله الكريم ان يجعلنا متحلين بحلية الادب العظيم (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله) الخ ترغيب فى الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب من الاخلال به والغض النقصان من الطرف والصوت وما فى الاناء يقال غض طرفه خفضه وغض السقاء نقص مما فيه والمعنى ان الذين يخفضون اصواتهم عند رسول الله مراعاة للادب وخشية من مخالفة النهى (اولئك) مبتدأ خبره قوله (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه فهو من اطلاق المقيد وهو اخلاص الذهب وارادة المطلق * دربوته امتحان كرم بكدازى * منت دارم كه بى غشم بيسازى * وقال فى الاساس محن الاديم مدده حتى وسعه وبه فسر قوله تعالى امتحن الله قلوبهم اى شرحها ووسعها وعن عمر رضى الله عنه اذهب عنها الشهوات اى نزع منها محبة الشهوات وصفاها عن دنس سوء الاخلاق وحلاها بمكارمها حتى انسلخوا عن عادات البشرية (لهم) فى الآخرة (مغفرة) عظيمة لذنوبهم (واجر عظيم) التنكير للتعظيم اى ثابت لهم غفران واجر عظيم لايقادر قدره لغضهم وسائر طاعاتهم فهو استئناف لبيان جزاء القاضين مدحا لحالهم وتعريضا بسوء حال من لبس منلهم وفى الآية اشارة الى غض الصوت عند الشيخ المرشد ايضا لانه الوارث وله الخلافة ولا يقع الغض الا من اهل السكينة والوقار وقال الحسين قدس سره من امتحن الله قلبه بالتقوى كان شعاره القرآن ودثاره الايمان وسراجه التفكر وطيبه التقوى وطهارته التوبة ونظافته الحلال وزينته الورع وعلمه الآخرة وشغله بالله ومقامه مع الله وصومه الى الممات وافطاره من الجنة وجمعه الحسنات وكنزه الاخلاص وصمته المراقبات ونظره المشاهدات قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر التقوى كل عمل يقيك من النار واذا وقاك من النار وقاك من الحجاب واذا وقاك من الحجاب شاهدت العزيز الوهاب روى ابو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يزال قلب ابن آدم مملوءا حرصا الا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قال الراوى فلقد رأيت رجلا من اصحاب رسول الله لايركب الى زراعة له وانهامنه على فراسخ وقد اتى عليه سبعون سنة وروى انه عليه السلام قال لايزال قلب ابن آدم جديدا فى حب الثنتين وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وهم قليل يعنى هميشه دل آدم نو مى باشد در حب چيزى واكر چه نكرسته باشد هرد وچنبر كردنش ازپيرى وزركى مكر انانكه امتحان كرده است خدا قلوب ايشان ازبراى تقوى وآنكه ايشان * وجود تو شهريست پرينك وبد * تو سلطان ودستور دانا خرد * همانا كه دونان كردن فراز * درين شهر كبرست وسو داواز * چو سلطان عنايت كند بلدان * كجاماند آسايش بخردان (ان الذين ينادونك) المناداة والنداء خواندن (من وراء الحجرات) اى من خارجها من خلفها وقدامها لان وراء الحجرة عبارة عن الجهة التى يواريها شخص الحجرة بجهتها اى من اى ناحية كانت من نواحيها ولابد ان تكون تلك الجهة خارج الحجرة لان ما فى داخلها لايتوارى عمن فيها بجملة الحجرة فاشتراك الورآء فى تينك الجهتين معنوى لا لفظى لكن جعله الجوهرى وغيره من الاضداد فيكون اشتراكه لفظيا ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة واذا جرد الكلام عن حرف الابتداء جاز ان يكون المنادى ايضا فى الخارج لانتفاء مقتضى اختلافهما بالجهة والمراد حجرات امهات المؤمنين وكانت لكل واحدة منهن حجرة فتكون تسعا عددهن جمع حجرة بمعنى محجورة كقبضة بمعنى مقبوضة وهى الموضع الذى يحجره الانسان لنفسه بحائط ونحوه ويمنع غيره من ان يشاركه فيه من الحجر وهو المنع وقيل للعقل حجر لكون الانسان فى منع منه ممتدعو اليه نفسه ومناداتهم من ورائها اما بأنهم اتوا هاجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلام لانهم لم يتحققوا مكانه فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل الذى ناداه عيينة بن حصين الفزارى وهو الاحمق المطاع وكان من الجرارين بجر عشرة آلاف قنة اى تتبعه والاقرع بن حابس وهو شاعرى تميم فدا على رسول الله فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا فنحن الذين مدحنا زين وذممنا شين فاستيقظ فخرج وقال لهم ويحكم ذلكم الله اى الذى مدحه زين وذمه شين وانما اسندا النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك اوامروا به اولانه وجد فيما بينهم وقال سعدى المفتى انما يحتاج الى التأويل اذا اريد باستغراق الجمع الاستغراق الافرادى واما الوارد

الاستغراق المجموعي فلا ولذلك قالوا مقابلة الجمع بالجمع تفيد انقسام الآحاد بالآحاد وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا لاعور الدجال لدعوت الله ان يهلكهم فنزلت الآية ذما لهم وبقي هذا الذم الى الابد وصدق رسول الله في قوله ذلك كم الله (اكثرهم لا يعقلون) قال في بحر العلوم في قوله اكثر دلالة على انه كان فيهم من قصد بالمحاشاة وهو بالفارسية استثناكردن وعلى قلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل اذ القلة تجري مجرى النفي في كلامهم ويؤيده الحديث السابق فيكون المعنى كلهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب بل تأدبوا معه بان يجلسوا على بابه حتى يخرج اليهم كما قال تعالى (ولو انهم صبروا) الصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها (حتى تخرج اليهم) او مختص بالفعل على ما ذهب اليه المبرد والزجاج والكوفيون فما بعد لو مرفوع على الفاعلية لا على الابتداء على ما قاله سيبويه والمعنى ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم وحتى تتبدان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عليه السلام فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى انها عامة وفي اليهم اشعار بأنه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم (لكان) اى الصبر المذكور (خيرا لهم) من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثواب والثناء والاسعاف بالمسئول اذ روى انهم وفدوا شافعين في اساري بني العنبر قال في القاموس العنبر ابو حي من تميم قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث رسول الله عليه السلام سرية الى حي بني العنبر وامر عليهم عيينة بن حصين فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة وقدم بهم على رسول الله فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله قائلا في اهله فلما رأتهم الذراري اجهشوا الى ابائهم يبكون والاجهاش كريستن راساختن يقال اجهش اليه اذا فزع اليه وهو يريد البكاء كالصبي يفزع الى امه وكان لكل امرأة من نساء رسول الله بيت وحجرة فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليه فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبرائيل فقال ان الله يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال عليه السلام لهم ارضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على ديننا فقالوا نعم قال سبرة انا لا احكم بينهم وعمي شاهد وهو اعور بن بشامة بن ضرار فرضوا به فقال الاعور فأنا ارى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال عليه السلام قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم وقال مقاتل لكان خيرا لهم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء (والله غفور رحيم) بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن تضيق ساحتهما عن هؤلاء المسيئين للادب ان تابوا واصلحوا (قال الكاشفي) والله غفور وخداى تعالى آمرزنده است كسى راكه توبه كند ازبى ادبى رحيم مهربانست باهل ادب كه تعظيم سيد اولوا الالباب ميكند چه ادب جاذب رحمتست وحرمت جالب نعمت * سر مايهٔ ادب بكف آوركه اين متاع * از اركه هست سؤادب نابدش بكف * وفي هذا المقام امور * الاول ان في هذه الآية تنبيها على قدره عليه السلام والتأدب معه بكل حال فهم انما نادوه لعدم عقل يعرفون به قدره ولو عرفوا قدره لكانوا كما في الخبر يقرعون بابه بالاظافير وفي المادة اشارة الى انهم رأوه من وراء الحجاب ولو كانوا من اهل الحضور والشهود لما نادوه (كما قال بعضهم) كار نادان كوته انديش است * يادكردن كسى كه درپيش است * قال ابو عثمان المغربي قدس سره الادب عند الاكابر وفي مجلس السادات من الاولياء يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى والخير في الاولى والعقبى فكما لابد من التأدب معه عليه السلام فكذا مع من استن بسنته كالعلماء العاملين وكان جماعة من العلماء يجلسون على باب غيرهم ولا يدقون عليه بابه حتى يخرج لقضاء حاجته احتراما قال ابو عبيدة القاسم بن سلام ما دققت الباب على عالم قط كنت اصبر حتى يخرج الى لقوله تعالى ولو انهم الخ وفي الحديث ادبني ربي فاحسن تأديبي اى ادبني باحسن تأديب فالفاء تفسيرية لما قبله قال بعض الكبار من الحكمة توقير الكبير ورحمة الصغير ومخاطبة الناس باللين وقال ان كان خليلك فوقك فاصحبه بالحرمة وان كان كفؤك ونظيرك فاصحبه بالوفاء وان كان دونك فاصحبه بالمرحمة وان كان عالما فاصحبه بالخدمة والتعظيم وان كان جاهلا فاصحبه بالسياسة وان كان غنيا فاصحبه بالزهد وان كان فقيرا فاصحبه بالجود وان صحبت صوفيا فاصحبه بالتسليم قال بعض الحكماء عاشروا الناس معاشرة ان متم بكوا عليكم وان غبتم حنوا اليكم * والثاني ذم الجهل ومدح العقل والعلم فان شرف العقل مدرك بضرورة العقل والعلم والحس حتى ان اكبر الحيوانات شخصا واقواها

بدنا اذا رأى الانسان احتشمه وخاف منه لاحساسه بانه مستول عليه بحيلته واقرب الناس الى درجة البهائم اجلاف العرب والترك تراهم بالطبع يبالغون فى توقير شيوخهم لان التجربة تميز تهم عنهم بمزيد علم ولذلك روى فى الاثر الشيخ فى قومه كالنبى فى امته نظرا الى قوة علمه وعقله لا بقوة شخصه وجماله وشوكته وثروته (وفى المثنوى)
كشتى بى لنكر آمد مرد شر * كه زياد كژ نيايد اوحذر * لنكر عقلست عاقل را امان * لنكرى دريوزه كن ازعاقلان * قال بعض الكبار العاقل كلامه وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم به امره على قلبه فينظر فيه فان كان له اى لنفعه امضاه وان كان عليه اى لضرره امسكه والاحمق كلامه على طرف لسانه وعقله فى حجره اذا قام سقط قال امير المؤمنين على رضى الله عنه لسان العاقل فى قلبه وقلب الاحمق فى فمه والادب صورة العقل ولاشرف مع سوء الادب ولاداء اعيى من الجهل واذا تم العقل نقص الكلام * هركرا اندكست مايهٔ عقل * بيهده كفتنش بود بسيار * مرد راعقل چون بيفزايد * درمجامع بكاهدش كفتار * وفى الحديث كل كلام ابن آدم عليه لاله الا امر بمعروف اونهيا عن منكر وفى حديث آخر وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصائد السنتهم * والثالث ماقال بعض الكبار تدبر سر قوله تعالى ولو انهم صبروا الآية ولا تنظر الى سبب النزول وانتظر خروجه مرة ثانية لقيام الساعة وفتح باب الشفاعة فى هذه الدار نوما او يقظة فى الآخرة وهو الشافع فيهما وفى الحافرة وقد ثبت ان الناس يلتجئون يوم القيامة الى الانبياء ثم وثم الى ان يصلوا اليه فلا يصلون الى المراد الا عنده وفى الحديث انا اول ولد آدم خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وخطيبهم اذا أنصتوا وانا مشفعهم اذا ابلسوا وانا شفيعهم اذا حشروا ولواء الكرم بيدى وانا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر يطوف على الف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون * سرخيل انبيا وسپهدار اتقيا * سلطان بارگاه دنى قائد الامم * وانما كان خدامه الف المحققه بالف اسم من اسماء الله سبحانه وتعالى (يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق) اى فاسق كان (بنبأ) اى نبأ كان والنبأ الخبر يعنى خبرى بيارد كه موحش بود وموجب تألم خاطر فالتنكير للتعميم وفيه ايذان بالاحتراز عن كل فاسق وانما قال ان جاءكم بحرف الشك دون اذا ليدل على ان المؤمنين ينبغى ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق فى مكالمتهم بكذب ماوقال ابن الشيخ اخراج الكلام بلفظ الشرط المحتمل الوقوع لندرة مثله فيما بين اصحابه عليه السلام (فتبينوا) اى ان جاءكم فاسق بخبر يعظم وقعه فى القلوب فتعرفوا وتفحصوا حتى يتبين لكم ماجاء به أصدق هو ام كذب ولا تعتمدوا على قوله المجرد لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه روى ان الوليد بن عقبة بن ابى معيط اخا عثمان لامه وهو الذى ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابى وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر ركعة ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم بعثه عليه السلام مصدقا الى بنى المصطلق اى اخذ اوقابض الصدقات هم وزكاتهم وكان بينه وبينهم احنة اى حقد وبغض كامن فى الجاهلية بسبب دم فلما سمعوا بقدومه استقبلوه ركبانا فحسب انهم مقاتلوه فرجع هاربا وقال لرسول الله عليه السلام قد ارتدوا ومنعوا الزكاة وهموا بقتلى فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد بعد رجوع الوليد بن عقبة عنهم فى عسكر وقال له اخف عنهم قدومك اليهم بالعسكر وادخل عليهم ايلا فتجسسها هل ترى شعار الاسلام وآدابه فان رأيت منهم ذلك فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم مايفعل بالكفار ففعل ذلك خالد وجاءهم وقت المغرب فسمع منهم اذان صلاتى المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين باذلين وسعهم ومجهودهم فى امتثال امر الله فأخذ منهم صدقاتهم وانصرف الى رسول الله واخبره الخبر فنزلت (ان تصيبوا) حذار ان تصيبوا (قوما بجهالة) حال من ضمير تصيبوا اى ملتبسين بجهالة بحالهم وكنه قصتهم (فتصبحوا) اى فتصيروا بعد ظهور براءتهم مما اسند اليهم (على مافعلتم) فى حقهم (نادمين) مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام مثل ادمن الامر اذا ادامه ومدن بالمكان اذا اقام به ومنه المدينة يعنى ان الندم غم يصحب الانسان صحبة لها دوام على ماوقع مع تمنى انه لم يقع ولزومه قد يكون لقوته من اول الامر وقد يكون لعدم غيبة موجبه وسببه عن الخاطر وقد يكون لكثرة تذكره ولغير ذلك من الاسباب وفى الآية دلالة على ان الجاهل لا بد ان يصير نادما على مافعله بعد زمان وفى ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل فى بعض المواد ورد عليه السلام شهادة رجل فى كذبة واحدة وقال ان شاهد الزور مع العشار فى النار وقال عليه السلام من شهد شهادة زور فعليه لعنة الله ومن حكم بين اثنين فلم يعدل بينهما فعليه لعنة الله وما شهد رجل

على رجل بالكفر الا بانه احدهما ان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه كما فى كشف الاسرار وفى الآية ايضا اشارة الى ترك الاستماع الى كلام الساعى والنمام والمغتاب للناس * كسى بيش من درجهان عاقلست * كه مشغول خو دوزجهان غافلست * كسى راكه نام آمد اندر ميان * به نيكوترين نام ونعتش بخوان * ازان همنشين تاتوانى كريز * كه مرفتنه خفته راكفت خيز * ميان دوكس جنك چون آتش است * سخن چين بدبخت هيزم كش است * ميان دو تن آتش آفروختن * نه عقلست خودد رميان سوختن * فلابد من التبين والتفحص ليظهر حقيقة الحال ويسلم المرء من الوبال ويفتضح الكذاب الدجال وفى الحديث التبين من الله والعجلة من الشيطان وفيها ايضا اشارة الى تسويلات النفس الفاسقة الامارة بالسوء ومجيئها كل ساعة بنبأ شهوة من شهوات الدنيا فتبينوا ربحها وخسرانها من قبل ان تصيبوا قوما من القلوب وصفاتها بجهالة مافيها من شفاء النفوس وحياتها ومرض القلوب وممانها فتصبحوا صباح القيامة وانتم على مافعلتم نادمون (واعلموا ان فيكم رسول الله) وبدانيد كه درميان شماست رسول الله وفائدة الامر الدلالة على انهم نزلوا منزلة الجاهلين لمكانه لتفريطهم فيما يجب من تعظيم شأنه فيكون قوله تعالى (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) استئنافا وقال بعضهم ان بما فى حيزها اساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار مابعده من قوله تعالى لو يطيعكم الخ فانه حال من احد الضميرين فى فيكم الاول المرفوع المستتر فيه العائد الى رسول الله المنتقل اليه من عامله المحذوف لان التقدير كائن فيكم اومستقر والثانى المجرور البارز والمعنى اى على الحال ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها اوكائنين على حالة الخ وهى انكم تريدون ان يتبع عليه السلام رأيكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهد والهلاك فعلى هذا يكون قوله لو يطيعكم الخ دليل وجوب تغيير تلك الحال اقيم مقام الحال وفيه ايذان بأن بعضهم زينوا لرسول الله الايتاع بمعنى المصطلح تصديقا لقول الوليد وانه عليه السلام لم يطع رأيهم والعنت محركة الفساد والاثم والهلاك ودخول المشقة على الانسان كما فى القاموس يقال عنت فلان اذا وقع فى امر يخاف منه التلف كما فى المفردات فهو من الباب الرابع مثل طرب يطرب طربا وقال الزمخشرى هو الكسر بعد الجبر كما قال فى تاج المصادر العنت بزه مند شدن ودر كارى افتيدن كه ازان بيرون نتواند آمد وشكسته شدن استخوان پس از جبر وقوله لمن خشى العنت منكم يعنى الفجور والزنى ومنه الاسير من المسلمين فى دار الحرب اذا خشى العنت على نفسه والفجور لا بأس بأن يتزوج امرأة منهم والتركيب يدل على مشقة وصيغة المضارع فى لو يطيعكم للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه السلام لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعنهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤوسا لامن اطاعته فى بعض مايرونه نادرا بل فيها استمالتهم بالمعروف قال فى علم البلاغة لو للشرط فى الماضى اى لتعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط فرضا مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء فيلزم عدم الثبوت والمضى فى جملتها اذ الثبوت ينافى التعليق والاستقبال ينافى الماضى فلا يعدل فى جملتها عن الفعلية الماضوية الا لنكتة فدخولها على المضارع نحو لو يطيعكم الخ لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا والفعل هو الاطاعة يعنى ان امتناع عنتكم بسبب امتناع استمراره على اطاعتكم فان المضارع يفيد الاستمرار ودخول لو عليه امتناع الاستمرار (ولكن الله حبب اليكم الايمان) الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك ببيان البراءتهم من اوصاف الاولين واحتادا لافعالهم وهم الكاملون الذين لا يعتمدون على كل ماسمعوه من الاخبار والتحبيب دوست كردانيدن اى ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم (وزينه) وحسنه (فى قلوبكم) حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بمايليق به من الاقوال والافعال وفى عين المعانى فى قلوبكم دون السنتكم مجردة ردا على الكرامية وقيل دون جوارحكم ردا على الشفعوية (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) ولذلك اجتنبتم مالا يليق بها مما لا خير فيه من آثارها واحكامها والتكريه هنا بمعنى التبغيض والبغض ضد الحب فالبغض نفار النفس عن الشئ الذى ترغب عنه والحب انجذاب النفس الى الشئ الذى ترغب فيه ولما كان فى التحبيب والتكريه معنى انتهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى قال فى فتح الرحمن معنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد اى العدل بظلم نفسه والعصيان الامتناع من الانقياد وهو شامل لجميع الذنوب والفسوق مختص بالكبائر (اولئك) المستثنون بقوله ولكن الله الخ (هم الراشدون)

اى السالكون الى الطريق السوى الموصل الى الحق وفى الآية عدول وتلوين حيث ذكر اولها على وجه المخاطبة وآخرها على المغايبة حيث قيل اولئك هم الراشدون ليعلم ان جميع من كان حاله هكذا فقد دخل فى هذا المدح كما قال ابو الليث (فضلا من الله ونعمة) اى وانعاما تعليل لحبب وكره وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله وهو التحبيب والتكريه مسند الى ضميرهم بمعنى ان المراد بالفاعل من قام به الفعل واسند هو اليه لامن اوجده ومن المعلوم ان الرشد قائم بالقوم والفضل والانعام قائم به تعالى فلا اتحاد (والله عليم) مبالغ فى العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل والتمايز (حكيم) يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة (وقال الكاشفى) والله عليم وخداى تعالى داناست بصدق وكذب حكم محكم كارست در امور بندگان وازحكمتهاى اوست كه بتحقيق اخبار ميفرمايد كه ازخبرهاء ناراست انواع فتنها مى زايد * هركز سخنان فتنه انگيز مكو * وآن راست كه هست فتنه ان نيز مكو * خامش كن وكرچاره نددارى زسخن * شوخى مكن وتند مشو تيز مكور * وفى الاية دليل على ان من كان مؤمنا لا يحب الفسق والمعصية واذا ابتلى بالمعصية فان شهوته وغفلته تحمله على ذلك لا لحبه للمعصية بل ربما يعصى حال الحضور لان فيه نفاذ قضائه تعالى شيخ اكبر قدس سره الاطهر مى فرمايد كه بعضى ازصالحان مرا خبر داد كه بفلان عالم درآمدم واو عظيم برنفس خود مسرف بود شيخ فرمود كه من آن عالم مسرف رانيز مى دانم وباوى اجتماع اتفاق افتاده بود ان عزيز صالح ميكويد كه چون بدر خانهٔ او رسيدم اباكر دازان سبب كه برصورتى نامشروع نشسته بود كفتم چاره نيست ازديدن او كفت بكويند كه من برچه حالم كفتم لابد است دستورى داد درآمدم وان خمر ايشان تمام شده بود بعضى ازحاضران كفت بفلانى رقعهٔ بنويس كه قدرى بفرستدان عالم كفت نكنم ونمى خواهم برمعصيت حق تعالى مصر باشم والله والله كه هيچ كاسه نمى خورم الا كه درعقب آن توبه ميكنم ومنتظر كاس ديكر نباشم وبانفس خود دران باب سخن نمى كويم چون بار ديكر ورمى رسد وساقى مى آيد درنفس خود نكاه ميكنم اكر راى من بران قرار كيرد كه بكيرم مى ستانم وچون فارغ شدم باز بحق رجوع ميكنم وتوبه مى آرم درمرو راوقات درخاطر من نيست كه عصيان كنم آن عزيز مى كويد كه باوجود عصيان واسراف او تعجب نمودم كه چكونه ازمنزل اين حضور غافل نشد پس حذر كنى ازاصرار كردن بركناه بلكه درهر حالت توبه كنى وبحق تعالى باز كردى براثر هر عصيانى عذرى بخواه طريق بدست اروصلحى بجوى * شفيعى برانكيز وعذرى بكوى * كه بكلمه صورت نبندد امان * چوبيكانه پرشد بدور زمان (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) اى تقاتلوا والجمع حيث لم يقل اقتتلتا على التثنية والتأنيث باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع والطائفة من الناس جماعة منهم لكنها دون الفرقة كما دل عليه قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وطائفتان فاعل فعل محذوف وجوبا لا مبتدأ لان حرف الشرط لا يدخل الا على الفعل لفظا او تقديرا والتقدير وان اقتتل طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فحذف الاول لئلا يلزم اجتماع المفسر والمفسر واصل القتل ازالة الروح عن الجسد (فاصلحوا بينهما) ثنى الضمير باعتبار اللفظ والصلاح الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والاصلاح جعل الشئ على تلك الحالة وبالفارسية باصلاح آوردن اى فاصلحوا بين تينك الطائفتين بالنصح والدعاء الى حكم الله قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله من وصل اخاه بنصيحة فى دينه ونظره فى صلاح دنياه فقد احسن صلته وقال مطرف وجدنا انصح العباد لله الملائكة ووجدنا اغش العباد لله الشياطين يقال من كتم السلطان نصحه والاطباء مرضه والاخوان بعده فقد خان نفسه والاصلاح بين الناس اذا تفاسدوا من اعظم الطاعات واتم القربات وكذا نصرة المظلوم وفى الحديث الا اخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يارسول الله قال اصلاح ذات البين وقال لقمان يابنى كذب من يقول ان الشر يطفئ الشر فان كان صادقا فليوقد نارين ثم لينظر هل تطفئ احداهما الاخرى وانما يطفئ الماء النار وفى الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه فى البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره الا ان يغرف له منها ولا يشترى لبنيه الفاكهة فيخرجون بها الى صبيان جاره ولا يطعمونهم منها وقال بعض العارفين سعى الانسان فى مصالح غيره من اعظم القربات الى الله تعالى وتأمل فى موسى عليه السلام لما خرج يمشى فى ظلمة فى حق اهله ليطلب لهم نارا يصطلون بها ويقضون بها الامر الذى لا يقضى الا بها فى العادة كيف اتضح له ذلك الطلب سماع كلام ربه من غير واسطة ملك فكلمه الله فى عين حاجته وهى

النار ولم يكن يخطر له هذا المقام بخاطر فلم يحصل له الا في وقت السعي في مصالح العيال وذلك ليعلمه الله بما في قضاء حوائج العائلة من الفضل فيزيد حرصا في سعيه في حقهم لانهم عبيده على كل حال وكذلك لما وقع لموسى الفرار من الاعداء الذين طلبوا قتله انتج له ذلك الفرار الحكم والرسالة كما قال ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وذلك لان فراره كان سعيا في حق الغير الذي هو النفس الناطقة المالكة تدبير هذا البدن فان فرار الكاردآئما انما يكون في حق الغير لا في حق انفسهم فكان الفار من موسى النفس الحيوانية وكذلك لما خرج الخضر عليه السلام يرتاد الماء لجيش الذي كان معه حين فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها عاش الى زمننا هذا والحال انه كان لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة فلما عاد وأخبر اصحابه بالماء سارعوا الى ذلك الموضع ليستقوا منه فأخذ الله ابصارهم عنه فلم يهتدوا الى موضعه (كما قال الحافظ) سكندر رانمى بخشند آبى * بزور وزر مبسر نيست اين كار * فانظر ما انتج له سعيه في حق الغير واعمل عليه والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف وهي اغصان النخل اذا يبست والنعال فقال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي عليه السلام مر يوما على ملأ من الانصار فيهم عبد الله بن ابي المنافق ورسول الله عليه السلام على حماره فوقف عليهم يعظهم فبال حماره أو راث فأمسك عبد الله بن ابي انفه وقال نح عنا نتن حمارك فقد آذينا بنتنه فمن جاءك منافعظه فسمع ذلك عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فقال الحمار رسول الله تقول هذا والله ان بول حمار رسول الله اطيب رائحة منك فر عليه السلام وطال الكلام بين عبد الله بن ابي المنافق الخزرجي وعبد الله ابن رواحة الاوسي حتى استبا وتجالدا وجاء قوم كل واحد منهما من الاوس والخزرج وتجالدوا بالعصى او بالنعال والايدي او بالسيف ايضا فنزلت الآية فرجع اليهم رسول الله فقرأها عليهم واصلح بينهم فان قيل عبد الله بن ابي كان منافقا والآية في طائفتين من المؤمنين قلنا احدى الطائفتين هي عبد الله بن ابي وعشيرته ولم يكن كلهم منافقين فالآية تتناول المؤمنين منهم او المراد بالمؤمنين من اظهر الايمان سواء كان مؤمنا حقيقة او ادعاء وقيل في سبب النزول غير هذا ويحتمل ان تكون الروايات كلها صحيحة ويكون نزول الآية عقيب جميعها وقال ابن بحر القتال لا يكون بالنعال والايدي وانما هذا في المنتظر من الزمان انتهى يقول الفقير فسروا القتل بفعل يحصل به زهوق الروح كالضرب بآلة الحرب والحدد ولو من خشب ونحو ذلك مما يفرق الاجزاء ولا شك ان السعف من قبيل الخشب المحدد واما النعال فان بعضها يعمل عمل الخشب المحدد كما شاهدنا في نعال بعض الاعراب على ان القتال قد يستعمل مجازا في المحاربة والمضاربة فقد وقع القتل مطلقا في زمن النبي عليه السلام واما حرف الشرط فاشارة الى انه لا ينبغي ان يصدر القتال من المؤمنين الا فرضا مع ان خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم فالآية عامة في جميع المسلمين الى يوم القيامة على تقدير القتال فاعرف (فان بغت) اى تعدت يقال بغى عليه بغيا علا وظلم وعدل عن الحق واستطال كما في القاموس واصل البغي طلب ما ليس بمستحق فان البغي الطلب (احداهما) وكانت مبطلة (على الاخرى) وكانت محقة ولم تتأثر اى الباغية بالنصيحة (فقاتلوا التي تبغي) اى قاتلوا الطائفة الباغية (حتى تفيء) اى ترجع فان الفيء الرجوع على حالة محمودة (الى امر الله) اى الى حكمه الذي حكم به في كتابه العزيز وهو المصالحة ورفع العداوة والى ما امر به وهو الاطاعة المدلول عليها بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فأمر الله على الاول واحد الامور وعلى الثاني واحد الاوامر وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس اى ازالتها اياه فان الشمس كلما ازدادت ارتفاعا ازداد الظل انتساخا وذلك الى ان توازي الشمس خط نصف النهار فاذا زالت عنه وأخذت في الانحطاط اخذ الظل في الرجوع والظهور فلما كان الزوال سببا لرجوع ما انتسخ من الظل اضيف الظل الى الزوال فقيل فيء الزوال واطلق ايضا على الغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين وتلك الاموال وان لم تكن اولا للمسلمين لكنها لما كانت حقهم ليتوسلوا بها الى طاعته تعالى كانت كأنها لهم اولا ثم رجعت * ومر الاصمعي يوما من احياء العرب فوجد صبيا يلعب مع الصبيان في الصحراء ويتكلم بالفصاحة فقال الاصمعي اين ابالك يا صبي فمد يده الى الصبي ولم يجب ثم قال اين ابوك فقال فاء الى الفيء فطلب الفيء فاذا فاء الفيء فاء اى رجع (فان فاءت) اليه واقلعت عن القتال حذارا من قتلكم (فاصلحوا بينهما بالعدل) والانصاف بفصل ما بينهما على حكم الله ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر (قال الحافظ) جو ببارملك را آب سر شمشير تست * خوش درخت

عدل بنشان بيخ بدخواهان بكن * قال كيخسروا عظم الخطايا محاربة من يطلب الصلح وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا دون الاول لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وهي تورث الاحن في الغالب وقد أكد ذلك حيث قيل (واقسطوا) اى واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون من اقسط اذا زال القسط بالفتح اى الجور يقال اذا جاء القسط بالكسر اى العدل زال القسط بالفتح اى الجور وقال بعضهم الاقساط ان يعطي قسط غيره اى نصيبه وذلك انصاف (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين الذين يؤدون لكل ذي حق حقه فيجازيهم باحسن الجزاء (قال الكاشفي) عدل راشكر هست جان افزاى * عدل مشاطه ايست ملك اراى * عدل كن زانكه درولايت دل * درينغمبرى زند عادل (وقال الحافظ) شاه رابه بود از طاعت صد ساله وزهد * قدريك ساعته عمرى كه درودا دكند * قال بعض الكبار كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وان كان الحق ما استخلفه بالخطاب الالهي فان من الخلفاء من أخذ المرتبة بنفسه من غير عهد الهي اليه بها وقام بالعدل في الرعايا استنادا الى الحق كما قال عليه السلام ولدت في زمان الملك العادل يعني كسرى فسماه ملكا ووصفه بالعدل ومعلوم ان كسرى في ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من وراء الحجاب وخرج بقولنا وقام بالعدل في الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وامثاله من المنازعين لحدود الله والمغالبين لجنابه بمغالبة رسله فان هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى كالرسل ولا نوابه كالملوك العادلة بل هم اخوان الشياطين قال بعضهم شه كسرى ازظلم ازان ساده است * كه درعهد اومصطفى زاده است * اى كان عدله من انعكاس نورانيته صلى الله عليه وسلم فاعرف جدا و في الآية دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان لان احدى الطائفتين فاسقة لا محالة اذ اقتتلتا وقد سماهما مؤمنين وبه يظهر بطلان ما ذهب اليه المعتزلة والخوارج من خروج مرتكب الكبيرة عن الايمان ويدل عليه ما روى عن علي رضي الله عنه انه سئل وهو القدوة في قتال اهل البغي أعلمنا اهل الجمل وصفين أمشركون هم فقال لا من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا وايضا فيها دلالة على ان الباغي اذا امسك عن الحرب ترك لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليهم بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة بدلالة قوله فأصلحوا بينهما فان النصح والدعاء الى حكم الله اذا وجب عند وجود البغي من الطائفتين فلان يجب عند وجوده من احداهما اولى لان ظهور اثره فيها ارجى واعلم ان الباغي في الشرع هو الخارج على الامام العادل وبيانه في الفقه في باب البغاة قال سهل رحمه الله في هذه الآية الطائفتان هما الروح والقلب والعقل والطبع والهوى والشهوة فان بغي الطبع والهوى والشهوة على العقل والقلب والروح فليقاتل العبد بسيوف المراقبة وسهام المطالعة وانوار الموافقة ليكون الروح والعقل غالبا والهوى والشهوة مغلوبا وقال بعضهم النفس اذا ظلمت على القلب باستيلاء شهواتها واستعلائها في فسادها يجب ان تقاتل حتى تئخن بالجراعة بسيوف المجاهدة فان استجابت بالطاعة فيعفى عنها لانها هي المطية الى باب الله ولا بد من العدل بين القلب والنفس لئلا يظلم القلب على النفس كما لا يظلم النفس على القلب لان لنفسك عليك حقا فسأل الله اصلاح البال واعتدال الحال (انما المؤمنون اخوة) جمع الاخ واصله المشارك لآخر في الولادة من الطرفين او من احدهما او من الرضاع ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة او في الدين او في صنعة او في معاملة او في مودة او في غير ذلك من المناسبات والفرق بين الخلة والاخوة ان الصداقة اذا قويت صارت اخوة فان ازدادت صارت خلة كما في احياء العلوم وسئل الجنيد قدس سره عن الاخ فقال هو انت في الحقيقة الا انه غيرك في الشخص قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من الصداقة ويقع احدهما موقع الآخر وفي الحديث وكونوا عباد الله اخوانا والمعنى انما المؤمنون منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية كما ان اخوة من النسب منتسبون الى اصل واحد هو الاب الموجب للحياة الفانية فالآية من قبيل التشبيه البليغ المبني على تشبيه الايمان بالاب في كونه سبب الحياة كالاب (فاصلحوا بين اخويكم) الفاء للايذان بأن الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه (واتقوا الله) في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح وفي التأويلات النجمية واتقوا الله في اخوتكم في الدين بحفظ عهودهم ورعاية حقوقهم في المشهد والمغيب والحياة والممات (لعلكم ترحمون)

راجين ان ترحموا على تقوالكم كما ترحمون واعلم ان اخوة الاسلام اقوى من اخوة النسب بحيث لا تعتبر اخوة النسب اذا خلت عن اخوة الاسلام الا ترى انه اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لاخيه الكافر وكذا اذا مات اخ الكافر وذلك لان الجامع الفاسد لا يفيد الاخوة وان المعتبر الاصلى الشرعى الا يرى ان ولدى والزنى من رجل واحد لا يتوارثان وهذا المعنى يستفاد من الآية ايضا لان انما للحصر فكأنه قيل لا اخوة الا بين المؤمنين فلا اخوة بين المؤمن والكافر وكسب المرتد حال اسلامه لوارثه المسلم لاستناده الى ما قبل الردة فيكون توريث المسلم من المسلم واما كسبه حال ردته فهو فيئ يوضع فى بيت المال لانه وجد بعد الردة فلا يتصور استناده الى ما قبلها وفى الحديث كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى مرادبان نسب دين وتقواست نه نسب آب وكل والا ابو لهب رادران نصيب بودى كافى كشف الاسرار قال بعض الكبار القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اقسام لانها اما قرابة فى الصورة فقط او فى المعنى فقط او فى الصورة والمعنى فاما القرابة فى الصورة فلا يخلو اما ان تكون بحسب طينته كالسادات الشرفاء او بحسب دينه وعلمه كالعلماء والصالحين والعباد وسائر المؤمنين وكل منهما نسبة صورية واما قرابته عليه السلام فى المعنى فهم الاولياء لان الولى هو ولده الروحى القائم بما تهيأ لقبوله من معناه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت اشارة الى القرابة المعنوية واما القرابة فى الصورة والمعنى معا فهم الخلفاء والائمة القائمون مقامه سواء كان قبله كأكابر الانبياء الماضين او بعده كالاولياء الكاملين وهذه اعلى مراتب القرابة وتليها القرابة الروحية ثم القرابة الصورية الدينية ثم القرابة الطينية فان جمعت ما قبلها فهى الغاية وقال بعضهم ان الله خلق الارواح من عالم الملكوت والاشباح من عالم الملك ونفخ فيها تلك الارواح وجعل بينهما النفوس الامارة التى ليست من قبيل الارواح ولا من قبيل الاشباح وجعلها مخالفة للارواح ومساكنها اى الاشباح فأرسل عليها جند العقول ليدفع بها شرها وهى العقول المجردة الاخروية والا فالعقول الغريزية والدنيوية لا تقدر على الدفع بل هى معينة للنفس فاذا امتحن الله عباده المؤمنين هيج نفوسهم الامارة ليظهر حقائق درجاتهم من الايمان والاخوة وامرهم ان يعينوا العقل والروح والقلب على النفس حتى تنهزم لان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فهم كنفس واحدة لان مصادرهم مصدرهم واحد وهو آدم عليه السلام ومصدر روح آدم نور الملكوت ومصدر جسمه تربة الجنة فى بعض الاقوال ولذلك يصعد الروح الى الملكوت والجسم الى الجنة كما قال عليه السلام كل شئ يرجع الى اصله وفى التأويلات النجمية اعلم ان اخوة النسب انما تثبت اذا كان منشأ النطف صلبا واحدا فكذلك اخوة الدين منشأ نطفها صلب النبوة وحقيقة نطفها نور الله فاصلاح ذات بينهم برفع حجب استتار البشرية عن وجوه القلب ليتصل النور بالنور من روزنة القلب ليصيروا كنفس واحدة كما قال عليه السلام المؤمنون كنفس واحدة ان اشتكى عضو واحد تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر * بنى آدم اعضاى يكديكرند * كه در آفرينش زيك جوهرند * چو عضوى بدرد اورد روزكار * دكر عضوها رانماند قرار * ومن حق الاخوة فى الدين ان تحب لاخيك ما تحب لنفسك ويسرك ما يسره ويسوءك ما يسوءه وان لا تحوجه الى الاستعانة بك وان استعان تعنه وتنصره ظالما ومظلوما فتمنعه اياه عن الظلم فذلك نصرك اياه وفى الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ومن حقه ان لا تقصر فى تفقد أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته فيحتاج الى مسألتك وان لا تلجئه الى الاعتذار بل تبسط عذره فان اشكل عليك وجهه عدت باللائمة على نفسك فى خفاء عذره وتتوب عنه اذا اذنب وتعوده اذا مرض واذا اشار اليك بشئ فلا تطالبه بالدليل وايراد الحجة كما قالوا

لا يسألون اخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

وقالوا اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهمو * لأية حرب ام باى مكان

والاستنجاد يارى خواستن قيل لفيلسوف ما الصديق فقال اسم بلا مسمى وقال فضيل لسفيان دلنى على من اركن اليه فقال ضالة لا توجد وقال ابو اسحق الشيرازى

سألت الناس عن خل وفى * فقالوا ما الى هذا سبيل
تمسك ان ظفرت بو دحر * فان الحر فى الدنيا قليل

قيل ابعد الناس سفرا من كان سفره فى طلب اخ صالح قال اعرابى اللهم احفظنى من الصديق فقيل له فى ذلك قال الحذر منه اكثر من الحذر من العدو وقال على رضى الله عنه اخوان هذا الزمان جواسيس العيوب وقد احسن من قال الاخ الصالح خير لك من نفسك لان النفس امارة بالسوء والاخ لا يأمرك الا بخير وقيل الدنيا بأسرها لا تسع منه غضبين وشبر بشبر يسع المتحابين كما قال الحكماء ده درويش در كلبى بخسبند دو پادشاه در اقليمى نگنجند * واعلم ان المواخاة امر مسنون من لدن النبى عليه السلام فانه آخى بين المهاجرين والانصار (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر) السخرية ان يحقر الانسان اخاه ويستخفه ويسقطه عن درجته وبمده ممن لا يلتفت اليه اى لا يستهزئ (قوم) اى منكم وهو اسم جمع لرجل (من قوم) آخرين ايضا منكم والتنكير اما للتعميم او للتبعيض والقصد الى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجرى بين بعض وبعض فان قلت المنهى عنه هو ان يسخر جماعة من جماعة فيلزم ان لا يحرم سخرية واحد من واحد قلت اختيار الجمع ليس للاحتراز عن سخرية الواحد من الواحد بل هو لبيان الواقع لان السخرية وان كانت بين اثنين الا ان الغالب ان تقع بمحضر جماعة يرضون بها ويضحكون بسببها بدل ما وجب عليهم من النهى والانكار ويكونون شركاء الساخر فى تحمل الوزر ويكونون بمنزلة الساخرين حكما فنهوا عن ذلك بمعنى انه من نسبة فعل البعض الى الجميع لرضاهم به فى الاغلب او لوجوده فيما بينهم والقوم مختص بالرجال لانهم قوامون على النساء ولهذا عبر عن الاناث بما هو مشتق من النسوة بفتح النون وهو ترك العمل ويؤيده قول زهير

وما ادرى وليست الظن ادرى * أقوم آل حصن ام نساء

عسى ان شايد (ان يكونوا) باشند (خيرا منهم) تعليل للنهى اى عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله من الساخرين ولا خير لعسى لاغناء الاسم عنه (ولا نساء) اى ولا تسخر نساء من المؤمنات وهو اسم جمع لامرأة من نساء) منهن وانما لم يقل امرأة من رجل ولا بالعكس للاشعار بان مجالسة الرجل المرأة مستقبح شرعا حتى منعوها عن حضور الجماعة ومجالس الذكر لان الانسان انما يسخر ممن يلابسه غالبا (عسى ان يكن) المسخور منهن (خيرا منهن) اى من الساخرات فان مناط الخيرية فى الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التى عليها يدور امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة فى القلوب فلا يجرئ احد على استحقار أحد فلعله اجمع منه لما تنيط به من الخيرية عند الله فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله واستهانة من عظمه الله وفى التأويلات النجمية يشير الى انه لا عبرة بظاهر الخلق فلا تنظر الى احد بنظر الازراء والاستهانة والاستخفاف والاستحقار لان فى استحقارا خيك عجبا نفسك مودع كما نظر ابليس بنظر الحقارة الى آدم عليه السلام فأحبط نفسه فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فلعن الى الابد لهذا المعنى فمن حقر أخاه المسلم وظن انه خير منه يكون ابليس وقته واخو آدم وقته ولهذا قال تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم فبالقوم يشير الى اهل المحبة وارباب السلوك فانهم مخصوصون بهذا الاسم كما قال تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه يعنى لا ينظر المنتهى من ارباب الجذب بنظر الحقارة الى المبتدئ والمتوسط عسى ان يكونوا خيرا منهم فان الامور بخواتيمها ولهذا قال اوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى وقال عليه السلام رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لأبره قال معروف الكرخى يوما لتلميذه السرى السقطى قدس الله سرهما اذا كانت لك الى الله حاجة فأقسم عليه بى ومن هنا اخذوا قولهم على ظهر المكاتيب بحرمة معروف الكرخى والله اعلم يقول البغداديون فيه معروف ترياق مجرب وبالنساء يشير الى عوام المسلمين لانه تعالى عبر عن الخواص بالرجال فى قوله رجال لا تلهيهم تجارة وقوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه يعنى لا ينبغى لمسلم ما أن ينظر الى مسلم ما بنظر الحقارة عسى ان يكن خيرا منهن ان هذا المعنى يشير ثم نقول ان للملائكة شركة مع ابليس فى قولهم لآدم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كان فى نظرهم اليه بالحقارة واعجاب انفسهم مودعا ولكن الملائكة لم يصروا على ذلك الاعجاب وتابوا الى الله ورجعوا عما قالوا فعاجلهم الله تعالى بامتحادهم لآدم لان فى السجود غاية الهوان والذلة لساجد وغاية العظمة والعزة للمسجود فلما كان فى تحقير آدم هو انه وذلته وعزة الملائكة وعظمتهم امرهم بالسجود لان علاج العلل باضدادها قال عنهم علة العجب وقد أصر ابليس على قوله وفعله ولم يتب فأهلكه الله بالطرد واللعن وكذلك حال من ينظر الى اخيه المسلم بنظر الحقارة (قال الحافظ) مكن بچشم حقارت نگاه برمن مبست * كه نيست معصيت وزهدى مثبت او * قال ابن عباس رضى الله عنه نزلت الآية فى ثابت بن قيس بن شماس

رضى الله عنه كان فى اذنه وقر وكان اذا اتى مجلس رسول الله عليه السلام وقد سبقوه بالمجلس وسعوا له حتى يجلس الى جنبه عليه السلام يسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبى عليه السلام من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جاء لا يجد مجلسا فيقوم على رجليه فلما فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله يتخطى رقاب الناس وهو يقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى الى رسول الله بينه وبينه رجل فقال له تفسح فلم يفعل فقال من هذا فقال له الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد امه كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل ونكس رأسه فأنزل الله هذه الآية (وروى) ان قوله تعالى ولا نساء من نساء نزل فى نساء النبى عليه السلام عيرن ام سلمة بالقصر او أن عائشة رضى الله عنها قالت ان ام سلمة جميلة لولا انها قصيرة وقيل ان الآية نزلت فى عكرمة بن ابى جهل حين قدم المدينة مسلما بعد فتح مكة فكان المسلمون اذا رأوه قالوا هذا ابن فرعون هذه الامة فشكا ذلك للنبى عليه السلام فقال عليه السلام لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات ونزلت الآية * هميشه درصدد عيب جوئى خويشم * نبوده ايم بى عيب ديكران هركز * قال ابو الليث ثم صارت الآية عامة فى الرجال والنساء فلا يجوز لاحد ان يسخر من صاحبه او من احد من خلق الله وعن ابن مسعود البلاء موكل بالقول وانى لاخشى اوسخرت من كلب ان احول كلبا وذلك لان المؤمن ينبغى أن ينظر الى الخالق فانه صنعه لا الى المخلوق فانه ليس بيده شئ فى الحسن والقبح ونحوهما قيل للقصان ما اقبح وجهك فقال تعيب بهذا على النقش أو على النقاش نسأل الله الوقوف عند امره ونعوذ به من قهره (قال الحافظ) نظر كردن بدرويشان منافئ بزركى نيست * سليمان باچنان حشمت نظرها كرد بامورش * يشير الى التواضع والنظر الى الادانى بنظر الحكمة (ولا تلمزوا انفسكم) اللمز الطعن باللسان وفى تاج المصادر عيب كردن والاشارة بالعين ونحوه والغاير يفعل ويفعل ولم يخص السخرية بما يكون باللسان فالنهى الثانى من عطف الخاص على العام بجعل الخاص كأنه جنس آخر للمبالغة ولهذا قيل

جرحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان

والمعنى ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة والافراد المنتشرة بمنزلة اعضاء تلك النفس فيكون ما يصيب واحدا منهم كأنه يصيب الجميع اذا اشتكى عضو واحد من شخص تداعى سائر الاعضاء الى الحمى والسهر فتى عاب مؤمنا فكأنما عاب نفسه كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم (ع) عيب هركس كه كنى هم بتو مى كردد باز * وفى التأويلات النجمية انما قال انفسكم لان المؤمنين كنفس واحدة ان عملوا شرا الى احد فقد عملوا الى انفسهم وان عملوا خيرا الى احد فقد عملوا الى انفسهم كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها (قال الحافظ) عيب رندان مكن اى زاهد پاكيزه سرشت * كه كناهد كران برتو نخوا هند نوشت * ويجوز ان يكون معنى الآية ولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه اى تسبب للمز نفسه والا فلا طعن باللسان لنفسه منه فهو من اطلاق المسبب وارادة السبب وقال سعدى المفتى ولا يبعد ان يكون المعنى لا تلمزوا غيركم فان ذلك يكون سببا لان يبحث الملموز عن عيوبكم فيلمزكم فتكونوا لامزين انفسكم فالنظم حينئذ نظير ما ثبت فى الصحيحين من قوله عليه السلام من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه انتهى يقول الفقير هو مسبوق فى هذا المعنى فان الامام الراغب قال فى المفردات اللمز الاغتياب وتتبع المعايب اى لا تلمزوا الناس فيلمزوكم فتكونوا فى حكم من لمز نفسه انتهى ولا يدخل فى الآية ذكر الفاسق لقوله عليه السلام اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس يقول الفقير اشار التعليل فى الحديث الى أن ذكر الفاجر بما فيه من العيوب انما يصح بهذا الغرض الصحيح وهو ان يحذر الناس منه ومن عمله والا فالامساك مع ان فى ذكره تلويث اللسان الطاهر ولذا نقل عن بعض المشايخ انه لم يلعن الشيطان اذ ليس فيه فائدة سوى اشتغال اللسان بما لا ينبغى فان العداوة له انما هى بمخالفة لا بلعنه فقط وفى الحديث طوبى لمن يشغله عيبه عن عيوب الناس وفى الآية اشارة الى ان الانسان لا يخلو عن العيب قيل لسقراط هل من انسان لا عيب فيه قال لو كان انسان لا عيب فيه لكان لا يموت ولذا قال الشاعر

ولست بمستبق اخا لا تلمه * على شعث اى الرجال المهذب

اى لا مهذب فى الرجال يخلو من التفرق والعيوب فمن اراد اخا مهذبا وطلب صديقا منقحا لا يجده فلا بد من الستر

(قال الصائب) زدیدن کردهام معزول چشم عیب بینی را * اگر بر خارمی بینم کل بخسارمی بینم (وقال) بعیب خویش اگر راه بردمی صائب * بعیب جوئی مردم چه کار داشتمی (ولا تنابزوا بالالقاب) النبز بسکون الباء مصدر نبزه بمعنی لقبه وبالفارسیة لقب نهادن وتنابزوا بالالقاب لقب بعضهم بعضا فان التنابز بالفارسیة یکدیکر رابلقب خواندن وبفتحها اللقب مطلقا ای حسنا کان اوقبیحا ومنه قیل فی الحدیث قوم نبزهم الرافضة ای لقبهم ثم خص فی العرف باللقب القبیح وهو مایکره المدعو أن یدعی به واللقب ماسمی به الانسان بعد اسمه اعلم من لفظ یدل علی المدح اوالذم لمعنی فیه والمعنی ولایدع بعضکم بعضا بلقب السوء قالوا ولیس من هذا قول المحدثین لسلیمان الاعمش وواصل الاحدب ونحوه مما تدعو الضرورة الیه ولیس فیه قصد استخفاف ولااذی وفیه اشارة الی ان اللقب الحسن لاینهی عنه مثل محیی الدین وشمس الدین وبهاء الدین وفی الحدیث من حق المؤمن علی اخیه ان یسمیه بأحب اسمائه الیه (بئس الاسم الفسوق بعد الایمان) الاسم هنا لیس مما یقابل اللقب والکنیة ولامایقابل الفعل والحرف بل بمعنی الذکر المرتفع لانه من السمو یقال طار اسمه فی الناس بالکرم او باللؤم ای ذکره والفسوق هو المخصوص بالذم وفی الکلام مضاف مقدر وهو اسم الفسوق ای ذکره والمعنی بئس الذکر المرتفع للمؤمنین ان یذکروا بالفسوق بعد دخولهم الایمان واشتهارهم به وفی التأویلات النجمیة بئس الاسم اسم یخرجهم من الایمان والمراد به اما تعجیب نسبة الکفر والفسوق الی المؤمنین خصوصا اذروی ان الآیة نزلت فی صفیة بنت حیی رضی الله عنها اتت رسول الله باکیة فقالت ان النساء یقلن لی وفی عین المعانی قالت لی عائشة رضی الله عنها یایهودیة بنت یهودیین فقال علیه السلام هلا قلت ان أبی هرون وعمی موسی وزوجی محمد علیهم السلام اوالدلالة علی ان التنابز مطلقا لابالکفر والفسوق خصوصا فسق الجمع بینه وبین الایمان قبیح فدخل فیه زید الیهودی وعمرو النصرانی وبکر الکافر وخالد الفاسق ونحو ذلک والعجب من العرب یقولون للمؤمنین من اهل الروم نصاری فهم داخلون فی الذم ولا ینفعهم الا فتخارهم بالانساب فان التفاضل بالتقوی کما سیجیء ونعم ماقیل

وماینفع الاصل من هاشم * اذا کانت النفس من باهله

وماقیل چه غم زمنقصت صورت اهل معنی را * چوجان زروم بود کوتن ازحبش می باش *. وفی الحدیث من عیر مؤمنا بذنب تاب منه کان حقا علی الله أن یبتلیه به ویفضحه فیه فی الدنیا والآخرة وفی الفقه لو قال رجل لصالح یافاسق ویاابن الفاسق ویافاجر ویاخبیث ویامخنث ویامجرم ویامباحی ویاجیفة ویابلید ویاابن الخبیثة ویاابن الفاجرة ویاسارق ویاص ویاکافر ویازندیق ویاابن القحبة ویاابن قرطبان ویالوطی ویالاعب الصبیان ویاآکل الربا ویاشارب الخمر وهو بریء منه وبادیوث ویابی نماز ویامنافق ویاخائن ویامأوی الزوانی ویامأوی اللصوص ویاحرام زاده یعزر فی هذا کله وفی الفتاوی الزینیة سئل عن رجل قال لآخر یافاسق واراد أن یثبت فسقه بالبینة لیدفع التعزیر عن نفسه هل تسمع بینته بذلک اولا اجاب لاتسمع بینته بذلک انتهی وهو ینافی ظاهر ماقالوا من ان المقول له اولم یکن رجلا صالحا وکان فیه ماقیل فیه من الاوصاف لایلزم التعزیر (ومن لم یتب) عما نهی عنه (فاولئک هم الظالمون) بوضع العصیان موضع الطاعة وتعریض النفس للعذاب والظلم اعم من الفاسق والفاسق اعم من الکافر وفی التأویلات النجمیة ومن لم یتب یعنی من مقالة ابلیس وفعاله بان ینظر الی نفسه بالعجب والی غیره بالحقارة فاولئک هم الظالمون فیکونون منخرطین فی سلک اللعنة والطرد مع ابلیس کما قال تعالی الا لعنة الله علی الظالمین انتهی وفیه دلالة بینة علی ان الرجل بترک التوبة یدخل مدخل الظلمة فلا بد من توبة نصوح من جمیع القبائح والمعاصی لاسیما ماذکر فی هذا المقام (قال الصائب) سرمایهٔ نجات بود توبهٔ درست * باکشتیٔ شکسته بدریا چه میروی * ومن اصر اخذ سریعا لان اقرب الاشیاء صرعة الظلوم وانفذ السهام دعوة المظلوم وتختلف التوبة علی حسب اختلاف الذنب فبعض الذنوب یحتاج الی الاستغفار وهو مادون الکفر وبعضها یحتاج معه الی تجدید الاسلام والنکاح ان کانت له امرأة وکان بعض الزهاد یجدد عند کل ذنب ایمانا بالله وتبرئا من الکفر احتیاطا کما فی زهرة الریاض یقول الفقیر یشیر الیه القول المروی عن رسول الله صلی الله علیه وسلم اللهم انی اعوذ بک من أن اشرک بک شیئا وانا اعلم واستغفرک لما لا أعلم ولاشک ان الانبیاء معصومون من الکفر قبل الوحی وبعده باجماع العلماء ومن سائر الکبائر عمدا بعد الوحی فاستغفارهم لایکون الا عما لا یلیق بشانهم من ترک الاولی ونحوه علی مافصل فی اول سورة الفتح فدل قوله وأستغفرک لما لا أعلم علی انه قد یصدر من الانسان الذنب وهو

لايشعر وذلك بالنسبة الى الامة قد يكون كفرا وقد يكون غيره فكما لابد من الاستغفار بالتشبة الى عامة الذنوب فكذا لابد من تجديد الاسلام بالنسبة الى الكفر وان كان ذلك احتياطا اذ باب الاحتياط مفتوح فى كل شأن الا نادرا وقد صح ان اتيان كلمة الشهادة على وجه العادة لايرفع الكفر فلابد من الرجوع قصدا عن قول وفعل ليس فيهما رضى الله وهو باستحضار الذنب ان علم صدوره منه او بالاستغفار مطلقا ان صدر عنه ولو كان ذلك كفرا على انا نقول ان امكان صدور الكفر عام للعوام والخواص مادام لم يصلوا الى غاية الغايات وهى مرتبة الذات الاحدية واليه يشير قول سهل التسترى قدس سره ولو وصلوا مارجعوا الا ترى ان ابليس كفر بالله مع تمكنه فى الطاعات خصوصا فى العرفان فانه اعلم كثيرا من اهل المعرفة لكنه كان من شأنه الكفر والرجوع الى المعصية لانه لم يدخل عالم الذات ولو دخل لم يتصور ذلك منه اذ لا كفر بعد الايمان العيانى ولهذا قال عليه السلام اللهم انى اسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا ليس بعده كفر فاعرف (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) اى كونوا على جانب منه وابعدوا عنه فان الاجتناب بالفارسية بايك سوشدن والظن اسم لما يحصل من امارت ومتى قويت ادت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم تتجاوز حد التوهم وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتأمل فى كل ظن ظن حتى يعلم انه من اى قبيل وتوضيح المقام ان كثيرا من المبينين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المأمور باجتنابه بعض الظن الا انه علق الاجتناب بقوله كثيرا لبيان انه كثير فى نفسه ولابد لنا من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره فلو عرف وقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف للاشارة الى مايعرفه المخاطب بأنه ظن كثير غير قليل ولو نكر يكون تنكيره للافراد والبعضية ويكون المأمور باجتنابه بعض افراد الظن الموصوف بالكثرة من غير تعيينه اى بعض هو وفى التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة وهى ان يحتاط المكلف ولا يجترئ على ظن ما حتى يتبين عنده انه مما يصح اتباعه ولا يجب الاجتناب عنه ولو عرف لكان المعنى اجتنبوا حقيقة الظن الموصوف بالكثرة او جميع افراده لا ماقل منه وتحريم الظن المعرف تعريف الجنس والاستغراق لايؤدى الى احتياط المكلف لكون المحرم معينا فيجتنب عنه ولايجتنب عن غيره وهو الظن القليل سواء كان ظن سوء او ظن صدق ومن المعلوم ان هذا المعنى غير مراد بخلاف مالو نكر الظن الموصوف بالكثرة فان المحرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من افراد تلك الحقيقة وتحريمه يؤدى الى احتياط المكلف الى ان يتبين عنده ان مايخطر بباله من الظن من اى نوع من انواع الظن فان من الظن مايجب اتباعه كحسن الظن بالله تعالى وفى الحديث ان حسن الظن من الايمان والظن فيما لاقاطع فيه من العمليات كالوتر فانه لما ثبت بخبر الواحد لم يكن مقطوعا به فقلنا بالوجوب فلا يكفر جاحده بل يكون ضالا ومبتدعا لرده خبر الواحد ويقتص لكونه فرضا عمليا وفى الاشباه ويكفر بانكار اصل الوتر والاضحية انتهى ومن الظن مايحرم كالظن فى الالهيات اى بوجود الاله وذاته وصفاته ومايليق به من الكمال وفى النبوات فمن قال آمنت بجميع الانبياء ولا اعلم آدم نبى ام لا يكفر وكذا من آمن بأن نبينا عليه السلام رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لانسخ لدينه الى يوم القيامة لايكون مؤمنا وكالظن حيث يخالفه قاطع مثل الظن بنبوة الحسنين او غيرهما من خلفاء هذه الامة واوليائها مع وجود قوله تعالى وخاتم النبيين وقوله عليه السلام لانبى بعدى اى لامشرعا ولامتابعا فان مثل هذا الظن حرام ولو قطع كان كفرا وكظن السوء بالمؤمنين خصوصا بالرسول عليه السلام وبورثته الكمل وهم العلماء بالله تعالى قال تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال عليه السلام ان الله حرم من المسلم عرضه ودمه وان يظن به ظن السوء والمراد بعرضه جانبه الذى يصونه من نفسه وحسبه وينحامى ان ينتقص (قال الصائب)

بدكانى لازم بدباطنان افتاده است * كوشة از خلق جاكردم كمين پنداشتند * ومن الظن مايباح كالظن فى الامور المعاشية يعنى ظن درامور دنيا ومهمات معاش ودرين صورت بدكانى موجب سلامت وانتظام مهام است وازقبيل حزم شمرده اند كما قيل * بدنفس مباش وبدكان باش * وزفتنه ومكر درامان باش * وفى كشف الاسرار المباح كالظن فى الصلاة والصوم والقبلة امر صاحبه بالتحرى فيها والبناء على غلبة الظن وفى تفسير الكاشفى تحرى درامر قبله وبنانهادن برغلبة ظن درامور اجتهاديه مندوبست ومعنى التحرى لغة الطلب وشرعا طلب شئ من العبادات بغالب الرأى عند تعذر الوقوف على حقيقته (ان بعض الظن اثم) يستحق العقاب عليه وذلك البعض كثير وهو تعليل للامر بالاجتناب بطريق الاستئناف التحقيقى والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثلم الاعمال اى يكسرها فان قلت أليس هذا ميلا الى مذهب الاعتزال قلت بلى لولا

التشبيه اى فى كأنه قاله سعدى المفتى وقال ايضا تبع المصنف فى ذلك الزمخشرى واعترض عليه بان تصريف هذه الكلمة لاتنفك عنه الهمزة بخلاف الواوى وانها من باب علم والواوى من باب ضرب قلت والزمخشرى نفسه ذكرها فى الاساس فى باب الهمزة انتهى ودلت الآية على ان اكثر الظنون من قبيل الاثم لان الشيطان يلقى الظنون فى النفس فتظن النفس الظن الفاسد وعلى ان بعض الظن ليس بأثم بل هو حقيقة وهو مالم يكن من قبيل النفس بل كان بالفراسة الصحيحة بان يرى القلب بنور اليقين ماجرى فى الغيب وفى الحديث ان فى كل امة محدثين اومروعين على الشك من الراوى فان يكن فى هذه الامة فان عمر منهم والمحدث المصيب فى رأيه كأنما حدث بالامر والمروع الذى يلقى الامر فى روعه اى قلبه وفى فتح الرحمن ولايقدم على الظن الابعد النظر فى حال الشخص فان كان موسوما بالصلاح فلا يظن به السوء بأدنى توهم بل يحتاط فى ذلك ولا تظن السوء الابعد أن لاتجد الى الخير سبيلا (قال الصائب) سيلاب صاف شد زهم اغوشئ محيط * باسينهٔ كشاده كدورت چه ميكند * واما الفساق فنحن نظن بهم مثل الذى ظهر منهم وفى منهاج العابدين للامام الغزالى قدس سره اذا كان ظاهر الانسان الصلاح والستر فلا حرج عليك فى قبول صلاته وصدقته ولا يلزمك البحث بأن تقول قد فسد الزمان فان هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمؤمنين مأمور به انتهى وفى الحديث من أتاه رزق من غير مسألة فرده فانما رده على الله قال الحسن لايرد جوائز الامراء الامرآئى اوأحمق وكان بعض السلف يستقرض لجميع حوائجه ويأخذ الجوائز ويقضى بها دينه والحيلة فيه أن يشترى بمال مطلق ثم ينقد ثمنه من اى مال شاء وعن الامام الاعظم ان المبتلى بطعام السلطان والظلمة يتحرى ان وقع فى قلبه حله قبل واكل والا لا لقوله عليه السلام استفت قلبك قال الشيخ ابو العباس قدس سره من كان من فقرآء هذا الزمان اكالا لاموال الظلمة موزرا للسماع ففيه نزغة يهودية قال تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت قال سفيان الثورى رضى الله عنه الظن ظنان احدهما اثم وهو أن تظن وتتكلم به والآخر ليس بأثم وهو ان تظن ولا تتكلم به والمراد بأن بعض الظن اثم ما اعتقده وتكلمت به من الظن وعن الحسن كنا فى زمان الظن بالناس حرام فيه وأنت اليوم فى زمان اعمل واسكت وظن بالناس ماشئت اى لانهم اهل لذلك والمظنون موجود فيهم وعنه ايضا ان صحبة الاشرار تورث حسن الظن بالاخيار وطاب المتوكل بجارية الدقاق بالمدينة وكان من اقران الجنيد ومن اكابر مصر فكاد يزول عقله لفرط حبها فقالت لولاها احسن الظن بالله وبى فانى كفيلة لك بما تحب فحملت اليه فقال لها المتوكل اقرئى فقرأت ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ففهم المتوكل ماارادت فردها (وروى) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله فقال يافلان هذه زوجتى صفية وكانت قد زارته فى العشر الاول من رمضان فقال يارسول الله ان كنت أظن بغيرك فانى لم اكن اظن بك فقال عليه السلام ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم كما فى الاحياء وفيه اشارة الى الحذر من مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم من الغيبة والى الاتقاء عن تزكية النفس فان النفس والشيطان لهما شأن عجيب فى باب المكر والاخفاء والقاء الفتنة والفساد نسأل الله المنان أن يجعلنا فى أمان (ولاتجسسوا) اصله لاتتجسسوا حذف منه احدى التاءين اى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين وعيوبهم تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب فان جس الخبر طلبه والتفحص عنه فاذا نقل الى من باب التفعل يحدث معنى التكلف منضما الى مافيه من معنى الطلب يقال جسست الاخبار اى تفحصت عنها واذا قيل تجسستها يراد معنى التكلف كالتلمس فانه تفعل من اللمس وهو المس باليد لتعرف حال الشئ فاذا قيل تلمس يحدث معنى التكلف والطلب مرة بعد اخرى وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله واما المستمعاء وقرئ بالحاء من الحس الذى هو أثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفى المفردات اصل الجس مس العرق وتعرف نبضه للحكم به على الصحة والسقم ومن لفظ الجس اشتق الجاسوس وهو اخص من الحس لانه تعرف مايدرك الحس والجس تعرف حال مامن ذلك وفى الاحياء التجسس بالجيم فى تطلع الاخبار وبالحاء المهملة فى المراقبة بالعين وفى انسان العيون التحسس للاخبار بالحاء المهملة ان يفحص الشخص عن الاخبار بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا ولاتجسسوا انتهى وفى تاج المصادر التجسس والتحسس خبر جستن وفى القاموس الجس تفحص الاخبار كالتجسس ومنه الجاسوس والجسيس لصاحب سر الشر ولاتجسسوا اى خذوا ماظهر ودعوا ماستر الله تعالى اولا تفحصوا عن بواطن الامور اولا تبحثوا عن العورات

والجاسوس الجاسوس اوهو فى الخير وبالجيم فى الشر انتهى وفى الحديث لاتتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولوفى جوف بيته (قال الصائب) خيانتهاء پنهان ميكشد آخر برسوايى * كه دزد خانكى راشحنه درياز ار ميكيرد * وعن جبرائيل قال يامحمد لوكانت عبادتنا على وجه الارض لعلة ثلاث خصال سقى الماء للمسلمين واعانة اصحاب العيال وستر الذنوب على المسلمين وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود رضى الله عنه هل لك فى الوليد بن عقبة بن ابى معيط يعنى چه ميكوبى درحق اوتقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود رضى الله عنه انا قد نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شئ نأخذ به وفى الحديث اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا والعورات بالتسكين جمع عورة وهى عورة الانسان وما يستحيى منه من العثرات والعيوب وفى الحديث اللهم لاتؤمنا مكرك ولاتنسنا ذكرك ولاتهتك عنا سترك ولاتجعلنا من الغافلين وعنه عليه السلام من قال عند منامه هذا الدعاء بعث الله اليه ملكا فى احب الساعات اليه فيوقظه كما فى مقاصد الحسنة قال فى نصاب الاحتساب ويجوز للمحتسب أن يتفحص عن احوال السوقية من غير أن يخبره احد بخيانتهم فان قيل ينبغى ان لايجوز لانه تجسس منهى فنقول التحسس طلب الخبر للشر والاذى وطلب الخبر للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس كذلك فلا يدخل تحت النهى بقول الفقير وهو مخالف لما سبق عن ابن مسعود رضى الله عنه فان قلت ذلك لكونه غير آمر ومأمور قلت دل قوله نأخذ به على ولايته من اى وجه كان اذلا يأخذه الا الوالى اووكيله ويجوز أن يقال ان طلب ابن مسعود خبر الوليد بنفسه للنهى عن المنكر لكان له وجه فلما جاء خبر فى صورة السعاية والهتك اعرض عنه اورأى الستر فى حق الوليد اولى فلم يستمع الى القائل وكان عمر رضى الله عنه يعس ذات ليلة فنظر الى مصباح من خلل باب فاطلع فاذا قوم على شراب لهم فلما رآه كيف يصنع فدخل المسجد فأخرج عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه فجاء به الى الباب فنظر وقال له كيف ترى ان نعمل فقال ارى والله اقد أتينا ما نهانا الله عنه لانا تجسسنا واطلعنا على عورة قوم ستروا ديننا وما كان لنا أن نكشف ستر الله فقال ما أراك الا قد صدقت فانصرف فالمحتسب لايتجسس ولايتسور ولايدخل بيتا بلا اذن فان قيل ذكر فى باب من يظهر البدع فى البيوت انه يجوز للمحتسب الدخول بلا اذن فنقول ذلك فيما ظهر واما اذا خفى فلا يدخل فان ما ستره الله لابد وان يستره العبد هذا فى عيوب الغير واما عيوب النفس فالفحص عنها لازم للاصلاح والتزكية وقد عدوا انكشاف عيوب النفس اولى من الكرامات وخوارق العادات فانه مادام لم تحصل التزكية للنفس لاتفيد الكرامة شيأ بل ربما يوقعها فى الكبر والعجب والتطاول فنعوذ بالله تعالى من شرورها وفجورها وغرورها (ولايغتب بعضكم بعضا) الاغتياب غيبت كردن والغيبة بالكسر اسم من الاغتياب وفتح الغين غلط اذهو بفتحها مصدر بمعنى الغيبوبة والمعنى ولايذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وخلفه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اى قلت عليه مالم يفعله والحاصل ان الغيبة والاغتياب هو ان يتكلم انسان خلف انسان مستور بما فيه من عيب اى بكلام صادق من غير ضرورة قوية الى ذكره ولو سمعه لغمه وان كان ذلك الكلام كذبا يسمى بهتانا وهو الذى يترك الديار بلاقع اى خرابا (ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا) انتصاب ميتا على الحالية من اللحم واللحم المنفصل عن الحى يوصف بانه ميت لقوله عليه السلام ما ابين من حى فهو ميت وقيل من الاخ على مذهب من يجوز الحال من المضاف اليه مطلقا وشدده نافع اى قرأ ميتا بالتشديد والكلام تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على اخس وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا يعنى شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب باكل لحم الانسان ميتا تشبيها تمثيليا وعبر بالهيئة المشبه بها عن الهيئة المشبهة ولاشك ان الهيئة المشبه بها اخس جنس التناول واقبحه فيكون التمثيل المذكور تصوير الاغتياب بأقبح الصور وذلك ان الانسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه بل عرضه اشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن للعاقل اكل لحوم الناس لم يحسن له قرض عرضهم بالطريق الاولى خصوصا ان اكل الميتة هو المناهى فى كراهة النفوس ونفور الطباع ففيه اشارة الى ان الغيبة عظيمة عند الله وفى قوله ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال الشتم فى الوجه يؤلم فيحرم واما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلمه فكيف يحرم فدفعه بأن اكل لحم الاخ وهو ميت ايضا لايؤلمه ومع هذا هو فى غاية القبح لكونه بمراحل عن رعاية حق الاخوة كذا فى حواشى ابن الشيخ يقول الفقير يمكن ان يقال ان الاغتياب وان لم يكن مؤلما

للمغتاب من حيث عدم اطلاعه عليه لكنه فى حكم الايلام اذلو سمعه لغمه على انا نقول ان الميت متألم وان لم يكن فيه روح كما ان السن وهو الضرس متألم اذا كان وجعا وان لم يكن فيه حياة فاعرف (فكرهتموه) الفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه فأضمر كلمة قد لتصحيح دخول الفاء فى الجزاء فالمقصود من تحقيق استكراههم وتقذرهم من المشبه به الترغيب والحث على استكراه ماشبه به وهو الغيبة كأنه قيل اذا تحققت كراهتكم له فليتحقق عندكم كراهة نظيره الذى هو الاغتياب (واتقوا الله) بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ماصدر عنكم من قبل وهو عطف على ماتقدم من الاوامر والنواهى (ان الله تواب رحيم) مبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم فصيغة المبالغة باعتبار المتعلقات (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل اوسافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما طعامهما وشرابهما فضم سلمان الفارسى الى رجلين فى بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما شيأ فلما قدما قالا له ماصنعت شيأ فقال لا غلبتنى عيناى قالا له انطلق الى رسول الله فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله وسأله طعاما فقال عليه السلام انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل من طعام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله على رحله وطعامه فأتاه فقال ماعندى شئ فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقالا كان عند اسامة شئ ولكن بخل به فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها وسميحة كجهينة بالحاء المهملة بئر بالمدينة غزيرة الماء على مافى القاموس ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما أمر لهما به رسول الله من الطعام فلما جآ الى رسول الله قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى افواهكم والعرب تسمى الاسود أخضر والاخضر أسود وخضرة اللحم من قبيل الاول كأنه عليه السلام اراد باللحم لحم الميت وقد اسود بطول المكث تصويرا لاغتيابهما بأقبح الصور ويحتمل انه عليه السلام أراد بالخضرة النضارة اى نضارة اللحم او نضارة تناوله وفى الحديث الدنيا حلوة خضرة اى غضة طرية ناعمة قالا والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا لحما قال عليه السلام ظللتما تأكلان لحم اسامة وسلمان اى انكما قد اغتبتما هما فأنزل الله الآية * انكس كه لواء غيبت افراخته است * ازكوشت مردكان غداساخته است * وانكس كه بعيب خلق پرداخته است * زانست كه عيب خويش نشناخته است * وفى الحديث الغيبة اشد من الزنى قالوا وكيف قال ان الرجل يزنى ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه كما فى كشف الاسرار وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس وكان ابو الطيب الطاهرى يهجو بنى سامان فقال له نضر بن احمد الى متى تأكل خبزك بلحوم الناس فجعل ولم يعد (قال الصائب) كسى كه پاك نسازد دهن زغيبت خلق * همان كليد در دوزخست مسواكش *(قال الشيخ سعدى) فى كتاب الكلستان يادارم كه درعهد طفوليت متعبد بودم وشب خيزو مولع زهد وپرهيز تاشبى درخدمت پدر نشسته بودم وهمه شب ديده بهم نبسته ومصحف عزيز در كنار گرفته وطائفه كردما خفته پدر را گفتم كه ازايشان يكى سر برنمى آرد كه دو ركعت نماز بگزارد ودرخواب غفلت چنان رفته اند كه گويى نخفته اند بلكه مرده گفت اى جان پدر اگر تونيز بخفتى به كه دربوستين خلق افتى * نبيند مدعى جز خويشتن را * كه دارد پرده پندار درپيش * اگر چشم دلت را بر گشايى * نه بينى هيچ كس عاجز تراز خويش * وعن انس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء ياجبرائيل فقال هم الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى اعراضهم وفى الحديث خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة رواه انس واول من اغتاب ابليس اغتاب آدم وكان ابن سيرين رحمه الله قد جعل على نفسه اذا اغتاب ان يتصدق بدينار ومما يجب التنبيه له ان مستمع الغيبة كقائلها فوجب على من سمعها ان يردها كيف وقد قال النبى عليه السلام من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال عليه السلام المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم وعن ميمون انه اتى بجيفة زنجى فى النوم فقيل له كل منها فقال لم قيل لانك اغتبت عبد فلان فقال ماقلت فيه شيأ قيل لكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لايغتاب احدا ولايدع احدا ان يغتاب عنده احدا وعن بعض المتكلمين ذكره مما يستخف به انما يكون غيبة اذا قصد الاضرار والشماتة به اما اذا ذكر متأسفا لايكون غيبة وقال بعضهم رجل ذكر مساوى اخيه المسلم على

وجه الاهتمام ومثله فى الواقعات وعلل بأنه انما يكون غيبة ان اوارادبه السب والنقص قال السمرقندى فى تفسيره قلت فيه اقالوه خطر عظيم لانه مظنة ان يجر الى ماهو محض غيبة فلا يؤمن فتركها رأسا اقرب الى التقوى واحوط انتهى وفى هدية المهديين رجل اواغتاب فريقا لا يأثم حتى يغتاب قوما معروفين ورجل يصلى ويؤذى الناس باليد اوباللسان لاغيبة له ان ذكر بما فيه وان اعلم به السلطان حتى يزجره لا يأثم انتهى وفى المقاصد الحسنة ثلاثة ليست لهم غيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته انتهى وعن الحسن لا حرمة لفاجر (وروى) امن ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له واذكر الفاجر بما فيه ليحذره الناس كما فى الكواشى واذا جاز نقص عرض الفاسق بغيبته فأولى ان يجوز نقص عرض الكافر كما فى شرح المشارق لابن الملك وسلك بعضهم طريق الاحتياط فطرح عن لسانه ذكر الخلق بالمساوى مطلقا كما حكى انه قيل لابن سيرين مالك لا تقول فى الحجاج شيئا فقال اقول فيه حتى يحبه الله بتوحيده و يعذبنى باغتيابه ومن هنا أمسك بعضهم عن لعن يزيد وكان فضيل يقول ما لعنت ابليس قط اى وان كان ملعونا فى نفس الامر كما نطق به القرءان فكيف يلعن من اشتبه حاله وحال خاتمته وعاقبته (يا يها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) اى من آدم وحواء عليهما السلام اوخلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء فى الانتساب الى ذكر وانثى اياكانا فلا وجه للتفاخر بالنسب

الناس من جهة التمثال اكفاء * ابوهم آدم والام حواء

فان يكن لهم من اصلهم نسب * يفاخرون به فالطين والماء

ازنسب ادميانى كه تفاخر ورزند * ازره دانش وانصاف چه دور افتادند نرسد فخر كسى را بنسب بردكرى * چونكه دراصل زيك آدم وحوا زادند * نزلت حين امر النبى عليه السلام بلالا رضى الله عنه ليؤذن بعد فتح مكة فعلا ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن اسيد وكان من الطلقاء الحمد لله الذى قبض ابى حتى لم يرهذا اليوم وقال الحارث بن هشام اما وجد رسول الله سوى هذا الغراب يعنى بلالا وخرج ابو بكر بن داود فى تفسير القرءان ان الآية نزلت فى ابى هند حين امر رسول الله بنى بياضة ان يزوجوه امرأة منهم فقالوا يارسول الله نتزوج بناتنا موالينا فنزلت وفيه اشارة الى ان الكفاءة فى الحقيقة انما هى بالديانة اى الصلاح والحسب والتقوى والعدالة ولو كان مبتدعا والمرأة سنية لم يكن كفؤا لها كما فى التتف وسئل الرستغفنى عن المناكحة بين اهل السنة و بين اهل الاعتزال فقال لا يجوز كما فى مجمع الفتاوى (وجعلناكم شعوبا وقبائل) وشمار اشاخ شاخ كريم وخاندان خاندان وشعب بفتح الشين الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة بكسر العين تجمع البطون والبطون تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل والفصيلة تجمع العشائر وليس بعد العشيرة حى يوصف به كما فى كشف الاسرار فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فضيلة وسميت الشعوب لان القبائل تتشعب منها كتشعب اغصان الشجرة وسميت القبائل لانها يقبل بعضها على بعض من حيث كونها من اب واحد وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب والاسباط من بنى اسرائيل والشعوب من قحطان والقبائل من عدنان (لتعارفوا) اصله لتتعارفوا حذفت احدى التائين اى ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزى احد الى غير آبائه لالتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الانساب (وقال الكاشفى) يعنى دوكس كه بنام متحد باشند بقبيله ممتاز نميشوند چنانچه زيد تميمى از زيد قرشى (ان اكرمكم عند الله أتقاكم) تعليل للنهى عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف التحقيقى كانه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الأتقى وان كان عبدا حبشيا اسود مثل بلال فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وبفضل الله ورحمته بل بالله تعالى ألا ترى الى قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اى ليس الفخر لى بالسيادة والرسالة بل بالعبودية فانها شرف اى شرف وكفى شرفا تقديم العبد على الرسول فى قوله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله (وروى) ان رسول الله عليه السلام مر فى سوق المدينة فرأى غلاما اسود يقول من اشترانى فعلى شرط ان لا يمنعنى عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل فكان رسول الله يراه عند كل صلاة ففقده فسأل عنه صاحبه فقال مجموم فعاده ثم سأل عنه بعد ايام فقيل هو كما به اى منهيئ للموت الذى هو لاحق به فجاءه وهو فى بقية حركته وروحه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت الآية (ان الله عليم) بكم وبأعمالكم (خبير) ببواطن احوالكم قال ابن الشيخ فى حواشيه والنسب وان كان معتبرا عرفا وشرعا حتى لا تتزوج

الشريفة بالنبطى قال فى القاموس من النبط محركة جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين وهو نبطى محركة انتهى الا انه لاعبرة به عند ظهر ماهو أعظم قدرا منه واعز وهو الايمان والتقوى كما لاتظهر الكواكب عند طلوع الشمس فالفاسق وان كان قرشى النسب وقارون النسب لاقدر له عند المؤمن التقى وان كان عبدا حبشيا والامور التى يفتخر بها فى الدنيا وان كانت كثيرة لكن النسب اعلاها من حيث انه ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك بخلاف غيره كالمال مثلا فانه قد يحصل للفقير مال فيبطل افتخار المفتخر به عليه وكذا الاولاد والبساتين ونحوها فلذلك خص الله النسب بالذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان اعتبار غيره بالطريق الاولى انتهى وفى الحديث ان ربكم واحد وابوكم واحد لافضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لاحمر على اسود ولا لاسود على احمر الا بالتقوى وعلى هذا اجماع العلماء كما فى بحر العلوم هركرا تقوى بيشتر قدم او در مرتبه فضل بيشتر الشرف بالفضل والادب لا بالاصل والنسب * بادب باش تا بزرك شوى * كه بزرگى نخسبد ادبست * قال بعض الكبار المفاضلة بين الخلق عند الله انسبهم لا نسبتهم فهم من حيث النسبة واحد ومن حيث النسب ستة عشر ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولا يصح التفاضل بالاعمال فقد يسبق التابع المتبوع ولو كان الشرف لا شيا من حيث شأنهما ومواطنها لكان الشرف لا يليس على آدم فى قوله خلقتنى من نار وخلقته من طين ولكن لما كان الشرف اختصاصا الهيا لا يعرف الا من جانب الحق تعالى جهل ابليس فى مقالته تلك وصح الشرف لآدم عليه السلام عليه والخبر يتوسل عبدى عليه السلام اى الناس اشرف فقبض قبضتين من تراب ثم قال اى هذين اشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب واكرمهم عند الله اتقاهم قال سلمان الفارسى رضى الله عنه

ابى الاسلام لاب لى سواه * اذا افتخروا بقيس او تميم

وفى الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم * رهراست بايدنه بالاى راست * كه كافرهم ازروى صورت چوماست * وقال عليه السلام يا أيها الناس انما الناس رجل مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى (وروى) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان الناس يحشرون يوم القيامة ثم يوقفون ثم يقول الله لهم طالما كنتم تكلمون والناس تسكت فاسكتوا اليوم حتى أتكلم انى رفعت نسبى وايتم الا نساب كم قلت ان اكرمكم عندى أتقاكم وايتم اتيتم فقلتم لا بل فلان ابن فلان وفلان ابن فلان فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبى فاليوم ارفع نسبى واضع انسابكم سيعلم اهل الجمع اليوم من اصحاب الكرم اين المتقون كما فى كشف الاسرار قال الشافعى اربعة لا يهمهم يوم القيامة زهد خصى وتقوى جندى وامانة امرأة وعبادة صبى وهو محمول على الغالب كما فى المناهد الحسنة قال فى التأويلات النجمية يشير بقوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الى خلق القلوب انها خلقت من ذكر وهو الروح وانثى وهى النفس وجعلناكم شعوبا وقبائل اى جعلناها صنفين صنف منها شعوب وهى التى تميل الى امهاتها وهى النفس والغالب عليها صفات النفس وصنف منها قبائل وهى التى تميل الى ابيها وهو الروح والغالب عليها صفات الروح لتعارفوا اى لتعارفوا اصحاب القلوب وارباب النفوس لا تتكاثروا وتتفاخروا وتباهوا بالعقول والاخلاق الروحانية الطبيعية فانها ظلمانية لا يصلح شئ منها للتفاخر بها مما يقرن به الايمان والتقوى فاذا تنورت الافعال والاخلاق والاحوال بنور الايمان والتقوى فلم تكن الافعال مشوبة بالرياء ولا الاخلاق مصحوبة بالاهواء ولا الاحوال منسوبة الى الاعجاب فعند ذلك تصلح للتفاخر والمباهاة بها كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال عليه السلام الكرم التقوى فأتقاهم من يكون ابعدهم من الاخلاق الانسانية واقربهم الى الاخلاق الربانية والتقوى هو التحرز والمتقى من يتحرز عن نفسه به وهو اكرم على الله من غيره انتهى (قالت الاعراب آمنا) الاعراب اهل البادية وقد سبق تفصيله فى سورة الفتح والحاق التاء بالفعل المسند اليهم مع خلو عنها فى قوله وقال نسوة فى المدينة للدلالة على نقصان عقلهن بخلافهن حيث لم امرأة العزيز فى مراودتها فتاها وذلك يليق بالفتيان نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدب فأظهروا الشهادتين فكانوا يقولون لرسول الله عليه السلام اتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وآتيناك بالاثقال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه السلام ما فعلوا (قل) ردا لهم (لم تؤمنوا) اذ الايمان هو التصديق بالله ورسوله المقارن للثقة بحقيقة المصدق وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما منتم على ما ذكرتم من الاسلام وترك

المقاتلة كما ينبئ عنه آخر السورة يعني ان التصديق الموصوف مسبوق بالعلم بقبح الكفر وشناعة المقاتلة وذلك يأبى المن وترك المقاتلة فان العاقل لا يمن بترك ما يعلم قبحه (ولكن قولوا اسلمنا) اسلم بمعنى دخل في السلم كأصبح وامسى واشتى اى قولوا دخلنا في السلم والصلح والانقياد مخافة انفسنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به اى بالانقياد والدخول المذكور وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا اولم تؤمنوا ولكن اسلمتم ليتقابل جملتا الاستدراك للاحتراز عن النهي عن التلفظ بالايمان فان ظاهره مستهجن سيما ممن بعث للدعوة الى القول به وللتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه قولا محضا قال سعدي المفتي والظاهر ان المنظم من الاحتباك حذف من الاول ما يقابل الثاني ومن الثاني ما يقابل الاول والاصل قل لم تؤمنوا فلا تقولوا آمنا ولكن اسلمتم فقولوا اسلمنا وهذا من اختصارات القرآن (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) حال من ضمير قولوا اى ولكن قولوا اسلمنا لحال عدم مواطأة قلوبكم لألسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لا يلتكم من اعمالكم شيأ) اى لا ينقصكم شيأ من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص قال الامام معنى قوله لا يلتكم انكم ان اتيتم بما يليق بعضكم من الحسنة المقرونة بالاخلاص وترك النفاق فهو تعالى يأتيكم بما يليق بفضله من الجزاء لا ينقص منه نظرا الى ما في حسنتكم من النقصان والتقصير وهذا لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة يكون ثمنها في السوق درهما مثلا واعطاه الملك درهما ودينارا انسب الملك الى قلة العطاء بل الى البخل فليس معنى الآية ان يعطي من الجزاء مثل عملكم من غير نقص بل المعنى يعطي ما تستوجبون بأعمالكم من غير نقص ويؤيد ما قاله قوله تعالى (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم قال في بحر العلوم في الآية ايذان بان حقيقة الايمان التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان واظهار شرائعه بالايذان ليس بايمان وفي التأويلات النجمية يشير الى ان حقيقة الايمان ليست مما يتناول باللسان بل هو نور يدخل القلوب اذا شرح الله صدر العبد للاسلام كما قال تعالى فهو على نور من ربه وقال عليه السلام في صفة ذلك النور اذا وقع في القلب انفسح له وانشرح قيل يا رسول الله هل لذلك نور علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ولهذا قال تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم فهذا دليل على ان محل الايمان القلب انتهى وفي علم الكلام ذهب جمهور المحققين الى ان الايمان التصديق بالقلب وانما الاقرار شرط لاجراء احكام في الدنيا كالصلاة عليه في وقت موته لان تصديق القلب امر باطن لا يطلع عليه احد لا بد له من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله لوجود التصديق القلبي وان لم يكن مؤمنا في احكام الدنيا لانتفاء شرطه واما من جعل الاقرار ركنا من الايمان فعنده لا يكون تارك الاقرار مؤمنا عند الله ولا يستحق النجاة من خلود النار ومن اقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق هو مؤمن في احكام الدنيا وان لم يكن مؤمنا عند الله وهذا المذكور من ان الايمان هو التصديق القلبي والاقرار باللسان لاجراء الاحكام هو اختيار الشيخ ابي منصور رحمه الله والنصوص معاضدة لذلك قال الله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقال الله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان وقال الله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقال عليه السلام اللهم ثبت قلبي على دينك اى على تصديقك وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين قتل من قال لا اله الا الله هل شققت قلبه وفي فتح الرحمن حقيقة الايمان لغة التصديق بما غاب وشرعا عند ابي حنيفة رحمه الله تصديق بالقلب وعمل باللسان وعند الثلاثة عقد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالاركان فدخل كل الطاعات انتهى قال ابن الملك في شرح المشارق ثم الاقرار باللسان ليس جزأ من الايمان ولا شرطا له عند بعض علمائنا بل هو شرط لاجراء احكام المسلمين على المصدق لان الايمان عمل القلب وهو لا يحتاج الى الاقرار وقال بعضهم انه جزء له لدلالة ظواهر النصوص عليه الا ان الاقرار لما كان جزأ له شائبة العرضية والتبعية اعتبروا في حالة الاختيار جهة الجزئية حتى لا يكون تاركه مع تمكنه منه مؤمنا عند الله وان فرض انه مصدق وفي حالة الاضطرار جهة العرضية فيسقط وهذا معنى قولهم الاقرار ركن زائد اذ لا معنى لزيادته الا ان يحتمل السقوط عند الاكراه على كلمة الكفر فان قيل ما الحكمة في جعل عمل جارحة جزأ من الايمان ولم عين به عمل اللسان دون اعمال سائر الاركان قلنا لما اتصف الانسان بالايمان وكان التصديق عملا لباطنه جعل عمل ظاهره داخلا فيه تحقيقا لكمال اتصافه به وتعين له فعل اللسان لانه مجبول للبيان اولكونه اخف وابين من عمل سائر الجسد

نعم يحكم باسلام كافر اصلاته بجماعة وان لم يشاهد اقراره لان الصلاة المسنونة لا تخلو عنه وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام المقدسي النطق بكلمتي الشهادة واجب فمن علم وجوبهما وتمكن من النطق بهما فلم ينطق يحتمل ان يجعل امتناعه من النطق بهما كامتناعه من الصلاة فيكون مؤمنا غير مخلد في النار لان الايمان هو التصديق المحض بالقلب واللسان ترجمانه وهذا هو الاظهر اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ولا يعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا يعدم بترك الفعل الواجب انتهى وقال سهل رضي الله عنه ليس في الايمان اسباب انما الاسباب في الاسلام والمسلم محبوب للخلق والمؤمن غني عن الخلق وقال بعض الكبار المسلم في عموم الشريعة من سلم الناس من لسانه ويده وفي خصوصها من سلم كل شيء من لسانه بما يعبر عنه ويده فيما له فيه نفوذ الاقتدار والمؤمن منور الباطن وان عصى والكافر مظلم الباطن وان أتى بمكارم الاخلاق ومن قال انا مؤمن ان شاء الله فاعرف الله كما ينبغي وقال بعض الكبار كل من آمن عن دليل فلا وثوق بايمانه لانه نظري لا ضروري فهو معرض للشبه القادحة فيه بخلاف الايمان الضروري الذي يجده المؤمن في قلبه ولا يقدر على دفعه وكذا القول في كل علم حصل عن نظر وفكر فانه مدخول لا يسلم من دخول الشبه عليه ولا من الحيرة فيه ولا من القدح في الامر الموصل اليه ولا بد لكل محجوب من التقليد فمن اراد العلم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فليكثر من الطاعات والنوافل حتى يحبه الحق فيعرف الله بالله ويعرف جميع احكام الشريعة بالله لا بعقله ومن لم يكثر مما ذكر فليقلد ربه فيما اخبر ولا يؤول فانه اولى من تقليد العقل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) اي آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بان الحق معه من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك في الخبر مع التهمة للمخبر فظهر الفرق بين الريب والشك فان الشك تردد بين نقيضين لا تهمة فيه وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان عنهم وهو الارتياب وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا (وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) في طاعته على تكثير فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجليلة (هم الصادقون) اي الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم فهو قصر افراد وتكذيب لاعراب بني اسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا أنهم صادقون ايضا في دعوى الايمان واعلم ان الآية الكريمة شاملة لجامع القوى التي وجب على كل احد تهذيبها واصلاحها تطهير النفس الحاصل به الفوز بالفلاح والسعادة كلها كما قال تعالى قد افلح من زكاها وهي قوة التفكر وقوة الشهوة وقوة الغضب اللاتي اذا اصلحت ثلاثتها وضبطت حصل العدل الذي قامت به السموات والارض فانها جميع مكارم الشريعة وتزكية النفس وحسن الخلق المحمود ولاصالة الاولى وجلالتها قدمت على الاخيرتين فدل بالايمان بالله ورسوله مع نفي الارتياب على العلم اليقيني والحكمة الحقيقية التي لا يتصور حصولها الا باصلاح قوة التفكر ودل بالمجاهدة بالاموال على العفة والجود التابعين بالضرورة لاصلاح قوة الشهوة وبالمجاهدة بالانفس على الشجاعة والحلم التابعين لاصلاح قوة حمية الغضبية وقهرها واسلامها للدين وعليه دل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فان العفو عمن ظلم هو كمال الحلم والشجاعة واعطاء من حرم كمال العفة والجود ووصل من قطع كمال الفضل والاحسان واعلم ايضا ان جميع كمالات النفس الانسانية محصورة في القوى الثلاث وفضائلها الاربع اذ العقل كماله العلم والعفة كمالها الورع والشجاعة كمالها المجاهدة والعدل كماله الانصاف وهي اصول الدين على التحقيق وفي الآية رد للدعوى وحث على الاتصاف بالصدق قال بعضهم لولا الدعاوي ما خلقت المهاوي فمن ادعى فقد هوى فيها وان كان صادقا ألا تراه يطالب بالبرهان ولو لم يدع ما طوالب بدليل (قال الحافظ) حديث مدعيان وخيال همكاران * همان حكايت زردوز و بوريا بافت * وفي الحديث يا ابا بكر عليك بصدق الحديث والوفاء بالعهد وحفظ الامانة فانها وصية الانبياء (قال الحافظ) طريق صدق بيا موزاز اب صافي دل * براستي طلب آزادكي چوسرو چمن * وان رسول الله التجار فقال يا معشر التجار ان الله باعثكم يوم القيامة فجارا الا من صدق ووصل وادى الامانة وفي الحديث التجار هم الفجار قيل ولم يا رسول الله وقد احل الله البيع فقال لانهم يحلفون فيأثمون ويتحدثون فيكذبون (قال الصائب) كعبه در كام نخستين كندا ستقبالت * از سر صدق اكر همنفس دل باشي * فاذا صدق الباطل صدق الظاهر

اذ كل انا يترشح بما فيه وكل احد يظهر ما فيه بفيه (قل) روى انه لما نزلت الآية السابقة جاء الاعراب وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل يا محمد لهم (اتعلمون الله بدينكم) دخلت الباء لان هذا التعليم بمعنى الاعلام والاخبار أى اتخبرون الله بدينكم الذى انتم عليه بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والاستفهام فيه للتوبيخ والانكار اى لا تعرفوا الله بدينكم فانه عالم به لا يخفى عليه شئ وفيه اشارة الى ان التوقيف فى الامور الدينية معتبر واجب وحقيقتها موكولة الى الله فاسامى منه تؤخذ والكلام منه يطلب وأمره يتبع (والله يعلم ما فى السموات والارض) حال من فاعل تعلمون مؤكدة لتشنيعهم (والله بكل شئ عليم) لا يحتاج الى اخباركم تذييل مقرر لما قبله اى مبالغ فى العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم حيث كانوا يجتهدون فى ستر احوالهم واخفائها وفى التأويلات النجمية والله يعلم ما فى سموات القلوب من استعدادها فى العبودية وما فى ارض النفوس من تمردها عن العبودية والله بكل شئ جبلت القلوب والنفوس عليه عليم لانه تعالى اودعه فيها عند تخمير طينة آدم بيده انتهى قال بعض الكبار لا تضف الى نفسك حالا ولا مقاما ولا تخبر احدا بذلك فان الله تعالى كل يوم هو فى شان فى تغيير وتبديل يحول بين المرء وقلبه فربما زالت عما اخبرت به وعرلك عما تخيلت ثباته فتحجل عند من اخبرته بذلك بل احفظ ذلك ولا تعلمه الى غيرك فان كان الثبات والبقاء علمت انه موهبة فلتشكر الله ولتسأله التوفيق للشكر وان كان غير ذلك كان فيه زيادة علم ومعرفة ونور وتيقظ وتأديب انتهى فظهر من هذا ان الانسان يخبر غالبا بما ليس فيه او بما سيزول عنه والعياذ بالله من سوء الحال ودعوى الكمال قال بعضهم اياكم ثم اياكم والدعوات الصادقة والكاذبة فان الكاذبة تسود الوجه والصادقة تطفئ نور الايمان او تضعفه واياكم والقول بالمشاهدات والنظر الى الصور المستحسنات فان هذا كله نفوس وشهوات ومن احدث فى طريق القوم ما ليس فيها فليس هو منا ولا فينا فاتبعوا ولا تبتدعوا واطيعوا ولا تمردوا ووحدوا ولا تشركوا وصدقوا الحق ولا تشكوا واصبروا ولا تجزعوا واثبتوا ولا تتفرقوا واسألوا ولا تسأموا وانتظروا ولا تيأسوا وتواخوا ولا تعادوا واجتمعوا على الطاعة ولا تفرقوا وتطهروا من الذنوب ولا تلطخوا وليكن احدكم بواب قلبه فلا يدخل فيه الا ما امره الله به وليحذر احدكم ولا يركن وليخف ولا يأمن وليفتش ولا يغفل (يمنون عليك ان اسلموا) اى يعدون اسلامهم منة عليك وهى النعمة التى لا يطلب مولاها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود به قطع حاجته مع قطع الانسان بعوضه المحتاج بشئ وقيل النعمة الثقيلة من المن الذى يوزن به وهو رطلان يقال من عليه منة اى اثقله بالنعمة قال الراغب المنة النعمة الثقيلة ويقال ذلك على وجهين احدهما ان يكون ذلك بالفعل فيقال من فلان على فلان اذا اثقله بالنعمة وعلى ذلك قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين وذلك فى الحقيقة لا يكون الا لله تعالى والثانى ان يكون ذلك بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس الا عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل المنة تهدم الصنيعة ولحسن ذكرها عند الكفران قيل اذا كفرت النعمة حسنت المنة وقوله تعالى يمنون عليك الخ فالمنة منهم بالقول ومنة الله عليهم بالفعل وهو هدايته اياهم (قل لا تمنوا على اسلامكم) اى لا تعدوا اسلامكم منة على اولا تمنوا على باسلامكم فنصبه بنزع الخافض (بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) على ما زعمتم من انكم ارشدتم اليه وبالفارسية بلكه خداى تعالى منت مينهد برشما كه رانموده است شمارا بايمان (ان كنتم صادقين) فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اى فلله المنة عليكم وفى سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به نفى كونه ايمانا وسماه اسلاما فقال يمنون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام اى دخول فى السلم وليس بجدير بالمن لانه ليس له اعتداد شرعا ولا يعد منة فضلا عن نعمة بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لا لهم وسئل بعض الكبار عن قوله تعالى بل الله يمن عليكم مع انه تعالى جعل المن اذا وقع منا على بعضنا من سفساف الاخلاق فقال فى جوابه هذا من علم التطابق ولم يقصد الحق به المن حقيقة اذ هو الكريم الجواد على الدوام على من أطاع وعلى من عصى وفى الحديث ما كان الله ليدلكم على مكارم الاخلاق ويفعل معكم خلاف ذلك وفى الحديث ايضا ما كان الله لينهاكم عن الرياء ويأخذه منكم قال ذلك لمن قال له يا رسول الله انى صليت بالتيمم ثم وجدت الماء فأصلى ثانيا فعنى الآية اذا دخلتم فى حضرة المن على رسولكم باسلامكم فالمن لله لا لكم وان وقع منكم شئ من سفساف الاخلاق رد الحق اعمالكم عليكم لا غير وفى التأويلات النجمية يمنون عليك ان استسلموا لك ظاهرهم قل لا تمنوا على اسلامكم لى تسليم

ظاهركم لى لانه ليس هذا من طبيعة نفوسكم المتمردة بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان اذ كتب فى قلوبكم الايمان فانعكس نور الايمان من مصباح قلوبكم الى مشكاة نفوسكم فتنورت واستضاءت بنور الاسلام فاسلامكم فى الظاهر من فرع الايمان الذى اودعته فى باطنكم ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين فى دعوى الايمان انتهى قال الجنيد رحمه الله المن من العباد تقريع وليس من الله تقريعا وانما هو من الله تذكير النعم وحث على شكر المنعم (قال الشيخ سعدى) شكر خداى كن كه موفق شدى بخير * زانعام وفضل اوست معطل كذاشتت * منت منه كه خدمت سلطان همى كنى * منت شناس ازو كه بخدمت بداشتت (ان الله يعلم غيب السموات والارض) اى ماغاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه (والله بصير بما تعملون) فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وقال بعض الكبار والله بصير بما تعملون فى الظاهر انه من نتائج ما اودعه فى باطنكم * درزمين كرنى شكر ورخودنى است * ترجمان هرزمين نبت وى اشت * فمن لاحظ شيئا من اعماله واحواله فان رآها من نفسه كان شركا وان رآها لنفسه كان مكرا وان رآها من ربه بربه لربه كان توحيدا وفقنا الله لذلك بمنه وجوده قال البقلى ليس لله غيب اذ الغيب شئ مستور وجميع الغيوب عيان له تعالى وكيف يغيب عنه وهو موجده ببصره ببصره القديم والعلم والبصر هناك واحد قال فى كشف الاسرار از سورة الحجرات تا آخر قرآن مفصل كويند وبه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله اعطانى السبع الطول مكان التوراة والسبع الطول كصرد من البقرة الى الاعراف والسابعة سورة يونس او الانفال وبراءة جميعا لانهما سورة واحدة عندهكما فى القاموس واعطانى المائين مكان الانجيل واعطانى مكان الزبور المثانى وفضلنى ربى بالمفصل وفى رواية اخرى قال عليه السلام انى اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى عليه السلام واعطيت فواتح الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش والمفصل نافلة اى عطية * وفى فتح الرحمن سورة الحجرات اول المفصل على الراجح من مذهب الشافعى واحد الاقوال المعتمدة عن ابى حنيفة وعنه قول آخر معتمدان اوله قوله ق قال عليه السلام فضلنى ربى بالمفصل والمفصل من القرآن ماهو بعد الحواميم من قصار السور الى آخر القرآن وسميت مفصلا لكثرة الفصولات فيها بسطر بسم الله الرحمن الرحيم لانها سور قصار يقرب تفصيل كل سورة من الأخرى فكثر التفصيل فيها انتهى وقال بعضهم المفصل السبع السابع سمى به لكثرة فصوله وهو من سورة محمد او الفتح اوق الى آخر القرآن وطوال المفصل الى البروج والاوساط منها الى لم يكن والقصار منها الى الآخر وقيل * طوال از لاتقدم تا عبس دان * بس اوسط از عبس تا لم يكن خوان * قصار از لم يكن تا آخر آيد * بخوان اين نظم را تا كرد آسان * والذى عليه الجمهور ان طوال المفصل من سورة الحجرات الى سورة البروج والاوساط من سورة البروج الى سورة لم يكن والقصار من سورة لم يكن الى آخر القرآن (روى) ان القراء لما قسموا القرآن فى زمن الحجاج الى ثلاثين جزأ قسموه ايضا الى سبعة اقسام وعن السلف الصالحين من ختم على هذا الترتيب الذى نذكره ثم دعا قبل حاجته وهو الترتيب الذى كان يفعله عثمان رضى الله عنه يقرأ يوم الجمعة من اوله الى سورة الانعام ويوم السبت من سورة الانعام الى سورة يونس ويوم الاحد من سورة يونس الى سورة طه ويوم الاثنين من سورة طه الى سورة العنكبوت ويوم الثلاثاء من سورة العنكبوت الى سورة الزمر ويوم الاربعاء من سورة الزمر الى سورة الواقعة ويوم الخميس من سورة الواقعة الى آخره وقيل احزاب القرآن سبعة الحزب الاول ثلاث سور والثانى خمس سور والثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق وفى فتح الرحمن واحزاب القرآن ستون قيل ان الحجاج لما جد فى نقط المصحف زاد تحزيبه وامر الحسن ويحيى بن يعمر بذلك واما وضع الاعشار فيه فحكى ان المأمون العباسى امر بذلك وقيل ان الحجاج فعل ذلك وكانت المصاحف العثمانية مجردة من النقط والشكل فلم يكن فيها اعراب وسبب ترك الاعراب فيها والله اعلم استغناؤهم عنه فان القوم كانوا عربا لايعرفون اللحن ولم يكن فى زمنهم نحو واول من وضع النحو وجعل الاعراب فى المصاحف ابو الاسود الدؤلى التابعى البصرى (حكى) انه سمع قارئا يقرأ ان الله برئ من المشركين ورسوله بكسر اللام فاعظمه ذلك وقال عز وجه الله ان يبرأ من رسوله ثم جعل الاعراب فى المصاحف وكان علاماته نقطا بالحمرة غيرلون المداد فكانت علامة الفتحة نقطة فوق الحرف وعلامة الضمة نقطة فى نفس الحرف وعلامة الكسرة نقطة تحت الحرف وعلامة الفتة نقطتين ثم احدث الخليل بن احمد الفراهيدى بعد هذا هذه الصور الشدة والمدة والهمزة وعلامة السكون وعلامة الوصل

ونقل الاعراب من صورة النقط الى ماهو عليه الآن واما النقط فاول من وضعها بالمصحف نصر بن عاصم الليثى بامر الحجاج بن يوسف امير العراق وخرسان وسببه ان الناس كانوا يقرأون فى مصحف عثمان نيفا واربعين سنة الى يوم عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق فأمر الحجاج ان يضعوا لهذه الاحرف المشتبهة علامات فقام بذلك نصر المذكور فوضع النقط افرادا وازواجا وخالف بين اماكنها وكان يقال له نصر الحروف واول ما احدثوا النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به هو نور له ثم احدثوا نقطا عند منتهى الآى ثم احدثوا الفواتح والخواتم فأبو الاسود هو السابق الى اعرابه والمبتدئ به ثم نصر بن عاصم وضع النقط بعده ثم الخليل بن احمد نقل الاعراب الى هذه الصورة وكان مع استعمال النقط والشكل يقع التصحيف فالتمسوا حيلة فلم يقدروا فيها الا على الاخذ من افواه الرجال بالتلقين فانتدب جهابذة علماء الامة وصناديد الائمة وبالغوا فى الاجتهاد وجمعوا الحروف والقراآت حتى بينوا الصواب وازالوا الاشكال رضى الله عنهم اجمعين وأول من خط بالعربية يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية واول من استخرج الخط المعروف بالنسخ ابن مقلة وزير المقتدر بالله ثم القاهر بالله فانه اول من نقل الخط الكوفى الى طريقة العربية ثم جاء ابن البواب وزاد فى تعريب الخط وهذب طريقة ابن مقلة وكساها بهجة وحسنا ثم ياقوت المستعصمى الخطاط وختم فن الخط واكمله ثم جاء الشيخ حمد الله الاماسيوى فأجاد الخط بحيث لا مزيد عليه الى الآن ولله در القائل

خط حسن جمال مرأى * ان كان لعالم فأحسن
الدر من النبات احلى * والدر مع النبات ازين

ومن الله التوفيق للكمالات والختم بانواع السعادات

تمت سورة الحجرات بعون ذى الفضل والبركات فى اوائل شهر ربيع الآخر من شهور عام الف ومائة واربعة عشر

سورة ق خمس واربعون آية مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ق) اى هذه سورة ق اى مسماة بق وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو قسم وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسماء الله تعالى مثل القادر والقدير والقديم والقاهر والقهار والقريب والقابض والقاضى والقدوس والقيوم اى انا القادر الخ وقيل اسم من اسماء القرآن وقيل قسم اقسم الله به اى بحق القائم بالقسط وقيل معناه قل يا محمد والقرآن المجيد وقيل قف يا محمد على اداء الرسالة وعند امرنا ونهينا ولا تتعداهما والعرب تقتصر من كلمة على حرف قال الشاعر قلت لها قفى فقالت ق اى وقفت وقيل هو أمر من مفاعلة قفا اثرا اى تبعه والمعنى اعمل بالقرآن واتبعه وقيل معناه قضى الامر وما هو كائن كما قالوا فى حم وقيل المراد بحق القلم الذى يرقم القرآن فى اللوح المحفوظ وفى الصحائف (وقال الكاشفى) حروف مقطعه جهت فرق است ميان كلام منظوم ومنثور امام علم الهدى فرموده كه سامع بمجرد استماع اين حروف استدلال ميكند برانكه كلامى كه بعد ازو مى آيد منثورست نه منظوم پس درايراد اين حروف رد جاى عتيست قرآن را شعر كفتند وقال الانطاكى ق عبارة عن قربه لقوله ونحن اقرب اليه يعنى قسم است بقرب الهى كه سرو نحن اقرب اليه بدين سوره ازان خبر ميدهد وقال ابن عطاء اقسم بقوة قلب حبيبه حيث تحمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله اى بخلاف موسى عليه السلام فانه خر صعقا فى الطور من سطوة تجلى النور وفى التأويلات النجمية يشير الى ان لكل سالك من السائرين الى الله تعالى مقاما فى القرب اذا بلغ الى مقامه المقدر له يشار اليه بقوله ق اى قف مكانك ولا تجاوز حدك والقسم قوله والقرآن المجيد اى قف فان هذا مكانك والقران المجيد فلا تجاوز عنه وقال بعض الكبار ق اشارة الى قل هو الله احد اى الى مرتبة الاحدية التى هى التعين الاول وص اشارة الى الصمد اى الى مرتبة الصمدية التى هى التعين الثانى والصافات اشارة الى التعينات الباقية التابعة للتعين الثانى * يقول الفقير اشار بقوله ق الى قيامه عليه السلام بين يدى الله تعالى فى الصف الاول قبل كل شئ مفارقا لكل تركيب منفردا عن كل كون منقطعا عن كل وصف ثم الى قدومه من ذلك العالم الغيبى الروحانى الى هذا المقام الشهادى الجسمانى كما اشار اليه المجيئ الآتى وقد جاء فى حديث جابر رضى الله عنه وحين خلقه اى نور نبيك يا جابر اقامه قدامه فى مقام القرب اثنى عشر الف سنة وهو تفصيل عدد حروف لا اله الا الله وحروف محمد رسول الله فان عدد حروف كل منهما

اثنا عشر وكذا افاد انه اقامه فى مقام الحب اثنى عشر الف سنة وفى مقام الخوف والرجاء والحياء كذلك ثم خلق الله اثنى عشر ألف حجاب فأقام نوره فى كل حجاب ألف سنة وهى مقامات العبودية وهى حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد ذلك النور فى كل حجاب الف سنة فكل هذا العدد من طريق الاجمال اثنان وسبعون واذا انضم اليه المنازل الثمانى والعشرون على ما اشير اليه فى الجلد الاول يصير المجموع مائة واليه الاشارة بالقاف فهو مائة رحمة ومائة درجة فى الجنة اختص بها الحبيب عليه السلام فى الحقيقة اذ كل من عداه فهو تبع له فكما انهم تابعون له عليه السلام فى مقاماته الصورية الدورية المائة لانه اول من خلقه الله ثم خلق المؤمنين من فيض نوره فكذلك هم تابعون له فى الدرجات العلوية المبنية على المراتب السلوكية السيرية وفى كل هذه المنازل دار بالقرآن لان الكلام النفسى تنزل اليه مرتبة بعد مرتبة الى ان أنزله روح القدس على قلبه فى هذا العالم الشهادى تشريفا له من الوجه العام والخاص والى كل هذه المقامات رقى بالقرآن كما يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا وان منزلك عند آخر آية تقرأها ولا شك انه كان خلقه القران فلذا مجد وشرف بمجد القرآن وشرفه فاعرف هذا فانه من مواهب الله تعالى ويجوز ان يكون معنى ق من طريق الاشارة احذروا قاف العقل والزموا شين العشق كما قال بعضهم * قفل درنشاط وسرور ست قاف عقل * دندانهٔ كليد بهشتست شين عشق * وقال جماعة من العلماء قاف جبل محيط بالارض كالحاطة العين بسوادها وهو اعظم جبال الدنيا خلقه الله من زمرد أخضر اوزبرجد أخضر منه خضرة السماء والسماء ملتزقة به فليست مدينة من المدائن وقرية من القرى الا وفيها عرق من عروقه وملك موكل به واضع يديه على تلك العروق فاذا اراد الله بقوم هلاكا اوحى الى ذلك الملك فحرك عرقا فخسف بأهلها والشياطين يتطلقون الى ذلك الزبرجد فيأخذون منه فيبثونه فى الناس فمن ثم هو قليل (وفى المثنوى) رفت ذوالقرنين سوى كوه قاف * ديد اورا كرز مرد بود صاف * كرد عالم حلقه كشته او محيط * ماند حيران اندران خلق بسيط * كفت تو كوهى ذكرها چيستند * كه به پيش عظم تو بازيستند * كفت ركهاى من اندان كوهها * مثل من نبوند در حسن وبها * من بهر شهرى ركى دارم نهان * برعروقم بسته اطراف جهان * حق چو خواهد زلزل شهر مرا * كويد او من بر جهانم عرق را * پس بجنبانم من آن رك را بقهر * كه بدان رك متصل كشتست شهر * چون بكويد بس شود ساكن ركم * ساكنم وزروى قفل اندر تكم ** همچو مرهم ساكن بس كار كن * چون خرد ساكن وزو جنبان سخن * نزد انكس كه نداند عقلش اين * زلزله هست از بخارات زمين * قال ابى بن كعب الزلزلة لا تخرج الا من ثلاثة اما النظر الله بالهيبة الى الارض واما لكثرة ذنوب بنى آدم واما لتحريك الحوت الذى عليه الارضون السبع تأديبا للخلق وتنبيها قال ذوالقرنين يا قاف اخبرنى بشئ من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم وان من ورائى مسيرة خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضا ولولا ذلك لاحترقت من نار جهنم والعياذ بالله تعالى منها يعنى اسكندر كفت يا قاف از عظمة الله باما چيزى بكوى كفت يا ذا القرنين كار خداوند ما عظيم است واز اندازهٔ وهم وفهم بيرونست بعظمت او خبر كجا رسد وكدام عبارت بوصف او رست كفت اخر انچه كمتر است ودر تحت وصف آيد چيزى بكوى كفت واى من زمينى است آفريده پانصد ساله راه طول آن وپانصد ساله راه عرض آن همه كوهها اند بران برف واكر نه ان برف بودى من از حرارت دوزخ چون ارزيز بكداختمى ذوالقرنين كفت زدى يا قاف نكتهٔ ديكر بكوى از عظمت وجلال او كفت جبريل امين كربسته در حجب هيبت ايستاده هر ساعتى از عظمت وسياست دركاه جبروت برخود بلرزد رعده بروى افتد رب العالمين ازان رعده وى صد هزار ملك بيافريند صفها بركشيده در حضرت بنعت هيبت سر در پيش افكنده وكوش بر فرمان نهاده تا بكبار از حضرت عزت ندا ايد كه سخن كويد همه كويند لا اله الا الله و بيش ازين نكويند اينست كه رب العالمين كفت يوم يقوم الروح والملائكة صفا الى قوله وقال صوابا يعنى لا اله الا الله وقيل خضرة السماء من الصخرة التى تحت الارض السفلى تحت الثور وهو المشار اليه بقوله تعالى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة الآية وجعل الله السماء خضراء لتكون اوفق للابصار لان النظر الى الخضرة يقوى البصر فى الحكمة وكل صنع الله لحكمة وفائدة لاهل العلم وفى الحديث ثلاث يجلون البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه الحسن قال ابن عباس رضى الله عنهما والاثمد عند النوم وبالجملة ان الالوان سوى البياض مما يعين البصر على النظر وعن خالد بن عبد الله ان ذا القرنين لما بنى

الاسكندرية رخمها بالرخام الابيض جدرها وارضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام فمن ذلك لبس الرهبان السواد كما فى اوضح المسالك لابن سباهى قال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر لما خلق الله الارض على الماء تحركت ومالت فخلق الله تعالى من الابخرة الغليظة الكثيفة الصاعدة من الارض بسبب هيجانها الجبال فسكن ميل الارض وذهبت تلك الحركة التى لا يكون معها استقرار فطوق الارض بجبل محيط بها وهو من صخرة خضراء وطوق الجبل بحية عظيمة رأسها بذنبها رأيت من الابدال من صعد جبل قاف فسألته عن طوله علوا فقال صليت الضحى فى أسفله والعصر فى اعلاه يعنى بخطوة الابدال فالخطوة عند الابدال من المشرق الى المغرب يقول الفقير لعل هذا من قبيل البسط فى السير والا فقد ثبت ان السماء الدنيا متصلة به وما بين السماء والارض كما بين المشرق والمغرب وهى مسيرة خمسمائة عام فكيف تسع هذه المسيرة تلك الخطوات المتضاعفة وفى الخبر ان لقاف فى السماء سبع شعب لكل سماء شعبة منها فالسموات السبع مقببة على شعبه وخلق الله ستة جبال من وراء قاف وقاف سابعها وهى موتودة بأطراف الارض على الصخرة وقاف وراءها على الهواء وقيل خلق الله جبل قاف كالحصن المشرف على الملك ليحفظ اهل الارض من فيح جهنم التى تحت الارض السابعة يقول الفقير فيه اشارة الى حال قطب الاقطاب رضى الله عنه فانه مشرف على جميع الرجال من حيث جمعية اسمه وعلو رتبته وبه يحفظ الله العالم من الآفات الصورية والمعنوية كما ان جبل قاف مشرف على سائر الجبال وبه يحفظ الله اهل الارض بالغدو والآصال ومن خلف ذلك الجبل بحر محيط بجبل قاف وحوله جبل قاف آخر والسماء الثانية مقببة عليه وكذلك من وراء ذلك بحار محدقات بجبل قاف على عدد السموات وان كل سماء منها مقببة عليه وان فى هذه البحار وفى سواحلها وبيسها المحدقة بها ملائكة لا يحصى عددهم الا الله ويعبدون الله حق عبادته ومن جبل قاف ينفجر جميع عيون الارض فيشرب منه كل بر وفاجر فيجده العبد حيث توجه وفى البعض مثل ذلك وما وراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا وقال بعض المفسرين ان لله سبحانه من وراء جبل قاف ارضا بيضاء كالفضة المجلاة طولها مسيرة اربعين يوما للشمس وبها ملائكة شاخصون الى العرش لا يعرف الملك منهم من الى جانبه من هيبة الله تعالى ولا يعرفون ما آدم وما ابليس هكذا الى يوم القيامة وقيل ان يوم القيامة تبدل ارضنا هذه بتلك الارض (وروى) ان الله تعالى خلق ثمانية آلاف عالم الدنيا منها عالم واحد وان الله تعالى خلق فى الارض الف امة سوى الجن والانس ستمائة فى البحر وار بعمائة فى البر وكل مستفيض منه تعالى * چنان پهن خوان كرم كسترد * كه سيمرغ درقاف قسمت خورد (والقرءان المجيد) اى ذى المجد والشرف على سائر الكتب على ان يكون للنسب كلابن وتامر أو لانه كلام المجيد يعنى أن وصف القرآن بالمجد وهو حال المتكلم به مجاز فى الاسناد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وشرف على ان يكون مثل بنى الامير المدينة فى الاسناد الى السبب قال الامام الغزالى رحمه الله المجيد هو الشريف ذاته الجميل افعاله الجزيل عطاؤه ونواله فكان شرف الذات اذا قارنه حسن الفعال سمى مجيدا وهو الماجد ايضا ولكن احدهما دال على المبالغة وجواب القسم محذوف اى انك يا محمد لنبى منذر اى مخوف من عذاب الله تعالى (بل عجبوا) اى فراعنة قريش ومتعنتوهم (ان جاءهم منذر منهم) اى لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك وهو اضراب عما ينبئ عنه الجواب اى انهم شكوا فيه ولم يكتفوا بالشك والتردد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقال بعضهم جواب القسم محذوف ودليل ذلك قوله بل لانه لنفى ماقبله فدل على نفى مضمر وتقديره اقسم بجبل قاف الذى به بقاء دنياكم وبالقرءان الذى به بقاء دينكم ماكذبوك ببرهان وبمعرفة بكذبك بل عجبوا الخ والعجب بظر النفس لامر خارج عن العادة (فقال الكافرون هذا شئ عجيب) تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار وهذا اشارة الى كونه عليه السلام منذرا بالقرآن وحاصله كون التذير منا خصص بالرسالة من دوننا وكون ما انذر به هو البعث بعد موت كل شئ بليغ فى الخروج عن عادة اشكاله وهو من فرط جهلهم لانهم عجبوا ان يكون الرسول بشرا واوجبوا ان يكون الاله حجرا وانكروا البعث مع ان اكثر ما فى الكون مثل ذلك من اعادة كل من الملوين بعد ذهابه واحياء الارض بعد موتها واخراج النبات والاشجار والثمار وغير ذلك ثم ان اضمار الكافرين اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم من المقال وانه اذا ذكر شئ خارج عن سنن الاستقامة انصرف اليهم اذ لا يصدر الا عنهم فلا حاجة الى اظهار ذكرهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه (ائذا متنا وكنا ترابا) اى أحين نموت فنفارق

ارواحنا اشباحنا ونصير ترابا لافرق بيننا وبين تراب الارض نرجع ونبعث كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ والهمزة للانكار اى لانرجع ولانبعث (ذلك) اشارة الى محل النزاع اى مضمون الخبر برجوعها (رجع) الرجع متعد بمعنى الرد بخلاف الرجوع اى ردالى الحياة والى ماكنا عليه (بعيد) جدا عن الاوهام اوالعادة اوالامكان اوعن الصدق غير كائن لانه لايمكن تمييز ترابنا من بقية التراب (قد علمنا ماتنقص الارض منهم) ردلاستبعادهم وازاحة له اى نحن على ذلك فى غاية القدرة فان من عم علمه واطلعه حتى انتهى الى حيث علم ماتنقص الارض من اجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عبر بمن لان الارض لاتأكل عجب الذنب فانه كالبذر لاجسام بنى آدم وفى الحديث كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب فانه خلق وفيه يركب والعجب بفتح العين وسكون الجيم اصل الذنب ومؤخر كل شئ وهو هنا عظم لاجوف له قدر ذرة اوخردلة يبقى من البدن ولا يبلى فاذا اراد الله الاعادة ركب على ذلك العظم سائر البدن واحياه اى غير ابدان الانبياء والصديقين والشهداء فانها لاتبلى ولا تتفسخ الى يوم القيامة على ماص به الاخبار الصحيحة قال ابن عطية وحفظ ماتنقص الارض انما هو ليعود بعينه يوم القيامة وهذا هو الحق وذهب بعض الاصوليين الى ان الاجساد المبعوثة يجوز ان تكون غير هذه قال ابن عطية وهذا عندى خلاف لظاهر كتاب الله ولو كانت غيرها فكيف كانت تشهد الجلود والايدى والارجل على الكفرة الى غير ذلك مما يقتضى ان اجساد الدنيا هى التى تعود وسئل شيخ الاسلام ابن حجر هل الاجساد اذا بليت وفنيت واراد الله تعالى اعادتها كما كانت اولا هل تعود الاجسام الاول ام يخلق الله للناس اجسادا غير الاجساد الاول فأجاب ان الاجساد التى يعيدها الله هى الاجساد الاول لاغيرها قال وهذا هو الصحيح بل الصواب ومن قال غيره عندى فقد اخطأ فيد لخالفته ظاهر القرآن والحديث قال اهل الكلام ان الله تعالى يجمع الاجزاء الاصلية التى صار الانسان معها حال التولد وهى العناصر الاربعة ويعيد روحه اليه سواء سمى ذلك الجمع اعادة المعدوم بعينه اولم يسم فان قيل البدن الثانى ليس هو الاول لما ورد فى الحديث من ان اهل الجنة جرد مرد وان الجهنمى ضرسه مثل احد فيلزم التناسخ وهو تعلق روح الانسان ببدن انسان اخر وهو باطل قلنا انما يلزم التناسخ ان لم يكن البدن الثانى مخلوقا من الاجزاء الاصلية للبدن الاول يقول الفقير البدن معاد على الاجزاء الاصلية وعلى بعض الفضلة ايضا وهو العجب المذكور فكانه البدن الاول فلا يلزم التناسخ جدا والتغاير فى الوصف لايوجب التغاير فى الذات فقد ثبت ان الخضر عليه السلام يصير شابا على كل مائة سنة وعشرين سنة مع ان البدن هو البدن الاول وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ان ابليس اذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم عاد ابن ثلاثين سنة واختلف القائلون بحشر الاجسام فمنهم من ذهب الى ان الاعادة تكون فى الناس مثل مابداهم بنكاح وتناسل وابتداء بخلق من طين ونفخ كما جرى من خلق آدم وحواء وخلق البنين من نسل ونكاح الى آخر مولود فى العالم البشرى كل ذلك فى مدة قصيرة على حسب مايقدره الحق تعالى واليه ذهب الشيخ ابو القاسم بن قسى فى كتاب خلع النعلين له فى قوله تعالى كما بدأكم تعودون ومنهم من قال وهو القول الاصح بالخبر المروى ان السماء تمطر مطرا شبه المنى فينشأ منه النشأة الاخرة كما ان النشأة الدنيا من نقطة تنزل من بحر الحياة الى اصلاب الآباء ومنها الى ارحام الامهات فيتكون من قطر بحر الحياة تلك النقطة جسد فى الرحم وقد علمنا ان النشأة الاولى اوجدها الله تعالى على غير مثال سبق وركبها فى اى صورة شاء وهكذا النشأة الاخرة يوجدها الحق على غير مثال سبق مع كونها محسوسة بلاشك فيشئ الله النشأة الاخرة على عجب الذنب الذى يبقى من هذه النشأة الدنيا وهو اصلها فعليه تتركب النشأة الاخرة فقوله تعالى كما بدأكم تعودون راجع الى عدم مثال سابق كما فى النشأة الاولى مع كونها محسوسة بلاشك اذ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفة نشأة اهل الجنة والنار مايخالف هذه النشأة الدنيا وقوله وهو اهون عليه لايقدح فيما قلنا لان البدء ان كان عن اختراع فكر وتدبير كانت اعادته الى ان يخلق خلقا آخر مما يقارب ذلك ويزيد عليه اقرب الى الاختراع فى حق من يستفيد الامور بفكرة والله متعال عن ذلك علوا كبيرا فهو الذى يفيد العالم ولا يستفيد ولا يتجدد له علم بشئ بل هو عالم بتفاصيل مالا يتناهى بعلم كلى فعلم التفصيل فى عين الاجمال وهكذا ينبغى لجلاله ان يكون قال ابو حامد الغزالى رحمه الله ان العجب المذكور فى الخبر هو النفس وعليها ينشأ النشأة الآخرة اى كما يكون شجر كثير الاصول والاغصان من الحبة الصغيرة فى الطين كذلك جسد الانسان من حبة العجب الذى لايقبل البلى فعبر عنه الامام

بالنفس لانه مادتها وعنصرها هكذا اوله البعض وقال غيره مثل ابى يزيد الرقراقى المراد من العجب جوهر فرد وجزء واحد لا يقبل القسمة والبلى فيه قوة القابلية الهيولانية بل هو صورة هيولى النفس الحيوانية الحاملة لاجزاء العناصر التى فى الهيكل المحسوس فيبقيه الخالق ويعصمه من التغير والبلى فى عالم الكون والفساد بل خلقه من اول خلق النشاة الدنيوية الى الابدان الجنانية وعليه مدار الهيكل يبقى من هذه النشأة الدنيا لا يتغير وعليه ينشأ النشأة الآخرة وكل ذلك محتمل لا يقدح فى شئ من الاصول الشرعية فى الاحكام الاخروية وتوجيهات معقولة يحتمل ان يكون كل منها مقصود الشارع بقوله عجب الذنب وقال خضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر والذى وقع لى به الكشف الذى لا أشك فيه ان المراد بعجب الذنب هو ما يقوم عليه النشأة وهو لا يبلى اى لا يقبل البلى والفناء فان الجواهر والذوات الخارجة لى الوجود من العدم لا تنعدم اعيانها ولكن تختلف عليها الصور الشهادية والبرزخية بالامتزاجات التى هى اعراض تعرض لها بتقدير العزيز العليم فاذا تهيأت هذه الصور بالاستعداد لقبول الارواح كاستعداد الحشيش بالنارية التى هى فيه لقبول الاشتعال والصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالارواح التى فيها فينفخ اسرافيل نفخة واحدة فتمر تلك النفخة على تلك الصور البرزخية فتطفئها وتمر النفخة التى تليها وهى الاخرى الى الصور المستعدة الاشتعال وهى النشأة الاخرى فتشعل بارواحها فاذا هم قيام ينظرون نسأل الله تعالى ان يبعثنا امنين بجاه النبى الامين (وعندنا كتاب حفيظ) بالغ فى الحفظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شئ او تأكيد لعلمه بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة فالاضافة لكون الشئ تكذيبا للامر الثابت من غير تدبر بخلاف الاول فانه تعجب (لما جاءهم) من غير تأمل وتفكر تقليدا للآباء وبعد التأمل تمردا وعنادا وجاء بكلمة التوقع اشعارا بأنهم علموا بعد علو شانه واعجازه الشاهد على حقيته فكذبوا به غيا وحسدا (فهم فى امر مريج) من مرج الخاتم فى اصبعه اذا جرج بالجيمين كفرح اى قلق وجال واضطرب من سعته بسبب الهزال اى فى امر مضطرب لا قرار له من غلبات آفات الحس والوهم والخيال على عقولهم فلا يهتدون الى الحق ولذا يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن ومرة مفترا لا يثبتون على شئ واحد وهذا اضطرابهم فى شأن النبى عليه السلام صريحا ويتضمن اضطرابهم فى شأن القرآن ايضا فان نسبتهم اياه الى الشعر ونحوه انما هى بسببه واعلم ان الاضطراب موجب للاختلاف وذلك ادل دليل على البطلان كما ان اثبات والخلو موجب للاتفاق وذلك ادل دليل على الحقية قال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج امرهم وكذا قال قتادة وزادوا الناس عليهم دينهم وعن على رضى الله عنه قال له يهودى ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال انما اختلفنا عنه لا فيه ولكنكم ما جفت ارجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم الهة وسئل بزرجمهر الحكيم كيف اضطربت امور آل ساسان وفيهم مثلك قال استعانوا بأصاغر العمال على اكابر الاعمال فآل أمرهم الى ما آل (كما قال الشيخ سعدى)

پندم اكر بشنوى اى پادشاه * درهمه دفتر به ازين پند نيست * جز بخرد مند مفرما عمل * كرچه عمل كار خرد مند نيست * واضطربوا فى حق الحلاج رضى الله عنه وكذبوا بالحق فأفتوا بالقتل فخرج امرهم حيث احرقت دار الوزير وقتل ثم دار الامر على الخليفة ففعل به ما فعل واضطربوا فى شان سلطان العلماء وادا المولى جلال الدين الرومى فنفوه من بلخ ثم نفاهم الله من الارض واوقعهم فى ويل طويل من تسلط عدو متواصل وكان فيهم صاحب التفسير الكبير فاختفى لكنه ظهر امر الله عليه ايضا ومانفع الاختفاء وفيه يقول المولى جلال الدين قدس سره درچنان تنكى وانكه اين عجب * فخر دين خواهد كه كويندش لقب * واضطربوا فى شأن الرسول عليه السلام حتى قتلهم الله تعالى وجعل مكة خالصة للمؤمنين (افلم ينظروا) اى اغفلوا فلم ينظروا حين كفروا بالبعث (الى السماء فوقهم) بحيث يشاهدونها كل وقت اى الى آثار قدرة الله فى خلق العالم وايجاده من العدم الى الوجود وفوقهم ظرف ليظروا او حال من السماء (كيف بنيناها) اى رفعناها بغير عمد (وزيناها) بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع (ومالها من فروج) من فتوق للاستها وسلامتها من كل عيب وخلل كما قال هل ترى من فطور وهذا لا ينفى وجود الابواب والمصاعد فانها ليست من قبيل العيب والخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل والفروج جمع فرج وهو الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن

السوء وكثر حتى صار كانه صريح فيه واستعير الفرج للثغر وكل مخافة وسمى القباء المشقوق فروجا ولبس رسول الله عليه السلام فروجا من حرير ثم نزعه (والارض مددناها) اى بسطناها وفرشناها على وجه الماء مسيرة خمسمائة عام من تحت الكعبة وهذا دليل على ان الارض مبسوطة وليست على شكل الكرة كما فى كشف الاسرار وفيه انه لامنافاة بين بساطتها وكريتها كما عرف فى محله (والقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت ارسيت بها الارض اذلو لم تكن لكانت مضطربة مائلة الى الجهات المختلفة كما كانت قبل اذ روى ان الله لما خلق الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهى بمقر أحد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة ثم خلقت من رسا الشئ اى ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بأن القاءها لارساء الارض بها وفيه اشارة الى رجال الله فانهم اوتاد الارض والعمد المعنوية للسماء فاذا انقرضوا ولم يوجد فى الارض من يقول الله الله فسدت السموات والارض (وانبتنا) واخرجنا (فيها من كل زوج) صنف وقوله ازواجا من نبات شتى اى انواعا متشابهة (بهيج) حسن طيب من الثمار والنباتات والاشجار كما قال فى موضع آخر ذات بهجة اى يبتهج به لحسنه اى يسر والبهجة حسن اللون وظهور السرور فيه وابتهج بكذا اى سر به سرورا بان اثره على وجهه كما فى المفردات (تبصرة وذكرى) علتان للافعال المذكورة معنى على التنازع وان انتصبتا عن الفعل الاخير او بفعل مقدر بطريق الاستئناف اى فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا يعنى ازبراى بينايى يعنى بنظر باعتبار واستدلال نكرستن وازبراى ياد كردن وپند كرفتن ويجوز ان يكونا نصبا على المصدرية من فعلهما المقدر اى تبصرهم وتذكرهم (لكل عبد منيب) اى راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنائعه وفيه اشارة الى ان الوصول الى مقام التبصرة والذكرى انما هو بالعبودية والانابة التى هى مبنى الطريقة واساسها قال بعضهم التبصرة معرفة من الله عليه والذكرى عدها على نفسه فى كل حال ليشتغل بالشكر فيما عومل به عن النظر الى شئ من معاملته كفته اند تبصرة وذكرى دو نام اند شريعت وحقيقت را تبصره حقيقت است وذكرى شريعت بواسطه وحقيقت بمكاشفه شريعت خدمت است بر شرط وحقيقت غربت است بر مشاهده شريعت بى يد است وحقيقت بى خورى اهل شريعت فريضه كزاران ومعصيت كدازان اهل حقيقت از خويشتن كريزان وبيكى تازان قبله اهل شريعت كعبه است قبله اهل حقيقت فوق العرش ميدان حساب اهل شريعت موقف است وميدان حساب اهل حقيقت حضرة سلطان ثمرة اهل شريعت بهشت ثمرة اهل حقيقت لقاورضاى رحمن فعلى العاقل ان يتبصر بالذكر الحكيم ويتفكر فى صنعه العظيم ويوحده توحيدا يليق بجنابه الكريم وينيب اليه انابة لارجوع بعدها الى يوم مقيم نقلست كه پيريش شقيق بلخى رحمه الله آمد وكفت كار بسيار دارم ومى خواهم كه توبه بكنم وى كفت دير آمدى پير كفت زود آمدم كفتا چرا كفت اذ بهر انكه هر كه پيش ازمرك بايد بتوبه زود آمده باشد شقيق كفت نيك آمدى ونيك كفتى * بارهاى خويش راچيزى سبك كردان كه نيست * تنكناى مرك را كنجايئ اين بارها (وقال الشيخ سعدى) بيانا باريم دستى زدل * كه نتوان برآورد فردا زكل * أيقظنا الله تعالى واياكم من نوم الغفلة (ونزلنا من السماء ماء مباركا) اى كثير المنافع حياة الاناسى والدواب والارض الميتة وفى كشف الاسرار مطرا ثبت فى اجزاء الارض فينبع طول السنة (فانبتنا به) اى بذلك الماء (جنات) كثيرة اى اشجارا ذوات ثمار فذكر المحل واراد الحال كما قال فأخرجنا به ثمرات وبالفارسية بوستانها مشتمل بر اشجار وثمار (وحب الحصيد) من حذف الموصوف للعلم به على ما هو اختيار البصريين فى باب مسجد الجامع لئلا يلزم اضافة الشئ الى نفسه واصل الحصيد قطع الزرع والحصيد بمعنى المحصود وهو هنا مجاز باعتبار الاول والمعنى وحب الزرع الذى شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما مما يقتات به وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات (والنخل) عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وقد سبق بعض اوصافها فى سورة يس وتوسيط الحب بينهما للتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل (باسقات) طوالا فى السماء عجيبة الخلق وهو حال مقدرة فانها وقت الانبات لم تكن طوالا يقال بسقت الشجرة بسوقا اذا طالت وفى المفردات الباسق هو الذاهب طولا من جهة الانقطاع ومنه بسق فلان على اصحابه علاهم ويجوز ان يكون معنى باسقات حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل (لها طلع نضيد) اى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة

حال من النخل يقال نضدت المتاع بعضه على بعض الفيته فهو منضود ومنضد والمنضد السرير الذي ينضد عليه المتاع ومنه استعير طلع نضيد كما في المفردات والنضد والتضيد بالفارسية برهم نهادن والطلع شئ يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود والطرف محدد أو ما يبدو من ثمرته في اول ظهورها وقشره يسمى الكفرى بضم الكاف والفاء معا وتشديد الراء وما في داخله الاغريض لبياضه كما في القاموس قال في بحر العلوم الطلع ما يطلع من النخلة وهو الكم قبل ان يشق ويقال لما يظهر من الكم طلع ايضا وهو شئ ابيض يشبه بلونه الاسنان وبرائحته المني (رزقا للعباد) اى لرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الاول بالتبصرة والتذكرة تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق * خوردن براى زيستن وذكر كردنست * تو معتقد كه زيستن از بهر خوردنست * يقول الفقير المقصود من الآية الاولى هو الاستدلال على القدرة باعظم الاجرام كما دل عليه النظر وذكر الانبات فيها بطريق التبع فناسب التعليل بالتبصرة والتذكير ومن الثانية بيان الانتفاع بمنافع تلك الاجرام فناسب التعليل بالرزق ولذا اخرت عن الاولى لان منافع الشئ مترتبة على خلقه قال ابو عبيدة نخل الجنة نضيد ما بين اصلها الى فرعها بخلاف نخل الدنيا فان ثمارها في رؤسها كلما نزعت رطبة عادت أليس من الزبد أحلى من العسل فنخل الدنيا تذكير لنخل الجنة وفي كل منهما رزق للعباد كما قال تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا (واحيينا به) اى بذلك الماء (بلدة ميتا) تذكير ميتا باعتبار البلد والمكان اى ارضا جدبة لانماء فيها اصلا بأن جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة (روى) ابو هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءهم المطر فسالت الميازيب قال لا محل عليكم العام اى لا جدب يعني تنكي نيست برشما امسال (كذلك خروج) جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء اى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لاشئ مخالف لها وقد روى ان الله يمطر السماء اربعين ليلة كمني الرجال يدخل في الارض فينبت لحومهم وعروقهم وعظامهم ثم يحييهم ويخرجهم من تحت الارض وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس (قال الكاشفي) واكر كسى تامل كند وراحياء دانه كه مانند مرده درخاك مدفونست وظهور او بعد از خفا دور نيست كه بشمه از حيات اموات پى تواند برد * كدام دانه فرو شد كه برنيامد باز * كمان باشد * فروشدن چو بديدى برآمدن بنكر * غروب شمس وقمر را چرا زيان باشد * وفي الآية اشارة الى تنزيل ماء الفيض الالهي من سماء الارواح فان الله ينبت به حبات القلوب وحب المحبة المحصود به محبة ماسوى الله من القلوب وشجرة التوحيد لها طلع نضيد من انواع المعارف رزقا للعباد الذين يبيتون عند ربهم يطعمهم ويسقيهم ويحيي بذلك الفيض بلدة القلب الميت من نور الله كما قال او من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا الآية كذلك الخروج من ظلمات الوجود الى نور واجب الوجود فافهم جدا (كذبت قبلهم) اى قبل اهل مكة (قوم نوح) قوم نوح كه بنى شيث وبنى قابيل بودند تكذيب كردند مر نوح را (واصحاب الرس) قيل كانت الرس بئرا بعد ثمود بقايا ثمود وكان لهم ملك عدل حسن السيرة يقال له العيس كثير وكانت البئر تسقي المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك لانها كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها جمع بكرة بالفتح وهي خشبة مستديرة في وسطها محز يستقى عليها ورجال كثيرون موكلون بها وابازن بالزاى والنون من رخام وهي تشبه الحياض كثيرة مملأ للناس قال في القاموس الابزن مثلثة الاول حوض يغتسل فيه وقد يتخذ من نحاس معرب آبزن انتهى وآخر للدواب وآخر للبقر والغنم والهوام يستقون عليها بالليل والنهار يتداولون ولم يكن لهم ماء غيره فطال عمر الملك فلما جاءه الموت طلى بدهن لتبقى صورته ولا تتغير وكذلك كانوا يفعلون اذا مات منهم الميت وكان ممن يكرم عليهم فلما مات شق ذلك عليهم ورأوا ان أمرهم قد فسد وصيحوا جميعا بالبكاء واغتنمها الشيطان منهم فدخل في جثة الملك بعد موته بايام كثيرة فكلمهم وقال انى لم امت ولكني قد تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم بعدي ففرحوا أشد الفرح وأمر لخاصته ان يضربوا له حجابا بينه وبينهم ويكلمهم من ورائه كيلا يعرف الموت في صورته فنصبوه صنما من ورأء حجاب لا يأكل ولا يشرب وأخبرهم انه لا يموت ابدا وانه الههم وذلك كله يتكلم به

الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المؤمن المكذب منهم اقل من المصدق فكلما تكلم ناصح منهم زجروقهر فاتفقوا على عبادته فبعث الله لهم نبيا كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة وكان اسمه حنظلة ابن صفوان فأعلمهم ان الصورة صنم لا روح له وان الشيطان فيه وقد أضلهم الله وان الله تعالى لا يقبل بالخلق وان الملك لا يجوز ان يكون شريكا لله واوعدهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته فآذوه وعادوه وهو يتعهدهم بالموعظة والنصيحة حتى قتلوه وطرحوه في بئر وعند ذلك حلت عليهم النقمة فباتوا شبا عى رواهن الماء وأصبحوا والبئر قد غارماؤها وتعطل رشاؤها وهو بالكسر الحبل فصاحوا بأجمعهم وضج النساء والولدان وضجت البهائم عطشا حتى عمهم المرت وشملهم الهلاك وخلفهم في أرضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع وتبدلت لهم جنانهم وأموالهم بالسدر والشوك شوك العضاة بالقتاد الاول بالكسر ام غيلان او نحوه والثاني كسحاب شجر صلب شوكه كالابر فلا تسمع فيها الا عزيف الجن اى صوتهم وهو جرس يسمع في الفاوز بالليل والازئير الاسد اى صوته من الصدر نعوذ بالله من سطواته ومن الاصرار على ما يوجب نقماته كذا في التكملة نقلا عن تفسير القرى وقيل الرس بئر قرب اليمامة او بئر بأذربيجان او واد كما قال الشاعر فهن لوادي الرس كاليد للفم * وقد سبق بعض الكلام عليه في سورة الفرقان فارجع (وثمود) وقوم ثمود صالحا وهو ثمود بن عاد وهو عاد الآخرة وعاد هو عاد ارم وهو عاد الاولى (وعاد) وقوم عاد هود ا (وفرعون) وفرعون موسى ا وهرون ا والمراد هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده من الجماعة (واخوان لوط) يعني اصهارا ومرادا والصهر زوج بنت الرجل وزوج اخته وقيل اخوانه قومه لاشتراكهم في النسب لان في الدين قال عطاء ما من احد من الانبياء الا ويقوم معه قومه الا لوطا عليه السلام يقوم وحده (واصحاب الأيكة) هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين وكانوا يسكنون أيكة اى غيضة تنبت السدر والأراك وقدم في سورة الحجر (وقوم تبع) لحميري ملك اليمن وقد سبق شرح حالهم في سورة الدخان (كل كذب الرسل) اى فيما أرسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي أجمعوا عليه قاطبة اى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسلهم وكذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم لمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع (فحق وعيد) اى فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب والوعيد يستعمل في الشر خاصة بخلاف الوعد فانه يكون في الخير والشر وفي الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تحزن بتكذيب الكفار اياك لانك لست باول نبي كذب وكل امة كذبت رسولها واصبر على أذاهم كما صبروا تظفر بالمراد كما ظفروا وتهديد لاهل مكة يعني احذروا يا أهل مكة من مثل عذاب الامم الخالية فلا تكذبوا رسول الله فان الاشتراك في العمل يوجب الاشتراك في الجزاء واعلم ان عموم أهل كل زمان الغالب عليهم الهوى والطبيعة الحيوانية فهم أهل الحس لا أهل العقل ونفوسهم متمردة بعيدة عن الحق قريبة الى الباطل كلما جاءهم رسول كذبوه وعلى ما جاء به قاتلوه فحق عليهم عذاب ربهم بما كفروا بأنعم الله فاعياه اهلاكهم وفيه تسلية الاولياء ايضا من طريق الاشارة وتهديد لاهل الانكار ولعمري انهم في ايديهم كالانبياء في ايدي الكفار ولكن الصبر مفتاح الفرج فكما ان الكفار مسخوا وخسفوا وأخذوا بأنواع النكال فكذا اهل الانكار مسخ الله بواطنهم وخسف بهم الارض يعني ارض البشرية الكثيفة الظلمانية واخذوا بأصناف الخذلان وهم لا يدرون انهم كذلك بل يحسبون انهم ناجون من كل المهالك لزيادة عماهم وحيرتهم نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من المصدقين ويثبتنا على طريق اهل اليقين ويفيض علينا من بركاتهم ويشرفنا بآثار حركاتهم (افعيينا بالخلق الاول) العي بالامر العجز عنه يقال عي بالامر وعيي به اذا لم يهتد لوجه عمله وقدم في قوله ولم يعي بخلقهن والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كأنه قيل اقصدنا الخلق الاول وهو الابداء فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الخلق الثاني وهو الاعادة وبالفارسية آياما عاجز شده ايم در آفرينش اول خلق تا فرومانيم از آفرينش ثاني وفي عين المعاني الخلق الاول آدم عليه السلام وهم يقرون به وفي التأويلات النجمية أفاعتاص علينا فعل شيء حتى نعيى بالبعث او يشق علينا البعث اى ليس كذلك (بل هم في لبس من خلق جديد) يقال جددت الثوب اذا قطعته

على وجه الاصلاح وثوب جديد اصله المقطوع ثم جعل لكل ما احدث انشاؤه وخلق جديد اشارة الى النشأة الثانية وقوبل الجديد بالخلق لما كان المقصود بالجديد القريب العهد بالقطع من الثوب ومنه قيل لليل والنهار الجديدان والأجدان كما في المفردات والجملة عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة اذ لم تجر العادة بالاعادة في هذه الدار وهذا قياس فاسد كما لا يخفى (وقال الكاشفي) مشركان مكه معترف بودند بانكه حق تعالى مبدع خلق است در اول پس ميفرمايد كه كسى كه قادر بود بر آفرينش جمعى بى مادة ومددى چرا توانا نبود بر اعادة ايشان بجمع مواد ورد حيات بآن وبى شبهه ما بران قوت داريم بلكه كافران در شك وشبهه اند بسبب وساوس شيطانى از آفريدن نو يعنى بعث وحشر چه آز اتخالف عادت مى بينند * وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات او الايذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولا يقعد على لبس واعلم ان هذا الخلق الجديد حاصل في الدنيا ايضا سواء كان في الاعراض او في الاجسام وهو مذهب الصوفية ومذهب المتكلمين فانهم جوزوا انتفاء الاجسام في كل آن ومشاهدة بقائها بتجدد الامثال اى الاجسام الاخر كما جوزوا انتفاء الاعراض في كل آن ومشاهدة بقائها بتجدد الامثال اى الاعراض الاخر أى كما انه جائز في الاعراض التي هي غير قائمة بذواتها كذلك جائز في الجواهر التي هي قائمة بذواتها وفي هذا المعنى (قال في المثنوى) صورت از معنى چو شير از بيشه دان * باچو آواز وسخن زاندیشه دان * این سخن واوازا واندیشه خواست * تو ندانی بحر اندیشه كجاست * ليك چو موج سخن ديدى لطيف * بحران دانى كه باشد هم شريف * چون ز دانش موج اندیشه بتخت * از سخن واوازا وصورت بساخت * از سخن صورت بزاد وبازمرد * موج خود باز اندر بحر برد * صورت ازبى صورتى آمد برون * بازشد كه انا اليه راجعون * پس تراهر لحظه مرگ ورجعت است * مصطفى فرمود دنيا ساعتيست * فكرما تيريست ازهو درهوا * درهوا كى پايه آيد تاخدا * هر نفس نو مى شود دنيا وما * بى خبر از نو شدن اندر بقا * عمر همچون جوى نو نو مى رسد * مستمرى مى نمايد در جسد * ان زتيزى مستمر شكل آمدست * چون شرر كش تيز جنبانى بدست * شاخ آتش را بجنبانى بساز * در نظر آتش نمايد بس دراز * این درازى مدت از تيزئ صنع * مى نمايد سرعت انگيزئ صنع * قال الامام الشعرانى رضى الله عنه فى كتاب الجواهر تقلب العالم واقع فى كل نفس من حال الى حال فلا يثبت على حالة واحدة زمانا فردا لكن التغير انما يقع فى الصفات لا فى الاعيان فلم يزل الحق تعالى خلقا على الدوام انتهى ومنه يعرف طواف الكعبة ببعض الرجال واستقبالها لهم كما وقع ذلك لرابعة العدوية رضى الله عنها وغيرها وحقيقة هذا المقام لا تتضح الا بالكشف التام ومن الله الملك العلام الفيض والالهام (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) اى ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى والخطرة الرديئة ومنه وساوس الحلى وبالفارسية وميدانيم آن چيزى را كه وسوسه ميكند مر اورا بدان نفس او ازا ند يشها بد والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا وهمس به يعنى انها صلة او الانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية اى ما تجعله موسوسا فان النفس تجعل الانسان قائما به الوسوسة قال فى الكشاف ما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه وفيه اشارة الى ان الله تعالى كما يعلم حال الانسان قبل خلقه علما ثبوتيا كذلك يعلم بعد خلقه علما فعليا ودخل فيه ما توسوس به نفسه فانه مخلوق الله ايضا فلا يخفى عليه مخلوقه مطلقا ودخل فيما توسوس به نفسه شهواته المطلوب استيفاؤها وسوء خلقه واعتقاده الفاسد وغير ذلك من اوصاف النفس توسوس بذلك لتشوش عليه قلبه ووقته وفيه دخل آدم عليه السلام فان الله تعالى خلقه وعلم ما وسوست به نفسه فى اكل الشجرة وذلك بالقاء الشيطان قال بعض الكبار ليس للشيطان على باطن الانبياء من سبيل فخواطرهم لا حظ للشيطان فيها فهو يأتيهم فى ظاهر الحس فقط ولا يعلمون بما يقول لهم ثم ان من الاولياء من يحفظ من الشيطان فى علم الله تعالى فيكون بهذه المثابة فى العصمة مما يلقى لا فى العصمة من وصول ذلك الى قلبه لان الاولياء ليسوا بمشرعين بخلاف الانبياء عصمت بواطنهم لكونهم اصحاب الشرائع قال بعض الكبار ما من شخص من بنى آدم الا ويخطر له كل يوم وليلة سبعون الف خاطر لا تزيد ولا تنقص عدد الملائكة الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم فما من شخص الا ويخلق من خواطره كل يوم سبعون الف ملك ثم يرتفعون الى جهة البيت المعمور فاذا خرج السبعون الف من البيت المعمور كل يوم

يجتمعون بالملائكة المخلوقين من الخواطر فيكون ذكرهم استغفارا لاصحابهم الى يوم القيامة ولكن من كان قلبه معمورا بذكر الله دائما فالملائكة المخلوقون من خواطره يمتنعون عن الملائكة الذى خلقوا من خواطر قلب ليس له هذا المقام وسواء كان الخاطر فيما ينبغى او فيما لا ينبغى فالقلوب كلها من هذا البيت المعمور خلقت فلا تزال معمورة دائما وكل ملك يتكون من الخاطر يكون صورة صالحة فى علم الله لا ناظر وان كان هو فى نفسه ملكا سبح وقد لا يعلم ما خطر (ونحن أقرب اليه) اى الى الانسان (من حبل الوريد) ازرك جان وى بوى اى اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد وعبر عن قرب العلم لقرب الذات تجوزا لانه موجب له فاطلق الملزوم على اللازم وحبل الوريد مثل فى فرط القرب كقولهم هو منى بمعقد الازار والحبل العرق شبه بواحد من الحبال من حيث الهيئة واضافته بيانية وجوز الزمخشرى كونها بمعنى اللام ويجوز ان تكون كاضافة لجين الماء على ان يكون الحبل على حقيقته والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين وهو عرق فى القلب اذا انقطع مات صاحبه يرادان من الرأس اليه فالوريد بمعنى الوارد وقيل سمى وريدا لان الروح الحيوانى يرده فالوريد حينئذ بمعنى المورود وفى المفردات الوريد عرق متصل بالكبد والقلب وفيه مجارى الروح وقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد أى من روحه انتهى ماوردى فرموده كه حبل الوريد نزديست متصل بدل وعلم خداى تعالى بنده نزديكتر نيست از علم دل وى وفى التأويلات النجمية حبل الوريد اقرب اجزاء نفسه الى نفسه يشير به الى انه تعالى اقرب الى العبد من نفس العبد الى العبد فكما انه كل وقت يطلب نفسه يجدها لانها قريب منه فكذلك كل وقت يطلب ربه يجده لانه قريب منه كما قال تعالى واذا سألك عبادى عنى فانى قريب وفى الزبور الامن طلبنى وجدنى * نحن اقرب گفت من حبل الوريد * تو بگندى بژ فكرت را بعيد * اى كه از تير هاير ساخته * صيد نو ديك وتو دور انداخته (وقال الشيخ سعدى) دوست نزديكتر ازمن بمنست * وين عجبتر كه من ازوى دورم * چكنم باكه توان گفت كه او * در كنار من ومن مهجورم * قال بعض الكبار شدة القرب حجاب كما ان غاية البعد حجاب واذا كان الحق أقرب الينا من حبل الوريد فأين السبعون ألف حجاب التى بيننا وبينه فتأمل وقال البقلى ولو يرى الانسان نفسه لرأى هو ان نفسه ألا ترى كيف أخبر عن كمال قربه بنعت الاتحاد بقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ولذلك قال عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه اذ لا نفس الا هو ان فهمت ما قلت والا فاعلم ان الفعل قائم بالصفة والصفة قائمة بالذات فمن حيث عين الجمع ما هو الا هو ولا تظن الحلول فانه بذاته وصفاته منزه عن ان يكون له محل فى الحوادث هذا رمز العاشقين ألا ترى الى قول المجنون

انا من أهوى ومن أهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا
فاذا أبصرتنى أبصرته * واذا أبصرته أبصرتنا

وقال الواسطى اى نحن اولى به واحق انا جعلناه بعد الافتراق وانشأناه بعد العدم ونفخنا فيه الروح فالاقرب اليه من هو اعلم به منه بنفسه وقال ايضا بى عرفت روحك بى عرفت نفسك كل ذلك لاظهار النعوت على قدر طاقة الخلق فاما الحقيقة فلا يتحملها العبد سمعا (وقال الكاشفى) وبايد دانست كه قرب حق تعالى بى چون وچگونه باشداى عزيز كيفيت قرب جانراكه پيوسته است بتن درنمى توان يافت قرب حق راكه پيوسته از كيفيت مقدس ومنزه است چگونه ادراك توان كرد وهمين درمثنوئ معنوى مذكورست * قرب بيچون نست جانرا بتو * قرب حق راچون بدانى اى عمو * قرب نى بالا وپستى رفتن است * قرب حق از حبس هستى رستن است * در كشف الاسرار آورده كه قرب حق بحق آنست كه فرمود واسجد واقترب ودر احاديث قدسيه واردست كه لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل واين قرب اول بايمانست وتصديق وآخر باحسانست وتحقيق يعنى مقام مشاهده كه أن تعبد الله كأنك تراه وقرب تعالى مر بنده راد وقسمست يكى كافهٔ خلق را بعلم وقدرت كقوله وهو معكم اينما كنتم ديكر خواص دوكاه را بخصائص بروشواهد لطف كه ونحن أقرب اليه اول اورا قربتى دهد غيبى تا از جهانش برهاند پس قرب بحق حقيقى تا از آب وگل باز برد از هستئ موهوم بنده مى كاهد واز نيستئ اصلى زياده ظهور ميكند تا چنانچه در اول خود بود در آخر خود باشد انجا علايق مرتفع كردد واسباب منقطع ورسوم باطل وحدود متلاشى واشارات متناهى وعبارات منتفى وخبر منمحق وحق بنكا بخود باقى والله خبر وأبقى

رأيت حبي بعين قلبي * فقال من أنت قلت أنتا
انا الذي جزت كل حد * بمحو أيني فأين انتا

موج بحر لمن الملك برايد ناكاه * غرقه كر ددد دران بحر چه درويش وچه شاه * خر من هستي موهوم چنان سوزاند * آتش عشق كه نه دانه بماند نه كاه * قال ابو يزيد البسطامي قدس سره انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها فنظرت فاذا انا هواى ان من انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون له هم سوى الله تعالى واذا لم يحل في القلب الا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقا بصير كأنه هو لا انه هو تحقيقا وفرق بين قولنا كأنه هو وبين قولنا هو هو لكن قد يعبر بهو هو عن قولنا كأنه هو كما يقال زيد أسد في مقام التشبيه مبالغة في الشجاعة فان قلت ما معنى السلوك وما معنى الوصول قلت معنى السلوك هو تهذيب الاخلاق والاعمال والمعارف وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد في جميع ذلك مشغول بنفسه عن ربه الا انه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول والما الوصول هو ان ينكشف له جلية الحق ويصير مستغرقا به فان نظر الى معرفته فلا يعرف الا الله وان نظر الى همه فلا همه له سواه فيكون كله مشغولا بكله مشاهدة وهما لا يلتفت في ذلك الى نفسه ليعمر ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الاخلاق وكل ذلك طهارة وهي البداءة وتما النهاية ان ينسلخ عن نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو وذلك هو الوصول كما في شرح الاسماء الحسنى للامام الغزالي رحمه الله (اذ يتلقى المتلقيان) منصوب باذكر وهو اولى لبقاء قوله ونحن الخ على اطلاقه او بما في أقرب من معنى الفعل والتلقي الاخذ والتلقن بالحفظ والكتابة والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شئ اخفى منه وهو أقرب الى الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن ويأخذ الحفيظان اى الملكان الموكلان بالانسان ما يتلفظ به وفيه اى على الوجه الثاني ايذان بأنه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما في كتبهما وحفظهما الاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه بأحاطته تعالى بتفاصيل احواله خير من زيادة اللطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه السلام ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما وقد جوز أن يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا أقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به (عن اليمين) هو اشرف الجوارح وفيه القوة التامة (وعن الشمال) هو مقابل اليمين (قعيد) اى عن جانب اليمين قعيد اى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله والملائكة بعد ذلك ظهير (ما يلفظ من قول) ما يرى به من فيه من خير او شر والقول اعم من الكلمة والكلام (الا لديه) مكرر تزديك او (رقيب) ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال (عتيد) اى معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير او الشر فهو حاضر ايما كان وبالفارسية رقيب نكهبانى وديدبانى بود عتيد آماده في الحال تو يسد والافراد حيث لم يقل رقيبان عتيدان مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شئ حتى أنينه في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر ووزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبا ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر قيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه ولذا كره الكلام في الخلاء وعند قضاء الحاجة أشد كراهة لان الحفظة تتأذى بالحضور في ذلك الموضع الكريه لاجل كتابة الكلام فان سلم عليه في هذه الحالة قال الامام ابو حنيفة رحمه الله يرد السلام بقلبه لا بلسانه لئلا يلزم كتابة الملائكة فانهم لا يكتبون الامور القلبية وكذا يحمد الله بقلبه عند العطاس في بيت الخلاء وكذا يكره الكلام عند الجماع وكذا الضحك في هذه الحالة فلا بد من حفظ اللسان وفي الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه * الهى از صرفهٔ زر مكينى * صرفهٔ كفتار كن ار مكينى * مصلحت تست زبان زير كام * تيغ بسندیده بود در نيام * وفي الحديث ان ملائكة الليل وملائكة النهار يصلون معكم العصر فتصعد

ملائكة النهار وتمكث ملائكة الليل فاذا كان الفجر نزل ملائكة النهار ويصلون الصبح فتصعد ملائكة الليل وتمكث ملائكة النهار وما من حافظين يرفعان الى الله ما حفظا فيرى الله في اول الصحيفة خيرا وفي آخرها خيرا الا قال للملائكته اشهدوا اني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة كما في كشف الاسرار وفي الحديث نظفوا لثاتكم جمع لثة بالكسر وفتح الثاء المخففة وهي اللحمة التي فوق الاسنان ودون الاسنان وهي منابتها والعمور اللحمة القليلة بين السنين واحدها عمر بفتح العين فامر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وضر الطعام فتتغير منه النكهة وتتكر الرائحة ويتأذى الملكان لانه طريق القرآن ومقعد الملكين عند نابه (وروى) في الخبر في قوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال عند نابه كما في تفسير القرطبي في سورة البقرة وفي الحديث نقوا براجمكم وهي مفاصل الاصابع والعقد التي على ظهرها يجتمع فيها من الوسخ واحدها برجمة بضمتي الباء والجيم وسكون الراء بينهما وهو ظهر عقدة كل مفصل فظهر العقدة يسمى برجمة وما بين العقدتين يسمى راجبة وجمعها واجب وذلك مما يلي ظهرها وهو قصبة الاصابع فلكل اصبع برجتان وثلاث رواجب الا الابهام فان له برجمة وراجبتين فأمر بتنقيته لئلا يدرن فيبقى فيه الجنابة ويحول الدرن بين الماء والبشرة والجنب لا تقربه ملائكة الرحمن الى ان يتطهر وعن مجاهد قال ابطأ جبريل عليه السلام على النبي عليه السلام ثم اتاه فقال له عليه السلام ما حبسك يا جبريل قال وكيف آتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تأخذون من شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ وما نتنزل الا بأمر ربك كما في سفينة الابرار وفي الخبر النبوي قال عليه السلام نقوا افواهكم بالخلال فانها مجلس الملكين الكريمين الحافظين وان مداد هما الريق وقلمهما اللسان وليس عليهما شيء اصر من بقايا الطعام بين الاسنان كما في اسئلة الحكم قال الامام حجة الاسلام الهس الله منع الجنب والمحدث عن الدخول الى بيته ومس كتابه فقال عز من قائل ولا جنبا الا عابري سبيل وقال تعالى لا يمسه الا المطهرون مع انهما ارمباح فكيف بمن هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحة والشبهة مع من يدعى الى خدمة الله العزيز وذكره الشريف وصحبته الطاهرة سبحانه كلا لا يكون ذلك ابدا كما في الاسرار المحمدية اخواني فكر القلب في المباحات يحدث له ظلمة فكيف تدبير الحرام اذا غير المسك الماء منع الوضوء به فكيف ولوغ الكلب كما في درياق الذنوب لابي الفرج ابن الجوزي وفي الحديث ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة الا كل من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فالصرف النافلة والعدل الفريضة كما في الاحياء واطلاق الآية يدل على ان للكفار كتابا وحفظة فان قيل فالذي يكتب عن يمينه اذا اي شيء يكتب ولم يكن لهم حسنات يقال له الذي عن شمالهم يكتب باذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وان لم يكتب كما في بستان العارفين وفائدة حضور صاحب اليمين احتمال الايمان وهو اللائح بالبال وفي الحديث ان الله تبارك وتعالى وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله فاذا مات قال الملكان اللذان وكلا به يكتبان عمله قدمات فلان فتأذن لنا فنصعد الى السماء فيقول الله تعالى سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحون فيقولان فأين فيقول قوما على قبر عبدي فكبراني وهللاني واكتبا ذلك لعبدي الى يوم القيامة قال بعض الكبار من اهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همتهم من يعمل في قبورهم بغالب اعمالهم في الدنيا ويكتب الله تعالى لعبده ثواب ذلك العمل الى آخر البرزخ كما وقع لثابت المناني قدس سره فانهم وجدوا في قبره شخصا على صورته يصلي فظنوا انه هو وانما هو مخلوق من همته وكذلك المثالات المتخيلة في صور اهل البرزخ لاهل الدنيا في النوم واليقظة فاذا رؤي مثال احدهم فهو اما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي واما مثال اقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما شاء الله من حوائج الناس وغيرها فارواح الاولياء في البرزخ مالها خروج منه ابدا واما ارواح الانبياء عليهم السلام فانها مشرفة على وجود الدنيا والاخرة كما في كتاب الجواهر للشعراني ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لا يشعر انه قبر فاذا فيه انسان يقرأ سورة الملك فأتى النبي عليه السلام وأخبره فقال عليه السلام هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر كما في حل الرموز يقول الفقير بعض الآثار يدل على ان بعض الارواح يطوف في الارض كالصديق والفاروق رضي الله عنهما كما اشار اليه قوله عليه السلام ان لي وزيرين في الارض ابابكر وعمر وايضا ان المهدي رضي الله عنه اذا خرج يستصحب اصحاب الكهف وروحانية شخصين من كل هذه الامة وايضا قد اشتهر في الروايات خروج بعض الارواح من القبور في بعض الايام والليالي والشهور باذن الملك الغفور الا ان يأول كل ذلك والعلم عند الله تعالى وفي التأويلات النجمية يشير الى ان من لم يعرف

قدر قربى اليه ويكون بعيدا مني بخصاله الذميمة وفعاله الرديئة ولم ارض بأن اكون رقيبه او كل عليه رقيبين مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد يكتب بقلم حركاته ومداد نيته على صحيفة قلبه فان كانت حركاته شرعية ونيته صافية تجيء كتابته نورانية وان كانت حركاته طبيعية حيوانية ونيته هوائية شهوانية تجيء كتابته ظلمانية نفسانية فمن هنا بياض وجوه وتسود وجوه وفيه ايضا اشارة الى كمال عنايته في حق عباده اذ جعل على كل واحد رقيبين من الملائكة المقربين يحفظوه بالليل والنهار اذا كان قاعدا فواحد عن يمينه وواحد عن شماله واذا نام فواحد عن رأسه وواحد عن قدمه واذا كان ماشيا فواحد بين يديه واخر خلفه ويقال هما اثنان بالليل اكل واحد واثنان بالنهار ويقال بل الذي يكتب الخيرات كل يوم آخران والذي يكتب الشر والزلة كل يوم هو الذي كان بالامس ليكثر شهود الطاعة غدا وتقل شهود المعصية ويقال بل الذي يكتب المعصية كل يوم اثنان آخران لئلا يعلم من مساويك الا القليل منهم فيكون علم المعاصي متفرقا فيهم انتهى (وجاءت سكرة الموت بالحق) السكرة استعارة لشدة الموت وغمرته الذاهبة بالعقل انما لم يجعل الموت استعارة بالكناية ثم اثبات السكرة له تخييلا لان المقام أدعى الاستعارة التحقيقية وعبر عن وقوعها بالماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها حتى كأنها قد أتت وحضرت كما قيل قد أتاكم الجيش اى قرب اتيانه والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى حضرت سكرة الموت اى شدته التي تجعل الانسان كالسكران بحيث تغشاه وتغلب على عقله حقيقة الامر الذي نطق به كتاب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته واما للملابسة كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن اى ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقال بعضهم أتت وحضرت بأمر الله الذي هو حق (وحكي) ان رجلا أتى عمر رضي الله عنه فقال اني احب الفتنة واكره الحق وأشهد بما لم أره فحبسه عمر رضي الله عنه فبلغت قصته عليا رضي الله عنه فقال يا عمر حبسته ظلما فقال كيف ذلك قال لانه يحب المال والولد قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة ويكره الموت وهو الحق قال تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ويشهد بأن الله واحد ولم يره فقال عمر اولا على لهلك عمر (ذلك) اى يقال للميت بلسان الحال وان لم يكن بلسان المقال او تقول ملائكة ذلك الموت يا انسان (ما) موصولة اى الامر الذي (كنت) في الدنيا (منه) متعلق بقوله (تحيد) من حاد عنه يحيد حيدا اذا مال عنه اى تميل وتهرب منه وبالفارسية مى كريختى ومى ترسيدى واورا مكروه ميداشتى بل تحسب انه لا ينزل عليك بسبب محبتك الحياة الدنيا كما في قوله اولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال اى أقسمتم بألسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها وبألسنة الحال حيث بنيتم مشيدا وامليتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة فكأنكم ظننتم انكم مالكم من زوال مما أنتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية فالخطاب في الآية للانسان المتقدم على طريق الالتفات فان النفرة عن الموت شاملة لكل فرد من افراده طبعا ويعضده ما روى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اخذت ابا بكر غشية من الموت فبكيت عليه فقلت

من لا يزال دمعه مقنعا * لابد يوما انه مهراق

فأفاق ابو بكر رضي الله عنه فقال بل جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وما روى انها قالت ان من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وبين سحري ونحري وان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته ودخل عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه على وبيده سواك وانا مسندة رسول الله فرأيته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار رأسه أن نعم فتناوله فاشتد عليه فقلت الينه لك فأشار برأسه ان نعم فليته فأمره وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الاعلى حتى قبض ومالت يده * وجوز في الكشاف ان تكون الاشارة الى الحق والخطاب للفاجر وهذا هو الظاهر لان الكلام في الفجار قاله سعدي المفتي وفي الحديث القدسي (وما ترددت في شيء انا فاعله) بتشديد الدال يعني ما ترددت ملائكتي الذين يقبضون الارواح (ما ترددت في قبض نفس عبدي المؤمن) اى مثل ترددي اياهم في قبض ارواح المؤمنين بأن اقول اقبضوا روح فلان ثم اقول لهم اخروه وفي بعض النسخ ما ترددت ولما كان التردد وهو التحير بين الشيئين لعدم العلم بأن الاصلح ايهما محالا في حق الله تعالى حمل على منتهاه وهو التوقف يعني ما توقفت فيما افعله مثل توفي في قبض نفس المؤمن فاني اتوقف فيه واريه ما اعددت له من النعم والكرامات حتى يميل قلبه الى الموت شوقا الى لقائي (يكره الموت) استئناف عمن قال ما سبب تردد

أراد به شدة الموت لان الموت نفسه يوصل المؤمن الى لقاء الله فكيف يكرهه المؤمن (وانا اكره مساءته) اى اذاه بما يلحقه من صعوبة الموت وكربه (ولا بد منه) اى للعبد من الموت لانه مقدر لكل نفس كذا فى شرح المشارق لابن الملك قال فى كشف الاسرار هر چند كه حالت مرك بظاهر صعب مى نمايد لكن دوستانرا اندران حال در باطن همه عزو ناز باشد وازدوست هر لحظه راحتى ودر هر ساعتى خلعتى آيد مصطفى عليه السلام ازينجا گفته (تحفة المؤمن الموت) هيچ صاحب صدق ازمرك نترسد حسين بن على رضى الله عنهما پدر راديد كه بيك پيراهن حرب ميكرد گفت پس هذا زى المحاربين على گفت ما بالى ابوك اسقط على الموت ام سقط الموت عليه صدق زاد سفر مرك است ومرك راه بقاست وبقا سبب لقاست من احب لقاء الله احب الله لقاء عمار بن ياسر رضى الله عنه عمر وى به نود سال رسيد نيزه در دشت گرفتى ودستش مى لرزيدى مصطفى عليه السلام اورا گفته بود آخر قوت تو از طعام دنيا شربتى شير باشد در حرب صفين عمار حاضر بود نيزه در دست گرفته وتشنگى بروى افتاده شربتى آب خواست قدحى شير بوى دادند يادش آمد حديث مصطفى كه امروز روز دولت عمار ست آن شربت بكشيد وبيش رفت ومبكفت اليوم نلقى الاحبه محمدا وحزبه (وفى المثنوى) همچنين بادا جل باعارفان * نرم وخوش همچون نسيم بوستان * آتش ابراهيم رادندان نزد * چون كزيده حق بود چونش كزد * پس رجال از نقل عالم شادمان * وز بقايش شادمان اين كودكان * چونكه آب خوش ندبد آن مرغ كور * پيش او كوثر نمايد آب شور * وعن صاحب المثنوى انه لما حضره الموت ورأى ملك الموت عند الباب قال * پيش تر آ پيش تر جان من * پيك در حضرت سلطان من * قالوا ينزل عند الموت اربعة من الملائكة ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى فيجذبونها من اطراف البنان ورؤس الاصابع ونفس المؤمن المطيع تسل انسلال القطرة من السقاء واما الفاجر فينسل روحه كالسفود من الصوف المبلول وهو يظن ان بطنه قد مائت شوكا وكأن نفسه تخرج من ثقب ابرة وكان السماء انطبقت على الارض وهو بينهما فان قلت مع وجود هذه السكرات لم لا يصيح المحتضر كما يصيح من به الم من الضرب وغيره قلت انما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه وانما ينقطع صوت الميت وصياحه مع شدته لان الكرب قد بلغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه اعنى البدن فهد كل قوة واضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة قال وهب بن منبه بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يرى الملكين اللذين كانا يحفظان عمله فى الدنيا فان صحبهما بخير قالا جزاك الله خيرا فرب مجلس خير قد اجلستنا وعمل صالح قد احضرتناوان كان رجل سوء قالا جزاك الله شرا فرب مجلس شر قد اجلستنا ورب كلام سوء قد اسمعتنا قال فذلك الذى يشخص بصره الميت ثم لا يرجع الى الدنيا ابدا (قال الشيخ سعدى) دريغست فرمودة دبوزشت * كه دست ملك بر تو خواهد نوشت * رواداری ازجهل وناپاكيت * كه پاكان نويسند ناپاكيت * وربما كشف للميت عن الامر الملكوتى قبل ان يغرغر فعاين الملائكة على حقيقة عمله اى على صور هى حقائق اعماله فان كانت اعماله حسنة يراهم على صورة حسنة وان كانت سيئة فعلى صور قبيحة ثم مراتب الحسن والقبح متفاوتة بحسب حسن الاعمال وقبحها وبحسب انواعها فالملائكة لا يراهم البشر على ما يتجوزون اليه من عالمهم الا ما كان من النبى عليه السلام من رؤية جبريل مرتين على صورته الاصلية وفى التأويلات النجمية اذا اشرف الناس على الخروج من الدنيا وأحوالهم تختلف فمنهم من يزداد فى ذلك الوقت خوفه ولا يتبين حاله الا عند ذهاب الروح ومنهم من يكاشف قبل خروجه فيسكن روعه ويحفظ عليه قلبه ويتم له حضوره وتميزه فيسلم الروح على مهل من غير استكراه وعبوس ومنهم ومنهم وفى معناه يقول بعضهم

أنا ان مت فالهوى حشو قلبى * وابتداء الهوى يموت الكرام

قال بعض الكبار ان السيد عبد القادر الجيلى قدس سره لما حضرته الوفاة وضع خده على الارض وقال هذا هو الحق الذى كنا عنه فى حجاب فشهد على نفسه بان مقام الادلال الذى كان فيه نقص بالنسبة الى حاله الذى ظهر له عند الموت وتم الله حاله عند الموت ومات على الكمال وعكس هذا ما حكى ان مولانا حميد الدين اخذه اضطراب عظيم فى مرض موته فقيل له اين علومك ومعارفك فقال يطلبون منا القلب واحوال القلب وذلك غير موجود عندنا فالاضطراب من تلك الجهة (وروى) لبعضهم كلمات عالية ثم رؤى حالة الرحلة فى غاية

التشوش وقد ذهب عنه التحقيقات وذلك لان لامر الحاصل بالتكلف لايستقر حال المرض والهرم فكيف حال مفارقة الروح فلذا انتقل البعض فى مقام القبض والهيبة وقد روى ان بعضهم ضحك عند الموت وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وبعضهم بكى وقال مالهذا نسعى طول عمرنا واراد تجلى الله تعالى عند ذلك فاذا كان حال ارباب الاحوال هكذا فما ظنك بأحوال غيرهم وقد قالوا ان سكرات الموت بحسب الاعمال والاحوال وقد تظهر صفات حسنها وقبحها عند الموت فالمغتاب تقرض شفاهه بمقاريض من نار والسامع للغيبة يسلك فى اذنيه نار جهنم وآكل الحرام يقدم له الرقوم كذلك الى آخر اعمال العبد كل ذلك يظهر عند سكرات الموت فالميت يجوزها سكرة بعد سكرة فعند آخرها يقبض روحه وكان عليه السلام يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت وانما لايستعيذ اكثر الناس من الموت ومن اهواله وسكراته لما غلب عليهم من الجهل فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء والاولياء من الموت

يامن بدنياه اشتغل * وغره طول الأمل
الموت يأتى بغتة * والقبر صندوق العمل

(قال الحافظ) سپهر برشده پرويز نيست خون افشان * كه ريزه اش سر كسرى وتاج پرويزست * بدان اى جوانمرد كه ازعهد آدم تافنناى عالم كس ازمرك نرست تونيز نخواهى رست الموت كاس وكل الناس شاربه * خانه پر كندم ويك جونفر ستاده بكور * غم مرگست چونم برك زمستانى نيست

(ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية وهى نفخة البعث والنشور والنافخ اسرافيل عليه السلام وقد سبق الكلام فى الصور (ذلك) اى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف (يوم الوعيد) اى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا وتحقيقه والوعيد التهديد اويوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذا بدئ ببيان حال الكفرة (وجاءت) ومى آيد دران روز بعرصهٔ محشر (كل نفس) من النفوس البرة والفاجرة (معها) الخ محله النصب على الحالية من كل لاضافته الى ماهو فى حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس (سائق وشهيد) وان اختلف كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اى معها ملكان احدهما يسوق الى المحشر والآخر يشهد بعملها خيرا اوشرا وفى كشف الاسرار يسوق الكافر سائقه الى النار ويشهد الشهيد عليه بمعصيته ويسوق السائق المؤمن الى الجنة ويشهد الشهيد له بطاعته انتهى وهل الملكان الكاتبان فى الدنيا هما اللذان ذكرهما الله فى قوله سائق وشهيد اوغيرهما فيه خلاف كما فى فتح الرحمن اومعها ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد لها اوعليها وقال الواسطى سائقها الحق وشهيدها الحق اى بالنظر الى الحقيقة فى الدنيا والآخرة (لقد كنت فى غفلة من هذا) الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقيقة الامور وفى المفردات سهو يعترى من قلة التحفظ والتيقظ والمعنى يقال له يوم القيامة اووقت النشور اووقت العرض لقد كنت ايها الشخص فى الدنيا فى غفلة من هذا اليوم وشؤنه وفى فتح الرحمن من هذا النازل بك اليوم وقال ابن عباس رضى الله عنهما من عاقبة الكفر وفى عين المعانى اى من السائق والشهيد وخطاب الكل بذلك لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس وكذا الخطابات الآتية (فكشفنا) اى ازلنا ورفعنا (عنك غطاءك) الذى كان على بصرك والغطاء الحجاب المغطى لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالفة بها وقصر النظر عليها قال فى المفردات الغطاء مايجعل فوق الشئ من لباس ونحوه كان الغشاء كذلك وقد استعير للجهالة قال تعالى فكشفنا الآية يعنى برداشتيم ازديدهٔ تو پوشش جهل وغفلت تراتا هرچه شنوده بودى معاينه ببينى وحقيقتش ادراك ميكنى وفى الكواشى اوالغطاء القبر اى اخرجناك منه (فبصرك اليوم حديد) اى نافذ وبالفارسية تيزست تبصر ماكنت تنكره وتستبعده فى الدنيا لزوال المانع للابصار ولكن لاينفعك وهذا كقوله أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا يقال حددت السكين رققت حدها ثم يقال لكل حاذق فى نفسه من حيث الخلقة اومن حيث المعنى كالبصر والبصيرة حديد فيقال هو حديد النظر وحديد الفهم ويقال لسان حديد نحو لسان صارم وماض وذلك اذا كان يؤثر تأثير الحديد وفى الآية اشارة الى ان الانسان وان خلق من عالمى الغيب والشهادة فالغالب عليه فى البداية الشهادة

وهى العالم الحسى فيرى بالحواس الظاهرة العالم المحسوس مع اختلاف اجناسه وهو بمعزل عن ادراك عالم الغيب فمن الناس من يكشف الله غطاءه عن بصر بصيرته فيجعل بصره حديدا يبصر رشده و يحذر شره وهم المؤمنون من اهل السعادة ومنهم من يكشف الله عن بصر بصيرته يوم القيامة يوم لا ينفع نفسا ايمانها وهم الكفار من اهل الشقاوة * كرت رفت ازاندازه بيرون بدى * چوكفتى كه بد رفت نيك آمدى * فراشو چو بينى در صلح باز * كه ناكه در توبه كردد فراز * كنون باخرد بايد انباز كشت * كه فردا ندره باز كشت * ومن كلمات امير المؤمنين على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا * حال خلد وجحيم دانستم * بيقين آنچنانكه مى بايد * كر حجاب ازميانه بركيرند * آن يقين اندره نيفزايد * يعنى ان عين اليقين الحاصل لاهل الحجاب فى الآخرة حاصل لاهل الكشف فى الدنيا فانهم ترقوا من علم اليقين الى عين اليقين فى هذه الدار فطابو اوقتا فكأنهم فى الجنان فى الحال وكل يوم لهم يوم المزيد وفيه اشارة الى سر عظيم وهو ان اهل النار يزول عن أبصارهم الحجب المانعة عن اليقين والعيان وذلك بعد احتراق ظواهرهم وبواطنهم احقابا كثيرة فيرون اذ ذاك من أنواع الجمال ما لا يراه العارفون فى هذه الدار فحينئذ لا يبقى للعذاب خطر اذ الاحتراق على الشهود سهل الا ترى الى النسوة اللاتى قطعن ايديهن كيف لم يكن لهن حس بالقطع على شهود يوسف ولكن ليس لاهل النار نعيم كأكل وشرب ونكاح فاعرف (وقال قرينه) وكويد همنشين او يعنى الشيطان المقيض له مشيرا اليه (هذا ما لدى عتيد) اى هذا ما عندى وفى ملكتى ومقدورى عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائى واضلالى وقيل قال الملك الموكل به يعنى الرقيب الذى سبق ذكره مشيرا الى ما هو من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيأ للعرض فان كان العبد من اهل الايمان والجنة احضر كتاب حسناته لان سيئاته قد كفرت وان كان من اهل الكفر والنار احضر كتاب سيئاته لان حسناته حبطت بكفره وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهى بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف فعلى العاقل ان لا يطيع الشيطان ولا يلتفت الى اغوائه فى كل زمان ومكان فانه يدعو الى النار وقهر الجبار (روى) ان النبى عليه السلام سار ليلة المعراج فرأى عجوزا على جنب الطريق فقال ما هذه يا جبريل فقال سر يا محمد فسار ما شاء الله فاذا بشئ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد وانه عليه السلام مر بجماعة فسلموا عليه وقالوا السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر فقال جبريل اردد عليهم السلام فرد ثم قال جبريل اما العجوز فالدنيا ولم يبق من الدنيا الا ما بقى من عمر تلك العجوز اما الو أجبتها لاختارت امتك الدنيا على الآخرة واما الذى دعاك فأبليس واما الذين سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قال بعض العارفين خلق الله ابليس ليميز به العدو من الحبيب والشقى من السعيد فخلق الله الانبياء ليقتدى بهم السعداء وخلق ابليس ليقتدى به الاشقياء ويظهر الفرق بينهما فابليس دلال وسمسار على النار والخلاف وبضاعته الدنيا ولما عرضها على الكافرين قبل ما ثمنها قال ترك الدين فاشتروها بالدين وتركها الزاهدون واعرضوا عنها والراغبون فيها لم يجدوا فى قلوبهم ترك الدين ولا ترك الدنيا فقالوا له اعطنا مذاقة منها حتى ننظر ما هى فقال ابليس اعطونى رهنا فأعطوه سمعهم وابصارهم ولذا يحب ارباب الدنيا استماع اخبارها ومشاهدة زينتها لان سمعهم وابصارهم رهن عند ابليس فأعطاهم المذاقة بعد قبض الرهن فاستمرءوا من الزهاد عيب الدنيا ولم يبصروا قبائحها بل استحسنوا زخارفها ومتاعها فلذلك قيل حبك الشئ يعمى ويصم وقال بعضهم خلق الله ابليس ليكون المؤمن فى كنف رعاية المولى وحفظه لانه لولا الذئب لم يكن للغنم راع وخلق الله ابليس من ظلمة وخبث وطبعه على العداوة نسأل الله الحفظ والعصمة منه (القيا فى جهنم) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار او لواحد وهو الملك الجامع للوصفين او خازن النار على تنزيل تثنية الفاعل تثنية الفعل وتكريره للتأكيد كأنه قيل القى القى حذف الفعل الثانى ثم اتى بفاعله وفاعل الفعل الاول على صورة ضمير الاثنين متصلا بالفعل الاول او على ان الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة مثل لنسفعن فانه اذا وقف على النون تنقلب الفا فتكتب بالالف على الوقف ووجه آخر هو ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان يعنى ادنى الاعوان فى السفر اثنان فكثر فى استعمالهم ان يقولوا خليلى وصاحبى وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين

كما قال امرؤ القيس

خليلي مرابي على ام جندب * لنقضي حاجات الفؤاد المعذب

ألم تر أني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فثنى فى البيت الاول ووحد فى البيت الثانى (كل كفار) كل مبالغ فى الكفر بالمنعم والنعم جاحد بالتوحيد معرض عن الايمان وقيل كل كافر حامل غيره على الكفر (عنيد) معاند للحق يعرف الحق فيجحده والعناد اقبح الكفر وقال قتادة منحرف عن الطاعة وقال السدى مشتق من العند وهو عظم يعترض فى الحلق او معجب بما عنده كأنه من قولهم عندى كذا كما فى عين المعانى وقال فى المفردات العنيد المجب بما عنده والمعاند المتباهى بما عنده والعنود الذى يعند عن القصد اى يميل عن الحق ويرده عارفا به (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة زكاة او غيرها اذ طبع على الشر والامساك كما ان الكافر طبع على الكفر والعنيد طبع على العناد او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم والمنع ضد العطية يقال رجل مانع ومناع اى بخيل وقد يقال فى الحماية ومنه مكان منيع وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه منه وكان يقول من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت (معتد) الاعتداء مجاوزة الحق اى ظالم متخط للحق معاد لأهله (مريب) شاك فى الله وفى دينه فهو صيغة نسبة بمعنى ذى شك وريب اى موقع فى الريبة وقيل متهم (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره قوله (فالقياه فى العذاب الشديد) او بدل من كل كفار وقوله فالقياه تكرير للتوكيد والفاء للاشعار بأن الالقاء للصفات المذكورة وفى الحديث بينما الناس ينتظرون الحساب اذ بعث الله عنقا من النار يتكلم فيقول امرت بثلاثة بمن دعا مع الله الها آخر بمن قتل بغير حق وبجبار عنيد فيلقطهم من الناس كما يلقط الطير الحب ثم يصهرهم فى نار جهنم وفى تفسير الفاتحة للفناري يخرج عنق من النار اى قبل الحساب والناس وقوف قد ألجمهم العرق واشتد الخوف وتصدعت القلوب لهول المطلع فاذا اشرف على الخلائق له عينان ولسان فصيح يقول ياهل الموقف انى وكلت منكم بثلاثة وذلك ثلاث مرات انى وكلت بكل جبار عنيد فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطائر حب السمسم فاذا لم يترك احدا منهم فى الموقف نادى نداء ثانيا ياهل الموقف انى وكلت بمن آذى الله ورسوله فيلقطهم كما يلقط الطائر حب السمسم بين الخلائق فاذا لم يترك منهم احدا نادى ثالثا ياهل الموقف انى وكلت بمن ذهب يخلق كخلق الله فيلقط اهل التصاوير وهم الذين يصورون الكنائس لتعبد تلك الصور والذين يصورون الاصنام وهو قوله أتعبدون ما تنحتون وكانوا ينحتون لهم الاخشاب والاحجار ليعبدوها من دون الله فيلقطهم من بين الصفوف كما يلقط الطائر حب السمسم فاذا اخذهم الله عن آخرهم وبقى الناس وفيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم عبادتها حتى يسألوا عنها لينفخوا فيها ارواحا تحيى بها ولیسوا بنافخين كما ورد فى الخبر فى المصورين فيقفون ماشاء الله ينتظرون مايفعل الله بهم والعرق قد ألجمهم وفى الآية اشارة الى الهوى والدنيا فمن عبدهما وجعلهما الهين آخرين مع الله عذب بطلب الدنيا بالحرص والغفلة (قال العطار قدس سره) چشم كرسنه سير زنعمت نمى شود * غربال راز كثرت حاصل چه فائده (قال قرينه) بغير واو لان الاول خطاب للانسان من قرينه ومتصل بكلامه والثانى استئناف خاطب الله سبحانه من غير اتصال بالمخاطب وهو قوله ربنا ما أطغيته وكذلك الجواب بغير واو وهو قال لا تختصموا لدى وكذلك ما يدل القول لدى فجاء الكل على نسق واحد كما فى برهان القرءان اى قال الشيطان المقيض للكافر (قال الكاشفى) چون خواهند كه كافررا دردوزخ افكنند كويد مراچه كناهست كه ديو برمن مسلط بود ومرا اكراه كردانيد ديورا حاضر سازند تكذيب ميكند ودل على هذا التقاول والسؤال المحذوف قوله لا تختصموا (ربنا) اى پرور دكارما (ما أطغيته) اى ما جعلته طاغيا وما اوقعته فى الطغيان وهو تجاوز الحد فى العصيان (ولكن كان) هو بالذات (فى ضلال بعيد) من الحق طويل لا يرجع عنه فأعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما فى قوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وذلك فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأى مائلا الى الفجور ضالا عن طريق الحق واقعا دونه بمراحل وفى الحديث انما انا رسول وليس الى من الهداية شئ ولو كانت الهداية الى لآمن كل

من فى الارض وانما ابليس مزين وليس له من الضلالة شئ ولو كانت الضلالة اليه لاضل كل من فى الارض ولكن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (قال) كأنه قيل فماذا قال الله لابن آدم وشيطانه المقيض له فى الدنيا فقيل قال تعالى (لاتختصموا لدى) اى فى موقف الحساب والجزاء اذ لافائدة فى ذلك قال بعضهم هذا الخطاب فى الكفار واما قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ففى المؤمنين فى الظالم فيما بينهم لان الاختصام فى الظالم مسموع وهذا فى الموقف واما قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ففى جهنم فظهر التوفيق بين الآيات (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على الطغيان فى دار الكسب والتكليف فى كتبى والسنة رسلى فاتركت لكم حجة على فلا تطمعوا فى الخلاص منه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهى على معنى لاتختصموا وقد صح عندكم وعلمتم انى قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت وانما قدر المعنى هكذا ليصح جعله حالا فان مقارنة الحال لذيها فى الزمان واجبة ولا مقارنة بين تقديم الوعيد فى الدنيا والاختصام فى الآخرة والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم (ما يبدل القول لدى) اى لا يغير قولى فى الوعد والوعيد فما يظهر فى الوقت هو الذى قضيته فى الازل لا مبدل له والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد يعنى ولا تخصص فى حق الكفار فالوعيد على عمومه فى حقهم قال الجلال الدوانى فى شرح العضد ذهب بعض العلماء الى ان الخلف فى الوعيد جائز على الله تعالى لا فى الوعد وبهذا وردت السنة حيث قال عليه السلام من وعد لاحد على عمله ثوابا فهو منجز له ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والعرب لا تعد عيبا ولا خلفا ان يعد شرا ثم لا يفعله بل ترى ذلك كرما وفضلا وانما الخلف ان يعد خيرا ثم لا يفعله كما قال

وانى اذا أوعدته اووعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

واحسن يحيى بن معاذ رضى الله عنه فى هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم اذا فعلوا ذلك ان يعطيهم كذا ومن اولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال لاتفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وان شاء اخذ لانه حقه واولاهما العفو والكرم لانه غفور رحيم فالله تعالى لا يغفران يشرك به فيخلف وعيده فى حق المشركين ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيجوز ان يخلف وعيده فى حق المؤمنين ولاهل الحقائق كلام آخر مذكور فى محله عافانا الله واياكم من بلائه (وما أنا بظلام للعبيد) اى وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بأبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا وقال بعضهم يفهم من ظاهر العبارة جواز الظلم المحال منه تعالى اذا النفى مسلط على القيد الذى هو الظلامية والجواب على ما اختاره كثير من المحققين ان المبالغة مسلطة على النفى لا على القيد كما فى قوله ما انا بكذوب يعنى ان اصله ليس بظالم ثم نقل مع نفيه الى صيغة المبالغة فكانت المبالغة راجعة الى النفى على معنى ان الظلم منفى عنه نفيا مؤكدا مضاعفا ولو جعل النفى داخلا على صيغة المبالغة بأن ضعف ظالم بدون نفيه ثم ادخل عليه النفى لكان المعنى ان ضعف الظلم منفى عنه تعالى ولا يلزم منه نفى اصله والله تعالى منزه عن الظلم مطلقا يقول الله تعالى انى حرمت الظلم على نفسى وحرمته على عبادى فلا تظالموا ويقول الله تعالى اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد ناصرا غيرى وعن بعض السلف دعوتان ارجوا احدا هما كما اخشى الاخرى دعوة مظلوم أعنته ودعوة ضعيف ظلمته وكان من ديدن السلطان بسمرقند الامتحان بنفسه مرات لطلبة مدرسته المرتبين أعالى وأواسط واداني بعد تعيين جماعة كثيرة من العدول غير المدرس للامتحان من الافاضل حذرا من الحيف وكان بعد الحيف فى الرتبة بين المستعدين من قبيل الكفر فى الدين (قال الشيخ سعدى چوخواهى كه فردا برى مهترى * مكن دشمن خويشتن كهترى * كه چون بكذرد برتو اين سلطنت * بكيرد بقهر آن كدادا منت * وفى الاية اشارة الى ان الله تعالى قال هؤلاء فى الجنة ولا ابالى وهؤلاء فى النار ولا ابالى

فلا يبدل قوله تعالى فلا بد الجنة من اهلها والنار من اهلها ولو عكس وجعل اهل الجنة فى النار واهل النار فى الجنة لكان مخالفا للحكمة لان الجنة دار الجمال فهى مقر للمؤمنين والنار دار الجلال فهى مقر للكافرين كما ان القلب مقر الاوصاف الحميدة والنفس مقر الاوصاف الذميمة ولذا لا يدخل اهل النفس جنة القلب لان النور والظلمة لا يجتمعان فاعرف (يوم) اى اذكر يا محمد لقومك ويشمل كل من شأنه الذكر يوم (نقول) بمالنا من العظمة (لجهنم) دار العذاب وسجن الله للعصاة (هل امتلأت) بمن ألقى فيك وهل اوفيت ماوعدت وهو قوله لأملأن جهنم وقوله لكل واحدة منكما ملؤها فهذا السؤال من الله لتصديق خبره وتحقيق وعده والتفريع لاهل عذابه والتنبيه لجميع عباده (وتقول) جهنم مجيبة بالاستفهام تأدبا وليكون الجواب وفق السؤال (هل من مزيد) اى من زيادة من الجن والانس فيكون مصدرا كالمحيد او من يزاد فيكون مفعولا كالمبيع ويجوز ان يكون يوم ظرفا لمقدر مؤخرا اى يكون من الاحوال والاهوال مايقصر عنه المقال واختلف الناس فى ان الخطاب والجواب هل هما على الحقيقة او لا فقال بعضهم هما على الحقيقة فينطقها الله بذلك كما ينطق الجوارح وهو المختار فان الله على كل شئ قدير وامور الاخرة كلها اوجلها على خلاف ماتعورف فى الدنيا وقد دلت الاحاديث على تحقق الحقيقة فلا وجه للعدول الى المجاز كما روى من زفرتها وهجومها على الناس يوم الحشر وجرها الملائكة بالسلاسل وقولها جزيا مؤمن فان نورك اطفأ لهبى ونحو ذلك مما يدل على حياتها الحقيقية وادراكها فان مطلق الجمادات لها تلك الحياة فى الحقيقة فكيف بالدارين المشتملين على الشؤون العجيبة والافعال الغريبة وان الدار الاخرة لهى الحيوان وقال بعضهم سؤال وجواب جرى بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها يعنى ان المقصود تصوير المعنى فى القلب وتبيينه فهى بحيث لو قيل لها ذلك وهى ناطقة لقالت ذلك وايضا دلت بحالها على النطق كقولهم

امتلاء الحوض وقال قطنى * مهلا رويدا قد ملأت بطنى

يعنى انها مع اتساعها وتباعد اطرافها واقطارها يطرح فيها الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ بهم وتصير بحيث لا يسعها شئ ولا يزاد فيها فالاستفهام على معنى التقرير ونفى المزيد اى وهل عندى موضع يزاد فيه شئ اى قد امتلأت وحصل فى موعودك وصرت بحيث لا أسع ابرة وبالفارسية لامزيد پرشدم وزيادتى را كنجايش نيست فالمعنى الممثل هو الامتلاء وهو كقوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين فانه سؤال تقرير لا سؤال استفهام وكقوله عليه السلام يوم فتح مكة هل بقى لنا عقيل دارا اى ما بقى لنا دارا ويجوز ان يكون المعنى انها لغيظها على الكفار والعصاة كأنها تطلب زيادتهم وتستكثرهم ويجوز ان يكون السؤال استدعاء للزيادة فى الحقيقة لان مايلقى فيها كلحفة تلقى فى اليم يعنى زيادتى كن وحق تعالى ديكر كافر بوى فرستد تا پرشود ويجوز ان يكون المعنى انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ وموضع زيادة فان قلت هذا يخالف قوله تعالى لاملأن جهنم قلت ورد فى الحديث لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فيزوى بعضها الى بعض يعنى فيحصل الامتلاء وبه تندفع المخالفة * اين قدم حق را بود كورا كشد * غير حق را كه كمان او كشد * وفى رواية حتى يضع فيها رب العزة ورب العرش قدمه فتقول قط قط اى حسبى حسبى وعزتك * قوله ويزوى بالزاى المعجمة على بناء المجهول اى يضم ويجمع من غاية الامتلاء وآخر الحديث ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة كما فى كشف الاسرار وفى رواية ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فما لى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم فقال الله تعالى للجنة انما أنت رحمتى ارحم بك من اشاء من عبادى وقال للنار انما أنت عذابى أعذب بك من اشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فانهم يلقون فيها وتقول هل من مزيد فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله من خلقه احدا واما الجنة فينشئ الله لها خلقا * وفى القاموس حتى يضع رب العزة فيها قدمه اى الذين قدمهم من الاشرار فهم قدم الله للنار كما ان الاخيار قدمه الى الجنة او وضع القدم مثل للردع والقمع اى يأتيها امر يكفها عن طلب المزيد انتهى كما قال فى بحر العلوم وضع القدم على الشئ مثل للردع والكف وقال بعضهم يضربها من جبروته بوطاة اهانة

ويستمرون بين دولتي الحرور الزمهرير وعامة عذاب ابليس بالزمهرير لانه يناقض ما هو الغالب عليه في اصل خلقته وقال ابن مالك وضعها كناية عن دقها وتكبين سورتها كما تقول وضعت رجلي على فلان اذا قهرته وفي الكراشي قدمه اي ما قدمه في قوله سبقت رحمتي على غضبي اي بضع رحمته انتهى او المراد من القدم قوم سمي بهذا الاسم وايضا المراد بالرجل جماعة من الناس وهو وارد كان موضوعا لجماعة كثيرة من الجراد لكن استعارته لجماعة من الناس غير بعيدة ومنهم من يقول المراد به قدم بعض مخلوقاته اضافها الى الله تعظيما كما قال فنفخنا فيه من روحنا وكان النافخ جبريل وفي عين المعاني القدم جمع قديم كأديم وأدم اي على كل ما تقدم او قوم قدمهم الى النار وروى قدمه بكسر القاف اي قوما قدموا بني آدم في الدنيا وروى رجلي وهو الجماعة من الناس وقيل قدمه اهل قدمه الذين لهم قدم صدق عند ربهم يعني العاصين من اهل التوحيد انتهى ومنهم من قال القدم اسم لقوم يخلقهم الله لجهنم قال القاضي عياض هذا اظهر التأويلات لعل وجهه ان اماكن أهل الجنة تبقى خالية في جهنم ولم ينقل ان أهلها يرثون تلك الاماكن ويقال لهم ان الله يختص بنقمته من يشاء كما يرث اهل الجنة اماكن اهل النار في الجنة غير جنة اعمالهم ويقال لهم ان الله يختص برحمته من يشاء وهذا من نتائج قوله تعالى سبقت رحمتي على غضبي فيخلق الله خلقا على مزاج اودخلوا به الجنة لعذبوا فيضعهم فيها فان ذلت اذا لائم مزاجهم النار فأنى يتصور التعذيب قلنا الموعود ملؤها لا تعذيب كل من فيها وقال بعض الاكابر ليس في النار دركات اختصاص الهي ولا عذاب اختصاص الهي من الله فان الله ما عرفنا قط انه اختص بنقمته من يشاء كما اخبرنا انه يختص برحمته من يشاء وأهل النار معذبون بأعمالهم لا غير واهل الجنة ينعمون بأعمالهم وبغير اعمالهم في جنات الاختصاص فلأهل السعادة ثلاث جنات جنة الاعمال كالأهل الشقاوة جحيم الاعمال ولهم خاصة جنات الاختصاص وجنات الميراث وهي التي كانت لأهل النار لو دخلوا الجنة كما قال تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وذلك انه ما من شخص من الجن والانس الا وله في الجنة موضع وفي النار موضع وذلك لامكانه الاصلي فانه قبل كونه يمكن ان يكون له البقاء في العدم او يوجد فمن هذه الحقيقة قبول النعمة وقبول العذاب قال تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين اي أنتم قابلون لذلك ولكن حقت الكلمة وسبق العلم ونفذت المشيئة فلا راد لامره ولا معقب لحكمه ولم يقل في اهل النار انهم يرثون من النار أماكن اهل الجنة لو دخلوا النار وهذا من سبق الرحمة بعموم فضله بحيث فما نزل من نزل في النار الا بأعمالهم ولهذا يبقى فيها اماكن خالية وهي الاماكن التي لو دخلها اهل الجنة عمروها فيخلق الله خلقا يعمرونها على مزاج لو دخلوا به الجنة لعذبوا وهو قوله عليه السلام فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط اي حسبي حسبي فانه تعالى يقول لها هل امتلأت وتقول هل من مزيد وقد قال للجنة والنار كل واحدة منكما ملؤها فلما اشترط لهما الا ان يملأهما خلقا وما اشترط عذاب من يملؤهما بهم ولا نعيمهم وان الجنة اوسع من النار بلا شك فان عرضها السموات والارض فاظنك بطولها فهي للنار كمحيط الدائرة والنار عرضها قدر الخط الذي يمر قطري دائرة فلك الكواكب الثابتة فاين هذا الضيق من تلك السعة وسبب هذا الاتساع جنات الاختصاص الالهي فورد في الخبر انه يبقى ايضا في الجنة أماكن ما فيها أحد فيخلق الله خلقا للنعيم يعمرها بهم وهو ان يضع الرحمن فيها قدمه اي آخر وجود يعطيه وليس ذلك الا في جنات الاختصاص فالحكم لله العلي الكبير فمن كرمه انه ما أنزل اهل النار الا على اعمالهم خاصة واما قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فذلك لطائفة مخصوصة هم الائمة المضلون ثم لا بد لاهل النار من فضله ورحمته في نفس النار بعد انقضاء مدة موازنة ازمان العمل فيفقدون الاحساس بالآلام في نفس النار فتتجدد جوارحهم بأزالة الروح الحساس منها اذ ليسوا بخارجين منها فلا يموتون فيها ولا يحيون وثم طائفة يعطيهم الله بعد انقضاء موازنة المدد بين العذاب والعمل نعيما خياليا مثل ما يراه النائم وتضج جلودهم خدرها فزمان النضج والتبديل يفقدون الآلام الجلود النار في حقهم فيكونون في النار كالامة التي دخلتها وليست من أهلها وأماتهم الله فيها اماتة فلا يحسون بما تفعله النار في ابدانهم الحديث بكماله ذكره مسلم في صحيحه وهذا من فضل الله ورحمته يقول الفقير الانسان الكامل قدمان قدم الجلال وقدم الجمال وبالاولى تتجلى جهنم وبالثانية تتجلى الجنة وبيان ذلك ان جهنم مقام أهل الطبيعة والنفس يعني انها مظهر قدم الجلال والجنة مقام أهل الروح والسر

يعنى انها مظهر قدم الجمال والاعراف مقام اهل القلب لمناسبة بين الاعراف والقلب من حيث انه مقام بين الجنة والنار كما ان القلب برزخ بين الطبيعة والنفس وبين الروح والسر وللانسان الكامل نشأة جنانية روحانية ونشأة دنيوية جسمانية فهو لا يدخل الجنة الا بمرتبة الروح والسر فتبقى صورته الطبيعية والنفسية المتعلقة بنشأته العنصرية فيملأ الله سبحانه جهنم بهذه البقية يعنى يظهر مظاهر جلاليه من تلك البقية فيملأها بها حتى تقول قط قط فادام لم يظهر هذا التجلى من الانسان الكامل لا تزال جهنم تقول هل من مزيد وهو المراد بقدم الجبار كذا فى الحديث واليه اشار الشيخ الكبير رضى الله عنه فى الفكوك بقوله واخبرت من جانب الحق ان القدم الموضوع فى جهنم هو الباقى فى هذا العالم من صور الكمل مما لا يصحبهم فى النشأة الجنانية وكنى عن ذلك الباقى بالقدم لمناسبة شريفة لطيفة فان القدم من الانسان آخر اعضائه صورة فكذلك نفس صورته العنصرية آخر أعضاء مطلق الصورة الانسانية لان صور العالم باجمعها كالاعضاء لمطلق صورة الحقيقة الانسانية وهذه النشأة آخر صورة ظهرت منها الحقيقة الانسانية وبهذا قامت الصور كلها التى قلت انها كالاعضاء انتهى وقال ايضا ان الجنة لا تسع انسانا كاملا وانما سعته فى الجنة ما يناسب الجنة وفى كل عالم ما يناسب ذلك العالم وما يستدعيه ذلك العالم من الحق من حيث ما فى ذلك العالم من الانسان بل اقول ولو خلت جهنم منه لم يبق وبه امتلأت واليه الاشارة بقدم الجبار المذكور فى الحديث انتهى ايضا وقال الشيخ روزبهان البقلى فى عرائس البيان ان جهنم لتشتاق الى الله كما تشتاق اليه الجنة فاذا رأى سبحانه حالها من الشوق اليه يضع اثقل سطوات قهر القدم عليها بنعت التجلى فتملأ من العظمة وتصير عند عظمة الله كلا شئ ورب طيب فى قلوب الجهنميين فى تلك الساعة من رؤية جلال عظمته ومن رؤية انوار قدم القدم فتصير نيرانها وردا وريحانا من تأثير بركة ظهوره لها انتهى وفى الآية اشارة الى ان جهنم صورة النفس الانسانية فكما ان النفس لا يشبعها شئ وهى فى طلب المزيد مطلقا فكذا صورتها دار العذاب تطلب المزيد فهما على نسق واحد كاللفظ والمعنى يعنى ان النفس اه نسانية حريصة على الدنيا وشهواتها فكلما ألقى فيها نوع منها وقال لها هل امتلأت تقول هى هل من مزيد من انواع الشهوات فلا يملأ جوف ابن آدم الا التراب * آن شنيدستى كه در صحراى غور * بارسالارى درافتاد ازستور * كفت چشم تنك دنيا دارا * يا قناعت پركند يا خاك كور * وايضا ان الحرص الانسانى قشر محبة الله بل هو عين المحبة اذا كان متوجها الى الدنيا وشهواتها يسمى الحرص واذا كان متوجها الى الله وقرباته يسمى محبة فاعلم ان ما زاد فى الحرص نقص فى المحبة وما نقص من الحرص زاد فى المحبة واذا اشتعلت نار المحبة فلا تسكن نارتها بما يلقى فيها من محبوبات الدنيا والآخرة بل يكون حطبها وتزيد بعضها الى بعض وتقول قط قط كما فى التأويلات النجمية (وازلفت الجنة) الازلاف تزديك كردانيدن اى قربت (للمتقين) ... صى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها (غير بعيد) تأكيد للازلاف اى مكانا غير بعيد بحيث ينظرون اليها قبل دخولها فيكون انتصابه على الظرفية او هو حال مؤكدة اى حال كونها غير بعيد اى شيأ غير بعيد كقولك هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل الى غير ذلك من امثلة التوكيد فالازلاف تقريب الرؤية وغير بعيد تقريب الدخول فانهم يحاسبون حسابا يسيرا ومنهم من لا يحاسب اصلا ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث كالزئير والصليل اولتاويل الجنة بالبستان وفيه اشارة الى جنة قلوب خواص المتقين انها قربت لهم فى الدنيا بالاجساد وهم فى الآخرة بالقلوب (ع) جنت نقد ست اينجا عشرت وعيش وحضور * ويقال ان الجنة تقرب من المتقين كما ان النار تجر بالسلاسل الى المحشر للمجرمين ويقال بل تقرب الجنة بأن يسهل على المتقين مسيرهم اليها ويراد بهم الخواص من المتقين ويقال هم ثلاثة اصناف قوم يحشرون الى الجنة مشاة وهم الذين قال فيهم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وهم عوام المؤمنين وقوم يحشرون الى الجنة ركبانا على طاعاتهم المصورة لهم بصورة حيوان وهؤلاء هم الخواص واما خاص الخاص فهم الذين قال فيهم وازلفت الجنة للمتقين فقرب الجنة منهم غير بعيد اى الجنة غير بعيد عنهم وهم البعداء عن الجنة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر (هذا ما توعدون) اى حال كون اولئك المتقين مقولا لهم من قبل الله او على السنة الملائكة عند ما شاهدوا

الجنة ونعيمها هذا المشاهد اوهذا الثواب اوالازلاف والتذكير لتذكير الخبر اواشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ العربي كما في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وفي التاويلات النجمية هذا اشارة الى مقعد صدق ولو كانت الاشارة الى الجنة لقال هذه (اكل اواب) بدل من المتقين باعادة الجار أي رجاع الى الله فاولا يرجع من الشر لك الى التوحيد وثانيا من المعصية الى الطاعة وثالثا من الخلق الى الحق قال ابن عمر رضي الله عنهما لا يجلس مجلسا فيقوم حتى يستغفر وفي المفردات الاواب كالتواب وهو الراجع الى الله بترك المعاصي وفعل الخيرات ومتقبل للتوبة اوبة والفرق بين الاوب والرجوع ان الاوب ضرب من الرجوع وذلك انه لا يقال الا في الحيوان الذي له ارادة والرجوع يقال فيه وفي غيره وآب او باوايابا وماباوالمآب مصدر منه واسم الزمان والمكان (حفيظ) حافظ لتوبته من النقض ولعهده من الرفض قال في التاويلات النجمية مقعد صدق هو في الحقيقة موعود للمتقين الموصوفين بقوله اكل اواب حفيظ وهو الراجع الى الله في جميع احواله لا الى ماسواه حافظا لانفاسه مع الله لا يصرف فيها الا في طلب الله يعني در هر نفس از حق تعالى غافل نباشد * اكر تو پاس داري پاس انفاس بسلطاني رسانندت ازين پاس * ترابك پنديس درهر دوعالم * كه برنايد زجانت بي حدادم * وقال سهل رضي الله عنه هو الراجع الى الله تعالى بقلبه من الوسوسة الى السكون الى الله الحفيظ المحافظ على الطاعات والاوامر وقال المحاسبي الاواب الراجع بقلبه الى ربه والحفيظ الحافظ قلبه في رجوعه اليه ان لا يرجع منه الى احد سواه وقال الوراق هو المحافظ لاوقاته وخطراته اي الخطرات القلبية والالهامات وفي الحديث من حافظ على اربع ركعات في اول النهار كان اواباحفيظا (من) هركه وهو مابعده بدل بعد بدل (خشي الرحمن) الخشية خوف يشوبه تعظيم وفي عين المعاني ازعاج القلب عند ذكر السيئة وموجبها وقال الواسطي الخشية ارق من الخوف لان الخوف للعامة من العقوبة والخشية من تيران الله في الطبع فيها نظافة الباطن للعلماء ومن رزق الخشية لم يعدم الانابة ومن رزق الانابة لم يعدم التفويض والتسليم ومن رزق التفويض والتسليم لم يعدم الصبر على المكاره ومن رزق الصبر على المكاره لم يعدم الرضى وقال بعضهم اوائل العلم الخشية ثم الاجلال ثم التعظيم ثم الهيبة ثم الفناء وعن بعضهم الخشية من الرحمن خشية الفراق ومن الجبار والقهار خشية العقوبة (بالغيب) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي اومن مفعوله اوصفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عنه اوالعقاب بعد غيب يعني ناديده اورا وعذاب اورا اوهو غائب عن الاعين لا يراه احد يعني نهان واشكار اي اويكي باشد وقال بعض الكبار بالغيب اي بنور الغيب يشاهد شواهد الحق فيخشى منه والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته اوبان علمهم بسعة رحمته لا يصدهم عن خشيته وانهم عاملون بموجب قوله نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم (وجاء) ويأورد (بقلب منيب) وصف القلب بالانابة مع انها وصف المكلف لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى اي لاعبرة للانابة والرجوع الا اذا كان من القلب والمراد بها الرجوع الى الله تعالى بما يحب ويرضى قال في المفردات النوب رجوع الشيء مرة بعد اخرى والانابة الى الله الرجوع اليه بالتوبة واخلاص العمل وفي التأويلات النجمية بقلب منيب الى ربه معرض عما سواه مقبل عليه بكليته (ادخلوها) بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من (بسلام) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم وحلول النقم اوبسلام من جهة الله وملائكته (ذلك) اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ماذكر من الامور (يوم الخلود) والبقاء في الجنة اذ لا انتهاء له ابدا قال الراغب الخلود هو تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها وكل مايبطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود كقولهم الايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها والخلود في الجنة بقاء الاشياء على الحالة التي هي عليها من غير اعتراض الكون والفساد عليها وقال سعدي المفتي ولا يبعد والله اعلم ان تكون الاشارة الى زمان السلم فتحصل الدلالة على ان السلامة من العذاب وزوال النعم حاصلة لهم مؤبدا مخلدا لانها مقتصرة على وقت الدخول (لهم مايشاؤون) من فنون المطالب كائنا ماكان سوى ماتقتضي الحكمة

جره وهو ما كان خبيثا فى الدنيا ابدا كاللواطة ونحوها فانهم لا يشاؤونها كما سبق من ان الله يعصم اهل الجنة من شهوة محال او منهى عنه (فيها) متعلق بيشاؤون او حال من الموصول قال القشيرى يقال لهم قد قلتم فى الدنيا ماشاء الله كان فاليوم ماشئتم كان وهل جزاء الاحسان الا الاحسان (ولدينا) وعندنا (مزيد) اى زيادة فى النعيم على ما يشاؤون وهو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من انواع الكرامات التى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فانهم يسألون الله حتى تنتهى مسألتهم فيعطيهم ما شاؤا ثم يزيدهم من عنده ما لم يسألوه ولم تبلغه أمانيهم وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد وقال الراغب الزيادة ان ينضم الى ما عليه الشئ من نفسه شئ آخر وروى من طرق مختلفة ان هذه الزيادة النظر الى وجه الله اشارة الى انعام واحوال لا يمكن تصورها فى الدنيا انتهى وكذا قال غيره والمختار أن المزيد هو النظر الى وجه الله الكريم فيجتمعون فى كل يوم جمعة فلا يسألون شيأ الا اعطاهم وتجلى لهم ويقال ليوم الجمعة فى الجنة يوم المزيد وفى الحديث ان فى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال بعض الكبار هى المشاهدة الذاتية وما ينتج من دخول الجنة فى الدار الاخرة نتيجة الطاعات فى هذه الدار لمن اختصه الله فيحتمل فى هذه الدار طاعات ومجاهدات توصل الى تجليات ومشاهدات وفى الآية تلويحية بشيرالى ان من يريدنا ويهمه عن نعيم الجنة للوصول الينا فيصل الينا ولدينا يجد بالمزيد ما يشاء اهل الجنة منها وهذا كما قال من كان لى كنت له ومن كنت له يكون له ما كان لى وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه فان قيل الزيادة فى الدنيا تكون أقل من رأس المال قلت المراد بالزيادة فى الآية الكريمة هو الزيادة على وعود الجنة لا من درجات الجنة لان الزيادة هنا ليست من جنس المزيد عليه حتى يلزم ذلك بخلافه فى قوله عليه السلام ان الله زادكم صلاة ألا وهى الوتر فان الزيادة هنا من جنس المزيد عليه وقضيته الفرضية الا انه لما ثبت بخبر الواحد لم يكن مقطوعا به فقيل بالوجوب فالزيادة من الله العزيز الاكبر اكبر واعز كما ان الرضوان من الكريم الاجود أكبر واجل والنظر الى وجهه الكريم كمال الرضى ومزيد فضل وعناية وقال الحسن البصرى ان الله ليتجلى لاهل الجنة فاذا رأوه نسوا نعيم الجنة ثم يقول الله لملائكته ردوهم الى قصورهم اذ لا يهتدون بانفسهم لما طرأ عليهم من سكر الرؤية ولما زاد من الخير فى طريقهم فلم يعرفوها فلولا ان الملائكة تدلهم ما عرفوا منازلهم فاذا وصلوا الى منازلهم تلقاهم أهلهم من الحور والولدان فيرون جميع ملكهم قد اكتسب بهاء وجمالا ونورا من وجوههم أفاضوه افاضة ذاتية على ملكهم فيقولون لهم لقد زدتم نورا وبهاء وجمالا على ما تركناكم عليه فيقول لهم أهلهم وكذلك أنتم قد زدتم من البهاء والجمال ما لم يكن فيكم فافهم اسرار تسمية الرؤية بالزيادة لانها تورث زيادة الجمال والعلوم والكمال ويتفاوت الناس بالرؤية تفاوتا عظيما على قدر عملهم قال بعض الكبار اذا اخذ الناس منازلهم فى الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رؤيته على مقام الكثيب وهو مسك ابيض فى جنة عدن وجعل فى هذا الكثيب منابر واسرة وكراسى ومراتب فيسارعون الى قدر همهم ومراكبهم ومشيهم هنا فى طاعة ربهم فمنهم السريع وأبطئ والمتوسط فيجتمعون فى الكثيب فكل شخص يعرف مرتبته علما ضروريا يهوى اليها ولا ينزل الا فيها كما يهوى الطفل الى الثدى والحديد الى المغناطيس لو رام ان ينزل فى غير مرتبته لما قدر ولو رام ان يتعشق بغير منزلته ما استطاع بل يرى فى منزلته انه قد بلغ منتهى امله وقصده فهو يتعشق بما فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا لا يقوم بنفسه بما هو عنه أحسن من حاله ولولا ذلك لكانت دار المؤتنغيص ولم تكن جنة ولا نعيما فكل شخص مقصور عليه نعيمه * بعلم نظر كوش جانى كه نيست * زتحصيل علم دكر حاصلى (وقال المغربى) نخست ديده طلب كن پس انكهى ديدار * ازآنكه يار كند جلوه بر اولوا الابصار (وقال الخجندى) باروى تو جيست جنت وحور * هر چيز نكو نمايد ازدور (وكم اهلكنا) كم للتكثير هنا وهى خبرية وقعت مفعول اهلكنا ومن قرن تمييزها ومبين لابهامها (قبلهم من قرن) والقرن القوم المقترنون اى كثيرا من القرون الذين كذبوا رسلهم اهلكنا قبل قومك وهم كفار مكة وبالفارسية و بس كسان كه هلاك كرده ايم پيش اذقوم تو از اهل قرن وكروه كروه جها نيان كه بحسب واقع (هم) ايشان (اشد منهم) سختر بودند ازكفار مكه (بطشا) ازروى قوت وعظيم تر بودند ازروى جسد چون عاد وثمود وفرعون ومحل الجملة النصب على انها

صفة لكم وفيه اشارة الى اهلاك النفوس المتمردة فى القرون الماضية اظهارا لكمال القدرة والحكمة البالغة لتأدب به النفوس القابلة للخير وتتعظ به القلوب السليمة (فنقبوا فى البلاد) قال فى القاموس نقب فى الارض ذهب كأنقب ونقب وعن الاخبار بحث عنها او اخبرها والنقب الطريق فى الجبل وفى تاج المصادر التنقيب شب درراهها كردن وفى الصادر شدن اندر شهرها والمعنى خرقوا فيها اى اوقعوا الخرق فيها والجوب وقطع المفازة ودحوا اى اذلوه وقهروا اهلها واستولوا عليهم وتصرفوا فى اقطارها اوجالوا فى اكناف الارض كل مجال حذار الموت فالفاء على الاول للتسبب والدلالة على ان شدة بطشهم ابطرتهم واقدرتهم على التنقيب وعلى الثانى لمجرد التعقيب واصل التنقيب والنقب التفتيش عن الامر والبحث والطلب ولذا قال فى كشف الاسرار اى ابعدوا فيها السير وبحثوا عن الامور والاسباب قال امرؤ القيس

لقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

وبالفارسية پس دور شدند وفراوان رفتند در زمين وراه بريدند در شهرها يعنى رفتند بتجارت وسفرها كردند ومال ومتاع بسيار بدست آوردند وفى فتح الرحمن اى طافوا فى نقوبها اى طرقها (هل من محيص) حال من واو نقبوا واصله من قولهم وقع فى حيص بيص اى فى شدة وحاص عن الحق يحيص اى حاد عنه الى شدة ومكروه وفى القاموس المحيص المهرب اى فنقبوا فى البلاد قائلين هل من محيص اى هل لهم من مفر ومخلص من أمر الله وعذابه اومن الموت فمحيص مبتدأ خبره مضمر وهو لهم ومن زائدة وبالفارسية هيچ بود مر ايشانرا كرزكاهى از مرك پناهى از قضاى خداى تعالى كه حكم فنا نازل شد هيچ چيز دستكيرى ايشان نكرد ويجوز ان تكون الجملة كلاما مستأنفا واردا لنفى ان يكون لهم محيص بعنى نكريد تا هيچ از مرك رستند يعنى نرستند وان عقوبت حق خلاص نشدند فان اصر اهل مكة فليحذروا من مثل ما حل بالامم الماضية فان الغاية هو الهلاك والنهاية هو العذاب روزكارى كه آدم راونا نداشت تراكى وفادارد عمرى كه بر نوح بپايان رسيد باتوكى بقادارد اجلى كه بر خليل تاختن آورد تراكى فروكذارد مركى كه بر سليمان كمين ساخته باتوكى مسامحت كند * نه برباد رفتى سحركاه وشام * سرير سليمان عليه السلام * باخر ندیدى كه برباد رفت * خنك آنكه يادانش ودادرفت * مؤكلى كه جان مصطفى را صلى الله عليه وسلم تقاضا كرد باتوكى مدارا كند اكر عمر نوح ومال قارون وملك سليمان بدست آرى بدر مرك سود ندارد وباتو محابا نكند هفت هزار سال كسرى كذشت تا آدميان اندرين سفرند از اصلاب بارحام مى آيند وازارحام به پشت زمين وازپشت زمين بشكم زمين ميروند همه عالم كور ستانست زيراو همه حسرت زيراو همه در حيرت سر برآور از آسمان بپرس كه چند پادشاه يادارى چشم بر زمين افكن وبازپرس كه در شكم چند نازنين دارى

سل الطارم العالى الذرى عن قطينه * نجابا تجا من بؤس عيش ولينه
فلما استوى فى الملك واستعبد الورى * رسول المنايا له لجبينه

جهان اى پسر ملك جاويد نيست * زدنيا وفادارى اميد نيست * اى سخره امل اى غافل ازاجل كارى كه لامحاله بود نيست ازان نه اندیشى وراهى كه على الحقيقة رفتنيست زادان راه برنكيرى شغل دنيا راست ميدارى وبرك مرك مى نسازى اى مسكين مركت درقفاست ازاوياد دار منزلت كه ورست آباد دار حطام دنيا جمع ميكنى واز مستحق منع ميكنى چه طمع دارى كه جاويدبان بمانى باش تا ملك الموت درآيد وجانت غارت كند وارث درآيد مالت غارت كند وخصم درآيد طاعت غارت كند وكرم درآيد پوست وكوشت غارت كند واما كربان عفلت دشمن درآيد وايمان غارت كند نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المتيقظين ومن الثابتين على الدين واليقين ومن رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين (ان فى ذلك) اى فيما ذكر من قصتهم اوفيما ذكر فى هذه السورة من العبر والاخبار واهلاك القرى (لذكرى) لتذكرة وعظة وبالفارسية پند (لمن كان له قلب) اى قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغى فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير قال الراغب قلب الانسان سمى به لكثرة تقلبه ويعبر بالقلب عن المعانى التى تختص به من الروح

والعلم والشجاعة وسائر ذلك وقوله لمن كان له قلب اى علم وفهم انتهى وفسره ابن عباس رضى الله عنهما بالعقل وذلك لان العقل قوة من قوى القلب وخادم من خدامه كما فى كتاب الجواهر للشعرانى فمن له ادنى عقل فله ذكرى كما قال تعالى أفلا تعقلون اى ادنى تعقل وقال ابو الليث لمن كان له قلب اى عقل لانه يعقل بالقلب فكنى عنه انتهى وفى الاسئلة المفحمة كيف قال لمن كان له قلب ومعلوم ان لكل انسان قلبا قلت ان المراد ههنا بالقلب العقل كنى بالقلب عن العقل لانه محله ومنبعه كما قال تعالى فانه نزله على قلبك وسمعت بعض الشيوخ يقول لمن كان له قلب مستقر على الايمان لا يتقلب بالسراء والضراء انتهى (وفى تفسير الكاشفى) انكس را كه اورا دلى زنده است وفى كشف الاسرار دلى متفكر در حقايق اخبار باعقلى بيدار كنند از خواب غفلت شبلى قدس سره فرمود موعظة قرآن را دلى بايد باخداى تعالى كه طرفة العين غافل نباشد (اوالقى السمع) اى الى ما يتلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدى اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان القاء السمع لا يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله (وهو) اى والحال ان ذلك الملقى فهو حال من الفاعل (شهيد) من الشهود بمعنى الشاهد اى حاضر ذهنه ليفهم معانيه لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وقال سعدى المفتى اوالتقسيم المتفكر الى التالى والسامع اوالى الفقيه والمتعلم وبعبارة اخرى الى العالم المجبول على الاستعداد الكامل فهو بحيث يحتاج الى التعليم فيتذكر بشرط ان يقبل بكليته ويزيل الموانع كلها وقال بعض الكبراء من العارفين ان فى ذلك اى القرءان الناطق باثبات امور مخالفة للحق سبحانه من التنزيه والتشبيه لذكرى اى تذكرا لما هو الحق عليه فى نفسه من التقلب فى الشؤون لمن كان له قلب سمى به لتقلبه فى انواع الصور والصفات المتخالفة لاختلاف التجليات ولم يقل لمن كان له عقل فان العقل قيد لغة وحقيقة اما لغة فانه يقال عقل البعير بالعقال اى قيده وعقل الدواء البطن اى عقده واما حقيقة فلان العقل يقيد العاقل بما يؤدى نظره وفكره اليه فيحصر الامر فى نعت واحد والحقيقة تأبى الحصر فليس القرءان ذكرى لمن كان له عقل يقيده بما يؤديه الفكر اليه فانه ليس ممن يتذكر بما وقع فى القرءان من الايات الدالة على التنزيه والتشبيه جميعا بل يؤول ما وقع على خلاف ما يؤديه فكره اليه كالآيات الدالة على التشبيه مثلا وهم اى من كان له عقل هم اصحاب الاعتقادات الجزئية التقييدية الذين يكفر بعضهم الذى يؤديه فكره الى عقد مخصوص بعضا اخر يؤديه فكره الى خلاف ما ادى اليه فكر البعض الاول ويلعن بعضهم بعضا والحق عند العارف الذى يتقلب قلبه فى انواع الصور والصفات لانه يعرف ان لا غير فى الوجود وصور الموجودات كلها صورته فلاختصاص معرفة الحق فى جميع الصور فى الدنيا والآخرة بالعارف الناتج معرفته عن تقلب قلبه قال تعالى لمن كان له قلب فانه قد تقلب قلبه فى الاشكال فعلم تقلب الحق فى الصور وهذا النوع من المعرفة الذى لا يعقبه انكار حظ من عرف الحق من التجلى والشهود أى من تجليه فى الصور وشهوده فيها حال كونه مستقرا فى عين مقام الجمع بحيث لا يشغله صور التفرقة عن شهوده واما اهل الايمان الاعتقادى الذين لم يعرفوا الحق من التجلى والشهود فهم المقلدة الذين قلدوا الانبياء والرسل فيما اخبروا به عن الحق من غير طلب دليل عقلى لا من قلد اصحاب الافكار والمتأولين للاخبار الواردة الكاشفة عن الحق كشفا مبنيا يحملها على ادلتهم العقلية وارتكاب احتمالاتها البعيدة فهؤلاء الذين قلدوا الرسل عليهم السلام حق التقليد هم المرادون بقوله اوالقى السمع لاستماع ما وردت به الاخبار الالهية على السنة الانبياء وهو حاضر بما يسمعه مراقب له فى حضرة خياله يعنى ينبغى لملقى السمع ان يجهد فى احضار ما يسمعه فى خياله لعله يفوز بالتجليات المثالية لان يكون صاحب تلك التجليات بالفعل والا بق بعض مقلدة الانبياء خارجا عن هذا الحكم فليس المراد بالشهود ههنا الرؤية البصرية بل ما يشابهها كمال المشابهة وهو مشاهدة الصور المتمثلة فى حضرة الخيال ليس الا ومن قلد صاحب نظر فكرى فليس هو الذى ألقى السمع وهو شهيد فالمقلدون لاصحاب الافكار هم الذين قال الله فيهم اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآن المتبوعين دعوا اتباعهم الى خلاف الواقع فتبعوهم ورجع نكال متابعتهم الى متبوعيهم فتبرأوا منهم والرسل لا يتبرأون من اتباعهم الذين اتبعوهم لانهم دعوهم الى الحق والصدق فتبعوهم فانعكست انوار متابعيهم اليهم فلم يتبرأوا منهم فاعرف در لباب آورده كه صاحب قلب مؤمن عربيست وشهيد مؤمن أهل

کتاب که گواهی داردبر گفت حضرت پیغمبر علیه السلام شیخ ابو سعید خراز قدس سره فرموده که القاء سمع بوقت شنیدن قرءان چنان باید که گویا از حضرت پیغمبر می شنود پس در فهم بالاتر رود و چنان داند که از جبرائیل استماع میکند پس فهم را بلند تر ساز دو چنان داند که از خدای تعالی می شنود شیخ الاسلام قدس سره فرموده که این سخن تامست و برو در قرءان گواهی هست و آن لفظ شهید ست و شهید از گوینده شنودنه از خبرد هنده چه غائب از مخبر می شنود و حاضر با تکلم و از امام جعفر رضی الله عنه منقولست که تکرار میکردم قرءآنرا تا وقتی که از متکلم ان شنودم وفی التأویلات النجمیة القلوب أربعة قلب یائس وهو قلب الکافر وقلب مقفول وهو قلب المنافق وقلب مطمئن وهو قلب المؤمن وقلب سلیم من تعلقات الکونین وهو قلب المحبین المحبوبین الذی هو مرءاة صفات جمال الله وجلاله کما قال لا یسعنی ارضی ولا سمائی ولکن یسعنی قلب عبدی المؤمن وقوله او القی السمع وهو شهید یعنی من لم یکن له قلب بهذه الصفة یکون له سمع یسمع بالله وهو حاضر مع الله فیعتبر مما یشیر الیه الله فی اظهار اللطف او القهر وقال ابن عطاء قلب لاحظ الحق بعین التعظیم فذاب له وانقطع عما سواه واذا لاحظ القلب الحق بعین التعظیم لان وحسن وقال بعضهم القلب مضغة وهو محل الانوار ومورد الزوائد من الجبار وبه یصح الاعتبار وجعل الله القلب للجسد امیرا وقال ان فی ذلک لذکری لمن کان له قلب ثم جعله لربه اسیرا فقال یحول بین المرء وقلبه وقال بعضهم للقلوب مراتب فقلوب فی قبضة الحق مأسورة وقلوب والهة وقلوب طائرة بالشوق الیه وقلوب الی ربها ناظرة وقلوب صاحبت الآمال فی الله وقلوب تبکی من الفراق وشدة الاشتیاق وقلوب ضاقت فی دار الفناء وقلوب خاطبها فی سرها فزال عنها مرارة الاوجاع وقلوب سارت الیه بهمتها وقلوب صعدت الیه بعزائم صدقها وقلوب تقدمت لخدمته فی الخلوات وقلوب شربت بکاس الوداد فاستوحشت من جمیع العباد الی غیر ذلک ویدل علی شرف القلب قوله علیه السلام تفکر ساعة خیر من عبادة الثقلین چون بنده برگاه آید ودل او گرفتار شغل دنیا رقم خذلان بران طاعت کشند وبروی او باز زنند که گفته اند من لم یحضر قلبه فی الصلاة فلا تقبل صلاته ومن لم یحصل درجة الرؤیة فی الصلاة فما بلغ غایتها ولا کان له فیها قرة عین لانه لم یرمن یناجیه فان لم یسمع ما یرد علیه من الحق فی الصلاة من الواردات الغیبیة فما هو ممن ألقی سمعه ومن لم یحضر فیها مع ربه مع کونه لم یسمع ولم یر فلیس بمصل ولا هو ممن ألقی السمع وهو شهید یعنی ادنی مرتبة الصلاة الحضور مع الرب فمن لا یری ربه فیها ولا یشهده شهودا روحانیا او رؤیة عیانیة قلبیة او مثالیة خیالیة او قریبا منها المعبر عنه بقوله علیه السلام ان تعبد الله کانک تراه ولا یسمع کلامه المطلق بغیر واسطة الروحانیات او بواسطة منهم ولا حصل له الحضور القلبی المعبر عنه بقوله فان لم تکن تراه فاعلم انه یراک فلیس بمصل وصلاته افادت له الخلاص من القتل لا غیر وبقدر خوف المرء من ربه وقربه منه یکون حضوره * نزدیکان را پیش بود حیرانی * کایشان دانند سیاست سلطانی *
آن وزیر پیوسته از مراقبت سلطان هراسان بود و آن ستوردار راهر اسی نه زیرا که سینه وزیر خزینهٔ اسرار سلطانست ومهر خزینه شکستن خطرناک بود وکان علیه السلام یصلی وصدره ازیز کأزیز المرجل من البکاء والازیز الغلیان وقیل صوته والمرجل قدر من النحاس * خوشا نماز ونیاز کسی که از سر درد * با ب دیده وخون جگر طهارت کرد * حذیفهٔ یمانی رضی الله عنه صاحب سر رسول الله علیه السلام بود گفتار وزی شیطانرا دیدم که می گریست گفتم ای لعین این ناله وگریهٔ تو چیست گفت از برای دو معنی یکی انکه درگاه لعنت برما گشاده یکرانکه درگاه دل مؤمنان برما بسته بهر وقتی که قصد درگاه دل مؤمن کنم با آتش هیبت سوخته گردم بداود علیه السلام وحی آمد که یا داود زبانت دلالی است بر سر باز اردعوی او را در صدر دارالملک دین محلی نیست محلی که هست دلراست که ازو بوی اسرار أحدیت وازلیت آید عزیز مصر با برادران گفت رخت بردارید وبوطن وقرارگاه خود باز شوید که ازدلهای شما بوی مهر یوسفی می نیاید اینست سر آنچه رب العالمین فرمود ان فی ذلک لذکری الایة قال بعض الکبار حقیقة السمع الفهم عن الله فیما یتلوه علیک فی الانفس والآفاق فان الحق تارة یتلو علیک الکتاب من الکبیر الخارج وتارة من نفسک فاسمع وتأهب لخطاب مولاک الیک فی ای مقام کنت وتحفظ من الوقر والصمم فالصمم آفة تمنعک عن ادراک تلاوته علیک من الکتاب الکبیر المعبر عنه بالفرقان والوقر آفة تمنعک من ادراک تلاوته علیک من نفسک المختصرة

وهو الكتاب المعبر عنه بالقرءان اذ الانسان محل الجمع لما تفرق فى العالم الكبير (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما) من اصناف المخلوقات (فى ستة ايام) در شش روزان يكشنبه تاشنبه الارض فى يومين ومنافعها فى يومين والسموات فى يومين واوشاء لكان ذلك فى اقل من لمح البصر ولكنه سن لنا التأنى بذلك فان العجلة من الشيطان الا فى ستة مواضع اداء الصلاة اذا دخل الوقت ودفن الميت اذا حضر وتزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب وحل واطعام الضيف اذا نزل وتعجيل التوبة اذا اذنب قال بعض العارفين اذا فتح الله عليك بالتصريف فائت البيوت من ابوابها واياك والتعسل بالهمة من غير الة وانظر الى الحق سبحانه كيف خمر طينة آدم بيديه وسواه وعدله ثم نفخ فيه الروح وعلمه الاسماء فأوجد الاشياء على ترتيب ونظام وكان قادرا ان يكون آدم ابتداء من غير تخمير ولا شئ مما ذكر وفى التأويلات النجمية ولقد خلقنا سموات الارواح وارض الاشباح وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار وسر الاسرار فى ستة ايام اى فى ستة انواع من المخلوقات وهى محصورة فيما ذكرنا من الارواح والاشباح والنفوس والقلوب والاسرار وسر الاسرار فلا مخلوق الا وهو داخل فى جملتها فافهم جدا (وما مسنا) بذلك مع كونه مما لا تفنى به القوى والقدر وبالفارسية ونرسيد ما را از آفريدش آنها (من لغوب) قال الراغب اللغوب التعب والنصب يقال اتانا ساعيا لاغبا خائفا تعبا وفى القاموس لغب لغبا ولغوبا كمنع وسمع وكرم اعيى اشد الاعياء وفى تاج المصادر اللغوب مانده شدن وفعل يفعل فعولا وفعلا ايضا لغة صعيفة والمعنى من اعياء ولا تعب فى الجمعة وبالفارسية هيچ رنجى وماندكى فانه لو كان لاقتضى ضعفا فاقتضى فسادا فكان من ذلك شئ على غير ما اردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا فى الباقى وانتم تشاهدون الكل على حد سواء من نفوذ الامر وتمام التصرف وفى التأويلات النجمية وما مسنا من لغوب لانها خلقت بأشارة أمر كن كما قال تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فأنى يمسه اللغوب وانه صمد لا يحدث فى ذاته حادث انتهى وهذا رد على جهلة اليهود فى زعمهم ان الله بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه عما يقولون علوا كبيرا قال العلماء ان الذى وقع من التشبيه لهذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم أخذ يتول الفقير هذه الاية نظير قوله تعالى اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى يدل عليه ما بعد الاية وهو قوله (فاصبر على ما يقولون) اى ما يقوله المشركون فى شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وغيرهم وفى تفسير المناسبات لما دل سبحانه على شمول العلم واحاطة القدرة وكشف فيهما الامر أتم كشف وكان علم الحبيب القادر بما يفعل العدو أعظم نذارة للعدو وبشارة للولى سبب عن ذلك قوله فاصبر على ما يقولون اى على جميع الذى يقوله الكفرة وغيرهم انتهى وفيه اشارة الى تربية النفوس بالصبر على ما يقول الجاهلون من كل نوع من المكروهات وتزكيتها من الصفات المذمومات ملازمة للذكر والتسبيحات والتحميدات كما قال (وسبح بحمد ربك) اى نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى اخباره التى من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه بما يوجب التشبيه حال كونك ملتبسا بحمده على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قال سهل فى الامالى سر اقتران الحمد بالتسبيح ابدا كما فى الآية وفى قوله وان من شئ الا يسبح بحمده ان معرفة الله تنقسم قسمين معرفة ذاته ومعرفة اسمائه وصفاته ولا سبيل الى اثبات احد القسمين دون الاخر واثبات وجود الذات من مقتضى العقل واثبات الاسماء والصفات من مقتضى الشرع فبالعقل عرفت المسمى وبالشرع عرفت المسمى ولا يتصور فى العقل اثبات الذات الا مع نفى سمات الحدوث عنها وذلك هو التسبيح ومقتضى العقل مقدم على مقتضى الشرع وانما يأتى الشرع المنقول بعد حصول النظر والعقول فنبه العقول على النظر فعرفت ثم علمها ما لم تكن تعلم من الاسماء فاضاف لها الى التسبيح الحمد واثناء فامرنا الا بتسبيحه بحمده (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) هما وقتا الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة فالتسبيح فيهما بمكان وفى طه قبل طلوع الشمس وقبل غروبها اراعى القياس لان الغروب للشمس كالطلوع لها (ومن الليل فسبحه) اى وسبحه بعض الليل فقوله من الليل مفعول لفعل مضمر معطوف على سبح بحمد ربك يفسره فسبحه ومن للتبعيض ويجوز أن يعمل فيه المذكور ايضا ولا تمنع الفاء عن عمل ما بعدها فيما قبلها كما يجئ فى سورة قريش وقال بعض الكبار قبل

طلوع الشمس يعنى من اول النهار وقبل الغروب يعنى الى آخر النهار ومن الليل فسبحه يعنى من جميع الليل بقدر الوسع والطاقة يقول الفقير ثبت ان بعض اهل الرياضة لم ينم سنين فيمكن له دوام الذكر والتسبيح كما قال تعالى والذين هم على صلاتهم دائمون ويمكن أن يقال ان ذلك حال القلب لا حال القالب فان اكثر أهل الله يداومون ويقومون على ما فعله النبى عليه السلام لكن قلوبهم يقظى وصلاتهم اى توجههم دائمة فهم فى الذكر فى جميع آناء الليل والنهار (وأدبار السجود) واعقاب الصلوات واواخرها جمع دبر من ادبرت الصلاة اذا انقضت والركوع والسجود يعبر بهما عن الصلاة لانهما أعظم اركانها كما يعبر بالوجه عن الذات لانه اشرف اعضائها وفى تفسير المناسبات وسبح ملتبسا بحمد ربك قبل طلوع الشمس بصلاة الصبح وما يليق به من التسبيح وغيره وقبل الغروب بصلاة العصر والظهر كذلك فالعصر أصل فى ذلك الوقت والظهر تبع لها ولما ذكر ما هو أدل على الحب فى المعبود لانه وقت الانتشار الى الامور الضرورية التى بها القوام والرجوع لقصد الراحة الجسدية بالاكل والشرب واللعب والاجتماع بعد الانتشار والانضمام مع ما فى الوقتين من الدلالة الظاهرة على طى الخلق ونشرهم اتبعه ما يكون وقت السكون المراد به الراحة بلذيذ الاضطجاع والمنام فقال ومن الليل اى فى بعض اوقاته فسبحه بصلاتى المغرب والعشاء وقيام الليل لان الليل وقت الخلوات وهى الذاتيات ولما ذكر الفرائض التى لا مندوحة عنها على وجه يشمل النوافل من الصلاة وغيرها اتبعها النوافل المقيدة بها فقال وادبار السجود اى الذى هو الاكمل فى بابه وهو صلاة الفرض بما يصلى بعده من الرواتب والتسبيح بالقول ايضا والمعنى والله اعلم ان الاشتغال استظهارا من المحمود المسبح للنصر على المكذبين وان الصلاة أعظم ترياق للنصر وازالة النصب ولهذا كان النبى عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلاة انتهى يقال حزبه الامر نابه واشتد عليه اوضغطه وفزع اليه لجأ وعن عمر وعلى رضى الله عنهما ادبار السجود الركعتان بعد صلاة المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر وعليه جمهور المفسرين وعن النبى عليه السلام من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبت صلاته فى عليين وعنه عليه السلام ركعتا الفجر اى سنة الصبح خير من الدنيا وما فيها وكان عليه السلام يقرأ فى الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلاة الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد قاله ابن مسعود وعن مجاهد وادبار السجود هو التسبيح باللسان فى ادبار الصلوات المكتوبة وفى الحديث من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسع وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وفى رواية اخرى عن ابى هريرة رضى الله عنه قالوا يا رسول الله ذهب أهل الوفور بالدرجات والنعيم المقيم قال وكيف ذلك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا وانفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال افلا اخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتى احد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله تسبحون فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا كما فى كشف الاسرار يقول الفقير لعل سر التثليث فى بيانه عليه السلام دائر على التثليث فى بيانهم فانهم قالوا صلوا وجاهدوا وانفقوا فقال عليه السلام تسبحون وتحمدون وتكبرون وفى تخصيص العشر فى هذا الحديث رعاية لسر قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فان كل عشر اذا ضوعف افرادها بعشرة الامثال تبلغ الى المائة المشيرة الى الاسماء الحسنى التسعة والتسعين مع احديتها فاذا كان كل عشر مائة يكون المجموع ثلاثمائة لكنه عليه السلام أراد ان يبلغ الاعداد المضاعفة الى الالف لتكون اشارة الى الف اسم من اسمائه تعالى فزاد فى كل من التسبيح والتحميد والتكبير باعتبار اصوله حتى جعله ثلاثا وثلاثين وجعل تمام المائة القول المذكور فى الحديث الاول فيكون اصول الاعداد مائة بمقابلة المائة المذكورة وفروعها وهى الاضاعفات ألفا ليكون بمقابلة الألف المذكور فان قلت فأهل الوفور لا يخلو من ان يقولوا ذلك فى اعقاب الصلوات فاذا الافضل للفقراء عليهم قلت جاء فى حديث اخر اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مخلصا وقال الغنى مثل ذلك لم يلحق الغنى الفقير فى فضله وتضاعف الثواب وان انفق الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فظهر فضلهم عليهم والحمد لله تعالى وفى الآية بيان فضيلة النوافل قال عليه السلام خطابا لأبى الدرداء رضى الله عنه ياعويمر اجتنب مساخط الله وادفرائض الله تكن عابدا ثم تنفل بالصالحات من الاعمال تزدد من ربك

قربا وعليه عزا وفى الحديث حسنوا نوافلكم فبها تكمل فرائضكم وفى المرفوع النافلة هدية المؤمن الى ربه فليحسن احدكم هديته وليطبها وفى الحديث ازدلفوا الى الله بركعتين اى تقربوا وفى الحديث القدسى ما تقرب عبد الى بمثل اداء ما افترضت عليه وانه ليتقرب الى بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه والمراد بالنوافل نوافل الصلوات وغيرها ومنها سلوك الصوفية فانه يتقرب به السالك الى الله بأزالة الحجب المانعة عن النظر الى وجه الله الكريم قال الراغب القرب الى الله قرب روحانى بازالة الاوساخ من الجهل والطيش والغضب والحاجات البدنية بقدر طاقة البشر والتخلق بالاخلاق الالهية من العلم والحكمة والرحمة وفى ترجمة الفتوحات المكية درادای فرائض عبوديت اضطرارست ودرنوافل عبوديت اختيار ونفل دررکعت زائد را کويندوتو دراصل خودزائدى بروجود حق تعالى چه اوبو دوتو نبودى وبو جود تو وجود حادث زياده شد پس عمل نفل اشارت بو جودتست که زائدست واصل تست وعمل فرض اشارت بو جود حق است که اصل کلى است پس درادای فرائض بنده براى اوست ودرادای نوافل براى خود وقتى که درکار اوباشى هرآينه دوستر ازان دارد که درکار خودباشى وثمرهٔ اين حب که درکار خودى است که کنت سمعه وبصره ثمرهٔ ان حب که درکار اوباشى اعنى باعمال فرائض قياس کن که چه کونه باشد وبدان که درنفس نفل فرائض و نوافل هست اکر درفرض نقصانى واقع شده باشد بدان فرائض که درضمن نفل است تمام کرده شود درخبر صحيح آمده است که حق تعالى فرمايد که درنماز بنده نکاه کنيد اکر تمام باشد تمام نويسند واکر ناقص باشد فرمايد که ببينيد که اين بنده راهيچ تطوعى هست اکر باشد فرمايد که فريضهٔ بنده را بدان تطوعات تمام سازيد چون رکوع وسجود وسائر افعال که نفل بى آن درست نيست که ساد مسد فرض شود حق تعالى اين فروض را درميانهٔ نوافل نهاد تا جبر فرض بفرض باشد انتهى قال بعض الكبار من اراد العلم الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فليكثر من الطاعات والنوافل حتى يحبه الحق فيعرف الله بالله ويعرف جميع الاحكام الشرعية بالله لا بعقله ومن لم يكثر مما ذكر فليقلد ربه فيما أخبر ولا يأول فانه اولى من تقليد العقل يقول الفقير دخل فى ادبار السجود والنوافل مثل صلاة الرغائب وصلاة البراءة وصلاة القدر فان صلاة الرغائب تصلى بعد المغرب فى ليلة الجمعة الاولى من شهر الله رجب والثانية بعد العشاء فى ليلة النصف من شعبان والثالثة بعد العشاء ايضا فى ليلة القدر وتلك الصلوات من مستحسنات المشايخ المحققين لانها نوافل اى زوائد على الفرائض والسنن وهذا على تقدير ان لا يكون لها اصل صحيح فى الشرع وقد تكلم المشايخ عليها والاكثر على انه عليه السلام صلاها فلها اصل صحيح لكن ظهورها حادث ولا يقدح هذا الحدوث فى اصالتها على ان عمل المشايخ يكفى سندا فانهم ذوو الجناحين وقد افردت لهذا الباب جزأ واحدا شافيا (واستمع) يا محمد لما يوحى اليك من احوال القيامة وفى حذف مفعول استمع وابهامه ثم تفسيره بقوله يوم الخ تهويل وتفظيع للمخبر به كما روى عن النبى عليه السلام انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل رضى الله عنه يا معاذ اسمع ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك والسمع ادراك المسموع بالاصغاء والفرق بين المستمع والسامع ان المستمع من كان قاصدا السماع مصغيا اليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد اليه فكل مستمع سامع من غير عكس (يوم ينادى المناد) اصله ينادى المنادى قرأ ابو عمرو و نافع وابن كثير المنادى بالياء فى الوصل وهو الاصل فى اللغة والباقون بغير ياء لان الكسر يدل عليه واكتفى به والمنادى هو الملك النافخ فى الصور وهو اسرافيل عليه السلام والنداء نفخه سمى نداء من حيث انه جعله علما للخروج وللحشر وانما يقع ذلك النداء كأذان المؤذن وعلامات الرحيل فى العساكر وقيل هو النداء حقيقة فيقف على الصخرة ويضع اصبعه فى اذنيه وينادى ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادى بالحشر (من مكان قريب) الى السماء وهو صخرة بيت المقدس فان بيت المقدس اقرب من جميع الارض الى السماء بأثنى عشر ميلا اوثمانية عشر ميلا وهو وسط الارض كما قاله على رضى الله عنه اومن مكان قريب يصل نداؤه الى الكل على سواء يعنى آوز اوبهمه جابر سد وازهيچ موضعى دورنبود وفى كشف الاسرار سمى قريبا لان كل انسان يسمعه من طرف اذنه وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك فى الاعادة مثل كن فى البدء (يوم) الخ بدل من يوم ينادى الخ (يسمعون) اى الارواح وقيل الاجساد لانه يمد هاأربعين سنة كما فى عين المعانى (الصيحة)

وهى صيحة البعث التى هى النفخة الثانية والصيحة والصياح الصوت بأقصى الطاقة (بالحق) متعلق بالصيحة على انه حال منها والعامل فى الظرف مايدل عليه قوله تعالى (ذلك) اين روز (يوم الخروج) من القبور وهو من اسماء يوم القيامة وسمى يوم العيد يوم الخروج ايضا تشبيها به والمعنى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور الى المحاسبة ثم الى احدى الدارين اما الى الجنة واما الى النار قال فى كشف الاسرار چون اين ندا در عالم دهد در خلق اضطرار افتد آن كوشتهاى ووستهاى بوسيده واستخوانهاى ريزيده وخاك كشته وذره ذره بهم برآميخته بعضى بشرق بعضى بغرب بعضى به بر بعضى به بحر بعضى كركان خورده و بعضى مرغان برده همه باهم مى آيد وذره ذره بجاى خود باز ميشود هرچه در هفت اقليم خاكى چانور بوده از ابتداى دور عالم تا روز رستاخيز همه باهم آيد تنها راست كردد وصورتها يابد اشوداعضا واجزا مرتب ومركب كردد ذره كم نه وذره پيش نه موى از ين بان نيامير ذره ازان به اين نه پيوندد آه صعب روزى كه حشر ونشر ست روز جزاء خبر وشر ست ترازوى راستى آويخته كرسئ قضا نهاده بساط هيبت باز كسترده همه خلق بزنو در آمده كه وترى كل امة جاثية دوزخ مى غرد كه تكاد تميز من الغيظ زبانيه در عاصى آويخته كه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه هر كس بخود درمانده واز خويش وپيوند بكريخته لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه آورده اند كه پيش از آمدن خلق از خاك جبريل ومكائيل بزمين آيند براق مى آرند وحله وتاج از بهر مصطفى صلوات الله عليه واز هول آن روز دانند كه روضة سيد كجاست از زمين مى پرسند وزمين مى كويد من از هول رستاخيز ندانم كه دربطن خود چه دارم جبريل بشرق وغرب همى نكرد از انجا كه خوابكاه سيد ست نورى برآيد جبريل آنجا شتابد سيد عالم صلوات الله عليه از خاك برايد چنانكه در خبر ست اانا اول من تنشق عنه الارض اول سخن اين كويداى جبرئيل حال امتم چيست خبر چه دارى كويداى سيد اول تو بر خاسته ايشان در خاك اندا ى سيد تو حله در پوش وتاج بر سر نه وبر براق نشين وبمقام شفاعت روتا امت در رسند مصطفى عليه السلام همى رود تا بحضرت عزت سجده أرد وحق راجل جلاله بستايد وحمد كويد از حق تعالى خطاب ايد كه اى سيد امروز نه روز خدمت است كه روز عطا ونعمت است نه روز سجود ست كه روز كرم وجود ست سر بردار وشفاعت كن هرچه تو خواهى آن كنم تو در دنيا همه آن كردى كه ما فرمو ديم ما امروز ترا آن دهيم كه تو خواهى واسوف يعطيك ربك فترضى قال المولى جامى فى سلسلة الذهب

سويم افكن زمرحمت نظرى * بازكن بررخم زفضل دري * لب بجنبان پى شفاعت من * منكر در كناه وطاعت من * مانده ام زير بار عصيان پست * افتم ازپاى اكر نكيرى دست * رحم كن برمن وفقيرئ من * دست ده بهر دستكيرئ من (انانحن نحيى ونميت) فى الدنيا من غير أن يشاركنا فى ذلك احد فتكرير الضمير بعد ايقاعه اسما للتأكيد والاختصاص والتفرد (قال الكاشفى) يعنى نطفهٔ مرده راحيات مى دهيم وميرانيم ابشارا در دنيا (والينا المصير) للجزاء فى الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فليستعدوا للقائنا وفيه اشارة الى مراقبة القلوب بعد انقضاء اوقات الذكر لاستماع نداء الهواتف الغيبيه والالهامات الربانية والاشارات الالهية من مكان قريب وهو القلب يوم يسمع النفوس الصيحة من جانب الحق بتجلى صفاته ذلك يوم الخروج من ظلمات البشرية الى نور الروحانية والربانية انا نحن نحيى القلوب الميتة ونميت النفوس الحية والينا لمصير لمن مانت نفسه وحيى قلبه واعلم ان الحشر حشر عام وهو خروج الاجساد من القبور الى المحشر يوم النشور وحشر خاص وهو خروج الارواح الاخروية من قبور الاجسام الدنوية بالسير والسلوك فى حال حياتهم الى العالم الروحانى وذلك بالموت بالارادة عن الصفات الحيوانية النفسانية قبل الموت بالاضطرار عن الصورة الحيوانية وحشر اخص وهو الخروج من قبور الانانية الروحانية الى الهوية الربانية وكما ان الموت نوعان اضطرارى واختيارى فكذا الولادة الاضطرارية بخلق الله تعالى لا مدخل فيها للكسب العبد واختياره واما الاختيارية فانما تحصل بالكسب وهو الذى أشار اليه عيسى عليه السلام بقوله لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين (يوم تشقق الارض عنهم) بحذف احد التاءين من تتشقق اى تتصدع قال فى تاج المصادر الشقق شكافته شدن والمعنى بالفارسية بيادار روزى را كه بشكافد زمين ودور شود از آدميان يعنى مردكان پس بيرون ايند از قبرها (سراعا) حال من المجرور وهو جمع سريع والسرعة ضد البطئ ويستعمل فى الاجسام

والافعال ويقال سرع فهو سريع واسرع فهو مسرع والمعنى حال كونهم مسرعين الى اجابة الداعى من غير التفات يمينا وشمالا هذا كقوله مهطعين الى الداع (ذلك) اى احياء ايشان از قبور (حشر) بعث وجمع وسوق (علينا يسير) اى هين علينا نقول له كن فيكون وهو كلام معادل لقول الكفرة ذلك رجع بعيد وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذى لا يشغله شأن عن شان كما قال ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (نحن اعلم بما يقولون) من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وهو تسلية لرسول الله عليه السلام وتهديد لهم (وما انت عليهم بجبار) بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما أنت مذكر هذا كقوله انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر أى لست بمتسلط عليهم بجبرهم بما تريد واصل الجبر اصلاح الشئ بضرب من القهر والجبار فى اسم الله تعالى هو الذى جبر العباد على ما أراد (فذكر) بس پند كوى (بالقرءان من يخاف وعيد) اى عظهم بمواعظه فانهم المنتفعون به كما قال فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين واما من عداهم فنفعل بهم ما يوجبه اقوالهم وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب والوعيد التخويف بالعذاب ويستعمل فى نفس العذاب كما مر قال بعض العارفين امر الله نبيه عليه السلام ان يذكر الخاشعين من عظمته والخائفين من كبريائه بالقرءان لأنهم اهله واهل القرءان اهل الله وخاصته هم يعرفون حقائق الخطاب بنعت العبودية وهم بالقرءان يرتقون الى معادنه فيرون الحق بالحق بلا حجاب ويصعدون به الى الابد وقال احمد ابن همدان رحمه الله لا يتعظ بمواعظ القرءان الا الخائفون على ايمانهم واسلامهم وعلى كل نفس من انفاسهم وقال بعضهم انما يؤثر التخويف والانذار والتذكير فى الخائفين فاما من لا يخاف فلا يجح فيه ذلك وطير السماء على اوكارها تقع) وقال بعضهم وما انت عليهم بجبار هذا خطاب مع القلب يعنى ما انت على النفس وصفاتها بمتسلط بنفسك الا بنافذكر بالقرءان اى بدقائق معانيه وحقائق اسراره من يخاف وعيد يعنى بعض النفوس القابلة لتذكير القرءان ووعيده فانه ليس كل نفس قابلة له (قال الشيخ سعدى) درخبر بازست بهر كس وليك * نه هر كس تواناست برفعل نيك * كسى راكه پندار درسر بود * بپندار هركز كه حق بشنود * ز علمش ملال ايد از وعظ تنك * شقايق بباران نروياد زسنك * بكوشش نرويد كل ازشاخ بيد * نه زنكى به كرمابه كردد سفيد * نيايد نكو كارى از بدركان * محالست دوزندكى ازسكان * توان پاك كردن ززنك آينه * وليكن نيايد زسنك آينه * كان رسول الله عليه السلام يخطب بسورة ق فى كثير من الاوقات لاشتمالها على ذكر الله تعالى والثناء عليه ثم على عمله بما توسوس به النفوس وما تكتبه الملائكة على الانسان من طاعة وعصيان ثم تذكير الموت وسكرته ثم تذكير القيامة واهوالها والشهادة على الخلائق بأعمالهم ثم تذكير الجنة والنار ثم تذكير الصيحة والنشور والخروج من القبور ثم بالمواظبة على الصلوات قال السيوطى فى كتاب الوسائل اول من قرأ فى اخر الخطبة ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية عمر بن عبد العزيز ولزمها الخطباء الى عصرنا هذا وكان النبى عليه السلام يقرأ ق وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقرأ اذا الشمس كورت الى قوله ما أحضرت وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه يقرأ آخر سورة النساء يستفتونك الآية وكان على بن ابى طالب رضى الله عنه يقرأ الكافرون والاخلاص ذكر ذلك ابن الصلاح وفى الحديث من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته قيل تارات الموت افاقاته وغشياته كما فى حواشى سعدى المفتى رحمه الله

تمت سورة ق بعون ذى الالطاف فى اوائل جمادى الاولى من سنة اربع عشرة ومائة والف

سورة الذاريات ستون اية مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذاريات ذروا) الواو للقسم والذاريات وما بعدها صفات حذفت موصوفاتها وأقيمت هى مقامها والتقدير والرياح الذاريات وذروا مصدر عامله الذاريات يقال ذرت الريح الشئ ذروا وأذرته أطارته واذهبته قال فى تاج المصادر الذرى دامیدن والمراد الرياح التى تذرو التراب وغيره ودانه را ازكاه جدا كند كما فى تفسير الكاشفى روى عن كعب الاحبار قال لو حبس الله الريح عن الارض ثلاثة ايام ما بقى على الارض شئ الا نتن وعن العوام بن حوشب قال تخرج الجنوب من الجنة فتمر على جهنم فتمهما منها وبركاتها من الجنة وتخرج الشمال

من جهنم فتمر على الجنة فروحها من الجنة وشرها من النار وقيل الشمال تمر بجنة عدن فتأخذ في مهل بيعة طس فتمر على ارواح الصديقين وعن عبد الله بن شداد قال ان الريح من روح الله فاذا رأيتموها فاسألوا الله خيرها وتعوذوا من شرها وعن جابر رضي الله عنه قال هاجت ريح كادت تدفن الراكب من شدتها فقال عليه السلام هذه ريح أرسلت لموت منافق فقدمنا المدينة فاذا رأس من رؤس المنافقين قد مات (وروى) عن علي رضي الله عنه ان مساكن الريح تحت الجحمة الكرة بين حلقة الكرسي فتهيج من ثمة فتقع بحلقة الشمس ثم تهيج من حلقة الشمس فتقع برؤوس الجبال فتقع في البر فتأخذ الشمال وحدها من كرسي بنات النعش الى مغرب الشمس والنعش اربعة كواكب على شكل مربع مستطيل وخلفها ثلاثة كواكب تسمى البنات وتأتي الدبور وحدها من مغرب الشمس الى مطلع سهيل وتأتي الجنوب وحدها من مطلع سهيل الى مطلع الشمس وتأتي الصبا وحدها من مطلع الشمس الى كرسي بنات النعش فلا تدخل هذه في حد هذه ولا هذه في حد هذه قال ابن عمر الرياح ثمان اربع منها عذاب واربع منها رحمة اما الرحمة فالناشرات والمبشرات والذاريات والمرسلات واما العذاب فالعاصفات والقاصف والصرصر والعقيم وأراد ابن عمر ما في القرآن من الفاظ الرياح وعن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله عليه السلام ليبيتن قوم من امتي على اكل وشرب ولهو ولعب ثم ليمسخن قردة وخنازير وليصيبن اقواما من امتي خسف وقذف باتخاذهم القيان وشربهم الخمور وضربهم بالدف ولبسهم الحرير ولتسفن احياء من امتي الريح كما نسفت عادا كما في كتاب الامتاع في احكام السماع والسف بركندن بنا وكاه ودامیدن چیزی وفي الآية اشارة الى الرياح الصبحية بحمل اذين المشتاقين المتعرضين لنفحات الالطاف الى ساحات العزة ثم تأتي بتنسم نفحات الحق الى مشام اسرار المحبة فيجدون راحة من غلبات اللوعة وفي معناه انشدوا

واني لأشتهي الرياح نسيمكم * اذا أقبلت من ارضكم بهبوب
واسأل عنها حل السلام اليكمو * فان هي يوما بلغت فأجيبي

(قال المولى الجامي) نسيم الصبح زرمني ربي نجد وقبلها * كه بوي دوست مي آيد ازان پاكيزه منزلها
(وقال الكمال الخجندي) صباز دوست پيامي بسوي اورد * بهمدمان كهن دوستي بجا آورد
براي چشم ضعيف رمد كرفتهٔ ما * زخاك مقدم محبوب توتيا آورد * وقال بعضهم المراد بالذاريات النساء الولود فانهن يذرين وهو بضم الياء يذرون يقول الفقير من لطف هذا المعنى مجاورته للفظ الحاملات والجاريات على ان من وجوه الحاملات النساء الحوامل وفيه بيان لفضل الولود على العقيم كما قال عليه السلام سوداء ولود خير من حسناء عقيم ودل لفظ السوداء على سيادة الولود كسواد الحجر الاسود فانه من السيادة وذلك ان الولود مظهر الاثار ومطلع الانوار وكذلك ولود الانسان وهو الانسان الكامل وهو كالمصدر للافعال والجامد وهو الانسان الناقص لا يصلح الا لان يكون آية يستدل بها كسائر الآيات التكوينية ومثاله لفظ انما فانه للتأكيد والحصر لاغير وذلك باعتبار الكف عن العمل فافهم الاشارة (فالحاملات وقرا) الوقر بالكسر اسم لما توقر أي تحمل والمراد هنا المطر ووقرا مفعول الحاملات والمعنى فالسحب الحاملة للمطر وبالفارسية پس بردارندكان باركران يعني ابرها كه بارند (روى) عن خالد بن معدان قال ان في الجنة شجرة تثمر السحاب فالسوداء التي تضحك تحمل المطر والبيضاء التي لا تحمل المطر وقال كعب السحاب غربال المطر ولولا السحاب لأفسد المطر ما أصاب من الارض وعن الحسن انه كان اذا نظر الى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكن تحرمونه بخطاياكم واعمالكم وعن عكرمة قال ما انزل الله من السماء قطرة الا انبت بها في الارض عشبة او في البحر لؤلؤة وفي المطر حياة الارض فكأنه روحها وكذا في الفيض الالهي حياة القلب والروح وفيه اشارة الى ان سحاب الطاف الربوبية تحمل امطار مراحم الالوهية فتمطر على قلوب الصديقين (فالجاريات يسرا) يسرا صفة لمصدر محذوف اي فالسفن الجارية في البحر جريا يسيرا اي ذا يسر وسهولة وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال البحر رزق يبد ملك لم يغفل عنه واوغفل عنه الملك لطم على الارض يعني دريا خيكي است بدست فرشته غافل نمي شود ازوى فرشته واكر غافل شود برمي كند زمين را وفرومي كيرد وفي الحديث لا يركبن رجل البحر الا غازيا اوحاجا اومعتمرا فان تحت البحر نارا وان تحت النار بحرا او ان تحت

البحر نارا وقال كعب ما من ليلة الا والبحار تشرف على الخلائق فتقول يارب ائذن لنا حتى نغرق الخطائين فيأمرها تعالى بالسكون فتسكن وسأل سليمان بن داود عليهما السلام عن ملك البحر فخرجت اليه دابة من البحر فجعلت تنسل من حيث طلعت الشمس حتى انتصف النهار تقول هذا ولما يخرج نصفي بعد فتعوذ بالله من البحر ومن ملكه يعنى پرسيد سليمان بن داود از فرشتهٔ بحر پس بيرون آمد بسوى وى جانورى از بحر بشتاب ازان زمان كه آفتاب برآمد تا نيم روز كفت هنوز نيم من بيرون نيامده است پس پناه كرفت سليمان بخدا از بحر ازملك وى وفيه اشارة الى سفن وجود المحبين المحبوبين شراعهم فوعة الى مهب رياح العناية فتجرى بهم فى بحر التوحيد على أيسر حال (فالمقسمات امرا) الامر واحد الامور أريد به معنى الجمع وهو منصوب على المفعولية والمراد بالمقسمات الملائكة وايراد جمع المؤنث السالم فيهم بتأويل الجماعات اى فالملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها وفى كشف الاسرار هذا كقوله فالمدبرات امرا قال عبد الرحمن بن سابط يدبر امر الارض اربعة من الملائكة جبريل و ميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام فجبريل على الجنود والرياح وميكائيل على القطر والنبات وملك الموت على قبض الارواح واسرافيل يبلغهم مايؤمرون به واضاف هذه الافعال الى هذه الاشياء لانها اسباب لظهورها كقوله تعالى خبرا عن جبريل لأهب لك غلاما زكيا وانما الله هو الواهب الغلام لكن لما كان جبريل سبب ظهوره أضاف الهبة اليه والفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار مابينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة يعنى ان المقصود من الاقسام بها ظاهرا هو تأكيد المحلوف عليه وهو البعث وكونه محقق الوقوع والمقصود الاصلى تعظيم هذه الاشياء لما فيها من الدلالة على كمال قدرته فيكون فى المعنى استدلالا على المحلوف عليه فكانه قيل فمن قدر على انشاء هذه الاشياء الا يقدر على اعادة ما انشأه اولا كقول القائل لمن أنعم عليه وحق نعمك الكثيرة انى لا ازال اشكرك انى بصورة القسم الدال على تعظيم النعم استدلالا به على انه مواظب لشكرها فاذا كان كذلك فالمناسب ان يقدم ماهو ادل على كمال القدرة والرياح أدل عليه بالنسبة الى السحب لكون الرياح اسبابا لها والسحب لغرابة ماهيتها وكثرة منافعها ورقة حاملها الذى هو الريح أدل عليه من السفن وهذه الثلاث لكونها من قبيل المحسوسات أدل عليه من الملائكة الغائبين عن الحس لانه كلام من المنكر فربما ينكر وجود من هو غائب عن الحس فلا يتم الاستدلال وقال سعدى المفتى فى بيان التفاوت المذكور فاما على التنزل كما فى قوله عليه السلام رحم الله المحلقين والمقصرين بان يقال الرياح اظهر فى الدلالة على كمال القدرة من السحب وهى من السفن والثلاث من الملائكة المقسمة لانه كلام الجاحد ويمكن ان ينكرها فكيف يجعلها اظهر مما هو محسوس على ما اختاره صاحب الكشف واما على الترقى والقول بأن كلا منها آخره ادل على كمال القدرة مما قبله ولا اعتبار بأنكار من لا عبرة به فالمقسمات يدل على اقدار الروحانيات مع لطافتها على التصرف فى الجسمانيات مع كثافتها ثم الجاريات المتألفة من جميع العناصر على ما فيها من الصنعة البديعة والامور العجيبة من حمل الاثقال مع خفة الحامل ورقة المحمل وقطع المسافة الشاسعة فى زمان يسير بهبوب الرياح العاصفة ثم الحاملات تتألف من الاجزاء المائية والهوائية وقليل من الاجزاء النارية والارضية وفيها غرائب من الآثار العلوية ولا تتم الا بواسطة الرياح وعليك بالتأمل انتهى يقول الفقير سر الترتيب هو ان الرياح فوق السحاب الحاملة للمطر وهى فوق الماء الحامل للسفن وهو فوق الارض الظاهر ائر تدبير الملائكة فيها فأشار تعالى الى ان كل امر انما ينزل من السماء وكل تأثير فى الارض انما يظهر من جانب العلو ومن ذلك وقوع البعث من القبور فمن قدر على اظهار الآثار فى الارض بالتأثيرات العلوية كان قادرا على البعث لانه من الآثار الارضية ايضا والله اعلم وفيه اشارة الى من ينزل من الملائكة المقربين لتفقد اهل الوصلة والقيام بأنواع من الامور لاهل هذه القصة فهؤلاء القوم يسألونهم عن أحوالهم هل عندهم خبر من فراقهم ووصالهم ويقولون

بربكما يا صاحبى قفا لنا * اسائلكما عن حالكم فاسألانا

(انما توعدون لصادق) جواب للقسم وما موصولة والعائد محذوف اى ان الذى توعدونه من البعث والحساب او من الثواب والعقاب لصادق يعنى هر آينه راست ودرست است ودران هيچ خللى نيست قال فى الارشاد ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضى فى ان اسم الفاعل مسند الى المفعول به

الاذلوعد مصدوق والعيشة مرضية وقال ابن الشيخ اى لذوصدق على ان البناء للنسب كلامر لان الموعود لايكون صادقا بل الصادق هوالواعد ويجوز ان تكون ما مصدرية اى وعدكم اووعيدكم اذيحتمل توعدون ان يكون مضارع وعدواو عد والثانى هوالمناسب للمقام فالكلام مع المنكرين (وان الدين لواقع) اى وان الجزآء على الاعمال لحاصل وكائن لامحالة فان من قدرعلى هذه الامور البديعة المخالفة لمقتضى الطبيعة فهو قادر على البعث الموعود قال بعضهم قدوعد الله المطيعين بالجنة والتائبين بالمحبة والاولياء بالقربة والعارفين بالوصلة والطالبين بالوجدان كما قال الامن طلبنى وجدنى و وعدالله واقع البتة ومن اوفى بعهده من الله واو عد الفاسقين بالنار والمصرين بالبغضاء والاعداء بالبعد والجاهلين الغافلين بالفراق والبطالين بالفقدان قال بعضهم ما الحكمة فى معنى القسم من الله تعالى فانه ان كان لاجل المؤمن فالمؤمن يصدق بمجرد الاخبار من غير قسم وان كان لاجل الكافر فلا يفيده والجواب ان القرءان نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم اذا أرادت أن تؤكد أمرا والحكم يفصل باثنين اما بالشهادة واما بالقسم فذكر الله فى كتابه النوعين حتى لايبقى لهم حجة فقال شهدالله الآية ولايكون القسم الا باسم عظم وقد أقسم الله بنفسه فى القرءان فى سبعة مواضع والباقى من القسم القرءانى قسم بمخلوقاته كما فى عنوان هذه السورة ونحوه والتين والزيتون والصافات والشمس والليل والضحى وغيرذلك فان قلت ما الحكمة فى ان الله تعالى قد أقسم بالخلق وقد ورد النهى عن القسم بغيرالله تعالى قال فى زجة الفتوحات حذركن كه بغيردين اسلام يدبنى ديكرسوكندياد كنى باكوبى اكرچنين باشدازدين اسلام بيزارم ودرين صورت ازبهر احتياط تجديد ايمان كن ونهى آمده است ازانكه كسى بغيرالله سوكندياد كند انتهى قلت فيه وجوه الاول انه على حذف المضاف اى ورب الذاريات ورب التين ورب الشمس والثانى ان العرب كانت تعظم هذه الاشياء و تقسم بها فنزل القرءان على مايعرفون والثالث ان الاقسام انما يكون بما يعظمه المقسم اويجله وهوفوقه والله تعالى ليس شئ فوقه فاقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على بارئ وصانع حكيم وقال بعضهم القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لان ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل اذ يستحيل وجود مفعول بغيرفاعل وقال بعضهم ان الله تعالى يقسم بماشاء من خلقه وليس لاحدان يقسم الابالله وقال بعضهم القسم اما للفضيلة او منفعة ولاتخلو المصنوعات عنهما (والسماء ذات الحبك) جمع حبك اوحبيكة كمثل ومثل وطريقة وطرق والمراد بالحبك الطرائق اى الطرائق المحسوسة التى هى مسايرالكواكب اوالمعقولة التى يسلكها النظار و يتوصل بها الى المعارف كما قال الراغب الحبك هى الطرائق فى الناس من تصور منها الطرائق المحسوسة بالنجوم والمجرة وهى بالفارسية كهكشان وعن على رضى الله عنه ان السماء تنشق من المجرة يوم القيامة ومنهم من اعتبر ذلك بما فيه من الطرائق المعقولة المدركة بالبصيرة والى هذا أشار بقوله ان فى خلق السموات والارض الى قوله ربنا ما خلقت هذا باطلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذات الخلق الحسن المستوى درتبيان ازابن عمر رضى الله عنهما نقل ميكند كه مراد آسمان هفتم است وحق تعالى بدو سوكندياد كند (انكم) ياأهل مكة (لفى قول مختلف) فى القرءان اى متخالف متناقض وهوقولهم انه شعر وسحر وافتراء واساطير الاولين وفى الرسول شاعر وساحر ومفتر ومجنون وفى القيامة فان من الناس من يقطع القول بأقرار ومنهم من يقطع القول بأنكار ومنهم من يقول ان نظن الاظنا وهذا من التحير والجهل الغليظ فيكم وفى هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك أن قول الكفرة لايكون مستويا انما هو متناقض مختلف يقول الفقيرلعل الوجه فى هذا القسم ان القرءان نازل من السماء وان النبوة امر سماوى فهم اختلفوا فى هذا الامر السماوى وظنوا انه امر أرضى مختلف وليس كذلك وفى الآية اشارة الى سماء القلب ذات الطريق الى الله انكم أيها الطالبون الصادقون فى قول مختلف فى الطلب فمنكم من يطلب منا ما عندنا من كمالات القربات ومنكم من يطلب منا ما لدينا من العلوم والمعارف ومنكم من يطلبنا بجميع صفاتنا فلو استقمتم على الطريقة وثبتم ملازمين فى طلبه لبلغ كل قاصد مقصده (يؤفك عنه من افك) يقال أفكه عنه يأفكه افكا صرفه وقلبه اوقلب رأيه كما فى القاموس ورجل مأفوك مصروف عن الحق الى الباطل كما فى المفردات اى يصرف عن القرءان اوالرسول من صرف اذلاصرف أفظع منه وأشد فكأنه لاصرف بالنسبة اليه يعنى

ان تعريف مصدر افك للحقيقة وكلمة من للعموم فالمعنى كل من اتصف بحقيقة المصروفية يصرف عنه ويلزمه بعكس النقيض كل من لم يصرف عنه لم يتصف بتلك الحقيقة فكان كل صرف يغايره لا صرف بالقياس اليه لكماله وشدته وقال بعضهم يصرف عنه من صرف في علم الله وقضائه يعني هركه درعلم خداى محروم باشد ازايمان كتاب وپيغمبر هرآينه محرومست * دلهاهمه محزون وجكرهاخونست * تاحكم ازل درحق هركس چونست * وفيه اشارة الى ان في قطاع الطريق على ارباب الطلب لكثرة فمن يصرفه عن طلبه قاطع من القطاع من النفس والهوى والدنيا وزينتها وشهواتها وجاهها ونعيمها فصرف فقد حرم من مبتغاه وأهلكه هواه كما قيل نعوذ بالله من الحور بعد الكورى وينادى عليه منادى العزة وكم مثلها فارقتها وهي تصفر (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخرص تقدير القول بلا حقيقة ومنه خرص الثمار اى تقديرها مثلا تقديرا على النخل من الرطب تمرا وكل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص سواء كان ذلك مطابقا للشيء او مخالفا له من حيث ان صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص في خرصه وكل من قال قولا على هذا النحو يسمى كاذبا وان كان قوله مطابقا للقول المخبر به كما قال تعالى في شهادة المنافقين لكاذبون فالخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون فاللام للعهد اشارة اليهم وعن مجاهد هم الكهنة (الذين هم) لفظهم مبتدأ وخبره قوله (في غمرة) من الجهل والضلال تغمرهم وتغشاهم عن امر الآخرة قال الراغب اصل الغمر ازالة اثر الشيء ومنه قيل للماء الكثير الذي يزيل اثر مسيله غمر وغامر وبه شبه الرجل السخي والفرس الشديد العدو فقيل لهما غمر كما شبههما بالبحر والغمرة معظم الماء الساترة لقرها وجعلت مثلا للجهالة التي تغمر صاحبها والى نحوه اشار بقوله فأغشيناهم وقيل للشدائد غمرات قال تعالى في غمرات الموت وقال الشاعر

قال العواذل انني في غمرت * صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

(ساهون) خبر بعد خبر اى غافلون عما امروا به قال بعضهم الغمرة فوق الغفلة والسهو دون الغفلة قال الراغب السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان احدهما ان لا يكون من الانسان جوالبه ومولداته كمجنون سب انسانا والثاني ان يكون مولداته كمن شرب خمرا ثم ظهر منه منكر لا عن قصد الى فعله فالاول معفو عنه والثاني مأخوذ به وعلى الثاني ذم الله تعالى فقال الذين هم في غمرة ساهون وفي كشف الاسرار الخراصون هم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي عليه السلام ليصرفوا الناس عن دين الاسلام يعني ان اهل مكة اقاموا رجالا على عقاب مكة يصرفون الناس يعني بوقت ورود قوافل بر عقاب مكة نشستندى وهريك درحق مصطفى عليه السلام باينده وروند دروغ كفتندى ومر دمانرا ازصحبت شر يف وى بازدشتندى حق تعالى ايشانرا لعنت كرد قال ابو الليث فنهم من يأخذ بقولهم ويرجع ومنهم من لا يرجع وفي الآية اشارة الى اهل الدعوى الذين هم في غمرة الحسبان والغرور وهم ملعونون اى مطرودون عن مقامات اهل الطلب فانه ليس لهم طلب ولو طلبوا الوجدوا ما وجد اهل الطلب قال سهل رضي الله عنه توضأت في يوم جمعة فضيت الى الجامع في ايام البداية فوجدته قد امتلأ بالناس وهم الخطيب ان يرقى المنبر فاسأت الادب ولم ازل اتخطى رقاب الناس حتى وصلت الى الصف الاول فجلست فاذا هو عن يميني شاب حسن المنظر طيب الرائحة عليه اطمار صوف فلما نظر الي قال كيف تجدك ياسهل قلت بخير اصلحك الله وبقيت متفكرا في معرفته لي وانا لم اعرفه فبينما انا كذلك اذا خذني حرقان بول فأكربني فبقيت على وجل خوفا ان اتخطى رقاب الناس وان جلست لم تكن لي صلاة فالتفت الي وقال ياسهل اخذك حرقان بول قلت اجل فنزع احرامه عن منكبه فغشاني به ثم قال اقض حاجتك واسرع فالحق الصلاة قال فغمي علي وفتحت عيني واذا بباب مفتوح وسمعت قائلا يقول لج الباب يرحمك الله فولجت واذا بقصر مشيد على البناء شامخ الاركان واذا بنخلة قائمة والى جنبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد ومنزل اراقة الماء ومنشفة معلقة وسواك فحللت لباسي واردت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة فسمعته ينادي فيقول ان كنت قضيت اربك فقل نعم فقلت نعم فنزع الاحرام عني فاذا انا جالس في مكاني ولم يشعر بي احد فبقيت متفكرا في نفسي وانا مكذب نفسي

فيما جرى فقامت الصلاة وصلى الناس فصليت معهم ولم يكن لى شغل الا الفتى لا أعرفه فلما فرغ تبعت أثره فاذا به قد دخل على درب فالتفت الى وقال ياسهل كأنك ما أيقنت بما رأيت قلت كلا قال لج الباب رحمك الله فنظرت الباب بعينه فولجت القصر فنظرت النخلة والمطهرة والحال بعينه والمنشفة مبلولة فقلت آمنت بالله فقال ياسهل من أطاع الله أطاعه كل شئ ياسهل اطلبه تجده فتغرغرت عيناى بالدموع فمسحتهما وفتحتهما فلم أر الفتى ولا القصر فبقيت متحسرا على ما فاتنى منه ثم اخذت فى العبادة (يسألون) اى الكفار فيقولون (ايان يوم الدين) بحذف المضاف من اليوم واقامة المضاف اليه مقامه فلا يرد ان ظرف الزمان لا يقع خبرا الا عن الحدث وفى النظم اخبر به عن الزمان اى متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستجهال استهزاء (يوم هم على النار يفتنون) جواب للسؤال وانتصب يوم بفعل مضمر دل عليه السؤال اى يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون بها كما يفتن الذهب بالنار يقال فتنت الشئ اى احرقت خبثه لتظهر خلاصته فالكافر كله خبث فيحرق كله ويجوز ان يكون خبر المبتدأ محذوف اى هو يوم هم والفتح لاضافته الى غير متمكن (ذوقوا فتنتكم) اى مقولا لهم هذا القول اذا عذبوا والقائل خزنة النار اى ذوقوا جزاء تكذيبكم كما فى قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم اى كفرهم مرادا به عاقبته قال الراغب اصل الفتن ادخال الذهب النار ليظهر جودته من رداءته ويستعمل فى ادخال الانسان النار وقوله تعالى ذوقوا فتنتكم اى عذابكم وتارة يسمون ما يحصل منه العذاب فيستعمل فيه نحو قوله تعالى ألا فى الفتنة سقطوا وتارة فى الاختبار نحو قوله وفتناك فتونا (هذا الذى كنتم به تستعجلون) جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر وهذا اشارة الى ما فى الفتنة من معنى العذاب اى هذا العذاب ما كنتم تستعجلون به فى حياتكم الدنيا وتقولون متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذى صفته وفيه اشارة الى أهل المكر والدعوى الذين استبطأوا حصول المرام فيسألون ايان يوم الدين وهم فى ظلمة ليل الدنيا مستعجلين فى استصباح نهار الدين فأجابتهم عزة الجبروت عن الكبرياء والعظموت يوم هم على نار الشهوات يفتنون بعذاب البعد والقطيعة يعذبون ذوقوا عذاب فتنتكم التى قطعت عليكم طريق الطلب هذا الذى كنتم به تملون من الطلب وتستعجلون الظفر بالمقصود * قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى كنت انا وصاحب لى قد أوينا الى مغارة نطلب الدخول الى الله وأقمنا فيها ونقول يفتح لنا غدا او بعد غد فدخل علينا يوما رجل ذو هيبة وعلمنا انه من اولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف يكون حال من يقول يفتح لنا غدا او بعد غد يا نفس لم لا تعبدين الله فتيقظنا وتبنا الى الله فبعد ذلك فتح علينا ففيه اشارة الى ترك الاستعجال فى طريق الطلب والى الاخذ بالاخلاص والى العمل وفق اشارة المرشد ودلالة الانبياء والاولياء حتى يتخلص الطالب من عذاب الوجود ويرتفع الحجاب ويحصل الشهود بكمال الفيض والجود واما العمل بالنفس فيزيد فى وجودها * واقف نمى شوند كه كه كرده اند راه * تا رهروان براهنمايى نمى رسند * فالمرشد اذا لابد منه فان المريد ضعيف والشيخ كالحائط المستحكم (كما قال الشيخ سعدى) مريدان زطفلان بقوت كنند * مشايخ چو ديوار مستحكمند * (وقال الصائب) برهدف دستى ندارد تيرپرى زوركمان * همت بيران جوانانرا بمنزل ميبرد * نسأل الله سبحانه ان يدلنا على سلوك طريقه ويوصلنا الى جنابه بتوفيقه انه هو الكريم الرحيم (ان المتقين) عن الكفر والمعصية والجهل والميل الى ما سوى المولى والمتصفين بالايمان والطاعة والمعرفة والتوجه الى الحضرة العليا (فى جنات) اى بساتين لا يعرف كنهها فالتنكير للتعظيم ويجوز ان يكون للتكثير كما فى قوله ان له لأبا وان له لغنما والعرب تسمى النخيل جنة (وعيون) اى انهار جارية اى تكون الانهار بحيث يرونها وتقع عليها أبصارهم لا انهم فيها وعن سهل رضى الله عنه التقى فى الدنيا فى جنات الرضى يتقلب وفى عيون الناس يسبح وقال بعضهم فى جنات قلوبهم وعيون الحكمة فى عاجلهم وفى جنات الفضل وعيون الكرم فغدا تجلى ودرجات واليوم مناجات وقربات (آخذين ما اتاهم ربهم) حال من الضمير فى الجار اى قابلين لكل ما اعطاهم من الثواب راضين به على معنى ان كل ما أعطاهم حسن مرضى متلقى بالقبول ليس فيه ما يرد لانه فى غاية الجودة ومنه قوله ويأخذ الصدقات اى يقبلها ويرضاها قال بعضهم اخذين ما اتاهم ربهم اليوم يقلوب فارغة الى الله من اصناف الطافه وغدا يأخذون ما يعطيهم ربهم فى الجنة من فنون العطاء والرفد

ثم علل استحقاقهم ذلك بقوله (انهم كانوا قبل ذلك) قبل دخول الجنة اى فى الدنيا (محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) الهجوع النوم بالليل دون النهار وما مزيدة لتأكيد معنى التقليل فانها تكون لافادة التقليل كما فى قولك اكلت اكلا ما وقليلا ظرف ويهجعون خبر كانوا اى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل او صفة مصدر محذوف اى كانوا يهجعون هجوعا قليلا من اوقات الليل يعنى يذكرون ويصلون اكثر الليل وينامون اقله ولا يكونون مثل البطالين الغافلين النائمين الى الصباح وقال بعض اهل الاشارة فيه اشارة الى ان اهل الاحسان وهم اهل المحبة والمشاهدة لا ينامون بالليل لان القلة عبارة عن العدم ومعنى عدم نومهم ما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله نوم العالم عبادة فمن يكون فى العبادة لا يكون نائما قيل نزلت الآية فى شان الانصار رضى الله عنهم حيث كانوا يصلون فى مسجد النبى عليه السلام ثم يمضون الى قباء وبينهما ميلان وهما ساعة واحدة بالساعة النجومية (وقال الكاشفى) اشهر انست كه جواب نكردندى تا نماز خفتن ادا نفرمودندى و وقت ازادر ازكشيدندى وعن جعفر بن محمد انه قال من لم يجمع ما بين المغرب والعشاء حتى يشهد العشاء فهو منهم وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى صلاة الليل افضل قال فى نصف الليل وقليل فاعله (قال بعضهم) تركس اندر جواب غفلت يافت بلبل صد وصال * خفته نابينا بود دولت به بيدار ان رسد (وفى المثنوى) درد بشتم داد حق تا من زخواب * بر چهم درنيم شب باسوز و تاب * دردها بخشيد حق از لطف خويش * تا نخسبم جمله شب چون كاوميش * قال داود بن رشيد من اصحاب محمد بن الحسن قمت ليلة فاخذنى البرد فبكيت من العرى فنمت فرأيت قائلا يقول يا داود انما هم وأقنالك فتبكى عينى فانام داود بعد تلك الليلة روزى شاكردى ازشاكردان ابوحنيفة رحمة الله او ركفت مردمان مى كويند كه ابو حنيفه هيچ بشب نمى خسبد كفت نيت كردم كه هر كز ديكر نخسبم لما قال تعالى ويحبون ان يحمد وا بما لم يفعلوو من نحواهم كه ازان قوم باشم كه ايشانرا بچيزى كه نكرده باشند ياد كنند بعد ازان سى سال نماز بامداد بطهارت نماز خفتن كزاردقال الشيخ ابو عمر وفى سبب توبته سمعت ليلة حمامة تقول يا اهل الغفلة قوموا الى ربكم رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم فلما سمعت ذلك ذهبت عنى ثم لما جئت الى وجدت قلبى خاليا عن حب الدنيا فلما اصبحت لقيت الخضر عليه السلام فدلنى على مجلس الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه فدخلت عليه وسلمت نفسى اليه ولازمت بابه حتى جمع الله لى كثيرا من الخير (وبالاسحار هم يستغفرون) السحر السدس الاخير من الليل لاشتباهه بالضياء كالسحر يشبه الحق وهو باطل اى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الاسحار كانهم اسلفوا فى ليلهم الجرائم وأين دليل آنست كه بعمل خود معجب نبوده اند وازان حساب نداشته * طاعت ناقص ما موجب غفران نشود * راضيم كر مدد علت عصيان نشود * وفى بناء الفعل على الضمير المفيد للتخصيص اشعارا بأنهم الاحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفى بحر العلوم تقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفاصلة وعن الحسن كانوا لا ينامون من الليل الا اقله وربما نشطوا غدوا الى السحر ثم اخذ وا بالاسحار فى الاستغفار وفى التأويلات النجمية يستغفرون من رؤية عبادات يعملونها فى سيرهم الى الاسحار بمنزلة العاصين يستغفرون استصغارا لقدرهم واستحقارا لفعلهم * عذر تقصير خدمت آوردم * كه ندارم بطاعت استظهار * عاصيان از گناه توبه كنند * عارفان از عبادت استغفار * اى من التقصير فى العبادة او من رؤيتها قيل يا رسول الله كيف الاستغفار قال قولوا اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم وقال عليه السلام توبوا فانى اتوب الى الله فى كل يوم مائة مرة وفى الحديث ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فيقول يا رب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك اى بان قال رب اغفر لى ولوالدى وفى بعض الاخبار ان احب احبائى الى الذين يستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا أردت باهل الارض شيأ ذكرتهم فصرفت بهم عنهم (قال الحافظ) هر كنج سعادت كه خداداد بحافظ * از يمن دعاى شب وورد سحرى بود (وقال) در كوى عشق شوكت شاهى نمى خرند * اقرار بندكى كن ودعوى چاكرى (وفى المثنوى) كفت آنكه هست خرشيد راه او * حرف طوبى هر كه ذلت نفسه * ظل ذلت نفسه خوش مضجعست * مستعدان صفا را مهجعست *

كرازين سايه روى سوى منى * زود طاغى كردى وره كم كنى * وقال الكلبي ومجاهد وبالاسحار هم يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار اطلب للمغفرة وفى الحديث (من تعار من الليل) هذا من جوامع الكلم لانه يقال تعار من الليل اذا استيقظ من نومه مع صوت كذا فى الصحاح وهذه اليقظة تكون مع كلام غالبا فأحب النبى عليه السلام ان يكون ذلك الكلام تسبيحا وتهليلا ولا يوجد ذلك الا ممن استأنس بالذكر (فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لى او دعا) اى بدعاء آخر غير قوله اللهم اغفر لى (استجيب له) هذا الجزاء مترتب على الشروط المذكورة والمراد بها الاستجابة اليقينية لان الاحتمالية ثابتة فى غير هذا الدعاء ولو لم يدع المتعار بعد هذا الذكر كان له ثواب لكنه عليه السلام لم يتعرض له (فان توضأ وصلى قبلت صلاته) فريضة كانت او نافلة وهذه المقبولية اليقينية مترتبة على الصلاة المتعقبة لما قبلها وفى الخبر الصحيح ينزل الله الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك انا الملك من الذى يدعونى فأستجيب له من الذى يسألنى فاعطيه من الذى يستغفرنى فأغفر له وكان النبى عليه السلام اذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما اعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت ولا حول ولا قوة الا بك قال داود عليه السلام يا جبرائيل اى الليل أفضل قال لا ادرى الا ان العرش يهتز وقت السحر ولا يهتز العرش الا لكثرة تجليات الله اما تلقيا وفرحا لأهل السهر واما طربا لأنين المذنبين والمستغفرين فى ذلك الوقت واما تعجبا لكثرة عفو الله ومغفرته واجابته للادعية فى ذلك الوقت واما تعجبا من حسن لطف الله فى تحننه على عباده الآبقين الهاربين منه مع غناه عنهم وكثرة احتياجهم اليه تعالى ثم مع ذلك هم غافلون فى نومهم وهو يتوجه اليهم ويدعوهم بقوله هل من سائل هل من مستغفر هل من تائب هل من نادم وقوله من يقرض غير عدوم ولا ظلوم واما تعجبا من غفلات اهل الغفلة بنومهم فى مثل ذلك الوقت وحرمانهم من البركة واما الانواع قضاء الله وقدره فى ذلك الوقت من الخيرات والشرور والليل اما للاحباب فى انس المناجاة واما للعصاة فى طلب النجاة والسهر لهم فى لياليهم دائم او افرط اسف ولشدة لهف واما للاشتياق او للفراق كما قالوا

كم ليلة فيك لاصباح لها * افنيتها قابضا على كبدى
قد غصت العين بالدموع وقد * وضعت خدى على بنان يدى

واما لكمال انس وطيب روح كما قالوا

سقى الله عيشا نضيرا مضى * زمان الهوى فى الصبى والمجون
لياليه تحكى انسداد اللحا * ظ للعين عند ارتداد الجفون

واعلم ان الله سبحانه امر نبيه صلى الله عليه وسلم باحياء الليل لان هذه الطريقة اقرب طريق الى الله للمقبل الصادق وما يطيقها الا المتمكن الصابر العابر من كل عائق وفى الحديث فرض على قيام الليل ولم يفرض عليكم وذلك لانه روح العالم ومداره فكيف يكون لله ولى يخيل بنفسه على الله متكاسل ويتكاسله يخرب العالم ويشتد جهل اهله كما ان الروح اذا ضعف اختل الجسد وقواه ومن هنا عرفت شدة توغل الاتقياء فى العبادات وكلما قرب الانسان من الكمال اشتد تكليفه فاعرف هذا (ويروى) ان الياس النبى عليه السلام أتى اليه ملك الموت ليقبضه فبكى فقال له اتبكى وانت راجع الى ربك فقال بل ابكى على ليالى الشتاء ونهار الصيف الاحباب يقومون ويصومون ويخدمون وتلذذون بمناجاة محبوبهم وانا رهين التراب فاوحى الله اليه قد اجلتك الى يوم القيامة لحبك خدمتنا فتمتع (قال الحافظ) دع التكاسل تغنم * وقد جرى مثل كه زادرا هروان جستست وچالاكى (وفى اموالهم حق) اى نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم اى بعدونه واجبا عليهم ويلزمونه تقربا الى الله واشفاقا على الناس فليس المراد بالحق ما اوجبه الله عليهم فى اموالهم فانه دفع به ما عسى يقال كيف يمدح المرء بانه يثبت فى ماله حق للفقراء فمن يمنع الزكاة من الاغنياء يوجد فيهم هذا المعنى ولا يستحقون المدح (للسائل) لحاجة المستجدى اى طالب الجدوى والنفع (والمحروم) اى المتعفف

الذى يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفى القاموس المحروم الممنوع من الخير ومن لاينمى له مال وفى المفردات اى الذى لم يوسع عليه فى الرزق كما وسع على غيره بل منع من جهة الخير وفى بحر العلوم وانما خصصه بالسائل والمحروم ولم يذكر سائر المستحقين لان ذلك حق سوى الصدقة المفروضة بدليل قوله عليه السلام ان فى المال حقا سوى الزكاة انتهى يعنى فى المال حق واجب سوى الزكاة وهو الحقوق التى تلزم عند مايعرض من الاحوال من النفقة على الوالدين اذا كانا فقيرين وعلى ذى الرحم المحرم وما يجب من طعام المضطر وحمل المنقطع ونحو ذلك وفى الحديث ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا فيقول الله لاقربنكم اليوم ولا بعدنهم وتلا الآية فلابد من الانفاق وهو من احسن من الاخلاق (قال الحافظ) چه دوزخى چه بهشتى چه ادمى چه ملك * بمذهب همه كفر طريقتست امساك (وقال الشيخ سعدى) اززر وسيم راحتى برسان * خويشتن هم تمتعى بركير * چونكه اين خانه ازتو خواهد ماند * خشتى ازسيم وخشتى اززر كير * وفى الحديث ان الله ثلاثمائة وستين خلقا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال ابو بكر رضى الله عنه هل فى منها يارسول الله قال كلها فيك يا ابابكر واحبها الى الله السخاء (حكى) ان الشيخ الشبلى قدس سره اشار الى اصحابه بالتوكل فلم يفتح عليهم بشئ ثلاثة ايام ثم قال لهم ان الله تعالى قد أباح الكسب بقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه فخرج واحد منهم فأعياه الجوع وجلس عند حانوت طبيب نصرانى فعرف الطبيب جوعه من نبضه فأمر غلامه بالطعام فقال الفقير قد ابتلى بهذه العلة اربعون رجلا فأمر غلامه بحمل الطعام اليهم ومشى خلفه فلما وصل الطعام اليهم قال الشبلى لاينبغى أن تأكلوا قبل المكافأة بالدعاء فدعوا له فلما سمع الطبيب دعاءهم دخل واسلم فظهر معنى قوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان فجزاء احسان الطبيب النصرانى بالطعام الاحسان من عباد الله بالدعاء ومن الله بتوفيق الاسلام وفى الآية اشارة الى ما آتاهم الله من فضله من المقامات والكمالات انه فيها حق للطالبين الصادقين اذا قصدوهم من اطراف العالم فى طلبها اذ عرفوا قدرها والمحروم من لم يعرف قدر تلك المقامات والكمالات فقصدوهم فى طلبها فلهم فى ذمة كرم هؤلاء الكرام حق التفقد والنصح فان الدين النصيحة فانهم بمنزلة الطبيب والمحروم بمنزلة المريض فعلى الطبيب ان يأتى الى المريض ويرى نبضه ويعرف علته ويعرفه خطره ويأمره بالاحتماء من كل مايضره ويعالجه بادوية تنفعه الى ان يزيل مرضه وتظهر صحته كذا فى التأويلات النجمية (وفى الارض آيات للموقنين) الايقان بى كمان شدن اى دلائل واضحة على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته من حيث انها ممدوحة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين فى اقطارها والسالكين فى مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن متفننة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب مبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم فى صحتهم واعتلالهم وقال الكلبى عظات من اثار من تقدم وفى التأويلات النجمية منها اى من تلك الآيات انها تحمل كل شئ فكذا الموقن العارف يحمل كل حمل من كل احد ومن استثقل حملا او تبرم برؤية احد ساقه الله اليه فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الحق بعين التفرقة واهل الحقائق لايتصفون بهذه الصفة ومنها انها يلقى عليها قذارة وقمامة فتنبت كل زهر ونور وورد وكذلك العارف يتشرب مايسقى من الجفاء ولايتر شح الا بكل خلق على وشيمة زكية ومنها ان ماكان منها سبخا يترك ولا يعمر لانه لايحتمل العمارة كذلك من الايمان له بهذه الطريقة يهمل فان مقابلته بهذه القصة كألقاء البذر فى الارض السبخة انتهى قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر ولاتبذر السمراء فى ارض عميان) يعنى بيان الحقائق الذى هو غذاء القلب والروح كالسمراء يعنى الحنطة للجسم وقوله فى ارض عميان يعنى فى ارض استعداد هذه الطوائف الذين لايبصرون الحق ولايشاهدونه فى جميع الاشياء وفى حقائق البقلى ايات الارض ظهور تجلى ذاته وصفاته فى مرءاة الاكوان كما ظهر من الطور لموسى عليه السلام وما ظهر من المصيصة لعيسى عليه السلام وهى بكسر الميم مدينة على ساحل البحر الرومى بجوار طرسوس والسيس وماظهر لمحمد صلى الله عليه وسلم من جبال مكة الا ترى الى قوله عليه السلام جاء الله من سيناء واستعين بساعة واشرق من جبال فاران اى جبال مكة وفى القاموس فاران جبال مذكورة فى التوراة منها بكر

ابن القاسم (وفى انفسكم) اى وفى انفسكم آيات اذليس فى العالم شئ الاوفى الانفس له نظير يدل دلالته على ماسبق تطبيق العالم الصغير بالكبير فى اواخر حم السجدة عند قوله سنريهم آياتنا الخ مع ماانفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة وفى بحر العلوم وفى الارض دلائل من انواع الحيوان والاشجار والجبال والانهار وفى انفسكم آيات لهم من عجائب الصنع الدالة على كمال الحكمة والقدرة والتدبير والارادة فيكون تخصيصا بعد تعميم لان انفس الناس مما فى الارض كأنه قيل فى الارض آيات للموحدين العاقلين وفى انفسكم خصوصا آيات لهم لان اقرب المنظور فيه من كل عاقل نفسه ومن ولد منها وما فى بواطنها وظواهرها من الدلائل الواضحة على الصانع وفى نقلها من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت الميلاد الى وقت الوفاة قال بعضهم

فى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

وذلك لان كل شئ بجسمه واحد وكذا بروحه ولاعبرة بكثرة الاجزاء والاعضاء ومامن عدد الا ويصح وصفه بالوحدة فيقال عشرة واحدة ومائة واحدة على ان كل جسم فهو منته الى الجزء الذى لايتجزى وهو النقطة وكل الف فهو اما مركب من نقط ثلاث او خمس اوسبع وقس عليه سائر التركيبات الحروفية والفعلية وفى التأويلات النجمية يشير الى ان نفس الانسان مرآة جميع صفات الحق ولهذا قال عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فلا يعرف احد نفسه الابعد كمالها وكمالها فى ان تصير مرآة تامة مصقولة قابلة لتجلى صفات الحق لها فيعرف نفسه بالمرآتية ويعرف ربه بالتجلى فيها كما قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق * جهان مرآت حسن شاهد ماست * نشاهد وجهه فى كل ذرات (افلا تبصرون) اى الا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة حتى تعتبروا وتستدلوا بالصنعة على الصانع وبالنقش على النقاش وكذا على صفاته (قال الكاشفى) استفهام بمعنى امر يعنى بنظر عبرت درنگريد وعلامات كمال صنع درذات خود مشاهده كنيد در حقايق سلمى مذكورست كه هركه اين آيتها در نفس خود نبيند ودر صفحة وجود آثار قدرت مطالعه نفايد حظ خود را ضايع كرده باشد وازز ندكان هيچ بهره نيابد * نظرى بسوى خودكن كه توجان دلربايى * مفكن بخاك خودرا كه تو أز بلند جايى * تو زچشم خودنهان تو كمال خودچه دانى * چودر ازصدف برون آكه تو بس كران بهايى * قال الواسطى تعرف الى قوم بصفاته وافعاله وهو قوله وفى انفسكم افلا تبصرون وتعرف الى الخواص بذاته فقال الم تر الى ربك (روى) ان عليا رضى الله عنه صعد المنبر يوما فقال سلونى عما دون العرش فان ما بين الجوانح علم جم هذا العاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فى هذا مارزقنى الله من رسول الله رزقا فوالذى نفسى بيده لواذن للتوراة والانجيل ان يتكلما فاخبرت بما فيهما الصدقانى على ذلك وكان فى المجلس رجل يدعى نوفل ادعى هذا الرجل دعوى عريضة لافضحته فقام وقال ياعلى اسأل قال سل تفقها ولا تسأل تعنتا فقال انت حملتنى على ذلك هل رأيت ربك ياعلى قال ماكنت اعبد ربا لم اره فقال كيف رأيت قال لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأت القلوب بحقيقة الايمان ربى واحد لا شريك له احد لا ثانى له فرد لا مثل له لا يحويه مكان ولا يداوله زمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس فسقط اليهانى مغشيا عليه فلما افاق قال عاهدت الله ان لا اسأل بعدها (وحكى) عن بعض الصالحين انه راى فى المنام معروفا الكرخى شاخصا بصره نحو العرش قد اشتغل عن حور الجنة وقصورها فسألت رضوان من هذا قال معروف الكرخى مات مشتاقا الى الله فاباح له ان ينظر اليه وهذا النظر هناك من نتائج النظر بالقلب فى الدنيا لقوله تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واما النظر بالبصر فى الدنيا فلما لم يحصل لموسى عليه السلام لم يحصل لغيره اذليس غيره اكمل قابلية منه الا ما حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان فى خارج حد الدنيا اذ كان فوق العرش والعرش من العالم الطبيعى وملاق لعالم الارواح واعلم ان رؤية العوام فى مرتبة العلم ورؤية الخواص فى مرتبة العين ولهم مراتب فى التوحيد كالافعال والصفات والذات فليجتهد العاقل فى الترقى من مرتبة العلم الى مرتبة العين ومن الاستدلال الى الشهود والحضور (وفى السماء رزقكم) اى اسباب رزقكم على حذف المضاف يعنى به الشمس والقمر وسائر الكواكب

واختلاف المطالع والمغارب التى يترتب عليه اختلاف الفصول التى هى مبادى حصول الارزاق (كما قال الشيخ سعدى) ابر وبادومه وخور شيد وفلك در كارند * تا تونانى بكف آرى وبغفلت نخورى * همه از بهر تو سر كشته وفرمان بردار * شرط انصاف نباشد كه تو فرمان نبرى * اوفى السماء تقدير رزقكم وقال ابن كيسان يعنى على رب السماء رزقكم كقوله تعالى ولاصلبنكم فى جذوع النخل (وماتوعدون) من الثواب لان الجنة على ظهر السماء السابعة تحت العرش قرب سدرة المنتهى او اراد ان كل ماتوعدون من الخير والشر والثواب والعقاب والشدة والرخاء وغيرها مكتوب مقدر فى السماء ودر تبيان كفته مكتوبست دراوحى كه درآسمان چهارم است * يقول الفقير امر العقاب ينزل من السماء ونفسه ايضا كالصيحة والقذف والنار والطوفان على ماوقع فى الامم السالفة (فورب السماء والارض) اقسم الله بنفسه وذكر الرب لانه فى بيان التربية بالرزق (انه) اى ماتوعدون اوماذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة (لحق) هرآينه راستست وفى الحديث ابى ابن آدم ان يصدق ربه حتى اقسم له فقال فورب الخ وقال الحسن فى هذه الآية بلغنى ان رسول الله عليه السلام قال قال الله اقوا ما اقسم الله لهم بنفسه فلم يصدقوه انتهى ولو وعد يهودى لانسان رزقه واقسم عليه لاعتمد بوعده وقسمه فقاتله الله كيف لايعتمد على الرزاق قال هرم بن سنان لأويس القرنى رضى الله عنه اين تأمرنى ان اكون فأومأ الى الشام فقال هرم كيف المعيشة بها قال او يس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة (مثل ما انكم تنطقون) اى كما انه لاشك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى حقيته وبالفارسية همچنانكه شك نيست شمارا درسخن خودشك نيست درروزى دادن من وغيراو ونصبه على الحالية من المستكن فى الحق اوعلى انه وصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم فانه لتوغله فى الابهام لا يتعرف باضافته الى المعرفة وما زائدة اوعبارة عن شئ على ان يكون مابعدها صفة لها بتقدير المبتدأ اى هوانكم تنطقون وفى التأويلات النجمية كما انطقكم الله فتنطقون بقدرته بلاشك كذلك حق على الله ان يرزقكم ماوعدكم وانما اختص التمثيل بالنطق لانه مخصوص بالانسان وهو اخص صفاته انتهى وفى الآية دليل للتوكل على الله وحث على طلب الحوائج منه واحالهم على رؤية الوسائط ولو كانوا على محل التحقيق لما احالهم على السماء ولا على الارض فانه لوكان السماء من حديد والارض من نحاس فلم تمطر ولم تنبت وكان رزق جميع العباد على رقبة ولى من اولياء الله الكمل مايبالى لانه خرج من عالم الوسائط ووصل الى صاحب الوسائط والله تعالى انما يفعل عند الاسباب لا بالاسباب ولورفع الاسباب كان قادرا على ايصال الرزق فانه انما يفعل بامر كن وبيده الملكوت وهذا مقام عظيم قلما سلمت النفوس فيه من الاضطراب والقلق لعل الفتاح ادخلنا فى دائرة الفتوح آمين وعن الاصمعى اقبلت فى البصرة من الجامع يوم الجمعة فطلع اعرابى على قعود وهو بالفتح من الابل مايتقعده الراعى فى كل حاجة فقال من الرجل قلت من بنى اصمع قال من اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن اى من بيت الله الحرام قال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بى بصوت دقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم فاستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح فقال قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال ياسبحان الله من ذا الذى اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بالقول حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معه نفسه نسأل الله التوكل والاعتماد (هل اتاك حديث ضيف ابراهيم) تفخيم لشان الحديث لانه استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه ومثله لايكون الا فيما فيه فخامة وعظم شان وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله عليه السلام بغير طريق الوحى اذهو امى لم يمارس الخط وقراءته ولم يصاحب اصحاب التواريخ ففيه اثبات نبوته قال ابن الشيخ الاستفهام للتقرير اى قد اتاك وقيل ان لم يأتك نحن نخبرك والضيف فى الاصل مصدر ضافه اذا نزل به ضيفا ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وقد يجمع فيقال اضياف وضيوف وضيفان قال الراغب اصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا واضفت كذا الى كذا والضيف من مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة فى القرى كانوا اثنى عشر ملكا منهم جبرائيل وميكائيل وزرقائيل

وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم اولانهم كانوا فى حسبانه كذلك (المكرمين) صفة للضيف اى المكرمين عندالله بالعصمة وانتأييد والاصطفاء والقربة والسفارة بين الانبياء كما قال بل عباد مكرمون اوعند ابراهيم بالخدمة حيث خدمهم بنفسه وبزوجته وايضا بطلاقة الوجه وتعجيل الطعام وبانهم ضيف كريم لان ابراهيم اكرم الخليقة وضيف الكريم لايكون الا كريما وفى الحديث من آمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه قيل اكرامه تلقيه بطلاقة الوجه وتعجيل قراه والقيام بنفسه فى خدمته وقد جاء فى الرواية ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم عليه السلام اكرم اضيافك فاعدلكل منهم شاة مشوية فاوحى اليه اكرم فجعله ثورا فاوحى اليه اكرم فجعله جملا فاوحى اليه اكرم فتحير فيه فعلم ان اكرام الضيف ليس فى كثرة الطعام فخدمهم بنفسه فاوحى اليه الآن اكرمت الضيف وقال بعض الحكماء لاعار للرجل ولوكان سلطانا ان يخدم ضيفه واباه ومعلمه ولا تعتبر الخدمة بالاطعام (قال الشيخ سعدى) شنيدم كه مرد يست پاكيزه بوم * شنا سا ورهرو در اقصاى روم * من وچند سا لوك صحرا نورد * برفتيم قاصد بديدار مرد * سرو چشم هريك بجو سيد ودست * بتمكين وعزت نشاند ونشست * زرش ديدم و زرع وشا كرد ورخت * ولى بى مروت چوبى بر درخت * بخلق واطف كرم رو مرد بود * ولى ديكدا نش قوى سرد بود * همه شب نبودش قرار وهجوع * زتسبيح وتهليل وما زجوع * سحر كه ميان بست ودر باز كرد * همان لطف دوشينه آغاز كرد * يكى بد كه شيرين وخوش طبع بود * كه باما مسافر دران ربع بود * مرا بوسه كفته بتحيف ده * كه درويش راتوشه ازبوسه به * بخدمت منه دست برگفش من * مرانان ده وكفش برسر بزن (اذ دخلوا عليه) ظرف للحديث فالمعنى هل اتاك حديثهم الواقع فى وقت دخولهم عليه (فقالوا سلاما) اى نسلم عليك سلاما والفاء هناك اشارة الى انهم لم يخلوا بادب الدخول بل جعلوا السلام عقيب الدخول (قال) ابراهيم (سلام) اى عليكم سلام يعنى سلام برشما باد فهو مبتدأ خبره محذوف وترك العطف قصدا الى الاستئناف فكان قائلا قال ماذا قال ابراهيم فى جواب سلامهم فقيل قال سلام اى حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان تحيتهم كانت بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث حيث نصبوا سلاما وتحيته بالاسمية الدالة على دوام السلام وثباته لهم حيث عدل به الى الرفع بالابتداء (قوم منكرون) يقال نكرت الرجل بكسر الكاف نكرا وانكرته واستنكرته اذا لم تعرفه فالكل بمعنى واصله ان يرد على القلب مالا يتصوره وذلك ضرب من الجهل قال تعالى فعرفهم وهم له منكرون كما فى المفردات اى قال ابراهيم فى نفسه من غير ان يشعرهم بذلك هؤلاء قوم لانعرفهم فهم منكرون عندكل احد وقوله فنكرهم اى بنفسه فقط فاحدهما غير الآخر وكانوا على اوضاع واشكال خلاف ماعليه الناس وقال ابو العالية انكر سلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض لان السلام لم يكن تحيتهم لانه كان بين اظهر قوم كافرين لايحيى بعضهم بعضا بالسلام الذى هو تحية المسلمين (وقال الكاشفى) يعنى هركز چون شما قومى ندديم درصورت وقامت مرابكو يبد چه كسانيد ايشان كفته اند مهمانيم (فراغ الى اهله) يقال راغ الى كذا اى مال اليه سرا فالاختفاء معتبر فى مفهوم الروغ اى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه الضيف ويعذره اويصير منتظرا (وحكى) انه نزل ببعض المشايخ ضيف فاشار الى مريد له باحضار الطعام فاسبطأ فلما جاء سأله عن وجهه فقال المريد وجدت على السفرة نملا فتوقفت الى ان خرجت منها فقال الشيخ اصبت الفتوة ولما اطلع على هذه الحال بعض من هو اعلى حالا من ذلك الشيخ قال لم يصب الفتوة فان الادب تعجيل القرى وحق الضيف احق من حق النمل فكان الواجب على المريد ان يلقيها على الارض ويجيئ بالسفرة مستعجلا (فجاء بعجل سمين) الفاء فصيحة مفصحة عن جمل محذوفة والباء للتعدية والعجل ولد البقرة لتصور عجلنه التى تعدم منه اذا صار ثورا او بقرة والسمن لكونه من جنس السمن وتولده عنه والمعنى فذبح عجلا سمينا لانه كان عامة ماله البقر واختار السمين زيادة فى اكرامهم فجنذه اى شواه فجاء به يعنى پس بياورد كوساله فربه بريان كرده (فقربه اليهم) بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد ليأكلوا فلم يأكلوا ولما راى منهم ترك الاكل (قال الا تأكلون) منه انكارا لعدم تعرضهم للاكل وحثا عليه (وروى) انهم قالوا نحن لانأكل بغير ثمن قال ابراهيم كلوا واعطوا ثمنه قالوا وماثمنه

قال اذا اكلتم فقولوا بسم الله واذا فرغتم فقولوا الحمد لله فتعجب الملائكة من قوله فلما رآهم لا يأكلون (فاوجس منهم) الوجس الصوت الخفي كالايجاس وذلك في النفس اى اضمر في نفسه (خيفة) اى خوفا فتوهم انهم اعداء جاؤا ياشر فان عادة من يجيء بالشر والضرر ان لا يتناول من طعام من يريد اضراره قال في عين المعاني من لم يأكل طعامك لم يحفظ ذمامك يقول الفقير يخالفه سلامهم فان المسلم لابد وان يكون من اهل السلم وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا لعذاب (قالوا) حين احسوا بخوفه (لا تخف) انا رسل الله وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يمشي حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم (وبشروه) وبشارت وبشره دادند مر اوراو في سورة الصافات وبشرناه اى بواسطتهم (بغلام) هو اسحق والغلام الطار الشارب والكهل ضده او من حين يولد الى ان يشب كما في القاموس (عليم) عند بلوغه واستوائه ولم تلد له سارة غيره (فاقبلت امرأته) سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم قال ابن الشيخ فاقبلت الى اهلها وكانت مع زوجها في خدمتهم فلما تكلموا بولادتها استحيت واعرضت عنهم فذكر الله ذلك بلفظ الاقبال على الاهل ولم يذكره بلفظ الادبار عن الملائكة قال سعدي المفتي كذا في التفسير الكبير ولا يناسبه قوله كذلك قال ربك فانه يقتضي كونها عندهم فالاقبال اليهم (في صرة) حال من فاعل اقبلت والصرة الصيحة الشديدة يقال صر يصر صريرا اذا صوت ومنه صرير الباب وصرير القلم اى حال كونها في صيحة وهو صوت شديد وقيل صرتها قولها اوه او ياويلتى اورنتها (وقال الكاشفي) در فرياد ومي گفت الويلاء الويلاء اين كلمه بود در گفت ايشان كه وقت تعاظم امور بر زبان راند ندى والصرة ايضا الجماعة المنضم بعضها الى بعض كأنهم صروا اى جمعوا في اناء وبها فسرها بعضهم اى اقبلت في جماعة من النساء كن عندها وهي واقفة متهيئة للخدمة (فصكت وجهها) الصك ضرب الشيء بالشيء العريض يقال صكه اى ضربه شديدا بعريض اوعام كما في القاموس اى لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم الحيض وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وهي عادة النساء اذا انكرن شيأ (وقال الكاشفي) پس طپانچه زد روى خود را چنانچه زنان در وقت تعجب كنند (وقالت عجوز عقيم) اى انا عجوز عاقر لم الد قط في شبابي فكيف الد الآن ولي تسع وتسعون سنة سميت العجوز عجوزا لعجزها عن كثير من الامور واصل العقم اليبس المانع من قبول الاثر والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل قال في القاموس العقم بالضم هزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد وفي عين المعاني العقيم من سد رحمها ومنه الداء العقام الذي لا يرجى برؤه وبمعناه العاقر وهي المرأة التي لا تحبل ورجل عاقر ايضا لمن لا يولد له وكانت سارة عقيما لم تلد قط فلما لم تلد في صغرها وعنفوان شبابها ثم كبرسنها وبلغت سن الاياس استبعدت ذلك وتعجبت فهو استبعاد بحكم العادة لا تشكك في قدرة الله سبحانه وتعالى (قالوا كذلك) اى مثل ذلك الذي بشرناه (قال ربك) وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لانا نقول من تلقاء انفسنا فالكاف في كذلك منصوب المحل على انه صفة لمصدر قال الثانية اى لا تستبعدي ما بشرناه به ولا تتعجبي منه فانه تعالى قال مثل ما اخبرناك به (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله محكما لا محالة * كسى كو بكار تو دانا بود * پر انام او هم توانا بود * بجز در كهش روممكن سوى كس * مرا دل خويش ازوجوى وبس * روى ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه ورقة مثمرة فايقنت ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم ايضا حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة هود وفي الآية اشارة الى انه لا يجوز اليأس من فضل الله تعالى فان المقدور كائن ولو بعد حين وقد اورقت واثمرت شجرة مريم عليها السلام ايضا وكانت يابسة كما مر في سورة مريم وقد اشتغل افراد في كبرهم فطائفة على اقرانهم في العلم فبعض محرومي البداية مرزوقون في النهاية فهم ابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض ومالك بن دينار قدس الله اسرارهم فانهم وان بعدوا عن الفطرة الاصلية بسبب الاحوال العارضة لكنهم لما سبقت العناية في حقهم انجذبوا الى الله فتقربوا لديه وازالوا عن الفطرة الغواشي فمن استبعد قدرة الله تعالى فقد كفر واما قولهم الصوفي بعد الاربعين بارد فهو بحسب الغالب لان المزاج بعد الاربعين في الانحطاط لغلبة اليبوسة والبرودة لكن الله يحيي ويميت فيحيي في الكبر ما اماته في الصغر اى في حال الشباب ويميت في الكبر ما احياه في الصغر بان يميت النفس في الكبر بعد ما كانت حية في الشباب ويحيي القلب في الكبر

بعد ما كان ميتا فى الشباب ومن الله نرجو جزيل الفيض والعطاء

(الجزء السابع والعشرون)

(قال) ابراهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر (فما خطبكم) اى شأنكم الخطير الذى لاجله ارسلتم سوى البشارة فان الخطب يستعمل فى الامر العظيم الذى يكثر فى التخاطب وقلما يعبر به عن الشدائد والمكاره حتى قالوا خطوب الزمان ونحو هذا والفاء فيه للتعقيب المنفرع على العلم بكونهم ملائكة (ايها المرسلون) اى فرستاده شدكان (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) متماديين فى اجرامهم وآثامهم مصرين عليها وفى فتح الرحمن المجرم فاعل الجرائم وهى صعاب المعاصى والمراد بهم قوم لوط (لنرسل عليهم) اى بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل فى سائر السور الكريمة (حجارة من طين) اى طين متحجر وهو ماطبخ فصار فى صلابة الحجارة وهو السجيل يعنى ان السجيل حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب عليها اسماء القوم ولولم يقل من طين لتوهم ان المراد من الحجارة البرد بقرينة ارسالها من السماء فلما قيل من طين اندفع ذلك الوهم (مسومة) مرسلة من سومت الماشية اى ارسلتها لترعى لعدم الاحتياج اليها قال سعدى المفتى فيدان الظاهر حينئذ من عند ربك باثبات من الحجارة انتهى اومعلمة للعذاب من السومة وهى العلامة اومعلمة ببياض وحمرة اوبسيما تتميز بها عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها ويهلك (عند ربك) فى خزائنه التى لايتصرف فيها غيره تعالى (للمسرفين) اى المجاوزين الحد فى الفجور اذلم يقنعوا بما ابيح لهم من النسوان المحرث بل اتوا الذكران وعن ابن عباس اى للمشركين فان الشرك اسرف الذنوب واعظمها (فاخرجنا) الفاء فصيحة مفصحة عن محذوف كأنه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسرا باهلاك الخ فهو اخبار من الله وليس بقول جبريل (قال الكاشفى) چون ابراهيم معلوم فرمودكه بموتفكه مى روند بهلاك كردن قوم لوط دل مبارك اوبجهت برادرزاده متألم شدكه آياحال اودران بلا چكونه كذرد ملائكه كفتند غم مخوركه لوط عليه السلام ودختران اونجات خواهند يافت وذلك قوله تعالى فاخرجنا (من كان فيها) اى فى قرى قوم لوط وهى خمس على مافى تفسير الكاشفى واضمارها بغير ذكرها لشهرتها (من المؤمنين) من آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت) اى غير اهل بيت (من المسلمين) قيل هم لوط وابنتاه واما امرأته فكانت كافرة واليه الاشارة (بقول الشيخ سعدى) بابدان ياركشت همسر لوط * خاندان نبوتش كم شد * سك اصحاب كهف روزى چند * پى نيكان كرفت ومردم شد * وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وكفته اند يك كس ازان قوم بلوط ايمان آورده بود درمدت بيست سال قال العلماء يأتى النبى يوم القيامة ومعه امته وآخر معه قومه وآخر معه رهطه وآخر معه ابنه وآخر معه رجل وآخر استتبع ولم يتبع ودعا فلم يجب وذلك لاتيانه فى الوقت الشديد الظلمة وفى الآية اشارة الى ان المسلم والمؤمن يتحدان صدقا وذاتا لامفهوما والمسلم اعم من المؤمن فانه مامن مؤمن الا وهو مسلم من غير عكس والعام والخاص قد يتصادقان فى مادة واحدة وقال بعضهم الايمان هو التصديق بالقلب اى اذعان الحكم المخبر وقبوله وجعله صادقا والاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الاحكام والاذعان وهذا حقيقة التصديق كما لايخفى على من له ادنى عقل وتأمل وانكار ذلك مكابرة (وتركنا فيها) اى فى تلك القرى (آية) علامة دالة على مااصابهم من العذاب هى تلك الحجارة اوماء اسود منتن خرج من ارضهم (للذين يخافون العذاب الاليم) اى من شأنهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لايعتدون بها ولايعدونها آية كما شاهدنا اكثر الحجاج حين المرور بمد ائن صالح عليه السلام وكان عليه السلام يبكى حين المرور بمثل هذه المواضع وينكس رأسه ويأمر بالبكاء والتباكى ودلت الآية على كمال قدرته تعالى على انجاء من يؤيد دينه والانتقام من اعدائه ولوبعد حين وعلى ان المعتبر فى باب النجاة والحشر مع اهل الفلاح والرشاد هو حبهم وحسن اتباعهم وهو الاتصال المعنوى لاالاختلاط الصورى والالنجت امرأة نوح ولوط وقد قال تعالى فى حقهما ادخلا النار مع الداخلين فعلى العاقل باتباع الكامل والاحتراز عن اهل الفساد والقصور سيما الناقصات فى العقل والدين ١٢ اشهادة والميراث والنفسانية والشيطانية غالبة فيهن فاذا اقترن بمضل آخر فسدن وفى الآية اشارة الى ان القوم المجرمين المسرفين هم النفس وصفاتها الذميمة

والاذكار والاوراد والمجاهدات والرياضات مهلكة للنفس واوصافها وليس فى مدينة الشخص الانسانى من المسلمين الاالقلب السليم واوصافه الحميدة فهى سالمة من الهلاك واذا هلكت النفس واوصافها بماذكر يكون تزكيتها وتهذيب اخلاقها آية وعبرة للذين يخافون العذاب الاليم بوعيد قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ثم هذه التزكية وان كان حصولها فى الخارج بالاسباب والوسائط لكنها فى الحقيقة فضل من الله سبحانه والا لنالها كل من تشبث بالاسباب نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من اهل النفوس المطمئنة الراضية المرضية الصافية (وفى موسى) عطف على قوله وفى الارض آيات للموقنين فقصة ابراهيم ولوط عليهما السلام معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه تسلية لرسول الله عليه السلام من تكذيبهم ووعد له باهلاك اعدائه الافاكين كما اهلك قوم لوط اوعلى قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى ارسال موسى الى فرعون وانجائه مما لحق فرعون وقومه من الغرق آية كقول من قال *علفتها تبنا وماء باردا* اى وسقيتها ماء باردا والافقوله فى موسى لايصح كونه معمولا لتركنا اذلا يستقيم ان يقال تركنا فى موسى آية كما يصح ان يقال تركنا فى تلك القرية آية لان الترك ينبئ عن الابقاء فاذا لم يبق موسى كيف يبقى ماجعل فيه (اذ ارسلناه) منصوب بآية محذوفة اى كائنة وقت ارسالنا وعلى الثانى ظرف لجعلنا المقدر (الى فرعون) صاحب مصر (بسلطان مبين) هوماظهر على يديه من المعجزات الباهرة كالعصا واليد البيضاء وغيرهما والسلطان مصدر يطلق على المتعدد (فتولى بركنه) اى ثنى عطفه وهو كناية عن الاعراض اى فاعرض عن الايمان به وازور فالتولى بمعنى الاعراض والباء فى بركنه للتعدية كما فى قوله ونأى بجانبه فانها معدية لنأى بعد فيكون الركن بمعنى الطرف والجانب والمراد بهما نفسه فانه كثيرا مايعبر بطرف الشئ وجانبه عن نفسه وفى الصحاح ركن الشئ جانبه الاقوى كالمنكب بالنسبة الى الانسان وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الانسان وليكن من مال وجند وقوة فالركن مستعار لجنوده تشبيها لهم بالركن الذى يتقوى به البنيان وعلى هذا الباء للسببية اوللملابسة والمصاحبة (وقال) هواى موسى (ساحر) جادوست بچشم بندى خوارق عادات مينمايد (اومجنون) اوديوانه است عاقبت كار خودنمى انديشد والمجنون ذوالجنون وهو زوال العقل وفساده كانه نسب ماظهر على يديه من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد فى انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما وقال ابوعبيدة او بمعنى الواو اذنسبوه اليهما جميعا كقوله الى مائة الف اويزيدون محققان كفته اندطعن وى برموسى دليل كمال جهل اوست چه اورابد وجبر متضاد طعن زدومقرر ست كه سحررا عقلى تمام وذهنى دراك وحذاقتى وافرباید ودیوانكى دليل زوال عقلست وكمال عقل وزوال ان ضدانند (فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) النبذ القاء الشئ وطرحه لقلة الاعتداد به اى فطرحناهم فى بحر القلزم مع كثرتهم كما يطرح احدكم فيه حصيات اخذهن فى كفه لايبالى بها وبزوالها عنه (وهوملیم) اى اخذناه والحال انه آت بما يلام عليه صغيرة اوكبيرة اذكل صاحب ذنب ملوم على مقدار ذنبه (قال الكاشفى) مليم مستحق ملامت بوديا ملامت كننده خودرا كه چرا اعراض كردم ازموسى وبروطعنه زدم وبدين سبب كفت آمنت انه الخ * بكوى آنچه دانى سخن سودمند * وكرهيچ كس رانيابد پسند * كه فرداد پشيمان برآرد خروش * كه آوخ چراحق نكردم بكوش * وفى الآية اشارة الى موسى القلب اذارسله الله الى فرعون النفس بسلطان وهو عصا لااله الاالله مبين اعجازها بان تلقف مايأفكون من سحر تمويهات سحرة صفات فرعون النفس فاعرض عن رؤية الاعجاز والايمان بجميع صفاته فاهلكه الله فى يم الدنيا والقهر والجلال ونعوذ بالله من غضب الملك المتعال وقد كان ينسب موسى القلب الى السحر اوالجنون فان من خالف احدا فهو عنده مجنون وليس موسى القلب مجنونا بل مجذوبا والفرق بينهما ان المجنون ذهب عقله باستعمال مضعوم كونى اوغير ذلك والمجذوب ذهل عقله لماشاهد من عظم قدرة الله تعالى فعقله محبوء عند الحق منعم بشهوده عاكف بحضرته منزه فى جماله فهم اصحاب عقول بلاعقول وهم فى ذلك على ثلاث مراتب منهم من يكون وارده اعظم من القوة التى يكون فى نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحت تصرف الحال ولاتدبير له فى نفسه مادام فى ذلك الحال ومنهم من يمسك عقله هناك ويبقى عليه عقل حيوانيته فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولاروية ويسمى هذا من عقلاء المجانين لتناوله العيش الطبيعى

كسائر الحيوانات ومنهم من لايدوم له حكم الوارد فيزول عنه الحال فيرجع الى الناس بعقله فيدبر امره ويعقل مايقول ويقال له ويتصرف عن تدبير وروية مثل كل الانسان وذلك هو صاحب القدم المحمدى فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤخذ عن نفسه عند نزول الوحى ثم يسرى عنه فيلقى ماأوحى به اليه على الحاضرين واعلم ان المجاذيب لايطالبون بالآداب الشرعية لذهاب عقولهم لماطرأ عليها من عظيم امر الله تعالى هركه كرد ازجام حق يكجرعه نوش * نه ادب ماند درونه عقل وهوش * وحكمهم عند الله حكم من مات على حالة شهود ونعت استقامة وحالهم فى الدنيا حكم الحيوان ينال جميع مايطلب حكم طبيعته من اكل وشرب ونكاح من غير تقييد ولامطالبة عليه عند الله مع وجود الكشف وبقائه عليهم كما تكشف البهائم وكل دابة حياة الميت على النعش وهو يحور ويقول قدموني ان كان سعيدا ويقول اين تذهبون بى ان كان شقيا فذاهب العقل معدود فى الاموات لذهاب عقله معدود فى الاحياء بطبعه فهو من السعداء الذين رضى الله عنهم واكثر المجانين من غلبة المكاشفات والمشاهدات يعنى انهم يكاشفون الامور الغيبية والاحوال الملكوتية ويشاهدون ماخفى عن اعين العامة وذلك من غير سبق المجاهدة منهم فبذلك يخرجون عن دائرة العقل اذلايتحملون الفتح الفجائى لعدم تهيئهم قبله ثم يتحسر اذخالهم فى دائرة العقل الاان اراد الله تعالى ذلك فالمقبول البقاء على العقل وان يكون المرء غالبا على حاله لاان يكون الحال غالبا والاول من احوال اهل النهاية والثانى من احوال اهل البداية والله الغالب على امره (وفى عاد) اى وفى قوم هود ايات ان كان معطوفا على وفى الارض اووجعلنا فيهم آية على تقدير كونه معطوفا على قوله وتركنا فيها آية (اذارسلنا عليهم) اى على انفسهم اصالة وعلى دورهم واموالهم وانعامهم تبعا (الريح العقيم) العقم بالضم هزمة تقع فى الرحم فلاتقبل الولد كما فى القاموس وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم فالعقيم بمعنى المعقم اوالعاقم وفيه استعارة تبعية شبه اهلاكهم وقطع دابرهم باعقام النساء التى لايلدن ولايعقبن ثم اطلق المشبه به على المشبه واشتق منه العقيم اووصفت به لانها لم تتضمن خيرا مامن انشاء مطر اوالقاح شجر يعنى شبه عدم تضمنها منفعة بعقم المرأة ثم اطلق عليه فالعقيم بمعنى الفاعل من اللازم وفى بحر العلوم ولعله سماها عقيما لانها كانت سبب قطع الارحام من الولادة باهلاكها اياهم وقطعها دابرهم وهى من رياح العذاب والهلاك وهى النكباء على قول على رضى الله عنه وهى التى انحرفت ووقعت بين ريحين اوبين الصبا والشمال وهى الدبور على قول ابن عباس رضى الله عنهما ويؤيده قوله عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وهى ريح تقابل الصبا اى ريح تجيئ من جانب المغرب فان الصبا تجيئ من جانب المشرق وقال ابن المسيب الريح العقيم هى الجنوب مقابل الشمال وهى ريح تجيئ من شمال من يتوجه الى المشرق (ماتذر) اى ماتترك يقال ذره اى دعه يذره تركا ولاتقل وذرا واصله وذره يذره نحو وسعه يسعه لكن ماطقوا بماضيه ولابمصدره ولاباسم الفاعل (من شئ اتت عليه) اى جرت عليه من انفسهم ودورهم واموالهم وانعامهم (الاجعلته كالرميم) كالشئ البالى المتفتت فهو كل مارم و بلى وتفتت من عظم اونبات اوغير ذلك وبالفارسية مثل كياه خشك يااستخوان كهنه شده ريزيده وفى القاموس رم العظم يرم رمة بالكسر ورما ورميما وارم بلى فهو رميم وفى المفردات الرمة بالكسر تختص بالعظم والرمة بالضم بالحبل البالى والرم بالكسر بالفتات من الخشب والحشيش والتبن وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماارسل على عاد من الريح الامثل خاتمى هذا يعنى ان الريح العقيم تحت الارض فاخرج منها مثل مايخرج من الخاتم من الثقب فاهلكهم الله به وفيه اشارة الى شدة تلك الريح واشير بكونها تحت الارض الى ريح الهوى التى تحت ارض الوجود فهى ايضا شديدة جدا فانها حيث هبت تركت الديار بلاقع وايضا هى ريح جلال الله تعالى وقهره فانها اذاهبت تميت النفوس عن اوصافها فلايبقى منها شئ فالعقيم فى بر الجسد والعاصف والقاصف فى بحر الروح وكان عليه السلام يتعوذ بالله تعالى حين تهب الرياح الشديدة فليتعوذ العاقل من المهلكات فانه اذا هلكت النفس بالهلاك الصورى قبل الكمال خسرت التجارة وكذا اذا هلك القلب فان حياة المرء حينئذ لافائدة فيها سؤال كردند ازحسن بصرى رحمه الله كه ياشيخ دلهاء ماخفته است سخن تودروى كارواثرنمى كندچه كنيم كفت كاشكى خفته بودى كه خفته رابجنبانى بيدار شود امادلهاء شما مرده است كه هرچندمى جنبانى بيدارنمى كردد (قال المولى الجامى) اى بمهدبدن چوطفل صغير *

مانده دردست خواب غفلت اسير * پيش ازان كت اجل كند بيدار * كز نمردى زخواب سر بر دار *
قال محمد بن حامد رحمه الله وكان جالسا عند احمد بن حضرويه وهو في النزع وقد اتى عليه خمس وتسعون سنة هو ذا يفتح لي الساعة لا ادري ايفتح بالسعادة ام بالشقاوة وعن خلف بن سالم رحمه الله قال قلت لأبي علي بن المعتوه اين مأواك قال دار يستوى فيها العزيز والذليل قلت واين هذه الدار قال المقابر قلت اما تستوحش في ظلمة الليل قال اني اذكر ظلمة اللحود ووحشتهن فتهون علي ظلمة الليل قلت له فربما رأيت في المقابر شيئا تنكره قال ربما ولكن في هول الآخرة ما يشغل عن هول المقابر ووجد مكتوبا على بعض القبور

مقيم الى ان يبعث الله خلقه * لقاؤك لا يرجى وانت قريب
يزيد بلاء كل يوم وليلة * ويبلى كما تبلى وانت حبيب

(وفي ثمود) اى وفي قوم صالح آيات او وجعلنا فيهم آية (اذ قيل لهم تمتعوا) اى انتفعوا بالحياة الدنيا (حتى حين) الى وقت نزول العذاب وهو آخر ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة فانهم عقروا الناقة يوم الاربعاء وهلكوا بالصيحة يوم السبت وقد فسر بقوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فكان كذلك وانما تبدلت الوانهم بما ذكر لانهم كانوا كل يوم في الترقي الى سوء الحال ولا شك ان الابيض يصير اصفر ثم احمر ثم اسود والسواد من الوان الجلال والقهر وايضا لون جهنم فانها سوداء مظلمة فعند الهلاك صاروا الى لون جهنم لانها مقرهم ونعوذ بالله منها (فعتوا عن امر ربهم) اى فاستكبروا عن الامتثال به وبالفارسية پس سر كشيدند از فرمان آفريد كار خود وبتدارك كار خود مشغول نكشتند يقال عتا عتوا وعتيا وعتيا استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتى وامر ربهم هو ما امر وابه على لسان صالح عليه السلام من قوله اعبدوا الله وقوله فذروها تأكل في ارض الله اوشأن ربهم وهو دينه او صدر عتوهم عن امر ربهم وبسببه كان امر ربهم بعبادته وترك الناقة كان هو السبب في عتوهم كما في بحر العلوم والفاء ليست للعطف على قيل لهم فان العتو لم يكن بعد التمتع بل قبله وانما هو تفسير وتفصيل لما اجمله في قوله وفي ثمود الخ فانه يدل اجمالا على انه تعالى جعل فيهم آية ثم بين وجه الآية وفصلها قال في شرح الرضي ان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها في الذكر لا ان مضمونها عقيب مضمون ما قبلها في الزمان (فاخذتهم الصاعقة) قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة جبريل عليه السلام كما صرح بها في قوله واخذ الذين ظلموا الصيحة فهلكوا فالمراد بالصاعقة الصيحة لا حقيقتها وهي نار تنزل من السماء فتحرق ما اصابته وقيل اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وقال بعضهم اهلكوا بالصاعقة حقيقة بان جاءت نار من السماء فاهلكتهم جميعا (وهم ينظرون) اليها ويعاينونها لانها جاءتهم معاينة بالنهار فينظرون من النظر بالعين وفيه ترجيح لكون المراد بالصاعقة حقيقة النار لانها حين ظهرت رأوها باعينهم والصيحة لا ينظر اليها وانما تسمع بالاذن والظاهر ان الصاعقة لا تنافي ان يكون معها صيحة جبريل وقيل هو من الانتظار اى ينتظرون ما وعدوا به من العذاب حيث شاهدوا علامات نزوله من تغير الوانهم في تلك الايام ويقال سمعوا الصيحة وهم ينظرون اى يتحيرون (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين اى لا صقين بمكانهم من الارض لا يقدرون على الحركة والقيام فضلا عن الهرب فالقيام ضد القعود (وما كانوا منتصرين) بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم قال في تاج المصادر الانتصار داد بستدن (وقوم نوح) اى واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه ويجوز ان يكون منصوبا باذكر المقدر (من قبل) اى من قبل هؤلاء المهلكين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي وهو علة لاهلاكهم واعلم ان الله تعالى قد ارسل الرسل وشرع الشرائع وحد الحدود فمتى تعديت الحد الذي حده لك الشارع صرت فاسقا واطلعت الشيطان وتنحى عنك عند العصيان الملك المؤيد للمؤمنين فاذا وكل العبد الى نفسه والى الشيطان فقد هلك وكل نار وعذاب وبلاء فانما يأتي من الداخل لا من الخارج اذ لا خارج من وجود الانسان فالعذاب صورة اوصافه وافعاله واخلاقه عادت اليه حين عصى الله تعالى وكذا الثواب صورة ذلك

عادت اليه حين أطاع الله تعالى فان قلت كل ذلك اذا كان من احوال العين الثابتة للعبد فكل عبد فانما يسير على طريقه فى الهداية والضلالة فما معنى دعوة الانبياء وارشاد الاولياء قلت تلك الدعوة ايضا من احوال اعيان المدعوين فخلاف المخالفين وان كان من التجلى لكن حقائق الانبياء اقتضت التجلى بهذا فقة التجلى من وجه والرد عليه من آخر فكان امرهم حيرة فلو كانوا يخدمون التجلى مطلقا لاردوا على احد فاذا ورد الامر التكليفى فاما ان يوافقه الامر الارادى اولا فان وافقه فالمكلف منتقل من دائرة الاسم المضل الى دائرة الاسم الهادى وذلك الانتقال من احوال عينه وان لم يوافقه فمعنى التكليف انه من احوال عينه ولابد وايضا فيه تمييز الشقى من السعيد وبالعكس فاعرف هذه الجملة تسعد واجتهد حتى ينقلك الله من دائرة الاجانب الى دائرة الاحباب ولا تغتر بكثرة الدنيا وطول العمر كما فعل الكفار والفساق حتى لا يحل بك ما حل بهم من الصاعقة والطوفان فان صاعقة الموت وطوفان الحوادث لابد وان تحل بكل احد بحيث لا يستطيع القيام من مكانه فيموت فى مقامه قال الشيخ سعدى فى البستان * كهن سالى آمد بزد طبيب * زنا لايد نش تا بمردن قريب * كه دستم برك برنه اى نيك راى * كه پايم همى برنيايد ز جاى * بدان ماند اين قامت جفته ام * كه كوبى بكل در فرو رفته ام * بدو گفت دست از جهان در گسل * كه پايت قيامت برايد ز گل * نشاط جوانى زپيران مجوى * كه آب روان بازنايد بجوى * اگر در جوانى زدى دست و پاى * درايام پيرى بهش باش واى * چو دوران عمر از چهل در گذشت * مزن دست وپا گابت ازسر گذشت * نشاط ازمن انكه رميدن گرفت * كه شام سپيده دميدن گرفت * بيايد هوس كردن ازسر بدر * كه روز هوسبازى آمد بسر * بسبزى گرازنده گردد دلم * كه سبزه بخواهد دميداز گلم * تفرج كنان درهوا وهوس * گذشتيم برخاك بسيار كس * كسانيكه ديگر بغيب اندراند * بيايند وبرخاك مابگذرند * دريغاكه فصل جوانى برفت * باهو ولعب زندگانى برفت * دريغاچنين روح پرورزمان * كه بگذشت برماچوبرق يمان * زسودای ان پوشم واين خورم * نپرداختم تاغم دين خورم * دريغاكه مشغول باطل شديم * زحق دور مانديم وغافل شديم * چه خوش گفت باكودك آموزگار * كه كارى نكرديم وشد روزگار * اى ضياع زماننا ومضى بلافائدة (والسماء بنيناها) نصب السماء على الاشتغال اى وبنينا السماء بنيناها حال كوننا ملتبسين (بايد) اى بقوة فهو حال من الفاعل اوملتبسة بقوة فيكون حالا من المفعول ويجوز ان تكون الباء للسببية اى بسبب قدرتنا فتتعلق ببنيناها لا بالمحذوف والقوة هنا بمعنى القدرة فان القوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف والله تعالى منزه عن ذلك والقدرة هى الصفة التى بها يتمكن الحى من الفعل وتركه بالارادة (قال الكاشفى) بقوت الوهيت وگفته اند بقدرتى برافريدش داشتيم يقال آد يئيدايدا اى اشتد وقوى قال فى القاموس الآد الصلب والقوة كالايد وآيدته مؤايدة وايدته تايدا فهو مؤيد قويته انتهى قال الراغب ولما فى اليد من القوة قيل ايدك وايدنك قويت يدك (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق قال فى تاج المصادر الايساع توانگر شدن وتمام فراررسيدن و يقال اوسع الله عليك اى اغناك انتهى فيكون قوله وانا لموسعون حالا مؤكدة اوتذييلا اثبانا لسعة قدرته كل شئ فضلا عن السماء اولموسعون السماء اى جاعلوها واسعة اومابينها وبين الارض اوالرزق على خلقنا لقوله تعالى وفى السماء رزقكم وفيه اشارة الى ان وسعة البيت والرزق من تجليات الاسم الواسع (والارض) اى وفرشنا الارض (فرشناها) مهدناها وبسطناها من تحت الكعبة مسيرة خمسمائة عام ليستقروا عليها و يتقلبوا كما يتقلب احدهم على فراشه ومهاده (فنعم الماهدون) اى نحن وهو المخصوص بالمدح المحذوف اى هم نحن فحذف المبتدأ والخبر من غير ان يقوم شئ مقامهما وقد اختلف القدماء فى هيئة الارض وشكلها فذكر بعضهم انها مبسوطة مستوية السطح فى اربع جهات المشرق والمغرب والجنوب والشمال وزعم آخرون انها كهيئة المائدة ومنهم من زعم انها كهيئة الطبل وذكر بعضهم انها تشبه نصف الكرة كهيئة القبة وان السماء مركبة على اطرافها وزعم قوم ان الارض مقعرة وسطها كالجام والذى عليه الجمهور ان الارض مستديرة كالكرة وان السماء محيطة بها من كل جانب احاطة البيضة بالح فالصفرة

بمنزلة الارض وبياضها بمنزلة السماء وجلدها بمنزلة السماء الاخرى غير ان خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستوية الخرط حتى قال مهندسوهم لو حفر في الوهم وجه الارض لادى الى الوجه الآخر ولو ثقب مثلا ثقب بارض الاندلس لنفذ الثقب بارض الصين واختلف في كمية عدد الارضين فروى في بعض الاخبار ان بعضها فوق بعض وغلظ كل ارض مسيرة خمسمائة عام حتى عد بعضهم لكل ارض اهلا على صفة وهيئة عجيبة وسمى كل ارض باسم خاص كاسمى كل سماء باسم خاص وزعم بعضهم ان في الارض الرابعة حيات اهل النار وفي الارض السادسة حجارة اهل النار وعن عطاء بن يسار في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن قال في كل ارض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم وليس هذا القول بأعجب من قول الفلاسفة ان الشموس شموس كثيرة والاقمار اقمار كثيرة في كل اقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء الارض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الاقاليم لاعلى المطابقة والمكابسة واهل النظر من المسلمين يميلون الى هذا القول ومنهم من يقول سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقي ويزعم بعضهم ان الارض مقسومة لخمس مناطق وهي المنطقة الشمالية والجنوبية والمستوية والمعتدلة والوسطى واختلفوا في مبلغ الارض وكميتها فروى عن مكحول انه قال ما بين اقصى الدنيا الى ادناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك في البحر ومائتان ليس يسكنها احد وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة قال الدنيا اربعة وعشرون الف فرسخ فملك السودان منها اثنا عشر الف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب الف فرسخ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ربع من لا يلبس الثياب من السودان اكثر من جميع الناس وقال بطليوس بسيط الارض كلها مائة واثنان وثلاثون الف الف وستمائة الف ميل فتكون مائتي الف وثمانية وثمانين الف فرسخ فان كان حقا فهو وحي من الحق او الهام وان كان قياسا واستدلالا فهو قريب من الحق ايضا واما قول قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقيني الذي يقطع على الغيب به كذا في خريدة العجايب (ومن كل شئ) اي من اجناس الموجودات فالمراد بالشئ الجنس وقيل من الحيوان (خلقنا زوجين) صنفين ونوعين مختلفين كالذكر والانثى والسماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والصيف والشتاء والبر والبحر والسهل والجبل والانس والجن والنور والظلمة والابيض والاسود والدنيا والآخرة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر والموت والحياة والرطب واليابس والجامد والنامي والمدر والنبات والناطق والصامت والحلم والقهر والجود والبخل والعز والذلة والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والصحة والسقم والغنى والفقر والضحك والبكاء والفرح والغم والفوق والتحت واليمين والشمال والقدام والخلف والحرارة والبرودة وهلم جرا قال الراغب يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والانثى في الحيوان المتزاوج زوج ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل والكل ما يقترن باخر مما ثلاله او مضادا زوج وفي قوله ومن كل شئ خلقنا زوجين تنبيه على ان الاشياء كلها مركبة من جوهر وعرض ومادة وصورة وان لاشئ يتعرى منها اذ الاشياء كلها مركبة من تركيب يقتضي كونه مصنوعا وانه لابد له من صانع تنبيها على انه تعالى هو الفرد فبين بقوله ومن كل شئ الخ ان كل ما في العالم فانه زوج من حيث ان له ضدا ما او مثلا ما او تركيبا ما بل لا ينفك من وجه من تركب وانما ذكر ههنا زوجين تنبيها على انه وان لم يكن له ضد ولا مثل فانه لا ينفك من تركب صورة ومادة وذلك زوجان قال الخرازقدس سره اظهر معنى الربوبية والوحدانية بان خلق الازواج ليخلص له الفردانية (لعلكم تذكرون) اي فعلنا ذلك كله من البناء والفرش وخلق الازواج كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وبالفارسية باشد كه شما پند پذير شويد وداند كه وحدانيت از خواص ممكنات نيست ومن واجب بالذاتم وواجب قابل تعدد وانقسام نيست * ذاتش از قسمت وتعدد پاك * وحدت لم مقدس از اشراك * از عدد دم مزن كه او فرد است * كى عدد بهر فرد در خور دست * احد است وشمار از معزول * صمد است وتبار از مخذول * وفيه اشارة الى انه تعالى خلق لكل شئ من عالم الملك وهو عالم الاجسام زوجا من عالم الملكوت وهو عالم الارواح ليكون ذلك الشئ الجسماني قائما بملكوته وملكوته قائما بيد القدرة الالهية لعلكم تذكرون انكم بهذا الطريق جئتم من الحضرة وبهذا الطريق ترجعون الى الله

سبحانه (ففروا الى الله) اى قل لقومك يا محمد اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذى هذه شؤونه بالايمان والطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه يعنى ان فى الامر بالايمان وملازمة الطاعة بلفظ الفرار تنبيها على ان ورآء الناس عقابا يجب ان يفروا منه قال بعض الكبار يا ايها الذين فررتم من الله بتعلقات الكونين ففروا بنعت الشوق والمحبة والتجرد الى الله بقطع التعلقات عن الوجود وعما سواه تعالى مطلقا ومن صح فراره الى الله صح قراره مع الله وايضا ففروا منه اليه حتى تفنوا فيه فان الحادث لا يثبت عند رؤية القديم وقال سهل رضى الله عنه ففروا مما سوى الله الى الله ومن المعصية الى الطاعة ومن الجهل الى العلم ومن العذاب الى الرحمة ومن سخطه الى رضوانه وقال محمد بن حامد رحمه الله حقيقة الفرار ما روى عن النبى عليه السلام انه قال والجأت ظهرى اليك وما روى عنه فى حديث عائشة رضى الله عنها واعوذ بك منك فهذه غاية الفرار منه اليه وقال الواسطى رحمه الله ففروا الى الله معناه لما سبق لهم من الله لا الى علمهم وحركاتهم وانفسهم وسئل بعضهم عن قول النبى عليه السلام سافروا تصحوا قال سافروا الينا تجدونا فى اول قدم ثم قرأ ففروا الى الله * هيچكس در تونيا ويخت كه ازخود نكريخت * هيچكس بانونه پيوست كه ازخود نبريد * وفى كشف الاسرار فرار مقامى است ازمقامات روندكان ومنزلى ازمنازل دوستى كسى راكه اين مقام درست شود نشانش آنست كه همه نفس خود غرامت پندهمه سخن خود شكايت پندهمه كرده خود جنايت پنداميداز كردار خود ببرد وباخلاص خود تهمت نهدواكر دولتى آيد درراه وى ازفضل حق پندوازحكم ازل نه ازجهد وكردارخود وهذا موت عن نفسه وهمه خلق زنده ازمرده ميراث بردمكراين طائفه كه مرده اززنده ميراث برد * وفى الحديث من اراد ان ينظر الى ميت يمشى على وجه الارض فلينظر الى ابى بكر (انى لكم منه نذير مبين) اى انى لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى بالمعجزات الباهرة اومظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفى امره للرسول عليه السلام بأن يأمرهم بالهرب اليه من عقابه وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لامن تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب (ولا تجعلوا مع الله الها آخر) نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار نفسه كانه قيل وفوا امن ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا اوتقولوا الها آخر (انى لكم منه) اى من الجعل المنهى عنه (نذير مبين) وفيه تأكيد لما قبله من الفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير بل بالنهى عن سببه وايجاب الفرار منه قال فى برهان القرآن الاول متعلق بترك الطاعة والثانى متعلق بالشرك بالله فلا تكرار وفى التأويلات النجمية ولا تجعلوا مع الله فى المعرفة بوحدانيته الها آخر من النفوس والهوى والدنيا والآخرة فتعبدونها بالميل اليها والرغبة فيها فان التوحيد فى الاعراض عنها وقطع تعلقاتها والفرار الى الله منها لان من صح فراره الى الله صح قراره مع الله وهذا كمال التوحيد انى لكم نذير مبين اخوفكم اليم عقوبة البعد وعذاب الاثنينية اذا اشركتم به فى الوجود فانه لا يغفر ان يشرك به (كذلك) اى الامر وهو امر الامم السالفة بالنسبة الى رسلهم مما ذكر من تكذيب قريش ومشركى العرب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميتهم له ساحرا اومجنونا ثم فسره بقوله (ما اتى الذين من قبلهم من رسول) من رسل الله (الا قالوا) فى حقه هو (ساحر اومجنون) يعنى اكر معجزه بديشان نمود عمل اوراسحر خواند ندواكر از بعث وحشر خبرداد قول اورا بسخن اهل جنون تشبيه كردند اى فلا تأس على تكذيب قومك اياك (اتواصوا به) انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تفرق ازمانهم على تلك الكلمة الشنيعة التى لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها فى حق الانبياء اى اوصى الاولون الآخرين بعضهم بعضا بهذا القول حتى اتفقوا عليه (بل هم قوم طاغون) اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك لبعد الزمان وعدم تلاقيهم فى وقت واحد واثبات لكونه امرا قبيحا من التواصى واشنع منه وهو الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم وفيه اشارة الى ان ارباب النفوس المتمردة من الاولين والآخرين مركوزة فى جبلتهم طبيعة الشيطنة من التمرد والاباء والاستكبار فاتاهم رسول من الانبياء فى الظاهر اومن الالهامات الربانية فى الباطن الا انكروا عليه وقالوا ساحر يريد ان يسحرنا اومجنون لاعبرة بقوله كان بعضهم اوصى بعضهم بالتمرد والانكار

والجحود لانهم خلقوا على طبيعة واحدة بل هم قوم طاغون بانهم وجدوا اسباب الطغيان من السعة والنعم والبطر والغنى قال الشاعر

ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء اى مفسده

فعكسوا الامر وكان ينبغى لهم ان يصرفوا العمر والشباب والغنى فى تحصيل المطلوب الحقيق (كما قال الحافظ)

عشق وشباب ورندى مجموعهٔ مراد ست * چون جمع شد معانى كوى بيان توان زد (فتول عنهم)

فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء والاستكبار وبالفارسية پس روى بكردان ازمكافات ايشان تاوقتى كه مامور شوى بقتال وفى فتح الرحمن فتول عن الحرص المفرط عليهم وذهاب النفس حسرات وقال الواسطى ردهم الى ماسبق عليهم فى الازل من السعادة والشقاوة (فما انت بملوم) على التولى بعدما بذلت المجهود وجاوزت فى الابلاغ كل حد معهود واللوم والملامة العذل وبالفارسية نكوهيدن وقال بعض الكبار فتول عنهم فانك لاتهدى من احببت منهم فانت بملوم بالعجز عن هدايتهم لانك مبلغ وليس اليك من الهداية شئ وقال بعضهم فتول عنهم بسيرك الينا فما انت بملوم فى ابلاغ رسالتك واشتغالك فى الظاهر بهم واعلامهم باسباب نجاتهم فانت مستقيم لايحجبنك ابلاغ الرسالة عن شهود العين (وذكر) اى افعل التذكير والموعظة ولاتدعهما بالكلية اوفذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر (فان الذكرى تنفع المؤمنين) اى الذين قدر الله ايمانهم اوالذين امنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة فى اليقين يعنى بعناد كافران وجحود ايشان دست ازتربيت مسلمانان باز مدار وهمچنان برتذكير خود ثابت باش كه وعظ رافوائد بسيارست ومنافع بى شمار فان النصيحة تلين القلوب القاسية وفى الحديث (مامن مؤمن الاوله ذنب قداعتاده الفينة بعد الفينة) اى الساعة بعد الساعة والحين بعد الحين (ان المؤمن خلق مفتونا ناسيا فاذا ذكر ذكر) وقال بعضهم ذكر المطيعين جزيل ثوابى وذكر العارفين ماصرت عنهم من بلائى وقال بعضهم ذكر العاصين منهم عقوبتى ليرجعوا عن مخالفة امرى وذكر المطيعين جزيل ثوابى ليزدادوا طاعة وعبادة لى وذكر المحبين ماشاهدوا من انوار جمالى وجلالى فى الغيب وغيب الغيب ليزيدوا فى بذل الوجود وطلب المفقود ودر فصول آورده كه كلام مذكر بايد كه برده خير مشتمل باشد تاسامعانرا سود مند بود اول نعمت خداى بايادمردم دهد تاشكر كزارى نمايند دوم ثواب محنت وبلاذكر كند تادران شكيبايى ورزند سوم عقوبت كناهان برشمرد تاازان بازايستند وتوبه كنند چهارم مكائد ووساوس شيطانى بيان فرمايد تاازان حذر نمايند پنجم فناوزوال وبى اعتبارى دنيا برايشان روشن كرداند تادل درونه بندند ششم مركرا پيوسته ياد كند تارفتن راامادهشوند هفتم قيامت را امادهوذكرآن بسيار كويد تاكارا نروز بسازند هشتم دركات دوزخ وانواع عقوبتهاء آن بيان كند تاازان بترسند نهم درجات بهشت واقسام نعمتهاء ازبرشمارد تابدان راغب كردند دهم بنماى كلام برخوف ورجانهد يعنى كاهى ازعظمت وكبريا وهيبت الهى سخن راند تاازوى بترسند ووقتى ازرحمت ومغفرت ومهربانى اوتقرير كند تابوى اميد وارشوند پس هرموعظه كه مشتمل برين سخنانست منفعت مؤمنانست خصوصا اذا كان المذكر عالما ملاحظا ذكرهم به غير ناس نفسه فان تأثيره اشد من تاثير تذكير الغافل عالم كه كامرانى وتن پرورى كند * اوخويشتن كم است وكرارهبرى كند * وانما قلنا من تاثيره فانهم قالوا مرد بايد كه كيرد اندر كوش * درنوشتست پند بردیوار * فلاكلام الا فى الاستعداد والتهيؤ للاستماع ولذا قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اوالقى السمع وهوشهيد (وماخلقت الجن والانس الاليعبدون) قرأ يعقوب ليعبدونى وكذا يطعمونى ويستحملونى كما سيأتى باثبات ياء المتكلم فيهن وصلا ووقفا وحذفها الباقون فى الحالين والعبادة ابلغ من العبودية لان العبودية اظهار التذلل والعبادة غاية التذلل ولايستحقها الامن له غاية الافضال قال بعض الكبار العبادة ذاتية للمخلوق لانها ذلة فى اللغة العربية وانما وقع التكليف بالافعال المخصوصة التى هى العبادة الوصفية للتنبيه على تلك الذلة الذاتية حتى يتذللوا ويتخضعوا لربهم وخالقهم بالوجه المشروع ولعل تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على خلق الانس فى الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها اتم استعداد ومتمكنين منها اكمل تمكين مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ماهى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ماهو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة

عما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه تعالى تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعل لافتقاره الى استكماله بفعل وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كما لية يفضي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل انها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي وتأخر المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره كذا في الارشاد قال سعدي المفتي فاللام حينئذ على حقيقتها فتأمل انتهى والحاصل ان قوله الا ليعبدون اثبات السبب الموجب للخلق فهذه اللام لام الحكمة والسبب شرعا ولام العلة عقلا قال المولى رمضان في شرح العقائد واستكماله تعالى بفعل نفسه جائز بل واقع فانه تعالى حين اوجد العالم قد استكمل بكمال الموجدية والمعروفية على ما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون وهو كمال اضافي يجوز الخلو عنه انتهى مقصود الهي از همه كمال جلا واستجلا ست كه در انسان كامل جمعا وتفصيلا بظهور آمد ودر عالم تفصيلا فقط سؤال طلب اين مقصود نه استكمالست كه مستدعي سبق نقصا نست چنانكه اهل كلام ميگويد كه افعال الله معللة باغراض نشايد بودن جواب آنچه محذورست استكمال بغيراست واين استكمال بصفات خود است نه بغير كذا في تفسير الفاتحة للشيخ صدر الدين القونوي قدس سره وكذا قال في بعض شروح الفصوص ان للحق سبحانه كمالا ذاتيا وكمالا اسمائيا وامتناع استكماله بالغير انما هو في الكمال الذاتي لا الاسمائي فان ظهور اثار الاسماء ممتنع بدون المظاهر الكونية انتهى (قال المولى الجامي) وجود قابل شرط كمال اسما ئيست * وكرنه ذات نباشد بغير مستكمل (وقال ايضا) اي ذات رفيع تونه جوهر نه عرض * فضل وكرمت نيست معلل بغرض * يعني حق سبحانه وتعالى بحسب كمال ذاتي از وجود عالم وعالميان مستغنيست كما قال تعالى والله هو الغني وجون ظهور كمال اسمائي موقوفست بروجود اعيان ممكنات پس ازايجاد كرد * تا خود كردد بجمله اوصاف عيان * واجب باشد كه ممكن ايد بيا ن * ورنه بكمال ذاتي از ادميان * فردست وغني چنانكه خود كرد بيان * والاشاعرة انكروا صحة توجيه تعليل افعال الله تعالى بمعنى وان كان واقعا لفظا تمسكا بان الله تعالى مستغن عن المنافع فلا يكون فعله لمنفعة راجعة اليه ولا الى غيره لانه تعالى قادر على ايصال تلك المنفعة من غير توسط العمل فلا يصلح ان يكون غرضا فعندهم لام التعليل يكون استعارة تبعية تشبيها لعبادة العباد بما يفرض علة لخلقه في الترتب عليه واكثر الفقهاء والمعتزلة قالوا بصحته لمنفعة عائدة الى عباده تمسكا بان الفعل الخالي عن الغرض عبث والعبث من الحكيم محال كما في شرح المشارق لابن الملك رحمه الله قال ابن الشيخ استدلت المعتزلة بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على ان افعال الله معللة بالاغراض وعلى ان مراد الله جائز ان يتخلف عن ارادته اذا كان المراد من الافعال الاختيارية للعباد وجه دلالته عليها هو ان وضع اللام لان تدخل على ما هو غرض من الفعل فتكون العبادة غرضا من خلق الجن والانس والغرض يكون مرادا فينتج ان العبادة غرض من جميع الجن والانس وظهران بعضا منهم لم يعبده فتخلف مراده عن ارادته وهو المطابق والجواب عن الاول انه لما دل الدليل القطعي على انه تعالى لا يفعل فعلا لغرض وجب ان يأول اللام في مثل هذه المواضع بان يقال ان الحكم والمصالح التي تترتب على فعله تعالى وتكون هي غاية له لما كانت بحيث لو صدر ذلك الفعل من غيره تعالى لكانت هي غرضا لفعله شبهت بالغرض الحقيقي فدخلت عليها اللام الدالة على الغرض لاجل ذلك التشبيه واطلق عليها اسم الغرض لذلك حتى قيل الغرض من خلق ما في الارض انتفاع الناس به لقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وهذا الجواب انما يأتي في اللام الداخلة على ما هو غاية مترتبة على الفعل ولا ينفع في قوله تعالى الا ليعبدون لان العبادة لم تكن غاية مترتبة على خلق كثير من الجن والانس حتى يقال انها شبهت بالغرض من حيث كون الفعل مؤديا اليها وكونها مترتبة عليه فاطلق عليها اسم الغرض ودخل عليها لام الغرض لذلك ولكنه لو تم لكان جوابا عن الاستدلال الثاني لانه مبني

على كون مدلول اللام غرضا فى نفس الامر وما كان غرضا على طريق التشبيه لايكون مرادا فلا يلزم من عدم ترتبه على الفعل تخلف المراد عن الارادة فلايتم الاستدلال واشار المصنف الى جوابه بقوله لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مستعدة لها جعل خلقهم مغيا بها وتقريره العبادة ليست غاية مترتبة على خلقهما فضلا عن ان تكون غرضا ومرادا حتى يلزم من عدم ترتبها على خلقهما تخلف المراد عن الارادة وانما دخلت عليها اللام التى حقها ان تدخل على الغرض اوعلى ماشبه به فى كونه مترتبا على الفعل وحاملا عليه فى الجملة تشبيها لها بالغاية المترتبة من حيث ان الجن والانس خلقوا على صورة متوجهة الى العبادة اى صالحة قابلة لها مغلبة اى قادرة عليها متمكنة منها وقد انضم الى خلقهم على تلك الصورة ان هدوا الى العبادة بالدلائل السمعية والعقلية فصاروا بذلك كأنهم خلقوا للعبادة وانما غاية مترتبة على خلقهم فلذلك اطلق عليها اسم الغاية ودخلت عليها لام الغاية مبالغة فى خلقهما على تلك الصورة ولما وجه الآية باخراج اللام عن ظاهر معناها بجعلها للمبالغة فى خلقهم بحيث تتأتى منهم العبادة اشار الى وجه العدول عن الظاهر بقوله ولو حمل على ظاهره لتطرق اليه المنع والابطال وللزم تعارض الآيتين لان من خلق منهم لجهنم لايكون مخلوقا للعبادة انتهى مافى حواشى ابن الشيخ وقال فى بحر العلوم اى وماخلقت هذين الفريقين الا لاجل العبادة وهى قيام العبد بما تعبده به وكلف من امتثال الاوامر والنواهى اوالا لاطلب العبادة منهم وقد طلب من الفريقين العبادة فى كتبه المنزلة على انبيائه وهذا التقدير صحيح لاتقدير الارادة لان الطلب لايستلزم المطلوب بخلاف الارادة كما تقرر فى موضعه فيكون حاصله ماقال بعضهم فى تصوير المعنى الا ليؤمروا بعبادتى كما فى قوله تعالى ومامروا الا ليعبدوا الها واحدا وهذا مستمر على مذهب اهل السنة فلو انهم خلقوا للعبادة ماعصوا طرفة عين لكنهم خلقوا للامر التكليفى الطلبى دون الامر الارادى والالم يتخلف المراد عن الارادة ولما كان لعين العاصى الثابتة فى الحضرة العلمية استعداد التكليف توجه اليها الامر التكليفى ولما لم يكن لتلك العين استعداد الاتيان بالمأمور به لم يتحقق منها المأمور به ولذا تقع المخالفة والمعصية فان قلت مافائدة التكليف والامر بما يعلم عدم وقوعه قلت فائدته تمييز من له استعداد القبول ممن ليس له استعداد ذلك لتظهر السعادة والشقاوة واهلهما وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما وبعضده قراءة من قرأ وماخلقت الجن والانس المؤمنين بدليل ان الصبيان والمجانين مستثنون من عموم الآية بدليل قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال ابن الملك فان قلت كيف تكون العبادة علة للخلق ولم تحصل تلك فى اكثر نفوس قلنا يجوز ان يراد من النفوس نفوس المؤمنين لقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وماخلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وان يراد مطلقها بان يكون المراد بالعبادة قابلية تكليفها كما قال عليه السلام مامن مولود يولد الا على الفطرة واما ان يراد منها المعرفة فلا اشكال لانها حاصلة للكفرة ايضا كما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله انتهى وقال مجاهد واختاره البغوى معناه الا ليعرفون ومداره قوله عليه السلام فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر فى التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا مايحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة كما فى الارشاد وقال بعضهم لم اخلقهم الا لاجل العبادة باختيارهم لينالوا الشرف والكرامة عندى ولم اقسرهم عليها اذ لو قسرتهم عليها لوجدت منهم وانا غنى عنهم وعن عبادتهم والحاصل انهم خلقوا للعبادة تكليفا واختيارا لاجبلة واجبارا فمن وفقه وسدده اقام العبادة التى خلق لها ومن خذله وطرده حرمها وعمل بما خلق له وفى الحديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له كما فى عين المعانى وقال الشيخ نجم الدين دايه فى تأويلاته وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون لان درة معرفتى مودعة فى صدف عبوديتى وان معرفتى تنقسم قسمين معرفة صفة جمالى ومعرفة صفة جلالى ولكل واحد منهما مظهر والعبودية مشتملة على المظهرين بالانقياد لهما والتمرد عنهما فمن انقاد لهما بالتسليم والرضى كما امر به فهو مظهر صفات جمالى ولطفى ومن تمرد عليهما بالاباء والاستكبار فهو مظهر صفات جلالى وقهرى فحقيقة معنى قوله وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون اى خلقت المقبولين منهم ليعبدوا الله فيكونوا مظهر صفات لطفه وخلقت المردودين

منهم ليعبدوا الهوى فيكونوا مظهر صفات قهره هذا المعنى الذى اردت من خلقهم انتهى والحكمة لاتقتضى اتفاق الكل على التوحيد والعبادة والاخلاص والاقبال الكلى على الله فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا ولابد من الغضب لتكميل مرتبة قبضة الشمال فانه وان كان كلتا يديه يمينا مباركة لكن حكم كل واحدة يخالف الاخرى فالارض جميعا قبضته والسموات مطويات بيمينه فاقتضت الحكمة الالهية ظهور ما اضيف اليه كل من اليدين فللواحدة المضاف اليها عموم السعداء الرحمة والجنان والاخرى القهر والغضب ولوازمهما وقد وجد كلا المقتضيين والمقصود الاصلى وجود الانسان الكامل الذى هو مرآت جماله تعالى وكماله وقد وجد والسواد الاعظم هو الواحد على الحق وقال الواحدى مذهب اهل المعانى فى الآية الا ليخضعوا لى ويتذللوا ومعنى العبادة فى اللغة الذل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله تعالى مذال لمشيئته خلقه على ما اراد ورزقه كما قضى لا يملك احد لنفسه خروجا مما خلق عليه وقال ابن عباس رضى الله عنهما الا ليقروا بالعبودية طوعا او كرها يعنى ان المؤمنين يقرون له طوعا والكافرون يقرون له بما جبلهم عليه من الخلقة الدالة على وحدانية الله وانفراده بالخلق واستحقاق العبادة دون غيره فالخلق كلهم بهذا له عابدون وعلى هذا قوله تعالى وله ما فى السموات والارض كل له قانتون على معنى ما يوجد منهم من دلائل الحدوث الموجبة لكونها مربوبة مخلوقة مسخرة كما فى التيسير فهذه جملة الاقوال فى هذا الباب وفى خلقهم للعبادة بطريق الحصر اشارة الى ان الربوبية لله تعالى كما ان العبودية للمخلوقين وهى اخص اوصافهم حتى قالوا انها افضل من الرسالة ولذا قال تعالى اسرى بعبده لا برسوله وقدم العبد فى اشهد ان محمدا عبده ورسوله فمن ادعى الربوبية من المخلوق فليحذر من تهديد الآية وجميع الكمالات لله تعالى وان ظهرت من العبد فالعبد مظهر فقط والظاهر هو الله وكماله والعبادات عشرة اقسام الصلاة والزكاة والصوم والحج وقراءة القرآن وذكر الله فى كل حال وطلب الحلال والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة والتاسع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والعاشر اتباع السنة وهو مفتاح السعادة وامارة محبة الله كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (قال المولى الجامى) يانبى الله السلام عليك * انما الفوز والفلاح لديك * كر نرفتم طريق سنت تو * هست ازعاصيان امت تو * مانده ام زير بار عصيان پست * افتم ازپاى اكر نكيرى دست * فينبغى للعبد ان يعبد ربه ويتذلل لخالقه باى وجه كان من الفرائض والواجبات والسنن والمستحبات على الوجه الذى امره ان يقوم فيه فاذا كملت فرائضه وكمالها فرض عليه فليتفرغ فيما بين الفرضين لنوافل الخيرات كانت ما كانت ولا يحقر شيأ من عمله فان الله ما احتقره حين خلقه واوجبه فان الله ما كلفك بامر الا وله بذلك الامر اعتناء وعناية حتى كلفك به واذا واظب على ادآء الفرائض فانه يتقرب الى الله باحب الامور المقربة اليه وورد فى الخبر الصحيح عن الله تعالى ما تقرب الى عبد بشئ احب الى مما افترضته وما يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احببته فاذا احببته كنت سمعه الذى به يسمع وبصره الذى به يبصر ويده التى بها يبطش ورجله التى بها يمشى ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شئ انا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته فالقرب الاول هو قرب الفرائض والقرب الثانى هو قرب النوافل فانظر الى ما تتجه محبة الله من كون الحق تعالى قوى العبد من السمع والبصر واليد والرجل فواظب على ادآء ما يصح به وجود هذه المحبة الالهية من الفرائض والنوافل ولا يصح نفل الا بعد تكملة الفرائض وفى النفل عينه فروض ونوافل فيما فيه من الفرائض تكمل الفرائض ورد فى الخبر الصحيح انه تعالى يقول انظروا فى صلاة عبدى اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شئ قال انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان له تطوع قال الله تعالى اكملوا لعبدى فريضته من تطوعه ثم يؤخذ الاعمال على ذا كم وليست النوافل الا ما لها اصل فى الفرائض وما لا اصل له فى فرض فذلك انشاء عبادة مستقلة يسميها علماء الظاهر بدعة قال الله تعالى ورهبانية ابتدعوها وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة حسنة والذى سنها له اجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من اجورهم شئ ولما لم يكن فى قوة النفل ان يسد مسد الفرض جعل فى نفس النفل فروض ليجبر الفرائض بالفرائض كصلاة النفل بحسب حكم الاصل ثم انها تشتمل على فرائض من ذكر

وركوع وسجود مع كونها فى الاصل نافلة وهذه الاقوال والافعال فرائض فيها ثم اعلم ان امرنا بالاقتداء بالنبى سنة حسنة فانا نا اجرها واجر من عمل بها واذا تركنا تسنينها اتباعا لكون رسول الله عليه السلام لم يسنها فان اجرك فى اتباعك له فى ترك التسنين اعظم من اجرك فى التسنين فان النبى عليه السلام كان يكره كثرة التكليف على امته ومن سن فقد كلف وكان النبى عليه السلام اولى بذلك ولكن تركه تخفيفا فلهذا قلنا الاتباع فى الترك اولى واعظم اجرا من التسنين فاجعل حالك كما ذكرنا لك ولقد روى عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله انه ما اكل البطيخ فقيل له فى ذلك فقال ما بلغنى كيف كان رسول الله عليه السلام يأكله فلما لم تبلغ اليه الكيفية فى ذلك تركه وبمثل هذا يقدم علماء هذه الامة على علماء سائر الامم فهذا الامام علم وتحقق قوله تعالى عن نبيه عليه السلام فاتبعونى يحببكم الله وقوله لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة والاشتغال بما سن من فعل وقول وحال اكثر من ان نحيط به ونحصيه فكيف ان نتفرغ لتسن فلا تكلف الامة اكثر مما ورد (ما اريد منهم) اى من الجن والانس فى وقت من الاوقات (من رزق) لى ولا لانفسهم ولا لغيرهم يحصلونه بكسبهم (وما اريد ان يطعمون) ولا انفسهم ولا لغيرهم واصله ان يطعمونى بياء المتكلم وهو بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كسائر السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم فان منهم من يحتاج الى كسب عبده فى نيل الرزق ومنهم من يكون له مال وافر يستغنى به عن حمل عبده على الاكتساب لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه من طبخ الطعام واصلاحه واحضاره بين يديه وهو تعالى مستغن عن جميع ذلك ونفع العباد وغيره انما يعود عليهم والمعنى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل رزقى ولا رزقهم ولا فى تهيئة بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى وفى الآية تعريض باصنامهم فانهم كانوا يحضرون لها المأكل فربما اكلتها الكلاب ثم بالت على الاصنام ثم لا يصدهم ذلك وهذه الآية دليل على ان الرزق اعم من الاكل كما فى تفسير المناسبات وقال بعضهم معنى ان يطعمون ان يطعموا احدا من خلقى وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه كما جاء فى الحديث يقول الله استطعمتك فلم تطعمنى اى لم تطعم عبدى وذلك ان الاستطعام وسؤال الرزق يستحيل فى وصف الله (ان الله هو الرزاق) تعليل لعدم ارادة الرزق منهم وهو من قصر الصفة على الموصوف اى لا رازق الا الله الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غنى عنه (ذو القوة) على جميع ما خلق تعليل لعدم ارادته منهم ان يعملوا ويسعوا فى اطعامه لان من يستعين بغيره فى اموره يكون عاجزا لا قوة له (المتين) الشديد القوة لان القوة تمام القدرة والمتانة شدتها وهو بالرفع على انه نعت للرزاق اولذوا وخبر بعد خبر وفى التأويلات النجمية ان الله هو الرزاق لجميع الخلائق ذو القوة المتين فى خلق الارزاق والمرزوقين وفى المفردات القوة تستعمل تارة فى معنى القدرة وتارة للتهيؤ الموجود فى الشئ وتارة فى البدن وفى القلب وفى المعاون من خارج وفى القدرة الالهية وقوله ذو القوة المتين عام فيما اختص الله به من القدرة وما جعله للخلق انتهى يقول الفقير قد سبق ان القوة فى الاصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف والله تعالى منزه عن ذلك فهى فى حقه تعالى بمعنى القدرة التامة ويجوز ان يعتبر قوى مظاهر اسمائه وصفاته اياما كانت والمتان مكتنفا الصلب وبه شبه المتن من الارض ومتنته ضربت متنه ومتن قوى متنه فصار متينا ومنه قيل حبل متين ودر ترجمهٔ رشف در معنى قوى ومتين اورده كه قدرت قاهره اش دليل قوت بالغه كشته وشدت قوتش حجت متانت قدرت شده نه در كار سازى متانتش رافتورى ونه در روزى وبنده نوازى قدرتش راقصورى * رساند رزق بروجهى كه شايد * بسازد كارها نوعى كه بايد * بروزى بى نوايان نوازد * برحمت بى كسانرا كار سازد * قال بعضهم رزاق الله بالتفاوت رزق بعضهم الايمان وبعضهم الايقان وبعضهم العرفان وبعضهم البيان وبعضهم العيان فهؤلاء اهل اللطف والسعادة وبعضهم الخذلان وبعضهم الحرمان وبعضهم الطغيان وبعضهم الكفران فهؤلاء اهل القهر والشقاوة وقال بعضهم اعتبروا باللبيب الطالب الارزاق وحرمانه وبالطفل العاجز وتواتر الارزاق عليه لتعلموا ان الرزق طالب وليس بمطلوب قال الامام الغزالى رحمه الله فى شرح الاسماء الرزاق هو الذى خلق الارزاق والمرزقة واوصلها اليهم وخلق لهم اسباب التمتع بها والرزق رزقان ظاهر وهى الاقوات والاطعمة وذلك للظاهر وهى الابدان وباطن

وهى المعارف والمكاشفات وذلك للقلوب والاسرار وهذا اشرف الرزقين فان ثمرتها حياة الابد وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد الى مدة قريبة الامد والله تعالى هو المتولى لخلق الرزقين والمتفضل بالايصال الى كلا الفريقين ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وغاية حظ العبد من هذا الوصف امران * احدهما ان يعرف حقيقة هذا الوصف وانه لا يستحقه الا الله تعالى فلا ينتظر الرزق الا منه ولا يتوكل فيه الا عليه كما روى عن حاتم الاصم انه قال له رجل من اين تأكل فقال من خزائنه فقال الرجل يأتى عليك الخبز من السماء فقال لو لم تكن الارض له لكان يلقيه من السماء فقال الرجل انتم تقولون الكلام فقال لم ينزل من السماء الا الكلام فقال الرجل انا الاقوى لمجادلتك فقال لان الباطل لا يقوم مع الحق * والثانى ان يرزقه علما هاديا ولسانا مرشدا ويدا منفقة متصدقة ويكون سببا لوصول الارزاق الشريفة الى القلوب باقواله واعماله واذا احب الله تعالى عبدا اكثر حوائج الخلق اليه وجعلها كان واسطة بين الله وبين العباد فى وصول الارزاق اليهم فقد نال حظا من هذه الصفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخازن الامين الذى يعطى ما امر به طيبة به نفسه احد المتصدقين واحد العباد خزائن الله فمن جعلت يده خزانة ارزاق الابدان واسبابه خزانة ارزاق القلوب فقد اكرم بشوب من هذه الصفة انتهى كلام الغزالى فعبد الرزاق هو الذى وسع الله رزقه فيؤثر به على عباده ويبسط على من يشاء الله ان يبسط له لان الله جعل فى قدمه السعة والبركة فلا يأتى الاحيث يبارك فيه ويفيض الخير وخاصية هذا الاسم لسعة الرزق ان يقرأ قبل صلاة الفجر فى كل ناحية من نواحى البيت عشرا يبدأ باليمين من ناحية القبلة ويستقبلها فى كل ناحية ان امكن وفى الاربعين الادبسية سبحانك يارب كل شئ ووارثه ورازقه قال السهروردى المداوم عليه تقضى حاجته من الملوك وولاة الامر فاذا اراد ذلك وقف مقابلة المطلوب وقرأه سبع عشرة مرة ومن تلاه عشرين يوما على الريق رزق ذهنا يفهم به الغوامض وقال الغزالى فى شرح الاسمين القوى المتين القوة تدل على القدرة التامة والمتانة تدل على شدة القوة والله تعالى من حيث انه بالغ القدرة تامها قوى ومن حيث انه شديد القوة متين وذلك يرجع الى معنى القدرة انتهى وعبد القوى هو الذى يقوى بقوة الله على قهر الشيطان وجنوده التى هى قوى نفسه من الغضب والشهوة والهوى ثم على قهر اعدائه من شياطين الانس والجن فلا يقاويه شئ من خلق الله الا قهره ولا يناويه احد الا غلبه وعبد المتين هو القوى فى دينه الذى لم يتأثر ممن اراد اغواءه ولم يلن لمن ازله عن الحق بشدته لكونه امتن كل متين فعبد القوى هو المؤثر فى كل شئ وعبد المتين هو الذى لم يتأثر من شئ وقال ابو العباس الزروق القوى هو الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز فى نقص ولا ابرام وقال بعض المشايخ القوى من القوة وهى وسط ما بين حال باطن الحول وظاهر القدرة لان اول ما يوجد فى الباطن من منة العمل يسمى حولا ثم يحس به فى الاعضاء مثلا يسمى قوة وظهور العمل بصورة البطش والتناول يسمى قدرة ولذلك كان فى كلمة لا حول ولا قوة الا بالله وهو تمثيل للتقريب الى الفهم والا فالله تعالى منزه عن صفات المخلوقين ومن عرف انه القوى رجع بحوله وقوته فى كل شئ الى حوله وقوته والتقريب بهذا الاسم تعلقا من حيث اسقاط التدبير وترك منازعة المقادير ونفى الدعوى ورؤية المنة له تعالى ونفى خوف الخلق وهموم الدنيا وتخلقا ان يكون قويا فى ذات الله حتى لا يخاف فيه لومة لائم ولا يضعف عن امره بحال وخاصية هذا الاسم ظهور القوة فى الوجود فمتلاه ذو همة ضعيفة الا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف الا كان له ذلك ولو ذكره مظلوم بقصد اهلاك الظالم الف مرة كان له ذلك وكفى امره والمتين هو الذى له كمال القوة بحيث لا يعارض ولا يشارك ولا يدانى ولا يقبل الضعف فى قوته ولا يمانع فى امره بل هو الغالب الذى لا يغالب ولا يغلب ولا يحتاج فى قوته لمادة ولا سبب ومن عرف عظمة قوته وعتاتها لم يخف من شئ ولم يقف بهمته على شئ دونه استنادا اليه واعتمادا عليه وخاصية هذا الاسم ظهور القوة لذاكره مع اسمه القوى واواظ ذكره على شابة فاجرة عشر مرات وكذلك الشاب لتابا (فان للذين ظلموا) اى ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم اووضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة (ذنوبا) اى نصيبا وافرا من العذاب (مثل ذنوب اصحابهم) مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء قال * لنا ذنوب ولكم ذنوب * فان ابيتم فلنا القليب * قال فى المفردات

الذنوب الدلو الذى ذنب واستعير للنصيب كما استعير السجل وهو الدلو العظيم وفى القاموس الذنوب الفرس الوافر الذنب ومن الايام الطويل الشر والدلو او فيها ماء او الملأى او دون الملأى والحظ والنصيب والجمع اذنبة وذنائب وذناب انتهى (فلا يستعجلون) اصله يستعجلونى بياء المتكلم اى لا يطلبوا منى ان اعجل فى المجيء لان له اجلا معلوما فهو نازل بهم فى وقته المحتوم يقال استعجله اى حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى آتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وكان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب فامهل الى بدر ثم قتل فى ذلك اليوم وصار الى النار فعذب اولا بالقتل ثم بالنار (فويل للذين كفروا) پس واى مر آنا راكه كافر شد ندو الويل اشد من العذاب والشقاء والهم ويقال وادفى جهنم وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك (من يومهم الذى يوعدون) من للتعليل اى بوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب لما فى صدر السورة الآية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوى واياما كان فالعذاب آت وكل آت قريب كما قالوا كرچه قيامت ديرآيد دولى مى آيد عمر اكرچه دراز بود چون مرك روى نمود ازان درازى چه سود نوح هزار سال در جهان بسر برده است امروز چند هزار سالست كه مرده است فعلى العاقل ان يتعجل فى التوبة والانابة حتى لا يلقى الله عاصيا ولا يتعجل فى الموت فانه آت البتة وفى الحديث لا يتمنين احدكم الموت ولا يدع به من قبل ان يأتيه انه اذا مات احدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا اى فانه ان كان محسنا فلعله ان يزداد خيرا وان كان مسيئا فلعل الله يرزقه الانابة * اى كه بنجاه رفت ودر خوابى مكر اين پنج روز دريابى * وفى التاويلات النجمية فان للذين ظلموا من اهل القلوب على قلوبهم بان جعلوها ملوثة بحب الدنيا بعد ان كانت معدن محبة الله ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم من ارباب النفوس بجميع صفاتها يعنى ان فساد القلب بمحبه الدنيا يوازى فساد النفس بجميع صفاتها لان القلب اذا صلح صلح به سائر الجسد واذا فسد فسد به سائر الجسد فلا تستعجلون فى افساد القلب فويل للذين كفروا بنعمة ربهم فى افساد القلب من يومهم الذى يوعدون بافساد سائر صفات الجسد ومن الله العصمة والحفظ

تمت سورة الذاريات بعون خالق البريات فى اواخر جمادى الآخرة من سنة اربع عشرة ومائة والف

* (سورة الطور مكية وآيها تسع واربعون) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) الواو للقسم والطور بالسريانية الجبل وقال بعضهم هو عربى فصيح ولذا لم يذكره الجواليقى فى المعربات وقال ابن عباس رضى الله عنهما الطور كل جبل ينبت قال

لو مر بالطور بعض ناعقة * ما انبت الطور فوقه ورقه

كويند مراد اينجا مطلق كوهست كه اوتادا رض اند وفيه منابع ومنافع وقيل بل هو جبل محيط بالارض والاظهر الاشهر انه اسم جبل مخصوص هو طور سينين يعنى الجبل المبارك وهو جبل بمدين واسمه زبير سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ولذا اقسم الله تعالى به لانه محل قدم الاحباب وقت سماع الخطاب وورد على محل القدم كثير من الاولياء فظهر عليهم الحال تلك الساعة وقال فى خريدة العجائب جبل طور سينا هو بين الشام ومدين قيل انه بالقرب من ايلة وهو الكلم عليه موسى عليه السلام كان اذا جاءه موسى للمناجاة ينزل عليه غمام فيدخل فى الغمام ويكلم ذا الجلال والاكرام وهو الجبل الذى دك عند التجلى وهناك خر موسى صعقا وهذا الجبل اذا كسرت حجارته يخرج من وسطها شجر العوسج على الدوام وتعظيم اليهود لشجر العوسج لهذا المعنى ويقال لشجرة العوسج شجرة اليهود انتهى كلام الخريدة والعوسج جمع عوسجة وهى شوك كما فى القاموس

(وكتاب مسطور) مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى وهو الانسب بالطور او ما يكتب فى اللوح وآخر سطر فى اللوح المحفوظ سبقت رحمتى على غضبى من اتانى بشهادة ان لا اله الا الله ادخلته الجنة او ما يكتبه الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله نظيره قوله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (فى رق منشور) الرق الجلد الذى يكتب فيه

شبه كاغذ استعير لما يكتب فيه الكتابة من الصحيفة وسمى رقا لانه مرقق وقد غلب الاستعمال على هذا الذى هو من جلود الحيوان كما فى فتح الرحمن وقال فى قاموس الرق وبكسر جلد رقيق يكتب فيه وضد الغليظ كالرقيق والصحيفة البيضاء انتهى والمنشور المبسوط وهو خلاف المطوى قال الراغب نشر الثوب والصحيفة والسحاب والنعمة والحديث بسطها وقيل منشور مفتوح لا ختم عليه وتنكيرهما للتفخيم اوالاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والمعنى بالفارسية وسوكند بكتاب نوشته در صحيفه كه كشاده كرده شود خواندن وعلى تقدير ان يكون ما يكتب فى اللوح يكون الرق المنشور مجازا لان اللوح خلقه الله من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق الله بكل نظرة ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء (والبيت المعمور) اى الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين اوالضراح يعنى اسم البيت المعمور الضراح قال السهيلى رحمه الله وهو فى السماء السابعة واسمها عروبا قال وهب بن منبه من قال سبحان الله وبحمده كان له نور يملأ ما بين عروباوحريباوحريباهى الارض السابعة انتهى وهو حيال الكعبة وعمر انه كثرة غاشيته من الملائكة يزوره كل يوم سبعون الف ملك بالطواف والصلاة ولا يعودون اليه ابدا وحرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وهو عدد خواطر الانسان فى اليوم والليلة ومنه قيل ان القلب مخلوق من البيت المعمور وقيل باطن الانسان كالبيت المعمور والانفاس كالملائكة دخولا وخروجا وفى اخبار المعراج رأيت فى السماء السابعة البيت المعمور واذا امامه بحر واذا بؤمر الملائكة فيخوضون فى البحر ويخرجون فينفضون اجنحتهم فيخلق الله من كل قطرة ملكا يطوف فدخلته وصليت فيه وسمى بالضراح بضم الضاد المعجمة لانه ضرح اى رفع وابعد حيث كان فى السماء السابعة والضرح هو الابعاد والتنحية يقال ضرحه اى نحاه ورماه فى ناحية واضرحه عنك اى ابعده والضريح البعيد وقيل كان بيتا من ياقوتة انزله الله موضع الكعبة فطاف به آدم وذريته الى زمان الطوفان فرفع الى السماء وكان طوله كما بين السماء والارض وذهب بعضهم الى انه فى السماء الرابعة ولا منافاة فقد ثبت ان فى كل سماء بحيال الكعبة فى الارض بيتا * يقول الفقير والذى يصح عندى من طريق الكاشف ان البيت المعمور فى نهاية السماء السابعة فانه اشارة الى مقام القلب فكما ان القلب بمنزلة الاعراف فانه برزخ بين الروح والجسد كما ان الاعراف برزخ بين الجنة والنار فكذا البيت المعمور فانه برزخ بين العالم الطبيعى الذى هو الكرسى والعرش وبين العالم العنصرى الذى هو السموات السبع وما دونها وهذا لا ينافى ان يكون فى كل سماء بيت على حدة هو على صورة البيت المعمور كما انه لا ينافى كون الكعبة فى مكة ان يكون فى كل بلدة من بلاد الاسلام مسجد على حدة على صورتها فكما ان الكعبة ام المساجد وجميع المساجد صورها وتفاصيلها فكذا البيت المعمور اصل البيوت التى فى السموات فهو الاصل فى الطواف والزيارة ولذا راى النبى عليه السلام ليلة المعراج ابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور الذى هو بازاء الكعبة واليه تحج الملائكة وقال بعضهم المراد بالبيت المعمور قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص فان كل قلب ليس فيه ذلك فهو خراب ميت فكانه لا قلب (والسقف المرفوع) يعنى السماء المرفوع عن الارض مقدار خمسمائة عام قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا (قال الكاشفى) يعنى آسمان كه مجمع انوار حكمت ومخزن اسرار فطرت ست وياعرش عظيم وذلك لان العرش سقف الجنة وهو محيط بعالم الاجسام كما ان سقف البيت محيط بالجدران ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور من حيث اجتماع السقف مع البيت ومن حيث ان العرش على التقدير الثانى والبيت المعمور متقاربان تقارب السقف بالبيت (والبحر المسجور) اى المملوء وهو البحر المحيط الاعظم الذى منه مادة جميع البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه الا الله تعالى والبحار التى على وجه الارض خلجان منه وفى هذا البحر عرش ابليس لعنه الله وفيه مدائن تطفوا على وجه الماء وهى آهلة من الجن فى مقابلة الربع الخراب من الارض وفيه قصور تظهر على وجه الماء طافية ثم تغيب وتظهر فيه الصور العجيبة والاشكال الغريبة ثم تغيب فى الماء وفى هذا البحر ينبت شجر المرجان كسائر الاشجار فى الارض وفيه من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمه الا الله تعالى قال فى القاموس سجر التنور احماه والنهر ملاه والمسجور الموقد والساكن ضد والبحر الذى ماؤه اكثر منه انتهى وقال بعض المفسرين والبحر المسجور

اى الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت والمراد به الجنس وعدد البحار العظيمة سبعة كما ان عدد الانهار العظيمة كذلك وكل ماء كثير بحر (روى) ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم وفى الحديث (لا يركبن رجل بحرا الا غازيا او معتمرا او حاجا) فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا والبحر نار وهذا على ان يكون البحر بحر الدنيا وبحر الارض وقال على وعكرمة رضى الله عنهما هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان وهو بحر مكفوف اى عن السيلان يمطر منه على الموتى ماء كالمنى بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون فى قبورهم وحمله بعض المشايخ على صورة احياء الله تعالى يعنى كانه ينبت النبات بماء المطر فيظهر من الارض فكذا الموتى يخلقهم الله خلقا جديدا فيظهرون من الارض كالنبات ولكن هذا لا ينافى ان يكون هناك ماء صورى فان الانسان من المنى خلق وبصورة ماء كالمنى سينبت ولله فى كل شئ حكمة بديعة وقيل هو بحر سماء الدنيا وهو الموج المكفوف لولاه لاحرقت الشمس الدنيا وزد اربا ب تحقيق مراد طور نفس است كه موسى القلب بران باحق سبحانه مناجاة ميكند وكتاب مسطورا يمانست كه در رق منشور قلب بقلم رحمت ازلى نوشته شده كه كتب فى قلوبهم الايمان وبيت سرعارفانست كه بنظرات تجليات سبحانى آبادانى يافته وسقف مرفوع روح رفيع القدر والدرجات الى الحضرة است كه سقف خانهٔ دلست وبحر مسجور دلى است بآتش محبت تافته وقال عبد العزيز المكى قدس سره اقسم الله بالطور وهو الجبل وهو النبى صلى الله عليه وسلم كان فى امته كالجبال فى الارض استقرت به الامة على دينهم الى يوم القيامة كما تستقر الارض بالجبال واقسم بالكتاب المسطور وهو الكتاب المنزل عليه المسطور فى اللوح المحفوظ فى رق منشور هو المصاحف واقسم بالبيت المعمور وهو النبى عليه السلام كان والله بيتا بالكرامة معمورا وعند الله مسرورا مشكورا واقسم بالسقف المرفوع وهو رأس النبى عليه السلام كان والله سقفا مرفوعا وفى الدارين مشهورا وعلى المنابر مذكورا واقسم بالبحر المسجور وهو قلب محمد عليه السلام كان والله من حب الله مملوا فاقسم بنفس محمد عما وبرأسه خصوصا وبقلبه ضياء ونورا وبكتابه حجة وعلى المصاحف مسطورا فاقسم الحبيب بالحبيب فلا ورآه قسم وقال شيخى وسندى روح الله روحه فى كتاب اللائحات البرقيات له والطور اى طور الهوية الذاتية الاحدية الفردية المجردة عن الكل والحقيقة الجمعية الصمدية المطلقة عن الجميع وكتاب اى كتاب الوجود مسطور فيه حروف الشؤون الذاتية الكمالية الوجودية والامكانية وكلمات الاعيان العلمية الجلالية والجمالية الوجوبية والامكانية وآيات الارواح والعقول المجردة القهرية واللطفية وسور الحقايق والصور المثالية الحية المقربة والمبعدة فى رق اى رق النفس الرحمانى والامر الربانى منشور على ماهيات الممكنات وحقائق الكائنات ومبسوط على اعيان المجردات وصور المثلات بالفيض الاقدس والتجلى الذاتى اولا الحاصل به كليات التعينات والظهورات وبالفيض المقدس والتجلى الصفاتى والافعالى ثانيا المتحقق به جزئيات التشخصات والتميزات والقرآن والفرقان اللفظى الرسمى بجميع حروفه وكلماته وآياته وسوره ان هو الا ذكر وقرآن مبين وهذا مكتوب بيد المخلوق ومسطور بخطه وذلك مكتوب بيد الخالق ومسطور بخطه فلذا كان واجب التعظيم ولازم التكريم بحيث لا يمسه الا المطهرون من الحدث مطلقا فيا شقاوة من عقل الكتاب الالهى الرسمى واقبل عليه بالتعظيم والتوقير وغفل عن الكتاب الالهى الحقيقى واهمله عن التعظيم والتوقير بل اقدم عليه بالاهانة والتحقير ويا سعادة من عقلهما ولم يغفل عن واحد منهما ولم يهمل شأنهما بل اقبل على كل منهما بالتعظيم والتكريم انقيادا للشريعة فى تكريم القرآن والفرقان اللفظى واذعانا للحقيقة فى تحريم القرآن والفرقان الوجودى اداء لحق كل مرتبة وقضاء لدين كل منزلة قائما فى كل مقام بالعدل والانصاف مجانبا فى كل حال عن الجور والاعتساف * يقول الفقير فى ذلك الكتاب تفصيل عريض آخر لكل من الكتابين الحقيقى والمجازى واقتصرت هنا على شئ يسير مما ذكره لمناسبة المقام والمسئول من الله الجامع الانتفاع بعلمه النافع (ان عذاب ربك لواقع) اى لنازل حتما وهو جواب للقسم قال فى فتح الرحمن المراد عذاب الآخرة للكفار لا العذاب الدنيوى واليه الاشارة فى الارشاد فى آخر السورة المتقدمة (ماله من دافع) يدفعه وهو كقوله تعالى لا مرد له من الله وبالفارسية نيست مر ان عذاب را هيچ دفع كننده بلكه بهمه حال واقع خواهد بود وهو خبر ثان لان قال بعضهم الفرق بين الدفع والرفع ان الدفع بالدال يستعمل قبل الوقوع والرفع

بالرآء يستعمل بعد الوقوع وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها من امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التى من جملتها الجملة المقسم عليها وقال جبير بن مطعم قدمت المدينة لأكلم رسول الله عليه السلام فى اسارى بدر فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور وصوته يخرج من المسجد فلما بلغ الى قوله ان عذاب ربك لواقع فكانما صدع قلبى حين سمعته فكان اول ما دخل فى قلبى الاسلام فاسلمت خوفا من ان ينزل العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مقامى حتى يقع بى العذاب ومثل هذا التأثير وقع لعمر رضى الله عنه حين بلغ دار الارقم فسمع النبى عليه السلام يقرا سورة طه فلان قلبه واسلم فالقلوب المتهيئة للقبول تتأثر بادنى شئ خصوصا اذا كان الواعظ هو القرآن العظيم او التالى هو الرسول الكريم اووارثه المستقيم واما القلوب القاسية فلا ينجع فيها الوعظ كما لم ينجع فى قلب ابى جهل ونحوه (قال الشيخ سعدى) آهنى را كه مور بانه بخورد * نتوان برداز وبصيقل ژنك * باسيه دل چه سود كفتن وعظ * نرود ميخ آهنين در سنك * وفى التأويلات النجمية العذاب لاهل العذاب واقع بالفعل لان اشد العذاب ذل الحجاب وكان من دعاء السرى السقطى قدس سره اللهم مهما عذبتنى فلا تعذبنى بذل الحجاب والحجاب واقع فان اعظم الحجاب حجاب النفس ماله من دافع من قبل العبد بل دافع حجاب النفس هو رحمة الله تعالى كما قال تعالى الا ما رحم ربى عبد الله الغازى مردى بود ازنواحى اشبيليه در بلاد غرب دربعضى اوقات تشويش و پراكندكى بخلق راه يافته بودزنى نزدوى آمد وكفت البته مرا باشبيليه رسان وازدست اين قوم خلاص كن اوزن رابركردن كرفت وبيرون آمد واواز شطار بود وقوتى عظيم داشت چون بجاى خلوت رسيد واين زن بغايت جميله بود شيطان اورا بمجامعت با آن زن وسوسه داد ونفس تقاضا كرفت فكان حال المرأة حينئذ نظير الحكاية التى قال الشيخ سعدى فيها * شنيدم كوسفندى رابزركى * رهانيد اردهان ودست كركى * شبانكه كارد برحلقش بماليد * روان كوسفند ازوى بناليد * كه ارچنكال كركم دربودى * چوديدم عاقبت كركم توبودى * عبد الله باخود كفت اى نفس اين بدست من امانت است وخيانت كردن روانمى دارم ونفس البته بعصيان حرص مى نمود واوترسيد كه نفس غالب شود وكارى ناشايست دروجود آيد آلت مردئ خودرا در ميان دوسنك بكوفت كفت النار ولا العار سبب رجوع او بطريق حق اين بود ودر همان وقت روى بحج نهاد ودرعهد خود يكانه روزكار بود فقد رحمه الله تعالى رحمة خاصة حيث نجاه من يد النفس الامارة ولووكله الى نفسه لصدر عنه ذلك القبيح وكان سببا لوقوعه فى العذاب فى الدنيا والاخرة اما فى الآخرة فظاهر واما فى الدنيا فلان التلبس بسبب الشئ تلبس به وكل فعل قبيح ووصف ذميم فهو عذاب حكمى ونار معنوية والعذاب الصورى اثر ذلك فليس من خارج عن الانسان (يوم تمور السماء مورا) ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته لا لدافع لانه يوهم ان احدا يدفع عذابه فى غير ذلك اليوم والغرض ان عذاب الله لا يدفع فى كل وقت والمور الاضطراب والتردد فى المجئ والذهاب والجريان السريع اى تضطرب وتجئ وتذهب وبالفارسية دراضطراب ايدانكاه بشكافد قيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفأ السفينة وقيل يختلج اجزاؤها بعضها فى بعض ويموج اهلها بعضهم فى بعض ويختلطون وهم الملائكة وذلك من الخوف (وتسير الجبال سيرا) اى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وقال بعضهم تسير الجبال كما تسير السحاب ثم تتشقق اثناء السير حتى تصير آخره كالعهن المنفوش لهول ذلك اليوم ومثله وجود السالك عند تجلى الجلال بالفناء فانه لا يبقى منها ثر وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما (فويل يومئذ للمكذبين) الفاء فصيحة والجملة جواب شرط محذوف اى اذا وقع ذلك المور والسير اواذا كان الامر كما ذكر فويل وشدة عذاب يوم اذ يقع لهم ذلك وهو لا ينافى تعذيب غير المكذبين من اهل الكبائر لان الويل الذى هو العذاب الشديد انما هو للمكذبين بالله ورسوله وبيوم الدين لا لعصاة المؤمنين (الذين هم فى خوض) اى اندفاع عجيب فى الاباطيل والاكاذيب وبالفارسيه درشروع كردن باقوال باطله كه استهزا بقرآنست وتكذيب نبى عليه السلام وانكار بعث قال فى فتح الرحمن الخوض التخبط فى الاباطيل شبه بخوض الماء وغوصه وفى حواشى الكشاف الخوض من المعانى الغالبة

فانه يصلح فى الخوض فى كل شئ الا انه غلب فى الخوض فى الباطل كالاحضار لانه عام فى كل شئ ثم غلب استعماله فى الاحضار للعذاب قال لكنت من المحضرين وقوله الذين هم فى خوض ليس صفة قصد بها تخصيص المكذبين وتمييزهم وانما هو للذم كقولك الشيطان الرجيم (يلعبون) يلهون ويتشاغلون بكفرهم (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) الدع الدفع الشديد واصله ان يقال للعاثر دع اى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار دفعا على وجوههم وفى اقفيتهم حتى يردوها ويوم امابدل من يوم تمور اوظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار) اى يقال لهم من قبل حرنة النار هذه النار (التى كنتم) فى الدنيا وقوله (بها) متعلق بقوله (تكذبون) اى تكذبون الوحى الناطق بها (أفسحر هذا) توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا المصداق اى النار سحر ايضا وبالفارسية آيا سحر ست اين كه مى بينيد فالفاء سببية لاعاطفة لئلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار فهذا الاستفهام لم يتسبب عن قولهم للوحى هذا سحر والمصداق مايصدق الشئ واحوال الآخرة ومشاهدتها تصدق اقوال الانبياء فى الاخبار عنها يعنى ان الذى ترونه من عذاب النار حق (ام انتم لاتبصرون) اى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر اوام سدت ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون (اصلوها) اى ادخلوها وقاسوا حرها وشدائدها (فاصبروا اولا تصبروا) فافعلوا ماشئتم من الصبر وعدمه فانه لاخلاص لكم منها وهذا على جهة قطع رجائهم (سواء عليكم) خبر مبتدأ محذوف دل عليه اصبروا اولا تصبروا وسواء وان كان بمعنى مستو لكنه فى الاصل مصدر بمعنى الاستواء والمعنى سواء عليكم الامران اجزعتم ام صبرتم فى عدم النفع لابدفع العذاب ولابتخفيفه اذلابد ان يكون الصبر حين ينفع وذلك فى الدنيا لاغير فمن صبرهنا على الطاعات لم يجزع هناك اذ الصبر وان كان مرا بصلا لكن آخره حلو عسل (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فان الجزاء على كفرهم وانما لهم القبيحة حيث كان واجب الوقوع حتما بحسب الوعيد لامتناع الكذب على الله كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع وفى التأويلات النجمية انما تجزون ماكنتم تعملون فى الدنيا من الخير والشر لا الذى تعملون فى الآخرة من الصبر والخضوع والخشوع والتضرع والدعاء فانه لاينفع شئ منها والحاصل ان يقال اخسأوا فيها ولاتكلمون انتهى ثم النار نار ان النار الصورية لاهل الشرك الجلى ومن لحق بهم من العصاة والنار المعنوية لاهل الشرك الخفى ومن اتصل بهم من اهل الحجاب فويل لكل من الطائفتين يوم يظفر الطالب بالمطلوب ويصل المحب الى المحبوب من عذاب جهنم وعذاب البعد والقطيعة والحرمان من السعادة العظمى والرتبة العليا فليحذر العاقل من الخوض فى الدنيا واللعب بها فان الغفلة عن خالق البريات توقد نيران الحسرات وفى الآية اشارة الى مرتبة الخوف كما ان الآية التى تليها اشارة الى مرتبة الرجاء فان الامن والقنوط كفر زيراكه امن از عاجران بود واعتقاد عجز در الله كفرست وقنوط از ئيمان بود واعتقاد لؤم در الله كفرست چراغى كه دروروغن نباشد روشنايى ندهد وچون روغن باشد وآتش نباشد ضياند هد پس خوف برمثال آتش است ورجاء برمثال روغن وايمان برمثال فتيله ودل برشكل چراغدان چون خوف ورجا مجتمع كشت چراغى حاصل آمد كه دروى هم روغن است كه مدد بقاست هم آتش است كه مادهٔ ضياست انكه ايمان ازميان هردو مدد ميكيرد ازيكى بقا وازيكى بضياومؤمن ببدرقهٔ ضياراه ميرود وبمدد بقا قدم مى زند والله ولى التوفيق (ان المتقين) عن الكفر والمعاصى (فى جنات ونعيم) النعيم الخفض والدعة والتنعم الترفه والاسم النعمة بالفتح قال الراغب النعيم النعمة الكثيرة وتنعم تناول مافيه النعمة وطيب العيش ونعمه تنعيما جعله فى نعمة اى لين عيش وفى البحر التنعم استعمال مافيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات والمعنى فى جنات ونعيم اى فى اية جنات واى نعيم بمعنى الكامل فى الصفة على ان التنوين للتفخيم اوفى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتشويع والجنة مع كونها اشرف المواضع قد يتوهم ان من يدخلها انما يدخلها ليعمل فيها ويصلحها ويحفظها لصاحبها كماهو شان ناطور الكرم اى مصلحه وحافظه كماقال فى القاموس الناطور اى بالطاء المهملة حافظ الكرم والنخل اعجمى انتهى فلما قال ونعيم افادانهم فيها متنعمون كماهو شان المتفرج بالبستان لاكالناطور والعمال

(فاكهين) ناعمين متلذذين وبالفارسية شاد مان ولذت يابند كان وفى القاموس الفاكه صاحب الفاكهة وطيب النفس الضحوك والناعم الحسن العيش كما ان الناعمة والمنعمة الحسنة العيشة (بما آتاهم ربهم) ازكرا منتهاء جاودانى وفى فتح الرحمن من انعامه ورضاه عنهم وذلك ان المنعم قد يستغرق فى النعم الظاهرة وقلبه مشغول بامرما فلما قال فاكهين تبين ان حالهم محض سرور وصفاء وتلذذ ولايتنا ولون شيئا من النعيم الاتلذذ الادفع المجوع اوعطش (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) الوقاية حفظ الشئ مما يؤذيه ويضره والحمة شدة تأجج النار ومنه الجحيم اى جهنم لانه من اسمائها وهو عطف على آتاهم على ان ما مصدرية اى متلذذين بسبب ايتاء ربهم و وقايتهم عذاب الجحيم فانها ان جعلت موصولة يكون التقدير بالذى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم فيبقى الموصول بلا عائد واظهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا واشربوا) اى يقال لهم من قبل خزنة الجنة دائما كلوا واشربوا اكلا وشربا (هنيئا) فهنيئا صفة لمصدر محذوف اوطعاما وشرابا هنيئا فهو صفة مفعول به محذوف فان ترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على نوعهما وكثرتهما والهنيئ والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا يعنى كوارنده لاتكدير فيه اى كان بحيث لايورث الكدر من التخم والسقم وسائر الآفات كما يكون فى الدنيا قال ابن الكمال ومنه يهنى المشتهر فى اللسان التركى باللحم المطبوخ (بما كنتم تعملون) بسببه او بمقابلته قال فى فتح الرحمن معناه ان رتب الجنة ونعيمها هى بحسب الاعمال واما نفس دخولها فهو برحمة الله وتفضله والاكل والشرب والتهنى ليس من الدخول فى شئ واعمال العباد الصالحة لاتوجب على الله التنعيم ايجابا لكنه قد جعلها امارة على من سبق فى علمه تنعيمه وعلق الثواب والعقاب بالتكسب الذى فى الاعمال امام زاهد رحمه الله فرمود كه هرچند وعده بكردار بنده است اما اصل فضل الهيست واكرنه بيداست كه فردا مزد كردار ماچه خواهد بود ندارد فعل من از زور بازو * كه بافضل تو كردد هم تراز و * بفضل خويش كن فضل مرا يار * بعدل خود بكن بافعل من كار * قال سهل جزآء الاعمال الاكل والشرب ولا يساوى اعمال العباد اكثر من ذلك واما شراب الفضل فهو قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا وهو شراب على رؤية المكاشفة والمشاهدة (متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا اى معتمدين ومستندين (على سرر) جمع سرير وهو الذى يجلس عليه وهو من السرور اذا كان ذلك لاولى النعمة وسرير الميت تشبيه به فى الصورة وللتفاؤل بالسرور الذى يلحق الميت برجوعه الى الله وخلاصه من سجنه المشار اليه بقوله عليه السلام الدنيا سجن المؤمن (مصفوفة) مصطفة قد صف بعضها الى جنب بعض اومرمولة اى مزينة بالذهب والفضة والجواهر وبالفارسية برتختهاء بافته بزر والظاهر ان جمع السرر مبنى على ان يكون لكل واحد منهم سرر متعددة مصطفة معدة لزائريهم فكل من اشتاق الى صديقه يزوره فى منزله قال الكلبى صف بعضها الى بعض طولها مائة ذراع فى السماء يتقابلون عليها فى الزيارة واذا اراد احدهم القعود عليها تطامنت وتضعضعت فاذا قعد عليها ارتفعت الى اصل حالها (وزوجناهم بحور عين) واحد الحور حوراء وواحد العين عيناء وانما سمين حورا لان الطرف يحار فى حسنهن وعينا لانهن الواسعات الاعين مع جمالها والباء للتعدية مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين بلا واسطة قال تعالى زوجناكها لما فيه من معنى الوصل والالصاق اوللسببية والمعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لاتتحقق بدون انضمامهن اليهم يعنى ان التزويج حينئذ ليس على اصل معناه وهو النكاح وعقد النكاح بل بمعنى تصييرهم ازواجا فلايتعدى الى مفعولين وبالفارسية وجفت كردانيم ايشانرا برنان سفيد روى كشاده چشم قال الراغب وقرناهم بهن ولم يجئ فى القرآن زوجناهم حورا كما يقال زوجته امرأة تنبيها على ان ذلك لم يكن على حسب التعارف فيما بيننا من المناكح انتهى قال فى فتح الرحمن وقرناهم وليس فى الجنة تزويج كالدنيا انتهى يعنى ان الجنة ليست بدار تكليف فشان تزوج اهل الجنة بالحور بقبول بعضهم بعضا الايان يعقد بينهم عقد النكاح قال فى الواقعات المحمودية ان لاهل الجنة بيوت ضيافة يعملون فيها الضيافة للاحباب ويتنعمون ولكن اهليهم لايظهرن لغير المحارم انتهى * يقول الفقير الظاهر ان عدم ظهورهن ليس من حيث الحرمة بل من حيث الغيرة يعنى ان اهل الرجل اشارة الى سره المكتوم فاقتضت الغيرة الالهية ان لاتظهر لغير المحارم كما ان السر لايفشى لغير الاهل والافالحل والحرمة من توابع التكليف ولاتكليف هنالك وانما كان

ذلك ونحوه من باب التلذذ (والذين آمنوا) مبتدأ خبره الحقنا بهم (واتبعتهم ذريتهم) عطف على امنوا اى نسلهم (بايمان) متعلق بالاتباع والتنكير للتقليل اى بشئ من الايمان وتقليل الايمان ليس مبنيا على دخول الاعمال فيه بل المراد قلة ثمراته ود ناءة قدره بذلك فالتقليل فيه بمعنى التحقير والمعنى واتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجملة قاصرين عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل اصالة لا الحاقا (الحقنا بهم ذريتهم) اى اولادهم الصغار والكبار فى الدرجة كما روى انه عليه السلام قال انه تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه اى يكمل سروره ثم تلا هذه الآية وفيها دلالة بينة على ان الولد الصغير يحكم بايمانه تبعا لاحد ابويه وتحقيقا للحوقه به فانه تعالى اذا جعلهم تابعين لآبائهم ولاحقين بهم فى احكام الآخرة فينبغى ان يكونوا تابعين لهم ولاحقين بهم فى احكام الدنيا ايضا قال فى فتح الرحمن ان المؤمنين اتبعتهم اولادهم الكبار والصغار بسبب ايمانهم فكبارهم بايمانهم بانفسهم وصغارهم بان اتبعوا فى الاسلام آباءهم بسبب ايمانهم لان الولد يحكم باسلامه تبعا لاحد ابويه اذا اسلم وهو مذهب ابى حنيفة والشافعى واحمد وقال مالك يحكم باسلام ابيه دون امه واما اذا مات احد ابويه فى دار الاسلام فقال احمد يحكم باسلامه وهو من مفردات مذهبه خلافا للثلاثة واختلفوا فى اسلام الصبى المميز وردته فقال الثلاثة يصحان منه وقال الشافعى لا يصحان وفى هداية المهدين اسلام الصبى العاقل وهو من كان فى البيع سالبا وفى الشراء جالبا صحيح استحسانا حتى لا يرث من اقاربه الكفار ويصلى عليه اذا مات وارتداده ارتداد استحسانا فى قول ابى حنيفة ومحمد الا انه يجبر على احسن الوجوه ولا يقتل لانه ليس من اهل العقوبة وفى الاشباه ان قيل اى مرتد لا يقتل فقل من كان اسلامه تبعا وفيه شبهة واى رضيع يحكم باسلامه بالتبعية فقل لقيط فى دار الاسلام وفى الهداية ايضا صبى وقع من الغنيمة فى سهم رجل فى دار الحرب او بيع به فمات يصلى عليه لانه يصير مسلما حكما تبعا لمولاه بخلاف ما قبل القسمة فانه حينئذ يكون على دين ابويه وفى الفتوحات المكية الطفل المسبى فى دار الحرب اذا مات ولم يحصل منه تمييز ولا عقل يصلى عليه فانه على فطرة الاسلام وهذا اولى ممن قال لا يصلى عليه لان الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزل من السماء غدوة وعشية وهو اضعف من الرش والوبل فلما كان بهذا الضعف كان مرحوما والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه اذا مات بكل وجه انتهى وان دخل الصبى فى دار الاسلام فان كان معه ابواه او احدهما فهو على دينهما وان مات الابوان بعد ذلك فهو على ما كان كما فى الهداية وان لم يكن معه واحد منهما حين دخل الاسلام يصير مسلما تبعا للدار وللمولى ولو اسلم احد الابوين فى دار الحرب يصير الصبى مسلما باسلامه وكذا لو اسلم احد الابوين فى دار الاسلام ثم سبى الصبى بعده من دار الحرب فصار فى دار الاسلام كان مسلما باسلامه (وما التناهم) وما نقصنا الاباء بهذا الالحاق والا لا يغضوهم فى الدنيا شحا كما فى عين المعانى من الت يألت كضرب يضرب قال فى القاموس التة حقا يألته نقصه كآلته ايلاتا (من عملهم) من ثواب عملهم (من شئ) من الاولى متعلقة بالتناهم والثانية زائدة والمعنى ما نقصناهم من عملهم شيأ بان اعطينا بعض مثوباتهم ابناءهم فتنتقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى درجتهم ومنزلتهم بمحض التفضل والاحسان يعنى بلكه بفضل وكرم خود اولاد را رافعت درجه ارزانى فرمودم شيخ الاسلام حسين مروزى از استاد خود احمد بن ابى على سرخسى رحمهما الله نقل ميكند كه ايمان وعمل جز بفضل لم يزلى نيست * درفضل خدا بتدد دل خويش مدام * تافضل نباشد نبود كار تمام * وسألت خديجة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدين لهما ماتا فى الجاهلية فقال عليه السلام هما فى النار فكرهت فقال عليه السلام لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت فالذى منك قال فى الجنة ان المؤمنين واولادهم فى الجنة وان المشركين واولادهم فى النار كما فى عين المعانى وقال الامام محمد ان الامام الاعظم توقف فى اطفال المشركين والمسلمين والمختار ان اطفال المسلمين فى الجنة واما ما روى انه توفى صبى من الانصار فدعى النبى عليه السلام الى جنازته فقالت عائشة رضى الله عنها طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال عليه السلام او غير ذلك اى اتفتقدين ما قلت والحق غير الجزم به ان الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه اهلا فانما نهاها عن الحكم على معين بدخول الجنة كما فى شرح المشارق لابن الملك وقال المولى رمضان فى شرح العقائد لا يشهد بالجنة والنار لاحد بعينه بل يشهد بان المؤمنين من اهل الجنة والكافرين من اهل النار وكذا اطفالهم تبعا لهم

(وقيل)

وقيل هم فى الجنة اذلا اثم لهم وقيل هم فى الاعراف ووجهه ان عدم التيقن لعدم العلم بخاتمته واذا مات ولد المؤمن طفلا فخاتمته الايمان لامحالة تبعا لأبيه الا ان يكون تابعا لخاتمة ابيه وهى غير معلومة انتهى واختار البعض فى اطفال المشركين كونهم خدام اهل الجنة كما فى هدية المهديين والاكثرون على انهم فى النار تبعا لآبائهم وقال آخرون انهم فى الجنة لكونهم غير مكلفين وتوقف فيه طائفة وهو الظاهر كما فى شرح المشارق لابن الملك وبقى قول آخر وهو ان الصبيان والمجانين واهل الفترة يرسل اليهم يوم القيامة رسول من جنسهم ويدعون الى الايمان ويمتحن المؤمن بايقاع نفسه فى نار هناك فمن قبل الدعوة ولم يمتنع عن الايقاع المذكور خلص لانها ليست بنار حقيقة والا دخل النار اى جهنم وقال الشيخ روزبهان البقلى فى عرآئس البيان عند الآية هذا اذا وقعت فطرة الذرية من العدم سليمة طيبة طاهرة صالحة لقبول معرفة الله ولم تتغير من تأثير صحبة الاضداد لقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فاذا بقيت على النعت الاول ووصل اليها فيض مباشرة نور الحق ولم تتم عليها الاعمال يوصلها الله الى درجة آبائهم وامهاتهم الكبار من المؤمنين اذهناك تم ارواحهم وعقولهم وقلوبهم ومعرفتهم بالله عند كشف مشاهدته وبروز انوار جلاله ووصاله وكذلك حال المريدين عند العارفين يبلغون الى درجات كبرآئهم وشيوخهم ما آمنوا باحوالهم وقبلوا كلامهم كما قال رويم قدس سره من آمن بكلامنا هذا من وراء سبعين حجابا فهو من اهلنا وقال عليه السلام من احب قوما فهو منهم وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا تعجب من ذلك فانه تعالى يبلغهم الى اعلى الدرجات فاذا كانوا فى منازل الوحشة يصلون الى الدرجات العلية فكيف لا يصلون اليها فى مقام الوصلة انتهى * يقول الفقير يظهر من هذا ان لحوق الابناء الصورية والمعنوية بالآباء فى درجاتهم مشروط بالايمان الشرعى والتوحيد العقلى وليس لاطفال المشركين شئ من ذلك فكيف يلتحقون باهل الجنة مطلقا فانما يلتحق المؤمن بالمؤمن لمجانستهما واما الايمان الفطرى فلا يعتبر فى دار التكليف وكذا فى دار الجزاء والله اعلم بالاسرار ومنه نرجو الالتحاق بالاخيار (كل امرئ) هر مردى بالغ عاقل مكلف (بما كسب) بآنچه كرده باشد از خير وشر (رهين) در كروست روز قيامت يعنى وابسته است بپاداش كردار خود وازان رهايى ندارد وبعمل ديكرى مؤاخذه نيست وزن مكلفه نيز همين حكم دارد كما فى تفسير الكاشفى والرهن مايوضع وثيقة للدين ولما كان الرهن يتصور منه حبسه استعير ذلك للمحتبس اى شئ كان وقال ابن الشيخ ما مصدرية والفعيل بمعنى المفعول والعمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المرء من حيث انه مطالب به ونفس العبد مرهونة به فكما ان المرتهن مالم يصل اليه الدين لاينفك منه الرهن كذلك العمل الصالح مالم يصل الى الله لاتخلص نفس العبد المرهونة فالمعنى كل امرئ مرهون عند الله بالعمل الصالح الذى هو دين عليه فان عمله واداه كما هو المطلوب منه فك رقبته من الرهن والا اهلكها وفى هذا المعنى قال عليه السلام لكعب ابن عجرة رضى الله عنه لايدخل الجنة لحم نبت من السحت النار اولى به يا كعب بن عجرة الناس صنفان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها وقال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرهون فى النار والمؤمن لايكون مرتهنا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين وفى الآية وجه آخر وهو ان يكون الرهين فعيلا بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرئ بما كسب راهن اى دائم ثابت مقيم ان احسن ففى الجنة مؤبدا وان اساء ففى النار مخلدا الان فى الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان العرض لايبقى الا فى جوهر ولايوجد الا فيه وفى الآخرة دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله يبقى اعمالهم لكونها عند الله من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقى من الاعيان يبقى ببقاء عمله قال فى الارشاد وهذا المعنى انسب بالمقام فان الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لاينقص من ثواب الآباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها انتهى (وامددناهم) اصل المد الجر واكثر ما جاء الامداد فى المحبوب والمد فى المكروه والامداد بالفارسية مدد كردن ومدد دادن وفى القاموس الامداد تأخير الاجل وان تنصر الاجناد بجماعة غيرك والاعطاء والاغاثة (بفاكهة) هى الثمار كلها (ولحم مما يشتهون) وان لم يصرحوا بطلبه والمعنى وزدناهم على ما كان من مبادى التنعم وقتا فوقتا مما يشتهون من فنون النعماء وضروب الآلاء وذلك

انه تعالى لما قال وما التناهم ونفى النقصان يصدق بايصال المساوى دفع هذا الاحتمال بقوله وامددناهم اى ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوى بل بالزيادة على ثواب اعمالهم والامداد وتنوين فاكهة للتكثير اى بفاكهة لاتنقطع كلما اكلوا ثمرة عاد مكانها مثلها ومافى مايشتهون للعموم لانواع اللحمان وفى الخبر انك لتشتهى الطير فى الجنة فيخر بين يديك مشويا وقيل يقع الطائر بين يدى الرجل فى الجنة فيأكل منه قديدا ومشويا ثم يطير الى النهر (يتنازعون فيها) نزع الشئ جذبه من مقره كنزع القوس من كبدها والتنازع والمنازعة المجاذبة ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة والمراد بالتنازع هنا التعاطى والتداول على طريق التجاذب يعنى تجاذب الملاعبة لفرط السرور والمحبة وفيه نوع لذة اذلا يتصور فى الجنة التنازع بمعنى التخاصم والمعنى يتعاطون فى الجنات ويتداولون هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير بالتنازع وبالفارسية بايكديگر داد وستد كنند دربهشت يعنى بهم دهند رازهم ستانند (كأسا) كأسه مملوا زخمر بهشت والكأس قدح فيه شراب ولايسمى كأسا مالم يكن فيه شراب كما لاتسمى مائدة مالم يكن عليها طعام والمعنى كأسا اى خمرا تسمية لها باسم محلها ولما كانت الكأس مؤنثة مهموزة انث الضمير فى قوله (لالغو فيها) اى فى شربها حيث لايتكلمون فى اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام قال ابن عطاء اى لغو يكون فى مجلس محله جنة عدن والساقى فيها الملائكة وشربهم ذكر الله وريحانهم تحية من عند الله مباركة طيبة والقوم اضياف الله قال الراغب اللغو من الكلام مالايعتد به وهو الذى يورد لاعن روية وفكر فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور (ولاتأثيم) ولايفعلون مايأثم به فاعله اى ينسب الى الاثم لوفعله فى دار التكليف من الكذب والسب والفواحش كما هو دين المنادمين فى الدنيا وانما يتكلمون بالحكم والمحاسن الكلام ويفعلون مايفعله الكرام لان عقولهم ثابتة غير زائلة وذلك كسكارى المعرفة فى الدنيا فانهم انما يتكلمون بالمعارف والحقائق قال البقلى وصفهم الله فى شربهم لكاسات شراب وصله بالمنازعة والشوق الى مزيد القرب ثم وصف شرابهم انه يورثهم التمكين والاستقامة فى السكر لايؤول حالهم الى الشطح والعربدة وما يتكلم به سكارى المعرفة فى الدنيا عند الخلق ولايشابه حال اهل الحضرة حال اهل الدنيا من جميع المعانى ثم انه قد يقع الاكل والشرب فى المنام فيسرى حكمه الى الجسد لغلبة الروحانية كما قال بعض الكبار العبش مع الله هو القوة الذى من اكله لايجوع واليه اشار عليه السلام بقوله انى لست كهيئتكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى والمراد بذلك الشبع والرى الذى يعود من ثمرة الاكل والشرب يعنى يبيت جائعا فيرى فى منامه انه يأكل فيصبح شبعانا وقد اتفق ذلك لبعضهم بحكم الارث وبقى رائحة ذلك الطعام حين استيقظ نحو ثلاثة ايام والناس يشمونها منه واما غير النبى وغير الوارث فاذا راى انه يأكل استيقظ وهو جيعان مثل ماناما فصح قوله صلى الله عليه وسلم ان المبشرات جزء من اجزاء النبوة انتهى * يقول الفقير فرب شبعان فى دعواه جيعان فى نفس الامر الاترى حال من اكل فى منامه حتى شبع ثم استيقظ وهو جائع وكذلك حال اهل التلوين فان من شرب شرابا من هذه المعرفة يقع فى الدعاوى العريضة كما شاهدناه فى بعض المعاصرين ولايدرى ان حاله بالنسبة الى حال اهل التمكين كحال النائم فمن سكر من رائحة الخمر ليس كمن سكر من شرب نفسها فاين انت من الحقيقة فاعرف حدك ولاتتعد طورك فان التعدى من قبيل اللغو والتأثيم (قال الخجندى) ازعشق دم مزن چون كشتى شهيد عشق * دعواى اين مقام درست ازشهادتست (ويطوف عليهم) الطواف المشى حول الشئ ومنه الطائف لمن يدور حول البيوت حافظا اى ويدور على اهل الجنة بالكأس وقيل بالخدمة (غلمان لهم) جمع غلام وهو الطار الشارب اى مماليك مخصوصون بهم لم يضعفهم بان يقول غلمانهم لئلا يظن انهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم احدا فى الدنيا ان يكون خادما له فى الجنة فيحزن لكونه لايزال تابعا وافاد التنكير ان كل من دخل الجنة وجد له خدم لم يعرفهم كما فى حواشى سعدى المفتى (كانهم لؤلؤ مكنون) حال من غلمان لانهم قد وصفوا اى كانهم فى البياض والصفاء لؤلؤ مصون فى الصدف لانه رطبا احسن واصفى اذ لم تمسه الايدى ولم يقع عليه غبار وبالفارسية كويا ايشان درصفا ولطافت مرواريد پوشيده اند در صدف كه دست كس بديشان نرسيده اومخزون لانه لايخزن الا الثمن الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده

ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك (واقبل بعضهم على بعض) وروى مى آرند بعضى از بهشتيان بر بعض ديكر (يتساءلون) اى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله وما استحق به نيل ما عند الله من الكرامة وذلك تلذذا واعترافا بالنعمة العظيمة على حسب الوصول اليها على ماهو عادة اهل المجلس يشرعون فى التحادث ليتم به استئناسهم فيكون كل بعض سائلا ومسئولا لا انه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا (قالوا) اى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة (انا كنا قبل) اى قبل دخول الجنة (فى اهلنا) درميان اهل خود يعنى بوديم دردنيا (مشفقين) ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته اووجلين من العاقبة قيد بقوله فى اهلنا فان كونهم بين اهلهم مظنة الامن فاذا خافوا فى تلك الحال فلأن يخافوا فى سائر الاحوال والاوقات اولى وقال سعدى المفتى ولعل الاولى ان يجعل اشارة الى معنى الشفقة على خلق الله كما ان قوله انا كنا من قبل ندعوه اشارة الى التعظيم لامر الله وترك العاطف لجعل الثانى بيانا للاول ادعاء للمبالغة فى وجوب عدم انفكاك كل منهما عن الآخر انتهى * يقول الفقير الظاهر ان هذا الكلام وارد على عرف الناس فانهم يقولون شاننا بين قومنا وقبيلتنا كذا فهم كانوا فى الدنيا بين قبائلهم وعشائرهم على صفة الاشفاق وفيه تعريض بان بعض اهلهم لم يكونوا على صفتهم ولذا صاروا محرومين ويدل على هذا ان الاهل يفسر بالازواج والاولاد وبالعبيد والاماء وبالاقارب وبالاصحاب وبالمجموع كما فى شرح المشارق لابن الملك (فمن الله) اى انعم (علينا) بالرحمة والتوفيق للحق يقول الفقير الظاهر ان المن والانعام انما هو بالجنة ونعيمها كما دل عليه قوله (ووقانا عذاب السموم) اى حفظنا من عذاب النار النافذة فى المسام اى ثقب الجسد كالمنخر والفم والاذن نفوذ السموم وهى الريح الحارة التى تدخل المسام فاطلق على جهنم لنفوذ حرها فى المسام كالسموم وفى المفردات السموم الريح الحارة التى تؤثر تأثير السم وقال البقلى هذا شكر من القوم فى رؤية الحق سبحانه اى كنا مشفقين من الفراق فى الدنيا والبعد فى يوم التلاق فمن الله علينا ووقانا من ذلك العذاب المحرق المفنى هذا فى اوائل الرؤية اما اذا استقاموا فى الوصال نسوا ما كان فيهم من ذكر الاشفاق وغيره والاشفاق وصف الارواح والخوف صفة القلوب وقال الجنيد قدس سره الاشفاق ارق من الخوف والخوف اصلب وقال بعضهم الاشفاق للاولياء والخوف لعامة المؤمنين وقال الواسطى قدس سره لاحظوا دعاءهم وشفقتهم ولم يعلموا ان الوسائل قطعت المتوسلين عن حقيقة وحجبت من ادراك من لا وسيلة الايه (انا كنا من قبل) اى من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون فى الدنيا (ندعوه) اى نعبده او نسأله الوقاية (انه هو البر) اى المحسن (الرحيم) الكثير الرحمة الذى اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب قال الراغب البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر اى التوسع فى فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله تعالى نحو انه هو البر الرحيم والى العبد تارة فيقال بر العبد ربه اى توسع فى طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب فى الاعتقاد وضرب فى الاعمال الفرائض والنوافل وبر الوالدين التوسع فى الاحسان اليهما وضده العقوق قال فى شرح الاسماء من عرف انه هو البر الرحيم رجع اليه بالرغبة فى كل حقير وعظيم فكفاه ما اهمه ببره ورحمته وقد قال فى حكم ابن عطاء متى اعطاك اشهدك بره واحسانه وفضله ومتى منعك اشهدك قهره وجلاله وعظمته فهو فى كل ذلك متعرف اليك تارة بجماله واخرى بجلاله ومقبل بوجود لطفه عليك اذ وجه لك ما يوجب توجهك اليه ولكن انما يولمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه اذ لو فهمت عنه كنت تشكره على ما اوجهك منه فقد قال ابو عثمان المغربى قدس سره الخلق كلهم مع الله فى مقام الشكر وهم يظنون انهم فى مقام الصبر وقال ابراهيم الخواص قدس سره لا يصح الفقر للفقير حتى يكون فيه خصلتان احداهما الثقة بالله والثانية الشكر له فيما زوى عنه من الدنيا مما ابتلى به غيره ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له فى المنع افضل من نظره له فى العطاء وعلامة صدقه فى ذلك ان يجد للمنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء والتقرب باسم البر تعلقا وجود محبته لاحسانه وترك التدبير معه لما توجه من اكرامه وكثرة الدعاء كما قال انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وتخلقا بالنفع لعباد الله والشفقة عليهم فان البر هو الذى لا يؤذى الذر وفى التأويلات النجمية واقبل بعضهم يعنى القلب

والروح على بعض يعنى النفس يتساءلون قالوا انا كنا قبل اى قبل السير والسلوك فى اهلنا اى فى عالم الانسانية مشفقين اى خائفين من سموم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية والشهوات الدنيوية فانها مهب سموم قهر الحق فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم اى سموم قهره ولولا فضله ما تخلصنا منه بجهدنا وسعينا بل انا كنا من قبل ندعوه ونتضرع اليه بتوفيقه فى طلب النجاة وتحصيل الدرجات انه هو البر بمن يدعوه الرحيم بمن ينيب اليه (فذكر) قال ابن الشيخ لما بين الله ان فى الوجود قوما يخافون الله ويشفقون فى اهلهم والنبى عليه السلام مأمور بتذكير من يخاف الله فرع عليه قوله فذكر بالفاء (وقال الكاشفى) آورده اند كه جماعتى مقتسمان بر عقبات مكه حضرت رسول را عليه السلام نزد قبائل عرب بكهانت وجنون وسحر وشعر منسوب ميساختند وآن حضرت اندوهناك ميشد آيت آمد كه فذكر اى فاثبت على ما انت عليه من تذكير المشركين بما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل (فما انت بنعمت ربك) نعمت رسمت بالتاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب اى بسبب انعامه بصدق النبوة وزيادة العقل (وقال الكاشفى) بانعام پروردكار خود يعنى بحمد الله ونعمته اوما انت بكاهن حال كونك منعما عليك به فهو حال لازمة من المنوى فى كاهن لانه عليه السلام لم يفارق هذه الحال فتكون الباء للملابسة والعامل هو معنى النفى ويجوز ان يجعل الباء للقسم (بكاهن) كما يقولون قاتلهم الله وهو من يبتدع القول ويخبر عما سيكون فى غد من غير وحى وفى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطئ ويصيب قال عليه السلام من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل الله على محمد ويقال كهن فلان كهانة اذا تعاطى ذلك وكهن اذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك وفى القاموس كهن له كمنع ونصر وكرم كهانة بالفتح وتكهن تكهنا وتكهينا قضى له بالغيب فهو كاهن والجمع كهنة وكهان وحرفته الكهانة بالكسر انتهى قال ابن الملك فى قوله عليه السلام من سأل عرافا لم تقبل صلاته اربعين ليلة العراف من يخبر بما اخفى من المسروق او الكاهن وامامن سألهم لاستهزائهم اولتكذيبهم فلا يلحقه ما ذكر فى الحديث بقرينة حديث آخر من صدق كاهنا لم تقبل منه صلاة اربعين ليلة فان قلت هذا مخالف لقوله عليه السلام من صدق كاهنا فقد كفر بما انزل على محمد قلت اللائح لى فى التوفيق ان يقال مصدق الكاهن يكون كافرا اذا اعتقد انه عالم بالغيب واما اذا اعتقد انه ملهم من الله او ان الجن يلقون مما يسمعون من الملائكة فصدقه من هذا فلا يكون كافرا انتهى كلام ابن الملك وفى هدية المهديين من قال اعلم المسروقات يكفر ولو قال انا اخبر عن اخبار الجن يكفر ايضا لان الجن كالانس لا يعلم غيبا (ولا مجنون) وهو من به جنون وهو زوال العقل او فساده وفى المفردات الجنون الحائل بين النفس والعقل وفى التعريفات الجنون هو اختلال العقل بحيث يمنع جريان الافعال والاقوال على نهج العقل الا نادرا وهو عند ابى يوسف ان كان حاصلا فى اكثر السنة فطبق ومادونه فغير مطبق وفى التأويلات النجمية يشير الى ان طبيعة الانسان متنفرة من حقية الدين مجبولة على حب الدنيا وزينتها وشهواتها وزخارفها والجوهر الروحانى الذى جبل على فطرة الاسلام فى الانسان مودع بالقوة كالجوهر فى المعدن فلا يستخرج الى الفعل الا بجهد جهيد وسعى تام على قانون الشريعة ومتابعة النبى عليه السلام وارشاده وبعده بارشاد ورثة علمه وهم العلماء الربانيون الراسخون فى العلم من المشايخ المسلكين وفى زمان كل واحد منهم والخلق مع دعوى اسلامهم ينكرون على سيرهم فى الاغلب ويستبعدون ترك الدنيا والعزلة والانقطاع عن الخلق والتبتل الى الله وطلب الحق الا من كتب الله فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وهو الصدق فى الطلب وحسن الارادة المنجية من بذر يحبهم ويحبونه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والا فمن خصوصية طبيعة الانسان ان يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية وان كانوا يصلون ويصومون ويزعمون انهم مسلمون ولكن بالتقليد لا بالتحقيق اللهم الا من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه انتهى * يقول الفقير فى الآية تشريف للنبى عليه السلام جدا حيث ان الله تعالى ناب عنه فى الجواب ورد الكافرين بنفسه وهو ايضا تصريح بما علم التزاما فان الامر بالتذكير الذى هو متعلق بالوحى وان كان مقتضاه كمال العقل والصدق فى القول يقتضى ان لا يكون عليه السلام

كاهنا ولامجنونا فهذا النفي بالنسبة الى ظاهر الحال فانه لايخلو من دفع الوهم وتمكين التصديق ونظيره كلمة الشهادة فان قوله لااله نفي للوجود المتوهم الذي يتوهمونه والا فلا شيء غير الاثبات فافهم والله المعين سيدى كزوهم قدرش برترست * خاك بايش چرخ راتاج سرست (ام يقولون) بلكه مى كويند درحق تو ام المكررة في هذه الآيات منقطعة بمعنى بل والهمزة فيها الانكار ونقل البغوى عن الخليل انه قال مافي سورة الطور من ذكرام كله استفهام وليس بعطف يعني ليست بمنقطعة وقال في برهان القرآن اعاد ام خمس عشرة مرة وكلها الزامات وليس للمخاطبين بها عنها جواب وفي عين المعاني ام ههنا خمسة عشر وكله استفهام اربعة للتحقيق على التوبيخ بمعنى بل ام يقولون شاعرام يقولون نقوله وقد قالوهما وام هم قوم طاغون وام يريدون كيدا وقد فعلوهما وسائرها للانكار وفي فتح الرحمن جميع مافي هذه السورة من ذكر ام استفهام غيرعاطفة واستفهم تعالى مع علمه بهم تقبيحا عليهم وتوبيخا لهم كقول الشخص لغيره اجاهل انت مع علمه بجهله (شاعر) اى هو شاعر وقد سبق معنى الشعر والشاعر في اواخر سورة يس مفصلا قال الامام المرزوقي شارح الحماسة تأخر الشعرآء عن البلغاء لتأخر المنظوم عند العرب لان ملوكهم قبل الاسلام وبعده يتجمعون بالخطابة ويعدونها اكمل اسباب الرياسة ويعدون الشعر دناءة ولان الشعر كان مكسبة وتجارة وفيه وصف اللئيم عند الطمع بصفة الكريم والكريم عند تأخر صلته بوصف اللئيم ومما يدل على شرف النثر ان الاعجاز وقع في النثر دون النظم لان زمن النبي عليه السلام زمن الفصاحة كذا ذكره صاحب روضة الاخبار فان قلت فاذا كان الاعجاز واقعا في النثر فكيف قالوا في حق القرآن شعر وفي حقه عليه السلام شاعر قلت ظنوا انه عليه السلام كان يرجو الاجر على التبليغ ولذا قال تعالى قل ما اسألكم عليه من اجر فكان عليه السلام عندهم بمنزلة الشاعر حيث ان الشاعر انما يستجلب بشعره في الاغلب المال وايضا لما كانوا يعدون الشعر دناءة حملوا القرآن عليه ومرادهم عدم الاعتداد به فان قلت كيف كانوا يعدون الشعر دناءة وقد اشتهر افتخارهم بالقصائد حتى كانوا يعلقونها على جدار الكعبة قلت كان ذلك من كمال عنادهم اوجريا على مسلك اهل الخطابة من الاوائل فاعرف فان هذا زائد على مافصل في سورة يس وقد لاح بالبال في هذا المقام قال ابن الشيخ قوله ام يقولون الخ من باب الترقي الى قولهم فيه انه شاعر لان الشاعر ادخل في الكذب من الكاهن والمجنون وقد قيل احسن الشعر اكذبه وكانوا يقولون لانعارضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانا نصبر ونتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعرآء وحينئذ تتفرق اصحابه وان اباه مات شابا ونحوز جوان يكون موته كموت ابيه وذلك قوله سبحانه تعالى (نتربص به ريب المنون) التربص الانتظار والريب مايقلق النفوس اى يورث قلقا واضطرابا لهامن حوادث الدهر وتقلبات الزمان فهو بمعنى الرائب من قولهم رابه الدهر وارابه اى اقلقه وقيل سمي ريبا لانها لاتدوم على حال كالريب وهو الشك فانه لايبقى بل هو متزلزل وفي المفردات ريب الدهر صروفه وانما قيل ريب لما يتوهم فيه من المنكر وفيه ايضا الريب ان تتوهم بالشيء امرا ما فينكشف عما توهمته ولهذا قال تعالى لاريب فيه والارابة ان تتوهم فيه امرا فلا ينكشف عما تتوهمه وقوله نتربص به ريب المنون سماه ريبا من حيث انه مشكك في كونه بل من حيث انه يشكك في وقت حصوله فالانسان ابدا في ريب المنون من جهة وقته لامن جهة كونه وعلى هذا قال الشاعر

الناس قد علموا ان لابقاء لهم * لوانهم عملوا مقدار ماعلموا

انتهى والمنون الدهر والموت والكثير الامتنان كالمنونة والتي تزوجت لما لها فهي تمن على زوجها كالمنانة انتهى وقيل في الآية المنون الموت وريبه اوجاعه وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الدهر يقطع القوى والموت يقطع الامانى والعمر وفي المفردات قيل المنون للمنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد انتهى وريب منصوب على انه مفعول به والمعنى بل ايقولون نتنظر به نوائب الدهر فيهلك كاهلك غيره من الشعراء زهير والنابغة وطرفة وغيرهم اونتنظر اوجاع الموت كما مات ابوه شابا وذلك كما تمنى الصبيان في المكتب موت معلمهم ليتخلصوا من يده فويل لمن اراد هلاك معلمه في الدين وكان محروما من تحصيل اليقين (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) اتربص هلاكهم كما تتربصون هلاكي والامر بالتربص للتهديد قال الراغب التربص انتظار الشخص ساعة كان يقصد بها غلاء اورخصا اوامرا ينتظر زواله اوحصوله انتهى وفيه عدة كريمة باهلاكهم

وجاء فى التفسير ان جميعهم ماتوا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وقع فى زماننا ان بعض الوزراء اهان بعض الاولياء فاجلاه وكان ينتظر هلاكه فهلك قبله هلاكا هائلا حيث قتل وقتل معه الوف وفى الآية اشارة الى التربص فى الامور ودعوة الخلق الى الله والتوكل على الله فيما يجرى على عباده والتسليم لاحكامه فى المقبولين والمردودين اذكل يجرى على ماقضاه الله (ام تأمرهم احلامهم) اى دعع تفوههم بهذه الاقوال الزائغة المتناقضة وفيهم ماهو اقبح من ذلك وهو انهم سفهاء ليسوا من اهل التمييز والا حلام العقول قال الراغب وليس الحلم فى الحقيقة هو العقل لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل والحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب (بهذا) اى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذافطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون منسق تخيل فكيف يجتمع هؤلاء فى واحد وامر الاحلام بذلك مجاز عن ادآئها الى التناقض بعلاقة السببية كقوله اصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا لانه جعلت الاحلام آمرة على الاستعارة المكنية وفى الكواشى جعلت الحلوم آمرة مجازا ولضعفها جمعت جمع القلة قال فى القاموس الحلم بالضم وبضمتين الرؤيا والجمع احلام والحلم بالكسر الاناة والعقل والجمع احلام وحلوم ومنه ام تأمرهم احلامهم وهو حليم والجمع حلماء واحلام انتهى وكان قريش يدعون اهل الاحلام والنهى فازرى الله بعقولهم حين لم تثمرهم معرفة الحق من الباطل وقيل لعمرو بن العاص رضى الله عنه مابال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقول فقال تلك عقول كادها الله اى لم يحبها التوفيق وفى الخبر ان الله لما خلق العقل قال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل يعنى كفت بوى پشت بركن پشت بركرد پس كفت روى بازكن روى بازكرد فانى لم اخلق خلقا اكرم على منك بك اعبد وبك اعطى وبك آخذ قال ابو عبد الله المغربى لما قال له ذلك تداخله العجب فعوقب من ساعته فقيل له التفت فلما التفت نظر الى ماهو احسن منه فقال من انت قال أنا الذى لاتقوم الابى قال ومن انت قال التوفيق (وفى المثنوى) جزء عنايت كى كشايد چشم را * جزء محبت كى نشاند خشم را * جهد بى توفيق خود كس را مباد * درجهان والله اعلم بالرشاد * روى ان صفوان بن امية فخر على رجل فقال ان صفوان بن امية بن خلف ابن فلان فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فارسل اليه وغضب فلما جاء قال ثكلتك امك ماقلت فهاب عمر ان يتكلم فقال عمر ان كان لك تقوى فان لك كرما وان كان لك عقل فان لك اصلا وان كان لك خلق حسن فان لك مروءة والا فانت شر من الكلب (ام هم قوم طاغون) مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد مع ظهور الحق لايحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون مايقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون قال ابن الشيخ ثم قيل لابل ذلك من طغيانهم لانه ادخل فى الذم من نقصان العقل وابلغ فى التسلية لان من طغى على الله فقد باء بغضبه (ام يقولون تقوله) هو ترق الى ماهو ابلغ فى كونه منكرا وهو ان ينسبوا اليه عليه السلام انه يختلق القرآن من تلقاء نفسه ثم يقول انه من عند الله افتراء عليه والتقول تكلف القول ولا يستعمل الا فى الكذب والمعنى اختلق القرآن من تلقاء نفسه وليس الامر كازعموا (بل لا يؤمنون) البتة لان الله ختم على قلوبهم وفى الارشاد فلكفرهم وعنادهم يرمونه بهذه الاباطيل التى لا يخفى على احد بطلانها كيف لا ومارسول الله الا واحد من العرب اتى بما عجزعنه كافة الامم من العرب والعجم وفى كون ذلك مبنيا على العناد اشارة الى انهم يعلمون بطلان قولهم وتناقضه (فليأتوا بحديث مثله) اى اذا كان الامر كازعموا من انه كاهن اومجنون اوشاعر ادعى الرسالة وتقول القران من عند نفسه فليأتوا بكلام مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى قال فى التكملة المشهور فى القرآن بحديث مثله بالتنوين فيكون الضمير راجعا الى القرآن (وروى) عن الجحدرى انه قرأ بحديث مثله بالاضافة فيكون الضمير راجعا الى النبى عليه السلام (ان كانوا صادقين) فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام فى البشرية والعربية مع مابهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والايام ولاريب فى ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك واعلم ان الاعجاز اما ان يتعلق بالنظم من حيث فصاحته وبلاغته اويتعلق بمعناه ولايتعلق به من حيث مادته فان مادته الفاظ العرب والفاظهم الفاظهم قال تعالى قرآنا عربيا

تنبيها على اتحاد العنصر وانه منظم من عين ما يتكلمون به كلامهم والقرآن معجز من جميع الوجوه لفظا ومعنى ومتميز من خطبة البلغاء ببلوغه حد الكمال فى اثنى عشر وجها ايجاز اللفظ والتشبيه الغريب والاستعارة البديعة وتلاؤم الحروف والكلمات وفواصل الآيات وتجانس الالفاظ وتعريف القصص والاحوال وتضمين الحكم والاسرار والمبالغة فى الاسماء والافعال وحسن البيان فى المقاصد والاغراض وتمهيد المصالح والاسباب والاخبار عما كان ومايكون (ام خلقوا من غير شئ) من لابتدآء الغاية اى ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع والشكل العجيب من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لاشئ من عبادة وجزاء فمن للسببية (وقال الكاشفى) آيا آفريده شده اند ايشان بى چيزى يعنى بى پدر وما در مراد آنست كه ايشان آدمى انداز آدميان زاده شده نه جماد ند كه تعقل خود نكنند (ام هم الخالقون) لانفسهم فلذلك لايعبدون الله تعالى (ام خلقوا السموات والارض بل لايوقنون) اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غيرموقنين بما قالوا والالما اعرضوا عن عبادته تعالى والايقان بى كمان شدن (ام عندهم خزائن ربك) جمع خزانة بالكسر وهو مكان الخزن يقال خزن المال احرزه وجعله فى الخزانة وهو على حذف المضاف اى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا ويمسكوها عمن شاؤا اى اعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره (ام هم المسيطرون) اى الغالبون على الامور يدبرونها كيفما شاؤا حتى يدبروا امر الربوبية وينوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وفى عين المعانى اى الارباب المسلطون على الناس فيجبرونهم على ماشاؤا من السطر كانه يخط للمسلط عليه خطا لايجاوزه وفى كشف الاسرار المسيطر المسلط القاهر الذى لايكون تحت امر احد ونهيه ويفعل مايشاء يقال تصيطر على فلان بالسين والصاد اى سلط انتهى قال فى القاموس المسيطر الرقيب الحافظ والمتسلط والسطر الصف من الشئ الكتاب والشجر وغيره والخط والكتابة ويحرك فى الكل والصطر بالصاد ويحرك السطر وتصيطر تسيطر (ام لهم سلم) منصوب الى السماء وبالفارسية آيا مرايشانرا ايست نردبانى كه بدان بآسمان بروند قال الراغب السلم مايتوصل به الى الامكنة العالية فيرجى به السلامة ثم جعل اسما لما يتوصل به الى كل شئ رفيع كالسبب قال ابن الشيخ لما ابطل من لاحتمالات العقلية جميع مايتوهم ان يبنوا عليه تكذيبهم وانكارهم لم يبق لهم الا المشاهدة والسماع منه تعالى وهو اظهر استحالة فتهكم بهم وقال بل الهم سلم (يستمعون فيه) ضمن يستمعون معنى الصعود فاستعمل بفى وفيه متعلق بمحذوف هو حال من فاعل يستمعون اى يستمعون صاعدين فى ذلك السلم ومفعول يستمعون محذوف اى الى كلام الملائكة ومايوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويلقون بها اطماعهم الفارغة وفى كشف الاسرار فيه اى عليه كقوله فى جذوع النخل اى عليها (فليات) پس بايد كه بيارد فالباء الآتى للتعدية وهو امر تعجيز (مستمعهم) شنوندهٔ ايشان كه برآسمان رفتند وپيغام غيب شنيدند (بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماعه وبالفارسية حجتى روشن كه گواه باشد برصدق استماع وى (ام له البنات ولكم البنون) هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله مايكرهون اوتسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رأيه لايكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى بروحه الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية وذلك ان من جعل خالقه ادون حالا منه بان جعل له مالا يرضى لنفسه كما قال تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم فانه لم يستبعد منه امثال تلك المقالات الحمقاء والالتفات الى الخطاب لتشديد ما فى ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ (ام تسألهم اجرا) رجوع الى خطابه عليه السلام واعراض عنهم اى بل اتسألهم اجرا على تبليغ الرسالة تاتاوان زده شدند (فهم) لاجل ذلك (من مغرم) من التزام غرامة فادحة فالمغرم مصدر ميمى بمعنى الغرم والمضاف مقدر وفى الكشاف المغرم ان يلتزم الانسان مالبس عليه وفى فتح الرحمن المغرم مايلزم اداؤه وفى المفردات الغرم مايجب الانسان من ماله من ضرر بغير جناية منه وكذا المغرم والغريم يقال لمن له الدين ولمن عليه الدين انتهى (مثقلون) محملون الثقل وبالفارسية كران بارشوند فلذلك لايتبعونك يعنى لاعذر لهم اصلا والدين لايباع بالدنيا * ريان ميكند مرد تفسيردان * كه علم وادب ميفروشد بنان * فالاجر على الله تعالى كما قال ان اجرى الا على الله وقد سبق تحقيقه فى مواضع متعددة (ام عندهم الغيب)

اى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب (فهم يكتبون) مافيه حتى يتكلموا فى ذلك بنفى او اثبات (وقال الكاشفى) پس ايشان مى نويسند از ان كه خبر پيغمبر عليه السلام از امر قيامت وبعث باطل است يا كتابت كنند كه موت توكى خواهد بود (ام يريدون كيدا) اى لا يكتفون بهذه المقالات الفاسدة ويريدون مع ذلك ان يكيدوا بك كيدا واساءة وهو كيدهم برسول الله عليه السلام فى دار الندوة ومكرهم بالقتل والحبس والاخراج فان الكيد هو الامر الذى يسوء من نزل به سواء كان فى نفسه حسنا او قبيحا فالاستفهام فى المعطوف للتقرير وفى المعطوف عليه للانكار وقال بعضهم الكيد ضرب من الاحتيال وفى التعريفات الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة اعمال الخلق وقال سعدى المفتى الظاهر انه من الاخبار بالغيب فان السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه ليلة الهجرة فان قيل فليكن نزول الطور فى تلك الليلة قلنا قد ثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما انه نزل بعدها بمكة تبارك الملك وغيرها من السور (فالذين كفروا هم المكيدون) القصر اضافى اى هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه فانه المظفر الغالب عليهم قولا وفعلا حجة وسيفا وهم المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته والمراد ما اصابهم يوم بدر من القتل يعنى عند انتهاء سنين عدتها عدة كلمة ام وهى خمس عشرة فان غزوة بدر كانت فى الثانية من الهجرة وهى الخامسة عشرة من النبوة (ام لهم اله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله) نزهه تعالى (عما يشركون) اى عن اشراكهم فما مصدرية او عن شركة ما يشركونه فما موصول والمضاف مقدر وكذا العائد * برذيل عزتش نشنيد غبار شرك * باوحدتش كسى دم شركت چه سان زند * هر كاه افكند بوصفش خيال را * دست كه لش آتش غيرت دران زند (وان يروا كسفا) اى قطعة (من السماء ساقطا) عليهم لتعذيبهم وفى عين المعانى قطعة من العذاب او من السماء او جانبا منها من الكسف وهو التغطية كالكسوف وفى القاموس الكسفة بالكسر القطعة من الشئ والجمع كسف وكسف وفى المختار وقيل الكسف والكسفة واحد (يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) غليظ او متراكب اى هم فى الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم جسما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا قالوا هذا سحاب تراكم اى الق بعضها على بعض يطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب وفى التأويلات النجمية يعنى انهم وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها كما قال تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء حتى شاهدوا بالعين لقالوا انما سكرت ابصارنا ولبس هذا عيانا ومشاهدة (فذرهم) پس دست بدار از ايشان يعنى حرب مكن با ايشانكه هنوز بقتال مأمور نيستى ومكافات ايشان بكنار (حتى يلاقوا) يعاينوا وبالفارسية تا وقتى كه ببينند معاينه (يومهم) مفعول به لا ظرف (الذى فيه يصعقون) اى يهلكون وبالفارسية هلاك كرده شوند وهو على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة اومن اصعقته اماتته واهلكته قال فى المختار صعق الرجل بالكسر صعقة غشى عليه وقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض اومات وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ قال ابن الشيخ المقصود من الجواب عن الاقتراح المذكور بيان انهم مغلوبون بالحجة مبهوتون وان طعنهم ذلك ليس الا للعناد والمكابرة حتى لو اجبناهم فى جميع مقترحاتهم لم يظهر منهم الا ما يبتنى على العناد والمكابرة فلذلك رتب عليه قوله فذرهم بالفاء (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا) اى شيئا من الاغناء فى رد العذاب وبالفارسية روزى كه نفع نكند وبازندارد ازايشان مكر ايشان چيزى را از عذاب وهو بدل من يومهم (ولا هم ينصرون) من جهة الغير فى رفع العذاب عنهم (وان للذين ظلموا) اى وان لهؤلاء الظلمة ابى جهل واصحابه (عذابا) آخر (دون ذلك) غير ما لاقوه من القتل اى قبله وهو القحط الذى اصابهم سبع سنين كما فى سورة الدخان اوورآءه وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان الامر كما ذكر لفرط جهلهم وغفلتهم اولا يعلمون شيئا اصلا وفيه اشارة الى ان منهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا فالعالم الغير العامل والجاهل سواء فعلى العاقل ان يحصل علوم الآخرة ويعمل بها قال بعض الكبار العلم علمان علم تحتاج منه مثل ما تحتاج من القوت فينبغى الاقتصاد والاقتصار على قدر الحاجة منه وهو علم الاحكام الشرعية فلا ينبغى النظر فيه الا بقدر ما تمس الحاجة اليه فى الوقت فان تعلق تلك العلوم انما هو بالاحوال الواقعة فى الدنيا لا غير وعلم ليس له حد يوقف عنده

وهو العلم المتعلق بالله ومواطن القيامة اذا العلم بمواطنها يؤدى العالم بها الى الاستعداد لكل موطن بما يليق به لان الحق تعالى بنفسه هو المطالب فى ذلك اليوم بارتفاع الوسائط وهو يوم الفصل فينبغى للانسان العاقل ان يكون على بصيرة من امره معدا للجواب عن نفسه وعن غيره فى المواطن التى يعلم انه يطلب منه الجواب فيها فلهذا الحقنا علم مواطن القيامة بالعلم بالله انتهى وفى الآية اثبات عذاب القبر فان الله تعالى يحيى العبد المكلف فى قبره و يرد الحياة اليه و يجعله من العقل فى مثل الوصف الذى عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به ويفهم ما اتاه من ربه وما اعده له من كرامة وهوان ولقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما اخبر عليه السلام بفتنة الميت فى قبره وسؤال منكر ونكير وهما الملكان يارسول الله ايرجع الى عقلى قال نعم قال اذا اكفيكهما والله لئن سألانى لاسألنهما واقول لهما انا ربى الله فمن ربكما انتما وانكرت الملحدة ومن تمذهب من الاسلاميين بمذهب الفلاسفة عذاب القبر وانه ليس له حقيقة وقد رؤى ابوجهل فى جانب مصرعه فى بدر انه خرج من الارض وفى عنقه سلسلة من نار يمسك اطرافها اسود وهو يطلب الماء حتى ادخله الاسود فى الارض بجذب شديد واختلاف احوال العصاة فى عذاب القبر بحسب اختلاف معاصيهم واكثر عذاب القبر فى البول فلابد من التنزه عنه وسمع البهائم عذاب القبر وانما لم يسمع من يعقل من الجن والانس وكان عليه السلام يدعو ويقول اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وينجى المؤمن من اهوال القبر وفتنته وعذابه خمسة اشياء الاول الرباط فى سبيل الله ولو يوما وليلة * والثانى الشهادة بان يقتل فى سبيل الله * والثالث سورة الملك فان من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان * والرابع الموت مبطونا فانه لا يعذب فى قبره والمراد بالمبطون صاحب الاسهال والاستطلاق * والخامس الوقت فى الحديث من مات يوم الجمعة او ليلة الجمعة وقى فتنة القبر نسأل الله سبحانه ان يعصمنا من الزلل ويحفظنا من الخلل ويجعلنا فى القبر والقيامة من الآمنين و يبشرنا عند الموت برحمة منه وفضل مبين بجاه النبى الامين والانبياء الرسلين والملائكة المقربين (واصبر لحكم ربك) بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان والشدائد ولاتكن فى ضيق مما يمكرون يقول الفقير امر الله تعالى نبيه عليه السلام بالصبر لحكمه لا لاذى الكفار وجفائهم تسهيلا للامر عليه لان فى الصبر لحكمه حلاوة ليست فى الصبر للاذى والجفاء وان كان الصبر له صبرا للحكم فاعرف (فانك باعيننا) اى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير والاذان بغاية الاعتناء فى الحفظ وبكثرة اسبابه اظهارا للتفاوت بين الحبيب والكليم حيث افرد فيه العين والضمير كما قال ولتصنع على عينى وفى التأويلات النجمية اى لاحكم لك فى الازل فانه لا يتغير حكمنا الازلى ان صبرت وان لم تصبر ولكن ان صبرت على قضائى فقد جزيت ثواب الصابرين بغير حساب فانك باعيننا نعينك على الصبر لاحكامنا الازلية كما قال تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وفى عرائس البيان للبقلى ذكر قوله ربك بالغيبة لانه فى مقام تفرقة العبودية والرسالة تقتضى حالة المشقة ولذلك امره بالصبر ولما ثقل عليه الحال نقله من الغيبة الى المشاهدة بقوله فانك باعيننا اى نحفظك من الاعوجاج والتغير فى جريان احكامنا عليك حتى تصير مستقيما بنا لنا فينا ونحن نراك بجميع عيون الصفات والذات بنعت المحبة والعشق تنظر بها اليك شوقا اليك وحراسة لك نحرسك بها حتى لا يغيرك غيرها من الحدثان عنا ونرفع بها عنك طوارق قهرنا فانك فى مواضع عيون محبتنا وانت فى اكناف لطفنا انظر كيف ذكر الاعين وليس فى الوجوه اشرف من العيون ومن اختصن بالله كان فى حفظه ومن كان فى حفظه كان فى مشاهدته ومن كان فى مشاهدته استقام معه ووصل اليه ومن وصل اليه انقطع عما سواه ومن انقطع عما سواه عاش معه عيش الربانيين قال بعضهم كنا مع ابراهيم بن ادهم قدس سره فاتاه الناس وقالوا يا ابا اسحق ان الاسد وقف على طريقنا فاتى ابراهيم الى الاسد وقال له يا ابا الحارث ان كنت امرت فينا بشئ فامض لما امرت به وان لم تؤمر بشئ فتنح عن طريقنا فادبر الاسد وهو يهمهم والهمهمة ترديد الصوت فى الصدر فقال ابراهيم وما على احدكم اذا اصبح وامسى ان يقول اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واحفظنا بركنك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا وقال الخواص قدس سره كنت فى طريق مكة فدخلت الى خربة بالليل واذا فيها سبع عظيم فخفت فهتف بى هاتف اثبت فان حولك سبعين الف ملك يحفظونك يقول الفقير يحتمل ان يكون هذا الحفظ الخواصى بسبب بعض الادعية وكان

يلازمه وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلاث مرات وقرأ ثلاث آيات اخر سورة الحشر هو الله الذي لا اله الا هو الى آخر السورة حين يصبح وكل الله به سبعين الف ملك يحرسونه وكذلك اذا قرأها حين يمسي وكل الله به سبعين الف ملك يحرسونه ويحتمل ان يكون ذلك بسبب ان الخواص من احباب الله والحبيب يحرس حبيبه كما روى انه ينزل على قبر النبي عليه السلام كل صباح سبعون الف ملك ويضربون اجنحتهم عليه ويحفظونه الى المساء ثم ينزل سبعون الفا غيرهم فيفعلون به الى الصباح كما يفعل الاولون وهكذا الى يوم القيامة (وسبح) اى نزهه تعالى عما لا يليق به حال كونك ملتبسا (بحمد ربك) على نعمائه الفائتة للحصر (حين تقوم) من اى مقام قمت قال سعيد ابن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك اى سبح الله ملتبسا بحمده فان كان ذلك المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه وهو بالغين المعجمة والطاء المهملة الكلام الردىء القبيح واختلاط اصوات الكلام حتى لا يفهم فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك كان كفارة لما بينهما وفى فتح القريب فقد غفر له يعنى من الصغائر مالم تتعلق بحق آدمى كالغيبة وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقال الكلبى هو ذكر الله باللسان حين يقوم من الفراش الى ان يدخل فى الصلاة لما روى عن عاصم ابن حميد انه قال سألت عائشة رضى الله عنها باى شئ يفتتح رسول الله عليه السلام قيام الليل فقالت كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى وعافنى ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة (ومن الليل فسبحه) افراد بعض الليل بالتسبيح والصلاة لان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل يقول الفقير ولان الليل زمان المعراج والصلاة هو المعراج المعنوى فمن اراد ان يلتحق برسول الله عليه السلام فى معراجه فليصل بالليل والناس نيام اى فى حوفه حين غفلة الناس ولشرف ذلك الوقت كان معراجه عليه السلام فيه لا قرب الصباح لان فى قربه قد يستيقظ بعض النفوس للحاجات وان كان السحر الاعلى مما له خواص كثيرة (وادبار النجوم) بكسر الهمزة مصدر ادبر والنجوم جمع نجم وهو الكوكب الطالع يقال نجم نجوما ونجما اى طلع والمعنى ووقت ادبارها من آخر الليل اى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وفى الآية دليل على ان تأخير صلاة الفجر افضل لانه امر بركعتى الفجر بعد ما ادبر النجوم وانما ادبر النجوم بعد ما يسفر قاله ابو الليث فى تفسيره وقال اكثر المفسرين ادبار النجوم يعنى الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم بضوء الصبح وفى الحديث ركعتا الفجر اى سنة الصبح خير من الدنيا وما فيها وفيه بيان عظم ثوابهما يقول الفقير فى قولهم وذلك حين الخ نظر لان السنة فى سنة الفجر انه يأتى بها فى اول الوقت لان الاحاديث ترجحه فالتأخير الى قرب الفرض مرجوح واول وقتها هو وقت الشافعى وليس للنجوم ادبار اذ ذاك وانما ذلك عند الاسفار جدا وقال سهل قدس سره صل المكتوبة بالاخلاص لربك حين تقوم اليها ولا تغفل صباحا ولا مساء عن ذكر من لا يغفل عن برك وحفظك فى كل الاوقات وفى التأويلات النجمية قوله وسبح الخ يشير الى مداومته على الذكر وملازمته له بالليل والنهار انتهى وقد سبق بيانه فى آخر سورة ق قال بعض الكبار من سوء ادب المريد ان يقول لشيخه اجعلنى فى بالك فان فى ذلك استخداما للشيخ وتهمة له وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له اسألك مرافقتك فى الجنة حيث قال للسائل اعنى على نفسك بكثرة السجود فحوله الى غير ما قصد من الراحة فعلم الرياضة واجب تقديمه على الفتح فى طريق السالكين لا المجذوبين والله عليم حكيم انتهى وفى الحديث من خاف ان لا يقوم من آخر الليل فليوتر اوله ومن طمع ان يقوم آخره فليوتر آخر الليل فان صلاة آخر الليل مشهودة وذلك افضل يقول الفقير كان التهجد فرضا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان يؤخر الوتر الى آخر الليل اما لما ذكر من شهود الملائكة فى ذلك الوقت واما لان الوتر صلاها عليه السلام اول ليلة المعراج وكان المعراج بعد المنام فناسب فصلها عن العشاء وتأخيرها وفى ختم هذه السورة بالنجوم وافتتاح السورة الآتية بالنجم ايضا من حسن الانتهاء والابتداء ومن الاسرار

مالا يخفى على اهل التحقيق

تمت سورة الطور بعون الله الغفور فى اواخر رجب الفرد من سنة اربع عشرة ومائة والف

(سورة النجم مكية وآيها احدى او ثنتان وستون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم) سورة النجم اول سورة اعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهر بقرأتها فى الحرم والمشركون يستمعون نزلت فى شهر رمضان من السنة الخامسة من النبوة ولما بلغ عليه السلام السجدة سجد معه المؤمنون والمشركون والجن والانس غير ابى لهب فى رواية فانه رفع حفنة من تراب الى جبهته وقال يكفينى هذا وفى رواية كان ذلك الوليد بن المغيرة فانه رفع ترابا الى جبهته فسجد عليه لانه كان شيخا كبيرا لايقدر على السجود وفى رواية وصحت امية بن خلف وقد يقال لامانع ان يكونوا فعلوا ذلك جميعا بعضهم فعل ذلك تكبرا وبعضهم فعل ذلك عجزا وممن فعل ذلك تكبرا ابولهب ولايخالف ذلك مانقل عن ابن مسعود رضى الله عنه ولقد رأيت الرجل اى الفاعل لذلك قتل كافرا لانه يجوز ان يكون المراد بقتل مات وانما سجد المشركون لان النبى عليه السلام لما بلغ الى قوله افرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى الحق الشيطان به قوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى كما سبق فى سورة الحج فسمعه المشركون وظنوا انه من القرآن فسجدوا لتعظيم آلتهم ومن ثم عجب المسلمون من سجود المشركين من غير ايمان اذهم لم يسمعوا ما القى الشيطان فى آذان المشركين واراد وا بالغرانيق العلى الاصنام شبهت الاصنام بالغرانيق التى هى طائر الماء جمع غرنوق بكسر الغين المعجمة واسكان الراء ثم النون المفتوحة اوغرنوق بضم الغين والنون ايضا اوغرنيق بضم الغين وفتح النون وهو طير طويل العنق وهو الكركى اوما يشبهه ووجه الشبه بين الاصنام وتلك الطيور ان تلك الطيور تعلو وترفع فى السماء فالاصنام مشبهة بها فى علو القدر وارتفاعه قال بعضهم والنجم اول سورة نزلت جملة كاملة فيها سجدة فلا ينافى ان اقرأ باسم ربك اول سورة نزلت فيها سجدة لان النازل منها اوائلها لا مجموعها دفعة والواو للقسم اصحاب معانى كفتند قسم درقرآن بردوچه است يكى قسم بذات وصفات خالق جل جلاله چنانكه فوربك فوربك لنسئلنهم والقران المجيد وهمچنين حروف تهجى دراوائل سور هرحرفى اشارتست بصفتى ازصفات حق وقسم بران ياد كرده وجه دوم قسمست بمخلوقات وآن برچهار ضربست يكى اظهار قدرت راچنانكه والذاريات والمرسلات والنازعات هذا واهثاله تنبيه العباد على معرفة القدرة فيها ديكر قسم برستاخيز اظهار هيبت را كقوله لااقسم بيوم القيامة اقسم بها ليعلم هيبته فيها سوم قسم يادميكنند اظهار نعمت راتابندكان نعمت خودازالله بشناسند وشكرآن بكذارند كقوله والتين والزيتون چهارم قسم است ببعض مخلوقات بيان تشريف راتا خلق عزوشرف ان چيز بدانند كه قسم بوى ياد كرده كقوله لااقسم بهذا البلد يعنى مكة وكذلك قوله وطورسينين وهذا البلد الامين ومن ذلك قوله للمصطفى عليه السلام لعمرك وهذا على عادة العرب فانها تقسم بكل ماتستعظمه وتريد اظهار تعظيمه وقيل كل موضع اقسم فيه بمخلوق فالرب فيه مضمر كقوله والنجم يعنى برب النجم ورب الذاريات واشباه ذلك والمراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب عليها ومنه قوله عليه السلام ماطلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا رفع يريد بالنجم الثريا باتفاق العلماء وقال السهيلى رحمه الله وتعرف الثريا بالنجم ايضا وبالية الحمل لانها تطلع بعد بطن الحمل وهى سبعة كواكب ولايكاد يرى السابع منها لخفائه وفى الحقيقة انها اثنا عشر كوكبا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يراها كلها القوة جعلها الله فى بصره وقال فى عين المعانى وهى سبعة انجم ظاهرة والسابع تمتحن به الابصار وكانت قريش تجعلها وتقول احسن النجم فى السماء الثريا والثريا فى الارض زين السماء وكانت رحلتاها عند طلوعها وسقوطها فاذا طلعت بالغداة عدوها من الصيف واذا طلعت بالعشى عدوها من الشتاء قال الشاعر

طلع النجم غديه * ابتغى الراعى شكيه

واما جنس النجم وهويه كما قال تعالى (اذا هوى) غروبه وطلوعه يقال هوى يهوى من الثانى هويا بورن قبول اذاغرب فان الهوى سقوط من العلو الى اسفل وهو يابوزن دخول اذاعلا وصعدوا لعامل فى اذا القسم اى اقسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما فى قولك آتيتك اذا احمر البسر فلا يلزم عمل فعل

الحال فى المستقبل يعنى ان فعل القسم انشاء والانشاء حال واذا لما يستقبل من الزمان فيكون المعنى اقسم الآن بالنجم وقت هوى بعد هذا الزمان ثم ان الله تعالى اقسم بالنجم حين هوى اى وقت هويه لان شانه ان يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة فى البر والجارية فى البحر الى سواء السبيل والسمت (ماضل صاحبكم) هوجواب القسم اى ماعدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة وهذا دليل على ان قوله ووجدك ضالا ليس من ضلال الغى فانه عليه السلام قبل الوحى وبعده لم يزل يعبد ربه ويوحده ويتوقى مستقبحات الامور وفيه بيان فضل النبى عليه السلام حيث ان الله تعالى قال فى حق آدم عليه السلام وعصى آدم ربه فغوى وقال فى حقه ماضل صاحبكم (وماغوى) الغى هو الجهل المركب قال الراغب الغى جهل من اعتقاد فاسد وذلك ان الجهل قد يكون من كون الانسان غير معتقدا صلا لا صالحا ولا فاسدا وقد يكون من اعتقاد شئ فاسد وهذا الثانى يقال له غى فعطفه على ماضل من عطف الخاص على العام للاهتمام بشان الاعتقاد بمعنى انه فرق بين الغى والضلال وليسا بمعنى واحد فان الغواية هى الخطأ فى الاعتقاد خاصة والضلال اعم منها يتناول الخطأ فى الاقوال والافعال والاخلاق والعقائد التى شرعها الله وبينها لعباده فالمعنى وما اعتقد باطلا قط اى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شئ اصلا وكانوا يقولون ضل محمد عن دين ابائه وخرج عن الطريق وتقول شيا من تلقاء نفسه فرد الله عليهم بنفسه بتنزيل هذه السورة تعظيما له والخطاب لقريش وايراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله واحاطتهم خبرا ببرآءته عليه السلام مما نفى عنه بالكلية وباتصافه بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له ومشاهدتهم محاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما كما فى الارشاد (وقال الكاشفى) وتسميهٔ صاحب بجهت انست كه حضرت پيغمبر عليه السلام مأمور بود بصحبت كافران جهت دعوت ايشان ويؤيد ما فى الارشاد قول الراغب فى المفردات لايقال الصاحب فى العرف الالمن كثرت ملازمته وقوله تعالى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة سمى النبى عليه السلام صاحبهم تنبيها اى انكم صحبتموه وجربتموه وعرفتم ظاهره وباطنه ولم تجدوا به خبلا وجنة وتقييد القسم بوقت الهوى لان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه اوصعوده مع مافيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام وقال سعدى المفتى ثم التقييد بوقت الهوى اى الغروب لكونه اظهر دلالة على وجود الصانع وعظيم قدرته كما قال الخليل عليه السلام لااحب الآفلين قال ابن الشيخ فى حواشيه وفيه لطيفة وهى ان القسم بالنجم يقتضى تعظيمه وقد كان فيهم من يعبده فنبه بهويه على عدم صلاحيته للالهية بافوله وقيل خص الهوى دون الطلوع فان لفظة النجم دلت على طلوعه فان اصل النجم الكوكب الطالع وقال الامام جعفر الصادق رضى الله عنه اراد بالنجم محمدا عليه السلام اذا نزل ليلة المعراج والهوى النزول كفته اند آن رزكه اين ايت فرو امد ورسول خدا برقريش اشكار اكرد عتبة بن ابى لهب كفت كفرت برب النجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ودختر رسول عليه السلام زن او بود طلاق داد رسول خدا دعا كرد وكفت اللهم سلط عليه كلبا من كلابك بعد ازان عتبه بتجارت شام رفت بادر خويش ابولهب درمنزلى ازمنازل راه فرو امد ند وانجا دير بود راهبى ازدير فرو امد وكفت هذه ارض مسبعة درين منزل سباع فراوان بودنكريد تاخويش را ازسباع نكاه داريد ابو لهب اصحاب خويش را كفت اين پسر مرا نكاه داريد كه من مى ترسم كه دعاى محمد دروى رسد ايشان همه كردوى درآمدند واورا در ميان كرفتند وپاس او مى داشتند درميانه شب رب العالمين خواب برايشان افكند وشير بيامد وبايشان در كذشت ولطمهٔ برعتبه زد واورا هلاك كرد ولم يأكله لنجاسته ويحتمل من التأويل المصلى اذا سجد والغازى اذا قتل شهيدا والعالم اذا مات ووضع فى قبره فان هؤلاء نجوم والاخبار ناطقة بها قال عليه السلام علماء امتى كالنجوم بها يهتدى فى البر والبحر وقال الامام الغزالى رحمه الله هم الصحابة اذا ماثوا لقوله عليه السلام اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعلماء الاسلام لقوله عليه السلام العلماء نجوم الارض وقال بعضهم هو قسم بنور المعرفة اذا وقع فى القلب قال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح (وقال الكاشفى) ونزد محققان سوكند يادكرده

بستارة دل حضرت محمد عليه السلام برفلك توحيد منقطع شد ازما سوى الله تعالى وايضا اقسم الله بنجم الالهام حين سقط من صحائف الغيوب الى معادن القلوب وفى التأويلات النجمية قال الاخفش النجم نبت لاساق له فيكون هويه سقوطه على الارض كما قال والنجم والشجر يسجدان يشير الى ان الله تعالى ينبت حبة المحبة الدائمة المنزهة عن التغير المقدسة عن التبدل التى وقعت وسقطت من روض سماع ذاته المطلقة الكلية الجمعية الاحاطية فى ارض قلب نبيه وحبيبه القابل لانبات نباتات الولاية والنبوة والرسالة الموجبات لظهور رياحين الحقائق القرآنية وشقائق التجليات الربانية وازهار التنزلات الحقانية وعرار اللطائف الاحسانية العرفانية كالمشاهدات والمكاشفات والمعاينات وامثالها وجواب القسم ماضل صاحبكم وماغوى وبه يشير الى ان وجود النبى عليه السلام لما كان اول نور وحدانى بسيط علوى لطيف شعشعانى تجلى به الحق وتعلقت به القدرة القديمة الازلية من غير واسطة كما اخبر عنه بقوله انا من الله والمؤمنون منى وليست فيه ظلمة الوسائط الامكانية الموجبة للضلالة المنتجة للغى بل هو على نوريته الاصلية البسيطة الشعشعانية المقتضية للهدى والتقوى المستدعية للرشد والنهى باق كما هو ماأثرت فيه مصاحبتكم الطبيعية ولا مخالطتكم الصورية العنصرية وماضل بامر الطبيعة وماغوى بحكم البشرية فانه صلى الله عليه وسلم قائم بالحق خارج عن الطبع كما اخبر عن نفسه الشريفة القدسية بقوله لست كاحدكم ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وهذا يدل على قيامه بالحق وخروجه عن الطبع واحكامه انتهى *يقول الفقير امدنا الله القدير لفظ النجم نون هى خمسون بحساب ابجد وجيم هى ثلاثة فالمجموع ثلاثة وخمسون وميم هى اربعون فاشار الى ان النبى عليه السلام بعث عند الاربعين وجعل خاتم الانبياء والمرسلين ومكث فى مكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة والمجموع ثلاثة وخمسون وقد سماه الله تعالى بالنجم فى هذه الآية كما سماه سراجا منيرا فى آية اخرى لانه يستضاء بنور وجهه وضياء علمه وهداه وهوى هذا النجم العالى غروبه من مكة بعد المدة المذكورة وهجرته الى المدينة ولذا اقسم الله على عدم ضلاله وغيه لانه فى غروبه ذلك وحركته راشد مهدى حيث كان بأمر الله تعالى واذنه فلما غرب من مكة اظلمت الدنيا على قريش وصاروا فى ظلمة شديدة ولما طلع على المدينة اشرقت الارض على المؤمنين حتى انهم وقعوا فى البدر التام فى السنة الثانية من الهجرة حيث نورهم الله تحت لواء حبيبه بنور النصرة على الاعداء ببدر وصار حال الاعداء الى ظلمة العدم وبهذا يظهر سر قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وسر قوله عليه السلام لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الارض الله الله اى ينقطع اهل الذكر المتصل وكان هو النبى عليه السلام فى مكة وبخروجه عنها ومفارقته عن ارضها واصرار القوم على الشرك والعناد وقع عليهم الطامة الكبرى ببدر كما تقوم الساعة عند انقطاع اهل الذكر الدائم من الارض ففيه الناس يعنى الناسين لايعرفون قدر اهل الذكر والحضور فيما بينهم بل يعادونهم ويؤذونهم معان فى ذلك هلاكهم لانهم ملكوتهم و باتقطاع الملكوت والارواح عن الملك والاجسام يزول الملك وتخرب الاجسام لانقطاع سبب البقاء ومن هنا قالوا ان لله رجالا متصرفين فى اقطار الدنيا ولولاهم لدار الحرب فانه لابد للوجود من فيض البقا والامداد امدنا الله واياكم بمزيد فضله وجوده وشرفنا بوصاله وشهوده بحرمة النجم وهويه وسجوده آمين آمين

(ومايطق عن الهوى) يقال نطق ينطق نطقا ومنطقا ونطوقا تكلم بصوت وحروف يعرف بها المعانى كما فى القاموس فلا يستعمل فى الله تعالى لان التكلم بالصوت والحروف من خواص المخلوق والهوى مصدر هويه من باب علم اذا احبه واشتهاه ثم غلب على الميل الى الشهوات والمستلذات من غير داعية الشرع ومنه قيل صاحب الهوى للمبتدع لانه مائل الى مايهواه فى امر الدين فالهوى هو الميل المخصوص المذموم ولهذا نهى الله انبياءه فقال لداود عليه السلام ولاتتبع الهوى ولنبينا عليه السلام ولا تتبع اهواءهم ولم يمل احد من الانبياء اليه بدليل قوله عليه السلام ماأطلى نبى قط يقال اطلى الرجل اذا مال الى هواه (حكى) عن بعض الكبار انه قال كنت فى مجلس بعض الغافلين فتكلم الى ان قال لامخلص لاحد من الهوى ولوكان فلانا عنى به النبى عليه السلام حيث قال حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة فقلت له اما تستحيى من الله تعالى فانه ماقال احببت بل قال حبب فكيف يلام العبد على ماكان من عند الله تعالى ثم حصل لى غم وهم فرأيت النبى عليه السلام فى المنام فقال لاتغتم فقد كفينا امره

ثم سمعت انه خرج الى ضيعة له فقتل فى الطريق نعوذ بالله من الاطالة على الانبياء وورثتهم الاولياء وضمن ينطق معنى الصدور فتعدى بكلمة عن فالمعنى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه وقد يقال عن هنا بمعنى الباء اى وما ينطق بالهوى كما يقال رميت عن القوس اى بالقوس وفى التنزيل وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك اى بقولك قال ابن الشيخ قال اولا ماضل وما غوى بصيغة الماضى ثم قال وما ينطق عن الهوى بصيغة المستقبل بيانا لحاله قبل البعثة وبعدها اى ماضل وماغوى حين اعتزلكم وماتعبدون قبل ان يبعث رسولا وما ينطق عن الهوى الآن حين يتلو عليكم آيات ربه انتهى * يقول الفقير فيه بعد كما لا يخفى والظاهر ان صيغة الماضى باعتبار قولهم قد ضل وغوى اشارة الى تحقق ذلك فى زعمهم واما صيغة المضارع فباعتبار تجدد النطق فى كل حال والله اعلم بكل حال (ان هو) اى ما الذى ينطق به من القرآن (الا وحى) من الله تعالى (يوحى) اليه بواسطة جبريل عليهما السلام وهو صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى يعنى ان فائدة الوصف التنبيه على انه وحى حقيقة لا انه يسمى به مجازا والوحى قد يكون اسما بمعنى الكتاب الالهى وقد يكون مصدرا وله معان الارسال والالهام والكتابة والكلام والاشارة والافهام وفيه اشارة الى ان النبى عليه السلام قد فنى عن ذاته وصفاته وافعاله فى ذات الله وصفاته وافعاله بحيث لم يبق منه لا اسم ولا رسم ولا اثر ولا عين فكان ناطقا بنطق الحق لا بنطق البشرية فلا يتوهم فيه ان يجرى عليه الخطرات الشيطانية والهواجس النفسانية ولذا قالوا ما يصدر عن الواصل شريعة اذ هو محفوظ كما ان النبى عليه السلام معصوم قال بعض الكبار من وضع من الفقراء وردا من غير الوارد فى السنة فقد اساء الأدب مع الله ورسوله الا ان يكون ذلك بتعريف من الله تعالى فيعرفه خصائص كلمات يجمعها فيكون حينئذ ممتثلا لا مخترعا وذلك مثل حزب البحر للشاذلى قدس سره فانه سافر فى بحر القلزم مع نصرانى يقصد الحج فتوقف عليهم الريح اياما فرأى النبى عليه السلام فى مبشرة فلقنه اياه فقرأه وامر النصرانى بالسفر فقال واين الريح فقال افعل فانه الآن يأتيك فكان الامر كما قال واسلم النصرانى بعد ذلك وقس عليه الالهام والتعريف فى اليقظة وقد اخبر ابو يزيد البسطامى قدس سره انه يولد بعد وفاته بمدة طويلة نفس من انفاس الله وهو الشيخ ابو الحسن الخرقانى قدس سره فكان كما قال (وكذا قال صاحب المثنوى) لوح محفوظست اورا پيشوا * ازچه محفوظست محفوظ ازخطا * نى نجومست ونى رملست ونه خواب * وحى حق والله اعلم بالصواب * ازپى روپوش عامه دربيان * وحى دل كويند اوراصوفيان * وحى دل كيرش كه منظر كاه اوست * چون خطا باشد چودل آكاه اوست * مؤمنا ينظر بنور الله شدى * ازخطا وسهو ايمن آمدى (علمه) اى القرآن الرسول اى نزل به عليه وقرأه عليه وبينه له هذا على ان يكون الوحى بمعنى الكتاب وان كان بمعنى الالهام فتعليمه بتبليغه الى قلبه فيكون كقوله نزل به الروح الامين على قلبك (شديد القوى) من اضافة الصفة الى فاعلها مثل حسن الوجه والموصوف محذوف اى ملك شديد قواه وهو جبريل فانه الواسطة فى ابداء الخوارق ويكفيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقبات الارض المقدسة فنفخه نفخة بجناحه يعنى بادزد ويرا بجناح خود بادى والقاه فى اقصى جبل فى الهند وكان هبوطه على الانبياء عليهم السلام وصعوده فى اسرع من رجعة الطرف (ذومرة) اى حصافة يعنى استحكام فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه قال الراغب امررت الحبل اذا فتلته والمرير والممر المفتول ومنه فلان ذومرة كأنه محكم الفتل وفى القاموس المرة بالكسر قوة الخلق وشدته والجمع مرر ومرار والعقل والاصالة والاحكام والقوة وطاقة الحبل كالمريرة وذومرة جبريل عليه السلام والمريرة الحبل الشديد الفتل (فاستوى) عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله ما اوحى بيان لكيفية التعليم اى فاستقام جبريل واستقر على صورته التى خلقه الله عليها وله ستمائة جناح موشحا اى مزينا بالجواهر دون الصورة التى كان يتمثل بها كما هبط بالوحى كصورة دحية امير العرب وكما اتى ابراهيم عليه السلام فى صورة الضيف وداود عليه السلام فى صورة الخصم وذلك ان رسول الله صلى عليه وسلم احب ان يراه

فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبل حراء وهو الجبل المسمى بجبل النور فى قرب مكة فقال ان الارض لاتسعنى ولكن انظر الى السماء فطلع له جبريل من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله كما خر موسى فى جبل الطور فنزل جبريل فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وذلك فان الجسد وهو فى الدنيا لايحمل رؤية ماهو خارج عن طور العقل فنها رؤية الملك على صورة جبل عليها واعظم منها رؤية الله تعالى فى هذه الدار قيل ما رآه احد من الانبياء فى صورته غير نبينا عليه السلام فانه رآه فيها مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى لما سيأتى (وروى) ان حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه قال يارسول الله ارنى جبرآئيل فى صورته فقال انك لاتستطيع ان تنظر اليه قال بلى يارسول الله ارنيه فقعد ونزل جبرآئيل على خشبة فى الكعبة كان المشركون يضعون ثيابهم عليها اذا طافوا فقال عليه السلام ارفع طرفك ياحمزة فانظر فرفع عينيه فاذا قدماه كالزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه (وروى) انه رآه على فرس والدنيا بين كلكلها وفى وجهه اخدود من البكاء لو القيت السفن فيه لجرت وانما رآه عليه السلام مرتين ليكمل له الامر مرة فى عالم الكون والفساد واخرى فى المحل الأنزه الأعلى وانما قام بصورته ليؤكد ان مايأتيه فى صورة دحية هو هو فانه اذا رآه فى صورة نفسه عرفه حق معرفته ولم يبق عليه اشتباه بوجه ماوفى كشف الاسرار فان قيل كيف يجوز ان يغير الملك صورة نفسه وهل يقدر غير الله على تغيير صورة المخلوقين وقد قلتم ان جبرآئيل اتى رسول الله مرة فى صورة رجل ومرة فى صورته التى ابتدأه الله عليها وان ابليس اتى قريشا فى صورة شيخ من اهل نجد فالجواب عنه ان تغيير الصور الذى هو تغيير التركيب والتأليف لايقدر عليه الا الله واما صفة جبرآئيل ففعل الله تعالى تنبيها للمصطفى عليه السلام وليعلم انه امر من الله اذ رآه فى صور مختلفة فان ذلك لايقدر عليه الا الله وهو ان يراه مرة قد سد الافق واخرى يجمعه مكان ضيق واما ابليس فكان ذلك منه تخييلا للناظرين وتمويها دون التحقيق كفعل السحرة بالعصى والحبال قال الله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى انتهى مافى الكشف وقال فى آكام المرجان قال القاضى ابو يعلى ولاقدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور اى صور الانس والبهائم والطير وانما يجوز ان يعلمهم الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الافعال اذا فعله وتكلم به نقله الله من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصور والتخييل على معنى انه قادر على قول اذا قاله او على فعل اذا فعله نقله الله من صورته الى صورة اخرى بجرى العادة واما ان يصور نفسه فذلك محال لان انتقالها من صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء واذا انتقضت بطل الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة فكيف ينقل نفسه قال والقول فى تشكيل الملائكة من ذلك انتهى وقال والهى الاسكوبى فيه ان من قال تمثل جبريل وتصور ابليس ليس مراده انهما احدثا تلك الصورة والمثال عن قدرة انفسهما بل باقدار الله على التمثيل والتصوير كيف يشاء فلا منافاة بين القولين غاية مافى الباب ان العامل عن طريق اقدار الله به من الاسباب المخصوصة انتهى وقال فى انسان العيون فان قيل اذا جاء جبريل على صورة الادمى دحية اوغيره بل هى الروح تتشكل بذلك الشكل وعليه هل يصير جسده الاصلى حيا من غير روح اوميتا اجيب بان الجائى يجوز ان لايكون هو الروح بل الجسد لانه يجوز ان الله تعالى جعل فى الملائكة قدرة على التطور والتشكل باى شكل ارادوه كالجن فيكون الجسد واحدا ومن ثمة قال الحافظ ابن حجر ان تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر ان القدر الزائد لايزول ولايفنى بل يخفى على الرآئى فقط واخذ من ذلك بعض غلاة الشيعة انه لامانع ولابعد ان الحق تعالى يظهر فى صورة على واولاده الاثنى عشر رضى الله عنهم ويجوز ان يكون الجسد للملك متعددا وعليه فمن الممكن ان يجعل الله لروح الملك قوة يقتدر بها على التصرف فى جسد اخر غير جسدها المعهود مع تصرفها فى ذلك الجسد المعهود كما هو شأن الابدال لانهم يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا اخر شبيها لشبحهم الاصلى بدلا منه وقد ذكر ابن السبكى فى الطبقات ان كرامات الاولياء انواع وعد منها ان يكون له اجساد متعددة قال وهذا هو الذى يسميه الصوفية بعالم المثال ومنه قصة قضيب البان وغيره اى كواقعة الشيخ عبد القادر الطبحط وطى فقد ذكر الجلال السيوطى انه رفع اليه سؤال

فى رجل حلف بالطلاق ان ولى الله الشيخ عبد القادر الطبحطو طى بات عنده ليلة كذا فحلف آخر بالطلاق انه بات عنده تلك الليلة بعينها فهل يقع الطلاق على احدهما فارسلت قاصدى الى الشيخ عبد القادر فسأله عن ذلك فقال لو قال اربعون انى بت عندهم لصدقوا فافتيت بانه لاحنث على واحد منهما لان تعدد الصور بالتخيل والتشكل ممكن كما يقع ذلك للجان قال الشعرانى واخبرنى من صحب الشيخ محمد الخضرى انه خطب فى خمسين بلدة فى يوم واحد خطبة الجمعة وصلى بهم اماما واما الشيخ حسين ابو على المدفون بمصر المحروسة فاخبرنى عنه اصحابه ان التطور كان دأبه ليلا ونهارا حتى فى صور السباع والبهائم ودخل عليه بعض اعدائه ليقتلوه فوجدوه فقطعوه بالسيوف ليلا ورموه على كوم بعيد ثم اصبحوا فوجدوه قائما يصلى وفى جواهر الشعرانى وصورة التطور ان يقدر الله الروح على تدبير ماشاءت من الاجسام المتعددة بخلعة كن فللاولياء ذلك فى الدنيا بحكم خرق العادة واما فى الآخرة فان نفس نشأة اهل الجنة تعطى ذلك فيد بر الواحد الاجسام المتعددة كما يدبر الروح الواحد سائر اعضاء البدن فتكون تسمع وانت تبصر وتبطش وتمشى ونحو ذلك وفى الفتوحات المكية والذى اعطاه الكشف الصحيح ان اجسام اهل الجنة تنطوى فى ارواحهم فتكون الارواح ظروفا للاجسام عكس ماكانت فى الدنيا فيكون الظهور والحكم فى الدار الآخرة للجسم لا للروح ولهذا يتحولون فى اى صورة شاؤا كما هو اليوم عندنا للملائكة وعالم الارواح انتهى وفى انسان العيون عالم المثال عالم متوسط بين عالم الاجساد والارواح الطف من عالم الاجساد واكثف من عالم الارواح فالارواح تتجسد وتظهر فى صور مختلفة من عالم المثال وهذا الجواب اولى من جواب ابن حجر بان جبرآئيل كان يندمج بعضه فى بعض وهل مجئ جبرآئيل فى صورة دحية كان فى المدينة بعد اسلام دحية واسلامه كان بعد بدر فانه لم يشهدها وشهد المشاهد بعدها اذ يبعد مجيئه على صورة دحية قبل اسلامه قال الشيخ الاكبر رضى الله عنه دحية الكلبى كان اجمل اهل زمانه واحسنهم صورة فكان الغرض من نزول جبريل على سيدنا محمد فى صورته اعلاما من الله تعالى انه مابينى وبينك يا محمد سفير الا صورة الحسن والجمال وهى التى عندى فيكون ذلك بشرى له عليه السلام ولاسيما اذا اتى بامر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه مايحرك ذلك الوعيد والزجر هذا كلامه وهو واضح لو كان لا يأتيه الا على تلك الصورة الا ان يدعى انه من حين اتاه على صورة دحية لم يأته على صورة آدمى غيره بقى هنا كلام وهو ان السهيلى رحمه الله ذكر ان المراد بالاجنحة فى حق الملائكة صفة ملكية وقوة روحانية وليست كاجنحة الطير ولا ينافى ذلك وصف كل جناح منها بانه يسد مابين المشرق والمغرب انتهى * يقول الفقير هذا كلام عقلى ولا مانع من ان يجمع الملك بين قوة روحانية وبين جناح يليق بعالمه سواء كان ذلك كجناح الطير اوغيره فان المعقولات مع المحسوسات تدور والجمع انسب بالحكمة والصق بالقدرة وقد اسلفنا مثل هذا فى اوائل سورة الملائكة فلا كلام فيه عند اولى الالباب وانما يقتضى المقام ان يبين وجه كون جناح جبريل ستمائة لا ازيد ولا انقص ولم اظفر ببيانه لا فى كلام اهل الرسوم ولا فى اشارات اهل الحقائق والذى يدور بالبال الهاما من الله تعالى لا تعملا وتأملا ان النبى عليه السلام انما عرج ليلة الاسراء بالفناء التام ولذا وقع الاسراء فى الليل الذى هو مظهر الفناء دون النهار الذى هو مظهر البقاء وكان مراتب الفناء سبعا على مراتب الاسماء السبعة التى آخرها القيوم القهار والاشارة الى هذا جعلت منارات الحرم المكى سبعا لان سر البقاء انما ظهر فى حرم النبى عليه السلام ولذا جعلت منارانه خمسا على عدد مراتب البقاء التى اشير اليها بالاسماء الخمسة الباقية من الاثنى عشر التى آخرها الاحد الصمد وكل واحد من تلك الاسماء السبعة مائة على حسب تفصيلها الى الاسماء الحسنى مع احدية جمعها فيكون مجموعها بهذا الحسب سبعمائة ولما كان جبريل دون النبى عليه السلام فى الفناء لم يتجاوز تلك الليلة مقامه الذى هو سدرة المنتهى حتى قال لو دنوت انملة لاحترقت وتجاوزه النبى عليه السلام الى مستوى العرش وقهره وغلب عليه فى ذلك فانتهى سير جبريل الى الاسم القيوم فصار مقهورا تحت سير النبى عليه السلام وقائما فى مكانه وقائما بوحيه للقلوب ولذا سمى بروح القدس لحياة القلوب بوحيه كحياة الاجساد بالارواح فله من تلك الاجنحة السبعمائة ستمائة صورة ومعنى وانتهى سير النبى عليه السلام الى الاسم القهار فصار ماحصر الكل من دونه فله سبعمائة جناح معنوية فظهر ان القوة النبوية ازيد

من القوة الملكية لانها القوة الالهية وقد قال تعالى يد الله فوق ايديهم وان جبريل لكونه من الايدى انما يستفيد اليد والقوة من يد النبي عليه السلام وقوته فاعرف ذلك وكن من الموقنين (وهو بالافق الاعلى) حال من فاعل استوى والافق هى الدائرة التى تفصل بين ما يرى من الفلك ومالا يرى والافق الاعلى مطلع الشمس كما ان الافق الأدنى مغربها والمعنى والحال ان جبريل بافق الشمس اى اقصى الدنيا عند مطلع الشمس وبالفارسية وبكناره بلند تربود از آسمان يعنى نزديك مطلع آفتاب ومنه يعلم ان مطلع الشمس ومغربها كرأس الانسان ورجله وان كانت الدنيا كالكرة على ماسلف وايضا مثل روح الانسان وجسده فان الروح علوى والجسد سفلى وقد طلع من عالم الارواح وغرب فى عالم الاجساد (ثم دنا) اى اراد الدنو من النبي عليه السلام حال كونه فى جبل حراء والدنو القرب بالذات اوبالحكم ويستعمل فى الزمان والمكان والمنزلة كما فى المفردات (فتدلى) التدلى استرسال مع تعلق اى استرسل من الافق الاعلى مع تعلقه به فدنا من النبي عليه السلام يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وفى الحديث لودليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله اى على علمه وقدرته وسلطانه فى كل مكان وادلى دلوه والدوالى الثمر المعلق وبالفارسية اونك (فكان) اى مقدار امتداد مابينهما وهو المسافة (قاب قوسين) من قسى العرب اى مقدار هما فى القرب وذكر القوس لان القرآن نزل بلغة العرب والعرب تجعل مساحة الاشياء بالقوس وفى معالم التنزيل معنى قوله كان بين جبرائيل ومحمد عليهما السلام مقدار قوسين انه كان بينهما مقدار مابين الوتر والقوس كانه غلب القوس على الوتر وهذا اشارة الى تأكيد القرب واصله ان الحليفين من العرب كانا اذا اراد اعقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما ويدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقيل قدر ذراعين ويسمى الذراع قوسا لانه يقاس به المذروع اى بقدر فلم يكن قريبا قرب التصاق ولا بعيدا بحيث لايتأتى معه الافادة والاستفادة وهو الحد المعهود فى مجالسة الاحباء المتأدبين (او ادنى) اى على تقديركم ايها المخاطبون كما فى قوله او يزيدون فان التشكيك لايصح على الله فالشك من جهة العباد كما ان كلمة لعل كذلك فى مواضع من القران اى اورآهما رائى منكم لقال هو قدر قوسين فى القرب اوادنى اى لالتبس عليه مقدار القرب والمراد اى من قوله ثم دنا الى قوله اوادنى تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس وحمله بعضهم على حقيقته حيث قال فكلما دنا جبريل من النبي عليهما السلام انتقص فلما قرب منه مقدار قوسين رآه على صورته التى كان يراه عليها فى سائر الاوقات حتى لايشك انه جبريل وهنا كلام آخر يجيء بعد تمام الآيات (فاوحى) اى جبرائيل (الى عبده) اى عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى ماترك على ظهرها من دابة اى على ظهر الارض والمراد بالعبد المشرف بالاضافة الى الله هو الرسول عليه السلام كما فى قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده (ماأوحى) اى من الامور العظيمة التى لاتفى بها العبارة اوفاوحى الله حينئذ بواسطة جبريل ماأوحى (ماكذب الفؤاد) اى فؤاد محمد عليه السلام وما نافية (مارأى) ما موصولة وعائدها محذوف اى مارآه ببصره من صورة جبريل اى ماقال فؤاده لمارآه لم اعرفك ولوقال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كمارآه ببصره قال بعضهم كذب مخففا ومشددا بمعنى واحد وقال بعضهم من خفف كذب جعل ما فى موضع النصب على نزع الخافض واسقاطه اى ماكذب فؤاده فيمارأه ببصره اى لم يقل فيه كذبا وانما يقول ذلك ان اوقال له لااعرفك ولا اعتقد بك (افتمارونه على مايرى) اى اتكذبون محمدا عليه السلام فتجادلونه على مايراه معاينة من صورة جبريل فالفاء للعطف على محذوف اوابعد ماذكر من احواله المنافية للممارة فتمارونه فالفاء للتعقيب وذلك ان النبي عليه السلام لما اخبر برؤية جبريل تعجبوا منه واذكروا والممارة والمراء المجادلة بالباطل فكان حقه ان يتعدى بفى يقال جادلته فى كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فتعدى تعديتها لان الممارى يقصد بفعله غلبة الخصم واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمرى ماعند صاحبه يقال مريت الناقة مريا مسحت ضرعها لتدر ومريت الفرس اذا استخرجت ماعنده من الجرى اوغيره يقول الفقير كان الظاهر ان يقال على مارأى وجوابه انه لما كان اثر الرؤية باقيا صح ان يقال يرى وايضا ان رؤية جبريل مستمرة الى وقت الاستقبال ولوعلى غير صورته الاصلية وقال الحسن البصرى رحمه الله وجماعة علمه شديد القوى اى علمه الله وهو وصف

من الله نفسه بكمال القدرة والقوة ذومرة اى ذواحكام الامور والقضا يا وبين المكان الذى فيه علمه بلا واسطة فاستوى اى محمد عليه السلام وهو بالا فق الا على اى فوق السموات ثم دنا پس نزديك شد حضرت محمد بحضرت احديت يعنى مقرب دركاه الوهيت كشت بمكانت ومنزلت نه بمنزل ومكان فتدلى پس فروتنى كرد يعنى سجدهٔ خدمت آورد خدايرا وچون اين مرتبه بواسطهٔ خدمت يافته بودديگر باره در وظيفهٔ خدمت افزود ودر سجدهٔ وعدهٔ قرب نيزهست كه اقرب مايكون العبد من ربه ان يكون ساجدا فكان قاب قوسين اوادنى كنايتست ازتأكيد قربت وتقرير محبت وبواسطهٔ تقرب بافهام در صورت تمثيل مؤدى شده چه عادت عظماء عرب آن مى بوده كه چون تأكيد عهدى وتوثيق عهدى خواستندى كه بغض بدان راه نيابد هريك ازمتعاقدين كمان خودحاضر ساخته بايكديگر انضمام دادندى وهردو بيكبار قبضتين راكرفته وبيكبار كشيده باتفاق يك تيراز ان بيندا ختندى واين صورت ازايشان اشارت بدان معنى بودى كه موافقت كلى ميان ماتحقق پذيرفت ومصادقت واتحاد اصلى بروجهى ثبوت يافت كه بعداز ان رضا وسخط يكى عين رضا وسخط آن ديكرست پس كويا درين آيت باعنايت ان معنى مؤدى شده كه محبت وقربت حضرت پيغمبر باحق سبحانه وتعالى بمثابهٔ تأكيد يافته كه مقبول رسول مقبول خداوندست ومردود مصطفى مردود دركاه خداست وعلى هذا القياس ونزد محققان دنا اشارت نفس مقدس اوست وتدلى بمنزلهٔ دل مظهر او فكان قاب قوسين مقام روح مطيب اوادنى بمرتبهٔ سرمنور اوونفس اودرمكان خدمت بودودل اودرمنزل محبت وروح اودر مقام قربت وسراو در مرتبهٔ مشاهدت شيخ ابوالحسين نورى راقدس سره ازمعنى اين آيت پرسيدند جواب داد جايى كه جبرآئيل نكنجند نورى كيست كه ازان سخن تواند كفت * خيمه برون زدز حدود وجهات * پردهٔ او شد تمق نور ذات * تيركى هستى ازود وركشت * پردكى پردهٔ آن نور كشت * كيست كزان پرده شود پرده ساز * زمزمهٔ كويد ازان پرده باز * ويدل على ان ضمير دنا يعود اليه عليه السلام انه قال فى رواية لما اسرى بى الى السماء قربنى ربى حتى كان بينى وبينه كقاب قوسين اوادنى قيل لى قد جعلت امتك آخر الامم لافضح الامم عندهم اى بوقوفهم على اخبارهم ولاافضحهم عندالامم اى لتاخرهم عنهم وقال بعض الكبار ثم دنا اشارة الى العروج والوصول وقوله فتدلى الى النزول والرجوع وقوله فكان قاب قوسين بمنزلة النتيجة اشارة الى الوصول الى عالم الصفات المشار اليه بقوله تعالى الله الصمد وقوله اوادنى اشارة الى الوصول الى عالم الذات المشار اليه بقوله تعالى الله احد فى سورة الاخلاص فحاصل المعنى ثم دنا اى الى الحق من الخلق فتدلى الى الخلق من الحق فكان قاب قوسين فى مرتبة الوحدة الواحدية الجامعة بين شهادة الصفات والخلق وبين غيب الذات والحق اوادنى فى الوحدة الاحدية المختصة بغيب ذات الحق واذن هنا امران * الاول الوصول الى مرتبة قاب قوسين وذلك بفناء فى الصفات فقط * والثانى الوصول الى مرتبة اوادنى وذلك بفناء فى الصفات والذات معا فان بسر الله النزول والبقاء يكمل الامر فى هاتين الجهتين ولعمرى عزيز اهل هذا المقام جدا وقال بعضهم ضمير دنا الى آخره يعود الى الله تعالى قال فى كشف الاسرار دنو الله من العبد على نوعين احدهما باجابة الدعوة واعطاء المنية ورفع المنزلة كما فى قوله فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان والثانى بمعنى القرب فى الحقيقة دون هذه المعانى كقوله ثم دنا فتدلى انتهى فالمعنى ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى اى زاد فى القرب حتى كان من محمد عليه السلام قاب قوسين اوادنى فمعنى الدنو والتدلى الواقعين من الله تعالى كمعنى النزول منه الى السماء الدنيا كل ليلة فى ثلث الليل الاخير وهوان ذلك عند اهل الحقائق من مقام التنزل بمعنى انه تعالى يتلطف بعباده ويتنزل فى خطابه لهم فيطلق على نفسه مايطلقونه على انفسهم فهو فى حقهم حقيقة وفى حقه تعالى مجاز كما فى انسان العيون قال القاضى ابوالفضل فى كتاب الشفاء اعلم ان ما وقع فى اضافة الدنو والقرب من الله اوالى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ايس بدنو حد وانما دنو النبى من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله له مبرة وتانيس وبسط واكرام قال فى فتح الرحمن فمن جعل الضمير عائدا الى الله لاالى جبريل على هذا كان قوله فكان الخ عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وانضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد عليه السلام وعبارة اجابة الرغبة وقضاء المطالب قرب

بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتجميل المأمول فاوحى الى عبده ما اوحى قال فى الاسئلة المفحمة اجمل ولم يفسره لانه كان يطول ذكر جميع ما اوحى اليه فذكره جملة من غير تعرض الى التفصيل فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وقالت الشيوخ ستر الله بعض ما اوحى الى عبده محمد عليه السلام عن الخلق سترا على حاله لئلا يطلع عليه غيره فان ذلك لا يتعلق بغيره وانما ذلك من خواص محبته ومعرفته وعلو درجاته اذ بين الاحباب يجرى من الاسرار مالا يطلع عليه الاجانب والاغيار قال عليه السلام لى وقت مع الله لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل وسمعت الشيخ اباعلى الفارسى رحمه الله يقول فى هذه الآية قولا يطول شرحه وقصاراه يرجع الى انه تعالى ستر بعض ما اوحى الى نبيه عن الخلق لما علم ان علمهم بذلك يفتر عن السير فى صراط العبودية اتكالا على محض الربوبية ولهذا قال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه حيث قال معاذ اخبر الناس بذلك يارسول الله فقال لا تخبرهم بذلك لئلا يتكلوا انتهى

لا يكتم السر الا كل ذى خطر * والسر عند كرام الناس مكتوم
والسر عندى فى بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم

وقيل بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا عمل للخلق يحكيه
سر يمازجه انس يقابله * نور تحير فى بحر من التيه

(وقيل) در دى كه من از عشق تودارم حاصل * دل داند و من دانم و من دانم ودل (قال الكاشفى) بعض علما كويند كه اولى آنست كه تعرض آن وحى نكنيم ودر پرده نكذاريم وجمعى كويند انچه ازان وحى در چيزى وياثرى بمارسيده ذكر آن هيچ نقصان ندارد ودر امانت بسيار واقع شده ودر تفسير جواهر بسطى تمام يافته اينجا بسه وجه اختصاص مى يابد اول آنكه مضمون وحى اين بود كه يامحمد لولا انى احب مغالبة امتك لما حاسبتهم يعنى اكرنه آنست كه دوست ميدارم معاتبه باامت تو والا بساط محاسبة ايشان طى مى كردم دوم آنكه اى محمد انا وانت وماسوى ذلك خلقته لاجلك آن حضرت عليه السلام در جواب فرمودند انت وانا وماسوى ذلك تركته لاجلك سوم انكه امت تو طاعت من بجاى مى ارند وعصيان نيز مى ورزند طاعت ايشان برضاء منست ومعصيت ايشان بقضاء من پس انچه برضاء من ازايشان ثابت شود اكرچه اندك وباقصور بود قبول كنم زيراكه كريمم وانچه بقضاء من ازايشان در وجود ايد اكرچه بزرك وبسيار باشد عفو كنم زيراكه رحيمم وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك وقيل كن ايسا من الخلق فليس بايديهم شئ واجعل صحبتك معى فان مرجعك الى ولا تجعل قلبك معلقا بالدنيا فانى ما خلقتك لها وقيل اوحى اليه الم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه آمن الرسول الخ بغير واسطة جبريل وقيل اوحى اليه عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ما شئت فانك مجزى به (وروى) انه عليه السلام قال شكا الى الله ليلة المعراج من امتى ثلاثا * الاولى لم اكلفهم عمل الغد وهم يطلبون منى رزق الغد * والثانية لا ادفع ارزاقهم الى غيرهم وهم يدفعون عملهم الى غيرى * والثالثة انهم يأكلون رزقى ويشكرون غيرى ويخونون معى ويصالحون خلقى * والرابعة ان العزة لى وانا المعزوهم يطلبون العزة من سواى * والخامسة انى خلقت النار لكل كافر وهم يجتهدون ان يوقعوا انفسهم فيها قال قل لامتك ان احبتهم احدا لاحسانه اليكم فانا اولى به لكثرة نعمى عليكم وان خفتم احدا من اهل السماء والارض فانا اولى بذلك لكمال قدرتى وان انتم رجوتم احدا فانا اولى به لانى احب عبادى وان انتم استحييتم من احد لجفائكم اياه فانا اولى به لان منكم الجفاء ومنى الوفاء وان آثرتم احدا باموالكم وانفسكم فانا اولى بذلك لانى معبودكم وان صدقتم احدا فى وعده فانا اولى بذلك لانى انا الصادق وقيل اوحى الله اليه يامحمد لم اكثر مال امتك لئلا يطول حسابهم فى القيامة ولم اطل اعمارهم لئلا تقسو قلوبهم ولم افجأهم بالموت لئلا يكون خروجهم من الدنيا بدون التوبة واخرتهم فى الدنيا عن الاخرين لئلا يطول فى القبور حبسهم قال بعضهم ان ما اوحى اليه مفسر فى الاخبار ونطقت به الروايات من اهوال القيامة وغيرها ولهذا قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال جعفر الصادق رضى الله عنه فاوحى الى عبده ما اوحى بلا واسطة فيما بينه وبينه سرا الى قلبه لا يعلم به احد سواه

بلا واسطة اى فى العقبى حين يعطيه الشفاعة لامته وقال البقلى ابهم الله سر ذلك الوحى الخفى على جميع فهوم الخلائق من العرش الى الثرى بقوله ما اوحى لانه لم يبين اى شئ اوحى الى حبيبه لان بين المحب والمحبوب سرا لا يطلع عليه غيرهما واظن انه لو بين كلمة من تلك الاسرار لجميع الاولين والآخرين لماتواجيعا من ثقل ذلك الوارد الذى ورد من الحق على قلب عبده احتمل ذلك المصطفى عليه السلام بقوة ربانية ملكوتية لاهوتية البسه الله اياها ولولا ذلك لم يحتمل ذرة منها لانها انباء عجيبة واسرار ازلية لو ظهرت كلمة منها لتعطلت الاحكام ولفنيت الارواح والاجسام واندرست الرسوم واضمحلت العقول والفهوم والعلوم يقول الفقير لاشك ان ما اوحى اليه عليه السلام تلك الليلة على اقسام قسم اداه الى الكل وهو الاحكام والشرائع وقسم اداه الى الخواص وهو المعارف الآلهية وقسم اداه الى اخص الخواص وهو الحقائق ونتائج العلوم الذوقية وقسم آخر بقى معه لكونه مما خصه الله به وهو السر الذى بينه وبين الله المشار اليه بقوله لى مع الله وقت الخ فانه تجلى مخصوص وسر مكتوم لا يفشى وهكذا كل ورثته فان لهم نصيبا من هذا المقام حيث ان بعض علومهم يرتحل معهم الى الآخرة ولا يوجد له محل يؤدى اليه اما لكونه من خصائصهم واما لفقدان من يستعد لادائه وذلك بحسب الزمان ولذا جاء نبى فى الاولين وبقى معه الرسالة ولم يقبلها احد من امته لعدم الاستعداد فيهم وفى التأويلات النجمية فى هذه الآية يشير الى ان الله تعالى من مقام جمعيته الجامعة لجميع المظهريات من غير واسطة جبريل وواسطة ميكائيل اوحى او تجلى فى صورة الوحى لعبده المضاف الى هاء هويته المطلقة بحقائق من مقتضى حكم الوحدة والموحى به هو ان وجودك يا محمد عين وجود المتعين باحدية جمع جميع الاعيان الظاهرة المشهودة والحقائق الباطنة الغيبية المفقودة فى عين كونها موجودة مطلقا عن هذا التعين والجمع والاطلاق ما كذب الفؤاد ما رأى اعلم ان المرئى ان كان صورة جبريل عليه السلام فالرؤية من رؤية العين وان كان هو الله تعالى على ما ذهب اليه البعض فقد اختلفوا فى انه عليه السلام رأى الله تعالى ليلة الاسراء بقلبه او بعين رأسه فقال بعضهم جعل بصره فى فؤاده فرآه فى فؤاده فيكون المعنى ما كذب الفؤاد ما رأته العين اى لم يقل فؤاده له ان ما رايته هاجس شيطانى وانه ليس من شانك ان ترى الرب تعالى بل تيقن ان ما رآه بفؤاده حق صحيح وقال بعضهم رآه بعينه لقوله عليه السلام ان الله اعطى موسى الكلام واعطانى الرؤية وقوله عليه السلام رأيت ربى فى احسن صورة اى صفة قال فى الكواشى هذا لا حجة فيه لانه يجوز انه اراد الرؤية بالقلب بان زاده معرفة على غيره يقول الفقير اراد الرؤية فى مقابلة الكلام يدل على رؤية العين لان موسى عليه السلام قد سألها ومنع منها فاقتضى ان يفضل النبى عليه السلام عليه بما منع منه وهو الرؤية البصرية ولا شك ان الرؤية القلبية الحاصلة بالانسلاخ يشترك فيها جميع الانبياء حتى الاولياء وقد صح ان موسى رأى ربه بعين قلبه حين خر فى الطور مغشيا عليه وحملها على زيادة المعرفة لا يجدى نفعا وكانت عائشة رضى الله عنها تقول من زعم بان محمدا رآى ربه فقد اعظم الفرية على الله قال فى كشف الاسرار قول عائشة نفى وقول ابن عباس بانه رآى اثبات والحكم للمثبت لا للنافى قالنا فى انما نفاه لانه لم يسمعه والمثبت انما اثبته لانه سمعه وعلمه انتهى وقول ابى ذر رضى الله عنه للنبى عليه السلام هل رأيت ربك قال نور انى اراه بالنسبة الى تجرد الذات عن النسب والاضافات اى النور المجرد لا يمكن رؤيته على ما سبق تحقيقه وقال فى عين المعانى ولا يثبت مثل هذا اى الرؤية بالعين الا بالاجماع وفى كشف الاسرار قال بعضهم رآه بقلبه دون عينه وهذا خلاف السنة والمذهب الصحيح انه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه انتهى وفى الكواشى يستحيل رؤيته عقلا ويعتقد رؤية الله هنا بالعين لغير محمد غير مسلم ايضا انتهى قال ابن الشيخ اعلم ان رؤية الله تعالى جائزة لان دليل الجواز غير مخصوص بالآخرة ولان مذهب اهل السنة الرؤية بالاراءة لا بقدرة العبد فاذا حصل العلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية بالاراءة وان حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر على ان يحصل العلم بخلق مدرك المعلوم فى البصر كما قدر ان يحصله بخلق مدرك المعلوم فى القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة والاختلاف فى الوقوع مما ينبئ عن الاتفاق على الجواز انتهى وكان الحسن البصرى رحمه الله يحلف بالله ان محمدا رأى ربه ليلة المعراج (وحكى) النقاش عن الامام احمد رحمه الله انه قال انا اقول بحديث ابن عباس رضى الله عنهما بعينه رآه رآه حتى انقطع نفس الامام احمد كلام سرمدى بى نقل بشنيد خداوند جهانرا

بي جهت ديد * دران ديدن كه حيرت حاصلش بود * دلش درچشم وچشمش دردلش بود * قال بعض الكبار الممنوع من رؤية الحق في هذه الدار انما هو عدم معرفتهم له والافهم يرونه ولا يعرفون انه هو على غير ما يتعقل البصر فالخلق حجاب عليه دائما فانه تعالى جل عن التكييف دنيا واخرى فافهم فهم يرونه ولا يرونه واكثر من هذا الافصاح لايكون انتهى * يقول الفقير نعم ان الله جل عن الكيفية في الدارين لكن فرق بين الدنيا والآخرة كثافة ولطافة فان الشهود في الدنيا بالسر المجرد لغير نبينا عليه السلام بخلافه في الآخرة فان القلب ينقلب هناك قالبا فيفعل القالب هناك مايفعله القلب والسر في هذه الدار فاذا كانت لطافة جسم النبي عليه السلام تعطي الرؤية في الدنيا فاظنك بلطافته ورؤيته في الآخرة فيكون شهوده اكمل شهود في الدارين حيث رأى ربه بالسر والروح في صورة الجسم قال في التأويلات النجمية اتحد بصر ملكوته وبصر ملكه فرأى ببصر ملكوته باطن الحق من حيث اسمه الباطن ورأى ببصر ملكه ظاهر الحق من حيث اسمه الظاهر ورأى باحدية جمع القوتين الملكوتية والملكية الحقيقة الجمعية المتعينة بجميع التعينات العلوية الروحانية والسفلية الجسمانية مع اطلاقه في عين تعينه المطلق عن التعين واللاتعين والاطلاق والا اطلاق انتهى هذا وليس ورآء عبادان قرية وقال البقلي رحمه الله ذكر الله رؤية فؤاده عليه السلام ولم يذكر العين لان رؤية العين سر بينه وبين حبيبه فلم يذكر ذلك غيرة عليه لان رؤية الفؤاد عام ورؤية البصر خاص اراه جماله عيانا فرآه ببصره الذي كان مكحولا بنور ذاته وصفاته وبقي في رؤيته عيانا ماشاء الله فصار جسمه جميعه ابصارا روحانية فرأى الحق بجميعها فوصلت الرؤية الى الفؤاد فرأى فؤاده جمال الحق ورأى مارأى عينه ولم يكن بين مارأى بعينه وبين مارأه بفؤاده فرق فازال الحق الابهام وكشف العيان بقوله ماكذب الفؤاد مارأى حتى لايظن الظان ان مارأى الفؤاد ليس كمارأى ببصره اى صدق قلبه فيمارأه من لقائه الذي رأه ببصره باظاهر اذكان باطن حبيبه هناك ظاهرا وظاهره باطنا بجميع شعراته وذرات وجوده وليس في رؤية الحق حجاب للعاشق الصادق بان يغيب عن الرؤية شئ من وجوده فبالغ الحق في كمال رؤية حبيبه ولذلك قال عليه السلام رايت ربي بعيني وبقلبي رواه مسلم في صحيحه قال ابن عطاء ماانعقد القلب خلاف مارأته العين وقال ليس كل من راى سكن فؤاده من ادراكه اذ العيان قد يظهر فيضطرب السر عن حمل الوارد عليه والرسول عليه السلام كان محمولا فيها في فؤاده وعقله وحسه ونظره وهذا يدل على صدق طويته وحمله فيماشوهد به (افتمارونه على مايرى) آيا مجادله ميكنيد باحمد برانچه ديد درشب معراج ومجادله آن بود كه صفت بيت المقدس وخبر كاروان خود پرسيدند وقال بعضهم افتجادلونه على رؤية الله تعالى اى ان رسول الله عليه السلام رأى الله وهم يجادلونه في ذلك وينكرونها وفي التأويلات النجمية يشير الى مماراة المحتجبين عن الحق بالخلق ومجادلتهم في شهود الخلق من دون الحق لقيامهم في مقام الكثرة الاعتبارية من غير شهود الوحدة الحقيقية اعاذنا الله واياكم من عذاب جحيم الاحتجاب ومن شدة لهب النار والالتهاب (ولقد رآه نزلة اخرى) الضمير البارز في رآه لجبريل ونزلة منصوب نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها والمعنى و بالله لقد راى محمد جبريل عليهما السلام على صورته الحقيقية مرة اخرى من النزول وذلك انه كان للنبي عليه السلام في ليلة المعراج عرجات لمسألة التخفيف من اعداد الصلوات المفروضة فيكون لكل عرجة نزلة فرأى جبريل في بعض تلك النزلات (عند سدرة المنتهى) وهو مقام جبرائيل وكان قد بقي هناك عند عروجه عليه السلام الى مستوى العرش وقال لو دنوت انملة لاحترقت قال عليه السلام رأيته عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح يتناثر منه الدر والياقوت وعند يجوز ان يكون متعلقا برأى وان يكون حالا من المفعول المراد به جبرائيل لان جبرائيل لكونه مخلوقا يجوز ان يراه النبي عليه السلام في مكان مخصوص وهو سدرة المنتهى وهي شجرة تنبت في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة ينبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لايقطعها والمنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء كما قاله الزمخشري او اسم مكان بمعنى موضع الانتهاء كانها في منتهى الجنة وقيل ينتهي اليها الملائكة ولا يتجاوزونها لان جبرائيل رسول الملائكة اذا لم يتجاوزها فبالحري ان لايتجاوزها غيره فاعلاها لجبرائيل كالوسيلة لنبينا عليه السلام فكما ان

خواص الامة يشتركون مع النبي عليه السلام فى جنة عدن بدون ان يتجاوزوا الى مقامه المخصوص به فكذا الملائكة يشتركون مع جبرآئيل فى السدرة بدون ان يتعدوا الى ما خص به من المكان وقيل اليها ينتهى علم الخلائق واعمالهم ولايعلم احدما ورآءها وذلك لان الاعمال الصالحة فى عليين ولاتعرج اليه الا على يد الملائكة فتقف عندها كوقوف الملائكة هذا بالنسبة الى اعمال الامة واما خواص الامة فلهم من الاعمال مالا يقف عندها بل يتجاوز الى عالم الارواح فوق مستوى العرش بل الى ما ورآءه حيث لايعلمه الا الله فمثل هذه الصالحات الناشئة عن خلوص فوق خلوص العامة ليست بيد الملائكة اذلا يدخل مقامها احد وقيل ينتهى اليها ارواح الشهداء لانها فى ارض الجنان اوينتهى اليها مايهبط من فوقها من الاحكام ويصعد من تحتها من الآثار وعن ابى هريرة رضى الله عنه لما اسرى بالنبي عليه السلام انتهى الى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهى اليها كل احد خلا من امتك على سنتك يعنى ميرسد بدين هركس ازامت تو كه رفته باشد در سدرت تو وقال كعب انها سدرة فى اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى الخلائق وماخلفها غيب لايعلمه الا الله وبالجملة هى شجرة غير شجرة طوبى وقال مقاتل السدرة هى شجرة طوبى ولوان رجلا ركب نجيبه وطاف على ساقها حتى ادركه الهرم لم يصل الى المكان الذى ركب منه تحمل لاهل الجنة الحلى والحلل وجميع الوان الثمار والوان ورقة منها وضعت فى الارض لاضاءت اهلها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشئ الى مكانه كقولك اشجار البستان فالمنتهى حينئذ موضع لايتعداه ملك اواضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اى سدرة المنتهى اليه وهو الله تعالى قال الى ربك المنتهى واضافة السدرة اليه كاضافة البيت اليه للتشريف والتعظيم وقال بعضهم المرئى هو الله تعالى يعنى ان محمدا عليه السلام رأى ربه مرة اخرى يعنى مرتين كما كلم موسى مرتين وفيه اشعار بان الرؤية الثانية كانت كالرؤية الاولى بنزول ودنو فقوله عند لايجوز ان يكون حالا من المفعول المراد به الله تعالى لان الله تعالى منزه عن ان يحل فى زمان اومكان فهو متعلق برأى يعنى انه عليه السلام رأى ربه رؤية ثانية عندسدرة المنتهى على ان يكون الظرف ظرفا لرأى ورؤيته لالله المرئى كما اذا قلت رأيت الهلال فقيل لك اين رأيت فتقول عند الشجرة الفلانية وجعل ابن برجان الاسراء مرتين * الاولى بالفؤاد وهذه بالعين ولما كان ذلك لايتأتى الا بتنزل يقطع مسافات البعد التى هى الحجب ليصير به بحيث يراه البشر عبر بقوله نزلة اخرى وعين الوقت بتعيين المكان فقال عندسدرة المنتهى كما فى تفسير المناسبات (وروى) عن وكيع عن كعب الاخبار انه قال رأى ربه مرة اخرى فقال ان الله تعالى كلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين عليهما السلام فلما بلغ ذلك عائشة رضى الله عنها قالت قد اقشعر جلدى من هيبة هذا الكلام فقيل لها يا ام المؤمنين اليس يقول الله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى فقالت انا سألت النبي عليه السلام عن ذلك فقال رأيت جبرائيل نازلا فى الافق على خلقته وصورته انتهى وقال بعضهم رآه بفؤاده مرتين يقول الفقير لما كان هذا المقام لايخلو عن صعوبة واحتمال وتأويل كفروا من انكر المعراج الى المسجد الاقصى لثبوته بالنص القطعى وهو قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده الخ وضللوا من انكره الى مافوقه لثبوته بالخبر المشهور قال الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر ان معراجه عليه السلام اربع وثلاثون مرة واحدة بجسده والباقى بروحه رؤيا رآها وفى التأويلات النجمية يشير الى رد استعجاب اهل الحجاب شهود النبي عليه السلام الحضرة الالهية فى المظاهر الكونية والتجالى الغيبية وانى لهم هذا الاستعجاب والاستغراب وماقيده فى حضرة دون حضرة وفى مشهد دون مشهد بل شهرة وعلانية مرة بعد مرة وساعة بعد ساعة بل ما احتجب لحظة منه تعالى وماغاب عنه لمحة مرة شاهده به فى مقام احديته بفنائه عنه ونزله عاينه فى مقام واحديته بالبقاء به عند نزوله من المشهد الاحدى الى المشهد الواحدى المسمى سدرة المنتهى التى هى شجرة الكثرة لابتداء الكثرة منها وانتهاء مظاهرها اليها بحسب الاعمال والاقوال والافعال والاحوال شبهت السدرة بشجرة الكثرة لكثرة اظلالها واغصانها كما فى شجرة الكثرة التى هى الواحدية لظهور التعينات والتكثرات منها واستظلال المتعينات بها بالوجود العينى الخارجى انتهى وقال البقلى ما الرؤية الثانية باقل كشفا من الرؤية الاولى ولا الاولى باكشف من الرؤية الثانية اين انت لو كنت اهلا لقلت لك انه

عليه السلام رأى ربه فى لحاقه بعد ان رجع من الحضرة ايضا فى تلك الساعة وماغاب قلبه من تلك الرؤية لمحة وماذكر سبحانه بيان انمارأى فى الاولى فى الامكان ومارأى عندسدرة المنتهى كان واحدالان ظهوره هناك ظهور القدم والجلال وليس ظهوره يتعلق بالمكان ولابالزمان اذالقدم منزه عن المكان والجهات وكان العبد فى المكان والرب فى الامكان وهذاغاية فى كمال تنزيهه وعظيم لطفه اذتجلى نفسه لقلب عبده وهو فى الامكان والعبد فى مكان والعقل ههنا مضمحل والعلم متلاش لان العقول عاجزة والاوهام متحيرة والقلوب والهة والارواح حائرة والاسرار فانية وفى هذه الآية بيان كمال شرف حبيبه اذرآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى ظن عليه السلام انمارآه فى الاولى لايكون فى الكون لكمال علمه بتنزيه الحق فلمارآه ثانية علم انه لايحجبه شئ من الحدثان وعادة الكبرآء اذازارهم احد يأتون معه الى باب الدار اذاكان كريما فهذا من الله اظهار كمال حب لحبيبه وحقيقة الاشارة انه سبحانه ارادان يعرف حبيبه مقام الالتباس فليس الامر واظهر المكر بان بان الحق من شجرة سدرة المنتهى كمابان من شجرة العناب لموسى ليعرف حبيبه بكمال المعرفة اذليس يعارف من لم يعرف حبيبه فى البسة مختلفة انتهى ولماراد سبحانه ان يعظم السدرة ويبين شرفها قال (عندها) اى عند السدرة (جنة المأوى) والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هوالظرف وجنة المأوى مرتفع به بالفاعلية واضافة الجنة الى المأوى مثل اضافة مسجد الجامع اى الجنة التى يأوى اليها المتقون اى تنزل فيها وتصير وتعود اليها ارواح الشهداء وبالفارسية بهشتى كه آرامكاه متقيان يامأوى ومكان ارواح شهدا ست او اوى اليها آدم وحوآء عليهما السلام يقال اويت منزلى واليه اويا واويا عديت واويته نزلته بنفسى والمأوى المكان قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر آدم عليه السلام انزل من جنة الماوى التى هى اليوم مقام الروح الامين جبريل عليه السلام وهى اليوم برزخ لذرية آدم ونزل اليها جبرآئيل من السدرة بنزول آدم وهذه الجنة لاتقتضى الخلود لذاتها فلذلك امكن خروج آدم منها ولذلك تأثر بالاشتياق الى ان يكون ملكا بعد سجود الملائكة له بغرور ابليس اياه ووعده فى الخلود رغبة فى الخلود والبقاء مع جبرآئيل والجنة التى عرضها السموات والارض تقتضى الخلود لذاتها يعلم من دخلها انه لايمكن الخروج منها اذلاسبيل للكون والفساد اليها قال تعالى فى وصف عطائها انه غير مجذوذ اى غير منقطع انتهى فالجنة التى عرضها السموات والارض ارضها الكرسى الذى وسع السموات والارض وسقفها العرش المحيط فهى محيطة بالجنان الثمان وليست هى الجنة التى انزل منها آدم كذا قاله الشيخ ايضا فى كتاب تلقيح الاذهان وقال نجم الدين رحمه الله فى تأويلاته يشير الى ان الجنة العلية التى يسجن بها المجانين العاشقون عن انانيتهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وفى قوله عندها اشارة الى الهوية الظاهرة بالشجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى لانتهاء ارواح الشهداء المقتولين بسيف الصدق والاخلاص ورمح الرياضات والمجاهدات اليها (اذيغشى السدرة مايغشى) زيادة فى تعظيم السدرة واذظرف زمان لرآه لمابعده من الجملة المنفية فان ما النافية لايعمل مابعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة اولالايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد والمعنى ولقد رآى محمد جبرائيل عندالسدرة وقت ماغشيها وغطاها مالايكتنهه الوصف ولايفى به البيان كيفا ولاكما وفى الحديث (وغشيها الوان لاادرى ماهى فليس احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها) وعنه عليه السلام رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف اى جماعة من طيور خضر وقيل يغشاها فراش اوجراد من ذهب (كما قال الكاشفى) وكويند برحوالى ان فرشتكان طيران ميكردند چون پروانهاء زرين وقيل يغشاها سبحات انوار الله حين تجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل حيث لم يصبها مااصابه من الدك وذلك لان الجبل كان فى عالم الملك الضعيف والسدرة فى عالم الملكوت القوى ولذا لم يخر عليه السلام هناك مغشيا عليه حين رأى جبرائيل كما غشى عليه حين رآه فى الافق الاعلى لقوة التمكين وغاية لطافة الجسد الشريف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة امثال الغربان حين يقعن على الشجر يعبدون الله تعالى عندها او يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها الملائكة النازلون للقاء النبى عليه السلام فانهم استأذنوا للقائه فاذن لهم وقيل لاتأتوه بغير ثار فجاء كل واحد

منهم بطبق من اطباق الجنة عليه من اللطائف مالا يحصى فنثروه بين يديه تقربا اليه وفى الحديث (انه اعطى رسول الله عندها يعنى السدرة ثلاثا) يعنى سه چيز الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن مات من امته لا يشرك بالله شيئا وفى التأويلات النجمية يشير الى تعظيم المظاهر الاسمائية والصفاتية الجمالية اللطفية والجلالية القهرية الغاشية السائرة شجرة الواحدية المسماة بسدرة المنتهى بحيث لا تعد ولا تحصى لعدم نهاية مصادرها لان الاسماء بحسب الجزئيات غير متناهية وان كانت من حيث كلياتها متناهية وكان حقيقة السدرة وعمودها مغشية مستورة بكثرة اغصانها واوراقها وازهارها وهذا الوصف يدل على عظمة شان الشجرة عينها وجلالة قدرها وكيف لا والواحدية من حيث الحقيقة عين الاحدية ومن حيث الاعتبار العقلى غيرها فافهم جدا لا يفوتك الحقيقة بل الطريقة والشريعة انتهى وقال البقلى رحمه الله اجمل ما غشيها لان العقول لا تدرك حقائق ما يغشاها وكيف يغشاها والقدم منزه عن الحلول فى الاماكن وكانت الشجرة مرآت لظهوره سبحانه ما لطف ظهوره لا يعلم أو يله الا الله والراسخون فى العلم يقولون بعد عرفانهم به آمنا به (مازاغ البصر) الزيغ الميل عن الاستقامة اى ما مال بصر رسول الله عليه السلام ادنى ميل عما رأه (وما طغى) وما تجاوز مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التى امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها واستدل على ان رؤية الله كانت بعين بصره عليه السلام بقوله مازاغ البصر الخ لان وصف البصر بعدم الزيغ يقتضى ان ذلك بقظة ولو كانت الرؤية قلبية لقال مازاغ قلبه واما القول بانه يجوز ان يكون المراد بالبصر بصر قلبه فلا بد له من القرينة وهى ههنا معدومة (قال الكاشفى فى معنى الآية) ميل نكرد چشم محمد عليه السلام وبچپ وراست نگريست ودر نگذشت از حديكه مقرر بود نگريستن ويرا درين آيت ستايش آن حضرتست بحسن ادب وعلو همت كه دران شب پرتو التفات برهيچ ذره از ذرات كائنات نيفكند ودیدهٔ دل بجز مشاهدهٔ جمال بى زوال الهى نكشود * در ديده كشيده كحل مازاغ * نى راغ نگاه كردونى باغ * ميراند براق عرش پرواز * تا حجلهٔ ناز و پردهٔ راز * پس پرده زپيش ديده برخاست * بى پرده بديد آنچه دل خواست * وفى التأويلات النجمية يشير الى تحقق النبى عليه السلام بمقام حقيقة الفقر الكلى الذى هو الخلو المطلق عما سواه لانه قال الفقر فخرى واى فقر اعظم وافخم من ان يخرج العبد عن وجوده الكلى المجازى ويقوم بالوجود الحقيقى ويظهر بصفات سيده حتى يقال له عبد الله اى لا عبد غيره يعنى ما مال بصر ملكه الجسمانى الى ملك الدنيا وزينتها وزخارفها وجاهها ومالها وما طغى نظر ملكوته الروحانى الى عالم الآخرة ونعيمها ودرجاتها وقرباتها وغرفاتها بل اتحدا واجتمعا اتحادا كليا واجتماعا حقيقيا من غير فتور وقصور على شهود الحق واسمائه وصفاته وعجائب تجلياته الذاتية وغرائب تنزلاته الصفاتية وايضا مازاغ عين ظاهره الى الكثرة الاسمائية قائمة بالوحدة الذاتية وغرائب تنزلاته بكمال قيامه بشهود المرتبتين ولاحاطة علمه بوجود المرتبتين فافهم والا تندم وقال البقلى رحمه الله هذه الاية فى الرؤية الثانية لان فى الرؤية الاولى لم يكن شئ دون الله ولذلك ما ذكر هناك غض البصر وهذا من كمال تمكين الحبيب فى محل الاستقامة وشوقه الى مشاهدة ربه اذ لم يمل الى شئ دونه وان كان محل الشرف والفضل وفى كشف الاسرار موسى عليه السلام چون ديدار خواست كه ارنى انظر اليك اورا بصمصام غيرت لن ترانى جواب دادند پس چون تاوان زدهٔ ان سؤال كشت بغرامت تبت اليك واديد آمد بازچون توبت بمصطفى عليه السلام رسيد ديدهٔ ويرا توبتيابى خبرت لا تمدن عينيك در كشيدند كفتند اى محمد ديده كه بآن ديده ما را خواهى ديكر نكرتا بعاريت بكس ندهى مهتر عصابهٔ عزت مازاغ البصر وما طغى برديدهٔ خود بست زبان حال كفت * بربندم چشم خويش ونكشايم نيز * تا روز زيارت تو اى يار عزيز * تا لاجرم چون حاضر حضرت كشت جمال وجلال ذوالجلال والجلال برديدهٔ او كشف كردند كه ما كذب الفؤاد ما راى * همه تنم ذكر كردد چون با تو رازكنم * همه كال تو بينم چو ديده بازكنم

ان تذكرته فكل قلوب * او تأملته فكل عيون

وكفته اند موسى عليه السلام چون از حضرت مناجات بازكشت باوى نور هيبت بود وعظمت لاجرم هر كه دروى نا ديست تابيدا كشت باز مصطفى عليه السلام چون از حضرت مشاهدت بازكشت باوى

نورانس بود تاهركه بروى نكريد بنايئ او بيفزودان مقام اهل تكوين است واين مقام ارباب تمكين
(لقدراى من آيات ربه الكبرى) اى وبالله لقد رأى محمد عليه السلام ليلة المعراج الآيات التى هى كبرا ها
وعظماها فارى من عجائب الملك والملكوت مالايحيط به نطاق العبارة فقوله من آيات ربه حال قدمت على ذيها
وكلة من للبيان لانه المناسب لمرام المقام وهو التعظيم والمبالغة ولذا لم تحمل على التبعيض على ان يكون
هو المفعول ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اى شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون
من مزيدة يعنى على مذهب الاخفش وكان الاسراء ليلة السابع والعشرين من رجب على ماعليه الاكثر
فى السنة الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل كما فى تفسير المناسبات وفيه اشكال فان هذه السورة
نزلت فى السنة الخامسة من النبوة على مامر فى اول السورة قال المفسرون رآى عليه السلام اى ابصر تلك
الليلة رفرفا اخضر سدافق السماء فجلس عليه وجاوز سدرة المنتهى والرفرف البساط وهو صورة همته البسيطة
العريضة المحيطة بالآفاق مطلقا لانه عليه السلام فى سفر العالم البسيط ولا يصل اليه الامن له علو الهمة
مثله وقد قال حسان رضى الله عنه فى نعته عليه السلام

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر

ورأى تلك الليلة طوائف الملائكة وسدرة المنتهى وجنة المأوى ومافى الجنان لاهل الايمان ومافى النيران
لاهل الطغيان والظلم والانوار ومايحجر عنه الافكار وتحار فيه الابصار ومن ذلك مارأه فى السموات من الانبياء
عليهم السلام اشارة بكل نبى الى امر دقيق جليل وحالة شريفة قال الامام ابوالقاسم السهيلى رحمه الله
فى الروض الانف والذى اقول فى هذا ان مأخذ فهمه من علم التعبير فانه من علم النبوة واهل التعبير يقولون
من رأى نبيا بعينه فى المنام فان رؤياه تؤذن بمايشبه من حال ذلك النبى فى شدة اورخاء اوغير ذلك من الامور
التى اخبربها عن الانبياء فى القرآن والحديث مثلا من رأى آدم عليه السلام فى مكان على حسنه وجماله
وكان للولاية اهلا ملك ملكا عظيما لقوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة ومن رأى نوحا عليه السلام
فانه يعيش عيشا طويلا ويصيبه شدة واذى من الناس ثم يظفر بهم ومن رأى ابراهيم عليه السلام فانه يعق اباه
ويرزق الحج وينصر على اعدائه وينله هول وشدة من ملك جائر ثم ينصر ومن رأى يوسف عليه السلام
فانه يكذب عليه ويظلم وينله شدة ويحبس ثم يملك ملكا ويظفر ومن رأى موسى وهرون عليهما السلام
فان الله يملك على يده جبارا عنيدا ومن رأى سليمان عليه السلام فانه يلى القضاء اوالملك اويرزق الفقه
ومن رأى عيسى عليه السلام فانه يكون رجلا مباركا نفاعا كثير الخير كثير السفر فى رضى الله ومن رأى نبينا
صلى الله عليه وسلم وليس فى رؤياه مكروه لم يزل خفيف الحال وان رآه فى ارض جدب اخصبت اوفى ارض قوم
مظلومين نصروا ومن رآه عليه السلام فان كان مغموما ذهب غمه وان كان مديونا قضى الله دينه وان كان
مغلوبا نصر وان كان محبوسا اطلق وان كان عبدا اعتق وان كان غائبا رجع الى اهله سالما وان كان معسرا اغناه
الله وان كان مريضا شفاه الله تعالى وحديث الاسراء كان بمكة ومكة حرم الله وامنه وقطانها جيران الله لان فيها
بيته فاول من رأى عليه السلام من الانبياء كان آدم عليه السلام الذى كان فى امن الله وجواره فاخرجه ابليس
عدوه منها وهذه القصة تشبهها الحالة الاولى من احوال النبى عليه السلام حين اخرجه اعداؤه من حرم الله
وجواريته وكربه ذلك وغمه فاشبهت قصته فى هذا قصة آدم مع ان آدم تعرض عليه ارواح ذريته البر والفاجر
منهم فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لان ارواح اهل الشقاء لاتلج فى السماء ولا تفتح لهم ابوابها ثم رأى
فى الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام وهما المتحنان باليهود اما عيسى عليه السلام فكذبته اليهود وآذته
وهموا بقتله فرفعه الله واما يحيى عليه السلام فقتلوه ورسول الله عليه السلام بعد انتقاله الى المدينة صار
الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه
فنجاه الله كما نجى عيسى منهم ثم سموه فى الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت ابهره كما قال عند الموت
(وفى المثنوى) چون سفيها راست اين كار وكيا * لازم امد يقتلون الانبياء * وما يؤثر عن سعيد
ابن المسيب رحمه الله الدنيا بذلة تميل الى الابذال ومن استغنى بالله افتقر اليه الناس واما القاؤه ليوسف
عليه السلام فى السماء الثالثة فانه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام وذلك ان يوسف ظفر

باخوته بعد ما اخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لانثريب عليكم اليوم الآية وكذلك نبينا عليه السلام اسرى بدرجلة من اقاربه الذين اخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من اطاق ومنهم من فداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم اقول ماقال اخى يوسف لاتثريب عليكم ثم لقاؤه لادريس عليه السلام فى السماء الرابعة وهو المكان الذى سماه الله مكانا عليا وادريس اول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مؤذنا بحالة رابعة وهو علو شانه عليه السلام حتى اخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته حتى قال ابوسفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبى عليه السلام ورأى مارأى من خوف هرقل كسجل وزبرج لقد امر امر ابن ابى كبشة حين اصبح يخافه ملك ابن ابى الاصفر وكتب عليه بالقلم الى جميع ملوك الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشى بالتخفيف وملك عمان ومنهم من هادنه واهدى اليه واتحفه كهرقل والمقوقس سلطان مصر ومنهم من تعصى عليه فاظفره الله به فهذا مقام على وخط بالقلم جلى نحو ما اوتى ادريس ولقاؤه فى السماء السادسة لموسى عليه السلام بإذن بحالة تشبه حالة موسى حين امر بغزوة الشام وظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وادخل بنى اسرآئيل البلد الذى خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله عليه السلام تبوك من ارض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد ان اتى به اسيرا وافتتح مكة وادخل اصحابه البلد الذى خرجوا منه ثم لقاؤه فى السماء السابعة لابراهيم عليه السلام لحكمتين احدهما انه رأه عند البيت المعمور مسندا ظهره اليه والبيت المعمور حيال الكعبة اى بازآئها ومقابلتها واليه تحج الملائكة كما ان ابراهيم هو الذى بنى الكعبة واذن فى الناس بالحج اليها والحكمة الثانية ان آخر احوال النبى عليه السلام حجه الى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين الفا من المسلمين ورؤية ابراهيم عليه السلام عند اهل التأويل تؤذن بالحج لانها لدا عى اليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة قال الامام ان هذه الآية تدل على ان محمدا عليه السلام لم ير الله ليلة المعراج وانما رأى آيات الله وفيه خلاف ووجه الدلالة انه ختم قصة المعراج ههنا برؤية الآيات وقال فى موضع آخر سبحان الذى اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من آياتنا ولو كان رأه لكان ذلك اعظم مايمكن من الكرامة فكان حقه ان يختم به قصة المعراج انتهى * يقول الفقير رؤية الآيات مشتملة على رؤية الله تعالى كما قال الشيخ الكبير رضى الله عنه فى الفكوك انما تتعذر الرؤية والادراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والاضافات فاما فى المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالادراك ممكن كما قيل

كالشمس تمنعك اجتلاك وجهها * فاذا اكتسب برقيق غيم امكنا انتهى

واما اشتمال اراءة الآيات على اراءة الله تعالى فلما كانت تلك الآيات الملكوتية فوق الآيات الملكية اشهده تعالى فى تلك المشاهد ليكمل له الرؤية فى جميع المراتب والمشاهد ومن المحال ان يدعو اكريم كريما الى داره و يضيف حبيب حبيبا فى قصره ثم يتستر عنه ولا يريه وجهه وفى التأويلات النجمية يشير الى ان لله تعالى آيات كبرى وصغرى اما الآيات الكبرى فهى الصفات القديمة الازلية المسماة عند القوم بالائمة السبعة كالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والآيات الصغرى هى الاسماء الآلهية التى قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى وانما سميت الاولى بالكبرى والثانية بالصغرى لان الصفات مصادر الاسماء ومراجعها كما ان الحى يرجع فى الوجود الى الحياة والعليم الى العلم والقادر الى القدرة ولان الاسماء مظاهر الصفات كما ان الحى يرجع فى الوجود الى الافعال والافعال مظاهر الاسماء والآثار مظاهر الافعال واما التخصيص بالكبرى دون الصغرى وان كانت من آيات الله كما قال تعالى قل ادعوا الله اوادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى لان شهود الآيات الكبرى يستلزم شهود الآيات الصغرى لان الله تعالى اذا تجلى لعبده بصفة الحياة والعلم والقدرة لابد للعبد ان يصير حيا بحياته عليما بعلمه قديرا بقدرته تلخيص المعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما عرج به الى سماء الجمعية الوحدانية وادرج فى نور الفردانية تجلى الحق سبحانه اولا بصورة هذه الصفات الكبرى التى هى مفاتيح الغيب لايعلمها الاهو بحيث صارت حياته مادة حياة العالم كله علويه وسفليه روحانيه وجسمانيه معدنيه ونباتيه وحيوانيه وانسانيه كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال لولاك لما خلقت الافلاك وقال عليه السلام انا من الله والمؤمنون منى وكذا صار علمه محيطا بجميع المعلومات الغيبية

الملكوتية كما جاء فى حديث اختصام الملائكة انه قال فوضع كفه على كتفى فوجدت بردها بين ثدى فعلمت علم الاولين والآخرين وفى رواية علم ما كان وما سيكون وكذا قدرته كسر بها اعناق الجبابرة وضرب بالسيف رقاب الاكاسرة وخرب حيطانهم وحصونهم فبقين ولا بقوا وبركة هذا التجلى الجمعى الكلى الاحاطى صار آدم بتبعيته وخلافته خليفة العالم كما اخبر فى كتابه العزيزانى جاعل فى الارض خليفة واسجد الله الملائكة اتلاً نوره الوجدانى فى وجه آدم هذا تحقيق قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اللام جواب القسم ومن مزيدة انتهى * وقال البقلى رحمه الله اراه سبحانه من آياته العظام مالا يقوم برؤيتها احد سواه اى المصطفى عليه السلام وذلك بان البسه قوة الجبارية الملكوتية كما قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وذلك ببروز انوار الصفات فى الآيات وتلك الآيات اورأها احد لاستغرق فى رؤيتها فكان من كمال استغراقه فى بحر الذات والصفات لم يكبر عليه رؤية الآيات قال ابن عطاء رأى الآيات فلم تكبر فى عينه لكبر همته وعلو محله ولاتصاله بالكبير المتعال قال جعفر شاهد من علامات المحبة ماكبر عن الاخبار عنها (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هى اصناف كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف اصله لاوية فاسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوة فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها فصارت لاة فهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وكانت على صورة آدمى قال سعدى المفتى فان قلت هذا يختص بقراءة الكسائى فانه يقف على اللاة بالهاء واما الباقون فيقفون عليها بالتاء فلا يجوز ان تكون من تلك المادة قلت لانسلم ذلك فانهم انما يقفون بهاء مراعاة لصورة الكتابة لاغير انتهى والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وهو يقول ياعزى كفرانك لاسبحانك انى رأيت الله قد اهانك فخرجت من اصلها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهى تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله عليه السلام فقال تلك لن تعبد ابدا وفى القاموس العزى صنم اوسمرة عبدتها غطفان اول من اتخذها ظالم بن اسعد فوق ذات عرق الى البستان بتسعة اميال بنى عليها بيتا وسماه بسا وكانوا يسمعون فيها الصوت فبعث اليها رسول الله خالد بن الوليد فهدم البيت واحرق السمرة انتهى ومناة صخرة لهذيل وخزاعة سميت مناة لان دماء المناسك تمنى عندها اى تراق ومنه منى وفى انسان العيون مناة صنم كان للاوس والخزرج ارسل رسول الله عليه السلام سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه فى عشرين فارسا الى مناة ليهدم محلها فلما وصلوا الى ذلك الصنم قال السادن لسعد ماتريد قال هدم مناة قال انت وذاك فاقبل سعد الى ذلك الصنم فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال لها السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وهدم محلها انتهى ووصف مناة بالثالثة تأكيد لانها لما عطفت عليهما علم انها ثالثتهما والاخرى صفة ذم لها وهى المتأخرة الوضيعة المقدار اى مناة الحقيرة الذليلة لان الاخرى تستعمل فى الضعفاء كقوله تعالى قالت اخراهم لاولاهم اى ضعفاؤهم لرؤسائهم قال ابن الشيخ الاخرى تأنيث الاخر بفتح الخاء وهو فى الاصل من التأخر فى الوجود نقل فى الاستعمال الى المغايرة مع الاشتراك مع موصوفه فيما اثبت له ولا يصح حمل الاخرى فى الآية على هذا المعنى العرفى اذ لا مشاركة لمناة فى كونها مناة ثالثة حتى توصف بالاخرى احترازا عنها فلذلك حمل على المعنى المذكور انتهى وقد جوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى فتكون مناة من التأخر الرتبى يعنى ان العزى شجرة وهى لكونها من اقسام النبات اشرف من مناة التى هى صخرة وجماد فهى متاخرة عنها رتبة ويقال ان المشركين ارادوا ان يجعلوا الآلهتهم من الاسماء الحسنى فارادوا ان يسموا واحدا منها الله فجرى على السنتهم اللات وارادوا ان يسموا واحدا منها العزيز فجرى على السنتهم العزى وارادوا ان يسموا واحدا منها المنان فجرى على السنتهم المناة وقال الراغب اصل اللات اللاه فحذفوا منه الهاء وادخلوا التاء فيه فانثوه تنبيها على قصوره عن الله وجعلوه مختصا بما يتقرب به الى الله فى زعمهم وقال السهيلى اصل هذا الاسم اى اللات لرجل كان يلت السويق للحجاج بسمن واقط اذا قدموا وكانت العرب تعظم ذلك الرجل باطعامه فى كل موسم فلما مات اتخذ مقعده الذى كان يلت فيه السويق منسكا ثم سنح الامر بهم الى ان عبدوا تلك الصخرة التى كان يقعد عليها ومثلوها صنما وسموها اللات اعنى ملت السويق ذكر ذلك كثير ممن الف فى الاخبار والتفسير انتهى وهذا على قراءة من يشدد

اللات اى التاء منه وقد قرأبه اى بالتشديد ابن عباس وعكرمة وجماعة كما فى القاموس ثم انهم كانوا مع ماذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرايتم والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ماذكر من شؤون الله المنافية لها غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ماسمعتم من آثار كمال عظمة الله فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره فى الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها بنات له تعالى قال بعضهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته تعالى اوهذه الاصنام هياكل الملائكة التى هن بناته تعالى وفى التأويلات النجمية يخاطب عبدة الاصنام صنم لات النفس وصنم عزى الهوى ومناة الدنيا الدنيئة الخسيسة الحقيرة الواقعة فى ادنى المراتب لخسة وضعها ودناءة قدرها وبستفهم منهم انكارا لهم ورداعليهم اخبرونى عن حال آلهتكم التى اتخذتموها معبودات وتمكنتم على عبوديتها هل وجدتم فيها صفة من صفات الالهية من الايجاد والاعدام والنفع والضر وامثالها لا والله بل اتخذتموها آلهة لغاية ظلوميتكم على انفسكم ونهاية جهوليتكم بالاله الواحد الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد (قال المغربى رحمه الله) بود وجود مغربى لات ومنات او بود * نيست بتى چوبود او درهمه سومنات تو (الكم الذكر وله الانثى) توبيخ مبنى على التوبيخ الاول والمعنى بالفارسية آياشمارا فرزندان نرباشند ومر خدا را ماده (تلك) اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية (اذا) آنهنكام كه چنين باشد (قسمة ضيزى) اى جائرة معوجة حيث جعلتم له تعالى ماتستنكفون منه وهى فعلى الضيز وهوالجور يعنى ان اصله ضيزى بضم الضاد من ضاز فى الحكم يضيز ضيزا اى جار وضازه حقه يضيزه اى بخسه ونقصه لكن كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى البيض فان اصله بيض بضم الباء لانه جمع ابيض كحمر فى جمع احمر وذلك لان فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وفيه اشارة الى استنكار شركهم وتخصيصهم الشرك ببعض الظاهر دون بعض يعنى اتخصصون ذكر الروح لكم وان كان ميتا باستيلاء ظلمة نفوسكم الظلمانية عليه وتجعلون انثى النفس فى عبوديتها واتباع مرادا تها وانقيادا وامرها ونواهيها شريكا له تعالى الله عما يقول الظالمون الذين وضعوا الجور موضع العدل وبالعكس ماهذا الاقسمة الجور والجائر لاقسمة العدل والعادل (ان هى) الضمير للاصنام اى ماالاصنام باعتبار الالوهية التى تدعونها اى باعتبار اطلاق اسم الاله (الا اسماء) اى اسماء محضة ليس تحتها مسميات اى ماتنبئ هى عنه من معنى الالوهية شئ ماأصلا كما اذا اردت ان تحقر من هوملقب بما يشعر بالمدح وفخامة الشان تقول ماهوالا اسم (قال المولى الجامى) مرد جاهل جاه كيتى رالقب دولت نهد * همچنان اماس بيند طفل كويد فربهست (وقال فى ذم ابناء الزمان) شكل ايشان شكل انسان فعل شان فعل سباع * هم ذئاب فى ثياب اوثياب فى ذئاب * ويجوز الحمل على الادعاء (سميتموها) صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لاجعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى واذا قيست الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير ههنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التى يسمونها آلهة اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما فى قوله تعالى ماتعبدون من دونه الا اسماء سميتموها لان هناك مسميات لكنها لاتستحق التسمية اى ماهى الا اسماء خالية من المسميات وضعتموها (انتم وآباؤكم) بمقتضى اهوائكم الباطلة (ماانزل الله بها) اى بصحة تسميتها (من سلطان) برهان تتعلقون به جميع القرآن انزل بالالف الافى الاعراف فانه نزل بالتشديد (ان يتبعون) التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اى مايتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها (الا الظن) الاتوهم ان ماهم عليه حق توهما باطلا (وما تهوى الانفس) اى تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء فماموصولة ويجوز كونها مصدرية والالف واللام بدل الاضافة وهو معطوف على الظن وفى التأويلات النجمية يقول ليست هذه الاصنام التى تعبدونها بضلالة نفوسكم الدنية الشهوانية وجهالة عقولكم السخيفة الهيولانية الا اسماء صور وهمية لامسميات لها اوجدتها اوهامكم الضعيفة وادركتها عقولكم المريضة المشوبة بالوهم والخيال التى هى بمرتبة اباتكم ليس لها عند اصحاب الطلب

و ارباب الكشف والقرب وجود ولا نمو بل هى خشب مسندة ما جعل الله فى تلك الاصنام النفسية والهوآئية والدنيوية ولا ركب فيها التصرف فى الاشياء فى الايجاد والاعدام والقهر واللطف والنفع والضر والاشياء علويها وسفليها جمادها ونباتها حيوانها وانسانها كلها مظاهر الاسماء الالهية ومجالى الصفات الربانية الجمالية والجلالية اى اللطفية والقهرية تجلى الحق فى الكل بحسب الكل لا بحسبه الا الانسان الكامل فانه تجلى فيه بحسب الكلية المجموعية وصار خليفة الله فى الارض وانتم ايها الجهلة الظلمة ما تتبعون تلك الصفات الالهية وما تشهدون فى الاشياء تلك الحقائق الروحانية والاسرار الربانية المودعة فى كل حجر ومدر بل اعرضتم باتباع الشهوات الحيوانية وملازمة الجسمانية الظلمانية عن ادراك تلك اللطائف الروحانية وشهود تلك العواطف الرحمانية واتبعتم مظنونات ظنكم الفاسد وموهومات وهمكم الكاسد وائرتم هوى النفس المشؤمة على رضى الحق وذلك هو الخسر ان المبين وان الظن لا يغنى من الحق شيأ انتهى وقال الجنيد قدس سره رأيت سبعين عارفا قد هلكوا بالتوهم اى توهموا انهم عرفوه تعالى فالكل معزولون عن ادراك حقيقة الحق وما ادركوا وفهوا قدارهم وجل قدر الحق عن ادراكهم قال تعالى وما قدروا الله حق قدره ولذلك اجترأ الواسطى رحمه الله فى حق سلطان العارفين ابى يزيد البسطامى قدس سره بقوله كلهم ماتوا على التوهم حتى ابو يزيد مات على التوهم وقال البقلى ياعاقل احذر مما يغوى اهل الغرة بالله من الاشكال والتخاييل التى تبدو فى غواشى ادمغتهم وهم يحسبون انها مكاشفات الغيوب ونوادر القلوب ويدعون انها عالم الملكوت وانوار الجبروت وما يتبعون الا اهواء نفوسهم ومخاييل شياطينهم التى تصور عندهم اشكالا وتمثالا ويزينون لهم انها الحق والحق منزه عن الاشكال والتمثال اياك ياصاحبى وصحبة الجاهلين الحق الذين يدعون فى زماننا مشاهدة الله ومشاهدة الله حق الاولياء وليست بمكشوفة للاعداء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) حال من فاعل يتبعون او اعتراض وايا ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اى شخص كان قبيح وممن هداه الله بارسال الرسول وانزال الكتاب اقبح فالهدى القرآن والرسول ولم يهتدوا بهما وفيه اشارة الى افساد استعدادهم الفطرى الغير المجعول بواسطة تلبسهم بملابس الصفات الحيوانية العنصرية وانهماكهم فى الغواشى الظلمانية الطبيعية فانهم مع ان جاءهم من ربهم اسباب الهدى وموجباته وهو النبى عليه السلام والقرآن وسائر المعجزات الظاهرة والخوارق الباهرة الدالة على صدق نبوته وصحة رسالته اشتغلوا بمتابعة النفس وموافقة الهوى واعرضوا عن التوجه الى الولى والمولى وذلك لان هداهم ماجاءهم الا فى يوم الدنيا لا فى يوم الازل ومن لم يجعل الله له نورا فى يوم الازل فماله من نور الى يوم الابد وا علم ان الهدى ضد الهوى فلا بد من المتابعة للهدى قال بعض الكبار ليس لولى كرامة الا بحكم الارث لمن ورثه من الانبياء عليهم السلام ولذلك لم يقدر من هو وارث عيسى عليه السلام ان يمشى فى الهواء والماء ومن هو وارث لمحمد عليه السلام له المشى على الهواء والماء لعموم مقامه وفى الحديث لو ازداد عيسى يقينا لمشى فى الهواء اى بموجب قوة يقينية لا بموجب صدق اتباعى ولا شك ان عيسى عليه السلام اقوى يقينا من سائر الاولياء الذين يمشون فى الهواء بما لا يتقارب فانه من اولى العزم من الرسل فعلمنا قطعا ان مشى الولى منا فى الهواء انما هو بحكم صدق التبعية لا بزيادة اليقين على يقين عيسى عليه السلام وعيسى اصدق فى تبعيته لمحمد عليه السلام من جميع الاولياء فله القدرة بذلك على المشى على الهواء وان ترك ذلك من نفسه وبالجملة فلا يمشى فى الهواء الامن ترك الهوى * هوى وهوس راى ماند ستيز * چو بيند سر پنجهٔ عقل تيز

(ام للانسان ما تمنى) ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى نفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدى نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفى والتمنى تقدير شئ فى النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن رؤية وبناء على اصل لكن لما كان اكثره عن تخمين صار الكذب له املك فاكثر التمنى تصوير ما لا حقيقة له والمعنى ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التى من جملتها اطماعهم الفارغة فى شفاعة الآلهة ونظائرها التى لا تكاد تدخل تحت الوجود

ماكل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

(وقال الكاشفى) اياهست مر انسان را يعنى كافررا آنچه آرزو بردازشفاعت بتان يا آنكه كويد چرا نبوت

بفلان وفلان ندادند وقيل ام للانسان مااشتهى من طول الحياة وان لا بعث ولا حشر وفى الآية اشارة الى ان للانسان استعداد الكمال وهو الفناء عن انانيته والبقاء بهوية الله تعالى لكن بسبب اشتغاله باللذات الجسمانية والروحانية يحصل له فى بعض الاوقات آفات العلائق الجسمانية وفترات العوائق الروحانية فيحرم عن بلوغ مطلوبه ولايتهيأ له كل ماتمناه اذكل ميسر لماخلق له فمن خلق مظهر اللطف بيده اليمنى لايقدر ان يجعل نفسه مظهر القهر ومن خلق مظهر القهر بيده اليسرى لا يمكن ان يجعل نفسه مظهر اللطف توان پاك كردن زنزلك آينه * وليكن نيايدز سك آينه * وانما تمنى لماليس له مخلوقية على صورة من جمع الضدين بقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن اى هو الاول فى عين اخريته والظاهر فى عين باطنيته وسئل الخراز قدس سره بم عرفت الله قال بالجمع بين الضدين لان الحقيقة متوحدة والتعين والظهور متعددة وتنا فى التعينات لايقدح فى وحدة الهوية المطلقة كما ان تنا فى الزوجية والفردية لايقدح فى العدد وتضاد السواد والبياض لايقدح فى اللون المطلق قال الحسين رحمه الله الاختيار طلب الربوبية والتمنى الخروج من العبودية وسبب عقوبة الله عباده طفرهم بمنيتهم (فلله الآخرة والاولى) تعليل لانتفاء ان يكون للانسان مايتمناه حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور وفى التأويلات النجمية يشير الى قهرمانية الحق تعالى على العالم كله ملكه وملكوته الاخروى والدنيوى يعنى لايملك الانسان شيئا حتى يتمكن من تحصيل ماتمناه نفسه بل ملك الآخرة تحت تصرف يده اليمنى المقتضية لموجبات حصول الاخرة من الاعمال الصالحة والافعال الحسنة يهبه بالاسم الواهب لمن يشاء ان يكون مظهر لطفه وجماله وملك الدنيا تحت تصرف يده اليسرى المستدعية لاسباب حصول الدنيا من حب الدنيا الدنية المنجية للخطيئة ومتابعة النفس الخبيثة ومواقفة الطبيعة اللئيمة يجعله باسمه المقسط لمن يشاء ان يكون مظهر صفة قهره وجلاله ولاذلك يزيد فى ملكه ولاهذا ينقص من ملكه وكلتا يدى الرحمن ملأى سحاء (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا) اقناط لهم مما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هى الجملة المنفية وجمع الضمير فى شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اى وكثير من الملائكة لاتغنى شفاعتهم عند الله شيئا من الاغناء فى وقت من الاوقات اى لاتنفع شيأ من النفع وهو القليل منه واوثر ذكره احداوايس المعنى انهم يشفعون فلا تنفع شفاعتهم بل معناه انهم لايشفعون لانه لايؤذن لهم كما قال تعالى (الامن بعد ان يأذن الله) لهم فى الشفاعة (لمن يشاء) ان يشفعوا له (ويرضى) وبراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله بمعزل ومن الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فاظنهم بحال الاصنام وفى الآية اشارة الى ان ملك الروح يشفع فى حق النفس الامارة بالسوء رجاء الانسلاخ عن اوصافها الذميمة والترقى الى مقام الفناء والبقاء ولكن لاتنفع شفاعته فى حقها لعلمه القديم الازلى بعدم استعدادها للترقى من مقامها اللهم الا ان تقبل شفاعته فى حق نفس رقيق الحجاب مستعد لقبول الفيض الآلهى لصفاء فطرته الاولى وبقاء قابليته الكبرى للترقى فى المقامات العلية بالخروج من موافقة الطبع ومخالفة الشرع والدخول فى موافقة الشريعة ومخالفة الطبيعة (ان الذين لايؤمنون بالآخرة) وبمافيها من العقاب على ماتعاطوه من الكفر والمعاصى (ليسمون الملائكة) المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق اى كل يسمون كل واحد منهم (تسمية الانثى) منصوب على انه صفة مصدر محذوف اى تسمية مثل تسمية الانثى فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية بالانثى فاللام فى الملائكة للتعريف الاستغراقى وفى تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعارا بانها فى الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة فى الاخرة بحيث لايجترئ عليها الامن لايؤمن بها رأسا قال ابن الشيخ فان قيل كيف يصح ان يقال انهم لايؤمنون بالاخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركوب الميت على قبره ويعتقدون انه يحشر عليه اجيب بانهم ماكانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لايحشر فان كان فلنا شفعاء بدليل ماحكى الله عنهم وماأظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وايضا ماكانوا يعترفون بالآخرة على الوجه الذى ورد به الرسل فهم

لايؤمنون بها على وجهها واعلم ان الملائكة ليسوا بذكور ولااناث وفى الحديث اتانى جبرآئيل فى اول ما اوحى الى فعلمنى الوضوء والصلاة فلما فرغ من الوضوء اخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه اى رش بها فرجه اى محل الفرج من الانسان بناء على انه لافرج له وكون الملك لافرج له لو تصور بصورة الانسان دليل على انه ليس ذكرا ولاانثى وفيه نظر لانه يجوز ان يكون له آلة ليست كآلة الذكر ولاكآلة الانثى كما قيل بذلك فى الخنثى و يقال لذلك فرج وبعضهم حمل الفرج على مايقابل الفرج من الازار (ومالهم به من علم) حال من فاعل يسمون اى يسمونهم والحال انه لاعلم لهم بما يقولون اصلا (ان يتبعون) اى ما يتبعون فى ذلك ليس بتكرار لان الاول متصل بعبادتهم اللات والعزى ومناة والثانى بعبادتهم الملائكة (الاالظن) الفاسد (وان الظن) اى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار (لايغنى من الحق شيئا) من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشىء لايدرك ادراكا معتبرا الا بالعلم والظن لا اعتداد به فى شان المعارف الحقية وانما يعتد به فى العمليات ومايؤدى اليها كمسائل علم اصول الفقه وفيه ذم للظن ودلالة على عدم ايمان المقلد وقيل الحق بمعنى العلم اى لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب اى ان ظنهم لاينقذهم من العذاب وحقيقة هذه الآية العزيزة تحريض السالكين والطالبين على السعى والاجتهاد فى السير الى الله بقطع المنازل السفلية وتصحيح المقامات العلوية الى ان يصلوا الى عين الجمع ويغرقوا فى بحر التوحيد و يشهدوا الحقائق المعانى المجردة بنور الوحدة الحقيقية الذاتية الدافعة ظلمة الكثرة النسبية لاسماء الله تعالى ثم ان الافراد يتفاوتون فى حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذى لانقص فيه لانهم انما يشهدون فى حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا فى الفضيلة قال بعض الكبار اصحاب الكشف الخيالى غلطهم اكثر من اصابتهم لان الخيال واسع والذى يظهر فيه يحتمل التأويلات المختلفة فلا يقع القطع بما يحصل منه الابعلم آخر وراء ذلك وانما كان الخيال بهذا الحكم لكونه ليست له حقيقة فى نفسه بل هو امر برزخى بين حقيقتين وهما المعانى المجردة والمحسوسات فلهذا يقع الغلط فى الخيال لكونه ليست له حقيقة فى نفسه وانظر الى اشارته عليه السلام فى الكشف الخيالى وكونه يقبل الاصابة والغلط لما اتاه جبرائيل بصورة عائشة رضى الله عنها فى سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك فقال عليه السلام ان يكن من عند الله يمضه بخلاف ما لو اتاه ذلك بطريق الوحى المعهود المحسوس له او بطريق المعانى المجردة الموجبة لليقين والعلم فانه اذا لايمكنه الجواب بمثل ذلك الجواب الذى يشعر بالتردد المحتمل الذى يقتضيه حضرة الخيال بحقيقتها * سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را * زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) اى فاعرض يامحمد عن دعوة من اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقينى ولم يؤمن به وهو القران المنطوى على علوم الاولين والاخرين المذكر لامور الاخرة ولاتنتهالك على اسلامه او عن ذكرنا كما ينبغى فان ذلك مستتبع لذكر الاخرة ومافيها من الامور المرغوب فيها والمهروب عنها (ولم يرد الا الحياة الدنيا) راضيا بها قاصرا نظره على جمع حطامها وجلب منافعها فالمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته وقصارى سعيه لاتزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل والنهى عن الدعوة لايستلزم نهى الامة بآية القتال بل الاعراض عن الجواب والمناظرة شرط لجواز المقاتلة فكيف يكون منسوخا بها فالمعنى اعرض عنهم ولاتشتغل باقامة الدليل والبرهان فانهم لاينتفعون به وقاتلهم واقطع دابرهم قال بعضهم ضيع وقته من اشتغل بموعظة طالبى الدنيا والراغبين فيها لان احدا لا يقبل على الدنيا الا بعد الاعراض عن الله باسيه دل چه سود كفتن وعظ * نرود ميخ اهنين درسنك * قال ابن الشيخ اعلم ان النبى عليه السلام كالطبيب للقلوب فامره الله تعالى فى معالجة القلوب بما عليه الاطباء فى معالجة المرضى فان المرض اذا امكن علاجه بالاغذاء لايستعملون فى ازالته الدواء واذا امكن ازالته بالدواء الضعيف لايستعملون الدواء القوى والكى فلذلك امر عليه السلام بالذكر الذى هو غذاء القلوب حيث قال قولوا لااله الا الله فان بذكر الله تطمئن القلوب كما ان بالغذاء تطمئن النفوس فانتفع به ابوبكر ومن كان مثله رضى الله عنهم ومن لم ينتفع بالحمل على الذكر والامر به ذكرلهم الدليل وقال اولم يتفكروا قل انظروا افلا ينظرون فلم ينتفعوا فى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح فقوله عمن تولى الخ اشارة الى ماقلنا

فان التولى عن ذكره كناية عن ملزومه الذى هو ترك النظر فى دلائل وجوده ووحدته وسائر صفاته وقوله ولم يرد الخ اشارة الى انكارهم الحشر ومن لم يقل بالحشر والحساب لايخاف ولايرجع عما هو عليه ومن ترك النظر فى دلائل الله لايعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه فلا يبقى فى الدعاء فائدة فلم يبق الا ترك المعالجة والمسارعة الى المقاتلة انتهى كلامه ثم اعلم ان كل مايبعد العبد عن حضرة سيده فهو من الحياة الدنيا فمن قصد بالزهد والورع والتقى والكشف والكرامات وخوارق العادات قبول الناس والشهرة عندهم وحصول الجاه والمال فهو ممن لم يرد الا الحياة الدنيا فضاع جميع احواله وكسد جملة اقواله وافعاله اذلا ربح له عند الله ولا ثمرة زعر واى بسر چسم اجرت مدار * چودر خانه زيد باشى بكار * ولا يغترن هذا بحصول بعض الكشوف واقبال اهل الدنيا عليه فانه ثمرة عاجلة له وماله فى الآخرة من خلاق الا ترى ان ابليس عبد الله تعالى تسعة آلاف سنة ثم لما كفر وقال انظرنى الى يوم يبعثون امهله الله تعالى فكانت تلك المهلة ثمرة عاجلة له فى حياته الدنيوية (ذلك) اى امر الدنيا وفى بحر العلوم اى ارادة الدنيا وايثارها على الآخرة وفى الارشاد اى ما اداهم الى ماهم فيه من التولى اوقصر الارادة على الحياة الدنيا (مبلغهم من العلم) لايكادون يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فبلغ اسم مكان وجمع الضمير فى مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لقصر همتهم على الدنيا الدنية التى هى ابغض الخلق الى الله تعالى بشهادة قوله عليه السلام ان الله لم يخلق خلقا هو ابغض اليه من الدنيا وما نظر اليها منذ خلقها بغضا لها رواه ابو هريرة رضى الله عنه ومعنى هوان الدنيا على الله سبحانه انه تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسه بل جعلها طريقا موصلة الى ماهو المقصود لنفسه ولذلك قال عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولاتعمروها فاورد من اباحة لعن الدنيا فباعتبار ماكان منها مبعدا عن الله تعالى وشاغلا عنه كما قال بعض اهل الحقيقة ما الهلك عن مولاك فهو دنياك ومشئوم عليك واما ما يقرب الى الله ويعين الى عبادته فمدوح كما قال عليه السلام لاتسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر ان العبد اذا قال لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه (وفى المثنوى) چيست دنيا ازخدا غافل بدن * نى قماش ونقره وميزان وزن * مال راكز بهر دين باشى حمول * نعم مال صالح خواندش رسول * آب در كشتى هلاك كشتى است * آب اندر زير كشتى بشتى است * چونكه مال وملك را ازدل براند * زان سليمان خويش جز مسكين نخواند * قال بعض الكبار من ذم الدنيا فقد عق امه لان جميع الانكاد والشرور التى ينسبها الناس الى الدنيا ليس هو فعلها وانما هو فعل اولادها لان الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا فهى مطية العبد عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فهى تحب ان لايشقى احد من اولادها لانها كثيرة الحنو عليهم وتخاف ان تأخذهم الضرة الاخرى على غيراهبة مع كونها ماولدتهم ولاتعبت فى تربيتهم فمن عقوق اولادها كونهم ينسبون جميع افعال الخير الى الاخرة ويقولون اعمال الاخرة والحال انهم ماعملوا تلك الاعمال الا فى الدنيا فللدنيا اجر المصيبة التى فى اولادها ومن اولادها فالانصف من ذمها بل هو جاهل بحق امه ومن كان كذلك فهو بحق الاخرة اجهل انتهى واعلم ان الارادة والنية واحد وهو قصد قلبى ينبعث الى قلب الانسان بالبعث الالهى فهذا البعث الالهى ان كان بالفجور على ماقال تعالى فالهمها فجورها وتقواها فهو من اسم المضل وقبضة الجلال ويد القهر وسادنه هو الشيطان وان كان بالتقوى فهو من اسم الهادى وقبضة الجمال ويد اللطف وسادنه هو الملك واول من عالم العدل والثانى من عالم الفضل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ثم ان نية الانسان لاتخلوا اما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيئة وعملا واما ان يكون متعلقها فى لسانه هو الاخرة وفى جنانه هو الدنيا فهو اسوء نية وعملا واما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الاخرة فهو حسن نية وعملا واما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو وجه الله فهو احسن نية وعملا فالاول حال الكفار والثانى حال المنافقين والثالث حال الابرار والرابع حال المقربين وقد اشار الحق سبحانه وتعالى الى احوال المقربين عبارة والى احوال غيرهم اشارة فى قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا والمقربون قد فروا الى الله من جميع ما فى ارض الوجود ولم يلتفتوا الى شئ سوى وجهه الكريم ولم يريدوا من المولى غير

المولى فكانوا احسن تبعة وعملا هذا صراط مستقيم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين امين (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله وهو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من من شأنه الاهتداء في الجملة اى هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوى عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم فانه من القبيل الاول وفيه اشارة الى النفس الكافرة ويهود صفاتها فانهم لا يقبلون الدعوة لانتفاء استعدادهم لقبولها فمن كان مظهر القهر في الازل لا يكون مظهر اللطف في الابد وبالعكس وفي الحديث القدسي (خلقت الجنة وخلقت لها اهلا وخلقت النار وخلقت لها اهلا فطوبى لمن جعلته اهلا للجنة وويل لمن جعلته اهلا للنار) قال بعض الكبار النفس لا تفعل الشر الا لجاجة من القرين واللجاج ممن لا قدرة على منعه ومخالفته بمنزلة الاكراه والمكره غير مؤاخذ بالشرع والعقل ولذا قال عليه السلام الخير عادة والشر لجاجة فهو بشارة عظيمة من العالم بالامور عليه السلام فانه اخبر ان النفس خيرة بالذات لان اباها الروح القدسي الطاهر وما تقبل الشر الا لجاجة من القرين فلم يجعل عليه السلام الشر من ذاتها (ولله ما في السموات وما في الارض) اى خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا (ليجزى) الخ متعلق بمادل عليه اعلم الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم الا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزى (الذين اساؤا) بدكردند (بما عملوا) اى بعقاب ما عملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا شبه نتيجة علمه بكل واحد من الفريقين وهى مجازاته على حسب حاله بعلته الغائية فادخل لام العلة عليها وصح بذلك تعلقها بقوله اعلم * هين مراقب باش كردل بايدت * كزپى هر فعل جزى زايدت (و يجزى الذين احسنوا) اى اهتدوا (بالحسنى) اى بالمثوبة الحسنى التى هى الجنة فالحسنى للزيادة المطلقة والباء لتعدية الجزاء او بسبب اعمالهم الحسنى فالباء للسببية والمقابلة (الذين يجتنبون كبائر الاثم) صفة للذين احسنوا او بدل منه لكن قال سعدى المفتى لا حسن في جعل الذين الخ مقصودا بالنسبة وجعل الذين احسنوا في حكم المتروك ولو كان النظم على العكس لكان لها وجه انتهى يقول الفقير الاجتناب من باب التخلية بالمجة وهى اقدم فلذا جعلت مقصودة بالنسبة وصيغة الاستقبال في صلته دون صلة الموصوف او المبدل منه للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره يعنى للا شعار بان ترك المعصية سواء كانت بارتكاب المحرمات او بترك الواجبات ينبغى ان يستمر عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دأبا له وعادة حتى يستحق المثوبة الحسنى فان من اجتنب عنها مرة وانهمك عليها في باقى الازمان لا يستحقها بخلاف الحسنات المتطوع بها فان من اتى بها ولو مرة يؤجر عليها وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه كالشرك والزنى مطلقا خصوصا بحليلة جاره وقتل النفس مطلقا لا سيما الاولاد وهى الموؤدة وقال ابن جبير هى ما لا يستغفر منه لقوله عليه السلام لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وفي الحديث اياكم والمحقرات من الذنوب قال ابن عباس رضى الله عنهما هى الى سبعين اقرب وتمام التفصيل سبق في حمعسق في نظير الآية (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا الزنى والقتل بغير حق وغيرهما فهو من قبيل التخصيص بعد التعميم قال الراغب الفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال (الا اللمم) اللمم مقاربة المعصية ويعبر به عن الصغيرة من قولك المت بكذا اى نزلت به وقاربته من غير مواقعة وألم الغلام قارب البلوغ والاستثناء منقطع لان المراد باللمم الصغائر وهى لا تدخل في الكبائر والمعنى الا ما قل وصغر فانه مغفور لمن يجتنب الكبائر يعنى ان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبائر قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقيل هى النظر بلا تعمد فان اعاد النظر فليس بلمم وهو مذنب والغمزة والقبلة كما روى ان نبهان التمار أتته امرأة لتشترى التمر فقال لها ادخلى الحانوت فعانقها وقبلها فقالت المرأة خنت أخاك ولم تصب حاجتك فندم وذهب الى رسول الله عليه السلام فنزلت وقيل هى الخطرة من الذنب اى ما خطر من الذنب على القلب بلا عزم وازقوت بفعل نيايد وقيل

كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقال بعضهم اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا اقامة عليه قال محمد بن الحنفية كل ما هممت به من خير وشر فهو لمم دليله قوله عليه السلام ان للشيطان وللملك لمة فلمة الشيطان الوسوسة ولمة الملك الالهام وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ولم يثبت عليها فان الله يقبل توبته ويؤيده قوله عليه السلام ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبد لك لا ألما فالا ستثناء على هذا متصل وقال ابن عباس رضى الله عنهما ما رأيت شبيها اشبه باللمم مما نقله ابو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله عليه السلام ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى فزنى العينين النظر وزنى اللسان النطق وزنى الشفتين القبلة وزنى اليدين البطش وزنى الرجلين المشى والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك كله او يكذبه فان تقدم فرجه كان زانيا والا فهو اللمم وفى الاسئلة المفحمة الذنوب كلها كبائر على الحقيقة لان الكل تتضمن مخالفة امر الله تعالى لكن بعضها اكبر من بعض عند الاضافه ولا كبيرة اعظم من الشرك واما اللمم فهو من جملة الكبائر والفواحش ايضا الا ان الله تعالى اراد باللمم الفاحشة التى يتوب عنها مرتكبها ومجترحها وهو قول مجاهد والحسن وجماعة من الصحابة منهم ابو هريرة رضى الله عنه (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه من حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وفى التأويلات النجمية كبائر الاثم ثلاث مراتب محبة النفس الامارة بالسوء ومحبة الهوى النافخ فى نيران النفس ومحبة الدنيا التى هى رأس كل خطيئة ولكل واحدة من هذه المحبات الثلاث فاحشة لازمة غير منفكة عنها اما فاحشة محبة النفس الامارة بالسوء فموافقة الطبيعة ومخالفة الشريعة واما فاحشة محبة الهوى فحب الدنيا وشهواتها واما فاحشة محبة الدنيا فالاعراض عن الله والاقبال على ماسواه قوله الا اللمم اى الميل اليسير الى النفس والهوى والدنيا بحسب الضرورة البشرية من استراحة البدن ونيل قليل من حظوظ الدنيا بحسب الحقوق لا بحسب الحظوظ فان مباشرة الحقوق مغفور ومبادر الحظوظ مغرور كما قال ان ربك واسع المغفرة ومن سعة غفرانه ستر ظلمة الوجود المجازى بنور الوجود الحقيقى بالفناء عن ناسوتيته والبقاء بلاهوتيته انتهى قال بعض الكبار من استرقه الكون بحكم مشروع كالسعى فى مصالح العباد والشكر لاحد من المخلوقين من جهة نعمة اسداها اليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى لانه فى اداء واجب اوجبه الحق عليه واما تعبد العبد فمخلوق عن امر الله لا يقدح فى العبودية بخلاف من استرقه الكون لغرض نفسى ليس للحق فيه رائحة امر فان ذلك يقدح فى عبوديته لله تعالى ويجب عليه الرجوع الى الحق تعالى وقال بعض العارفين من المحال ان يأتى مؤمن معصية توعد الله عليها بالعقوبة فيفرغ منها الا ويجد فى نفسه الندم على وقوعها منه وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقد قام بهذا المؤمن الندم فهو تائب بلا شك فسقط حكم الوعيد لهذا الندم فانه لابد للمؤمن ان يكره المخالفة ولا يرضى بها فهو من كونه كارها لها ومؤمنا بانها معصية ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيئ فهو من الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقد قال تعالى فيهم عسى الله ان يتوب عليهم يعنى ليتوبوا والله غفور رحيم انتهى فعلى العاقل ان يندم على المعاصى الواقعة منه ولا يغتر بالرب الكريم وان كان الله واسع المغفرة فانه تعالى ايضا شديد البطش والاخذ نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة (هو) تعالى (اعلم) منكم (بكم) اى باحوالكم بعلمها (اذ انشأكم) اى خلقكم فى ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام (من الارض) انشاء اجماليا (واذ انتم اجنة) ووقت كونكم اجنة (فى بطون امهاتكم) على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التى من جملتها اللمم الذى لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله وضرره والاجنة جمع جنين مثل اسرة وسرير والجنين الولد مادام فى البطن وهو فعيل بمعنى مفعول اى مدفون مستتر والجنين الدفين فى الشىء المستتر فيه من جنة اذا ستره واذا خرج من بطن امه لا يسمى الا ولدا او سقطا وفى الاشباه هو جنين مادام فى بطن امه فاذا انفصل ذكرا فصبى ويسمى رجلا كما فى آية الميراث الى البلوغ فغلام الى تسعة عشر فشاب الى اربعة وثلاثين فكهل الى احد وخمسين فشيخ الى اخر عمره هذا فى اللغة وفى الشرع يسمى غلاما الى البلوغ وبعده شابا وفتى الى ثلاثين فكهل الى خمسين فشيخ وتمامه فى ايمان البزازية فان قيل الجنين

اذا كان اسماله مادام فى البطن فما فائدة قوله تعالى فى بطون امهاتكم قلنا فائدته المبالغة فى بيان كمال علمه وقدرته فان بطون الامهات فى غاية الظلمة ومن علم حال الجنين فيها لايخفى عليه شئ من احواله (فلا تزكوا انفسكم) الفاء لترتيب النهى عن تزكية النفس على ماسبق من ان عدم المؤآخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اى اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة من المعصية بالكلية اوبما يستلزمها من زكاء العمل وتمام الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته وبالفارسية پس ستايش مكنيد نفسهاء خودرا به بى كناهى وبسيارى خير وخوبى اوصاف وقال الحسن رحمه الله علم الله من كل نفس ماهى صانعة والى ماهى صائرة فلا تزكوا انفسكم ولاتطهروها من الآثام ولاتمدحوها بحسن الاعمال لان كل واحد من التحلية والتخلية انما يعتد به اذا كان خالصا لله تعالى واذا كان هوا علم باحوالكم منكم فاى حاجة الى التزكية * همان به كه آبستن كوهرى * كه همچون صدف سر بخود در برى * اكر مسك خالص ندارى مكوى * وكر هست خود فاش كردد بيوى * منه آب زرجان من بر پشير * كه صراف دانا نكيرد بچير * واما من زكاء الغير ومدحه فقد ورد فيه (احثوا فى وجه المداحين) اى الذين يمدحون بما ليس فى الممدوح (التراب) على حقيقته اوهو مجاز عن ردهم عن المدح لئلا يغتر الممدوح فيتجبر وقيل المراد به ان لايعطوهم شيئا لمدحهم اومعناه الامر بدفع المال اليهم لينقطع لسانهم ولايشتغلوا بالهجو وفيه اشارة الى ان المال حقير فى الواقع كالتراب قال ابو الليث فى تفسيره المدح على ثلاثة اوجه الاول ان يمدحه فى وجهه فهو الذى نهى عنه والثانى ان يمدحه بغير حضرته ويعلم انه يبلغه فهذا ايضا ينهى عنه ومدح بمدحه فى حال غيبته وهو لايبالى بلغه اولم يبلغه ومدح يمدحه بما هو فيه فلا بأس بهذا انتهى (وفى المثنوى) خلق مادر صورت خود كرد حق * وصف ماباز وصف اوكيرد سبق * چونكه آن خلاق شكر وحمد جوست * آدمى رامدح كويى نيز خوست * خاصه مر دحق كه در فضلست چست * پر شود زان باد چون خيك درست * ورنه باشد اهل زان باد دروغ * خيك بدريدست كى كيرد فروغ * واما المدح بعد الموت فلا بأس به اذا لم يجاوز الحد كالروافض فى مدح اهل البيت (هو اعلم بمن اتقى) المعاصى جميعا وهو استئناف مقرر للنهى ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب اوالرياء فاما من اعتقد ان ماعمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر وفى التأويلات النجمية يشير به الى ان علم الانسان بنفسه علم اجمالى وعلمه تعالى به تفصيلى والعلم التفصيلى اكمل واشمل من العلم الاجمالى وايضا علم الانسان بنفسه علم مقيد بقواه البشرية وهو منتاه بحسب تناهى قواه البشرية وعلمه تعالى به علم مطلق اذ علمه عين ذاته فى مقام الاحدية غير ذاته فى مقام الواحدية والعلم المطلق احوط واجمع من العلم المقيد وايضا الانسان مخلوق على صورة الله كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته وفى رواية اخرى على صورة الرحمن والله تعالى عالم بصورته المنزهة عن الشكل المقدسة عن الهيئة والانسان غير عالم بها على كيفية علم الله اذ لايعلم الله الا الله كما قال وما قدروا الله حق قدره اللهم الا ان يفنى عن علمه المقيد ويبقى بعلمه المطلق هذا هو تحقيق اعلمية الحق تعالى وقوله وهو اعلم بمن اتقى اى بمن اتقى بالله عما سواه بحيث جعل الله تعالى وقاية نفسه لينسب كل مايصدر عنه من العلم والعمل اليه فانه هو المؤثر فى الوجود ومنه كل فيض وفضل وخير وجود (افرأيت الذى تولى) اى اعرض عن اتباع الحق وانشبات عليه (وبالفارسية ايا ديدى ان كسى راكه ازپيروى حق روى بكر دانيد (واعطى قليلا) اى شيأ قليلا من ماله اواعضاء قليلا وبالفارسية وبداد اندكى ازمال خود براى رشوت تحمل عذاب ازو (واكدى) اى قطع عطيته وامسك بخلا من قولهم اكدى الحافر اى حافر البئر اذا بلغ الكدية اى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر ثم استعمل فى كل من طلب شيئا فلم يصل اليه ولم يتمه ولم يبلغ آخره وفى القاموس اكدى بخل اوقل خيره اوقل عطاءه وفى تاج المصادر قوله تعالى واكدى اى قطع القليل قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه السلام يعنى در پى حضرت رسالت ميرفت واستماع كلام وى ميكند در مجلس او وطمع النبى عليه السلام فى اسلامه فعيره بعض المشركين وعابه وقال له تركت

دين الاشياخ وضلالتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب وكل شئ يخافه فى الآخرة ان اعطاه بعض ماله فارتد وتولى عن الوعظ واستماع الكلام النبوى واعطاه بعض المشروط و بخل بالباقى فالذم آيل الى سبب القطع وهو البخل فلا يتوهم ان الآية مسوقة لذم فعل المتولى وقطع العطاء عن المتحمل المذكور ليس بمذموم (وقال الكاشفى) واكدى وبازداشت باقى را پس جهل و بخل بايكد يكر جع كرد يقول الفقير الظاهر ان الآية مسوقة لذم التولى وسوء الاعتقاد فى نفع التحمل يوم القيامة كما دلت عليه الآية الآتية وقوله واعطى قليلا واكدى مجرد بيان لحال المتولى والمعطى فيما جرى بينه وبين المتحمل لا ذم لبخله فى ذلك لكن لا يخلو عن التهكم حيث انه بخل فيما اعتقد نفعه وقال مقاتل انفق الوليد على اصحاب محمد عليه السلام نفقة قليلة ثم انتهى عن ذلك انتهى ولا يخفى انه ليس لهذا المعنى ارتباط بما بعد من الآيات وفيه اشارة الى السالك المنقطع فى اثناء السلوك الراجع من السير الى الله الى نفسه البشرية واستيفاء لذاتها الحيوانية بسبب سآمة المشؤمة من المجاهدات البدنية والرياضة النفسانية بعد ان صرف فى طريق السير والسلوك فلسا من رأس مال عمره ثم بخل به وقطعه عن الصرف فى طريق السعى والاجتهاد فى الله وصرف بقية رأس مال عمره فى تحصيل لذات النفس الحيوانية البشرية واستيفاء شهواتها وحب الدنيا الدنية الخسيسة وهذا كله لعدم استعداده للوصول والوصال نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن النكرة بعد المعرفة * اندرين ره مى تراش ومى خراش * تادم آخر دمى فارغ مباش (اعنده) آيا نزديك اوست (علم الغيب فهو يرى) الفاء للسببية والرؤية قلبية اى اعنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة فهو يعلم ان صاحبه يتحمل عنه قال ابن الشيخ ارأيت بمعنى اخبرت واعنده علم الغيب مفعوله الثانى اى اخبرت ان هذا المعطى المكدى هل عنده علم ماغاب عنه من احوال الآخرة فهو يعلم ان صاحبه يتحمل اوزاره على ان قوله يرى بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما (ام) اهو جاهل (لم ينبأ) لم يخبر (بما فى صحف موسى) اى اسفار التوراة قال الراغب الصحيفة المبسوطة من كل شئ كصحيفة الوجه والصحيفة التى كان يكتب فيها وجمعها صحائف وصحف والمصحف ما جعل جامعا للصحف المكتوبة وقال القهستانى فى المصحف مثلث الميم ماجمع فيه القرآن والصحف (وابراهيم الذى وفى) عطف على موسى اى وبما فى صحف ابراهيم الذى وفى اى وفر وائم ما ابتلى به من الكلمات كما مر فى سورة البقرة او امر به من غير اخلال واهمال يقال اوفاه حقه ووفاه بمعنى اى اعطاه اعطاء تاما وافيا و يجوز ان يكون التشديد فيه للتكثير والمبالغة فى الوفاء بما عاهد الله اى بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمل غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل حين القى فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد وعلى الهجرة وعلى ترك اهله وولده فى واد غير ذى زرع ويروى انه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وجده اكرمه وانوى الصوم ونعم ما قيل وفى بذل نفسه للنيران وقلبه للرحمن وولده للقربان وماله للاخوان وعن النبى عليه السلام وفى عمل كل يوم باربع ركعات وهى صلاة الضحى وفى الحديث القدسى (ابن آدم اركع الى اربع ركعات من اول النهار اكفك آخره) وروى الا اخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى يختم الآيتين ذكره احمد فى مسنده الآيات الثلاث فى عين المعانى وعن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه قال قلت يارسول الله كم من كتاب انزل الله قال مائة كتاب واربعة كتب انزل الله على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وانزل الله التوراة والانجيل والزبور والفرقان قلت يارسول الله ما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا منها ايها الملك المبتلى المغرور انى لم ابعثك فتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد دعوة المظلوم فانى لا اردها وان كان من كافر وكان فيها امثال منها وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون له ساعات ساعة يناجى فيها ربه ويفكر فى صنع الله وساعة يحاسب نفسه فيما قدم واخر وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال فى المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه ويأتى ما نقل من صحف موسى فى آخر سورة سبح اسم ربك الاعلى كذا فى فتح الرحمن وتقديم موسى لما ان صحفه التى هى التوراة اشهر عندهم واكثر يقول الفقير وايضا هو من باب الترقى من الاقرب الى الابعد

لكون الاقرب اعرف وايضا ان موسى صاحب كتاب حقيقة بخلاف ابراهيم (الا تزر وازرة وزر اخرى) اصله ان لا تزر على ان ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها بدل مما فى صحف موسى او الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما فى صحفهما فقيل هو انه اى الشان لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى من حيث تتعرى منه المحمول عنها ولا يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثانى من عقابه فالمراد بالوازرة هى التى يتوقع منها الوزر والحمل لا التى وزرت وحملت ثقلا والافكان المقام ان يقال لا تحمل فارغة وزر اخرى اذ لا تحمل مثقلة بوزرها غير الذى عليها وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة ان يحمل عنه الاثم ولا يقدح فى ذلك قوله تعالى كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا اذ ليس المعنى ان عليه اثم مباشرة سائر القاتلين بل المعنى ان عليه فوق اثم مباشرته للقتل المحظور اثم دلالته وتسبيبه لقتل هؤلاء وهما ليستا الامن اوزاره فهو لا يحمل الا وزر نفسه وكذا قوله عليه السلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك وزر الاضلال الذى هو وزره (وان ليس للانسان الا ما سعى) ان مخففة من الثقيلة كأختها معطوفة عليها وللانسان خبر ليس والا ما سعى اسمها وما مصدرية ويجوز ان تكون موصولة والسعى المشى الذريع وهو دون العدو ويستعمل للجد فى الامر خيرا كان او شرا والمعنى وانه اى الشأن ليس للانسان فى الآخرة الا سعيه فى الدنيا من العمل والنية اى كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله فهو بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضرر عنه وظاهر الآية يدل على انه لا ينفع احدا عمل احد واختلفوا فى تأويلها فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عدم اثابة الانسان بسعى غيره وفعله وهذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم فيدخل الابناء الجنة بصلاح الآباء ويجعل الولد الطفل يوم القيامة فى ميزان ابيه ويشفع الله الآباء فى الابناء والابناء فى الآباء يدل على ذلك قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى ان امرأة رفعت صبيا لها من محفة وقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر وقال رجل للنبى عليه السلام ان امى افتلتت نفسها اى ماتت فجأة فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم وقال الربيع بن انس وان ليس للانسان الا ما سعى يعنى الكافر واما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره وكثير من الاحاديث يدل على هذا القول ويشهد له ان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره (روى) ان عائشة رضى الله عنها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن رضى الله عنه بعد موته واعتقت عنه وقال سعد للنبى عليه السلام ان امى توفيت افأتصدق عنها قال نعم قال فاى الصدقة افضل قال سق الماء فحفر بئرا وجعلها فى سبيل الله وقال القرطبى فى تذكرته ويحتمل ان يكون قوله وان ليس للانسان الا ما سعى خالصا فى السيئة بدليل قوله عليه السلام قال الله اذا هم عبدى بحسنة ولم يعملها كتبتها عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم اكتبها عليه فان عملها كتبتها سيئة واحدة والقرآن دال على هذا قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وهذا ونحوه تفضل من الله وطريق العدل وان ليس للانسان الا ما سعى الا ان الله يتفضل عليه بما لم يجب له كما ان زيادة الاضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة ضعف الى الف الف حسنة وقد تفضل الله على الاطفال بادخالهم الجنة بغير عمل والحاصل ما كان من السعى فمن طريق العدل والمجازاة وما كان من غير السعى فمن طريق الفضل والتضعيف فكرامة الله تعالى اوسع واعظم من ذلك فانه يضاعف الحسنات ويتجاوز عن السيئات فرتبة النفس والطبيعة وكذا الشريعة والطريقة من الطريق الاولى ومرتبة الروح والسر وكذا المعرفة والحقيقة من الطريقة الثانية قال فى الاسئلة المفحمة اشارة الآية الى اصل النجاة المعهودة فى حكم الشريعة فان النجاة الاصلية الموعودة فى الكتاب والسنة بالعمل الصالح وهى النجاة بشرط المجازاة والمكافاة فاما التى هى من غير طريق المجازاة والمكافاة فهى بطريق تفضل الله وبطوله وعميم رحمته وكريم لطفه وقد فسرها رسول الله عليه السلام حيث قال ادخرت شفاعتى لاهل الكبائر من امتى اترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للخطائين الملوثين وبيان الكتاب الى الرسول عليه السلام وسمعت الامام ابا بكر الفارسى بسمرقند يقول سمعت الاستاذ

ابا اسحق الاسفرائيني يقول ان عبدالله بن طاهر امير خراسان قال للحسن بن الفضل البجلي اشكلت على ثلاث آيات اريد ان تكشف عني وتشفي الغليل اوليها قوله تعالى في قصة ابن آدم فاصبح من النادمين وصح الخبر بان الندم توبة ولم يكن هذا الندم توبة في حق قابيل وثانيتها قوله تعالى كل يوم هو في شأن وصح الخبر بان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وثالثتهما قوله تعالى اضعافا مضاعفة فاجابه وقال اما الآية الاولى فالندم لم يكن توبة في شريعة من الشرائع وانما صار توبة في شريعة محمد عليه السلام تخصيصا له على ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل وانما كان على حمله حين حمله على عاتقه اياما فلم يعلم ماذا يعمل به لانه كان اول قتل حتى بعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه واما الآية الثانية فان الشان المذكور فيها ما هو التقدير بطريق الابتداء وانما هو سوق المقادير الى المواقيت واما الآية الثالثة فهو انه ليس للانسان الا ما سعى من طريق العدل والمجازاة وله ان يجزيه بواحدة عشرا واضعافا مضاعفة بطريق الفضل والطول لا على سبيل العدل والجزاء فقام عبدالله بن طاهر وقبل رأسه وسوغ خراجه وكان خمسين الف درهم وقد ذكر الخرائطي في كتاب الشيور قال سنة في الانصار اذا حملوا الميت ان يقرؤا معه سورة البقرة يقول الفقير فيه دليل على سنية الذكر عند حمل الجنازة لان الذكر من القرآن ولذا كان على الذاكر ان ينوي التلاوة والذكر معا حتى يثاب بثواب التلاوة فحيث سن القرآن سن الذكر المأخوذ منه ولقد احسن من قال في ابيات

زر والديك وقف على قبريهما * فكأنني بك قد حملت اليهما

الى قال في آخرها وقرأت من آي الكتاب بقدرما * تسطيعه وبعثت ذاك اليهما

قال الشيخ تقي الدين ابو العباس من اعتقد ان الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة احدها ان الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير والثاني ان النبي عليه السلام يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها ولاهل الكبائر في الاخراج من النار وهذا الانتفاع بسعي الغير والثالث ان كل نبي وصالح له شفاعة وذلك انتفاع بعمل الغير والرابع ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك منفعة بعمل الغير والخامس ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم والسادس ان اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل اباهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير وكذا الميت بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع وهو من عمل غيره وان الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرأ ذمة الانسان من ديون الخلق اذا قضاها عنه قاض كما قال الشافعي اذا انا مت فليغسلني فلان اي من الدين وذلك انتفاع بعمل الغير وكذا من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وان الجار الصالح ينتفع بجواره في الحياة والممات كما جاء في الاثر وان جليس اهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس معهم لذلك بل لحاجة اخرى والاعمال بالنيات وكذا الصلاة على الميت والدعاء له فيها ينتفع بها الميت مع ان جميع ذلك انتفاع بعمل الغير ونظائر ذلك كثيرة لا تحصى والآيات الدالة على مضاعفة الثواب كثيرة ايضا فلابد من توجيه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فانه لاشتماله على النفي والاستثناء يدل على ان الانسان لا ينتفع الا بعمل نفسه ولا يجزى على عمله الا بقدر سعيه ولا يزداد وهو يخالف الاقوال الواردة في انتفاعه بعمل غيره وفي مضاعفة ثواب اعماله ولا يصح ان يؤول بما يخالف صريح الكتاب والسنة واجماع الامة فاجابوا عنه بوجوه منها انه منسوخ ومنها انه في حق الكافر ومنها انه بالنسبة الى العدل لا الفضل وقد ذكرت ومنها ان الانسان انما ينتفع بعمل غيره اذا نوى الغير ان يعمل له حيث صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعا فكان سعي الغير بذلك كانه سعيه وايضا ان سعي الغير انما لم ينفعه اذا لم يوجد له سعي قط فاذا وجد له سعي بان يكون مؤمنا صالحا كان سعي الغير تابعا لسعيه فكأنه سعى بنفسه فان علقة الايمان وصلة وقرابة كما قال عليه السلام مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقال عليه السلام المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين اصابعه فاذا سعى احد في الايمان والعمل الصالح فكأنه سعى بتأييد عضو اخيه وسد ثلمته فكان سعيه سعيه والحاصل انه لما كان مناط منفعة كل ما ذكر من الفوائد عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منه نفع ما بدونهما جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام غيره اليه وفي اول باب الحج عن الغير

من الهداية الانسان له ان يجعل ثوابه عمله لغيره صلاة اوصوما او صدقة اوغيرها عند اهل السنة والجماعة وفى فتح الرحمن واختلف الائمة فيما يفعل من القرب كالصلاة والصيام وقرآءة القران والصدقة ويهدى ثوابه للميت المسلم فقال ابو حنيفة واحمد يصل ذلك اليه ويحصل له نفعه بكرم الله ورحمته وقال مالك والشافعى يجوز ذلك فى الصدقة والعبادة المالية وفى الحج واما غير ذلك من الطاعات كالصلاة والصوم وقرآءة القرآن وغيره لا يجوز ويكون ثوابه لفاعله وعند المعتزلة ليس للانسان جعل ثواب عمله مطلقا لغيره ولا يصل اليه ولا ينفعه لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولان الثواب الجنة وليس فى قدرة العبد ان يجعلها لنفسه فضلا عن غيره واختلفوا فيمن مات قبل ان يحج فقال ابو حنيفة ومالك يسقط عنه الحج بالموت ولا يلزم الحج عنه الا ان يوصى بذلك وقال الشافعى واحمد لا يسقط عنه ويلزم الحج عنه من رأس ماله واختلفوا فيمن لم يحج عن نفسه هل يصح ان يحج عن غيره فقال ابو حنيفة ومالك يصح ويجزى عن الغير مع الكراهة وقال الشافعى واحمد لا يصح ولو فعل وقع عن نفسه واما الصلاة فهى عبادة بدنية لا تصح فيها النيابة بحال ولا بدن بالاتفاق وعند ابى حنيفة اذا مات وعليه صلوات يعطى لكل صلاة نصف صاع من براو صاع من تمر او شعير او قيمة ذلك فدية تصرف للمساكين وليس للمدفوع اليه عدد مخصوص فيجوز ان يدفع لمسكين واحد الفدية عن عدة صلوات ولا يجوز ان تدفع فدية صلاة لاكثر من مسكين ثم لا بد من الايصاء بذلك فلو تبرع الورثة بذلك جاز من غير لزوم وذلك عند ابى حنيفة خلافا للثلاثة (وروى) ان رجلا سأل النبى عليه السلام فقال كان لى ابوان ابرهما حال حياتهما فكيف ابرهما بعد موتهما فقال ان من البر بعد الموت ان تصلى لهما مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك رواه الدار قطنى عن على رضى الله عنه وهذا الحديث حجة لابى حنيفة فى تجويزه جعل العبادة البدنية ايضا لغيره خلافا للشافعى كما مر (وروى) ايضا من مر على المقابر وقرأ قل هو الله احد عشر مرات ثم وهب اجرها للاموات اعطى من الاجر بعدد الاموات رواه الدار قطنى عن انس بن مالك رضى الله عنه مرفوعا فهذا ايضا حجة له فى تجويزه جعل ثواب التلاوة للغير خلافا للشافعى (وروى) عن النبى عليه السلام انه ضحى بكبشين املحين احدهما عن نفسه والآخر عن امته المؤمنين متفق عليه اى جعل ثوابه لها وهذا تعليم منه عليه السلام بان الانسان ينفعه عمل غيره والاقتداء به عليه السلام هو الاستمساك بالعروة الوثقى وكذا قال الحسن البصرى رحمه الله رأيت عليا رضى الله عنه يضحى بكبشين وقال ان رسول الله اوصانى ان اضحى عنه وكان الشيخ الفقيه القاضى الامام مفتى الانام عز الدين بن عبد السلام يفتى بأنه لا يصل الى الميت ثواب ما يقرأ ويحتج بقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فلما توفى رآه بعض اصحابه ممن يجالسه وسأله عن ذلك وقال له انك كنت تقول لا يصل الى الميت ثواب ما يقرأ ويهدى اليه فكيف الامر فقال له كنت اقول ذلك فى دار الدنيا والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله فى ذلك وانه يصل اليه ذلك وقد قيل ان ثواب القراءة للقارئ وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة قال الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون قال القرطبى ولا يبعد من كرم الله ان يلحقه ثواب القراءة والاستماع جميعا ويلحقه ثواب ما يهدى من قراءة القرآن وان لم يسمعه كالصدقة والاستغفار ولان القرآن دعاء واستغفار وتضرع وابتهال وما تقرب المتقربون الى الله بمثل القرآن انتهى * يقول الفقير فيه حجة على من انكر من اهل عصرنا جهرا بقراءة الكرسى اعقاب الصلوة واوجب اخفاءها وتلاوتها لكل واحد من الجماعة وذلك لان استماع القرآن اثوب من تلاوته فاذا قرأ المؤذن واستمع الحاضرون كانوا كانهم قرأوا جميعا واذا جاز وصول ثواب القرآءة والاستماع جميعا الى الميت فظنك بالحى اصلحنا الله واياكم (وروى) ان بعض النساء توفيت فرأتها فى المنام امرأة كانت تعرفها واذا عندها تحت السرير آنية من نور مغطاة فسألتها ما فى هذه الاوعية فقالت فيها هدية اهداها الى ابوا ولادى البارحة فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة فقال قرأت البارحة شيأ من القرآن واهديته اليها وفى الحديث اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له قال القرطبى القرآءة فى معنى الدعاء وذلك صدقة من الولد ومن الصاحب والصديق والمؤمنين قال ابن الملك فى شرح الحديث (اذا مات الانسان انقطع عنه عمله) اى تجدد الثواب له (الا من ثلاث صدقة جارية) كالاوقاف (او علم ينتفع به) قيل هو الاحكام المستنبطة من النصوص والظاهر انه عام متناول ما خلفه من تصنيف او تعليم

فى العلوم الشرعية وما يحتاج اليه فى تعلمها قيد العلم بالمنتفع به لان ما لا ينتفع به لا يثمر اجرا (او ولد صالح يدعو له) قيد بالصالح لان الاجر لا يحصل من غيره واما الوزر فلا يلتحق بالأب من سيئة ولده اذا كانت نيته فى تحصيل الخير وانما ذكر الدعاء له تحريضا للولد لان الاجر يحصل للوالد من ولده الصالح كلما عمل عملا صالحا سواء دعا لابيه او لا كمن غرس شجرة يحصل له من اكل ثمرتها ثواب سواء دعا له من اكلها او لم يدع وكذلك الام قال بعض الكبار النكاح سنة نبيك فلا ترغب عنه واطلب من الله من يقوم مقامك بعد موتك حتى لا ينقطع عملك بموتك فان ابن آدم اذا مات انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم بثه فى الناس او ولد صالح يدعو له وفى لفظ الصدقة الجارية اشارة الى افضلية الماء ولذا حفر سعد بئرا لامه فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله عليه السلام من سن فى الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة وقوله عليه السلام من مات يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة قلنا السنة المسنونة من جملة العلم المنتفع به ومعنى حديث المرابط ان ثواب عمله الذى قدمه فى حياته ينمو الى يوم القيامة واما الثلاثة المذكورة فى الحديث فانها اعمال تحدث بعد وفاته لا تنقطع عنه لانه سبب لها فيلحقه منها ثواب والحاصل ان المراد بهذا الحديث عمله المضاف الى نفسه فهو منقطع واما العمل المضاف الى غيره فلا ينقطع فللغير ان يجعل ماله من اجر عمله الى من اراد وقال بعضهم فى الآية ليس كل عمل للانسان انما بعضه لله مثل الصوم كما قال الصوم لى وانا اجزى به فثوابه فضل الله وهو رؤيته وتمسك بعض العلماء بهذا الحديث وظن ان الصيام مختص بعامله موفر له اجره لا يؤخذ منه شىء لمظلمة ظلمها وهذا القول مردود فان الحقوق تؤخذ من جميع الاعمال صياما كان او غيره وقيل ان الصوم اذا لم يكن معلوما لاحد ولا مكتوبا فى الصحف هو الذى يستره الله ويخبأه لعامله حتى يكون له جنة من العذاب فتطرح اولئك عليه سيئاتهم فتنصرف عنهم ويقيه الصوم فلا تضر باصحابها ولا الهاعنهم ولا به لان الصوم جنته وهذا تأويل حسن دافع للتعارض قال البقلى رحمه الله فى تأويل الآية ليس للصورة الانسانية الا ما سعت من الاعمال الزكية عن الرياء والسمعة يؤول ثوابها اليها من درجات الجنان اما ما يتعلق بفضل الله وجوده من مشاهدته وقربته فهو للروح والروحانى الذى فى تلك الصورة فانه اذا استوى فى درجات الجنان التى هى جزاء اعماله الصالحة تمتع ايضا بما يجد روحه من فضل الله المتعلق بكشف حجاب جماله وايضا ليس للانسان الا ما يليق بالانسان من الاعمال واما الفضل كالمشاهدة والقربة فهو لله يؤتيه من يشاء فاذا وصل الى مشاهدة الله وتمتع بها فليس ذلك له انما ذلك لله وان كان هو متمتعا به وقال ابن عطاء ليس للانسان من سعيه الا ما نواه ان كان سعيه لرضى الرحمن فان الله يرزقه الرضوان وان كان سعيه للثواب والعطاء والاعواض فله ذلك وقال النصر آبادى سعى الانسان فى طريق السلوك لا فى طريق التحقيق فاذا تحقق يسعى به ولا يسعى هو بنفسه واما قول العارف الجامى * سالكانى بى كشش دوست بجايى نرسند * سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند * فقد لا ينافيه فانه لا فائدة فى السعى بدون الجذبة الالهية فالسعى منسوب الى السالك والجذبة مضافة الى الله تعالى واما المنتهى فالسعى والجذبة بالنسبة اليه كلاهما من الله تعالى ادليس بمتحقق من لم يكن حركاته وسكناته بالله ثم ان الطريق قد يثنى كطريق الحج من البر والبحر واما طريق الحق فمفرد اى من حيث الجمعية الوحدانية والا فالطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق فعند النهاية يحصل الالتقاء ولذا قال تعالى وان الى ربك المنتهى مع انه فرق بين وصول ووصول كالناظرين كل ينظر بحسب قوة نور بصره وضعفه وان كان المرئى واحدا ثم ان الله يوصل السالك بعد موته الى محل همته لانه كأنه حاصل بسعيه وقدمر تحقيقه فى محله نسأل الله الوصول الى غاية المطالب بحرمة اسمه الواهب (وان سعيه) اى سعى الانسان وهو عمله كما فى قوله تعالى ان سعيكم لشتى وهو مع خبره معطوف على ما قبله من الاتزر الخ على معنى ان المذكورات كلها فى الصحف (سوف يرى) اى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى صحيفة ميزانه من أريته الشىء عرضته عليه وفيه اشارة الى ان الانسان له مراتب فى السعى وبحسب كل مرتبة يجد سعيه فى الحال لا يزيد ولا ينقص وايضا فى المآل واول مراتبه فى السعى مرتبة النفس وسعيه فى هذه المرتبة تزكية النفس عن المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية بالموافقات الشرعية والمخالفات الطبيعية اذ العلاج بضدها واثر هذا السعى وثمرته حصول الجنات التى تجرى من تحتها الانهار والحور والقصور والغلمان كما اخبر الكتاب العزيز فى غير موضع والمرتبة الثانية

والسعى فيها تصفية القلب عن صداء الظلمات البشرية وغطاء الكدورات الطبيعية واثر هذا السعى ونتيجته ترك حب الدنيا وشهواتها ولذائها وزخارفها ومالها وجاهها والمرتبة الثالثة والسعى فيها تحلية السر بالصفات الالهية والاخلاق الربانية واثر هذا السعى ونتيجته حصول شواهد التجليات الصفاتية والاسمائية والمرتبة الرابعة والسعى فيها تحلية الروح بالتجليات الذاتية والمشاهدات الحقانية واثر هذا السعى ونتيجته هو الفناء عن انانيته والبقاء بهويته الاحدية المطلقة عن التقييد والاطلاق واللا تقييد واللا اطلاق وقال الواسطى فى الاية انه لم يكن مما يستجاب به شئ من الثواب وقال سهل سوف يرى سعيه فيعلم انه لا يصلح للحق ويعلم ما الذى يستحق بسعيه وانه لولم يلحقه فضل ربه لهلك بسعيه (ثم يجزاه) اى يجزى الانسان بسعيه اى جزاء عمله يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل (الجزاء الاوفى) اى الاوفر الاتم ان خيرا فخير وان شرا فشر وهو مفعول مطلق مبين للنوع قال الوراق وان لبس للانسان الا ماسعى ذلك فى بدايته وان سعيه سوف يرى ذلك فى توسط اموره ثم يجزاه الجزاء الاوفى ذلك فى نهاياته وله نهايتان باعتبار الفناء والبقاء ففى الفناء يحصل الجزاء الذى هو الشهود وفى البقاء يحصل الجزاء الذى هو تربية الجسد والوجود وذلك باستيفاء ما ترك فى بداية سلوكه من المباحات المشروعة من الاكل والشرب والملبس والمنكح والتوسعة فى معايش الدنيا واسبابها فبعد تحققه بعالم الوحدة يرد الى عالم الكثرة ولكن لا تضره الكثرة اذا اصلا

(وان الى ربك المنتهى) مصدر بمعنى الانتهاء الخلق فى رجوعهم الى الله تعالى بعد الموت لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازيهم باعمالهم وفى الحقيقة انتهاء الخلق اليه تعالى فى البداية والنهاية الا الى الله تصير الامور اذ لا اله الا هو (وفى المثنوى) دست برباى دست اين تا كجا * تابر دان كه اليه المنتهى * كان يكى درياست بى غور وكران * جمله درياها چو سيلى پيش آن * حيلها وجارها كراژد هاست * پيش الا الله انها جمله لاست * قال ابن عطاء من كان منه مبدأه كان اليه منتهاه واذا وصل العبد الى معرفة الربوبية ينحرف عنه كل فتنة ولا يكون له مشيئة غير اختيار الله له قيل للحسين ما التوحيد قال ان تعتقد انه معلل الكل بقوله هو الاول وعند ذلك تطلب المعلولات منه الابتداء واليه الانتهاء ذهبت المعلولات وبقى المعلل بها قال بعض الكبار من ادل دليل على توحيد الله تعالى عند من لا كشف عنده كونه تعالى عند النظار والفلاسفة علة العلل وهذا توحيد ذاتى ينتفى معه الشريك بلا شك غير ان اطلاق هذا اللفظ عليه تعالى لم يرد به الشرع فلا ندعوه به ولا نطلقه عليه فاعلم ذلك (وانه) تعالى (هو) وحده (اضحك وابكى) الضحك انبساط الوجه وتكشر الاسنان من سرور النفس وظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك والبكاء بالمدسيلان الدمع عن حزن وعويل يقال اذا كان الصوت اغلب كالرغاء وسائر هذه الابنية الموضوعة للصوت وبالقصر يقال اذا كان الحزن اغلب وقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اشارة الى الفرح والترح وان لم يكن مع الضحك قهقهة ولا مع البكاء اسالة دمع كما فى المفردات والمعنى هو خلق قوتى الضحك والبكاء فى الانسان منهما ينبعث الضحك والبكاء والانسان لا يعلم ما تلك القوة وهما كنايتان عن السرور والحزن كأنه قيل افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء او عما يسر ويحزن وهو الاعمال الصالحة والاعمال الطالحة او اضحك فى الدنيا اهل النعمة وابكى اهل الشدة والمصيبة او اضحك فى الجنة اهلها وابكى فى النار اهلها او اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر او الاشجار بالانوار والسحاب بالامطار او القراطيس بالارقام والاقلام بالمداد او اضحك القرد وابكى البعير او اضحك بالوعد وابكى بالوعيد او اضحك المطيع بالرضى وابكى العاصى بالسخط او اضحك قلوب العارفين بالحكمة وابكى عيونهم بالحزن والحرقة او اضحك قلوب اوليائه بانوار معرفته وابكى قلوب اعدائه بظلمات سخطه او اضحك المستأنسين بنرجس مودته وياسمين قربته وطيب شمال جماله وابكى المشتاقين بظهور عظمته وجلاله او اضحك بالاقبال على الحق وابكى بالادبار عنه او اضحك الاسنان وابكى الجنان او بالعكس قال الشاعر

السن تضحك والاحشاء تحترق * وانما ضحكها زور ومختلق

يارب باك بعين لا دموع لها * ورب ضاحك سن ما به رمق

او اضحك بتجليه اللطفى الجمالى القلب المنور بنور اللطف والجمال وابكى بتجليه القهرى الجلالى النفس المظلمة

بظلمة القهر والجلال اواضحك بتجليه الجلالى النفس على القلب عند استيلاء ظلمة النفس على القلب وابكى بتجليه الجمالى القلب على النفس عند غلبة انوار القلب على النفس وفى الآية دلالة على ان كل مايعمله الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء قالت عائشة رضى الله عنها مر النبى عليه السلام على قوم يضحكون فقال لو تعلمون ماأعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول وانه هو اضحك وابكى فرجع اليهم فقال ماخطوت اربعين خطوة حتى اتانى جبريل فقال ائت هؤلاء فقل لهم ان الله يقول هو اضحك وابكى وسئل طاهر المقدسى اتضحك الملائكة فقال ماضحك من دون العرش منذ خلقت جهنم وقال النبى عليه السلام لجبرائيل مالى لم ارميكائيل ضاحكا قط قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار وقيل لعمر رضى الله عنه هل كان اصحاب رسول الله عليه السلام يضحكون قال نعم والله والايمان اثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى وعن سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة رضى الله عنه اكنت تجالس النبى عليه السلام قال نعم وكان اصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر ويذكرون اشياء من امر الجاهلية فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعنى النبى عليه السلام ولقى يحيى عيسى عليهما السلام فتبسم عيسى فى وجه يحيى فقال مالى اراك لاهيا كانك آمن فقال مالى اراك عابسا كانك آيس فقالا لانبرح حتى ينزل علينا الوحى فاوحى الله تعالى احبكما الى احسنكما ظنا بى (وروى) احبكما الى الطلق البسام وقال الحسن ياابن آدم تضحك ولعل كفنك خرج من عند القصار وبكى نوح عليه السلام ثلاثمائة سنة بقوله ان ابنى من اهلى وقال كعب لان ابكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى احب الى من ان اتصدق بجبل ذهب والنافع بكاء القلب لا العين فقط * بران ازدوسر چشمهٔ ديده جوى * ورا لا يشى دارى ازخود بشوى (وانه هو اماث واحيى) لايقدر على الاحياء والاماتة غيره لاخلقا ولاكسبا فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله على العادة فالعبد نقض البنية كسبا دون الاماتة وبالفارسية قادر براماتة واحيا اوست وبس مى ميراند بوقت اجل دردنيا وزنده ميسازد درقبر يااوسازندهٔ اسباب موت وحياتست وكفته اندمرده ميسازد كافرانرابنكرت وزنده ميكندمؤمنانرا بمعرفت و بقول بعض اماته واحيا بجهل وعلم است يابخل وجود يابعدل وفضل يابه منع واعطا وقيل الحصب والجدب اوالاباء والابناء اويقظ وانام اوالنطفة والنسمة وزند محققان بهيت وانس ياباستتار وتجلى وامام قشيرى فرموده كه ميراند نفوس زاهدانرابآثار مجاهدت وزنده كرداند قلوب عارفانرا بانوار مشاهدت ياهركه رامرتبهٔ فنافى الله رساند جرعهٔ ازساغر بقابالله چشاند اوامات النفس عن الشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية واحيى القلب بالصفات الروحانية والاخلاق الربانية اوامات النفس بغلبة القلب عليها واحياه اوامات القلب باستيلاء النفس عليه واحياها وهذه الاحكام المختلفة مادام القلب فى مقام التلوين فاما اذا ترقى الى مقام الاطمئنان والتمكين فلايصير القلب مغلوبا للنفس بل تكون النفس مغلوبة للقلب ابدالآباد الى ان تموت تحت قهر بامر ربه يقول الفقير قدم الاماتة على الاحياء رعاية للفاصلة ولان النطفة قبل النسمة ولان موت القلب قبل حياته ولان موت الجسد قبل حياته فى القبر وايضا فى تقديم الاماتة تعجيل لاثر القهر لينتبه المخاطبون وايضا ان العدم قبل الوجود ثم ان مآل الوجود الى الفناء والعدم فلاينبغى الاغترار بحياة بين الموتين ووجود بين العدمين والله الموفق (وانه) وآنكه خداى تعالى (خلق الزوجين) بيافريد ازانسان دوصنف وفى بعض التفاسير من كل الحيوان وفيه ان كل حيوان لايخلق من النطفة بل بعضه من الريح كما لطير فان البيضة المخلوقة منها الدجاجة مخلوقة من ريح الديك (الذكر والانثى) زوماده (من نطفة) هى الماء الصافى و يعبر بها عن ماء الرجل كما فى المفردات (اذا تمنى) تدفق فى الرحم وتصب وبالفارسية ازآب منى وقتى كه ريخته شود درزحم وآدم وحوا وعيسى عليهم السلام ازين مستثنى اند فهومن امنى يمنى امناء وهوبالفارسية منى آوردن قال تعالى افرأيتم ماتمنون وفى القاموس منى وامنى ومنى بمعنى اومعنى تمنى يقدر منها الولد من مناه الله يمنيه قدره اذليس كل منى يصير ولدا وفيه اشارة الى انه تعالى خلق زوج ذكر الروح موصوفا بصفة الفاعلية وخلق زوجة انثى النفس موصوفة بصفة القابلية ليحصل للقلب من مقدمتى الروح والنفس نتيجة صادقة صالحة لحصول المطالب الدنيوية والاخروية من نطفة

واقعة كائنة مستقرة فى رحم الارادة الازلية اذا تمنى اذا تحرك وقد فق فى رحم الارادة القديمة اواذا قدر المقدر بالحكمة البالغة قدم الذكر رعاية للفاصلة ولشرفه الرتبى وان كان الاصل فى العالم الانوثة ولذلك سرت فيه باسره ولكن لما كانت فى النساء اظهر حيث للا كابر حتى آجر موسى عليه السلام نفسه فى مهر امرأة عشر سنين وحتى ان اعظم ملوك الدنيا يكون عند الجماع كهيئة الساجد فاعلم ذلك فلما كان لايخلو العوالم عن نكاح صورى اومعنوى كان نصف الخلق الذكر ونصفه الانثى وان شئت قلت الفاعل والقابل والانسان يرزخ هاتين الحقيقتين (وان عليه) اى على الله تعالى (النشأة الاخرى) اى الخلقة الاخرى وهو الاحياء بعد الموت وفاء بوعده لانه يجب على الله كما يوهمه ظاهر كلمة على وفيه تصريح بان الحكمة الالهية اقتضت النشأة الثانية الصورية للجزآء والمكافاة وايصال المؤمنين بالتدريج الى كمالهم اللائق بهم ولو اراد تعجيل اجورهم فى هذه الدار لضاقت الدنيا باجر واحد منهم فاظنك بالباقى ومن طلب تعجيل نتائج اعماله واحواله فى هذه الدار فقد اساء الأدب وعامل الموطن بما لا يقتضيه حقيقته واما اذا استقام العبد فى مقام عبوديته وعجل له الحق نتيجة ما اوكرامة فان من الادب قبولها ان كانت مطهرة من شوآئب الحظوظ وبالجملة فالخير فيما اختاره الله لك ثم ان النشأة الاخرى الصورية مترتبة على كمال الفناء الصورى مع الاستعداد والتهيؤ لقبول الروح فكذا النشأة الاخرى المعنوية وهى البقاء والاتصاف بالصفات الالهية موقوفة على تمام الفناء المعنوى والانسلاخ عن الاوصاف البشرية بالكلية مع الاستعداد والتهيؤ لقبول الفيض وبالجملة فلا بد فى كلتا النشأتين من صحة المزاج الاترى ان الجنين اذا فسد فى الرحم سقط بل الرحم اذا فسدت لم تقبل العلوق والى الولادة الثانية التى هى النشأة الاخرى اشار عيسى عليه السلام بقوله لن يلج ملكوت السموات من لم يولد مرتين ومعنى ملكوت السموات حقائقها وانوارها واسرارها فكل نبى وولى وارث متحقق بهذا الولوج والولادة الثانية (وانه هو اغنى) اعطى الغنى للناس بالاموال (واقنى) واعطى القنية وهى ماياتأثل من الاموال اى يتخذ اصلا ويدخر بان يقصد حفظه استثمارا واستنماء وان لايخرج عن ملكه وفى المثل لاتقتن من كلب سوء جروا يقال قنوت الغنم وغيرها وقنيتها قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لاللتجارة وفى تاج المصادر الاقتناء سرمايه دادن وخشنود كردن قال بعضهم اغنى الناس بالكفاية والاموال واعطى القنية ومايدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك اغنى بالذهب والفضة والثياب والمسكن واقنى بالابل والبقر والغنم والدواب وافراد القنية بالذكر اى بعد قوله اغنى لانها اشرف الاموال وافضلها اومعنى اقنى ارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية والاوفق لما تقدمه من الآى المشتملة على مراعاة صنعة الطباق ان يحمل على معنى افقر على ان تكون الهمزة اى فى اقنى للازالة كما قاله سعدى المفتى قال الجنيد قدس سره اغنى قوما به وافقر قوما منه وقال بعضهم فيه اشارة الى افاضة الفيض الالهى على القلب السليم المستقيم الثابت على دين الله كما قال عليه السلام اللهم ثبت قلبى على دينك وابقاء ذلك الفيض الالهى عليه بحيث لايستهلك ذلك الفيض ولا يضمحل تحت غلبة ظلمة النفس الامارة بالسوء لتمكن ذلك القلب وعدم تلونه بخلاف القلب المتلون فانه لعدم تمكنه فى بعض الاوقات يتكدر بظلمة النفس ويزول عنه ذلك النور المفاض عليه المضاف اليه وهو المعنى بقوله اقنى اى جعل فيه ذلك النور قنية ثم ان الآية دلت على اباحة التأثل من الاموال النافعة دون غيرها ولذا نهى عن اقتناء الكلب اى امساكه بلا فائدة من جهة حفظ الزرع او الضرع اونحو ذلك والنفس الامارة اشد من الكلب العقور ففى اقتناء الروح النامى مندوحة عن اقتنائها لانها ابتر عقيم لاخير فيها الاترى ان مرتبة النفس والطبيعة تبقى هنا ولاتستصحب الانسان الكامل فى النشأة الجنانية اذا الجنان كالمرعى الطيب والروض الانف فلا يرعى فيها الا الروح الطيب والجسد النظيف (وانه هو رب الشعرى) اى رب معبود هم فاعبدوا الرب دون المربوب والشعرى كوكب نير خلف الجوزاء يقال لها العبور بالمهملة كالصبور وهى اشد ضياء من الغميصاء بالغين المعجمة المضمومة وفتح الميم والصاد المهملة وهى احدى الشعريين يعنى ان الشعرى شعريان احدهما الشعرى اليمانية وتسمى ايضا الشعرى العبور وثانيتهما الشعرى الشامية وتسمى ايضا الشعرى الغميصاء فصلت المجرة بينهما تزعم العرب ان الشعريين اختا سهيل وان الثلاثة كانت مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن وتبعته العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيلا واقامت الغميصاء فبكت

لفقد سهيل فغمصت عينها اى كانت اقل نورا من العبور واخفى والغمص فى العين ماسال من الرمص يقال غمصت عينه بالكسر غمصا وكانت خزاعة تعبد الشعرى سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم فقال لقومه ان النجوم تقطع السماء عرضا وهذه تقطعها طولا فليس شئ مثلها فعبدتها خزاعة وخالف ابو كبشة قريشا فى عبادة الاوثان ولذلك كانت قريش يسمون الرسول عليه السلام ابن ابى كبشة لا يريدون بذلك اتصال نسبه اليه وان كان الامر كذلك اى لان اباكبشة احد اجداد النبى عليه السلام من قبل امه بل يريدون به موافقته عليه السلام له فى ترك عبادة الاوثان واحداث دين جديد فالنبى عليه السلام كما وافق ابا كبشة فى مخالفة قريش بترك عبادة الاصنام خالفه ايضا بترك عبادة الشعرى وهو اشارة الى شعرى النفس المسماة بكلب الجبار التى عبدها خزاعة اهل الاهوآء وابو كبشة اهل البدع من الفلاسفة والزنادقة (وانه اهلك عادا الاولى) هى قوم هود عليه السلام اهلكوا بريح صرصر وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح اى المراد بعاد اى جميع من انتسب الى عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وبوصفهم بالاولية ليس للاحتراز عن عاد الاخيرة بل لتقدم هلاكهم بحسب الزمان على هلاك سائر الامم بعد قوم نوح قال فى التكملة وصف عاد بالاولى يدل على ان لها ثانية فالاولى هى عاد بن ارم قوم هود والثانية من ولدها وهى التى قاتلها موسى عليه السلام باريحاء كانوا تناسلوا من الهزيلة بنت معاوية وهى التى نجت من قوم عاد مع بنيها الاربعة عمرو وعمر وعامر والعتيد وكانت الهزيلة من العماليق (وثمود) عطف على عادا لان مابعده لا يعمل فيه لمنع ماالنافية عن العمل وهم قوم صالح عليه السلام اهلكهم الله بالصيحة (فما ابقى) اى احدا من الفريقين ويجوز ان يكون المعنى فما ابقى عليهما فالابقاء على هذا المعنى الترحم وهو بالفارسية بخشودن وانما لم يترحم عليهم لكونهم من اهل الغضب ورحمة الله لاهل اللطف دون القهر وفيه اشارة الى التربية فاولا باللطف وثانيا بالعتاب وثالثا بالعقاب فان لم يحصل التنبه فبالازالة والاهلاك وهكذا عادة الله فى خلقه فلينبه العباد وليحافظوا على المراتب فى تربية عبيدهم واما ئهم وخدمهم مطلقا (وقوم نوح) عطف عليه ايضا (من قبل) اى من قبل اهلاك عاد وثمود (انهم) اى قوم نوح (كانوهم اظلم) لنبيهم (واطغى) من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لايكون به حراك وماأثرت فيهم دعوته قريبا من الف سنة وماآمن من معه الاقليل * باسيه دل چه سود كفتن وعظ * نرود ميخ آهنين درسنك * وفيه اشارة الى اهلاك صفات القلب من قبل ان تتمكن فى سفينة التوحيد فانهم كانوا مذبذبين منقلبين بين القلب وبين النفس ظالمين على القلب بمشاهدة الكثرة طاغين عليه بالميل الى النفس وصفاتها (والمؤتفكة) هى قرى قوم لوط عليه السلام يعنى شهرستان قوم لوط عليه السلام ائتفكت باهلها اى انقلبت بهم وهو منصوب عطفا على عادا اى واهلك المؤتفكة وقيل هو منصوب بقوله (اهوى) اى اسقطها الى الارض مقلوبة بعد ان رفعها على جناح جبريل الى السماء فالاهواء بمعنى انداختن وقال الزجاج القاها فى الهاوية (فغشاها ماغشى) من فنون العذاب (وقال الكاشفى) پس بپوشانيد آن شهرهارا آنچه بپوشانيد يعنى سنكهاء نشان داده بران بارا نيد وفيه من التهويل والتفظيع مالا غاية وراءه قوله ماغشى مفعول ثان ان قلنا ان التضعيف للتعدية اى البس الله المؤتفكة ماالبسها اياه من العذاب كالحجارة المنضودة المسومة فغشى لا الفعل الاول مذكوران والثانى محذوفان وان قلنا انه للمبالغة والتكثير فهو فاعل كقوله فغشيهم من اليم ماغشيهم وفى الآية اشارة الى قرية القالب وانقلابها من اعلى الكمال الى اسفل النقصان ومن اعتدال المزاج الى انحرافه وذلك سبب ظلم النفس الامارة عليها باستيفاء الحظوظ والشهوات كما قال تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها الاية (فباى آلاء ربك تتمارى) الآلاء النعم واحدها الى والى والى كما فى القاموس والتمارى والامتراء والمماراة المحاجة فيه مرية اى شك وتردد قال فى تاج المصادر التمارى بشك شدن وبايكديكر بستيهيدن واسناد فعل التمارى الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه والخطاب للرسول عليه السلام فهو من باب الالهاب والتعريض بالغير على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك اولكل واحد وجعل الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات

وعبر للمعتبرين قال فى بحر العلوم وهلاك اعدآء الله والنجاة من صحبتهم وشرهم والعصمة من مكرهم من اعظم آلائه الواصلة الى المؤمنين قال المتنبى

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقدامر نوحا بالحمد على ذلك فى قوله فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقد حمد هو نفسه على ذلك فى موضع آخر تعليما لعباده حيث قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقد سجد عليه السلام سجدة الشكر حين رأى رأس ابى جهل قد قطعت فى غزوة بدر * وفى التأويلات النجمية يشير الى استحقاق الشكر الجزيل على آلائه التى عددها وسماها آلاء لاشتمالها على نعم المواعظ ونعم الزواجر واستبعاد الشك والمراة فيها والخطاب لافراد الامة لاشتمال النبى عليه السلام على امته كما قال ان ابراهيم كان امة قانتا انتهى ومعنى الآية اذا عرفت يا محمد هذه المذكورات فبأى نعمة من نعم ربك تشكك بانها ليست من عند الله او فى كونها نعمة وبالفارسية پس بكدامين ازنعمتهاء آفريد كارخود شك مى آرى وجدال ميكنى فكما نصرت اخوانك من الانبياء الماضين ونصرت اولياءهم واهلكت اعداءهم فكذلك افعل بك فلا يكن قلبك فى ضيق وحرج مما رأيت من اصرار هؤلاء القوم وعنادهم واستكبارهم (هذا نذير من النذر الاولى) هذا اما اشارة الى القرآن والنذير مصدر اى هذا القرآن الذى تشاهدونه انذار كائن من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها اوالى الرسول والنذير بمعنى المنذر اى هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفى التأويلات النجمية يشير الى القرآن اوالى الرسول وشبه انذارهما بانذر الكتب الماضية والرسل المتقدمة يقول الفقير فيه اشارة الى نذارة كل ورثته عليه السلام فان كل نذير متأخر فهو من قبيل النذر الاولى لاتحاد كلمتهم ودعوتهم الى الله على بصيرة وكذا ما الهموا به من الانذارات بحسب الاعصار والمشارب فطوبى لاهل المتابعة وويل لاهل المخالفة بكوى انچه دانى سخن سود مند * وكر هيچ كس رانيايد پسند * كه فردا پشيمان برآرد خروش * كه آوخ چراحق نكردم بكوش * بكمراه كفتن نكو ميروى * كناه بزركست وجورقوى * مكوشهد شيرين شكر فايقست * كسى راكه سقمونيا لايقست * چه خوش كفت يكروزدار وفروش * شفا بايدت داروى تلخ نوش (ازفت الآزفة) فى ايراده عقيب المذكورات اشعار بان تعذيبهم موخر الى يوم القيامة تعظيما للنبى عليه السلام وان كانوا معذبين فى الدنيا ايضا فى الجملة واللام للعهد فلذا صح الاخبار بدونها واوكانت للجنس لما صح لانه لافائدة فى الاخبار بقرب آزفة ما فان قلت الاخبار بقرب الآزفة المعهودة لافائدة فيه ايضا قلت فيه فائدة وهو التأكيد وتقرير الانذار والازف ضيق الوقت لقرب وقت الساعة وعلى ذلك عبر عن القيامة بالساعة يقال ازف الترحل كفرح ازفا وازوفا دنا والازف محركة الضيق كما فى القاموس والمعنى دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة اى فى الدلالة على كمال قربها لما فى صيغة الافتعال من المبالغة ففى الآية اشارة الى كمال قربها حيث نسب القرب الى الموصوف به (ليس لها من دون الله كاشفة) اى ليس لها نفس قادرة على كشفها اى ازالتها وردها عند وقوعها فى وقتها المقدر لها الا الله لكنه لا يكشفها من كشف الضر اى ازاله بالكلية فالكاشفة اسم فاعل والتاء للتأنيث والموصوف مقدر اوليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها الا الله فانه المؤخر لها يعنى اووقعت الآن لم يردها الى وقتها احد الا الله فالكشف بمعنى الازالة لا بالكلية بل بالتأخير الى وقتها اوليس لها كاشفة لوقتها الا الله اى عالمة به من كشف الشئ اذا عرف حقيقته اومبينة له متى تقوم وفى القرآن لا يجليها لوقتها الا هو اوليس لها من غير الله كشف على ان كاشفة مصدر كالعاقبة والخائنة واما جعل التاء للمبالغة كتاء علامة فالمقام يأباه لايهامه ثبوت اصل الكشف لغيره وفى الآية اشارة الى قرب القيامة الكبرى ووقوع الطامة العظمى وهى ظهور الحقيقة المثلى لاهل الفناء عن نفوسهم والاقبال على الله بجمع الهمة وقوة العزيمة ليس لها من دون الله كاشفة بالنسبة الى اهل الحجاب لانهم مستغرقون فى بحر الغفلة مستهلكون فى اسر الشهوة والانسان فان فى كل آن وزمان وماله شعور بذلك فياليته كشف عن غطائه وتشرف برؤية الله ولقائه وقد قالوا قيامة العارفين دائمة اى لانهم فى شهود الامر على ما كان عليه ولا يتوقف شهودهم على وقوع القيامة الظاهرة ومن هنا قال الامام على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء

ما ازددت يقينا فطوبى لمن زاد يقينه ووصل الى حق اليقين وتمكن فى مقام التحقيق والله المعين
(افمن هذا الحديث) آيا ازين سخن كه قرأنست (تعجبون) انكارا قال الراغب العجب والتعجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشئ ولهذا قال بعض الحكماء العجب مالا يعرف سببه (وتضحكون) استهزآء مع كونه ابعد شئ من ذلك قال الراغب واستعير الضحك للسخرية فقيل ضحكت منه (ولا تبكون) حزنا على مافرطتم فى شانه وخوفا من ان يحيق بكم ماحاق بالامم المذكورة (روى) انه عليه السلام لم يرضاحكا بعد نزول هذه الآية وعن ابى هريرة رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية بكى اهل الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله عليه السلام حنينهم بكى معهم فبكينا لبكائه فقال عليه السلام لايلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ثم يغفر لهم (وروى) ان النبى عليه السلام نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكى فقال له من هذا فقال فلان فقال جبرآئيل انا نزن اعمال بنى آدم كلها الا البكاء فان الله ليطفئ بالدمعة بحورا من نيران جهنم وفى الحديث (ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا) وذلك فان الحزن يؤدى الى السرور والبكاء الى الضحك (قال الصائب) منال اى ساكن بيت الحزن ازچشم تار يكى * كه خواهد صيقلى كشت ازجمال روشن يوسف (وقال) خنده كردن رخنه درقصر حيات افكند نست * خانهٔ دربسته باشد تاغمين باشد كسى (وانتم سامدون) اى لاهون اومستكبرون من سمد البعير فى مسيره اذارفع رأسه قال الراغب السامد اللاهى الرافع رأسه اومغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء واللهو ليشغلوهم عن الاستماع اوخاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع والجملة حال من فاعل لاتبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفى والانكار وارد على نفى البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر كما فى الارشاد (فاسجدوا لله واعبدوا) الفاء لترتيب الامر اوموجبه على ماتقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اى واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذى انزله واعبدوه ولا تعبدوا غيره من ملك اوبشر فضلا عن جماد لايضر ولاينفع كالاصنام والكواكب قال فى عين المعانى فاسجدوا اى فى الصلاة والاصح انه على الانفراد وهى سجدة التلاوة انتهى وهذا محل سجود عند ابى حنيفة والشافعى واحمد وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لانه صح عن رسول الله عليه السلام انه سجد بالنجم يعنى بعد تلاوته هذه السورة على قريش سجدوسجد معه المؤمن والمشرك والانس والجن كما سبق وليس يراها مالك لما روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه انه قرأ على النبى عليه السلام والنجم فلم يسجد فيها (قال الكاشفى) اين سجدهٔ دوازدهم استازسجدات قرآنى در فتوحات اين را سجدهٔ عبادت كفتند كه امر الهى بذلت ومسكنت مقترنست بوى وجزسالكان طريقت عبادت وعبوديت بسر منزل سراين سخن نرسيده اند وفى تأويلات البقلى اى اذا قرب ايام الوصال فاشتاقوا وسارعوا فى بذل الوجود ووضع الخدود على التراب واعبدوا رب الارباب لوجود كشف النقاب قال شيخى وسندى روح الله روحه فى كتاب البرقيات له يعنى اسجدوا لله واعبدوا الله بالله لابالنفس اذاسجدتم وعبدتم له بسجدة القالب بالانقياد وعبادته بالاذعان فى مرتبة الشريعة وبسجدة القلب بالفناء وعبادته بالاستهلاك فى مرتبة الحقيقة حتى تكون سجدتكم وعبادتكم محض قربة الى الله فى المرتبة الاولى وصرف وصلة الى الله فى المرتبة الثانية وتكونوا من المقربين اولا ومن الواصلين ثانيا هذا شان عباد الله الموحدين المخلصين الفانين فى الله الباقين بالله واما طاعة من عداهم فبا نفسهم وهواهم لعدم تخلصهم من الشوائب النفسانية فى مقام الشريعة ومن الشوائب الغيرية فى مقام الحقيقة واعلم ان سجدة القالب وعبادته منقطعة لانقطاع سببها ومحلها وموطنها لانها حادثة فانية زائله واما سجدة القلب وعبادته وهى فناؤه فى الله ازلا وابدا بحسب نفسه وان كان باقيا بالله بحسب تحلية الوجود فغير منقطعة بل هى دائمة لدوام سببها وباقية لبقاء محلها وموطنها ازلا وابدا والمقصود من وضع السجدة والعبادة القالبية هو الوصول الى شهود السجدة والعبادة القلبية ولذا احبب الى النبى عليه السلام ثلاث الطيب والنساء والصلاة اما الاول فلانه يوجد فى نفسه ذوق الانس والمحاضرة

واما الثانى فلأنه يوجد فيه ذوق القربة والوصلة واما الثالث فلأنه يوجد فيه ذوق المكاشفة والمشاهدة وهذه الاذواق انما يتحقق بها من الانس من هو الانسان الحقيقى المتحقق بسر الحضرة الاحدية والمتنور بنور الحضرة الواحدية وهو المنتفع بانسانيته انتفاعا تاما واما الانسان الحيوانى فلا حظ له من ذلك التحقق ولا نصيب له من هذا الانتفاع بل حظه ونصيبه انما هو الشهوات الطبيعية والانسان الاول فى اعلى عليين والثانى فى اسفل السافلين وبينهما بون بعيد كما بين الاوج والحضيض وبكمال علو الاول قد يستغنى عن الاكل والشرب كالملائكة بالاذواق الروحانية والتجليات الربانية وذلك مدة كثيرة كما وقع لبعضهم ولتمام تسفل الثانى يأكل كما تأكل الانعام فلا يقتنع فى اليوم والليلة بمرة من الاكل بل يحتاج الى مرات منها والا يقع فى الاضطراب والذبول والتحول وربما تؤدى قلة الاكل الى هلاكه كما حكى ان شخصين احدهما سمين والآخر هزيل حبسا فى تهمة ومنع عنهما الغذاء اسبوعا فبعد الاسبوع تبين ان ليس لهما جرم فاذا السمين قد مات والهزيل حى وذلك لان من اعتاد الاكل اذا لم يجده هلك

تمت سورة النجم بعون الله تعالى فى الحادى عشر من شهر رمضان المنتظم فى سلك شهور سنة اربع عشرة ومائة والف ويتلوها سورة القمر وآيها خمس وخمسون وهى مكية عند الجمهور والله اعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة) الاقتراب تزديك آمدن والساعة جزء من اجزاء الزمان عبر بها عن القيامة تشبيها لها بذلك لسرعة حسابها اولانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا اولانها ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم اولغير ذلك كما بين فيما سبق والمعنى دنت القيامة وقرب قيامها ووقوعها لانه مابقى من الدنيا الاقليل كما قال عليه السلام ان الله جعل الدنيا كلها قليلا فمابقى منها قليل من قليل ومثل مابقى مثل الثعلب اى الغدير شرب صفوه وبقى كدره فالاقتراب يدل على مضى الاكثر ويمضى الاقل عن قريب كما مضى الاكثر وبيانه انه مضى من يوم السنبلة وهو سبعة آلاف سنة وقد صح ان مدة هذه الامة تزيد على الف بنحو اربعمائة سنة الى خمسمائة سنة ولا يجوز الزيادة الى خمسمائة سنة بعد الالف لعدم ورود الاخبار فى ذلك ولاقتضاء البراهين والشواهد عند اهل الظواهر والبواطن من اهل السنة وقد قال عليه السلام الآيات بعد المائتين والمهدى بعد المائتين فتنتهى دورة السنبلة بظهور عيسى عليه السلام فيكون آدم فاتحها وعيسى خاتمها فعلى هذا آدم ونبينا عليهما السلام اى وجودهما من اشراط الساعة كما قال عليه السلام مثلى ومثل الساعة كفرسى رهان فاذا كان وجوده من اشراط الساعة فمجزاته من انشقاق القمر ونحوه تكون كذلك يقول الفقير فان قلت فكم عمر الدنيا باسرها وماقول العلماء فيه قلت اتفقوا على حدوث الدنيا وماقطعوا بشئ فى مدتها والذى يلوح لى والله اعلم بحقيقة المدة انها ثلاثمائة وستون الف سنة وذلك لانه قد مثل دور السنبلة بجمعة من جمع الآخرة اى سبعة ايام وكل يوم من ايام الآخرة الف سنة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة ولاشك ان بالجمعة اى الاسبوع يتقدر الشهر وبالشهر تتقدر السنة وعليه يحمل ماورد عن ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضى ستة آلاف سنة ومائة سنة وليأتين عليها زمن من سنين ليس عليها من يوحد وقد خاطبت الدنيا آدم عليه السلام فقالت ياآدم جئت وقد انقضى شبابى يعنى انقضى من عمرها ستون الف سنة تقريبا وهى اجمال ماذكرنا من المدة ولاشك ان مابين الستين والسبعين دقاقة الرقاب فآدم انما جاء الى الدنيا وقد انقضى عمرها وبقى شئ قليل منها وعلى هذا المعنى يحمل قول من قال ان عمر الدنيا سبعون الف سنة فاعرف جدا فالساعة مقتربة عند الله وعند الناس لان كل آت قريب وان طالت مدته فكيف اذا قصرت وما قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا فبالنسبة الى الغافلين المنكرين ولا عبرة بهم والحكمة فى ذكر اقتراب الساعة تحذير المكلف وحثه على الطاعة تنبيها لعباده على ان الساعة من اعظم الامور الكونية على خلقه من اهل السموات والارض واما تعيين وقت الساعة فقد انفرد الحق تعالى بعلمه واخفاه عن عباده لانه اصلح لهم ولذا كان كل نبى قد انذر امته الدجال وفى الحديث (ان بين يدى الساعة كذابين فاحذروهم والمراد بالكذابين الدجالة وهم الائمة المضلون يقول الفقير لاشك ان انذار الانبياء عليهم السلام حقيقة من امثال هؤلاء الدجالة من امتهم اذلم يخل قرن منهم والافهم يعرفون ان الساعة

انما تقوم بعد ظهور ختم النبيين وختم الامم وان الدجال الاعور الكذاب متأخر عن زمانه وانما يخرج فى الالف الثانى بعد المائتين والله اعلم فكل كذاب بين يدى الساعة سواء كان قبل مبعث النبى عليه السلام او بعده فانما هو من مقدمات الدجال المعروف كما ان كل اهل صدق من مقدمات المهدى رضى الله عنه (وانشق القمر) الانشقاق شكافته شدن دلت صيغة الماضى على تحقق الانشقاق فى زمن النبى عليه السلام ويدل عليه قرآءة حذيفة رضى الله عنه وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق وقد خطب حذيفة بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم وحذيفة ابن اليمان رضى الله عنه صاحب سر رسول الله عليه السلام كابن مسعود رضى الله عنه وعلى هذا القول عامة الصحابة ومن بعدهم وبه اخذ اكثر المفسرين فلا عبرة بقول من قال انه سينشق يوم القيامة كما قال تعالى اذا السماء انشقت والتعبير بالماضى للدلالة على تحققه على انا نقول يجوز ان يكون انشقاقه مرتين مرة فى زمانه عليه السلام اشارة الى قرب الساعة ومرة يوم القيامة حين انشقاق السماء وفى فتح البارى لابن حجر حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث انتهى وقال الطيبى اسند ابو اسحق الزجاج عشرين حديثا الا واحدا فى تفسيره الى رسول الله عليه السلام فى انشقاق القمر وفى شرح الشريف للمواقف هذا متواتر رواه جمع كثير من الصحابة كابن مسعود وغيره قال سعدى المفتى فيه انهم لم يجعلوا حديث من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقد رواه ستون او اكثر من الصحابة وفيهم العشرة من المتواتر فكيف يجعل هذا منه انتهى * يقول الفقير قد جعل ابن الصلاح ومن تبعه ذلك الحديث اى حديث من كذب الخ من المتواتر كما فى اصول الحديث على انه يجوز ان لا يكون بعض ما رواه جمع كثير من المتواتر لعدم استجماع شرائطه (امام زاهد رحمه الله) آورده كه شبى ابو جهل وجهودى بحضرت پيغمبر عليه السلام رسيدند ابو جهل گفت اى محمد آيتى بمن نماى والا سر تو بشمشير برميدارم آن حضرت فرمود كه چه ميخواهى ابو جهل بجب وراست نكريست كه چه خواهد كه وقوع آن متعذر باشد يهودى گفت اوساحرست اورا بكوى كه ماه را بشكافد كه سحر در زمين متحقق نميشود وساحررا در آسمان تصرف نيست ابو جهل گفت اى محمد ماه را براى ما بشكاف ان حضرت انگشت شهادت برآورد واشارت فرمود ماه را بشكافت فى الحال دونيم شد يك نيم برجاى خود قرار گرفت و يكى ديگر جايى ديگر رفت وباز گفت بگوى تا ملتئم شود اشارت كرد هرد و نيمه بهم پيوستند * شق كشت ماه چارده برلوح سبز چرخ * چون خامهٔ دبير زنيع بنان او (قال العطار قدس سره) ماه را انگشت او بشكافته * مهر از فرمانش ازبس تافته (وفى المثنوى) پس قمر كه امر بشنيد وشتافت * پس دونيمه گشت برچرخ وشگافت (وقال الجامى) چومه را بر سر تير اشارت * زداز سبابهٔ معجز بشارت * دونون شد ميم دور حلقهٔ ماه * چهل راساخت اوشصت ازدو پنجاه * بلى چون داشت دستش رقم پشت * رقم زد خط شق رمه برانگشت * بهودى ايمان اورد وابو جهل لعين گفت چشم ما بسحر رفته است وقررا منشق بما ننموده وقال بعض المفسرين اجتمع بعض صناديد قريش فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ووعدوا الايمان وكانت ليلة البدر فرفع عليه السلام اصبعه وامر القمر بان ينشق نصفين فانفلق فلقتين اى شقين فلقة ذهبت عن موضع القمر وفلقة بقيت فى موضعه وقال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقى القمر فعلى هذا فالنصفان ذهبا جميعا عن موضع القمر فقال بعضهم نصف ذهب الى المشرق ونصف الى المغرب واظلمت الدنيا ساعة ثم طلعا والتقيا فى وسط السماء كما كان اول مرة فقال عليه السلام اشهدوا اشهدوا وعند ذلك قال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر جميع اهل الارض فاسألوا من يأتيكم من البلاد هل رأوا هذا يعنى ازجاعت مسافران كه ازاطراف افاق برسند سؤال كنيد تا ابشان ديده اند يا نه فسألوا اهل الآفاق فاخبروا كلهم بذلك يعنى چون ازآينده وروند پرسيدند همه جواب دادند كه درفلان شب ماه را دونيمه ديديم وهذا الكلام كما لا يخفى يدل على انه لم يختص برؤية القمر منشقا اهل مكة بل رآه كذلك جميع اهل الآفاق وبه يرد قول بعض الملاحدة لو وقع انشقاق القمر لاشترك اهل الارض كلهم وعرفوه ورأوه فى تلك الليلة ولم يختص بها اهل مكة ولا يحسن الجواب عنه بانه طلبه

جماعة فاختصت رؤيته بمن اقترح وقوعه ولابانه قد يكون القمر حينئذ فى بعض المنازل التى تظهر لبعض اهل الآفاق دون بعض ولا يقول بعضهم ان انشقاق القمر آية ليلة جرى مع طائفة فى جنح ليلة ومعظم الناس نيام كما فى انسان العيون وقال فى الاسئلة المقحمة لايستبعد اختفاؤه عن قوم دون قوم بسبب غيم اوغيره يمنع من رؤيته اى فكان انشقاق القمر صحيحا لكنه لم ينقل بطريق التواتر ولم يشترك فيه العرب والعجم فى جميع الاقطار القاصية والدانية ولذا وقع فيه الاختلاف كما وقع فى المعراج والرؤية والى انشقاق القمر اشار الامام السبكى فى تائيته بقوله وبدر الدياجى انشق نصفين عندما * ارادت قريش منك اظهار آية

وصاحب القصيدة البردية بقوله أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم

يعنى لو أقسم احد ان للقمر المنشق نسبة وشبها بقلبه المنشق يكون بارا وصادقا وصاحب الهمزية بقوله

شق عن صدره وشق له البد * رومن شرط كل شرط جزاء

اى شق عن صدره عليه السلام وشق لاجله القمر ليلة اربع عشرة وانما شق له لان من شرط كل شرط جزاء لانه لما شق صدره جوزى على ذلك باعظم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو من اظهر المعجزات بل اعظمها بعد القرآن (كما قال الصائب) هر محنتى مقدمهٔ راحتى بود * شد همزبان حق چوز بان كليم سوخت * موسى كليم را انفلاق بحر بود ومصطفى حبيب را انشقاق قمر بود چه عجب كر بحر بر موسى بضرب عصا شكافته شد كه بحر مر كوب وملوس است دست آدمى بدو رسد وقصد آدمى بوى اثر دارد اعجوبهٔ مملكت انشقاق قمر است كه عالميان ازدريافت آن عاجزودست جن وانس از رسيدن بوى قاصر وبيان شق الصدر انه قالت حليمة امه عليه السلام من الرضاعة وهى من بنات بنى سعد بن بكر اسلمت مع اولادها وزوجها بعد البعثة لما كان يوم من الايام خرج محمد مع اخوته من الرضاعة وكان يومئذ ابن خمس سنين على ما قال ابن عباس رضى الله عنهما فلما انتصف النهار اذا بابنى حمزة يعدو وقد علاه العرق باكيا ينادى ياامه ياابتاه ادركا ادركا اخى القرشى فاذا كما نلحقانه الا ميتا قلت وماقصته قال بينا نحن نترامى بالجلة اذا اتاه رجل فاختطفه من بيننا وعلا به ذروة الجبل وشق صدره الى عانته فما اراه الا مقتولا قالت فاقبلت اناوزوجى نسعى سعيا فاذا انا به قاعد على ذروة الجبل شاخص بعينه نحو السماء يتبسم فانكببت عليه وقبلت بين عينيه فقلت له فداك نفسى ما الذى دهاك قال خير يا امه بينا انا الساعة قائم مع اخوتى نتقاذف بالجلة اذ اتانى رجلان عليهما ثياب بيض وفى رواية فاقبل الى طيران ابيضان كانهما نسران وفى رواية كركيان والمراد ملكان وهما جبرآئيل وميكائيل وفى رواية اتانى ثلاثة رهط اى وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل لان جبريل ملك الوحى الذى به حيات القلوب وميكائيل ملك الرزق الذى به حياة الاجساد واسرافيل مظهر الحياة مطلقا فى يداحدهم ابريق من فضة وفى يد الثانى طست من زمرد اخضر مملوء ثلجا وهو ثلج اليقين فاخذونى من بين اصحابى وانطلقوا بى الى ذروة الجبل وفى رواية الى شفير الوادى فاضجعنى بعضهم على الجبل اضجاعا لطيفا ثم شق صدرى وانا انظر اليه فلم اجد لذلك حسا ولا الما ثم ادخل يده فى جوفى فاخرج احشاء بطنى فغسلها بذلك الثلج نعم لج غسلها اى بالغ فى غسلها ثم اعادها مكانها وقام الثانى وقال للاول تنح فقد انجزت ما امرك الله فدنا منى فادخل يده فى جوفى فانتزع قلبى وشقه باثنين فاخرج منه علقة سوداء فرمى بها وقال هذا حظ الشيطان اى محل غمزه ومحل مايلقيه من الامور التى لاتنبغى لان تلك العلقة خلقها الله فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه وبعض ورثته الكمل يقيء دما اسود محترقا من نور التوحيد فيحصل به شرح الصدر وشق القلب ايضا ولا يلزم من وجود القابل لما يلقيه الشيطان حصول الالقاء بالفعل قبل هذا الشق فانه عليه السلام معصوم على كل حال فان قلت فلم خلق الله هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان من الممكن ان لا يخلق فيها قلت لانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانسانى ثم نزعت تكرمة له اى لانه لو خلق خاليا عنها لم تظهر تلك الكرامة وفيه انه يرد على ذلك ولادته عليه السلام من غير قلفة وهى جلدة الذكر التى يقطعها الختان واجيب بالفرق بينهما لان القلفة لما كانت تزال ولا بد من كل احد مع مايلزم على ازالتها من كشف العورة كان نقص الخلقة الانسانية عنها عين الكمال قال عليه السلام ثم حشا قلبى بشئ كان معه وهو الحكمة والايمان ورده مكانه ثم ختمه بخاتم من نور يحار الناظرون

دونه وفى رواية واقبل الملك وفى يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثديه ولا مانع من تعدد الختم فختم القلب لحفظ مافيه وبين الكتفين مبالغة فى حفظ ذلك لان الصدر وعاؤه القريب وجسده وعاؤه البعيد وخص بين الكتفين لانه اقرب اليه من القلب من بقية الجسد وهو موضع نفوذ خرطوم ابليس لان العدو يجيئ من وراء واذا سن الحجامة فيه ثم قال عليه السلام انا الساعة اجد برد الخاتم فى عروقى ومفاصلى وقام الثالث فقال تنحيا فقد انجز تما ما امر الله فيه فدنا منى وامر يده على مفرق صدرى الى منتهى الشق فالتأم وانا انظر اليه وكانوا يرونه اثرا كأثر المخيط فى صدره وهو اثر مرور يد جبريل ثم انهضنى من الارض انهاضا لطيفا ثم قال الاول الذى شق صدرى زنه بعشرة من امته فوزننى فرجحتهم قال زنه بعشرين فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فرجحتهم ثم قال زنه بالف فرجحتهم ثم قال دسه فلو وزنتموه بامته كلهم لرجحهم يقول الفقير هذا يدل على انه عليه السلام كما انه افضل من كل فرد فرد من افراد الموجودات فكذا افضل من المجموع ولا عبرة بقول من قال فى كونه افضل من المجموع توقف لانه جهل بشانه العالى وانه احدية مجموع الاسماء الالهية وبرزخيتها فاعرف قال عليه السلام ثم انكبوا على وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا ياحبيباه انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عينك وتركونى قاعدا فى مكانى هذا وجعلوا يطيرون حتى دخلوا خلال السماء وانا انظر اليهم ولو شئت لاريتك موضع دخولهم * واعلم ان صدره الشريف شق مرارا مرة لاخراج حظ الشيطان كما مر لانه لا يليق به وعند مجيئ الوحى لتحمل ثقله وعند المعراج لتحمل اسراره ففى شرح الصدر مرارا مزيد تقوية لباطنه وهذا الشرح معنوى لا كامل امته ولا بد منه فى حصول الفيض الالهى يسره الله لى ولكم ثم انه بقى هنا معنى آخر كما قاله البعض وهو ان انشقاق القمر مجاز عن وضوح الامر ولا يبعد ان يحمل بيت المثنوى على ذلك وهو * سايه خواب آرد ترا همچون سمر * چون برآمد شمس انشق القمر * اى وضح الامر واستبان وذلك لانه عند اقتراب الساعة ينكشف كل خفى ويظهر كل مستور ويستبين الحق من الباطل من كل وجه ويدل على هذا المعنى قوله عليه السلام اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب فان المراد وضوح الامر فى آخر الزمان وظهور حقيقته ولذا يصير الناس بحيث ينكشف لادنى سالك منهم فى مدة قليلة عالم ينكشف للامم الماضية فى مدة طويلة وذلك لان الله تعالى قال فى حق يوم القيامة يوم تبلى السرائر فاذا قرب الزمان من ذلك اليوم يأخذ حكمه فيكون كشف الامور اكثر والخفايا اظهر وقال البقلى رحمه الله علم الله انتظار ارواح الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والاولياء العارفين وجميع الصالحين كشف جماله وقرب وصاله والدخول فى جواره فبشرهم الله تعالى بانه مقرون بقدوم محمد عليه السلام فلما خرج بالنبوة شك فيه المشركون فاراهم الله صدق وعده بانشقاق القمر حتى يعرفوا ان الله تعالى يريد بالعالمين اتيان الساعة التى فيها كشوف العجائب وظهور الغرائب من آيات الله وصفاته وذاته وفى التأويلات النجمية اعلم ان الساعة اى القيامة ساعتان الكبرى وهى عامة بالنسبة الى جميع الخلائق وهى التى اقتربت والصغرى وهى خاصة بالنسبة الى السالكين الى الله برفع الاوصاف البشرية وقطع العلائق الطبيعية السائرين فى الله بالتجلى بالاوصاف الالهية والاخلاق الربانية الراجعين من الحق الى الخلق بالبقاء الحقانى بعد الفناء الخلقانى وبالجمع بعد الفرق وهى اعنى الساعة الصغرى واقعة اليوم فى كل آن ولله تجلى جلالى يفنى وجمالى يبقى واليه اشارة قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته فقد انشق قمر قلب السالك عن ظلمة النفس المظلمة باسيلاء نور شمس فلك الروح عليها فلا جرم وقعت الساعة بالنسبة الى القلب الحى المنور بالنور الالهى ووقعت القيامة الخاصة الشاملة على الموت والحشر والنشور فافهم ولا تعجب لئلا تكون ممن قال تعالى فيهم افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون والله الموفق والمعين (وان يروا) يعنى قريشا (آية) من آيات الله دالة على قدرته وصدق نبوة حبيبه عليه السلام مثل انشقاق القمر ونظائره ومعنى تسمية ماجاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها (يعرضوا) عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها فيؤمنوا (ويقولوا) هذا (سحر مستمر) مطرد دائم يأتى به محمد عليه السلام على ممر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر فالاستمرار بمعنى الاطراد يقال اطرد الشئ تبع بعضه بعضا وجرى وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة حتى قالوا ذلك وفيه تأييد ان انشقاق القمر قد وقع لانه سينشق يوم القيامة كما قاله بعضهم وذلك لانه لو لم يكن

الا نشقاق من جنس الايآت لم يكن ذكر هذا القول منا سبا للمقام او مطردا بالنسبة الى جميع الاشخاص والبلاد حيث رأوه منشقا وقال بعضهم آن جاد و يست دائم وروندە ازز مين تا آسمان ويجوز ان يكون مستمر من المرة بالكسر بمعنى القوة امر رته فاستمر اذا احكمته فاستحكم فالاستمرار بمعنى الاستحكام اى قوى مستحكم لايمكن ازالته اوقوى شديد يعلوكل سحر وقيل مستمر ذاهب يزول ولايبقى عن قريب تمنية لانفسهم وتعليلا فهو من المرور (وكذبوا) اى بالنبي عليه السلام وما عاينوه من المعجزات التي اظهرها الله على يده (واتبعوا اهواءهم) التي زينها الشيطان لهم من رد الحق بعد ظهوره اوكذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر اوسحر اعيننا والقمر بحاله ولم يصبه شئ اوانه خسوف في القمر وظهور شئ من جانب آخر من الجو يشبه نصف القمر فهذه اهواؤهم الباطلة * بد كانى لازم بدباطنان افتاده است * كوشهٔ ازخلق جاكردم كمين پنداشتند * وذكرهما بلفظ الماضي اى بعد ما مضوا ويقولوا بلفظ المستقبل للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وفيه اشارة الى المحجوبين المستغرقين في بحر الدنيا وشهواتها فانهم اذا ظهر لهم خاطر رحماني بالاقبال على الله ومتابعة الرسول وترك حب الدنيا ورفع شهواتها يعرضوا عن هذا الخاطر الرحماني وينفروه ولا يلتفتوا اليه ولا يعتبروه بل يزدادوا فيما هم عليه من حب الدنيا ومتابعة النفس وموافقة الهوى ويرموه بالكذب وربما يرى بعضهم في منامه انه لبس خرقة الفقر آء من خارج ولكن تحتها قميص حرير فهذا يدل على ان تجرده ليس من باطنه فمجرده الظاهري وملاحظة الفناء القشري ليس بنافع له جدا (وكل امر مستقر) اى وكل امر من الامور مستقر اى منته الى غاية يستقر عليها لامحالة ومن جملتها امر النبي عليه السلام فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيقته وعلوشانه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به اوكل امر من امرهم وامره عليه السلام مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة خذلان اونصرة في الدنيا وشقاوة اوسعادة في الآخرة فان الشئ اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر يعني ان الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء الى الغاية فان عنده يتبين حقيقة كل شئ من الخير والشر والحق والباطل والهوى والحجة وينكشف جلية الحال ويضمحل الشبه والالتباس فان الحقائق انما تظهر عند العواقب فهذا وعيد للمشركين ووعد وبشارة للرسول والمؤمنين ونظيره لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون اى كل نبأ وان طالت مدته فلابد ان ينتهي الى غايته وتنكشف حقيقته من حق وباطل وفي عين المعاني وكل امر وعدهم الله كائن في وقته اى لايتغير شئ عن مراد الله ولايغيره احد دون الله فهو يمضيه على الخلق في وقته لانه مستقر لايزول وفيه اشارة الى ان امر محمد الروح وامر ابي جهل النفس له نهاية وغاية يستقر فيها اما الى السعادة الابدية بواسطة التخلق بالاخلاق الالهية واما الى الشقاوة السرمدية بسبب الاتصاف بالصفات البشرية الحيوانية (ولقد جاءهم) اى وبالله لقد جاء اهل مكة في القرآن (من الانباء) جمع نبأ وهو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم اوغلبة ظن ولا يقال للخبر في الاصل نبأ حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة اى انباء القرون الخالية اوانباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار فاللام عوض عن المضاف اليه وهو حال مما بعده (مافيه مزدجر) اى ازدجار من تعذيب ان اريد بالانباء انباء القرون الخالية اووعيد ان اريد بها انباء الآخرة اوموضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار ومظنة له كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اى هو في نفسه اسوة حسنة وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب في المخرج اولتحصيل التناسب فان التاء مهموسة وهذه الحروف مجهورة يعني ان اصله مزتجر لانه مفتعل من الزجر قلبت التاء دالا لان الزاى حرف مجهور والتاء حرف مهموس والذال تناسب الزاى في الجهر وتناسب التاء في المخرج يقال زجره وازدجره اى نهاه عن السوء ووعظه غير ان افتعل ابلغ في المعنى من فعل قال الراغب الزجر طرد بصوت يقال زجره فانزجر ثم يستعمل في الطرد تارة وفي الصوت تارة وقوله تعالى مزدجر اى طرد ومنع عن ارتكاب المأثم (حكمة بالغة) غايتها متناهية في كونها حكمة لاخلل فيها اوقد بلغت الغاية في الانذار والنهي والموعظة وهو بدل من ما اوخبر لمحذوف وفي القاموس الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم والنبوة والقرآن وفي المفردات الحكمة اصابة الحق بالعلم والفعل فالحكمة من الله معرفة الاشياء اوايجادها على غاية الاحكام ومن الانسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات واذا وصف القرآن بالحكيم فلتضمنه

الحكمة وهى عملية وعملية والحكمة المنطوق بها هى العلوم الشرعية والطريقة والحكمة المسكوت عنها هى اسرار الحقيقة التى لا يطلع عليها علماء الرسوم والعوام على ما ينبغى فتضرهم اوتهلكهم (فما تغنى النذر) نفى للاغناء ففعول تغنى محذوف اى لم تغن النذر شيئا او استفهام انكار فما منصوبة على انها مفعول مقدم لتغنى اى فاى اغناء تغنى النذر اذا خالفوا وكذبوا اى لا تنفع كقوله وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار وفيه اشارة الى عدم انتفاع النفوس المتمردة بانذار منذر الروح وانذار منذ ر القلب اذ الروح مظهر منذر القرآن والقلب مظهر منذر الحقيقة (فتول عنهم) لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة ولا ينفع فالفاء للسببية وبالفارسية پس روى بگردان از ايشان تا وقت امر بقتال ومنتظر باش جزآء ايشانرا (يوم يدع الداع) اصله يوم يدعو الداعى بالواو والياء لما حذف الواو من يدعو فى التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت فى الخط ايضا اتباعا للفظ واسقطت الياء من الداعى للاكتفاء بالكسرة تخفيفيا قال بعضهم حذفت الياء من الداعى مبالغة فى التخفيف اجراء لاأل مجرى ما عاقبها وهو التنوين فكما يحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبه ويوم منصوب بيخرجون او باذكر والداعى اسرافيل عليه السلام ينفخ فى الصورة قائما على صخرة بيت المقدس ويدعو الاموات وينادى قائلا ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء اوان اسرافيل ينفخ وجبريل يدعو وينادى بذلك وعلى كلا القولين فالدعاء على حقيقته وقال بعضهم هو مجاز كالامر فى قوله تعالى كن فيكون يعنى ان الدعاء فى البعث والاعادة مثل كن فى التكوين والابتداء بأن لا يكون ثمة داع من اسرافيل او غيره بل يكون الدعاء عبارة عن نفاذ مشيئته وعدم تخلف مراده عن ارادته كما لا يتخلف اجابة دعاء الداعى المطاع يقول الفقير الاولى بقاؤه على حقيقته لان اسرافيل مظهر الحياة وبيده الصور والله تعالى ربط الاشياء بعضها ببعض وان كان الكل بارادته ومشيئته (الى شئ نكر) بضمتين صفة على فعل وقرئ بسكون الكاف وكلاهما بمعنى المنكر اى منكر فظيع ينكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول يوم القيامة ومنه منكر ونكير لفتانى القبر لانه لم يعهد عند الميت مثلهما (خشعا ابصارهم) حال من فاعل (يخرجون) والتقديم لان العامل فعل متصرف اى يخرجون (من الاجداث) جمع جدث محركة وهو القبر اى من قبورهم حال كونهم اذلة ابصارهم من شدة الهول خاضعة عند رؤية العذاب والخشوع ضراعة واكثر ما يستعمل فيما يوجد فى الجوارح والضراعة اكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب كما روى اذا ضرع القلب خشعت الجوارح وخص الابصار بالخشوع لانه فيها اظهر منه فى سائر الجوارح وكذلك سائر ما فى نفس الانسان من حياء اوخوف ونحوه انما يظهر فى البصر (كانهم جراد) اى يشبهون الجراد وهو بالفارسية ملخ سمى بذلك لجرده الارض من النبات يقال ارض مجرودة اى اكل ما عليها حتى تجردت كما فى المفردات (منتشر) فى الكثرة والتموج والتفرق فى الاقطار ومثله قوله كالفراش المبثوث (مهطعين الى الداع) حال ايضا اى مسرعين الى جهة الداعى مادى اعناقهم اليه اوناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم يقال هطع الرجل اذا اقبل ببصره على الشئ لا يقلع عنه واهطع اذا مد عنقه وصوب رأسه واهطع فى عدوه اذا اسرع كما فى الجوهرى وفيه اشارة الى ذلة ابصار النفوس وعلتها فانها مدت من حب الدنيا وانطفاء ابصار القلوب عن شواهد الحق وانطماس ابصار الارواح عن شهود الحق والى ان هذه النفوس الرديئة تخرج من قبور صفاتها الرذيلة كالجراد الحريص على اكل زروع مزارع القلب من الاخلاق الروحانية منتشرين فى مزارع الروح ومغارس القلب بالفساد والافساد وترى هذه النفوس الخبيثة مسرعة الى اجابة داعى الشهوات النفسانية واللذات الجسمانية راغبة الى دعوته مقبلة على طلبه (يقول الكافرون) استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون (هذا يوم عسر) اى صعب شديد علينا فيكشون بعد الخروج من القبور واقفين اربعين سنة يقولون ارحنا من هذا ولو الى النار ثم يؤمرون بالحساب وفى اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا فى تلك المرتبة من الشدة بل ذلك اليوم يوم يسير لهم ببركة ايمانهم واعمالهم بل المطهرون المحفوظون الذين ما تدنست بواطنهم بالشبه المضلة ولا ظواهرهم ايضا بالمخالفات الشرعية آمنون يغبطهم النبيون

فى الذى هم عليه من الامن لماهم والتبيون عليه من الخوف على امهم يعنى ان الانبياء والرسل عليهم السلام يخافون على امهم للشفقة التى جبلهم الله عليها للخلق فيقولون فى ذلك اليوم سلم سلم وان كان لا يحزنهم الفزع الاكبر لانهم آمنون من خوف العاقبة وفيه اشارة الى كفار النفوس اللئيمة يقولون بلسان الحال ولا ينفعهم المقال يوم قيامة اضطرابهم لما رأوا الفضيحة والقطيعة هذا يوم عسر صعب خلاصنا ومناصنا منه لا نجات لنا ولا منجاة الا الاستمساك بعروة وثقى الروح والقلب وما يقدرون على ما يقولون لافساد استعدادهم بيد الامانى الكاذبة واختيار تلك الامانى الفاسدة الدنيوية على المطالب الصالحة الاخروية فعلى العاقل ان يختار الباقى على الفانى ولا يغتر بالامانى بل يجتهد قبل الموت باسباب الخلاص والنجاة لكى يحصل له فى الآخرة النعيم والدرجات والا فاذا خرج الوقت من اليد وبقيت اليد صفرا فى الغد فلا ينفع الاسف والويل نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من الذين اجابوا داعى الله وسوله وتشرفوا بالعمل بالقرآن وقبوله و يسر لنا الفناء المعنوى قبل الفناء الصورى ويهيئ لنا من امرنا رشدا فانا آمنا به ولم نشرك بربنا احدا وهو المعين فى الآخرة والاولى وبيده الامور ردا وقبولا (كذبت قبلهم قوم نوح) اى فعل التكذيب قبل قومك يا محمد قوم نوح او كذبوا نوحا فالمفعول محذوف وهو شروع فى تعداد بعض الانباء الموجبة للازدجار وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فكذبوا عبدنا) نوحا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ فالمكذب فى المقامين واحد والفاء تفسيرية تفصيلية تعقيبية فى الذكر فان التفصيل يعقب الاجمال وفى ذكره بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه فان تكذيب عبد السلطان اشنع من تكذيب عبد غيره وفيه اشارة الى انه لا شئ اشرف من العبودية فان الذلة الحقيقية التى يقابلها مقام الربوبية مختصة بالله تعالى فكذا العبودية مختصة بالعبد وهى المرادة بالتواضع وهى غير التملق فان التملق لا عبرة به وفى الحديث (انا سيد ولد آدم ولا فخر) اى ليس الفخرلى بالرسالة وانما الفخرلى بالعبودية وخصوصا بالفقر الذى هو الخروج عن الوجود المجازى بالكلية (وقالوا) فى حقه هو او قالوا له انك (مجنون) اى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون واختلال العقل وهو مبالغة فى التكذيب لان من الكاذبين من يخبر بما يوافق العقل ويقبله والمجنون لا يقول الا ما لا يقبله العقل و يأباه (وازدجر) عطف على قالوا فهو من كلام الله اى وزجر عن التبليغ بانواع الاذية مثل الشتم والضرب والخنق والوعيد بالرجم قال الراغب وازدجر اى طرد واستعمال الزجر فيه لصياحهم بالمطرود نحو ان يقال اعزب عنى وتح ووراءك وقيل هو من جملة ما قالوه اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته اى افسدته وتصرفت فيه وذهبت بلبه وطارت بقلبه وفيه اشارة الى ان كل داع حق لا بد وان يكذب لكثرة اهل البطلان وغلبة اهل البدع والاهواء والطغيان وذلك فى كل عصر وزمان وايضا قوم نوح وهم النفس الامارة وصفاتها لا يقبلون دعوته الى الله لانهماكهم فى الشهوات واللذات وصعوبة الفطام عن المألوفات والله المعين فى جميع الحالات والمقامات * اين جهان شهوتى بتخانه ايست * انبيا وكافران را نه ايست * ليك شهوت بنده پاكان بود * زرنسوزد زانكه نقد كان بود * ذلة الارواح من اشباحها * عزة الاشباح من ارواحها كم نشين براسب توسن بى لكام * عقل ودين را پيشوا كن والسلام (فدعا ربه) اى لما زجروا نوحا عن الدعوة وبلغ مدة التبليغ تسعمائة وخمسين سنة دعا ربه (انى) اى بانى (مغلوب) من جهة قومى مالى قدرة على الانتقام منهم (فانتصر) اى فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتى فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فلما اذن الله له فى الدعاء للاهلاك دعا فاجيب كما قال فى الصافات ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون (ففتحنا ابواب السماء) اى طرقها وبالفارسية پس بكشاديم براى عذاب ايشان درهاء آسمانرا ازطرف مجره كما قال على رضى الله عنه (بماء منهمر) الهمر صب الدمع والماء يقال همره يهمره وبهمره صبه فهمر هو وانهمر اى انسكب وسال والمعنى بماء كثير منصب انصبابا شديدا كما ينصب من افواه القرب لم ينقطع اربعين يوما وكان مثل الثلج بياضا و بردا وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها سواء جعل الباء فى قوله بماء للاستعانة و جعل الماء كالآلة لفتح ابواب السماء وهو ظاهر او للملابسة (وفجرنا الارض عيونا) اى جعلنا الارض كلها كأنها عيون

منفجرة اى جارية وكان ماء الارض مثل الحميم حرارة واصله وفجرنا عيون الارض فغير عن المفعولية الى التمييز فضاء لحق المقام من المبالغة لان قولنا فجرنا عيون الارض يكفى فى صحة تفجرنا ما فيها من العيون ولا مبالغة فيه بخلاف فجرنا الارض عيونا فان معناه فجرنا اجزآء الارض كلها بجعلها عيون الماء ولا شك فى انه ابلغ (فالتقى الماء) اى ماء السماء وماء الارض وارتفع على اعلى جبل فى الارض ثمانين ذراعا والافراد حيث لم يقل الماآن لتحقيق ان التقاء المائين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد (على امر قد قدر) اى كائنا على حال قد قدره الله من غير تفاوت او على حالة قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل من السماء على قدر ما اخرج من الارض اوعلى امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان فكلمة على على هذا للتعليل يقول الفقير انما وقع العذاب بالطوفان العام لان الماء اشارة الى العلم فلما لم ينتفعوا بعلم نوح عليه السلام فى المدة الطويلة ولم تغرق اروا حهم فيه اخذوا بالماء حتى غرقت اجسادهم وتأثير الطوفان يظهر فى كل ثلاثين سنة مرة واحدة لكن على الخفة فيقع مطر كثير ويغرق بعض القرى والبيوت من السيل (وحملناه) اى نوحا ومن آمن معه (على ذات الواح) اى سفينة صاحبة الخشاب عريضة فان الالواح جمع لوح وهو كل صحيفة عريضة خشبا اوعظما اوكانت سفينة نوح من ساج وهو شجر عظيم ينبت فى ارض الهند اومن خشب شمشاد ويقال من الجوز (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد بقهر يقال دسره بالرمح (وروى) انه ليس فى العنبر ذكاء انما هو شئ دسره البحر سمى به المسمار لانه يدسر به منفذه اى يدفع قال فى عين المعانى دسرت بها السفينة اى شدت اولانها تدسر اى تدفع بالدق فقوله ذات الواح ودسر صفة للسفينة اقيمت مقامها بأن يكنى بها عنها كما يكنى عن الانسان بقولهم هو مستوى القامة عريض الاظفار (تجرى بأعيننا) اى تجرى السفينة وتسير بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقيل بأوليائنا يقال مات عين من عيون الله اى ولى من اوليائه (جزاء لمن كان كفر) مفعول له لما ذكر من فتح ابواب السماء وما بعده وكفر من كفران النعمة اى فعلنا ذلك المذكور اجزاء وثوابا لنوح لانه كان نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله على امته ورحمة اى نعمة ورحمة فكان نوح نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما حكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام فقال انت نعمة حمدت الله عليها (ولقد تركناها) اى السفينة (آية) يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله بباقردى من بلاد الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة وكم من سفينة كانت بعد قد صارت رمادا وفى تفسير ابى الليث قال بعضهم يعنى ان تلك السفينة كانت باقية على الجبل قريبا من خروج النبى عليه السلام وقيل بقيت خشبة من سفينة نوح هى فى الكعبة الآن وهى ساجة غرست حتى ترعرعت اربعين سنة ثم قطعت فتركت حتى يبست اربعين سنة وقيل بقى بعض خشبها على الجودى الى هذه الاوقات يقول الفقير لعل بقاء بعض خشبها لكونها آية وعبرة والافهو ليس بافضل من اخشاب منبر نبينا صلى الله عليه وسلم فى المدينة وقد احترقت اواكلتها الارضة فاتخذت مشطا ونحوه مما يتبرك به الا ترى ان مقام ابراهيم عليه السلام مع كونه حجرا صلدا لم يبق اثره بكثرة مسح الايدى ثم لم يبق نفسه ايضا على ما هو الاصح والمعروف بالمقام الآن هو مقام ذلك المقام فاعرف وفى عين المعانى ولقد تركناها اى الغرق العام وهو اضمار الآية قبل الذكر كقوله انها تذكرة وقال بعضهم يعنى جنس السفينة صارت عبرة لان الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة واتخذوا السفن بعد ذلك فى البحر فلذلك كانت اية للناس يقول الفقير كيف يعرفونها ولم يكن فى الدنيا قبل الطوفان الا البحر المحيط وذلك ان الله تعالى امر الارض بعد الطوفان فابتلعت ماءها وبقى ماء السماء لم تبتلعه الارض فهذه البحور على وجه الارض منها واما البحر المحيط فغير ذلك بل هو جرز عن الارض حين خلق الله الارض من زبده واليه الاشارة بقوله وكان عرشه على الماء اى العذب والبحور سبعة منها البحر المحيط وبعضهم لم يعد المحيط منها بل هو غير السبعة وكان نوح عليه السلام نجارا فجاء جبريل وعلمه صنعة السفينة (فهل من مدكر) اى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار فيخاف من الله ويترك المعصية واصله مذتكر على وزن مفتعل من الذكر فادغمت الذال فى التاء ثم قلبت دالا مشددة (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم وتعجيب اى كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار اصله نذرى بالياء حذفت

كتفاء بالكسرة وحد العذاب وجمع الانذارات اشارة الى غلبة الرحمة لان الانذار اشفاق ورحمة فقال الانذارات التي هي نعم ورحمة تواترت عليهم فلما لم تنفع وقع العذاب وقعة واحدة فكانت النعم كثيرة والنقمة واحدة (ولقد يسرنا القرآن) الخ جملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار اى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن انزلناه على لغتهم كما قال فانما يسرناه بلسانك ووشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد (للذكر) اى للتذكير والاتعاظ وعن الحسن عن النبي عليه السلام لولا قول الله ولقد يسرنا القرآن للذكر لما اطاقت الالسن ان تتكلم به (فهل من مدكر) انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قرأت على النبي عليه السلام فهل من مذكر بالذال فقال عليه السلام فهل من مدكر بالدال قال في برهان القرآن قوله فكيف كان الخ ختم به قصة نوح وعاد وثمود ولوط لما في كل واحدة منها من التخويف والتحذير وما حل بهم فيتعظ به حافظ القرآن وتاليه ويعظ غيره * وفي الآيات اشارة الى مغلوبية نوح القلب في يد النفس الامارة بغلبات الصفات البشرية عليه حتى دعا ربه فاجابه الله حتى غلبت صفاته الروحانية النورانية على صفاتها الحيوانية الظلمانية وافاض من سماء الارواح العلوية مياه الرأفة والرحمة والكرامة ومن ارض البشرية عيون المعارف والحقائق فاهلك قومه المعبر عنهم بالنفس وصفاتها ونجاه على سفينة صفاته الروحانية وفيه اشارة اخرى وهي انه اذا زاد الكشف والعيان تستشرف الارواح على الفناء فيدخلها الله في سفن العصمة ويجريها بشمائل العناية وايضا ان الانبياء والاولياء سفن عنايته تعالى يتخلص العباد بهم من الاستغراق في بحار الضلالة وظلمات الشقاوة لانهم محفوظون بحسن عنايته وعين كلاءته ومن استن بسنتهم نجا من الطغيان والنيران ودخل في جوار الرحمن (وفي المثنوى) اينجنين فرمود آن شاه رسل * كه منم كشتي درين دريای كل * ياكسي كو در بصير تهای من * شد خليفه راستي بر جای من * كشتئ نوحيم دردرياكه تا * رونكردانی زكشتي ای فتی * نسأل الله سبحانه ان يحفظنا في سفينة الشريعة من الاعتماد على العقل والخيال ويعصمنا من الزيغ والضلال (كذبت عاد) اى هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم لهود وما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب (فكيف كان عذابي ونذر) هو لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لاالتهويل له وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم اوفاسمعوا كيف كان عذابي وانذاراتي لهم فالنذر جمع نذير بمعنى الانذار (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) استئناف ببيان ما اجمل اولا وصرصر من الصر وهو البرد اومن صر الباب والقلم اى صوت اى ارسلنا وسلطنا عليهم ريحا باردة اوشديدة الصوت والهبوب وهي ريح الدبور وتقدم تفصيله في فصلت وغيرها (في يوم نحس) النحس ضد السعد اى شؤم (مستمر) صفة ليوم اونحس اى مستمر شؤمه عليهم اوابد الدهر فان الناس يتشاءمون باربعاء آخر الشهر قال ابن الشيخ واشتهر بين بعض الناس التشاؤم بالاربعاء الذي يكون في آخر الشهر بناء على قوله تعالى في يوم نحس مستمر ومعلوم ان ليس المراد انه نحس على المصلحين بل على المفسدين حيث لم تظهر نحوسته في حق الانبياء والمؤمنين وفي الروضة الاربعاء مشؤم عندهم والذي لا يدور وهو اخر اربعاء في الشهر اشأم وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه آخر اربعاء في الشهر يوم نحس مستمر قال الشاعر

اقاؤك للمبكر قال سوء * ووجهك اربعاء لا يدور

وقيل يحمد في الاربعاء الاستحمام فانه يقال يخلط في ذلك اليوم ماء من الجنة مع المياه وكذا يحمد ابتداء الامور والمعنى مستمر عليهم شؤمه ونحوسته ازمنة ممتدة الى ان اهلكهم فاليوم بمعنى الحين والافاليوم الواحد لا يمكن ان يستمر سبع ليال وثمانية ايام والاستمرار على هذين الوجهين بحسب الزمان اوالمعنى شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم فالمستمر بمعنى المطرد بالنسبة الى الاشخاص اومشتد مرارته اى بشاعته وكان ابتداؤه يوم الاربعاء آخر الشهر يعني كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء آخر الشهر الى غروب الاربعاء الآخر (وروى) انه كان آخر ايامهم الثمانية في العذاب يوم الاربعاء وكان سلخ صفر وهي الحوم في سورة الحاقة

(تنزع الناس) صفة لريحا اى ريحا تقلعهم روى انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى وقال مقاتل تنزع ارواحهم من اجسادهم وقال السهيلى دامت عليهم سبع ليال وثمانية ايام كيلا ينجو منهم احد ممن فى كهف اوسرب فاهلكت من كان ظاهرا بارزا وانتزعت من البيوت من كان فى البيوت اوهدمتها عليهم واهلكت من كان فى الكهوف والاسراب بالجوع والعطش ولذلك قال فهل ترى لهم من باقية اى فهل يمكن ان يبقى بعد هذه الثمانية الايام باقية منهم (كأنهم اعجاز نخل منقعر) حال من الناس والاعجاز جمع عجز وعجز الانسان مؤخره وبه شبه مؤخر غيره ومنه العجز لانه يؤدى الى تأخر الامور والنخل من الجنس الذى يفرق بينه وبين واحده بالتاء واللفظ مفرد لكنه كثيرا ما يسمى جمعا نظرا الى المعنى الجنسى والمنقعر المنقلع عن اصله يقال قعرت النخلة قلعتها من اصلها فانقعرت اى انقلعت وفى المفردات منقعر اى ذاهب فى قعر الارض وانما اراد تعالى ان هؤلاء اجتثوا كما اجتث النخل الذاهب فى قعر الارض فلم يبق لهم رسم ولا اثر انتهى والمعنى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهى اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤس وقال بعضهم كانت الريح تقلعهم وتصرعهم على رؤسهم فتدق رقابهم فيبين الرأس من الجسد وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم فى الارض فكأنهم بحسب قوتهم وجسامتهم يجعلون ارجلهم غائرة نافذة فى الارض ويقصدون به المقاومة على الريح ثم ان الريح لما صرعتهم فكأنها قلعت اعجاز نخل منقعر وقال ابو الليث صرعتهم وكبتهم على وجوههم كأنهم اصول نخل منقلعة من الارض فشبههم لطولهم بالنخل الساقطة قال مقاتل كان طول كل واحد منهم اثنى عشر ذراعا وقال فى رواية الكلبى كان طول كل واحد منهم سبعين ذراعا فاستهزؤا حين ذكرلهم الريح فخرجوا الى الفضاء وضربوا بارجلهم وغيبوا فى الارض الى قريب من الركبة فقالوا قل للريح حتى ترفعنا فجاءت الريح فدخلت تحت الارض وجعلت ترفع كل اثنين وتضرب احدهما بالآخر بعد ما رفعهما فى الهواء ثم تلقيهما فى الارض والباقون ينظرون اليهما حتى رفعتهم كلهم ثم رمت بالرمل والتراب عليهم وكان يسمع انينهم من تحت التراب كذا وكذا يوما وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تأنيثها فى قوله اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وكذا قوله جاءتها ريح عاصف ولسليمان الريح عاصفة (فكيف كان عذابى ونذر) تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار كما فى الارشاد وقال فى برهان القرآن اعاد فى قصة عاد فكيف كان عذابى ونذر مرتين لان الاول فى الدنيا والثانى فى العقبى كما قال فى هذه القصة لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وقيل الاول لتحذيرهم قبل هلاكهم والثانى لتحذير غيرهم بعد هلاكهم انتهى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) الكلام فيه كالذى مر فيما سبق وفيه اشارة الى اهل النفوس الامارة فانهم بواسطة انهماكهم فى الشهوات الجسمانية احتجبوا عن الله وموائد كرمه فارسل الله عليهم صرصر ريح اهوآء هم الظلمانية وبدعهم الشيطانية فى يوم نحوسة الاحتجاب وسلطها عليهم فسقطوا على ارض الهوان والخذلان كانهم اعجاز نخل منقلع عن تخوم الارض ساقط على وجه الارض مثل اجساد جامدة بلا رؤس نعوذ بالله من تجليات قهره وتسلط عذابه وغضبه فى يومه وشهره فعلى العاقل ان يتذكر بهذه الذكرى ويعتبر بهذه الآية الكبرى

چو بركشته بختى در افتد بچاه * از و نيكبختان بگيرند پند * تو پيش از عقوبت در عفو كوب *
كه سودى ندارد فغان زير چوب * فلو آمن ايمان يأس او تاب توبة يأس لم يقبل * فراشو چو بينى
در صلح باز * كه ناكه در توبه كردد فراز * مروز بركناه اى پسر * كه حال عاجز بود در سفر *
كاورد خفف الحمل فان العقبة كؤود * پى نيك مردان بيايد شتافت * كه هركين سعادت طلب
كرد يافت * وليكن تو دنبال ديو خسى * ندانم كه در صالحان كى رسى * ثم ان سبب هلاك عاد بالريح
اعتمادهم على قوتهم والريح اشد الاشياء قوة فاستأصلهم الله بها حتى يحصل الاعتبار لمن بعدهم من القرون
فلا يعتمدوا على قواهم وفيه اشارة الى ان الريح هو الهواء المتحرك فالخلاص من ذلك الهواء انما هو بترك
الهوى ومتابعة الهدى نسأل الله من فضله ذلك (كذبت ثمود بالنذر) اى الانذارات والمواعظ التى سمعوها
من صالح عليه السلام او بالرسل فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على الشرائع (فقالوا ابشرا منا)
اى كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره مابعده فاداة الاستفهام داخلة على الفعل وان كان تقديرا

كما هو الاصل (واحدا) اى منفردا لاتبع له اوواحدا من آحادهم لامن اشرا فهم وتأخيرهذه الصفة عن منا للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدمت عليه لفاتت هذه النكتة (نتبعه) فى امره (انا اذن) اى على تقديرا تباعنا له وهومنفرد ونحن امة جمة وايضا ليس بملك لما كان فى اعتقاد الكفرة من التنافى بين الرسالة والبشرية (لفى ضلال) عن الصواب (وسعر) اى جنون فان ذلك يعزل عن مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم انكم لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر اى نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول (ءالقى الذكر) اى الكتاب والوحى (عليه من بيننا) وفينا من هوا حق بذلك والا ستفهام للانكار ومن بيننا حال من ضمير عليه اى اخص بالرسالة منفردا من بين آل ثمود والحال ان فيهم من هو اكثر مالا واحسن حالا (بل هو كذاب اشر) اى ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه واشر اسم فاعل مثل فرح بمعنى خود پسند وستيزنده وسبكسار وبابه علم والاشر التجبر والنشاط يقال فرس اشر اذا كان مرحا نشيطا (سيعلمون غدا من) كبست فهوا ستفهام (الكذاب الأشر) حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعداله ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والغد اليوم الذى يلى يومك الذى انت فيه والمراد به وقت نزول العذاب فى الزمان المستقبل لايوم بعينه ولا يوم القيامة لان قوله انا مرسلوا الناقة استئناف لبيان مبادى الموعود حتما والمعنى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذى حمله اشره وبطره على الترفع والتجبر اصالح ام من كذبه وفيه تشريف لصالح حيث ان الله تعالى سلب عنه بنفسه الوصف الذى اسندوه اليه من الكذب والاشر فان معناه لست انت بكذاب اشر بل هم (انا مرسلوا الناقة) مخرجوها من الهضبة التى سألوا والهضبة الجبل المنبسط على الارض او جبل خلق من صخرة واحدة او الجبل الطويل الممتنع المنفرد ولايكون الافى حمر الجبال كما فى القاموس (روى) انهم سألوه متعنتين ان يخرج من صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة ناقة حمراء جوفاء وبراء عشراء وهى انت عليها عشرة اشهر من يوم ارسل عليها الفحل فاوحى الله اليه انا مخرجوا الناقة على ماوصفوا (فتنة لهم) اى امتحانا فان المعجزة محنة واختبار اذبها يتميز المثاب من المعذب (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر مايصنعون (واصطبر) على اذيتهم صبرا بليغا (ونبئهم) اخبرهم (ان الماء قسمة بينهم) مقسوم لهما يوم ولهم يوم فالماء قسمة من قبيل تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وبينهم لتغليب العقلاء (كل شرب) اى كل نصيب من الماء ونوبة الانتفاع منه (محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته فليس معنى كون الماء مقسوما بين القوم والناقة انه جعل قسمين قسم لها وقسم لهم بل معناه جعل الشرب بينهم على طريق المناوبة يحضره القوم يوما وتحضره الناقة يوما وقسمة الماء اما لان الناقة عظيمة الخلق ينفرمنها حيواناتهم اولقلة الماء (فنادوا) پس بخواندند قوم ثمود (صاحبهم) هوقدار بن سالف بضم القاف والدال المهملة وهومشئوم آل ثمود ولذا كانت العرب تسمى الجزار قدارا تشبيها له بقدار بن سالف لانه كان عاقر الناقة كما سيجئ وكان قصيرا شريرا ازرق اشقر احمر وكان يلقب باحيمر ثمود تصغير احمر تحقيرا وفى كشف الاسرار يقال له احمر ثمود وقيل اشأم عاد يعنى عادالآخرة وهى ارم تشأم به العرب الى يوم القيامة ومن هذا يظهر الجواب عما قال السجاوندى فى عين المعانى وقد ذكره زهير فى شعره

فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم * كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم

قيل هوغلط وهو احمر ثمود انتهى (فتعاطى فعقر) التعاطى تحاز عن الاجتراء لان التعاطى هوتناول الشئ بتكلف ومايتكلف فيه لابد ان يكون امرا هائلا لايباشره احد الابالجراءة عليه وبهذا المجاز يظهر وجه التعقيب بالفاء فى فعقر والا فالعقر لايتفرع على نفس مباشرة القتل والخوض فيه والعقر بالفارسية پى كردن يقال عقر البعير والفرس بالسيف فانعقر اى ضرب به فرائمه وبابه ضرب والمعنى فاجترأ صاحبهم قدار على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة (قال الكاشفى) محرك عقر ناقه دوزن بود دعنيزة ام غنم وصدوق بنت المختار وفى التفاسير صدقة بدل صدوق وذلك لما كانت الناقة قداضرت بمواشيها پس صدوق ابن عم خود مصدع بن دهرر ا بوصال خود وعده داد وعنيزه يكى از دختران خود را نامزد قدار كرده وهرد وبراه كذر ناقه كمين كردند چون ناقه ازاب بازكشت اول بمصدع رسيده اوتيرى

بيفكند كه پايهاى ناقه بهم دوخت قدار نيراز كمين كاه بيرون آمده بشمشير ناقه را پى كرد فعنى فنادوا صاحبهم فنبهوه على مجيئها وقربها من مكمنه اوانه لما هم بها هابها فناداه اصحابه فشجعوه اونادى مصدع بعد ما رماها بسهم دونك الناقة فاضر بها فضربها وچون از پاى درآمد اورا قطعه قطعه كردند وميان قوم منقسم ساختند وبچه اوحنوط برآمده سه بانك كرد واز انجا بآسمان رفت وكفتند اونيز كشته شد وبعد ازسه روز عذاب ثمود نازل شد (فكيف كان عذابى ونذر) الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة) هى صيحة جبريل عليه السلام وذلك لانها هى الجزآء الوفاق لفعلهم فانهم صاروا سببا لصيحة الولد بقتل امه وفى الحديث (لاتوله والدة بولدها) اى لاتجعل والهة وذلك فى السبايا بأن يفرق بينها وبين ولدها وفى الحديث (من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين احبته يوم القيامة) كما فى المقاصد الحسنة للسخاوى (فكانوا) اى فصاروا لاجل تلك الصيحة بعد ان كانوا فى نضارة وطيب عيش (كهشيم المحتظر) الهشيم كسر الشئ الرخو كالنبات والهشيم بمعنى المهشوم اى المكسور وهو اليابس المتكسر من الشجر وغيره والحظر جمع الشئ فى حظيرة والمحظور الممنوع والمحتظر بكسر الظاء الذى يعمل الحظيرة ويتخذها قال الجوهرى الحظيرة التى تعمل للابل من الشجر لتقيها البرد والريح والمعنى كالشجر اليابس الذى يتخذه من يعمل الحظيرة اوكالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وفى الآيات اشارة الى ثمود النفس الامارة بالسوء ومعاملتها مع نذير القلب فانه يدعوها الى الانسلاخ عن الصفات البشرية والتلبس بالصفات الروحانية وهى تدعى المجانسة معه اذ النفس والقلب والروح بل النفس اخت القلب من جانب ايسر البطن وكذا تدعى تقدم رتبتها على القلب وتصرفها فى القالب ومايحتوى عليه من القوى البشرية والطبيعية وتأخر رتبة القلب لانه حصل بعد ازدواج الروح مع النفس فبسبب تقدم رتبة النفس على القلب استنكفت النفس عن اتباعه والامتثال لاوامره وما عرفت ان تقدم الشرف والحسب اعلى وافضل من تقدم الشرف والنسب ولذا قالت الحكماء توانكرى بهنرست نه بمال وبزرگى بعقلست نه بسال وقال بعضهم

وما ينفع الاصل من هاشم * اذا كانت النفس من باهله

وهى قبيلة عرفت بالدناءة والخساسة جدا فخطأت النفس نذير القلب مع ان الخاطئة نفسها وامتحنته باخراج الناقة وذلك ان حقيقة النفس واحدة غير متعددة لكن بحسب توارد الصفات المختلفة عليها تسمى بالاسماء المختلفة فاذا توجهت الى الحق توجها كليا تسمى بالمطمئنة واذا توجهت الى الطبيعة البشرية توجها كليا تسمى بالامارة واذا توجهت الى الحق تارة والى الطبيعة اخرى تسمى اللوامة فثمود النفس الامارة طابت على جهة المكر والاستكبار من صالح رسول القلب المرسل من حضرة الروح ان يظهر ناقة النفس المطمئنة من شاهق جبل النفس الامارة بان يبدل صفتها من الامارية الى الاطمئنان فسأل صالح رسول القلب من حضرة الروح مسئولها فاجابته اظهارا للقدرة والحكمة حتى غلب انوار الروح وانطمست ظلمة النفس كما ينطمس عند طلوع الشمس ظلام الليل وكان للنفس المطمئنة شرب خاص من المعارف والحقائق كما كان للنفس الامارة شرب خاص من المشارب الجسمانية فنادى الهوى واعوانه بعضهم بعضا باستخلاص النفس الامارة من استيلاء نور الروح عليها مخافة ان ينغمس الهوى ايضا تحت هذا النور فتعاطى بعض اصحاب الهوى ذلك وكانت النفس الامارة ماتمكنت فى مقام الاطمئنان تمكنا مستحكما بحيث لاتتأثر بل كان لها بقية تلوين فقتلوها بابطال طمانينتها فرجعت القهقرى فانقهرت النفس والهوى تحت صيحة القهر وصارت متلاشية فى حضرت القهر والخذلان محترقة بنار القطيعة والهجران كما قال فكيف كان عذابى ونذر فمن كان اهل الذكر والقرآن اى الشهود الجمعى يعتبر بهذا الفراق ويجتهد الى ان يصل الى نهاية الاطمئنان على الاطلاق فان النفس وان تبدلت صفتها الامارية الى المطمئنة لايؤمن من مكرها وتبدلها من المطمئنة الى الامارية ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت المشئومة الى طبعها وجبلتها كما كان حال بلعام وبرصيصا ولذا قال عليه السلام لاتكلنى الى نفسى طرفة عين ولااقل من ذلك وقال الجنيد قدس سره لاتألف النفس الحق ابدا الا ترى ان الذمى وان قبل الخراج فانه لايألف المسلم الفة مسلم وفرخ

الغراب وان ربى من الصغر وعلم فانه لايخلو من الوحش فالنفس ليست باهل الاصطناع والمعروف والملاطفة ابدا وانما شأنها تضييقها ومجاهدتها وارياضتها الى مفارقة الروح من الجسد (ولذا قال فى المثنوى)
اندرين ره مى خراش ومى تراش * تادم آخر دمى فارغ مباش * ومنه يعلم سر قولهم ان ورد الاستغفار لايسقط بحال ولذا قال تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره مع ظهور الفتح المطلق نسأل الله تعالى ان يجعلنا من العلماء العاملين والادباء الكاملين بسر النبى الامين (كذبت قوم لوط بالنذر) اى بالانذارات اوبالمنذرين كما سبق (انا ارسلنا عليهم حاصبا) اى ريحا تحصبهم اى ترميهم بالحصباء وهى حجارة دون ملء الكف فالحصب الرمى بالحصى الصغار ومنه المحصب موضع الجمار وقول عمر رضى الله عنه حصبوا المسجد والحاصب اسم فاعل بمعنى رامى الحصباء وتذكيره مع اسناده الى ضمير الريح وهى مؤنث سماعى لتأويلها بالعذاب يقول الفقير لعل سر تعذيبهم بالحجارة لانهم جحدوا ومنعوا من اللواطة فلم يمتنعوا بل رموا نطفهم الى غير محل الحرث فرماهم الله بالحجر ومن ثمة ذهب احمد بن حنبل رحمه الله الى ان حكم اللوطى ان يرجم وان كان غير محصن وايضا انهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فايهم اصابه كان اولى به واما الريح فلانهم كانوا يضربون فى مجالسهم علانية ولايتحاشون واما انقلاب قراهم فلانهم كانوا يقلبون المرد عند اللواطة فجازاهم الله بحسب اعمالهم وايضا قلبوا الحقيقة وعكسوها بان تركوا محل الحرث واتوا الادبار (الا آل لوط) وهم اهل بيته الذين نجوا من العذاب وكانوا ثلاثة عشر وقيل يعنى لوطا وابنتيه وفى كشف الاسرار يعنى بناته ومن آمن به من ازواجهن (نجيناهم بسحر) اى فى سحر من الاسحار وهو آخر الليل او السدس الاخير منه وفى المفردات السحر اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار وجعل اسما لذلك الوقت ويجوز ان يكون حالا اى ملتبسين بسحر (روى) ان الله امره حتى خرج بهم بقطع من الليل فجاء العذاب قومه وقت السحر والاستثناء منقطع لانه مستثنى من الضمير فى عليهم وهو للمكذبين من قوم لوط ولا يدخل فيهم آل لوط لان المراد به من تبعه على دينه (نعمة من عندنا) اى انعاما كائنا منا وهو علة لنجيناهم ويجوز ان يكون مصدرا من فعله او من معنى نجيناهم لان تنجيتهم انعام (كذلك) اى مثل ذلك الجزاء العجيب (نجزى من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة يعنى كذلك ننجى المؤمنين (ولقد انذرهم) لوط (بطشتنا) اى اخذتنا الشديدة بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين فتماروا ضمن معنى التكذيب فعدى تعديته من المرية واصله تماريوا على وزن تفاعلوا (ولقد راودوه عن ضيفه) المراودة ان تنازع غيرك فى الارادة فتريد غير ما يريده وسبق تحقيقها فى سورة يوسف والضيف بالفارسية مهمان والمعنى ولقد ارادوا من لوط تمكينهم ممن اتاه من اضيافه وهم الملائكة فى صورة الشبان ومعهم جبريل وقصدوا الفجور بهم ظنا منهم انهم بشر (فطمسنا اعينهم) الطمس المحو واستئصال اثر الشئ اى فمحوناها وسويناها كسائر الوجه بحيث لم يرلها شق (روى) انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل بجناحه صفقة فتركتهم يترددون لايهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط والصفق الضرب الذى ليس له صوت (فذوقوا) اى فقلنا لهم على السنة الملائكة ذوقوا (عذابى ونذر) والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب وفيه اشارة الى ان طمس الابصار كان من نتائج مسح الابصار ولذا ورد فى القرآن ونحشره يوم القيامة اعمى لانه اعرض عن ذكر الله ولم يلتفت اليه اصلا (ولقد صبحهم بكرة) التصبيح بامداد يزديك كسى آمدن اى جاءهم وقت الصبح (عذاب) اى الخسف والحجارة (مستقر) يستقر بهم ويثبت لايفارقهم حتى يفضى بهم الى النار يعنى عذاب دائم متصل بعذاب الاخرة وفى وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهى به والحاصل ان العذاب الذى هو قلب قريتهم عليهم وجعل اعلاها اسفلها ورميهم بالحجارة غير العذاب الذى نزل بهم من طمس الاعين فانه عذاب دنيوى غير موصول بعذاب الآخرة واما عذاب الخسف والحجارة فموصول به لانهم بهذا العذاب ينتقلون الى البرزخ الموصول بالآخرة كما اشار اليه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته اى من حيث اتصال زمان الموت بزمان القيامة كما ان ازمنة الدنيا تتصل بعضها ببعض (فذوقوا عذابى ونذر) حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب (ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر) مر ما فيه من الكلام وفيه استئناف للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وكذا تكرير قوله تعالى

فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما من الانباء والقصص والمواعيد والزواجر والقواطع فان فى التكرير تقريرا للمعانى فى الاسماع والقلوب وتثبيتا لها فى الصدور وكلما زاد تكرير الشئ وتردده كان اقرله فى القلب واملكن فى الصدر وارسخ فى الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان وفى القصة اشارة الى معاملة لوط الروح مع قوم النفس الامارة ومعاملة الله بهم من انجاء لوط الروح بسبب صفاته الروحانية واهلاك قومه بسبب صفاتهم البشرية الطبيعية وكل من غلب عليه الشهوة البهيمية التى هى شهوة الجماع يجب عليه ان يقهر تلك الصفة ويكسرها باجبار ذكر لا اله الا الله ويعالج تلك الصفة بضدها وهو العفة التى هى هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذى هو افراط هذه القوة والجمود الذى هو تفريطها فالعفيف من يباشر الامور على وفق الشرع والمروءة بخلاف اهل الشهوة فان الشهوة حركة للنفس طلبا للملائم وحال النفس اما افراط او تفريط فلابد من اصلاحها من جميع القوى والصفات فانها هى التى حملت الناس على الفجور وايقاع الفتنة بينهم وتحريك الشرور * نمى نازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرد فتن عنان * نسأل الله العون والتوفيق والثبات فى طريق التحقيق (ولقد جاء آل فرعون النذر) اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بالنذر اى وبالله لقد جاءهم الانذارات من جهة موسى وهرون عليهما السلام كأنه قيل فاذا فعلوا حينئذ فقيل (كذبوا بآياتنا كلها) يعنى الآيات التسع وهى اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وحل عقدة من لسانه وانفلاق البحر (فاخذناهم) بالعذاب عند التكذيب (اخذ عزيز) لا يغالب يعنى كرفتن غالبى كه مغلوب نكردد در كرفتن (مقتدر) لا يعجزه شئ والمقصود ان الله تعالى هو العزيز المقتدر ولذا اخذهم بتكذيبهم ولم يمنعه من ذلك مانع والمراد بالعذاب هو الاغراق فى بحر القلزم او النيل يقول الفقير لعل سر الغرق ان فرعون وصل الى موسى بسبب الماء الذى ساقه اليه فى تابوته فلم يشكر لانعمة الماء ولا نعمة موسى فانقلب الحال عليه بضد ذلك حيث اهلكه الله وقومه بالماء الذى هو سبب الحياة لغيرهم ووجه ادخال الطمس فى العذاب بالنسبة الى قوم لوط ودرج الطوفان ونحوه فى الآيات بالاضافة الى آل لوط ظاهر لان المقصود هو العذاب المتعلق بالوجود والطمس كذلك دون بعض آيات فرعون (اكفاركم) يامعشر العرب (خير) عند الله قوة وشدة وعدة وعدة (من اولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوء حالا (ام لكم براءة فى الزبر) اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اى بل الكم براءة وامن من عذاب الله بمقابلة كفركم ومعاصيكم نازلة فى الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه وتأمنون بتلك البراءة والمعنى به الانكار يعنى لم ينزل لكم فى الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو فى امن من عذاب الله (ام يقولون) جهلا منهم (نحن جميع منتصر) تبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم يقال نصره من عدوه فانتصر اى منعه فامتنع اى بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأى امرنا مجتمع لازم ولانضام اومنتصر من الاعداء منتقم لانغلب اومتناصرين ينصر بعضنا بعضا على ان يكون افتعل بمعنى تفعل كاختصم والافراد فى منتصر باعتبار لفظ الجمع قال ابوجهل وقد ركب يوم بدر فرسا كميتا كان يعلفه كل يوم فرقا من ذرة وقد حلف انه يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فقتلوه يومئذ وجر رأسه الى رسول الله ابن مسعود رضى الله عنه وفيه اشارة الى كفار صفات النفس واختلاف انواعها مثل البهيمية والسبعية والشيطانية والهوائية والحيوانية وتناصر بعضها بنصر بعض وتعاون بعض بمعاونة بعض (سيهزم الجمع) ردوابطال لذلك والسين للتأكيد اى سيهزم جمع قريش البتة (ويولون الدبر) اى الادبار والتوحيد لارادة الجنس يعنى ينصرفون عن الحرب منهزمين وينصر الله رسوله والمؤمنين وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادرى اى جمع فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله عليه السلام يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وهذا من معجزات رسول الله عليه السلام لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر قال ابن عباس رضى الله عنهما كان بين نزول هذه الآية وبين يوم بدر سبع سنين فالآية على هذا مكية

(بل الساعة موعدهم) اى ليس هذا تمام عقوبتهم بل القيامة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه (والساعة) اظهارها فى موقع اضمارها التربية تهويلها (ادهى) اعظم داهية وفى اقصى غاية من الفظاعة والداهية الامر الفظيع لايهتدى الى الخلاص منه (وامر) اشد مرارة وفى اقصى نهاية من المرارة وحاصله ان موقف القيامة اهول من موقف بدر وعذابها اشد واعظم من عذابه لان عذاب الدنيا مثل الاسر والقتل والهزيمة ونحوها انموذج من عذاب الآخرة كما ان نارها جزؤ من سبعين جزأ من نارها (ان المجرمين) اى المشركين من الاولين والآخرين (فى ضلال وسعر) اى فى هلاك ونيران مسعرة والتسعير آتش تيك آفروختن وقيل فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة (يوم يسحبون) منصوب اما بما يفهم من قوله فى ضلال اى كائنون فى ضلال وسعر يوم يجرون (فى النار على وجوههم) واما بقول مقدر بعده اى يوم يسحبون يقال لهم (ذوقوا مس سقر) سقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف وقيل اسم لطبقتها الخامسة من سقرته النار اذا بوخته اى غيرته والمس كاللمس وهو ادراك بظاهر البشرة والمعنى قاسوا حرها واوأ لمها فان مسها سبب للتألم بها فمس سقر مجاز عن ألمها بعلاقة السببية وفى القاموس ذوقوا مس سقر اى اول ما ينالكم منها كقولك وجد مس الحمى انتهى وعن النبى صلى الله عليه وسلم اول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل استشهد اتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ماعملت فيها قال قاتلت فى سبيلك حتى استشهدت قال كذبت انما اردت ان يقال فلان جرئ فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ماعملت فيها فقال تعلمت العلم وقرأت القرآن وعلمت قال كذبت انما اردت ان يقال فلان عالم وفلان قارئ فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل آتاه الله تعالى من انواع المال فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ماعملت فيها قال ما تركت من شئ يحب ان ينفق فيه الا انفقت لك قال كذبت انما اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار وعن عطاء السلمى قال خرجت يوما مع اصحابى نستسقى فلقينى سعدون فقال ياعطاء هل خرجتم بقلوب سماوية اوبقلوب ارضية قلت بل بقلوب سماوية فقال ياعطاء لاتعوج فان الناقد بصير فخجلت منه فلما دعونا ولم نمطر قلت له ادع الله حتى يسقينا فرفع رأسه الى السماء فقال بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال بحرمة ماكان بينى وبينك البارحة ان تسقينا فلم يفرغ من كلامه حتى مطرنا ثم بكى ورجع والكلام فى تصحيح النية وتطهير القلب عن الغير والاخلاص لله تعالى ومن بقى فى صفات نفسه واعرض عن الحق واقبل على الدنيا وشهواتها فهو يجر فى نار جهنم البعد والطرد ويذوق حرنار الهجران والخذلان (انا كل شئ) من الاشياء وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده (خلقناه) حال كون ذلك الشئ ملتبسا (بقدر) متعين اقتضته الحكمة التى عليها يدور امر التكوين فقدر بمعنى التقدير وهو تسوية صورته وشكله وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته الحكمة وترتبت عليه المنفعة المنوطة بخلقه اوخلقناه مقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه لايغير ولا يبدل (مصرع) قضى الله امر اوجف القلم * سر برخط لوح ازلى دار وخموش * كزهرچه قلم رفته قلم در نكشند * فالمراد بالقدر تقديره فى علمه الازلى وكتبه فى اللوح المحفوظ وهو القدر المستعمل فى جنب القضاء فالقضاء وجود جميع المخلوقات فى اللوح المحفوظ مجتمعة والقدر وجودها فى الاعيان بعد حصول شرائطها ولذا عبر بالخلق فانه انما يتعلق بالوجود الظاهرى فى الوقت المعين وفى الحديث (كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء) وعنه عليه السلام (كل شئ بقدر الله حتى العجز والكيس) وعنه عليه السلام (لايؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره اى حلوه ومره قال فى كشف الاسرار مذهب اهل سنت انست كه نيكى و بدى هرچند فعل بنده است و بنده بدان مثاب ومعاقب است اما بخواست الله است و بقضا وتقدير اوچنانكه رب العزت گفت (قل كل من عند الله) وقال تعالى (انا كل شئ خلقناه بقدر) وقال عليه السلام القدر خيره وشره من الله ففى الآية رد على القدرية والمعتزلة والخوارج وفى التأويلات النجمية خلقنا كل شئ اى موجود علمى وعينى فى الازل بمقدار معين مثل ما قال الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى اى كل شئ مخلوق على مقتضى استعداده الذاتى وقابليته

الاصلية الازلية لازائد فيه ولا ناقص كما قال الغزالى رحمه الله ليس فى الامكان ابدع من هذا الوجود لانه لوكان ولم يظهر لكان بخيلا وهو جوادا ولكان عاجزا وهو قادر (ومامرنا) لشئ نريد تكوينه (الا واحدة) اى كلمة واحدة لاثنى سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن اوالا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة (كلمح بالبصر) فى اليسر والسرعة فان اللمح النظر بالعجلة يعنى كلمح كنظر سريع قال فى القاموس لمح اليه كمنع اختلس النظر كالمح وفى المفردات اللمح لمعان البرق ورأيته لمحة برق قال ابن الشيخ لما اشتملت الآيات السابقة على وعيد كفار اهل مكة بالاهلاك عاجلا وآجلا والوعد للمؤمنين بالانتصار منهم جئ بقوله انا كل شئ خلقناه بقدر تأكيدا للوعيد والوعد يعنى ان هذا الوعيد والوعد حق وصدق والموعود مثبت فى اللوح مقدر عند الله لايزيد ولاينقص وذلك على الله يسير لان قضاءه فى خلقه اسرع من لمح البصر وقيل معنى الآية معنى قوله تعالى وما امر الساعة الاكلمح البصر قال بعض الكبار ليس المراد بكلمة كن حرف الكاف والنون انما المراد بها المعنى الذى به كان ظهور الاشياء فكن حجاب للمعنى لمن فهم وكل انسان له فى باطنه قوة كن وماله فى ظاهره الا لمعتاد وفى الآخرة يكون حكم كن منه فى الظاهر وقد يعطى الله ذلك لبعض الرجال فى هذه الدار بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه تصرف بها فى عدة مواطن منها قوله فى غزوة تبوك كن اباذر فكان اباذر لم لايخفى انه لم يعط احد من الملائكة وغيرهم حرف كن انما هى خاصة بالانسان لما انطوى عليه من الخلافة والنيابة وفى التأويلات النجمية ومامرنا تجلينا الاشياء كلها علويها وسفليها الا تجلى واحد اى وحدانى الوصف لاكثرة فيه لكن يتكثر بحسب المتجلى له ويظهر فيه بحسبه ظهور الصورة الواحدة فى المرآئى المتكثرة يظهر فى الكبير كبيرا وفى الصغير صغيرا وفى المستطيل مستطيلا وفى المستدير مستديرا والصورة على حالتها المخلوقة عليها باقية لاتغير ولاتبدل بها كما يلمح الناظر ويرى فى اللمحة الواحدة مايحاذى بصره (ولقد اهلكنا اشياعكم) اى اشباهكم فى الكفر من الامم جمع شيعة وهو من يتقوى به الانسان وينتشر عنه كما فى المفردات وقال فى القاموس شيعة الرجل بالكسر اتباعه وانصاره والفرقة على حدة ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث (فهل من مدكر) متعظ يتعظ بذلك فيخاف وفيه اشارة الى انا بقدرتنا الازلية وحكمتنا البالغة اهلكنا وافنينا اشباهكم وامثالكم يا ارباب النفوس الامارة ويا اصحاب القلوب الجوالة اما بالموت الطبيعى واما بالموت الارادى فهل من معتبر يعتبر هذا وهذا ويختار لنفسه الأليق والاحرى (وكل شئ فعلوه) من الكفر والمعاصى مكتوب على التفصيل (فى الزبر) اى فى ديوان الحفظة جمع زبور بمعنى الكتاب فهو بمعنى مزبور كالكتاب بمعنى مكتوب وقال الغزالى رحمه الله كل شئ فعله الامم فى كتب انبيائهم المنزلة عليهم كأفعال كفار زماننا فى كتابنا (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) مسطور فى اللوح المحفوظ بتفاصيله يقال استطره كتبه كما فى القاموس قال يحيى بن معاذ رحمه الله من علم ان افعاله تعرض عليه فى مشهد الصدق وانه مجازى عليها اجتهد فى اصلاح افعاله واخلاص اعماله ولزم الاستغفار لما سلف من افراطه وقد روى ان النبى عليه السلام ضرب لصغائر الذنوب مثلا فقال انما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة من الارض وحضر جميع القوم فانطلق كل واحد منهم يحطب فجعل الرجل يجئ بالعود والآخر بالعود حتى جمعوا سواد اواججوا نارا فشووا خبزهم وان الذنب الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه الا ان يغفر الله اتقوا محقرات الذنوب فان لها من الله طالبا ولقد احسن من قال

خل الذنوب صغيرها * وكبيرها ذاك التقى * واصنع كماش فوق ار * ض الشوك يحذر ماري
لاتحقرن صغيرة * ان الجبال من الحصى

(ان المتقين) اى من الكفر والمعاصى (فى جنات) اى بساتين عظيمة الشأن بحيث لايوصف نعيمها وما اعد فيها لاهلها (ونهر) اى انهار كذلك يعنى انهار الماء والخمر والعسل واللبن والافراد الاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل (فى مقعد صدق) خبر بعد خبر وهو من اضافة الموصوف الى الصفة والصدق بمعنى الجودة والمعنى فى مكان مرضى ومجلس حق سالم من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل ان سلمت من ذلك (عند مليك) المراد من العندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان والمسافة والمليك ابلغ من الملك وهو بالفارسية بادشاه والتنكير للتعظيم والمعنى حال كونهم مقربين عند عزيز الملك واسعه لايقادر قدر ملكه فلا شئ

الا وهو تحت ملكوته فاى منزلة اكرم من تلك واجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها (مقتدر) قادر لايعجزه شئ عال امره فى الاقتدار وفى التأويلات النجمية يعنى المتقين بالله عما سواه فى جنات الوصلة وانهار مياه المعرفة والحكمة ينغمسون فيها ويخرجون منها درر المعارف ولآلئ العوارف فى مقعد صدق هو مقام الوحدة الذاتية فى مقام العندية كما قال عليه السلام ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ودر كشف الاسرار آورده كه كلمهٔ عندر فى تقريب وتخصيص داردیعنى اهل قرب فرداد ران سرابدان اختصاص خواهند داشت وحضرت پيغمبر عليه السلام امروز درين سرا مخصوص بآن بوده كه (ابيت عندربى) وچون رتبهٔ كه فردا خواص بآن نازند امروز پاى ادناى وى بوده پس ازمرتبهٔ اعلاى فردای او كه نشان تواند داد * اى محرم سر لايزالى * مرآت جمال ذى الجلالى * مهمان ابيت عندربى * صاحب دل لاينام قلبى * ازقربت حضرت الهى * هستى بمثابهٔ كه خواهى * قربى عبارتش نسنجد * درخوصلهٔ خرد نكنجد * كم كشته بود عبارت آنجا * بلكه نرسد عبارت آنجا * وفى الآية اشارة الى ان التقوى توصل العبد الى جنات الدرجات وانهار العلوم والمعارف الحقيقية الالهية ثم الى مقام الصديقين ثم الى مقام الوحدة الذاتية المشار اليها بالعندية قال الامام جعفر الصادق رضى الله عنه مدح الله المكان بالصدق فلايقعد فيه الا اهل الصدق وهو المقام الذى يصدق الله فيه وعده لاولياءه بان يبيح لهم النظر الى وجهه الكريم قيمت وعزآن بقعه نه بمرغ بريان وجوى روان وخيرات حسان است بلكه بديدار چنانكه قيمت صدف بدرشاهوار كما قيل

وما عهدى بحب تراب ارض * ولكن من يحل بها حبيب

اى خوشا عيشا كه مؤمنا زاست دران مجلس انس وحظيرهٔ قدس باديهٔ انتظار بريده بكعبهٔ وصال رسيده خلعت رضا پوشيده شربت سرور از چشمهٔ وفا نوشيده عيش بى عتاب ونعمت بى حساب وديدار بى حجاب يافته (روى) صالح بن حيان عن عبدالله بن بريدة انه قال فى هذه الآية ان اهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار تعالى فيقرأون عليه القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذى له ومجلسى على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة باعمالهم فلم تقر اعينهم بشئ قط كما تقر اعينهم بذلك ولم يسمعوا شيأ اعظم ولا احسن منه ثم ينصرفون الى رحالهم ناعمين قريرة اعينهم الى مثلها من الغد قال بعضهم المرادبمن فى الآية هم الذين لاتحجبهم الجنة ولا النعيم ولاشئ عنه تعالى قال البقلى يا الهى هؤلاء غرباء الله فى الدنيا والآخرة ادخلهم فى اغرب المنازل وهو مقام المجالسة معه بحيث لايطلع عليه الا اهل الصدق فى طلبه وهم فقراء المعرفة الذين قال عليه السلام فيهم الفقراء جلساء الله * سئل ابو يزيد البسطامى قدس سره عن الغريب قال الغريب من اذا طالبه الخلق فى الدنيا لم يجدوه ولو طالبه مالك فى النار لم يجده ولو طالبه رضوان فى الجنة لم يجده فقيل اين يكون يا ابايزيد فقال ان المتقين فى جنات الخ فلابد من الصدق وخدمة الصادقين حتى يصل الانسان الى هذا المطلب الجليل وهو على وجوه ومراتب اما الصدق فى القول فبصون اللسان عن الكذب الذى هو اقبح الذنوب قال عليه السلام التجار هم الكفار فقيل اليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق وفى الحديث (اربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر) واما الصدق فى الحال فبصون الحال عما ينقصه مثلا اذا عزم على امر وحال من التسليم والتوكل وغيرهما فصدقه بالاستمرار على عزيمته والاحتراز عن النقض واهل السلوك يهتمون فى صدق الحال اشد الاهتمام (روى) ان واحدا منهم كان كثير الوجد والزعقات فجاء يوما واودع خرقته عند الشيخ فى الحرم الشريف وقال ان صيحتى الآن لامرأة عشقتها فانا لااريد ان اكون كاذبا فى حالى بان البس لباس العشاق وانا على تلك الحال ثم انه بعد ايام جاء واخذ خرقته وقال الحمد الذى خلصنى منها وعدت الى حالى ومن قبيل الصدق فى الحال صدق المريد فى ارادته فانه اذا وقع منه حركة مخالفة لارادة الشيخ فهو كاذب فى ارادته فان المريد من اقتفى ارادته فى ارادة الشيخ ففى اى مرتبة من القال والحال وجد الصدق كان سبب النجاة وباعثا لرفع الدرجات قال الشاعر

سيعطى الصادقين بفضل صدق * نجاة فى الحياة وفى الممات

وسبب هذا الشعر ان ثلاثة اخوة من الشام كانوا يغزون فاسرهم الروم مرة فقال لهم الملك انى اجعلكم ملوكا

وا زوجكم بناتى ان قبلتم النصرانية فابوا وقالوا يامحمداه فادخل اثنين فى الزيت المغلى واخذ الثالث علج وسلط عليه ابنته وكانت من اجمل النساء فاخذ الشاب فى صيام النهار وقيام الليل فآمنت البنت وخرجا الى الشام فجاء اخواه الشهيد ازمع الملائكة ليلة وزوجاه المرأة وسألهما اخوهما عن حالهما فقالا ما كانت الا التى رأيت حتى دخلنا فى الفردوس وان الله تعالى ارسلنا اليك نشهد تزويجك بهذه الفتاة وكانا مشهورين بالشام حتى قال الشعراء فيهما ابياتا منها ماذكرنا (وروى) جنيد البغدادى قدس سره عن امير المؤمنين على رضى الله عنه قال الصوف ثلاثة احرف فالصاد صدق وصبر وصفاء والواو وذوورد وفا والفاء فقر وفرد وفناء فاذا لم توجد هذه الصفات فى الصوفى لايكون صوفيا قال سهل رحمه الله اول خيانة الصديقين حديثهم مع انفسهم وسئل فتح الموصلى رحمه الله عن الصدق فادخل يده فى كير الحديد واخرج حديدة محماة و وضعها على كفه وقال هذا هو الصدق قال جنيد البغدادى رحمه الله الصادق ينقلب فى اليوم اربعين مرة والمرآئى يثبت على حالة واحدة اربعين سنة وذلك لان مطلب العارفين من الله الصدق والعبودية والقيام بحق الربوبية من غير مراعاة حظ النفس وكل من عداهم من العابد والزاهد والعالم لايفارقون الحظوظ والاغراض نسأل الله العافية

تمت سورة القمر بعون خالق القوى والقدر فى العشر الثالث من العشر الثالث من شوال المنتظم فى سلك شهور سنة اربع عشرة ومائة والف وتليها سورة الرحمن وتسمى عروس القرآن مكية اومدنية وآيها ست او سبع او ثمان وسبعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرحمن) مبتدأ خبره مابعده اى الذى له الرحمة الكاملة الشاملة كما جاء فى بعض الدعاء رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لانه عم الرزق فى الدنيا كما قيل * ادیم زمین سفرهٔ عام اوست * بر ین خوان یغما چه دشمن چه دوست * وخص المؤمنين بالعفو فى الآخرة وبالغفارسية خدا وند بخشا يش بسيار كه رحمت او همه چيز را رسيده * والرحمة فى الحقيقة العطف والحنو اعنى الميل الروحانى ومنه الرحم لانعطافها الحسى على مافيها واريد بها بالنسبة الى الله تعالى ارادة الخير اوالانعام لان من عطف على احد اصابه باحدهما قال الامام الغزالى رحمه الله الرحمن هو المعطوف على العباد بالايجاد اولا وبالهداية الى الايمان واسباب السعادة ثانيا والاسعاد بالآخرة ثالثا والانعام بالنظر الى وجهه الكريم رابعا انتهى ولما كانت هذه السورة الكاملة شاملة لتعداد النعم الدنيوية والاخروية والجسمانية والروحانية طرزها بطراز اسم الرحمن الذى هو اسم الذات المشتمل على جميع الاسماء والصفات ليسند اليه النعم المختلفة بعده ولما كان القرآن اعظم النعم شأنا لانه مدار لجميع السعادات ولذا قال عليه السلام اشراف امتى حملة القرآن اى ملازموا قراءته واصحاب الليل وقال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وفيه جميع حقائق الكتب السماوية وكان تعليمه من آثار الرحمة الواسعة واحكامها بدأ به فقال (علم) محمدا صلى الله عليه وسلم (القرآن) بواسطة جبريل عليه السلام و بواسطة محمد عليه السلام غيره من الامة (قال الكاشفى) يعنى آسان كردانيده مر اورا آموختن وديگر ارا آموزانيدن قال ابن عطاء رحمه الله لما قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها اراد ان يخص امة محمد بخاصة مثله فقال الرحمن علم القرآن اى الذى علم آدم الاسماء وفضله بها على الملائكة هو الذى علمكم القرآن وفضلكم به على سائر الامم فقيل له متى علمهم قال علمهم حقيقة فى الازل واظهر لهم تعليمه وقت الايجاد وفيه اشارة الى ان تعليم القرآن وان كان فى الصورة بواسطة جبريل من الوجه العام لكنه كان بلا واسطة فى المعنى من الوجه الخاص على ماسنزيد وضوحا فى محله ان شاء الله تعالى وقال بعضهم علم القرآن اى اعطى الاستعداد الكامل فى الازل لجميع المستعدين ولذلك قال علم القرآن ولم يقل علم الفرقان كما فى قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان فان الكلام الالهى قرآن باعتبار الجمع والبداية وفرقان باعتبار الفرق والنهاية فهو بهذا المعنى لايتوقف على خلق الانسان وظهوره فى هذا العالم وانما الموقوف عليه تعليم البيان ولذا قدم تعليم القرآن على خلق الانسان وخلقه على تعليم البيان انتهى وفى الآية اشارة الى ان التعليم والتسهيل انما هو من الله تعالى لامن المعلمين والحافظين وقد علم آدم الاسماء ووفقه لتعلمها وسهله باذنه وعلم داود صنعة الدرع كما قال وعلمناه صنعة لبوس

لكم وعلم عيسى علم الطب كما قال ويعلمه الكتاب والحكمة وعلم الخضر العلم اللدني كما قال وعلمناه من لدنا علما وعلم نبينا عليه السلام القرآن واسرار الالوهية كما قال وعلمك مالم تكن تعلم وعلم الانسان البيان قال في فتح الرحمن ومن الدليل على ان القرآن غير مخلوق ان الله تعالى ذكره في كتابه العزيز في اربعة وخمسين موضعا مافيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا اشار اليه وذكر الانسان في ثمانية عشر موضعا كلها يدل على خلقه وقد اقتفنا في هذه السورة على هذا النحو قاله المولى ابو السعود رحمه الله ثم قيل (خلق الانسان علمه البيان) تبيينا للعلم وكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ماهو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير قال الراغب البيان الكشف عن الشيء وهو اعم من النطق لان النطق مختص بالانسان وسمي الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود واظهاره انتهى وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذهو الذي يدور عليه تعليم القرآن والمراد به جنس الانسان الشامل لجميع اصنافه وافراده وفي بحر العلوم خلق الانسان اى آدم وعلمه الاسماء واللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة الف لغة افضلها العربية انتهى * يقول الفقير فيه اشارة الى ان الله تعالى قد تكلم بجميع اللغات سواء كان التعليم بواسطة ام لا فان قلت كيف يتكلم الله باللغات المختلفة والكلام النفسي عار عن جميع الاكسية قلت نعم ولكنه في مراتب التنزلات والاستزالات لابد له من الكسوة فالعربية مثلا كسوة عارضة بالنسبة الى الكلام في نفسه وقد ذقنا في انفسنا انه يجيء الالهام والخطاب تارة باللفظ العربي واخرى بالفارسي وبالتركي مع كونه بلا واسطة ملك لان الاخذ عن الله لا ينقطع الى يوم القيامة وذلك بلا واسطة وان كان الغالب وساطة الملك من حيث لا يرى فاعرف ذلك (الشمس والقمر بحسبان) مبتدأ وخبر والحسبان بالضم مصدر بمعنى الحساب كالغفران والرجحان يقال حسبه عده وبابه نصر حسابا بالكسر وحسبانا بالضم واما الحسبان بالكسر فبمعنى الظن من حسب بالكسر بمعنى ظن والمعنى يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب فالسنة القمرية ثلاثمائة واربعة وخمسون يوما والشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم اواقل وفيه اشارة الى شمس فلك البروج وقمركرة القلب وسيرانهما في بروج التجليات الذاتية ومنازل التجليات الاسمائية والصفاتية وكل ذلك السيران بحسب استعداد كل واحد منهما بحساب معلوم وامر مقسوم (والنجم) اى النبات الذي ينجم اى يطلع من الارض ولاساق له مثل الكرم والقرع ونحو ذلك (والشجر) الذي له ساق وفي المنتقى كل نابت اذا ترك حتى يبزر انقطع فليس بشجر وكل شيء يبزر ولاينقطع من سنته فهو شجر (يسجدان) اى ينقاد ان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا او يسجد ظلهما على مابين في قوله تعالى يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وكفته اندمارا برسجود ايشان وقوف نيست چنانچه برتسبيح ايشان كما قال تعالى (ولكن لاتفقهون تسبيحهم) ذكر في مقابلة النعمتين السماويتين اللتين هما الشمس والقمر نعمتين ارضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذي هو اصل الرزق من الحبوب والثمار والحشيش للدواب واخلاء الجمل الاولى عن العطف اوردها على منهاج التعديد تنبيها على تفاعده في الشكر كما في قولك زيدا غناك بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل احد باحد واما عطف جملة والنجم على ماقبلها فلتناسبها من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله تعالى ولما كانت هذه الاربعة مغايرة لجنس الانسان في ذاته وصفاته غير النظم بايرادها في صورة الاسمية تحقيقا للتغاير بينهما وضعا وطبعا صورة ومعنى وفيه اشارة الى سجود نجم العقل الذي به يهتدي الى معرفة الاشياء واستهلاكه وتلاشيه عند النظر الى الحقائق الالهية والمعارف الربانية لعدم قوة ادراكه اياها مستعدا بنفسه غير مستفيض من الفيض الالهي بطريق الكشف والشهود والى سجود شجر الفكر المتشجر بالقوى الطبيعية والقوى الوهمية والخيالية وانحصاره في القوة المزاجية العنصرية وعدم تمكنه من ادراك الحقائق على ماهي عليه كما قيل العقل والفكر جالا حول سرادق الكون فاذا نظر الى المكون ذابا وكيف لا وهما مخلوقان محصوران تحت حصر الخلقية والحدوث وانى للمخلق المحدث

معرفة الخالق القديم وما قدروا الله حق قدره (والسماء رفعها) انتصابه بمحذوف يفسره المذكور اى خلقها مرفوعة محلا كما هو محسوس مشاهد وكذا رتبة حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه وتنزل اوامره ومحل ملائكته وقال بعضهم رفعها من السفل الى العلو سقفا لمصالح العباد وجعل ما بينهما مسيرة خمسمائة عام وذلك لان السماء دخان فار به موج الماء الذى كان فى الارض (ووضع الميزان) اى شرع العدل وامر به بان وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان هو القرآن وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان وميكال ونحوهما فالمعنى خلق كل ما توزن به الاشياء ويعرف مقادير ها موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل فى اخذهم واعطائهم قال سعدى المفتى وانت خبير بان قوله ان لا تطغوا فى الميزان واقيموا الوزن اشد ملاءمة لهذا المعنى ولهذا اقتصر عليه الزمخشرى (قال الكاشفى) ووضع الميزان وبيافريد يامنزل كردانيد ترازو ورايا الهام داد خلق را بكيفيت ايجاد آن ليتوصل به الى الانصاف والانتصاف وكان ذلك فى زمان نوح عليه السلام اذ لم يكن قبله كيل ووزن وذرع قال قتادة فى هذه الآية اعدل يا ابن آدم كما تحب ان يعدل عليك واوف كما تحب ان يوفى لك فان العدل صلاح الناس (ان لا تطغوا فى الميزان) ان ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بوضع الميزان اى وضعه لئلا تطغوا فيه ولا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وبالفارسية ازحد نكذريد در ترازو بوقت داد وستد يعنى از عدل تجاوز نكنيد وبراستى معامله نمائيد قال ابن الشيخ الطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذى هو آلة التسوية قال طغيانه البخس اى النقص * چون ترازوى تو كج بود دغا * راست چون جوئى ترازوى جزا (واقيموا الوزن بالقسط) قوموا وزنكم بالعدل اى اجعلوه مستقيما به وفى المفردات الوزن معرفة قدر الشئ والتعارف فى الوزن عند العامة ما يقدر بالقسطاس والقبان وقوله واقيموا الوزن بالقسط اشارة الى مراعاة المعدلة فى جميع ما يتحراه الانسان من الافعال والاقوال ولا تخسروا الميزان) يقال خسرت الشئ بالفتح واخسرته نقصته وبابه ضرب واما خسر فى البيع فبالكسر كما فى المختار وقال فى القاموس خسر كفرح وضرب ضد والخسر والاخسار النقص اى لا تنقصوه لان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه قال سعدى المفتى المراد لا تنقصوا الموزون فى الميزان لا الميزان نفسه امر اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيدا للامر باستعماله والحث عليه (قال الكاشفى) اين همه تأكيد اهل ترازو جهت آنست كه بوقت وضع ميزان قيامت شرمنده نشوند * هر جو وهر حبه كه بازوى تو * كم كندار كيد ترازوى تو * هست بكايك همه برجاى خويش * روز جزا جمله بيارند پيش * باتو نمايند نهانيت را * كم دهى وبيش ستانيت را * روى ان مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من نار بين يدى اكلف الصعود عليهما قال فسألت اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال مازدا الامر على الاعظما وفى المفردات قوله ولا تخسروا الميزان يجوز ان يكون اشارة الى تحرى العدالة فى الوزن وترك الحيف فيما يتعاطاه فى الوزن ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى تعاطى ما لا يكون ميزانه به يوم القيامة خاسرا فيكون ممن قال فيه فمن خفت موازينه وكلا المعنيين يتلازمان وكل خسران ذكره الله فى القرآن فهو على هذا المعنى الاخير دون الخسران المتعلق بالقنيات الدنيوية والتجارات البشرية يقول الفقير وجه توسيط الميزان بين رفع السماء ووضع الارض هو الاشارة الى انه بالعدل قامت السموات والارض كما ورد فى الحديث والى انه لابد من ميزان العقل بين الروح والجسد حتى يعتدلا ولا يتجاوز احدهما الآخر والاعتدال الحقيقى هو الوقوف بين طرفى الافراط والتفريط المذمومين عقلا وشرعا وعرفا والموزونات هى الامور العلمية والعملية المعدلة بالعقل المبنى على الاستعداد الذاتى (والارض وضعها) اى خفضها مدحوة على الماء اى مبسوطة (للانام) اى لمنافع الانام وهو جمع لا واحد له من لفظه بمعنى الخلق والجن والانس مما على الارض كما فى القاموس فهى كالمهاد والفراش لهم يتقلبون عليها ويتصرفون فوقها

وقال ابن عباس رضى الله عنهما الناس و يدل عليه قوله

مبارك الوجه يستسقى الغمام به * ما فى الانام له عدل ولا مثل

وقال قتادة كل ذى روح لانه ينام وقيل من نوم الذباب همس وفيه اشارة الى بسط ارض البشرية لتنعش كل قبيلة بما يلائم طبعها اما انتعاش اهل النفوس البشرية فبما سيفاء الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية واما انتعاش اصحاب القلوب المعنوية فبما لوارد ات القلبية والالهامات الغيبية واما انتعاش ارباب الارواح العلوية فبالتجليات الروحانية والمحاضرات الربانية واما انتعاش صناديد الاسرار اللاهوتية القدسية فبالتجليات الذاتية الاحدية المغنية لكل ماسواه (فيها فاكهة) ضروب كثيرة مما يتفكه به و يتلذذ ففاكهة تشعر باختلاف الانواع (والنخل ذات الأكمام) وهى اوعية الثمر وغلفها قبل التفتق يعنى خوشهاء آن در غلاف جمع كم بالكسر وهو الغلاف الذى يكون فيه الثمر اول ظهوره تامادا مكه منشق نشده در غلاف باشد ومعنى النخل بالفارسية يعنى درخت خرما او هو اى الكم كل مايكم بضم الكاف من باب نصر اى يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كما ينتفع من المكموم من ثمره وجماره وجذوعه فالليف يغطى الجذع والسعف الجمار وهو كرمان شحم النخل بالفارسية دل درخت خرما والكفرى الثمر (والحب) ودر زمين دانه است وهو كل مايتغذى به ويقتات كالحنطة والشعير وغيرهما (ذو العصف) هو ورق الزرع او ورق النبات اليابس كالتبن (قال الكاشفى) وعصف كيا هبست كه ازو دانه جدا ميشود وفى المفردات العصف والعصيفة الذى يعصف من الزرع قال فى تاج المصادر العصف برك كشت ببريدن (والريحان) قال فى المفردات الريحان ماله رائحة وقيل الرزق ثم يقال للحب المأكول ريحان كما فى قوله والحب ذو العصف وقيل لاعرابى الى اين قال اطلب ريحان الله اى رزقه والاصل ماذكرنا انتهى قال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو الرزق بلغة حمير فالمراد بالريحان هنا اما الرزق او المشموم كما قال الحسن الريحان هو ريحانكم هذا الذى يشم وهو كل ماطابت رائحته من النبات اوالشاهسفرم وعند الفقهاء الريحان مالساقه رائحة طيبة كالورقة كالآس والورد مالورقه رائحة طيبة فقط كالياسمين كذا فى المغرب قال ابن الشيخ كل بقلة طيبة الرائحة سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة طيبة اى يشم يقال راح الشئ يراحه و يريحه واراح الشئ يريحه اذا وجد ريحه وفى الحديث (من قتل نفسا معاهدة لم يرح رائحة الجنة) و يروى لم يرح من راحه يريحه والريحان فى الاصل ريوحان كفعيلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف بحذف عين الكلمة كما فى ميت اوكفوعلان قلبت واوه ياء للتخفيف اوللفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام لعمومه لهما واشتماله عليهما وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان وكذا فى ذكر ابوى الفريقين بقوله خلق الانسان وخلق الجان اشعار بان الخطاب لهما جميعا والالاء النعم واحدها الى والى والوالى والى كما فى القاموس قال فى بحر العلوم الآلاء النعم الظاهرة والباطنة الواصلة الى الفريقين وبهذا يظهر فساد ماقيل من ان الآلاء هى النعم الظاهرة فحسب والنعماء هى النعم الباطنة والصواب انهما من الالفاظ المترادفة كالاسود والليوث والفلك والسفن وفى التأويلات النجمية الآلاء هى النعمة الظاهرة والنعماء الباطنة والآيات المتوالية تدل على هذا لانها كل نعمة ظاهرة بالنسبة الى اهل الظاهر ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها والتعبير عن الكفر بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لامحالة اى فاذا كان الامر كما فصل فبأى فرد من افراد الاء ما لكما ومربيكما تلك الآلاء تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق فالاستفهام للتقرير اى للحمل على الاقرار بتلك النعم ووجوب الشكر عليها (روى) عن جابر رضى الله عنه انه قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها قال مالى اراكم سكوتا للجن كانوا احسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية مرة فبأى آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قال فى بحر العلوم وفيه دلالة بينة على ان الآلاء اراد بها النعم المطلقة الشاملة للظاهرة والباطنة لا المقيدة بالظاهرة كما سبق اليه بعض الاوهام انتهى قال فى آكام المرجان دلت الآية على ان الجن كلهم مكلفون ولا خلاف فيه بين اهل النظر وزعمت الحشوية انهم مضطرون الى افعالهم وانهم ليسوا مكلفين

والدليل على انهم مكلفون ما فى القرآن من ذم الشياطين ولعنهم والتحذير من غوائلهم وشرهم وذكر ما اعده الله لهم من العذاب وهذه الخصال لا يفعلها الله الا من خالف الامر والنهى وارتكب الكبائر وهتك المحارم مع تمكنه من ان لا يفعل ذلك وقدرته على فعل خلافه ويدل على ذلك ايضا انه كان من دين النبى عليه السلام لعن الشياطين والبيان عن حالهم وانهم يدعون الى الشر والمعاصى ويوسوسون بذلك وتكرار هذه الآيه فى هذه السورة لطرد الغفلة وتأكيد الحجة وتذكير النعمة وتقرير الكرامة من قولهم كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وكقولك لرجل احسنت اليه بانواع الايادى وهو ينكرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا وقال الشاعر

لا تقطعن الصديق ما طرفت * عيناك من قول كاشح اشر

ولا تملسن من زيارته * زره وزره ثم زر وزر

وقال فى برهان القرآن تكررت الآية احدى وثلاثين مرة ممان منها ذكرها عقيب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبع منها عقيب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد ابواب جهنم وحسن ذكر الآلاء عقيبها لان فى خوفها ودفعها نعما توازى النعم المذكورة او لانها حلت بالاعداء وذلك يعد من اكبر النعماء وبعدهذه السبع ممان فى وصف الجنات واهلها على عدد ابواب الجنة وثمان اخرى بعدها للجنتين اللتين دونها فمن اعتقد الثمانى الاولى وعمل بموجبها استحق كلتا الثمانيتين من الله ووقاه الله السبع السابقة يقول الفقير من لطائف اسرار هذا المقام ان لفظ ال فى اول اسم الرحمن المعنون به هذه السورة الجليلة دل على تلك الاحدى والثلاثين (خلق الانسان من صلصال كالفخار) يا فريد انسانرا از كل خشك مانند سفال پخته كه دست بروى زنى اواز كند الصلصال الطين اليابس الغير المطبوخ الذى له صلصلة اى صوت يسمع من يبسه وصح عن رسول الله عليه السلام انه قال اذا تكلم الله بالوحى سمع اهل السموات لصوته صلصلة كصلصلة الجرس على الصفوان والفخار الخزف اى الطين المطبوخ بالنار وتشبيهه بالفخار لصوته باليبس اذ انقر كأنه صور بصورة من يكثر التفاخر اولانه اجوف وقد خلق الله آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا ثم صب عليه ماء الاحزان فلا ترى ابن آدم الا يكابد حزنا فلا تنافى بين الآية الناطقة باحدهما وبين ما نطق بأحد الآخرين (وخلق الجان) اى الجن اوابا الجن اوابليس وبه قال الضحاك وفى الكشف الجان ابو الجن كما ان الانسان ابو الانس وابليس ابو الشياطين (من مارج) اى من لهب صاف من الدخان وقال مجاهد المارج هو المختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذى يعلو النار اذا وقدت من مرج امر القوم اذا اختلط واضطرب فمعنى من مارج من لهب مختلط (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب وفى كشف الاسرار خلق الجن من مارج من نار والملائكة من نورها والشياطين من دخانها وقال بعضهم من النار التى بين الكلة الرقيقة وبين السماء وفيها يكون البرق ولا ترى السماء الا من وراء تلك الكلة درباب نهم ازسفر ثانى فتوحات مذكور ست كه مارج آتشست ممتزج بهوا كه از اهواى مشتعل كويند پس جان مخلوقست از دو عنصر آتش وهوا وآدم آفريده شده از دو عنصر آب وخاك چون آب وخاك بهم شوند از اطين كويند وچون هوا وآتش مختلط كردد از مارج خوانند وچنانكه تناسل در بشر بالقاء آبست در رحم تناسل در جن بالقاء هواست در رحم انثى ومبان افرينش جان وآدم شصت هزار سال بود (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما افاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات وفيه اشارة الى ان الحق سبحانه تجلى لحقيقة انسان الروح بصورة صفة صلصال اللطف والجمال ولحقيقة ابليس النفس بصورة صفة مارج القهر والجلال فصار احدهما مظهرا لصورة لطفه والآخر لصورة قهره فبأى الاء ربكما تكذبان ايها الروح اللطيف والنفس الخبيثة لان كل واحد منكما قد ذاق ما جبل عليه من اللطف والقهر والطيب والخبث (رب المشرقين ورب المغربين) خبر مبتدأ محذوف اى الذى فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة يعنى ان ذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما اشارة الى ان الطرفين يتناولان ما بينهما كما اذا قلت فى وصف ملك عظيم الملك له المشرق

والمغرب فانه يفهم منه ان له مابينهما ايضا * قال فى كشف الاسرار احد المشرقين هو الذى تطلع منه الشمس فى اطول يوم من السنة والثانى الذى تطلع منه فى اقصر يوم وبينهما مائة وثمانون مشرقا وكذا الكلام فى المغربين وقيل احد المشرقين للشمس والثانى للقمر وكذا المغربان واما قول عبدالله بن عمر رضى الله عنهما مابين المشرق والمغرب قبلة يعنى لاهل المشرق وهو ان تجعل مغرب الصيف على يمينك ومشرق الشتاء على يسارك فتكون مستقبل القبلة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فى ذلك من فوائد لاتحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ماينا سب كل فصل فى وقته الى غير ذلك (مرج البحرين) اى ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها وخليتها للرعى والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب وبالفارسية راه داد دو دريارا كه يكى خوش وشيرين ويكى تلخ وشور (يلتقيان) حال من البحرين قريبة من الحال المقدرة اى يتجاوران ويتماس سطوحهما لافصل فى مرأى العين وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لايتغير طعمها وقيل ارسل بحر فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه قال سعدى المفتى وعلى هذا فقوله يلتقيان اما حال مقدرة ان كان المراد ارسالهما الى المحيط او المعنى اتحاد اصليهما ان كان المراد ارسالهما منه فلكل وجه (بينهما برزخ) اى حاجز من قدرة الله او من الارض والبرزخ الحائل بين الشيئين ومنه سمى القبر برزخا لانه بين الدنيا والآخرة وقيل للوسوسة برزخ الايمان لانها طائفة بين الشك واليقين (لايبغيان) اى لا يبغى احدهما على الآخر بالمزاحمة وابطال الخاصية مع ان شأنهما الاختلاط على الفور بل يبقيان على حالهما زمانا يسيرا مع ان شأنهما الاختلاط وانفعال كل واحد منهما عن الآخر على الفور اولا يتجاوز ان حديهما باغراق مابينهما من الارض لتكون الارض بارزة يتخذها اهلها مسكنا ومهادا فقوله لايبغيان امامن الابتغاء وهو الطلب اى لايطلبان غير ماقدر لهما او من البغى وهو مجاوزة كل واحد منهما ماحده (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس من البحرين شئ يقبل التكذيب لما فيه من الفوائد والعبر (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور يقال يلقيه الجن فى البحر وقال فى خريدة العجائب اللؤلؤ يتكون فى بحر الهند وفارس والمرجان ينبت فى البحر كالشجر واذا كاس المرجان عقد الرشح فمنه ابيض ومنه احمر ومنه اسود وهو يقوى البصر كحلا وينشف رطوبة العين انتهى وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره واعلم انه ان اريد بالبحرين هنا بحر فارس وبحر الروم فلا حاجة فى قوله منهما الى التأويل اذ اللؤلؤ والمرجان يعمانيه يخرجان منهما لان كلا منهما ملح ولاعذب فى البحار السبعة الا على قول من قال فى الآية يخرج من مالح بحرى فارس والروم ومن عذب بحر الصين وفى بحر العلوم ان اللؤلؤ يخرج من بحر فارس والمرجان من بحر الروم يعنى لا من كليهما وان اريد بهما البحر الملح والبحر العذب فنسبة خروجهما حينئذ الى البحرين مع انهما انما يخرجان من البحر الملح او مع انهما لايخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى وهو الاظهر او لانهما لايخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وهذا يحتمل معنيين احدهما ان الملتقى اسم مكان والخروج بمعنى الانتقال من الباطن الى الظاهر فانه قال الجمهور يخرج من الاجاج من المواضع التى يقع فيها الانهار والمياه العذبة فناسب اسناد ذلك اليهما وهذا مشهور عند الغواصين والثانى انه مصدر ميمى بمعنى الالتقاء والخروج بمعنى الحدوث والحدوث بمعنى الوجود فانه يحدث ويتكون من التقائهما واجتماعهما كما قال الرازى يكون العذب كالقاح للملح ونقل عن ابن عباس وعكرمة مولاه ان تكون هذه الاشياء فى البحر بنزول المطر لان الصدف تفتح افواهها للمطر فيكون الاصداف كالارحام للنطف وماء البحر كالجسد الغاذى ويدل على انه من المطر ماشتهر من ان السنة اذا اجدبت هزلت الحيتان وقلت الاصداف والجواهر وعلى هذا فضمير منهما للبحرين باعتبار الجنس فتأمل (فبأى الاء ربكما تكذبان) زيرا آن جوهرها كه بدان آرايش كنيد وازخريد وفروخت آن فوائد يابيد نعم ظاهره است پس بكدام ازين نعمتهاء پروردكار خود تكذيب ميكنايد وكفته اند مراد بحر آسمان وبحر زمين است كه هر سال متلاقى شوند وابر حاجز است كه منع ميكنند در باء آسمانرا ازنزول ودرياء زمين راازصعود ودرياء فلك قطرات برد رياء زمين ريخته بدهان صدف درمى آيد وازان درمنعقد كردد وقيل البحران على وفاطمة رضى الله عنهما والبرزخ النبى صلى الله عليه وسلم ويخرج منهما الحسن والحسين رضى الله عنهما وقيل هما العقل والهوى والبرزخ بينهما

لطف الله و يخرج منهما التوفيق والعصمة وقيل هما المعرفة والمعصية والحاجز العصمة ويخرج منهما الشوق والتوبة لايبغيان لاتؤثر المعصية فى المعرفة وقيل هما الدنيا والآخرة والبرزخ القبر وقيل الحياة والوفاة والبرزخ الاجل وقيل الحجة والشبهة والبرزخ النظر ويخرج منهما الحق والصواب امام قشيرى رحمه الله فرموده كه بحرين خوف ورجاست يا قبض وبسط و برزخ قدرت بى علت واؤلؤا حوال صافيه ومرجان لطايف وافيه صاحب كشف الاسرار شرح ميكند كه بحر خوف ورجا عامهٔ مسلمان راست وازان كوهر زهد وورع وطاعت وتقوى بيرون آيد وبحر قبض وبسط خواص مؤمنان راست وازان جواهر فقر و وجد زايد وبحر انس وهيبت انبيا وصديقان راكه ازان كوهر فنا روى نمايد تا صاحبش بمنزل بقا بيا سايد * زقعر بحر فنا كوهر فنا يابى * وكرنه غوطه خورى اين كهر كجا يابى * وقال بعض الكبار يشير الى مروج بحر الروح وحركته بالتجليات الذاتية والى مروج بحر القلب وحركته بالتجليات الصفاتية والتقائهما فى مقام الوحدة مع بقاء برزخ معنوى بين هذين البحرين المشار بهما الى ما ذكر بحيث لايبغى بحر الروح على بحر القلب لعدم نزوله بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر القلب ولا يغلب بحر القلب على بحر الروح لعدم عروجه بالكلية لئلا يفنى خاصية بحر الروح كما قال وما منا الا له مقام معلوم يخرج لؤلؤ التجليات الذاتية من باحة بحر الروح ومرجان التجليات الصفاتية من لجة بحر القلب ويجوز ان يخرجا مجتمعين من اتحاد بحر الروح و بحر القلب مع بقاء امتياز مابينهما وقال بعضهم يشير الى بحر القدم والحدوث وبحر القدم عذب من حيث القدم وبحر الحدوث ملح من حيث علل الحدوثية وبينهما حاجز عزة وحدانيته بحيث لايختلط احدهما بالآخر لانه منزه عن الحلول فى الاماكن والاستقرار فى المواطن يخرج من بحر القدم القرآن والاسماء والنعوت ومن بحر الحدوث العلم والمعرفة والفطنة وايضا يشير الى بحر القلب الذى هو بحر الاخلاق المحمودة وبحر النفس الذى هو بحر الاخلاق المذمومة ولايختلطان بحيث يصير القلب نفسا والنفس قلبا لان بينهما العقل والعلم والشريعة والطريقة فاذا صارت النفس مطمئنة يخرج منها ومن القلب الايمان والايقان والصفاء والنور والطمانينة وقال ابن عطاء رحمه الله بين العبد و بين الرب بحران عميقان احدهما بحر النجاة وهو القرآن من تعلق به نجا لان الله تعالى يقول واعتصموا بحبل الله جميعا و بحر الهلاك وهو الدنيا من ركن اليها هلك انتهى (وله الجوار) هذه اللام لها معنيان احدهما انها لام الملك والثانى انها لام الاستحسان والتعجب كقولهم لله انت لله درك كما فى كشف الاسرار والجوار بكسر الراء اصله الجوارى بالياء بمعنى السفن جمع جارية اقيمت الصفة مقام الموصوف قال ابن الشيخ اعلم ان الاركان اربعة التراب والماء والهواء والنار فالله تعالى بين بقوله خلق الانسان من صلصال ان التراب اصل لمخلوق شريف مكرم عجيب الشان وبين بقوله وخلق الجان من مارج من نار ان النار ايضا اصل لمخلوق آخر عجيب الشان وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ان الماء ايضا اصل لمخلوق آخر له قدر وقيمة ثم ذكر ان الهواء له تأثير عظيم فى جرى السفينة كالاعلام فقال وله الجوار وخصها بالذكر لان جريانها فى البحر لاصنع للبشر فيه وهم معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك واذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة وسميت السفينة جارية لان شأنها الجرى فى البحر وان كانت واقفة فى الساحل والمراسى كما تسمى المملوكة ايضا جارية لان شانها الجرى والسعى فى حوائج سيدها (المنشآت) المرفوعات الشرع على ان يكون من انشاه اذا رفعه والشرع بضمتين جمع شراع وهو الذى يسمى بالفاسية بادبان ولا يبعد ان يكون المنشآت بمعنى المرفوعات على الماء فتكون جارية على ماهى له كما فى حاشية سعدى المفتى او معنى المنشآت المصنوعات اى المخلوقات على ان يكون من انشاه الله اى خلقه (فى البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل اى كالجبال الشاهقة عظما وارتفاعا وهو حال من ضمير المنشآت والسفن فى البحر كالجبال فى البر كما ان الابل فى البر كالسفن فى البحر (فبأى الاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر بايسات لقطع المسافات الكثيرة فى الاوقات القليلة وحصول المعاملات والتجارات لايقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه وفيه اشارة الى جريان سفن الشريعة والطريقة المرفوعات الشرع باحكام الشريعة وآداب الطريقة فى بحر الوحدة الحقيقية كالجبال العظام مشحونات بمنافع كثيرة من الطاعات والعبادات على مقتضى علم الشريعة والواردات القلبية

والالهامات الغيبية على قانون ارباب الطريقة كما فى التأويلات النجمية (كل من عليها فان) الهاء كناية عن غير مذكور كقولهم اذا انهى السفيه جرى اليه والمعنى كل من على الارض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب على الوجهين اومن الثقلين فان اى هالك لامحالة بعنى سرانجام كار فانى شوند ولما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلكت بنوا آدم فلما نزلت كل نفس ذائقة الموت ايقنوا بهلاك انفسهم فان لهم اجساما لطيفة وارواحا متعلقة بتلك الاجسام كارواح الانسان واما الارواح المجردة المهيمة العالية فلا تفنى (ويبقى وجه ربك) اى ذاته ومنه كرم الله وجهه اى ذاته فالوجه العضو المعروف استعير للذات لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخشوع قال القاضى ولوا ستقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الاوجه الله الذى بلى جهته انتهى قال سعدى المفتى فى حاشية هذا المحل هذا اشارة الى وجه آخر وهو ان يكون الوجه بمعنى القصد اى ما يقصد وينوى به الله والجهات بمعنى المقاصد وفى العبارة نوع تسامح وقوله بلى جهته اى مقصده والاضافة للبيان اى يتوجه اليه انتهى وقال ابن الشيخ اشارة الى ان الوجه يجوز ان يكون كناية عن الجهة بناء على ان كل جهة لاتخلو عن وجه يتوجه اليها كما ذكر فى قوله فى جنب الله اى كل من عليها من الثقلين وما اكتسبوه من الاعمال هالك الا ما توجهوا به جهة الله وعملوه ابتغاء لمرضاته انتهى وقال الشيخ ابن نور الدين رحمه الله الماهيات تنقسم الى ثلاثة اقسام واجب الوجود وممتنع الوجود وممكن الوجود اما الواجب فهو وجوده بحت واما الممتنع فهو عدم محض واما الممكن فهو مركب منهما وذلك لان له وجودا وماهية عارضة على وجوده فماهيته امر اعتبارى معدوم فى الخارج لايقبل الوجود فيه من حيث هو هو ووجوده موجود لايقبل العدم من حيث هو هو فكان الممكن موجودا ومخلوقا من وجود وعدم وهذه الجميعة تقبل الوجود والعدم ومن هذا ظهر حقيقة ماقال البيضاوى ولو استقريت الخ وماقاله الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى تفسير قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه حيث قال الضمير راجع الى الشئ انتهى (ذو الجلال والاكرام) صفة وجه اى ذو الاستغناء المطلق او العظمة فى ذاته وصفاته وذو الفضل التام وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال عليه السلام الظوا بيا ذا الجلال والاكرام يعنى ملازم بكوييد ياذا الجلال والاكرام وفى تاج المصادر الاظاظ ملازم كرفتن ودائم شدن باران والالحاح ايضا وفى القاموس اللظ اللزوم والالحاح وعنه عليه السلام انه مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال استجيب لك الدعاء فالدعاء بهاتين الكلمتين مرجو الاجابة وفى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء قال الطيبى كيف افرد الضمير فى قوله وجه ربك وثناه فى ربكما والمخاطب واحد قلت اقتضى الاول تعميم الخطاب لكل من يصلح للخطاب لعظم الامر وفخامته فيندرج فيه الثقلان اندراجا اوليا ولا كذلك الثانى فتركه على ظاهره وفى قوله كل من عليها فان اشارة الى فناء كل من على ارض البشرية اما بالموت الطبيعى منغمسا فى بحر الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية واما بالموت الارادى منسلخا عن الصفات البشرية ملتبسا بالصفات الروحانية وتغليب من اشارة الى ذوى العقول السليمة عن آفات القوة الوهمية والخيالية فانهم بذكاء فطرتهم ونقاء طينتهم يفنون عن الاحكام الطبيعية ويبقون بالتجليات الالهية وبقوله ويبقى وجه الخ اشارة الى فناء الكثرة النسبية الاسمائية وبقاء الوحدة الحقيقية الذاتية الموصوفة بالصفة الجلالية القهرية والجمالية اللطفية فبأى آلاء ربكما تكذبان مما ذكرنا من افناء الحياة المجازية وابقاء الحياة الحقيقية واظهار الصفة اللطفية فى حق مستحق اللطف واظهار الصفة القهرية فى حق مستحق القهر لعلمه المحيط باستحقاقهما وقال بعضهم لو نظرت بنظر التحقيق فى الكون واهله لرأيت حقيقة فنائه وفناء اهله وان كان فى الظاهر على رسم الوجود لان من يكون قيامه بغيره فهو فان فى الحقيقة اذ لا يقوم بنفسه ولا نفس له فى الحقيقة فان الوجود الحقيقى وجود القدم لذلك اثنى على نفسه بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (قال الشيخ المغربى) سايه هستى ميمايد ليك اندر اصل نيست * نيست را زهست بشناختى بابى نجات (وقال المولى الجامى) تو در ميانه هيچ نه هرچه هست اوست *

هم خود الست كو يدوهم خود بلى كنند * وفى ذكر وجهه الباقى تسلية لقلوب العشاق اى انا ابقى لكم ابدا لاتفنوا فان لكم ماوجدتم فى الدنيا من كشف جمالى ويتسرمد ذلك لكم بلا حجاب ابدا وفى ذكر الجلال تهييج لاهل المحبة والهيبة وفى كاف الوحدة اشارة الى حبيبه عليه السلام يعنى كشف الوجه باق لك ابدا اريتك وجهى خاصة ثم العشاق اتباع لك فى النظر الى وجهى فاول الكشف لك ثم للعموم واعلم ان وجود الباقى جميعه وجه وبين التجليات تفاوت وفى الحديث ان الله يتجلى لابى بكر خاصة ويتجلى للمؤمنين عامة (يسأله) يخوا هند اورا بعنى ميطلبند از وى (من فى السموات والارض) قاطبة مايحتاجون اليه فى ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال وبلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لوا نقطع مابينهم وبين العناية الالهية من العلائق لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم فى كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاهل السماء يسألونه المغفرة واهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة وفى كشف الاسرار مؤمنان دوكروه اند عابدان وعارفان هر سؤال بريكى برقدر همت اوونواخت هريكى سزاى حوصلة او * هر كسى ازهمت والاى خويش * سود برددر خور كالاى خويش * عابد همه ازوخواهد عارف خود اورا خواهد احمد بن ابى الجواري حق رابخواب ديد كفت جل جلاله ياأحمد كل الناس يطلبون منى الا ابايزيد فانه يطلبنى

فسرت اليه فى طلب المعالى * وسار سواى فى طلب المعاش

(كل يوم) اى كل وقت من الاوقات وهواليوم الالهى الذى هوالآن الغير المنقسم وهو بطن الزمان فى الحقيقة (هو) تعالى (فى شأن) من الشؤن التى من جملتها اعطاء ماسألوافانه تعالى لايزال ينشئ اشخاصا ويفنى آخرين ويأتى بأحوال ويذهب بأحوال من الغنى والفقر والعزة والذلة والنصب والعزل والصحة والمرض ونحو ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح البالغة وفى الحديث (من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع اخرين) قال الحسين بن الفضل هوسوق المقادير الى المواقيت وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال خلق الله تعالى لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوته حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وهوماً خوذ من قوله عليه السلام ان الرب ليتجلى الى عباده كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يبدئ ويعيد وذلك من حبه خلقه ويدل على هذا الحب مايقال من ان الله تعالى يحيى كل يوم الفا واحدا ويميت الفا فالحياة الفانية اذا كانت خير التحصيل الحياة الباقية فاظنك بفضيلة الحياة الباقية وعن عيينة الدهر كله عند الله يومان احدهما اليوم الذى هومدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب والثواب والعقاب قال مقاتل نزلت الآية فى اليهود حين قالوا ان الله لايقضى يوم السبت شيئا ففيها ردلهم وقوله كل ظرف للدال عليه هوفى شأن اى يقلب الامور كل يوم اويحدثها كل يوم اونحوه كما فى بحر العلوم (فباى آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لماذكر من احسانه وفى بحر الحقائق يشير الى تجلى الحق فى كل زمن فرد ونفس فرد على حسب المتجلى له واستعداده ولانهاية للتجليات فبباى آلاء ربكما تكذبان من تجلى الحق بصور مطلوبكم وايجاده من كتم العدم ووجود محبوبكم *كل يوم هوفى شأن چه شانست بدو * هر زمان جلوهٔ ديكر شود از پرده عيان * جلوهٔ حسن تراغايت وپايانى نيست * يعنى اوصاف كمال تو ندارد پايان * قال البقلى يسأله من فى السموات من الملائكة كلهم على قدر مقاماتهم يسأله الخائف النجاة من البعد والحجاب ويسأله الراجى الوصول الى محل الفرح ويسأله المطيع قوة عبادته وثواب طاعته ويسأله المحب ان يصل اليه ويساله المشتاق ان يراه ويسأله العاشق ان يقرب منه ويسأله العارف ان يعرفه بمزيد المعرفة ويسأله الموحد ان يفنى فيه ويستغرق فى بحر شهوده ويسأله الجاهل علم مايحجبه عنه ويسأله العالم مايعرفه به وكذا كل قوم على قدر مراتبهم ودرجاتهم وهو تعالى فى كل يوم هوفى شأن والشأن الحال والامر العظيم (سنفرغ لكم) اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هوفى شأن فلا يبقى

حينئذ الاشأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم على المجاز المرسل فان الفراغ يلزمه التجرد والا فليس المراد الفراغ من الشغل لانه تعالى لايشغله شأن عن شأن وقيل هو مستعار من قول المهدد لصاحبه سأفرغ لك اى سأتجرد للايقاع بك من كل مايشغلنى عنه والمراد التوفر على التكاية فيه والانتقام منه فالخطاب للمجرمين منهما بخلاف ما عدا على الاول (ايه الثقلان) قال الراغب الثقل والخفة متقابلان وكل مايتر جح على مايوزن به او يقدر به يقال هو ثقيل واصله فى الاجسام ثم يقال فى المعانى اثقله الغرم والوزر انتهى والمراد هنا الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض يعنى انهما شبها بثقلى الدابة وفى حواشى ابن الشيخ شبه الارض بالحمولة التى تحمل الاثقال والانس والجن جعلا اثقالا محمولة عليها وجعل ماسواهما كالعلاوة اولزانه آرائهما اولانهما متقلان بالتكليف اولعظم قدرهما فى الارض كما فى الحديث (انى خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى) وقال الصادق رضى الله عنه سميا ثقلين لانهما يثقلان بالذنوب اولما فيهما من الثقل وهو عين تأخرهما بالوجود لان من عادة الثقيل الابطاء كما ان من عادة الخفيف الاسراع والانس اثقل من الجن للركن الاغلب عليهم (فبأى آلاء ربكما) التى من جملتها التنبيه على ما سيقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدى الى سوء الحساب (تكذبان) باقوالكما واعمالكما قال فى كشف الاسرار اعلم ان بعض هذه السورة ذكر فيه الشدائد والعذاب والنار والنعمة فيها من وجهين احدهما فى صرفها عن المؤمنين الى الكفار وتلك النعمة عظيمة تقتضى شكرا عظيما والثانى ان فى التخويف منها والتنبيه عليها نعمة عظيمة لان اجتهاد الانسان رهبة مما يؤلمه اكثر من اجتهاده رغبة فيما ينعمه (يامعشر الجن والانس) هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لاتفى بما كلفوه والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغه غاية الكثرة فان العشر هو العدد الكامل الكثير الذى لاعدد بعده الابتركيبه بما فيه من الاحاد تقول احد عشر واثنا عشر وعشرون وثلاثون اى اثنتا عشرات وثلاث عشرات فاذا قيل معشر فكأنه قيل محل العشر الذى هو الكثرة الكاملة وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لتقدم خلقه والانس على الجن فى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن لفضله فان التقديم يقتضى الافضلية قال ابن الشيخ لما بين الله تعالى انه سيجئ وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة اهتمامه بها كان مظنة ان يقال فلم ذلك مع ماله من كمال الاهتمام به فاشار الى جوابه بما محصوله انهم جميعا فى قبضة قدرته وتصرفه لايفوته منهم احد فلم يتحقق باعث يبعثه على الاستعجال لان مايبعث المستعجل على الاستعجال انما هو خوف الفوت وحيث لم يخف ذلك قسم الدهر كله الى قسمين احدهما مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة وجعل المدة الاولى ايام التكليف والابتلاء والمدة الثانية للحساب والجزاء وجعل كل واحدة من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا والنوائب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلا للفرار منهما والهرب مما قضاه فيهما فقوله يامعشر الجن متعلق بقوله سنفرغ لكم فكانا بمنزلة كلام واحد (ان استطعتم) لم يقل ان استطعتما لان كل واحد منهما فريق كقوله فاذاهم فريقان يختصمون اى كل فريق منهم يختصم فجمع الضمير هنا نظرا الى معنى الثقلين وثناه فى قوله يرسل عليكما كما سيأتى نظرا الى اللفظ اى ان قدرتم على (ان تنفذوا من اقطار السموات والارض) قال فى القاموس النفاذ جواز الشئ عن الشئ والخلوص منه كالنفوذ ومخالطة السهم جوف الرمية وخروج طرفه من الشق الاخر وسائره فيه كالنفذ ونفذهم جازهم وتخلفهم كانفذهم والنافذ الماضى فى جميع اموره انتهى والاقطار جمع قطر بالضم وهو الجانب والمعنى ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه (فانفذوا) فاخرجوا منها وخلصوا انفسكم من عقابى وهو امر تعجيز والمراد انهم لايفوتونه ولايعجزونه حتى لايقدر عليهم (لاتنفذون) لاتقدرون على النفوذ (الا بسلطان) اى بقوة وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد (روى) ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فيهرب الانس والجن فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به فتقول لهم الملائكة ذلك فكما لايقدر احد على الفرار يوم القيامة كذلك لايقدر فى الدنيا فيدركه الموت والقضاء لامحالة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة (يرسل عليكما شواظ) هو لهب خالص لادخان فيه اود خان النار وحرها

كما فى القاموس قال سعدى المفتى والله اعلم انها استئناف جوابا عن سؤال الداعى الى الهرب والفرار وان ذلك حين يساق الى المحشر كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما اى يرسل عليكما لهب بلا دخان ليسوقكم الى المحشر (من نار) متعلق بيرسل والتنوين فيهما للتفخيم (ونحاس) اى دخان او صفر مذاب يصب على رؤسهم وفى المفردات النحاس اللهب بلا دخان وذلك تشبيه فى اللون بالنحاس وفى القاموس النحاس مثلثة عن ابى العباس الكواشى القطر والنار وماسقط من شرار الصفر او الحديد اذا طرق (فلا تنتصران) اى لا تمتنعان من ذلك العذاب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من بيان عاقبة الكفر والمعاصى والتحذير عنها فانها لطف ونعمة واى لطف ونعمة (فاذا انشقت السماء) اى انصدعت يوم القيامة وانفك بعضها من بعض لقيام الساعة او انفرجت فصارت ابوابا لنزول الملائكة كقوله تعالى و يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وفى الخبر من نار جهنم اذا كشف عنها (فكانت وردة) كوردة حمراء فى اللون وهى الزهرة المعروفة التى تشم والغالب على الورد الحمرة قال

ولو كنت وردا لونه لعشقتنى * ولكن ربى شانى بسواديا

وقيل لان اصل لون السماء الحمرة وانما ترى زرقاء للبعد والحوائل ولان لون النار اذا خالط الازرق كساه حمرة (كالدهان) خبر ثان لكانت اى كدهن الزيت فكانت وفى حمرة الوردة وفى جريان الدهن اى تذوب وتجرى كذوبان الدهن وجريه فتصير حمراء من حرارة جهنم وتصير مثل الدهن فى رقته وذوبانه وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالادام لما يؤتدم به وجواب اذا محذوف اى يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال قال سعدى المفتى ناصب اذا محذوف اى كان ماكان من الامر الهائل الذى لا يحيط به نطاق العبارة او رأيت امرا عظيما هائلا وبهذا الاعتبار تنسب هذه الجملة عما قبلها لان ارسال الشواظ يكون سببا لحدوث الامر الهائل اورؤيته فى ذلك الوقت (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ) اى يوم اذا انشقت السماء حسب ماذكر (لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) لانهم يعرفون بسيماهم فلا يحتاج فى تمييز المذنب عن غيره الى ان يسأل عن ذنبه ان اراد احد ان يطلع على احوال اهل المحشر وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف فوجا فوجا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا فانه اعلم بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا وعنه ايضا لا يسألون سؤال شفاء وراحة وانما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كأنه قيل لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جنى واراد بالجان الجن كما يقال تميم ويراد ولده (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه وفيه اشارة الى شعاشع انوار الطاعة والعبادة على صفحات وجنات انس الروح والى تراكم ظلمات المعصية والتمرد وسلاسل الطغيان واغلال العصيان على صفحات وجوه جن النفس المظلمة واعناقهم المتمردة الآبية عن الطاعة والانقياد فباى الاء ربكما تكذبان مما انعم الله على عباده المنقادين فى هذا اليوم ومما انتقم من عباده المتمردين فى ذلك اليوم فان الانتقام من الاعداء نعمة على الاحباب ولذا ورد الحمد عقيبه كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وكمال الانتقام بافناء اوصاف النفس الامارة بالكلية (يعرف المجرمون بسيماهم) السيما والسيماء بالكسر والقصر والمد العلامة والجملة استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن كما يعرف الصالحون باضداد ذلك (فيؤخذ بالنواصى والاقدام) النواصى جمع ناصية وهى مقدم الرأس والمراد هنا شعرها والجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه وأخذ به اذا كان المأخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى اخذ الله بيدك والمعنى تأخذ الملائكة بنواصيهم اى بشعور مقدم رؤسهم واقدامهم فيقذفونهم فى النار او تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بالنواصى وتجرهم على وجوههم او يجمع بين نواصيهم واقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من المواعظ والزواجر (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) على ارادة القول اى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ (يطوفون بينها) اى يدورون بين النار يحرقون بها (وبين حميم آن)

اى ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه اى يطوفون من النار الى الحميم ومن الحميم الى النار دهشا وعطشا ابدا من انى أنى فهو آن مثل قضى يقضى فهو قاض اذا انتهى فى الحر والفيح قال ابو الليث يسلط عليهم الجوع فيؤتى بهم الى الزقوم الذى طلعها كرؤس الشياطين فأكلوا منها فأخذت فى حلوقهم فاستغاثوا بالماء فأوتوا به من الحميم فاذا قربوه الى وجوههم تناثر لحم وجوههم ويشربون فتغلى احوافهم ويخرج جميع مافيها ثم يباق عليهم الجوع فمرة يذهب بهم الى الحميم ومرة الى الزقوم وقال كعب الاحبار ان وادياً من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا فالآلاء فى امثالها حكاياتها فقط للانزجار مما يؤدى الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصى بخلاف ما فصل فى اول السورة الى قوله كل يوم الخ فانها نعم واصلة اليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على مايؤدى الى استدامتها وفى الآية اشارة الى الكاسبين بقدم مخالفة الشرع وموافقة الطبع الصفات الذميمة والاخلاق الرذيلة وهم يطوفون بين نار المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وبين حميم الجهل فانه لايقطع العطش ولايروى الظمأ وانما ينفع للانسان فى الدنيا والآخرة العلم القطعى والكشف الصحيح الاترى الى علوم اهل الجدل فانها فى حكم الجهل لان اهلها منغمسون فى الشهوات واللذات مستغرقون فى الاوهام والخيالات ولما نبه الله الامام الغزالى رحمه الله وايقظه ونظر فاذا علومه التى صرف شطرا من عمره فى تعلمها وتعليمها لاتنقذه فى الآخرة رجع الى كتب الصوفية فتيقن انه ليس انفع من علومهم لكون معاملاتها ذات الله وصفاته وافعاله وحقائق القرآن واسراره فترك التدريس ببغداد وخرج الى طلب اهل تلك العلوم حتى يكون منها على ذوق بسبب صحبتهم فوفقه الله فكان من امره ماكان وقد قال ابو يزيد البسطامى قدس سره اخذنا علمكم ميتا عن ميت واخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت وقال الامام فخر الدين للشيخ نجم الدين قدس سره بم عرفت ربك قال بواردات ترد على القلوب فتعجز النفوس فى تكذيبها فالنفس كجهنم فيها نار الشهوات وحميم الجهالات فمن زكاها فى الدنيا عن اوصافها نجا يوم القيامة من الاحتراق والافتراق نعوذ بالله من سوء الحال وسيئات الاعمال وقبائح الاحوال * نمى تازد اين نفس سركش چنان * كه عقلش تواند كرفتن عنان * كه با نفس وشيطان برآيد بزور * مصاف پلنكان نيايد زمور (ولمن خاف مقام ربه) و براى كسى كه بترسد از ايستادن پيش خداى تعالى وهو شروع فى تعداد النعم الفائضة عليهم فى الآخرة بعد تعداد ماوصل اليهم فى الدنيا من الآء الدينية والدنيوية والمقام اسم مكان ومقامه تعالى موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين فالاضافة للاختصاص الملكى اذ لامالك يومئذ الا الله تعالى قال فى عين المعانى نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه حين شرب لبنا حسن ظنه فاعجبه ثم اخبرانه من غير حل فاستقاء فقال صلى الله عليه وسلم لما سمعه رحمك الله لقد انزلت فيك آية ودخل فيه من هم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله (جنتان) جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى على طريق التوزيع فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما اولكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله اوجنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصى اوجنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه اوروحانية وجسمانية وكذا ماجاء مثنى بعد وقال فى الموضح دوباغ دهد ايشانرا در بهشت كه يكى ازايشان صد ساله راه طول وعرض داشته باشد ودرميان هرباغ سراهاى خوش وحوزان دلكش وقال الاستاذ القشيرى رحمه الله جنة معجلة هى لذة المناجاة والتلذذ بحقائق المشاهدات ومايرد على قلوبهم من صدق الواردات وجنة مؤجلة وهى الموعودة فى الآخرة وفى بحر العلوم قيل جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى لان الخطاب للثقلين وفيه نظر لقوله عليه السلام ان مؤمنى الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من اهل الجنة مع امة محمد هم على الاعراف حائط الجنة تجرى فيه الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار يقول الفقير قد سبق فى اواخر الاحقاف ان المذهب ان الجن فى حكم بنى آدم ثوابا وعقابا لانهم مكلفون مثلهم وان لم نعلم كيفية ثوابهم فارجع الى التفصيل فى تلك السورة (فباى آلاء ربكما تكذبان) قال محمد بن الحسن رحمه الله بينا كنت نائما ذات ليلة اذا انا بالباب يدق ويقرع

فقلت انظروا من هو فقالوا رسول الخليفة يدعوك فخفت على روحي فقمت ومضيت اليه فلما دخلت عليه قال دعوتك في مسألة ان ام محمد يعني زبيدة قلت لها اني امام العدل وامام العدل في الجنة فقالت انك ظالم عاص قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله تعالى وحرمت عليك فقلت له يا امير المؤمنين اذا وقعت في معصية فهل تخاف الله في تلك الحال او بعدها فقال اي والله اخافه خوفا شديدا فقلت له انا اشهد ان لك جنتين لا جنة واحدة قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فلا طفني وامرني بالانصراف فلما رجعت الى داري رأيت البدر منيا درة الى قال بعضهم هو المقام الذي يقوم بين يدي ربه يوم القيامة عند كشف الستور وظهور حقائق الامور وسكوت الكل من الانبياء والاولياء لظهور القدرة والجبروت فلا بد من الخوف من القيام في ذلك المقام الهائل مالك بن دينار گفته دلى كه دروخوف نه همچون خانهٔ كه در وخداوندنه خانهٔ كه دروخد اوند نبود عنقريب آن خانه خراب شود ودلى كه دروخوف بود علامتش آنست كه خاطررا ازحرمت پركندو اخلاق را مهذب گرداند واطراف بادب دارد ابو القاسم حكيم گفته كه ترس ازخالق ديگراست وترس ازمخلوق ديگر هر كه ازمخلوق ترسدازوى بگريزدوهر كه ازخالق ترسد باوى گريزد يقول الله تعالى (ففروا الى الله) ترس از الله باشهوت ودينار نسازدهر كه اسيرشهوت گشت ترس ازدل وى رخت برداشت ودردست ديو افتاد تا بهردرى كه بخواهد اورامى كشدد رآثار بيارند كه يحيى عليه السلام بر ابليس رسيده ودر دست ابليس بندها ديد ازهر جنس وهررنك گفت اى شقى اين چه بندها ست كه در دست تومى بينم گفت اين انواع شهوات فرزند آدم است كه ايشارا باين دربندآرم وبمراد خويش مى درام گفت يحيى راهيچ چيز شناسى كه با آن دروى طمع كنى گفت نه مگريك چيز كه هر گه كه طعام سيرخور دگرانى طعام اوراساعتى ازنماز وذكر الله مشغول دارد يحيى گفت ازخداى عزوجل پذيرفتم وباوى عهد بستم كه هرگز طعام سيرنخورم بزكى را پرسيدند كه خداى تعالى با اندوه كنان وترسندكان چه خواهد گفت اگر اندوه براى اودارند ومحل ترس ازبهرا وگشتند هنوز نفس ايشان منقطع نشده باشد كه جام رحيق بردستشان نهند بران نبشته كه ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة * اندوه غريبان بسرآيدروزى * دركار غريبان نظر آيدروزى * ترسند كانرا واندوه كنانرا چهاربهشت است دو بهشت سيمين ودو بهشت زرين كما قال عليه السلام جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وفي التأويلات النجمية يشير الى من يخاف مقام الشهود ابقاء على نفسه لان الشهود الحقيقي يفني الشاهد عن شاهديته في المشهود ويفنيه بالمشهود من آخر مراتب المشاهدة اذ لا لذة في اوائل المشاهدة واليه اشار عليه السلام بقوله اللهم ارزقنا لذة النظر الى لقائك وبهذا المعنى كان يقول عائشة رضي الله عنها حين يغيب عن حسه كلمني ياحميراء للتبليغ والارشاد وقوله جنتان اى جنة الفناء في نعمة المشهود وجنة البقاء بالمشهود وقوله مقام ربه اى مقام شهود ربه بحذف المضاف فبأي الاء ربكما تكذبان من نعمة الفناء في الله ونعمة البقاء بالله (ذواتا افنان) صفة جنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ وذواتا تثنية ذات بمعنى صاحبة وفي تثنيتها لغتان الرد على الاصل فان اصلها ذوية لانها مؤنثة ذوى والتثنية على اللفظ ان يقال ذاتا والافنان جمع فن اى ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن وهو الغصن المستقيم طولا او الذي ينشعب من فروع الشجرة اى ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل وتجتنى منها الثمار يعني ان في الوصف تذكيرا لها على سبيل الكناية كانه قيل ذواتا اوراق واثمار واظلال (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وليس فيها شئ يقبل التكذيب (فيهما عينان تجريان) صفة اخرى لجنتان فصل بينهما بقوله فبأي الاء الخ مع انه لم يفصل به بين الصفات الكائنة من قبيل العذاب حيث قال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس مع ان ارسال النحاس غير ارسال الشواظ اى في كل واحدة منهما عين من ماء غير آسن تجرى كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل لما علم من وصف انهار الجنة لا من حذف المفعول وقيل تجريان من جبل من مسك عن ابن عباس والحسن رضي الله عنهم تجريان بالماء الزلال احدا هما التسنيم والاخرى السلسبيل وقال ابو بكر الوراق رحمه الله فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله تعالى بران ازدوسر چشمهٔ ديده جوى * ورآلايشى دارى ازخود بشوى * نريزد خدا آب روى كسى *

كه ريزد كناه آب چشمش بسى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فيه اشارة الى ان فى جنة الفناء عينا يجرى فيها ماء الحياة وهى البقاء بعد الفناء وفى جنة البقاء عينا يجرى فيها ماء العلم والمعرفة والحكمة والبقاء بعد الفناء يستلزم انواع المعارف والحكم واصناف الموائد والنعم فبأى الاء ربكما تكذبان يا اصحاب السكر والغيبة ويا ارباب الصحو والحضور كما فى التأويلات النجمية (فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان معهود وغريب لم يره احد ولم يسمع او رطب ويابس اوحلو وحامض ويقال لونان وقيل فى المنظر دون المطعم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما فى الدنيا حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا انه حلو وذلك لان ما فى الجنة خلق من حلاوة الطاعات فلا يوجد فيها المر المخلوق من مرارة السيئات كزقوم جهنم ونحوه ولكون الجنة دار الجمال لا يوجد فيها اللون الاسود ايضا لانه من آثار الجلال والجملة صفة اخرى لجنتان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) اى من هذه النعم اللذيذة (متكئين) حال من الخائفين لان من خاف فى معنى الجمع والمعنى يحصل لهم جنتان متكئين اى جالسين جلسة الملوك جلوس راحة ودعة معتمدين (على فرش) جمع فراش بالكسر وهو ما يفرش ويبسط ويستمهد للجلوس والنوم (بطائنها) جمع بطانة وهى بالكسر من الثوب خلاف ظهارته بالفارسية آستر (من استبرق) قرأ ورش عن نافع ور ويس عن يعقوب من استبرق بحذف الالف وكسر النون لالقاء حركة الهمزة عليها والباقون باسكان النون وكسر الالف وقطعها والاستبرق ما غلظ من الديباج قيل هو استفعل من البريق وهو الاضاءة وقيل من البرقة وهو اجتماع الوان وجعل اسما فاعرب اعرابه وقد سبق شرحه فى الدخان والمعنى من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهارها يعنى ان الظهارة كانت اشرف واعلى كما قال عليه السلام لمنا ديل سعد بن معاذ فى الجنة احسن من هذه الحلة فذكر المنديل دون غيره تنبيها بالأدنى على الأعلى وقيل ظهارها من سندس اومن نور اوهو مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين (وجنى الجنتين دان) جنى اسم بمعنى المجنى كالقبض بمعنى المقبوض لقول على رضى الله عنه هذا جنائى وخياره فيه * وكل جان يده الى فيه * ودان من الدنو وهو القرب اصله دانو مثل غازواى ما يجتنى من اشجارها من الثمار قريب ينا له القائم والقاعد والمضطجع وبالفارسية ميوه درختان آن دو بهشت نزديكست كه دست قائم وقاعد ومضطجع بدان رسد وقال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقال قتادة لا يرديه بعد ولا شوك ولكنه اند كسانى كه تكيه دارند وميوه اروز كند شاخ درخت سر فرود آرد وآن ميوه كه خواهد بدهان وى در آيد يقول الفقير ان البعد انما نشأ من كثافة الجسم ولا كثافة فى الجنة واهلها اجسام لطيفة نورانية فى صور الارواح وقد قال من قال (مصرع) بعد منزل نبود در سفر روحانى * وايضا ان الطاعات فى الدنيا كانت فى مشيئة المطيع فثمراتها ايضا فى الجنة تكون كذلك فيتناولها بلا مشقة بل لا تناول اصلا فان سهولة التناول تصور لسهولة الاكل فتلك الثمار تقع فى الفم بلا اخذ على ما قال البعض (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من هذه الآلاء اللذيذة الباقية (فيهن) اى فى الجنان المدلول عليها بقوله جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين اولكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله متكئين (قاصرات الطرف) من اضافة اسم الفاعل الى منصوبه تخفيفا ومتعلق القصر وهو على ازواجهن محذوف للعلم به والمعنى نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم وتقول كل منهن لزوجها وعزة ربى ما ارى فى الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك وقصر الطرف ايضا من الحياء والغنج وكون قصر الطرف بمعنى حيا وغنج بود معنى قاصرات الطرف انست كه كنيز كان بهشتى نازنينان اندازناز فروشكسته چشمان اند * وقد يقال المعنى قاصرات طرف غيرهن عليهن اى اذا رآهن احد لم يتجاوز طرفه الى غيرهن لكمال حسنهن (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) الجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية يقال طمث المرأة من باب ضرب اذا افتضها بالتدمية اى اخذ بكارتها فالطمث الجماع المؤدى الى خروج دم البكارة ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وفى القاموس الطمث المس والمعنى لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف يعنى حوران كه براى انس مقرر اند دست آدمى بدامن ايشان نرسيده باشد وانانكه براى جن مقرر اند جن

نيز در ايشان تصرف نكرده باشد فهن كالرياض الانف وهى التى لم ترعها الدواب قط وفيه ترغيب لتحصيلهن اذ الرغبة للابكار فوق الرغبة للثيبات ودليل على ان الجن من اهل الجنة وانهم يطمثون كما يطمث الانس فان مقام الامتنان يقتضى ذلك اذلولم يطمثوا كمن قبلهم لم يحصل لهم الامتنان به واكن ليس لهم ماء كماء الانسان بل لهم هواء يدل الماء وبه يحصل العلوق فى ارحام اناثهم كما فى الفتوحات المكية وهذا يستدعى ان لا تصح المناكحة بين الانس والجن وكذا العكس وقد ذهب الى صحتها جم غفير من العلماء منهم صاحب آكام المرجان واما قول ابن عباس رضى الله عنهما المخنثون اولاد الجن لان الله ورسوله نهيا ان يأتى الرجل امرأته وهى حائض فاذا اتاها سبقه اليها الشيطان فحملت فجاءت بالمخنث وكذا قول مجاهد اذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فلا يدل دلالة قطعية على ان جماعهن كجماع الانس وان من جماعهم الانس يحصل العلوق بل فيه دلالة على شركة الجن معه بسبب الحيض وعدم التسمية كشركة الشيطان فى الطعام الذى لم يسم عليه ونحوه فهو افساد بالخاصية واضرار بما يليق بمقامه والعلم عند الله تعالى ثم ان هؤلاء اى قاصرات الطرف من حور الجنة المخلوقات فيها ما يتذللن ولم يمسسن وهذا قول الجمهور وقال الشعبى والكلبى من نساء الدنيا اى لم يجامعهن بعد النشأة الثانية احد سواء كن فى الدنيا ثيبات او ابكارا (فبأى الاء ربكما تكذبان) من هذه النعم التى هى لتمتع نفوسكم وفيه اشارة الى ان فى الجنات للفائزين فى الله البالغين به حورا من التجليات الذاتية والمعارف الالهية والحكم الربانية مستورات عن عيون الاغيار لا يتبرجن ولا يظهرن على غير اربابهن لم يطلع عليهن انس الروح ولا جان النفس لبقائهم بهم وظلمة نفوسهم وكثافة طينتهم (كأنهن الياقوت والمرجان) صفة لقاصرات الطرف قد سبق بيان المرجان واما الياقوت فهو حجر صلب شديد اليبس رزين صاف منه احمر وابيض واصفر واخضر وازرق وهو حجر لا تعمل فيه النار لقلة دهنيته ولا يثقب لغلظة رطوبته ولا تعمل فيه المبارد لصلابته بل يزداد حسنا على مر الليالى والايام وهو عزيز قليل الوجود سيما الاحمر وبعده الاصفر اصبر على النار من سائر اصنافه واما الاخضر منه فلا صبر له على النار اصلا وفى الطب اجود اليواقيت واعلاها قيمة الياقوت الرمانى وهو الذى يشابه النار فى لونه ومن تختم بهذه الاصناف امن من الطاعون وان عم الناس وامن ايضا من اصابة الصاعقة والغرق ومن حمل شيأ منها او تختم به كان معظما عند الناس وجيها عند الملوك واكل معجون الياقوت يدفع ضرر السم ويزيد فى القوة ومعنى الآية مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة والمرجان اى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره وقال قتادة فى صفاء الياقوت وبياض المرجان (روى) عن ابى سعيد فى صفة اهل الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحمها ودمها وجلدها وعنه عليه السلام اول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على اثرهم كاشد كوكب اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووجور مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وعنه عليه السلام ان المرأة من اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها ان الله يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر اوادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وقال عمر بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من قدامها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء (فبأى الاء ربكما تكذبان) من النعم المتعلقة بالنظر والتمتع وفيه اشارة الى ان هذه الحوراء العرفانية والحسناء الاحسانية ياقوت تجليات البسط والانشراح ومرجان تجليات الجمال والكمال من لطافة الوجنة كالياقوت الاحمر ومن طراوة الفطرة كالمرجان الابيض فبأى الاء ربكما تكذبان ايالمشبه به ام بالمشبه به (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) هل يجئ على اربعة اوجه الاول بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى والثانى بمعنى الامر كقوله تعالى فهل انتم منتهون اى فانتهوا والثالث بمعنى الاستفهام كقوله تعالى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا والرابع بمعنى ما الجحد كما فى هذه الآية اى ما جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب وعن انس رضى الله عنه انه قال قرأ رسول الله عليه السلام هل جزاء الخ ثم قال

هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي (قال الكاشفي) حاصل آيت آنست جزاء نيكي نيكست پس جزا دهند طاعات را درجات ومكافات كنند شكرها بزياده وعفوس را بفرح وتوبه را بقبول ودعارا باجابت وسؤال بعطا واستغفارا بمغفرت وخوف دنيارا بأمن آخرت وجزاء فنا في الله بقا بالله * هركه درراه محبت شد فنا * يافت از بحر لقا در بقا * هر كرا شمشير شوق سر بريد * ميوهٔ وصل از درخت شوق چيد * فغاية الاحسان من العبد الفناء في الله ومن المولى اعطاء الوجود الحقاني اياه فعليك بالاحسان كل آن وحين فان الله لا يضيع اجر المحسنين (حكى) ان ذا النون المصري قدس سره رأى عجوزا كافرة تنفق الحبوب للطيور وقت الشتاء فقال انه لا يقبل من الاجنبي فقالت افعل قبل اولم يقبل ثم انه رآها في حرم الكعبة فقالت ياذا النون احسن الى نعمة الاسلام بقبضة من الحبة (وروى) ان مخلوقا مهيبا اعترض في طريق الحج فمنع القافلة عن المرور فقال بعضهم لعله عطشان فأخذ بيده سيفا وبيده قربة ماء حتى دنا اليه فصب في فمه قربة الماء حتى ارتوى وغاب ثم انه نام في الرجوع من الحج فلما استيقظ رأى القافلة قد ذهبت فبقي وحيدا في البرية وفي تلك الحيرة جاءه رجل معه راحلة وامره بالقيام فركبها حتى لحق الحجاج فاقسم عليه من هو فقال انا الذي رفعت عطشي بقربة الماء (وروى) ان امرأة اعطت لقمة للسائل فاخذ ذئب ولدها في الصحراء فظهر شخص فاخرجه من فم الذئب واعطاها اياه وقال هذه اللقمة بتلك اللقمة قال الحسن الاحسان ان يعم ولا يخص فيكون كالمطر والريح والشمس والقمر قال بعض اهل التحقيق الجنة جزاء الاعمال واما جزاء التوحيد فرؤية الملك المتعال فذكر الله تعالى احسن صنوف الاحسان (يروى) ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت اى هذه الكلمة الى صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وعن ابي ذر رضي الله عنه قال يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فقال عليه السلام اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فانها بعشر امثالها فقال يارسول الله لا اله الا الله من الحسنات فقال عليه السلام هي احسن الحسنات ويكفي في شرف التوحيد ان الايمان الذي هو اصل الطاعات ونور القلب الذي هو محل نظر الحق وتصفية الباطن من اكدار السوى انما يحصل به (فبأي آلاء ربكما تكذبان) من نعمه الواصلة في الدنيا والآخرة (ومن دونهما جنتان) مبتدأ وخبر اى ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فالخائفون قسمان المقربون واصحاب اليمين وهم دون المقربين بحسب الفضائل العلمية والعملية فدون بمعنى الادنى مرتبة ومنزلة لا بمعنى غير فالجنتان الاوليان افضل من الاخريين كفضل المقربين على الابرار وقيل ليس دون من الدناءة بل من الدنو وهو القرب اى ومن دون هاتين الجنتين الى العرش اى اقرب اليه وارفع منهما وحمله بعض المفسرين على معنى الغير (كما قال الكاشفي) وبجزاين بوستان كه مذكور شد دو بوستان ديكر ست وكفته اند دو بوستان اول از زرست براى سابقان واين دو بوستان از نقره براى اصحاب يمين واطلقهما صاحب كشف الاسرار حيث قال ومن دون الجنتين الاولين جنتان اخريان جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ولكل رجل وامرأة من اهل الجنة جنتان احداهما جزاء عمله والاخرى ورثوها عن الكفار وقيل لكل واحد منهم اربع جنان في الجهات الاربع ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة الى جنة ويكون امتع لانه ابعد من الملل فيما طبع عليه البشر وجملة معاني من دونهما فوقهما او من دون صفتيهما او من دونهما في الدرج اوامامهما اوقبلهما (وفلانه من دونها سفرطا * لو ميل يفضي الى اميال) ويؤيد معنى الادنى مرتبة قول الشيخ نجم الدين في تأويلاته يشير الى جنتي الابرار القائمين بالاعمال الصحيحة والاقوال المستقيمة الناظرين الى المراتب السنية الطالبين للمراتب والمقامات العلية يعني ان لهم جنتين من دون جنتي المذكورين اعني الفانين عن ناسوتيتهم والباقين بلاهوتيته (فبأي آلاء ربكما تكذبان) مما ذكر من الجنتين (مدهامتان) صفة لجنتان يقال ادهام الشيء يدهام ادهيماما فهو مدهام اسود وفي تاج المصادر في باب الافعيلال الادهيمام سياه شدن لان الدهمة بالضم السواد والادهم الاسود ومنه قوله تعالى مدهامتان اى سودا وان يعني علاوتهما دهمة وسواد من شدة الخضرة والري وان شئت قلت خضر اوان تضربان

الى السواد من شدة الخضرة و بالفارسية دو بهشت سبزا ز بسيار ى سبزى بسياهى رسيده والنظر الى الخضرة يجلو البصر كما قال عليه السلام ثلاث يجلون البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه الحسن قال ابن عباس رضى الله عنهما والاثمد عند النوم وهو الكحل الاسود واجوده الاصفهانى وهو بارد يابس ينفع العين اكتحالا و يقوى اعصابها و يمنع عنها كثيرا من الآفات والاوجاع سيما الشيوخ والمجانين وان جعل معه شئ من المسك كان غاية فى النفع وينفع من حرق النار طلاء مع الشحم ويقطع النزف و يمنع الرعاف اذا كان من خشية الدماغ وفى الحديث (خيرا كحالكم الاثمد ينبت الشعر ويجلو البصر) كما فى خريدة العجائب وفى قوله مدهامتان اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه ودل هذا على فضل الاولين على الاخريين قال فى التأويلات النجمية يشير به الى غلبة القوة النباتية على اصحاب هاتين الجنتين وهم اصحاب اليمين والى غلبة القوة الروحانية على اصحاب الجنتين الاولين لان فيهما كثرة الاشجار والفواكه وهم المقربون (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث تتمتع ابصاركم بخضرة نباتات هاتين الجنتين وتنتفع انوفكم بشم رياحينهما قال الفقهاء اذا قرأ فى الصلاة آية واحدة هى كلمة واحدة نحو قوله تعالى مدهامتان او حرف واحد نحو ق وص ون فان كل حرف منها آية عند البعض فالاصح انه لا يجزى عن فرض القراءة لانه لا يسمى قارئا لان القراءة ضم الحروف والكلمات بعضها الى بعض فى الترتيل (فيهما عينان نضاختان) يقال نضخه كمنعه رشه ونضخ الماء اشد فورانه من ينبوعه كما فى القاموس اى فوارتان بالماء لا تنقطعان و بالفارسية جوشنده باب يعنى هر چند از وبردار ند دیگر جوشد وهذا يدل ايضا على فضل الاولين على الاخريين لانه تعالى قال فى الاولين عينان تجريان وفى الاخريين نضاختان والنضخ دون الجرى لان النضخ هو الفوران وهو يتحقق بان يكون الماء بحيث كلما اخذ منه شئ فار آخر مكانه ولا يكفى هذا القدر فى جريانه فلا شك ان الجرى ابلغ منه وقال ابن عباس رضى الله عنهما نضاختان بالمسك والعنبر وقال الكلبى بالخير والبركة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث يحصل لكم الرى من شراب تينك العينين (فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطف الاخيرين على الفاكهة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان بالفارسية انار فاكهة ودواء يعنى بحسب حال الدنيا والا فالكل فى الجنة للتفكه ومن هذا قال ابو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا اورطبا لم يحنث خلافا لصاحبيه يعنى ان اباحنيفة لا يجعلهما من الفاكهة بخلاف صاحبيه وغيرهما فلا يحنث من حلف ان لا يأكل فاكهة فأكل تمرا اورمانا عنده وكذا الحكم عنده فى العنب ومن جعلهما من الفاكهة حملهما على التخصيص بذكرهما بيانا لفضلهما كما مر آنفا وقد سبق بيان النخل مفصلا قال ابن عباس رضى الله عنهما نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال اوالدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجرى فى غير اخدود والرمان من الاشجار التى لا تقوى الا بالبلاد الحارة (روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما ما قحت رمانة قط الا بجنة من الجنة وقال الامام على رضى الله عنه اذا اكلتم الرمان فكلوه ببعض شحمه فانه دباغ للمعدة ومامن حبة منه تقيم فى جوف مؤمن الا انارت قلبه واخرجت شيطان الوسوسة منه اربعين يوما وفى الحديث (من اكل رمانا انار الله قلبه اربعين يوما) ولا يخفى ما فى جمع الرمان مع انار من اللطافة واجوده الكبار الحلو الملبس وهو حار رطب يلين الصدر والحلق ويجلو المعدة و ينفع من الخفقان و يزيد فى الباءة وقشره تهرب منه الهوام وفى التأويلات النجمية يشير الى ضعف استعداد اصحاب اليمين بالنسبة الى المقربين لان الرمان للدواء لا للتفكه وتهيئة الدواء فى البيت تدل على ضعف مزاج ساكن البيت (فبأى آلاء ربكما تكذبان) حيث هيأ لكم ما به تتلذذون من الفواكه (فيهن خيرات حسان) صفة اخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جمع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات جمع خيرة لان خير الذى بمعنى الخير لا يجمع فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات ومعناها بالفارسية زنان بركزيده وقيل فى تفسير الخيرات اى لسن بدمرات ولا بخرات الدمر النتن والبخر بالتحريك النتن فى الفم والابط وغيرهما ولا منطلعات التطلع چشم داشتن وقولهم عافى الله من لم يتطلع فى فك

اى لم يتعقب كلامك (ولا متشوفات) التشوف خويشتن آراستن وچشم داشتن ويعدى بالى وفى القاموس شفته شوفا جلوته وشيفت الجارية تشاف زينت وتشوف تزين والى الخير تطلع ومن السطح تطاول ونظر واشرف (ولا ذربات) يقال ذرب كفرح ذربا وذرابة فهو ذرب حدو الذربة بالكسر السليطة اللسان (ولا سليطات) السلط والسليط الشديد والطويل اللسان (ولا طماحات) يقال طمح بصره اليه كمنع ارتفع والمرأة طمحت فهى طامح وكتكاب النشوز (ولا طوافات فى الطرق) اى دوارات (حسان) جمع حسنة وحسناء اى حسان الخلق والخلق يعنى نيكور ويان ونيكو خويان وهن من الحور وقيل من المؤمنات الخيرات ويدل على الاول مابعد الآية وفى الحديث (لوان امرأة من نساء اهل الجنة اطلعت على السموات والارض لاضاءت مابينهما ولملأت مابينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها (وروى لوان حوراء بزقت فى بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها (وروى انهن يقلن نحن الناعمات فلا نبأس) يعنى مابيم بانعمت كه درويش نمى شويم (الراضيات فلا نسخط) يعنى مابيم راضى كه غضب نمى كنيم (نحن الخالدات فلا نبيد) يعنى مابيم جاويدكه هلاك نمى شويم (طوبى لمن كنا له وكان لنا) وفى الاثر اذا قلن هذه المقالة اجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وماصليتن ونحن الصائمات وماصمتن ونحن المتصدقات وماتصدقتن فغلبنهن والله غلبنهن وفيه بيان ان هاتين الجنتين دون الاوليين لانه تعالى قال فى الاوليين فى صفة الحور العين كأنهن الياقوت والمرجان وفى الاخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان قال فى التأويلات النجمية فيهن خيرات حسان من المعاملات الفاضلات والمكاشفات العاليات وهذا الوصف ايضا يدل على ان جنة المقربين افضل من جنة الابرار واصحاب اليمين لان ثمرة تلك الجنة الفناء والبقاء وثمرة هذه الجنة المعاملات وتحسين الاخلاق (فبأى الاء ربكما تكذبان) وقد انعم عليكم بمايه تستمتعون من النساء (حور) بدل من خيرات جمع حوراء وهى البيضاء ووصفت فى غير هذه الآية بالعين وهى جمع عيناء بمعنى عظيمة العين وقال بعضهم شديدة سواد العين يعنى سياه چشمان اند (مقصورات فى الخيام) قصرن فى خدورهن وحبسن (قال الكاشفى) از چشمها يكانكان نكاه داشته ودر خيمها بداشته وفيه اشارة الى انهن لايظهرن لغير المحارم وان لم تكن الجنة دار التكليف وذلك لانهن من قبيل الاسرار وهى تصان عن الاغيار غيرة عليها يقال امرأة قصيرة وقصورة اى مخدرة مستورة لاتخرج ومقصورات الطرف على ازواجهن لايبغين بهم بدلا والخيام جمع خيمة وهى القبة المضروبة على الاعواد هكذا جمع خيام الدنيا وهى لاتشبه خيام الجنة الا بالاسم فانه قد قيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها اهلون مايرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون وقال ابن مسعود لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلا وكفته اند مراد خانها ست يعنى مستورات فى الحجال وحجله خانهٔ بود براى داماد وعروس قال فى القاموس الحجلة محركة كالقبة موضع يزين بالثياب والستور للعروس والجمع حجل وحجال قال البقلى رحمه الله وصف الله جوارى جنانه التى خلقهن لخدمة اوليائه والبسهن لباس نوره واجلسهن على سرير انسه فى حجاب قدسه وضرب عليهن خيام الدر والياقوت ينتظرن ازواجهن من العارفين والمؤمنين المتقين لايصرفن ابصارهن فى انتظارهن عن ملك الاولياء من ازواجهن الى غيره وفى الآية اشارة الى ان الاسماء تنقسم بالقسمة الاولى قسمين بعضها كونية اى لها ظاهر فى الكون وبعضها غير كونية اى ليس لها مظاهر فى الكون بل هى من المستأثرات الغيبية كما جاء فى دعاء النبى عليه السلام اللهم انى اسألك بكل اسم سميت به نفسك اوانزلته فى كتابك اوعلمته احدا اواستأثرت به فى علم غيبك المكنون وقوله حور مقصورات يعنى ان من خصائص هاتين الجنتين ان فيهما معانى وحقائق ماظهرت مظاهرها فى هذا العالم بل بعد فى خيام الغيب المكنون فى جنة السر (فبأى الاء ربكما تكذبان) وقد خلق من النعم ماهى مقصورة ومحبوسة لكم (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) كالذى مر فى نظيره فى جميع الوجوه وقال بعضهم اى قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين قال فى كشف الاسرار كرر ذلك زيادة فى التشويق وتأكيدا للرغبة وفيه انه ليس بتكرير لان الاول فى ازواج المقربين وهذا فى ازواج الابرار قال محمد بن كعب ان المؤمن يزوج الف ثيب والف بكر والف حوراء (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع انها ليست كنعم الدنيا اذ قد تطمث المرأة فى الدنيا ثم يبتر وجها اخر ثيبا فهن نعم باكورة

فيالها من طيب وصالها ويالها من حسنها و براعة جمالها لايقدر احد على حكايتها ولا يبلغ وصف الى نهايتها والعقول فيها حيارى والقلوب سكارى (متكئين) حال صاحبه محذوف يدل عليه الضمير فى قبلهم (على رفرف) اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من عالى الثياب او ضرب من البسط او الوسائد قال فى المفردات الرفرف ضرب من الثياب مشبه بالرياض انتهى ومن معانى الرفرف الرياض وكان بساط ابو شروان ستين ذراعا فى ستين ذراعا يبسط له فى ايوانه منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على الوان زهر الربيع وينشر اذا عدمت الزهور وفى القاموس الرفرف ثياب خضر تتخذ منها المحابس وتبسط وفضول المحابس والفرش وكل ما فضل فثنى والفراش والرقيق من الديباج (خضر) نعت لرفرف جمع اخضر والخضرة احد الالوان بين البياض والسواد وهو الى السواد اقرب فلذا سمى الاسود اخضر والاخضر اسود (وعبقرى) عطف على رفرف والمراد الجنس ولذا وصف بالجمع وهو قوله (حسان) حملا على المعنى وهو جمع حسن والعبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد كثير الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب وقال قطرب ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسى وبختى قال فى القاموس عبقر موضع كثير الجن وقرية ثيابها فى غاية الحسن والعبقرى ضرب من البسط كالعبا قرى انتهى وفى المفردات قيل هو موضع للجن ينسب اليه كل نادر من انسان وحيوان وثوب قال الله تعالى وعبقرى حسان وهو ضرب من الفرش جعله الله مثلا لفرش الجنة وفى التكملة عبقر اسم موضع يصنع فيه الوشى كانت العرب اذا رأت شيأ نسبته اليه فخاطبهم الله على عادتهم وفى فتح الرحمن العبقرى بسط حسان فيها صور وغير ذلك والعرب اذا استحسنت شيأ واستجادته قالت عبقرى قال ابن عطية ومنه قول النبى عليه السلام رأيت عمر بن الخطاب فى المنام يستقى من بئر فلم ار عبقريا يفرى فريه اى سيدا يعمل عمله وقيل عبقر اسم رجل كان بمكة يتخذ الزرابى ويجيدها فنسب اليه كل شئ جيد حسن وبالفارسية ببسا طى قيمتى درغايت نيكويى قوله تعالى فى الاولين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وترك ذكر الظهارة لرفعة شانها وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام وفى الآخرين متكئين على رفرف خضر وعبقرى وبه يعلم تفاوت مابينهما وقيل الاستبرق ديباج والعبقرى موشى والديباج اعلى من الموشى قال ابن الشيخ الرفرف فراش اذا استقر عليه الولى طار به من فرحه وشوقه اليه يمينا وشمالا وحيثما يريده الولى (وروى) فى حديث المعراج ان رسول الله عليه السلام لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى سيد العرش فذكر عليه السلام انه طار بى يخفضنى ويرفعنى حتى وقف بى على ربى ولما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوى به حتى اداه الى جبريل فالرفرف خادم بين يدى الله من جملة الخدم مختص بخواص الامور فى محل الدنو والقربة كما ان البراق دابة يركبها الانبياء مخصوصة بذلك فهذا الرفرف الذى سخره لاهل الجنتين هو متكأهم وفرشهم يرفرف بالولى ويطير به على حافات تلك الانهار وحيث يشاء من خيامه وازواجه وقصوره انتهى وهذا التقرير على تقدير ان يكون دون من الدنو ومعنى من دونهما ارفع منهما كما لايخفى ويدل عليه ان الرفرف اعظم خضرت من الفرش المذكورة فى قوله متكئين على فرش (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد هيأ لكم ما تتكئون عليه فتستريحون (تبارك اسم ربك) تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر فى السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الانام اى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما لايليق بشأنه من الامور التى من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه كذلك فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم مثل ثم اسم السلام عليكما اى ثم السلام عليكما قال فى فتح الرحمن وهذا الموضع مما اريد فيه بالاسم مسماه وفى التأويلات النجمية هذا يدل على ان الاسم هو المسمى لان المتعالى هو المسمى فى ذاته لا الاسم وان كان فتسميته وكذا الموصوف بالقهر واللطف والجلال والاكرام هو المسمى فحسب انتهى وفى الامالى وليس الاسم غيرا للمسمى وفى شرح الاسماء الحسنى للزروقى الصحيح ان الاسم غير المسمى واياه قوم وفصل اخرون وتوقف آخرون امتناعا لكن السلف لم يتكلموا فى الاسم والمسمى ولا فى الصفة والموصوف ولا فى التلاوة والمتلو طلبا للسلامة وحذرا على الغير وهو الورع (ذى الجلال والاكرام) وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير كفته انداول چيزى كه

از قرآن در مكه برقريش آشكارا خواندند بسضى آيات از اول اين سوره بود روايت كردند از عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه كفت صحابهٔ رسول عليه السلام مجتمع شدند كفتند تااين غايت مردم قريش ازقرآن هيچ نشنيدند در ميان ماكيست كه ايشانرا قرآن بشنواند آشكارا عبد الله بن مسعود كفت انكس من باشم كه قرآن آشكارا برايشان خوانم اكرچه ازان رنجوكزند آيد پس بيامد ودرا نجمن قريش بيستاد وابتداء سورهٔ رحمن دركرفت ونلختى ازان آيات برخواند قريش چون آن بشنيدند از سر غيظ وعداوت اورا زخمها كردند ورنجانيدند پس چون بعضى خوانده اورافرا كذاشتند وبنزديك اصحاب بازكشت فقالوا هذا الذى خشينا عليك يا ابن مسعود وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذاسلم من الصلاة لم يقعد الا مقدار مايقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام كافى كشف الاسرار قال الزروقى ذوالجلال والاكرام هوالذى له العظمة والكبرياء والافضال التام المطلق من عرف انه ذوالجلال والاكرام هابه لمكان الجلال وانس به لمكان الاكرام فكان بين خوف ورجاء وهواسم الله الاعظم وقال بعضهم اسماء الله تعالى كلها اعظم لدلالتها على العظيم فانه اذا عظم الذات والمسمى عظم الاسماء والصفات وانما الكلام فى ذكرها بالحضور والشهود والاستغراق فى بحر الجود وهو ذكر الكمل من افراد الانسان نسأل الله تعالى ان يجعلنا من الذاكرين له ظاهرا وباطنا اولا وآخرا

تمت سورة الرحمن بعون الملك المنان فى اواخر ذى القعدة الشريف من شهور سنة اربع عشرة ومائة والف

(سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا وقعت الواقعة) انتصاب اذا بمضمر اى اذاقامت القيامة وحدثت وذلك عند النفخة الثانية يكون من الاهوال مالا يفى به المقال سماها واقعة مع ان دلالة اسم الفاعل على الحال والقيامة مما سيقع فى الاستقبال لتحقق وقوعها ولذا اخبر اذا وصيغة الماضى فالواقعة من اسماء القيامة كالصاخة والطامة والآزفة (ليس لوقعتها كاذبة) قال الراغب يكنى عن الحرب بالواقعة وكل سقوط شديد يعبر عنه بذلك قال ابو الليث سميت القيامة الواقعة لصوتها والمعنى لايكون عند وقوعها نفس تكذب على الله وتفترى بالشريك والولد والصاحبة وبانه لايبعث الموتى لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة واكثر النفوس اليوم كاذبة مكذبة فاللام للتوقيت والكاذبة اسم فاعل اوليس لاجل وقعتها اوفى حقها كذب بل كل ما ورد فى شانها من الاخبار حق صادق لاريب فيه فاللام للتعليل والكاذبة مصدر كالعاقبة (خافضة) اى هى خافضة لاقوام (رافعة) لآخرين وهو تقرير لعظمتها على سبيل الكناية فان الوقائع العظام يرتفع فيها اناس الى مراتب ويتضع اناس وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل قال بعضهم خافضة لاعداء الله الى النار رافعة لاولياء الله الى الجنة اوتخفض اقواما بالعدل وترفع اقواما بالفضل اوتخفض اقواما بالدعاوى وترفع اقواما بالحقائق وعن ابن عباس رضى الله عنهما تخفض اقواما كانوا مرتفعين فى الدنيا وترفع اقواما كانوا متضعين فيها آن روز بلال درويش را رضى الله عنه مى آرند باتاج وحله ومركب برداربر ميرنند تابفردوس اعلى برند وخواجهٔ او راامية بن خلف بااغلال وانكال وسلاسل بروى مى كشند تابدرك اسفل برند ان طيلسان پوش منافق راباتش مى برندوان قبابستهٔ مخلص رابه بهشت مى فرستند ان بر مباحاتى مبتدع را باتش قهرى سوزند وآن جوان خراباتى معتقد را برتخت بخت مى نشانند * بسا پير مباحاتى كه بى مركب فرومانده * بسا رند خراباتى كه زين برشير زين بندد (اذارجت الارض رجا) الرج تحريك الشئ وازعاجه والرجرجة الاضطراب اى خافضة رافعة اذاحركت الارض تحريكا شديدا بحيث ينهدم مافوقها من بناء وجبل ولاتسكن زلزلتها حتى تلقى جميع مافى بطنها على ظهرها (وبست الجبال بسا) اى فتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذالته والبسيسة سويق يلت فيتخذ زادا اوسيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذاساقها (فكانت) اى فصارت بسبب ذلك (هباء) اى غبارا وهو مايسطع من سنابك الخيل اوالذى يرى فى شعاع الكوة اوالهباء مايتطاير من شرر النار اوما ذرته الريح من الاوراق (منبثا) اى منتشرا متفرقا وفى التفسير ان الله تعالى يبعث ريحا من تحت الجنة فتحمل الارض والجبال

وتضرب بعضها ببعض ولا تزال كذلك حتى تصير غبارا ويسقط ذلك الغبار على وجوه الكفار كقوله تعالى وجوه يومئذ عليها غبرة وقال بعضهم ان هذه الغبرة هى التراب الذى اشار اليه تعالى بقوله يا ليتنى كنت ترابا وسيجيء تحقيقه فى محله وفى الآية اشارة الى قيامة العارفين وهى قيامة العشق وسطوته وجذبة التوحيد وصدمته وهى تخفض القوى الجسمانية البشرية المقتضية لاحكام الكثرة وترفع القوى الروحانية الالهية المستدعية لانوار الوحدة وصرصر هذه القيامة اذا ضربت على ارض البشرية ومرت على جبال الانانية الانسانية جعلت تعينهما هباء منثورا فانيا فى ذاتهما وصفاتهما لا اسم لهما ولا رسم ولا اثر ولا عين بل هباء منبثا لا حقيقة له فى الوجود كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده واليه الاشارة بقولهم اذا تم الفقر فهو اليه ولا بد فى سلوك طريق الحق من ارشاد استاذ حاذق وتسليك شيخ كامل مكمل حتى تظهر حقيقة التوحيد بتغليب القوى الروحانية على القوى الجسمانية كما قال العارف الربانى ابو سعيد الخراز قدس سره حين سئل عن التوحيد ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة (وكنتم) اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط (ازواجا) اى اصنافا (ثلاثة) اثنان فى الجنة وواحد فى النار وكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود او فى الذكر فهو زوج فردا كان او شفعا (فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة) تقسيم للازواج الثلاثة فاصحاب الميمنة مبتدأ خبره ما اصحاب الميمنة على ان ما الاستفهامية مبتدأ ثان وما بعده خبره والاصل ما هم اى اى شئ هم فى حالهم وصفتهم والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين فى الفخامة والفظاعة كأنه قيل ما عرفت حالهم اى شئ فاعرفها وتعجب منها فاصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال واصحاب المشأمة فى نهاية سوء الحال نحو زيد ومازيد حيث لا يقال الا فى موضع التعظيم والتعجب واصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشأمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن اى بطرف اليمين وتشؤمهم بالشمائل اى بجانب الشمال كما تقول فلان منى باليمين والشمال اذا وصفته عندك بالرفعة والضعة تريد ما يلزم من جهتى اليمين والشمال من رفعة القدر وانحطاطه او الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او الذين يكونون يوم القيامة على يمين العرش فيأخذون طريق الجنة والذين يكونون على شمال العرش فيفضى بهم الى النار او اصحاب اليمن واصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم او اصحاب الميمنة الذين كانوا على يمين آدم يوم الميثاق قال الله تعالى فى حقهم هؤلاء من اهل الجنة ولا ابالى واصحاب المشأمة الذين كانوا على شماله وقال الله تعالى فيهم هؤلاء من اهل النار ولا ابالى وفى القاموس اليمن البركة كاليمنة يمن فهو ميمون وايمن والجمع ميامين وايامن واليمين ضد اليسار والجمع ايمن وايمان وايامن وايامين والبركة والقوة والشؤم ضد اليمن والمشأمة ضد الميمنة (والسابقون السابقون) هم القسم الثالث من الازواج الثلاثة اخر ذكرهم ليقترن ببيان محاسن احوالهم واصل السبق التقدم فى السير ثم تجوز به فى غيره من التقدم والجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقولك انا ابو النجم وشعرى شعرى او السابقون الاول مبتدأ والثانى تأكيد له كرر تعظيما لهم والخبر جملة قوله اولئك الخ وفى البرهان التقدير عند بعضهم السابقون ما السابقون فحذف ما الدلالة ما قبله عليه وهم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان فالمراد بالسبق هو السبق بالزمان او الذين سبقوا فى حيازة الكمالات الدينية والفضائل اليقينية فالمراد بالسبق هو السبق بالشرف كما قال الراغب يستعار السبق لاحراز الفضل وعلى ذلك والسابقون السابقون اى المتقدمون الى ثواب الله وجنته بالاعمال الصالحة (اولئك) الموصوفون بذلك النعت الجليل وهو مبتدأ خبره قوله (المقربون) اى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية يقول الفقير عرف هذا المعنى من قوله عليه السلام اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن فانه يظهر منه ان الفردوس مقام المقربين لقربه من العرش الذى هو سقف الجنة ولم يقل اولئك المتقربون لانهم بتقريب ربهم سبقوا الا يتقرب انفسهم ففيه اشارة الى الفضل العظيم فى حق هؤلاء يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (فى جنات النعيم) متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اى كائنين فى جنات النعيم يعنى در بوستانهاء مشتمل برانواع نعمت قبل السابقون

اربعة سابق امة موسى عليه السلام وهو خربيل مؤمن آل فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار صاحب انطاكية وسابقا امة محمد عليه السلام وهما ابو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال كعب هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة فانهم كادوا ان يكونوا انبياء الا انه لا يوحى اليهم والمراد باهل القرآن الملازمون لقرآءته والعاملون به وكان خلق النبى عليه السلام القرآن وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر فى حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال وقال حضرة شيخى وسندى قدس سره فى بعض تحريراته العباد ثلاثة اصناف صنف هم اهل النسيان وصنف هم اهل الذكر وصنف هم اهل الاحسان والصنف الاول اهل الفتور مطلقا وليس فيه بوجه من الحضور شئ اصلا وهم اهل البعد قطعا وليس لهم من القرب شئ جدا وهم اصحاب المشأمة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة وهم ارباب الغضب والقهر والجلال ولهم فى نار الجحيم عذاب اليم وماء حميم والصنف الثانى اهل الفتور من وجه واهل الحضور من وجه وهم اهل البعد بوجه واهل القرب بوجه وهم اصحاب الميمنة واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة وهم ارباب الرحمة واللطف والجمال ولهم فى نور النعيم ثواب عظيم وسرور مقيم والصنف الثالث اهل الحضور مطلقا وليس فيهم بوجه من الفتور شئ اصلا وهم اهل القرب مطلقا وليس لهم من البعد شئ اصلا وهم السابقون والسابقون السابقون اولئك المقربون وهم اصحاب كمال الرضى والاجتباء والاصطفاء ولهم فى سر نعيم جنة الوصال دوام الصحبة والمشاهدة والمعاينة وبقاء تجلى الوجه الحق والجمال المطلق وهم ارباب الكمال المتوجه بوجه الجمال والجلال والصنف الاول قفا بلا وجه فى الظاهر والباطن والثانى وجه بلا قفا فى الظاهر وقفا بلا وجه فى الباطن والثالث وجه بلا قفا فى الظاهر والباطن اكونهم على تعين الوجه المطلق وفى رسالته العرفانية اصحاب اليمين ممن سوى المقربين وجه بلا قفا فى الظاهر لحصول الرؤية لهم وقفا بلا وجه فى الباطن اى لعدم انكشاف البصيرة لهم واصحاب الشمال قفا بلا وجه فى الظاهر اى باعتبار البداية ووجه بلا قفا فى الباطن اى باعتبار النهاية وقال فى اللائحات البرقيات لهذكر بعضهم بمجرد اللسان فقط وهم فريق الغافلين من الفجار ولهم رد مطلقا فانهم يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل فقط وهم فريق المتيقظين من الابرار ولهم قبول بالنسبة الى من تحتهم لا بالنسبة الى من فوقهم وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب فقط وهم فريق اهل البداية من المقربين وقبولهم نسبى ايضا وذكر بعضهم بمجرد اللسان والعقل والقلب والروح فقط وهم اهل الوسط من المقربين وقبولهم اضافى ايضا وذكر بعضهم كان مطلقا حيث تحقق لهم ذكر اللسان وفكر المذكور ومطالعة الآثار بالعقل وحضور المذكور ومكاشفة الاطوار بالقلب وانس المذكور ومشاهدة الانوار بالروح والفناء فى المذكور ومعاينة الاسرار بالسر فلهم قبول مطلقا وليس لهم رد اصلا لان كمالهم وتمامهم كان حقيقيا جدا وهم ارباب النهاية من المقربين من الانبياء والمرسلين والاولياء الكاملين الاكملين وفى التأويلات النجمية يشير الى مراتب اعاظم المملكة الانسانية ومقامات اكابرها وصناديدها وهم الروح السابق المقرب وجودا ورتبة والقلب المتوسط صاحب الميمنة والنفس الاخيرة صاحبة المشأمة اما تسمية الروح بالسابق فلسبقه بالتجليات الذاتية الرحمانية والتنزلات الربانية وبقاء طهارته ونزاهته ابتداء وانتهاء ووصف القلب بصاحب الميمنة لتيمنه وتيمن به وغلبة التجليات الصفاتية والاسمائية عليه ووصف النفس بصاحبة المشأمة لشؤمها ومشؤميتها وتلعثمها عند اجابة دواعى الحق بالانقياد من غير عناد واعتناد واما تقديم القلب والنفس على الروح فلسعة الرحمانية الواسعة كل شئ كما قال ورحمتى وسعت كل شئ وقال رحمتى سبقت غضبى اذ جعل النفس برزخا بين القلب والروح لتستفيد برحمته مرة من هذا وتارة من هذا وتصير منصبغة بنورانيتهما وتؤمن بهما ان شاء الله تعالى كما قال تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وبقوله فى جنات النعيم يشير الى جنة الذات وجنة الصفات وجنة الافعال لان السابقين المقربين هم الفانون فى الله بالذات والصفات والافعال والباقون بالله بالذات والصفات والافعال واصاحب كل مقام من هذه المقامات الثلاثة جنة مختصة به جزاء وفاقا وهذه الجنات كلها شاملة للنعيم الدنيوى والاخروى ان فهمت الرموز الالهية فزت بالكنوز الرحمانية (ثلة من الاولين) اى هم امم كثيرة من الاولين غير محصورة

العدد وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وهذا التفسير مبنى على ان يراد بالسابقين غير الانبياء واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر وجماعة السابقين مع كثرتهم مقطوعة مكسورة من جملة بنى آدم وقال الراغب الثلة قطعة مجتمعة من الصوف ولذلك قيل للغنم ثلة ولاعتبار الاجتماع قيل ثلة من الاولين اى جماعة (وقليل من الآخرين) اى من هذه الامة ولايخالفه قوله عليه السلام (انا امتى يكثرون سائر الامم) اى يغلبونهم بالكثرة فان اكثرية سابقى الامم السالفة من سابقى هذه الامة لاتمنع اكثرية تابعى هؤلاء من تابعى اولئك مثل ان يكون سابقوهم الفين وتابعوهم الفافا لمجموع ثلاثة آلاف ويكون سابقوا هذه الامة الفا وتابعوهم ثلاثة آلاف فالمجموع اربعة آلاف فرضا وهذا المجموع اكثر من المجموع الاول وفى الحديث (انا اكثر الناس تبعا يوم القامة) ولايرده قوله تعالى فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين فى انفسهما لاتنافى اكثرية احدهما من الآخر وسيأتى ان الثلتين من هذه الامة وقد روى مرفوعا ان الاولين والآخرين ههنا ايضا متقدموا هذه الامة ومتأخروهم وهو المختار كما فى بحر العلوم فالمتقدمون مثل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ولما نزلت بكى عمر رضى الله عنه فنزل قوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين يعنى كريان شد وكفت يانبى الله ماباتو كرويديم وتصديق كرديم وازما اهل نجات نيا مد مكر اندك اين آيت آمد كه وثلة من الآخرين حضرت صلى الله عليه وسلم آيت بروى خواند وعمر فرمود كه رضينا من ربنا وفى الحديث (ارضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال ارضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده انى لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة يعنى كونكم نصف اهلها بسبب انها لايدخلها الانفس مسلمة وماانتم فى اهل الشرك الا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود وكالشعرة السوداء فى جلد الثور الاحمر اى فلايستبعد دخول كلهم الجنة وقد ترقى عليه السلام فى حديث آخر من النصف الى الثلثين وقال ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا وهذه الامة منها ثمانون قال السهيلى رحمه الله فى كتاب التعريف والاعلام قال عليه السلام نحن الآخرون السابقون يوم القيامة فهم اذا محمد صلى الله عليه وسلم وامته واول سابق الى باب الجنة محمد عليه السلام وفى الحديث (انا اول من يقرع باب الجنة فادخل ومعى فقراء المهاجرين) واما آخر من يدخل الجنة وآخر اهل النار خروجا منها رجل اسمه جهينة فيقول اهل الجنة تعالوا نسأل جهينة فعنده الخبر اليقين فيسألونه هل بقى احد فى النار ممن يقول لااله الاالله * نماند بزندان دوزخ اسير * كسى را كه باشد چنين دستگير * يقول الفقير هذه خلاصة ماأورده اهل التفسير فى هذا المقام والذى يلوح لى ان المقربين وان كانوا داخلين فى اصحاب اليمين الا ان المراد بقوله تعالى وثلة من الآخرين هى الثلة التى من اصحاب اليمين وهم هنا غير المقربين بقرينة تقسيم الازواج وتبيين كل فريق منهم على حدة وكلامنا فى المقربين خصوصا اعنى السابقين من هذه الامة هل هم اقل من سابقى الامم كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى وقليل من الآخرين او هم اكثر كما يدل عليه بعض الشواهد والظاهر انهم اكثر مثل اصحاب اليمين والآية محمولة على متقدمى هذه الامة ومتأخريها كما اشير اليه سابقا وذلك لان النبى عليه السلام شبه علماء هذه الامة بانبياء بنى اسرائيل ولاشك ان الانبياء كلهم من المقربين وعلماء هذه الامة لانهاية لهم دل عليه ان الاولياء فى كل عصر من اعصار هذه الامة عدد الانبياء وهم مائة الف واربعة وعشرون الفا وقد يزيد عددهم على عدد الانبياء بحسب نورانية الزمان وقد ثبت ان كل اربعين مؤمنا فى قوة ولى عرفى فاذا كان صفوف هذه الامة يوم القيامة ثمانين فظاهر ان عددهم يزيد على عدد الاولين وبزيادة العدد يزيد الاولياء اصحاب اليمين وبزيادتهم يزيد الاولياء المقربون السابقون فان فى العدد المذكور منهم الغوث والاقطاب والكمل فاعرف وفى التأويلات النجمية يشير بقوله ثلة من الاولين الى كثرة ارباب القلوب صواحب التجليات الجزئية الصفاتية والاسمائية وكثرة اصحاب اللذات النفسانية الظلمانية وبقوله وقليل من الآخرين المحمديين يشير الى ارباب الارواح الطاهرة صواحب التجليات الذاتية المقدسة عن كثرات الاسماء والصفات الاعتبارية (على سرر موضونة) حال اخرى من المقربين والسرر جمع سرير بالفارسية تخت والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع ثم استعير لكل نسج محكم (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر والتقابل ان يقبل بعضهم على بعض

اما بالذات واما بالعناية والمودة اى مستقرين على سرر متكئين عليها اى قاعدين قعود الملك للاستراحة متقابلين لاينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب وقال ابو الليث متقابلين فى الزيادة (وقال الكاشفى) برابر يكديكر يعنى روى بار وى تا ديدار يكديكر مستأنس ومسرور باشند (يطوف عليهم) اى يدور حولهم للخدمة حال الشرب وغيره (ولدان) جمع ولد وخدمة الولد امتع من خدمة الكبير يعنى خدمة كودك زيبا ترست ازخدمت كبار (مخلدون) مبقون ابدا على شكل الولدان وطرا وتهم لايتحولون عنها لانهم خلقوا للبقاء ومن خلق للبقاء لايتغير قال فى الاسئلة المقحمة هؤلاء هل يدخلون تحت قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والجواب انهم لايموتون فيها بل يلقى عليهم بين النفختين نوم انتهى وازين معلوم شد كه اين كودكان راحق تعالى بمحض كرم خود آفريده باشد براى خدمت بهشتيان فهم للخدمة لاغير والحور العين للخدمة والمتعة وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها وسيئات فيعاقبون عليها وفى الحديث (اولاد الكفار خدام اهل الجنة) ولفظ الولدان يشهد لابى حنيفة رحمه الله فى ان اطفال المشركين خدم اهل الجنة لان الجنة لاولادة فيها ويجوز ان يكون معنى مخلدون مقرطون يعنى آراستكان بكوشوارهاى زرين والخلد السوار والقرط كالخلدة محركة والجمع كقردة وولدان مخلدون مقرطون اومسورون اولايهرمون ابدا ولايجاوزون حد الوصافة كما فى القاموس وقال فى كشف الاسرار الخلادة القلادة لغة قحطانية (بأكواب) من الذهب والجواهر اى باآنية لاعرى لها ولاخراطيم وهى الاباريق الواسعة الرأس لاخرطوم لها ولايعوق الشارب منها عائق عن شرب من اى موضع ارادمنها فلا يحتاج ان يحول الاناء من الحالة التى تناوله بها الشرب (واباريق) جمع ابريق وهو الذى له عروة وخرطوم يبرق لونه من صفائه وقيل انها العجمية معربة آبريزاى باآنية ذات عرى وخراطيم ويقال الكوب للماء وغيره والابريق لغسل الايدى والكأس لشرب الخمر كما قال (وكأس من معين) اى وبكأس من خمر جارية من العيون اخبر ان خمر الآخرة ليست كخمر الدنيا تستخرج بتكلف وعلاج وتكون فى اوعية بل هى كثيرة جارية كما قال وانهار من خمر والكأس القدح اذا كان فيها شراب والافهو قدح يقال معن الماء اذاجرى فهو فعيل بمعنى الفاعل اوظاهرة تراها العيون فى الانهار كالماء المعين وهو الظاهر الجارى فيكون بمعنى مفعول من المعاينة من عانه اذاشخصه وميزه بعينه قال فى القاموس المعن الماء الظاهر ومعن الماء اساله وامعن الماء جرى والمعنان بالضم مجارى الماء فى الوادى فان قلت كيف جمع الاكواب والاباريق وافرد الكأس فالجواب ان ذلك على عادة اهل الشرب فانهم يعدون الخمر فى الاوانى المتعددة و يشربون بكأس واحدة (لايصدعون عنها) الصدع شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق فى الرأس من الوجع ومنه الصديع للفجر اى لاينالهم بسبب شربها صداع كما ينالهم ذلك من خمر الدنيا وحقيقته لايصدر صداعهم عنها قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الخمار بع خصال السكر والصداع والقئ والبول وليست فى خمر الجنة بل هى لذة بلاأذى (ولاينزفون) اى لايسكرون يعنى لاتذهب عقولهم اولاينفد شرابهم من انزف الشارب اذانفد عقله اوشرابه فالنفاد ماللعقل وهو من عيوب خمر الدنيا اوللشراب فان بنفادها تختل الصحبة (وفاكهة مما يتخيرون) يقال تخيرت الشئ اخذت خيره اى يختارونه و يأخذون خيره وافضله من الوانها وكلها خيار وهو عطف على بأكواب اى يطوف عليهم ولدان بفاكهة وهو مايؤكل من الثمار تلذذ الالحفظ الصحة لاستغنائهم عن حفظ الصحة بالغذاء فى الجنة وليس ذلك كقوت الدنيا الذى يتناوله من يضطر اليه و يضيق عليه لتأخره عنه وهواشارة الى انه يتناول المأكولات التى يتنعم بها ثم ذكر اللحم الذى هو سيد الادام وكانت العرب يتوسعون بلحمان الابل و يعز عندهم لحم الطير الذى هو اطيب اللحوم و يسمعون بها عند الملوك فوعدوها فقيل (ولحم طير مما يشتهون) اى يتمنون مشويا اومطبوخا يتناولونها مشتهين لها لامضطرين ولاكارهين وآر آن بود كه مؤمنان برخوان نشسته باشند مرغ بيايد ودر پيش ايشان برشاخ طوبى نشيند واوازدهد كه من آنم كه هيچ چشمه نيست در بهشت كه ازان نچشيده ام وهيچ درختى نيست كه من ازميوهٔ آن نخورده ام كوشت من خوشترين همه كوشتهاست پس بهشتى كوشت ويرا آرزو كند مرغ ازان شاخ طوبى در كردد و برسر خوان اقدسه قسمت شود يكى پخته ويكى قديد ويكى بريان

پس بهشتی چندانکه خواهد بخورد دیگر باره بقدرت حق زنده شود و بر پرد *وفی الاسئلة المفحمة انما قال وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون فغاير بين اللفظين والجواب لان الفواكه كما تكون الاكل تكون ايضا للنظر والشم واما لحم الطير فمختلف الشهوات فى اكل بعض اجزائه دون البعض ولما لم يكن بعد الاكل والشرب اشهى من الجماع قال (وحور عين) عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اى وفيها اولهم حور عين اى نساء وحور جمع حوراء وهى البيضاء او الشديدة بياض العين والشديدة سوادها وعين جمع عيناء وهى الواسعة الحسنة العين وهن خلقن من تسبيح الملائكة كما فى عين المعانى (كأمثال اللؤلؤ المكنون) صفة لحور اوحال اى الدر المخزون فى الصدف لم تمسه الايدى ولم ترها الاعين او المصون عما يضربه ويدنسه فى الصفاء والنقاء ولما بالغ فى وصف جزائهم بالحسن والصفاء دل على ان اعمالهم كانت كذلك لان الجزاء من جنس العمل فقال (جزاء بما كانوا يعملون) مفعول له اى يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم الصالحة فى الدنيا فما جزاء الاحسان الا الاحسان فالمنازل منقسمة على قدر الاعمال واما نفس دخول الجنة فبفضل الله ورحمته لا بعمل عامل فمن طمع فى ان يدخل الجنة ويأكل من اللحم اللذيذ ويشرب من الشراب الهنيء ويستمتع بالحور العين اثر وجه زواجها (ويروى) ان الحوراء اذا مشت سمع تقديس الجلاجل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك فى نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ تصران اى تصوتان بالتسبيح على كل امرأة سبعون حلة ليست منها حلة على لون الاخرى وسبعون لونا من الطيب ليس منه لون على لون الاخر لكل امرأة سبعون سريرا من ياقوت احمر منسوجة بالدر على كل سرير سبعون فراشا بطائنها من استبرق وفرق السبعين فراشا سبعون اريكة لكل امرأة منهن سبعون وصيفة بيد كل وصيفة صحفتان من ذهب فيهما لون من طعام يجد لآخر لقمة منه لذة لا يجدها الاولها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت احمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت احمر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول اخطب زوجة لا تسلبها منك المنايا واعرس بها فى دار لا يخربها دوران البلايا واسبك لها حجلة لا تحرقها نيران الرزايا (وروى) انهن خلقن من الزعفران كما فى كشف الاسرار (لا يسمعون فيها لغوا) اى باطلا قال فى القاموس اللغو واللغا السقط ومالا يعتد به من كلام وغيره وفى المفردات اللغو من الكلام مالا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكر فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور (ولا تأثيما) ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال لهم اثمتم اى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع والاثم اسم للافعال المبطئة عن الثواب والجمع آثام (الا قيلا) اى قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا والاستثناء منقطع اى لكنهم يسمعون فيها قولا سلاما سلاما او هو من باب لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى فى انه من التعلق بالمحال ومعنى سماعهم السلام انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا السلام الآخر بدأ اوردا وفى الآية اشارة الى ان جنات السابقين المقربين صافية عن الكدورات المنغصة اساكنيها فارغة عن العاملات المعبسة لقاطنيها لا يقول اهلها الا مع الحق ولا يسمعون الا من الحق تجلى الحق لهم عن اسمه السلام المشتمل على السلامة من النقائص والآفات المتضمن للقربات والاكرامات اعلم ان اعز السلام سلام الله على عباده كما قال سلام قولا من رب رحيم ثم سلام الارواح العالية كما حكى عن بعض الصالحين انه قال كان لى ابن استشهد فلم اره فى المنام الا ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو سابع الخلفاء الاثنى عشر تراءى لى تلك الليلة فقلت يا بنى لم تكن ميتا فقال لا ولكنى استشهدت واناجى عند الله ارزق فقلت له ما جاء بك فقال نودى فى اهل السماء الا لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد الا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلاة ثم جئتكم لاسلم عليكم يقول الفقير شاهدت فى الحرمين الشريفين حضور الارواح للصلوات والطواف وسلام بعضهم على بعض حتى سلمت انا فى السحر الاعلى عند مقام جبرائيل على الخلفاء الاربعة والملائكة الاربعة ولله الحمد على ذلك

سلام من الرحمن نحو جنابه * لان سلامى لا يليق ببابه

(واصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ خبره جملة قوله (ما اصحاب اليمين) اى لا تدرى ما لهم من الخير والبركة بسبب فواضل صفاتهم وكوامل محاسنهم (فى سدر) اى هم فى سدر (مخضود) اى غير ذى شوك لا كسدر الدنيا فان سدر الدنيا

مخلوق بشوك وسدر الجنة بلاشوك كأنه خضد شوكه اى قطع ونزع عنه فقوله سدر مخضود اما من باب المبالغة فى التشبيه اومجاز بعلاقة السببية فان الخضد سبب لانقطاع الشوك وقيل مخضود اى مثنى اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب فمخضود على هذا الوجه من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والسدر شجر النبق وهو ثمر معروف محبوب عند العرب يتخذون من ورقه الحرض وفى المفردات السدر شجر قليل الغذاء عند الاكل وقد يخضد و يستظل به فجعل ذلك مثلا لاهل الجنة ونعيمها قال بعضهم ليس شئ من ثمر الجنة فى غلف كما يكون فى الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (وطلح منضود) قد نضد حمله وتراكب بعضه على بعض من اسفله الى اعلاه ليست له سوق بارزة وهو شجر الموز وهو شجر له اوراق كبار وظل بارد كما ان اوراق السدر صغار اوهو ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة يقصد العرب منه النزهة والزينة وان كان لا يؤكل منه شئ وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن مجاهد كان لاهل الطائف وادمعجب فيه الطلح والسدر فقالوا يا ليت لنا فى الجنة مثل هذا الوادى فنزلت هذه الآية وقد قال تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فذكر لكل قوم ما يعجبهم و يحبون منله وفضل طلح الجنة وسدرها على ما فى الدنيا كفضل سائر ما فى الجنة على ما فى الدنيا (وظل ممدود) ممتد لا ينقص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس والعرب تقول للشئ الذى لا ينقطع ممدود وفى الحديث (فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها) وعن ابن عباس رضى الله عنهما شجرة فى الجنة على ساق يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون فى اصلها و يتذاكر بعضهم و يشتهى لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا وقال فى كشف الاسرار و يحتمل ان الظل عبارة عن الحفظ تقول فلان فى ظل فلان اى فى كنفه لانه لا شمس هناك انتهى * يقول الفقير بل المراد منه الراحة كما فى قوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا لانه انما يجلس المرء فى الظل للاستراحة وكانت العرب يرغبون فيه لقلته فى بلادهم وغلبة حرارة الشمس ومنه قوله عليه السلام السلطان ظل الله فى ارضه يأوى اليه كل مظلوم اى يستريح عند عدله ومنه قولهم مد الله ظلاله اى ظلال عدله ورأفته حتى يصل اثر الاستراحة الى الناس كلهم (وماء مسكوب) يسكب لهم و يصب اينما شاؤا وكيفما اراد وا بلا تعب او مصبوب سائل يجرى على الارض فى غير اخدود لا ينقطع يعنى كون الماء مسكوبا كثيرا اما عبارة عن كونه ظاهرا مكشوفا غير مختص ببعض الاماكن والكيفيات اوعن كونه جاريا واكثر ماء العرب من الآبار والبرك فلا ينسكب فلا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشاء فوعدوا بالماء الكثير الجارى حتى يجرى فى الهواء على حسب الاشتهاء كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لاهل البوادى ايذانا بالتفاوت بين الحالين فكما ان بينهما تفاوتا فكذا بين حاليهما (وفاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاجناس (لا مقطوعة) فى وقت من الاوقات كفواكه الدنيا (ولا ممنوعة) عن متناولها بوجه من الوجوه كبعد المتناول وانعدام ثمن يشترى به وشوك فى الشجر يؤذى من يقصد تناولها وحائط يمنع الدخول ونحوها من المحظورات وفى الحديث (ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة الا بدل الله مكانها اضعافين (وفرش) جمع فراش وهو ما يبسط و يفرش اى هم فى بسط (مرفوعة) اى رفيعة القدر اومرتفعة وارتفاعها كما بين السماء والارض وهو مسيرة خمسمائة عام اومرفوعة على الاسرة وقيل الفرش هى النساء حيث يكنى بالفراش و باللباس والازار عن المرأة وفى الحديث (الولد للفراش) فسمى المرأة فراشا وارتفاعها كونهن على الارائك دل عليه قوله تعالى (انا انشأناهن انشاء) وعلى الاول اضمرهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء واعادة اما الابداء فكما فى الحور لانهن انشأهن الله فى الجنة من غير ولادة واما الاعادة فكما فى نساء الدنيا المقبوضة عجائز و فى الحديث (هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا) جمع شمطاء والشمط بياض شعر الرأس يخالطه سواد (رمصا) جمع رمصاء والرمص بالتحريك وسخ يجتمع فى الموق جعلهن الله تعالى بعد الكبر ابكارا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما تاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال عليه السلام ليس هناك وجع وقد فعل الله فى الدنيا بزكريا عليه السلام فقال تعالى واصلحنا له زوجه سئل الحسن عن ذلك الصلاح فقال جعلها

شابة بعدان كانت عجوزا وولودا بعدان كانت عقيما وذلك قوله تعالى (فجعلناهن) بعدان كن عجائز (ابكارا) اى عذارى جمع بكر والمصدر البكارة بالفتح قال الراغب البكرة اول النهار وتصور منها معنى التعجيل لتقدمها على سائر اوقات النهار فقيل لكل متعجل بكر وسميت التى لم تفتض بكرا اعتبارا بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء قال سعدى المفتى ان اريد بالانشاء معنى الابداء فالجعل بمعنى الخلق وقوله ابكارا حال وان اريد به الاعادة فهو بمعنى التصيير وابكارا مفعوله الثانى قال بعضهم دل قوله فجعلناهن ابكارا على ان المراد بهن نساء الدنيا لان المخلوقة ابتداء معلوم انها بكر وهن افضل واحسن من حور الجنة لانهن عملن الصالحات فى الدنيا بخلاف الحور وعن الحسن رضى الله عنه قالت عجوز عند عائشة رضى الله عنها من بنى عامر يارسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت وهى تبكى فقال عليه السلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية (عربا) جمع عروب كرسل جمع رسول وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التنقل واشتقاقه من اعرب اذا بين والعرب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج وحسن وفى المفردات امرأة عروبة معربة بحالها عن عفتها ومحبة زوجها وفى بعض التفاسير عربا اى كلامهن عربى (اترابا) جمع ترب بالكسر وهى المساوية فى السن ومن ولد معك وهى تربى اى مستويات فى سن بنت ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن والقامة ستون ذراعا فى سبعة اذرع على قامة ابيهم آدم شباب جرد مكحولون احسنهم كاقمر ليلة البدر وآخرهم كالكوكب الدرى فى السماء يبصر وجهه فى وجهها وتبصر وجهها فى وجهه لا يبزقون ولا يتمخطون وما كان فوق ذلك من الاذى فهو ابعد وفى الحديث (ان الرجل ليفتض فى الغداة سبعين عذراء ثم ينشئهن الله ابكارا وقال عليه السلام (ان الرجل من اهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا ودر تبيان آورده كه جمله رابيهشت آرند بدين سن سازند و بشوهر دهند وعجوزه را نيرزد كنند بدين سن اكر شوهر نداشته باشد در دنيا بعضى ازاهل بهشت دهند وا كر شوهر داشته باشد اما شوهر او ازاهل بهشت نبوده چون امرأة فرعون او رابيكى از بهشتيان دهند وا كر زوج او بهشتى بود باز بدو ارزانى دارند واكر زياده از يك شوهر داشته باشد وهمه بهشتى باشند بزوج آخرين نامزد كنند وفى الحديث (ادنى اهل الجنة الذى له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء) الجابية بالجيم بلد بالشام وصنعاء بلد باليمن كثيرة الاشجار والمياه تشبه دمشق وفى الحديث ((تقول الحوراء لولى الله كم من مجلس من مجالس ذكر الله قد اكرمك به العزيز اشرفت عليك بدلالى وغنجى وترابى وانت قاعد بين اصحابك تخطبنى الى الله فترى شوقك كان يعدل شوقى او جدك كان يعدل جدى والذى اكرمنى بك واكرمك بى ما خطبتنى الى الله مرة الا خطبتك الى الله سبعين مرة فالحمد لله الذى اكرمنى بك واكرمك بى (لاصحاب اليمين) متعلقة بانشأنا (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) اى هم امة من الاولين وامة من الآخرين وفى الحديث (هم جميعا من امتى) اى الثلثان من امتى فعلى هذا التابعون باحسان ومن جرى مجراهم ثلة اولى وسائر الامة ثلة اخرى فى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال عرضت على الامم فجعل يمر النبى معه الرجل والنبى معه الرجلان والنبى معه الرهط والنبى ليس معه رهط والنبى ليس معه احد ورأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل لى انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل لى هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب وفى رواية عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الانبياء الليلة بأتباعها حتى اتى على موسى فى كبكبة من بنى اسرائيل اى فى جماعة منهم فلما رأيتهم اعجبونى فقلت اى رب من هؤلاء قيل هذا اخوك موسى ومن معه من بنى اسرائيل فقلت فأين امتى قيل انظر عن يمينك فاذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال وهو جمع ظرب ككتف وهو ماتأ من الحجارة وحد طرفه والجبل المنبسط او الصغير كما فى القاموس قيل هؤلاء امتك ارضيت قلت رب رضيت رب رضيت قيل انظر عن يسارك فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء امتك ارضيت قلت رب رضيت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين الفا يدخلون الجنة بلا حساب عليهم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ان استطعتم ان تكونوا من السبعين

فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من اهل الظراب وان عجزتم فكونوا من الافق فاني قد رأيت ثمة اناسا يتهاوشون كثيرا يعني اكرعاجز آييد پس باشيد از اهل افق كه من ديدم آنجا مردم بسيار مختلط بودند قال في القاموس الهوش العدد الكثير والهوشة الاختلاط والهوبشة الجماعة المختلطة والهواشات بالضم الجماعات من الناس والتهاوش في الحديث جمع تهواش مقصور من التهاويش تفعال من الهوش وتهوشوا اختلطوا كتهاوشوا وعليه اجتمعوا وهاوشهم خالطهم (وروى) انه قال صلى الله عليه وسلم اني لارجوان تكونوا شطر اهل الجنة ثم ثلاثة من الاولين وثلة من الآخرين يقول الفقير الذي يتحصل من هذا ان الابرار كثير من هذه الامة في اوائلها واواخرها وكذا من الامم السابقة واما السابقون فكثير من هذه الامة في اوائلها دون اواخرها كما دلت عليه الآية المتقدمة وكذا قول الحسن البصري رحمه الله حيث قال رأيت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وكانوا بالبلاء اشد منكم فرحا بالرخاء لورأيتموهم قلتم مجانين ولوراوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا اشراركم حكموا بانهم لايؤمنون يوم الحساب ان عرض عليهم الحلال من المال تركوه خوفا من فساد قلوبهم انتهى واما السابقون من الامم السالفة فان انضم اليهم الانبياء فهم اكثر من سابقي هذه الامة والا فلا كما حققناه سابقا وذلك ان زهاد الامم وان كانوا اكثر من زهاد هذه الامة لكنهم لعدم استقرار اكثرهم على اليقين قلوا واما هذه الامة فمن قلتهم بالنسبة اليهم كثروا لثباتهم على اليقين والاعتقاد والاعتصام بالقرآن كما ورد في بعض الاخبار (واصحاب الشمال) شروع في تفصيل احوالهم وهم الكفار لقوله تعالى والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة (ما اصحاب الشمال) اي لاتدري ما لهم من الشر وشدة الحال يوم القيامة (في سموم) اي هم في حرنار تنفذ في المسام وهي ثقب البدن وتحرق الاجساد والكباد قال في القاموس السموم الريح الحارة تكون غالبا في النهار والحرور الريح الحارة بالليل وقد تكون بالنهار (وحميم) وهو الماء المتناهي في الحرارة (وظل من يحموم) من دخان اسود بهيم فان اليحموم الدخان والاسود من كل شئ كما في القاموس يقول من الحمة بالضم وهو الفحم تقول العرب اسود يحموم اذا كان شديد السواد قال الضحاك النار سوداء واهلها سود وكل شئ فيها اسود ولذا لايكون في الجنة الاسود الا الخال واشفار العين والحاجب يقول الفقير فيه تحذير عن شرب الدخان الشايع في هذه الاعصار فانه يرتفع حين شربه ويكون كالظل فوق شاربه مع ما لشربه من الغوائل الكثيرة ليس هذا موضع ذكرها فنسأل الله العافية لمن ابتلي به اذهو مما يستخبثه الطباع السليمة وهو حرام كما عرف في التفاسير (لابارد) كسائر الظلال (ولا كريم) ولانافع من اذى الحر لمن يأوي اليه نفى بذلك ما اوهم الظل من الاستراحة يعني انه سماه ظلا ثم نفى عنه وصفية البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل والكرم صفة لكل مايرضى ويجري في بابه والظل يقصد لفائدتين لبرودته ودفع اذى الحر وان لم تحصل الاستراحة بالبرد لعدمه كمن في البيوت المسدودة الاطراف بحيث لايتحرك فيها الهواء فان من يأوي اليها يتخلص بها من اذى حر الشمس وان لم يستروح ببردها وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لايستأهلون للظل البارد والكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب يقال ترف كفرح تنعم واترفته النعمة اطغته وانعمته وفلان اصر على البغي والمترف كمكرم المتروك يصنع ما يشاء فلا يمنع كما في القاموس اي انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلاجرم عذبوا بنقائضها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) اي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه خلاف برفيها وقال بعضهم الحنث هنا الكذب لانهم كانوا يحلفون بالله مع شركهم لايبعث الله من يموت يقول الفقير يدل على هذا ما يأتي من قوله ثم انكم ايها الضالون المكذبون والحكمة في ذكر سبب عذابهم مع انه لم يذكر في اصحاب اليمين سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مذعنين التنبيه على ان ذلك الثواب منه تعالى فضل لاتستوجبه طاعة مطيع وشكر شاكر وان العقاب منه تعالى عدل فاذا لم يعلم سبب العقاب يظن ان هناك ظلما وفي الآية اشارة الى سموم نار البعد والحجاب وحميم القهر والغضب وظل شجرة الجهل مافيه برد اليقين كسائم الظلال ولايسكن حرارة عطشهم

من طلب الدنيا ولذاتها وما فيه كرم الهمة ايضا حتى يعينهم على ترك الدنيا وزينتها وزخارفها بل لا يزالون يطلبون من الدنيا ما ليس فيها من الاستراحة والاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين يعنى ما كان استظلالهم بشجرة الجهل المركب التى ليس فيها برد اليقين ولا كرم الهمة الا بسبب استعداداتهم الذاتية المجبولة على حب الشهوات واللذات قبل دخولهم فى الوجود العينى وايضا كان استظلالهم بشجرة الجهل لانهم كانوا فى محبة النفس والدنيا متمكنين فى الازل اذ الحنث العظيم هو حب النفس وحب الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم (حب الدنيا رأس كل خطيئة * مرا طاعت نفس شهوت پرست * كه هر اسا عنش قبلهٔ ديكر است * بر مرد هشيار دنيا خسست * كه هر مدتى جاى ديكر كسست (وكانوا) مع شركهم (يقولون) لغاية عنوهم وعنادهم (أئذا متنا) آيا وقتى كه بميريم (وكنا ترابا وعظاما) اى كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا محضة للظرفية والعامل فيها مادل عليه قوله تعالى (أئنا لمبعوثون) لانفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو البعث وهو المرجع للانكار وتقييدها بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له بالكلية وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة (أوآباؤنا الاولون) الواو للعطف على المتسكن فى لمبعوثون يعنى آيا ما دران وپدران پيشين ما نيز مبعوث شوند (قل) ردا لانكارهم وتحقيقا للحق (ان الاولين والآخرين) من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وبالفارسية بدرستى كه پيشينيان از ابناى شما وغير آن وپيشينيان از شما وغير شما وفى تقديم الاولين مبالغة فى الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى (لمجموعون) بعد الموت وكانه ضمن الجمع معنى السوق فعدى تعديته بالى ولذا قال (الى ميقات يوم معلوم) الى ماوقتت به الدنيا وحدت من يوم معلوم لله معين عنده وهو يوم القيامة والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات هو الوقت المضروب للشئ ينتهى عنده او يبتدأ فيه ويوم القيامة ميقات تنتهى الدنيا عنده واول جزء منه فالميقات الوقت المحدود وقد يستعار للمكان ومنه مواقيت الاحرام للحدود التى لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (ثم انكم) الخطاب لاهل مكة واضرابهم عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخى زمانا اورتبة (ايها الضالون) عن الحق والهدى (المكذبون) اى البعث (لآكلون) بعد البعث والجمع ودخول جهنم (من شجر من زقوم) من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اى مبتدؤن الاكل من شجر هو الزقوم وهو شجر كريه المنظر والطعم حار فى اللمس منتن فى الرائحة وهى الشجرة الملعونة فى القرآن قال اهل الحقيقة سدرة المنتهى اعصانها نعيم لاهل الجنة واصولها زقوم لاهل النار فهو مبدأ اللطف والقهر والجمال والجلال (فمالئون) پس پركنند كان باشيد يقال ملأ الاناء فهو مملوء من باب قطع والملئ بالكسر مقدار ما يأخذه الاناء اذا امتلأ (منها) اى من ذلك الشجر والتأنيث باعتبار المعنى (البطون) اى بطونكم من شدة الجوع او بالقسر وفيه بيان لزيادة العذاب وكماله اى لا يكتفى منكم بنفس الاكل كما لا يكتفى من يأكل الشئ تحلة القسم بل تلزمون بان تملأوا منها البطون اى يملأ كل واحد منكم بطنه او بطون الاعداء والاول اظهر والثانى ادخل فى التعذيب (فشاربون عليه) اى على شجر الزقوم اى عقيب ذلك بلا ريث لعطشكم الغالب وتذكير ضمير الشجر باعتبار اللفظ (من الحميم) اى الماء الحار فى الغاية (فشاربون شرب الهيم) كالتفسير لما قبله اى لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها يشبه الاستسقاء فتشرب ولا تروى الى ان تموت او تسقم سقما شديدا جمع اهيم وهيماء فاصله هيم كاحمر وحمر فقلبت الضمة كسرة لتصح الياء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملأوا منه بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الابل العطاش وفيه بيان لزيادة العذاب ايضا اى لا يكون شربكم ايها الضالون كشرب من يشرب ماء حارا منتنا فانه يمسك عنه اذا وجده

مؤلما معذبا بخلاف شربكم فانكم تلزمون بان تشربوا منه مثل مايشرب الجمل الاهيم فانه يشرب ولا يروى وفى الآية اشارة الى افراط النفس والهوى فى شرب ماء حميم الجهل والضلال وفى اكل زقوم المشتهيات المورثة للوبال و لغاية حرصها لاتزيد الاجوعا وعطشا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب * كجا ذكر كنجد در انسان از * بسختى نفس ميكند پادراز (هذا) الذى ذكر من الزقوم والحميم اول مايلقونه من العذاب (نزلهم) اى رزقهم المعد لهم اى كالنزل الذى يعد للنازل مما حضر مكرمة له (يوم الدين) اى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم فماظنك بحالهم بعد ماستقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم مالايخفى كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم لان مايعد لهم فى جهنم ليس مكرمة لهم والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) اى فهلا تصدقون ايها الكفرة بالخلق فان مالايحققه العمل ولايساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق فى شئ او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة اعلم ان الله تعالى اذا اخبر عن نفسه بلفظ الجمع يشير به الى ذاته و صفاته واسمائه كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكما قال انا انزلناه واذا اخبر عن نفسه بلفظ المفرد يشير الى ذاته المطلقة كما قال انى انا الله رب العالمين هذا اذا كان القائل المخبر هو الله تعالى و اما اذا كان العبد فينبغى ان يقول انت يارب لا انتم لايهامه الشرك المنافى لتوحيد القائل ولذا يقال اشهد ان لا اله الا الله ليدل على شهادته بخصوصه فيتعين توحيده و يظهر تصديقه (افرايتم ماتمنون) اى تقذفونه وتصبونه فى ارحام النساء من النطف التى يكون منها الولد فقوله افرايتم بمعنى اخبرونى وماتمنون مفعوله الاول والجملة الاستفهامية مفعوله الثانى يقال امنى الرجل يمنى لاغير ومنيت الشئ امنيه اذا قضيته وسمى المنى منيا لان الخلق منه يقضى (ءانتم تخلقونه) اى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا فى بطون النساء ذكرا اوانثى (ام نحن الخالقون) له من غير دخل شئ فيه وام قيل منقطعة لان مابعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجئ الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لابطريق الخبرية اصالة وفيه اشارة الى معنى ان وقوع نطف الاعمال والافعال وموادها فى ارحام قلوبكم ونفوسكم بخلقى وارادتى لابخلقكم وارادتكم ففيه تخصيص موادالخواطر المقتضية للافعال والاعمال والاقوال الى نفسه وقدرته وسلبها عن الخلق (نحن قدرنا بينكم الموت) اى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة فمنهم من يموت صغيرا ومنهم من يموت كبيرا يقول الفقير قيل لى فى بعض الاسحار اصبر ولايكون الا ما قدر الله تعالى فرضت بعد ايام ابنتى امة الله حتى ماتت جعلها الله فرطا وذخرا وشافعة ومشفعة وقد ثبت ان ابراهيم عليه السلام تعلق باسمعيل فابتلى بذبحه وكذا يعقوب عليه السلام تعلق بيوسف فابتلى بالفراق فهذه كلها مقادير يجب الرضى بها (ومانحن بمسبوقين) اى انا قادرون (على ان نبدل) منكم (امثالكم) لايغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتى مكانكم باشباهكم من الخلق يقال سبقته على كذا اى غلبته عليه وغالب فلانا على الشئ اذا اخذه منه بالغلبة (ونشئكم فيما لاتعلمون) من الخلق والاطوار لاتعهدون بمثلها قال الحسن البصرى رحمه الله اى نجعلكم قردة وخنازير كمن مسخ قبلكم ان لم تؤمنوا برسلنا يعنى لسنا عاجزين عن خلق امثالكم بدلا منكم ومسخكم من صوركم الى غيرها ويحتمل ان الآية تحو الى الوعيد فالمراد امانشأ وهم فى خلق لايعلمونها اوصفات لايعلمونها يعنى كيفيات من الالوان والاشكال وغيرها وفى الحديث (ان اهل الجنة جرد مرد وان الجهنمى ضرسه مثل احد) وفى الآية اشارة الى ان الله تعالى ليس بعاجز عن تبديل الصفات البشرية بالصفات الملكية وجعل السالكين مظهر الصفات غير صفاتهم التى هم عليها اذ تواردت الصفات المختلفة المتباينة على نفس واحدة على مقتضى الحكمة البالغة ليس من المحال الا ترى الى الجوهر الواحد فانه يصير تارة فضة واخرى ذهبا بطرح الاكسير (ولقد علمتم النشأة) اى الخلقة (الاولى) هى خلقتهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم من التراب (فلولا تذكرون) فهلا تتذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق المثال * آنكه ماراز خلوت نابود * مى كشد تا بجلوه كاه وجود * بار ديكر كه ازسموم هلاك * روى پوشيم زير پردهٔ خاك * هم تواند

بامر كن فيكون * كارداز كوشهٔ لحد بيرون * وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور وفى الآية دليل على صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى وترك القياس اذا كان جهلا كان القياس علما وكل ماكان من قبيل العلم فهو صحيح (وفى المثنوى) مجتهد هركه كه باشد نص شناس * اندران صورت نيند يشد قياس * چون نيابد نص اندر صورتى * از قياس آنجا نمايد عبرتى * اين قياسات وتحرى روز ابر * تا بشب مر قبله را كردست حبر * ليك باخر شيد وكعبه پيش رو * اين قياس واين تحرى راجو * ومنه يعلم بطلان قياس ابليس فانه قياس على خلاف الامر عند وروده (كما قال فى المثنوى) اول آنكس كين قياسكها نمود * پيش انوار خدا ابليس بود * كفت نار از خاك بى شك بهترست * من زنارو وزخاك اكدرست * بس قياس فرع براصلش كنيم * اوز ظلمت ما زنور روشنيم * كفت حق نى بلكه لا انساب شد * زهد وتقوى فضل را محراب شد * وفيه اشارة الى اناا ذا قدرنا على انشاء النشأة الاولى البشرية الطبيعية الدنيوية مع عدم مادة من المواد الصفاتية فمن استعجز قدرة الله فقد كفر الاترى الى محو رمى البداية مر زوى النهاية مثل ابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض ومالك بن دينار وغيرهم قدس الله اسرارهم فان الله تعالى انشأهم نشأة اخرى ولو بعد حين (افرايتم) اخبرونى وبالفارسية اخبار كنيد (ما تحرثون) اى تبذرونه من الحب وتعملون فى ارضه بالسقى ونحوه والحرث القاء البذر فى الارض وتهيئتها للزرع (ءانتم تزرعونه) تنبتونه وترد ونه نباتا ربو ويتموالى ان يبلغ الغاية (ام نحن الزارعون) اى المنبتون لا انتم والزرع الانبات وحقيقة ذلك يكون بالامور الآلهية دون البشرية ولذا نسب الحرث اليهم ونفى عنهم الزرع ونسبه الى نفسه وفى الحديث (لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت فان الزارع هو الله) والحاصل ان الحرث فعلهم من حيث ان اختيارهم له مدخل فى الحرث والزرع خالص فعل الله فان انبات السنبل والحب لا مدخل فيه لاختيار العبد اصلا واذا نسب الزرع الى العبد فلكونه فاعلا للاسباب التى هى سبب الزرع والانبات وفى الاسئلة المفحمة الاصح ان الحرث والزرع واحد كقوله تعالى ولاتسق الحرث فهلا اضاف الحرث الى نفسه ايضا والجواب ان اضافة الحرث الينا اضافة الاكتساب واضافته الى نفسه اضافة الخلق والاختراع كقوله تعالى ومارميت اذ رميت قال الحليمى يستحب لكل من القى فى الارض بذرا ان يقرأ بعد الاستعاذة افرايتم الى قوله بل نحن محرومون ثم يقول اللهم الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لا نعمك من الشاكرين ويقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع الآفات الدود والجراد وغير ذلك وفى الآية امتنان ليشكروا على نعمة الزرع واستدلال بان من قدر على الانبات قدر على الاعادة فكما انه ينبت الحب فى الارض وينبت بذر النطفة فى الرحم فكذا ينبت من حب عجب الذنب فى القبر فان كلها حب وذلك لان بذر النطفة وكذا عظم عجب الذنب شئ كخردلة كما اسلفناه (لو نشاء) لو للمضى وان دخل على المضارع ولذا لا يجزمه فهو شرط غير جازم اى لو اردنا (لجعلناه) اى الزرع بمعنى المزروع (حطاما) الحطم كسر الشئ مثل الهشم ونحوه ثم استعمل لكل كسر متناهى والمعنى هشيما اى يابسا متكسرا متفتتا بعدما انبتناه وصار بحيث طعتم فى حيازة غلاله وجمعها (فظلتم) اى فصرتم بسبب ذلك (تفكهون) تتعجبون من سوء حاله اثرما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال اوتندمون على مافعلتم فيه من الاجتهاد وانفقتم عليه اوتندمون على ما اصبتم لاجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون بالنون والتفكن التعجب والفكر والتندم ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعدا ويتركها القرباء فبينما هم اذ غارماؤها فانتفع بها قوم يتفكنون اى يتندمون والحمة العين الحارة من الحميم وهو الماء الحار يستشفى به الاعلاء والمرضى (انا لمغرمون) حال من فاعل تفكهون اى قائلين انا لملزمون غرامة ما انفقنا والغرامة ان يلزم الانسان مالبس فى ذمته وعليه كما فى المغرب اومهلكون بهلاك رزقنا اوبشؤم معاصينا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن محرومون) حرمنا رزقنا اومحدودون لا مجدودون اى ممنوعون من الجدو هو المنع لاحظ لنا ولا جد ولا بخت ولو كنا مجدودين لما فسد علينا هذا (روى) عن انس

ابن مالك رضى الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بارض الانصار فقال ما يمنعكم من الحرث قالوا الجدوبة قال افلا تفعلون فان الله تعالى يقول انا الزارع ان شئت زرعت بالماء وان شئت زرعت بالريح وان شئت زرعت بالبذر ثم تلا رسول الله عليه السلام افرأيتم ما تحرثون الآية ففى الحديث اشارة الى ان الله تعالى هو الذى يعطى و يمنع باسباب و بغيرها فالتوحيد هو ان يعتقد ان التأثير من الله تعالى لا من غيره كالكوكب ونحوه فانه يتهم النفس بالمعصية القاطعة للرزق وفى الحديث ماسنة بامطر من اخرى ولكن اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى والبحار وفى الحديث (دم على الطهارة يوسع عليك الرزق) فاذا كان توسيع الرزق فى الطهارة فتضييقه فى خلافها والرزق ظاهر و باطن وكذا الطهارة والنجاسة فلابد لطالب الرزق مطلقا ان يكون على طهارة مطلقة دائما فان قلت فاحال اكثر السلف فانهم كانوا فقراء مع دوام الطهارة قلت كان السلف فى الرزق المعنوى اكثر من الخلف وهو المقصود الاصلى من الرزق وانما كانوا فقراء فى الظاهر لكمال افتقارهم الحقيقى كما قال عليه السلام اللهم اغننى بالافتقار اليك فنعوا عن الغنى الصورى تطبيقا لكل من الظاهر والباطن بالآخر فهم اغنى الاغنياء فى صورة الفقراء وما عداهم ممن لبس على صفتهم افقر الفقراء فى صورة الاغنياء فالمرزوق من رزق غذاء الروح من الواردات والعلوم والفيوض والمحروم من حرمه فاعرفه (وفى المثنوى) فهم نان كردن نه حكمت اى رهى * زانكه حق گفتست كلوا من رزقه * رزق حق حكمت بوددر مرتبت * كان كلو كبرت نباشد عاقبت * ان دهان بستى دهانى بازشد * كه خورنده لقمهاء رازشد * كرز شيرديوتن راپرورى * درفطام او بسى نعمت خورى (افرأيتم) خبرنمايد (الماء الذى تشربون) عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به (ءانتم انزلتموه من المزن) اى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب (ام نحن المنزلون) له بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام وان كانت بمعنى الابصار او المعرفة فالجملة الاستفهامية استئناف وهذا هو اختيار الرضى (لو نشاء جعلناه اجاجا) ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها فى الشرطية الاولى للفرق بين المطعوم والمشروب فى الاهمية وصعوبة الفقد يعنى ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ما ذكر جميعا من المطعوم والمشروب بتوحيد منعمه واطاعة امره اوفلولا تشكرون على ان جعلناه عذبا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان تحت العرش بحرا تنزل منه ارزاق الحيوانات يوحى الله اليه فيمطر ما شاء من سماء الى سماء حتى ينتهى الى سماء الدنيا و يوحى الى السماء ان غربليه فتغربله فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها موضعها ولا ينزل من السماء قطرة الا بكيل معلوم و وزن معلوم الا ما كان من يوم الطوفان فانه نزل بغير كيل ولا وزن وقال بعض الحكماء ان المطر يأخذه قوس الله من البحر الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض قال بعضهم هو داخل فى القدرة لان ماء البحر مرفيصعد ملحا وينزل عذبا وفى الآية اشارة الى ان بعض بلاد العرب ليس لها آبار ولا انهار جارية فلا يشرب اهلها الا من المطر فى المصانع فنها القدس الشريف و ينبع وجدة المحروسة ونحوها ولماء العذب مزيد فضل فى هذه البلاد ولذا امتن الله به على العباد وفيها اشارة الى ماء المعرفة والعلم الالهى فانه ليس بالكسب والاجتهاد بل بمحض عطاء الله تعالى ولو شاء الله لجعل الماء العذب الجارى من مشرب الكشف والشهود ماء ملحا جاريا من مشرب الحجاب والاحتجاب والجهالة والضلالة فلابد من الشكر على نعم المعارف والحقائق والحكم واعلم ان من حفر بئرا فاما ان يصل الى الماء اولا فان وصل فاما ان يكون ذلك الماء ملحا اوعذبا فعلى تقدير كونه عذبا ليس كالمطر الحاصل بلا اسباب فانه طيب طاهر خالص فهذا مثل علم علماء الرسوم ومثل علم علماء الحقيقة فان الانبياء والاولياء ملهمون من عند الله تعالى ولا خطأ فى الوحى والالهام اصلا ولذا نقول ان علم الصوفية هو العلم الصواب كله فعلمهم تذكرى ليس لهم احتياج الى ترتيب المقدمات بخلاف علماء الرسوم فان علمهم تفكرى محتاج الى ذلك ولابد لطالب الفيض من تهيئة المحل قبل ورود الاترى الى صاحب الحرث فانه يشتغل بتهيئة الارض والقاء البذر

ولايدرى متى ينزل المطر فاذا نزل اصاب محزه ثم اعلم ان الروح ينزل بالمطر وله تعين فى كل نشأة بما يناسبه فعند تمام الخلقة فى الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره لكن عبر عنه بالنفخ لان العقل قاصر عن دركه وكان عليه السلام يكشف رأسه عند نزول المطر ويقول حديث عهد بربه فالروح اى روح كان سبب للحياة مطلقا فينبغى تلقى التجليات الواردة من قبل الحق بتهيئة المحل كما ان النبى عليه السلام كشف رأسه وهى محل نزول المطر وذلك لان المطر ينزل من العلو فيلقى على اعلى شئ فى الانسان وهو الرأس (افرأيتم النار التى تورون) الايراء آتش ازآتش زنه بيرون كردن اى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة يقال ناقة طروقة اى بلغت ان يضرب بها الفحل لان الطرق الضرب (ءأنتم انشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى المرخ والعفار كما مر فى سورة يس (ام نحن المنشئون) لها بقدرتنا (نحن جعلناها تذكرة) استئناف مبين لمنافعها اى جعلنا نار الزناد تذكيرا لنار جهنم من حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم اوتذكرة وموعظة وانموذجا من جهنم لما روى عن النبى عليه السلام (ناركم هذه التى يوقد ابنو آدم جزؤ من سبعين جزأ من حر جهنم) وقيل تبصرة فى امر البعث فانه ليس ابدع من اخراج النار من الشئ الرطب وفى عين المعانى وهو حجة على منكرى عذاب القبر حيث تضمن النار ما لا يحرق ظاهره (ومتاعا) ومنفعة و بلغة لان حمل النار يشق (للمقوين) للذين ينزلون القواء بالفتح وهو القفر الخالى عن الماء والكلاء والعمارة وهم المسافرون وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها ليهرب منها السباع و يصطلوا من البرد و يجففوا ثيابهم و يصلحوا طعامهم فان المقيمين اوالنازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروى يقال اقوى الرجل اذا نزل فى الارض القواء كاصحر اذا دخل فى الصحراء وفى الحديث (قال النبى عليه السلام لجبريل مالى لم ار ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار) وعن انس رضى الله عنه يرفعه ان ادنى اهل النار عذابا الذى يجعل له نعلان يغلى منهما دماغه فى رأسه وفيه بيان شدة نار جهنم وانها ليست كنار الدنيا وقانا الله واياكم منها وفى الآية اشارة الى نار المحبة المشتعلة الموقدة بمقدح الطلب فى حراقة قلب المحب الصادق فى سلوك طريق الحق وشجرتها هى العناية الالهية السرمدية يدل على هذا التأويل قول العارف ابى الحسين المنصور قدس سره حين سئل عن حقيقة المحبة هى العناية الالهية السرمدية لولاها ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان نحن جعلناها تذكرة لارباب النفوس البشرية ليهتدوا بنورها الى سلوك طريق الحق ومتاعا للمقوين اى غذاء لارواح المحبين الطاوين اياما وليالى عن الطعام والشراب كما حكى عن سهل التسترى رحمه الله انه كان يطوى ثلاثين يوما وعن ابى عقيل المغربى قدس سره انه ما اكل سنتين وهو مجاور بمكة وعن كثير من المرتاضين السالكين وانما رفع ادريس عليه السلام الى السماء الرابعة لمبالغته فى التجريد والترويح حتى ان الروحانية غلبت عليه فخلع بدنه وخالط الملائكة واتصل بروحانية الافلاك وترقى الى عالم القدس وقد اقام ستة عشر عاما لم ينم ولم يطعم شيئا ولم يتزوج قط لزوال الشهوة بالكلية حتى صار عقلا مجردا من كثرة الرياضة ورفع الى اعلى الامكنة وهو المكان الذى يدور عليه رحى عالم الافلاك وهو فلك الشمس ثم ان نار المحبة اشد النيران قال الجنيد قدس سره قالت النار يارب اولم اطعك هل كنت تعذبنى بشئ هو اشد منى قال نعم كنت اسلط عليك نارى الكبرى قالت هل نار اعظم منى قال نعم نار محبتى اسكنها قلوب اوليائى المؤمنين كما فى فتح القريب * مهر جانان آتش است عشاق را * مى بسوزد هستئ مشتاق را (فسبح باسم ربك العظيم) لم يقل فسبح ربك لان سبح منزل منزلة اللازم ولم يعتبر تعلقه بالمفعول ومعناه فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى على اضمار المضاف شكرا على تلك النعم وان جحدها الجاحدون او بذكره على المجاز فان اطلاق الاسم للشئ ذكره والباء للاستعانة اوالملابسة والمراد بذكر ربه هنا تلاوة القرآن والعظيم صفة للاسم اوالرب قال ابن العطاء رحمه الله سبحه ان الله اعظم من ان يلحقه تسبيحك اويحتاج الى شئ منك لكنه شرف عبيده بان امرهم ان يسبحوه ليطهروا انفسهم بما يستوجبونه به (فلا اقسم) اى فاقسم ولا مزيدة للتأكيد و تقوية الكلام كما فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وما قيل ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم خصوصا الى مثل هذا القسم العظيم فيأباه تعيين المقسم به

وتفخيم شأن المقسم به (بمواقع النجوم) اى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثرها ثم لايتغير اولان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم اومنازلها ومجاريها فانه تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته مالايحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها واليه ذهب ابن عباس رضى الله عنهما وقيل النجوم الصحابة والعلماء الهادون بعدهم ومواقعهم القبور وقيل غيرذلك (وانه) اى القسم بالمذكور (لقسم لو تعلمون عظيم) لما فى المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لايترك عباده سدى بغير كتاب قوله لو تعلمون اعتراض بين الصفة والموصوف لتأكيد تعظيم المحلوف به وجوابه متروك اربديه نفى علمهم اومحذوف ثقة بظهوره اى لعظمتموه اولعملتم بموجبه ففيه تنبيه على تقصير المخاطبين فى الامر وعظيم صفة قسم وهذه الجملة ايضا اعتراض بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى (انه لقرآن كريم) هو المقسم عليه اى لكتاب كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد على ان يستعار الكرم لما يقوم به الكرم من ذوى العقول الى غيرهم اوحسن مرضى فى جنسه من الكتب اوكريم عندالله وقال بعضهم كريم لانه يدل على مكارم الاخلاق ومعالى الامور وشرآئف الافعال وقيل كريم لنزوله من عند كريم بواسطة الكرام الى اكرم الخلق (فى كتاب مكنون) اى مصون عن غير المقربين من الملائكة اى لايطلع عليه من سواهم وهواللوح المحفوظ (لايمسه الا المطهرون) اما صفة اخرى للكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوضارا لاوزار اوللقرآن فالمراد المطهرون من الاحداث مطلقا فيكون نفيا بمعنى النهى اى لاينبغى ان يمسه الامن كان على طهارة من الادناس كالحدث والجنابة ونحوهما على طريقة قوله عليه السلام المسلم اخو المسلم لايظلمه ولايسلمه اى لاينبغى له ان يظلمه اويسلمه الى من يظلمه فالمراد من القرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واراد به المصحف وفى الفقه لايجوز لمحدث بالحدث الاصغر وهومايوجب الوضوء مس المصحف الا بغلافه المنفصل الغير المشرز كالخريطة ونحوها لان مسه ليس مس القرآن حقيقة لا المتصل فى الصحيح وهو الجلد المشرز لانه من المصحف يعنى تبع له حتى يدخل فى بيعه بلاذكر وهذا اقرب الى التعظيم وكره المس بالكم لانه تابع للحامل فلا يكون حائلا ولهذا لوحلف لايجلس على الارض فجلس وذيله بينه وبين الارض حنث وانما منع الاصغر عن مس المصحف دون تلاوته لانه حل اليد دون الفم ولهذا لم يجب غسله فى الوضوء * والجنابة كانت حالة كليهما ولايرد العين لان الجنب حل نظره الى مصحف بلا قراءة وكذا لايجوز لمحدث مس درهم فيه سورة الابصرته ولا لجنب دخول المسجد الا لضرورة فان احتاج الى الدخول تيمم ودخل لانه طهارة عند عدم الماء ولا قراءة القرآن ولودون آية لان مادونها شئ من القرآن ايضا الا على وجه الدعاء اوالثناء كالبسملة والحمدلة وفى الاشباه لوقرأ الفاتحة فى صلاته على الجنازة ان قصد الدعاء والثناء لم يكره وان قصد التلاوة كره وفيه اشارة الى ان حكم القراءة يتغير بالقصد ويجوز للجنب الذكر والتسبيح والدعاء * والحائض والنفساء كالجنب فى الاحكام المذكورة ويدفع المصحف الى الصبى اذفى الامر بالوضوء حرج بهم وفى المنع تضييع حفظ القرآن اذا لحفظ فى الصغر كالنقش فى الحجر وفى الاشباه يمنع الصبى من مس المصحف انتهى والتوفيق ظاهر وفى كشف الاسرار واما الصبيان فلاصحابنا فيهم وجهان احدهما انهم يمنعون منه كالبالغين والثانى انهم لايمنعون لمعنيين احدهما ان الصبى لومنع ذلك ادى الى ان لايتعلم القرآن ولا يحفظه لان وقت تعلمه وحفظه حال الصغر والثانى ان الصبى وان كانت له طهارة فليست بكاملة لان النية لاتصح منه فاذا جاز ان يحمله على غير طهر كامل جاز ان يحمله محدثا ودرانوار مذكور رست كه جنب وحائض رابقول ابى يوسف جائزست كتابت قرآن وقتى كه لوح برزمين بودنه بركنار ونزد محمد بهيچ وجه روانيست ومحمد بن فضل رحمه الله فرموده كه مراد ازين طهارت توحيد ست يعنى بايد كه ازغير موحدان كسى قرآن نخواند وابن عباس رضى الله عنه نهى ميكرد ازانكه يهود ونصارى را تمكين دهند ازقراءت قرآن وقال بعضهم يجوز للمؤمن تعليم القرءان للكافر رجاء هدايته الى الاسلام و محققا كفته اند مراد ازمس اعتقاد ست يعنى معتقد نباشد قرآنرا اكرپاكيزه دلان كه مؤمنانند وبا تفسير وتأويل آن

ندانند الا آنها كه سرايشان پاك باشد ازماسوى الله * جمال حضرت قران نقاب انكه براندازد * كه دار الملك معنى رامجرد بيند ازغوغا * ودربحر الحقائق فرموده كه مكاشف نشود باسرار قرآن مگر كسى كه پاكيزه كردد ازلوث توهم غير ورسد بمقام شهود حق درمرآى خلق واين معنى ميسر نشود جز بفناى مشاهد وشهود درمشهود * چون تجلى كردد اوصاف قديم * پس بسوزد وصف حادث راكليم * وتحقيقه ان الهاء اشارة الى الهوية الالهية فانه لايمس سرها الا المطهرون عن جنابة كل مقام من المقامات الوجودية وهى التعلق به والبعد بواسطته عن الحق المطلق والمطهر بالفتح لابد له من المطهر بالكسر وهو الله تعالى فالعبد لا يطهر نفسه ولا يزكيها وانما يطهره الله ويزكيه فاذا طهره الله وزكاه فهم مراد القرآن ولذا قال بعض الكبراء ان القرآن بكر اى بالنسبة الى علماء الظاهر والرسم فانما الذى فهموه من القرآن انما هو ظاهره ومزاياه المتعلقة به وانما حل عقدته علماء الباطن والحقيقة لان الله تعالى قال واتقوا الله ويعلمكم الله فهم اهل التقوى الحقيقى ولذا علمهم الله مالم يعلم احدا من العالمين وان كان القرآن لاتنقضى عجائبه وقس عليه الحديث فان مراد رسول الله عليه السلام على الحقيقة لايفهمه الا اهل الحقيقة ومن ثمة اقتصر علماء الحديث وشراحه على بيان الاعراب والمفهوم الظاهرى من غيران يتعرضوا لحقائقه فأين شرح النووى والكرمانى وابن حجر ونحوهم من شرح الصدر القنوى ونحوه رضى الله عنهم (تنزيل من رب العالمين) صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه يعنى ان التنزيل بمعنى المنزل سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق على قول من يجيزه (افبهذا الحديث) الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم وسماه حديثا لان فيه ذكر حوادث الامور كما فى كشف الاسرار وهو متعلق بقوله مدهنون وجاز تقديمه على المبتدأ لان عامله يجوز فيه ذلك والاصل افأنتم مدهنون بهذا الحديث (انتم) ياأهل مكة (مدهنون) الادهان فى الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة وترك الجد والمعنى مهاونون به ومستحقرون كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وفى تاج المصادر الادهان مداهنت كردن وغسل كردن قال فى الاحياء الفرق بين المداهنة والمداراة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فأنت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن قال ابو الدرداء رضى الله عنه انا لنبش فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو منع شر من يخاف شره (وتجعلون رزقكم) اى شكر رزقكم بتقدير المضاف ليصح المعنى والرزق فى الاصل مصدر سمى به مايرزق والمراد نعمة القرآن (انكم تكذبون) اى تضعون التكذيب لرازقه موضع الشكر او تجعلون شكر رزقكم الصورى انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانواء وكان عليه السلام يقول لو حبس الله القطر عن امتى عشر سنين ثم انزل لاصبحت طائفة منهم يقولون سقينا بنوء كذا وقال عليه السلام اخوف مااخاف على امتى حيف الائمة والتكذيب بالقدر والايمان بالنجوم (وروى) انه عليه السلام صلى صلاة الصبح بالحديبية فى اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب وفى الحديث (ثلاث من امر الجاهلية الطعن فى الانساب والنياحة والانواء) فالطعن معروف والنياحة البكاء على الميت مع تعديد محاسنه والانواء جمع نوء المنازل الثمانى والعشرون للقمر والعرب كانت تعتقد ان الامطار والخير كله يجيء منها وفى حواشى ابن الشيخ فى سورة الفرقان الانواء النجوم التى يسقط واحد منها فى جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه فى جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها انتهى وفى القاموس النوء النجم مال للغروب او سقوط النجم فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق انتهى فظهر ان التأثير من الله تعالى فى الاشياء فيجب على المؤمن ان يعتقده منه تعالى لا من الافلاك والنجوم والدهر ونحوها وفى هداية المهديين لو صاحت الهامة او طير آخر فقال رجل يموت المريض يكفر ولو خرج الى السفر ورجع فقال ارجع لصياح العقعق كفر

عند بعضهم وقيل لاولو قال عند صياح الطير غله كران مى خواهد شد فقد اختلف المشايخ فى كفره وجه الكفر ظاهر لانه ادعى الغيب انتهى والناس يتشاءمون باصوات بعض الطيور كالهامة والبوم (كما قال الشيخ سعدى) بلبلا مژدهٔ بهار بیار * خبری بدبیوم بازکذار * فان يكن هناك اعتقاد التأثير منها فذلك كفر والافمجرد التشاؤم لايوجب الكفر خصوصا اذاكان القول بطريق الاستدلال من الامارات والأليق بحال المؤمن حمل مثل ذلك على التنبيهات الالهية فان الله فى كل شئ حكمة لاالقطع على المقدورات والجزم فيما لايبلغ علمه كنهه فان الله يحيى ويميت ويوقظ وينيم باسباب وبغيرها (فلولا) پس چرا (اذا بلغت الحلقوم) لولاالتحضيض لاظهار عجزهم واذاظرفية والحلقوم مجرى الطعام وفى كشف الاسرار مجرى النفس والبلعوم مجرى الطعام اى فهلا اذابلغت النفس اى الروح اونفس احدكم وروحه الحلقوم وتداعت الى الخروج وهو كناية عن غير مذكور وفى الحديث (ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيا فشيا حتى ينتهى بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت (وانتم) الواو للحال من فاعل بلغت اى والحال انتم ايها الحاضرون حول صاحبها (حينئذ) ان هنكام (تنظرون) الى ماهو فيه من الغمرات ولكم تعطف عليه ووفور رغبة فى انجائه من المهالك (ونحن اقرب اليه) اى الى المحتضر علما وقدرة وتصرفا قال بعضهم عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع (منكم) حيث لاتعرفون حاله الاما تشاهدونه من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولاان تقدروا على دفع ادنى شئ منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت الذين يقبضون روحه (ولكن لاتبصرون) لاتدركون كنه مايجرى عليه لجهلكم بشؤونناففوله لاتبصرون من البصيرة لامن البصر والاقرب تفسيره بقوله لاتدركون كوننا اعلم به منكم كما فى حواشى سعدى المفتى قال البقلى رحمه الله قرب الله بالتفاوت قرب بالعلم وقرب بالاحاطة وقرب بالفعل وقرب بالصفة وقرب بالقهر وقرب باللطف والمسافة والمكان منفى عن ذاته وصفاته ولكن يتجلى لقلوب من عين العظمة لاذابتها برؤية القهر ولقلوب من عين الجمال ليعرفها الاصطفائية وذلك القرب لايبصره الا اهل القرب وشواهده ظاهرة لأهل المعرفة وفى الخطاب تحذير وترهيب (فلولا) بمعنى هلا (ان كنتم غير مدينين) اى غير مربوبين مملوكين اذلاء من دان السلطان رعيته اذاساسهم واستعبدهم وفى المفردات اى غير مجزيين فان الدين الجزآء ايضا وهو ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعى عدم المحضض عليه حتما (ترجعونها) اى النفس الى مقرها وتردون روح ميتكم الى بدنه من الرجع وهو الرد وهو العامل فى اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتأكيد وهى مع مافى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم (ان كنتم صادقين) فى اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم اى فاذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به وهو تكرير للتأكيد لامن اعتراض الشرط اذلامعنى له هنا (فاما ان كان من المقربين) هو قرب درجاتهم من العرش لامن الله من حيث الجهة حسبما قال به الحشوية وهو شروع فى بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اى فاما ان كان المتوفى من المقربين وهم اجل الازواج الثلاثة (فروح) اى فله استراحة وقرئ بضم الرآء وفسر بالرحمة لانها سبب لحياة المرحوم فاطلاقه على الرحمة استعارة تصريحية وبالحياة الدآئمة التى لاموت فيها قال بعضهم الروح يعبر به عن معان فالروح روح الاجسام الذى يقبض عند الممات وفيه حياة النفس والروح جبرآئيل لانه كان يأتى الانبياء بما فيه حياة القلوب وعيسى روح الله لانه كان من نفخ جبرآئيل واضيف الى الله تعظيما وكلام الله روح لانه حياة من الجهل وموت الكفر ورحمة الله روح كقوله تعالى وايدهم بروح منه اى برحمة والروح الرزق لانه حياة الاجساد وفى القاموس الروح بالضم مابه حياة الانفس وبالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح ومكان روحانى طيب والروحانى بالضم مافيه الروح وفى كتاب الملل والنحل الروحانى بالضم من الروح والروحانى بالفتح من الروح والروح والروح متقاربان فكان الروح جوهر والروح حالته الخاصة به انتهى (وريحان) ورزق اوهو مايشم وعن ابى العالية لايفارق احد

من المقربين الدنيا حتى يؤتى ببعض من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه وقال الزجاج الريحان هنا التحية لأهل الجنة يكى از بزركان دين كفته است كه روح وريحان هم دردنياست هم درعقبى روح دردنياست وريحان درعقبى روح آنست كه دل بنده مؤمن رابنظر خويش بيارايد تاحق از باطل واشناسد انكه بعلم فراخ كند تاقدرت دران جاى يابدانكه بينا كند تابنور منت مى بيند شنوا كند تابند ازلى مى شنود پاك كند تاهمه صحبت اوجويد بعطر وصال خوش كند تادران مهر دوست رويد بنور خويش روشن كند تاازو باردیگر بصيقل عنايت بزدايد تادر هرچه نكرد اورابيند بنده چون بدين صفت بسراى سعادت رود انجاريحان كرامت بيند نسيم انس از باغ قدس دميده ز پردرخت وجود تخت رضانهاده بساط انس كسترده شمع عطف افروخته و برفلك نشسته ودوست ازلى پرده بركرفته بسمع بنده سلام رسانيده وديدار ذوالجلال نموده (وجنة نعيم) اى ذات تنعم فالاضافة لأدنى الملابسة (وقال الكاشفى) بوستان پرنعمت قال بعض اهل الحقيقة فله روح الوصال وريحان الجمال وجنة الجلال لروحه روح الانس ولقلبه ريحان القدس ولنفسه جنة الفردوس اوالروح النظر الى وجه الجبار والريحان الاستماع لكلامه وجنة النعيم هوان لايحجب العبد فيها عن مولاه اذاقصد زيارته وللمقربين ذلك فى دار الدنيا وروحهم المشاهدة وريحانهم سرور الخدمة وجنة النعيم السرور بذكره وقال بعضهم الروح للعابدين والريحان للعارفين وجنة النعيم لعوام المؤمنين اوفله روح الشهود الذاتى وريحان السرور وجنة نعيم اللذات بالوصول اليها والدخول فيها يقول الفقير الروح للنفوس والاجساد لانها تستريح بعد الموت برفع التكاليف عنها وان كان اهل الله على نشاط دائم فى باب الخدمة لان التعب يرتفع بالوصول الى الله لكونه من آثار النفس والطبيعة ولانفس ولاطبيعة بعد الوصول والريحان للقلوب والارواح ولذا حبب الى النبى عليه السلام الطيب لانه يوجد فيه ذوق الانس والمحاضرة وجعل عليه السلام الولد من الريحان لانه يشم كما يشم المشموم وانه من تنزلات ابيه كما ان القلوب من تنزلات الارواح والارواح من تنزلات الاسرار ووجد عليه السلام نفس الرحمن من قبل اليمن وانما وجده قلبه وروحه وكان ذلك النفس عصام الدين عم اويس القرنى وكان حينئذ قطب الابدال وكان عليه السلام يستنشق بحس شمه ايضا روائح الجنة ونحوها وجنة نعيم للاسرار وهى الجنة المضافة الى الله تعالى فى قوله وادخلى جنتى وعند دخولهم هذه الجنة لايراهم احد ابدا لعلو طبقتهم ورفعة درجتهم فلا يعرفهم احد لافى الدنيا ولافى العقبى فهم من قبيل المعلوم المجهول (واما ان كان من اصحاب اليمين) عبر عن السابقين بالمقربين لكونه اجل اوصافهم وعبر عن اصحاب اليمين بالعنوان السابق اذلم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شانهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين واستعير اليمين للتيمن والسعادة قاله الراغب (فسلام لك) ياصاحب اليمين (من اصحاب اليمين) من اخوانك يسلمون عليك عند الموت وبعده فيكون السلام اشارة له انه من اهل الجنة قال فى الارشاد هذا اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لاحكاية لانشاء سلام بعضهم على بعض والالقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف قال سهل رحمه الله اصحاب اليمين هم الموحدون اى العاقبة لهم بالسلامة لانهم امناء الله قدادوا الامانة بعنى امره ونهيه لم يحدثوا شيا من المعاصى والزلات قد امنوا الخوف والهول الذى ينال غيرهم وحقيقته ان المقربين اصحاب الشهود الذاتى واصحاب اليمين اصحاب الشهود الاسمائى والصفاتى فله السلامة من اسمه السلام على لسان اخوانه الاسمائية نسأل الله لى ولكم السلامة والنجاة والانس والحضور والشهود فى اعلى المقامات والدرجات (واما ان كان من المكذبين الضالين) وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب وهو تكذيب البعث ونحوه والضلال عن الحق والهدى (فنزل) اى فله نزل كائن (من حميم) يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وبالفارسية پس مر اوراست پيشكش در قبر ازاب كرم كرده در دوزخ بادود آتش دوزخ (وتصلية جحيم) اى ادخال فى النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك مايجده فى القبر من سموم النار ودخانها يقال اصلاه النار وصلاه اى جعله يصلاها والمصدر هنا مضاف الى المفعول (ان هذا) اى الذى ذكر فى هذه السورة الكريمة (لهو حق اليقين) اى حق الخبر اليقين فهو من قبيل

اضافة الموصوف الى الصفة على الاتساع والمجاز وقيل الحق الثابت من اليقين اى الحق الثابت الذى لايطرأ عليه التبدل والتغير وقال ابو الليث اى يقين حق اليقين انتهى واليقين علم يحصل به ثلج الصدور ويسمى برد اليقين فهو العلم الذى يحصل به اطمئنان النفس ويزول ارتيابها واضطرابها والمراد هنا المعلوم المتيقن به لان المبتدأ عبارة عن المعلوم فيجب ان يكون الخبر ايضا كذلك والتقدير ان هذا لهو ثابت الخبر المتيقن به اى الثابت منه على ان الاضافة بمعنى من وفى فتح الرحمن هذه عبارة فيها مبالغة لانها بمعنى واحد كما تقول فى امر توكده هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى انه نهاية الصواب فهى عبارة مبالغة وتأكيد معناه ان هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته انتهى قال ابن الملك اضافة العلم الى اليقين اضافة الشئ الى مرادفه كما فعلوا مثل ذلك فى العطف وفى شرح النصوص بالنون العلم اليقينى هو العلم الحاصل بالادراك الباطنى بالفكر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يؤمنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية الا بمناسبة الارواح القدسية فاذا يكون العلم عينا ولا مرتبة للعين الا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة الا بزوال حجاب الاثنينية فاذا يكون العين حقا ولا مرتبة للحق الا الادراك باحدية جمعك اى بحقيقتك المشتملة على المدركات الظاهرة والباطنة والجامعة بين روحانيتك وجسمانيتك اى يدركها بها ادراكا يستوعب معرفة كل ما اشتملت عليه حقيقة المدرك من الامور الظاهرة والباطنة وهو حال الكامل وصفة من صار قلبه مستوى الحق الذى قد وسعه كما اخبره لانه حال جمع الجمع وزيادة هذه المرتبة اى حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعينه للاولياء وحقه للانبياء واما حقيقة اليقين وهو باطن حق اليقين فهو لنبينا عليه السلام وهذه الدرجات والمراتب لا تحصل الا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الاكل والذكر والسكوت بالفكر فى ملكوت السموات والارض وباداء السنن والفرائض وترك ماسوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض واكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه الى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة انتهى وقال ابن عطاء رحمه الله ان هذا القرآن لحق ثابت فى صدور الموقنين واهل اليقين وهو الحق من عند الحق فلذلك تحقق فى قلوب المحققين واليقين ما استقر فى قلوب اوليائه وقد قال سيدنا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا * حال خلد وجحيم دانستم * يقين انجنانكه مى بايد * كر حجاب ازميانه برگيرند * آن يقين ذرهٔ نيفزايد يعنى اكر احوال آخرت منكشف شود وجمله رامعاينه كنم يك ذره در يقين من زياده نشود كه علم اليقين من امروز چو عين اليقين منست درفرداوقال عليه السلام اللهم انى اسألك ايمانا يباشر قلبى ويقينا ليس بعده كفر وهو اليقين الحاصل بالعيان وظهور الحقيقة ولذا تقول اهل علم اليقين ذوخطر لايحصل منه الارشاد بخلاف اهل عين اليقين فانه قطب ارشاد وبخلاف اهل حق اليقين فانه قطب الاقطاب فالتجليات ثلاثة تجل علمى وتجل عينى وتجل حقى فالاول كعلم الكعبة علما ضروريا من غير رؤية والثانى مثل رؤيتها من بعيد والثالث كدخولها قال قتادة ان الله ليس تاركا احدا من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن اما المؤمن فايقن فى الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة واما الكافر فايقن يوم القيامة حين لاينفعه (قال مولى الجامى) سيراب كن زبحر يقين جان تشنه را * زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب (فسبح) يامحمد (باسم ربك العظيم) الفاء لترتيب التسبيح والامر به على ماقبلها فان حقية مافصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لايليق بشانه الجليل من الامور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقه بالحق وقال ابو عثمان قدس سره فسبح شكرا لما وفقك اليه من التمسك بسنتك وفى فتح الرحمن هذه عبارة تقتضى الامر بالاعراض عن اقوال الكفار وسائر امور الدنيا المختصة بها وبالاقبال على امور الآخرة وعبادة الله والدعاء اليه (روى) انه لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكان عليه السلام يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وسر اختصاص سبحان ربى العظيم بالركوع والاعلى بالسجود ان الاول اشارة الى مرتبة الحيوان والثانى اشارة الى مرتبة النبات والجماد فلابد من الترقى فى التنزيه والحق سبحانه فوق التحت كما انه فوق الفوق ونسبة الجهات اليه على السواء لتنزاهته عن التقيد بالجهات فلهذا شرع التسبيح فى الهبوط واختلف الائمة فى التسبيح المذكور فى الصلاة فقال احمد هو واجب تبطل

الصلاة بتركه عمدا ويسجد لتركه سهوا والواجب عنده مرة واحدة وادنى الكمال ثلاث وقال ابو حنيفة والشافعي هو سنة وقال مالك يكره لزوم ذلك لئلا يعد واجبا فرضا والاسم هنا بمعنى الجنس اى بأسماء ربك والعظيم صفة ربك درخبرست كه عثمان بن عفان رضى الله عنه عيادت كرد عبد الله بن مسعودرا رضى الله عنه در بيمارئ مرك كفت ياعبد الله اين ساعت ازچه مى نالى كفت اشتكى ذنوبى يعنى بر كناهان خودمى انالم عثمان كفت چه آرزو ست ترادرين وقت كفت رحمة ربى يعنى ارزوى من آنست كه الله تعالى برمن رحمت كند و برضعف وعجزمن ببخشايد عثمان كفت افلا ندعوا لطبيب يعنى طبيب را خوانيم تادرد ترا مداوات كند كفت الطبيب امرضنى يعنى طبيب مرا برو زبيمارى افكند كفت خواهى تاترا عطايى فرمايم كه ببعضى حاجتهاء خود صرف كنى كفت لاحاجة لى به يعنى وقتى مرا باين حاجت نيست وهيچ در بايست نيست كفت دستورى هست تابد خترانت دهم ناچار ايشانرا حاجت بود كفت نه كه ايشانرا حاجت نيست واكر حاجت بود بهازين من ايشانرا عطايى داده ام كفتدام كه بوقت حاجت وضرورت سورة الواقعة برخوانيد كه من ازرسول خدا شنيدم كه عليه السلام من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا قال سعدى المعنى هوحديث صحيح وفى حديث آخرمن داوم على قراءة سورة الواقعة لم يفتقر ابدا قال ابن عطية فيها ذكر القيامة وحظوظ الناس فى الآخرة وفهم ذلك غنى لافقر معه ومن فهمه يشتغل بالاستعداد قال الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين قراءة هذه السورة عند الشدة فى امر الرزق والخصاصة شئ وردت به الاخبار المأثورة عن النبى عليه السلام وعن الصحابة رضى الله عنهم حتى ابن مسعود رضى الله عنه حين عوتب فى امر ولده اذلم يترك لهم الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة فان قلت ارادة متاع الدنيا بعمل الآخرة لاتصح قلت مراده ان يرزقهم الله تعالى قناعة اوقوتا يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى وقوة على درس العلم وهذه من جملة ارادة الخير دون الدنيا فلارياء انتهى كلامه وعن هلال بن يساف عن مسروق قال من اراد ان يعلم نبأ الاولين والآخرين ونبأ اهل الجنة واهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة

تمت سورة الواقعة بعون الله تعالى فى اوائل صفر الخير من سنة خمس عشرة ومائة والف

(سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله مافى السموات والارض) التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لايليق بجنابه سبحانه بدأ الله بالمصدر فى الاسراء لانه الاصل ثم بالماضى فى الحديد والحشر والصف لانه اسبق الزمانين ثم بالمستقبل فى الجمعة والتغابن ثم بالامر فى الاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها ففيه تعليم عباده استمرار وجود التسبيح منهم فى جميع الازمنة والاوقات والحاصل ان كلا من صيغتى الماضى والمضارع جردت عن الدلالة على مدلولها من الزمان المخصوص فاشعر باستمراره فى الازمنة لعدم ترجيح البعض على البعض فالمكونات من لدن اخراجها من العدم الى الوجود مسبحة فى كل الاوقات لايختص تسبيحها بوقت دون وقت بل هى مسبحة ابدا فى الماضى وتكون مسبحة ابدا فى المستقبل وفى الحديث (افضل الكلام اربع سبحان الله والحمد لله ولااله الاالله والله اكبر لايضرك بايهن بدأت) وسئل على رضى الله عنه عن سبحان فقال كلمة رضى الله لنفسه وسبح متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وتسبحوه واللام امامزيدة للتأكيد كما فى نصحت له وشكرت له فى نصحه وشكرته اوللتعليل والفعل منزل منزلة اللازم اى فعل التسبيح واوقعه واحدثه لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه والمراد بما فى السموات والارض جميع المخلوقات من حى وجماد وجاء بما تغليبا للاكثر مع ان اكثر العلماء على ان مايعم العقلاء وغيرهم والمراد بتسبيح الكل تسبيح عبادة ومقال كما قال بعض الكبار قد اخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الامن شاء الله والاشياء كلها انما خلقت له سبحانه لتسبح بحمده واما انتفاعنا بها انما هو بحكم التبعية لابالقصد الاول قال الحسن البصرى رحمه الله اولا مايخفى عليكم من تسبيح من معكم فى البيوت ماتقارنتم ثم قال بعضهم لايصدر عن الحى الاحى ولووجد من العالم موجود غير حى لكان غير مستند الى حقيقة آلهية وذلك محال فالجماد ميت فى نظر المحجوب حى فى نفس الامر لا ميت لان حقيقة الموت مفارقة حى مدبر لحى مدبر والمدبر والمدبر حى والمفارقة نسبة عدمية

لاوجودية فان الشان انما هو عزل عن ولاية وانتقال من دار الى دار وليس من شرط الحى ان يحس لان الاحساس والحاس امر معقول زائد على كونه حيا وانما هما من شرط العلم وقد يحس وقد لا يحس وتأمل صاحب الآكلة اذا اكل ما يغيب به احساسه كيف يقطع عضوه ولا يحس به مع انه حى ليس بميت وقال بعضهم كل شئ فى العالم يسبح الله بحمده الذى اطلعه الله على انه حمد به نفسه ويختلف ذلك باختلافهم الا الانسان خاصة فان بعضه يسبح بغير حمده ولا يقبل من الحق بعض ما اثنى به على نفسه فهو يؤمن ببعض وهو قوله ليس كمثله شئ ويكفر ببعض وهو تنزيه الله عما اضافه الى نفسه ووصف نفسه به من التشبيه بالمحدثات فقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده اى بالثناء الذى اثنى به الحق على نفسه وانزله على السنة رسله لا بما ولده العقل فان الله تعالى قال فى حق من سبح الحق بعقله سبحان ربك رب العزة عما يصفون اعلاما لنا انه ورآء كل ثناء واهل الله تعالى لا بد لهم فى سلوكهم من سماع تسبيح كل شئ بلسان طلق لا لسان حال كما يعتقده بعضهم ثم ان الله تعالى من رحمته يأخذ اسماعهم بعد تحققهم ذلك ويبقى معهم العلم لانه لو اسمعهم ذلك على الدوام لطاشت عقولهم وفى الحديث (ان كل شئ من الجماد والحيوان يسمع عذاب القبر الا الثقلين فثبت ان السموات والارض بجميع اجزائهما وما فيهما من الملك والشمس والقمر والنجوم والانس والجن والحيوان والنبات والجماد لها حياة وفهم وادراك وتسبيح وحمد كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم واعلم ان الله تعالى هو المسبح اسم مفعول فى مقام التفصيل والمسبح اسم فاعل فى مقام الجمع فالتسبيح تنزيه الحق بحسب مقام الجمع والتفصيل من النقائص الامكانية ومن الكمالات الانسانية المختصة من حيث التقيد والتعين (وهو العزيز) بقدرته وسلطانه لا يمانعه ولا ينازعه شئ (الحكيم) بلطفه وتدبيره لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة وفيه اشعار بعلية الحكم فان العزة وهى الغلبة على كل شئ تدل على كمال القدرة والحكمة تدل على كمال العلم والعقل يحكم بان الموصوف بهما يكون منزها عن كل نقص كالعجز والجهل ونحوهما ولذا كان الامن كفرا لان فيه نسبة العجز الى الله تعالى وكذا اليأس لان فيه نسبة البخل الى الله الجواد (له ملك السموات والارض) اى التصرف الكلى ونفوذ الامر فيهما وما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلم ومالا نعلم يقول الفقير فان قلت كيف اضاف الملك الى ما هو مثناه وكمال ملكه تعالى غير مثناه قلت ان السموات والارض ظاهرا وهو ما كان حاضرا ومرئيا من عالم الملك وهو مثناه لانه من قبيل الاجسام والصور وباطنا وهو ما كان غائبا غير محسوس من اسرارهما وحقائقهما وهو غير مثناه لانه من عالم الملكوت والمعانى فاضافة الملك الى الله تعالى اضافة مطلقة يندرج تحتها الملك والملكوت وهما غير متناهيين فى الحقيقة الا ترى ان القرآن لا تنقضى عجائبه فهو بحر لا ساحل له من حيث اسراره ومن حيث ان المتكلم به هو الذى لا نهاية له وان كان اى القرآن متناهيا فى الظاهر والحس فالمراد بالملك هو الملك الحقيقى لان ملك البشر مجاز كما سيتضح بيانا فى هذه السورة (يحيى ويميت) استئناف مبين لبعض احكام الملك اى يحيى الموتى والنطف والبيض ويميت الاحياء ومعنى الاحياء والاماتة جعل الشئ حيا وجعله ميتا وقد يستعاران للهداية والاضلال فى نحو قوله اومن كان ميتا فأحييناه وهو يحيى القلوب بتجلى اسم المحيى ويميت النفوس بتجلى اسم المميت او يحيى النفوس بموت القلوب ويميت القلوب بحيات النفوس على طريق المغالبة وقال ابن عطاء رحمه الله هو مالك الكل وله الملك اجمع يميت من يشاء بالاشتغال بالملك ويحيى من يشاء بالاقبال على الملك (وهو على كل شئ) من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة على مقتضى الحكمة والارادة (قدير) تام القدرة فان الصيغة للمبالغة (هو الاول) السابق على سائر الموجودات بالذات والصفات لا انه مبدئها ومبدعها فالمراد بالسبق والاولية هو الذاتى لا الزمانى فان الزمان من جملة الحوادث ايضا (والآخر) الباقى بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهى فانية * اول او اول بى ابتدا * آخرا وآخر بى انتها بود ونبود اين چه بلند ست وپست * باشد واين نيرتبا شد كه هست (والظاهر) وجود الكثرة دلائله الواضحة (والباطن) حقيقة فلا يحوم العقل حول ادراك كنهه وليس يعرف الله الا الله وتلك الباطنية سواء فى الدنيا والآخرة فاضمحل ما فى الكشاف من ان فيه حجة على من جوز ادراكه فى الآخرة بالحاسة وذلك

فان كونه باطنا بكنه حقيقته لاينافى كونه مرئيا فى الآخرة من حيث صفاته (وهو بكل شئ عليم) لايعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفى فان عليم صيغة مبالغة تدل على انه تعالى تام العلم بكل شئ جليه وخفيه وفى هذا المقام معان اخر هوالاول الذى تبتدأ منه الاسباب والآخر الذى تنتهى اليه المسببات اى اذا نظرت الى سلسلة الموجودات المتكونة بعضها من بعض وجدت الله مبدأ تلك السلسة ومنتهاها تبتدئ منه سلسلة الاسباب وتنتهى اليه سلسلة المسببات ولذا قالوا لاتعتمد على الريح فى استواء السفينة وسيرها وهذا شرك فى توحيد الافعال وجهل بحقائق الامور ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح لا يتحرك بنفسه بل له محرك الى ان ينتهى الى المحرك الاول الذى لامحرك له ولايتحرك هوفى نفسه ايضا بل هومنزه عن ذلك وعما يضاهيه والظاهر اى الغالب على كل شئ والباطن اى العالم بباطن كل شئ على ان يكون الظاهر من ظهر عليه اذا علاه وغلب والباطن من بطنه اذا علم باطنه ولم يرتضه الزمخشرى لفوات المطابقة بين الظاهر والباطن حينئذ (وروى) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال دخلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته خادما فقال لهاعليه السلام الادلك على ماهو خيرلك من ذلك ان تقولى اللهم رب السموات السبع و رب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ منزل التوراة والانجيل والفرقان فالق الحب والنوى اعوذبك من شركل ذى شرانت آخذ بناصيته انت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنى الدين واغننى من الفقر عنى بالظاهر الغالب والباطن العالم ببواطن الاشياء يعنى انه الغالب الذى يغلب كل شئ ولايغلب عليه فيتصرف فى المكونات على سبيل الغلبة والاستيلاء اذليس فوقه احد يمنعه والعالم ببواطن الاشياء فهو الملجأ والمنجى يلتجئ اليه كل ملتجئ لاملجأ ولامنجى دونه اى غيره وقال الامام احتج كثير من العلماء فى اثبات ان الاله واحد بقوله هو الاول قالوا الاول هوالفرد السابق ولهذا لوقال احداول مماوك اشتريته فهو حر ثم اشترى عبدين لم يعتقا لان شرط كونه اولا حصول الفردية وهنا لم تحصل فلو اشترى بعد ذلك عبدا واحدا لم يعتق لان شرط الاولية كونه سابقا وههنا لم يحصل فثبت ان الشرط فى كونه اولا ان يكون فردا فكانت الآية دالة على ان صانع العالم واحد فرد وايضا هوالاول خارجا لانه موجد الكل والآخر ذهنا كما يدل عليه براهين اثبات الصانع او بحسب ترتيب سلوك العارفين فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ولاحظت منازل السالكين السائرين اليه تعالى فهو آخر مايرتقى اليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهى مرقاة الى معرفته والمنزل الاقصى هو معرفة الله فهو آخر بالاضافة الى السلوك فى درجات الارتقاء فى باب المعارف واول بالاضافة الى الوجود الخارجى فانه المبتدأ اولا واليه المرجع آخرا وقال بعض الكمل هوالاول باعتبار بدء السير نزولا والآخر باعتبار ختم السير عروجا والظاهر بحسب النظر الى وجود الحق والباطن بحسب النظر الى وجود الخلق وهذا ماقالوا ان ظاهر الحق باطن الخلق و باطن الخلق ظاهر الحق لان الهوية برزخ بينهما لايغيبان و بالنظر الى الحق هو ية الهية وبالنظر الى الخلق هو ية كونية وهذه مرتبة قاب قوسين وفوقهما مرتبة اوادنى وتكلم يوما عند الشبلى رحمه الله فى الصفات فقال اسكتوا فان ثمة متاهات لايخرقها الاوهام ولاتحوبها الافهام وكيف يمكن الكلام فى صفات من تجتمع فيه الاضداد من قوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن خاطبنا على قدر افهامنا وقال الراغب الاول هوالذى يترتب عليه غيره ويستعمل على اوجه اولها المتقدم بالزمان كقولك عبد الملك اولائم منصور والثانى المتقدم بالرياسة فى الشئ وكون غيره محتذيا به نحو الامير اولا ثم الوزير والثالث المتقدم بالوضع والنسبة كقولك للخارج من العراق القادسية اولائم فيدوهى قرية فى البادية على طريق الحاج وللخارج من مكة فيد اولا ثم القادسية والرابع المتقدم بالنظام الصناعى نحو ان يقال الاساس اولائم البناء واذا قيل فى صفة الله هوالاول فمعناه الذى لم يسبقه فى الوجود شئ والى هذا يرجع قول من قال هو الذى لايحتاج الى غيره ومن قال هوالمستغنى بنفسه والظاهر والباطن فى صفة الله لايقال مزدوجين كالاول والآخر فالظاهر قيل اشارة الى معرفتنا البديهية فان الفطرة تقضى فى كل مانظر اليه الانسان انه تعالى موجود كما قال تعالى وهوالذى فى السماء آله وفى الارض آله ولذلك قال بعض الحكماء مثل طالب معرفته مثل من طوف الآفاق فى طلب ما هو معه والباطن اشارة الى معرفته الحقيقية

وهى التى اشار اليها ابوبكر الصديق رضى الله عنه بقوله يا من غاية معرفته القصور عن معرفته وقيل ظاهر بآياته باطن بذاته وقيل ظاهر بانه محيط بالاشياء مدرك لها باطن فى ان يحاط به كما قال لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وقد روى عن امير المؤمنين مادل على تفسير اللفظين حيث قال تجلى لعباده من غير ان رأوه واراهم نفسه من غير ان تجلى لهم ومعرفة ذلك تحتاج الى فهم ثاقب وعقل واقد كما فى المفردات وايضا هو الاول فى عين آخريته والآخر فى عين اوليته والظاهر فى عين باطنيته والباطن فى عين ظاهريته من حيثية واحدة وباعتبار واحد فى آن واحد لاقتضاء ذاته المطلقة عن هذه الاعتبارات المختلفة والحيثيات المتغايرة المتباينة لاحاطته بالكل واستغنائه عن الكل قيل للعارف الربانى ابى سعيد الخراز قدس سره بم عرفت الله قال بجمعه بين الاضداد فتلا هو الاول والآخر والظاهر والباطن ولايتصور الجمع بين الاضداد الامن حيثية واحدة واعتبار واحد فى آن واحد وهو بكل شئ من الاولية والآخرية والظاهرية والباطنية عليم اذ علمه عين ذاته وذاته محيط بالاشياء كما قال والله بكل شئ محيط كما فى التأويلات النجمية وقال الواسطى رحمه الله لم يدع للخلق نفسا بعد ما اخبر عن نفسه هو الاول والآخر والظاهر والباطن وقال ايضا من كان حظه من اسمه الاول كان شغله بما سبق ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مربوطا بما يستقبل ومن كان حظه من اسمه الظاهر لاحظ عجائب قدرته ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ماجرى فى السر من انواره وقال ايضا حظوظ الانبياء عليهم السلام مع تباينها من اربعة اسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها فمن جمعها كلها فهو اوسطهم ومن فنى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام وهى قوله هو الاول الخ وقال ايضا من البسه الاولية فالتجلى له فى الآخرية محال لانه لايتجلى الالمن فقده او كان بعيدا عنه فقربه وقال الجنيد قدس سره نفى القدم عن كل اول بأوليته ونفى البقاء عن كل آخر باخريته اضطر الخلق الى الاقرار بربوبيته بظاهريته وحجب الافهام عن ادراك كنهه وكيفيته بباطنيته وقال السدى هو الاول ببره اذ عرفك بتوحيده والآخر بجوده اذ عرفك التوبة عن ماجنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيته يستر عليك وقال ابن عمر رضى الله عنه هو الاول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالاحياء والباطن بالاماتة وايضا الاول بلا تأويل احد والآخر بلا تأخير احد والظاهر بلا اظهار احد والباطن بلا ابطان احد والاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحليم والباطن العليم والاول يكشف احوال الدنيا حتى لايرغبوا فيها والآخر يكشف احوال العقبى حتى لايشكوا فيها والظاهر على قلوب اوليائه حتى يعرفوه والباطن على قلوب اعدائه حتى ينكروه والاول بالازلية والآخر بالأبدية والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية والاول بالهيبة والآخر بالرحمة والظاهر بالحجة والباطن بالنعمة والاول بالعطاء والآخر بالجزاء والظاهر بالثناء والباطن بالوفاء والاول بالهداية والآخر بالكفاية والظاهر بالولاية والباطن بالرعاية صاحب كشف الاسرار فرموده كه زبان رحمت ازروى اشارت ميكويد اى فرزند آدم خلق درخلق توجهار كروه انداول كروهى كه دراول حال ترا بكار آيند چون پدر ومادر دوم جمعى كه درآخر زندكانى دست كيرند چون اولاد واحفاد سوم زمره كه آشكار اباتو باشند چون دوستان وياران * چهارم فرقه كه پنهان باتو معاش كنند چون زنان وكنيزان * رب العالمين ميفرمايد كه اعتماد برينها مكن وكار سازخود ايشانرا مپندار كه اول منم كه ترا ازعدم بوجود آوردم اخر منم كه بازكشت تو بمن خواهد بود ظاهر منم كه صورت تو بخوبى بتو وجهى بياراستم باطن منم كه اسرار وحقايق درسينهٔ تو وديعت نهادم * اول وآخر توبى كه هست حدوث وقدم * ظاهر وباطن توبى چيست وجود وعدم * اول بى انتقال آخر بى ارتحال * ظاهر بى چند وچون باطن بى كيف وكم * ويقال هو الاول خالق الاولين والآخر خالق الآخرين والظاهر خالق الآدميين وهم ظاهرون والباطن خالق الجن والشياطين وهم لايظهرون وقال الترمذى هو الاول بالتأليف والآخر بالتكليف والظاهر بالتصريف والباطن بالتعريف والاول بالانعام والآخر بالاتمام والظاهر بالاكرام والباطن بالالهام وقال بعض المحققين من اهل الاصول هذا مبالغة فى نفى التشبيه لان كل من كان اولا لايكون آخرا وكل من كان ظاهرا لايكون باطنا فأخبر انه الاول الآخر الظاهر الباطن ليعلم انه لايشبه شيأ من المخلوقات والمصنوعات وقال بعض المكاشفين هو الاول اذ كان هو ولم تكن صور العالم كما قال عليه السلام كان الله ولاشئ معه فهو متقدم عليها

وهذا التقدم هو المراد بالاولية وهو الآخر اذ كان عين صور العالم عند ظهورها ولها التأخر فهو باعتبار ظهوره بها له الآخرية فالآخر عين الظاهر والباطن عين الاول هذا باعتبار التنزل من الحق الى الخلق واما باعتبار الترقي من الخلق الى الحق فالآخر عين الباطن والظاهر عين الاول وقال الامام الغزالي رحمه الله لاتعجبن من هذا في صفات الله فان المعنى الذي به الانسان انسان ظاهر باطن فانه ظاهر ان استدل عليه بافعاله المرئية المحكمة باطن ان طلب من ادراك الحس فان الحس انما يتعلق بظاهر بشريته وليس الانسان انسانا ببشريته المرئية منه بل لو تبدلت تلك البشرية بل سائر اجزائه فهو هو والاجزاء متبدلة ولعل اجزاء كل انسان بعد كبره غير الاجزاء التي كانت فيه عند صغره فانها تحللت بطول الزمان وتبدلت بامثالها بطريق الاعتذاء وهويته لم تتبدل فتلك الهوية باطنة عن الحواس ظاهرة للعقل بطريق الاستدلال عليها بآثارها وافعالها وقال الزوزني الاول الآخر هو الذي لامفتتح لوجوده ولامختتم له بثبوت قدمه واستحالة عدمه وكل شيء منه بدأ واليه يعود وانما عطف بالواو ولتنافي عدمابين موقعي معنيهما ومن عرف انه الاول غاب عن كل شيء به ومن عرف انه الآخر رجع بكل شيء اليه * وخاصية الاول جمع الشمل فاذا واظب عليه المسافر في كل يوم جمعة انجمع شمله * وخاصية الآخر صفاء الباطن عماسواه تعالى فاذا واظب عليه انسان في كل يوم مائة مرة خرج من قلبه سوى الحق والظاهر الباطن هو الواضح الربوبية بالدلائل المحجب عن الكيفية والاوهام فهو الظاهر من جهة التعريف الباطن من جهة التكييف ومجراهما في العطف مجرى الاسمين السابقين ومن عرف انه الظاهر لم يستدل بشيء عليه ورجع بكل شيء اليه ومن عرف انه الباطن استدل بكل شيء عليه ورجع به اليه وخاصية الظاهر اظهار نور الولاية على قلب قارئه اذا قرأه عند الاشراق وخاصية الباطن وجود النفس لمن قرأه في اليوم ثلاث مرات في كل ساعة زمانية ومن قال بعد صلاة ركعتين خمسا واربعين مرة هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم حصل له ماطلبه اياكان وقال بعض الكبار حقيقة الاول هو الذي افتتح وجوده عن عدم وهذا متفق في حق الحق بلاشك فهو الاول لابأولية تحكم عليه ولاجل ذلك سمى نفسه الآخر ولو كانت اوليته مثل اولية الموجودات لم يصح ان يكون آخرا اذ الآخر عبارة عن انتهاء الموجودات المقيدة فهو الآخر لابآخرية تحكم عليه اذ آخريته عبارة عن فناء الموجودات كلها ذاتا وصفة وفعلا في ذاته وصفاته وافعاله تعالى بظهور القيامة واما غير الحق فله اولية تحكم عليه مثل قوله عليه السلام اول ماخلق الله العقل اى اول ما افتتح به من العدم الى الوجود العقل الذي هو نور محمد صلى الله عليه وسلم وله آخرية تحكم عليه مثل قوله عليه السلام نحن الآخرون الاولون وفي رواية السابقون يعني الآخرون في الظهور من حيث النشأة العنصرية الجسمانية الاولون في العلم الالهي من حيث الظهور في النشأة الروحانية ومن صلى في اول الوقت من حيث اولية الحق المنزهة عن ان يتقدمها اولية لشيء فهو المصلي الصلاة لاول وقتها فتسحب عبادة هذا المصلي من هنالك الى وقت وجود هذا المصلي فن بادر لاول هذا الوقت فقد حاز الخير بكلتي يديه وهو مشهد نفيس اشاروا فيه بتلك الاولية الى معنى اصطلحوا عليه لاالى مايتبادر لذهن غيرهم كما في كتاب الجواهر للشعراني رحمه الله يقول الفقير عمل الشافعي رحمه الله بقوله عليه السلام اول الوقت رضوان الله فصلى الفجر في اول وقته وعمل ابو حنيفة رضي الله عنه بقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وفي الاولية الآخرية وبالعكس والكل وجهة بحسب الفناء والبقاء وقد اشير الى في بعض الاسحار ان الكعبة وضعت عند الفجرة اى عند انفجار الصبح الصادق على مابينت وجهه في كتاب الواردات الحقية نسأل الله النور (هو الذي خلق السموات والارض) بقدرته الكاملة وحكمته المبالغة (في ستة ايام) من ايام الآخرة اومن ايام الدنيا قال ابن عطية هو الاصوب اولها الاحد واخرها الجمعة تاملائكه مشاهده كنند حدوث انهارا چيزى پس ازچيزى وسنت تدريج ونأنى درهركار حاصل اين وكذا وقع الاختلاف في الاربعين التي خمر الله فيها طينة آدم هل هي بأيام الدنيا اوبأيام الآخرة وفيه اشارة الى مراتب الصفات الست وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر اى هو الذي تجلى للاشياء كلها بذاته الموصوفة بالصفات الست اذ تجلى الوجود لايكون الامع لوازمه ولواحقه كما قال تعالى وان من شيء الايسبح بحمده والتسبيح يستلزم الحياة ومايترتب عليها من العلم بالتسبيح وبالمسبح ومن القدرة على التسبيح والارادة بتخصيص المسبح ومن السمع اذ كل مسبح لابد له من استماع تسبيحه

ومن البصر اذلابد لكل مسيح ان يشاهد المسيح فى بعض مراتب الشهود كما فى التأويلات النجمية (ثم استوى) اى استولى (على العرش) المحيط بجميع الاجسام برحانيته لان استوى متى عدى بعلى اقتضى معنى الاستيلاء واذا عدى بالى اقتضى معنى الانتهاء اليه اما بالذات او بالتدبير قال بعض الكبار هو محمول على التمثيل وقد سبق بيانه مرارا (قال الكاشفى) پس قصد كرد بتدبير عشر واجرآء امور متعلقه بدو بروفق ارادت وفى التأويلات النجمية يعنى استتم وتمكن تجليه على عرش استعدادات المظاهر السماوية الروحانية والمظاهر الارضية الجسمانية ماتجلى لعرش استعداد شئ الا بحسب قابليته وقبوله لازائد ولاناقص (كما قال العارف) يكى موى ازين كم نبايد هى * وكر بيش باشد نشايد همى (يعلم مايلج فى الارض) كالكنوز والدفائن والموتى والبذور وكالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى الآخر والولوج الدخول فى مضيق وفى المناسبات الدخول فى الساتر الجملة الداخلة (ومايخرج منها) كالجواهر من الذهب والفضة والنحاس وغيرها والزروع والحيوانات والماء وكالكنوز والموتى يوم القيمة وفى التأويلات النجمية يعنى يعلم بعلمه المحيط مايدخل فى ارض البشرية من بذور النباتات النفسانية مثل مخالفات الشرع وموافقات الطبع وزروع الاحوال القلبية من مخالفات الطبع وموافقات الشرع والواردات القلبية والالهامات الغيبية وزروع الازواق والوجدانيات من التجليات الرحمانيه والتنزلات الربانية لترتب الاعمال على النيات كما قال عليه السلام انما الاعمال بالنيات وقال ايضا لكل امرئ مانوى اذالنية بمرتبة البذر والعمل بمرتبة الزرع والقلب والنفس والروح بمنزلة الارض المستعدة لكل نوع من البذر وقال بعضهم يعلم مايلج فى ارض قلب المؤمن من الاخلاص والتوحيد وفى ارض قلب الكافر من الشك والشرك ومايخرج منها بحسب حالهما (وماينزل من السماء) كالكتب والملائكة والاقضية والصواعق والامطار والثلوج (ومايعرج فيها) كالملائكة الذين يكتبون الاعمال والدعوات والاعمال والارواح السعيدة والابخرة والادخنة وقال بعضهم ومايتنزل من السماء على قلوب اوليائه من الالطاف والكشوف وفنون الاحوال العزيزة ومايعرج فيها من انفاس الاولياء المشتاقين اذا تصاعدت حسراتهم وعلت زفراتهم (وهو معكم اينما كنتم) فى الارض وهو تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وفى الحديث افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان يارب تست هر كجا هستى * جاى دير كرچه خواهى اى او باش * با تو در زير يك كليم چو اوست * پس برواى حريف خودرا باش * قال موسى عليه السلام اين اجدك يارب قال يا موسى اذا قصدت الى فقد وصلت الى وفى التأويلات النجمية وهو معكم لابالمعية المفهومة للعوام والخواص ايضا اين معيت مى نكنجد در بيان * نى زمان دارد خبر زونى مكان * بل بالمعية المذوقة بالذوق الكشفى الشهودى اى انا معكم بحسب مراتب شهوداتكم ان كنتم فى المشهد الفعلى فانا معكم بالتجلى الذاتى ماتقدم ولاتأخر عنكم وقال بعض الكبار تلك المعية ليست هى مثل مايتصور بالعقل حسا اوذهنا اوخيالا او وهما تعالى شأنه عن ذلك علوا كبيرا وانما هى معية تفرد الحق سبحانه بعينها وتحققها وعلمها لايعلم سرها الا الله ومن اطلعه عليه من الكمل ويحرم كشفها ترحما على العقول القاصرة عن درك الاسرار الخفية كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ابهموا ما ابهم الله وبينوا ما بين الله يعنى اذا اقتضى المقام الابهام كما اذا طلب بيان المبهم على ماهو عليه فى نفسه وعقل الطالب قاصر عن دركه فلاجرم انه حرام لما فيه من هلاكه واما اذا طلب بيان المبهم لاعلى ماهو عليه فى نفسه بل على وجه يدركه عقله بضرب تأويل يستحسنه الشرع ففيه رخصة شرعية اعتبرها المتأخرون دفعا لانقلاب قلب الطالب وترسيخا على عقيدته حتى تندفع عن صدره الوساوس والهواجس والمراد على هذا امامعية حفظه اومعية امره اوغير ذلك مما لااضطراب فيه لاشرعا ولاعقلا ولاخارجا والاين المذكور فى الآية متناول لجميع الاينات الازلية والابدية من المعنوية والرحانية والمثالية والحسية والدنيوية والبرزخية والنشرية والحشرية والنيرانية والجنانية والغيبية والشهادية مطلقا كلية كانت اوجزئية وهذه الاينية كالمعية من المبهمات والمتشابهات ومايعلم تأويلها الا الله ومايتذكر سرها الا اولوا الالباب قال بعضهم فى هذه الآية بشارة للعاشقين حيث هو معهم اينما كانوا وتوفيق للمتوكلين وسكينة للعارفين وبهجة للمحبين ويقين للمراقبين ورعاية للمقبلين واشارة الى سر الوحدة للموحدين قال الحسين

رحمه الله ماقارب الحق الاكوان ولافارقها كيف يفارقها وهو موجدها وحافظها وكيف يقارب القدم الحدوث به قوام الكل وهو بائن عن الكل انتهى (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه ثوابا وعقابا وهو عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخيره عن الخلق لما ان المراد مايدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لالما قيل من ان الخلق دليل على العلم فبالخلق يستدل على العلم والدليل يتقدم على المدلول وفى الآية ايقاظ للغافلين وتنشيط للمتيقظين ودلالة لهم على الخشية والحياء من رب العالمين واشارة لهم الى ان اعمالهم محفوظة وانهم مجزيون بها ان خيرا فخير وان شرا فشر قال بعض الكبار والله بما تعملون بصير لانه العامل بكم وفيكم ولابد لكل عامل ان يبصر عمله ومايتعلق به (له ملك السموات والارض) تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى (والى الله ترجع الامور) على البناء للمفعول من رجع رجعا اى ردردا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمعنى اليه تعالى وحده لا الى غيره استقلالا واشتراكا ترد جميع الامور فاستعدوا للقائه باختيار ارشد الامور واحسنها عند الله پس تكرير كلام جهت آنست كه اول تعلق بابداء دارد وثانى باعاده ولذا قرن بالاول يحيى ويميت وبالثانى مايكون فى الآخرة من رد الخلق اليه وجزائه اياهم بالثواب والعقاب وفيه اشارة الى انه له ملك علوم السموات الروحانية وهى العلوم الكشفية اللدنية الموهوبة بالاسم الوهاب من غير تحصيل الاسباب لعباده المخلصين بافاضته عليهم وله ايضا ملك العلوم الرسمية الكسبية الارضية بالسعى والاجتهاد للعلماء بافاضة توفيق الكسب والاجتهاد فامور العلوم الكشفية والكسبية ترجع الى عناية الله الازلية والابدية (يولج الليل فى النهار) الايلاج الادخال يعنى اززمان شب در روز افزايد حتى يصير النهار اطول مايكون خمس عشرة ساعة والليل اقصر مايكون تسع ساعات (ويولج النهار فى الليل) يعنى اززمان روز بشب زياده كند باختلاف الفصول وبحسب مطالع الشمس ومغاربها حتى يصير الليل اطول مايكون خمس عشرة ساعة والنهار اقصر مايكون تسع ساعات والليل والنهار بدار بع وعشرون ساعة قال فى فتح الرحمن فيه تنبيه على العبرة فيما يجاذبه الليل والنهار من الطول والقصر وذلك متشعب مختلف حسب اختلاف الاقطار والازمان الاربعة وذلك بحر من بحار الفكرة لمن تأمله (وهو عليم) اى مبالغ فى العلم (بذات الصدور) اى بمكنوناتها اللازمة لها من الاسرار والمعتقدات وذلك اغمض مايكون وهو بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه فى نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التى يظهرونها وفى الآية اشارة الى انه يستهلك ظلمة ليل البشرية والطبيعة فى نور نهار الروح بطريق تغليب نور نهار الروح وهو تعالى عالم بكل مايصدر من اصحاب ليل النفوس من السيئات ومن ارباب نهار الارواح من الحسنات لايفوته منهما شئ قال ابن عباس رضى الله عنهما اسم الله الاعظم فى اول سورة الحديد فى ست آيات من اولها فاذا علقت على المقاتل فى الصف لم ينفذ اليه حديد كما فى فتح الرحمن (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) روى ان الآية نزلت فى غزوة ذى العشيرة وهى غزوة تبوك وفى عين المعانى يحتمل الزكاة والنفقة فى سبيل الله والمعنى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبرعما بأيديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق فان من علم انها لله وانه بمنزلة الوكيل والنائب بحيث يصرفها الى ماعينه الله من المصارف هان عليه الانفاق اوجعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بايديهم يتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به قال الشاعر

ويكفيك قول الناس فيما ملكته * لقد كان هذا مرة لفلان

فلابد من انفاق الاموال التى هى للغير وستعود الى الغير فكما ان الانفاق من مال الغير يهون على النفس اذا ذن فيه صاحبه فكذا من المال الذى على شرف الزوال * مكن تكيه برملك وجاه وحشم * كه پيش ازتو بودست وبعد ازتو هم * خور وپوش وبخشاى وراحت رسان * نكه مى چه دارى زبهر كسان * بخيل توانكر بدينار وسيم * طلسم است بالاى كنجى مقيم * ازان سالهامى بماندزرش * كه لرزد طلسم چنين برسرش * بسنك اجل نا كهان بشكنند * باسودكى كنج قسمت كنند (فالذين آمنوا منكم وانفقوا) حسبما امروا به (وقال الكاشفى) ونفقه كردند مال خودرا بزكاة وجهاد وسائر خيرات (لهم) بسبب ذلك (اجر كبير) مزدى بزرك وثوابى عظيم كه جنت ونعيم است قال فى فتح الرحمن الاشارة فيه الى عثمان رضى الله عنه وحكمها باق يندب الى هذه الافعال بقية الدهر وفى التأويلات النجمية

يخاطب كل واحد من المشايخ والعلماء ويأمرهم بالايمان بالله و برسوله ايمانا كليا جامعا شرائط الايمان الحقيقي الشهودي العياني و يوصيهم بافاضة علوم الوهب على مستحقيها وتعليم علوم الدراسة لمستعديها اذ العلماء في العلوم الكسبية والمشايخ في المعرفة والحكمة الوهبية خلفاء فيهما فعليهم ان ينفقوا على الطالبين المستحقين الذين ينفق الله ورسوله عليهم كما قال عليه السلام حكاية عن الله تعالى انفق انفق عليك وقال عليه السلام لاتوك فيوكى عليك وفي الحديث من كتم علما يعلمه الجم يوم القيامة بلجام من نار ويشمل هذا الوعيد حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع بها لاسيما مع عدم التعدد لنسخها الذي هو اعظم اسباب المنع وكون المالك لا يهدي لراجيه منها والابتلاء بهذا كثير كما في المقاصد الحسنة للامام السخاوي رحمه الله فالذين آمنوا من روح القلب والايمان الشهودي وانفقوا من تلك العلوم الوهبية والكسبية على النفس وصفاتها بالارشاد الى موافقات الشرع ومخالفات الطبع وفي التسليك في طريق السير والسلوك بالاتصاف بصفات الروحانية والانسلاخ عن صفات البشرية النفسانية لهم اجر كبير كما قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها (ومالكم لا تؤمنون بالله) لا تؤمنون حال من الضمير في لكم لما فيه من معنى الفعل اى اى شئ ثبت لكم وحصل حال كونكم غير مؤمنين وحقيقته ماسبب عدم ايمانكم بالله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق مايوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم مايوجبه اى واى عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه بالحجج والآيات فان الدعوة المجردة لاتفيد فلولم يجب الداعي دعوة مجردة وترك ما دعاه اليه لم يستحق الملامة والتوبيخ فلام لتؤمنوا بمعنى الى ولايبعد حملها على التعليلية اى يدعوكم الى الايمان لاجل ان تؤمنوا (وقد اخذ ميثاقكم) حال من مفعول يدعوكم والميثاق عقد يؤكد بيمين وعهد والموثق الاسم منه اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان من قبل دعوة الرسول اياكم اليه وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وحمله بعض العلماء على الأخوذ يوم الذر اى حين آخرجهم من صلب آدم في صورة الذر وهي النمل الصغير (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا موجب لاموجب وراءه وفي عين المعاني اى ان كنتم مصدقين بالميثاق وفي فتح الرحمن اى ان دمتم على ما بدأتم به (هو الذي ينزل) بواسطة جبرائيل عليه السلام (على عبده) المطلق محمد عليه السلام (آيات بينات) واضحات من الامر والنهي والحلال والحرام (ليخرجكم) الله ياقوم محمدا والعبد بسبب تلك الآيات (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر والشرك والشك والجهل والمخالفة والحجاب الى نور الايمان والتوحيد واليقين والعلم والموافقة والتجلي (وان الله بكم لرؤف رحيم) حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية (وقال الكاشفي) مهربانست كه قرآن ميفرستد بخشاينده است كه رسول را بدعوت ميفرمايد وقال بعضهم لرؤف بافاضة نور الوحي رحيم بازالة ظلمة النفس البشرية (ومالكم لاتنفقوا في سبيل الله) اى واى شئ لكم من ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ماعينه من المصارف فقوله في سبيل الله مستعار لما يكون قربة اليه وقال بعضهم معناه لاجل الله (ولله ميراث السموات والارض) حال من فاعل لاتنفقوا او مفعوله المحذوف اى ومالكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لايبقى لكم منها شئ بل تبقى كلها لله بعد فناء الخلق واذا كان كذلك فانفاقها بحيث تستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى من الامساك لانها انما تخرج من ايديكم مجانا بلا عوض وفائدة قال الراغب وصف الله نفسه بانه الوارث من حيث ان الاشياء كلها صائرة اليه وقال ابو الليث انما ذكر لفظ الميراث لان العرب تعرف انما ترك الانسان يكون ميراثا فخاطبهم بما يعرفون فيما بينهم قال بعض الكبار لولا ان القلوب مجبولة على حب المال ما فرضت الزكاة ومن هنا قال بعضهم ان العارف لازكاة عليه والحق ان عليه الزكاة كما ان عليه الصلاة والطهارة من الجنابة ونحوهما لانه يعلم ان نفسه مجموع العالم ففيها من يحب المال فيوفيه حقه من ذلك الوجه باخراجها فهو زاهد من وجه وراغب من وجه آخر وقد اخرج رسول الله عليه السلام صدقة ماله فالكامل من جمع بين الوجهين اذ الوجوب حقيقة في المال لا على المكلف لانه انما كلف باخراج الزكاة من المال لكون المال لايخرج بنفسه فالعارف من المحبة في جميع العالم كله وان تفاضلت وجوهها فيحبون جميع ما في العالم

يحب الله تعالى فى ايجاد ذلك لامن جهة عين ذلك الموجود فلابد للعارف ان يكون فيه جزء يطلب مناسبة العالم ولولا ذلك الجزء ماكانت محبة ولا محبوب ولاتصور وجودها وفى كلام عيسى عليه السلام قلب كل انسان حيث ماله فاجعلوا اموالكم فى السماء تكن قلوبكم فى السماء فحث اصحابه على الصدقة لما علم ان الصدقة تقع بيد الرحمن وهو يقول ءأمنتم من فى السماء فانظر ما اعجب كلام النبوة وما ادقه واحلاه وكذلك لما علم السامرى ان حب المال ملصق بالقلوب صاغ لهم العجل من حليهم بمرأى منهم لعلمه ان قلوبهم تابعة لاموالهم ولذلك لما سارعوا الى عبادة العجل دعاهم اليها فعلم ان العارف من حيث سره الربانى مستخلف فيما بيده من المال كالوصى على مال المحجور عليه يخرج عنه الزكاة وليس له فيه شئ ولكن لما كان المؤمن لحبابه يخرجها بحكم الملك فرضت عليه الزكاة لينال بركات ثواب من رزق فى محبوبه والعارف لايخرج شيأ بحكم الملك والمحبة كالمؤمن انما يخرج امتثالا للامر ولاتؤثر محبته للمال فى محبته لله تعالى لانه ما احب المال الا بتحبيب الله ومن هنا قال سليمان عليه السلام هب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب فاطلب الامن نسبة فاقة فقيرا الى غنى ثم اعلم ان المال انما سمى مالا لميل النفوس اليه فان الله تعالى قد اشهد النفوس ما فى المال من قضاء الحاجات المجبول عليها الانسان اذ هو فقير بالذات ولذلك مال الى المال بالطبع الذى لاينفك عنه ولو كان الزهد فى المال حقيقة لم يكن مالا ولكان الزهد فى الآخرة اتم مقاما من الزهد فى الدنيا وليس الامر كذلك فان الله تعالى قد وعد بتضعيف الجزاء الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف فلو كان القليل منه حجابا لكان الكثير منه اعظم حجابا فالدنيا للعارف صفة سلبية كمالية وما ابلغ قوله انك انت الوهاب اتراه عليه السلام سأل ما يحجبه عن الله تعالى او سأل ما يبعده من الله تعالى كلا ثم انظر الى تتميم النعمة عليه بدار التكليف بقوله تعالى له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب فرفع عنه الحرج فى التصرف بالاسم المانع والمعطى واختصه بجنة معجلة فى الدنيا وما حجبه ذلك المال عن ربه فانظر الى درجة العارف كيف جمع بين الجنتين وتحقق بالحقيقتين واخرج زكاة المال الذى بيده عملا بقوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فجعله مالكا للانفاق من حقيقة الهية فيه فى مال هو ملك لحقيقة اخرى فيه هو وليها من حيث الحقيقة الالهية (لايستوى منكم) يامعشر المؤمنين (روى) ان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم انفقوا نفقات كثيرة حتى قال ناس هؤلاء اعظم اجرا من كل من انفق قديما فنزلت الآية مبينة ان النفقة قبل فتح مكة اعظم اجرا (من انفق من قبل الفتح) اى فتح مكة الذى ازال الهجرة وقال عليه السلام فيه لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وهذا قول الجمهور وقال الشعبى هو صلح الحديبية فانه فتح كما سبق فى سورة الفتح (وقاتل) العدو تحت لواء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والاستواء يقتضى شيئين فقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه اى لايستوى فى الفضل من انفق من قبل الفتح وقاتل ومن انفق من بعده وقاتل والظاهر ان من انفق فاعل لايستوى وقيل من مبتدأ ولايستوى خبره ومنكم حال من ضمير لايستوى لامن ضمير انفق لضعف تقديم ما فى الصلة على الموصول او الصفة على الموصوف ولضعف تقديم الخبر على منكم لان حقه ان يقع بعد ثم فى انفق اشارة الى انفاق المال وما يقدر عليه من القوى وفى قاتل اشارة الى انفاق النفس فان الجهاد سعى فى بذل الوجود ليحصل بالفناء كمال الشهود ولذا قال تعالى ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء عند ربهم يرزقون فهذه الحياة حياة اخروية باقية عندية فكيف تساويها الحياة الدنيوية الفانية الخلقية مع ان رزق الحياة الفانية ينفد وما عند الله باق ولذا قال اكلها دائم وظلها اى راحتها فالانسان العاقل يترك الراحة الدنيوية اليسيرة لله تعالى يصل الى الراحة الكثيرة الاخروية فشأنه يقتضى الجهاد والقتال (اولئك) المنفقون المقاتلون قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار (اعظم درجة) وارفع منزلة عند الله وبعظم الدرجة يكون عظم صاحبها فالدرجة بمعنى المرتبة والطبقة وجمعها درجات واذا كانت بمعنى المرقاة فجمعها درج (من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) لانهم انما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وقد صرح عليه السلام ايضا بفضل الاولين بقوله لوانفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه قال فى القاموس المد بالضم مكيال وهو رطلان اورطل وثلث اوملء كفى

الانسان المعتدل اذا ملأ هما ومديده بهما وبه سمى مدا وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا والنصيف والنصف واحد وهو احد شقى الشئ والضمير فى نصيفه راجع الى احدهم لا الى المد والمعنى ان احدكم ايها الصحابة الحاضرون لا يدرك بانفاق مثل جبل احد ذهبا من الفضيلة ما أدرك احدهم بانفاق مد من الطعام او نصيفه وفيه اشارة الى ان صحبة السابقين الاولين كاملة بالنسبة الى صحبة اللاحقين الآخرين لسبقهم وتقدمهم وفى الحديث سيأتى قوم بعدكم تحقرون اعمالكم مع اعمالهم قالوا يا رسول الله نحن افضل ام هم قال لو أن احدهم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك فضل احدكم ولا نصفه فرقت هذه الآية بينكم وبين الناس لا يستوى منكم الآية ذكره ابو الليث فى تفسيره وفيه اشارة الى ان الصحابة متفاوتون فى الدرجة بالنسبة الى التقدم والتأخر واحراز الفضائل فكذا الصحابة ومن بعدهم فالصحابة مطلقا افضل ممن جاء بعدهم مطلقا فانهم السابقون من كل وجه (وكلا) اى كل واحد من الفريقين وهو مفعول اول لقوله (وعد الله الحسنى) اى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا الاولين فقط ولكن الدرجات متفاوتة (والله بما تعملون خبير) بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه قال فى المناسبات لما كان زكاء الاعمال انما هو بالنيات وكان التفضيل مناط العلم قال مرغبا فى حسن النيات مرهبا من التقصير فيها والله بما تعملون اى تجددون عمله على ممر الاوقات خبير اى عالم بباطنه وظاهره عالما لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل جزاء الاعمال على قدر النيات التى هى ارواح صورها * عبادت باخلاص نيت نكوست * وكرنه چه آيد ز بى مغز پوست * وقال الكلبى نزلت هذه الآية فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه وفيها دلالة ظاهرة وحجة باهرة على تفضيل ابى بكر وتقديمه فانه اول من اسلم وذلك فيما روى ان ابا امامة قال لعمر بن عبسة باى شئ تدعى انك ربع الاسلام قال انى كنت ارى الناس على الضلالة ولا ارى للاوثان شيأ ثم سمعت من رجل يخبر عن اخبار مكة فركبت راحلتى حتى قدمت عليه فقلت من انت قال انا نبى قلت ومانبى قال رسول الله قلت باى شئ ارسلك قال اوحد الله لا اشرك به شيأ واكسر الاوثان واصل الارحام قلت من معك على هذا قال حر وعبد واذا معه ابو بكر وبلال فاسلمت عند ذلك فرايتنى ربع الاسلام يعنى پس دانستم خود را ربع اسلام وانه اى ابا بكر اول من اظهر الاسلام على ما روى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال كان اول من اظهر الاسلام رسول الله عليه السلام وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال والمقداد وانه اول من قاتل على الاسلام وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك على ما قاله ابن مسعود رضى الله عنه اول من اظهر الاسلام بسيفة النبى عليه السلام وابو بكر رضى الله عنه وانه اول من انفق على رسول الله وفى سبيل الله قال ابن عمر رضى الله عنهما كنت عند النبى عليه السلام وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال يعنى بروى كمى بود كه استوار كرده او يرا در سينه خود بخلال قال فى القاموس خل الكساء شده بخلال وذو الخلال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لانه تصدق بجميع ماله وخل كساءه بخلال انتهى فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال مالى أرى ابا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فقال انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله تعالى يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربى انى عن ربى راض انى عن ربى راض ولهذا قدمه الصحابة رضى الله عنهم على انفسهم واقروا له بالتقدم والسبق وذلك فيما روى عبد الله بن سلمة عن على رضى الله عنه قال سبق رسول الله عليه السلام وثنى ابو بكر وثلث عمر يعنى سابقست رسول الله ودرپى وى ابو بكر است وسوم عمر است فلا اوتى برجل فضلنى على ابى بكر وعمر الا جلدته جلد المفترى واطرح شهادته يعنى طرح شهادت وى كنم ودر صفت وى گفته اند * صاحب قدم مقام تجريد * سر دفتر جمله اهل توحيد * درجمع مقربان سابق * حقاكه چو او نبود صادق * وفى الآية اشارة الى ان من تقدمت مجاهدته على مشاهدته وهو المريد المراد والسالك المجذوب والمحب المحبوب اعلى واجل واسبق درجة ومرتبة من درجات المشاهدة ومراتبها ممن تقدمت مشاهدته على مجاهدته وحين يقعد ارباب المشاهدة فى مقعد صدق عند مليك مقتدر لمشاهدة وجهه ورؤية جماله فى جنة وصاله يفوقه ويسبقه ويتقدمه وهو المراد المريد والمجذوب السالك والمحبوب المحب فان المجاهدة قدمت على المشاهدة فى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيصير سلوك الاول واقعا على وفق العادة الالهية والسنة الربانية وسلوك الثانى

على خارقها والمعتبر فى الترتيب الالهى تقدما وتأخرا باعتبار الاكمل انما هو وفق العادة والسنة الالهية وهما وان كانا متحدين باعتبار اصل حسن المشاهدة لكنهما متفاوتان باعتبار قدرها ودرجتها فانهم الصافون ومامنا الا له مقام معلوم كذا فى كتاب اللائحات البرقيات لحضرة شيخى وسندى روح الله روحه (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) من مبتدأ خبره ذا والذى صفة ذا او بدله والاقراض حقيقة اعطاء العين على وجه يطلب بدله وقرضا حسنا مفعول مطلق له بمعنى اقراضا حسنا وهو الاخلاص فى الانفاق اى الاعطاء لله وتحرى اكرم المال وافضل الجهاد والمعنى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيل الله رجاء ان يعوضه فانه لن يقرضه وقال فى كشف الاسرار كل من قدم عملا صالحا يستحق به مثوبة فقد اقرض ومنه قولهم الايادى قروض وكذلك كل من قدم عملا سيئا يستوجب به عقوبة فقد أقرض فلذلك قال تعالى قرضا حسنا لان المعصية قرض سيئ قال امية

لا تخلطن خبيثات بطيبة * واخلع ثيابك منها وانج عريانا
كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا * او سيئا ومدين مثل ما دانا

وقيل المراد بالقرض الصدقة انتهى وههنا وجه آخر وهو ان القرض فى الاصل القطع من قرض الثوب بالمقراض اذا قطعه به ثم سمى به ما يقطعه الرجل من امواله فيعطيه عينا بشرط رد بدله فعلى هذا يكون قرضا حسنا مفعولا به والمعنى من ذا الذى يقرض الله مالا حسنا اى حلالا طيبا فانه تعالى لا يقبل الا الحلال الطيب (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اى فيعطيه اجره اضعافا من فضله وانما قلنا باعتبار المعنى لان الفاء انما تنصب فعلا مردودا على فعل مستفهم عنه كما قاله ابو على الفارسى وههنا السؤال لم يقع عن القرض بل عن فاعله (وله اجر كريم) اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم حسن مرضى فى نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة (وروى انه لما نزلت هذه الآية جعل ابو الدحداح يتصدق بنصف كل شئ يملكه فى سبيل الله حتى انه خلع احدى نعليه ثم جاء الى ام الدحداح فقال انى بايعت ربى فقالت ربح بيعك فقال النبى عليه السلام كم من نخلة مدلاة عذوقها فى الجنة لأبى الدحداح قال بعضهم سأل الله منهم القرض ولو كانوا على نعت المروءة لخرجوا من وجودهم قبل سؤاله فضلا عن المال فان العبد وما يملكه لمولاه فاذا بذلوا الوجود المجازى وجدوا من الله بدله الوجود الحقيقى وله اجر كريم بحسب الاجتهاد فى السير الى الله والتوجه الى عتبة بابه الكريم * هر كسى از همت والاى خويش * سود برد در خور كالاى خويش * وفى الآية اشارة الى القرض الشرعى لمن يستقرض كما دل عليه قوله تعالى عبدى استطعمتك فلم تطعمنى فاعطاء القرض للعبد اعطاء لله تعالى والقرض افضل من الصدقة لانه ربما سأل سائل وعنده ما يكفيه واما المستقرض فلا يستقرض الا من حاجة وقال بعضهم هذا القرض هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وهو افضل الاذكار وعن الحسن هو التطوعات وفى المرفوع انافلة هدية المؤمن الى ربه فليحسن احدكم هديته ولطيبها والحاصل ان الكريم يرد القرض باحسن ما يكون من الرد ويحسن ايضا فى مقابلة الهدية (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم اى اذكر وقت رؤيتهم يوم القيامة على الصراط (يسعى نورهم) حال من مفعول ترى اى نور ايمانهم وطاعتهم والسعى المشى السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد فى الامر خيرا كان او شرا واكثر ما يستعمل فى الافعال المحمودة (بين ايديهم وبأيمانهم) جمع يمين بمعنى الجارحة والمراد جهة اليمين وبين ظرف للسعى قال ابو الليث يكون النور بين ايديهم وبأيمانهم وعن شمائلهم الا ان ذكرا لشمال مضمر وقال فى فتح الرحمن وخص بين الايدى بالذكر لانه موضع حاجة الانسان الى النور وخص ذكر جهة اليمين تشريفا وناب ذلك مناب ان يقول وفى جميع جهاتهم وفى كشف الاسرار لان طريق الجنة يمنة وتجاههم وطريق اهل النار يسرة ذات شمال وفى الحديث (بينا انا على حوضى انادى هلم اذا اناس اخذتهم ذات الشمال فاختلجوا دونى فأنادى الا هلم فيقال انك لا تدرى ما احدثوا بعدك فأقول سحقا يقول الفقير ذكر بين الايدى اشارة الى المقربين الذين هم وجه بلا قفا ظاهرا وباطنا فلهم نور مطلق يضئ من جميع الجهات وذكر الايمان اشارة الى اصحاب اليمين الذين هم وجه من وجه

وقفا من وجه آخر فنورهم نور مقيد بايمانهم واما اصحاب الشمال فلا نور لهم اصلا لانهم الكفرة الفجرة فلذا طوى ذكر الشمال من البين اراين مسعود منقولست كه نور هر كسى بقدر عمل وى بود نور يكى از صنعا باشد تا بعدن وادنى نورى آن بود كه صاحبش قدم خود را بيندبارى هيچ مؤمن بى نور نباشد وقال منهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا يؤتى نوره على ابهام قدميه فيطفأ مرة و يتقد اخرى فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعى نورهم جنيباتهم ومتقدما ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذى اعطى نوره على ابهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ويقف مرة ويمشى اخرى وتصيب جوار حه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص وكما انهم يوم القيامة نورا يسعى بين ايديهم وبايمانهم فاليوم لهم فى قلوبهم نور يهتدون به فى جميع الاحوال ويبدو ايضا فى بشرتهم فمن ظهر له ذلك النور انقاد له وخضع وكان من المقربين ومن لم يظهر له ذلك تكبر عليه ولم يستسلم وكان من المنكرين و حين تعلق نظر عبدالله بن سلام الى وجه النبى عليه السلام آمن به وقال ماهو بوجه كذاب وكذا اضرابه بخلاف ابى جهل واحزابه قال بعض الكبار نور الايمان كناية عن تمكن اجتهادهم وسعيهم الى الله بالسير والسلوك وذلك لان قوة الانسان فى يمينه وبها يعرف اليمين من الشمال (بشراكم اليوم جنات) اى تقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم بشراكم اى ماتبشرون به اليوم جنات اوبشراكم دخول جنات فحذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه فى الاعراب (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك) اى ماذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذى لا غاية وراءه لكونهم ظفروا بكل ما ارادوا (قال الكاشفى) رستكارى بزرگست چه ازهمه اهوال قيامت ايمن شده بدار الجلال مرسند ودر دار ملك متعال مى بينند (مصراع) هزار جان مقدس فداى ديدارت (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا) اى اخلصوا الايمان بكل مايجب الايمان به (انظرونا) اى انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة اوانظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين ايديهم فانظرونا على هذا الوجه من باب الحذف والايصال لان النظر بمعنى الابصار لايتعدى بنفسه وانما يتعدى بالى وقراءة انظرونا من النظرة وهى الامهال على ان نأتيهم فى المضى ليلحقوا بهم انظار لهم وامهال (نقتبس من نوركم) اى نستضئ منه ونمش فيه معكم واصله اتخاذ القبس وهو محركة شعلة نار تقتبس من معظم النار كالمقباس قال الراغب القبس المتناول من الشعلة والاقتباس طلب ذلك ثم يستعار لطلب العلم والهداية قال بعضهم النار والنور من اصل واحد وهو الضوء المنتشر يعين على الابصار وكثيرا ما يتلازمان لكن النار متاع للمقوين فى الدنيا والنور متاع لهم فى الدنيا والآخرة ولاجل ذلك استعمل فى النور الاقتباس وقيل نقتبس من نوركم اى نأخذ من نوركم قبسا سراجا وشعلة وقيل ان الله يعطى المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو خادعهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فأطفأ نور المنافقين فذلك قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب المنافقون وقال الكلبى بل يستضئ المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنين وبقوا فى الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم (قيل) طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين اومن جهة الملائكة (ارجعوا وراءكم) اى الى الموقف (فالتمسوا نورا) اى فاطلبوا نورا فانه من ممة يقتبس اوالى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة * كار اينجا كن كه نشو يشست در محشر بسى * آب از ينجا بركه در عقبى بسى شور وشرست * وروى عن ابى امامة الباهلى رضى الله عنه انه قال بينا العباد يوم القيامة عند الصراط اذ غشيهم ظلمة يقسم الله النور بين عباده فيعطى الله المؤمن نورا ويبقى المنافق والكافر لا يعطيان نورا فكما لا يستضئ الاعمى بنور البصير لا يستضئ الكافر والمنافق بنور المؤمن فيقولون انظرونا نقتبس من نوركم فيقولون لهم ارجعوا حيث قسم النور فيرجعون فلا يجدون شيأ فيرجعون وقد ضرب بينهم بسور اوارجعوا خائبين خاسئين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا

آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم اوارادوا بالنور ماوراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم وقال بعض اهل الاشارة كان استعداداتهم الفطرية الفائتة عنهم تقول بلسان الحال ارجعوا الى استعداداتكم الفطرية التى افسدتم بحب الدنيا ولذاتها وشهواتها واقتبسوا منها نورا اذما تصلون الى مطلوباتكم الابحسب استعداداتكم وهى فائتة عنكم باشتغالكم بالامور الدنيوية واعراضكم عن الاحكام الاخروية والتوجهات المعنوية (فضرب بينهم) اى بين الفريقين وهم المؤمنون والمنافقون يعنى ملائكة بحكم الهى بزند ولما كان البناء مما يحتاج الى ضرب باليد ونحوها من الآلات عبر عنه بالضرب ومثله ضرب الخيمة لضرب اوتادها بالمطرقة (بسور) اى حائط بين شق الجنة وشق النار فان سور المدينة حائطها المشتمل عليها والباء زائدة وبالفارسية ديوارى نزديك چون پارهٔ شهرى قال بعضهم هو سور بين اهل الجنة والنار يقف عليه اصحاب الاعراف يشرفون على اهل الجنة واهل النار وهو السور الذى يذبح عليه الموت يراه الفريقان معا (له) اى لذلك السور (باب) يدخل فيه المؤمنون فيكون السور بينهم باعتبار ثانى الحال اعنى بعد الدخول لاحين الضرب (باطنه) اى باطن السور اوالباب (فيه الرحمة) لانه يلى الجنة (وظاهره من قبله) اى من جهته وعنده (العذاب) لانه يلى النار وقال بعضهم هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد الاقصى وظاهره من قبله العذاب وهو وادى يقال له وادى جهنم وكان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله فضرب بينهم بسور له باب الآية يعنى ان هذا الموضع المعروف بوادى جهنم موضع السور قال ابن عطية وهذا القول فى السور بعيد يعنى بل المراد بالسور الاعراف يقول الفقير لا بعد فيه بالنسبة الى من يعرف الاشارة وقد روى ان عبادة قام على سور بيت المقدس الشرقى فبكى فقال بعضهم ما يبكيك يا ابا الوليد فقال ههنا اخبرنا رسول الله عليه السلام انه رأى جهنم وفى الحديث (بيت المقدس ارض المحشر والمنشر) فيجوز ان يكون الموضع المعروف بوادى جهنم موضع السور على انه سور الاعراف بعينه لكن على كيفية لا يعرفها الا الله لانه تبدل الارض غير الارض يوم القيامة وقد صح ان مواضع العبادات تلتحق بارض الجنة فلا بعد فى ان يكون المسجد الاقصى من الجنة وخارجه من النار وبينهما السور (ينادونهم) كانه قيل فاذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادى المنافقون المؤمنين من وراء السور (وقال الكاشفى) منافقون چون بازپس نگرند ونورى نه بينند بازمتوجه مؤمنان شوند ديوارى بينند ميان خود وايشان حاجز شده ازان ردر بنگرند مؤمنانرا مشاهده نمايند كه خرمان متوجه رياض شدند بخوانند ايشانرا بزارى كويند اى مؤمنان (الم نكن) فى الدنيا (معكم) يريدون به موافقتهم لهم فى الامور الظاهرة ككالصلاة والصوم والمناكحة والموارثة ونحوها (قالوا بلى) كنتم معنا بحسب الظاهر (ولكنكم فتنتم انفسكم) محنتموها بالنفاق واهلكتموها اضافة الفتنة الى النفس اضافة الميل والشهوة والى الشيطان فى قوله لا يفتننكم الشيطان اضافة الوسوسة والى الله تعالى فى قوله قال فانا قد فتنا قومك اضافة الخلق لانه خلق الضلال فيه ليفتتن (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر والتربص الانتظار وقال مقاتل وتربصتم بمحمد عليه السلام الموت وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وهو وصف قبيح لان انتظار موت وسائل الخير ووسائط الحق من عظيم الجرم والقباحة اذ شانهم ان يرجى طول حياتهم ليستفاد منهم ويغتنم بمجالستهم (وارتبتم) وشككتم فى امر الدين اوفى النبوة اوفى هذا اليوم (وغرتكم الاماني) الفارغة التى من جملتها الطمع فى انكاس امر الاسلام جمع امنية كاضحية بالفارسية آرزو وفى عين المعانى وغرتكم خدع الشيطان وقال ابو الليث اباطيل الدنيا (حتى جاء امر الله) اى الموت (وغركم بالله) الكريم (الغرور) اى غركم الشيطان بانه عفو كريم لا يعذبكم قال قتادة مازالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار قال الزجاج الغرور على ميزان فعول وهو من اسماء المبالغة يقال فلان اكول كثير الاكل وكذا الشيطان الغرور لانه يغر ابن آدم كثيرا قال فى المفردات الغرور كل ما يغر الانسان من مال وجاه وشهوة وشيطان وقد فسر بالشيطان اذ هو اخبث الغارين بالدنيا لما فيها تغر وتضر وتمر (فاليوم لا يؤخذ منكم) ايها المنافقون (فدية) اى فداء تدفعون به العذاب عن انفسكم يعنى چيزى كه فداى خود كنيد تا ازعذاب برهيد والفداء حفظ الانسان من النائبة بما يبذله عنه من مال اونفس اى لا يؤخذ

منكم دية ولانفس اخرى مكان انفسكم (ولامن الذين كفروا) اى ظاهرا وباطنا وفيه دلالة على ان الناس ثلاثة اقسام مؤمن ظاهرا وباطنا وهو المخلص ومؤمن ظاهرا لاباطنا وهو المنافق وكافر ظاهرا وباطنا (مأواكم) مرجعكم (النار) لاترجعون الى غيرها ابدا (هى) اى النار (مولاكم) تتصرف فيكم تصرف المولى فى عبيده لما اسلفتم من المعاصى اواولى بكم فالمولى مشتق من الاولى بحذف الزوائد وحقيقته مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اى مكان لقول القائل انه كريم فهو مفعل من اولى كما ان مئنة مفعلة من ان التى للتأكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لان الحروف لايشتق منها بل ربما تتضمن الكلمة حروفها دالة على ان معناها فيها اوناصركم على طريقة قوله (تحية بينهم ضرب وجيع) فان مقصوده نفى التحية فيما بينهم قطعا لان الضرب الوجيع ليس بتحية فيلزم ان لاتحية بينهم البتة فكذا اذا قيل لاهل النار هى ناصركم يراد به ان لاناصر لكم البتة اومتوليكم اى المتصرف فيكم تتولاكم كما توليتم فى الدنيا موجباتها (وبئس المصير) اى المرجع النار وفى التأويلات النجمية اى نار القطيعة والهجران مولاكم ومتسلطة عليكم وبئس الرجوع الى تلك النار وعن الشبلى قدس سره انه رأى غصنا طريا قد قطع عن اصله فبكى فقال اصحابه ما يبكيك فقال هذا الفرع قد قطع عن اصله وهو طرى بعد ولايدرى ان مآله الى الذبول واليبس شبلى ديدزنى راكه ميكريد وميكويد ياويلاه من فراق والدى شبلى كريست وكفت ياويلاه من فراق الاخدان زن كفت چراچنين ميكويى شبلى كفت توكريه ميكنى برمخلوقى كه هرآينه فانى خواهد شد من چرا كريه نكنم برفراق خالقى كه باقى باشد * فرزند ويار چونكه بميرند عاقبت * اى دوست دل مبند بجزحى لايموت (الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله) من انى الامر يانى انيا واناء واناء اذا جاء اناه اى وقته وحان حينه وادرك والخشوع ضراعة وذل اى الم يجئ وقت ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال لاوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولافتور قال بعضهم الذكر ان كان غير القرآن يكون المعنى ان ترق وتلين قلوبهم اذا ذكر الله فان ذكر الله سبب لخشوع القلوب اى سبب فالذكر مضاف الى مفعوله واللام بمعنى الوقت وان كان القرآن فهو مضاف الى الفاعل واللام للعلة اى لمواعظ الله تعالى التى ذكرها فى القرآن ولآياته التى تتلى فيه وبا فارسية اياوقت نيايد مرانا راكه كرويده اند انكه بترسد ونرم شود دلهاء ايشان براى ياد كردن خداى (ومانزل من الحق) اى القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كأنه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جملتها ماسبق وما لحق من الانفاق فى سبيل الله روى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه من الخشوع فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ماكان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية اربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وعن الحسن رحمه الله والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن اقل مما تقرأون فانظروا فى طول ما قرأتم منه وماظهر فيكم من الفسق وقولى آنست كه مزاح ومضاحك در ميان اصحاب بسيار شد آيت نازل كشت كما قال الامام الغزالى رحمه الله فى منهاج العابدين ثم الصحابة الذين هم خير قرن كان يبدو منهم شئ من المزاح فنزل قوله تعالى الم يأن الخ وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا قست القلوب قال السهر وردى فى العوارف حتى قست القلوب اى تصلبت وادمنت سماع القرآن والفت انواره فاستغربته حتى تتغير والواجد كالمستغرب ولهذا قال بعضهم حالى قبل الصلاة كحالى فى الصلاة اشارة منه الى استمرار حال الشهود انتهى فقوله حتى قست القلوب ظاهره تقبيح للقلوب بالقسوة والتلوين وحقيقته تحسين لها بالشهود والتمكين قال البقلى رحمه الله فى الآية هذا فى حق قوم من ضعفاء المريدين الذين فى نفوسهم بقايا الميل الى الحظوظ حتى يحتاجوا الى الخشوع عند ذكر الله واهل الصفوة احترقوا فى الله بنيران محبة الله ولوكان هذا الخطاب للاكابر لقال ان تخشع قلوبهم لله لان الخشوع لله موضع فناء العارف فى المعروف وارادة الحق بنعت الشوق اليه فناؤهم فى بقائه بنعت الوله والحيران

والخشوع للذكر موضع الرقة من القلب فاذا رق القلب خشع بنور ذكر الله كأنه تعالى دعاهم بلطفه الى سماع ذكره بعث الخشوع والخضوع والمتابعة لقوله والاستلذاذ بذكره حتى لا يبقى فى قلوبهم لذة فوق لذة ذكره قال ابو الدرداء رضى الله عنه استعيذ بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال ان ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع * ورآوازه خواهى دراقليم فاش * برون حله كن كودرون حشو باش * اكر بيخ اخلاص در بوم نيست * ازين درخت سى چون تو محروم نيست * زراندود كارا بآتش برند * پديد آيد انكه كه مس يازرند (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) عطف على تخشع والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله (فطال عليهم الامد) اى الاجل والزمان الذى بينهم وبين انبيائهم اوالاعمار والآمال وغلبهم الجفاء والقسوة وزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيهم من التوراة والانجيل اذ اتلوهما وسمعوهما (فقست قلوبهم) فهى كالحجارة اواشد قسوة والقسوة غلظ القلب وانما تحصل من اتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة لا تجتمعان (وكثير منهم فاسقون) اى خارجون عن حدود دينهم رافضون لما فى كتابهم بالكلية لفرط الجفاء والقسوة ففيه اشارة الى ان عدم الخشوع فى اول الامر يفضى الى الفسق فى آخر الامر وگفته اند نتيجهٔ سختىٔ دل غفلت است ونشأة زمىٔ دل توجه بطاعت * دلى كزنور معنى نيست روشن * مخوانش دل كه ان سنگست وآهن * دلى كز كرد غفلت زنك دارد * اذان دل سنك وآهن تنك دارد * روى ان عيسى عليه السلام قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فان القلب القاسى بعيد من الله ولا تنظروا فى ذنوب العباد كانكم ارباب وانظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد فانما الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية (اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها) تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة باغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة (وقال الكاشفى) بدانيد اى منكر ان بعث ان الله يحيى الارض بعد موتها وهمان منوال زنده خواهد ساخت امواترا (قد بينا لكم الآيات) التى من جملتها هذه الآيات (لعلكم تعقلون) كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين سبب توبت فضيل بن عياض رحمه الله ميكويند كه سماع اين آيت يعنى الم يأن الخ بود در بدء كار مرا ده راه زدند ورناشايسته قدم نهادند وقتى سودا ى عشق صاحب جمال درسر وى افتاد باوى معادى نهاد درميانهٔ شب بسر آن وعده بازشد ديوار برمى شد كه كويندهٔ كفت الم يأن للذين الخ اين ابيت تيرو اردر نشانهٔ دل وى نشست دردى وسوزى ازدرون وى سر بر زد كين عنايت بروكشادند اسير كمند توفيق كشت از انجا بازكشت وهمى كفت بلى والله قد آن بلى والله قد آن ازانجا بركشت ودر خرابهٔ شد جماعتى كار وانيان انجا بودند وبايكديكر ميكفتند فضيل دررا هست اكر بويم راه برمازند ورخت ببرد فضيل خود را علامت كرد كفت اى بدمردا كه منم اين چه شقاوتست كه دوى بمن نهاده درميانهٔ شب بقصد معصيت ازخانه بدر امده وقومى مسلمانان ازبيم من درين كنج كريخته روى سوى اسمان كرد وازدلى صافى توبت نصوح كرد كفت اللهم انى تبت اليك وجعلت توبتى اليك جوار بيتك الحرام الهى از بدسزاى خود بدردم وآزناكسىٔ خود بفغان دردمراد ردمان سازاى درمان ساز همه دردمندان اى پاك صفت ازعيب اى عالى صفت آزشوب اى بى نياز ازخدمت من اى بى نقصان ازخيانت من من بجاى رحتم ببخشاى برمن اسير بند هواى خويشم بكشاى مرا ازين بند الله تعالى دعاء وير امستجاب كردو بوى كرامتها كرداز انجا بركشت وروى بخانهٔ كعبه نهاد سالها آنجا مجاور شد واز جملهٔ اوليا كشت * كداى كوى تواز هشت خلد مستغنيست * اسير عشق تواز هر دو كون آزادست * وقال ابن المبارك رحمه الله كنت يوما فى بستان وانا شاب وكان معى اصحابى فأكلنا وشربنا وكنت مولعا بضرب العود فأخذت العود فى الليل لاضرب به فنطق العود وقال الم يأن للذين الخ فضربته بالارض وكسرته وتركت الامور الشاغلة عن الله تعالى وعن مالك بن دينار رحمه الله انه سئل عن سبب توبته فقال كنت شرطيا وكنت منهمكا على شرب الخمر ثم انى اشتريت جارية نفيسة ووقعت منى احسن موقع فولدت لى بنتا فشغفت بها فلما دبت على الارض ازدادت فى قلبى حبا والفتنى والفتها فكنت اذا وضعت المسكر جاءت الى وجاز بتنى اياه واراقته على ثوبى فلما تم لها سنتان ماتت فأكدنى الحزن عليها فلما كانت

ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة جمعة بت ثملا من الخمر ولم اصل صلاة العشاء فرأيت كأن اهل القبور قد خرجوا وحشر الخلائق واناممهم فسمعت حسا من ورائى فالتفت فاذا انا بتنين عظيم اعظم مايكون اسود ازرق قد فتح فاه مسرعا نحوى فررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فررت فى طريق بشيخ نقى الثياب طيب الرائحة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له أجرنى واغثنى فقال انا ضعيف وهذا اقوى منى وما اقدر عليه ولكن مر واسرع فلعل الله يسبب لك ماينجيك منه فوليتها رباعلى وجهى فصعدت على شرف من شرف القيامة فاشرفت على طبقات النيران فنظرت الى اهلها فكدت اهوى فيها من فزع التنين وهو فى طلبى فصاح بى صائح ارجع فلست من اهلها فاطمأنت الى قوله ورجعت ورجع التنين فى طلبى فأتيت الشيخ فقلت ياشيخ سألتك ان تجيرنى من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال انا ضعيف ولكن سر الى هذا الجبل فان فيه ودائع للمسلمين فان كان لك فيه وديعة فستنصرك فنظرت الى جبل مستدير فيه كوى مخرقة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصراعان من الذهب الاحمر مفصلان باليواقيت مكللان بالدر وعلى كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت الى الجبل هربت اليه والتنين ورائى حتى اذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع واشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه واذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف على اطفال بوجوه كالاقمار وقرب التنين منى فتحيرت فى امرى فصاح بعض الاطفال ويحكم اشرفوا كلكم فقد قرب منه فأشرفوا فوجا بعد فوج فاذا بابنتى التى ماتت قد أشرفت على معهم فلما رأتنى بكت وقالت ابى والله ثم وثبت فى كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدى فمدت يدها الشمال الى يدى اليمنى فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى فولى هاربا ثم اجلستنى وقعدت فى حجرى وضربت بيدها اليمنى الى لحيتى وقالت يا ابت الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فبكيت وقلت يابنية وانتم تعرفون القرآن فقالت يا ابت نحن اعرف به منكم قلت فاخبرينى عن التنين الذى اراد ان يهلكنى قالت ذلك عملك السوء قويته فأراد ان يعرقك فى نار جهنم قلت فاخبرينى عن الشيخ الذى مررت به فى طريقى قالت يا ابت ذلك عملك الصالح اضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت يابنية وما تصنعون فى هذا الجبل قالت نحن اطفال المسلمين قد اسكنا فيه الى ان تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم فانتبهت فزعا فلما اصبحت فارقت ماكنت عليه وتبت الى الله تعالى وهذا سبب توبتى * سراز جيب غفلت برآر كنون * كه فردا نماند بخجلت نكون * كنون بايد اى خفته بيدار بود * چو مرك اندرارد زخوابت چه سود * زهجران طفلى كه در خاك رفت * چه نالى كه پاك آمد و پاك رفت * تو پاك آمدى برحذر باش وپاك * كه ننكست ناپاك رفتن بخاك (ان المصدقين والمصدقات) اى المتصدقين والمتصدقات (واقرضوا الله قرضا حسنا) عطف على الصلة من حيث المعنى اى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن واقرضوا الله قرضا حسنا واقرضن والاقراض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة ففيه دلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص فيندفع توهم التكرار لان هذا تصدق مقيد وماقبله تصدق مطلق وفى الحديث (يامعشر النساء تصدقن فانى ارتكن اكثر اهل النار) وفيه اشارة الى زيادة احتياجهن الى التصدق (وروى) مسلم عن جابر رضى الله عنه انه قال شهدت مع رسول الله عليه السلام صلاة العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير اذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال رضى الله عنه فامر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى الى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن فان اكثركن حطب جهنم قالت امرأة لم يارسول الله فقال لانكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير اى المعاشر وهو الزوج فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين فى ثوب بلال حتى اجتمع فيه شئ كثير فسمه على فقراء المسلمين (يضاعفه لهم) على البناء للمفعول مسندا الى مابعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما فى حيز الصلة على حذف مضاف اى ثواب التصدق (ولهم اجر كريم) وهو الذى يقترن به رضى واقبال * بدنيا توانى كه عقبى خرى * بخرجان من ورنه حسرت خورى (والذين آمنوا بالله ورسله) كافة وهو مبتدأ (اولئك) مبتدأ ثان (هم) مبتدأ ثالث خبره قوله (الصديقون والشهداء) وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لا ولئك والجملة خبر للموصول اى اولئك (عند ربهم) بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين

بعلو المرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله قال فى فتح الرحمن الصديق نعت لمن كثر منه الصدق وهم ثمانية تفرد من هذه الامة سبقوا اهل الارض فى زمانهم الى الاسلام ابو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضى الله عنهم الحقه الله بهم وان تم به الاربعون لما عرف من صدق نيته وقيل الشهداء على ثلاث درجات الدرجة الاولى الشهيد بين الصفين وهو اكبرهم درجة ثم كل من قضى بقارعة اوبلية وهى الدرجة الثانية مثل الغرق والحرق والهالك فى الهدم والمطعون والمبطون والغريب والميتة فى نفاسها والميتة بالوضع والميت يوم الجمعة وليلة الجمعة والميت على الطهارة والدرجة الثالثة ما نطقت به هذه الآية العامة للمؤمنين وقال بعضهم فى معنى الآية هم المبالغون فى الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله بالوحدانية ولهم بالايمان اوعلى الامم يوم القيامة وقال بعض الكبار يعنى الذين آمنوا بالله ايمانا حقيقيا شهوديا عيانيا لا علميا بيانيا وذلك بطريق الفناء فى الله نفسا وقلبا وسرا وروحا والبقاء به وآمنوا برسله بفناء صفات القلب والبقاء بصفات الروح اولئك هم المتحققون بصفة الصديقية البالغون اقصى مراتب الصدق والشهداء على نفوسهم بالصدق والوفاء بالعهد لترشح رشحات الصدق عنهم لاجرم لهم اجر الصديقين ونور الشهداء مختص بهم لا بمن آمن بالتقليد وصدق وشهد باللسان من غير العيان والعيان يترتب على الفناء وفرق بين الصادق والصديق بان الصادق كالمخلص بالكسر من تخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقا والصديق كالمخلص بالفتح من تخلص ايضا عن شوائب الغيرية والثانى اوسع فلكا واكثر احاطة فكل صديق ومخلص بالفتح صادق ومخلص بالكسر من غير عكس قال ابو على الجرجانى قدس سره قلوب الابرار متعلقة بالكون مقبلين ومدبرين وقلوب الصديقين معلقة بالعرش مقبلين بالله لله (لهم اجرهم ونورهم) مبتدأ وخبر والجملة خبر ثان للموصول والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء ولا بأس بالفك عند الامن اى لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للآخرين من الاصل بدون الاضعاف ليحصل التفاوت واما على الوجه الثانى فرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم قال بعض الكبار لا يكون الاجر الا مكتسبا فان اعطاك الحق تعالى ما هو خارج عن الكسب فهو نور وهبات ولا يقال له اجر ولهذا قال تعالى لهم اجرهم ونورهم فان اجرهم ما اكتسبوه ونورهم ما وهبه الحق لهم من ذلك حتى لا ينفرد الاجر من غير ان يختلط به الوهب لان الاجر فيه شائبة الاستحقاق اذهو معارضة عن عمل المتقدم يضاف الى العبد فاتم اجرا واوخالطه نور وذلك لتكون المنة الآلهية مصاحبة للعبد حيث كان فان تسمية العبد اجيرا مشعر بان له نسبة فى الطاعات والاعمال الصادرة عنه فتكون الاجارة من تلك النسبة ولذلك طلب العبد العون على خدمة سيده فان قلت من اى جهة قبل العبد الاجرة والعبد واجب عليه الخدمة لسيده من غير ان يأخذ اجرة وان جعلناه اجنبيا فمن اى جهة تعين الفرض عليه ابتداء قبل الاجرة والاجير لا يفترض عليه الا حين يؤجر نفسه قلت الانسان مع الحق تعالى على حالتين حالة عبودية وحالة اجارة فمن كونه عبدا فهو مكلف بالفرض كالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا اجر له على ذلك جملة واحدة ومن كونه اجيرا له الاجرة بحكم الوعد الالهى ولكن ذلك مخصوص بالاعمال المندوبة لا المفروضة فعلى تلك الاعمال التى ندب الحق اليها فرضت الاجور فان تقرب العبد بها الى سيده اعطاه اجارته وان لم يتقرب لم يطلب بها ولا عوتب عليها ومن هنا كان العبد حكمه حكم الاجنبى فى الاجارة للفرض الذى يقابله الجزاء اذهو العهد الذى بين الله وبين عباده واما النوافل فلها الاجور المتجددة للصحبة الآلهية كما قال لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه والحكمة فى ذلك ان المتنفل عبد اختيارى كالاجير فاذا اختار الانسان ان يكون عبد الله لا عبد هواه فقد آثر الله على هواه وهو فى الفرائض عبد اضطرار لا عبد اختيار وبين عبودية الاضطرار وعبودية الاختيار ما بين الاجير والعبد المملوك اذ العبد الاصلى ماله على سيده استحقاق الا ما لا بد منه من مأكل وملبس ثم يقوم بواجبات مقام سيده ولا يزال فى دار سيده لا يبرح ليلا ولا نهارا الا اذا وجهه فى شغل آخر فهو فى الدنيا مع الله وفى القيامة مع الله وفى الجنة مع الله لانها جميعا ملك لسيده فيتصرف فيها

تصرف الملاك والاجير ماله سوى ماعين له من الاجرة منها نفقته وكسوته وماله دخول على حرم سيده وموجره ولا له اطلاع على اسراره ولا تصريف فى ملكه الا بقدر ما استؤجر عليه فاذا انقضت مدة اجارته واخذ اجرته فارق مؤجره واشتغل باهله وليس له من هذا الوجه حقية ولا نسبة تطلب ممن استأجره الا ان يمن عليه رب المال بان يبعث خلفه و يجالسه و يخلع عليه فذلك من باب المنة وقد ارتفعت عنه فى الآخرة عبودية الاختيار فان تفطنت لهذا نبهك على مقام جليل تعرف منه من اى مقام قالت الانبياء عليهم السلام مع كونهم عبيدا خلصا لم يملكهم هوى نفوسهم ولا احد من خلق الله ومع هذا قالوا ان اجرى الا على الله وذلك لان قولهم هذا راجع الى تحققهم بدخولهم تحت حكم الاسماء الالهية بخلاف غيرهم ومن هناك وقعت الاجارة فيهم فى حال الاضطرار والاختيار عبيد للذات وهم لها ملك فان الاسماء الالهية تطلبهم لتظهر آثارها فيهم وهم مخيرون فى الدخول تحت اى اسم الهى شاؤا وقد علمت الاسماء الالهية ذلك فعينت لهم الاجور وكل اسم يناديهم ادخلوا تحت امرى وانا اعطيكم كذا وكذا فلا يزال احدهم فى خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم الهى و يقوم لدعوة سيده فاذا فعل ما امر به حينئذ رجع الى اى اسم شاء ولهذا يتنفل الانسان و يتعبد بما شاء حتى يسمع اقامة الصلاة المفروضة فيؤمر بها و يترك النافلة فهو دائما مع سيده بحكم عبودية الاضطرار كذا فى كتاب الجواهر للامام الشعرانى قدس سره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة (اصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها ابدا وفيه دليل على ان الخلود فى النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا واراد بالكفر الكفر بالله فهو فى مقابلة الايمان بالله و بتكذيب الآيات تكذيب ما يبدى الرسل من الآيات الالهية وتكذيبها تكذيبهم فهو فى مقابلة الايمان والتصديق بالرسل وفيه وصف لهم بالوصفين القبيحين اللذين هما الكفر وا لتكذيب وفيه اشارة الى ان الذين كفروا بذاتنا وكذبوا بصفاتنا الكبرى كفروا صريحا بنا قلبا وسرا وروحا اولئك اصحاب جحيم البعد والطرد واللعن المخصوص بالخلود وعبر عن الصفات بالآيات لان الكتب الالهيه صفات الله تعالى وايضا الانبياء عليهم السلام صفات الله من حيث انهم مظاهر اسمائه الحسنى وصفاته العليا وقس عليهم سائر المجالى والمرائى لكنهم متفاوتون فى الظهور بالكمال واذا كان تكذيب الانبياء وآياتهم مما يوجب الوعيد فكذا تكذيب الاولياء وآياتهم فان العلماء العاملين ورثة الانبياء والمرسلين والمراد بآيات الاولياء الكرامات العلمية والكونية فالذين من معاصريهم وغير معاصريهم صدقوهم اولئك اصحاب النعيم والذين كذبوهم اولئك اصحاب الجحيم وهذه الآيات واصحابها لا تنقطع الى قيام الساعة فان باب الولاية مفتوح نسأل الله سبحانه ان يتولانا بعميم افضاله بحرمة النبى وآله (اعلموا) بدانيد اى طالبان دنيا (انما الحياة الدنيا) لفظ الحياة زائد والمضاف مضمر اى امور الدنيا و يجوز ان تجعل الحياة الدنيا مجازا عن امورها بعلاقة اللزوم وفى كشف الاسرار الحياة القربى فى الدار الاولى و بالفارسية زندكانى اين سراى وماصله فان المقصود الحياة فى هذه الدار فكل ما قبل الموت دنيا وكل ما تأخر عنه اخرى (لعب) اى عمل باطل تتعبون فيه انفسكم اتعاب اللاعب بلا فائدة * بازيچه ايست طفل فريب اين متاع دهر * بى عقل مرد مانكه بدو مبتلا شوند (ولهو) تلهون به انفسكم وتشغلونها عما يهمكم من اعمال الآخرة (وزينة) من الملابس والمراكب والمنازل الحسنة تزينون بها (وتفاخر بينكم) بالانساب والاحساب تتفاخرون بها والفخر المباهاة فى الاشياء الخارجة عن الانسان كالمال والجاه و يعبر عن كل نفيس بالفاخر كما فى المفردات (وتكاثر فى الاموال والاولاد) بالعدد والعدد يعنى ومباهاتست بكثرت اموال واولاد لاسيما التطاول بها على اولياء الله و بدانيد كه درانديك زمانى آن بازى برطرف شود ولهو وفرح بغم وترح مبدل كردد وريشها ازهمه فرو ريزد وتفاخر وتكاثر چون شرارهٔ آتش نابود شود وقيل لعب كلعب الصبيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان قال على لعمار رضى الله عنهما لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاكبر طعامها العسل وهو ريقة ذبابة واكبر شرابها الماء ويستوى فيه جميع الحيوان واكبر الملبوس الديباج وهو نسج دودة واكبر المشموم المسك وهو دم ظبية واكبر المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال

واكبر المنكوح النساء و هو مبال وفى الحديث (مالى وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب قام فى ظل شجرة فى يوم صائف ثم راح وتركها * جهان اى پسر ملك جاويد نيست * زدنيا وفادارى اميد نيست (كمثل غيث) محل الكاف النصب على الحالية من الضمير فى لعب لان فيه معنى الوصف اى تثبت لها هذه الاوصاف مشبهة غيثا اوخبر مبتدأ محذوف اى هى كمثل او خبر بعد خبر للحياة الدنيا والغيث مطر محتاج اليه يغيث الناس من الجدب عند قلة المياه فهو مخصوص بالمطر النافع بخلاف المطر فانه عام (اعجب الكفار) اى الحراث قال الازهرى العرب تقول للزارع كافر لانه يكفر اى يستر بذره بتراب الارض والكفر فى اللغة التغطية ولهذا يسمى الكافر كافرا لانه يغطى الحق بالباطل والكفر القبر لستره الناس وفى الحديث (اهل الكفور اهل القبور) و الليل كافر لستره الاشخاص (نباته) اى النبات الحاصل منه والمراد الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فأعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا وقد منع فى بعض المواضع عن اظهار الزينة صونا لقلوب الضعفاء كما فى الاعراس ونحوها (ثم يهيج) اى يجف بعد خضرته ونضارته بآفة سماوية اوارضية يقال هاج النبت يهيج هيجا وهيجانا وهياجا بالكسر يبس والهائجة ارض يبس بقلها اواصفر واهاجه أيبسه وأهيجها وجدها هائجة للنبات (فتراه مصفرا) بعد ما رأيته ناضرا مونقا وانما لم يقل فيصفر اذانا بأن اصفراره مقارن لجفافه وانما المرتب عليه رؤيته كذلك (ثم يكون) پس كردد بعد از زردى (حطاما) درهم شكسته وكوفته و ريزه ريزه شده قال فى القاموس الحطم الكسر اوخاص باليابس فالآية تحقير لامور الدنيا اعنى ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل ومنه المثل و بيان انها امور خيالية اى باطلة لا حقيقة لها وعن على رضى الله عنه الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا قليلة النفع سريعة الزوال لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وتمثيل لحالها فى سرعة تقضيها وقلة نفعها بحال النبات المذكور زينة الحياة الدنيا هى زينة الله الا انها تختلف بالقصد وهى محبوبة بالطبع فاذا تحرك العبد اليها بطبعه كانت زينة الحياة الدنيا فذم بذلك وان كانت غير محرمة شرعا واذا تحرك اليها بامر من ربه كانت زينة الله وحمدت بها وذلك لان امر الله وكل ما يرجع اليه جد كله والحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وفخر الانسان على مثله انما هو من جهله بحقيقته فهذا سبب الذم قال بعض الكبار الشهوات سبع وهى ماذكر فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وقد انزلها الله الى خمس فى هذه الآية وهى اعلموا انما الحياة الدنيا الخ ثم انزل هذه الخمس الى امرين فى آية اخرى كما قال فى سورة محمد انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم جعل هذين الامرين امرا واحدا فى قوله تعالى فاما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فالهوى جامع لانواع الشهوات فمن تخلص من الهوى من كل قيد و برزخ بلغ مسالك الوصول الى المطلب الاعلى والمقصد الاقصى (وفى الآخرة عذاب شديد) لمن اقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة وقدم ذكر العذاب لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحياة الدنيا (ومغفرة) عظيمة كائنة (من الله ورضوان) كثير لا يقادر قدره لمن اعرض عنها وقصد بها الآخرة بل لله تعالى فان الدنيا والآخرة حرامان على اهل الله اى طالب دنيا تو بسى مغرورى * وى مائل عقبى تو يكى مزدورى * وى انكه زميل هر دو عالم دورى * تو طالب نور بلكه عين نورى * وفيه اشارة الى فضل النية الحسنة وانها تحيل المباح ونحوه طاعة قال بعض الكبار من استقامت سريرته وصلحت نيته ادرك جميع ما تمناه من الاعمال الصالحة وفى الخبر من نام على طهارة وفى عزمه انه يقوم من الليل فأخذ الله بنفسه الى الصباح كتب الله له قيام ليلة وورد مثل ذلك فيمن خرج لجهاد اوحج وتأمل الطباخ والخباز يقوم من الليل يهيئ الطعام والخبز للآكلين وهم نائمون وهو طالب للربح ناسيا حاجة الناس ولو كان ذا بصيرة لفعل ذلك يقصد مصالح العباد وجعل ربحه ونفعه بحكم البيع والحاصل ان اهل الكسب سواء كانوا من اهل السوق اومن غيرهم ينبغى ان تكون نيتهم السعى فى مصالح العباد والتقوى بكسبهم على طاعة الله حتى يكونوا مأجورين فى ذلك ومن استرقه الكون بحكم مشروع كالسعى فى مصالح العباد والشكر لاحد من المخلوقين من جهة نعمة اسداها اليه فهو لم يبرح عن عبوديته لله تعالى لانه فى اداء واجب اوجبه الحق عليه وتعبد العبد لمخلوق عن امر الله لا يقدح فى العبودية بخلاف من استرقه

الكون لغرض نفسى ليس للحق فيه رائحة امر فان ذلك يقدح فى عبوديته لله ويجب عليه الرجوع الى الحق تعالى قال بعض الكبار من ذم الدنيا فقد عق امه لان جميع الانكاد والشرور التى ينسبها الناس الى الدنيا ليس هو فعلها وانما هو فعل اولادها لان الشر فعل المكلف لا فعل الدنيا فهى مطية العبد عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فهى تحب ان لا يشقى احد من اولادها لانها كثيرة الحنو عليهم وتخاف ان تأخذهم الضرة الاخرى على غير اهبة مع كونها ماولدتهم ولا تعبت فى تربيتهم فمن عقوق اولادها كونهم ينسبون جميع افعال الخير الى الآخرة ويقولون اعمال الآخرة والحال انهم ماعملوا تلك الاعمال الا فى الدنيا فالدنيا اجر المصيبة التى فى اولادها ومن اولادها فمن انصف من ذمها بل هو جاهل بحق امه ومن كان كذلك فهو بحق الآخرة اجهل وفى الحديث (اذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه) وقال بعضهم طلب الثواب على الاعمال بحسن النيات والرغبة فيه لا يختص بالعامة بل لا يتحاشى عنه الكمل لعلمهم ان الله تعالى انشأهم على امور طبيعية وروحانية فهم يطلبون ثواب ماوعد الله به ويرغبون فيه اثباتا للحكم الالهى فان المكابرة بالربوبية غير جائزة فهم مشاركون للعامة فى طلب الرغبة ويتميزون فى الباعث على ذلك فكان طالب العارفين ذلك لاعطاء كل ذى حق حقه ليخرجوا عن ظلم انفسهم اذا وفوها حقها فمن لم يوف نفسه حقها فقد نزل عن درجة الكمال وكان غاشا لنفسه (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) اى كالمتاع الذى يتخذ من نحو الزجاج والخزف مما يسرع فناؤه يميل اليه الطبع اول ما رآه فاذا اخذه واراد ان ينتفع به ينكسر ويفنى (حكى) انه حمل الى بعض الملوك قدح فيروزج مرصعا بالجواهر لم ير له نظير وفرح به الملك فرحا شديدا فقال لمن عنده من الحكماء كيف ترى هذا قال اراه فقرا حاضرا ومصيبة عاجلة قال وكيف ذلك قال ان انكسر فهو مصيبة لا جبرلها وان سرق صرت فقيرا اليه وقد كنت قبل ان يحمل اليك فى امن من المصيبة والفقر فاتفق انه انكسر القدح يوما فعظمت المصيبة على الملك وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا ثم كونها متاع الغرور والخدعة انما هو لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة واما من اشتغل فيها بطلب الآخرة فهى له متاع بلاغ الى ماهو خير منها وهى الجنة فالدنيا غير مقصودة لذاتها بل لأجر الآخرة وفى الحديث (نعم المال الصالح للرجل الصالح (وفى المثنوى) مال راكز بهر حق باشى حول * نعم مال صالح كفتش رسول * فاشغل العبد عن الآخرة فهو من الدنيا ومالا فهو من الآخرة قال بعض الكبار ورد خطاب الهى يقول فيه خلقت الخلق لينظروا الى مفاتيح الدنيا ومحاسن الناس فيؤديهم النظر فى مفاتيح الدنيا الى الزهد فيها ويؤديهم النظر فى محاسن الناس الى حسن الظن بهم فعكسوا القضية فنظروا الى محاسن الدنيا فرغبوا فيها ونظروا الى مساوى الناس فاغتابوهم (حكى) ان الشيخ ابا الفوارس شاهين بن شجاع الكرمانى رحمه الله خرج للصيد وهو ملك كرمان فأمعن فى الطلب حتى وقع فى برية مقفرة وحده فاذا هو بشاب راكب على سبع وحوله سباع فلما رأته ابتدرت نحوه فزجرها الشاب عنه فلما دنا اليه سلم عليه وقال له ياشاه ماهذه الغفلة عن الله اشتغلت بدنياك عن آخرتك وبلذتك وهواك عن خدمة مولاك انما اعطاك الله الدنيا لتستعين بها على خدمته فجعلتها ذريعة الى الاشتغال عنه فبينما الشاب يحدثه اذ خرجت عجوز وبيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقية الى الشاه فشربه فقال ماشربت شيأ الذ منه ولا ابرد ولا اعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب هذه الدنيا وكلها الله الى خدمتى فما احتجت الى شئ الا احضرته الى حين يخطر ببالى اما بلغك ان الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يادنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه فلما رأى ذلك تاب واجتهد الى ان كان من اهل الله تعالى فان قلت ان الله تعالى خلق للانسان جميع مافى الارض ولا ينبغى للعروس ان تجمع مانثر عليها بطريق الاعزاز والاكرام فمن عرف شأنه الجليل مانظر الى الامر الحقير القليل بل كان من اهل المروءة والهمة العالية فى الاعراض عما سوى الله تعالى والاقبال والتوجه الى الله تعالى (سابقوا) اى سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم فى المضمار وهو الميدان (الى مغفرة) عظيمة كائنة (من ربكم) اى الى اسبابها وموجباتها كالاستغفار وسائر الاعمال الصالحة اى بحسب وعد الله والا فالعمل نفسه غير موجب وفى دعائه عليه السلام اسألك عزائم مغفرتك اى ان توفقنى للاعمال التى تغفر لصاحبها لا محالة ويدخل فيها المسابقة الى التكبيرة الاولى مع الامام ونحوها سلمى قدس سره كفت كه وسيلة مغفرت حضرت رسالت است عليه السلام پس حق

سبحانه وتعالى ميفرمايد كه شتاب نماييد بمتابعت او كه سبب آمرزش است * پيمبر كسى را شفاعت كرست كه برجادهٔ شرع پيغمبرست * قال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره ان الله تعالى ارسلنا من عالم الامر الى عالم الارواح ثم منه الى عالم الاجسام وخلقنا فى احسن تقويم واعطانا اختيارا جزئيا وقال ان كنتم صرفتم ذلك الاختيار الى جانب العبادات والطاعات والى طريق الوصول الى الحسنات ادخلكم الجنة وايسر لكم الوصال ورؤية الجمال وامرنا بالاسراع الى تلك الطريق على وجه المبالغة فان صيغة المفاعلة للمبالغة وانما امر بمبالغة الاسراع لقلة عمر الدنيا وقد ذهب الانبياء والاولياء ونحن نذهب ايضا فينبغى ان نسرع فى طريق الحق لئلا يفوت الوصول الى الدرجات العالية بالاهمال والتكاسل وطريق الاسراع فى مرتبة الطبيعة الامتثال بالاوامر والاجتناب عن النواهى وفى مرتبة النفس تزكيتها عن الاخلاق الرديئة كالكبر والرياء والعجب والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه وتحليتها بالاخلاق المحمودة كالتواضع والاخلاص ورؤية التوفيق من الله والحلم والصبر والرضى والتسليم والعشق والارادة ونحوها وفى مرتبة الروح بتحصيل معرفة الله تعالى وفى مرتبة السر بنفى ماسوى الله تعالى وقال البقلى قدس سره دعاء المريدين الى مغفرته بنعت الاسراع ودعاء المشتاقين الى جماله بنعت الاشتياق وقد دخل الكل فى مظنة الخطاب لان الكل قد وقعوا فى بحار الذنوب حين لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته فدعاهم جميعا الى التطهير فى بحر رحمته حتى صاروا متطهرين من غرورهم بانهم عرفوه فاذا وصلوا الى الله عرفوا انهم لم يعرفوه فيأخذ الله بايديهم بعد ذلك ويكرمهم بأنواع الطافه ثم ان المسابقة انما تكون بعد القصد والطلب (وفى المثنوى) كركر ان وكرشتابنده بود * آنكه كوينده استت يابنده بود (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) اى كعرض سبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض على ان يكون اللام فى السماء والارض للاستغراق واذا كان عرضها كذلك فاظنك بطولها فان طول كل شئ اكثر من عرضه قال اسمعيل السدى رحمه الله لو كسرت السموات والارض وصرن خردلا فبكل خردلة جنة عرضها كعرض السموات والارض ويقال هذا التشبيه تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية (اعدت) هيئت (للذين آمنوا بالله ورسله) فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل كما هو مذهب اهل السنة وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها اذ لم يذكر مع الايمان شئ آخر ولكن الدرجات بالاعمال وفيه شئ فان الايمان بالرسل انما يكمل بالايمان بما فى ايديهم من الكتب الالهية والعمل بما فيها (ذلك) الذى وعد من المغفرة والجنة (فضل الله) وعطاؤه وهو ابتداء لطف بلا علة (يؤتيه) تفضلا واحسانا (من يشاء) ايتاءه اياه من غير ايجاب لكما زعمه اهل الاعتزال (والله ذو الفضل العظيم) ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذى لا غاية وراءه والمراد منه التنبيه على ان عطاء العظيم عظيم والاشارة الى ان احدا لا يدخل الجنة الا بفضل الله نبيا اوليا قال عليه السلام خرج من عندى خليلى جبرآئيل عليه السلام آنفا فقال يا محمد والذى بعثك بالحق ان عبدا من عباد الله عبد الله خمسمائة سنة على رأس جبل يحيط به بحر فأخرج الله له عينا عذبة فى اسفل الجبل وشجرة رمان كل يوم تخرج رمانة فاذا امسى نزل واصاب من الوضوء واخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام للصلاة فسأل ربه ان يقبض روحه ساجدا وان لا يجعل للارض ولا لشئ على جسده سبيلا حتى يبعثه الله وهو ساجد ففعل ونحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا وهو على حاله فى السجود قال جبريل فنحن نجد فى العلم انه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله فيقول له الرب ادخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول العبد بل بعملى فيقول الله قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد احاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت عليه النعم الباقية بلا عبادة فى مقابلتها فيقول الله ادخلوا عبدى النار فيجر الى النار فينادى ويقول برحمتك ادخلنى الجنة فيقول الله ردوه الى فيوقف بين يديه فيقول عبدى من خلقك ولمن شئ فيقول انت يارب فيقول اكان ذلك بعملك او برحمتى فيقول بل برحمتك فيقول من قواك على عبادة خمسمائة سنة فيقول انت يارب فيقول من انزلك فى جبل وسط البحر واخرج الماء العذب من بين الماء المالح واخرج لك رمانة كل ليلة وانما تخرج فى السنة مرة واحدة وسألتنى ان اقبضك ساجدا من فعل بك ذلك كله فيقول انت يارب قال فذلك كله برحمتى وبرحمتى ادخلك الجنة * چوروبى بخدمت نهى برزمين * خدا رانشناكوى

وخودرا مبين * اميدى كه دارم بفضل خداست * كه برسعى خود تكيه كردن خطاست * همين اعتمادم بيارئ حق * اميدم بآمرزكارئ حق * (ماأصاب من مصيبة فى الارض) ما نافية والمصيبة اصلها فى الرمية يقال اصاب السهم اذا وصل الى المرمى بالصواب ثم اختص بالنائبة اى ما حدث من حادثة كائنة فى الارض كجدب وعاهة فى الزروع والثمار (ولا فى انفسكم) كمرض وآفة وموت وادوخوف عدو وجوع (الا فى كتاب) اى الا مكتوبة مثبتة فى علم الله اوفى اللوح المحفوظ (من قبل ان نبرأها) نخلق الانفس اوالمصائب اوالارض فان البرء فى اللغة هوالخلق والبارئ الخالق وذكر ربيع بن صالح الاسلمى قال دخلت على سعيد بن جبير حين جئ به الى الحجاج حين اراد قتله فبكى رجل من قومه فقال سعيد ما يبكيك قال ما اصابك قال فلا تبك قد كان فى علم الله ان يكون هذا الم تسمع قول الله تعالى ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها * قال فى الروضة رؤى الحجاج فى المنام بعد وفاته فقيل ما فعل الله بك فقال قتلنى بكل قتيل قتله و بسعيد بن جبير سبعين قتلة وفى الآية دليل على ان جميع الحوادث الارضية قبل دخولها فى الوجود وكذا جميع اعمال الخلق بتفاصيلها مكتوبة فى اللوح المحفوظ ليستدل الملائكة بذلك المكتوب على كونه تعالى عالما بجميع الاشياء قبل وجودها وليعرفوا حكمه فانه تعالى مع علمه انهم يقومون على المعاصى خلقهم و رزقهم وامهلهم وليحذروا من امثال تلك المعاصى وليشكروا الله على توفيقه اياهم للطاعات وعصمته اياهم من المعاصى وفيها دليل ايضا انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها لان اثباتها فى الكتاب محال ولو سأل سائل ان الله تعالى هل يعلم عددا نفاس اهل الجنة يقال له ان الله يعلم انه لا عدد لانفاسهم (ان ذلك) اى اثباتها فى كتاب مع كثرتها (على الله) متعلق بقوله (يسير) لاستغنائه فيه عن العدة والمدة وان كان عسيرا على العباد قال الجنيد قدس سره من عرف الله بالربوبية وافتقر اليه فى اقامة العبودية وشهد بسره ما كشف الله له من آثار القدرة بقوله ما اصاب الخ فسمع هذا من ربه وشهد بقلبه وقع فى الروح والراحة وانشرح صدره وهان عليه ما يصيبه فان قلت كان الله قادرا على ان يوصل العباد اليه بلا تعب ولا مصيبة فكيف اوقعهم فى المحن والبلايا قلت اراد ان يعرفهم بامتحان القهر حقائق الربوبية وغرائب الطرق اليه حتى يصلوا اليه من طريق الجلال والجمال ففى الآية توطين للنفوس على الرضى بالقضاء والصبر على البلاء وحمل لها على شهود المبتلى فى عين البلاء فانه يسهل التحمل والا فمن كان غافلا عن مبدأ اللطف والقهر فهو غافل فى اللطف والقهر ولذا تعظم عليه المصيبة بخلاف حال اهل الحضور فانهم يلتذون بالبلاء التذاذهم بالعافية بل ولذة البلاء فوق لذة العافية * ازدست تومشت بردهانم خوردن * خوشتر كه بدست خويش نانم خوردن * ومن امثال العرب ضرب الحبيب زبيب اى لذيذ (لكيلا تأسوا) يقال اسى على مصيبته يأسى أسى من باب علم اى حزن اى اخبرناكم بإتيانها وكتابتها فى كتاب كيلا يحصل لكم الحزن والألم (على ما فاتكم) من نعم الدنيا كالمال والخصب والصحة والعافية (ولا تفرحوا بما آتاكم) اى اعطاكم الله منها فان من علم ان كلا من المصيبة والنعمة مقدر يفوت ما قدر فواته و يأتى ما قدر اتيانه لامحالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت اذ يجوز ان يقدر ذهابه عن قريب وقيل لبرز جمهر ايها الحكيم مالك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت قال لان الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتى لا يستدام بالحبرة اى بالحبور والسرور لا التأسف يرد فائتا ولا الفرح يقرب معدوما قال ابن مسعود رضى الله عنه لأن امس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الى من ان اقول لشئ لم يكن ليته كان (قال الكاشفى) اخبارست بمعنى نهى يعنى ازاد باردنيا ملول واذا قبال اومسرور مشو يدكه نه آنرا قرار يست ونه اين را اعتبارى كردست دهد كراى شادى نكند * ورفوت شود نيرز نيرزد بغمى * وازمرتضى رضى الله عنه منقولست كه هر كه بدين آيت كار كند هر آينه فراكيرد هداورا بهردوطرف او يعنى زاهدى تمام باشد وچه زيبا كفته اند مال ار بتورونهد مشوشادازان * ورفوت شود مشو بفرياد ازان * پندست پسنديده بكن ياد ازان * تادنيى ودينت شودا باداز ان * والمراد بالآية نفى الأسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذا عقب بقوله تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت فى نفسه اختال وافتخر بها لامحالة والمختال المتكبر المعجب وهو من الخيلاء وهو التكبر

من تخيل فضيلة تتراءى للانسان من نفسه ومنها يتأول لفظ الخيل لما قيل انه لا يركب احد فرسا الا وجد في نفسه نخوة و بالفارسية وخداى تعالى دوست ندارد هر متكبرى راكه برنعمت دنيا بردبكرى تطاول كند فخور نازند ه بدنيا وفخر كنند ه بدان بر اكفاء واقران قال في بحر العلوم المختال ذو الخيلاء والكبر وهو من العام المخصوص بدليل قول النبي عليه السلام ان من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغضها الله اما الخيلاء التي يحبها الله الاختيال عند الصدقة واختيال الرجل بنفسه عند اللقاء واما الخيلاء التي يبغضها الله فالاختيال في البغي والفجور اى لا يحب كل متكبر بما اوتى من الدنيا فخور مبالغ في الفخر به على الناس انتهى وصف بعض البلغاء متكبرا فقال كأن كسرى حامل غاشيته وقارون وكيل نفقته و بلقيس احدى دايانه وكأن يوسف لم ينظر الا بمقلته ولقمان لم ينطق الا بحكمته وكأن الخضراء له عرشت والغبراء باسمه فرشت وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى وفي الآية اشارة الى انه يلزم ان يثبت الانسان على حال في السراء والضراء فان كان لا بد له من فرح فليفرح شكرا على عطائه لا بطرا وان كان لا بد من حزن فليحزن صبرا على قضائه لا ضجرا قال قتيبة بن سعيد دخلت على بعض احياء العرب فاذا انا بفضاء مملوء من الابل الميتة بحيث لا تحصى ورأيت شخصا على تل يغزل صوفا فسألته فقال كانت باسمى فارتجعها من اعطاها ثم انشاء يقول

لا والذى انا عبد من خلائقه * والمرء في الدهر نصب الرزء والمحن
ما سرني ان ابلى في مباركها * وما جرى من قضاء الله لم يكن

قال البقلي قدس سره طالب الله بهذه الآية اهل معرفته بالاستقامة والاتصاف بصفاته اى كونوا في المعرفة بان لا يوئسكم الفقدان والوجدان والقهر واللطف والاتصال والانفصال والفراق والوصال لان من شرط الاتصاف ان لا يجرى عليه احكام التلوين والاضطراب في اليقين والاعوجاج في التمكين قال القاسم رحمه الله ولا تأسوا على ما فاتكم من اوقاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم من توبتكم وطاعتكم فانك لا تدرى ما قدر الله فيك وقضى وقال الواسطي رحمه الله الفرح بالكرامات من الاغترارات والتلذذ بالافضال نوع من الاغفال والخمود تحت جريان الامور زين لكل مأمور وقال شيخي وسندى رحمه الله في كتاب اللائحات البرقيات لا تحزنوا بما فاتكم مما سوى الله ولا تفرحوا بما آتاكم مما عدا الله حتى لا تظلموا الحزن والفرح بوضعهما في غير موضعهما واحزنوا بما فاتكم من الله وافرحوا بما آتاكم من الله حتى تعدلوا فيهما بوضعهما في موضعهما لان الله تعالى حق وما خلاه باطل فكما ان الحزن والفرح بالحق حق وعدل لهما والفاعل للحق محق وعادل فكذلك ان الحزن والفرح بالباطل باطل وظلم لهما والفاعل بالباطل مبطل وظالم ولا يفرح ولا يحزن بالله الا المهاجرون الى الله ولا يحزن ولا يفرح بما سوى الله الا المعرضون عن الله فعليك بسبيل العادلين في جميع احوالك واياك وطريق الظالمين وما سوى الله المال والملك قال الحسن رضى الله عنه لصاحب المال في ماله مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما يسلب عن كله ويسأل عن كله * همه تخت وملكى پذيرد زوال * بجز ملك فرمان ده لا يزال * هنر بايد وفضل ودين وكمال * كه كاه آيدوكه رود جاه ومال * (حكى) ان طيرا في عهد سليمان عليه السلام كان له صورة حسنة وصوت حسن اشتراه رجل بالف درهم وجاء طير آخر فصاح صيحة فوق قفصه وطار فسكت الطير وشكا الرجل الى سليمان فقال احضروه فلما احضروه قال سليمان لصاحبك عليك حق فقد اشتراك بثمن غال فلم سكت قال يا نبي الله قل له حتى يرفع قلبه عني اني لا اصيح ابدا مادمت في القفص قال لم قال لان صياحي كان من الجزع الى الوطن والاولاد وقد قال لي ذلك الطير انما حبسك لاجل صوتك فاسكت حتى تجو فقال سليمان للرجل ما قال الطير فقال الرجل ارسله يا نبي الله فاني كنت احبه لصوته فاعطاه سليمان الف درهم ثم ارسل الطير فطار وصاح سبحان من صورني وفي الهواء طيرني ثم في القفص صيرني ثم قال سليمان ان الطير مادام في الجزع لم يفرج عنه فلما صبر فرج عنه وبسببه خلص الرجل من التعلق به ففيه اشارة الى الفناء عن اوصاف النفس فاذا فنى العبد عنها تخلص من الاضطراب وجاز الى عالم السكون ومعرفة سر القدر وفي الحديث (الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن) قال الشيخ ابو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم قدس سره ولقد مرضت في سالف ايامي مرضة فلما شفاني الله منها مثلت نفسي بين يدي رب العالمين

من هذه العلة فى مقدار هذه المدة وبين عبادة الثقلين فى مقدار ايام علتى فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين ان تكون لى عبادة الثقلين فى مقدار مدتها الى ايهما تميل اختيارا فصح عزمى ودام يقينى ووقعت بصيرتى على ان مختار الله تعالى لى اكثر شرفا واعظم خطرا وانفع عاقبة وهى العلة التى ديرهالى ولا شوب فيه اذ كان فعله فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو به فلما رأيت هذا دق فى عينى عبادة الثقلين مقدار تلك المدة فى جنب ما آتانى الله فصارت العلة عندى نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة املا وصار الامل عطفا فقلت فى نفسى بهذا كانوا يستمرون فى البلاء على طيب النفوس مع الحق وبهذا الذى انكشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى (قال الصائب) ترك هستى كن كه آسود دست ازتاراج سيل * هركه پيش ازسيل رخت خود برون ازخانه ريخت (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به وهذا غاية الذم انه يبخل الانسان ويأمر غيره بالبخل والمعنى يمسكون اموالهم ولا يخرجون منها حق الله فان البخل امساك المقتنيات عما يحق اخراجها فيه ويقابله الجود يقال بخل فهو باخل واما البخيل فالذى يكثر منه البخل كالرحيم من الراحم والبخل ضربان بخل بمقتنيات نفسه وبخل بمقتنيات غيره وهو اكثرهما وعلى ذلك قوله تعالى الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل كما فى المفردات وبالفارسية مختال وفخور انانند كه باوجود دنيا دارى وجمع اسباب آن بخل كنند ومال خود در راه خدا صرف نمايند و باوجود بخل خود امر نمايند مردمانرا بخيلى كردن وعن النبى عليه السلام انه قال لبنى سلمة من سيدكم قالوا الجد بن قيس وانا نبخله فقال واى داء ادوأ من البخل بل سيدكم الجعد الابيض عمرو بن الجموح وفى الحديث اربعة لا يجدون ريح الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام البخيل والمنان ومدمن الخمر والعاق للوالدين (ومن) وهركه (يتول) يعرض عن الانفاق (فان الله هو الغنى) عنه وعن انفاقه (الحميد) المحمود فى ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق واشارة الى ان من اعرض عن الاقبال على الله والاد بار عن الانفاق فان الله غنى بحسب ذاته عن اقباله وبحسب صفاته عن ادباره بل هو حميد فى ذاته وصفاته لا ينفعه اقباله ولا يضره ادباره اذ الضار النافع هو لا غيره وايضا الى النفوس البشرية الامارة بالسوء بالتقاعد عن الاقدام على الطاعة والعبادة ودعوة القلوب والارواح الى الارتكاب للمعاصى والاجتناب عن الطاعات بحسب الغلبة فى بعض الاوقات لاستهلاك القوى الروحانية بحسب ظلمات القوى الجسمانية قال بعض الكبار الانسان من حيث نشأته الطبيعية سعيد وكذلك من حيث نفسه الناطقة مادامت كل نشأة منفردة عن صاحبتها فاظهرت المخالفة الا بالمجموع ولما جبل الانسان على الامساك لان اصله التراب وفيه يبس وقبض لم يرض بذهاب مال نفسه وغيره فلذا بخل وامر بالبخل * زراز بهر خوردن بود اى پدر * زبهر نهادن چه سنك وچه زر (لقد ارسلنا رسلنا) اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر كما فى الارشاد (بالبينات) بحجتها روشن كه معجزاتست باشر يعتها واضحه فان قلت المعجزات يخلقها الله على يدى مدعى النبوة كاحياء الموتى وقلب العصا واليد البيضاء وشق القمر من غير نزول الملك بها نعم معجزة القرآن نزل بها الملك ولكن نزوله بها على كل رسول غير ثابت قلت معنى نزول الملك بها ان الله يخبره على لسانه بوقوع تلك المعجزة على يده (وانزلنا معهم الكتاب) اى جنس الكتب الشامل للكل لتبيين الحق وتمييز صواب العمل اى لتكميل القوة النظرية والعملية * قوله معهم يجعل على تفسير الرسل بالانبياء حالا مقدرة من الكتاب اى مقدرا كونه معهم والا فالانبياء لم يتزلوا حتى ينزل معهم الكتاب فالنزول مع الكتاب شأن الملائكة والانزال اليهم شأن الانبياء ولذا قدم الوجه الاول اذ لو كان المعنى لقد ارسلنا الانبياء الى الامم لكان الظاهر ان يقال وانزلنا اليهم الكتاب (والميزان) بالفارسية ترازو (ليقوم الناس بالقسط) ليتعاملوا بينهم بالعدل ايفاء واستيفاء ولا يظلم احد احدا فى ذلك وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده والا فالميزان من مصنوعات البشر وليس بمنزل من السماء (وروى) ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان نفسه فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به يعنى تاتسوية حقوق كنند بدان درميان يكديكر بوقت معاملات وقال الامام الغزالى رحمه الله اظن ان الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة ام تتوهم انه هو الطيار والقبان

ما ابعد هذا الحسبان واعظم هذا البهتان فاتق الله ولا تعسف فى التأويل واعلم يقينا ان هذا الميزان هو ميزان معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته ليتعلم كيفية الوزن به من انبيائه كما تعلموا من ملائكته فالله هو المعلم الاول والثانى جبرائيل والثالث الرسول والخلق كلهم يتعلمون من الرسول ما لهم طريق فى المعرفة سواه والكل عبارته بلا تغيير وليت شعرى ما دليله على ما ذهب اليه من العدول عن الظاهر كذا فى بحر العلوم يقول الفقير لعل دليله قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط اى حاكما بالعدل او مقيما للعدل فى جميع امور فاذا كان الله قائما بالعدل فى جميع الامور كان الواجب على العباد ان يقوموا به ايضا ولن يقوموا به حقيقة الا بعد العلم الشامل والمعرفة الكاملة وهى معرفة الله فهى الميزان الكلى وما عداه من جميع الامور مبنى عليه وموزون به (وانزلنا الحديد) قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد الاول السندان وهو سندان الحداد بالفتح كما فى القاموس واياه عنى الشيخ سعدى فى قوله

چو سندان كسى سخت رو يى نبيد * كه خايسك تأديب برسر نخورد * والثانى الكلبتان وهو ما يأخذ به الحداد الحديد المحمى كما فى القاموس والثالث المِيقعة بكسر الميم بعدها ياء مثناة تحتانية اصله موقعة قال فى القاموس الميقعة خشبة القصار يدق عليها والمطرقة والمِسن الطويل وقد وقعته بالميقعة فهو موقيع حددته بها والرابع المطرقة وهى آلة الطرق اى الضرب والخامس الابرة وهى مسلة الحديد وروى ومعه المر والمسحاة قال فى القاموس المر بالفتح المسحاة وهى ما سحى به اى قشر وجرف وفى الحديث ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثلاثة اشياء نزلت مع آدم عليه السلام الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصا موسى وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع والحديد وعن الحسن رحمه الله وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره وقضاياه واحكامه تنزل من السماء قال بعضهم واخر جنا الحديد من المعادن لان العدل انما يكون بالسياسة والسياسة مفتقرة الى العدة والعدة مفتقرة الى الحديد واصل الحديد ماء وهو منزل من السماء (فيه) اى فى الحديد (بأس شديد) وهو القتال به او قوة شديدة يعنى السلاح للحرب لان آلات الحرب انما تتخذ منه وبالفارسية كارزار سخت است يعنى آنستكه در كارزار بكار آيد وسازند خواه از براى دفع دشمن چون سنان وتيزه وشمشير وپيكان وخنجر وامثال آن وخواه براى حفظ نفس خود چون زره وخود وجوشن وغير آن وفيه اشارة الى ان تسوية قوانين الكتاب واستعمال آلة التسوية يتوقفان على دال صاحب سيف ليحصل القيام بالقسط فان الظلم من شيم النفوس والسيف حجة الله على من عنده ظلم (ومنافع للناس) كالسكين والفأس والمر والابرة ونحوها وما من صنعة الا والحديد اوما يعمل بالحديد آلتها وفيه اشارة الى ان القيام بالقسط كما يحتاج الى القائم بالسيف يحتاج ايضا الى ما به قوام التعايش من الصنائع وآلات المحترفة والى سيف الجذبة المتخذ من حديد القهر اذ لا بد لكل تجلى جلالى من كون التجلى الجمالى فيه وبالعكس وهم الاولياء وهم يميلون الى الحق بكثرة الالطاف والاعطاف الربانية كما قال تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين (وليعلم الله من ينصره ورسله) عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة فى مجاهدة اعدائه (بالغيب) حال من فاعل ينصر اى غائبين عنه تعالى كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب من غير معاينة للمطاع او من مفعوله اى حال كونه تعالى غائبا عنهم غير مرئى لهم (ان الله قوى) على اهلاك من اراد اهلاكه (عزيز) لا يفتقر الى نصرة الغير وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وهى فى حق الله بمعنى القدرة وهى الصفة التى بها يتمكن الحى من الفعل وتركه بالارادة والعزة الغلبة على كل شئ قال الرازى رحمه الله القوى هو الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز فى نقض ولا ابرام وخاصية هذا الاسم ظهور القوة فى الوجود فمتلاء ذو همة ضعيفة الا وجد اقوى ولا ذو جسم ضعيف الا كان له ذلك واو ذكره مظلوم بقصد اهلاك الظالم الف مرة كان له ذلك وكفى امره وخاصية الاسم العزيز وجود الغنى والعز صورة اومعنى فمن ذكره

اربعين يوما فى كل يوم اربعين مرة اعانه الله واعزه فلم يجوجه لأحد من خلقه وفى الاربعين الادريسية ياعزيز المنيع الغالب على امره فلاشئ يعادله قال السهر وردى رحمه الله من قرأه سبعة ايام متواليات كل يوم الفا اهلك خصمه وان ذكره فى وجه العسكر سبعين مرة ويشير اليهم بيده فانهم ينهزمون (ولقد ارسلنا) اى وبالله قد بعثنا (نوحا) الى قومه وهم بنو قابيل وهو الأب الثانى (وابراهيم) الى قومه ايضا وهم نمرود ومن تبعه ذكر الله رسالتهما تشريفا لهما بالذكر ولانهما من اول الرسل وابوان للانبياء عليهم السلام فالبشر كلهم من ولد نوح والعرب والعبرانيون كلهم من ولد ابراهيم (وجعلنا فى ذريتهما) اى فى نسلهما (النبوة والكتاب) بأن استنبأنا بعض ذريتهما واوحينا اليهم الكتب مثل هود وصالح وموسى وهرون وداود وغيرهم فلا يوجد نبى ولا كتاب الا وهو مدلى اليهما بأمتن الاسباب واعظم الانساب (فمنهم) اى فمن ذرية هذين الصنفين او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين يعنى بس بعضى ازانها كه انبياء ازايشان آمدند (مهتد) الى الحق يعنى ايمان آورده بكتاب ونبى وثابت شد بردين خرد (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم فيكونون ضالين لامحالة (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) اى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم من الامم يعنى بعد ازنوح وهود صالح راوبعد ازابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف را اومن عاصرهما من الرسل ولايعود الى الذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية يقال قفا اثره اتبعه وقفى على اثره بفلان اى اتبعه اياه وجاء به بعده والآثار جمع اثر بالكسر تقول خرجت على اثره اى عقبه فالمعنى اتبعنا من بعدهم واحدا بعد واحد من الرسل قال الحريرى فى درة الغواص يقال شفعت الرسول بآخر اى جعلتهما اثنين فاذا بعثت بالثالث فوجه الكلام ان يقال عززت بثالث اى قويت كما قال تعالى فعززنا بثالث فان وازرت الرسل فالاحسن ان يقال قفيت بالرسل كما قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا (وقفينا بعيسى ابن مريم) اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى ابن مريم فأتينا به بعدهم يعنى وازپى درآورديم ابن رسل راوتمام كرديم انبياء بنى اسرآئيل رابعيسى ابن مريم فأول انبياء بنى اسرآئيل موسى وآخرهم عيسى (وآتيناه الانجيل) دفعة واحدة (وجعلنا فى قلوب) المؤمنين (الذين اتبعوه) اى عيسى فى دينه كالحواريين واتباعهم (رأفة) وهى اللين (ورحمة) وهى الشفقة اى وقفينا رأفة اى اشد رقة على من كان يذهب الى الاتصال بهم ورحمة اى رقة وعطفا على من لم يكن له سبب فى الصلة بهم كما كان الصحابة رضى الله عنهم رحماء بينهم حتى كانوا اذلة على المؤمنين مع ان قلوبهم فى غاية الصلابة فهم اعزة على الكافرين قيل امروا فى الانجيل بالصفح والاعراض عن مكافأة الناس على الاذى * بدى رابدى سهل باشد جزا * اكرمردى احسن الى من اسا * وقيل لهم من لطم خدك الأيمن فوله خدك الأيسر ومن سلب ردائك فأعطه قميصك ولم يكن لهم قصاص على جناية فى نفس اوطرف فاتبعوا هذه الاوامر واطاعوا الله وكانوا متوادين ومتراحمين ووصفوا بالرحمة خلاف اليهود الذين وصفوا بالقسوة (ورهبانية) منصوب بما يفعل مضمر يفسره الظاهر اى وابتدعوا اى اتباع عيسى رهبانية (ابتدعوها) اى حملوا انفسهم على العمل بها واما بالعطف على ماقبلها وابتدعوها صفة لها اى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اى وقفيناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها قال فى فتح الرحمن المعتزلة تعرب رهبانية على انها نصب باضمار فعل يفسره ابتدعوها وليست بمعطوفة على رأفة ورحمة ويذهبون فى ذلك الى ان الانسان يخلق افعاله فيعربون الآية على مذهبهم انتهى والرهبانية المبالغة فى العبادة بمواصلة الصوم ولبس المسوح وترك اكل اللحم والامتناع عن المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد فى الغيران ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان بالفتح وهو الخائف فان الرهبة مخافة مع تحزن واضطراب كما فى المفردات فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ بضم الراء كأنها نسبة الى الرهبان جمع راهب كراكب وركبان ولعل التردد لاحتمال كون النسبة الى المفتوح والضم من تغيير النسب يعنى ان الرهبان لما كان اسما لطائفة مخصوصة صار بمنزلة العلم وان كان جمعا فى نفسه فالحق بانصار واعراب وفرائض فقيل رهبانى كما قيل انصارى واعرابى وفرائضى بدون رد الجمع الى واحده فى النسبة وقال الراغب فى المفردات الرهبان يكون واحدا وجمعا فمن جعله واحدا جمعه على رهابين ورهبانية بالجمع أليق انتهى وهى الخصال المنسوبة الى الرهبان

وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى فقاتلوا ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية فى قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة منتظرين البعثة النبوية التى وعدها لهم عيسى عليه السلام كما قال تعالى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد الآية (وروى) ان الله لما غرق فرعون وجنوده استأذن الذين كانوا آمنوا من السحرة موسى عليه السلام فى الرجوع الى الاهل والمال بمصر فاذن لهم ودعا لهم فترهبوا فى رؤس الجبال فكانوا اول من ترهب وبقيت طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك اصحاب المسيح عليه السلام (ما كتبناها عليهم) جملة مستأنفة والنفى متوجه الى اصل الفعل اى ما فرضنا عليهم تلك الرهبانية فى كتابهم ولا على لسان رسولهم (الا) استثناء منقطع اى لكن ابتدعوها (ابتغاء رضوان الله) اى لطلب رضاه تعالى (فما رعوها حق رعايتها) اى فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم الثلث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه السلام ونحوها اليه قال عليه السلام من آمن بى وصدقنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون قال مقاتل لما استضعفوا بعد عيسى التزموا الغيران فاصبروا واكلوا الخنازير وشربوا الخمور ودخلوا مع الفساق وفى المناسبات فما رعوها اى لم يحفظها المقتدون بهم بعدهم كما اوجبوا على انفسهم حق رعايتها اى بكمالها بل قصروا فيها ورجعوا عنها ودخلوا فى دين ملوكهم ولم يبق على دين عيسى عليه السلام الا قليل ذمهم الله بذلك من حيث ان التذر عهد مع الله لا يحل نكثه سيما اذا قصد رضاه تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم) اى من العيسويين ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله عليه السلام بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر قال فى كشف الاسرار لما بعث النبى عليه السلام ولم يبق منهم الا قليل حط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير وديره فآمنوا به والصومعة كل بناء متصوم مع الرأس اى متلاصقه والدير خان النصارى وصاحبه ديار (اجرهم) اى ما يحسن ويليق بهم من الاجر وهو الرضوان (وكثير منهم) اى من العيسويين وهم الذين ابتدعوا فضيعوا وكفروا بمحمد عليه السلام (فاسقون) خارجون عن حد الاتباع وهم الذين تهودوا وتنصروا قال فى تفسير المناسبات وكذلك كان فى هذه الامة فانه لما توفى رسول الله تبعه خلفاؤه باحسان فلما مضت الخلافة الراشدة وتراكمت الفتن كما اخبر عليه السلام واشتد البلاء على المتمسكين بصريح الايمان ورجم البيت بحجارة المنجنيق وهدم وقتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنه واستبيحت مدينة رسول الله عليه السلام ثلاثة ايام وقتل فيها خيار المسلمين راى المؤمنين العزلة واجبة فلزموا الزوايا والمساجد وبنوا الربط على سواحل البحر واخذوا فى الجهاد للعدو والنفوس وعالجوا تصفية اخلاقهم ولزموا الفقر اخذا من احوال اهل الصفة وتسموا بالصوفية وتكلموا على الورع والصدق والمنازل والاحوال والمقامات فهؤلاء وزان اولئك انتهى وفى الحديث يا ابن ام عبد اتدرى ما رهبانية امتى قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع (روى) ان نفيرا من الصحابة رضى الله عنهم اخذهم الخوف والخشية حتى أراد بعضهم ان يعتزل عن النساء وبعضهم الاقامة فى رؤوس الجبال وبعضهم ترك الاكل والشرب وبعضهم غير ذلك فنهاهم عليه السلام عن ذلك كله وقال لا رهبانية فى الاسلام وقال رهبانية امتى فى المسجد يعنى المتعبدون من امتى لا يأخذون مأخذ النصارى بل يعتكفون فى المساجد دون رؤوس الجبال وقال فى نفى صوم الوصال انى لست كهيئتكم انى ابيت لى مطعم يطعمنى وساق يسقينى (وفى المثنوى) هين مكن خود را خصى رهبان مشو * زانكه عفت هست شهوت راكرو * بى هوا نهى ازهوا ممكن نبود * غازى برمرد كان توان نمود * پس كلوا ازبهر دام شهوتست * بعد ازان لاتسرفوا آن عفتست * چونكه رنج صبر نبود مرترا * شركانبود پس فرونايد جزا * حبذا آن شرط وشادا آجرا * آن جزاى دانواز حان فزا * قال الشافعى رحمه الله اربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة زهد خصى وتقوى جندى وامانة امرأة وعبادة صبى وهو محمول على الغالب كما فى المقاصد الحسنة ثم ذكر لا تنبغى الخلوة والعزلة قال فى الاحياء لما بنى عروة قصره بالعقيق وهو كثير موضع بالمدينة لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله فقال رأيت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة فى فجاجكم عالية وعما هنا لكم

عما انتم فيه عافية (وحكى) ان جماعة من السلف مثل مالك وغيره تركوا اجابة الدعوات وعيادة المرضى والجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لايخرجون الا الى الجمعة وزيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل واختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات فى الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضى لزوم الهجرة وفى الآية دليل على ان الشروع فى نفل العبادة ملزم وان من شرع فيما ليس عليه ثم تركه استحق اسم الفسق والوعيد فيجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لايحل نكثه (وروى) عن بعض الصحابة رضى الله عنهم عليكم باتمام هذه التراويح لانها لم تكن واجبة عليكم وقد اوجبتموها على انفسكم فانكم ان تركتم صرتم فاسقين ثم قرأ هذه الآية وكثير منهم فاسقون يقول الفقير وهكذا شأن الصلاة المعروفة بالرغائب والبراءة والقدر فانها ملحقة بالتراويح لكونها من صلاة الليل وقد كانت سنة مسلوكة للعلماء بالله فلا تترك ابدا عند من اعتقد اعتقادهم قال فى فتح الرحمن واختلف الائمة فيما اذا انشأ صوما اوصلاة تطوعا فقال ابو حنيفة لم يجز له الخروج منه فان افسده فعليه القضاء لقوله تعالى ولاتبطلوا اعمالكم وقال مالك رحمه الله كذلك الا انه اعتبر العذر فقال ان خرج منه لعذر فلا قضاء والاوجب وقال الشافعى واحمد رحمهما الله متى انشأ واحدا منهما استحب اتمامه فان خرج منه لم يجب عليه قضاء على الاطلاق واما اذا كان التطوع حجا اوعمرة فيلزم اتمامه فان افسده وجب قضاؤه لوجوب المضى فى فاسده انتهى قال بعض الكبار جميع ماابتدع من السنة الحسنة على طريق القربة الى الله تعالى داخل فى الشريعة التى جاءت بها الرسل عن امر الله قال تعالى ورهبانية الخ فأقرهم تعالى عليها ولم يعب عليهم فعلها انما عاب عليهم عدم رعايتهم لها فى دوام العمل فقط وخلع عليها اسم البدعة فى حقهم بخلاف هذه الامة خلع على ما استحسنوه اسم السنة تشريفا لهم كما قال عليه السلام من سن سنة حسنة وما قال من ابتدع بدعة حسنة فافهم فاجاز لنا ابتداع ماهو حسن وسماه سنة وجعل فيه اجرا لمن ابتدعه ولمن عمل به واخبر ان العابد لله تعالى بما يعطيه نظره اذا لم يكن على شرع من الله معين انه يحشر امة وحده بغير امام يتبعه كما قال تعالى فى ابراهيم ان ابراهيم كان امة قانتا لله وذلك لنظره فى الادلة قبل ان يوحى اليه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن كان عليها فهو على شرع من ربه وان لم يعلم وقال بعضهم جميع ماابتدعه العلماء والعارفون مما لم تصرح الشريعة بالامر به لايكون بدعة الا ان خالف صريح السنة فان لم يخالفها فهو محمود وذلك كحلق الرأس ولبس المرقعات والرياضة بقلة الطعام والمنام والمواظبة على الذكر والجهر به على الهيئة المشهورة ونحو ذلك من جميع اوصافهم فانها كلها نوافل ليس حكمية لم يجئ بها رسول الله عليه السلام فى عموم الناس من عند الله لكونها طريقة اهل الخصوص السالكين طريق الحق وهذه الطريق لا تحتمل العامة الامر بها ولاتجب هى عليهم فقد علمت ان طريق القوم صادرة عن الله ولكن من غير الطريق الصريح النبوى ولولا انه عليه السلام فتح لامته باب الاستنان ما اجترأ احد منهم على ان يزيد حكما ولا وضعا فى الصحيح من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وقال بعضهم المقصود بالوضع الشرعى الالهى هو تكميل النفوس علما وعملا وهم اتوا بامور زائدة على الطريقة النبوية موافقة لها فى الغاية والغرض كالامور التى التزمها الصوفية فى هذه الامة بغير ايجاب من الله كتقليل الطعام وكثرة الصيام والاجتناب عن مخالطة الانام وقلة المنام والذكر على الدوام وقال بعضهم مايصدر عن الواصل من الافعال شريعة وكذا الباقى فلابد من الاعتدال ولذلك قال عليه السلام الشريعة اقوالى والطريقة اطوارى والمعرفة رأس مالى والحقيقة نقد حالى وقال بعضهم لاتبتدع فيوجب الله ذلك الابتداع عليك وفى شرعنا من سن سنة حسنة فاستنها بدعة فان شرعنا قد قررها فليشكر الله صاحب هذه البدعة وليلزمها حيث الحقه تعالى بانبيائه ورسله واباح له ان يسن ماسنته الرسل مما يقرب الى الله تعالى ولايخفى ان الكامل من عباد الله من سد باب الابتداع ولم يزد فى التكاليف حكما واحدا موافقة لمراد الله ومراد رسول الله من طلب الرفق والرحمة وقال بعضهم لاتجعل وردك غير ماورد فى الكتاب والسنة تكن من العلماء الادباء لانك حينئذ تجمع بين الذكر والتلاوة فيحصل لك اجر التالين والذاكرين فترك الكتاب والسنة مرتبة يطلبها الانسان من خير الدنيا والآخرة الا وقد ذكرها فمن وضع من الفقراء وردا من غير الوارد

فى السنة فقد اساء الادب مع الله ورسوله الا ان يكون ذلك بتعريف من الله فيعرفه خصائص كلمات يجمعها فيكون حينئذ ممتثلا لا مخترعا وذلك مثل حزب البحر للشاذلى رحمه الله ونحوه فانه رحمه الله صرح بأنه ماوضع حرفا منه الا باذن الله ورسوله وقال من دعا بغير مادعا به رسول الله فهو مبتدع وقال بعضهم العبد فى ادآء الفرآئض عبد اضطرار وفى فعل النوافل عبد اختيار وعبودية الاضطرار اشرف واسلم فى حقه من عبودية الاختيار لما قد يخطر بباله فى عبودية الاختيار من شائبة الامتنان ومن ههنا ترك اكابر الرجال من الملامية فعل النوافل واقتصروا على ادآء الفرآئض خوفا من خطور ذلك على قلوبهم فيجرح عبوديتهم وفى الحكم العطائية من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا حال غالب الخلق الامن عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالنوافل الكثيرة ولا يقوم بفرض واحد على وجهه (ياايها الذين آمنوا) اى بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) اى بمحمد عليه السلام وفى اطلاقه ايذان بأنه علم فرد الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره (يؤتكم كفلين) نصيبين واجرين نقل عن الراغب الكفل الحظ الذى فيه الكفالة كأنه تكفل بأمره والكفلان هما النصيبان المرغوب فيهما بقوله تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة (من رحمته) از بخشايش خود وذلك لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل لكن لاعلى ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقا قبل النسخ وعن ابى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثه يؤتون اجرهم مرتين الرجل يكون له الامة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن تأديبها ثم يعتقها ويتزوجها فله اجران ومؤمن اهل الكتاب الذى كان مؤمنا ثم آمن بالنبى فله اجران والعبد الذى يؤدى حق الله وينصح لسيده ولذا بكى بعض العبيد حين اعتق لانه ذهب اجر النصح لسيده وبقى اجر ادآء حق الله * تادلت هست اسير عشق سليم * مسند تخت سلطنت مطلب (وقال الشيخ سعدى) اسيرش نخواهد رهايى زبند * شكارش نجويد خلاص ازكمند (وقال المولى الجامى) مريض عشق توچون مائل شفا كردد * اسير قيد توكى طالب نجات شود (ويجعل لكم نورا تمشون به) يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم فهو الضياء الذى يمشون به على الصراط الى ان يصلوا الى الجنة وذلك لان جهنم خلقت من الظلمة اذهى صورة النفس الامارة وهى ظلمانية فنور الايمان والتقوى يدفعها ويزيلها (ويغفر لكم) ما اسلفتم من الكفر والمعاصى فاما حسنات الكفار فمقبولة بعد اسلامهم على ماورد فى الحديث الصحيح (والله غفور رحيم) اى مبالغ فى المغفرة والرحمة وفيه اشارة الى مغفرة الذنب الذى هو ملاحظة النفس فانه من اكبر الذنوب والمعاصى كما قالوا وجود ك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر (مصراع) چومرد راه شدى بكذر از سر ود ستار (لئلا يعلم اهل الكتاب) متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة معنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اى ليعلموا ولامزيدة كهى فى مامنعك ان لا تسجد كما ينبئ عنه قرآءة ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم بادغام النون فى الياء قال فى كشف الاسرار وانما يحسن ادخالها فى كلام يدخل فى اوآخره اواوآله جحد (ان لا يقدرون على شئ من فضل الله) ان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف والجملة فى حيز النصب على انها مفعول يعلم اى ليعلموا انهم لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله (وان الفضل بيد الله) عطف على ان لا يقدرون يعنى افزونى ثواب وجزآء وامثال آن بدست قدرت خداست (يؤتيه) عطا كند (من يشاء) هركرا خواهد وهو خبر ثان لأن (والله ذو الفضل العظيم) والعظيم لابد ان يكون احسانه عظيما (قال الكاشفى) وخداى تعالى خداوند فضل بزركست يعنى نعمتى تمام كه خواص وعوام رافرارسيده * فيض كرم رساندهٔ ازشرق تابغرب * خوان نعم نهادهٔ ازقاف تابقاف * هستند بيش وكم زنوال تو بهره مند * دارند نيك وبد بعطاء تواعتراف * وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ماوعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم فى الايمانين ولا تفرقون بين احد من رسله (وروى) ان مؤمنى

اهل الكتاب افتخروا على سائر المومنين بأنهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وفى الحديث (انما مثلنا ومثل الذين اوتوا الكتاب من قبلنا مثل رجل استأجر اجراء فقال من يعمل الى آخر النهار على قيراط قيراط فعمل قوم ثم تركوا العمل نصف النهار ثم قال من يعمل نصف النهار الى آخر النهار على قيراط قيراط فعمل قوم الى العصر على قيراط قيراط ثم تركوا العمل ثم قال من يعمل الى الليل على قيراطين قيراطين فعمل قوم الى الليل على قيراطين قيراطين فقال الطائفتان الاوليان مالنا اكثر عملا واقل اجرا فقال هل نقصتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال ذلك فضلى اوتيه من اشاء ففيه اشارة الى ان اهل الكتاب اطول زمانا وعمرا واكثر اجتهادا واقل اجرا وهذه الامة اقصر مدة واقل سعيا واعظم اجرا والى ان الثواب على الاعمال ليس من جهة الاستحقاق لان العبد لا يستحق على مولاه بخدمته اجرة بل من جهة الفضل ولله ان يتفضل على من يشاء بما يشاء قال البقلى رحمه الله اخرج فضله من الاكتساب وعلل الجهد والطلب يؤتى كرامته من يشاء من عباده المصطفين وهو ذو العطاء فى الازل الى الابد والفضل العظيم ما لا ينقطع عن المنعم عليه ابدا (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد ويقول ان فيهن آية افضل من الف آية ويعنى بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن يقول الفقير انما اخفى عليه السلام تلك الآية ولم يصرح بها لتجتهد الامة بتلاوة جميع السور كما اخفى الله ساعة الاجابة وليلة القدر ونحوهما بعثا للعباد على الاجتهاد واحياء الليالى (قال الشيخ سعدى) چوهر كوشه تيرنياز افكنى * اميدست تا كه صيدى زنى *
همه سنكها پاس داراى پسر * كه لعل ازميانش نباشد بدر * غم جله خور درهواى يكى *
مراعات صد كن براى يكى *

تمت سورة الحديد بعون الملك المجيد فى اواخر شهر ربيع الاول من سنة خمس عشرة ومائة والف من الهجرة

(سورة المجادلة اثنتان وعشرون آية مدنيه)

(الجزء الثامن والعشرون)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) سمع مجاز مرسل عن اجاب بعلاقة السببية والمجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة يعنى كان راندن باكسى رسبيل نزاع واصله من جدلت الحبل اى احكمت فتله فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه والمراد هنا المكالمة ومراجعة الكلام اى معاودته والمعنى قد اجاب الله دعاء المرأة التى تكالمك فى حق زوجها استفتاء وتراجعك الكلام فى شانه وفيما صدر عنه فى حقها من ظهاره اياها بغير وجه مشروع وسبب مقبول (وتشتكى الى الله) عطف على تجادلك اى تتضرع الى الله تعالى وتظهر ما بها من المكروه قال فى المفردات الشكاية والشكاة والشكوى اظهار البث يقال شكوت واشتكيت واصل الشكوى فتح الشكوة واظهار ما فيها وهى سقاء صغير يجعل فيه الماء وكان فى الاصل استعارة كقولك بثثت له ما فى وعائى ونفضت ما فى جرابى اذا اظهرت ما فى قلبك وفى كشف الاسرار الاشتكاء اظهار ما يقع بالانسان من المكروه والشكوى اظهار ما يصنعه غيره به وفى تاج المصادر الاشتكاء كله كردن وشكوه كرفتن وهى قربة صغيرة والمجادلة هى خولة بنت ثعلب بن مالك ابن خزاعة الخزرجية وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة روى انها كانت حسنة البدن رآها اوس وهى تصلى فاشتهى مواقعتها فلما سلمت راودها فأبت وكان به خفة فغضب عليها بمقتضى البشرية وقال انت على كظهر امى وكان اول ظهار وقع فى الاسلام ثم ندم على ما قال بناء على ان الظهار والايلاء كانا من طلاق الجاهلية فقال لها ما اظنك الا وقد حرمت على فشق ذلك عليها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجى اوس بن الصامت ابو ولدى وابن عمى واحب الناس الى ظاهر منى وماذكر طلاقا وقد ندم على فعله فهل من شىء يجمعنى واياه فقال عليه السلام ما اراك الا وقد حرمت عليه فقالت لا تقل ذلك يا رسول الله وذكرت فاقتها ووحدتها بتفانى اهلها وان لها صبية صغارا فقالت ان ضممتهم الى جاعوا وان ضممتهم الى ابيهم ضاعوا فاعاد النبى عليه السلام قوله الاول وهو حرمت عليه فجعلت تراجع رسول الله مقالتها الاولى وكلما قال لها رسول الله حرمت عليه هتفت وقال اشكوا الى الله

مما لقيت من زوجي حال فاقتي ووحدتي وقد طالت معه صحبتي ونفضت له بطني تريد بذلك انى قد بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيما لا الد بعد وكانت في كل ذلك ترفع رأسها الى السماء على ما هو عادة الناس استنزالا للامر الالهي من جانب العرش وتقول اللهم انزل على لسان نبيك فقامت عائشة تغسل الشق الآخر من رأسه عليه السلام وهي مازالت في مراجعة الكلام مع رسول الله وبث الشكوى الى الله حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات الاربع سمعا لدعائها وقبولا لشكواها فكانت سببا لظهور امر الظهار وفي قد اشعار بان الرسول والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله حكم الحادثة ويفرج عنها كربها لانها انما تدخل على ماض متوقع (والله يسمع تحاوركما) اى يعلم تراجعكما الكلام وتخاطبكما وتجاوبكما في امر الظهار فان التحاور بمعنى التجاوب وهو رجع الكلام وجوابه يعني يكد يكررا جواب دادن از حور بمعنى الرجوع وذلك كان برجوع الرسول الى الحكم بالحرمة مرة بعد اخرى ورجوع المجادلة الى طلب التحليل كذلك ومثله المحاورة في البحث ومنه قولهم في الدعاء نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى الرجوع الى النقصان بعد الوصول الى الزيادة او الى الوحشة بعد الانس وقال الراغب الحور التردد اما بالذات واما بالتفكر وقيل نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى من التردد في الامر بعد المضي فيه او من نقصان وتردد في الحال بعد الزيادة فيها وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب مع افضل البريات تغليب اذ القياس تحاورها وتحاورك تشريفا لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله ومدافعته عليه السلام اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وفي كشف الاسرار ليس هذا تكرارا لان الاول لما حكته عن زوجها والثاني لما كان يجري بينها وبين رسول الله لان الاول ماض والثاني مستقبل (ان الله سميع بصير) مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * انت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة * ولئن رددت فأي باب اقرع
حاشى للطفك ان تقنط عاصيا * الفضل اجزل والمواهب اوسع

وفي الآية دليل على ان من انقطع رجاؤه عن الخلق ولم يبق له في مهمه احد سوى ربه وصدق في دعائه وشكواه كفاه الله ذلك ومن كان اضعف فالرب به الطف * دعاى ضعيفان اميدوار * زبازوى مردى به آيد بكار * وفيها ان من استمع الله ورسوله والورثة الى كلامه فسائر الناس اولى (روى) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بهذه المرأة في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن الموت خاف الفوت ومن ايقن الحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المؤمنين اتقف لهذه العجوز هذا الوقوف الطويل فقال والله لو حبستني من اول النهار الى آخره ما زلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلب سمع الله قولها من فوق سبع سموات ان يسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وهذه الفوقية لا يلزم منها الجهة لان الله هو العلي المتعال فاعرف ثم انه اكبر الذنوب ان يقول الرجل لاخيه اتق الله فيقول في جوابه عليك نفسك اى الزم نفسك انت تأمرني بهذا وذلك لانه اذا ذكر اسم الله يلزم التعظيم له سواء صدر من مسلم او كافر واعلم الناس لا يستغني عن تنبيه وايقاظ * بكوى آنچه دانى سخن سود مند * وكر هيچ كس را نيايد پسند * يقال اللائق بالعاقل ان يكون كالنحل يأخذ من كل شئ ثم يخرجه عسلا فيه شفاء من كل داء وشمعا له منافع لا سيما الضياء فطالب الحكمة يأخذها من كل مقام سواء قعد او قام (المرء ولا عرفه فهو الدمى * والمسك ولا عرفه فهو الدم) العرف الاول بالضم بمعنى المعروف والثاني بالفتح الرائحة والدمى بضم الدال وفتح الميم جمع دمية وهي الصورة المنقشة من رخام او عاج (الذين يظاهرون منكم) ايها المؤمنون فلا يلحق بهم الذمي لانه ليس من اهل الكفارة لغلبة جهة العبادة فيها فلا يصح ظهاره (من نسائهم)

هذا شروع فى بيان الظهار فى نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار لغة مصدر ظاهر الرجل اى قال لزوجته انت على كظهر امى والظهر العضو والجارحة و يعبر عن البطن بالظهر اى انت على حرام كبطن امى فكنى عن البطن بالظهر الذى هو عمود البطن لئلا يذكر مايقارب الفرج تأدبا ثم قيل ظاهر من امرأته فعدى بمن لتضمين معنى التجنب لاجتناب اهل الجاهلية من المرأة المظاهر منها اذا الظهار طلاق عندهم كما مر فى قولهم آلى منها لما ضمنه من معنى التباعد من الالية بمعنى الحلف وفى القرآن واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام اى بعدنى واياهم من عبادة الاصنام فمعنى البعد انما هو فى الاجتناب ونحوه المتعدى بمن لان معنى الابتداء الذى هو معنى من لايخلو عن البعد فانه من معانى عن لامن ثم انه الحق الفقهاء بالظهر نحو البطن والفخذ والفرج مما يحرم النظر اليها من الام فمن قال انت على كبطن امى او فخذها او فرجها كان ظهارا بخلاف مثل اليد او الرجل وكذا الحقوا بالام سائر المحارم فلو وضع المظاهر مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب كالخالة والعمة اورضاع اوصهر كان ظهارا مثل ان يقول انت على كظهر خالتى اوعمتى اواختى نسبا اورضاعا او كظهر امرأة ابنى اوابى ولو شبهها بالخمر او الخنزير او الدم او الميتة او قتل المسلم او الغيبة او النميمة او الزنى او الربا او الرشوة فانه ظهار اذا نوى وفى انت على كأمى صح نيه الكرامة اى استحقاق البر فلا يقع طلاق ولاظهار وصح نية الظهار بأن يقصد التشبيه بالام فى الحرمة فيترتب عليه احكام الظهار لاغير ونية الطلاق بأن يقصد ايجاب الحرمة فان لم ينو شيأ لغا وانت على حرام كأمى صح فيه مانوى من ظهار او طلاق او ايلاء ولو قال انت امى اواختى اوبنتى بدون التشبيه فهو لبس بظهار يعنى ان قال ان فعلت كذا فانت امى وفعلته فهو باطل وان نوى التحريم ولو قالت لزوجها انت على كظهر امى فانه ليس بشئ وقال الحسن انه يمين وفى ايراد منكم مع كفاية من نسائهم مزيد توبيخ للعرب وتقبيح لعادتهم فى الظهار فانه كان من ايمان جاهليتهم خاصة دون سائر الامم فلا يليق بهم بعد الاسلام ان يراعوا تلك العادة المستهجنة فكأنه قيل منكم على عادتكم القبيحة المستنكرة ويحتمل ان يكون لتخصيص نفع الحكم الشرعى للمؤمنين بالقبول والاقتداء به اى منكم ايها المؤمنون المصدقون بكلام الله المؤتمرون بأمر الله اذ الكافرون لايستمعون الخطاب ولايعملون بالصواب وفى من نسائهم اشارة الى ان الظهار لايكون فى الامة ومن ذلك قالوا ان للظهار ركنا وهو التشبيه المذكور وشرطا وهو ان يكون المشبه منكوحة حتى لايصح من الامة واهلا وهو من كان من اهل الكفارة حتى لايصح للذمى والصبى والمجنون وحكما وهو حرمة الوطئ حتى يكفر مع بقاء اصل الملك (ماهن امهاتهم) خبر للموصول اى مانساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت يعنى ان من يقول لامرأته انت على كظهر امى ملحق فى كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين وكانوا يريدون بالتشبيه الحرمة فى المظاهر منها كالحرمة فى الام تغليظا وتشديدا فان قيل فحاصل الظهار مثلا انت محرمة على كما حرمت على امى وليس فيه دعوى الامومة حتى تنفى وتثبت للوالدات يقال ان ذلك التحريم فى حكم دعوى الامومة اوان المراد نفى المشابهة لكن نفى الامومة للمبالغة فيه (ان) نافية بمعنى ما (امهاتهم) فى الحقيقة والصدق (الا اللائى) جمع التى اى النساء اللاتى (ولدنهم) اى ولدن المظاهرين فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من ازواج النبى عليه السلام والمرضعات ومنكوحات الآباء لكرامتهن وحرمتهن فدخلن بذلك فى حكم الامهات واما الزوجات فما بعد شئ من الامومة فلا تلحق بهن بوجه من الوجوه (وانهم) اى وان المظاهرين منكم (ليقولون) بقولهم ذلك (منكرا من القول) على ان مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اى عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره وذلك لان زوجته ليست بامه حقيقة ولا ممن الحقه الشرع بها فكان التشبيه بها الحاقا لاحد المتباينين بالآخر فكان منكرا مطلقا غير معروف (وزورا) اى كذبا باطلا منحرفا عن الحق فان الزور بالتحريك الميل فقيل للكذب زور بالضم لكونه مائلا عن الحق قال بعضهم ولعل قوله وزورا من قبيل عطف السبب على المسبب فان قلت قوله انت على كظهر امى انشاء لتحريم الاستمتاع بها وليس بخبر والانشاء لايوصف بالكذب قلت هذا الانشاء يتضمن الحاق الزوجة المحللة بالام المحرمة ابدا وهذا الحاق مناف لمقتضى الزوجية فيكون كاذبا وعن ابى بكر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بأكبر

لكبائر قلنا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال الاوقول الزور وشهادة الزور الاوقول الزور وشهادة الزور الاوقول الزور وشهادة الزور فمازال يقولها حتى قلت لايسكت رواه البخارى قال بعضهم لما كان مبنى طلاق الجاهلية الامر المنكر الزور لم يجعله الله طلاقا ولم تبق الحرمة الاالى وقت التكفير وقال الظهار الذى هو من طلاق الجاهلية ان كان فى الشرع بمقدار من الزمان اولاطلاقا كانت الآية ناسخة والافلا لان النسخ انما يدخل فى الشرآئع وماقاله عليه السلام انها حرمت فلايعين شيأ من الطرفين الاان بعض المفسرين جعله مؤيدا للوجه الاول (وان الله لعفو غفور) اى مبالغ فى العفو والمغفرة لما سلف منه على الاطلاق على المذهب الحق اوبالمتاب عنه على مذهب الاعتزال وذلك ان مادون الشرك حكمه موكول الى مشيئة الله ان شاء يغفره وان لم يتب العبد عنه وان شاء يغفره بعد التوبة واما اذا لم يتب عنه فعذبه عليه فانما يعذبه على حسب ذنبه لكن الظاهر هنا الحث على التوبة ليكون الكلام فى ذم الظهار وانكاره (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اللام والى يتعاقبان كثيرا نحو يهدى للحق والى الحق فالمعنى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون الى ماقالوا والى مافات عنهم بسببه من الاستمتاع بالتدارك والتلافى بالتقرر والتكرر ومنه قولهم عاد الغيث على ماافسداى تداركه بالاصلاح فافساده امساكه واصلاحه احياؤه ففيه اطلاق اسم السبب على المسبب فان العود الى الشئ من اسباب التدارك والوصول اليه فيكون مجازا مرسلا قال ابن الشيخ العود يستعمل على معنيين احدهما ان يصير الى شئ قد كان عليه قبل ذلك فتركه فيكون بمعنى الرجوع الى مافارق عنه والآخر ان يصير ويتحول الى شئ وان لم يكن على ذلك قبل والعود بهذا المعنى لايلزم ان يكون رجوعا الى مافارق عنه والعود الذى هو سبب للتدارك والوصول هو العود بهذا المعنى وهو العود الى شئ مطلقا فخاصل المعنى ثم يعودون الى تدارك ماقالوا ودفع مالزم عليهم به من الفساد من حرمة الحلال ويجوز ان يكون المعنى ثم يريدون العود الى ماحرموا على انفسهم بلفظ الظهار من الاستمتاع ففيه تنزيل للقول منزلة المقول فيه (فتحرير رقبة) التحرير جعل الانسان حرا وهو خلاف العبد والرقبة ذات مرقوق مملوك سواء كان مؤمنا اوكافرا ذكرا اواثنى صغيرا اوكبيرا هنديا اورومیا فالمعنى فتداركه اوفالواجب اعتاق رقبة اى رقبة كانت وان كان تحرير المؤمن اولى والصالح احسن فيعتقها مقرونا بالنية وان كان محتاجا الى خدمتها فلو نوى بعد العتق اولم ينو لم يجزئ وان وجد ممن الرقبة وهو محتاج اليه فله الصيام كما فى الكواشى ولايجزئ ام الولد والمدبر والمكاتب الذى ادى شيا فان لم يؤد جاز ويجب ان تكون سليمة من العيوب الفاحشة بالاتفاق وعند الشافعى يشترط الايمان قياسا على كفارة القتل كما قال تعالى فتحرير رقبة مؤمنة قلنا حمل المطلق على المقيد انما هو عند اتحاد الحادثتين واتحاد الحكم ايضا وهنا ليس كذلك والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار لان تكرر السبب يوجب تكرر المسبب كقرآءة آية السجدة فى موضعين فلو ظاهر من امرأته مرتين اوثلاثا فى مجلس واحد اومجالس متفرقة لزمه بكل ظهار كفارة (من قبل ان يتماسا) اى من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا وتقبيلا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وذلك لان اسم التماس يتناول الكل وان وقع شئ من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر لانه ارتكب الحرام ولايعود حتى يكفر وليس عليه سوى الكفارة الاولى بالاتفاق وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف عند ابى حنيفة رحمه الله ولاتسقط الكفارة بل يأتى بها على وجه القضاء كما لو اخر الصلاة عن وقتها فانه لايسقط عنه اثمها بل يلزمه قضاؤها وفى الآية دليل على ان المرأة لايسعها ان تدع الزوج ان يقربها قبل الكفارة لانه نهاهما جميعا عن المسيس قبل الكفارة قال القهستانى لها مطالبة التكفير والحاكم يجبر عليه بالحبس ثم بالضرب فالنكاح باق والحرمة لاتزول الابالتكفير وكذا لو طلقها ثم تزوجها بعد العدة اوزوج آخر حرم وطئها قبل التكفير ثم العود الموجب لكفارة الظهار عند ابى حنيفة رحمه الله هو العزم على جماعها حتى عزم على ذلك لم تحل له حتى يكفر ولو ماتت بعد مدة قبل ان يكفر سقطت عنه الكفارة لفوت العزم على جماعها (ذلكم) اى الحكم بالكفارة ايها المؤمنون (توعظون به) الوعظ زجر يقترن بتخويف اى تزجرون به من ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر من تعاطى الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم

للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذى هو علم فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة مايوجبه والحاصل ان فى المؤاخذة الدنيوية نفعا لكل من المظاهر وغير المظاهر بان يحصل للمظاهر الكفارة والتدارك ولغير المظاهر الاحتياط والاجتناب كما قيل * زود مرغ روى دانه فراز * چون دكر مرغ بيند اندر بند (والله بما تعملون) من جناية الظهار والتكفير ونحو ذلك من قليل وكثير (خبير) اى عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا حدود ماشرع لكم ولاتخلوا بشئ منها (فمن لم يجد) اى فالظاهر الذى لم يجد الرقبة وعجز عنها بان كان فقيرا وقت التكفير وهو من حين العزم الى ان تقرب الشمس من الغروب من اليوم الاخير مما صام فيه من الشهرين فلا يتحقق العجز الحقيقى الا به والاعتبار المكن والشباب التى لا بد منها فان المعتبر فى ذلك هو الفضل والذى غاب ماله فهو واجد (فصيام شهرين) اى فعليه صيام شهرين (متتابعين) ليس فيهما رمضان ولا الايام الخمسة المحرم صومها اى يوما العيد وايام التشريق فيصلهما بحيث لا يفصل يوما عن يوم ولا شهرا عن شهر بالافطار فان افطر فيهما يوما او اكثر بعذر او بغير عذر استأنف ولم يحسب ما صام الا بالحيض كما سيجئ (من قبل ان يتماسا) ليلا او نهارا عمدا او خطأ او جامع زوجة اخرى ناسيا لا يستأنف ولو افطرت المرأة للحيض فى كفارة القتل او الفطر فى رمضان لاستأنف لكنها تصل صومها بايام حيضها ثم انه ان صام بالاهلة اجزأه وان صام ثمانية وخمسين بان كان كل من الشهرين ناقصا وان صامها بغيرها فلا بد من ستين يوما حتى لو افطر صبيحة تسعة وخمسين وجب عليه الاستئناف (فمن لم يستطع) اى الصيام بسبب من الاسباب كالهرم والمرض المزمن اى الممتد الغير المرجو برؤه فانه بمنزلة العاجز من الكبر السن وان كان يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطئ امرأته فالمختار ان ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام واوكفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزأه ومن الاعذار الشبق المفرط وهو ان لا يصبر على الجماع فانه عليه السلام رخص للاعرابى ان يعطى الفدية لاجله (فاطعام ستين مسكينا) الاطعام جعله الغير طاعما ففيه رمز الى جواز التمليك والاباحة فى الكفارة والمسكين ويفتح ميمه من لاشئ له اوله ما لا يكفيه واسكنه الفقر اى قلل حركته والذليل والضعيف كما فى القاموس قال القهستانى فى شرح مختصر الوقاية قيد المسكين اتفاقى لجواز صرفه الى غيره مصارف الزكاة يقول الفقير انما خص المسكين بالذكر لكونه احق بالصدقة من سائر مصارف الزكاة كما ينبئ عنه ماسبق آنفا من تفسير القاموس واطعام ستين مسكينا يشمل ما كان حقيقيا وحكميا بان يطعم واحدا ستين يوما فانه فى حكم ستين مسكينا وان اعطاه فى يوم واحد ولو بدفعات لا يجوز على الصحيح فيطعم لكل مسكين نصف صاع من براو صاعا من غيره كما فى الفطرة والصاع اربعة امداد ونصفه مدان ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف ان مس فى خلال الاطعام لان الله تعالى لم يذكر التماس مع الاطعام هذا عند ابى حنيفة رحمه الله واما عند الآخرين فالاطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام ويجوز دفع الكفارة لكافر واخراج القيمة عند ابى حنيفة رحمه الله خلافا للثلاثة وفى الفقه هذا اذا كان المظاهر حرا فلو كان عبدا كفر بالصوم وان اعطاه المولى المال وليس له منعه عن الصوم فان اعتق وايسر قبل التكفير كفر بالمال (ذلك) اى ذلك البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها واقع اوفعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرآئعه التى شرعها لكم وترفضوا ماكنتم عليه فى جاهليتكم ان قيل اذا كان ترك الظهار مفروضا فبال الفقهاء يجعلونه بابا فى الفقه اجيب بان الله وان انكر الظهار وشنع على من تعوده من الجاهليين الا انه تعالى وضع له احكاما يعمل بها من ابتلى به من الغافلين فبهذا الاعتبار جعلوه بابا ليبينوا تلك الاحكام وزادوا قدر ما يحتاج اليه مع ان المحققين قالوا ان اكثر الاحكام الشرعية للجهال فان الناس لو احترزوا عن سوء المقال والفعال لما احتيج الى تكثير القيل والقال ودلت الآية على ان الظهار اكثر خطأ من الحنث فى اليمين لكون كفارته اغلظ من كفارة الحنث واللام فى لتؤمنوا للحكمة والمصلحة لانها اذا قارنت فعل الله تكون للمصلحة لانه الغنى المطلق واذا قارنت فعل العبد تكون للغرض لانه المحتاج المطلق فاهل السنة لا يقولون لتلك المصلحة غرضا اذ الغرض فى العرف ما يستكمل به طالبه استدفاعا لنقصان فيه ينفر عنه طبعه والله منزه عن هذا بلا خلاف والمعتزلة يقولون بناء على انه هو الشئ الذى لاجله يراد المراد ويفعل عندهم ولو قلنا بهذا المعنى لكنا قائلين بالغرض وهم لو قالوا بالمعنى لما كانوا قائلين به (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة من تحريم الظهار وايجاب العتق للواجد

وايجاب الصوم لغير الواجد ان استطاع وايجاب الاطعام لمن لم يستطع (حدود الله) التى لايجوز تعديها وشرائعه الموضوعة لعباده التى لايصح تجاوزها الى مايخالفها جمع حد وهو فى اللغة المنع والحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط احدهما بالآخر وحد الزنى وحد الخمر سمى بذلك لكونه مانعا لمتعاطيه عن المعاودة لمثله وجميع حدود الله على اربعة اضرب اما شئ لايجوز ان يتعدى بالزيادة عليه والانقصور عنه كاعداد ركعات صلاة الفرض واما شئ يجوز الزيادة عليه ولايجوز النقصان منه واما شئ يجوز النقصان منه ولايجوز الزيادة عليه واما شئ يجوز الزيادة عليه والنقصان منه كما فى المفردات (وللكافرين) اى الذين لايعملون بها ولايقبلونها (عذاب اليم) عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين يعنى ان اطلاق الكفر لتأكيد الوجوب والتغليظ على تارك العمل لالانه كفر حقيقة كما يزعمه الخوارج قال بعضهم فى قوله عليه السلام من ترك الصلاة فقد كفر اى قارب الكفر يقال دخل البلدة لمن قاربها قال فى برهان القرآن قوله وللكافرين عذاب اليم وبعده وللكافرين عذاب مهين لان الاول متصل بضده وهو الايمان فتوعدهم على الكفر العذاب الاليم هو جزاء الكافرين والثانى متصل بقوله كبتوا وهو الازلال والاهانة فوصف العذاب مثل ذلك فقال وللكافرين عذاب مهين انتهى والاليم بمعنى المؤلم اى الموجع كالبديع بمعنى المبدع اوبمعنى المتألم لكن اسند مجازا الى العذاب مبالغة كانه فى الشدة بدرجة تتألم بها نفسه وفى اثبات العذاب للكافرين حث للمؤمنين على قبول الطاعة ولما نزلت هذه الآيات الاربع تلاها عليه السلام فقال لاوس بن الصامت رضى الله عنه هل تستطيع عتق رقبة قال اذن يذهب جل مالى قال فصيام شهرين متتابعين قال يارسول الله اذا لم آكل فى اليوم ثلاث مرات كل بصرى وخشيت ان تعشو عينى قال فاطعام ستين مسكينا قال لاالا ان تعينني عليه قال اعينك بخمسة عشر صاعا واناداعلك بالبركة وتلك البركة بقيت فى آله كما فى عين المعانى يقول الفقير فى وجوه الاحكام المذكورة اماوجه العتق فلان العاصى استحق النار بعصيانه العظيم فجعل عتق المملوك فداء لنفسه من النار كما قال عليه السلام من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل ارب منها ارباً منه من النار ودل تقييد الرقبة بالمؤمنة على افضلية اعتاق المؤمن وايضا ان ممن العبد اكثر غالبا من فدية الاطعام والمال بعد من النفس لشدة علاقة النفس به ففى بذله تخليص لها من رذيلة البخل وتحية لها عن النار واما الوجه فى الصيام فلان الاصل فيه صيام شهر رمضان وهو ثلاثون يوما ففى صيام ستين يوما تضعيف المشقة وتشديد المحنة على النفس واما الوجه فى اطعام المساكين اما فى نفس الاطعام فلان الصوم التخلق بوصف الصمدية فاذا فات عنه ذلك لزم المعالجة بضده وهو الاطعام لان فى بذل المال اذابة النفس كما فى الصوم ومن هذا يعرف سر التنزيل من الرقبة الى الصوم ثم منه الى الاطعام واما فى عدد المساكين فلان الاطعام بدل من الصيام وخلف له فروعى فيه من العدد ماروعى فى الصيام ويجوز ان يقال ان الله تعالى خلق آدم عليه السلام من ستين نوعا من طبقات الارض فامر باطعام ستين مسكينا من اولاد آدم حتى تقع المكافأة لجميع اولاده لانه لايخرج احد منهم على هذه الستين نوعا وايضا سر العدد كون عمر هذه الامة بين الستين والسبعين فمن راعى العدد فكانما عبد الله ستين سنة التى هى مبلغ عمره ومنتهى امده بحسب الغالب فيتخلص من النار ولكن فيه اشارة الى فضيلة الوقت فانه اذا فات العمل من محله لايتجبر بالقضاء بكماله الاولى بل يصير ساقطا عن درجة الكمال الاولى بستين درجة ولذا وجب صيام ستين واطعامها (قال المولى الجامى)

هردم از عمر گرامى هست گنجى چنين هرلحظه برداد آخ آخ (وقال الشيخ سعدى)

مكن عمر ضايع بافسوس وحيف * كه فرصت عزيزست والوقت سيف وفى الآية اشارة الى ان النفس مطية الروح وزوجته فاذا ظاهر زوج الروح من زوجة النفس بقطع الاستمتاع عنها لغلبة الروحانية عليها ثم بحسب الحكمة الالهية المقتضية لتعلق زوج الروح مع زوجة النفس اراد ان يستمتع منها فعلى زوج الروح يجب من طريق الكفارة تحرير رقبة عن ذلك الاستمتاع والتصرف فيها بان لايستمتع ولايتصرف فيها لابامر الحق ومقتضى حكمته لابمقتضى طبعه ومشتهيات هواه فانه لايجوز له وعلى تقدير شدة اشتياق الزوج الروح لزوجة النفس وقوة ارتباطهما الذاتية وارتباط الركب بالمركوب وارتباط ربان السفينة بالسفينة ان لم يقدر على تحرير رقبة عن هذا الارتباط فيجب على زوج الروح ان يصوم شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا

يعنى ان يمسك نفسه عن الالتفات الى الكونين على الدوام والاستمرار من غير تخلل التفات وان لم يتمكن من قطع هذا الالتفات لبقاء بقية من بقايا انانيته فيجب عليه اطعام ستين مسكينا من مساكين القوى الروحانية المستهلكة تحت سلطنة النفس وصفاتها ليقيهم على التخلق بالاخلاق الالهية والتحقق بالصفات الروحانية (ان الذين يحادون الله ورسوله) اى يعادونهما ويشاقونها وكذا اولياء الله فان من عادى اولياء الله فقد عادى الله وذلك لان كلا من المتعادين كانه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الآخر غير ان اورود المحادة فى اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع مالا غاية وراءه و بالفارسية مخالفت ميكنند باخدا ورسول اوازحدود امر ونهى تجاوز ميكنند وقال بعضهم المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقابلة بالحديد سواء كان فى ذلك حديد حقيقة اوكان ذلك منازعة شديدة شبيهة بالمخصومة بالحديد وقال بعضهم فى معنى الآية يحادون اى يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما ففيه وعيد عظيم للملوك والامراء السوء الذين وضعوا امورا خلاف ماحده الشرع وسموه القانون ونحوه * پادشاهى كه طرح ظلم افكند * پاى ديوار ملك خويش بكند (كبتوا) اى اخزوا يعنى خوار ونكونسار كرده شوند وفى المفردات الكبت الرد بعنف وتذليل وفى القاموس كبته يكبته صرعه واخزاه وصرفه وكسره وردالعدو بغيظه واذله قال ابن الشيخ وهو يصلح لان يكون دعاء عليهم واخبارا عما سيكون بالماضى لتحققه اى سيكبتون و يدخل فيهم المنافقون والكافرون جميعا اما الكافرون فمحادتهم فى الظاهر والباطن واما المنافقون فى الباطن فقط (كما كبت الذين من قبلهم) من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام مثل اقوام نوح وهود وصالح وغيرهم * وكان السرى رحمه الله يقول عجبت من ضعيف عصى قويا فيقال له كيف ذلك فيقول وخلق الانسان ضعيفا (وقد انزلنا آيات بينات) حال من واو كبتوا اى كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم او آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ماجاء به والسؤال بان الانزال نقل الشئ من الاعلى الى الاسفل وهو انما يتصور فى الاجسام والآيات التى هى من الكلام من الاعراض الغير القارة فكيف يتصور الانزال فيها مجاب عنه بان المراد منه انزال من يتلقف من الله و يرسل الى عباده تعالى فيسند اليها مجازا لكونها المقصودة منه او المراد منه الايصال والاعلام على الاستعارة (وللكافرين) بتلك الآيات او بكل مايجب الايمان به (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم من الاهانة بمعنى التحقير والمراد عذاب الكبت الذى هو فى الدنيا فيكون ابتداء كلام او عذاب الآخرة فيكون للعطف بمعنى ان لهم الكبت فى الدنيا ولهم عذاب مهين فى الآخرة فهم معذبون فى الدارين قال بعضهم وصف الله العذاب الملحق بالكافرين اولا بالايلام وثانيا بالاهانة لان الايلام يلحق بهم اولا ثم يهانون به واذا كانت الاهانة مافى الآخرة فالتقديم ظاهر وقد سبق غير هذا وفى الآية اشارة الى ان من يعادون مظاهر الله وهم الاولياء المتحققون بالله المجتمعون باسماء الله و يشاقون مظاهر رسوله وهم العلماء القائمون باحكام الشرائع جوا وافحموا بابلغ الحجج واظهر البراهين من الكرامات الظاهرة ونشر العلوم الباهرة وكيف لا وقد انزلنا بصحة ولايتهم وآثار وراثتهم آيات بينات فمن ستروها بستار ظلمات انكاره فله عذاب القطيعة الفظيعة والاهانة من غير اباية (يوم يبعثهم الله) منصوب باذكر المقدر تعظيما لليوم وتهويلا له والمراد يوم القيامة اى يحييهم الله بعد الموت للجزاء (جميعا) اى كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث فيكون تأكيدا للضمير او مجتمعين فى حالة واحدة فيكون حالا منه (فينبئهم بما عملوا) من القبائح ببيان صدورها منهم او بتصويرها فى تلك النشأة بمايليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد وتخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم والافلا فائدة فى نفس الانباء لينبهوا على ماصدر منهم (احصاه الله) كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهى اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه الله اى احاط به عددا وحفظه كما عمله لم يفت منه شئ ولم يغب قال الراغب الاحصاء التحصيل بالعد يقال احصيت كذا وذلك من لفظ الحصى واستعمال ذلك فيه لانهم كانوا يعتمدون اعتمادا تاما فيه على الاصابع وقال بعضهم الاحصاء عد باحاطة وضبط اذ اصله العدد بآحاد الحصى للتقوى فى الضبط فهو اخص من العد لعدم لزوم الاحاطة فيه (ونسوه) اى والحال انهم قد نسوه لكثرته اولتهاونهم حين ارتكبوه لعدم اعتقادهم (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه امر

من الامور فالشهيد بمعنى الشاهد من الشهود بمعنى الحضور وكفته اند كواهست ومناسب آن مكافات خواهد فرمود وكسى كواهى اورد نتواند كرد * حاكم زحكم دم نزند كركواه نيست * حاكم كه خود كواه بود قصه مشكلست * فلابد من استحضار الذنوب والبكاء عليها وطلب التوبة من الله الذى يحصى كل شئ ولاينساه قبل ان يجئ يوم يفتضح فيه المصر على رؤس الاشهاد ولايقبل الدعاء والمعذرة من العباد واعلم ان القول بانه تعالى شهيد قول بانه حاضر لكن بالحضور العلمى لا بالحضور الجسمانى فانه منزه عن ذلك فقول من قال الله حاضر محمول على الحضور العلمى فلا وجه لاكفار قائله مع وجوده فى القرآن (الم تر ان الله يعلم مافى السموات ومافى الارض) استشهاد على شمول شهوده تعالى والهمزة للانكار المقرر بالرؤية لما ان الانكار نفى معنى ونفى النفى يقرر الاثبات فتكون الرؤية ثابتة مقررة والخطاب للرسول عليه السلام اولكل من يستحق الخطاب والمعنى الم تعلم علما يقينيا بمرتبة المشاهدة انه تعالى يعلم مافى السموات ومافى الارض من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما (روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى ربيعة وحبيب ابنى عمرو وصفوان بن امية كانوا يوما يتحدثون فقال احدهم ترى الله يعلم ماتقول فقال الآخر يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضه فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم فنزلت الآية (مايكون من نجوى ثلاثة) مانافية ويكون تامة بمعنى يوجد ويقع ومن مقحم ونجوى فاعله وهو مصدر بمعنى التناجى كالشكوى بمعنى الشكاية يقال نجاه نجوى ونجوى ساره كناجاه مناجاة والنجوى السر الذى يكتم اسم ومصدر كما فى القاموس واصله ان تخلو فى نجوة من الارض اى مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله كأن المتناجى بنجوة من الارض لئلا يطلع عليه احد والمعنى مايقع من تناجى ثلاثة نفر ومسارتهم فالنجوى مصدر مضاف الى فاعله (الاهو) اى الله تعالى (رابعهم) اى جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها كما قال الحسين النورى قدس سره الاهو رابعهم علما وحكما لانفسا وذاتا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى مايوجد فى حال ما الا فى هذه الحال وفى الكلام اعتبار التصوير قال النصر اباذى من شهد معية الحق معه زجره عن كل مخالفة وعن ارتكاب كل محذور ومن لايشاهد معيته فانه متخط الى الشبهات والمحارم (ولاخمسة) اى ولانجوى خمسة نفر (الاهو سادسهم) اى الاهو تعالى جاعلهم ستة فى الاطلاع على ماوقع بينهم وتخصيص العددين بالذكر لخصوص الواقعة لان المنافقين المجتمعين فى النجوى كانوا مرة ثلاثة واخرى خمسة ويقال ان التشاور غالبا انما يكون من ثلاثة الى ستة ليكونوا اقل لفظا واجدر رأيا واكتم سرا ولذا ترك عمر رضى الله عنه حين علم بالموت امر الخلافة شورى بين ستة اى على ان يكون امر الخلافة بين ستة ومشاورتهم واتفاق رأيهم وفى الثلاثة اشارة الى الروح والسر والقلب وفى الخمسة اليها باضافة النفس والهوى ثم عمم الحكم فقال (ولا ادنى من ذلك) اى اقل عما ذكر كالاثنين والواحد فان الواحد ايضا يناجى نفسه وبالفارسية ونه كتر باشد ازسه عدد (ولا اكثر) كالستة ومافوقها (الاهو معهم) اى الله مع المتناجين بالعلم والسماع يعلم مايجرى بينهم ولايخفى عليه ماهم فيه فكأنه مشاهد هم ومحاضرهم وقد تعالى عن المشاهدة والحضور معهم حضورا جسمانيا (اينما كانوا) اى فى اى مكان كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا * اين معيت درتبايد بعقل وهوش * زين معيت دم مزن بنشين خموش * قرب حق بانديشه دورست ازقياس * برقياس خودمنه آنرا اساس * قال بعض العارفين اكرمؤمنان امت احمدرا خود ابن تشريف بودى كه رب العالمين در ين سوره ميكويد كه مايكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم الى قوله هومعهم تمام بودى اصحاب كهف راباجلال رتبت ايشان وكمال منزلت ميكويد ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم فانظركم من فرق بين من كان الله رابعهم وسادسهم وبين من كان اخس الحيوانات رابعهم وسادسهم وخطية المؤمن من المعية ان يعلم ان الخير فى ان يكون جليسه صالحا وكلامه نافعا ولايتكلم بما لاطائل تحته فيكون عيبا فى صحيفته وعبثا فى صحبته ومعية الله تعالى على العموم كما صرح به قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم ثم انه قد يكون له تعالى معية مخصوصة ببعض عباده بحسب فيضه وايصال لطفه اليه ونحو ذلك (ثم ينبئهم بماعملوا) اى يخبرهم بالذى عملوه

فى الدنيا (يوم القيامة) تفضيحالهم واظهارا لمايوجب عذابهم (ان الله بكل شئ عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء يعنى نسبت علم او باو معلومات يكسانست حالات اهل اسمارا چنان دانذكه حالات اهل زمين را وعلم او بخفيات امور بدان وجه احاطه كندكه بجليات * نهان وآشكار اهردو يكسانست برعلمت * نه اين رازود تر بيني نه آنرا ديرتر داني * من عرف انه العالم بكل شئ راقبه فى كل شئ واكتفى بعلمه فى كل شئ فكان واثقا به عند كل شئ ومتوجها له بكل شئ قال ابن عطاء الله متى علمت عدم اقبال الناس عليك اوتوجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله فيك فان كان لا يقنعك علمه فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه اشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم انتهى والتخلق بهذا الاسم تحصيل العلم وافادته للمحتاجين اليه ومن ادمن ذكر ياعلام الغيوب بصيغة النداء الى ان يغلب عليه منه حال فانه يتكلم بالمغيبات ويكشف مافى الضمائر وترقى روحه الى ان يرقى فى العالم العلوى ويتحدث بامور الكائنات والحوادث قال الفقهاء من قال بان الله تعالى عالم بذاته اى لاعالم بعلمه قادر بذاته اى لاقادر بقدرته يعنى لا يثبت له صفة العلم القائمة بذاته ولا صفة القدرة كالمعتزلة والجهمية يحكم بكفره لان نفى الصفات الالهية كفر قال الزهاوى من اقر بوحدانية الله وانكر الصفات كالفلاسفة والمعتزلة لايكون ايمانه معتبرا كذا قالوا وفيه شئ بالنسبة الى المعتزلة فانهم من اهل القبلة ومن ثمة قال فى شرح العقائد والجمع بين قولهم لايكفر احد من اهل القبلة وقولهم بكفر من قال بخلق القرآن واستحالة الرؤية وسب الشيخين وامثال ذلك مشكل انتهى (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتخلقون ثلاثة وخمسة ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين يريدون ان يغيظوهم فنهاهم رسول الله عليه السلام ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة قال الخدرى رضى الله عنه خرج علينا عليه السلام ذات ليلة ونحن نتحدث فقال هذه النجوى الم تنهوا عن النجوى فقلنا تبنا الى الله انا كنا فى حديث الدجال قال الا اخبركم بما هو اخوف عليكم منه هو الشرك الخفى يعنى المراآة (ويتناجون) وراز مكويند (بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) عطف على قوله يعودون داخل فى حكمه وبيان لما نهوا عنه لضرره فى الدين اى بما هو اثم فى نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول والعدوان الظلم والجور والمعصية خلاف الطاعة (واذا جاؤك) وچون برتو آيند يعنى اهل النجوى (حيوك) تراتحيت وسلام كنند والتحية فى الاصل مصدر حياك على الاخبار من الحياة فمعنى حياك الله جعل لك حياة ثم استعمل للدعاء بها ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام فكل دعاء تحية لكون جميعه غير خارج عن حصول حياة اوسبب حياة اما فى الدنيا واما فى الآخرة (بما لم يحيك به الله) اى بشئ لم يقع من الله ان يحييك به فيقولون السام عليك والسام بلغة اليهود مرك است يافتل بشمشير وهم يوهمون انهم يقولون السلام عليك وكان عليه السلام يرد عليهم فيقول عليكم بدون الواو ورواية وعليكم باواو خطأ كذا فى عين المعانى او يقولون انعم صباحا وهو تحية الجاهلية من النعومة اى ليصر صباحك ناعما لنا لا بؤس فيه والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين واختلفوا فى رد السلام على اهل الذمة فقال ابن عباس والشعبى وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك ليس بواجب فان رددت فقل عليك وقال بعضهم يقول فى الرد عليك السلام اى ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقول فى الرد السلام عليك بكسر السين يعنى الحجارة (ويقولون فى انفسهم) اى فيما بينهم اذا خرجوا من عندك (لولا يعذبنا الله بما نقول) لولا تحضيضية بمعنى هلا اى هلا يعذبنا الله ويغضب علينا ويقهرنا بجرأتنا على الدعاء بالشر على محمد لو كان نبيا حقا (حسبهم) بس است ايشانرا (جهنم) عذابا مبتدأ وخبر اى محسبهم وكافيهم جهنم فى التعذيب من احسبه اذا كفاه (يصلونها) يدخلونها ويقاسون حرها لا محالة وان لم يعجل تعذيبهم لحكمة والمراد الاستهزاء بهم والاستخفاف بشأنهم لكفرهم وعدم ايمانهم (فبئس المصير) اى جهنم قال فى برهان القرآن الفاء لما فيه من معنى التعقيب اى فبئس المصير ما صاروا اليه وهو جهنم انتهى قال بعض المفسرين وقولهم ذلك من جملة ماغفلوا عما عندهم من العلم فانهم كانوا اهل كتاب يعلمون ان بعض الانبياء قد عصاه امته وآذوه ولم يعجل تعذيبهم لحكمة ومصلحة علمها عند الله تعالى انتهى * ثم ان الله يستجيب دعاء رسول الله عليه السلام كما روى ان عائشة رضى الله عنها سمعت قول اليهود فقالت عليكم السام

والذام واللعن فقال عليه السلام ياعائشة ارفقي فان الله يحب الرفق في كل شئ ولايحب الفحش والتفحش الاسمعت ماردت عليهم فقلت عليكم فيستجاب لي فيهم ولايستجاب لهم في وقس عليه حال الورثة الكاملين فان انفاسهم مؤثرة فمن تعرض لواحد منهم بالسوء فقد تعرض لسوء نفسه وفي البستان * كزرى بجاهى درافتاده بود * كه ازهول اوشير زماده بود * همه شب زفريادو زارى نخفت * بكى برسرش كوفت سنكى وكفت * توهر كزرسيدى بفرياد كس * كه ميخواهى امروز فرياد رس * كه برجان ريشت نهد مرهمى * كه جانها بنالد زدستت همى * توما راهمى چاه كندى براه * بسر لاجرم برقتادى بجاه (يا ايها الذين آمنوا) بألسنتهم وقلوبهم (اذا تناجيتم) چون رازكويد بايكديكر بعني في انديتكم وخلواتكم (فلاتناجوا بالاثم والعدوان) كمايفعله المنافقون واليهود (وتناجوا بالبر والتقوى) اى بمايتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول قال سهل رحمه الله بذكر الله وقرآءة القرآن والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) وحده لا الى غيره استقلالا اواشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وماتذرون يعني بسوى اوجمع كرده خواهيد شد پس ازموت دلت الآية على ان التناجي ليس بنهي عنه مطلقا بل مأمور به في بعض الوجوه ايجابا واستحبابا واباحة على مقتضى المقام ان قيل كيف يأمر الله بالاتقاء عنه وهو المولى الرحيم والقرب منه الذ المطالب والانس به اقصى المآرب فالتقوى توجب الاجتناب والحشر اليه يستدعي الاقبال اليه يجاب بأن في الكلام مضافا اذالتقدير واتقوا عذاب الله او قهر الله اوغيرهما فان قيل ان العبد لوقدر على الخلاص من العذاب والقهر لأسرع اليه لكنه ليس بقادر عليه كما قال تعالى ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله والامر انما يكون بالمقدور لايكلف الله نفسا الا وسعها اجيب بأن المراد الاتقاء عن السبب من الذنوب والمعاصي الصادرة عن العبد العاصي فالمراد واتقوا ما يفضي الى عذاب الله ويقتضي قهره في الدارين من الاثم والعدوان ومعصية الرسول التي هي السبب الموجب لذلك فالمراد النهي عن مباشرة الاسباب والامر بالاجتناب عنها ان قيل ان ذلك الاتقاء انما يكون بتوفيق الله له فان وفق العبد له فلا حاجة الى الامر به وان لم يوفقه فلا قدرة له عليه والامر انما يحسن في المقدور اجيب بانه تعالى علم الحق اولا ووهب له ارادة جزئية يقدر بها على اختيار شئ فله الاختيار السابق على ارادة الله تعالى ووجود الاختيار في الفاعل المختار امر يطلع عليه كل احد حتى الصبيان (انما النجوى) المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان بقرينة ليحزن (من الشيطان) لامن غيره فانه المزين لها والحامل عليها فكأنها منه (ليحزن الذين آمنوا) خبر آخر من الحزن بالضم بعده السكون متعد من الباب الاول لامن الحزن بفتحتين لازما من الرابع كقوله تعالى ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيكون الموصول مفعوله وفي القاموس الحزن بالضم ويحرك الهم والجمع احزان وحزن كفرح والحزنه الامر حزنا بالضم واحزنه جعله حزينا وحزنه جعل فيه حزنا وقال الراغب الحزن والحزن خشونة في الارض وخشونة في النفس لما يحصل فيهما من الغم ويضاده الفرح ولاعتبار الخشونة بالغم قيل خشنت بصدره اذا احزنته والمعنى انما هي ليجعل الشيطان المؤمنين محزونين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم في سيرتهم يعني ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا متألمين بذلك فاترين في تدبير الغزو الى غير ذلك مما يشوش قلوب المؤمنين وفي الحديث (اذا كنتم ثلاثة) فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه (وليس) اى الشيطان او التناجي (بضارهم) بالذي يضر المؤمنين (شيأ) من الاشياء اوشيأ من الضرر يعني ضرر رسانيده مؤمنان بچيزى (الا باذن الله) اى بمشيئته وارادته اى ما اراده من حزن اووسوسة كما روى ان فاطمة رضي الله عنها رأت كأن الحسن والحسين رضي الله عنهما اكلا من اطيب جزور بعثه رسول الله اليهما فاتا فلما غدت سألته عليه السلام وسأل هو جبريل وجبريل ملك الرؤيا فقال لاعلم لي به فعلم انه من الشيطان وفي الكشاف الا باذن الله اى بمشيئته وهو ان يقضي الموت على اقاربهم اوالغلبة على العزاة قال في الاسئلة المفحمة اين ضرر الحزن قلت ان الحزن اذاسلمت عاقبته لايكون حزنا في الحقيقة وهذه نكتة اصولية اذالضرر اذاكانت عاقبته الثواب لايكون ضررا في الحقيقة والنفع اذاكانت عاقبته العذاب لايكون نفعا في الحقيقة (وعلى الله) خاصة (فليتوكل المتوكلون) ليفوضوا امورهم اليه وليثقوا به ولايبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شرها وضررها ذكر بعض خصم تندخوى مكوى كه

اهل مجلس مارا ازان حسابی نیست وفی الآیة اشارة الی ان الشیطان ینابجی النفس الامارة ویزین لها المعارضات ونحوها لیقع القلب والروح فی الحزن والاضطراب وضیق الصدر ویتقاعدان من شؤم المعارضة عن السیر والطیر فی عالم الملکوت ویحرمان من مناجاة الله تعالی فی عالم السر لکونهما محروسان برعایة الحق وتأییده ومنه یعلم ان کل مخالفة فهی فی النفس والطبیعة والشیطان لانها ظلمانیة وان کل موافقة فهی فی القلب والروح والسر لانها نورانیة الا ان یغلب علیها ظلمة اهل الظلمة وتختفی انوارها تحت تلک الظلمة اختفاء نور الشمس تحت ظلمة السحاب الکثیف فلیکن العبد علی المعالجة دائما لکن ینبغی له التوکل التام فان المؤثر فی کل شیء هو الله تعالی (یاایها الذین آمنوا) یعنی المخلصین (اذا قیل لکم) من ای قائل کان من الاخوان (تفسحوا) التفسح جای فراخ کردن وفراخ نشستن درمجلس وکذا الفسح لکن التفسح یعدی بفی والفسح باللام ای توسعوا لیفسح بعضکم عن بعض ولاتضاموا من قولهم افسح عنی ای تنح وانت فی فسحة من دینک ای فی وسعة ورخصة وفلان فسیح الخلق ای واسع الخلق (فی المجالس) قال فی الارشاد متعلق بقیل یقول الفقیر الظاهر انه متعلق بقوله تفسحوا لان البیهقی صرح فی تاج المصادر بان التفسح یعدی بفی علی ما اشرنا الیه آنفا (فافسحوا) پس جای کشاده کنید برمردم (یفسح الله لکم) ای فی کل ما یریدون التفسح فیه من المکان والرزق والصدر والقبر وغیرها فان الجزاء من جنس العمل والآیة عامة فی کل مجلس اجتمع فیه المسلمون للخیر والاجر سواء کان مجلس رسول الله صلی الله علیه وسلم وکانوا یتضامون تنافسا فی القرب منه علیه السلام وحرصا علی استماع کلامه اومجلس حرب وکانوا یتضامون فی مراکز الغزاة ویأتی الرجل الصف ویقول تفسحوا ویأبون لحرصهم علی الشهادة اومجلس ذکر اومجلس یوم الجمعة وان کل واحد وان کان احق بمکانه الذی سبق الیه لکنه یوسع لاخیه مالم یتاذ لذلک فیخرجه اضیق من موضعه وفی الحدیث (لایقیمن احدکم الرجل من مجلسه ثم یخالفه فیه ولکن تفسحوا وتوسعوا وفی روایة لایقیمن احدکم اخاه یوم الجمعة ولکن لیقل افسحوا) وقیل ان رجلا من الفقراء دخل المسجد واراد ان یجلس بجنب واحد من الاغنیاء فلما قرب منه قبض الغنی الیه ثوبه فرأی رسول الله علیه السلام ذلک فقال للغنی اخشیت ان یعدیه غناک او یعدیک فقره وفیه حث علی التواضع والجلوس مع الفقراء والتوسعة لهم فی المجالس وان کانوا شعثا غبرا (واذا قیل انشزوا) یقال نشز الرجل اذا نهض وارتفع فی المکان نشزا والنشز کالفلس وکذا النشز بفتحتین المکان المرتفع من الارض ونشز فلان اذا قصد نشزا ومنه نشز فلان عن مقره وقلب ناشز ارتفع عن مکانه رعبا والمعنی واذا قیل لکم قوموا للتوسعة علی المقبلین ای علی من جاء بعدکم (فانشزوا) فارتفعوا وقوموا یعنی اذا کثرت المزاحمة وکانت بحیث لاتحصل التوسعة بتخلی احد الشخصین عن الآخر حال قعود الجماعة وقیل قوموا جمیعا وتفسحوا حال القیام فانشزوا ولاتثاقلوا عن القیام او اذا قیل لکم قوموا عن مواضعکم فانتقلوا منها الی موضع آخر لضرورة داعیة الیه اطیعوا من امرکم به وقوموا من مجالسکم وتوسعوا لاخوانکم ویؤیده انه علیه السلام کان یکرم اهل بدر فاقبلت جماعة منهم فلم یوسعوا لهم فقال علیه السلام قم یافلان ویافلان فاقام من المجلس بعدد المقبلین من اهل بدر فتغامز به المنافقون انه لیس من العدل ان یقیم احدا من مجلسه وشق ذلک علی من اقیم من مجلسه وعرف رسول الله علیه السلام الکراهیة فی وجوههم فانزل الله الآیة فالقائل هو الرسول علیه السلام ویقال واذا قیل انشزوا ای انهضوا عن مجلس رسول الله اذا امرتم بالنهوض عنه فانهضوا ولاتملوا رسول الله بالارتکان فیه اوانهضوا الی الصلاة اوالی الجهاد اوالشهادة اوغیر ذلک من اعمال الخیر فانهضوا ولاتثبطوا ولاتفرطوا فالقائل یعم الرسول وغیره (یرفع الله الذین امنوا منکم) جواب للامر ای من فعل ذلک طاعة للامر وتوسعة للاخوان یرفعهم الله بالنصر وحسن الذکر فی الدنیا والایواء الی غرف الجنان فی الآخرة لان من تواضع رفعه الله ومن تکبر وضعه فالمراد الرفعة المطلقة الشاملة للرفعة الصوریة والمعنویة (والذین اوتوا العلم) ای ویرفع العلماء منهم خاصة فهو من عطف الخاص علی العام للدلالة علی علو شانهم وسمو مکانهم حتی کانهم جنس آخر (درجات) ای طبقات عالیة ومراتب مرتفعة بسبب ماجمعوا من العلم والعمل فان العلم لعلو درجته یقتضی للعمل المقرون به مزید رفعة لایدرک شاوه العمل العاری عنه وان کان فی غایة الصلاح ولذا یقتدی بالعالم فی افعاله ولا یقتدی بغیره فعلم من هذا التقریر انه لاشرکة

للمعطوف عليه فى الدرجات كما قال ابن عباس رضى الله عنهما تم الكلام عند قوله منكم و ينتصب الذين اوتوا العلم بفعل مضمر اى و يرفعهم درجات وانتصاب درجات اما على اسقاط الخافض اى الى درجات او على المصدرية اى رفع درجات فحذف المضاف اوعلى الحالية من الموصول اى ذوى درجات (والله بما تعملون) اى بعملكم اوبالذى تعملونه (خبير) عالم لا يخفى عليه شئ منه لاذاته جنسا اونوعا ولا كيفيته اخلاصا ونفاقا اورياء اوسمعة ولا كميته قلة اوكثرة فهو خبير بتفسحكم ونشزكم ونيتكم فيهما فلا تضيع عندالله وجعله بعضهم تهديدا لمن لم يمتثل بالامر اواستكرهه فلابد من التفسح والطاعة وطلب العلم الشريف و يعلم من الآية سر تقدم العالم على غيره فى المجالس والمحاضر لان الله تعالى قدمه واعلاه حيث جعل درجاته عالية وفى الحديث (فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) اى فضل العالم الباقى بالله على العابد الفانى فى الله كما فى التأويلات النجمية وقال فى عين المعانى المراد علم المكاشفة فى ماورد فضل العالم على العابد كفضلى على امتى اذ غيره وهو علم المعاملة تبع للعمل لشوبه شرط له اذ العمل انما يعتد به اذا كان مقرونا بالعلم المعاملة قال بعضهم المتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يقطع المسافة * علم چند آنكه بيشتر خوانى * چون عمل در تو نيست نادانى * وحيث يمدح العلم فالمراد به العلم المقرون بالعمل * رفعت آدمى بعلم بود * هر كه را علم بيش رفعت بيش * ضيعت هر كسى بدانش اوست * سازد افزون بعلم قيمت خويش (وقال بعضهم) مر ابتجر به معلوم كشت آخر حال * كه عزمرد بعلم است وازعلم بمال * وعن بعض الحكماء ليت شعرى اى شئ ادرك من فاته العلم واى شئ فات من ادرك العلم وكل علم لم يوطد بعمل فالى ذل يصير وعن الزهرى رضى الله عنه العلم ذكر فلا يحبه الا ذكور الرجال قال مقاتل اذا انتهى المؤمن الى باب الجنة يقال له لست بعالم ادخل الجنة بعملك ويقال للعالم قف على باب الجنة واشفع للناس وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال لان اعلم مسألة احب الى من ان اصلى مائة ركعة ولان اعلم مسألة احب الى من ان اصلى الف ركعة قال ابو هريرة وابو ذر رضى الله عنهما سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جاء الموت طالب العلم على هذه الحال مات وهو شهيد واعلم ان جميع الدرجات اما باعتبار تعدد اصحابها فان لكل عالم ربانى درجة عاليه اوباعتبار تعددها لقوله عليه السلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجة حضر الجواد المضمر سبعين سنة الحضر بضم الحاء المهملة ارتفاع الفرس فى عدوه والجواد الفرس السريع السير وتضمير الفرس ان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك فى اربعين يوما والمضمار الموضع يضمر فيه الخيل وغاية الفرس فى السباق (يا ايها الذين آمنوا) بالايمان الخالص (اذا ناجيتم الرسول) المناجاة باكسى راز گفتن اى اذا كالمتموه سرا فى بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه السلام ومكالمته سرا وبالفارسية چون خواهيد كه راز گويد بارسول وفى بعض التفاسير اذا كالمتموه سرا استفسارا لحال ما يرى لكم من الرؤيا ففيه ارشاد للمقتدين الى عرضها على المقتدى بهم ليعبرها لهم ومن ذلك عظم اعتبار الواقعات وتعبير هابين ارباب السلوك حتى قيل ان على المريد ان يعرض واقعته على شيخه سواء عبر الشيخ اولم يعبر فان الله تعالى قال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وهى من جملة الامانة عند المريد لابد ان يؤديها الى الشيخ لما فيها من فائدة جليلة له وقوة لسلوكه وفى التعبير اشارة قوى على ما قاله عليه السلام الرؤيا على ما اولت (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) اى فتصدقوا قبلها على المستحق كقول عمر رضى الله عنه افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته فهو مستعار ممن له يدان على سبيل التخييل فقوله نجواكم استعارة بالكناية وبين يدى تخييلية وفى بعض التفاسير اذا اردتم عرض رؤياكم عليه ليعبرها لكم فتصدقوا قبل ذلك بشئ ليكون ذلك قوة لكم ونفعا فى اموركم والآية نزلت حين اكثر الناس عليه السؤال حتى اسأموه واملوه فامرهم الله بتقديم الصدقة عند المناجاة فكف كثير من الناس اما الفقير فلعسرته واما الغنى فلشحه وفى هذا الامر تعظيم الرسول ونفع الفقراء والزجر عن الافراط فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب اوللوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى اشفقتم الآية وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا على ماهو شأن الناسخ واختلف فى مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ فقيل كان ساعة من النهار والظاهر انه عشرة ايام لما روى عن على رضى الله عنه انه قال ان فى كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلى

ولا يعمل بها احد بعدى كان لى دينار فصرفته وفى رواية فاشتريت به عشرة دراهم فكنت اذا ناجيته عليه السلام تصدقت بدرهم يعنى كنت اقدم بين يدى نجواى كل يوم درهما الى عشرة ايام واسأله خصلة من الخصال الحسنة كما قال الكلبى تصدق به فى عشر كلمات سألهن رسول الله عليه السلام وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدته وهى عشرة ايام فى بعض الروايات اما لعدم المحوج اليها او الاشفاق وعلى التقديرين لا يلزم مخالفة الامر وان كان للاشفاق وفى بعض التفاسير ولا يظن ظان ان عدم عمل غيره من الصحابة رضى الله عنهم بهذا لعدم الاقدام على التصدق كلا كيف ومن المشهور صدقة ابى بكر وعثمان رضى الله عنهما بالوف من الدراهم والدنانير مرة واحدة فهلا يقدم من هذا شأنه على تصدق دينار اودينارين وكذا غيرهما فلعله لم يقع حال اقتضت النجوى حينئذ وهذا لا ينافى الجلوس فى مجلسه المبارك والتكلم معه لمصلحة دينية اودنيوية بدون النجوى اذا لمناجاة تكلم خاص وعدم الخاص لا يقتضى عدم العام كما لا يخفى وعن على رضى الله عنه قال لما نزلت الآية دعانى رسول الله فقال ما تقول فى دينار قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت حبة اوشعيرة قال انك لزهيد اى رجل قليل المال لزهدك فيه فقدرت على حالك وما فى بالك من الشفقة على المؤمنين وقوله حبة اوشعيرة اى مقدارها من ذهب وعن ابن عمر رضى الله عنه كان لعلى رضى الله عنه ثلاث لو كانت لى واحدة منهن كانت احب الى من حمر النعم تزويجه فاطمة رضى الله عنها واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قوله حمر النعم بسكون ميم الحمر وهى من انفس اموال العرب يضربون بها المثل فى نفاسة الشئ وانه ليس هناك اعظم منه قال بعضهم ان رسم الشارات للملوك والرؤساء مأخوذ من ادب الله تعالى فى شأن رسوله حيث قال يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة (ذلك) التصدق (خير لكم) ايها المؤمنون من امساكه وبالفارسية بهترست مر شمارا زيرا كه طاعت بيفزايد (واطهر) لانفسكم من دنس الريبة ودرن البخل الناشئ من حب المال الذى هو من اعظم حب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبالفارسية وپاكيزه تر براى آنكه گناهان محو كند وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة بالتصدق والمعنى بالفارسية پس اگر نيابيد چيزى كه صدقه دهيد پس خداى تعالى آمرزنده است مر كسى را كه اين گناه كند مهربانست بنده را كه تكليف ما لا يطاق نفرمايد قال بعض اهل الاشارة ان الله تعالى ادب اهل الارادة بهذه الآية ان يناجوا شيوخهم فى تفسير الالهام واستفهام علم المكاشفة والاسرار الا بعد بذل وجودهم لهم والايمان بهم بشرط المحبة والارادة فان الصحبة بهذه الصفة خير لقلوبهم واطهر لنفوسهم فان ضعفوا عن بعض القيام بحقوقهم ومعهم الايمان والارادة وعلموا قصورهم فى الحقيقة فان الله تعالى يتجاوز عن ذلك التقصير وهو رحيم بهم يبلغهم الى درجة الاكابر (قال المولى الجامى) چه سودای شیخ هر ساعت فزون خر من طاعت * چو توانائی كه يك جو از وجود خويشتن كاهى (أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) الاشفاق الخوف من المكروه ومعنى الاستفهام التقرير كان بعضهم ترك المناجاة للاشفاق ولا مخالفة للامر وجمع صدقات لجمع المخاطبين قال فى بعض التفاسير افرد الصدقة اولا لكفاية شئ منها وجمع ثانيا نظرا الى كثرة المناجى والمناجى والمعنى اخفتم الفقر يا اهل الغنى من تقديم الصدقات فيكون المفعول محذوفا للاختصار وان تقدموا فى تقدير لان تقدموا او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر قال الشاعر

هون عليك ولا تولع باشفاق * فانما مالنا للوارث الباقى

(فاذ لم تفعلوا) ما امرتم به وشق عليكم ذلك وبالفارسية پس چون نكرديد اين كار را (وتاب الله عليكم) بأن رخص لكم فى ان لا تفعلوه واسقط عنكم تقديم الصدقة وذلك لانه لا وجه لحملها على قبول التوبة حقيقة اذ لم يقع منهم التقصير فى حق هذا الحكم بان وقعت المناجاة بلا تصدق وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قال مقام توبتهم واذ على بابها يعنى لظرفية والمضى بمعنى انكم تركتم ذلك فيما مضى وتجاوز الله عنكم بفضله فتداركوه بما تؤمرون به بعد هذا وقيل بمعنى اذا للمستقبل كما فى قوله اذا الاغلال فى اعناقهم او بمعنى ان الشرطية وهو قريب مما قبله الا ان ان يستعمل فيما يحتمل وقوعه واللاوقوعه (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) معطوف على قوله فاذ لم تفعلوا اى فاذ فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات

فتداركوه بالمواظبة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة المفروضة (واطيعوا الله ورسوله) فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجار لما وقع فى ذلك من التفريط وهو تعميم بعد التخصيص لتتميم النفع (والله خبير بما تعملون) عالم بالذى تعملونه من الاعمال الظاهرة والباطنة لايخفى عليه خافية فيجازيكم عليه فاعملوا ما امركم به ابتغاء لمرضاته لا الرياء وسمعة وتضرعوا اليه خوفا من عقوباته خصوصا بالجماعة يوم الجمعة ومن الادعية النبوية اللهم طهر قلبى من النفاق وعملى من الرياء ولسانى من الكذب وعينى من الخيانة انك تعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وفى تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر من بين العبادات المرادة بالامر بالاطاعة العامة اشارة الى علو شأنهما وانافة قدرهما فان الصلاة رئيس الاعمال البدنية جامعة لجميع انواع العبادات من القيام والركوع والسجود والقعود ومن التوعوذ والبسملة والقراءة والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة على النبى عليه السلام ومن الدعاء الذى هو مخ العبادة ومن ذلك سميت صلاة وهى الدعاء لغة فهى عبادة من عبد الله تعالى بها فهو محفوظ بعبادة العابدين من اهل السموات والارضين ومن تركها فهو محروم منها فطوبى لاهل الصلاة وويل لتاركها وان الزكاة هى ام الاعمال المالية بها يطهر القلب من دنس البخل والمال من خبث الحرمة فعلى هذا هى بمعنى الطهارة وبها ينمو المال فى الدنيا بنفسه لانه يمحق الله الربا ويربى الصدقات وفى الآخرة باجره لانه تعالى يضاعف لمن يشاء وفى الحديث) من تصدق بقدر تمرة من كسب حلال ولايقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل) فعلى هذا هى من الزكاء بمعنى النماء اى الزيادة وفى البستان * بدنيا توانى كه عقبى خرى * بخرجان من ورنه حسرت خورى * زرو نعمت آيدكسى رابكار * كه ديوار عقبى كندزرنكار * (الم تر) تعجيب من حال المنافقين الذين يتخذون اليهود اولياء وينا صحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين والخطاب للرسول عليه السلام اولكل من يسمع ويعقل وتعدية الرؤية بالى لكونها بمعنى النظر اى الم تنظر يعنى ايا مى نكرى (الى الذين تولوا) من التولى بمعنى الموالاة لا بمعنى الاعراض اى والوا يعنى دوست كرفتند (قوما غضب الله عليهم) وهم اليهود كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والغضب حركة للنفس مبدءها ارادة الانتقام وهو بالنسبة اليه تعالى نقيض الرضى اوارادة الانتقام اوتحقيق الوعيد اوالاخذ الاليم والبطش الشديد اوهتك الاستار والتعذيب بالنار اوتغيير النعمة (ماهم) اى الذين تولوا (منكم) فى الحقيقة (ولامنهم) اى من القوم المغضوب عليهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك فهم وان كانوا كفارا فى الواقع لكنهم ليسوا من اليهود حالا لعدم اعتقادهم بما اعتقدوا وعدم وفاءهم لهم وما الان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والجملة مستأنفة (ويحلفون على الكذب) الحلف العهد بين القوم والمحالفة المعاهدة والحلف اصله اليمين التى يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر به عن كل يمين اى يقولون والله انا لمسلمون فالكذب المحلوف عليه هو دعاء الاسلام وهو عطف على تولوا وادخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر مايقتضيه (وهم يعلمون) ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وهو الحلف على فعل اوترك ماض كاذبا عمدا سمى بالغموس لانه يغمس صاحبه فى الاثم ثم فى النار ولم يجعل حلفهم غموسا لان الغموس حلف على الماضى وحلفهم هذا على الحال والجملة حال من فاعل يحلفون مقيدة لكمال شناعة مافعلوا فان الحلف على مايعلم انه كذب فى غاية القبح وفى هذه التقييد دلالة على ان الكذب يعم مايعلم المخبر عدم مضايقته للواقع ومالا يعلمه فيكون حجة على النظام والجاحظ (وروى) انه عليه السلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق بتقديم النون على الباء الموحدة الجنفر وكان ازرق فقال له عليه السلام على م تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله مافعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فنزلت فالكذب المحلوف عليه على هذه الرواية هو عدم شتمهم (اعد الله لهم) بسبب ذلك (عذابا شديدا) دردنيا بخوارى ورسوايى ودر آخرت بآتش دوزخ والمراد نوع من العذاب عظيم فالتنوعية مستفادة من تنكير عذابا والعظيم من توصيفه بالشدة (انهم ساء ماكانوا يعملون) اى تمرنوا عليه واصروا وتمرنهم اى اعتيادهم واستمرارهم على مثل ماعملوه فى الحال من العمل السوء مستفاد من كان الدالة على الزمان الماضى اى العمل السيء دأبهم (اتخذوا ايمانهم) الفاجرة التى يحلفون بها عند الحاجة واليمين فى الحلف

مستعارا من اليد اعتبارا بما يفعله الحالف والمعاهد عنده (جنة) وهى الترس الذى يجن صاحبه اى يستره والمعنى وقاية وسترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم ونهب اموالهم يعنى بناهى كه خون ومال ايشان درامان ماند فالاتخاذ عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لاعن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤآخذة المسببة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لابد ان يكون قبل المؤآخذة وعن سببها ايضا كما تعرب عنه الفاء فى قوله (فصدوا) اى منعوا الناس وصرفوهم (عن سبيل الله) اى عن دينه فى خلال امنهم وسلامتهم وتثبيط من لقوا عن الدخول فى الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم (فلهم) بسبب كفرهم وصدهم (عذاب مهين) مخزبين اهل المحشر وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله) اى من عذابه تعالى (شيأ) قليلا من الاغناء يقال اغنى عنه كذا اذا كفاه يعنى انهم يحلفون كاذبين للوقاية المذكورة ولاتنفعهم اذا دخلوا النار اموالهم ولا اولادهم التى صانوها واقتخروا بها فى الدنيا او يقولون ان كان ما يقول محمد حقا لتدفعن العذاب عن انفسنا بأموالنا واولادنا فأكذبهم الله بهذه الآية فان يوم القيامة يوم لاينفع فيه مال ولابنون ولايكفى احد احدا فى شأن من الشؤون (اولئك) الموصوفون بماذكر من الصفات القبيحة قال فى رهان القرآن بغيروا وموا فقة للجمل التى قبلها واقوله اولئك حزب الله (اصحاب النار) اى ملازموها ومقارنوها ومالكوها لكونها حاصلهم وكسبهم الذى اكتسبوه فى الدنيا بالسيئة المردية المؤدية الى التعذيب (هم فيها خالدون) لايخرجون منها ابدا وضميرهم لتقوية الاسناد ورعاية الفاصلة لالللحصر لخلود غيرالمنافقين فيها من الكفار (يوم يبعثهم الله جميعا) يادكن روزى راكه برانكيزد خداى تعالى همه منافقان ازقبور وزنده كندپس ازمرك وجميعا حال من ضمير المفعول بمعنى مجموعين (فيحلفون) فى ذلك اليوم وهو يوم القيامة (له) اى لله تعالى على انهم مسلمون مخلصون كما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون) فى الآخرة مصدره الحسبان وهو ان يحكم لاحد النقيضين من غير ان يخطر الآخر بباله فيحسبه ويعتقد عليه الاصبع ويكون بعرض ان يعتريه فيه شك ويقاربه الظن لكن الظن ان يخطر النقيضين بباله فيغلب احدهما الآخر (انهم) بتلك الأيمان الكاذبة (على شئ) من جلب منفعة اودفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن انفسهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية (الا انهم هم الكاذبون) المبالغون فى الكذب الى غاية لامطمح ورآءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين والاحرف تنبيه والمراد التنبيه على توغلهم فى النفاق وتعودهم به بحيث لاينفكون عنه موتا ولاحياة ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبو (استحوذ عليهم الشيطان) من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وسقتها سوقا عنيفا اى استولى عليهم الشيطان وملكهم لطاعتهم له فى كل مايريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اى على خلاف القياس فان القياس ان يقال استحاذ فهو فصيح استعمالا وشاذ قياسا (وحكى) ان عمر رضى الله عنه قرأ استحاذ (فانساهم ذكر الله) المصدر مضاف الى المفعول اى كان سببا بالاستيلاء لنسيانه تعالى فلم يذكروه بقلوبهم ولابألسنتهم (اولئك) المنافقون الموصوفون بماذكر من القبائح (حزب الشيطان) اى جنوده واتباعه الداعون فيما امرهم به والحزب الفريق الذى يجمعه مذهب واحد (الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) اى الموصوفون بالخسران الذى لاغاية ورآءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذ وابدله العذاب الأليم قال بعض المشايخ بوأه الله الدرجات الشواهد علامة استحواذ الشيطان على العبد ان يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمه عليه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب واللغو والغيبة والبهتان وسمعه عن الحق بسماع اللهو والهذيان قال بعض اهل الاشارة اذا اراد الشيطان ان ينبت فى سبخة ارض النفس الامارة حنظل الشهوة يثب اليها ويغريها على انفاذ مرادها فتكون النفس مركبه فيهجم الى بلد القلب ويخربه بأن يدخل فيه ظلمة الطبيعة فلا ترى عين القلب مسلك الذكر وصفائه فلما احتجب عن الذكر صار وطن ابليس وجنوده وغلب الملعون عليه وهذا يكون

بارادة الله تعالى وسببه استحواذ غرور الملعون وتزيينه بان يلبس امر الدين بامر الدنيا ويغويه من طريق العلم فاذا لم يعرف دقائقه صار قرينة الشيطان دون الملك والرحمن اذ لا يجتمع الحق مع الباطل * نظر دوست نادر كند سوى تو * چودر روى دشمن بود روى تو * ندانى كه كمتر نهد دوست پاى * چو بيند كه دشمن بود درسراى (ان الذين يحادون الله ورسوله) اى يعادونهما ويخالفون امرهما ويتعدون حدودهما ويفعلون معهما فعل من ينازع آخر فى ارض فيغلب على طائفة منها فيجعل لها حدا لا يتعداه خصمه ولما كانوا لا يفعلون ذلك الا لكثرة اعوانهم واتباعهم فيظن من رآهم انهم الاعزاء الذين لا احد اعز منهم قال تعالى نفيا لهذا الغرور الظاهر (اولئك) الابعدوا الاسافل بما فعلوا من المحادة (فى الاذلين) اى فى جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لا ترى احدا اذل منهم لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك وذلك بالسبى والقتل فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة سواء كانوا فارس والروم او اعظم منهم سوقة كانوا او ملوكا كفرة كانوا او فسقة (كتب الله) استئناف وارد لتعليل كونهم فى الاذلين اى قضى واثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به (لاغلبن انا ورسلى) اكده لما لهم من ظن الغلبة بالكثرة والقوة والمراد الغلبة بالحجة والسيف او باحدهما والغلبة بالحجة ثابتة لجميع الرسل لانهم الفائزون بالعاقبة الحميدة فى الدنيا والآخرة واما الغلبة بالسيف فهى ليست بثابتة للجميع لان منهم من لم يؤمر بالحرب قال الزجاج غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة واذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة بالسيف كان اقوى * محالست چون دوست دارد ترا * كه در دست دشمن گذارد ترا * وعن مقاتل انه قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله تعالى على فارس والروم فقال رئيس المنافقين عبد الله بن ابى بن سلول اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان تظنوا فيهم ذلك فنزل قوله تعالى كتب الله الآية قال البقلى رحمه الله كتب الله على نفسه فى الازل ان ينصر اولياءه على اعدائه من شياطين الظاهر والباطن ويعطيهم رايات نصرة الولاية فحيث تبدو رايانهم التى هى سطوع نور هيبة الحق من وجوههم صار الاعداء مغلوبين بتأييد الله ونصرته قال ابو بكر بن طاهر رحمه الله اهل الحق لهم الغلبة ابدا ورايات الحق تسبق رايات غيره جميعا لان الله تعالى جعلهم اعلاما فى خلقه واوتادا فى ارضه ومفزعا لعباده وعمارة لبلاده فمن قصدهم بسوء كبه الله لوجهه واذله فى ظاهر عزه (ان الله) تعليل للقهر والغلبة اكده لان افعالهم مع اوليائه افعال من يظن ضعفه (قوى) على نصر انبيائه قال بعضهم القوى هو الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله ولا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز فى نقض ولا ابرام والقوة فى الاصل عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف ويراد بها القدرة بالنسبة الى الله تعالى (عزيز) لا يغلب عليه فى مراده * حكمى كه آن زبار كه كبريا بود * كس راد ران مجال تصرف نجاود * فان قلت فاذا كان الله قويا عزيزا غير عاجز فما وجه انهزام المسلمين فى بعض الاحيان وقد وعد النصرة قلت ان النصرة والغلبة منصب شريف فلا يليق بالكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين لانه لو شدد المحنة على الكفار فى جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين فى جميع الاوقات لحصل العلم الضرورى بأن الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على اهل الايمان واخرى على اهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر فى الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله ولان المؤمن قد يقدم على بعض المعاصى فيكون تشديد المحنة عليه فى الدنيا تمحيصا لذنوبه وتطهيرا لقلبه واما تشديد المحنة على الكافر فهو من قبيل الغضب الا ترى ان الطاعون مثلا رحمة للمؤمنين ورجز للكافرين ومامن سابق عدل الا له لاحق فضل ولا سابق فضل الا له لاحق عدل غير ان ارى العدل والفضل قد يتعلقان بالبواطن خاصة وقد يتعلق احدهما بالظاهر والآخر بالباطن وقد يكون اختلاف تعلقهما فى حالة واحدة وقد يكون على البدل وعلى قدر تعلق الاثر السابق يكون تعلق الاثر اللاحق وقد اجرى الله سبحانه آثار عدله على ظواهر اصفيائه دون بواطنهم ثم عقب ذلك باراد آثار فضله على بواطنهم وظواهرهم حتى صار من قاعدة

الحكمة الالهية تفويض ممالك الارض للمستضعفين فيها كالنجاشي حيث بيع في صغره وذلك كثير موجود بالاستقراء فكان تربية الحكيم لمن يريد اعلاء شأنهم ان يجري على ظاهرهم من آثار العدل ما فيه تكميل لهم وتنوير لمداركهم وتطهير لوجودهم وتهذيب وتأديب الى غير ذلك من فوائد التربية ومن تتبع احوال الاكابر من آدم عليه السلام وهلم جرا رأى من احسن بلاء الله ما يشهد لما قرر بالصحة والمبتلى به يصبر على ذلك بل يتلذذ كما هو شأن الكبار * هر چه از دست توآيد خوش بود * كرهيمه در ياى پر آتش بود * وفي الآية اشارة الى اعداء النفوس الكافرة فانها تحمل القلوب والارواح على مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة وتحو الذكر من الواحها بغلبة محبة الدنيا وشهواتها لكن الله تعالى ينصرها ويؤيدها حتى تغلب على النفوس الكافرة بسطوات الذكر فيحصل لها غاية الذلة كاهل الذمة في بلدة المسلمين وذلك لان الله تعالى كتب في صحائف الاستعدادات غلبتها على النفوس وذلك من باب الفضل والكرم (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) الخطاب للنبي عليه السلام اولكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى (يوادون من حاد الله ورسوله) مفعوله الثاني اوالى واحد بان كان بمعنى صادف فهو حال من مفعوله لتخصيصه بالصفة وهو يؤمنون والموادة المحابة مفاعلة من المودة بمعنى المحبة وهي حالة تكون في القلب اولا و يظهر آثارها في القالب ثانيا والمراد بمن حاد الله ورسوله المنافقون واليهود والفساق والظلمة والمبتدعة والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد وجعل ما لا ينبغي وجوده غير موجود لشركته في فقد الخير و يجوز ان يقال لا تجد قوما كاملي الايمان على ما يدل عليه سياق النظم فعدم الوجدان على حقيقته قال في كشف الاسرار اخبر ان الايمان يفسد بموادة الكفار وكذا بموادة من في حكمهم وعن سهل بن عبد الله التستري قدس سره من صحح ايمانه واخلص توحيده فانه لا يأنس الى مبتدع ولا يجالسه ولا يؤاكله ولا يشاربه ولا يصاحبه و يظهر من نفسه العداوة والبغضاء ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن تحبب الى مبتدع لطلب عز في الدنيا اوعرض منها اذله الله بتلك العزة وافقره الله بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب واما المعاملة للمبايعة العادية او للمجاورة او للمرافقة بحيث لا تضر بالدين فليست بمحرمة بل قد تكون مستحبة في مواضعها قال ابن الشيخ المعنى لا يجتمع الايمان مع وداده اعداء الله فان قيل اجمعت الامة على ان يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه الموادة المحرمة فالجواب ان الموادة المحرمة هي ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه كافرا وما سوى ذلك جائز (روى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحى الي لا تجد قوما الخ فعلم منه ان الفساق واهل الظلم داخلون فيمن حاد الله ورسوله اي خالفهما وعاداهما واستدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وتركه مجالستهم وهم القائلون بنفي كون الخير والشر كله بتقدير الله ومشيئته يعني هم الذين يزعمون ان كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله وسموا بذلك لمبالغتهم في نفيه وكثرة مدافعتهم اياه وقيل لاثباتهم للعبد قدرة الايجاد وليس بشيء لان المناسب حينئذ القدري بضم القاف (ولو كانوا) اي من حاد الله و رسوله و بالفارسية واگرچه باشند از مخالفان خدا و رسول والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها (آباءهم) اي آباء الموادين (او ابناءهم) قدم الاقدم حرمة ثم الاحكم محبة (او اخوانهم) نسبا (او عشيرتهم) العشيرة اهل الرجل الذين يتكثر بهم اي يصيرون بمنزلة العدد الكامل وذلك ان العشرة هو العدد الكامل فصار العشيرة لكل جماعة من اقارب الرجل يتكثر بهم والعشير المعاشر قريبا اومعارفا وفي القاموس عشيرة الرجل بنو ابيه الادنون او قبيلته انتهى يعني ان المؤمنين المتصلبين في الدين لا يوالون هؤلاء الاقرباء بعد ان كانوا محادين الله ورسوله فكيف بغيرهم فان قضية الايمان بالله ان يهجر الجميع بالكلية بل ان يقتلهم و يقصدهم بالسوء كما روى ان اباعبيدة قتل اباه الجراح يوم بدر وان عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول جلس الى جنب رسول الله عليه السلام فشرب رسول الله الماء فقال عبد الله رضي الله عنه يارسول الله ابق فضلة من شرابك قال فاتصنع بها فقال اسقيها ابي لعل الله يطهر قلبه ففعل فأتاها اباه فقال ماهذا قال فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشر بها لعل الله يطهر قلبك فقال له ابوه هلا جئتني ببول امك فرجع الى النبي عليه السلام فقال يارسول الله ائذن لي في قتل ابي

فقال عليه السلام بل ترفق به وتحسن اليه وان اباقحافة قبل ان اسلم سب النبي عليه السلام فصكه ابو بكر رضي الله عنه صكة اي ضربه ضربة سقط منها فقال عليه السلام اوفعلته قال نعم قال فلا تعد اليه قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته قال في التكملة في هذه الرواية نظر لان هذه السورة مدنية وابو بكر مع ابيه الآن بمكة انتهى * يقول الفقير لعله على قول من قال ان العشر الاول من هذه السورة مدني والباقي مكي وان ابابكر رضي الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى البراز يوم بدر فأمره عليه السلام ان يقعد قال يارسول الله دعني اكن في الرعلة الاولى وهي القطعة من الفرسان فقال عليه السلام متعنا بنفسك يا ابابكر اما تعلم انك بمنزلة سمعي و بصري يقول الفقير يعلم منه فضل ابي بكر على علي رضي الله عنهما فان هذا فوق قوله عليه السلام لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى فتفطن لذلك وان مصعبا رضي الله عنه قتل اخاه عبيد بن عمير بأحد وان عمر رضي الله عنه قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وان عليا وحمزة وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وكانوا من عشيرتهم وقراباتهم وكل ذلك من باب الغيرة والصلابة كما قال عليه السلام الغيرة من الايمان والمنة من النفاق ومن لاغيرة له لادين له (وروى) عن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان ففيه زجر عن مصاحبتهم وعن عبد العزيز بن ابي دؤاد انه لقيه المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وفي الحديث (من مشى خلف ظالم سبع خطوات فقد اجرم) وقد قال الله تعالى انا من المجرمين منتقمون (اولئك) اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم واسبهم رحما (كتب) الله سبحانه (في قلوبهم الايمان) اي اثبته فيها وهو الايمان الوهبي الذي وهبه الله لهم قبل خلق الاصلاب والارحام اذ لا يزال بحال ابدا كالايمان المستعار وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان الجزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولاشيء من الاعمال الجوارح يثبت فيه وهو جه ظاهرة على القديم حيث زعموا ان الايمان والكفر يستقل بعملهما العبد (وايدهم) اي قواهم واصله قوى يدهم (بروح منه) اي من عند الله فمن لابتداء الغاية وهو نور القرآن او النصر على العدو او نور القلب وهو بادراك حقيقة الحال والرغبة في الارتقاء الى المدارج الرفيعة الروحانية والخلاص من درك عالم الطبيعة الدنية وكل ذلك سمي روحا لكونه سببا للحياة قال سهل رحمه الله حياة الروح بالتأييد وحياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكر وحياة الذكر بالذاكر وحياة الذاكر بالمذكور (ويدخلهم) في الآخرة (جنات تجري من تحتها) اي من تحت اشجارها او قصورها (الانهار) الاربعة يعني جويها از اب وشير وخمر وعسل (خالدين فيها) ابدا الآباد لا يقرب منهم زوال ولا موت ولا مرض ولا فقر كما قال عليه السلام ينادي منادٍ ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا ابدا (رضي الله عنهم) خشنود شد خداى از ايشان بطاعتى كه در دنيا كردند وفي الارشاد استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة والرضى ترك السخط (ورضوا عنه) وخشنود شدند ايشان از خداى بكرامتى كه وعده كرده ايشانرا در عقبى وفي الارشاد بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا (اولئك حزب الله) تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل اي جنده وانصاره دينه قال سهل رضي الله عنه الحزب الشيعة وهم الابدال وارفع منهم الصديقون (الا ان حزب الله هم المفلحون) الناجون من المكروه والفائزون بالمحبوب دون غيرهم المقابلين لهم من حزب الشيطان المخصوصين بالخذلان والخسران وهو بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين وخير الدارين وقال بعض اهل الاشارة حزب الله اهل معرفته ومحبته واهل توحيده هم الفائزون بنصرة الله من مهالك القهريات ومصارع الامتحانات وجدوا الله بالله اذا ظهر واحد منهم ينهزم المبطلون ويتفرق المغالطون لان الله تعالى اسبل على وجوههم نور هيبته واعطى لهم اعلام عظمته يفر منهم الاسود و يخضع لهم الشامخات كلأهم الله بحسن رعايته ونورهم بسنا قدرته ورفع لهم اذكارهم في العالمين وعظم اقدارهم وكتم اسرارهم وامام ثعلبي از جرجاني كه او از مشايخ خود شنيده كه داود عليه السلام از حق تعالى پرسيد كه حزب تو كيست خطاب آمد از حضرت عزت كه الغاضة ابصارهم والسليمة اكفهم والنقية قلوبهم اولئك حزبي وحول عرشي هر كه چشم او از محارم فرو بسته بود ودست او از آزار خلق واخذ حرام كوتاه باشد ودل خود از ماسوى پاكيزه كرده اذ جمله حزب حضرت الله است

ودرين باب گفته اند * ازهر چه نارواست بروديد هابنـد * وزهر چه ناپسند بود دست بازدار *
لوح دل ازنقش بار تعلق بشوى پاك * تا باشد ت بحلقـهٔ اهل قلوب بار * وفى الآية اشارة الى ابوة الروح بالنسبة الى السر والخفى والقلب والنفس والهوى وصفاتها لولادة الكل عن مادة ازدواج الروح مع القلب والى نبوة الكل الى الروح والى اخوة السر مع النفس واخوة القلب مـع الهوى وعشـيرة صفاتهما مع الخفى لكون الكل من واد واحد واصل متحد هوالروح فمن قطـع ارتبـاط التعلق مع النفس والهوى وصفاتهما الظلمانية الشيطانية بالتوجه الكلى الروحى والسرى والقلبى والخفى الى الحضرة الالهية فهم الذين كتب الله فى الواح قلوبهم وصفاح اسرارهم الايمـان الحقيقى الشهودى العيـانى وايدهم بروح الشهود الكلى الجمعى الجامع بين شهود الوحدة الذاتية الحقيقية وبين شهود الكـثرة الاسمائية النسبية والجمع بين الشهودين دفعة واحدة من غير تخلل بينهما ومن غير احتجـاب احدهمـا عن الآخر ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار مياه التجليات الذاتية والصفاتية والاسمـائية المشتملة على العـلوم والمعارف والحقائق والحكـم على الدوام والاستمرار رضى الله عنهم بفنائهم عن الناسوتية ورضوا عنه ببقـائهم بلاهوتيته اولئك حزب الله اى مظاهر ذاته وصفاته واسمائه الاان حزب الله هم المفلحون لقيامهم بقيومية الحق تعالى واعلم انه كان الدنيـا والآخرة يومان متعاقبان متلاصقان فمن ذلك يعبر عن الدنيا باليوم وعن الآخرة بغد ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولاتكونوا من ابنـاء الدنيا فانكم اليوم فى دار العمل ولاحساب وانتم غدا فى دار الآخرة ولاعمل ونعيم الدنيـا منقطع دون نعيم الآخرة ثم ان هذا شأن الابرار واما المقربون فهم اهل الله لااهل الدارين ونعيمهم ماذكر من التجليات فهم حزب الله حقيقة لكمال نصرتهم فى الدين ظاهرا وباطنا

تمت سورة المجادلة بعون الله تعالى فى اواخر جمادى الاولى من شهور سنة خمس عشرة ومائة والف

---

* (سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون) *

---

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(سبح لله مافى السموات ومافى الارض) التسبيح تبعيد الله عن السوء وتطهيره عما لايليق بشأن الوهيته ويكون بالجنان واللسـان والحال والاول اعتقاد العبد بتعاليه عمـا لايليق بالالوهية وذلك لان من معانى التفعـيل الاعتقاد بشئ والحكم به مثل التوحيد والتمجيد والتعظيم بمعنى الاعتقاد بالوحدة والمجد والعظمة والحكم بها وعلى هذا المعنى مثل التكفير والتضليل ومثل التجويز والترجيح والثانى القول بمـا يدل على تعاليه مثل التكبير والتهليل والتأمين بمعنى ان يقول الله اكبر ولااله الاالله وآمين وهوالمشهور عندالناس والثالث دلالة المصنوعات على ان صانعها متصف بنعوت الجلال متقدس عن الامـكان ومايتبعه والمفسرون فسروا مافى القرآن من امثال الآية الكريمة على كل من الثانى والثالث ليعم تسبيح الكل كذا فى بعض التفاسير وجمهور المحققين على ان هذا التسبيح تسبيح بلسان العبـارة والاشارة لابلسـان الاشارة فقط فجميع الموجودات من العقـلاء وغيرهم سبحه تعالى يعنى تسبيح ميكوبد كه وبه پاكى مستأنس ميكند مرخدايرا كه مستحق ثناست كما سـبق تحقيقه فى اول سورة الحـديد وفى مواضع آخر من القرآن * بذكرش هرچـه بينى در خروش است * دلى دانددرين معنى كه كوش است * نه بلبل بركاش تسبيح خوانست * كه هرخارى به توحيـدش زبانست * وفى الحديث (انى لاعرف حجرا بمكة كان سلم على قبل ان أبعث انى لاعرفه الآن) وعن ابن مسعود رضى الله عنه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل على ان شهادة الجوارح والجلود مما نطق به القرآن الكريم وقال مجاهـد كل الاشياء تسبح لله حيا كان اوجمادا وتسبيحهـا سبحان الله وبحمده وهـذا على الاطلاق واما بالنسبة الى كل موجود فالتسابيح مختلفة فلكل موجود تسبيح مخصوص به من حيث ما يقتضيه نشأته كما قال بعض الكبار فاذا رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بالذكر الذى انت عليـه فكشفك خيـالى غير صحيح لاحقيقى وانما ذلك خيالك اقيم لك فى الموجودات فاذا شهدت فى هؤلاء تنوعات الاذكار فهو الكشف الصحيح انتهى (وهوالعزيز) ذوالعزة القاهرة (الحكيم) ذوالحكمة الباهرة وفى ايراد الوصفين بعد التسبيح اشارة الى الباعث له والداعى اليه لان العزة اثر الجـلال والحكـمة أثر الجمـال فله الاتصاف بصفات الكمال وفى التـأويلات النجمية سبح لله مافى سموات العقول عن معقولاتهم المقتنصة بشبكة الفكر بطريق ترتيب

المقدمات وتركيب القياسات واقامة البراهين القطعية والادلة الفكرية لعدم جدواها فى تحصيل المطلوب فان ذاته منزهة عن التنزيهات العقلية المؤدية الى التعطيل ومافى سموات النفوس من التشبيه بل ذاته المطلقة جامعة للتنزيه العقلى والتشبيه النفسى كما قال ليس كمثله شئ وهو التنزيه وهو السميع البصير وهو التشبيه فجمعت ذاته المطلقة باحدية الجمعية بين التنزيه والتشبيه دفعة واحدة بحيث يكون التنزيه عين التشبيه والتشبيه عين التنزيه كما قال العارف المحقق قدس سره (فان قلت بالامرين كنت مسددا * وكنت اماما فى المعارف سيدا) فان التنزيه نتيجة اسمه الباطن والتشبيه نتيجة اسمه الظاهر فافهم جدا وهو العزيز المنيع جنابه ان ينزه من غير التشبيه الحكيم الذى تقتضى حكمته ان لا يشبه من غير التنزيه (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بنى النضير كما مر وهم رهط من اليهود من ذرية هرون اخى موسى عليه السلام قال السهيلى رحمه الله ونسبتهم الى هرون صحيحة لان النبى عليه السلام قال لصفية رضى الله عنها بنت حيى بن اخطب سيد بنى النضير وقد وجدها تبكى لكلام قيل لها ابوك هرون وعمك موسى وبعلك محمد عليهم السلام والحديث معروف مشهور وفى بعض الكتب من اولاد الكاهن بن هرون ونزلوا قريبا من المدينة فى فتن بنى اسرائيل انتظار البعثة النبى عليه السلام وكان يقال لهم ولبنى قريظة الكاهنان لانهم من اولاده ايضا وكان بنو النضير وقريظة وبنو قينقاع فى وسط ارض العرب من الحجاز وان كانوا يهودا والسبب فى ذلك ان بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العمالق فى ارض الحجاز وكانت منازلهم بيثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك الى موسى عليه السلام فوجه اليهم جيشا وامرهم ان يقتلوهم ولا يبقوا منهم احدا ففعلوا ذلك وترك منهم ابن ملك لهم كان غلاما حسنا فرقوا له ثم رجعوا الى الشام وموسى قدمات فقالت بنو اسرائيل قد عصيتم وخالفتم فلا تؤوبكم فقالوا نرجع الى البلاد التى غلبنا عليها ونكون بها فرجعوا الى يثرب فاستوطنوها وتناسلوا بها الى ان نزل عليهم الاوس والخزرج بعد سيل العرم فكانوا معهم الى الاسلام فلما هاجر عليه السلام عاهد بنى النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام اى غلب يوم بدر قالوا فيما بينهم النبى الذى نعته فى التورية لا ترد له راية يعنى نتوان بود كه كسى بروى ظفر يابد يار ايت اقبال وى كسى بيفكند فلما كان يوم احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام وعاهدوا على الاضرار به ناقضين العهد كعب اشرف باقوم خود بمدينه باز آمد وجبريل امين رسول را خبر داد ازان عهد وپيمان كه درميان ايشان رفت فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصارى بفتح الميم وكان اخا كعب من الرضاعة فقتل كعبا غيلة بالكسر اى خديعة فان الغيلة ان يخدعه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله وذلك انه اتاه ليلا فاستخرجه من بيته بقوله انى اتيتك لاستقرض منك شيأ من التمر فخرج اليه فقتله ورجع الى النبى عليه السلام واخبره ففرح به لانه اضعف قلوبهم وسلب قوتهم وفى بعض الاخبار انه عليه السلام ذهب الى بنى النضير لاستعانة فى دية فى نفر من اصحابه اى دون العشرة فيهم ابو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم فقالوا له نعم يا ابا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان عليه السلام جالسا الى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فهل من رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه فقال احد سادا تهم وهو عمرو بن جحاش انا لذلك فقال لهم احد سادا تهم وهو سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه فلما صعد الرجل ليلقى الصخرة اتى رسول الله الخبر من السماء بما اراد القوم فقام عليه السلام مظهرا انه يقضى حاجته وترك اصحابه فى مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من كان معه من اصحابه فقاموا فى طلبه لما استبطأوه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه فقال رأيته داخل المدينة فاقبل اصحابه حتى انتهوا اليه فاخبرهم بما ارادت بنو النضير فندم اليهود وقالوا قد اخبر بامرنا فارسل عليه السلام اليهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه ان اخرجوا من بلدى اى لان قريتهم زاهرة كانت من اعمال المدينة فلا تساكنونى بها فلقد هممتم بما هممتم من الغدر فسكتوا ولم يقولوا حرفا فارسل اليهم المنافقون ان اقيموا فى حصونكم فانا معكم فارسلوا الى رسول الله انا لا نخرج من ديارنا فافعل ما بدا لك وكان المتولى امر ذلك سيد بنى النضير حيى بن اخطب والد صفية ام المؤمنين فاغتر بقول المنافقين فسار رسول الله عليه السلام مع المؤمنين وهو على حمار مخطوم بليف وحمل رأيته على

رضى الله عنه حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون النبل والحجارة وزربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي عليه السلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله فى قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم الا السلاح بس ششصد شتر بار خودرا برآراستند واظهار جلادت نموده دفعهاميزدند وسرور كويان ازبازار مدينه كذشتند فجاؤا الشأم الى اريحا من فلسطين والى اذرعات من دمشق الا اهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة وهى بالكسرة بلد بقرب الكوفة ولم يسلم من بنى النضير الا رجلان احدهما سفيان بن عمير بن وهب والثانى سعد بن وهب اسلما على اموالهم فأحرزاها فأنزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير قال محمد جلاء بنى النضير كان مرجع النبى عليه السلام من احد سنة ثلاث من الهجرة وكان فتح بنى قريظة مرجعه من الاحزاب فى سنة خمس من الهجرة وبينهما سنتان وفى انسان العيون كانت غزوة بنى النضير فى ربيع الاول من السنة الرابعة والجلاء بالفتح الخروج من البلد والتفرق منه يقال اجليت القوم عن منازلهم وجلوتهم فاجلوا عنها وجلوا اى ابرزتهم عنها فان اصل الجلو الكشف الظاهر ومنه الطريقة الجلوتية بالجيم فانها الجلاء والظهور بالصفات الالهية كما عرف فى محله والجلاء اخص من الخروج لانه لا يقال الجلاء الا لخروج الجماعة اولاخراجهم والخروج والاخراج يكون للجماعة والواحد وقيل فى الفرق بينهما ان الجلاء كان مع الاهل والولد بخلاف الخروج فانه لا يستلزم ذلك قال العلماء مصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شئ لا يجوز الآن وانما كان ذلك فى اول الاسلام ثم نسخ والآن لا بد من قتالهم اوسبيهم اوضرب الجزية عليهم (هو الذى) اوست خداوندى كه ازروى اذلال (اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) بيان لبعض آثار عزته واحكام حكمته اى امر باخراج اهل التوراة يعنى بنى النضير (من ديارهم) جمع دار والفرق بين الدار والبيت ان الدار داروان زالت حوائطها والبيت ليس ببيت بعد ما انهدم لان البيت اسم مبنى مسقف مدخله من جانب واحد بنى للبيتوتة سواء كان حيطانه اربعة اوثلاثة وهذا المعنى موجود فى الصفة الا ان مدخلها واسع فيتنا ولها اسم البيت والبيوت بالمسكن اسم اخص والابيات بالشعر كما فى المفردات (لاول الحشر) اللام تتعلق باخرج وهى للتوقيت اى عند اول حشرهم الى الشأم وفى كشف الاسرار اللام لام العلة اى اخرجوا ليكون حشرهم الى الشام اول الحشر والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط اذ كان انتقالهم من بلاد الشام الى جانب المدينة عن اختيار منهم وهم اول من اخرج به من جزيرة العرب الى الشأم فعلى هذا الوجه ليس الاول مقابلا للآخر وسميت جزيرة لانه احاط بها بحر الحبشة و بحر فارس ودجلة والفرات قال الخليل بن احمد مبدأ الجزيرة من حفر ابى موسى الى اليمن فى الطول ومن رمل يبرين وهو موضع بحذاء الاحساء الى منقطع السماوة فى العرض والسماوة بالفتح موضع بين الكوفة والشام اوهذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى الشأم وذلك حين بلغه الخبر عن النبى عليه السلام لا يبقين دينان فى جزيرة العرب وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشأم (ما ظننتم) ايها المسلمون (ان يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعددهم (وظنوا) اى هؤلاء الكافرون ظنا قويا هو بمرتبة اليقين فانه لا يقع الا بعد فعل اليقين اومنزل منزلته (انهم مانعتهم حصونهم من الله) الحصون جمع حصن بالكسر وهو كل موضع حصين لا يوصل الى جوفه والقلعة الحصن الممتنع على الجبل فالاول اعم من الثانى وتحصن اذا اتخذ الحصن مسكنا ثم تجوز به فقيل درع حصينة لكونها حصنا للبدن وفرس حصان لكونه حصنا لراكبه والمعنى ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وقهره وقدم الخبر واسند الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى بسببها فتقديم المسند يفيد قصر المسند اليه على المسند فان معنى قائم زيد ان زيدا مقصور على القيام لا يتجاوزه الى القعود وكذا معنى الآية ان حصونهم ليس لها صفة غير المانعية و يجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ فان قيل ما المانع من جعل مانعتهم مبتدأ وحصونهم خبرا فان كليهما معرفة قلت كون مانعتهم نكرة لان اضافتها غير مخصصة وان القصد الى الاخبار عن الحصون (فأتاهم الله)

اى امر الله وقدره المقدور لهم (من حيث لم يحتسبوا) ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة فقذف فيها من الرعب والفاء اما للتعقيب اشارة الى ان البأس لم يكن متراخيا عن ظنهم او للسبب اشارة الى انهم انما اخذوا بسبب اعجابهم بأنفسهم وقطعهم النظر الى قدرة الله وقوته (وقذف فى قلوبهم الرعب) القذف الرمى البعيد والمراد هنا الالقاء قال فى الكشاف قذف الرعب اثباته وركزه ومنه قالوا فى صفة الاسد مقذف لما ان قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه والرعب الانقطاع من امتلاء الخوف وتصور الامتلاء منه قيل رعبت الحوض اى ملأته وباعتبار القطع قيل رعبت السنام اى قطعته قال بعضهم الرعب خوف يملأ القلب فيغير العقل ويعجز النفس ويشوش الرأى ويفرق التدبير ويضر البدن والمعنى اثبت فيها الخوف الذى يرعبها ويملأها لان المعتبر هو الثابت وما هو سريع الزوال فهو كغير الواقع وقال بعضهم فلا يلزم التكرار لان الرعب الذى اشتمله قوله فأتاهم الله هو اصل الرعب وفرق بين حصول اصله وبين ثباته ودلت الآية على ان وقوع ذلك الرعب صار سببا فى اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متأكدة فى القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله فكانت الافعال باسرها مستندة الى الله بهذا الطريق كذا فى اللباب (يخربون بيوتهم بايديهم) الجملة استئناف لبيان حالهم عند الرعب اى يخربونها بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين وليتنقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل والاخراب والتخريب واحد يقال خرب المكان خرابا وهو ضد العمارة وقد اخربه وخربه اى افسده بالنقض والهدم غيران فى التشديد مبالغة من حيث التكثير لكثرة البيوت وهو قرأة ابى عمرو وفرق ابو عمرو بين الاخراب والتخريب فقال خرب بالتشديد بمعنى هدم ونقض وافسد واخرب بالهمزة ترك الموضع وقال اى ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشئ خرابا بغير ساكن وبنوا النضير لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم كما يدل عليه قوله بايديهم وايدى المؤمنين ان قيل البيوت هى الديار فلم لم يقل يخربون ديارهم على وفق ما سبق وايضا كيف ما كان الاخراج من ديارهم وهى مخربة اجيب بان الدار ماله بيوت فيجوز اخراب بعضها وابقاء بعضها على مقتضى الرأى فيكون الخروج من الباقى على ان الاخراج لا يقتضى العمارة اذ يجوز ان يكون باخراب المساكن والطرح منها قال سهل رحمه الله يخربون بيوتهم بأيديهم اى قلوبهم بالبدع وفى كشف الاسرار نخست دين ودل خويش از روى باطن خراب كردند تا خرابى باطن بظاهر سرايت كرد وخانهٔ خود نيز خراب كردند (وايدى المؤمنين) حيث كانوا يخربونها ازالة لمحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال واضرارا بهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم اياه وامروهم به وهذا كما فى قوله عليه السلام لعن الله من لعن والديه وهو كقوله عليه السلام من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه فقالوا وكيف يسب الرجل والديه فقال يسب الرجل فيسب أباه فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه يقول الفقير فيه اشارة الى ان استناد الكفار الى الحصون والاحجار وان اعتمد المؤمنين على الله الملك الغفار ولا شك ان من اعتمد على المأمن الحقيقى ظفر بمراده فى دنياه وآخرته ومن استند الى ما سوى الله تعالى خسر خسرانا مبينا فى تجارته وان الانسان بنيان الرب فر بما قتل المرء نفسه او تسبب له فهدم بنيان الله فصار ملعونا وقس على هذا حال القلب فانه بيت الله واجتهد حتى لا يغلب عليه النفس والشيطان (قال الحافظ) من آن نكير سليمان بهيچ نستانم * كه كاه كاه برو دست اهرمن باشد (فاعتبروا) پس عبرت كيريد (يا اولى الابصار) اى يا اولى الالباب والعقول والبصائر يعنى اتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدى اليه الافكار واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصى وانتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب كبنى النضير الذين اعتمدوا على حصونهم ونحوها بل توكلوا على الله تعالى وفى عين المعانى فاعتبروا بها خراب جميع الدنيا * جهان اى پسر ملك جاويد نيست * زدنيا وفادارى اميد نيست * والاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شئ الى شئ ولهذا سميت العبرة عبرة لانها تنتقل من العين الى الخد وسمى اهل التعبير لان صاحبه ينتقل من التخيل الى المعقول وسميت الالفاظ عبارات لانها تنقل المعانى من لسان القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله

من حال ذلك الغير الى حال نفسه * چوبر كشته بختى درافتد ببند * ازو بنك بختسان بكيرند پند *
والبصر يقال للجارحة الناظرة وللقوة التى فيها ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر ولايكاد يقال
للجارحة بصيرة كما فى المفردات قال بعض التفاسير الابصار جمع بصر وهو مايكون فى الرأس وبه يشاهد عالم
الملك وهو عالم الشهادة حتى لو كان بين الرائى والمرئى مقدار عدة آلاف سنة يشاهده فى طرفة عين بوصول
نور من حدقة العين الى المرئى حكاية للرائى والبصيرة فى القلب كالبصر فى الرأس وبها يشاهد عالم الملكوت
وهو عالم الغيب حتى لو كان المشاهد فى العالم الاعلى وفى اللوح المحفوظ بل فى علم الله تعالى مما تتعلق مشيئة الله
بمشاهدة احد اياه من عباده اشاهده فى آن واحد وقد يشاهد الممتنع والمحال وغير المتناهى بنوع مشاهدة
كما نجده فى وجداننا وكل ذلك من غرائب صنع الله وجعل البعض البصر ههنا مجازا عن المشاهدة لانه كثيرا
مايكون آلة لمشاهدتها ويكون هو معتبرا باعتبارها حتى لولا ها يكون هو فى حكم المفقود وبهذا الاعتبار
اورد الابصار فى مقام البصائر فقال فى تفسيره فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم يا ذوى العقول والبصائر وهذا هو
الاليق بشأن الاتعاظ والاوفق بقوله تعالى فاعتبروا يا اولى الالباب اذ اللب وهو العقل الخالص عن الكدورات
البشرية والبصيرة التى هى عين القلب حين ماكانت مجلوة خاصة بالعقلاء اللائقين للخطاب بالامر بالاعتبار
واما البصر فيوجد فى البهائم والبصيرة الغير المجلوة فتوجد فى العوام وجعله البعض الآخر على حقيقته
فقال فى تفسيره فاعتبروا من عاين تلك الوقائع لكن مآل القولين واحد اذ مجرد البصر المعاين لايفيد الاعتبار
بلا بصيرة صحيحة وفى الوسيط معنى الاعتبار النظر فى الامور ليعرف بها شئ آخر من جنسها قال يحيى بن معاذ
رحمه الله من لم يعتبر بالمعاينة استغنى عن الموعظة وقد استدل بالآية على حجية القياس من حيث انه امر
بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له كما فصل فى الكتب الاصولية
واشار بأهل الكتاب الى يهودى النفس ونصرانى الهوى وانما نسبنا التنصر الى الهوى والتهود الى النفس
لغلبة عطلة النفس فان الهوى بالنسبة الى النفس كالروح بالنسبة الى الجسم البدنى ولهذا المعنى قيل الهوى
روح النفس ينفخ فيها هوى الشهوات الحيوانية ويهوى الى هوية الجحيم والله تعالى يستأصلها من ديار
صفاتهما الظلمانية بالصدمة الاولى من قتال الحشر الاول وظنوا ان حصون طباعهم الرديئة تمنعهم عن
الانسلاخ من صفاتهم الخسيسة فأتاهم الله بالتجلى القهرى وقذف فى قلوب النفس والهوى رعب المفارقة
بينهما فان كل واحد منهما كان متمسكا بالآخر تمسك الروح بالبدن وقيام البدن بالروح يخربون بيوت صفاتهم
بأيدى اهوآئهم المضلة وبقوة أيدى الروح والسر والقلب لغلبة نوريتهم عليها فاعتبروا يا اولى الابصار الذين صار
الحق تعالى بصرهم كما قال فبى يبصر وبى يسمع وبى يبطش الحديث بطوله (ولولا ان كتب الله) حكم (عليهم)
اى على بنى النضير (الجلاء) اى الخروج من اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع وقد سبق الكلام فى الجلاء
ولولا امتناعية ومابعدها مبتدأ فان مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشأن المقدر اى ولولا انه وكتب الله خبرها
والجملة فى محل الرفع بالابتدآء بمعنى ولولا كتاب الله عليهم الجلاء واقع فى علمه او فى لوحه (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل
والسبى كما فعل ببنى قريظة من اليهود قال بعضهم لما استحقوا بجرمهم العظيم قهرا عظيما اخذوا بالجلاء الذى جعل
عديلا لقتل النفس لقوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم مافعلوه الا قليل منهم
مع ان فيه احتمال ايمان بعضهم بعد مدة وايمان من يتولد منهم (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف غير
متعلق بجواب لولا اذ لو كان معطوفا عليه لزم ان ينجوا من عذاب الآخرة ايضا لان لولا تقتضى انتفاء الجزآء
لحصول الشرط وانما جئ به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لانجاة لهم من عذاب الآخرة
يقول الفقير لايلزم من نجاتهم من عذاب الدنيا ان لايكون جلاؤهم من قبيل العذاب وانما لم يكن منه بالنسبة
الى عذاب الاستئصال والوجه فى جلائهم انهم قصدوا قتل النبى عليه السلام وقتله شر من الف قتل فأخذوا
بالجلاء ليموتوا كل يوم الف مرة لان انقطاع النفس عن مألوفاتها بمنزلة موتها فجاء الجزآء من جنس العمل
قال بعض اهل الاشارة ولولا ان كتب الله على يهودى النفس ونصرانى الهوى جلاء الانسلاخ من ديار
وجودا نهم لعذبهم فى طلب الدنيا ومحبتها ولهم فى آخر الامر عذاب نار القطيعة عن مألوفاتهم الطبيعية
ومستحسناتهم الحسية (ذلك) اى ماحاق بهم وسيحيق (بأنهم) اى بسبب انهم (شاقوا الله ورسوله)

خالفوا امرهما وفعلوا مافعلوا مما حكى عنهم من القبائح والمشاقة كون الانسان فى شق ومخالفه فى شق (ومن يشاق الله) كائنا من كان (فان الله شديد العقاب) له فهو نفس الجزآء بحذف العائد اوتعليل للجزآء المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب فاذالهم عقاب شديد ايضا لكونهم من المشاقين واياما كان فالشرطية تحقيق للسببية بالطريق البرهانى وفيه اشعار بأن المخالفة تقتضى المؤاخذة بقدر قوتها وضعفها فليحذر المؤمنون من العصيان مطلقا * همينت بسندست آكر بشنوى * كه كرخار كارى سمن ندروى * اعلم ان الله الذى هوالاسم الاعظم جامع لجميع الاسماء الالهية المنقسمة الى الاسماء الجلالية القهرية والجمالية اللطفية والتشاقق فيه استدعاء احد الشقين من التجليين الجمالى والجلالى بأن يطلب الطالب منه اللطف والجمال وهو ممن يستحق القهر والجلال لامن يستحق اللطف والجمال فهو يستدعى من الحق شيأ لاتقتضى حكمته البالغة اعطاءه اياه وهو من قبيل التحكم الذى لايجوز بالنسبة الى الله تعالى كما قال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه (قال الحافظ)

درين چمن نكنم سرزنش بخودروبى * چنانكه پرورشم ميدهند مى رويم * والمشاقة مع الرسول عليه السلام المنازعة فى حكمة امره ونهيه مثل اسرار الصلوات الخمس واختلاف اعدادها وقرآئتها جهرا وسرا ومثل اسرار الزكاة واختلاف احكامها ومثل احكام الحج ومناسكه ونحن امرنا بمحض الامتثال والانقياد وماكلفنا بمعرفة اسرارها وحقائقها والنبى عليه السلام مع كمال عرفانه وجلال برهانه يقول ان اتبع الا مايوحى الى وقال نحن نحكم بالظواهر والله يعلم السرآئر قوله فان الله شديد العقاب ومن شدة عقابه ابتلاء عبده بامتثال هذه الاشياء مع عدم تكليفه اياه بمعرفة حقائقها والمراد بالعقاب الاتعاب والا فالاحكام من قبيل الرحمة لا العذاب ولذا من قال هذه الطاعات جعلها الله علينا عذابا من غير تأويل كفر (ماقطعتم من لينة) ماشرطية نصب بقطعتم واللينة فعلة نحو حنطة من اللون على ان اصلها لونة فياؤها مقلوبة عن واو لكسرة ماقبلها نحو ديمة وقيمة وتجمع على الوان وهى ضروب النخل كلها وقيل من اللين وتجمع على ايين واليان وهى النخلة الكريمة الشجرة بكونها قريبة من الارض والطيبة الثمرة قال الراغب فى المفردات اللين ضد الخشونة ويستعمل ذلك فى الاجسام ثم يستعار للخلق ولغيره من المعانى فيقال فلان لين وفلان خشن وكل واحد منهما يمدح به طورا ويذم به طورا بحسب اختلاف المواضع وقوله ماقطعتم من لينة اى من نخلة ناعمة ومخرجه مخرج فعلة نحو حنطة ولايختص بنوع منه دون نوع انتهى والمعنى اى شئ قطعتم من نخلة من نخيلهم بأنواعها وقيل اللينة ضروب النخل كلها ماخلا العجوة والبرنية وهما اجود النخل (اوتركتموها) الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما فى قوله تعالى مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها (قائمة) حال من ضمير المفعول (على اصولها) كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشئ من القطع جمع اصل وهو مايثبت منه الفرع (فباذن الله) فذلك اى قطعها وتركها بأمر الله فلا جناح عليكم فيه فان فى كل من القطع والترك حكمة ومصلحة (وليخزى الفاسقين) اى وليذل اليهود الخارجين عن دآئرة الاسلام اذن فى قطعها وتركها فهو علة لمحذوف يقال خزى الرجل لحقه انكسار اما من نفسه وهو الحياء المفرط ومصدره الخزاية واما من غيره وهو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزى اذن الله فى قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون فى اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتصاعفون حسرة وذلك ان رسول الله عليه السلام حين امر ان تقطع نخيلهم وتحرق قالت اليهود وهم بنوا النضير يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فمابال قطع النخيل واحراقها فشق ذلك على النبى عليه السلام وكان فى انفس المؤمنين ايضا من ذلك شئ فنزلت وجعل امر رسول الله امره تعالى لانه عليه السلام مايتطق عن الهوى واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع اشجارهم مثمرة كانت اوغير مثمرة واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان ليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هى الكرام ليكون غيظهم اشد ويقال ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح فى السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة اصل الاناث كلها فلذا شق على اليهود قطعها وظهر من هذا ان اللون هو ماعدا العجوة والبرنى من انواع التمر بالمدينة والبرنى بالفارسية حلى مبارك اوجيد لان اصله برنيك فعرب ومن انواع تمر المدينة الصيحانى

وفى شرح مسلم للنووى ان انواع التمر مائة وعشرون وفى تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى ان انواع التمر بالمدينة التى امكن جمعها بلغت مائة و بضعا وثلاثين و يوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدناها اكثر مما ذكره النووى قال ولعل مازاد على ماذكر حدث بعد ذلك واما انواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس محمد بن غازى ارسل الى عالم سلجماسة ابراهيم بن هلال يسأله عن حصر انواع التمر بتلك البلدة فارسل اليه حملا او حملين من كل نوع تمرة واحدة فأرسل اليه هذا ما تعلق به علم الفقير وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وفى نسق الازهار ان بهذه البلدة رطبا يسمى البتونى وهو احضر اللون واحلى من عسل النحل ونواه فى غاية الصغر وكانت العجوة خير اموال بنى النضير لانهم كانوا يقتاتونها وفى الحديث (العجوة من الجنة وتمرها يغذى احسن الغذاء) روى ان آدم عليه السلام نزل بالعجوة من الجنة وفى البخارى من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر وقد جاء فى العجوة العالية شفاء وانها ترياق اول البكرة وفى كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر اكبر من الصيحانى تضرب الى السواد وهى مما غرسه النبى عليه السلام بيده الشريفة وقد علمت انها فى نخل بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة اشياء بالآسة وهى سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا وفى الحديث (ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق اول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره و يستغفر لاكله وانه من خير تمركم وانه دواء وليس بداء) وجاء بيت ولا تمر فيه جياع اهله قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء الجيوب ونشر بن الخدود ودعون بالويل كما فى انسان العيون قال بعض هل الاشارة بشير الى من قطع نخلة محبة الدنيا من ارض قلبه بأمر الله وحكمته المقتضية لذلك الامر بالقطع وهم المحرومون المنقطعون عن الدنيا ومحبتها وشهواتها ولذاتها المتوجهون الى طريق السلوك الى الله بتزكية النفس وتصفية القلب وتخلية السر وتحلية الروح والى من ترك الدنيا فى ارض قلبه قائمة على اصولها على حالها باذن الله وحكمته البالغة المقتضية لابقائها وهم الكاملون المكملون الواصلون المواصلون الذين ليس للدنيا ولا للآخرة عندهم قدر ومقدار مازاغ نظر ظاهرهم ولا بصر باطنهم اليهما لاشتغالهم بذكر الله اى بذكر ذاته وصفاته واسمائه كما قال فى حقهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وليخزى الفاسقين الذين خرجوا من مقام المعرفة والعرفان وما عرفوا ان للحق عبادا ليس للدنيا والآخرة عندهم قدر ومقدار وماذاغ بصر ظاهرهم ونظر باطنهم اليهما وطعنوا فيهم بمحبة الدنيا ونسبوا اليهم حب الشهوات الحيوانية واللذات الجسمانية فأخزاهم الله بشؤم هذا الطعن والله يشهد انهم لكاذبون (قال الحافظ) بس تجربه كردم درين دير مكافات * بادرد كشان هركه درافتاد برافتاد (وما افاء الله على رسوله) شروع فى بيان حال اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع وما موصولة مبتدأ وقوله فما اوجفتم خبره و يجوز جعلها شرطية وقوله فما اوجفتم جوابا والفيء فى الاصل بمعنى الرجوع وافاء اعادوا رجع فهو على اصل معناه هنا والمعنى ما اعاده اليه من مالهم اى جعله عائدا فيه اشعارا بانه كان حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع فى ايديهم بغير حق فرجعه الله الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين وهو عليه السلام رأسهم ورئيسهم و به اطاع من اطاع فكان احق به فالعود على هذا بمعنى ان يتحول الشئ الى ما فارق عنه وهو الاشهر و يجوز ان يكون معناه صيره له فالعود على هذا بمعنى ان يتحول الشئ الى ما فارق عنه وان لم يكن ذلك التحول مسبوقا بالحصول له والحمل هنا على هذا المعنى لا يحوج الى تكلف توجيه بخلاف الاول وكلمة على تؤيد الثانى وقال بعضهم افاء الله مبنى على ان الفيء الغنيمة فمعنى افاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة وقال الراغب الفيء والفيئة الرجوع الى حالة محمودة وقيل للغنيمة التى لا يلحق فيها مشقة فيء قال بعضهم سمى ذلك بالفيء تشبيها بالفيء الذى هو الظل تنبيها على ان اشرف اعراض الدنيا يجرى مجرى ظل زائل والفئة الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم الى بعض فى التعاضد وقال المطرزى فى المغرب فى الفرق بين الغنيمة والفيء والنفل ان الغنيمة عن ابى عبيد ما نيل من اهل الشرك عنوة والحرب قائمة وحكمها ان تخمس وسائرها بعد الخمس للغانمين خاصة والفيء ما نيل منهم بعد ما تضع الحرب اوزارها وتصير الدار دار اسلام وحكمه ان يكون لكافة المسلمين

ولا يخمس والنفل ما ينفله الغازى اى يعطاه زائدا على سهمه وهو ان يقول الامام اوالامير من قتل قتيلا فله سلبه اوقال للسرية ما اصبتم فلكم ربعه اونصفه ولا يخمس وعلى الامام الوفاء به وعن على بن عيسى الغنيمة اعم من النفل والفيء اعم من الغنيمة لانه اسم لكل ما صار للمسلمين من اموال اهل الشرك قال ابو بكر الرازى فالغنيمة فيء والجزية فيء ومال اهل الصلح فيء والخراج فيء لان ذلك كله مما افاء الله على المسلمين من المشركين وعند الفقهاء كل لا يحل اخذه من اموالهم فهو فيء (منهم) اى بنى النضير (فما) نافية (اوجفتم عليه) اى فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير يقال اوجفت البعير اسرعة وفى القاموس الوجيف ضرب من سير الخيل والابل وقيل اوجف فاعجف (من خيل) من زائدة بعد النفى اى خيلا وهو جماعة الافراس لا واحد له او واحده خائل لانه يختال والجمع اخيال وخيول كما فى القاموس وقال الراغب الخيلاء التكبر من تخيل فضيلة تزا اى الانسان من نفسه ومنها تأول لفظة الخيل لما قيل انه لا يركب احد فرسا الا وجد فى نفسه نخوة والخيل فى الاصل اسم للافراس والفرسان جميعا قال تعالى ومن رباط الخيل و يستعمل فى كل واحد منهما منفردا نحو ماروى يا خيل الله اركبى فهذا للفرسان وقوله عليه السلام عفوت لكم عن صدقة الخيل يعنى الافراس انتهى * والخيل نوعان عتيق وهجين فالعتيق ما ابوه عربيان سمى بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه من الامور المنقصة وسميت الكعبة بالبيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لانه لم يملكها ملك قط واذا ربط الفرس العتيق فى بيت لم يدخله شيطان والهجين الذى ابواه عربى وامه عجمية والفرق ان عظم البرذونة اعظم من عظم الفرس وعظم الفرس اصلب والبرذونة احمل من الفرس والفرس اسرع منه والعتيق بمنزلة العزال والبرذونة بمنزلة الشاة والفرس يرى المنامات كبنى آدم ولا طحال له وهو مثل لسرعته وحركته كما يقال للبعير لا مرارة له اى له جسارة (ولا ركاب) هى ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير وامارا كب الفرس فانهم يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة قال فى المفردات الركوب فى الاصل كون الانسان على ظهر حيوان وقد يستعمل فى السفينة والراكب اختص فى التعارف بممتطى البعير جمعه ركب وركبان و ركوب واختص الركاب بالمركوب والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا اقتالا شديدا وذلك لانه كانت قرى بنى النضير على ميلين من المدينة وهى ساعة واحدة بحساب الساعات النجومية فذهبوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى عليه السلام وكان يركب حمارا مخطوما بليف على ما سبق اوجلا على ما قاله البعض فافتتحها صلحا من غير ان يجرى بينهم مسافة كأنه قال وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) اى سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدآئهم تسليطا خاصا وقد سلط النبى عليه السلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان تفحموا مضايق الحطوب وتقاسوا شدآئد الحروب فلا حق لكم فى اموالهم يعنى ان الامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء فلا يقسم قسمة الغنائم التى قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا وذلك انهم طلبوا القسمة كخيبر فنزلت (والله على كل شئ قدير) فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة واخرى على غيرها * تيغى كه آسمانش ازفيض خود دهد آب * تنها جهان بكيردبى منت سپاهى * اعلم ان الفيض الالهى الفائض من الله على ساحة قلب السالك على قسمين اما بالوهب المحض من خزانة اسمه الوهاب من غير تعمل من العامل فيه من ركض خيل النية الصالحة ومن سوق ركاب العمل الصالح من الفرائض والنوافل فهو مقطوع الروابط من جانب السالك العامل فليس للسالك ان يضيف ذلك الفيض والوارد القلبى الى نفسه بوجه من الوجوه ولا الى الاعمال الصادرة منه بسبب الاعضاء والجوارح بل يتركه على صرافة الوهب الربانى وطراوة العطاء الامتنانى والآية الكريمة دالة على هذا القسم واما مشوب بتعمله فهو من خزانة اسمه الجواد فله ان يضيفه الى نفسه واعضائه وجوارحه ليظهر اثره عليها كلها والآية الثالثة الآتية تشير الى القسم الثانى وقد جمع بينهما قوله تعالى لآكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فان الاول اشارة الى الاول والثانى الى الثانى واراد برسوله رسول القلب وانما سمى القلب بالرسول لان الرسالة من حضرة الروح الى النفس الكافرة والهوى الظالم بدعوتهما الى الحق تعالى بالايمان والهدى (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته عليه صلى الله عليه وسلم من غير

ان يكون للمقاتلة فيه حق ولذا لم يعطف عليه كانه لما قيل ما افاء الله على رسوله من اموال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة فلا يقسم قسمة الغنائم فكانه قيل فكيف يقسم فقيل ما افاء الله الخ قال فى برهان القرآن قوله وما افاء الله وبعده ما افاء الله بغير واو لان الاول معطوف على قوله ما قطعتم من لينة والثانى استئناف وليس له به تعلق وقول من قال بدل من الاول مزيف عند اكثر المفسرين انتهى واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقارانهم ايضا فالمراد بالقرى قرى بنى النضير (وقال الكاشفى) من اهل القرى ازاموال واملاك اهل دهها وشهرها كه بحرب كرفته نشود وفى عين المعانى اى قريظة والنضير بالمدينة وفدك وخيبر * وفى انسان العيون وفسرت القرى بالصفرى ووادى القرى اى بثلث ذلك كما فى الامتاع و ينبع وفسرت بنى النضير وخيبر اى بثلاثة حصون منها وهى الكيتبه والوطيح والسلالم كما فى الامتاع وفدك اى نصفها قال العلماء كانت الغنائم فى شرع من قبلنا لله خاصة لا يحل منها شئ لاحد واذا غنمت الانبياء عليهم السلام جمعوها فتنزل نار من السماء فتأخذها فخص نبينا عليه السلام من بينهم بان احلت له الغنائم قال عليه السلام احلت لى الغنائم لم تحل لاحد قبلى (فلله وللرسول) يأمر ان ما احباوقيل ذكر الله للتشريف والتعظيم والتبرك وسهم النبى عليه السلام سقط بموته (روى) عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ان اموال بنى النضير كانت مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه فكانت لرسول الله خالصة وكان ينفق على اهله منها نفقة سنة وما بقى جعله فى الخيل والسلاح عدة فى سبيل الله (ولذى القربى) وهم بنى هاشم وبنوا المطلب الفقراء منهم لما حرموا الصدقة اى الزكاة (وروى) ابو عصمة عن ابى حنيفة رحمه الله انه يجوز دفع الزكاة الى الهاشمى وانما كان لا يجوز فى ذلك الوقت ويجوز النفل بالاجماع وكذا يجوز النفل للغنى كذا فى فتاوى العتابى وذكر فى المحيط بعد ماذكر هذه الرواية (وروى) ابن ساعدة عن ابى يوسف رحمه الله انه لا بأس بصدقة بنى هاشم بعضهم على بعض ولا ارى الصدقة عليهم وعلى موالهم من غيرهم كذا فى النهاية وقال فى شرح الآثار عن ابى حنيفة رحمه الله ان الصدقات كلها جائزة على بنى هاشم والحرمة كانت فى عهد النبى عليه السلام لوصول خمس الخمس اليهم فلما سقط ذلك بموته حلت لهم الصدقة قال الطحاوى وبالجواز نأخذ كذا فى شرح الوقاية لابن الملك (واليتامى) جمع يتيم واليتم انقطاع الصبى عن ابيه قبل بلوغه وفى سائر الحيوانات من قبل امه (والمساكين) جمع مسكين ويفتح ميمه وهو من لاشئ له اوله ما لا يكفيه او اسكنه الفقر اى قلل حركته والذليل الضعيف كما فى القاموس وهو من السكون فنونه اصلية لانون جمع ولذلك تجرى عليه الاعاريب الثلاثة (وابن السبيل) اى المسافر البعيد عن ماله وسمى به لملازمته له كما تقول لص القاطع ابن الطريق والمعبر ابن الليالى ولطير الماء ابن الماء وللغراب ابن داية باضافة الابن الى دابة البعير لكثرة وقوده عليها اذا دبرت والدأبة الجنب قال اهل التفسير اختلف فى قسمة الفئ قيل يقسم لظاهر الآية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد ويصرف ما بقى وهى خمسة اسداس الستة الى المصارف الخمسة التى يصرف اليها خمس الغنيمة وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف كل خمس الى مصارف خمس الغنيمة ويصرف الآن سهم الرسول عليه السلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول وهو الاصح عند الشافعية والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء اى كان يقسم الفئ اخماسا ويصرف الاخماس الاربعة لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ويخمس الخمس الباقى ويختار خمس الخمس لنفسه ويصرف الاخماس الاربعة الباقية كما يشاء والآن على الخلاف المذكور من صرف سهمه عليه السلام الى الامام او العساكر والثغور او مصالح المسلمين وفى التأويلات النجمية ذوو القربى الروح والقلب والسر والخفى وهم مقربوا الحق تعالى بقرب الحسب والنسب واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الباقية بعد فناء النفس بحسب سطوات تجليات القهر والمساكين هم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس المسافرون الى عوالم المعقولات والمتخيلات والموهومات والمحسوسات بقدم العقل والخيال والوهم والحس وقال بعض اهل الاشارة ذوو القربى هم الذين شاركوه فى بعض مقاماته عليه السلام واليتامى هم الذين انقطعوا عما دون الحق الى الحق فبقوا بين الفقدان والوجدان طلاب الوصول والمساكين هم الذين

ليس لهم بلغة المقامات وليسوا بمتمكنين فى الحالات وابن السبيل هم الذين سافروا من الحدثان الى القدم (كيلا يكون) علة لقوله فلله وللرسول اى تولى الله قسمة الفيء وبين قسمته لئلا يكون اى الفيء الذى حقه ان يكون للفقراء يعيشون به (دولة) بضم الدال وقرئ بفتحها وهى مايدول الانسان اى يدور من الغنى والجد والغلبة اى كيلا يكون جدا (بين الاغنياء منكم) يتكاثرون به والخطاب للانصار لانه لم يكن فى المهاجرين فى ذلك الوقت غنى كما فى فتح الرحمن او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز اى من غلب سلب فيجعلون الاستقلال بمال الغنيمة والانفراد به منوطا بالغلبة عليه فكل من غلب على شئ منه يستقل به ولا يعطى الفقراء والضعفاء شيأ منه (قال الكاشفى) در معالم آورده كه اهل جاهليت چون غنيمتى كرفتندى مهتر ايشان ربعى برداشتى وازباقى نيز براى خود تحفة اختيار كردى وازا صفى كفتندى وباقى رابانوم كذا شتى وتوانكران قوم بردرويشان دران قسمت حيف كردندى جمعى ازرؤساى اهل ايمان درغنايم بنى النضير همين خيال بسته كفتند يارسول الله شمار بعى ونصفى مغنم رابرداريد وبكذاريد تابا قى راقسمت كنيم حق سبحانه وتعالى ازراخاستة حضرت پيغمبر عليه السلام كرد انيد وقسمت ازا بروجهى كه مذكورشد مقرر ساخت وفرمود كه حكم فئ پيدا كرديم تانباشد آن فئ كردان دست بدست ميان توانكران ازشما كه زياده ازحق خود بردارند وفقرا اندك دهنديا محروم سازند چنانكه درزمان جاهليت بوده وقيل الدولة بالضم مايتداول كالغرفة اسم مايغترف اى ان الدولة اسم للشئ الذى يتداوله القوم بينهم فيكون مرة لهذا ومرة لهذا والتداول بالفارسية ازيكديكر فراكرفتن وتداول القوم كذا وداول الله بينهم كذا فالمعنى كيلا يكون الفيء شيأ يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح مصدر بمعنى التداول وفيه اضمار محذوف فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه واخذه تداولا لايخرجونه الى الفقراء وقيل هى بالفتح بمعنى انتقال حالة سارة الى قوم عن قوم وتستعمل فى نفس الحالة السارة التى تحدث للانسان يقال هذه دولة فلان وقيل الضم للاغنياء والفتح للفقراء وفى الحديث (اغتنموا دولة الفقراء) كما فى الكواشى وفى الآية اشارة الى اعطاء كل ذى حق حقه كيلا يحصل بين الاغنياء والفقراء نوع من الجور والدولة الجاهلية يقال كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى امراء اى كالامراء فى التقديم والاكرام والعزة (وما آتاكم الرسول) ما موصولة والعائد محذوف والايتاء الاعطاء والمناولة اى ما اعطاكموه ايها المؤمنون من الفيء (فخذوه) فانه حقكم (وما نهاكم عنه) اى عن اخذه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفته عليه السلام (ان الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف امره ونهيه والاولى حمل الآية على العموم فالمعنى وما آتاكم الرسول من الامر مطلقا فيأتوا وغيره اصولا اعتقادية اوفروعا عملية فخذوه اى فتمسكوا به فانه واجب عليكم * هرشربتى ازدست اودرآيد بستانيد كه حيات شما درآنست وآن لوح راخوانيد كه تو يسد زيرا ضروريات شما در صفحة اوبيانست * ومانهاكم عن تعاطيه اياكان فانتهوا عنه زيرا امر ونهى اوبحق است هر كه ممتثل امر اوكرد نجات يابد وهر كه ازنهى او اجتناب نمايد درورطة هلاك افتد * آنكس كه شد متابع امر تو قد نجا * وانكو خلاف اى تو ورزيد قد هلك * وفيه دليل على ان كل ما امر به النبى عليه السلام امر من الله تعالى قال العلماء اتباع الرسول عليه السلام فى الفرائض العينية فرض عين وفرض كفاية فى الفروض على سبيل الكفاية وواجب فى الواجبات وسنة فى السنن فما علمنا من افعاله واقعا على جهة تقتدى به فى اتباعه على تلك الجهة ومالم نعلم على اى جهة فعله فلنا فعله على ادنى منازل افعاله وهو الاباحة (روى) ان ابن مسعود رضى الله عنه لقى رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اتقرأ على بهذا آية من كتاب الله قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (وروى) عن ابن مسعود رضى الله عنه (قال لعن الله الواشمات) اى فاعلات الوشم وهو ما يوشم به اليد من نؤور أو نيلج قال فى القاموس الوشم كالوعد غرز الابرة فى البدن وذر النيلج عليه والنؤور كصبور النيلج ودخان الشحم وحصاة كالاثمد تدق فيسفها اللثة (والمستوشمات) يقال استوشمت الجارية طلبت ان يوشم بها (والمتنمصات للحسن) وهى اى المتنمصة التى تنتف شعرها يعنى بركننده موى ازبراى حسن قال فى القاموس النمص نتف الشعر والمنماصة وهى مزينة النساء بالنمص والمتنمصة وهى المزينة به (المغيرات خلق الله)

آن زنانی که تغییر کنند آفریدهٔ خدا را و بدخل فیه تحدید الاسنان واصلاحها ببعض الآلات وثقب الانف واما ثقب الاذن فمباح للنساء لاجل التزیین بالقرط وحرام علی الرجال کحلق اللحیة (فبلغ ذلك امرأة من بنی اسد یقال لها ام یعقوب فجاءت) پس آمد آن زن نزد (ابن مسعود رضی الله عنه فقالت قد بلغنی انك قلت کیت وکیت) یعنی مرار سیده است که تو گفته چنین وچنین (فقال ومالی لا العن من لعن رسول الله ومن هو فی کتاب الله) یعنی ابن مسعود گفت چگونه لعنت نکنم ازا که لعنت کرده است رسول الله وازا که در کتاب الله است (فقالت لقد قرأت مابین اللوحتین فماوجدت فیه ماتقول قال لئن کنت قرأته لقد وجدته اما قرأت وما آتاکم الرسول فخذوه ومانهاکم عنه فانتهوا قالت بلی قال فانه علیه السلام قد نهی عنه) ولذلك قرأ ابن عباس رضی الله عنه هذه الآیة للنهی عن الدباء والحنتم والنقیر والمزفت والدباء بالضم والمدالقرعة والحنتم بفتح الحاء والتاء وسکون النون قبلها جرة خضراء والنقیر ماینقب من حجر وخشب ونحوهما والمزفت بالضم والتشدید جرة اوخابیة طلیت ولطخت بالزفت بالکسرای القار وحل عند الامام الاعظم اتخاذ نبیذ التمر والذرة ونحوه بأن یلقی فی هذه الاوعیة وان حصل الاشتداد بسببها وفی الحدیث (القرآن صعب عسر علی من کرهه میسر علی من تبعه وحدیثی صعب مستصعب وهو الحکمة فمن استمسك بحدیثی وحفظه کان مع القرآن ومن تهاون بحدیثی خسر الدنیا والآخرة وامرتم ان تأخذوا بقولی وتتبعوا سنتی فمن رضی بقولی فقد رضی بالقرآن ومن استهزأ بقولی فقد استهزأ بالقرآن قال الله تعالی وما آتاکم الرسول فخذوه ومانهاکم عنه فانتهوا وسئل سهل رحمه الله عن شرائع الاسلام فقال ما آتاکم الرسول من خبر الغیب ومکاشفة الرب فخذوه بالیقین ومانهاکم عنه من النظر الی غیر الله فانتهوا عنه وفی التأویلات النجمیة یخاطب به ذوی الحقوق من المراتب الاربع ویقال لهم ما اعطاکم رسول القلب من الفیض الذی حصل له بمددکم الصوری ومعونتکم المعنویة من قبل قتل النفس الکافرة والهوی الظالم فاقبلوه منه بحسن التلقی ولطف القبول فانه اعطاکم علی حسب استعدادکم ومانهاکم عنه فامتنعوا عن الاعتراض علیه واتقوا الله فی الاعتراض فان الله شدید العقاب بحرمانکم من حسن التوجه الیه ولطف الاستفاضة عنه (للفقراء المهاجرین) بدل من لذی القربی وما عطف علیه لامن الله والرسول والایلزم دخول الرسول فی زمرة الفقراء وهو لایسمی فقیرا لانه یوهم الذم والنقصان لان اصل الفقر کسر فقار الظهر من قولهم فقرته ولهذا سمیت الحاجة والداهیة فاقرة لانهما تغلبان الانسان وتکسران فقار ظهره واذا لم یصح تسمیة الرسول فقیرا فلأن لایصح تسمیته تعالی فقیرا اولی مع ان الله تعالی اخرجه علیه السلام من الفقراء هنا بقوله وینصرون الله ورسوله فی ان ابن السبیل الذی له مال فی وطنه لایسمی فقیرا نص علیه فی التلویح وغیره ومن اعطی اغنیاء ذوی القربی کالشافعی خص الابدال بما بعده بخلاف ابی حنیفة رحمه الله فان استحقاق ذوی القربی الفیء مشروط عنده بالفقر واما تخصیص اعتبار الفقر بفیء بنی النضیر فتعسف ظاهر کما فی الارشاد (الذین اخرجوا من دیارهم) اذ سراهاء ایشان که در مکه داشتند (واموالهم) ودور افتاده انداز مالهای خود حیث اضطرهم کفار مکة الی الخروج واخذوا اموالهم وکانوا مائة رجل فخرجوا منها والافهم هاجروا باختیارهم حبا لله ورسوله واختاروا الاسلام علی ماکانوا فیه من الشدة حتی کان الرجل یعصب الحجر علی بطنه لیقیم صلبه من الجوع وکان الرجل یتخذ الحفیرة فی الشتاء ماله دار غیرها وعن رسول الله علیه السلام انه کان یستفتح بصعالیك المهاجرین وقال علیه السلام ابشروا یامعشر صعالیك المهاجرین بالنور التام یوم القیامة تدخلون الجنة قبل الاغنیاء بنصف یوم وذلك مقدار خمسمائة عام (یبتغون فضلا من الله ورضوانا) ای حال کونهم طالبین منه تعالی رزقا فی الدنیا ومرضاة فی الآخرة وصفوا اولا بما یدل علی استحقاقهم للفیء من الاخراج من الدیار وقد اعاد ذلك ثانیا بما یوجب تفخیم شأنهم ویؤکده فهو حال من واو اخرجوا وفی ذکر حالهم ترقی من العالی الی الاعلی فان رضوان الله اکبر من عطاء الدنیا (وینصرون الله ورسوله) عطف علی یبتغون فهی حال مقدرة ای ناوین نصرة الله باعلاء دینه ونصرة رسوله ببذل وجودهم فی طاعته اومقارنة فان خروجهم من بین الکفار مراغمین لهم مهاجرین الی المدینة نصرة وای نصرة (اولئك) المهاجرون الموصوفون بماذکر من الصفات الحمیدة (هم الصادقون) الراسخون فی الصدق حیث ظهر ذلك بما فعلوا واظهروا

بينا كأن الصدق مقصور عليهم لكمال آثاره الصدق صدقة السر يعنى صدقة ملك سراست وصداق الجنة يعنى صداق سراى سرورست وصديق الحق يعنى صديق پادشاه حق است * راست كارى پيشه كن كه ندر مصاف رستخيز * نيستند ازخشم حق جزر استكاران رستكار * مصطفى عليه السلام گفت ما مهتر كليت عالم ايم و بهتر ذريت آدم وما رابدين فخر نه شربتها كرم بردست ما نهادند وهديها ى شريف بحجرهٔ ما فرستادند ولباسهاى نفيس درما پوشيدند وطراز اعزاز براستين ما كشيدند وما رابدان هيچ فخر نه كفتند مهترا بس اختيار تو چيست وافتخار تو بچيست كفت اختيار ما آنست وافتخار ما بدانست كه روزى ساعتى جويم وبااين فقراى مهاجرين چون بلال وصهيب وسلمان وعمار ساعتى حديث او كويم * برد ل ذكر اتش ثارست مرا * وز فقر لباس اختيارست مرا * دينار ودرم بچه كارست مرا * باحق همه كارچون بكارست مرا * بدانكه فقر دواست يكى آنست كه رسول خدا ازان استعاذه كرده وكفته اعوذبك من الفقر وديكر آنست كه رسول خدا كفته الفقر فخرى آن يكى نزديك بكفرواين يكى نزديك بحق اما آن فقر كه بكفر نزديك است فقردلست كه علم وحكمت واخلاص وصبر ورضا وتسليم وتوكل ازدل ببرد تا دل ازين ولايتها درويش كردد وچون زمين خراب شود دل خراب شود منزل شيطان كردد آنكه چون شيطان فرود آمد سپاه شيطان روى بوى نهند شهوت وغضب وحسد وشرك وشك وشبه ونفاق ونشان اين فقر آن بود كه هرچه بيند همه كژ بيند سمع او همه مجاز شنود زبان همه دروغ وغيبت كويد قدم بكوى همه ناشايست نهد اين آن فقرست كه رسول خدا كفت كاد الفقر ان يكون كفرا اللهم انى اعوذبك من الفقر والكفر اما آن فقر كه كفت الفقر فخرى آنست كه مرد ازدنيا برهنه كردد ودرين برهنكى بدين نزديك كردد وفى الخبر الايمان عريان ولباسه التقوى همانست كه متصوفه ازا تجريد كويند كه مرد مجرد شود ازرسوم انسانيت چنانكه تيغ مجرد شود ازنيام خويش وتيغ مادامكه درنيام باشد هنرش آشكارا نكردد وفعل او پيدا نيايد همچنين دل نادرغلاف انسانيت است هنروى آشكارا نكردد وازوى كارى نكشايد چون ازغلاف انسانيت برهنه كردد صورتها وصفاتها در وبنمايد وقال الشيخ نجم الدين الكاشفى رحمه الله الافتقار على ثلاثة اقسام افتقار الى الله دون الغير واليه الاشارة بقوله عليه السلام الفقر سواد الوجه فى الدارين انتهى وفى كل من الاحاديث المذكورة معانى اخر جلية على اولى الالباب وطعن اهل الحديث فى قوله الفقر فخرى لكن معناه صحيح اللهم اغنى بالافتقار اليك وسئل الحسين رحمه الله من الفقراء قال الذين وقفوا مع الحق راضين على جريان ارادته فيهم وقال بعضهم هم الذين تركوا كل سبب وعلاقة ولم يلتفتوا من الكونين الى شئ سوى ربهم فجعلهم الله ملوكا وخدمهم الاغنياء تشريفا لهم وفى التأويلات النجمية ابدل الله من ذوى القربى المهاجرين الى الله اى ذووا القربى هم المهاجرون من قرية النفس الى مدينة الروح بالقلب بالسير والسلوك وقطع المفاوز النفسانية والبوادى الحيوانية المخرجون من ديار وجوداتهم واموال صفاتهم واخلاقهم الى حضرة خالقهم ورازقهم طالبين من فضله وجوده وجوده ونور رضوان صفاته ونعوته ناصرين الله بمظهريتهم لله الاسم الجامع ورسوله بمظهريتهم لاحكامه وشرائعه الظاهرة اولئك هم الصادقون فى مقام الفناء عنهم فى ذواتهم وصفاتهم وافعالهم والبقاء به اى بذاته وصفاته وافعاله جعلنا الله واياكم هكذا بفضله (والذين تبوأوا الدار والايمان) كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيئ بهم احسن رضى واكمله والانصار بنو الاوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان قال فى القاموس قحطان بن عامر بن شالخ ابو حى انتهى وهو اصل العرب العرباء ومن الانصار غسان كشداد ماء قرب الجحفة نزل عليه قوم من ولد الازد فشربوا منه فنسبوا اليه واصل البواء مساواة الاجزاء فى المكان خلاف النبو والذى هو منافاة الاجزاء يقال مكان بواء اذا لم يكن ناپيا بنازله وبوأت له مكانا سويت (وروى) انه عليه السلام كان يتبوأ لبوله كما يتبوأ لمنزله وتبوؤ المنزل اتخاذه منزلا والتمكن والاستقرار فيه فالمتبوأ فيه لابد ان يكون من قبيل المنازل والامكنة والدار هى المدينة وتسمى قديما يثرب وحديثا طيبة وطابة كذلك بخلاف الايمان فانه ليس من هذا القبيل فمعنى تبوئهم الدار والايمان انهم ذوالخ

المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوأوا الدار واخلصوا الايمان اوقبلوه او آثروه كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا * اى وسقيتها ماء باردا فاختصر الكلام وقيل غير ذلك يقول الفقير لعل اصل الكلام والذين تبوأوا دار الايمان فان المدينة يقال لها دار الايمان لكونها مظهره ومأوى اصله كما يقال لها دار الهجرة وانما عدل الى ماذكر من صورة العطف تنصيصا على ايمانهم اذ مجرد التبوء لايكفى فى المدح (من قبلهم) اى من قبل هجرة المهاجرين فقدر المضاف لان الانصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين بل منهم من امن قبل الهجرة ومنهم من آمن بعدها قال بعضهم مراد انصار ندكه در ديار خود ايمان آوردند و بدو سال پيش از قدوم حضرت مساجد ساختند و رو بالاسلام كار بى الطير الفرخ قال فى الارشاد يجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه عبارة عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهاره عامة شعائره واحكامه ولاريب فى تقدم الانصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لايتصور تقدمهم عليهم فى ذلك وفى الآية اشارة الى دار القلب التى هى دار الصدق والاخلاص والى الايمان الاختصاصى الوهبى بتحقيقه وتثبيته (يحبون من هاجر اليهم) خبر للموصول اى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ولان الله وحبيبه احباهم وحب الحبيب حبيب وفى كشف الاسرار كما يتست ازمهمان دوستئ انصار (ولايجدون فى صدورهم) اى فى نفوسهم (حاجة) اى شيأ محتاجا اليه (مما اوتوا) اى مما اوتى المهاجرون من الفيئ وغيره ومن بيانية يقال خذ منه حاجتك اى ماتحتاج اليه والمراد من نفى الوجدان نفى العلم لان الوجدان فى النفس ادراك علمى وفيه من المبالغة مالايخفى يعلمون وقال بعضهم طلب محتاج اليه يعنى ان نفوسهم لم تبتغ ماأوتوا ولم تطمح الى شئ منه يحتاج اليه وقيل وجدا على تقديمهم عليهم وغيظا وحسدا ونحو ذلك قال الراغب الحاجة الى الشئ الفقر اليه مع محبته (ويؤثرون) اى يقدمون المهاجرين فالمفعول محذوف (على انفسهم) فى كل شئ من اسباب المعاش جودا وكرما حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم والايثار اعطاؤك ماانت تحتاج اليه وفى الخبر لم يجتمع فى الدنيا قوم قط الا وفيهم اسخياء وبخلاء الا فى الانصار فان كلهم اسخياء مافيهم من بخيل (ولوكان بهم خصاصة) اى حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهى فرجة شبه حالة الفقر والحاجة ببيت ذى فرج فى الاشتمال على مواضع الحاجة قال الراغب عبر عن الفقر الذى لايسد بالخصاصة كما عبر عنه بالخلة والخص بيت من قصب وشجر وذلك لما يرى منه من الخصاصة وكان عليه السلام قسم اموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابادجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة رضى الله عنهم وروى لم يعط الا رجلين سهلا وابادجانة فان الحارث بن الصمة قتل فى بئر معونة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شئ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولانشاركهم فيها فنزلت وكان عليه السلام اعطى بعض الاراضى وابقى بعضها يزرع له ولما اعطى المهاجرين امرهم برد ماكان للانصار لاستغنائهم عنهم ولانهم لم يكونوا ملكوهم وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها ويدخل فى ايثارهم المهاجرين بالفيئ سائر الايثارات وعن انس رضى الله عنه انه قال اهدى لرجل من الانصار رأس شاة وكان محهودا فوجه به الى جار له زعما انه احوج اليه منه فوجه جاره ايضا الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداول ذلك الرأس سبعة بيوت الى ان رجع الى المجهود الاول قال حذيفة العدوى انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لى ومعى شئ من الماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا انا به فقلت اسقيك فأشار برأسه ان نعم فاذا رجل يقول آه آه فأشار الى ابن عمى ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فأشار ان نعم فسمع اخر يقول آه آه فأشار هشام ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قدمات فرجعت الى هشام فاذا هو قدمات فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قدمات وهذا من قبيل الايثار بالنفس وهو فوق الايثار بالمال * فداى دوست نكردم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى ايد * وقال فى التكملة الصحيح ان الآية نزلت فى ابى طلحة الانصارى رضى الله عنه حين نزل برسول الله عليه السلام ضيف ولم يكن عنده مايضيفه به فقال الا رجلا يضيف هذا رحمه الله فقام

ابو طلحة فانطلق به الى رحله وقال لامرأته اكرمي ضيف رسول الله فنومت الصبية واطفأت السراج وجعل الضيف يأكل وهما يريان انهما يأكلان معه ولا يفعلان فنزلت الآية وكان قناعة السلف اوفر ونفوسهم اقنع وبركتهم اكثر ونحن نؤثر انفسنا على الغير فاذا وضعت مائدة بين ايدينا يريد كل منا ان يأكل قبل الآخر ويأخذ اكثر مما يأخذ الرفيق ولذلك لم توجد بركة الطعام وينقد سريعا ويروى انه وقع بين ملك ووزيره انه قال الملك ان العلماء احسن حالا واصلح بالا من الفقراء وقال الوزير بخلاف ذلك ثم قال الوزير تمتحنهما في امرين فبعث احدا بعدة آلاف درهم الى اهل المدرسة فقال اذهب وقل لهم ان الملك امرني ان اعطي هذه الدراهم افضلكم واكملكم فمن هو فقال واحد منهم انا وقال الآخر كذب بل هو انا وهكذا ادعى كل منهم الافضلية فقال الرسول لم يتميز الافضل عندي ولم اعرفه ولم يعط شيأ فعاد واخبر بما وقع ثم ارسل الوزير تلك الدراهم الى اهل الخانقاه ففعلوا عكس ما فعله العلماء واعطى بيده سيفا فقال اذهب فقل لهم ان الملك امرني ان اضرب عنق رئيسكم فمن هو فقال واحد منهم انا وقال الآخر بل انا وهكذا قال كل منهم ايثارا ابقاء اخيه واختيارا فداء رفيقه بنفسه فقال الرسول لم يتميز ماهو الواقع عندي فرجع واخبر بما وقع فأرسل السيف الى العلماء ففعلوا عكس ما فعله الفقراء فحج بذلك الوزير على الامير وانت تشاهد ان فقراء زماننا على عكس هؤلاء الفقراء في البلاد والممالك قال ابو يزيد البسطامي قدس سره غلبني رجل شاب من اهل بلخ حيث قال لي ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هذا فعل كلاب بلخ عندنا بل اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا * كريم كامل آزادمي شناسم ازين دوران * كه كرنانى رسد از اسياى چرخ كردانش * زاستغناى همت باوجود فقر وبى برگى * زخود واكبر دوساز دنثار بى نوايانش

وفي العوارف من اخلاق الصوفية الايثار والمواساة وحملهم على ذلك فرط الشفقة والرحمة طبعا وقوة اليقين شرعا لانهم يؤثرون الموجود ويصبرون على المفقود قال يوسف بن الحسين رحمه الله من رأى لنفسه ملكا لا يصح له الايثار لانه يرى نفسه احق بالشيء رؤية ملكه انما الايثار لمن يرى الاشياء للحق فمن وصل اليه فهو احق به فاذا وصل شيء من ذلك اليه يرى نفسه ويده فيه يد غصب او يد امانة يوصلها الى صاحبها ويؤدي بها اليه معاذين جبل راديد نده كه در بازارمكه ميكرديد وزيره تره ميجيد وميكفت هذا ملكك مع رضاك وملك الدنيا مع سخطك * خيزيارا تابيخانه زماني دم زنيم * آتش اندر ملكت آل بنى آدم زنيم *

هرچه اسبابست جمع آييم وبس جمع آوريم * پس بحكم حال بيزارى همه برهم زنيم (ومن يوق شح نفسه) وهركه نكاه داشته شود از بخل نفس او يعني منع كند نفس را از حب مال وبغض انفاق والوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره والشح بالضم والكسر بخل مع حرص فيكون جامعا بين ذميمتين من صفات النفس واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل اي ومن يوق بتوفيق الله شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه والفلاح اسم لسعادة الدارين والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم فان الفتوة هي الاوصاف المذكورة في حقهم فلهم جلائل الصفات ودقائق الاحوال ولذا قال عليه السلام آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار وقال عليه السلام اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار وابناء ابناء الانصار قال السهروردي في العوارف السخاء صفة غريزية في مقابلة الشح والشح من لوازم صفة النفس حكم الله بالفلاح لمن يوق الشح اي لمن انفق وبذل والنبي عليه السلام نبه بقوله ثلاث مهلكات وثلاث منجيات لجعل احدى المهلكات شحا مطاعا ولم يقل مجرد الشح يكون مهلكا بل انما يكون مهلكا اذا كان مطاعا فاما كونه موجودا في النفس غير مطاع لا ينكر ذلك لانه من لوازم النفس مستمد من اصل جبلتها الترابي وفي التراب قبض وامساك وليس ذلك بالعجب من الآدمي وهو جبلي فيه وانما العجب وجود السخاء في الغريزة وهو في نفوس الصوفية الداعي لهم الى البذل والايثار والسخاء اتم واكمل من الجود وفي مقابلة الجود البخل وفي مقابلة السخاء الشح والجود والبخل يتطرق اليهما الاكتساب بطريق العادة بخلاف الشح والسخاء اذ كانا من ضرورة الغريزة وكل سخي جواد وليس كل جواد سخيا والحق تعالى لا يوصف بالسخاء لان السخاء من نتيجة الغرائز والله تعالى منزه عن الغريزة والجود يتطرق اليه الرياء ويأتي به الانسان متطلعا الى عوض

من الخلق والثواب من الله تعالى والسخاء لا يتطرق اليه الرياء لانه ينبع من النفس الزكية المرتفعة عن الاعواض دنيا وآخرة لان طالب العوض مشعر بالبخل لكونه مملولا بالعوض فتحصل سخاء فالسخاء لاهل الصفاء والايثار لاهل الانوار وقال الحسن رحمه الله الشح هو العمل بالمعاصي كأنه يشح بالطاعة فدخل فيه ماقيل الشح ان تطمح عين الرجل الى ماليس له وقاله عليه السلام من الشح نظرك الى امرأة غيرك وذلك فان الناظر يشح بالغض والعفة فلا يفلح (وروى) ان رجلا قال لعبدالله بن مسعود رضى الله عنه اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وماذاك قال اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لايكاد يخرج من يدى شئ فقال عبد الله ليس المراد بالشح الذى ذكر الله فى القرآن ان تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبأس الشئ البخل وفسر الشح بغير ذلك وعن الحكيم الترمذى قدس سره الشح اضر من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد بخلاف الشحيح وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله عليه السلام يقول لايجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد ابدا ولايجتمع الشح والايمان فى قلب عبد ابدا وقال عليه السلام من ادى الزكاة المفروضة وقرى الضعيف واعطى فى النائبة فقد برئ من الشح والشح اقبح البخل وقال عليه السلام اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم (قال الحافظ) احوال كجج قارون كايام داد برباد * باغنجه بازكو بيدتا زرنهان ندارد (وقال المولى الجامى فى ذم الحريص الشحيح) هرچند زند لاف كرم مرد درم دوست * دريوزهٔ احسان زدراونتوان كرد * دين مثلى هست كه از فضلهٔ حيوان * نارنج توان ساخت ولى بونتوان كرد (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذى هاجروا بعد ماغوى الاسلام فالمراد جاؤا الى المدينة اوالتابعون باحسان وهم الذين بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين فالمراد حينئذ جاؤا الى قضاء الوجود وفى الحديث (مثل امتى مثل المطر لايدرى اوله خير ام آخره يعنى درمنفعت وراحت همچون باران بهاراند بارانى ندانند كه اول آن بهتر ست يا آخر نفعى است عام اوعامهٔ خلق راحال امت من همچنين است همان در ويشان آخر الزمان آن شكستكان سرافكنده وهمين عزيزان وبزركواران صحابه همه برادرانند ودر مقام منفعت وراحت همه يكدست ويكسانند هم كالقطر حيث ماوقع نفع برمثال بارانند باران هرجا كه رسد نفع رساند هم در بوستان هم درخارستان هم بريخسان وهم برام غيلان همچنين اهل اسلام در راحت يكديكر ورأفت بريكديكر يكسانند ويك نشانند (يقولون) خبر للموصول والجملة مع وقعلد حهم بحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الآخرة فى الدين والسبق بالايمان اى يدعون لهم قائلين (ربنا اغفرلنا) مافرط منا (ولاخواننا) اى فى الدين الذى هواعزواشرف عندهم من النسب (الذين سبقونا بالايمان) وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم * چوخواهى كه نامت بودجاودان * مكن نام نيك بزرگان نهان * قدموا انفسهم فى طلب المغفرة لما فى المشهور من ان العبد لابد ان يكون مغفورا له حتى يستجاب دعاؤه لغيره وفيه حكم بعدم قبول دعاء العاصين قبل ان يغفر لهم وليس كذلك كما دلت عليه الاخبار فلعل الوجه ان تقديم النفس كونها اقرب النفوس معان فى الاستغفار اقرارا بالذنب فالاحسن للعبد ان يرى اولا ذنب نفسه كذا فى بعض التفاسير يقول الفقير نفس المرء اقرب اليه من نفس غيره فكل جلب اودفع فهو انما يطلبه اولا لنفسه لاعطاء حق الاقدم واما غيره فهو بعده ومتأخر عنه وايضا ان ذنب نفسه مقطوع بالنسبة اليه واما ذنب غيره فمحتمل فلعل الله قد غفر له وهو لايدرى وايضا تقديمهم فى مثل هذا المقام لايخلو عن سوء ادب وسوء ظن فى حق السلف (ولاتجعل فى قلوبنا غلا) اى حقدا وهو ذميمة فاحشة فورد المؤمن ليس بحقود يعنى كينه كش قال الراغب الغل والغلول تدرع الخيانة والعداوة لان الغلالة اسم مايلبس بين الشعار والدثار وتستعار للدرع كما تستعار الدرع لها (للذين آمنوا) على الاطلاق صحابة اوتابعين وفيه اشارة الى ان الحقد على غيرهم لائق لغيرة الدين وان لم يكن الحسد لائقا (قال الشيخ سعدى) دلم خانهٔ مهر يارست وبس * ازان مى نكنجد دروكين كس (ربنا انك رؤف رحيم) اى مبالغ فى الرأفة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا وفى الآية دليل على ان الترحم والاستغفار واجب على المؤمنين الآخرين للسابقين منهم لاسيما لآبائهم ولمعلميهم امور الدين قالت عائشة

رضى الله عنها امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم وفى الحديث (لاتذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها اولها) وعن عطاء قال قال عليه السلام من حفظنى فى اصحابى كنت له يوم القيامة حافظا ومن شتم اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فالرافضة والخوارج ونحوهم شر الخلائق خارجون من اقسام المؤمنين لان الله تعالى رتبهم على ثلاثة منازل المهاجرين والانصار والتابعين الموصوفين بما ذكر الله فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسامهم قال حجة الاسلام الغزالى رحمه الله يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين رضى الله عنه وحكاياته وماجرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فانه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم اعلام الدين وماوقع بينهم من المنازعات فيحمل على محامل صحيحة فلعل ذلك خطأ فى الاجتهاد لالطلب الرياسة اوالدنيا كما لايخفى وقال فى شرح الترغيب والترهيب المسمى بفتح القريب والحذر ثم الحذر من التعرض لمشاجرة بين الصحابة فانهم كلهم عدول خير القرون مجتهدون مصيبهم له اجران ومخطئهم له اجر واحد وقال الشيخ عزالدين بن عبد السلام فى فصل آفات اللسان الخوض فى الباطل هو الكلام فى المعاصى كحكاية احوال الوقاع ومجالس الخمور وتجبر الظلمة وحكاية مذاهب اهل الاهواء وكذا حكاية ماجرى بين الصحابة رضى الله عنهم * اى دل ازمن اكر بجويى بند * روباصحاب مصطفى دل بند * همه ايشان آمده زيشان * خواهشى كن شفاعتى زيشان * وقال بعض اهل الاشارة ربنا اغفرلنا اى استرظلمة وجودنا بنور وجودك واستر وجودات اخواننا الذين سبقونا بالايمان وهم الروح والسر والقلب السابقون فى السلوك من قرية النفس الى مدينة الروح المؤمنين بان الفناء الوجودى الامكانى يستلزم الوجود الواجبى الحقانى ولاتجعل فى قلوبنا شك الانانية واغيرية للذين آمنوا باخوانية المؤمنين لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة انك رؤف بمن شاهد الكثرة قائمة بالوحدة رحيم بمن شاهد الوحدة ظاهرة بالكثرة وفى تكرير ربنا اظهار لكمال الضراعة وفى الاثر من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف قال الامام الرازى اعلم ان العقل يدل على تقديم ذكر الله فى الدعاء لان ذكر الله تعالى بالثناء والتعظيم بالنسبة الى جوهر الروح كالاكسير الاعظم بالنسبة الى النحاس فكما ان ذرة من الاكسير اذا وقعت على عالم النحاس انقلب الكل ذهبا ابريزا فكذا اذا وقعت ذرة من اكسير معرفة جلال الله تعالى على جوهر الروح قوى صفاء وكمل اشراقا ومتى صار كذلك كانت قوته اقوى وتأثيره اكمل وكان حضور الشئ المطلوب عنده اقوى واكمل وهذا هوالسبب فى تقديم الدعاء بالثناء انتهى والوارد فى القرآن من الدعاء مذكور غالبا بلفظ الرب فان على العبد ان يذكر اولا ايجاد الله واخراجه من العدم الى الوجود الذى هو اصل المواهب ويتفكر فى تربية الله تعالى اياه ساعة فساعة واما دعوات رسول الله عليه السلام فاكثرها الابتداء بقوله اللهم لانه مظهر الاسم الجامع وقد كان يجمع بينهما ويقول اللهم ربنا كما جمع عيسى عليه السلام وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء والله سميع الدعاء وقابل الرجاء (الم تر) استئناف لبيان التعجب مما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة والمعنى آيانكار نكرده يامحمد اويامن له حظ من الخطاب (الى الذين نافقوا) من اهل المدينة قال الراغب النفق الطريق النافذ والسرب فى الارض النافذ ومنه نافقاء اليربوع وقد نافق اليربوع ونفق ومنه النفاق وهوالدخول فى الشرع من باب والخروج عنه من باب وعلى هذا نبه بقوله ان المنافقين هم الفاسقون اى الخارجون عن الشرع (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب) اللام للتبليغ والمراد بالاخوان بنو النضير واخوتهم اما توافقهم فى الكفر فان الكفر ملة واحدة اوصداقتهم ومواالاتهم (لئن اخرجتم) اللام موطئة للقسم وهى اللام الداخلة على حرف الشرط بعد تمام القسم ظاهرا اومقدرا ليؤذن ان الجواب له لاللشرط وقد تدخل على غير الشرط والمعنى والله لئن اخرجتم ايها الاخوان من دياركم وقراكم قسرا باخراج محمد واصحابه اياكم منها (لنخرجن معكم) البتة ونذهبن فى صحبتكم اينما ذهبتم لتمام المحبة بيننا وبينكم وهو جواب للقسم وجواب الشرط مضمر ولما كان جواب القسم وجواب الشرط متماثلين اقتصر على جواب القسم واضمر جواب الشرط وجعل المذكور جوابا للقسم بسعة وكذا قوله لايخرجون معهم وقوله لاينصرونهم كل واحد منهما جواب القسم ولذلك رفعت الافعال ولم تجزم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه و(ولانطيع فيكم) اى فى شأنكم (احدا) يمنعنا من الخروج معكم

(ابدا) وان طال الزمان ونصبه على الظرفية وهو لاستغراق المستقبل كما ان الازل لاستغراق الماضى ولا ستعمالها فى طول الزمانين جدا قد يضما فان الى جمعهما فيقال ابدا لآباد وازل الآزال واما السرمد فلاستغراق الماضى والمستقبل يعنى لاستمرار الوجود لا الى نهاية فى جانبهما (ومنه قول المولى الجامى)

دردت زازل آيدتارو زابد پايد * چون شكر كزا ردكس اين دولت سرمدرا (وان قوتلتم) اى قاتلكم محمد واصحابه حذفت منه اللام الموطئة (لننصرنكم) اى لنعاونكم على عدوكم ولانخذلكم (والله يشهد انهم لكاذبون) فى مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة (لئن اخرجوا) قهرا واذلالا (لايخرجون معهم) الخ تكذيب لهم فى كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الاجمال (ولئن قوتلوا لاينصرونهم) وكان الامر كذلك فان ابن ابى واصحابه ارسلوا الى بنى النضير وذلك سرائم اخلفوهم يعنى ان ابن ابى ارسل اليهم لاتخرجوا من دياركم واقيموا فى حصونكم فان معى الفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون حصنكم ويموتون عن آخرهم قبل ان يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قاله اللعين وهو جالس فى بيته حتى قال احد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم لحيى بن اخطب الذى كان هو المتولى لامر بنى النضير والله ياحيى ان قول ابن ابى لباطل وليس بشئ وانما يريد ان يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته ويتركك فقال حيى نأبى الاعداوة محمد والاقتاله فقال سلام فهو والله جلاؤنا من ارضنا وذهاب اموالنا وشرفنا وسبى ذرارينا مع قتل مقاتلينا فكان ماكان كما سبق فى اول السورة وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن اما الاول فلانه اخبر عما سيقع فوقع كما اخبر وذلك لان نزول الآية مقدم على الواقعة وعليه يدل النظم فان كلمة ان للاستقبال واما الثانى فمن حيث الاخبار عن الغيب (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الادبار) فرارا وانهزاما جمع دبر ودبر الشئ خلاف القبل اى الخلف وتولية الادبار كناية عن الانهزام الملزوم لتولية الادبار قال فى تاج المصادر التولية روى فراكردن و پشت بكردانيدن وهى من الاضداد (ثم لاينصرون) اى المنافقون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بنصرهم اليهود اولينهزمن اليهود ثم لاتنفعهم نصرة المنافقين وفى الآية تنبيه على ان من عصى الله ورسوله وخالف الامر فهو مقهور فى الدنيا والآخرة وان كان سلطانا ذامنعة ومايقع احيانا من الفرصة فاستدراج وغايته الى الخذلان * صعوه كو باعقاب سازد جنك * دهدا زخون خود پرش را رنك * واشارة الى ان الهوى وصفاته كالنفس فقين والنفس الكافرة واتباعها كاليهود وبينهما اخوة وهى الظلمة الذاتية والصفاتية وبين حقائقهما وحقائق الروح والسر والقلب تنافر كتنافر النور والظلمة فالهوى وصفاته يقولون للنفس وصفاتها لان اخرجكم الروح والسر والقلب من ديار وجوداتكم وانانياتكم بسبب غلبة انوارهم على ظلمات وجوداتكم لنخرجن معكم ولانخالفكم وان قوتلتم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة نقويكم بالقوى الشهوانية الحيوانية البهيمية السبعية وهم لايقدرون على شئ بغير اذن الله فهم كاذبون فى قولهم ولايخرج الهوى وصفاته معهم لان الهوى والنفس وان كانا متحدين بالذات لكنهما مختلفان بالصفات كاختلاف زيد وعمرو فى الصفات واتحادهما فى الذات وهو الانسانية وارتفاع احدهما لايستلزم ارتفاع الآخر والهوى بسبب غلبة روحانية القالب عليه يميل الى الروح تارة وبسبب غلظته ايضا يميل الى النفس اخرى فلاينصر النفس دائما ولئن نصرها ينفخ نار الظلمة فى حطب وجودها لينهزم بسبب سطوات اشعة انوار الروح والسر والقلب انهزام النور من الظلمة ونفار الليل من النهار الان حزب الله هم الغالبون (لانتم) يامعشر المسلمين وبالفارسية هرآينه شما كه مؤمنانيد (اشد رهبة) الرهبة مخافة مع تحزن واضطراب وهى هنا مصدر من المبنى للمفعول وهو رهب اى اشد مرهوبية وذلك لان انتم خطاب للمسلمين والخوف ليس واقعا منهم بل من المنافقين فالمخاطبون مرهوبون غير خائفين (فى صدورهم) اى صدور المنافقين (من الله) اى من رهبة الله بمعنى مرهوبيته قال فى الكشاف قوله فى صدورهم دال على نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وانتم اهيب فى صدورهم من الله فان قلت كانهم كانوا يرهبون من الله حتى يكون رهبتهم منه اشد قلت معناه ان رهبتهم فى السر منكم اشد من رهبتهم من الله التى يظهرونها لكم وكانوا يظهرون رهبة شديدة من الله يقول الفقير انما رهبوا من المؤمنين

الظهور نور الله فيهم فكما ان الظلمة تنفر من النور ولا تقاومه فكذا اهل الظلمة ينفر من اهل النور ولا يقوم معه ومرادنا بالظلمة ظلمة الشرك والكفر والرياء والنفاق وبالنور نور التوحيد والايمان والاخلاص والتقوى ولذلك قال تعالى اعلموا ان الله مع المتقين حيث ان الله تعالى اثبت معيته لاهل التقوى فنصرهم على مخالفيهم (ذلك) اى ماذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله (بانهم) اى بسبب انهم (قوم لا يفقهون) اى شيأ حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته قال بعض الكبار ليس العظمة بصفة الحق تعالى على التحقيق وانما هى صفة للقلوب العارفة به فهى عليها كالرداء على لابسه ولو كانت العظمة وصفا للعظيم لعظم كل من رآه ولم يعرفه وفى الحديث (ان الله يتجلى يوم القيامة لهذه الامة وفيها منافقوها فيقول انا ربكم فيستعيذون به منه ولا يجحدون له تعظيما وينكرونه لجهلهم به فاذا تجلى لهم فى العلامة التى يعرفونه بها وجدوا عظمته فى قلوبهم وخروا له ساجدين والحق اذا تجلى لقلب عبد ذهب منه اخطار الاكوان وما بقى الا عظمة الحق وجلاله وفيه تنبيه على ان من علامات الفقه ان يكون خوف العبد من الله اشد من خوفه من الغير وتقبيح لحال اكثر الناس على ما ترى وتشاهد قال عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين قال بعض العارفين الفقيه عند اهل الله هو الذى لا يخاف الا من مولاه ولا يراقب الا اياه ولا يلتفت الى ما سواه ولا يرجو الخير من الغير ويطير فى طلبه طيران الطير قال بعض الكبار لا يخلص الكمل من الرجال خوفهم من سبع او ظلم او نحو ذلك لان الجزع فى النشأة الانسانية اصلى فالنفوس ابدا مجبولة على الخوف ولذة الوجود بعد العدم لا يعدلها لذة وتوهم العدم العينى له الم شديد فى النفوس لا يعرف قدره الا العلماء بالله فكل نفس تجزع من العدم ان يلحق بها او بما قاربها وتهرب منه وترتاع وتخاف على ذهاب عينها فالكامل اضعف الخلق فى نفسه لما يشهده من الضعف فى نفسه فى كل لمحة برغوث فهو أدم ملئان بذله وفقره مع شهوده اصله علما وحالا وكشفا ولذلك لم يصدر قط من رسول ولا نبى ولا ولى كامل فى وقت حضوره انه ادعى دعوى تناقض العبودية ابدا (لا يقاتلونكم) اى اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم ولا يجترئون عليه (جميعا) اى مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن (الا فى قرى) جمع قرية وهى مجتمع الناس للتوطن (محصنة) محكمة بالدروب والخنادق وما اشبه ذلك قال الراغب اى محمولة بالاحكام كالحصون (او من وراء جدر) دون ان يحضروا لكم ويبارزوكم اى يشافهوكم بالمحاربة لفرط رهبتهم جمع جدار وهو كالحائط الا ان الحائط يقال اعتبارا بالاحاطة بالمكان والجدار يقال اعتبارا بالتنوء والارتفاع ولذا قيل جدر الشجر اذا خرج ورقه كانه حص وجدر الصبى اذا خرج جدريه تشبيها بجدر الشجر (بأسهم بينهم شديد) استئناف سيق لبيان ان ماذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى انفسهم فان بأسهم وحربهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله فى قلوبهم من الرعب وايضا ان اشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله قال فى كشف الاسرار اذا اراد الله نصرة قوم استأسد ارنبهم واذا اراد الله قهر قوم استرنب اسدهم اكر مرد ى ازمرد ى خود مكوى * نه هرشه سوارى بدر برد كوى * ان قيل ان البأس شدة الحرب فالحاجة الى الحكم عليه بشديد اجيب بانه اريد من البأس هنا مطلق الحرب فاخبر بشدته لتصريح الشدة اوارد المبالغة فى اثبات الشدة لبأسهم مبالغة فى شدة بأس المؤمنين لغلبته على بأسهم بتأييد الله ونصرته لهم عليهم والظرف متعلق بشديد والتقديم للحصر ويجوز ان يكون متعلقا بمقدر صفة اوحالا اى بأسهم الواقع بينهم اوواقعا بينهم فقولهم الظرف الواقع بعد المعرفة يكون حالا البتة ليس بمرضى فان الامرين جائزان بل قد ترجح الصفة (تحسبهم) يا محمد او يا كل من يسمع ويعقل (جميعا) مجتمعين متفقين ذوى الفة واتحاد (وقلوبهم شتى) اى والحال ان قلوبهم متفرقة لا الفة بينها فهم بخلاف من وصفهم بقوله ولكن الله الف بينهم جمع شتيت كمرضى ومريض وبالفارسية پراكنده وپريشان يقال شت يشت شتا وشتاتا وشتيتا فرق وافترق كانشت وتشتت وجاؤا اشتاتا اى متفرقين فى الاقطار وفى الآية تشجيع لقلوب المؤمنين على قتالهم وتحسير لهم وان اللائق بالمؤمن الاتفاق والاتحاد صورة ومعنى كما كان المؤمنون متفقين فى عهد النبى عليه السلام ويقال الاتفاق قوة والافتراق هلكة والعدو ابليس يظفر فى الافتراق بمراده قال سهل اهل الحق مجتمعون ابدا موافقون وان تفرقوا بالابدان وتباينوا بالظواهر واهل الباطل متفرقون ابدا وان اجتمعوا

بالابدان وتوا فقوا بالظواهر لان الله تعالى يقول تحسبهم الخ (ذلك بانهم) اى ماذكر من تشتت قلوبهم بسبب انهم (قوم لايعقلون) اى لايعقلون شيأ حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وتشتت القلوب يوهن قواهم لان صلاح القلب يؤدى الى صلاح الجسد وفساده الى فساده كما قالوا كل اناء يترشح بما فيه اعلم ان الله تعالى ذم الكفار فى القرآن بكل من عدم الفقه والعلم والعقل قال الراغب الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم والعلم ادراك الشئ بحقيقته وهو نظرى وعملى وايضا عقلى وسمعى والعقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ولهذا قال امير المؤمنين على رضى الله عنه (وان العقل عقلان * فمسموع ومطبوع * ولاينفع مطبوع * اذا لم يك مسموع كما لاتنفع الشمس * وضوء العين ممنوع) والى الاول اشار عليه السلام بقوله ما خلق الله شيأ اكرم عليه من العقل والى الثانى اشار بقوله ما اكتسب احد شيأ افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى وهذا العقل هو المعنى بقوله ومايعقلها الا العالمون وكل موضع ذم الكفار بعدم العقل فاشارة الى الثانى دون الاول وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الاول انتهى وفى الحديث العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل وعن انس رضى الله عنه قيل يارسول الله الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب قال وما من آدمى الا وله ذنوب وخطايا يقترفها فمن كان سجيته العقل وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه قيل كيف ذلك يارسول الله قال لانه كلما اخطأ لم يلبث ان يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ماكان منه فيمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وعنه ايضا رضى الله عنه انى قوم على رجل عند رسول الله حتى بالغوا فى الثناء بخصال الخير فقال رسول الله كيف عقل الرجل فقالوا يارسول الله نخبرك عنه باجتهاده فى العبادة واصناف الخير وتسأ لنا عن عقله فقال نبى الله ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم قال على بن عبيدة العقل ملاك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه اعرابى فقال هذا الكلام قطر عسله وقال بعضهم اذا كمل العقول نقص الفضول اى لان العقل يعقله ويمنعه عما لايعنيه وكل شئ اذا كثر رخص غير العقل فانه اذا كثر غلا وقال اعرابى لو صور العقل لاظلمت معه الشمس ولو صور الحمق لاضاءت معه الليل فالعقل نور شئ والحمق اظلمه وقيل العاقل يعيش بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته اى ففى العقل قوة شجاعة الاسد ويعلم منه بالمقايسة ان فى الحمق ضعف حال الارنب ونحوه * كشتى بى لنكر آمد در شمر * كه زباد كژ نيايد او حذر * لنكر عقلست عاقل را امان * لنكرى در يوزه كن از عاقلان (كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين وصفتهم العجيبة وحالهم الغريبة كمثل اهل بدر وهم مشركوا اهل مكة او كمثل بنى قينقاع على ماقيل انهم اخرجوا قبل بنى النضير وبنو قينقاع مثلثة النون والضم اشهر كانوا اشجع اليهود واكثرهم اموالا فلما كانت وقعة بدر اظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد كبنى النضير وأخرجهم رسول الله من المدينة الى الشام اى لان قريتهم كانت من اعمالها ودعا عليهم فلم يدر الحول عليهم حتى هلكوا اجمعوا وقد عرفت قصتهم فى الجلد الاول (قريبا) اتصاله بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الذين الخ يعنى بدلالة المقام لالاقتضاء الاقرب اى فى زمان قريب قال مجاهد كانت وقعة بدر قبل غزوة بنى النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا فتكون قبل وقعة احد وقيل بسنتين فتكون تلك الغزوة فى السنة الرابعة لان غزوة بنى النضير كانت بعد احد وهى كانت بعد بدر بسنة (ذاقوا وبال امرهم) قال الراغب الوبل والوابل المطر الثقيل القطار ولمراعاة الثقل قيل للامر الذى يخاف ضرره وبال وطعام وبيل والامر واحد الامور لا الاوامر اى ذاقوا سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا وهو عذاب القتل ببدر وكانت غزوة بدر فى رمضان من السنة الثانية من الهجرة قبل غزوة بنى النضير (ولهم) فى الآخرة (عذاب اليم) مؤلم لايقادر قدره حيث يكون مافى الدنيا بالنسبة اليه كالذوق بالنسبة الى الاكل والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك فى الدنيا والآخرة لكن لاعلى ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهو مانطق به قوله تعالى (كمثل الشيطان) فانه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهى اغزارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم آخرا

وقد اجمل فى النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كأنه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال حسبما حكى عنهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) قول الشيطان مجاز عن الاغواء والاغراء اى اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به (فلما كفر) الانسان المذكور اطاعة لاغوائه وتبعا لاهوائه (قال) الشيطان (انى برئ منك) اى بعيد عن عملك واملك غير راض بكفرك وشركك وبالفارسية من بيزارم ازتو يقال برئ يبرأ فهو برئ واصل البرء والبراءة والتبرى التقصى مما يكره مجاورته قال العلماء ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبرى من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى (انى اخاف الله رب العالمين) وان اريد ابو جهل على ان يكون اللام للعهد فقوله تعالى اكفر اى دم على الكفر پس چون برآن ثبات ورزيد ونهال شرك در زمين دل او استحكام يافت قال انى الخ عبارة عن قول ابليس له يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتات نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى ارى مالا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب يعنى لما قاتلوا ورأى ابليس جبرائيل مع محمد عليهما السلام خافه فتبرأ منهم وانهزم قال بعضهم هذا من كذبات اللعين فانه لو خاف حقيقة وقال صدقا لما استمر على ما ادى الى الخوف بعد ذلك كيف وقد طلب الانظار الى البعث الاغواء وقال ابو الليث قال ذلك على وجه الاستهزاء ولا بعد ان يقول له ليوقعه فى الحسرة والحرقة انتهى * يقول الفقير الظاهر ان الشيطان يستشعر فى بعض المواد جلال الله تعالى وعظمته فيخافه حذرا من المؤاخذة العاجلة وان كان منظرا ولا شك ان كل احد يخاف السطوة الالهية عند ظهور امارتها الا ترى الى قوله تعالى وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين على ان نحو قاطع الطريق وقاتل النفس ربما فعل ما فعل وهو خائف من الاخذ (فكان عاقبتهما) اى عاقبة الشيطان وذلك الانسان وهو بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله (انهما فى النار) وقرئ بالعكس وهو اوضح (خالدين فيها) مقيمين لا يبرحان وهو حال من الضمير المقدر فى الجار والمجرور المستقر وروى خالدان على انه خبر ان وفى النار لغو لتعلقه بخالدان (وذلك) اى الخلود فى النار (جزاء الظالمين) على الاطلاق دون هؤلاء خاصة وقال بعض اهل التفسير المراد بالانسان برصيصا الراهب من بنى اسرائيل در روزگار فترت صومعه ساخته بود هفتاد سال دران صومعه مجاور گشته وخدايرا پرستيده وابليس در كار وى فرومانده روزى مردة شياطين راجمع كرد وگفت من يكفينى امر هذا الرجل يكى گفت من اين كار كفايت كنم ومراد تو ازوى حاصل گردانم بدر صومعه وى رفت برزى راهبان ومتعبدان گفت من مرد راهم عزلت وخلوت مى طلبم تراچه زيان اگر من بصحبت تو بيايم ودرخلوت خدايرا عبادت كنم برصيصا بصحبت وى تن درنداد وگفت انى لفى شغل عنك يعنى مرا در عبادت الله چندان شغلست كه پروای صحبت تو نيست وعادت برصيصا ان بود كه چون درنماز شدى ده روز ازنماز بيرون نيامدى وروزه دار بودوهر ده روز افطار كردى شيطان برابر صومعه وى درنماز ايستاد وجهد وعبادت خود برجهد وعبادت برصيصا بيفزود چنانكه بچهل روز ازنماز بيرون نيامدى وبهر چهل روز افطار كردى آخر برصيصا اورا بخود راه داد چون آن عبادت وجهد فراوان وى ديد وخودرا درجنب وى قاصر ديد انكه شيطان بعد از يك سال گفت مرا رفيق ديگر است وظن من چنان بود كه تعبد واجتهاد تو ازوى زيادتست اكنون كه ترا ديدم نه چنانست كه مى پنداشتم وبازديك وى ميروم برصيصا مفارقت وى كراهيت داشت وبصحبت وى رغبتى تمام مى نمود شيطان گفت مرا ناچار ست رفتن اما ترا دعايى آموزم كه بيمار ومبتلى ديوانه كه بروى خوانى دروقت الله تعالى اورا شفا دهد وترا اين به باشد از هزار عبادت كه كنى كه خلق خدايرا از تو نفع بود وراحت برصيصا گفت اين نه كارمنست كه آنكه ازوقت وردخود باز مانم وسيرت وسريرت من در شغل مردم شود شيطان تا آنكه ميكوشيد كه آن دعا ويرا در آموخت واورا برسر آن شغل داشت شيطان ازوى باز گشت وبا ابليس گفت والله لقد اهلكت الرجل پس برفت ومردى را تحنيق كرد چنانكه ديو با مردم كند آنكه بصورت طبيبى برآمد بردر آن خانه گفت ان بصاحبكم جنونا فأعالجه چون او راديد گفت انى لا اقوى على جنه يعنى من با ديو او نتوانم لكن شما را ارشاد كنم بكسى كه اورا دعا كند دروقت شفا يابد

واو برصیصای راهب است که در صومعه نشیند او را بروی بردند و دعا کرد و آن دیو ازوی بازشد و صحت یافت
پس این شیطان رفت و زنی را زدختران ملوك بنی اسرائیل رنجه و دیوانه کرد و آن زن جمال باکمال داشت
و او را سه برادر بودند شیطان بصورت طبیب پیش ایشان رفت و آن دختر را بوی نمودند گفت ان الذی
عرض لها مارد لا یطاق ولکن سأرشدکم الی من یدعوله یعنی برآن رهت شوید که دعا کنند و شفا یابد گفتند
ترسیم که فرمان ما نبرد گفت صومعهٔ ساز ید در جنب صومعهٔ وی و زن را دران صومعه بخانید و باوی گویید
این امانت است بنزدیك تو نهادیم و ما رفتیم از بهر خدا و امید ثواب نظر ازوی بازمگیر و دعایی کن تا شفا یابد
ایشان همچنان کردند و راهب از صومعهٔ خود بزیر آمد و او را دید زنی بغایت جمال و از جمال وی در فتنه
افتاد شیطان او را آن ساعت وسوسه کرد که واقعه هائم تب زیرا که در توبه کشاده و رحمت خدا فراوانست
راهب بفرمان شیطان کام خود ازوی برداشت و زن بار کرفت راهب پشیمان گشت و از فضیحت ترسید همان
شیطان در دل وی افکند که این زن را بباید کشت و پنهان باید کرد چون بردران آیند گویم که دیو او را ببرد
و ایشان مرا براست دارند و از فضیحت ایمن گردم آنکه از زنا و از قتل توبه کنم برصیصا او را کشت و دفن کرد
چون برادران آمدند و خواهر را ندیدند گفت جاء شیطانها فذهب بها ولم اقو علیه ایشان او را راست داشتند
و باز گشتند شیطان آن برادر انرا بخواب نمود که راهب خواهر شما کشت و در فلان جایکه دفن کرد سه شب
پیاپی ایشانرا چنین خواب می نمود تا بشان رفتند و خواهر را کشته از خاك برداشتند برادر آن او را از صومعه
بزیر آوردند و صومعه خراب کردند و او را پیش پادشاه وقت بردند تا بفعل و گناه خود مقر آمد و پادشاه فرمود
تا او را بر دار کشند آن ساعت شیطان بر اوی آمد و گفت این همه ساخته و راستهٔ منست اگر آنچه من فرمایم
بجای آری ترا نجات و خلاص پدید آید گفت هرچه فرمایی ترا اطاعت کنم گفت مرا سجده کن
آن بدبخت او را سجده کرد و کافر گشت و او را دار کفر بردار کردند و شیطان آنکه گفت انی بری منك
انی اخاف الله رب العالمین فکان عاقبتهما یعنی الشیطان و برصیصا العابد کان آخر امرهما انهما فی النار
خالدین فیها و ذلك جزاء الظالمین * خیالات نادان حلوا نشین * بهم برکنند عاقبت کفر و دین * کزو دست باید کزو
برخوری * نباید که فرمان دشمن بری * بنی نیك مردان بباید شتافت * که هرکین سعادت طلب کرد یافت * ولیکن
تو دنبال دیو خسی * ندانم که در صالحان کی رسی * والمراد من هذا الشیطان هو الشیطان الابیض الذی یأتی
الصلحاء فی صورة الحق (قال الکاشفی) آن بی سعادت بعد از عبادت هفتاد سال بور طهٔ شقاوت ابدی
کرفتار کشت * غافل مشو که مرکب مردان مردرا * درسنکلاخ وسوسه پیها پدید اند وفی زهرة الریاض
غیر الله الایمان علی برصیصا بعد ما عبد الله مائتین وعشرین سنة لم یعص الله فیها طرفة عین وکان ستون الفا
من تلامذته یمشون فی الهواء ببرکته وعبد الله حتی تعجبت الملائکة من عبادته قال الله تعالی لهم لماذا
تتعجبون منه انی لاعلم ما لا تعلمون ففی علمی انه یکفر ویدخل النار ابدا فسمع ابلیس وعلم ان هلاکه علی یده فجاء
الی صومعته علی شبه عابد وقد لبس المسح فناداه فقال له برصیصا من انت وما تر ید قال انا عابد اکون لك عونا
علی عبادة الله قال له برصیصا من اراد عبادة الله فالله یکفیه صاحبا فقام ابلیس یعبد الله ثلاثة ایام ولم یأکل
ولم یشرب قال برصیصا انا افطر وانام وآکل واشرب وانت لا تأکل ثم قال انی عبدت الله مائتین وعشرین
سنة فلا اقدر علی ترك الاکل والشرب قال ابلیس انا اذنبت ذنبا فمتی ذکرته یتنغص علی النوم والاکل
والشرب قال برصیصا ما حیلتی حتی اصیر مثلك قال اذهب واعص الله ثم تب الیه فانه رحیم حتی تجد
حلاوة الطاعة قال کیف اعصیه بعد ما عبدته کذا وکذا سنة قال ابلیس الانسان اذا اذنب یحتاج الی المعذرة
قال ای ذنب تشیر به قال الزنی قال لا افعله قال ان تقتل مؤمنا قال لا افعله قال اشرب الخمر المسکر فانه اهون
وخصمك الله قال این اجده قال اذهب الی قریة کذا فذهب فرأی امرأة جمیلة تبیع خمرا فاشتری منها الخمر وشربها
وسکر وزنی بها فدخل علیهما زوجها فضربه وقتله ثم ان ابلیس تمثل فی صورة الانسان وسعی به الی السلطان
فأخذه وجلده للخمر ثمانین جلدة وللزنی مائة وامر بالصلب لاجل الدم فلما صلب جاءه ابلیس فی تلك الصورة
قال کیف تری حالك قال من اطاع قرین السوء فجزاؤه هکذا قال ابلیس کنت فی بلائك مائتین وعشرین سنة
حتی صلبتك فلو اردت النزول انزلتك قال اربد واعطیك ما تر ید قال اسجد لی مرة واحدة قال کیف اسجد

على الخشب قال اسجد بالايماء فسجد وكفر فذلك قوله تعالى كمثل الشيطان الخ قال ابن عطية هذا اى كون المراد بالانسان برصيصا العابد ضعيف والتأويل الاول هو وجه الكلام وفى القصة تحذير عن فتنة النساء (روى) انه عليه السلام كان يصلى فى بيت ام سلمة رضى الله عنها فقام عمر بن ام سلمة ليمر بين يديه فاشار اليه ان قف فوقف ثم قامت زينب بنت ام سلمة لتمر بين يديه فاشار اليها ان قفى فابت ومرت فلما فرغ من صلاته نظر اليها وقال ناقصات العقل ناقصات الدين صواحب يوسف صواحب كرسف يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام قال الخازى فى حواشى الهداية قال مولانا مجد الدين رحمه الله كرسف اسم زاهد وقع فى الفتنة بسبب امرأة وقال المطرزى فى المغرب كرسف رجل من زهاد بنى اسرائيل كان يقوم الليل ويصوم النهار فكفر بسبب امرأة عشقها ثم تداركه الله بما سلف منه فتاب عليه هكذا فى الفردوس ومنه الحديث صاحبات يوسف صاحبات كرسف انتهى * قال ابن عباس رضى الله عنهما وكانت الرهبان فى بنى اسرائيل لا يعشون الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفجور والفسق فى الاخيار فرموهم بالبهتان والقبيح حتى كان امر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموه به انبسطت بعدها الرهبان وظهروا للناس وفى الحديث (كان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة وكان فيها فأتته امه وهو يصلى فقالت ياجريج فقال اى بقلبه اى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته وهو يصلى فقالت ياجريج فقال اى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته وهو يصلى فقالت ياجريج فقال اى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان الغد أتته فقالت ياجريج فقال اى رب امى وصلاتى فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات فتذاكر بنوا اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال اى النبى عليه السلام فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان يأوى الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال اين الصبى فجؤا به فقال دعونى حتى اصلى فصلى فلما انصرف اتى بالصبى فطعن فى بطنه وقال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعى قال اى النبى عليه السلام فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبنى لك صومعتك من ذهب قال لا اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا وبينا صبى يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة وهيئة حسنة فقالت امه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلنى مثله ثم اقبل على ثديه فجعل يرتضع قال اى الراوى وهو ابو هريرة رضى الله عنه فكأنى انظر الى رسول الله عليه السلام وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة فى فمه فجعل يمصها قال اى النبى عليه السلام ومر بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت امه قد مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها قال اى الرضيع ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت سرقت ولم تزن ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها انتهى الحديث وفيه اشارة الى انه ينبغى للمؤمن ان لا يمد عينيه الى زخارف الدنيا ولا يدرى والله فيما لا يدرى اهو خير له ام شر بل ينبغى له ان يطلب منه البراءة من السوء وخيرا الدارين كما قال تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار نسأل الله سبحانه العفو والعافية مطلقا (يا ايها الذين امنوا) ايمانا خاصا (اتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذرون فتحرزوا عن العصيان بالطاعة وتجتنبوا عن الكفران بالشكر وتتوقوا عن النسيان بالذكر واحذروا عن الاحتجاب عنه بافعالكم وصفاتكم بشهودا فعاله وصفاته (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ماشرطية اى اى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيامة تاكر تقديم خيرات وطاعات كند شكر كزارى نمايد ودر زيادتى آن كوشد واكر معاصى فرستاده توبه كند وپشيمان شود عبر عن يوم القيامة بالغد لدنوه لان كل آت قريب يعنى سماه باليوم الذى يلى يومك تقريبا له وعن الحسن رحمه الله لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كأن لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضى او عبر عنه به لان الدنيا اى زمانها كيوم والآخرة كغده لاختصاص كل منهما باحوال واحكام متشابهة وتعقيب الثانى الاول فقوله لغد استعارة

يقول الفقير انما كانت الآخرة كالغد لان الناس فى الدنيا نيام ولا انتباه الا عند الموت الذى هو مقدمة القيامة كما ورد به الخبر فكل من الموت والقيامة كالصباح بالنسبة الى الغافل كما ان الغد صباح بالنسبة الى النائم فى الليل ودل هذا على ان الدنيا ظلمانية والآخرة نورانية وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واصله غدو حذفوا الواو بلا عوض واستشهد عليه بقول لبيد

وما الناس الا كالديار واهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

اذجاء به على اصله والبيت من ابيات العبرة واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة فى ذلك قال بعضهم الاستقلال يكون بمعنى عد الشئ قليلا و بمعنى الانفراد فى الامر فعلى الاول يكون المراد استقلال الله النفوس الناطقة كما قال تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولكن اكثرهم يجهلون وكانه اقيم الاكثر مقام الكل مبالغة فأمر على الوحدة فلا يضره وجود النفس الكاملة العاقلة الناظرة الى العواقب بالنظر الصائب والرأى الثاقب وعلى الثانى يكون المراد انفراد النفوس فى النظر واكتفاء هـ فيه بدون انضمام نظر الاخرى فى الاطلاع على ما قدمت خيرا او شرا قليلا او كثيرا وجودا او عدما وفيه حث عظيم * جهل من وعلم تو فلك راچه تفاوت * آنجا كه بصر نيست چه خوبى وچه زشتى (واتقوا الله) تكرير للتأكيد والاهتمام فى شأن التقوى واشارة الى ان اللائق بالعبد ان يكون كل امره مسبوقا بالتقوى ومختوما بها والاول فى اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل والثانى فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله سبحانه (ان الله خبير بما تعملون) اى عالم بما تعملونه من المعاصى فيجزيكم يوم الجزاء عليها ودر كشف الاسرار فرموده كه اول اشارتست باصل تقوى ودوم بكمال آن يا اول تقواى عوامست وآن پرهيز كردن باستداد محرمات وسوم تقواى خواص وآن اجتناب بود از هرچه مادون حقست * اصل تقوى كه زاد اين راهست * ترك مجموع ماسوى اللهست * والتقوى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقال بعض الكبار التقوى وقاية النفس فى الدنيا عن ترتب الضرر فى الآخرة وتقوى العامة عن ضرر الاعمال وتقوى الخاصة عن ضرر الصفات وتقوى اخص الخواص عن جميع ماسوى الله تعالى عزيزى كفته كه استدنيا سفالى است وآن نيرزد رخواب وآخرت نيز جوهرى است يافته در بيدارى مردنه انست كه در سفال بخواب ديده متقى شود مرد مردان آنست كه در كوهر در بيدارى يافته متقى شود فلا بد من التقوى مع وجود العمل (قال الصائب) بى عمل دارد من تقوى زمناهى چيدن * احتراز سلك مسلخ بود از شاشهٔ خويش * وفى الآية ترغيب فى الاعمال الصالحة وفى الاثر ان ابن آدم اذا مات قالت الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم وعن مالك بن دينار رحمه الله مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا بقدر الكد تكتسب المعالى * ومن طلب العلى سهر الليالى

(وحكى) عن مالك بن دينار رحمه الله ايضا انه قال دخلت جبانة البصرة فاذا انا بسعدون المجنون فقلت له كيف حالك وكيف انت فقال يا مالك كيف حال من اصبح وامسى يريد سفرا بعيدا بلا اهبة ولازاد ويقدم على رب عدل حاكم بين العباد ثم بكى بكاء شديدا فقلت ما يبكيك قال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت والبلى ولكن بكيت ليوم مضى من عمرى ولم يحسن فيه عملى ابكانى والله قلة الزاد وبعد المسافة والعقبة الكؤود ولا ادرى بعد ذلك اصيرالى الجنة ام الى النار فقلت ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وانت اغتررت بما اغتر به اهل الدنيا زعم الناس انى مجنون وما بى جنة ولكن حب مولاى قد خالط قلبى وجرى بين لحمى ودمى وانا من حبه هائم مشغوف فقلت ياسعدون فلم لا تجالس الناس ولا تخالطهم فأنشد

كن من الناس جانبا * وارض بالله صاحبا
قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا

وفى التأويلات النجمية يا ايها الذين آمنوا بالايمان الحقيقى الشهودى الوجودى اجعلوا الله وقاية نفوسكم فى اضافة الكمالات اليه ولتنظر نفس كاملة عارفة بذات الله وصفاته ماهيأت لغد يوم الشهود واتقوا الله عن الالتفات الى غيره ان الله خبير بما تعملون من الاقبال على الله والادبار عن الدنيا ومن الادبار عن الله والاقبال على الدنيا انتهى ويدخل فى قوله نفس النفوس الجنية لانهم من المكلفين فلهم من التقوى والعمل

ما الانس كما عرف فى مواضع كثيرة (ولاتكونوا) ايها المؤمنون (كالذين) اى كاليهود والمنافقين فالمراد بالموصول المعهودون بمعونة المقام او الجنس كائنا من كان من الكفار اموانا او احياء (نسوا الله) فيه حذف المضاف اى نسوا حقوقه تعالى وماقدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اموره ونواهيه حق رعايتها (فأنساهم) بسبب ذلك (انفسهم) اى جعلهم ناسين لها فلم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا مايخلصها فالمضى على اصله اوارادهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم فالمضى باعتبار التحقق قال الراغب النسيان ترك الانسان ضبط ما استودع اما لضعف قلبه واما عن غفلة او عن قصد حتى يحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الانسان ذمه الله به فهو ماكان اصله من تعمد وماعذر فيه نحو ماروى عن النبى عليه السلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان فهو مالم يكن سببه منه فقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا هو ماكان سببه عن تعمد منهم وتركه على طريق الاهانة واذا نسب ذلك الى الله فهو تركه اياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه كما قال فى اللباب قد يطلق النسيان على الترك ومنه نسوا الله فنسيهم اى تركوا طاعة الله ترك الناسى فتركهم الله وقال بعض المفسرين ان قيل النسيان يكون بعد الذكر وهو ضد الذكر لانه السهو الحاصل بعد حصول العلم فهل كان الكفار يذكرون حق الله و يعترفون بربوبيته حتى ينسوا بعد اجيب بأنهم اعترفوا وقالوا بلى يوم الميثاق ثم نسوا ذلك بعد ماخلقوا والمؤمنون اعترفوا بها بعد الخلق كما اعترفوا قبله بهداية الله وراعوا حقها قل او كثر جل اوصغر (سئل ذوالنون المصرى قدس سره) عن سر ميثاق مقام الست بربكم هل تذكره فقال كأنه الآن فى اذنى ودر نفحات مذكورست كه على سهل اصفهانى را گفتند كه روز بلى راياد دارى گفت چون ندارم كويى دى بوشيخ الاسلام خواجهٔ انصارى فرمود كه درين سخن نقص است صوفى رادى وفردا چه بودان روز را هنوز شب درنيامده وصوفى درهمان روزست و يدل عليه قوله الآن انه على ماكان عليه ثم ان قوله تعالى ولاتكونوا الخ تنبيه على ان الانسان بمعرفته لنفسه يعرف الله فنسيانه هو من نسيانه لنفسه كما قال فى فتح الرحمن لفظ هذه الآية يدل على انه من عرف نفسه ولم ينسها عرف ربه وقد قال على رضى الله عنه اعرف نفسك تعرف ربك وقال سهل رحمه الله نسوا الله عند الذنوب فأنساهم الله انفسهم عند الاعتذار وطلب التوبة ومن لطائف العرفى * ما لب آلوده بهر تو به بكشاييم ليك * بانك عصيان ميرند ناقوس استغفار ما (اولئك) الناسون المخذولون بالانساء (هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق والخروج عن طريق الطاعة وهم للحصر فافادان فسقهم كان بحيث ان فسق الغير كانه ليس بفسق بالنسبة اليه فالمراد هنا الكافرون لكن على المؤمن الغافل عن رعاية حق ربوبية الله ومراعاة حظ نفسه من السعادة الابدية والقربة من الحضرة الاحدية خوف شديد وخطر عظيم وفيه اشارة الى ان الذين نسوا الله هم الخارجون عن شهود الحق فى جميع المظاهر الجمالية والجلالية وحضوره الداخلون فى مقام شهود انفسهم فمن اشتغل بقضاء حظوظ نفسه نسى طيب العيش مع الله وكان من الغافلين عن اللذات الحقيقية ومن فنى عن شهوات نفسه بقى مع تجليات ربه (لايستوى اصحاب النار) الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود فى النار والنار باللام من اعلام جهنم كالساعة للقيامة ولذا كثيرا ماتذكر فى مقابلة الجنة كما فى هذا المقام وجاء فى الشعر

الجنة الدار فاعلم ان عملت بما * يرضى الاله وان فرطت فالنار
هما محلان ماللناس غيرهما * فانظر لنفسك ماذا انت تختار

والصحبة فى الاصل اقتران الشئ بالشئ فى زمان ماقل او كثر وبذلك يكون كل منهما صاحب الآخر وان كانت على المداومة واللازمة يكون كمال الصحبة ويكون الصاحب المصاب عرفا وقد يطلق على الطرفين حينئذ صاحب ومصاب ايضا ومن ذلك يكنى عن الزوجة بالصاحبة وقد يقال للمالك لكثرة صحبته بملوكه كما قيل له الرب اوقوع تربية المالك على مملوكه فيقال صاحب المال كما يقال رب المال فاطلاق اصحاب النار واصحاب الجنة على اهلهما اما باعتبار الصحبة الابدية والاقتران الدائم حتى لايقال للعصاة المعذبين بالنار مقدار ما شاء الله اصحاب النار اوباعتبار الملك مبالغة ورمزا الى انهما جزاء لاهلهما باعتبار كسبهما باعمالهم الحسنة والسيئة (واصحاب الجنة) الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة قال فى الارشاد لعل تقديم اصحاب النار فى الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم

لامن جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواضع واما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة والاعدام مسبوقة بملكاتها وقال بعضهم قدم اصحاب النار لذكر الذين نسوا الله قبله ولكثرة اهلها ولان اول طاعة اكثر الناس بالخوف ثم بالرجاء ثم بالمحبة فى البعض ولادلالة فى الآية الكريمة على ان المسلم لايقتص بالكافر وان الكفار لايملكون اموال المسلمين بالقهر كماهو مذهب الشافعى لان المراد عدم الاستواء فى الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير من الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى (اصحاب الجنة هم الفائزون) فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين فالفوز الظفر مع حصول السلامة اى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه فهم اهل الكرامة فى الدارين واصحاب النار اهل الهوان فيهما وفيه تنبيه للناس بانهم لفرط غفلتهم ومحبتهم العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لايعرفون الفرق بين الجنة والنار و بين اصحابهما حتى احتاجوا الى الاخبار بعدم الاستواء كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لايعرفه فتنبه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف فكذا نبه الله تعالى الناس بتذكير سوء حال اهل النار وحسن حال اهل الجنة على الاعتبار والاحتراز عن الغفلة ورفع الرأس عن المعاصى والتحاشى من عدم المبالاة قال عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال عليه السلام ان اهون اهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل مايرى ان احدا اشد منه عذابا ورؤى الشيخ الحجازى ليلة يردد قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض ويبكى فقيل له قد ابكتك آية مايبكى عند مثلها فقال فما ينفعنى عرضها اذا لم يكن لى فيها موضع قدم وخرج على سهل الصعلوكى من مسخن حمام يهودى فى طمر اسود من دخانه فقال التم ترون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فقال سهل على البداهة اذا صرت الى عذاب الله كانت هذه جنتك واذا صرت الى نعيم الله كانت هذه سجنى فتعجبوا من كلامه (قال الشيخ سعدى) چومارا بدنيا توكردى عزيز * بعقبى همان چشم داريم نيز *
عزيزى وخوارى توبخشى وبس * عزيزتوخوارى نه بيند زكس *خدايا بعزت كه خوارم مكن *
بذل كنه شرمسارم مكن * قال بعض اهل الاشارة اصحاب النار فى الحقيقة اصحاب المجاهدات الذين احترقوا بنيرانها واصحاب الجنة اصحاب المواصلات الذين وقعوا فى روح المشاهدات وفى الظاهر اصحاب النار اصحاب النفوس والاهواء الذين اقبلوا على الدنيا واصحاب الجنة اصحاب القلوب والمراقبات قال الحسين النورى قدس سره اصحاب النار اصحاب الرسوم والعادات واصحاب الجنة اصحاب الحقائق والمشاهدات والمعاينات (لوانزلنا هذا القرآن) العظيم الشان المنزل عليكم ايها الناس المنطوى على فنون القوارع اوالمنزل عليك يا محمد اوعلى محمد بحسب الالتفات فى الخطاب قال ابن عباس رضى الله عنهما ان السماء اطلت يعنى آوازداد من ثقل الالواح لما وضعها الله عليها فى وقت موسى فبعث الله لكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها على موسى وكذلك الانجيل على عيسى والفرقان على محمد عليهم السلام ثم انه لايلزم فى الاشارة وجود جملة المشار اليه ذى الابعاض المترتبة وجود ابل يكفى وجود بعض الاشارة حقيقة ووجود بعض آخر حكما ويحتمل ان يكون المشار اليه هنا الآية السابقة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا الخ فان لفظ القرآن كما يطلق على المجموع يطلق على البعض منه حقيقة بالاشتراك اوباللغة اومجازا بالعلاقة فيكون التذكير باعتبار تذكير المشار اليه (على جبل) من الجبال وهى ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلا سوى التلول كما فى زهرة الرياض وهى محركة كل وتد الارض عظم وطال فان انفرد فاكمة وقنة بضم القاف واعتبر معانيه فاستعيروا شتق منه بحسبه فقيل فلان جبل لايتدحرج تصور المعنى الثبات وجبله الله على كذا اشارة الى ماركب فيه من الطبع الذى يأبى على الناقل نقله (لرأيته) يامن من شأنه الرؤية اويا محمد مع كونه علما فى القسوة وعدم التأثر مما يصادمه (خاشعا) خاضعا ذليلا وهو حال من الضمير المنصوب فى قوله لرأيته

لانه من الرؤية البصرية قال بعضهم الخشوع انقياد الباطن للحق والخضوع انقياد الظاهر له وقال بعضهم الخضوع فى البدن والخشوع فى الصوت والبصر قال الراغب الخشوع ضراعة واكثر ما يستعمل فيما يوجد فى الجوارح والضراعة اكثر ما تستعمل فيما يوجد فى القلب ولذلك قيل فيما روى اذا ضرع القلب خشعت الجوارح (متصدعا من خشية الله) اى متشققا منها ان يعصيه فيعاقبه والصدع شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما ومنه استعير الصداع وهو الانشقاق فى الرأس من الوجع قال العلماء هذا بيان وتصوير لعلو شأن القرآن وقوة تأثيره مافيه من المواعظ اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه والمعنى لو ركب فى الجبل عقل وشعور كما ركب فيكم ايها الناس ثم انزل عليه القرآن ووعد واوعد حسب حالكم لخشع وخضع وتصدع من خشية الله حذرا من ان لا يؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والامتثال لما فيه من امره ونهيه والكافر المنكر اقسى منه ولذا لا يتأثر اصلا (مصراع) اى دل سنكين تو يك ذره سوهان كيرنيست * وهو كما تقول لمن تعظه ولا ينجع فيه وعظك لو كلمت هذا الحجر لاثر فيه ونظيره قول الامام مالك للشافعى لو رأيت ابا حنيفة رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية ان يجعلها ذهبا لقامت حجته * دلرا اثر روى تو كل بوش كند * جانرا سخن خوب تو مدهوش كند * آتش كه شراب وصل تو نوش كند * ازلطف تو سوختن فراموش كند * يقول الفقير فيه ذهول عن ان الله تعالى خلق الاشياء كلها ذات حياة وادراك فى الحقيقة والا لما ادرك الجبل عند التجلى ولما شهد للمؤذن كل رطب ويابس سمع صوته ونحو ذلك وقد كاشف عن هذه الحيوة اهل الله وغفل عنها المحجوبون على ما حقق مرارا نعم فرق بين الجبل عند التجلى وعند ما نزل عليه القرآن وبينه عند الاستتار وعدم الانزال فان اثر الحياة فى الصورة الاولى محسوس مشاهد للعامة والخاصة واما فى الصورة الثانية فمحسوس للخاصة فقط فاعرف (وتلك الامثال) اشارة الى هذا المثل والى امثاله فى مواضع من التنزيل اى هذا القول الغريب فى عظمة القرآن ودناءة حال الانسان وبيان صفتهما العجيبة وسائر الامثال الواقعة فى القرآن فان لفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر ثم يستعار لكل امر غريب وصفة عجيبة الشأن تشبيها له بالقول السائر فى الغرابة لانه لا يخلو عن غرابة (نضربها للناس) بيان ميكنيم مر انسانرا قد جاء فى سورة الزمر ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل بالاخبار على المضى مع انها مكية وقال هنا نضربها بالاستقبال مع ان السورة مدنية فلعل الاول من قبيل عد ما سيحقق مما حقق لتحققه بلا خلف والثانى من قبيل التعبير عن الماضى بالمضارع لاحضار الحال او لارادة الاستمرار على الاحوال بمعنى ان شأننا ان نضرب الامثال للناس (لعلهم يتفكرون) اى لمصلحة التفكر ومنفعة التذكر يعنى شايد كه انديشه كنند دران وبهره بردارند ازان بايمان ولا يقتضى كون الفعل معللا بالحكمة والمصلحة ان يكون معللا بالغرض حتى تكون افعاله تعالى معللة بالاغراض اذ الغرض من الاحتياج والحكمة اللطف بالمحتاج وعن بعض العلماء انه قال من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية اخرى لينال فضلها من اراد فضل صلاة الليل وهو نائم فلا يعص بالنهار ومن اراد فضل صيام التطوع وهو مفطر فليحفظ لسانه عما لا يعنيه ومن اراد فضل العلماء فعليه بالتفكر ومن اراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد فى بيته فليجاهد الشيطان ومن اراد فضل الصدقة وهو عاجز فليعلم الناس ما سمع من العلم ومن اراد فضل الحج وهو عاجز فليلتزم الجمعة ومن اراد فضل العابدين فليصلح بين الناس ولا يوقع العداوة ومن اراد فضل الابدال فليضع يده على صدره ويرضى لاخيه ما يرضى لنفسه قال عليه السلام اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا ما حظها من العبادة يا رسول الله قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه (وفى المثنوى) خوش بيان كرد آن حكيم غزنوى * بهر محجوبان مثال معنوى * كه ز قرآن كرنه بيند غير قال * اين عجب نبود ز اصحاب ضلال * كر شعاع آفتاب پرزنور * غير كرمى مى نيابد چشم كور * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وعن الحسن البصرى رحمه الله من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو وعن ابى سليمان رحمه الله الفكرة فى الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكرة فى الآخرة تورث الحكمة وتحيى القلب وكثيرا ما ينشد سفيان بن عيينة ويقول

اذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شئ له عبرة

والتفكر اما ان يكون فى الخالق اوالخلق والاول اما فى ذاته اوفى صفاته اوفى افعاله اما فى ذاته فممنوع لانه لايعرف الله الا الله الا ان يكون التفكر فى ذاته باعتبار عظمته وجلاله وكبريائه من حيث وجوب الوجود ودوام البقاء وامتناع الامكان والفناء والصمدية التى هى الاستغناء عن الكل واما فى صفاته فهو فيها باعتبار كما لها بحيث يحيط علمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع الاشياء وارادته بجميع الكائنات وسمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات ونحوذلك واما فى افعاله فهوفيها بحسب شمولها وكثرتها ومتانتها ووقوعها على الوجه الاتم كل يوم هوفى شأن والثانى اما ان يكون فيما كان من العلويات والسفليات اوفيما سيكون من اهوال القيامة واحوال الآخرة الى ابدالآباد قال بعض العارفين الفكر اما فى آيات الله وصنائعه فيتولد منه المعرفة واما فى عظمة الله وقدرته فيتولد منه الحياة واما فى نعم الله ومنه فيتولد منه المحبة واما فى وعدالله بالثواب فيتولد منه الرغبة فى الطاعة واما فى وعيد الله بالعقاب فيتولد منه الرهبة من المعصية واما فى تفريط العبد فى جنب الله فيتولد منه الحياء والندامة والتوبة ومن مهمات التفكر ان يتفكر المتفكر فى امر نفسه من مبدأه ومعاشه ومن اطاعته لربه ببدنه ولسانه وفؤاده ولوصرف عمره فى فكر نفسه نظرا الى اول امره واوسطه وآخره لما تم وفى الآية اشارة الى ان الله لوتجلى بصورة القرآن الجمعى المشتمل على حروف الموجودات العلوية وكلمات المخلوقات السفلية على جبل الوجود الانسانى لتلاشى من سطوة التجلى والى ان العارف ينبغى ان يذوب تحت الخطاب الالهى من شدة التأثير والى ان هذه الامة حملوا بهمتهم مالم تحمله الجبال بقوتها كما قال تعالى فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان (هوالله الذى لااله الاهو) هوفى اصل وضعه كناية عن المفرد المذكر الغائب وهى كناية عن المفردة المؤنثة الغائبة وكثيرا مايكنى به عمن لايتصورفيه الذكورة والانوثة كما هو ههنا فانه راجع الى الله تعالى للعلم به ولذلك ان تقول هوموضوع لمفرد ليس فيه تأنيث حقيقة وحكماوهى لمفرد يكون فيه ذلك وهومبتدأ خبره لفظة الله بمعنى هوالمعبود بالحق المسمى بهذا الاسم الاعظم الدال على جلال الذات وكمال الصفات فلايلزم ان يتحد المبتدأ والخبر بان يكون التقدير الله الله اذلافائدة فيه اوالله بدل من هو والموصول مع صلته خبرالمبتدأ اوهواشارة الى الشان والله مبتدأ والذى لااله الاهو خبره والجملة خبرضمير الشان ولا فى كلمة التوحيد لنفى افراد الجنس على الشمول والاستغراق والهمبنى على الفتح بهامرفوع المحل على الابتداء والمرادبه جنس المعبود بالحق لامطلق جنس المعبود حقا اوباطلا والافلايصح فى نفسه لتعدد الآلهة الباطلة ولايفيد التوحيد الحق والاهو مرفوع على البدلية من محل المنفى اومن ضمير الخبر المقدر للا والخبر قديقدر موجود فيتوهم ان التوحيد يكون باعتبار الوجود لاالامكان فان نفى وجوداله غيرالله لايستلزم نفى امكانه وقد يقدر ممكن فيتوهم ان اثبات الامكان لايقتضى الوقوع فكم من شئ ممكن لم يقع وقديقدرلنا فيتوهم انه لابد من مقدر فيعود الكلام والجواب انه اذا كان المرادبالاله المعبود بالحق كما ذكر فهو لايكون الارب العالمين مستحقا لعبادة المكلفين فاذانفيت الالوهية على هذا المعنى عن غيره تعالى واثبتت له سبحانه يندفع التوهم على التقادير كلها ان قيل ان اراد القائل لااله الاالله شمول النفى له تعالى ولغيره فهو مشكل نعوذ بالله مع ان الاستثناء يكون كاذبا وان اراد شموله لغيره فقط فلاحاجة الى الاستثناء اجيب بان مراده فى قلبه هوالثانى الاانه يرى التعميم ظاهرا فى اول الامر ليكون الاثبات بالاستثناء آكد فى اخرالامر فالمعنى لااله غيره وهذا حال الاستثناء مطلقا قال الشيخ ابوالقاسم هذا القول وان كان ابتداؤه النفى لكن المراديه الاثبات ونهاية التحقيق فان قول القائل لااخ لى سوالك ولامعين لى غيرك آكد من قوله انت اخى ومعينى وكل من لااله الاالله ولااله الاهو كلمة توحيدلوروده فى القرآن بخلاف لااله الاالرحمن فانه ليس بتوحيد مع ان اطلاق الرحمن على غيره تعالى غير جائز واطلاق هوجائز نعم ان الاولى كونه توحيدا الانه لم يشتهر به التوحيد اصالة بخلافهما اعلم ان هو من اسماء الذات عنداهل المعرفة لانه بانفراده عن انضمام لفظ آخر اشارة الى الله المستجمع لجميع الصفات المدلول عليها بالاسماء الحسنى فهومن جملة الاذكار عند الابرار قال الامام القشيرى رحمه الله هوللاشارة وهو عند هذه الطائفة اخبار عن نهاية التحقيق فاذاقلت هو لايسبق الى قلوبهم غيره تعالى فيكتفونه به عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم فى حقا فى القرب واستيلاء ذكر الحق على اسرارهم وقال الامام الفاضل محمد بن ابى بكر الرازى

رحمه الله فى شرح الاسماء الحسنى اعلم ان هذا الاسم عند اهل الظاهر مبتدأ يحتاج الى خبر ليتم الكلام وعند اهل الطريق لايحتاج بل هو مفيد وكلام تام بدون شئ آخر يتصل به او يضم له لاستهلاكهم فى حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على اسرارهم وقال الشيخ العارف احمد الغزالى اخو الامام محمد الغزالى رحمه الله كاشف القلوب بقول لااله الاالله وكاشف الارواح بقول الله وكاشف الاسرار بقول هو هو لااله الاالله قوت القلوب والله قوت الارواح وهو قوت الاسرار فلااله الاالله مغناطيس القلوب والله مغناطيس الارواح وهو مغناطيس الاسرار والقلب والروح والسر بمنزلة درة فى صدفة فى حقة فانظر انه رحمه الله فى اى درجة وضع هو وعن بعض المشايخ رأيت بعض الواهبين فقلت له ما اسمك فقال هو قلت من انت قال هو قلت من اين تجيئ قال هو قلت من تعنى بقولك هو قال هو فاسألته عن شئ الاقال هو فقلت لعلك تريد الله فصاح وخرجت روحه فكن من الذاكرين بهو ولاتلتفت الى المخالفين فانهم من اهل الاهواء ولكل من العقل والنفس والقلب والروح معنيان اما العقل فيطلق على قوة دراكة توجد فى الانسان بها يدرك مدركاته وعلى لطيفة ربانية هى حقيقة الانسان المستخدمة للبدن فى الامور الدنيوية والاخروية وهى العالم والعارف والعاقل وهى الجاهل والقاصر والغافل الى غير ذلك وكذا النفس تطلق على صفة كائنة فى الانسان جامعة للاخلاق المذمومة داعية الى الشهوات باعثة على الاهواء والآفات وتطلق على تلك اللطيفة المذكورة كما قال بعض الافاضل

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته * وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وكذا القلب يطلق على قطعة لحم صنوبرية تكون فى جوف الانسان وعلى تلك اللطيفة وكذا الروح يطلق على جسم لطيف وعلى اللطيفة الربانية المذكورة فكل من الالفاظ الاربعة يطلق على نفس الانسان الذى هو المتكلم والمخاطب والمثاب والمعاقب بالاصالة وبتبعيتها يقع الثواب والعقاب للجسد الذى هو القفص لها فالتغاير على هذا اعتبارى فان النفس نفس باعتبار انها نفس الشئ وذاته وعقل باعتبار ادراكها وقلب باعتبار انقلابها من شئ الى شئ وروح باعتبار راستراحتها بمايلائمها وتستلذ به وعلى المعانى الأخر لهن حقيق ثم ان النفس اما ان تكون تابعة للهوى فهى الامارة لمبالغة امرها للاعضاء بالسيئات فذكر دائرة النفس لااله الاالله واما ان يهب الله لها الانصاف والندامة على تقصيراتها والميل الى التدارك لمافات من المهمات فهى اللوامة للومها صاحبها بل نفسها على سوء عملها فذكر هذه الدائرة الله الله ويقال لها دائرة القلب لانقلابها الى جانب الحق واما ان تطمئن الى الحق وتستقر فى الطاعة وتتلذذ بالعبادة فهى المطمئنة لاطمئنانها تحت امر الله بحب الله ويقال لهذه الدائرة دائرة الروح لاستراحتها بعبادة الله وذكره وتلذذها بشكره وذكر هذه الدائرة هو هو واما ماقال بعض الكبار من ان الذكر بلااله الاالله افضل من الذكر بكلمة الله الله وهو هو من حيث انها جامعة بين النفى والاثبات ومحتوية على زيادة العلم والمعرفة فبالنسبة الى حال المبتدى فكلمة التوحيد تظهر مرآت النفس بنارها فتوصل السالك الى دائرة القلب وكلمة الله تنور القلب بنورها فتوصل الى دائرة الروح وكلمة هو تجلى الروح فتوصل من شاء الله الى دائرة السر والسر لفظ استأثره المشايخ للحقيقة التى هى ثمرة الطريقة التى هى خلاصة الشريعة التى هى لازمة القبول لكل مؤمن اما اخذا مما روى عن النبى عليه السلام انه قال حكاية عن الله بينى وبين عبدى سر لايسعه ملك مقرب ولانبى مرسل واما لكونه مستورا عن اكثر الناس لبس من لوازم الشريعة والطريقة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يشهد الله انما يبدو انه لااله الاهو

هست هر ذرهٔ بوحدت خويش * پيش عارف كواه وحدت او * باك كن جامى از غبار دويى *

لوح خاطر كه حق بكيست نه دو (عالم الغيب والشهادة) اللام للاستغراق فيعلم كل غيب وكل شهادة اى ماغاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وماحضر له من الاجرام واعراضها ومن المعدوم والموجود فالمراد بالغيب حينئذ ماغاب عن الوجود ومن السر والعلانية ومن الآخرة والاولى ونحو ذلك قال الراغب ماغاب عن حواس الناس وبصائرهم وماشهدوه بهما والمعلومات اما معدومات يمتنع وجودها او معدومات يمكن وجودها واما موجودات يمتنع عدمها او موجودات لايمتنع عدمها ولكل من هذه الاقسام الاربعة احكام

وخواص والكل معلوم لله تعالى وقدم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به من حيث كونه موجودا واعلم ان ماورد من اسناد علم الغيب الى الله فهو الغيب بالنسبة الينا لا بالنسبة اليه تعالى لانه لايخفى على الله شئ فى الارض ولا فى السماء واذا انتفى الغيب بالنسبة اليه انتفى العلم به ايضا وايضا لما سقطت جميع النسب والاضافات فى مرتبة الذات البحت والهوية الصرفة انتفت النسبة العلمية مطلقا فانتفى العلم بالغيب فافهم (هو الرحمن الرحيم) كرر هو لان له شأنا شريفا ومقاما منيفا من اشتغل به ملك ومن اعرض عنه هلك والله تعالى رحمته الدنيوية عامة لكل انسى وجنى مؤمنا كان او كافرا * اديم زمين سفره عام اوست * برين خوان يغماچه دشمن چه دوست * على ماقال عليه السلام ايها الناس ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وان الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل كونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ام يتبعها ولدها ولذلك يقال يارحمن الدنيا لان مافيه زيادة حرف يراد به زيادة فى المعنى ورحمته الاخروية خاصة بالمؤمنين ولذا يقال يارحيم الآخرة فعلى هذا فى معنى الرحمن زيادة باعتبار المنعم عليه ونقصان باعتبار الانواع والافراد وفى تخصيص هذين الاسمين المنبئين عن وفور رحمته فى الدارين تنبيه على سبق رحمته وتبشير للعاصين ان لا يقنطوا من رحمة الله وتنشيط للمطيعين بأنه يقبل القليل ويعطى الجزيل وحظ العبد من اسم الرحمن الرحيم ان يكون كثير الرحمة بأن يرحم نفسه اولا ظاهرا وباطنا ثم يرحم غيره بتحصيل مراده وارشاده والنظر اليه بعين الرحمة كما قال بعض المشايخ

وارحم بنى جنسى الخلق كلهمو * وانظر اليهم بعين اللطف والشفقه
وقر كبيرهمو وارحم صغيرهمو * وراع فى كل خلق حق من خلقه

قال الزروقى رحمه الله كل الاسماء يصح التخلق بمعانيها الا الاسم الله فانه للتعلق فقط وكل الاسماء راجعة اليه فالمعرفة به معرفة بها ولابد للعبد من قلب مفرد فيه توحيد مجرد وسر مفرد وبه يحصل جميع المقاصد سئل الجنيد قدس سره كيف السبيل الى الانقطاع الى الله تعالى قال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل واهانة النفس بقربها من الاجل وبعدها من الأمل قيل له بماذا يصل العبد الى هذا قال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد انتهى وهو عجيب وفى تأويلات النجمية تشير الآية الى هويته الجامعة عالم غيب الوجود المسمى باسم الباطن وعالم شهادة الوجود المسمى باسم الظاهر هو الرحمن الرحيم اى هو المتجلى بالتجلى الرحمانى العام وهو المتجلى بالتجلى الرحيمى الخاص وهو المطلق عن العموم والخصوص فى عين العموم والخصوص غير اعتباراته وحيثياته (هو الله الذى لا اله الا هو) كرر هو لابراز الاعتناء بامر التوحيد يعنى اوست خداى كه بهيچ وجه نيست خداى سزاى پرستش مكروى (الملك) پادشاهى كه جلال ذاتش از وجه احتياج مصونست وكمال صفاتش باستغناء مطلق مقرون فمعناه ذو الملك والسلطان والملك بالضم هو التصرف بالامر والنهى فى الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال ملك الناس ولا يقال ملك الاشياء فقوله تعالى ملك يوم الدين تقديره الملك فى يوم الدين كما فى المفردات وعبد الملك هو الذى يملك نفسه وغيره بالتصرف فيه بما شاء الله وامره به فهو اشد الخلق على خليقته قال الامام الغزالى قدس سره ملاك العبد الخاصة به قلبه وقالبه وجنده شهوته وغضبه وهواه ورئيسه لسانه وعينه ويداه وسائر اعضائه فاذا ملكها ولم تملكه ولم يعطها فقد نال درجة الملك فى عالمه (قال الشيخ سعدى) وجود توشهريست برتيك ويد * توسلطان ودستور دانا خرد * همانا كه دونان كردن فراز * درين شهر كبرست وسود وآز * چوسلطان عنايت كند بابدان * بكاماند آسايش بخردان * فان انضم اليه استغناؤه عن كل الناس واحتياج الناس كلهم اليه فى حياتهم العاجلة والآجلة فهو الملك فى العالم العرضى وتلك رتبة الانبياء عليهم السلام فانهم استغنوا فى الهداية الى الحياة الآخرة عن كل احد الا عن الله تعالى واحتاج اليهم كل احد وبليهم فى هذا الملك العلماء الذين هم ورثة الانبياء وانما ملكهم بقدر مقدرتهم على ارشاد العباد واستغنائهم عن الاسترشاد وهذا الملك عطية للعبد من الملك الحق الذى لا مثنوية فى ملكه والا فلا ملك للعبد كما قيل لبعض العارفين الك ملك فقال انا عبد لمولاى فليس لى مملكة غيره انا حتى اقول لى شئ هذا كلام من استغرق فى ملاحظة ملكية الله ومالكيته فاحكى ان بعض الامراء قال لبعض الصلحاء سلنى حاجتك قال اولى تقول

هذا ولى عبدان همـا سيداك قال من هما قال الشـهوة والغضب وفى بعض الرواية الحرص والهـوى غلبتهما وخلبك وملكتهما وملكاك فهو اخبار عن لطف الله وتمليكه من ضبط نفسه واستخدامها فيما يرضاه الله نصحا لذلك الامير ولغيره من السامعين شاهدين اوغائبين قال بعضهم لبعض الشيوخ اوصنى فقال كن ملكا فى الدنيا تكن ملكا فى الآخرة معناه اقطع طمعك وشـهوتك فى الدنيا فان الملك فى الحرية والاستغناء ومن مقالات ابى يزيد البسـطامى قدس سره فى مناجاته الهى ملكى اعظم من ملكك وذلك لان الله تعـالى ملك ابايزيد وهو فان متناه وابايزيد ملك الله وهو باق غير متناه وخاصية اسم الملك صفاء القلب وحصول الفناء والامرة ونحوها فمن واظب عليه وقت الزوال كل يوم مائة مرة صفا قلبه وزال كدره ومن قرأه بعد الفجر مائة واحدى وعشرين مرة اغناه الله من فضله اما باسباب اوبغيرها (القدوس) هومن صيغ المبالغة من القدس وهو النزاهة والطهارة اى البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما وعن كل عيب وهو بالعبرى قديسا ونظيره السبوح وفى تسبيح الملائكه سـبوح قدوس رب الملائكة والروح قال الزمخشرى ان الضفادع تقول فى نقيقها سبحان الملك القدوس قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول الا السـبوح والقدوس فان الضم فيهما اكثر وقد يفتحان وقال بعضهم المفتوح قليل فى الصفات كثير فى الاسماء مثل التنور والسمور والسـفود وغيرها قال بعض المشايخ حقيقة القدس الاعتلاء عن قبول التغير ومنه الارض المقدسة لانهـا لا تغير ملك الكافر كما تغير غيرها من الارضين واتبع هذا الاسم اسم الملك لما يعرض للملوك من تغيرا حوالهم بالجور والظلم والاعتداء فى الاحكام وفيما يترتب عليهـا فان ملكه تعـالى لا يعرض له ما يغيره لاستحالة ذلك فى وصفه وقال بعضهم التقديس التطهير وروح القدس جبريل عليه السـلام لانه ينزل بالقدس من الله اى ما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الالهى والبيت المقدس هو المطهر من النجاسة اى الشرك ولانه يتطهر فيه من الذنوب وكذلك الارض المقدسة وحظيرة القدس الجنة (قال الكاشفى قدوس يعنى پاك از شـوائب نقايص ومعـايب ومنزه از طرق آفات ونوايب وقال الامام الغزالى رحمه الله هو المنزه عن كل وصف يدركه حس او تصوره خيال او يسبق اليه وهم او يختلج به ضمير او يقضى به تفكر ولست اقول منزه عن العيوب والنقائص فان ذلك يكاد يقرب من ترك الادب فليس من الأدب ان يقول القـائل ملك البلد ليس بحائك ولا حجام ولا حذاء فان نفى الوجود يكاد يوهم امكان الوجود وفى ذلك الايهام نقص بل اقول القدوس هو المنزه عن كل وصف من اوصـاف الكمال الذى يظنه اكثر الخلق كما قال الزوزنى رحمه الله كل تنزيه توجه الخلق به الى الخـالق فهو عائد اليهم لان الحق سبحانه فى جلاله لا يقبل ما يحتـاج للتنزيه منه لاتصافه بعلى الصفـات وكريم الاسماء وجميل الافعال على الاطلاق فليس لنا من تقدسه الا معرفة انه القدوس فافهم وعبد القدوس هو الذى قدسه الله عن الاحجاب فلا يسع قلبه غير الله وهو الذى وسع قلبه الحق كما قال لا يسعنى ارضى وسمائى ويسعنى قلب عبدى ومن وسع الحق قدس عن الغير اذ لا يبقى عند تجلى الحق شئ غيره فلا يسع القدوس الا القلب المقدس من الاكوان قال بعضهم حظ العارف منه ان يتحقق انه لا يحق الوصول الا بعد العروج من عالم الشهادة الى عالم الغيب وتنزيه السر عن المتخيلات والمحسوسـات والتطواف حول العلوم الالهيه والمعـارف الزكية عن تعلقات الحس والخيال وتطهير القصد عن ان يحوم حول الحظوظ الحيوانية واللذائذ الجسمـانية فيقبل بشر اشره على الله سبحانه شوقا الى لقائه مقصورا لهمم على معارفه ومطالعة جماله حتى يصل الى جناب العز وينزل بحبوحة القدس وخاصية هذا الاسم انه اذا كتب سبوح قدوس رب الملائكة والروح على خبز اثر صلاة الجمعة واكله يفتح الله له العبادة ويسهله من الآفات وذلك بعد ذكر عدد ما وقع عليه وفى الاربعين الادريسية يا قدوس اطهر من كل آفة فلا شئ يعادله من خلقه قال السـهروردى من قرأه كل يوم الف مرة فى خلوة اربعين يوما شمله بما يريد وظهرت له قوة التأثير فى العـالم (السلام) ذو السلامة من كل آفة ونقص (وبالفارسية) سـالم از عيوب وعلل ومبرا از ضعف وعجز وخلل وهو مصدر بمعنى السـلامة وصف به للمبالغة لكونه سليما من النقائص او فى اعطائه السلامة فيكون بمعنى التسليم كالكلام بمعنى التكليم فيما ورد من قوله انت السلام معناه انت الذى سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص وقوله ومنك السـلام اى الذى يعطى السلامة فيسـلم العاجز من المكاره ويخلصه من الشـدائد فى الدارين

ويستر ذنوب المؤمنين وعيوبهم فيسلمون من الخزي يوم القيامة او يسلم على المؤمنين في الجنة لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم وقوله واليك يرجع السلام اشارة الى ان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وقوله وحيينا ربنا بالسلام طلب السلامة منه في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال الامام الغزالي رحمه الله هو الذي يسلم ذاته من العيب وصفاته من النقص وافعاله من الشر يعني ليس في فعله شر محض بل في ضمنه خير اعظم منه فالمقضي بالاصالة هو الخير وهو والقدوس من الاسماء الدالة السلبية الا ان يكون بمعنى المسلم قال الراغب السلام والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة قيل وصف الله بالسلام من حيث لا تلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق انتهى وعبد السلام هو الذي تجلى له اسم السلام فسلمه من كل نقص وآفة وعيب فكل عبد سلم من الغش والحقد والحسد وارادة الشر قلبه وسلم من الآثام والمحظورات جوارحه وسلم من الانتكاس والانعكاس صفاته فهو الذي يأتي الله بقلب سليم وهو السلام من العباد القريب في وصفه من السلام المطلق الحق الذي لا مثنوية في صفاته واعني بالانتكاس في صفاته ان يكون عقله اسير شهوته وغضبه اذ الحق عكسه وهو ان تكون الشهوة والغضب اسيري العقل وطوعه فاذا انعكس فقد انتكس ولا سلامة حيث يصير الامير مأمورا والملك عبدا ولن يوصف بالسلام والاسلام الا من سلم المسلمون من لسانه ويده وخاصية هذا الاسم صرف المصائب والآلام حتى انه اذا قرئ على مريض مائة واحدى عشرة مرة برئ بفضل الله ما لم يحضر اجله او يخفف عنه (المؤمن) اي الموحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو قاله الزجاج او واهب الأمن وموطنينة النفس وزوال الخوف قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الذي آمن الناس من ظلمه وآمن من آمن من عذابه وهو من الايمان الذي هو ضد التخويف كما في قوله تعالى وآمنهم من خوف وعنه ايضا انه قال اذا كان يوم القيامة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسمي حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله لباقيه انتم المسلمون وانا السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين (قال الكاشفي) ايمن كننده مؤمنان از عقوبت نيران يا داعيء خلق بايمان و امان يا مصدق رسل باظهار معجزه و برهان قال الامام الغزالي رحمه الله المؤمن المطلق هو الذي لا يتصور امن و امان الا ويكون مستفادا من جهته وهو الله تعالى وليس يخفى ان الاعمى يخاف ان ينساله هلاك من حيث لا يرى فعينه البصيرة تفيد امنا منه والاقطع يخاف آفة لا تندفع الا باليد واليد السليمة امان منها وهكذا جميع الحواس والاطراف والمؤمن خائفها ومصورها ومقومها ولو قدرنا انسانا وحده مخلوبا من جهة اعدائه وهو ملقى في مضيق لا تحرك عليه اعضؤه لضعفه وان تحركت فلا سلاح معه وان كان معه سلاح لم يقاوم اعداءه وحده وان كانت له جنود لم يأمن ان تنكسر جنوده ولا يجد حصنا يأوي اليه فجاء من عالج ضعفه فقواه وامده بجنود واسلحة وبنى حوله حصنا فقد افاده امنا وامانا فبالحري ان يسمى مؤمنا في حقه والعبد ضعيف في اصل فطرته وهو عرضة الامراض والجوع والعطش من باطنه وعرضة الآفات المحرقة والمغرقة والجارحة والكاسرة من ظاهره ولم يؤمنه من هذه المخاوف الا الذي اعد الادوية دافعة لامراضه والاطعمة مزيلة لجوعه والاشربة قاطعة لعطشه والاعضاء دافعة عن بدنه والحراس جواسيس مندرة بما يقرب من مهالك كثيرة من خوفه الاعظم من هلاك الآخرة ولا يحصنه منها الا كلمة التوحيد والله هاديه اليها ومرغبه فيها حيث قال لا اله الا الله حصني فمن دخله امن من عذابي فلا امن في العالم الا وهو مستفاد من اسباب هو منفرد بخلقها والهداية الى استعمالها وعبد المؤمن هو الذي آمنه الله من العقاب وآمنه الناس على ذواتهم واموالهم واعراضهم من المصطلحات فحظ العبد من هذا الوصف ان يأمن الخلق كلهم جانبه بل يرجو كل خائف الاعتضاد به في دفع الهلاك عن نفسه في دينه ودنياه كما قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤمن جاره بوائقه وفي ترجمة وصايا الفتوحات واكر خواهي كه از هيچكس نترسي هيچ كس را مترسان تا ازهمه آمن باشي چون همه كس از تو آمن باشند شيخ اكبر قدس سره الاطهر فرموده كه در عنفوان شباب كه هنوز بدس طريق رجوع نكرده بودم در صحبت والده وجمعي در سفر بودم ناگاه ديدم كلهٔ كور حزدر مرعي ومن بر صيد ايشان عظيم حريص بودم وكودكان من پاره دور بودند در نفس من اين فكر افتاد كه اينانرا نر بجانم ودل بران نهادم وخاطررا بترك تعرض

وايذاء ايشان تسكين كردم وحصانى كه بروى سوار بودم بجانب ايشان ميل ميكرد سرا ومحكم كردم ونيزه بدست من بود چون بديشان رسيدم ودر ميانهٔ ايشان در آمدم وقت بود كه سنان نيزه بعضى ميرسيد واودر چراكردن خود بود والله هيچ يكى سر برنداشت تامن ازميان ايشان كذشتم بعد ازان كودكان وغلامان رسيدند وان جماعات حمر وحش ازايشان رميدند ومتفرق شدند ومن سبب آن نمى دانستم تاوقتى كه بطريق الله رجوع كردم ومرا در معامله نظار افتاد دانستم كه آن امان كه در نفس من بوددر نفوس ايشان سرايت كرد و احق العباد باسم المؤمن من كان سببا لامن الخلق من عذاب الله بالهداية الى طريق الله والارشاد الى سبيل النجاة وهذه حرفة الانبياء والعلماء ولذلك قال عليه السلام انكم تتهافتون فى النار تهافت الفراش وانا آخذ بحجزكم لعلك تقول الخوف من الله على الحقيقة فلا مخوف الاهو فهو الذى خوف عباده وهوالذى خلق اسباب الخوف فكيف ينسب اليه الامن فجوابك ان الخوف منه والامن منه وهوخالق سبب الامن والخوف جميعا وكونه مخوفا لايمنع كونه مؤمنا كما ان كونه مذلا لم يمنع كونه معزا بل هو المعز والمذل وكونه خافضا لم يمنع كونه رافعا بل هو الرافع والخافض فكذلك هو المؤمن المخوف لكن المؤمن ورد التوقيف به خاصة دون المخوف وخاصية هذا الاسم وجود الامين وحصول الصدق والتصديق وقوة الايمان فى العموم لذا كره ومن ذلك ان يذكره الخائف ستا وثلاثين مرة فانه يأمن على نفسه وماله ويزاد فى ذلك بحسب القوة والضعف (المهيمن) قال بعض المشايخ هذا الاسم من اسمائه التى علت بعلو معناها عن مجارى الاشتقاق فلا يعلم تأويله الا الله تعالى وقال بعضهم هو المبالغ فى الحفظ والصيانة عن الضار من قولهم هيمن الطائر اذا نشر جناحه على فرخه حماية له وفى الارشاد الرقيب الحافظ لكل شئ وقال الزروقى هو لغة الشاهد ومنه قوله تعالى ومهيمنا عليه يعنى شاهدا عالما وقال بعضهم مفيعل من الامن ضد الخوف واصله مؤأمن بهمزتين فقلبت الهمزة الثانية ياء لكراهة اجتماعهما فصار مؤيمن ثم صيرت الاولى هاء كما قالوا فى اراق الماء هراقه فيكون فى معنى المؤمن (حكى) ان ابن قتيبة لما قال فى المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فابدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله وذلك لان فيه ترك التعظيم وقال الامام الغزالى رحمه الله معنى المهيمن فى حق الله انه القائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم وآجالهم وانما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه الامر مستول عليه حافظ له فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع الى العلم والاستيلاء الى كمال القدرة والحفظ الى الفعل فالجامع بين هذه المعانى اسمه المهيمن ولن يجمع ذلك على الاطلاق والكمال الا الله تعالى ولذلك قيل انه من اسماء الله تعالى فى الكتب القديمة وعبد المهيمن هوالذى شاهد كون الحق رقيبا شهيدا على كل شئ فهو يرقب نفسه وغيره بايفاء حق كل ذى حق عليه لكونه مظهر الاسم المهيمن يعنى حظ العارف منه ان يراقب قلبه ويحفظ قواه وجوارحه ويأخذ حذره من الشيطان ويقوم بمراقبة عباد الله وحفظهم فمن عرف انه المهيمن خضع تحت جلاله وراقبه فى كل احواله واستحيى من اطلاعه عليه فقام بمقام المراقبة لديه (حكى) ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله كان يصلى قاعدا فجلس ومد رجليه فهتف به هاتف هكذا تجالس الملوك وان الحريرى كان لايمد رجليه فى الخلوة فقيل له ليس يراك احد فقال حفظ الادب مع الله احق يقول الفقير يقرب من هذا ماوقع لى عند الكعبة فانى بعد ماطفت بالبيت استندت الى مقام ابراهيم حياله فقيل لى من قبل الله تعالى ماهذا البعد فى عين القرب فعلمت ان ذلك من ترك الادب فى مجالسة الله معى فلم ازل الازم باب الكعبة فى الصف الاول مدة مجاورتى بمكة وخاصية هذا الاسم الاشراف على البواطن والاسرار ومن قرأه مائة مرة بعد الغسل والصلاة فى خلوة بجمع خاطر نال ماأراد ومن نسبته المعنوية علام الغيوب عند التأمل وفى الاربعين الادريسية ياعلام الغيوب فلايفوت شئ من علمه ولايؤوده قال السهر وردى من داوم عليه قوى حفظه وذهب نسيانه (العزيز) غالب درحكم يابخشنده عزت قال بعضهم من عز اذا غلب فرجعه القدرة المتعالية عن المعارضة والممانعة اومن عز عز ازة اذا قل فالمراد عديم المثل كقوله تعالى ليس كمثله شئ وقال الامام الغزالى رحمه الله العزيز هو الخطير الذى يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه فالمجمع هذه المعانى الثلاثة لم يطلق عليه العزيز فكم من شئ يقل وجوده ولكن اذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزا وكم من شئ يعظم

خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره ولكن اذا لم يصعب الوصول اليه لم يسم عزيزا كالشمس مثلا فانها لا نظير لها والارض كذلك والنفع عظيم فى كل واحدة منهما والحاجة شديدة اليهما ولكن لا توصفان بالعزة لانه لا يصعب الوصول الى مشاهدتهما فلا بد من اجتماع المعانى الثلاثة ثم فى كل واحد من المعانى الثلاثة كمال ونقصان فالكمال فى قلة الوجود ان يرجع الى الواحد اذ لا اقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا الا الله تعالى فان الشمس وان كانت واحدة فى الوجود فليست واحدة فى الامكان فيمكن وجود مثلها والكمال فى النفاسة وشدة الحاجة ان يحتاج اليه كل شئ فى كل شئ حتى فى وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك الكمال الا لله تعالى وعبد العزيز هو الذى اعزه الله بتجلى عزته فلا يغلبه شئ من ايدى الحدثان والاكوان وهو يغلب كل شئ قال الغزالى رحمه الله العزيز من العباد من يحتاج اليه عباد الله فى مهام امورهم وهى الحياة الاخروية والسعادة الابدية وذلك مما يقل لاستحالة وجوده ويصعب ادراكه وهذه رتبة الانبياء عليهم السلام ويشاركهم فى العز من يتفرد بالقرب منهم اى من درجتهم فى عصرهم كالخلفاء ووارثهم من العلماء وعزة كل واحد بقدر علو رتبته عن سهولة النيل والمشاركة وبقدر غنائه فى ارشاد الخلق وقال بعضهم حظ العبد من هذا الاسم ان يعز نفسه فلا يستهينها بالمطامع الدنية ولا يدنيها بالسؤال من الناس والافتقار اليهم قيل انما يعرف عزيزا من اعز امر الله بطاعته فاما من استهان باوامره فمن المحال ان يكون متحققا بعزته وقال الشيخ ابو العباس المرسى رحمه الله والله ما رأيت العز الا فى رفع الهمة عن المخلوقين فمن عرف انه العزيز لا يعتقد لمخلوق جلالا دون جلال الله تعالى فالعزيز بين الناس فى المشهور من جعله الله ذا قدر ومنزلة بنوع شرف باق اوفان فمنهم من يكون عزيزا بطاعة الله تعالى ومنهم من يكون بالجاه ومنهم من يكون عزيزا بالعلم والمعرفة والكمال ومنهم من يكون بالسطوة والشوكة والمال ثم منهم من يكون عزيزا فى الدارين ومنهم من يكون فى الدنيا لا فى العقبى ومنهم من يكون على العكس فكم من ذليل عند الناس عزيز عند الله وكم من عزيز عند الناس ذليل عند الله والعزيز عند المولى هو الاصل والاولى قال فى ابكار الافكار غير رسول الله عليه السلام اسم العزيز لان العزة لله وشعار العبد الذلة والاستكانة وخاصية هذا الاسم وجود الغنى والعز صورة او حقيقة او معنى فمن ذكره اربعين يوما فى كل يوم اربعين مرة اعانه الله واعزه فلم يحوجه الى احد من خلقه وفى الاربعين الادريسية ياعزيز المنيع الغالب على امره فلا شئ يعادله قال السهر وردى رحمه الله من قرأه سبعة ايام متواليات كل يوم الفا اهلك خصمه وان ذكره فى وجه العسكر سبعين مرة ويشير اليهم بيده فانهم ينهزمون (الجبار) الذى جبر خلقه على ما أراد اى قهرهم واكرههم عليه اوجبرا حوالهم اى اصلحها فعلى هذا يكون الجبار من الثلاثى لا من الافعال وجبر بمعنى اجبر لغة تميم وكثير من المحجزيين واستدل بورود الجبار من يقول ان امثلة المبالغة تأتى من المزيد على الثلاثى فانه من اجبره على كذا اى قهره وقال الفراء لم اسمع فعال من افعل الا فى جبار ودراك فانهما من اجبر وأدرك قال الراغب اصل الجبر اصلاح الشئ بضرب من القهر وقد يقال فى الاصلاح المجرد نحو قول على رضى الله عنه يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير والاجبار فى الاصل حمل الغير على ان يجبر الامور لكن تعورف فى الاكراه المجرد وسمى الذين يدعون ان الله تعالى يكره العباد على المعاصى فى تعارف المتكلمين مجبرة وفى قول المتقدمين جبرية والجبار فى صفة الانسان يقال لمن يجبر نقيصته بادعاء منزلة من المعالى لا يستحقها وهذا لا يقال الا على طريقة الذم وفى وصف الله لانه الذى يجبر الناس بفائض نعمه او يقهرهم على ما يريده من مرض وموت وبعث ونحوها وهو لا يقهر الا على ما تقتضى الحكمة ان يقهر عليه فالجبار المطلق هو الذى ينفذ مشيئته على سبيل الاجبار فى كل احد ولا ينفذ فيه مشيئة احد (روى) ان فى بعض الكتب الالهية عبدى تريد وأريد ولا يكون الا ما أريد فان رضيت بما أريد كفيتك ما تريد وان لم ترض بما اريد ابقيتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد وعبد الجبار هو الذى يجبر كسر كل شئ ونقصه لان الحق جبر حاله وجعله بتجلى هذا الاسم جابرا لحال كل شئ مستعليا عليه ومن علم انه الجبار دق فى عينه كل جبار وكان راجعا اليه فى كل امر يوصف الافتقار بجبر المكسور من اعماله وترك الناقص من آماله فتم له الاسلام والاستسلام وارتفعت همته عن الاكوان فيكون جبارا على نفسه جابرا لكسر عباده وقال بعضهم حظ العارف من هذا الاسم ان يقبل على النفس ويجبر

نقائصها باستكمال الفضائل وبحملها على ملازمة التقوى والمواظبة على الطاعة ويكسر منها الهوى والشهوات بانواع الرياضات ويرفع عما سوى الحق غير ملتفت الى الخلق فيتحلى بحلى السكينة والوقار بحيث لا يزلزله تعاور الحوادث ولا يؤثر فيه تعاقب النوازل بل يقوى على التأثير فى الأنفس والآفاق بالارشاد والاصلاح وقال الامام الغزالى رحمه الله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء وبمتابعته فى سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع ولا يشاهده احد الا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع احد فى استدراجه واستتباعه وانما حظى بهذا الوصف سيد الاولين والآخرين عليه السلام حيث قال لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه الا اتباعى وانا سيد ولد آدم ولا فخر وخاصية هذا الاسم الحفظ من ظلم الجبابرة والمتعدين فى السفر واقامة يذكر بعد قراءة السبعات عشر صباحا ومساء احدى وعشرين مرة ذكره الزروقى فى شرح الاسماء الحسنى (المتكبر) الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة يعنى ان صيغة التفعل للتكلف بما لم يكن فاذا قيل تكبر وتسخى دل على انه يرى ويظهر الكبر والسخاء وليس بكبير ولا سخى والتكلف بما لم يكن لما كان مستحيلا فى حق الله تعالى حمل على لازمه وهو ان يكون ما قام به من الفعل على اتم ما يكون وآكمه من غير ان يكون هناك تكلف واعتمال حقيقة ومنه ترحمت على ابراهيم بمعنى رحمته كمال الرحمة واتمتها عليه فاذا قيل انه تعالى متكبر كان المعنى انه البالغ فى الكبر اقصى المراتب (روى) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله عليه السلام قائما على هذا المنبر يعنى منبر رسول الله فى المدينة وهو يحكى عن ربه تعالى فقال ان الله عز وجل اذا كان يوم القيامة جمع السموات والارضين فى قبضته تبارك وتعالى ثم قال هكذا وشد قبضته ثم بسطها ثم يقول انا الله انا الرحمن انا الرحيم انا الملك انا القدوس انا السلام انا المؤمن انا المهيمن انا العزيز انا الجبار انا المتكبر انا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيئا انا الذى اعدتها اين الملوك اين الجبابرة * قهار بى منازع وغفار بى ملال * ديان بى معادل وسلطان بى سپاه * باغير او اضافت شاهى بود چنان * ريك دوچوب پاره زشطرنج نام شاه * قال الراغب التكبر يقال على وجهين احدهما ان تكون الافعال الحسنة كبيرة فى الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله بالتكبر وهو ممدوح والثانى ان يكون متكلفا لذلك متشبعا وذلك فى وصف عامة الناس والموصوف به مذموم وفى الحديث (الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فى شئ منهما اوصمته) قال بعضهم الفرق بين المتكبر والمستكبر ان المتكبر عام لاظهار الكبر الحق كما فى اوصاف الحق تعالى ولاظهار الكبر الباطل كما فى قوله سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق والكبر طن الانسان انه اكبر من غيره والتكبر اظهار ذلك كما فى العوارف والاستكبار اظهار الكبرياء باطلا كما فى قوله تعالى فى حق ابليس استكبر وغير ذلك كما تجده فى موارد استعمالاته فى القرآن والحديث وقال فى الاسئلة المتمعة ما معنى المتكبر من اسماء الله فان التكبر مذموم فى حق الخلق والجواب معناه هو المتعظم عما لا يليق به سبحانه وهو من الكبرياء لا من التكبر ومعناه المبالغة فى العظمة والكبرياء فى الله وهو الامتناع عن الانقياد فلهذا كان مذموما فى حق الخلق وهو صفة مدح فى حق الله تعالى انتهى فان قلت ما تقول فى قوله عليه السلام حين قال له عمه ابو طالب ما اطوعك ربك يا محمد وانت يا عم لو اطعته اطاعك قلت هذه الاطاعة والانقياد للمطيع لا للخارج عن امره فلا ينافى عدم انقياده لغيره فهو المتكبر للمستكبر كما انه المطيع للمطيع قال بعضهم المتكبر هو الذى يرى غيره حقيرا بالاضافة الى ذاته فينظر الى الغير نظر المالك الى عبده وهو على الاطلاق لا يتصور الا لله تعالى فانه المتفرد بالعظمة والكبرياء بالنسبة الى كل شئ من كل وجه ولذلك لا يطلق على غيره تعالى الا فى معرض الذم لما انه يفيد التكلف فى اظهار ما لا يكون قال عليه السلام تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلنى الجبارون المتكبرون وقالت هذه يدخلنى الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه انت عذابى اعذب بك من اشاء وقال لهذه انت رحمتى ارحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها ومن عرف علوه تعالى وكبرياءه لازم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل قيل ما الفقير فى خلقه احسن منه فى جدد غيره فلا شئ احسن على الخدم من لباس التواضع بحضرة السادة قال بعض الحكماء ما اعز الله

عبدا بمثل مايدل على ذل نفسه وما اذله بمثل مايدل على عز نفسه (حكى) ان بعضهم قال رأيت رجلا فى الطواف و بين يديه خادمان يطردان الناس ثم بعد ذلك رأيته يتكفف على جسر فسألته عن ذلك فقال انى تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله فى موضع يترفع فيه الناس وعبد المتكبر هو الذى فى تكبره يتذلله للحق حتى قام كبرياء الله مقام كبره فيتكبر بالحق على ماسواه فلا يتذلل للغير قال الامام الغزالى قدس سره المتكبر من العباد هو الزاهد ومعنى زهد العارف ان ينزه عما يشغل سره عن الحق و يتكبر فى كل شئ سوى الله تعالى فيكون مستحقرا للدنيا والآخرة مرتفعا عن ان يشغله كلتاهما عن الحق وزهد العارف معاملة ومعاوضة فهو انما يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة فيترك الشئ عاجلا طمعا فى اضعافه آجلا وانما هو سلم ومبايعة ومن استعبدته شهوة المطعم والمنكح فهو حقير وانما المتكبر من يستحقر كل شهوة وحظ بتصور ان تشاركه فيها البهائم وخاصية هذا الاسم الجلالة ظهور الخير والبركة حتى ان من ذكره ليلة دخوله بزوجته عند دخوله عليها وقرأه قبل جماعها عشر ارزق منها ولدا صالحا ذكرا وفى الاربعين الادريسية ياجليل المتكبر على كل شئ فالعدل امره والصدق وعده قال السهروردى رحمه الله مداومه بلا فترة يجل قدره و يعز امره ولا يقدر احد على معارضته بوجه ولا بحال (سبحان الله عما يشركون) تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى اوعن اشراكهم به اثر تعداد صفات لا يمكن ان يشاركه تعالى فى شئ منها شئ ما اصلا اى سبحوا الله تسبيحا ونزهوه تنزيها عما يشركه الكفار به من المخلوقات فالله تعالى اورده لاظهار كمال كبريائه اوللتعجب من اثبات الشريك بعد ما عاينوا آثار اتصافه بجلال الكبرياء وكمال العظمة وفى التأويلات النجمية قوله سبحانه هو الله الذى لا اله الا هو الملك الخ يشير الى وحدانية ذاته وفردانية صفاته وتصرفه فى الاشياء على مقتضى حكمته الازلية والى نزاهته عن النقائص الامكانية و وصف الامن من العدم المحض بسبب التحقق بالوجود المطلق والى حفظ الاشياء فى عين مشيئته واعزازه اولياءه وقهره واذلاله اعداءه والى كمال كبريائه بظهوره فى جميع المظاهر والى نزاهة ذاته عما يشركون معنى فى ذاته وفى صفاته وفى عرائس البقلى سبحان الله عما يشركون اليه بالتواطر والخواطر انتهى (هو الله الخالق) اى المقدر للاشياء على مقتضى حكمته ووفق مشيئته فان اصل معنى الخلق التقدير كما يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بمقياس وان شاع فى معنى الايجاد على تقدير واستواء سواء كان من مادة كخلق الانسان من نطفة ونحوه اومن غير مادة كخلق السموات والارض وعبد الخالق هو الذى يقدر الاشياء على وفق مراد الحق لتجليه له بوصف الخلق والتقدير فلا يقدر الا بتقديره تعالى وخاصية هذا الاسم ان يذكر فى جوف الليل ساعة فوقها فيتنور قلب ذاكره ووجهه وفى الاربعين الادريسية خالق من فى السموات ومن فى الارض وكل اليه معاده قال السهروردى يذكر لجمع الضائع والغائب البعيد الغيبة خمسة آلاف مرة (البارئ) الموجد للاشياء بريئة من التفاوت فان البرء الايجاد على وجه يكون الموجد بريئا من التفاوت والنقصان عما يقتضيه التقدير على الحكمة البالغة والمصلحة الكاملة وعبد البارئ هو الذى يبرأ عمله من التفاوت والاختلاف فلا يفعل الا ما يناسب حضرة الاسم البارئ متعادلا متناسبا بريئا من التفاوت كقوله تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وخاصية هذا الاسم ان يذكره سبعة ايام متوالية كل يوم مائة مرة للسلامة من الآفات حتى من تعدى التراب عليه فى القبر وفى الاربعين الادريسية يابارئ النفوس بلا مثال خلا من غيره قال السهروردى يفتح لذاكره ابواب الغنى والعز والسلامة من الآفات واذا كتب فى لوح من قير وعلق على المجنون نفعه وكذلك اصحاب الامراض الصعبة (المصور) الموجد لصور الاشياء وكيفياتها كما اراد يعنى بخشنده صورت هر مخلوق كما يصور الاولاد فى الارحام بالشكل واللون المخصوص فان معنى التصوير تخصيص الخلق بالصور المتميزة والاشكال المتعينة قال الراغب الصورة ما تتميز به الاعيان عن غيرها وهى محسوسة كصورة الانسان ومعقولة كالعقل وغيره من المعانى وقوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته اراد بالصورة ما خص الانسان به من الهيئة المدركة بالبصر و بالبصيرة و بها فضله على كثير من خلقه واضافته الى الله على سبيل الملك لا على سبيل البعضية والتشبيه بل على سبيل التشريف له كقوله بيت الله وناقة الله وروح الله يقول الفقير الضمير المجرور فى صورته يرجع الى الله لا الى آدم والصورة الالهية عبارة عن الصفات السبع المرتبة وهى الحياة والعلم والارادة والقدرة

والسمع والبصر والكلام وآدم مظهر هذه الصفات بالفعل بخلاف سائر الموجودات واطلاق الصورة على الله تعالى مجاز عند اهل الظاهر اذ لا تستعمل فى الحقيقة الا فى المحسوسات واما عند اهل الحقيقة فحقيقة لان العالم الكبير باسره صورة الحضرة الالهية فرقا وتفصيلا وآدم صورته جمعا واجمالا * اى زهمه صورت خوب تو به * صورك الله على صورته * روى تو آيينهٔ حق بينى است * درنظر مردم خود بين منه * بلكه حق آينه وتو صورتى * وهم تو بى را بميان ره مده * صورت از آيينه نباشد جدا * انت به متحد فانتبه * هركه سر رشتهٔ وحدت نيافت * پيش وى اين نكته بود مشتبه * رشته يكى دان وگره صد هزار * كيست كزين نكته كشايد گره * هركه چو جامى بگره بند شد * كر بسر رشته رود باز به * والحاصل ان الخالق هنا المقدر على الحكمة الملائمة لنظام العالم والبارئ الموجد على ذلك التقدير والمصور المبدع لصور الكائنات واشكال المحدثات بحيث يترتب عليها خواصهم ويتم بها كمالهم وبها ظهر وجه الترتيب بينها واستلزام التصوير البرء والبرء الخلق استلزام الوقوف للموقوف عليه كما قال الامام الغزالى رحمه الله وقدس سره قد يظن ان هذه الاسماء مترادفة وان الكل يرجع الى الخلق والاختراع ولا ينبغى ان يكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم الى الوجود يفتقر الى التقدير اولا والى الايجاد على وفق التقدير ثانيا والى التصوير بعد الايجاد ثالثا والله تعالى خالق من حيث انه مقدر وبارئ من حيث انه مخترع موجد ومصور من حيث انه مرتب صور المخترعات احسن ترتيب وهذا كالبناء مثلا فانه محتاج الى مقدر يقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الارض وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج الى بناء يتولى الاعمال التى عندها تحدث وتحصل اصول الابنية ثم يحتاج الى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته فيتولاه غير البناء هذه هى العادة فى التقدير والبناء والتصوير وليس كذلك فى افعال الله تعالى بل هو المقدر والموجد والمزين فهو الخالق البارئ المصور فقدم ذكر الخالق على البارئ لان الارادة والتقدير متقدمة على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات متقدم على ايجاد الصفات وعن حاطب بن ابى بلتعة رضى الله عنه انه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء الذى يبرأ المصور اى يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات واختلاف الاشكال وعبد المصور هو الذى لا يتصور ولا يصور الا ما طابق الحق ووافق تصويره لان فعله يصدر عن مصوريته تعالى ولذا قال بعضهم حظ العارف من هذه الاسماء ان لا يرى شيأ ولا يتصور امرا الا ويتأمل فيما فيه من باهر القدرة وعجائب الصنع فيترقى من المخلوق الى الخالق وينتقل من ملاحظة المصنوع الى ملاحظة الصانع حتى يصير بحيث كلما نظر الى شئ وجد الله عنده وخاصية الاسم المصور الاعانة على الصنائع العجيبة وظهور الثمار ونحوها حتى ان العاقر اذا ذكرته فى كل يوم احدى وعشرين مرة على صوم بعد الغروب وقبل الافطار سبعة ايام زال عقمها وتصور الولد فى رحمها باذن الله تعالى (له الاسماء الحسنى) لدلالتها على المعانى الحسنة كما سبق فى سورة طه (قال الكاشفى) مراو راست نامهاء نيكى كه در شرع وعقل پسنديده ومستحسن باشد والحسنى صيغة تفضيل لانها تأنيث الاحسن كالعليا فى تأنيث الاعلى وتوصيف الاسماء بها للزيادة المطلقة اذ لا نسبة لاسمائه الى غير الاسماء من اسماء الغير كما لا نسبة لذاته المتعالية الى غير الذوات من ذوات الغير واسماء الله تسعة وتسعون على ما جاء فى الحديث ونقل صاحب اللباب عن الامام الرازى انه قال رأيت فى بعض كتب الذكر ان لله تعالى اربعة آلاف اسم الف منها فى القرآن والاخبار الصحيحة والف فى التوراة والف فى الانجيل والف فى الزبور (روى) ان من دعاء رسول الله عليه السلام اسألك بكل اسم سميت به نفسك او انزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به فى علم الغيب فلعل كونها تسعة وتسعين بالنظر الى الاشهر الاشرف الاجمع وتعدد الاسماء لا يدل على تعدد المسمى لان الواحد يسمى باسمين وجه وجدا من وجه وخالا من وجه وعالما من وجه وذاته متحدة قال عبد الرحمن البسطامى قدس سره فى ترويح القلوب اعلم ان من السر المكتوم فى الدعاء ان تأخذ حروف الاسماء التى تذكر بها مثل قولك الكبير المتعال ولا تأخذ الالف واللام بل تأخذ كبير متعال وتنظر كم لها من الاعداد بالجمل الكبير فتذكر ذلك العدد فى موضع خال من الاصوات بالشرائط المعتبرة عند اهل الخلوة لا تزيد على العدد ولا تنقص منه فانه يستجاب لك بالوقت وهو الكبريت الاحمر باذن الله

تعالى فان الزيادة على العدد المطلوب اسراف والنقص منه اخلال والعدد فى الذكر بالاسماء كاسنان المفتاح لانها ان زادت اونقصت لاتفتح الباب وقس عليه باب الاجابة فافهم السر وصن الدر ثم اعلم ان العارفين يلاحظون فى الاسماء آلة التعريف واصل الكلمة والملاحية يطرحون منها آلة التعريف لانها زائدة على اصل الكلمة قال العلماء الاسم هو اللفظ الدال على المعنى بالوضع والمسمى هو المعنى الموضوع له والتسمية وضع اللفظ له واطلاقه عليه واطلاق الاسم على الله تعالى توقيفى عند البعض بحيث لايصح اطلاق شئ منه عليه الابعد ان كان واردا فى القرآن اوالحديث الصحيح وقال آخرون كل لفظ دل على معنى يليق بجلال الله وشأنه فهو جائز الاطلاق والافلا ومن ادلة الاولين ان الله عالم بلامرية فيقال له عالم وعليم وعلام لوروده فى الشرع ولايقال له عارف اوفقيه اومتيقن الى غيرذلك مما يفيد معنى العلم ومن ادلة الآخرين ان اسماء الله وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية والهندية وغيرها مع انها لم ترد فى القرآن والحديث ولا فى الاخبار وان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها ومنها ان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها والاسم لايحسن الالدلالته على صفات الكمال ونعوت الجلال فكل اسم دل على هذه المعانى كان اسما حسنا وانه لافائدة فى الالفاظ الارعاية المعانى فاذا كانت المعانى صحيحة كان المنع من اطلاق اللفظ المفيد غير لائق غاية مافى الباب ان يكون وضع الاسم علماله مستحدثا وذكر مايوهم معنى غير لائق به تعالى ليس بأدب اماذكر ماهو دال على معنى حسن ليس فيه ايهام معنى مستنكر مستقبح فليس فيه من سوء الأدب شئ

(يسبح له مافى السموات والارض) ينطق بتنزهه عن جميع النقائص تنزيها ظاهرا قال فى كشف الاسرار يسبح له جميع الاشياء امابيانا ونطقا وامابرهانا ودلقا وقدم الكلام فى هذا التسبيح مرارا وجمهور المحققين على انه تسبيح عبارة وهولايأبى تسبيح الاشارة وكذا العكس (وهوالعزيز الحكيم) الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم قال الامام الغزالى رحمه الله الحكيم ذوالحكمة والحكمة عبارة عن معرفة افضل الاشياء باجل العلوم واجل الاشياء هوالله تعالى واجل العلوم هوالعلم الازلى الدائم الذى لايتصور زواله فليس يعلم الله حقيقة الا الله ومن عرف جميع الاشياء ولم يعرف الله بقدر الطاقة البشرية لم يستحق ان يسمى حكيما فمن عرف الله فهوحكيم وان كان ضعيف القوة فى العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها الاان نسبة حكمة العبد الى حكمة الله كنسبة معرفته الى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه هو انفس المعارف واكثرها خيرا ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ومايذكر الا اولوا الالباب وعبد الحكيم هوالذى بصره الله بمواقع الحكمة فى الاشياء ووفقه للسداد فى القول والصواب فى العمل فلايرى خللا فى شئ الا يسده ولافسادا الا يصلحه وخاصية هذا الاسم دفع الدواهى وفتح باب الحكمة فمن اكثر ذكره صرف الله عنه مايخشاه من الدواهى وفتح له باب الحكمة وانما مدح الله نفسه بهذه الصفات العظام تعليما لعباده المدح بصفاته العلى بعد فهم معانيها ومعرفة استحقاقه بذلك طلبا لزيادة تقربهم اليه قال ابو الليث فى تفسيره فان قال قائل قد قال الله فلاتزكوا انفسكم فما الحكمة فى ان الله تعالى نهى عباده عن مدح انفسهم ومدح نفسه قيل له عن هذا السؤال جوابان احدهما ان العبد وان كان فيه خصال الخير فهوناقص واذاكان ناقصا لايجوز له ان يمدح نفسه والله تعالى تام الملك والقدرة فيستوجب بهما المدح فمدح نفسه ليعلم عباده فيمدحوه والجواب الآخر ان العبد وان كان فيه خصال الخير فتلك افضال من الله تعالى ولم يكن ذلك بقوة العبد فلهذا لايجوز ان يمدح نفسه ونظير هذا ان الله تعالى نهى عباده ان يمنوا على احد بالمعروف وقد من على عباده للمعنى الذى ذكر فى المدح قال بعض الكبار تزكية الانسان لنفسه سم قاتل وهى من باب شهادة الزور لجهله بمقامه عند الله الا ان يترتب على ذلك مصلحة دينية فلا نسان ذلك كما قال عليه السلام انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولافخر اى لافتخر عليكم بالسيادة انما الفخر بالعبودية والفخر بالذات لايكون الا لله وحده واما الفخر فى عباده فانما هو للرتب فيقال صفة العلم افضل من صفة الجهل ونحو ذلك ولايخفى ان الرتب نسبة عدمية فما افتخر من افتخر الا بالعدم ولذلك امر الله نبيه ان يقول انما انا بشر مثلكم فلم يرلذاته فضلا على غيره ثم ذكر شرف الرتبة بقوله يوحى الى اعلم ان الاولى لك ان تسكت عن بحثين وتكل العلم فيهما الى الله العليم الخبير احدهما مايكون بين العلماء من ان صفات الله الثابتة هل هى موجودات

بوجودات مستقلة غير وجوده تعالى اولا بعد الايمان باتصافه تعالى بها وكمالها ودوامها والثانى مايكون بين المشايخ من ان الوجود هل هو واحد والله سبحانه وتعالى هو ذلك الوجود وسائر الموجودات مظاهر له لا وجود لها بالاستقلال اوله تعالى وجود زائد على ذاته واجب لها مقتضية هى اياه ولغيره تعالى من الموجودات وجودات اخر غير الوجود الواجب على ماهو البحث الطويل بينهم والى ذلك يرشدك ماقالوا من ان ما اتصف الله به فهو واجب لا يتغير اصلا ومالم يتصف به فهو ممتنع لا يكون قطعا فاذا اختلف اثنان فى ذاته وصفاته تعالى فلا جرم ان واحدا منهما اما ينفى الواجب او يثبت الممتنع وكلاهما مشكل وان ما ابهم علمه فالادب فيه السكوت بعد الايمان بما ظهر من القرآن والحديث واتفاق الصحابة رضى الله عنهم فان المرء لا يسأل الا عن علم لزمه فى اقامة الطاعة وادامة العبادة لمولاه قال صاحب الشرعة ولا يناظر احد فى ذات الله وصفاته المتعالى عن القياس والاشباه والاوهام والخطرات وفى الحديث ان هلاك هذه الامة اذا نطقوا فى ربهم وان ذلك من اشراط الساعة فقد كان عليه السلام يخر ساجدا لله تعالى متى ما سمع مايتعالى عنه رب العزة ولا يجيب السائل عن الله الا بمثل ماجاء به القرآن فى آخر سورة الحشر من ذكر افعاله وصفاته ولا يدقق الكلام فيه تدقيقا فان ذلك من الشيطان وضرر ذلك وفساده اكثر من نفعه قال بعض الكبار مافى الفرق الاسلامية اسوء حالا من المتكلمين لانهم ادعوا معرفة الله بالعقل على حسب ما اعطاهم نظرهم القاصر فان الحق منزه عن ان يدرك او يعلم باوصاف خلقه عقلا كان او علما روحا كان او سرا فان الله ما جعل الحواس الظاهرة والباطنة طريقا الا الى معرفة المحسوسات لا غير والعقل بلا شك منها فلا يدرك الحق بها لانه تعالى ليس بمحسوس ولا بمعلوم معقول وقد تبين لك بهذا خطأ جميع من تكلم فى الحق وصفاته بما لم يعلمه من الحق ولا من رسله عليهم السلام وقال بعض العارفين سبب توقف العقول فى قبول ماجاء فى الكتاب والسنة من آيات الصفات واخبارها حتى يؤول ضعفها وعدم ذوقها فلو ذاقوا كاذاقة الانبياء وعملوا على ذلك بالايمان كما عملت الطائفة لاعطاهم الكشف ما اجاله العقل من حيث فكره ولم يتوقفوا فى نسبة تلك الاوصاف الى الحق فاعلم ذلك واعمل به تعرف ان علم القوم هو الفلك المحيط الحاوى على جميع العلوم (حكى) ان الفاضل محمد الشهرستانى صاحب كتاب الملل والنحل كان من كبار المتكلمين وفحولهم وكان له بحث كثير فى علم الكلام ربما لم يسبق اليه سواه حتى جمع فى ذلك الكتاب تلك المباحث القطعية ثم انتهى امره الى العجز فيه والتحير فى ذاته حتى رجع الى مذهب العجائز فقال عليكم بدين العجائز فانه من اسنى الجوائز وانشد

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها * وسيرت طرفى بين تلك المعالم

فلم ار الا واضعا كف حائر * على ذقن او قارعا سن نادم

ثم قال والوجه ان يعتقد العبد الدين الذى جاء به محمد عليه السلام ودعا اليه واليه اناب ولا يدخل فى ذلك شيأ من نظر عقله لا فى تنزيه ولا فى تشبيه بل يؤمن بكل آية جاءت فى ذات الله وصفاته على بابها ويكل علمها الى الله الذى وصف ذاته بها هذا هو طريق السلامة والدين الصحيح وعلى ذلك كانت الصحابة والسلف الصالحون رضى الله عنهم واليه ينتهى الراسخون فى العلم والعقلاء المحققون عند آخر امرهم ومن وفقه الله كان عليه وآل نظره اليه ومن بقى على ما اعطاه نظره واجتهاده فليس ذلك بمتبع محمدا عليه السلام فيما جاء به مطلقا لانه ادخل فيه حاصل نظره وتأويله واتكل على رأيه وعقله وهذه وصيتى اليكم ان اردتم السلامة وعدم المطالبة ومن اراد غير ذلك لم ينج من السؤال وكان على خطر فى المآل لان القطع بما اراد الله عسير فانا رأينا العقلاء اختلفت ادلتهم فى الله فالمعتزلى يخالف الاشعرى وبالعكس وهم يخالفون الحكماء وبالعكس كل طائفة تجهل الاخرى وتكفرها فعلمنا ان سبب ذلك هو اختلاف نظرهم وعدم عثورهم على الدليل الصحيح اما كلهم او بعضهم ورأينا الانبياء عليهم السلام لم يختلف منهم اثنان فى الله قط عز وجل وكل دعوا اليه تعالى على باب واحد وكان اختلافهم فى فروع الاحكام بحكم الله تعالى لا فى اصولها قط قال الله تعالى سبحانه شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فقوله ولا تتفرقوا فيه دليل على اجتماعهم على امر واحد فى الاصول لان الفروع معلومة بوقوع الاختلاف فيها وذلك لا يضر وانما يضر الاختلاف فى الاصول اذا وقع الاختلاق فيها لمن وقع الاتفاق ولكانت الدعوة لا تصح لان الاله

الذى يدعو اليه هذا غير الاله الذى يدعوذلك اليه والله تعالى قال والهكم اله واحد وعم الطوائف كلها من آدم عليه السلام بالخطاب وهلم جرا الى يوم القيامة الى هنا من كلامه اورده حضرة الشيخ صدر الدين قدس سره فى رسالته المعمولة وصية للطالبين وعظة للراغبين ثم اعلم ان من شرف هذه الاسماء المذكورة فى الآخر ما قال ابو هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى رسول الله عليه السلام عن اسم الله الاعظم فقال هو فى آخر الحشر وفى عين المعانى قال عليه السلام سألت جبريل عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر الحشر فاكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد على وعنه عليه السلام من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه وفى بعض الروايات يحرسونه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة رواه معقل بن يسار رضى الله عنه وانما جمع بين الاستعاذة وقرآءة آخر الحشر والله اعلم لان فى الاستعاذة الاشعار بكمال العجز والعبودية وفى آخر الحشر الاقرار بجلال القدرة والعظمة والربوبيه فالاول تخلية عن العجب والثانى تحلية بالايمان الحق وبهما يتحقق منزل قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فيترتب عليه قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآية كما فى تفسير الفاتحة للمولى الفنارى رحمه الله وعن ابى امامة رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ خواتيم الحشر من ليل اونهار فقبض من ذلك اليوم او الليلة فقد استوجب الجنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسى ولا حجاب ولا السموات السبع والارضون السبع والهوام والطير والريح والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة الا صلوا عليه فان مات اى من يومه او ليلته مات شهيدا كما فى كشف الاسرار وقوله مات شهيدا اى يثاب ثواب الشهادة على مرتبة وللشهادة مراتب قد مرت

تمت سورة الحشر فى اواخر شهر الله رجب المنتظم فى سلك شهور سنة خمس عشرة ومائة والف

* (سورة الممتحنة مدينة وآيها ثلاث عشرة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

لعل الممتحنة مأخوذة من قول الله تعالى فيما بعد يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن امر الله المؤمنين هناك بالامتحان فهم الممتحنون بكسر الحاء مجازا للمبالغة واضيفت السورة اليها وسميت بسورة الممتحنة مثل سورة الفاتحة قيل ان اضافة السورة الى الفاتحة من قبيل اضافة العام الى الخاص ولا بعد أن تكون من قبيل اضافة المسمى الى اسمه مثل كتاب الكشاف فان الفاتحة من جملة اسماء سورة الفاتحة وقس على ذلك سورة الممتحنة ويحتمل ان يكون المراد بالجماعة الممتحنة اى المأمور بامتحانها ويؤيده ماروى انه قد تفتح الحاء فيكون المراد النساء المختبرة فالاضافة بمعنى اللام التخصيصية اى سورة تذكر فيها النساء الممتحنة مثل سورة البقرة وامثالها ويحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى الامتحان على ما هو المشهور من ان المصدر الميمى واسماء المفعول والزمان والمكان فيما زاد على الثلاثى تكون على صيغة واحدة اى سورة الامتحان مثل سورة الاسراء وغيرها (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء) نزلت فى حاطب ابن ابى بلتعة العبسى وحاطب بالحاء المهملة قال فى كشف الاسرار ولد فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصله من الازد وهو حى باليمن واعتقه عبيد الله بن حميد بن زهير الذى قتله على رضى الله عنه يوم بدر كافرا وكان حاطب يبيع الطعام ومات بالمدينة وصلى عليه عثمان بن عفان رضى الله عنه وكان من المهاجرين وشهد بدرا وبيعة الرضوان وعم الله الخطاب فى الآيه تعميما للنصح والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر اوقع على الجمع اتقاعه على الواحد والمراد هنا كفار قريش وذلك انه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح فى السنة الثامنة من الهجرة كتب حاطب الى اهل مكة ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فانه قد توجه اليكم فى جيش كالليل وارسل الكتاب مع سارة مولاة بنى عبد المطلب اى معتقتهم واعطاها عشرة دنانير وبردة وكانت سارة قدمت من مكة وكانت مغنية فقال لها عليه السلام لما ذا جئت فقالت جئت لتعطينى شيأ فقال ما فعلت بعطيا تك من شبان قريش فقالت مذ قتلتهم ببدر لم يصل الى شئ

الا القليل فأعطاها شيأ فرجعت الى مكة ومعها كتاب حاطب فنزل جبرآئيل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله عليه السلام عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابامرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ موضع بين الحرمين وخاخ بالمعجمتين يصرف ويمنع فان بها ظعينة وهى المرأة مادامت فى الهودج واذا لم تكن فيه فهى المرأة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها فخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها تمحمحت فسل على رضى الله عنه سيفه فأخرجته من عقاصها اى من ضفائرها (روى) ان رسول الله عليه السلام امن جميع الناس يوم فتح مكة الا اربعة هى احدهم فأمر بقتلها فاستحضر رسول الله حاطبا فقال ماحملك على هذا فقال يارسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك الغش ترك النصح والنصح عبارة عن التصديق بنبوته ورسالته والانقياد لأوامره ونواهيه ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش اى حليفا ولم اكن من انفسهم ومن معك من المهاجرين كان له فيهم قرابات يحمون اهاليهم واموالهم وليس فيهم من يحمى اهلى فأردت ان آخذ عندهم يدا اى اجعل عندهم نعمة ولم افعله كفرا وارتدادا عن دينى وقد علمت ان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله وقبل عذره فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال يا عمر انه شهد بدرا ومايدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضى الله عنه وفى القصة اشارة الى جواز هتك ستر الجواسيس وهتك استار المفسدين اذا كان فيه مصلحة او فى ستره مفسدة وان من تعاطى امرا محظورا ثم ادعى له تأويلا محتملا قبل منه فان العذر مقبول عند كرام الناس (روى) ان حاطبا رضى الله عنه لما سمع يا ايها الذين آمنوا غشى عليه من الفرح بخطاب الايمان لما علم ان الكتاب المذكور ما اخرجه عن الايمان لسلامة عقيدته ودل قوله وعدوكم على اخلاصه فان الكافر ليس بعدو للمنافق بل للمخلص (تلقون اليهم بالمودة) الود محبة الشئ وتمنى كونه ويستعمل فى كل واحد من المعنيين اى توصلون محبتكم بالمكاتبة ونحوها من الاسباب التى تدل على المودة على ان الباء زائدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبى عليه السلام بسبب المودة التى بينكم وبينهم فيكون المفعول محذوفا للعلم به والباء للسببية والجملة حال من فاعل لا تتخذوا اى لا تتخذوا حال كونكم ملقين المودة فان قلت قد نهوا عن اتخاذهم اولياء مطلقا فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء والتقييد بالحال يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال قلت عدم جوازه مطلقا لما علم من القواعد الشرعية تبين انه لا مفهوم للحال هنا البتة فان قلت كيف قال لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء والعداوة والمحبة لكونهما متنافيتين لا تجتمعان فى محل واحد والنهى عن الجمع بينهما فرع امكان اجتماعهما قلت انما كان الكفار اعداء للمؤمنين بالنسبة الى معاداتهم لله ورسوله ومع ذلك يجوز ان يتحقق بينهم الموالاة والصداقة بالنسبة الى الامور الدنيوية والاغراض النفسانية فنهى الله عن ذلك يعنى فلم يتحقق وحدة النسبة من الوحدات الثمان وحيث لم يكتف بقوله عدوى بل زاد قوله وعدوكم دل على عدم مروءتهم وفتوتهم فانه يكفى فى عداوتهم لهم وتركموالاتهم كونهم اعداء الله سواء كانوا اعداء لهم ام لا (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل تلقون والحق هو القرآن او دين الاسلام او الرسول عليه السلام (يخرجون الرسول واياكم) حال من فاعل كفروا اى مخرجين الرسول واياكم من مكة والمضارع لاستحضار الصورة (ان تؤمنوا بالله ربكم) تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب اى على الرسول والالتفات من التكلم الى الغيبة حيث لم يقل ان تؤمنوا بى للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية (ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لا تتولوا اعدآئى ان كنتم اوليائى وانتصاب جهادا وابتغاء على انهما مفعول لهما لخرجتم اى ان كنتم خرجتم عن اوطانكم لاجل هذين فلا تتخذوهم اولياء ولا تلقوا اليهم بالمودة والجهاد بالكسر القتال مع العدو كالمجاهدة وفى التعريفات هو الدعاء الى الدين الحق وفى المفردات الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع فى مدافعة العدو وهو جهاد العدو والظاهر وجهاد الشيطان وجهاد النفس ويكون باليد واللسان والمرضاة مصدر كالرضى وفى عطف وابتغاء مرضاتى على جهاد فى سبيلى تصريح بما علم التزاما فان الجهاد فى سبيل الله انما هو لاعلاء دين الله لا لغرض آخر واسناد الخروج اليهم معللا بالجهاد والابتغاء يدل على ان المراد من اخراج الكفرة كونهم سببا لخروجهم باذيتهم لهم

فلا ينافي تلك السببية كون ارادة الجهاد والابتغاء علة له (تسرون اليهم بالمودة) استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ كأنهم سألوا ماذا صدر عنا حتى عوتبنا فقيل تلقون اليهم المودة سرا على ان الباء صلة جيء بها التأكيد التعدية او الاخبار بسبب المودة و يجوز ان يكون تعدية الاسرار بالباء لحمله على نقيضه الذي هو الجهر (وانا اعلم) حال من فاعل تسرون اى والحال انى اعلم منكم (بما اخفيتم وما اعلنتم) من مودة الاعداء والاعتذار وغير ذلك فاذا كان بينهما تساوى العلم فاى فائدة فى الاسرار والاعتذار (ومن) وهركه (يفعله منكم) اى الاتخاذ المنهى عنه اى ومن يفعل ما نهيت عنه من موالاتهم والاقرب ومن يفعل الاسرار (فقد ضل سواء السبيل) فقد اخطأ طريق الحق والصواب الموصل الى الفوز بالسعادة الابدية وبالفارسية پس بدرستى كه او از راه راست كم شد وهو من اضافة الصفة الى الموصوف وضل متعد وسواء السبيل مفعوله و يجوز ان يجعل قاصرا و ينتصب سواء السبيل على الظرفية قال القرطبى هذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله ونصيحته لرسول الله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من حبيب لحبيب كما قيل اذا ذهب العتاب فليس ود * و يبقى الود ما بقى العتاب

والعتاب اظهار الغضب على احد لشئ مع بقاء المحبة بالترك وفى الآية اشارة الى عداوة النفس والهوى و الشيطان فانها تبغض عبادة الله وتبغض عباد الله ايضا اذا لم يكونوا مطيعين لها فى انفاذ شهواتها وتحصيل مراداتها واصل عداوة النفس ان تفطنهما من مألوفاتها وتحبسها فى محبس المجاهدة وعلامة حب الله بغض عدو الله قال عليه السلام افضل الايمان الحب فى الله والبغض فى الله قال ابو حفص رحمه الله من احب نفسه فقد اتخذ عدو الله وعدو وليا وان النفس تخالف ما أمرت به وتعرض عن سبيل الرشد وتهلك محبها ومتبعها فى اول قدم وجاء فى اخبار داود عليه السلام يا داود عاد نفسك فليس لى فى المملكة منازع غيرها وفى كشف الاسرار بلشكر اندك روم از قيصر بتوان ستد و بجمله اولياى روى زمين نفس را از يكى نتوان ستد زيرا نفس راحيل بسيار ست احمد حضرويه بلخى رحمه الله گويد نفس خود را بانواع رياضات ومجاهدات مقهور كرده بودم روزى نشاط غزا كرد بجب داشتم كه از نفس نشاط طاعت نبايد گفتم درزير اين كوبى چه مكر باشد مكر در كرسنكى طاقت نمى دارد كه پيوسته اوراروزه همى فرمايم خواهد در سفر روزه بگشايد گفتم اى نفس اكر اين سفر پيش گيرم روزه نكشايم گفت روادارم گفتم مكر از انست كه طاقت نماز شب نميدارد كه در سفر بخسبد گفتم در سفر قيام شب كم نكنم چنانكه در حضر كفت روادارم تفكر كردم كه مكر ازان نشاط سفر غزا كرده كه در حضر با خلق مى نياميزد كه اورا در خلوت وعزلت ميدارم مرادش آنست كه با خلق صحبت كند گفتم اى نفس هر جا كه روم در اين سفر ترا بخرابه فروآرم كه هيچ خلق را نه بينى گفت روادارم ازدست وى عاجز ماندم بالله تعالى زار يدم وتضرع كردم تا ازمكر وى مرا آگاهى داد كه در غزا كشتن بكبار كى باشد و بهمه جهان شود كه احمد حضرويه بغزا شهادت يافت گفتم سبحان الله آن خداوندى كه نفسى آفريند بدين معيوبى كه بدنيا منافق باشد و بعد ازمرك مرايى باشد نه در ين جهان حقيقت اسلام خواهد نه دران جهان آنكه گفتم اى نفس اماره والله كه باين غزا نروم تا تو در زير طاعت زنار بندى پس در حضر آن رياضات ومجاهدات كه دران بودم زيادت كردم قوله بما اخفيتم اى من دعوى الانانية وما اعلنتم من العبودية كما هو شأن النفس وقال ابو الحسين الوراق رحمه الله بما اخفيتم فى باطنكم من المعصية وما اعلنتم فى ظاهركم للخلق من الطاعة انتهى (ان يثقفوكم) اى يظفروا بكم و يتمكنوا منكم والثقف الحذق فى ادراك الشئ وفعله وثقفت كذا اذا ادركته ببصرك لحذق فى النظر ثم قد تجوز به فاستعمل فى الادراك وان لم يكن معه ثقافة كما فى هذا الموضع ونحوه (يكونوا لكم اعداء) اى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة و يرتبوا عليها احكامها ولا ينفعكم القاء المودة اليهم (و يبسطوا) و يطيلوا (اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء) اى بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم (وودوا لو تكفرون) اى تمنوا ارتدادكم وكونكم مثلهم كقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم فكلمة لو هنا مصدرية وصيغة الماضى للايذان بتحقق وداداتهم قبل ان يثقفوهم ايضا فهو معطوف على يبسطوا (لن تنفعكم ارحامكم) اى قراباتكم قال الراغب الرحم رحم المرأة وهى فى الاصل وعاء الولد فى بطن امه ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة (ولا اولادكم) الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم جمع ولد بمعنى المولود

يعم الذكر والانثى (يوم القيامة) بجلب نفع اودفع ضر ظرف لقوله لن تنفعكم فيوقف عليه و يبتدأ بما بعده (يفصل بينكم) استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه الآية فالكم ترفضون حق الله لمراعاة حق من يفر منكم غدا وقيل يفرق بين الوالد وولده و بين القريب وقريبه فيدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به وهو ابلغ من يخبر لانه جعله كالمحسوس بحس البصر مع ان المعلوم هنا اكثر المبصرات من الكتاب والاتيان بمن يحمل الكتاب واعطاء الاجرة للحمل وغيرها وفى الآية اشارة الى عداوة النفس وصفاتها للروح واخلاقه فان النفس ظلمانية سفليه كثيفة والروح وقواه نورانية علوية لطيفة ولاشك ان بين النور والظلمة تدافعا ولذا تجتهد النفس ان تغلب الروح بظلمانيتها حتى يكون الحكم لها فى مملكة الوجود وهو تصرفها باليد واما بسط لسانها بالسوء فيمدح الاخلاق الذميمة وذم الاخلاق الحميدة فالقالب كبلد فيه اشراف وارذال كل من بطن واحد لان القوى الخيرة والشريرة انما حصلت من ازدواج الروح مع القالب فالنفس وصفاتها من الارذال وعلى مشرب قابيل وكنعان ولدى آدم ونوح عليهما السلام فليست من الاهل فى الحقيقة والروح وقواه من الاشراف وعلى مشرب هابيل ونحوه فهى من الاهل فى الحقيقة ولذا تنقطع هذه النسبة يوم القيامة فيكون الروح فى النعيم والنفس فى الجحيم عند تجلى اللطف والجمال والقهر والجلال جعلنا الله واياكم من اهل الكمال والنوال (قد كانت لكم) ايها المؤمنون (اسوة حسنة) قال الراغب الاسوة والاسوة كالقدوة والقدوة هى الحالة التى يكون الانسان عليها فى اتباع غيره ان حسنا وان قبيحا وان سارا وان ضارا والاسى الحزن وحقيقته اتباع الفائت بالغم والمعنى خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى و يقتدى بها و يتبع اثرها قوله اسوة اسم كانت ولكم خبرها وحسنة صفة اسوة مفيدة ان عمت الاسوة المحمودة والمذمومة وكاشفة مادحة ان لم تعم (فى ابراهيم والذين معه) اى من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة وقولهم لى فى فلان اسوة اى قدوة من باب التجريد لان فلانا نفسه هو القدوة و يجوز ان يكون على حذف المضاف اى لى فى سننه وافعاله واقواله وقيل المراد الانبياء الذين كانوا فى عصره وقريبا منه قال ابن عطية وهذا القول ارجح لانه لم يرد ان ابراهيم كان له اتباع مؤمنون فى مكافحة نمرود وفى البخارى انه قال لسارة حين رحل بها الى الشام مهاجرا بلاد نمرود ما على الارض من يعبد الله غيرى وغيرك (اذ قالوا) ظرف لخبر كان ومعمول له اولكان نفسها عند من جوز عملها فى الظرف وهو الاصح (لقومهم) الكفار (انا برءآء منكم) جمع برئ كظريف وظرفاء يعنى ما بيزاريم ازشما (ومما تعبدون من دون الله) من الاصنام اظهروا البراءة اولا من انفسهم مبالغة وثانيا من عملهم الشرك اذ المقصور من البراءة من معبودهم هو البراءة من عبادته و يحتمل ان تكون البراءة منهم ان لا يصاحبوهم ولا يخالطوهم ومن معبودهم ان لا يقربوا منه ولا يلتفتوا نحوه و يحتمل ان تكون البراءة منهم بمعنى البراءة من قرابتهم لان الشرك يفصل بين القرابات و يقطع الموالاة وحاصل الآية هلا فعلتم كما فعل ابراهيم حيث تبرأ من ابيه وقومه لكفرهم وكذا المؤمنون (كفرنا بكم) اى بدينكم على اضمار المضاف والكفر مجاز عن عدم الاعتداد والجحد والانكار فان الدين الباطن ليس بشئ اذ الدين الحق عند الله هو الاسلام (و بدا) بدا الشئ يبدو و بدآ اى ظهر ظهورا بينا والبادية كل مكان يبدو ما يعن فيه اى يعرض (بيننا) ظرف لبدا (و بينكم العداوة والبغضاء ابدا) اى هذا دأبنا معكم لا نتركه والبغض ضد الحب (وقال الكاشفى) وآشكارا شد ميان ما وشما دشمنى بدل ودشمنى بدست يعنى محاربه ابدا هميشه يعنى پيوسته دشمنى قائم خواهد بود درميان بدل ودست (حتى) غاية لبدا (تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة والمقت مقة والوحشة الفة فالبغض نفور النفس من الشئ الذى ترغب عنه والحب انجذاب النفس الى الشئ الذى ترغب فيه فان قلت ما وجه قوله حتى تؤمنوا بالله وحده ولا بد فى الايمان من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر قلت الايمان بالله فى حال وحدته يستلزم الايمان به بالجميع مع ان المراد الوحدة الالهية ردا للاصنام قال بعض المشايخ اسوة ابراهيم خلة الله والتبرى مما دون الله والتخاق بخلق الله والتأوه والبكاء من شوق الله وقال ابن عطاء رحمه الله الاسوة القدوة بالخليل فى الظاهر من الاخلاق الشريفة وهو السخاء وحسن الخلق واتباع

ما امر به على الكرب وفى الباطن الاخلاص فى جميع الافعال والاقبال عليه فى كل الاوقات وطرح الكل فى ذات الله تعالى واسوة رسول الله عليه السلام فى الظاهر العبادات دون البواطن والاسرار لان اسراره لايطيقها احد من الخلق لانه باين الامة بالمكان ليلة المعراج ووقع عليه تجلى الذات * سپهدار رسل سرخيل دركاه * سرير افروز ملك لى مع الله (الاقول ابراهيم لابيه) آزر (لاستغفرن لك) يأبى استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لأبيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به مايجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بماسيأتى من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لاريب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وحمل الادب على العلم يخالف العقل والنقل لان الله تعالى يخرج الحى من الميت والعبرة بالحسب لا بالنسب وعن على رضى الله عنه شرف المرء بالعلم والأدب لا بالاصل والنسب * هنربجناى اكردارى نه كوهر * كل ازخار رست وابراهيم از آزر (وما املك لك من الله من شئ) من تمام القول المستثنى فمحله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اى استغفر لك وليس فى طاقتى الا الاستغفار دون منع العذاب ان لم تؤمن فورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وفى هذه الآية دلالة بينة على تفضيل نبيه محمد عليه السلام وذلك انه حين امر بالاقتداء به امر على الاطلاق ولم يستثن فقال وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وحين امر بالاقتداء بابراهيم استثنى وايضا قال تعالى فى سورة الاحزاب لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكرا لله كثيرا فأطلق الاقتداء ولم يقيده بشئ (قال الصائب) هلاك حسن خداداد اوشوم كه سرابا * چوشعر حافظ شيرازى انتخاب ندارد (ربنا) الخ من تمام ماتقل عن ابراهيم ومن معه من الاسوة الحسنة (عليك توكلنا) اعتمدنا يعنى ازخلق بريديم واعتماد كلى بركرم تونموديم (واليك انبنا) رجعنا بالاعتراف بذنوبنا وبالطاعة (واليك المصير) اى الرجوع فى الآخرة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى * سوى توكرديم روى ودل بتوبستيم * زهمه بازآمديم وباتو نشستيم * هرچه نه پيوند ياربود بريديم * هرچه نه پيمان دوست بوكسستيم * قالوه بعد المجاهدة وشق العصا التجاء الى الله تعالى فى جميع امورهم لاسيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لانطيقه فالفتنة بمعنى المفعول وربنا بدل من الاول وكذا قوله ربنا فيما بعده وقال بعضهم ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا فتقتر علينا الرزق وتبسطه عليهم فيظنوا انهم على الحق ونحن على الباطل (واغفرلنا) مافرط منا من الذنوب والاكان سببا لظهور العيوب وباعثا للابتلاء المهروب (ربنا) تكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجؤار فيكون لاحقا بما قبله ويجوز ان يكون سابقا لما بعده توسلا الى الثناء باثبات العزة والحكمة والاول اظهر وعليه ميل السجاوندى حيث وضع علامة الوقف الجائز على ربنا وهو فى اصطلاحه مايجوز فيه الوصل والفصل باعتبارين وتلك العلامة الجيم بسماه وهوج (انك انت العزيز) الغالب الذى لايذل من التجأ اليه ولايخيب رجاء من توكل عليه (الحكيم) الذى لايفعل الامافيه حكمة بالغة وقال بعض اهل الاشارة تعز اولياءك بالفناء فيك وتحييهم ببقائك بلطائف حكمتك فيكون المراد بالفتنة غلبة ظلمة النفس والهوى وبالمغفرة الستر بالهوية الاحدية عن الانيات وبالصفات الواحدية عن التعينات (لقد كان لكم فيهم) اى فى ابراهيم ومن معه (اسوة حسنة) تكرير للمبالغة فى الحث على الائتساء به عليه السلام وذلك صدر بالقسم وجعله الطيبى من التعميم بعد التخصيص وفى برهان القرآن كرر لان الاول فى القول والثانى فى الفعل وفى فتح الرحمن الاولى اسوة فى العداوة والثانية فى الخوف والخشية وفى كشف الاسرار الاولى متعلقة بالبراءة من الكفار ومن فعلهم والثانية امر بالائتساء بهم لينالوا من ثوابهم مانالوا وينقلبوا الى الاخرة كما نقلا بهم (لمن كان يرجوا الله) بالايمان بلقائه (واليوم الآخر) بالتصديق بوقوعه وقيل يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة لان الرجاء والخوف يتلازمان والرجاء ظن يقتضى حصول مافيه مسرة وفى المفردات الرجاء والطمع

توقع محبوب عن امارة مظنونة اومعلومة والخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة اومعلومة وفى بعض التفاسير الرجاء يجيء بمعنى توقع الخير وهوالامل وبمعنى توقع الشر وهو الخوف وبمعنى التوقع مطلقا وهو فى الاول حقيقة وفى الاخيرين مجاز وفى الثانى من قبيل ذكر الشئ وارادة ضده وهو جائز وفى الثالث من قبيل ذكر الخاص وارادة العام وهو كثير قوله لمن كان الخ بدل من لكم وفائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لايترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى (ومن يتول فان الله هوالغنى الحميد) فانه مما يوعد بأمثاله الكفرة اى ومن يعرض عن الاقتداء بهم فى التبرى من الكفار ووالاهم فان الله هوالغنى وحده عن خلقه وعن موالاتهم ونصرتهم لاهل دينه لمن يتعبدهم لحاجته اليهم بل هوولى دينه وناصر حزبه وهو الحميد المستحق للحمد فى ذاته ومن صحاح الاحاديث القدسية ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيأ ياعبادى لوان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكى شيأ ياعبادى لوان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته مانقص ذلك من عندى الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر ياعبادى انما هى اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه قوله هى ضمير القصة يعنى ماجزاء اعمالكم الا محفوظ عندى لاجلكم ثم أؤديها اليكم وافية ثم الحميد فعيل بمعنى المفعول وجوز الامام القشيرى رحمه الله ان يكون بمعنى الفاعل اى حامد لنفسه وحامد للمؤمنين من عباده قال شارح المشكاة وحظ العبد من اسم الحميد ان يسعى لينخرط فى سلك المقربين الذين يحمدون الله لذاته لالغيره قال الشيخ ابو القاسم رحمه الله حمد الله الذى هومن شكره يجب ان يكون على شهود المنعم لان حقيقة الشكر الغيبة لشهود المنعم عن شهود النعمة (روى) ان داود عليه السلام قال فى مناجاته كيف اشكرلك وشكرى لك نعمة منك على فأوحى الله اليه الآن قد شكرتنى وقال بعض اهل الاشارة لقد كان فى ابراهيم الخفى ومن معه من قواه الروحانية المجردة من المواد الحسية والمثالية والعقلية اسوة حسنة وهى البرآءة من قومه اى النفس الامارة والهوى المتبع فمن تأسى واستمر على ذلك بلغ المطلوب المحبوب ومن اعرض عن ذلك التأسى فان الله غنى عن تأسيه حميد فى ذاته وان لم يكن حميده انتهى كلامه (عسى الله ان يجعل) شايد آنكه خداى تعالى پيدا كند (بينكم وبين الذين عاديتم منهم) اى من اقاربكم المشركين وعسى من الله وعد على عادة الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى ولعل فلا يبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك وقال الراغب ذكر الله فى القرآن عسى ولعل تذكرة ليكون الانسان منه على رجاء لاعلى ان يكون هو تعالى راجيا اى كونوا راجين فى ذلك والمعاداة والعداء باكسى دشمنى كردن (مودة) اى بان يوافقوكم فى الدين وعدهم الله بذلك لما رأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد فى معاداة آبائهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اباح لهم الفتح فأسلم قومهم كأبى سفيان وسهل بن عمرو وحكيم بن حزام والحارث ابن هشام وغيرهم من صناديد العرب وكانوا اعداء اشد العداوة فتم بينهم من التحاب والتصافى مالم (والله قدير) اى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة (والله غفور رحيم) فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم بقلب معاداة اقاربهم موالاة وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم قال ابن عطاء رحمه الله لايبغضوا عبادى كل البغض فانى قادر على ان انقلبكم من البغض الى المحبة كنقلى من الحياة الى الموت ومن الموت الى النشور كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر الى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل قرأ يخرج الحى من الميت لانهما من خيار الصحابة وابواهما اعدى عدو الله ورسوله وكان بعضهم يغض عكرمة ويسب أباه لما سلف منه من الاذى حتى ورد النهى عنه بقوله عليه السلام لاتؤذوا الاحياء بسبب الاموات فقلب الله ذلك محبة فكانوا اخوانا فى الله وفى الحديث (من نظر الى اخيه نظر مودة لم يكن فى قلبه احنة لم يطرف حتى يغفر الله له ماتقدم من ذنبه وقال سقراط اثن على ذى المودة خيرا عند من لقيت فان رأس المودة حسن الثناء كما ان رأس العداوة سوء الثناء وعنه لاتكون كاملا حتى يأمنك عدوك فكيف بك اذا لم يأمنك صديقك قال داود عليه السلام

اللهم انى اعوذبك من مال يكون على فتنة ومن ولد يكون على ربا ومن حليلة تقرب المشيب واعوذ بك من جار ترانى عيناه وترعانى اذناه ان رأى خيرا دفنه وان سمع شرا طار به ومن بلاغات الزمخشرى محك المودة والاخاء حال الشدة دون الرخاء (قال الحافظ) وفا مجوى زكس ورسخن نمى شنوى * بهرزه طالب سيمرغ وكيميا مباش (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) اى على الدين اوفى حق الدين واطفاء نوره (ولم يخرجوكم من دياركم) اى لاينهاكم الله عن مبرة هؤلاء فان قوله تعالى (ان تبروهم) بدل من الموصول بدل الاشتمال لان بينهم وبين البر ملابسة بغير الكلية والجزئية فكان المنهى عنه برهم بالقول وحسن المعاشرة والصلة بالمال لانفسهم وبالفارسية ازآنكه نيكويى كنيد با ايشان (وتقسطوا اليهم) تفسير لتبروا وضمن تقسطوا معنى الافضاء فعدى تعديته اى تفضوا اليهم بالقسط والعدل ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين ويتحاموا ظلمهم مرحمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم كما فى الكشاف وقال الراغب القسط النصيب بالعدل كالنصف والنصفة فالمعنى عدل كنيد وبفرستيد قسطى وبهره براى ايشان ازطعام وغيراو (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين فى المعاملات كلها (روى) ان قتيلة بنت عبد العزى على زنة التصغير قدمت فى المدة التى كانت فيها المصالحة بين رسول الله عليه السلام وبين كفار قريش مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنها بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وكانت قتيلة زوجة ابى بكر وكان طلقها فى الجاهلية واورده آنكه قوم خزاعه را باحضرت رسول عليه السلام عهد وپيمان بود وهر كز قصد مسلمانان نكردند ودشمنان دين راياري ندادند حق تعالى درباء ايشا اين آيت فرستاد يا مراد زنان وخويشان كه ايشانرا در قتل واخراج چندان مدخلى نيست وفى قوله الرحمن نسختها اقتلوا المشركين والاكثر على انها غير منسوخة وفى بعض التفاسير القسط الجور والعدول عن الحق والقسط بالكسر العدل فالاقساط اما من الاول بمعنى ازالة القسوط فهمزته للسلب كاشكيته بمعنى ازلت عنه الشكاية وسلبتها فمن ازال الظلم اتصف بالعدل واما من الثانى بمعنى ان يصير ذا قسط فهمزته للصيرورة مثل اورق الشجر اى صار ذا ورق وفى الآية مدح للعدل لان المراد به يصير محبوبا لله تعالى ومن الاحاديث الصحيحة قوله عليه السلام ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين للذين يعدلون فى حكمهم واهليهم وما ولوا (قال الحافظ) شاهرا به بود ازطاعت صدساله وزهد * قدر يكساعته عمرى كه در وداد كند * وقال خطابا لبعض الملوك * جويبار ملك را آب ازسر شمشير تست * خوش درخت عدل بنشان بيخ بدخواهان بكن (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واطفاء نوره (واخرجوكم من دياركم) وهم عتاة اهل مكة وجبارتهم (وظاهروا على اخراجكم) وهم سائر اهلها يعنى معاونت كردند وهم پشت شدند باعادى (ان تولوهم) بدل اشتمال من الموصول اى انما ينهاكم عن ان تتولوهم والتولى دوستى داشتن باكسى (ومن يتولهم) وهر كه دوست دارد ايشانرا (فاولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية فى موضع العداوة وهم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب وحساب التولى اكبر وفساد التولى اكثر ولذلك اورد كلمة الحصر تغليظا وجمع الخبر باعتبار معنى المبتدأ * بكسل زدوستان دغا باز وحيله ساز * يارى طلب كه طالب نقش بقا بود * جعلنا الله واياكم من الذين يطلبون الباقى لا الفانى يقول الفقير كان الظاهر من امر المقابلة فى الآيتين ان يقال فى الاولى ان تولوهم كما فى الثانية اويعكس ويقال فى الثانية ان تبروهم كما فى الاولى اويذكر كل منهما فى كل من الآيتين لكن الدلائل العقلية والشواهد النقلية دلت على ان موالاة الكافر غير جائزة مقاتلا كان اوغيره بخلاف المبرة فانها جائزة لغير المقاتل غير جائزة للمقاتل كالموالاة فحيث اثبت المبرة بناء على امر ظاهر فى باب الصلة نفى الموالاة ضمنا وحيث نفى الموالاة نفى المبرة ضمنا وانما لم تجز المبرة للمقاتل لغاية عداوته ونهاية بغضه ان قيل ان الاحسان الى من اساء من اخلاق الابرار قلنا ان المبرة تقتضى الالفة فى الجملة والاحسان يقطع اللسان ويثلم السيف فيكون حائلا بين المجاهد والجهاد الحق وقد امر الله باعلاء الدين (يا ايها الذين آمنوا) بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريق الكافرين (اذا جاءكم المؤمنات) اى بدلالة ظاهر حالهن او اقرارهن بلسانهن

او المشارفات الايمان ولابعد ان تكون التسمية بالمؤمنات لكونهن كذلك فى علم الله وذلك لا ينافى امتحان غيره تعالى (مهاجرات) من بين الكفار حال من المؤمنات (فامتحنوهن) فاختبروهن بما تغلب به على ظنكم موافقة قلوبهن لالسنتهن فى الايمان قيل انه من ارادت منهن اضرار زوجها قالت سأل هاجر الى محمد عليه السلام فلذلك امر النبى بامتحانهن وكان عليه السلام يقول للتى يمتحنها بالله الذى لا له الا هو ما خرجت عن بغض زوج اى غير بغض فى الله لحب الله بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت عشقا لرجل من المسلمين بالله ما خرجت لحدث احدثه بالله ما خرجت الا رغبة فى الاسلام وحبا لله ولرسوله فاذا حلفت بالله الذى لا اله الا هو على ذلك اعطى النبى عليه السلام زوجها مهرها وما انفق عليها ولا يردها الى زوجها قال السهيلى نزلت فى ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهى امرأة عبد الرحمن بن عوف ولدت له ابراهيم بن عبد الرحمن وكانت ام كلثوم اخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لامه اروى وافادت الآية ان الامتحان فى محله حسن نافع ولذا تمتحن المنكوحة ليلة الزفاف وتستوصف الاسلام مع سهولة فى السؤال واشارة الى الجواب لانها لو قالت ما اعرف بانت من زوجها * خوش بود كر محك تجربه آمد بميان * تا سيه روى شود هر كه دروغش باشد (الله اعلم بايمانهن) منكم لانه المطلع على ما فى قلوبهن فلا حاجة له الى الامتحان وليس ذلك للبشر فيحتاج اليه والجملة اعتراض (فان علمتموهن) بعد الامتحان (مؤمنات) العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بأنه جار مجرى العلم فى وجوب العمل به ففى علمتموهن استعارة تبعية (فلا ترجعوهن الى الكفار) من الرجع بمعنى الرد لا من الرجوع ولذلك عدى الى المفعول اى لا ترد وهن الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) فانه تعليل للنهى عن رجعهن اليهم يعنى لا تجعل مؤمنة لكافر لشرف الايمان ولانكاح كافر لمسلمة لخبث الكفر وبالفارسية نه ايشان يعنى زنان حلال اند مر كافران را ونه كافران حلال ميشوند مر زنان را چه تباين دارند جدايى افكنند ميان ايشان والتكرير امالتأكيد الحرمة والا فيكفى نفى الحل من احد الجنبين اولان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثانى لبيان امتناع النكاح الجديد (وآتوهم ما انفقوا) هذا هو الحكم الثانى اى واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك اى بيان المراد بما انفقوا هو المهور ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبى عليه السلام بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فقال يا محمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله فحلف فاعطى زوجها ما انفق وهو المهر بالاتفاق وتزوج بها عمر رضى الله عنه وانما رد الرجال دون النساء لضعف النساء عن الدفع عن انفسهن وعجزهن عن الصبر على الفتنة وفى اللباب ان المخاطب بهذا هو الامام ليؤتى من بيت المال الذى لا يتعين له مصرف وان المقيمة منهن على شركها مردودة عليهم وان المؤمن يحل له ان ينكح كتابية فان الرجال قوامون على النساء فليس تسلطه عليها كتسلط الكافر على المسلمة ولعل المراد بايتاء ما انفقوا رعاية جانب المؤمنين بالحث على اظهار المروءة وايثار السخاء والا فمن المسائل المشهورة ان المرأة تملك تمام المهر بخلوة صحيحة فى قطعة من اليوم او الليلة وان لم يقع استمتاع اصلا وايضا ان فى الانفاق تأليف القلوب واما لتها الى جانب الاسلام وافادت الآية ان اللائق بالولى كائنا من كان ان يحذر تزويج مؤمنة له ولاية عليها بمبتدع تفضى بدعته الى الكفر وللحاكم ان يفرق بينه وبينها ان ظهرت منه تلك البدعة الا ان يتوب ويجدد ايمانه ونكاحه سئل الرستغفنى عن المناكحة بين اهل السنة وبين اهل الاعتزال فقال لا تجوز كما فى مجمع الفتاوى وقس عليه سائر الفرق الضالة التى لم يكن اعتقادهم كاعتقاد اهل السنة ولزمهم بذلك الاعتقاد اكفار او تضليل ولهم كثرة فى هذه الاعصار جدا قال فى بعض التفاسير اخاف ان يكون من تلك المبتدعة بعض المتصوفة من اهل زماننا الذى يدعى ان شيخه قطب الزمان يجب الاقتداء به على كل مسلم حتى ان من لم يكن من جملة مريديه كان كافرا وان مات لم يمت مؤمنا فيستدل بقوله عليه السلام من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ويقول المراد بالامام هو القطب وشيخنا هو القطب فمن لم يعرف قطبيته ولم يتبعه مات على سوء الحال وجوابه ان المراد بالامام

هوالخليفة والسلطان وقريش اصل فيه لقوله عليه السلام الامام من قريش ومن عداهم تبع لهم كشريف الكعبة مع آل عثمان فالشريف احدى الذات ولذا لاقوة له وآل عثمان واحدى الذات ولذا صار مظهر سر قوله تعالى هوالذى ايدك بنصره و بالمؤمنين فاعرف الاشارة وايضا المراد من الامام نبى ذلك الزمان وهو فى آخر الزمان رسولنا محمد عليه السلام ولاشك ان من لم يعرفه ولم يصدقه مات ميتة جاهلية ولئن سلم ان المراد بالامام هوالقطب من طريق الاشارة فلا شك ان للقطبية العظمى شرائط لايوجد واحد منها فى الكذابين فلايثبت لهم القطبية اصلا على ان التصديق بالقطب لايستلزم صحبته لان مبنى هذا الامر على الباطن فالاقطاب لم يهتد اليهم الا اقل الافراد فاظهارهم لقطبيتهم خارج عن الحكمة ولما قربت القيامة وقع ان يتغير احوال كل طائفة عاما فعاما شهرا فشهرا اسبوعا فاسبوعا يوما فيوما لايزال هذا التغيير الى انقراض الاخيار لانه لاتقوم الساعة الاعلى الاشرار وفى المرفوع لايأتيكم زمان الاوالذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم (قال الحافظ) روزى اكر غمى رسدت تنك دل مباش * روشكر كن مبادكه از بد بترشود *

وفى الحديث مامن نبى بعثه الله فى امة قبلى الاكان له من امته حواريون واصحاب يأخذون بسنته و يقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لايفعلون و يفعلون مالا يؤمرون ومن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل رواه مسلم وقال عليه السلام يذهب الصالحون الاول فالاول و يبقى حفالة كحفالة الشعير اوالتمر لايبالى بهم الله واول التغير كان فى الامراء ثم فى العلماء ثم فى الفقراء ففى كل طائفة اهل هدى واهل هوى فكن من اهل الهدى اوالمتشبهين بهم فان من تشبه بقوم فهومنهم ومن كثر سواد قوم فهومنهم وفى الحديث من احب قوما على عملهم حشر فى زمرتهم وحوسب بحسابهم وان لم يعمل بعملهم (ولاجناح عليكم) هذا هو الحكم الثالث يقال جنحت السفينة اى مالت الى احد جانبيها وسمى الاثم المائل بالانسان عن الحق جناحا ثم سمى كل اثم جناحا (ان تنكحوهن) اى تتزوجوهن والمهاجرات وان كان لهن ازواج كفار فى دارالحرب فان اسلامهن حال بينهن و بين ازواجهن الكفار (اذا اتيتموهن اجورهن) اذاظرفية محضة اوشرطية جوابها محذوف دل عليه ماتقدم اى اذا اتيتموهن مهورهن شرط ايتاء المهر فى نكاحهن اذا بان ما اعطى ازواجهن لايقوم مقام المهر لان ظاهر النظم يقتضى ايتاءين ايتاء الى الازواج وايتاء اليهن على سبيل المهر وفى التيسير التزمتم مهورهن ولم يرد حقيقة الاداء كما فى قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد اى يلتزموها استدل بالآية ابوحنيفة رحمه الله على ان احد الزوجين اذاخرج من دارالحرب مسلما او بذمة و بقى الآخر حربيا وقعت الفرقة ولايرى العدة على المهاجرة ولاعلى الذمية المطلقة ولاعلى المتوفى عنها زوجها ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا لانه تعالى نفى الجناح من كل وجه فى نكاحهن بعد ايتاء المهور ولم يفيد بمضى العدة وقالا عليها العدة وفى الهداية قول ابى حنيفة فيما اذا كان معتقدهم انه لاعدة واما اذا كانت حاملا فقد قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايسقين ماءه زرع غيره (ولاتمسكوا بعصم الكوافر) هذا هو الحكم الرابع والامساك جنك درزدن و يعدى بالباء والعصم جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة والكوافر طائفتان من النساء طائفة قعدت عن الهجرة وثبتت على الكفر فى دارالحرب وطائفة ارتدت عن الهجرة ولحقت بازواجها الكفار والمعنى لايكن بينكم و بين المشركات عصمة ولاعلقة زوجية وقال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلايعتدن بها من نسائه كما قال بعض اهل التفسير المراد بالعصمة هنا النكاح يعنى من كانت له زوجة كافرة بمكة او ارتدت ورجعت اليها فلا يعتدبها ولايعدها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه فجازله ان يتزوج بارابع سواها و برابعة و باختها من غير تربص وعدة و بالفارسية ومايستيد بنكه داشتن زنان كافره وايشانرا بزنان خود مشمريد فيكون اشارة الى حكم اللاتى بقين فى دارالكفر وما اسلمن ولاهاجرن بعد اسلام ازواجهن وهجرتهم وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدارالحرب فتكفر فيكون قوله ولاتمسكوا بمقابلة قوله اذاجاءكم المؤمنات يعنى ان قوله اذاجاءكم الخ اشارة الى حكم اللاتى اسلمن وخرجن من دارالكفر وقوله ولاتمسكوا الخ اشارة الى حكم المسلمات اللاتى ارتددن وخرجن من دارالاسلام الى دارالكفر وعلى التفسيرين زال عقد

النكاح بينهن و بين ازواجهن وانقطعت عصمتهن عنهم باختلاف الدارين فالعصمة هى المنع اريد بها فى الآية عقد النكاح الذى هوسبب لمنع ازواجهن اياهن عن الاطلاق اى لاتعتدوا بما كان بينكم وبينهن من العقد الكائن قبل حصول اختلاف الدارين والفرقة عند الحنفية تقع بنفس الوصول الى دار الاسلام فلا حاجة الى الطلاق بعد وقوع الفرقة وكانت زينب بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام امرأة ابى العاص ابن الربيع فلحقت بالنبى عليه السلام واقام ابوالعاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله عليه السلام واذا اسلم الزوجان معا اواسلم زوج الكتابية فهما على نكاحهما بالاتفاق واذا اسلمت المرأة فان كان مدخولا بها فاسلم فى عدتها فهى امرأته بالاتفاق وان كانت غير مدخول بها وقعت الفرقة بينهما وكان فسخا عند الثلاثة وقال ابوحنيفة يعرض عليه الاسلام فان اسلم فهى امرأته والافرق القاضى بينهما بابائه عن الاسلام وتكون هذه الفرقة طلاقا عندابى حنيفة ومحمد وفسخا عندابى يوسف ولها المهران كانت مدخولا بها والا فلا بالاتفاق واما اذا ارتد احد الزوجين المسلمين فقال ابوحنيفة ومالك تقع الفرقة حال الردة بلا تأخير قبل الدخول و بعده وقال الشافعى واحمد ان كانت الردة من احدهما قبل الدخول انفسخ النكاح وان كانت بعده وقعت الفرقة على انقضاء العدة فان اسلم المرتد منهما فى العدة ثبت النكاح والا انفسخ بانقضائها ثم ان كان المرتد الزوجة بعد الدخول فلها المهر وقبله لاشئ لها وان كان الزوج فلها الكل بعده والنصف قبله بالاتفاق كذا فى فتح الرحمن وقال سهل رحمه الله فى الآية ولاتوافقوا اهل البدع فى شئ من آرآئهم (واسألوا ماانفقتم) هذا هوالحكم الخامس اى واسألوا الكفار ايها المؤمنون ماانفقتم يعنى آنچه خرج كرده آيد من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار اى اذا ارتدت امرأة احدكم ولحقت بدار الحرب فاسألوا مهرها ممن تزوجها ولعل هذا لتطرية قلوب بعض المؤمنين بالمقابلة والمعادلة والافظاهر حال الكرام الاستغناء عنه (وليسألوا) اى الكفار منكم (ماانفقوا) من مهور ازواجهم المهاجرات اى يسأل كل حربى اسلمت امرأته وهاجرت الينا ممن تزوجها منا مهرها و بالفارسية چون عصمت زوجيه منقطع شد ميان مؤمن وكافره وميان كافر ومؤمنه پس هريك بايد كه رد كند مهر يراكه بصاحبهٔ خود داده اند وظاهر قوله وليسألوا يدل على ان الكفار مخاطبون بالاحكام وهوامر للمؤمنين بالاداء مجازا من قبيل اطلاق الملزوم وارادة اللازم كما فى قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة فانه بمعنى واغلظوا عليهم (ذلكم) الذى ذكر فى هذه الآية من الاحكام (حكم الله) ماحكم الله به لان يراعى وقوله تعالى (يحكم بينكم) كلام مستأنف للتأكيد والحث على الرعاية والعمل به قال فى فتح الرحمن ثم نسخ هذا الحكم بعد ذلك الاقوله لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن (والله عليم) بمصالحكم (حكيم) يشرع ماتقتضيه الحكمة البالغة قال ابن العربى كان حكم الله هذا مخصوصا بذلك الزمان فى تلك الازاله خاصة وقال الزهرى ولولا هذه الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله و بين قريش يوم الحديبية لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذا كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد روى انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون ماامروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين وقالوا نحن لانعلم لكم عندنا شيأ فان كان لنا عندكم شئ فوجهوا به فنزل قوله تعالى (وان فاتكم) الفوت بعد الشئ عن الانسان بحيث يتعذر ادراكه وتعديته بالى لتضمنه معنى السبق اوالانفلات دل عليه قوله فآتوا الذين ذهبت ازواجكم اى الى الكفار والمعنى سبقكم وانفلت منكم اى خرج و فرمنكم فجأة من غير تردد ولا تدبر و بالفارسية واكر فوت شود ازشما اى مؤمنان (شئ من ازواجكم الى الكفار) اى احد من ازواجكم الى الكفار ودارهم ومهرا و بدست شما نيايد وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والاشباع فى التعميم لان النكرة فى سياق الشرط تفيد العموم والشئ لكونه اعم من الاحداظهر احاطة لاصناف الزوجات اى اى نوع وصنف من النساء كالعربية اوالعجمية اوالحرة اوالامة اونحوها اوفاتكم شئ من مهور ازواجكم على حذف المضاف ليتطابق الموصوف وصفته والزوج هنا هى المرأة (روى) انها نزلت فى ام الحكم بنت ابى سفيان فرت فتزوجها ثقفى ولم ترتد امرأة من قريش غيرها واسلمت مع قريش حين اسلموا وسيأتى غير ذلك (فعاقبتم) من العقبة وهى النوبة والمعاقبة المناوبة يقال عاقب الرجل صاحبه فى كذا اى جاء فعل كل واحد منهما بعقب فعل الآخر و المعنى فجاءت عقبتكم ونوبتكم

من اداء المهر بان هاجرت امرأة الكافر مسلمة الى المسلمين ولزمهم اداء مهرها الى زوجها الكافر بعد ما فاتت امرأة المسلم الى الكفار ولزم ان يسأل مهر زوجته المرتدة ممن تزوجها منهم شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب ونحوه اى يتناوب والا فأداء كل واحد من المسلمين والكفار لا يلزم ان يعقب اداء الآخر لجواز ان يتوجه الاداء لاحد الفريقين مرارا متعددة من غير ان يلزم الفريق الآخر شئ وبالعكس فلا يتعاقبون فى الاداء (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا) اى من المهاجرة التى تزوجتموها ولا تؤتوا زوجها الكافر يعنى ان فاتت امرأة مسلم الى الكفار ولم يعط الكفار مهرها فاذا فاتت امرأة كافر الى المسلمين اى ها جرت اليهم وجب على المسلمين ان يعطوا المسلم الذى فاتت امرأته الى الكفار مثل مهر زوجته الفائتة من مهر هذه المرأة المهاجرة ليكون كالعوض لمهر زوجته الفائتة ولا يجوز لهم ان يعطوا مهر هذه المهاجرة زوجها الكافر قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت امية كانت تحت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهى اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبى جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر رضى الله عنه واعطاهم رسول الله عليه السلام مهور نسائهم من الغنيمة كما فى الكشاف (واتقوا الله الذى انتم به) لا بغيره من الجبت والطاغوت (مؤمنون) فان الايمان به تعالى يقتضى التقوى منه تعالى قال بعضهم حكم اين آيات تا بقياء عهد باقى بود چون مرتفع كشت اين احكام منسوخ كشت وفى الآية اشارة الى المكافأة ان خيرا فخير وان شرا فشر (حكى) ان اخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا فى ظل شجرة تحت صفاة فلما دنا الرواح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته اليهما فقالا ان هذا لمن كنز فأقاما عليه ثلاثة ايام كل يوم تخرج لهما دينارا فقال احدهما للآخر الى متى ننتظر هذه الحية الا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه فنهاه اخوه وقال ما ندرى لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه فأخذ فأسه ورصد الحية حتى خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فبادرت الحية فقتلته ورجعت الى جحرها فدفنها اخوه واقام حتى اذا كان الغد خرجت الحية معصوبا رأسها ليس معها شئ فقال ياهذه انى والله ما رضيت بما اصابك ولقد نهيت أخى عن ذلك فهل لك ان نجعل الله بيننا لا تضرين بى ولا أضربك وترجعين الى ما كنت عليه فقالت الحية لا فقال ولم قالت لانى اعلم ان نفسك لا تطيب لى ابدا وانت ترى قبر أخيك ونفسى لا تطيب لك وانا اذكر هذه الشجة فظهر من هذه الحكاية سر المكافاة وشرف التقوى فانه لو اتقى الله ولم يضع الشر موضع الخير بل شكر صنيع الحية لازداد مالا وعمرا * كرم كن نه پرخاش وجنك آورى * كه عالم بزير نكين آورى * چوكارى برآيد بلطف وخوشى * چه حاجت بتندى وكردن كشى * نمى ترسى اى كرك ناقص خرد * كه روزى بلنكيت برهم درد (يا ايها النبى) نداء تشريف وتعظيم (اذا جاءك المؤمنات) چون بيايند يتوزنان مؤمنه (يبايعنك) اى مبايعات لك اى قاصدات للمبايعة فهى حال مقدرة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع فى بيعة النساء سميت البيعة لان المبايع يبيع نفسه بالجنة فالمبايعة مفاعلة من البيع ومن عادة الناس حين المبايعة ان يضع احد المتبايعين يده على يد الآخر لتكون معاملتهم محكمة مثبتة فسميت المعاهدة بين المعاهدين مبايعة تشبيها لها بها فى الاحكام والابرام فبايعة الامة رسولهم التزام طاعته وبذل الوسع فى امتثال اوامره واحكامه والمعاونة له ومبايعته اياهم الوعد بالثواب وتدبير امورهم والقيام بمصالحهم فى الغلبة على اعدائهم الظاهرة والباطنة والشفاعة لهم يوم الحساب ان كانوا ثابتين على تلك المعاهدة قائمين بما هو مقتضى المواعدة كما يقال بايع الرجل السلطان اذا اوجب على نفسه الاطاعة له وبايع السلطان الرعية اذا قبل القيام بمصالحهم واوجب على نفسه حفظ نفوسهم واموالهم من ايدى الظالمين (على ان لا يشركن بالله شيأ) اى شيأ من الاشياء اوشيأ من الاشراك والظاهر ان المراد الشرك الاكبر ويجوز التعميم له وللشرك الاصغر الذى هو الرياء فالمعنى على ان لا يتخذن الها غير الله ولا يعملن الا خالصا لوجهه * مرائى هركسى معبود سازد * مرائى را ازان كفتند مشرك

(قال الحافظ) كويا باورنمى دارند روزد اورى * كين همه قلب ودغل دركار داور ميكنند
(ولايسرقن) السرقة اخذ مالس له اخذه فى خفاء وصار ذلك فى الشرع لتناول الشئ من موضع مخصوص وقدر مخصوص اى لايأخذن مال احد بغير حق ويكفى فى قبح السرقة ان النبى عليه السلام لعن السارق
(ولايزنين) الزنى وطئ المرأة من غير عقد شرعى يقصر واذا مد يصح ان يكون مصدر المفاعلة قال مظهر الدين الزنى فى اللغة عبارة عن المجامعة فى الفرج على وجه الحرام ويدخل فيه اللواطة واتيان البهائم تم كلامه قال عليه السلام يقتل الفاعل والمفعول به وثبت ان عليا رضى الله عنه احرقهما وان ابابكر رضى الله عنه هدم عليهما حائطا وذلك بحسب مارأيا من المصلحة وقال عليه السلام ملعون من أتى امرأته فى دبرها واما الاتيان من دبرها فى قبلها فمباح قال فى اللباب اتفق المسلمون على حرمة الجماع فى زمن الحيض واختلفوا فى وجوب الكفارة على من جامع فيه فذهب اكثرهم الى انه لا كفارة عليه فيستغفر وذهب قوم الى وجوب الكفارة عليه تم كلامه وقال عليه السلام من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه قيل لابن عباس رضى الله عنهما ماشأن البهيمة قال ماسمعت فيها من رسول الله شيأ ولكن اكره ان يحل لحمها وينتفع بها كذلك (ولايقتلن اولادهن) أريد به وأد البنات اى دفنهن احياء خوف العار والفقر كما فى الجاهلية قال عليه السلام لاتنزع الرحمة الامن شقى (قال الحافظ) هيچ رحمى نه برادر به برادر دارد * هيچ شوقى نه پدر را نه پسر مى بينم
دختر از اهمه جنكست وجدل بامادر * پسر از اهمه بدخواه پدر مى بينم * حكى ان هرون الرشيد زوج اخته من جعفر بشرط ان لايقرب منها فلم يصبر عنها فظهر حملها فدفنهما هرون حيين غضبا عليهما ويقال ولايشربن دواء فيسقطن حملهن كما فى تفسير ابى الليث وفى نصاب الاحتساب تمنع القابلة من المعالجة لاسقاط الولد بعد ما استبان خلقه ونفخ فيه الروح ومدة الاستبانة والنفخ مقدرة بمائة وعشرين يوما واما قبله فقيل لابأس به كالعزل وقيل يكره لان ماء الحياة كما اذا اتلف محرم بيضة صيد الحرم ضمن لان ماءها الحياة فلها حكم الصيد بخلاف العزل لان ماء الرجل لاينفخ فيه الروح الابعد صنع آخر وهو الالقاء فى الرحم فلا يكون ماءه الحياة ولعل اسناد الفعل الى النساء اما باعتبار الرضى به او بمباشرته بأمر زوجها
(ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن) الباء للتعدية والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه اى يدهشه ويجعله متحيرا فيكون اقبح انواع الكذب وهو فى الاصل مصدر يقال بهت زيدا بهتا وبهتانا اى قال عليه السلام مالم يفعله فزيد باهت وعمر ومبهوت والذى بهت به مبهوت به واذا قالت لزوجها هذا ولدى منك لصبى التقطته فقد بهته به اى قالت عليه مالم يفعله جعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة فى وصفهن بالكذب والافتراء الاختلاق يقال فرى فلان كذبا اذا خلقه وافتراه اختلقه قوله يفترينه اما فى موضع جر على انه صفة لبهتان او نصب على انه حال من فاعل يأتين وقوله بين ايديهن متعلق بمحذوف هو حال من الضمير المنصوب فى يفترينه اى يختلقنه مقدرا وجوده بين ايديهن وارجلهن على ان يكون المراد بالبهتان الولد المبهوت به كما ذهب اليه جمهور المفسرين وليس المعنى على نهيهن عن ان يأتين بولد من الزنى فينسبنه الى الازواج لان ذلك نهى بقوله ولايزنين بل المراد نهيهن عن ان يلحقن بأزواجهن ولدا التقطنه من بعض المواضع وكانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك فى بطنى الذى بين يدى ووضعته من فرجى الذى هو بين رجلى فكنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها والمعنى ولايجئن بصبى ملتقط من غير ازواجهن فانه افتراء وبهتان لهم والبهتان من الكبائر التى تتصل بالشرك (ولايعصينك فى معروف) اى لايخالفن امرك فيما تأمرهن به وتنهاهن عنه على ان المراد من المعروف الامور الحسنة التى عرف حسنها فى الدين فيؤمر بها والشؤون السيئة التى عرف قبحها فيه فينهى عنها كما قيل كل ماوافق فى طاعة الله فعلا اوتركا فهو معروف وكما روى عن بعض اكابر المفسرين من انه هو النهى عن النياحة والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه ونشره وخمش الوجه وان تحدث المرأة الرجال الاذا رحم محرم وان تخلو برجل غير محرم وان تسافر الا مع ذى رحم محرم فيكون هذا للتعميم بعد التخصيص ويحتمل ان يكون المراد من المعروف مايقابل المنكر فيكون ماقبله للنهى عن المنكر وهذا للامر بالمعروف لتكون الآية جامعة لهما والتقييد

بالمعروف مع ان الرسول عليه السلام لايأمر الابه للتنبيه على انه لاتجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق لانه لما شرط ذلك فى طاعة النبى عليه السلام فكيف فى حق غيره وهو كقوله الاليطاع باذن الله كما قال فى عين المعانى فدل على ان طاعة الولاة لاتجب فى المنكر ولم يقل ولايعصين الله لان من اطاع الرسول فقد اطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وتخصيص الامور المعدودة بالذكر فى حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن ووجه الترتيب بين هذه المنهيات انه قدم الاقبح على ماهو ادنى فجامنه ثم كذلك الى آخرها ولذا قدم ماهو الاظهر والاغلب فيما بينهن وقال صاحب اللباب ذكر الله تعالى فى هذه الآية لرسول الله عليه السلام فى صفة البيعة خصالا ستا هن اركان مانهى عنه فى الدين ولم يذكر اركان ماامر به وهى ايضا ست الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لان النهى عنها دائم فى كل زمان وكل حال فكان التنبيه على اشتراط الدائم اهم وآكد (فبايعهن) جواب لاذا فهو العامل فيها فان الفاء لاتكون مانعة وهو امر من المبايعة اى فبايعهن على ماذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته فى المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام اى بايعهن اذا بايعتك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء فان المبايعة من جهة الرسول هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته كما سبق وتقييد مبايعتهن بماذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها (واستغفر لهن الله) زيادة على ما فى ضمن المبايعة من ضمان الثواب والاستغفار طلب المغفرة للذنوب والستر للعيوب (ان الله غفور رحيم) اى مبالغ فى المغفرة والرحمة فيغفرلهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه بزركى فرمود مردمان ميكو يند رحمت موقوفست بر ايمان يعنى تابنده ايمان نيارد مستحق رحمت نشود ومن ميكويم كه ايمان موقوفست برحمت يعنى تا رحمت خود توفيق نبخشد كسى بدولت ايمان نرسد (مصراع) توفيق عزيزست بهر كس ندهند * يقول الفقير الامر بالاستغفار لهن اشارة الى قبول شفاعة حبيبه عليه السلام فى حقهن فهو من رحمته الواسعة وقد عمم هذا الامر فى سورة الفتح فاستفاد جميع عباده وامائه الى يوم القيامة من بحر هذا الفضل مايغنيهم ويرويهم وهو الفياض قال الامام الطيبى لعل المبالغة فى الغفور باعتبار الكيفية وفى الغفار باعتبار الكمية كما قال بعض الصالحين انه غافر لانه يزيل معصيتك من ديوانك وغفور لانه ينسى الملائكة افعالك السوء وغفار لانه تعالى ينسيك ايضا ذنبك كيلا تستحيى وحظ العارف منه ان يستر من اخيه مايحب ان يستر منه ولا يفشى منه الا الاحسن ما كان فيه ويتجاوز عما يندر عنه ويكافىء المسىء اليه بالصفح عنه والانعام عليه نسأل الله سبحانه ان يجعلنا متخلقين باخلاقه الكريمة ومتصفين بصفاته العظيمة انه هو الغفور الرحيم واختلف فى كيفية مبايعته عليه السلام لهن يوم الفتح فروى انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا وشرع فى بيعة النساء ودعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن فجاءت هند بنت عتبة امرأة ابى سفيان متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله ان يعرفها لما صنعته بحمزة رضى الله عنه يوم احد من المثلة فلما قال عليه السلام ابايعكن على ان لاتشركن بالله شيأ رفعت هند رأسها فقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا امرا مارأيناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فلما قال عليه السلام ولايسرقن قالت ان اباسفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات اى شيأ يسيرا فما ادرى ايحل لى فقال ابوسفيان ما اصبت فهو لك حلال فضحك عليه السلام وقال انت هند قالت نعم فاعف عما سلف يانبى الله عفا الله عنك فعفا عنها فقال ولايزنين فقالت وهل تزنى الحرة فقال عمر رضى الله عنه اوكان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنت امرأة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابى سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله فقال ولايأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولايعصينك فى معروف فقالت والله ماجلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شىء (وروى) انه عليه السلام بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطرى والقطر بالكسر ضرب من البرود يأخذ بطرف منه ويأخذن بالطرف الآخر توقيا عن مساس ايدى الاجنبيات (وروى) انه جلس على الصفا ومعه عمر رضى الله عنه اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن

(وروى) ان عمر رضى الله عنه كان يبايع النساء بامره عليه السلام ويبلغهن عنه وهو اسفل منه عند الصفا (وروى) انه عليه السلام كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وهى اميمة اخت خديجة رضى الله عنها خالة فاطمة رضى الله عنها والاظهر الاشهر ماقالت عائشة رضى الله عنها والله ماأخذ رسول الله على النساء قط الابما امر الله ومامست كف رسول الله كف امرأة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتك على كلها وكانت المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله يمتحنهن بقول الله يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات الخ فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يقول الفقير انما بايع عليه السلام الرجال مع مس الايدى دون النساء لان مقام الشارع يقتضى الاحتياط وتعليم الامة والا فاذا جاز مصافحة عمر رضى الله عنه لهن كما فى بعض الروايات جاز مصافحته عليه السلام لهن لانه اعلى حالا من عمر من كل وجه وبالجملة كانت البيعة مع النساء والرجال امرا مشروعا بامر الله وسنته بفعل رسول الله ومن ذلك كانت عادة مستحسنة بين الفقراء الصوفية حين ارادة التوبة تثبيتا للايمان وتجديدا لنور الايقان على ما اشبعنا الكلام عليه فى المبايعة فى سورة الفتح وذكرنا كل طرف منها فيها فارجع وفى التأويلات النجمية قوله تعالى يا أيها النبى اذا جاءك الخ يخاطب نبى الروح ويشير الى النفوس المؤمنة الداخلة تحت شريعة نبى الروح يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيأ من حب الدنيا وشهواتها ولذاتها وزينتها وزخارفها ولا يسرقن من اخلاق الهوى المتبع وصفاته الرديئة ولا يزنين اى مع الهوى بالاتفاق معه والاتباع له ولا يقتلن اولادهن اى لا يمنعن ولا يردن اولاد الخواطر الروحانية والالهامات الربانية ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعنى لا يدعين بما لم يحصل لهن من المواهب العلوية من المشاهدات والمعاينات والتجريد والتفريد ولا من العطايا السفلية من الزهد والورع والتوكل والتسليم لانهن ما بلغن بعد اليها ولا يعصينك فى معروف اى فى كل ما تأمرهن من الاخلاق والاوصاف فبايعهن اى فاقبل مبايعتهن بين يديك بالصدق والاخلاص واستغفر لهن الله مما وقع منهن قبل دخولهن فى ظل انوارك من المخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية ان الله غفور يستر ها بالموافقات الشرعية رحيم بهن برحمهن بالمخالفات الطبيعية (يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما) دوستى مكنيد باكروهى كه فالتولى هنا بمعنى الموالاة والمودة (غضب الله عليهم) صفة لقوما وكذا قد يئسوا وهم جنس الكفار لان كلهم مغضوب عليهم لا رحمة لهم من الرحمة الاخروية وقيل اليهود لما روى انها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود لصبوا من ثمارهم وهو قول الاكثرين وقد قال تعالى فى حق اليهود وغضب الله عليهم وجعل منهم القردة والخنازير والقوم الرجال وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لان قوم كل نبى رجال ونساء (قد يئسوا من الآخرة) اليأس انقطاع الطمع يعنى نوميد شدند از آخرت لكفرهم بها وعدم ايقانهم على ان يراد بقوما عامة الكفرة ومن لابتداء الغاية او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات على ان يراد به اليهود والتقدير من ثواب الآخرة يعنى انهم اهل الكتاب يؤمنون بالقيامة لكنهم لما اصروا على الكفر حسدا وعنادا يئسوا من ثوابها قال عليه السلام يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انى رسول الله حقا وانى جئتكم بحق فاسلموا (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) من بيان للكفار اى كائنين منهم اى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها قال مقاتل ان الكافر اذا وضع فى قبره اتاه ملك شديد الانتهار ثم يسأله من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول لا أدرى فيقول الملك لا دريت ولا تليت انظر الى منزلتك من النار فيدعو بالويل والثبور ويقول هذا لك فيفتح باب الجنة فيقول هذا لمن آمن بالله فلو كنت آمنت بربك نلت الجنة فيكون حسرة عليه وينقطع رجاؤه ويعلم انه لا حظ له فيها ويأس من خير الجنة وقيل من متعلقة بيئس فالمعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار فى موضع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم وهو الكفر والقبر مقر الميت والمقبرة موضع القبور وفى الآية اشارة الى الابدان المريضة المعتلة النجسة الخبيثة المظلمة فان الكفار ايسوأ من خروج ضيق قبورا خلاقهم السيئة الى سعة فضاء صفاتهم الحسنة وكذا سائرهم من اهل الحجب الكثيفة ومن اصحاب القبور من حاله على عكس هذا كما اشار النبى عليه السلام بقوله كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك

من اصحاب القبور وهم من ماتوا بالاختيار قبل الموت بالاضطرار وذلك بالفناء التام فكانت اجسادهم لارواحهم كالقبور للموتى نسأل الله الختم بالسعادة بحرمة من له كمال السيادة والدفن فى احب البقاع اليه والقدوم بكمال البشرى عليه والقيام بمزيد الفخر لديه * خدايا بحق بنى فاطمه * كه بر قول ايمان كنم خاتمه
خداوندكار انظر كن بجود * كه جرم آيد از بنده كان در وجود * جو مارا بدنيا توكردى عزيز *
بعقبى همين چشم داريم نيز

تمت سورة الممتحنة فى العشر الاخير من شهر رمضان المنتظم فى سلك شهور سنة خمس وعشرة ومائة والف

* (سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة بلا خلاف) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله) نزهه عن كل ما لا يليق بجنابه العلى العظيم (ما فى السموات) من العلويات الفاعلة (وما فى الارض) من السفليات القابلة آفاقا وانفسا اى سبحه جميع الاشياء من غير فرق بين موجود وموجود كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده (وهو العزيز) الغالب الذى لا يكون الا ما يريد (الحكيم) الذى لا يفعل الا بالحكمة فلا عزيز ولا حكيم على الاطلاق غيره فلهذا يجب تسبيحه قال فى كشف الاسرار من اراد ان يصفوله تسبيحه فليصف عن آثار نفسه قلبه ومن اراد ان يصفوله فى الجنة عيشه فليصف عن اوضار الهوى دينه (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا رسميا (لم تقولون ما لا تفعلون) روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت تعييرا لهم بترك الوفاء ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما فى عم وفيم ونظائرهما معناها لاى شئ تقولون تفعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ فى الحقيقة عدم فعلهم وانما وجهه الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون افهم منه ان المنكر هو ترك الموعود فليس المراد من ما حقيقة الاستفهام لان الاستفهام من الله محال لانه عالم بجميع الاشياء بل المراد الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان من نفسه ما لا يفعله من الخير لانه ان اخبر انه فعل فى الماضى والحال ولم يفعله كان كاذبا وان وعد ان يفعله فى المستقبل ولا يفعله كان خلفا وكلاهما مذموم كما قال فى الكشاف هذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وهذا بخلاف ما اذا وعد فلم يف بميعاده لعذر من الاعذار فانه لا اثم عليه وفى عرائس البقلى حذر الله المريدين ان يظهروا بدعوى المقامات التى لم يبلغوا اليها لئلا يقعوا فى مقت الله وينقطعوا عن طريق الحق بالدعوى بالباطل وايضا زجر الاكابر فى ترك بعض الحقوق ومن لم يوف بالعهود ولم يأت بالحقوق لم يصل الى الحق والحقيقة وايضا ليس للعبد فعل ولا تدبير لانه اسير فى قبضة العزة يجرى عليه احكام القدرة وتصاريف المشيئة فمن قال فعلت او أتيت او شهدت فقد نسى مولاه وادعى ما ليس له ومن شهد من نفسه طاعة كان الى العصيان اقرب لان النسيان من العمى وفى التأويلات النجمية يا ايها المؤمنون المقلدون لم تذمون الدنيا بلسان الظاهر وتمدحونها بلسان الباطن شهادة ارتكابكم انواع الشهوات الحيوانية واصناف اللذات الجسمانية او تمدحون الجهاد بلسانكم وتذمونه بقلوبكم وذلك يدل على اعراضكم عن الحق واقبالكم على النفس والدنيا وهذا كبر مقتا عند الله تعالى كما قال (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) كبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم والمقت البغض الشديد لمن يراه متعاطيا القبيح يقال مقته فهو مقيت وممقوت وكان يسمى تزوج امرأة الأب نكاح المقت وعند الله ظرف للفعل بمعنى فى علمه وحكمته والكلام بيان لغاية قبح ما فعلوه اى عظم بغضا فى حكمته تعالى هذا القول المجرد فهو اشد ممقوتية ومبغوضية فمن مقت الله فله النار ومن احبه الله فله الجنة (قال الكاشفى) ونزد بعضى علما آيت عامست يعنى هركه سخنى كويد ونكند درين عتاب داخلست ويا آن علما نيز كه خلق را بعمل خير فرمايند وخود ترك نمايند اين سياست خواهد بود

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

واوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وحضرت پيغمبر عليه السلام درشب معراج ديد كه لبهاء چنين كسان بمقراض آتشين مى بريدند *

ازمن بكوى عالم تفسير كوى را * كردر عمل نكوشى نادان مفسرى * باردرخت علم ندانم بجز عمل *
باعلم اكرعمل نكنى شاخ بى برى * قيل لبعض السلف حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال لهم انأمرونني
ان اقول مالاافعل فاستجعل مقت الله قال القرطبي رحمه الله ثلاث آيات منعتني ان اقص على الناس اتأمرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم ومااريد ان اخالفكم الى ماانهاكم عنه ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون
وقد ورد الوعيد فى حق من يترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ايضا اى كما ورد فى حق من يترك العمل
فالخوف اذا كان على كل منهما فى درجة متناهية فكيف على من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف
واكثر الناس فى هذا الزمان هكذا والعياذ بالله تعالى قال فى اللباب ان الآية توجب على كل من الزم نفسه
عملا فيه طاعة الله ان يفى به فان من التزم شيئا لزم شرعا اذالملتزم اماندر تقرب مبتدأ كقوله لله على صلاة
اوصوم اوصدقة ونحوه من القرب فيلزمه الوفاء اجماعا اونذر مباح وهو ماعلق بشرط رغبة كقوله ان قدم
غائبي فعلى صدقة او بشرط رهبة كقوله ان كفانى الله شر كذا فعلى صدقة ففيه خلاف فقال مالك وابو حنيفة
يلزمه الوفاء به وقال الشافعي فى قول لايلزم وعموم الآية حجة لنا لانها بمطلقها تتناول ذم من قال مالايفعله
على اى وجه كان من مطلق اومقيد بشرط (ان الله يحب الذين يقاتلون) اعدا الله (فى سبيله) فى طريق
مرضاته واعلاء دينه اى يرضى عنهم ويثنى عليهم (صفا) صف زده در برابر خصم وهو بيان لما هو مرضى
عنده تعالى بعد بيان ماهو ممقوت عنده وهذا صريح فى ان ماقالوه عبارة عن الوعد بالقتال وصفا مصدر
وقع موقع الفاعل اوالمفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اى صافين انفسهم اومصوفين والصف
ان يجعل الشئ على خط مستو كالناس والاشجار (كانهم بنيان مرصوص) حال من المستكن فى الحال الاولى
والبنيان الحائط وفى القاموس البناء ضد الهدم بناه بنيا و بناء و بنيانا و بنية و بناية والبناء المبنى والبنيان
واحد لاجمع دل عليه تذكير مرصوص وقال بعضهم بنيان جمع بنيانة على حد نخل ونخلة وهذا النحو من الجمع
يصح تأنيثه وتذكيره والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه كما قال فى تاج المصادر الرص استوار
برآوردن بنا قال ابن عباس رضى الله عنهما يوضع الحجر على الحجر ثم يرص باحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه
فيسميه اهل مكة المرصوص والمعنى حال كونهم مشبهين فى تراصهم من غير فرجة وخلل بنيان رص بعضه
الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقال الراغب بنيان مرصوص اى محكم كانما بنى بالرصاص يعنى كويا
ايشان در استحكام بنا اندر يخته ازا رز ير كايستند ازثبات قدم ايشان درمعركهٔ حرب و بيكديكر باز
چسبيدن وهو قول الفراء وتراصوا فى الصلاة اى تضايقوا فيها كما قال عليه السلام تراصوا بينكم
فى الصلاة لايتخللكم الشياطين فالرحمة فى مثل هذا المقام رحمة فلا بد من سد الخلل اوالمحاذاة بالمناكب
كالبنيان المرصوص ولاينافيه قول سفيان ينبغى ان يكون بين الرجلين فى الصف قدر ثلثى ذراع فذلك فى غيره
كما فى المقاصد الحسنة وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لايصطفون على هذه
الصفة كما فى الكشاف يقول الفقير الدليل على فضل الراكب على الراجل ان له سهمين من الغنيمة وانما حث
عليه السلام على التراص لان المسلمين يومئذ كانوا راجلين غالبا ولم يجدوا راحلة ونحوها الا قليلا قال سعيد
ابن جبير رضى الله عنه هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم ولذلك قالوا لايجوز
الخروج من الصف الا لحاجة تعرض للانسان اوفى رسالة يرسله الامام اومنفعة تظهر فى المقام المتقل اليه
كفرصة تنتهز ولاخلاف فيها وفى الخروج عن الصف للمبارزة خلاف لابأس بذلك ارهابا للعدو وطلبا
للشهادة وتحريضا على القتال وقيل لايبرز احد لذلك لان فيه رياء اوخروجا الى مانهى الله عنه وانما تكون
المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت فى حروب النبى عليه السلام يوم بدر وفى غزوة خيبر قال فى فتح الرحمن
اما حكم الجهاد فهو فرض كفاية على المستطيع بالاتفاق اذا فعله البعض سقط عن الباقين وعند النفير
العام وهو هجوم العدو يصير فرض عين بلاخلاف ففى الآية زجر عن التباطئ وحث على التسارع ودلالة
على فضيلة الجهاد وروى فى الخبر انه لما كان يوم مؤتة بالضم موضع بمشارف الشام قتل فيه جعفر
ابن ابى طالب وفيه كانت تعمل السيوف كما فى القاموس وكان عبد الله بن رواحة رضى الله عنه احد الامراء
الذين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداهم ياهل المجلس هذا الذى وعدكم ربكم فقاتل حتى قتل

وكان عبدالله بن رواحة الانصارى شاعر رسول الله وكان يقص على اصحاب رسول الله فى مسجده على حياته وجلس اليه رسول الله يوما وقال امرت ان اجلس اليكم وامر ابن رواحة ان يمضى فى كلامه كما فى كشف الاسرار ثم ان الجهاد امامع الاعداء الظاهرة كالكفار والمنافقين وامامع الاعداء الباطنة كالنفس والشيطان وقال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والمهاجر من هاجر الخطايا والذنوب واعظم المجاهدة فى الطاعة الصلاة لان فيها سر الفناء وتشق على النفس (واذ قال موسى لقومه) كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه السلام بطريق التلوين اى اذكر لهؤلاء المؤمنين المتقاعدين عن القتال وقت قول موسى لبنى اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه عليه السلام كل الأذية كذا فى الارشاد يقول الفقير لاشك ان قتل الاعداء من باب التسبيح لانهم الذين قالوا اتخذ الله ولدا وعبدوا معه الاصنام فكان فى مقاتلتهم توسيع ساحة التنزيه ولذا بدأ الله تعالى فى عنوان السورة بالتسبيح واشار بلفظ الحكيم الى ان القتال من باب الحكمة وانه من باب دفع القضاء بالقضاء على مايعرفه اهل الله وبلفظ العزيز الى غلبة المؤمنين المقاتلين ثم انهم كرهوا ذلك كأنهم لم يثقوا بوعد الله بالغلبة ووقعوا من حيث لم يحتسبوا فى ورطة نسبة العجز الى الله سبحانه ولذا تقاعدوا عن القتال وبهذا التقاعد حصلت الأذية له عليه السلام لان مخالفة اولى الامر اذية لهم فأشار الحق تعالى بقصة موسى الى ان الرسول حق وان الخروج عن طاعته فسق وان الفاسق مغضوب الله تعالى لان الهداية من باب الرحمة وعدمها من باب السخط والعياذ بالله تعالى من سخطه وغضبه واليم عذابه وعقابه (ياقوم) اى كروه من أصله ياقومى ولذا تكسر الميم ولو لاتقدير الياء قيل ياقوم بالضم لانه حينئذ يكون مفردا معرفة فيبنى على الضم وهو نداء بارفق والشفقة كما هو شأن الانبياء ومن يليهم (لم تؤذونني) جرامى رنجانيد مرا اى بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به والاذى مايصل الى الانسان من ضرر اما فى نفسه اوفى جسمه اوفيما يتعلق به دنيويا كان اواخرويا قال فى القاموس آذى فعل الأذى وصاحبه اذى واذاة واذية ولاتقل ايذاء انتهى فلفظ الايذاء فى افواه العوام من الاغلاط وربما تراه فى عبارات بعض المصنفين (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم) جملة حالية مؤكدة لانكار الأذية ونفى سببها وقد لتحقيق العلم لا للتوقع ولا للتقريب ولا للتقليل فانهم قالوا ان قد اذا دخلت على الحال تكون للتحقيق واذا دخلت على الاستقبال تكون للتقليل وصيغة المضارع للدلالة على استمرار العلم اى والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ماظهر بيدى من المعجزات انى مرسل من الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك ان تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتى فان تعظيمى تعظيم لله واطاعتى اطاعة له وفيه تسلية للنبى عليه السلام بأن الأذية قد كانت من الامم السالفة ايضا لانبيائهم والبلاء اذا عم خف وفى الحديث (رحمة الله على اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر) وذلك انه عليه السلام لما قسم غنائم الطائف قال بعض المنافقين هذه القسمة ماعدل فيها وما أريد بها وجه الله فتغير وجهه الشريف وقال ذلك (فلما زاغوا) الزيغ الميل عن الاستقامة والتزايغ التمايل اى اصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى واستمروا عليه (ازاغ الله قلوبهم) اى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى والضلال وقال الراغب فى المفردات اى لما فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك وقال جعفر لما تركوا اوامر الخدمة نزع الله من قلوبهم نور الايمان وجعل للشيطان اليهم طريقا فأزاغهم عن طريق الحق وادخلهم فى مسالك الباطل وقال الواسطى لما زاغوا عن القربة فى العلم ازاغ الله قلوبهم فى الخلقة وقال بعضهم لما زاغوا عن العبادة ازاغ الله قلوبهم عن الارادة يقول الفقير لما زاغوا عن رسالة موسى ونبوته أزاغ الله قلوبهم عن ولايته وجعيته فهم رأوا موسى على انه موسى لا على انه رسول نبى فحرموا من رؤية الحق تعالى (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله من الازاغة وموذن بعليته اى لا يهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق

المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لاهداية موصلة الى مايوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد جنس الفاسقين وهم داخلون فى حكمهم دخولا اوليا ووصفهم بالفسق نظرا الى قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلاتأس على القوم الفاسقين قال الامام هذه الآية تدل على عظم اذى الرسول حتى انه يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى انتهى * ويتبعه اذى العالمين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لان العلماء ورثة الانبياء فأذاهم فى حكم اذاهم فكما ان الانبياء والاولياء داعون الى الله تعالى على بصيرة فكذلك رسل القلوب فانهم يدعون القوى البشرية والطبيعية من الصفات البشرية السفلية الى الاخلاق الروحانية العلوية ومن ظلمة الخلقية الى نور الحقيقة فمن مال عن الحق وقبول الدعوة لعدم الاستعداد الذاتى ضل بالتوجه الى الدنيا والاقبال عليها فأنى يجد الهداية الى حضرة الحق سبحانه (واذقال عيسى ابن مريم) امامعطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها وابن هنا وفى عزير ابن الله باثبات الالف خطا لندرة وقوعه بين رب وعبد وذكر وانثى (يابنى اسرآئيل) اى فرزندان يعقوب ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة) فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعى الى تصديقهم اياه اى ارسلت اليكم لتبليغ احكامه التى لابد منها فى صلاح اموركم الدينية والدنيوية درحاتى كه باوردا رنده ام من آنچيز راكه پيش منست از كتاب تورات يعنى قبل ازمن نازل شده ومن تصديق كرده ام كه آن ازنزد خداست وقال ابو الليث يعنى اقرأ عليكم الانجيل موافقا للتوراة فى التوحيد وبعض الشرآئع قال القاضى فى تفسيره ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لانسب له فيهم اذالنسب الى الآباء والاقربم من بنى اسرآئيل لان اسرآئيل لقب يعقوب ومريم من نسله ثم ان هذا دل على ان تصديق المتقدم من الانبياء والكتب من شعائر اهل الصدق ففيه مدح لامة محمد عليه السلام حيث صدقوا الكل (ومبشرا) البشير مژده دادن (برسول يأتى من بعدى) معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام من حيث ان البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما مافى الرسول من معنى الارسال لاالجار فانه صلة للرسول والصلات يعزل عن تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اى ارسلت اليكم حال كونى مصدقا لما تقدمنى من التوراة ومبشرا بمن يأتى من بعدى من رسول وكان بين مولده وبين الهجرة ستمائة وثلاثون سنة وقال بعضهم بشرهم به ليؤمنوا به عند مجيئه اوليكون معجزة لعيسى عند ظهوره والتبشير به تبشير بالقرآن ايضا وتصديق له كالتوراة (اسمه احمد) اى محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر فذكر اول الكتب المشهورة الذى يحكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم النبيين وعن اصحاب رسول الله انهم قالوا اخبرنا يارسول الله عن نفسك قال انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورأت امى رؤيا حين حملتنى انه خرج منها نور اضاء لها قصور بصرى فى ارض الشأم وبصرى كجبلى بلد بالشام وكذا بشر كل نبى قومه بنبينا محمد عليه السلام والله تعالى افرد عيسى عليه السلام بالذكر فى هذا الموضع لانه آخر نبى قبل نبينا فبين ان البشارة به عمت جميع الانبياء واحدا بعد واحد حتى انتهت الى عيسى كما فى كشف الاسرار وقال بعضهم كان بين رفع المسيح ومولد النبى عليه السلام خمسمائة وخمس واربعون سنة تقريبا وعاش المسيح الى ان رفع ثلاثا وثلاثين سنة وبين رفعه والهجرة الشريفة خمسمائة وثمان وتسعون سنة ونزل عليه جبريل عشر مرات وامته النصارى على اختلافهم ونزل على نبينا عليه السلام اربعة وعشرين مرة وامته امة مرحومة جامعة لجميع الملكات الفاضلة قيل قال الحواريون لعيسى ياروح الله هل بعدنا من امة قال نعم امة محمد حكماء علماء ابرار اتقياء كأنهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل واحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى كتاب تلقيح الاذهان سمى من حيث تكرر حمده محمد ومن حيث كونه حامل لواء الحمد احمد انتهى قال الراغب احمد اشارة للنبى عليه السلام باسمه تنبيها على انه كما وجد اسمه احمد يوجد جسمه وهو محمود فى اخلاقه وافعاله واقواله وخص لفظ احمد فيما بشر به عيسى تنبيها انه احمد منه ومن الذين قبله انتهى ويوافقه مافى كشف الاسرار من ان الالف فيه للمبالغة فى الحمد وله وجهان احدهما انه مبالغة من الفاعل اى الانبياء كلهم حامدون لله تعالى وهو اكثر

حمدا من غيره والثانى انه مبالغة من المفعول اى الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مناقب واجمع للفضائل والمحاسن التى يحمد بها انتهى * زصد هزار محمد كه درجهان آيد * يكى بمنزلت وفضل مصطفى نرسد * قال ابن الشيخ فى حواشيه يحتمل ان يكون احمد منقولا من الفعل المضارع وان يكون منقولا من صفة وهى افعل التفضيل وهو الظاهر وكذا محمد فانه منقول من الصفة ايضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فانه محمود فى الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة ومحمود فى الآخرة بالشفاعة وقال الامام السهيلى فى كتاب التعريف والاعلام احمد اسم علم منقول من صفة لامن فعل وتلك الصفة افعل التى يراد بها التفضيل فمعنى احمد احمد الحامدين لربه عزوجل وكذلك قال هو فى المعنى لانه يفتح عليه فى المقام المحمود بمحامد لم تفتح على احد قبله فيحمد ربه بها وكذلك يعقد لواء الحمد واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فمحمد هو الذى حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من اكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله تعالى سماه به قبل ان يسمى به نفسه فهذا علم من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود فى الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان حمد ربه فنبأه وشرفه ولذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذى هو محمد فذكره عيسى عليه السلام فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك امة احمد فقال اللهم اجعلنى من امة احمد فبا حمد ذكره قبل ان يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التى يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف كان ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر فى الذكر وفى الوجود وفى الدنيا وفى الآخرة تلك الحكمة الالهية فى تخصيصه بهذين الاسمين وانظر كيف انزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الانبياء وخص بلواء الحمد وخص بالمقام المحمود وانظر كيف شرع له سنة وقرآنا ان يقول عند اختتام الافعال وانقضاء الامور الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال ايضا وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين تنبيها لنا على ان الحمد مشروع عند انقضاء الامور وسن عليه السلام الحمد بعد الاكل والشرب وقال عند انقضاء السفر آئبون تائبون لربنا حامدون ثم انظر لكونه عليه السلام خاتم الانبياء ومؤذنا بانفصال الرسالة وانقطاع الوحى ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع ان الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الامور مشروع عند هاتجد معانى اسمه جميعا وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلا لمعناه مطابقا لصفته وفى ذكره برهان عظيم وعلم واضح على نبوته وتخصيص الله له بكرامته وانه قدم له هذه المقامات قبل وجوده تكرمة له وتصديقا لامره عليه السلام انتهى كلام السهيلى يقول الفقير الذى يلوح بالبال ان تقدم الاسم احمد على الاسم محمد من حيث انه عليه السلام كان اذ ذاك فى عالم الارواح متميزا عن الاحد بميم الامكان فدل قلة حروف اسمه على تجرده التام الذى يقتضيه موطن عالم الارواح ثم انه لما تشرف بالظهور فى عالم العين الخارجى وخلع الله عليه من الحكمة خلعة اخرى زائدة على الخلع التى قبلها ضوعف حروف اسمه الشريف فقيل محمد على ما يقتضيه موطن العين ونشأة الوجود الخارجى ولا نهاية للاسرار والحمد لله تعالى قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر فى كتاب مواقع النجوم ما انتظم من الوجود شئ بشئ ولا انضاف منه شئ الى شئ الا لمناسبة بينهما ظاهرة او باطنة فالمناسبة موجودة فى كل الاشياء حتى بين الاسم والمسمى ولقد اشار ابو يزيد السهيلى وان كان اجنبيا عن اهل هذه الطريقة الى هذا المقام فى كتاب المعارف والاعلام له فى اسم النبى عليه السلام محمد واحمد وتكلم على المناسبة التى بين افعال النبى عليه السلام واخلاقه وبين معانى اسميه محمد واحمد انتهى كلام الشيخ اشار رضى الله عنه الى ما قدمناه من كلام السهيلى وقال بعض العارفين سمى عليه السلام باحمد لكون حمده اتم واشمل من حمد سائر الانبياء والرسل اذ محامدهم لله انما هى بمقتضى توحيد الصفات والافعال وحمده عليه السلام انما هو بحسب توحيد الذات المستوعب لتوحيد الصفات والافعال انتهى * قال فى فتح الرحمن لم يسم باحمد احد غيره ولا دعى به مدعو قبله وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده اى من الكهان

والاحبار ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن البراء البكرى ومحمد بن سفيان ابن مجاشع ومحمد بن حمد الجعفى ومحمد بن خزاعة السلمى فهم ستة لاسابع لهم ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعى النبوة اويد عيها احد له اويظهر عليه سبب يشكك احدا فى امره حتى تحققت السمتان له عليه السلام ولم ينازع فيهما انتهى * واختلف فى عدد اسماء النبى عليه السلام فقيل له عليه السلام الف اسم كما ان لله تعالى الف اسم وذلك فانه عليه السلام مظهر تام له تعالى فكما ان اسماءه تعالى اسماء له عليه السلام من جهة الجمع فله عليه السلام اسماء اخر من جهة الفرق على ما تقتضيه الحكمة فى هذا الموطن فمن اسمائه محمد اى كثير الحمد لان اهل السماء والارض حمدوه فى الدنيا والآخرة ومنها احمد اى اعظم حمدا من غيره لانه حمد الله تعالى بما حامد لم يحمد بها غيره ومنها المقفى بتشديد الفاء وكسره لانه اتى عقيب الانبياء وفى قفاهم وفى التكملة هو الذى قفى على اثر الانبياء اى اتبع آثارهم ومنها نبى التوبة لانه كثير الاستغفار والرجوع الى الله اولان التوبة فى امته صارت اسهل الا ترى ان توبة عبدة العجل كانت بقتل النفس اولان توبة امته كانت ابلغ من غيرهم حتى يكون التائب منهم كمن لاذنب له لايؤاخذ به فى الدنيا ولا فى الآخرة وغيرهم يؤاخذ فى الدنيا لا فى الآخرة ومنها نبى الرحمة لانه كان سبب الرحمة وهو الوجود لقوله تعالى لولاك لما خلقت الافلاك وفى كتاب البرهان للكرمانى لولاك يا محمد لما خلقت الكائنات خاطب الله النبى عليه السلام بهذا القول انتهى قيل الاولى ان يحترز عن القول بانه لولا نبينا عليه السلام لما خلق الله آدم وان كان هذا شيأ يذكره الوعاظ على رؤوس المنابر يرون به تعظيم محمد عليه السلام لان النبى عليه السلام وان كان عظيم المرتبة عند الله لكن لكل نبى من الانبياء مرتبة ومنزلة وخاصية ليست لغيره فيكون كل نبى اصلا لنفسه كما فى التاتارخانية يقول الفقير كان عليه السلام نبى الرحمة لانه هو الامان الاعظم ما عاش ومادامت سنته باقية على وجه الزمان قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال امير المؤمنين على رضى الله عنه كان فى الارض امانان فرفع احدهما وبقى الآخر فاما الذى رفع فهو رسول الله عليه السلام واما الذى بقى فالاستغفار وقرأ بعد هذه الآية ومنها نبى الملحمة اى الحرب لانه بعث بالقتال فان قلت المبعوث بالقتال كيف يكون رحمة قلت كان امم الانبياء يهلكون فى الدنيا اذا لم يؤمنوا بهم بعد المعجزات ونبينا عليه السلام بعث بالسيف ليرتدعوا به عن الكفر ولا يستأصلوا وفى كونه عليه السلام نبى الحرب رحمة ومنها الماحى وهو الذى محا الله به الكفر او سيئات من اتبعه ومنها الحاشر وهو الذى يحشر الناس على قدمه اى على اثره ويجوز ان يراد بقدمه عهده وزمانه فيكون المعنى ان الناس يحشرون فى عهده اى فى دعوته من غير ان تنسخ ولا تبدل ومنها العاقب وهو الذى ليس بعده نبى لا مشرعا ولا متابعا اى قد عقب الانبياء فانقطعت النبوة قال عليه السلام يا على انت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى اى بالنبوة العرفية بخلاف النبوة التحقيقية التى هى الانباء عن الله فانها باقية الى يوم القيامة الا انه لا يجوز ان يخلق على اهلها النبى لا يهامه النبوة العرفية الحاصلة بمحى الوحى بواسطة جبرائيل عليه السلام ومنها الفاتح فان الله فتح به الاسلام ومنها الكاف قيل معناه الذى ارسل الى الناس كافة وليس هذا بصحيح لان كافة لا يتصرف منه فعل فيكون منه اسم فاعل وانما معناه الذى كف الناس عن المعاصى كذا فى التكملة يقول الفقير هذا اذا كان الكاف مشددا واما اذا كان مخففا فيجوز ان يشار به الى المعنى الاول كما قال تعالى يس اى يا سيد البشر ومنها صاحب الساعة لانه بعث مع الساعة نذيرا للناس بين يدى عذاب شديد ومنها الرؤف والرحيم والشاهد والمبشر والسراج والمنير وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وقثم اى الجامع للخير ومنها ان اشارة الى اسم النور والناصر ومنها المتوكل والمختار والمحمود والمصطفى واذا اشتقت اسماؤه من صفاته كثرت جدا ومنها الخاتم بفتح التاء اى احسن الانبياء خلقا وخلقا فكانه جمال الانبياء كالخاتم الذى يتجمل به اى لما اتقنت به النبوة وكملت كان كالخاتم الذى يختم به الكتاب عند الفراغ منه واما الخاتم بكسر التاء فمعناه انه آخر الانبياء فهو اسم فاعل من ختم ومنها راكب الجمل سماه به شعيا النبى عليه السلام فان قلت لم خص بركوب الجمل وقد كان يركب غيره كالفرس والحمار قلت كان عليه السلام من العرب لا من غيرهم كما قال احب العرب لثلاث لانى عربى والقرآن عربى

ولسان اهل الجنة عربي والجمل مركب العرب مختص بهم لاينسب الى غيرهم من الامم ولايضاف لسواهم ومنها صاحب الهراوة سماه به سطيح الكاهن والهراوة بالكسر العصا فان قلت لم خص بالعصا وقد كان غيره من الانبياء يمسكها قلت العصا كثيرا ما تستعمل في ضرب الابل وتخص بذلك كما قال به كثير في صفة البعير

ينوخ ثم يضرب بالهراوى * فلا عرف لديه ولا نكير

فركوبه الجمل وكونه صاحب هراوة كناية عن كونه عربيا وقيل هي اشارة الى قوله في الحديث في صفة الحوض اذود الناس عنه بعصاي ومنها روح الحق سماه به عيسى عليه السلام في الانجيل وسماه ايضا المنحنا بمعنى محمد ياخود آنكه خداى بفرستداو را بعد از مسيح وفي التكملة هو بالسريانية ومنها حيا طي بالعبرانية وبرقليطس بالرومية بمعنى محمد وماذماذ بمعنى طيب طيب وفارقليطا مقصورا بمعنى احمد وروى فارقليط بالباء وقيل معناه الذي يفرق بين الحق والباطل وروى ان معناه بلغة النصارى ابن الحمد فكأنه محمد واحمد (وروى) انه عليه السلام قال اسمي في التوراة احيد لاني احيد امتي عن النار واسمي في الزبور الماحي محا الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد وفي القرآن محمد لاني محمود في اهل السماء والارض فان قلت قال رسول الله عليه السلام لي خمسة اسماء فذكر محمدا واحمد والماحي والحاشر والعاقب وقد بلغت اكثر من ذلك قلت تخصيص الوارد لاينافي ماسواه فقد خص الخمسة اما لعلم السامع بماسواها فكانه قال لي خمسة زائدة على ماتعلم اوافضل فيها كانه قال لي خمسة اسماء فاضلة معظمة اوالشهرتها كانه قال لي خمسة اسماء مشهورة اوالغير ذلك مما يحتمله اللفظ من المعاني وقيل لان الموحى اليه في ذلك الوقت كان هذه الاسماء وقيل كانت هذه الاسماء معروفة عند الامم السالفة ومكتوبة في الكتب المتقدمة وفيه ان اسماءه الموجودة في الكتب المتقدمة تزيد على الخمسة كما في التكملة لابن عسكر (فلما جاءهم) اى الرسول المبشر به الذي اسمه احمد كما يدل عليه الآيات اللاحقة واما ارجاعه الى عيسى كما فعله بعض المفسرين فبعيد جدا ويكون ضمير الجمع راجعا الى بني اسرائيل لاينافي ماذكرنا لان نبينا عليه السلام مبعوث الى الناس كافة (بالبينات) اى بالمعجزات الظاهرة كالقرآن ونحوه والباء للتعدية ويجوز ان تكون للملابسة (قالوا هذا) مشيرين الى ماجاء به اوالية عليه السلام (سحر مبين) ظاهر سحريته بلامرية وتسميته عليه السلام سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر وفي الآية اشارة الى عيسى القلب واسرائيل الروح وبنيه النفس والهوى وسائر القوى الشريرة فانها متولدة من الروح والقالب منسلخة عن حكم ابيها فدعاها عيسى القلب من الظلمات الطبيعية الى الانوار الروحانية وبشرها باحمد السر لكونه احمد من عيسى القلب لعلو مرتبته عليه فلما جاءها بصور التجليات الصفاتية والاسمائية قالت هذا امر وهمي متخيل لاوجود له ظاهر البطلان وهكذا براهين اهل الحق مع المنكرين (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب) وكيست ستمكار تر ازان كس كه در وغ مى سازد بر الله والفرق بين الكذب والافتراء هو ان الافتراء افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه (وهو) اى والحال ان ذلك المفترى (يدعى) من لسان الرسول (الى الاسلام) الذي به سلامة الدارين اى اى الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر فاللام في الكذب للعهد اى هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي ومن الافتراء على الله الكذب في دعوى النسب والكذب في الرؤيا والكذب في الاخبار عن رسول الله عليه السلام واعلم ان الداعي في الحقيقة هو الله تعالى كما قال تعالى والله يدعو الى دار السلام بامره الرسول عليه السلام كما قال ادع الى سبيل ربك وفي الحديث عن ربيعة الجرشي (قال اتى نبي الله عليه السلام فقيل له لتنم عينك ولتسمع اذنك وليعقل قلبك) قال فنامت عيناى وسمعت اذناى وعقل قلبي قال فقيل لي سيد بنى دارا فصنع مأدبة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ورضي عنه السيد ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة وسخط عليه السيد قال فالله السيد ومحمد الداعي والدار الاسلام والمأدبة الجنة ودخل في دعوة النبي دعوة ورثته لقوله ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني ولابد ان يكون الداعي اميرا اومأمورا وفي المصابيح في كتاب العلم قال عوف بن مالك رضي الله عنه لايقس الامير اومأمور اومختال رواه ابوداود وابن ماجه قوله

اومختال هوالمتكبروالمرادبه هنا الواعظ الذى ليس بأمير ولامأمور مأذون من جهة الامير ومن كانت هذه صفته فهومتكبر فضولى طالب للرياسة وقيل هذا الحديث فى الخطبة خاصة كمافى المفاتيح (والله لايهدى القوم الظالمين) اى لايرشدهم الى مافيه فلاحهم لعدم توجههم اليه (يريدون ليطفؤا نور الله) الاطفاء الاخماد وبالفارسية فروكشتن آتش وچراغ اى يريدون أن يطفؤا دينه اوكتابه اوحجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كمازيدت لمافيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لاابالك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله وقال الراغب فى المفردات الفرق ان فى قوله تعالى يريدون ان يطفؤا نور الله يقصدون اخفاء نورالله وفى قوله تعالى ليطفئوا يقصدون امرا يتوصلون به الى اطفاء نور الله (بافواههم) بطعنهم فيه وبالفارسية بدهنهاء خود يعنى بكفتارنا پسنديده وسخنان بى اد بانه مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس ليطفئه (والله متم نوره) اى مبلغه الى غايته بنشره فى الآفاق واعلائه جملة حالية من فاعل يريدون او يطفؤا (ولوكره الكافرون) اتمامه ارغاما لهم وزيادة فى مرض قلوبهم ولو بمعنى ان وجوابه محذوف اى وان كرهوا ذلك فالله يفعله لامحالة (قال الكاشفى) وكراهت ايشانرا اثرى نيست دراطفاء چراغ صدق وصواب همچون ارادت خفاش كه غير مؤثرست درنابودن آفتاب * شب پره خواهد كه نبود آفتاب * تا بينددبدهٔ اومرزو بوم * دست قدرت هرصباحى شمع مهر * مى فروزد كورئ خفاش شوم (وفى المثنوى) شمع حق راپف كنى تواى عجوز * هم توسوزى هم سرت اى كنده بوز * كى شود دريا زپوزسك نجس * كى شود خرشيداز پف منطمس * هركه برشمع خدا اردپفو * شمع كى ميرد بسوزد بوزاو * چون توخفاشان بسى بينند خواب * كين جهان ماند بتيم ازآفتاب * اى بريده آن لب وحلق ودهان * كه كند تف سوى مه يا آسمان * تف برويش بازكردد بى شكى * تف سوى كردون نيايد مسلكى * تاقيامت تف برو بارد زرب * همچو تبت برروان بولهب * قال ابن الشيخ اتمام نوره لماكان من اجل النعم كان استكراه الكفار اياه اى كافركان من اصناف الكفرة غاية فى كفران النعمة فلذلك اسند كراهة اتمامه الى الكافرين فان لفظ الكافر اليق بهذا المقام واماقوله ولوكره المشركون فانه قدورد فى مقابلة اظهاردين الحق الذى معظم اركانه التوحيد وابطال الشرك وكفارمكة كارهون له من اجل انكارهم للتوحيد واصرارهم على الشرك فالمناسب لهذا المقام التعرض لشركهم لكونه العلة فى كراهتهم الدين الحق قال بعضهم جحدوا ماظهر لهم من صحة نبوة النبى عليه السلام وانكروه بالسنتهم واعرضوا عنه بنفوسهم فقض الله لقبوله انفسا اوجدها على حكم السعادة وقلوبا زينها بانوار المعرفة واسرارا نورها بالتصديق فبذلوا له المهج والاموال كالصديق والفاروق واجلة الصحابة رضى الله عنهم يقول الفقير هكذا احوال ورثة النبى عليه السلام فى كل زمان فان الله تعالى تجلى لهم بنورالازل والقدم فكرهه المنكرون وارادوا ان يطفئوه لكن الله اتم نوره وجعل لاهل تجليه اصحابا واخوانا يذبون عنهم وينفذون امورهم الى ان يأتيهم امر الله تعالى ويقضوا نحبهم وفى الآية اشارة الى ان النفس لابد وان تسعى فى ابطال نور القلب واطفائه لان النفس والهوى من المظاهر القهرية الجلالية المنسوبة الى اليد اليسرى والروح والقلب من المظاهر الجمالية اللطفية المنسوبة الى اليد اليمنى كماجاء فى الحديث الربانى) ان الله مسح يده اليمنى على ظهر آدم الايمن فاستخرج منه ذرارى كالفضة البيضاء وقال هؤلاء للجنة ومسح يده اليسرى على ظهر آدم الأيسر فاستخرج منه كالحممة السوداء وقال هؤلاء للنار فلابد للنفس من السعى فى اطفاء نور القلب وللقلب ايضا من السعى فى اطفاء نار النفس ولوكره الكافرون الساترون القلب بانفس الزارعون بذر النفس فى ارض القلب (هوالذى ارسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) بالقرآن اوبالمعجزة فالهدى بمعنى مابه الاهتداء الى الصراط المستقيم (ودين الحق) والملة الحنيفية التى اختارها لرسوله ولامته وهو من اضافة الموصوف الى صفته مثل عذاب الحريق (ليظهره على الدين كله) ليجعله ظاهرا اى عاليا وغالبا على جميع الاديان المخالفة له (ولوكره المشركون) ذلك الاظهار ولقد انجزالله وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الاوهو مغلوب مقهور بدين الاسلام فليس المراد انه لايبقى دين آخر من الاديان بل العلو والغلبة والاديان خمسة اليهودية والنصرانية والمجوسية والشرك

والاسلام كما فى عين المعانى للسجاوندى وقال السهيلى فى كتاب الامالى فى بيان فائدة كون ابواب النار سبعة وجدنا الاديان كما ذكر فى التفسير سبعة واحد للرحمن وستة للشيطان فالتى للشيطان اليهودية والنصرانية والصابئية وعبادة الاوثان والمجوسية واما لاشرع لهم ولا يقولون بنبوة وهم الدهرية فكأنهم كلهم على دين واحد اعنى الدهرية وكل من لا يصدق برسول فهؤلاء ستة اصناف والصنف السابع هو من اهل التوحيد كالخوارج الذين هم كلاب النار وجميع اهل البدع المضلة والجبارة الظلمة والمصرون على الكبائر من غير توبة ولا استغفار فان فيهم من ينفذ فيه الوعيد ومنهم من يعفو الله عنه فهؤلاء كلهم صنف واحد غير انه لا يحتم عليهم بالخلود فيها فهؤلاء سبعة اصناف ستة مخلدون فى النار وصنف واحد غير مخلد وهم منتزعون يوم القيامة من اهل دين الرحمن ثم يخرجون بالشفاعة فقد وافق عدد الابواب عدد هذه الاصناف وتبينت الحكمة فى ذكرها فى القرآن لما فيها من التخويف والارهاب فنسأل الله العفو والعافية والمعافاة وفى بعض التفاسير الاشراك هو اثبات الشريك لله تعالى فى الالوهية سواء كانت بمعنى وجوب الوجود او استحقاق العبادة لكن اكثر المشركين لم يقولوا بالاول لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فقد يطلق ويراد به مطلق الكفر بناء على ان الكفر لا يخلو عن شرك مايدل عليه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك فان من المعلوم فى الدين انه تعالى لا يغفر كفر غير المشركين المشهورين من اليهود والنصارى فيكون المراد لا يغفر ان يكفر به وقد يطلق ويراد به عبدة الاصنام وغيرها فان أريد الاول فى قوله ولو كره المشركون يكون ايراده ثانيا لوصفهم بوصف قبيح آخر وان أريد الثانى فلعل ايراد الكافرين اولا لما ان اتمام الله نوره يكون بنسخ غير الاسلام والكافرون كلهم يكرهون ذلك وايراد المشركين ثانيا لما ان اظهار دين الحق يكون باعلاء كلمة الله واشاعة التوحيد المنبئ عن بطلان الآلهة الباطلة واشد الكارهين لذلك المشركون والله اعلم بكلامه وفى التأويلات النجمية هو الذى ارسل رسول القلب الى امة العالم الاصغر الذى هو المملكة الانفسية الاجمالية المضاهية للعالم الاكبر وهو المملكة الآفاقية التفصيلية بنور الهداية الازلية ودين الحق الغالب على جميع الأديان وهو الملة الحنيفية السهلة السمحاء ولو كره المشركون الذين اشركوا مع الحق غيره وما عرفوا ان الغير والغيرية من الموهومات التى اوجدتها قوة الوهم والا ليس فى الوجود الا الله وصفاته انتهى (قال الكمال الخجندى) له فى كل موجود علامات وآثار * دوعالم پرزمعشوقست كويك عاشق صادق (وقال المولى الجامى) كرتو بى جامه درفضاى وجود * هم خود انصاف ده بكوحق كو * درهمه اوست پيش چشم شهود * چيست پندارى هستى من وتو * يقول الفقير هذه الكلمات المنبئة عن وحدة الوجود قد اتفق عليها اهل الشهود قاطبة فالطعن لواحد منهم بأنه وجودى طعن لجميعهم وليس الطعن الا من الحجاب الكثيف والجهل العظيم والا فالامر اظهر على البصير (يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم) ياد لالت كنم شمارا (على تجارة) سيأتى بيان معناها (تنجيكم) اى تكون سببا لانجاء الله اياكم وتخليصه وافادت الصفة المقيدة ان من التجارة مايكون على عكسها كما اشار اليها قوله تعالى يرجون تجارة لن تبور فان بوار التجارة وكسادها يكون لصاحبها عذابا اليما لجمع المال وحفظه ومنع حقوقه فانه وبال فى الآخرة فهى تجارة خاسرة وكذا الاعمال التى لم تكن على وجه الشرع والسنة او أريد بها غير الله (من عذاب اليم) اى مؤلم جسمانى وهو ظاهر وروحانى وهو التحسر والتضجر كأنهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل (تؤمنون بالله ورسوله) مراد انست كه ثابت باشيد برايمان كه داريد (وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم) بمالهاء خود كه زاد وسلاح مجاهدان خريد (وانفسكم) وبنفسهاء خود كه متعرض قتل وحرب شويد قدم الاموال لتقدمها فى الجهاد او للترقى من الأدنى الى الأعلى وقال بعضهم قدم ذكر المال لان الانسان ربما يضن بنفسه ولانه اذا كان له مال فانه يؤخذ به النفس لتغزو وهذا خبر فى معنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه وقع فأخبر بوقوعه كما تقول غفر الله لهم ويغفر الله لهم جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت وفس عليه نحو سلمكم الله وعافاكم الله واعاذكم الله وفى الحديث جاهدوا المشركين باموالكم وانفسكم والسنتكم ومعنى الجهاد بالالسنة اسماعهم مايكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ

ونحو ذلك واخر الجهاد باللسنة لانه اضعف الجهاد وادناه ويجوز ان يقال ان اللسان احد واشد تأثيرا من السيف والسنان قال على رضى الله عنه جراحات السنان لها التيام * ولايلتام ماجرح اللسان فيكون من باب الترقى من الادنى الى الاعلى وكان حسان رضى الله عنه يجلس على المنبر فيهجو قريشا باذن رسول الله عليه السلام ثم ان التجارة التصرف فى رأس المال طلبا للربح والتاجر الذى يبيع ويشترى وليس فى كلام العرب تاء بعدها جيم غير هذه اللفظة واما تجناه فاصلها وجاه وتجوب وهى قبيلة من حمير فالتاء للمضارعة قال ابن الشيخ جعل ذلك تجارة تشبيها له فى الاشتمال على معنى المبادلة والمعاوضة طمعا لنيل الفضل والزيادة فان التجارة هى معاوضة المال بالمال لطمع الربح والايمان والجهاد شبها بها من حيث ان فيهما بذل النفس والمال طمعا لنيل رضى الله تعالى والنجاة من عذابه (قال الحافظ) فداى دوست نكردیم عمر ومال دريغ * كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد (ذلكم) اى ماذكر من الايمان والجهاد بقسميه (خير لكم) على الاطلاق اومن اموالكم وانفسكم (ان كنتم تعلمون) اى ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لايعتدبافعالهم اوان كنتم تعلمون انه خير لكم حينئذ لانكم اذاعلمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ماتحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون فعلى العاقل تبديل الفانى بالباقى فانه خيره وجاء رجل بناقة مخطومة وقال هذه فى سبيل الله فقال عليه السلام لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة يزكى فرموده كه اصل مراجه درين تجارت انيست كه غير حق رابدهى وحق را بستانى ودر نفحات ازابى عبدالله البسرى قدس سره نقل ميكند كه بسرى آمد وگفت سبوى روغن داشتم كه سرمايهٔ من بود ازخانه بيرون مى آوردم بيفتاد وبشكست وسرمايهٔ من ضايع شد گفت اى فرزند سرمايهٔ خود آن سازكه سرمايهٔ پدرتست والله كه پدر تراهيچ نيست درد نيا واخرت غيرالله شيخ الاسلام عبدالله الانصارى قدس سره فرمود كه سود تمام آن بودى كه پدرش هم نبودى اشارة بمرتبهٔ فناست درباختن سود وسرمايهٔ دربازار شوق لقا * تاچند بيازار خودى بست شوى * بشتاب كه ازجام فنامست شوى * ازمايهٔ سود دوجهان دست بشوى * سود توهمان به كه تهى دست شوى * ودخل فى الآية جهاد اهل البدعة وهم ثنتان وسبعون فرقة ضالة آن كافر خرابى حصن اسلام خواهد اين مبتدع ويرانى حصار سنت جويدان شيطان درتشويش ولايت دل كوشد اين هواى نفس زيروزبرى دين توخواهد حق تعالى تراهر يكى ازين دشمنان سلاحى داده تااورابدان قهر كنى قتال باكافران بشمشير سياست است وبامبتدعان بتيغ زبان وبحث وباشيطان بمداومت ذكرحق وتحقيق كله وباهواى نفس بتير مجاهده وسنان رياضت اينست بهين اعمال بنده وكزيدهٔ طاعات روزه چنانچه رب العزة گفت ذلكم خيرلكم ان كنتم تعلمون وقال بعض الكبار يا يها الذين آمنوا بالايمان التقليدى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله اى تحقيقا وبقينا استدلاليا وبعد صحة الاستدلال تجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم لان بذل المال والنفس فى سبيل الله لايكون الابعد اليقين واعلم ان التوحيد امالسانى واما عيانى اماالتوحيد اللسانى المقترن بالاعتقاد الصحيح فأهله قسمان قسم بقوا فى التقليد الصرف ولم يصلوا الى حد التحقيق فهم عوام المؤمنين وقسم تشبثوا بذيل الحجج والبراهين النقلية والعقلية فهؤلاء وان خرجوا عن حد التقليد الصرف لكنهم لم يصلوا الى نور الكشف والعيان كماوصل اهل الشهود والعرفان واماالتوحيد العيانى فعلى مراتب المرتبة الاولى توحيد الافعال والثانية توحيد الصفات والثالثة توحيد الذات فمن تجلى له الافعال توكل واعتصم ومن تجلى له الصفات رضى وسلم ومن وصل الى تجلى الذات فنى فى الذات بالمحو والعدم (يغفر لكم ذنوبكم) فى الدنيا وهو جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر ويجوز ان يكون جوابا لشرط اولاستفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا اوهل تقبلون وتفعلون مادللتكم عليه يغفرلكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيدلان مجرد الدلالة لايوجب المغفرة (ويدخلكم) فى الآخرة (جنات) اى كل واحد منكم جنة ولابعد من لطفه تعالى ان يدخله جنات بان يجعلها خاصة له داخلة تحت تصرفه والجنة فى اللغة البستان الذى فيه اشجار متكاثفة مظلة تستر مانحتها (تجرى من تحتها) اى من تحت اشجارها بمعنى تحت اغصان اشجارها فى اصولها على عروقها اومن تحت قصورها وغرفها (الانهار)

من اللبن والعسل والخمر والماء الصافى (ومساكن طيبة) اى و يدخلكم مساكن طيبة ومنازل نزهة كائنة (فى جنات عدن) اى اقامة وخلود بحيث لايخرج منها من دخلها بعارض من العوارض وهذا الظرف صفة مختصة بمساكن وهى جمع مسكن بمعنى المقام والسكون ثبوت الشئ بعد تحرك ويستعمل فى الاستيطان يقال سكن فلان فى مكان كذا استوطنه واسم مكان مسكن فمن الاول يقال سكنت ومن الثانى يقال سكنته قال الراغب اصل الطيب مايستلذه الحواس وقوله ومساكن طيبة فى جنات عدن اى طاهرة زكية مستلذة وقال بعضهم طيبتها سعتها ودوام امرها وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه المساكن الطيبة فقال قصر من لؤلؤ فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة قال فيعطى الله المؤمن من القوة فى غداة واحدة مايأتى على ذلك كله قال فى الكبير اراد بالجنات البساتين التى يتنا ولها الناظر لانه تعالى قال بعده ومساكن طيبة فى جنات عدن والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم فى جنات عدن ومناظرهم الجنات التى هى البساتين ويكون فائدة وصفها بانها عدن انها تجرى مجرى الدار التى يسكنها الانسان واما الجنات الاخر فهى جارية مجرى البساتين التى قد يذهب الانسان اليها لاجل التنزه وملاقاة الاحباب وفى بعض التفاسير تسمية دار الثواب كلها بالجنات التى هى بمعنى البساتين لاشتمالها على جنات كثيرة مترتبة على مراتب بحسب استحقاقات العالمين من الناقصين والكاملين ولذلك اتى بجنات جمعا منكرا ثم اختلفوا فى عدد الجنات المشتملة على جنات متعددة فالمروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على تفاوت الاعمال والعمال (وروى) عنه انها ثمان دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم وقال ابو الليث الجنان اربع كما قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذلك جنتان اربع احداهن جنة الخلد والثانية جنة الفردوس والثالثة جنة المأوى والرابعة جنة عدن وابوابها ثمانية بالخبر وخازن الجنة يقال له رضوان وقد البسه الله الرأفة والرحمة كما ان خازن النار ويقال له مالك قد البسه الله الغضب والهيبة ومبنى الامام الغزالى رحمه الله الى كون الجنان اربعا فلعل الجنات فى الآية باعتبار الافراد لاباعتبار الاسماء ومايستفاد من قلتها بحسب ان الجمع السالم من جموع القلة ليس بمراد فانها فى الوجود الانسانى اربع جنان فالغالب فى الجنة الاولى التنعم بمقتضى الطبيعة من الاكل والشرب والوقاع وفى الثانية التلذذ بمقتضى النفس كالتصرفات وفى الثالثة التلذذ بالاذواق الروحانية كالمعارف الالهية وفى الرابعة التلذذ بالمشاهدات وذلك اعلى اللذات لانها من الخالق وغيرها من المخلوق ان قلت لم لم تذكر ابواب الجنة فى القرآن وانها ثمانية كما ذكرت ابواب النار كما قال تعالى لها سبعة ابواب قلت ان الله سبحانه انما يذكر من اوصاف الجنة مافيه تشويق اليها وترغيب فيها وتنبيه على عظم نعيمها وليس فى كونها ثمانية او اكثر من ذلك او اقل زيادة فى معنى نعيمها بل لو دخلوا من باب واحدا ومن الف باب لكان ذلك سواء فى حكم السرور بالدخول ولذلك لم يذكر اسم خازن الجنة اذ لا ترغيب فى ان يخبر عن اهل الجنة انهم عند فلان من الملائكة او فى كرامة فلان وقد قال وسقاهم ربهم شرابا طهورا ولاشك ان من حدثت عنه انه عند الملك يسقيها بلغ فى الكرامة من ان يقال هو عند خادم من خدام الملك او فى كرامة ولى من اوليائه بخلاف ذكر ابواب النار وذكر مالك فان فيه زيادة ترهيب قال سهل قدس سره اطيب المساكن مازال عنهم جميع الاحزان واقر اعينهم بمجاورته فهذا لجوار فوق سائر الجوار وقال بعضهم ومساكن طيبة برؤيه الحق تعالى فان المساكن انما تطيب بملاقاة الاحباب ورؤية العاشق جمال المعشوق ووصول المحب الى صحبة المحبوب وكذا مساكن القلوب انما تطيب بتجلى الحق ولقاء جماله جعلنا الله واياكم من اهل الوصول واللقاء والبقاء (ذلك) اى ماذكر من المغفرة وادخال الجنات المذكورة بماذكر من الاوصاف الجميلة (الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه قال بعض المفسرين الفوز يكون بمعنى النجاة من المكروه وبمعنى الظفر بالبغية والاول يحصل بالمغفرة والثانى بادخال الجنة والتنعيم فيها وعظمه باعتبار انه نجاة لالم بعده وظفر لانقصان فيه شانا وزمانا ومكانا لانه فى غاية الكمال على الدوام فى مقام النعيم

اعلم ان الآية الكريمة افادت ان التجارة دنيوية واخروية فالدنيا موسم التجارة والعمر مدتها والاعضاء والقوى رأس المال والعبد هو المشترى من وجه والبائع من وجه فمن صرف رأس ماله الى المنافع الدنيوية التى تنقطع عند الموت فتجارته دنيوية كاسدة خاسرة وان كان بتحصيل علم دينى او كسب عمل صالح فضلا عن غيرهما فانما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ومن صرفه الى المقاصد الاخروية التى لا تنقطع ابدا فتجارته رائجة رابحة حرية بان يقال فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ولعل المراد من التجارة هنا بذل المال والنفس فى سبيل الله وذكر الايمان لكونه اصلا فى الاعمال ووسيلة فى قبول الآمال وتوصيف التجارة بالانجاء لان النجاة يتوقف عليها الانتفاع فيكون قوله تعالى يغفر لكم بيان سبب الانجاء وقوله ويدخلكم بما يتعلق به بيان المنفعة الحاصلة من التجارة معان التجارة الدنيوية تكون سببا للنجاة من الفقر المنقطع والتجارة الاخروية تكون سببا للنجاة من الفقر الغير المنقطع قال عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ يعنى ان نعمتى الصحة والفراغ كرأس المال للمكلف فينبغى ان يعامل الله بالايمان به وبرسوله ويجاهد مع النفس لئلا يغبن ويربح فى الدنيا والآخرة ويجتنب معاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح (قال الحافظ) كارى كنيم ورنه خجالت براورد * روزى كه رخت جان بجهان دكر كشيم (وقال ايضا) كوهر معرفت اندوزكه باخود ببرى * كه نصيب دكر انست نصاب زروسيم (وقال ايضا) دلا دلالت خيرت كنم براه نجات * مكن بفسق مباحات وزهد هم مفروش (وقال المولى الجامى) ازكسب معارف شده مشغوف زخارف * در هاى ثمين داده وخرمهره خريده (وقال) جان فداى دوست كن جامى كه هست * كمترين كارى درين ره بذل روح (واخرى) اى ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة فاخرى مبتدأ حذف خبره والجملة عطف على يغفر لكم على المعنى (تحبونها) وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل وتوبيخ على محبته وهو صفة بعد صفة لذلك المحذوف (نصر من الله) بدل او بيان لتلك النعمة الاخرى يعنى نصر من الله على عدوكم قريش وغيرهم (وفتح قريب) اى عاجل عطف على نصر (قال الكاشفى) مراد فتح مكه است يا فتح روم وفارس ابن عطا فرموده كه نصر توحيد است وفتح نظر بجمال ملك مجيد وقد بين انواع الفتوح فى سورة الفتح فارجع * اشارة الآية الى ان الايمان الاستدلالى اليقينى وبذل المال والنفس بمقتضاه فى طريق الجهاد الاصغر وان كان تجارة رابحة الا ان اصحابها لم يتخلصوا بعد من الاعواض والاغراض فالسالك الى طريق الجهاد الاكبر تجارة اخرى فوق تلك التجارة اربح من الاولى هى نصر من الله بالتأييد الملكوتى والكشف النورى وفتح قريب الوصول الى مقام القلب ومطالعة تجليات الصفات وحصول مقام الرضى وانما سماه تجارة لان صفاتهم الظلمانية تبدل هناك بصفات الله النورانية وانما قال تحبونها لان المحبة الحقيقية لا تكون الا بعد الوصول الى مقام القلب ومن دخل مقام المحبة بالوصول الى هذا المقام فقد دخل فى اول مقامات الخواص فالمعتبر من المنازل منزل المحبة واهله عبيد خلص لا يترقعون الاجرة يعملهم بخلاف من تنزل عن منزلة المحبة فانهم اجراء يعملون للاجرة قال بعض العارفين من عبد الله رجاء للثواب وخوفا من العقاب فمعبوده فى الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالعبادة لاجل تنعم النفس فى الجنة والخلاص من النار معلول ولهذا قال المولى جلال الدين الرومى قدس سره * هشت جنت هفت دوزخ پيش من * هست پيدا همچو بت پيش شمن (وقال بعضهم) طاعت از بهر جزا شرك خفيست * باخدا اجو باش وباعقبى طلب * واعلم ان من جاهد فانما يجاهد لنفسه لانه يتخلص من الحجاب فيصل الى الملك الوهاب (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشرهم يا اكمل الرسل بانواع البشارة الدنيوية والاخروية فلهم من الله فضل واحسان فى الدارين وكان فى هذا دلالة على صدق النبى لانه اخبر عما يحصل ويقع فى المستقبل من الايام على ما اخبره وفى التأويلات النجمية يشير الى تواتر النعم وتواليها وفتح مكة القلب بعد النصر بخراب بلدة النفس وبشر المؤمنين المحبين الطالبين بالنصر على النفس فتح مكة القلب انتهى وفيه اشارة الى ان بلدة النفس انما تخرب بعد التأييد الملكوتى وامداد جنود الروح بان تغلب القوى الروحانية على القوى النفسانية كما يغلب اهل الاسلام على اهل الحرب فيخلصون القلعة

من ايدى الكفار و يزيلون آثار الكفر والشرك بجعل الكنائس مساجد و بيوت الاصنام معابد ومساكن الكفار مقار المؤمنين المخلصين والله المعين على الفتح المطلق كل حين (يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله) اى انصار دينه جمع نصير كشريف واشراف (كما قال عيسى بن مريم للحواريين) سيأتى بيانهم (من) كيسند (انصارى الى الله) قال بعض المفسرين من يحتمل ان يكون استفهاما حقيقة ليعلم وجود الانصار و يتسلى به و يحتمل العرض والحث على النصرة وفيه دلالة على ان غير الله تعالى لا يخلو عن الاحتياج والاستنصار وانه فى وقته جائز حسن اذا كان لله فى الله والمعنى من جندى متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى (قال الحواريون نحن انصار الله) فان قول عيسى لا يطابق جواب الحواريين بحسب الظاهر فان ظاهر قول عيسى يدل على انه يسأل من ينصره فكيف يطابقه جواب الحواريين بانهم ينصرون الله وايضا لا وجه لبقاء قول عيسى على ظاهره لان النصرة لا تتعدى بالى فحمل الانصار على الجند لانهم ينصرون ملكهم و يعينونه فى مراده ومراده عليه السلام نصرة دين الله فسأل من يتبعه و يعينه فى ذلك المراد و يشاركه فيه فقوله متوجها حال من يا، المتكلم فى جندى والى متعلق به لا بالنصرة والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص يعنى الملابسة المصححة للاضافة المجازية لظهور ان الاختصاص الذى تقتضيه الاضافة حقيقة غير متحقق فى اضافة انصارى والاضافة الثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اى كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله اوقل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا قال مقاتل قال الله لعيسى اذا دخلت القرية فانت النهر الذى عليه القصارون فأسألهم النصرة فاتاهم عيسى وقال من انصارى الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه (وقال الكاشفى) وفى الواقع نصرت كردند دين عيسى را بعد از رفع وى وخلق را بخدا دعوت نمودند فا لحواريون كانوا قصارين وقيل كانوا صيادين قال بعض العلماء انما سموا حواريين لصفاء عقائدهم عن التردد والتلوين اولانهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم المشار اليه بقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا وانما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه وانما قيل كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس وقودهم الى الحق وقوله عليه السلام الزبير ابن عمتى وحوارى وقوله يوم الاحزاب من يأتينى بخبر القوم فقال الزبير انا فقال عليه السلام ان لكل نبى حواريا وحوارى الزبير فشبهه بهم فى النصرة وقال بعض المفسرين دل الحديث على ان الحواريين ليسوا بمختصين بعيسى اذ هو فى معنى الاصحاب الاصفياء وقال معمر رضى الله عنه كان يحمد الله لنبينا عليه السلام حواريون نصروه حسب طاقتهم وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقال السهيلى كونوا انصار الله فكانوا انصارا وكانوا حواريين والانصار الاوس والخزرج ولم يكن هذا الاسم قبل الاسلام حتى سماهم الله به وكان له عليه السلام حواريون ايضا من قريش مثل الخلفاء الاربعة والزبير وعثمان بن مظعون وحمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابى طالب ونحوهم (فآمنت طائفة) اى جماعة وهى اقل من الفرقة لقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (من بنى اسرائيل) اى آمنوا بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين (وكفرت طائفة) اخرى به وقاتلوه (فأيدنا الذين آمنوا) اى قوينا مؤمنى قومه بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى (على عدوهم) اى على الذين كفروا وهو الظاهر فاراد العدو اعلام منه ان الكافرين عدو للمؤمنين عداوة دينية وقيل لما رفع عيسى عليه السلام تفرق القوم ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه الله اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه الله وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم (فأصبحوا) صاروا (ظاهرين) غالبين عالين يقال ظهرت على الحائط علوته وقال قتادة فأصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان كما سبق لانهم قالوا فيما روى الستم تعلمون ان عيسى عليه السلام كان ينام والله تعالى لا ينام وانه يأكل و يشرب والله منزه عن ذلك وفى الآية اشارة الى غلبة القوى الروحانية

على القوى النفسانية لان القوى الروحانية مؤمنون متنورون بنور الله متقون عما سوى الله تعالى والقوى النفسانية كافرون مظلمون بظلمة الاكوان متلوثون بالعلاقات المختلفة ولاشك ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فبنور الاسلام والايمان والتقوى والهدى يزيل ظلمة الشرك والكفر والتعلق والهوى مع ان اهل الايمان وان كانوا اقل من اهل الكفر في الظاهر لكنهم اكثر منهم في الباطن فهم السواد الاعظم والمظاهر الجمالية واعلم ان الجهاد دائم باق ماض الى يوم القيامة انفسا وآفاقا لان الدنيا مشتملة على اهل الجمال والجلال وكذا الوجود الانساني مادام في هذا الموطن فاذا صار الى الموطن الآخر فاما اهل جمال فقط وهو في الجنة واما اهل جلال فقط وهو في النار والله يحفظنا واياكم

تمت سورة الصف بعون الله تعالى في اواسط ذي الحجة من شهور سنة خمس عشرة ومائة والف

(سورة الجمعة احدى عشرة آية مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض) جميعا من حي وجامد تسبيحات مستمرة فما في السموات هي البدائع العلوية وما في الارض هي الكوائن السفلية فلكل نسبة الى الله تعالى بالحياة والتسبيح (الملك) بادشاهي كه ملك اودائمست و بي زوال (القدوس) پاك ازسمت عيب وصفت اختلال (العزيز) الغالب على كل ما اراد (الحكيم) صاحب الحكمة البديعة البالغة وقد سبق معاني هذه الاسماء في سورة الحشر والجمهور على جر الملك ومابعده على انها صفات لاسم الله عزوجل يقول الفقير بدأ الله تعالى هذه السورة بالتسبيح لما فيها من ذكر البعثة اذ اخلاء العالم من المرشد مناف للحكمة ويجب تنزيه الله عنه ولما اشتملت عليه من بيان ادعاء اليهود كونهم ابناء الله واحباءه ولما ختمت به من ذكر ترك الذكر واستماع الخطبة المشتملة على الدعاء والحمد والتسبيح ونحو ذلك وفي التأويلات النجمية يعني ينزه ذاته المقدسة ما في سموات المفهوم من مفهومات العامة ومفهومات الخاصة ومفهومات اخص الخاصة وما في ارض المعلوم من معلومات العامة ومعلومات الخاصة ومعلومات اخص الخاصة وانما اضفنا السموات الى المفهوم واضفنا الارض الى المعلوم لفوقية رتبة الفهم على رتبة العلم وذلك قوله ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ويدل على ذلك اصابة سليمان حقيقة المسألة المخصوصة بحسب نور الفهم لا بحسب قوة العلم وهو العزيز الذي يعز من يشاء بخلعة نور الفهم الحكيم الذي يشرف من يشاء بحكمته بلبسه ضياء العلم (هو الذي بعث في الاميين) جمع امي منسوب الى امة العرب وهم قسمان فعرب الحجاز من عدنان وترجع الى اسماعيل عليه السلام وعرب اليمن ترجع الى قحطان وكل منهم قبائل كثيرة والمشهور عند اهل التفسير ان الامي من لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعند اهل الفقه من لا يعلم شيأ من القرآن كأنه بقي على ما تعلمه من امه من الكلام الذي يتعلمه الانسان بالضرورة عند المعاشرة والنبي الامي منسوب الى الامة الذين لم يكتبوا لكونه على عادتهم كقولك عامي لكونه على عادة العامة وقيل سمي بذلك لانه لم يكتب ولم يقرأ من كتاب وذلك فضيلة له لاستغنائه بحفظه واعتماده على ضمان الله له عنه بقوله سنقرئك فلا تنسى وقيل سمي بذلك لنسبته الى ام القرى وفي كشف الاسرار سمي العرب اميين لانهم كانوا على نعت امهاتهم مذ كانت بلا خط ولا كتاب نسبوا الى ما ولدوا عليه من امهاتهم لان الخط والقرآءة والتعليم دون ما جبل الخلق عليه ومن يحسن الكتابة من العرب فانه ايضا امي لانه لم يكن لهم في الاصل خط ولا كتابة قيل بدئت الكتابة بالطائف تعلمها ثقيف واهل الطائف من اهل الحيرة بكسر الحاء وسكون المثناة من تحت بلد قرب الكوفة واهل الحيرة اخذوها من اهل الانبار وهي مدينة قديمة على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ولم يكن في اصحاب رسول الله عليه السلام كاتب الا حنظلة الذي يقال له غسيل الملائكة ويسمى حنظلة الكاتب ثم ظهر الخط في الصحابة بعد في معاوية بن ابي سفيان وزيد بن ثابت وكانا يكتبان لرسول الله عليه السلام وكان له كتاب ايضا غيرهما واختلفوا في رسول الله عليه السلام انه هل تعلم الكتابة بآخرة من عمره اولا والعلم اثنا فيه وجهان وليس فيه حديث صحيح ولما كان الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية لم يحتج اليه من كان القلم الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ محفه ومنظره وعدم كتابته مع علمه بها معجزة باهرة له عليه السلام اذ كان يعلم الكتاب علم الخط واهل الحرف حرفتهم وكان اعلم بكل كمال

اخروى اودنيوى من اهله ومعنى الآية هوالذى بعث فى الاميين اى فى العرب لان اكثرهم لايكتبون ولايقرأون من بين الامم فغلب الاكثر وانما قلنا اكثرهم لانه كان فيهم من يكتب ويقرأ وان كانوا على قلة (رسولا) كائنا (منهم) اى من جملتهم ونسبهم عربيا اميا مثلهم تارسألت اوازتهمت دور باشدفوجه الامتنان مشاكلة حاله لاحوالهم ونفى التعلم من الكتب فهم يعلمون نسبه واحواله ودر كتاب شعيا عليه السلام مذكورست كه انى ابعث اميا فى الاميين واختم به النبيين (قال الكاشفى) ودراميت آن حضرت عليه السلام نكتهاست اينجابسه بيت اختصار ميرود * فيض ام الكتاب پروردش * لقب امى ازان خدا كردش * لوح تعليم ناكرفته ببر * همه زاسرار لوح داده خبر * برخط اوست انس وجانرا سر * كه نخواند ست خط ازان چه خطر * والبعث فى الاميين لاينافى عموم دعوته عليه السلام فالتخصيص بالذكر لامفهوم له ولوسلم فلايعارض المنطوق مثل قوله تعالى وماارسلناك الا كافة للناس على انه فرق بين البعث فى الاميين والبعث الى الاميين فبطل احتجاج اهل الكتاب بهذه الآية على انه عليه السلام كان رسول الله الى العرب خاصة ورد الله بذلك ما قال اليهود للعرب طعنا فيه نحن اهل الكتاب وانتم اميون لاكتاب لكم (يتلو عليهم آياته) اى القرآن مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولاتعلم والفرق بين التلاوة والقراءة ان التلاوة قراءة القرآن متتابعة كالدراسة والاوراد الموظفة والقراءة اعم لانها جمع الحروف باللفظ لاتباعها (ويزكيهم) صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلوا ى يحملهم على مايصيرون به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال وفيه اشارة الى قاعدة التسليك فان المزكى فى الحقيقة وان كان هوالله تعالى كما قال بل الله يزكى من يشاء الاان الانسان الكامل مظهر الصفات الالهية جميعا ويؤيد هذا المعنى اطلاق نحو قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ويعلمهم الكتاب والحكمة) قال فى الارشاد صفة اخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالعلم المترتب على التلاوة للايذان بأن كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلوروعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة انتهى وقال بعضهم ويعلمهم القرآن والشريعة وهى ماشرع الله لعباده من الاحكام اولفظه ومعناه اوالقرآن والسنة كما قاله الحسن اوالكتاب الخط كما قاله ابن عباس اوالخير والشر كما قاله ابن اسحق والحكمة الفقه كما قاله مالك اوالعظة كما قاله الاعمش اوكتاب احكام الشريعة واسرار آداب الطريقة وحاصل معانيه الحكمية والحكمية ولكن تعليم حقائق القرآن وحكمه مختص بأولى الفهم وهم خواص الاصحاب رضى الله عنهم وخواص التابعين من بعدهم الى قيام الساعة لكن معلم الصحابة عموما وخصوصا هو النبى عليه السلام بلاواسطة ومعلم التابعين قرنا بعد قرن هوعليه السلام ايضا لكن بواسطة ورثة امته وكل اهل دينه وملته ولولم يكن سوى هذا التعليم معجزة لكفاه قال البوصيرى فى القصيدة البردية

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

اى كفاك العلم الكائن فى الامى فى وقت الجاهلية وكفاك ايضا تنبيهه على الآداب لعلمه بها فى وقت اليتم معجزة (وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) ان ليست شرطية ولانافية بل هى المخففة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والمعنى وان الشأن كان الاميون من قبل بعثة ومجيئه لفى ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية لاترى ضلالا اعظم منه وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لماعسى يتوهم من تعلمه عليه السلام من الغير فان المبعوث فيهم اذا كانوا فى ضلال قبل البعثة زال توهم انه تعلم ذلك من احد منهم قال سعدى المفتى والظاهر ان نسبة الكون فى الضلال الى الجميع من باب التغليب والافقد كان فيهم مهتدون مثل ورقة بن نوفل وزيد بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهم ممن قال رسول الله عليه السلام فى كل منهم يبعث امة وحده يقول الفقير هو اعتراض على معنى الازاحة المذكورة لكنه ليس بشئ فان اهتداء من ذكره من نحو ورقة انما كان فى باب التوحيد فقط فقد كانوا فى ضلال من الشرائع والاحكام الاترى الى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى مع انه عليه السلام لم يصدر منه قبل البعثة شرك ولاغيره من شرب الخمر والزنى واللغو واللهو

فكونهم مهتدين من وجه لاينافى كونهم ضالين من وجه اخر دل على هذا المعنى قوله تعالى يتلو عليهم الخ فان بالتلاوة وتعليم الاحكام والشرائع حصل تزكية النفس والنجاة من الضلال مطلقا فاعرفه (وآخرين منهم) جمع آخر بمعنى غير وهو عطف على الاميين اى بعثه فى الاميين الذين على عهده وفى آخرين من الاميين او على المنصوب فى يعلمهم اى يعلمهم ويعلم آخرين منهم وهم الذين جاؤا من العرب فمنهم متعلق بالصفة لآخرين اى وآخرين كائنين منهم مثلهم فى العربية والامية وان كان المراد العجم فمنهم يكون متعلقا بآخرين (قال الكاشفى) اصح اقوال آنست كه هركه باسلام درآمده ودرمى آيد بعد از وفات آن حضرة عليه السلام همه درين آخرين داخلند فيكون شاملا لكل من اسلم وعمل صالحا الى يوم القيامة من عربى وعجمى وفى الحديث (ان فى اصلاب رجال من امتى رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب) ثم تلا الآية (لما يلحقوا بهم) صفة لآخرين اى لم يلحقوا بالاميين بعد ولم يكونوا فى زمانهم وسيلحقون بهم ويكونون بعدهم عربا وعجما وذلك لما ان منفى لما لابد ان يكون مستمر النفى الى الحال وان يكون متوقع الثبوت بخلاف منفى لم فانه يحتمل الاتصال نحو ولما اكن بدعائك رب شقيا والانقطاع مثل لم يكن شيأ مذكورا ولهذا جاز لم يكن ثم كان ولم يجز لما يكن ثم كان بل يقال لما يكن وقد يكون (روى) سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ان النبى عليه السلام قال رأيتنى اسقى غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا أبابكر فقال يا نبى الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال عليه السلام كذلك اولها الملك يعنى جبرآئيل عليه السلام يقال شاة عفراء يعلو بياضها حمرة ويجمع على عفر مثل سوداء وسود وقيل لما يلحقوا بهم فى الفضل والمسابقة لان التابعين لا يدركون شأو مع الصحابة وكذلك العجم مع العرب ومن شرائط الدين معرفة فضل العرب على العجم وحبهم ورعاية حقوقهم وفى الآية دليل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول نفسه وبلاغه حجة لاهل زمانه ومن بلغ لقوله تعالى ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده (وهو العزيز) المبالغ فى العزة والغلبة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم (الحكيم) المبالغ فى الحكمة ورعاية المصلحة ولذلك اصطفاه من بين كافة البشر (ذلك) الذى امتازبه من بين سائر الافراد وهو ان يكون نبى ابناء عصره ونبى ابناء العصور الغوابر (فضل الله) واحسانه (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية لا تأثير للاسباب فيه فكان الكرم منه صرفا لا تمازجه العلل ولا تكسبه الحيل (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة وفى كشف الاسرار والله ذو الفضل العظيم على محمد وذو الفضل العظيم على الخلق بارسال محمد اليهم وتوفيقهم لمبايعته انتهى * يقول الفقير وايضا والله ذو الفضل العظيم على اهل الاستعداد من امة محمد بارسال ورثة محمد فى كل عصر اليهم وتوفيقهم للعمل بموجب اشاراتهم ولولا اهل الارشاد والدلالة لبقى الناس كالعميان لا يدرون اين يذهبون وانما كان هذا الفضل عظيما لان غايته الوصول الى الله العظيم وقال بعض الكبار والله ذو الفضل العظيم اذ جميع الفضائل الاسمائية تحت الاسم الاعظم وهو جامع احدية جميع الاسماء وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور فقال قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقالوها وقالها الاغنياء فقيل انهم شاركونا فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفى بعض الروايات اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مخلصا وقال الغنى مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير فى فضله وتضاعف الثواب وان انفق الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها (قال الشيخ سعدى قدس سره) بقنطار زر بخش كردن زكنج * نباشد چو قيراطى از دست رنج (مثل الذين حملوا التوراة) اى علموها وكلفوا العمل بها وهم اليهود ومثلهم صفتهم العجيبة (ثم لم يحملوها) اى لم يعملوا بما فى ضاعيفها من الآيات التى من جملتها الايات الناطقة بنبوة رسول الله عليه السلام واقتنعوا بمجرد قرآءتها (كمثل الحمار) الكاف فيه زائدة كما فى الكواشى والحمار حيوان معروف يعبر به عن الجاهل كقولهم هو اكفر من الحمير اى اجهل لان الكفر من الجهالة فالتشبيه به لزيادة التحقير والاهانة ولنهاية التهكم والتوبيخ بالبلادة اذ الحمار يذكر بها والبقر وان كان مشهورا بالبلادة الا انه لا يلائم الحمل

تعلم يافتى فالجهل عار * ولا يرضى به الاحمار

(يحمل اسفارا) اى كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل

اوصفة للحمار اذليس المراد معينا فان المعرف بلام العهد الذهنى فى حكم النكرة كما فى قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبنى والاسفار جمع سفر بكسر السين وهو الكتاب كشبر واشبار قال الراغب السفر الكتاب الذى يسفر عن الحقائق اى يكشف وخص لفظ الاسفار فى الآية تنبيها على ان التوراة وان كانت تكشف عن معانيها اذا قرئت وتحقق مافيها فالجاهل لايكاد يستبينها كالحمار الحامل لها وفى القاموس السفر الكتاب الكبير اوجزء من اجزاء التوراة وفى هذا تنبيه من الله على انه ينبغى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم مافيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم مالحق هؤلاء (قال الشيخ سعدى) مراد ازنزول قرآن تحصيل سيرت خوبست نه ترتيل سورة مكتوب * علم چند انكه بيشتر خوانى * چون عمل درتو نيست نادانى * نه محقق بود نه دانشمند * چار پايى بروكتابى چند * آن تهى مغزرا چه علم وخبر * كه بروهيزمست يادفتر * (وقال الكاشفى) كفت ايزد يحمل اسفاره * بار باشد علم كان نبود زهو * علمهاء اهل دل حمالشان * علمهاء اهل تن احمالشان * علم چون بردل رند يارى بود * علم چون بركل زند بارى بود * چون بدل خوانى زحق كيرى سبق * چون بكل خوانى سيه سازى ورق * وفى التأويلات النجمية يعنى مثل يهود النفس فى حمل توراة العلم والمعرفة بصحة رسالة القلب وعدم اتباع رسومه واحكامه كمثل حمار البدن فى حمله اثقال الامتعة النفيسة والاقمشة الشريفة والملابس الفاخرة والطياليس الناعمة فكما ان حمار البدن لايعرفها ولايعرف شرفها ولاكرامتها كذلك يهود النفس لاتعرف رفعة رسول القلب ولارتبته ونعم ما يحكى عن بعض الظرفاء انه حضر دعوة لطعام فلم يلتفتوا اليه واجلسوه فى مكان نازل ثم انه خرج واستعار لبسة نفيسة وعاد الى المجلس فلما راوه على زى الاكابر عظموه واجلسوه فوق الكل فلما حضر الطعام قال ذلك الظريف خطابا للكمه كل والكم لايدرى ما الطعام وما اللذة لكن نظر اهل الصورة مقصور على الظاهر لايرون الفضل الا بالزخارف والزين فالبعد هؤلاء عن ادراك المعانى والحقائق (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر له مستتر والمذكور هو المخصوص بالذم وهم اليهود الذين كفروا بما فى التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد عليه السلام (والله لايهدى القوم الظالمين) الواضعين للتكذيب فى موضع التصديق اوالظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد باختيار الضلالة على الهداية والشقاوة على السعادة والعداوة على العناية كاليهود ونظائرهم وفيه تقبيح لهم بتشبيه حالهم بحال الحمار والمشبه بالقبيح قبيح وقد قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير فصوت الجاهل والمدعى منكر كصوت الحمار واضل وانزل فهو ضار محض وفى الحمار نفع لانه يحمل الاثقال ويركبه النساء والرجال وقد قال فى حياة الحيوان ان اتخذ خاتم من حافر الحمار الاهلى ولبسه المصروع لم يصرع ثم ان فى الحمار شهوة زائدة على شهوات سائر الحيوانات وهى من الصفات الطبيعية البهيمية فمن ابدلها بالعفة نجا وسلم من التشبيه المذكور وكم ترى من العلماء الغيارى العاملين ان اعينهم تدور على نظر الحرام ومع مالهم من النكاح يتجاوزون الى الزنى لعدم اصلاح قوتهم الشهوية بالشريعة فان الشريعة افعالهم لااعمالهم واحوالهم نسأل الله العصمة مما يوجب المقت والنقمة انه ذو المنة والفضل والنعمة (قل يا ايها الذين هادوا) من هاد يهود اذا تهود اى تهودوا والتهود جهود شدن ودين جهود داشتن وبالفارسية ايشان كه جهود شديد وازراه راست بكشتيد فان المهاداة الممايلة ولذا قال بعض المفسرين اى مالوا عن الاسلام والحق الى اليهودية وهى من الاديان الباطلة كما سبق قال الراغب اليهود الرجوع برفق وصار فى التعارف التوبة قال بعضهم يهود فى الاصل من قولهم انا هدنا اليك اى تبنا وكان اسم مدح ثم صار بعد نسخ شرعتهم لازما لهم وان لم يكن فيه معنى المدح كما ان النصارى فى الاصل من قولهم نحن انصار الله ثم صار لازما لهم بعد نسخ شريعتهم ثم ان الله تعالى خاطب الكفار فى اكثر المواضع بالواسطة ومنها هذه الآية لانهم ادخلوا الواسطة بينهم وبين الله تعالى وهى الاصنام واما المؤمنون فان الله تعالى خاطبهم فى اغلب المواضع بلا واسطة مثل يا ايها الذين آمنوا لانهم اسقطوا الوسائط فاسقط الله بينه وبينهم الواسطات (ان زعمتم) الزعم هو القول بلا دليل والقول بان الشئ على صفة كذا قولا غير مستند الى وثوق نحو زعمتك كريما وفى القاموس الزعم مثلثة القول الحق والباطل والكذب ضده واكثر مايقال فيما يشك فيه انتهى * فبطل ماقال بعضهم من ان الزعم بالضم

بمعنى اعتقاد الباطل وبالفتح بمعنى قول الباطل قال الراغب الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به وقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد في قولهم انه مظنة للكذب (انكم اولياء لله) جمع ولي بمعنى الحبيب (من دون الناس) صفة اولياء اي من دون الامميين وغيرهم ممن ليس من بني اسرائيل وقال بعضهم من دون المؤمنين من العرب والعجم يريد بذلك ما كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله عليه السلام بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك (فتمنوا الموت) اي فتمنوا من الله ان يميتكم من دار البلية الى دار الكرامة وقولوا اللهم امتنا والتمني تقدير شئ في النفس وتصويره فيها وبالفارسية آرزو خواستن قال بعضهم الفرق بين التمني والاشتهاء ان التمني اعم من الاشتهاء لانه يكون في الممتنعات دون الاشتهاء (ان كنتم صادقين) جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن انه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ولا يصل اليها احد الا بالموت قال البقلي جرب الله المدعين في محبته بالموت وافرز الصادقين من بينهم لما غلب عليهم من شوق الله وحب الموت فتبين صدق الصادقين ههنا من كذب الكاذبين اذ الصادق يختار الحق اليه والكاذب يفر منه قال عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن ابغض لقاء الله ابغض الله لقاءه قال الجنيد قدس سره المحب يكون مشتاقا الى مولاه ووفاته احب اليه من البقاء اذ علم ان فيه الرجوع الى مولاه فهو يتمنى الموت ابدا (ولا يتمنونه ابدا) اخبار بما سيكون منهم وابدا ظرف بمعنى الزمان المتطاول لا بمعنى مطلق الزمان والمراد به ما داموا في الدنيا وفي البقرة ولن يتمنوه لان دعواهم في هذه السورة بالغة قاطعة وهي كون الجنة لهم بصفة الخلوص فبالغ في الرد عليهم بلن وهو ابلغ الفاظ النفي ودعواهم في الجمعة قاصرة مترددة وهي زعمهم انهم اولياء لله فاقتصر على لا كما في برهان القرآن (بما قدمت ايديهم) الباء متعلقة بما يدل عليه النفي اي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار نحو تحريف احكام التوراة وتغيير النعت النبوي وهم يعرفون انهم بعد الموت يعذبون بمثل هذه المعاصي ولما كانت اليد بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة يعني ان الايدي هنا بمعنى الذوات استعملت فيها لزيادة احتياجها اليها فكانها هي (والله عليم بالظالمين) وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم في كل امورهم اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم احد موته وفي الحديث (لا يتمنين احدكم الموت اما محسنا فلعله يزداد خيرا فهو خير له واما مسيئا فلعله ان يستعتب) اي يسترضي ربه بالتوبة والطاعة وما روي عن بعض ارباب المحبة من التمني فلغاية محبتهم وعدم صبرهم على الاحتراق بالافتراق ولا كلام في المشتاق المغلوب المجذوب كما قال بعضهم * غافلان ازمرك مهلت خواستند * عاشقان كفتندني نى زوداد * فالتمني اوقات واحوال يجوز باعتبار ولا يجوز باخر اما الحال فكما في الاشتياق الغالب واما الوقت فكما اشار اليه قوله عليه السلام اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين فاذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون (روي) انه عليه السلام قال في حق اليهود لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي ثم ان الموت هو الفناء عن الارادات النفسانية والاوصاف الطبيعية كما قال عليه السلام موتوا قبل ان تموتوا فمن له صدق ارادة وطلب يحب ان يموت عن نفسه ولا يبالي سقط على الموت ام سقط الموت عليه وان كان ذلك مرا في الظاهر لكنه حلو في الحقيقة وفيه حياة حقيقية وشفاء للمرض القلبي * چه خوش كفت بكر وزدار وفروش * شفا بايدت دار وى تلخ نوش * واما من ليس له صدق ارادة وطلب فانه يهرب من المجاهدة مع النفس ويشفق ان يذبح بقرة الطبيعة فهو عند الموت الطبيعي يقاسي من المرارات ما لا تفي ببيانه العبارات والله الحفيظ (قل ان الموت الذي تفرون منه) ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤاخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه يعني بكير دشمارا وشربت آن بچشيد وفرار سودى ندارد والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف اي باعتبار كون الموصوف بالموصول

فى حكم الموصول اى ان فررتم من الموت فانه ملاقيكم كأن الفرار سبب للقائه وسرعة لحوقه اذ لا يجد الفار بركة فى عمره بل يفر الى جانب الموت فيلاقيه الموت و يستقبله وقد قيل اذا ادبر الامر كان العطب فى الحيلة (ثم) اى بعد الموت الاضطرارى الطبيعى (تردون) الرد صرف الشئ بذاته او بحالة من احواله يقال رددته فارتد والآية من الرد بالذات مثل قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومن الرد الى حالة كان عليها قوله تعالى يردوكم على ادباركم (الى عالم الغيب والشهادة) الذى لا تخفى عليه احوالكم اى ترجعون الى حيث لا حاكم ولا مالك سواه وانما وصف ذاته بكونه عالم الغيب والشهادة باعتبار احوالهم الباطنة واعمالهم الظاهرة وقد سبق تمام تفسيره فى سورة الحشر (فينبئكم) بس خبر دهد شمارا (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصى والفواحش الظاهرة والباطنة بأن يجازيكم بها وفى التأويلات النجمية يشير الى الموت الارادى الذى هو ترك الشهوات ودفع المستلذات الذى تجتنبون منه لضعف همتكم الروحانية ووهن تهمتكم الربانية فانه ملاقيكم لا يفارقكم ولكن لا تشعرون به لانهماككم فى بحر الشهوات الحيوانية واستهلاككم فى تيار مشتهياتكم الظلمانية فانكم فى لبس من خلق جديد ولا تزالون فى الحشر والنشر كما قال وجاءهم الموج من كل مكان اى موج الموت فى كل لذة شهية ونعمة نعيمة ثم تردون الى عالم الغيب غيب النيات وغيب الطويات القلبية السرية والشهادة شهادة الطاعات والعبادات فينبئكم اى فيجازيكم بما كنتم تعملون بالنية الصالحة القلبية او بالنية الفاسدة النفسية انتهى وفيه اشارة الى انه كما لا ينفع الفرار من الموت الطبيعى كذلك لا ينفع الفرار من الموت الارادى لكن ينبغى للعاقل ان يتنبه لفنائه فى كل آن و يختار الفناء حبا للبقاء مع الله الملك المنان اعلم ان الفرار الطبيعى من الموت بمعنى استكراه الطبع وتنفره منه معذور صاحبه لان الخلاص منه عسير جدا الا للمشتاقين الى لقاء الله تعالى (حكى) انه كان ملك من الملوك اراد ان يسير فى الارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وكذا طلب دابة فلم تعجبه حتى اتى بدواب فركب احسنها فجاء ابليس فنفخ فى منخره فملأه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرا عظيما قال ان لى اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الا الآن فقهره على لجام دابته قال اذكرها قال هو سر فدنا اليه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعنى حتى ارجع الى اهلى واقضى حاجتى فأودعهم قال لا والله لا ترى اهلك ومالك ابدا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم مضى فاتى عبدا مؤمنا فى تلك الحال فسلم فرد عليه السلام فقال ان لى اليك حاجة اذكرها فى اذنك فقال هات فساره انا ملك الموت فقال مرحبا واهلا بمن طالت غيبته فوالله ما كان فى الارض غائب احب الى ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التى خرجت لها فقال مالى حاجة اكبر عندى ولا احب من لقاء الله قال فأخبرنى على اى حالة شئت ان اقبض روحك فقال اتقدر على ذلك قال نعم انى امرت بذلك قال فدعنى حتى اتوضأ واصلى فاقبض روحى وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد (وفى المثنوى) بس رجال از نقل عالم شادمان * وز بقايش شادمان اين كودكان * چونكه آب خوش ند يد آن مرغ كور * پيش او كوثر نمايد آب شور * واما الفرار العقلى بمعنى استكراهه الموت او بمعنى الانتقال من مكان الى مكان فالاول منهما ان كان من الانهماك فى خطوظ الدنيا فمذموم وان كان من خوف الموقف فصاحبه معذور كما حكى ان سليمان الدارانى قدس سره قال قلت لامى اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لانى اوعصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف احب لقاءه وقد عصيته وقس عليه الاستكراه رجاء الاستعداد لما بعد الموت واما الثانى منهما فغير موجه عقلا ونقلا اذ المشاهدة تشهد ان لا مخلص من الموت فاينما كان العبد فهو يدركه واما الفرار من بعض الاسباب الظاهرة للموت كهجوم النار المحرقة للدور والسيل المفرط فى الكثرة والقوة وحمل العدو الغالب والسباع والهوام الى غير ذلك فالظاهر انه معذور فيه بل مأمور واما الفرار من الطاعون فغير وجه العقل والنقل عدم جوازه * اما العقل فما قاله الامام الغزالى رحمه الله من ان سبب الوباء فى الطب الهواء المضر واظهر طرق التداوى الفرار من المضر ولا خلاف انه غير منهى عنه الا ان الهواء لا يضر من حيث انه يلاقى ظاهر البدن من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه عفونة ووصل الى الرئة والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر الا بعد

طول التأثير فى الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذى استحكم من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما وانه اورخص للاصحاء فى الخروج لما بقى فى البلد الا المرضى الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم ولم يبق فى البلد من يسقيهم الماء و يطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتهما بانفسهم فيكون ذلك سعيا فى اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كان خلاص الاصحاء منتظر فلو اقاموا لم تكن الاقامة قاطعة لهم بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع فى اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضا والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى الى الاشتكاء سائر اعضائه هذا هو الذى يظهر عندنا فى تعليل النهى و ينعكس هذا فيما اذا لم يقدم بعد على البلد فانه لم يؤثر الهواء فى باطنه وليس له حاجة اليهم * واما النقل فقوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فانه انكار لخروجهم فرارا منه وتعجيب بشأنهم ليعتبر العقلاء بذلك ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله فالمنهى عنه هو الخروج فرارا فان الفرار من القدر لا يغنى شيأ وفى الحديث (الفار من الطاعون كالفار من الزحف والصابر فيه له اجر شهيد) وفى الحديث يختصم الشهداء والمتوفون على فراشهم الى ربنا عزوجل فى الذين يتوفون فى الطاعون فيقول الشهداء اخواننا قتلوا كما قتلنا و يقول المتوفون اخواننا ماتوا على فراشهم كما متنا فيقول ربنا انظروا الى جراحهم فان اشبهت جراحهم جراح المقتولين فانهم منهم فاذا جرحهم قد اشبهت جراحهم يقول الفقير دل عليه قوله عليه السلام فى الطاعون انه وخز اعدائكم من الجن والوخز طعن ليس بنافذ والشيطان له ركض وهمز ونفث ونفخ ووخز والجنى اذا وخز العرق ومن مراق البطن اى مارق منها ولان خرج من وخزه الغدة وهى التى تخرج فى اللحم فيكون وخز الجنى سبب الغدة الخارجة فحصل التوفيق بين حديث الوخز و بين قوله عليه السلام غدة كغدة البعير تخرج من مراق البطن و باقى ما يتعلق بالطاعون سبق فى سورة البقرة وقد تكفل بتفاصيله رسالة الشفاء لادواء الوباء لابن طاش كبرى فارجع (يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) النداء رفع الصوت وظهوره ونداء الصلاة مخصوص فى الشرع بالالفاظ المعروفة والمراد بالصلاة صلاة الجمعة كما دل عليه يوم الجمعة والمعنى فعل النداء لها اى اذن لها والمعتبر فى تعلق الامر الآتى هو الاذان الاول فى الاصح عندنا لان حصول الاعلام به لا الاذان بين يدى المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل اقام الصلاة ثم كان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان رضى الله عنه وكثرت الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الاول على داره بالسوق يقال لها الزوراء ليسمع الناس فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثانى فاذا نزل اقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه (من يوم الجمعة) بضم الميم وهو الاصل والسكون تخفيف منه ومن بيان لاذا وتفسير لها اى لا بمعنى انها البيان الجنس على ما هو المتبادر فأن وقت النداء جزء من يوم الجمعة لا يحمل عليه فكيف يكون بيانا له بل المقصود انها البيان ان ذلك الوقت فى اى يوم من الايام اذ فيه ابهام فتجامع كونها بمعنى فى كما ذهب اليه بعضهم وكونها للتبعيض كما ذهب اليه البعض الآخر وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة فهو على هذا اسم اسلامى وقيل اول من سماه جمعة كعب بن لؤى بالهمزة تصغير لأى سماه بها لاجتماع قريش فيه اليه وكانت العرب قبل ذلك تسميه العروبة بمعنى الظهور وعروبة و باللام يوم الجمعة كما فى القاموس وقال ابن الاثير فى النهاية الافصح انه لا يدخلها الالف واللام وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجمعون فيه فى كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود و يوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة رضى الله عنه بضم الراى فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه وحين اجتمعوا ذبح لهم شاة فتعشوا وتغذوا منها لقلتهم و بقى فى اكثر القرى التى يقال فيها الجمعة عادة الاطعام بعد الصلاة الى يومنا هذا فانزل الله آية الجمعة فهى اول جمعة فى الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله عليه السلام فهى انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين امتد الضحى ومن تلك السنة يعد التاريخ الاسلامى فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة

فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن وادى لهم فقد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجدا فخطب وصلى الجمعة وهى اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله واستعينه واستهديه وأومن به ولا اكفره واعادى من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فان خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة وان يأمره بتقوى الله واحذر ما حذركم الله من نفسه فان تقوى من عمل به ومخافته من ربه عنوان صدق على ما يبغيه من الاخرة ومن يصلح الذى بينه وبين الله من امره فى السر والعلانية لا ينوى به الا وجه الله يكون له ذكرا عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد هو الذى صدق قوله وانجز وعده ولا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله فى عاجل امركم وآجله فى السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته وتوقى سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم فى كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فان من يصلح ما بينه وبين الله يكفر الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انتهت الخطبة النبوية ثم ان هذه الاية ترد لليهود فى طعنهم للعرب وقولهم لنا السبت ولا سبت لكم (فاسعوا الى ذكر الله) قال الراغب السعى المشى السريع وهو دون العدو اى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة لاشتمال كل منهما على ذكر الله وما كان من ذكر رسول الله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو فى حكم ذكر الله واما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل كما فى الكشاف وبالفارسية رغبت كنيد بدان وسعى نمايند دران وعن الحسن رحمه الله اما والله ما هو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار ولقد ذكرا لزمخشرى فى الابتكار قولا وافيا حيث قال وكانت الطرقات فى ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة اى مملوءة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وفى الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بأيديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم فاذا خرج الامام طويت الصحف واجتمعوا للخطبة والمهجر الى الصلاة كالمهدى بدنة ثم الذى يليه كالمهدى بقرة ثم الذى يليه كالمهدى شاة حتى ذكر الدجاجة والبيضة وفى عبارة السعى اشارة الى النهى عن التثاقل وحث على الذهاب بصفاء قلب وهمة لا بكسل نفس وغمة وفى الحديث اذا اذن المؤذن اى فى الاوقات الخمسة ادبر الشيطان وله حصاص وهو بالضم شدة العدو وسرعته وقال حماد بن سلمة قلت لعاصم بن أبى النجود ما الحصاص قال اما رأيت الحمار اذا اصر باذنيه اى ضمهما الى رأسه ومصع بذنبه اى حركه وضرب به وعدا اى اسرع فى المشى فذلك حصاصه وفيه اشارة الى ان ترك السعى من فعل الشيطان وهذا بالنسبة الى غير المريض والاعمى والعبد والمرأة والمقعد والمسافر فانهم ليسوا بمكلفين فهم غير منادين اى لا سعى من المرضى والزمنى والعميان وقد قال تعالى فاسعوا واما النسوان فهن امرن بالقرار فى البيوت بالنص والعبد والمسافر مشغولان بخدمة المولى والنقل قال النصر آبادى العوام فى قضاء الحوائج فى الجمعات والخواص فى السعى الى ذكره لعلمهم بأن المقادير قد جرت فلا زيادة ولا نقصان وقال بعضهم الذكر عند المذكور حجاب والسعى الى ذكر الله مقام المريدين يطلبون من المذكور محل القربة اليه والدنو منه واما المحقق فى المعرفة فقد غلب عليه ذكر الله اياه بنعت تجلى نفسه لقلبه (وذروا البيع) يقال فلان يذر الشىء اى يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه وهو وذرى اتركوا المعاملة

فالبيع مجاز عن المعاملة مطلقا كالشرآء والاجارة والمضاربة وغيرها ويجوز ابقاء البيع على حقيقته ويلحق به غيره بالدلالة وقال بعضهم النهى عن البيع يتضمن النهى عن الشرآء لانهما متضايفان لايعقلان الامعا فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر واراد الامر بترك مايذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع والشرآء من بينها لان يوم الجمعة يوم تجمع فيه الناس من كل ناحية فاذا دنا وقت الظهيرة يتكاثر البيع والشرآء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول عن ذكر الله والمضى الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لاشئ انفع منه واربح وذروا البيع الذى نفعه يسير وربحه قليل (ذلكم) اى السعى الى ذكر الله وترك البيع (خيرلكم) من مباشرته فان نفع الآخرة اجل وابقى (ان كنتم تعلمون) الخير والشر الحقيقيين روى انه عليه السلام خطب فقال ان الله افترض عليكم الجمعة فى يوم هذا وفى مقامى هذا فمن تركها فى حياتى وبعد مماتى وله امام عادل اوجائر من غير عذر فلا بارك الله له ولا جمع الله شمله الا فلا حج له الا فلا صوم له ومن تاب تاب الله عليه (فاذا قضيت الصلاة) التى نوديتم لها اى ادیت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض) لاقامة مصالحكم والتصرف فى حوائجكم اى تفرقوا فيها بأن يذهب كل منكم الى موضع فيه حاجة من الحوائج المشروعة التى لابد من تحصيلها للمعيشة فان قلت ما معنى هذا الامر فانه لو لبث فى المسجد الى الليل يجوز بل هو مستحب فالجواب ان هذا امر الرخصة لا امر العزيمة اى لاجناح عليكم فى الانتشار بعد ماادیتم حق الصلاة (وابتغوا من فضل الله) اى الربح يعنى اطلبوا لانفسكم واهليكم من الرزق الحلال بأى وجه يتيسر لكم من التجارة وغيرها من المكاسب المشروعة ويدل على هذا المعنى سبب نزول قوله واذا رأوا تجارة الخ كما سيأتى فالامر للاطلاق بعد الحظر اى للاباحة لاللايجاب كقوله واذا حللتم فاصطادوا وذكر الامام السرخسى ان الامر للايجاب لما روى انه عليه السلام قال طلب الكسب بعد الصلاة هو الفريضة بعد الفريضة وتلا قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة وقيل انه للندب فعن سعيد بن جبير اذا انصرفت من الجمعة فساوم بشئ وان لم تشتره وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن وسعيد ابن المسيب طلب العلم (كما قال الكاشفى) وكفته اند انتشار هم در زمين مسجد ست جهت رفتن بمجلس علما ومذكران وقيل صلاة التطوع والظاهر ان مثل هذا ارشاد للناس الى ماهو الاولى ولاشك فى اولوية المكاسب الاخروية مع ان طلب الكفاف من الحلال عبادة وربما يكون فرضا عند الاضطرار (واذكروا الله) بالجنان واللسان جميعا (كثيرا) اى ذكرا كثيرا اوزمانا كثيرا ولاتخصوا ذكره تعالى بالصلاة يقول الفقير انما امر تعالى بالذكر الكثير لان الانسان هو العالم الاصغر المقابل للعالم الاكبر وكل مافى العالم الاكبر فانه يذكر الله تعالى بذكر مخصوص له فوجب على اهل العالم الاصغر ان يذكروا الله تعالى بعدد اذكار اهل العالم الاكبر حتى تتقابل المرآتان وينطبق الاجمال والتفصيل فان قلت فهل فى وسع الانسان ان يذكر الله تعالى بهذه المرتبة من الكثرة قلت نعم اذا كان من مرتبة السر باشهود التام والحضور الكامل كما قال ابو يزيد البسطامى قدس سره الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور انتهى وقد يقيم الله القليل مقام الكثير كما روى ان عثمان رضى الله عنه صعد المنبر فقال الحمد لله فارتج عليه فقال ان ابابكر وعمر رضى الله عنهما كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل ومنه قال امامنا الاعظم ابوحنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار مايسمى ذكرا لله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وذلك لان الله تعالى سمى الخطبة ذكرا له على انا نقول قول عثمان ان ابابكر وعمر الخ كلام اى كلام فى باب الخطبة لاشتماله على معنى جليل فهو يجامع قول صاحبيه والشافعى لابد من كلام يسمى خطبة وهذا مما لايتنبه له احد والحمد لله على الهامه وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه الذكر طاعة الله فمن اطاع الله فقد ذكر ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح والذكر بهذا المعنى يتحقق فى جميع الاحوال قال تعالى رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله والذكر الذى امر بالسعى اليه اولا هو ذكر خاص لايجامع التجارة اصلا اذ المراد منه الخطبة والصلاة امر به اولا ثم قال اذا فرغتم منه فلاتتركوا طاعته فى جميع ماتأتونه وتذرونه (لعلكم تفلحون) كى تفوزوا بخير الدارين الحاصل ذكر وى موجب جمعيت ظاهر وباطن وسبب نجات دنيا

وآخر تست * ازذكر خدا مباش يكدم غافل * كزذكر بود خيردو عالم حاصل * ذكراست كه اهل شوق رادرهمه حال * سايش جان باشدوآرامش دل * وفى التأويلات النجمية اذا حصلت لكم ياأهل كمال الايمان الذوقى العيانى صلاة الوصلة والجمعية والبقاء والفناء فسيروا فى ارض البشرية بالاستمتاع بالشهوات المباحة والاستراحات بالروائح الفاتحة والمراتعة فى المراتع الارضية وابتغوا من فضل الله من التجارات المعنوية الرابحة واذكروا نعم الله عليكم الظاهرة من الفناء من ناسوتيتكم الظلمانية والباطنة من البقاء بلاهوتيته النورانية لعلكم تفوزون بهذه النعم الظاهرة والباطنة بارشاد الطالبين الصادقين المتوجهين الى الله بالروح الصافى والقلب الوافى قال فى الاشباه والنظائر اختص يوم الجمعة باحكام لزوم صلاة الجمعة واشتراط الجماعة لها وكونها ثلاثة سوى الامام والخطبة لها وكونها قبلها شرط وقراءة السورة المخصوصة لها وتحريم السفر قبلها بشرطه واستنان الغسل لها والطيب ولبس الاحسن وتقليم الاظفار وحلق الشعر ولكن بعدها افضل والبخور فى المسجد والتبكير لها والاشتغال بالعبادة الى خروج الخطيب ولايسن الايراد بها ويكره افراده بالصوم وافراد ليلته بالقيام وقراءة الكهف فيه ونفى كراهة النافلة وقت الاستواء على قول ابى يوسف المصحح المعتمد وهو خير ايام الاسبوع ويوم عيد وفيه ساعة اجابة وتجتمع فيه الارواح وتزار فيه القبور ويأمن الميت فيه من عذاب القبر ومن مات فيه اوفى ليلته امن من فتنة القبر وعذابه ولاتسجر فيه جهنم وفيه خلق آدم وفيه اخرج من الجنة وفيه تقوم الساعة وفيه يزوراهل الجنة ربهم سبحانه وتعالى انتهى واذا وقعت الوقفة بعرفة يوم الجمعة ضوعف الحج سبعين لان حج الوداع كان كذلك ذكره فى عقد الدرر واللآلى (واذا رأوا) اى علموا (تجارة) هى تجارة دحية بن خليفة الكلبى (او) سمعوا (لهوا) هومايشغل الانسان عمايغنيه ويهمه يقال اللهى عن كذا اذاشغله عماهو اهم والمراد هنا صوت الطبل ويقال له اللهو الغليظ وكان دحية اذاقدم ضرب الطبل ليعلم به (كما قال الكاشفى) وكاروان چون رسيدى طبل شادى زدندى كه يرمى اصحاب السفينة فى زماننا البناذق وما يقال له بالتركى طوب اوكانوا اذااقبلت العير استقبلوها اى اهلها بالطبول والدفوف والتصفيق وهوالمراد باللهوى (انفضوا اليها) الفض كسر الشئ وتفريق بين بعضه وبعض كفض ختم الكتاب ومنه استعير انفض القوم اى تفرقوا وانتشروا كافى تاج المصادر الانفضاض شكسته شدن وپراكنده شدن وحد الضمير لان العطف باولا يثنى معه الضمير وكان المناسب ارجاعه الى احد الشيئين من غير تعيين الان تخصيص التجارة بردالكناية اليها لانها المقصودة اولدلالة على ان الانفضاض اليها مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه ويجوز ان يكون التذييل للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته فاذا كان الطبل من اللهو وان كان عليها فظنك بالمزمار ونحوه وقد يقال الضمير للرؤية المدلول عليها بقوله رأوا وقرئ اليهما على ان اولى التقسيم (روى) ان دحية بن خليفة الكلبى قدم المدينة بتجارة من الشام وكان ذلك قبل اسلامه وكان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع مايحتاج اليه من برودقيق وزيت وغيرها والنبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة فلما علم اهل المسجد ذلك قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه يعنى تابيشى كيرند ازيكديكر بخريدن طعام فابقى معه عليه السلام الاثمانية اواحد عشر اواثنا عشر اوار بعون فيهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود وفى رواية عمار بن ياسر بدل عبد الله وذكر مسلم ان جابرا كان فيهم وكان منهم ايضا امرأة فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لوخرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نارا وفى عين المعانى لولا الباقون لنزلت عليهم الحجارة (وتركوك) حال كونك (قائما) اى على المنبر (روى) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان النبى عليه السلام يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس ومن ثمة كانت السنة فى الخطبة ذلك وفيه اشعار بان الاحسن فى الوعظ على المنبر يوم الجمعة القيام وان جاز القعود لانه والخطبة من واد واحد لاشتمالها على الحمد والثناء والتصلية والنصيحة والدعاء قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره ان الخطبة عبارة عن ذكر الله والموعظة للناس وكان عليه السلام مستمرا فى ذكر الله تعالى ثم لما اراد التنزل لارشاد الناس بالموعظة جلس جلسة خفيفة غايته

ان ماذكره الفقهاء من معنى الاستراحة لازم لماذكرنا وكان عليه السلام يكتفى فى الاوائل بخطبة واحدة من غيران يجلس امالانه لعظم قدره كان يجمع بين الوصاء والفرقة اولان افعاله كانت على وفق الوحى ومقتضى امر الله فيجوز ان لايكون مأمورا بالجلسة فى الاوائل ثم صار على قياس النسخ وايضا وجه عدم جلوسه عليه السلام فى الخطبة فى بعض الاوقات هوانه عليه السلام كان يرشد اهل الملكوت كما يرشد اهل الملك فحى كان ارشاده فى الملكوت لايتنزل ولايجلس ومتى كان فى الملك بان لم يكن فى مجلس الخطبة من هو من اهل الملكوت يتنزل ويجلس مجلس الملك فان معاشر الانبياء يكلمون الخلق على قدر عقولهم ومراتبهم وكان عليه السلام متى اراد الانتقال من ارشاد اهل الملك الى ارشاد اهل الملكوت يقول ارحنى يابلال ومتى اراد التنزل من ارشاد اهل الملكوت الى ارشاد اهل الملك يقول لعائشة رضى الله عنها كلمينى ياحميرآء اعلم انه كان من فضل الاصحاب رضى الله عنهم وشأنهم ان لايفعلوا مثل ماذكر من التفرق من مجلس النبى عليه السلام وتركه قائما فذكر بعضهم وهو مقاتل بن حيان ان الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة مثل العيدين فظنوا انهم قد قضوا ماكان عليهم وليس فى ترك الخطبة شئ فخولت الخطبة بعد ذلك فكانت قبل الصلاة وكان لايخرج واحد لرعاف اواحداث بعد النهى حتى يستأذن النبى عليه السلام يشير اليه باصبعه التى تلى الابهام فيأذن له النبى عليه السلام يشير اليه بيده قال الامام السهيلى رحمه الله وهذا الحديث الذى من اجله ترخصوا لانفسهم فى ترك سماع الخطبة وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب رسول الله عليه السلام موجب لانه كان صحيحا يقول الفقير هب انهم ظنوا انهم قد قضوا ماكان عليهم من فرض الصلاة فكيف يليق بهم ان يتركوا مجلس النبى عليه السلام ومن شانهم ان يستمعوا ولم يتحركوا كان على رؤسهم الطير واهل ذلك من قبيل سائر الهفوات التى تضمنت المصالح والحكم الجليلة ولولم يكن الا كونه سببا لنزول هذه الآية التى هى خير من الدنيا ومافيها لكفى وفيها من الارشاد الالهى لعباده مالايخفى (قل ماعند الله) من الثواب يعنى ثواب نماز واستماع خطبه ولزوم مجلس حضرت پيغمبر عليه السلام وماءوصولة خاطبهم الله بواسطة النبى عليه السلام لان الخطاب مشوب بالعتاب (خير) بهترست وسود مندتر (من اللهو) ازاستماع لهو (ومن التجارة) وازنفع تجارت فان نفع ذلك محقق مخلد بخلاف مافيهما من النفع المتوهم فنفع اللهو ليس بمحقق ونفع التجارة ليس بمخلد ومالبس بمخلد فى قبيل الظن الزائل وانه يعلم وجه تقديم اللهو فان للاعدام تقدما على الملكات قال البقلى وفيه تأديب المريدين حيث اشتغلوا عن صحبة المشايخ بخلواتهم وعباداتهم واطلب الكرامات ولم يعلموا ان مايجدون فى خلواتهم بالاضافة الى مايجدون فى صحبة مشايخهم لهو وقال سهل رحمه الله من شغله عن ربه شئ من الدنيا والآخرة فقد اخبر عن خسة طبعه ورذالة همته لان الله فتح له الطريق اليه واذن له فى مناجاته فاشتغل بمايفنى عما لم يزل ولايزال وقال بعضهم ماعند الله للعباد والزهاد غدا خير مما نالوه من الدنيا نقدا وماعند الله للعارفين نقدا من واردات القلوب وبوادر الحقيقة خير مما فى الدنيا والعقبى (والله خير الرازقين) لانه موجد الارزاق فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق (وقال الكاشفى) وخداى تعالى بهترين روزى دهندگانست يعنى آنانكه وسائط ايصال رزقند وقت باشد كه بخيلى كنند وشايد نيز مصلحت وقت ندانند نقلست كه يكى ازخلفاء بغداد بهلول راگفت بيا تاروزى هر روز تومقرر كنم تاوقت متعلق بدان نباشد بهلول جواب داد كه چنين ميكردم اگرچند عيب نبودى اول آنكه تودانى كه مراچه بايددوم نشناسى كه مرا كى بايدسوم معلوم نداری كه مراچند بايد وحق تعالى كافل رزق منست اين همه ميداند وازروى حكمت بمن ميرساند وديگر شايد كه برمن غضب كنى وآن وظيفه ازمن بازگيرى وحق سبحانه وتعالى بگناه ازمن روزى باز نميدارد * خدايى كه اوساخت ازنيست هست * بعصيان در رزق بركس نبست * از وخواه روزى كه بخشنده اوست * برازندهٔ كارهر بنده اوست * وقيل لبعضهم من اين تأكل فقال من خزانة ملك لايدخلها اللصوص ولايأكلها السوس وقال حاتم الاصم قدس سره لامرأته انى اريد السفر فكم اضع لك من النفقة قالت بقدر ماتعلم انى اعيش بعد سفرك فقال ومادرى كم نعيش قالت فكله الى من يعلم ذلك فلما سافر حاتم دخل النساء عليها يتوجعن لها من كونه سافر وتركها بلا نفقة فقالت انه كان اكالا ولم يكن رزاقا قال بعضهم قوله تعالى خير من اللهو وقوله خير الرازقين من قبيل الفرض والتقدير اذلاخيرية

فى اللهو ولا رازق غير الله فكان المعنى ان وجد فى اللهو خير فاعند الله اشد خيرية منه وان وجد رازقون غير الله فالله خيرهم واقواهم قوة واولاهم عطية والرزق هو المنتفع به مباحا كان او محظورا وفى التأويلات النجمية والله خير الرازقين لاحاطته على رزق النفس وهو الطاعة والعبادة بمقتضى العلم الشرعى ورزق القلب وهو المراقبة والمواظبة على الاعمال القلبية من الزهد والورع والتوكل والتسليم والرضى والبسط والقبض والانس والهيبة ورزق الروح بالتجليات والتنزلات والمشاهدات والمعاينات ورزق السر برفع رؤية الغير والغيرية ورزق الخفاء بالفناء فى الله والبقاء به وهو خير رزق فهو خير الرازقين (وفى المثنوى) هرچه ازيارت جدا اندازد آن * مشنو آنرا كه زيان دارد زيان * كر بود آن سود صد در صد مكير * بهر زر مكسل زكنجور اى فقير * آن شنوكه چند يزدان زجر كرد * كفت اصحاب نبى راكرم وسرد * زانكه در بانك دهل درسال تنك * جمعه را كردند باطل بى درنك * تانيايد ديكر آن ارزان خرند * زان سبب صرفه زما ايشان برند * ماند پيغمبر بخلوت درنماز * بادوسه درويش ثابت برنياز * كفت طبل ولهو وبازركانى * جونتان ببريد از ربانى * قد فضضتم نحو فح هائما * ثم خليتم نبيا قائما * بهر كندم تخم باطل كاشتند * وآن رسول حق رابكذا شتند * صحبت اوخير من لهو است ومال * بين كرا بكذا شتى چشمى بمال * خود نشد حرص شمارا اين يقين * كه منم رزاق وخير الرازقين * آنكه كندم راز خود روزى دهد * كى توكلهات راضايع كند * ازپى كندم جدا كشتى ازان * كه فرستادست كندم زآسمان * وفى الاحياء يستحب ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك فيقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب وفى الحديث من قال يوم الجمعة اللهم اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك سبعين مرة لم تمر به جمعتان حتى يغنيه الله رواه انس بن مالك رضى الله عنه

تمت سورة الجمعة فى ثانى صفر الخير يوم الخميس من سنة ست عشرة ومائة والف

(سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية بلا خلاف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا) چون (جاءك المنافقون) اى حضروا مجلسك وبالفارسية بتو آيند دورويان والنفاق اظهار الايمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب فالمنافق هو الذى يضمر الكفر اعتقادا ويظهر الايمان قولا وفى المفردات النفاق الدخول فى الشرع من باب والخروج منه من باب من النافقاء احدى جحرة اليربوع والثعلب والضب يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتى من قبل القاصعاء وهو الذى يدخل منه ضرب النافقاء برأسه فانتفق والنفق هو السرب فى الارض الخ قلت (قالوا) مؤكدين كلامهم بأن واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم والظاهر انه الجواب لاذا لان الآية نظير قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا وقيل جوابه مقدر مثل ارادوا ان يخدعوك وقيل استئناف لبيان طريق خدعتهم وقيل جوابه قوله فاحذرهم (نشهد) الآن او على الاستمرار (انك لرسول الله) والشهادة قول صادر عن علم حصل بشهادة بصر او بصيرة (والله يعلم انك لرسوله) اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم لكونه مطابقا للواقع ولازالة ايهام ان قولهم هذا كذب لقوله والله يشهد الخ وفيه تعظيم للنبى عليه السلام وقال ابو الليث والله يعلم انك لرسوله من غير قولهم وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله اعلم ان كل ما جاء فى القرآن بعد العلم من لفظة ان فهى بفتح الهمزة لكونها فى حكم المفرد الا فى موضعين احدهما والله يعلم انك لرسوله فى هذه السورة والثانى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فى سورة الانعام وانما كان كذلك فى هذين الموضعين لانه يأتى بعدهما لام الخبر فانكسرا اى لان اللام لتأكيد معنى الجملة ولاجله الا فى صورة المكسورة وقال بعضهم اذا دخلت لام الابتداء على خبرها تكون مكسورة لاقتضاء لام الابتداء الصدارة كما يقال لزيد قائم وتؤخر اللام لئلا يجتمع حرفا التأكيد واختير تأخيرها الترجيح ان فى تقديم اعاملية فكسرت لاجل اللام (والله يشهد) شهادة حقة (ان المنافقين لكاذبون) اى انهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم والاشعار

بعلية الحكم اى لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب فان الشهادة وضعت للاخبار الذى طابق فيه اللسان اعتقاد القلب واطلاقها على الزور مجاز كاطلاق البيع على الفاسد نظيره قولك لمن يقول انا اقرأ الحمد لله رب العالمين كذبت فالتكذيب بالنسبة الى قراءته لا بالنسبة الى المقروء الذى هو الحمد لله رب العالمين ومن هنا يقال ان من استهزأ بالمؤذن لا يكفر بخلاف من استهزأ بالاذان فانه يكفر قال بعضهم الشهادة حجة شرعية تظهر الحق ولا توجبه فهى الاخبار بما علم بلفظ خاص ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله والله يعلم الخ دلت الآية على ان العبرة بالقلب والاخلاص و بخلوصه يحصل الخلاص وكان عليه السلام يقبل من المنافقين ظاهر الاسلام واما حكم الزنديق فى الشرع وهو الذى يظهر الاسلام و يسر الكفر فانه يستتاب وتقبل توبته ولا تقبل عند ابى حنيفة والشافعى رحمهما الله قال سهل رحمه الله اقروا بلسانهم ولم يعترفوا بقلوبهم فلذلك سماهم الله منافقين ومن اعترف بقلبه واقر بلسانه ولم يعمل باركانه ما فرض الله من غير عذر ولا جهل كان كابليس وسئل حذيفة من المنافق قال الذى يصف الاسلام ولا يعمل به وهم اليوم شر منهم لانهم كانوا يومئذ يكتمونه وهم اليوم يظهرونه وفى الآية اشارة الى ان المنافقين الذامين للدنيا وشهواتها باللسان المقبلين عليها بالقلب وان كانوا يشهدون بصحة الرسالة لظهور انوارها عليهم من المعجزات والكرامات لكنهم كاذبون فى شهادتهم لاعراضهم عنه عليه السلام ومتابعته واقبالهم على الدنيا وشهواتها فحقيقة الشهادة انما تحصل بالمتابعة وقس عليه شهادة اهل الدنيا عند ورثة الرسول قال الحسن البصرى رحمه الله يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لا تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الاعمال او كلها لا ينفع كما فى احياء العلوم ولذا قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر المرء مع من احب فى الدنيا بالطاعة والادب الشرعى وفى الآخرة بالمعاينة والقرب المشهدى انتهى فاذا كانت المحبة المجردة بهذه المثابة فما ظنك بالنفاق الذى هو هدم الاس والاصل وبناء الفرع فلا اعتداد بدعوى المنافق ولا بعمله وفى التأويلات النفاقية المنافقون هم المذبذبون الذين يجذبهم الاستعداد الاصلى الى نور الايمان والاستعداد العارضى الذى حدث برسوخ الهيئات الطبيعية والعادات الرديئة الى الكفر وانهماكهم كاذبون فى شهادة الرسالة لان حقيقة معنى الرسالة لا يعلمها الا الله والراسخون فى العلم الذين يعرفون الله و يعرفون بمعرفته رسول الله فان معرفة الرسول لا تمكن الا بعد معرفة الله و بقدر العلم بالله يعرف الرسول فلا يعلم حقيقة الامن انسلخ عن علمه وصار عالما بعلم الله وهم محجوبون عن الله بحجب ذواتهم وصفاتهم وقد اطفأوا نور استعداداتهم بالغواشى البدنية والهيئات الظلمانية فانى يعرفون رسول الله حتى يشهدوا برسالته انتهى قال الشيخ ابو العباس معرفة الولى اصعب من معرفة الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى يعرف مخلوقا مثله يأكل كما يأكل و يشرب كما يشرب (اتخذوا) اى المنافقون (ايمانهم) الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم لان الشهادة تجرى مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان اشهد يمين واليمين فى الحلف مستعار من اليمين التى بمعنى اليد اعتبارا بما يفعله المحالف والمعاهد عنده واليمين بالله الصادقة جائزة وقت الحاجة صدرت من النبى عليه السلام كقوله والله والذى نفسى بيده ولكن اذا لم يكن ضرورة قوية يصان اسم الله العزيز عن الابتذال (جنة) اى وقاية وترسا مما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبى او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لابد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء فى قوله (فصدوا عن سبيل الله) يقال صده عن الامر صدا اى منعه وصرفه وصد عنه صدودا اى اعرض والمعنى فمنعوا وصرفوا من اراد الدخول فى الاسلام بانه عليه السلام لبس برسول ومن اراد الانفاق فى سبيل الله بالنهى عنه كما يحكى عنهم ولا ريب فى ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل واصل الجن ستر الشئ عن الحاسة يقال جنه الليل واجنه والجنان القلب لكونه مستورا عن الحاسة والمجن والجنة الترس الذى يجن صاحبه والجنة كل بستان ذى شجر يستر باشجاره الارض (انهم ساء ما كانوا يعملون) اى ساء الشئ الذى كانوا يعملونه من النفاق

والصد والاعراض عن سبيله تعالى وفى سماء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين (ذلك) القول الشاهد بأنهم اسوأ الناس اعمالا وبالفارسية اين حكم حق بدئ اعمال ايشان (بأنهم) اى بسبب انهم (آمنوا) اى نطقوا بكلمة الشهادة كساثر من يدخل الاسلام (ثم كفروا) اى ظهر كفرهم بماشو هد منهم من شواهد الكفر ودلائله من قولهم ان كان مايقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم فى غزوة تبوك ايطمع هذا الرجل ان يفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات فثم للتراخى او كفروا سرا ثم الاستمرار ويجوز ان يراد بهذه الآية اهل الردة منهم كما فى الكشاف (فطبع على قلوبهم) ختم عليها يعنى مهر نهاده شد حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وصارت بحيث لايدخلها الايمان جزآء على نفاقهم ومعاقبة على سوء افعالهم فليس لهم ان يقولوا ان الله ختم على قلوبنا فكيف نؤمن والطبع ان يصور الشئ بصورة ماكطبع السكة وطبع الدراهم وهو اعم من الختم واخص من النقش كما فى المفردات (فهم لايفقهون) حقيقة الايمان ولايعرفون حقيقته اصلا كما يعرفه المؤمنون والفقه لغة الفهم واصطلاحا علم الشريعة لانه الاصل فيما يكتسب بالفهم والدراية وان كان سائر العلوم ايضا لاينال الا بالفهم دل الكلام على ان ذكر بعض مساوى العاصى عند احتمال الفائدة لايعد من الغيبة المنهى عنها بل قد يكون مصلحة مهمة على ماروى عنه عليه السلام اذكروا الفاجر بمافيه كى يحذره الناس وفى المقاصد الحسنة ثلاثة ليست لهم غيبة الامام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذى يدعو الناس الى بدعته وقال القاشانى ذلك بسبب انهم آمنوا بالله بحسب بقية نور الفطرة والاستعداد ثم كفروا اى ستروا ذلك النور بحجب الرذائل وصفات نفوسهم فطبع على قلوبهم برسوخ تلك الهيئات وحصول الرين من المكسوبات فحجبوا عن ربهم بالكلية فهم لايفقهون معنى الرسالة ولاعلم التوحيد والدين (واذا رأيتهم) وچون به بينى مثلا فقا زا چون ابن ابى وامثال او الرؤية بصرية (تعجبك اجسامهم) بشكفت آردترا اجسام ايشان لضخامتها وروقك منظرهم لصباحة وجوههم واصله من العجب والشئ العجيب هوالذى يعظم فى النفس امره لغرابته والتعجب حيرة تعرض للنفس بواسطة مايتعجب منه (وان يقولوا) وچون سخن كويند (تسمع لقولهم) لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم واللام صلة وقيل تصغى الى قولهم وكان ابن ابى جسيما صبيحا فصيحا يحضر مجلس رسول الله عليه السلام فى نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن معه يعجبون بهيأتهم كلهم ويسمعون الى كلامهم فان الصباحة وحسن المنظر لايكون الا من صفاء الفطرة فى الاصل ولذا قال عليه السلام اطلبوا الخير عند حسان الوجوه اى غالبا وكم من رجل قبيح الوجه قضاء للحوائج قال بعضهم

يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه احدى الشواهد

وفى الحديث اذا بعثتم الى رجلا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم ثم لما رأى عليه السلام غلبة الرين على قلوب المنافقين وانطفاء نور استعدادهم وابطال الهيئات الدنية العارضية خواصهم الاصلية ايس منهم وتركهم على حالهم (وروى) عن بعض الحكماء انه رأى غلاما حسنا وجهه فاستنطقه لظنه ذكاء فطنته فاوجد عنده معنى فقال ماأحسن هذا البيت لوكان فيه ساكن وقال آخر طشت ذهب فيه خل (كأنهم خشب مسندة) فى جر الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هم كأنهم اوكلام مستأنف لامحل له والخشب بضمتين جمع خشبة كأكم واكمة اوجمع خشب محركة كأسد واسد وهو ماغلظ من العيدان والاسناد الاماله ومسندة للتكثير فان التسنيد تكثير الاسناد بكثرة المحال اى كأنها اسندت الى مواضع والمعنى بالفارسية كويا ايشان چوبهاء خشك شده اند بديوار بازنهاده شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله مستندين فيها باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير والانتفاع ولذا اعتبر فى الخشب التسنيد لان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف اوجدار اوغيرهما من مظان الانتفاع فكما ان مثل هذا الخشب لانفع فيه فكذا هم لا نفع فيهم وكما ان الروح النامية قد زالت عنهم فهم فى زوال استعداد الحياة الحقيقية والروح الانسانى بمثابتها يقول الفقير فيه اشارة الى ان الاستناد فى مجالس الاكابر او فى مجالس العلم من ترك الادب ولذا منع الامام مالك رحمه الله هرون الرشيد من الاستناد حين سمع منه الموطأ حكى ان ابراهيم بن ادهم قدس سره كان يصلى ليلة فأعيى فجلس ومد رجليه فهتف به هاتف اهكذا تجالس الملوك وكان الحريرى لايمد رجليه فى الخلوة ويقول حفظ الادب مع الله احق

وهذا من ادب من عرف معنى الاسم المهيمن فان من عرف معناه يكون مستحييا من اطلاعه تعالى عليه ورؤيته له وهو المراقبة عند اهل الحقيقة ومعناه علم القلب باطلاع الرب ودلت الآية وكذا قوله عليه السلام انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة على ان العبرة فى الكمال والنقصان بالاصغرين اللسان والقلب لا بالاكبرين الرأس و الجلد فان الله تعالى لا ينظر الى الصور والاموال بل الى القلوب والاعمال فرب صورة مصغرة عند الله بمثابة الذهب والمؤمن لايخلو من قلة اوعلة اوذلة ولاشك ان بالقلة يكثر الهم الذى يذيب اللحم والشحم وكذا بالعلة يذوب البدن و يطرأ عليه الذبول وفى الحديث مثل المؤمن مثل السنبلة يحركها الريح فتقوم مرة وتقع اخرى ومثل الكافر مثل الارزة لاتزال قائمة حتى تنقعر قوله الارزة بفتح الهمزة و براء مهملة ساكنة ثم زاى شجر يشبه الصنو بر يكون بالشام و بلاد الارمن وقيل هو شجر الصنو بر والانقعار ازبن بركندن شدن يعنى مثل منافق مثل صنو براست كه بلند واستوار برزمين تاكه افتادن واز بيخ برآمدن وفيه اشارة الى ان المؤمن كثير الابتلاء فى بدنه وماله غالبا فيكفر عن سيئاته والكافر ليس كذلك فيأتى بسيئاته كاملة يوم القيامة (يحسبون) يظنون (كل صيحة) كل صوت ارتفع فان الصيحة رفع الصوت وفى القاموس الصوت باقصى الطاقة وهو مفعول اول ليحسبون والمفعول الثانى قوله (عليهم) اى واقعة عليهم ضارة لهم ومراد ازصيحه هرفريادى كه برآيد وهرآوازى كه درميانه برخيزد وقال بعضهم اذا نادى منادٍ فى العسكر لمصلحة اوانفلتت دابة اوانشدت ضالة او وقعت جلبة بين الناس ظنوه ايقاعا بهم لجبنهم واستقرار الرعب فى قلوبهم والخائن خائف وقال القاشانى لان الشجاعة انما تكون من اليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منغمسون فى ظلمات صفات النفوس محتجبون باللذات والشهوات كاهل الشكوك والارتياب فذلك غلب عليهم الجبن والخور انتهى وفى هذا زيادة تحقيرلهم وتخفيف لقدرهم كما قيل اذا رأى غير شئ ظنه رجلا) وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم مايهتك استارهم و يبيح دمائهم واموالهم (هم العدو) اى هم الكاملون فى العداوة الراسخون فيها فان اعدى الاعادى العدو المكاسر الذى يكاسرك وتحت ضلوعه داء لايبرح بل يلزم مكانه ولم يقل هم الاعداء لان العدو لكونه بزنة المصادر يقع على الواحد ومافوقه (فاحذرهم) اى فاحذر ان تثق بقولهم وتميل الى كلامهم اوفاحذر مايلتهم لاعدائك وتخذيلهم اصحابك فانهم يفشون سرك للكفار (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم و يخزيهم و يميتهم على الهوان والخذلان كما قال ابن عباس رضى الله عنهما اى لعنهم قال سعدى المفتى ولاطلب هناك حقيقة بل عبارة انطلب للدلالة على ان اللعن عليهم مما لابد منه قال الطيبى يعنى انه من اسلوب التجريد كقراءة ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله ومن كفر فامتعه ياقادر و يجوز ان يكون تعليما للمؤمنين بان يدعوا عليهم بذلك ففيه دلالة على ان للدعاء على اهل الفساد محلا يحسن فيه فقاتل الله المبتدعين الضالين المضلين فانهم شر الخصماء واضر الاعداء وايراده فى صورة الاخبار مع انه انشاء معنى للدلالة على وقوعه ومعنى الانشاء بالفارسية هلاك كناد خداى ايشانرا يالعنت كناد بر ايشان وقال بعضهم اهلكهم وهو دعاء يتضمن الاقتضاء والمنابذة وتمنى الشر لهم و يقال هى كلمة ذم وتوبيخ بين الناس وقد تقول العرب قاتله الله ماشعره فيضعونه موضع التعجب وقيل احلهم محل من قاتله عدو قاهر لكل معاند (انى يؤفكون) تعجيب من حالهم اى كيف يصرفون عن الحق والنور الى ماهم عليه من الكفر والضلال والظلمة بعد قيام البرهان من الافك بفتح الهمزة بمعنى الصرف عن الشئ لان الافك بالكسر بمعنى الكذب قالوا فى التأويلات النجمية اذارأيتهم من حيث صورهم المشكلة تعجبك اجسام اعمالهم المشوبة بالرياء والسمعة الخالية عن ارواح النيات الخالصة الصافية وان يقولوا قولا بالحروف والاصوات مجردا عن المعانى المصفات تصغ الى قولهم المكذوب المردود كان صورهم المجردة عن المعنى المخيلة صورتها القوة الخالية بصورة الخشب المسندة الى جدار الوهم لاروح فيها ولامعنى يحسبون كل صيحة صاح بها صور القهر واقعة عليهم لضعف قلوبهم بمرض النفاق وعلة الشقاق هم الكاملون فى العداوة الذاتية والبغضاء الصفاتية فاحذرهم بالصورة والمعنى قاتلهم الله بالخزى والحرمان والسوء والخذلان انى يعدلون عن طريق الدين الصدق (واذا قيل لهم) عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة درمعالم آورده كه بعد ازنزول اين آيتها قوم ابن ابى وبرا كفتند

اين آيتها در بارهٔ تو نازل شده بروزد يك رسول خدا ى تا براى تو آمرزش طلبد آن منافق كردن تاب داد وكفت مرا كفتند ايمان آور آوردم تكليف كرديد كه زكاة مال بده دادم همين مانده است كه محمد را سجده مى بايد كرد آيت آمد كه واذا قيل لهم (تعالوا) اصله تعاليوا فأعل بالقلب والحذف الاان واحد الماضى تعالى باثبات الالف المقلوبة عن الياء المقلوبة عن الواو الواقعة رابعة وواحد الامر تعال بحذفها وقفا وفتح اللام واصل معنى التعالى الارتفاع فاذا امرت منه قلت تعال وتعالوا فتعالوا جمع امر الحاضر فى صورة الماضى ومعناه ارتفعوا فيقوله من كان فى مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثروا واتسع فيه حتى عم بمعنى ثم استعمل فى كل داع يطلب المجئ فى المفرد وغيره لما فيه من حسن الادب اى هلموا وائتوا وبالفارسية بايد باعتذار ومن الأدب ان لا يقال تعالى فلان او تعاليت يا فلان او انا او فلان متعال بل يأتى معنى أريد لانه مما اشتهر به الله فتعالى الله الملك الحق (يستغفر لكم رسول الله) بالجزم جواب الامر اى يدع الله لكم ويطلب منه ان يغفر بلطفه ذنوبكم ويستر عيوبكم وهو من اعمال الثانى لان تعالوا يطلب رسول الله مجرورا بالى اى تعالوا الى رسول الله ويستغفر يطلب فاعلا فاعل الثانى ولذلك رفعه وحذف من الاول اذ التقدير تعالوا اليه (لووا رؤوسهم) يقال لوى الرجل رأسه اماله والتشديد للتكثير لكثرة المحال وهى الرؤوس قال فى تاج المصادر التلوية نيك پيچانيدن اى عطفوها استكبارا چنانچه كسى ازمكر وهى روى بتابد وقال القاشانى اضرارا وتهما بالامور الظلمانية فلا يألفون النور ولا يشتاقون اليه ولا الى الكمالات الانسانية لمسخ الصورة الذاتية (ورأيتهم يصدون) من الصدود بمعنى الاعراض اى يعرضون عن القائل او عن الاستغفار (وقال الكاشفى) اعراض ميكنند ازرفتن بخدمت حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم وذلك لانجذابهم الى الجهة السفلية والزخارف الدنيوية فلا ميل فى طباعهم الى الجهة العلوية والمعانى الاخروية (وفى المثنوى) صورت رفعت بود افلاكرا * معنئ رفعت روان پاكرا * صورت رفعت براى جسمهاست * جسمها در پيش معنى اسمهاست (وهم مستكبرون) عن ذلك لغلبة الشيطنة واستيلاء القوة الوهمية واحتجابهم بالانانية وتصور الخيرية وفى الحديث (اذا رأيت الرجل لجوجا معجبا برايه فقد تمت خسارته) (سواء عليهم استغفرت لهم) كما اذا جاؤك معتذرين من جنايا تهم وفى كشف الاسرار كان عليه السلام يستغفر لهم على معنى سؤاله لهم بتوفيق الايمان ومغفرة العصيان وقيل لما قال الله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال عليه السلام لأزيدن على السبعين فأنزل الله سواء الخ وهو اسم بمعنى مستوخبر مقدم وعليهم متعلق به ومابعده من المعطوف عليه والمعطوف مبتدأ بتأويل المصدر لاخراج الاستفهام عن مقامه فالهمزة فى استغفرت للاستفهام واذا فتحت وقطعت والاصل ءاستغفرت فحذفت همزة الوصل التى هى الف الاستفعال للتخفيف ولعدم اللبس (ام لم تستغفر لهم) كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار (لن يغفر الله لهم) ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر وخروجهم عن دين الفطرة القيم (ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) الكاملين فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق او الخارجين عن دائرة المحقين الداخلين فى دائرة الباطلين المبطلين وفى الآية اشارة الى عدم استعدادهم لقبول الاستغفار لكثافة طباعهم المظلمة وغلظة جبلتهم الكدرة ولو كان لهم استعداد لقبوله لخرجوا عن محبة الدنيا ومتابعة النفس والهوى الى موافقة الشرع ومتابعة الرسول والهدى ولما بقوا فى ظلمة الشهوات الحيوانية والاخلاق البهيمية والسبعية (قال الحافظ) عاشق كه شد كه يار بحالش نظر نكرد * اى خواجه درد نيست وكرنه طبيب هست * ومنه يعلم ان الجذبة من جانب المرشد وان كان لها تأثير عظيم لكن اذا كان جانب المريد خاليا عن الارادة لم ينفعه ذلك الا ترى ان استغفار النبى عليه السلام ليس فوقه شئ مع انه لم يؤثر فى الهداية واصل هذا عدم اصابة رشاش النور فى عالم الارواح ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور (حكى) ان شيخا مر مع مريد له خدمه عشرين سنة على قرية فيها شيخ فان يضرب الطبل فأشار اليه الشيخ فطرح الطبل وتبعه حتى اذا كانوا على ساحل البحر ألقى الشيخ سجادته على البحر وقعد عليها مع الطبال وبقى المريد العتيق فى الساحل يصيح كيف ذلك فقال الشيخ هكذا قضاء الله تعالى (هم الذين يقولون) اى للانصار وهو استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم اولعدم مغفرته تعالى لهم وهو حكاية نص كلامهم (لا تنفقوا) لا تعطوا النفقة

التى يتعيش بها (على من عند رسول الله) يعنون فقرآء المهاجرين وقولهم رسول الله امالله هزؤ والتهكم اولكونه كاللقب له عليه السلام واشتهاره به فلو كانوا مقرين برسالته لماصدر عنهم ماصدر ويجوزان ينطقوا بغيره لكن الله تعالى عبر به اكراما له واجلالا (حتى ينفضوا) اى يتفرقوا عنه ويرجعوا الى قبائلهم وعشائرهم (وقال الكاشفى) تامتفرق كردند غلامان بزند خواجكان روند و بسران بدران پيوندند * والانفضاض شكسته شدن و پراكنده شدن وانماقالوه لاحتجابهم بافعالهم عن رؤية فعل الله وبما فى ايديهم عما فى خزائن الله فيتوهمون الانفاق منهم لجهلهم (ولله خزآئن السموات والارض) ردوابطال لمازعموا من ان عدم انفاقهم يؤدى الى انفضاض الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان خزآئن الارزاق بيدالله خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ومن تلك الخزائن المطر والنبات قال الراغب قوله تعالى ولله خزآئن السموات والارض اشارة منه الى قدرته تعالى على مايريد ايجاده اوالى الحالة التى اشير اليها بقوله عليه السلام فرغ ربكم من الخلق والاجل والرزق والمراد من الفراغ اتمام القضاء فهو مذكور بطريق التمثيل يعنى اتم قضاء هذه الكليات فى علمه السابق والخزآئن جمع خزانة بالكسر كعصائب وعصابة وهى مايخزن فيه الاموال النفيسة وتحفظ وكذا المخزن بالفتح وقد سبق فى قوله تعالى وان من شئ الاعندنا خزآئنه (ولكن المنافقين لايفقهون) ذلك لجهلهم بالله وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر مايقولون * خواجه پندارد كه روزى اودهد * لاجرم براين وآن منت نهد * زان سببها اويكى شدبس اكر * كم شود هستند اسباب دكر * حكم روزى برسببها مى نهد * بى سببها نيز روزى ميدهد * قال رجل لحاتم الاصم رحمه الله من اين تأكل قال من خزانة ربى فقال الرجل ايلق عليك الخبز من السماء فقال لولم تكن الارض له فيها خزائن لكان يلقى على الخبز من السماء فقد خلق الله فى الارض الاسباب ومنها فتح الابواب قال بعض الكبار مراعاة حق ام الولد من الرضاع اولى من مراعاة ام الولادة لان ام الولادة حملته على جهة الامانة فكون فيها وتغذى بدم طمثها من غير ارادة لها فى ذلك فما تغذى الا بما لولم يخرج منها لاهلكها وامرضها فالجنين المنة على امه فى ذلك واما المرضعة فانما قصدت برضاعه حياته وابقاءه ولهذا المعنى الذى اشرنا اليه جعل الله المرضعة لموسى ام ولادته حتى لايكون لامرأة عليه فضل غيرامه فلما كبر وبلغ اقامة الحجة عليه جعله الله كلا على بنى اسرائيل امتحانا له فقلق من تغير الحال عليه وقال يارب اغننى عن بنى اسرائيل فاوحى الله اليه اما ترضى ياموسى ان افرغك لعبادتى واجعل مؤونتك على غيرك فسكت ثم سأل ثانيا فاوحى الله اليه لايليق بنبى ان يرى فى الوجود شيأ لغيرسيده فكل من رزق ربك ولامنة لاحد عليك فسكت ثم سأل ثالثا فاوحى الله اليه ياموسى اذا كانت هذه شكاسة خلقك على بنى اسرائيل وانت محتاج اليهم فكيف لو اغنيتك عنهم فاسأل بعد ذلك شيأ فالله تعالى يوصل الرزق الى عبده يد من يشاء من عباده مؤمنا اوكافرا وكل ذلك من الحلال الطيب اذالم يسبق اليه خاطرة اوتعرض ما ولامنة لاحد عليه وانما من الجاهل وابتلاؤه تعالى لاوليائه بالفقر ليس من عدم قدرته على الاعطاء والاغناء ولامن عدم محبته لهم وكرامتهم عنده بل هو من انعامه عليهم ليكونوا ازهد الناس فى الدنيا واوفر اجرا فى الآخرة ولذا قال عليه السلام فى حق فقرآء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة بار بعين خريفا وكان عليه السلام يستفتح بخصمها لبك المهاجرين اى فقرآئهم لقدرهم وقبولهم وجاههم عندالله تعالى على ان الاغنياء ان خصموا بوجود الارزاق فالفقرآء خصموا بشهود الرزاق وهو خيرمنه وصاحبه انعم فمن سعد بوجود الرزاق لم يضره ماعاته من وجود الارزاق قال الجنيد قدس سره خزائنه فى السموات الغيوب وخزائنه فى الارض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع على القلوب وما انفصل من القلوب صار الى الغيوب والعبد مرتهن بشبئين تقصير الخدمة وارتكاب الزلة وقال الواسطى قدس سره من طالع الاسباب فى الدنيا ولم يعلم ان ذلك يحجبه عن التوفيق فهو جاهل وفى التأويلات النجمية ولله خزآئن الارزاق السماوية من العلوم والمعارف والحكم والعوارف المخزونة لخواص العباد يرزقهم حيث يشاء ولله خزائن الارزاق الارضية من المأكولات والمشروبات والملبوسات والخيول والبغال المخزونة لعوام العباد ينفق عليهم من حيث لايحتسبون ولكن المنافقين بسبب افسادا ستعدادهم وعدم نور اثيتهم

وغلبة ظلمانيتهم مايفهمون الاسرار الالهية والاشارات الربانية (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتى بنى المصطلق وهم بطن من خزاعة على المريسيع مصغر مرسوع وهو ماء لهم فى ناحية قديد على يوم من الفرع بالضم موضع من اضخم اعراض المدينة وهزمهم وقتل منهم واستاق التى بعير وخمسة الاف شاة وسبى مائتى اهل بيت اواكثر وكانت فى السبى جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق اعتقها النبى عليه السلام وتزوجها وهى ابنة عشرين سنة ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد الغفارى رضى الله عنه وهو اجير لعمر رضى الله عنه يقود فرسه وسنان الجهنى المنافق حليف ابن ابى رئيس المنافقين واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاه جعال بالكسر من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابى فقال لجعال وانت هناك قال ماصحبنا محمدا الا لنلطم والله ماثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا من هذا السفر الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين فاسند القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال ابن ابى اسكت فانما كنت العب فأخبر زيد رسول الله بما قال ابن ابى فتغير وجه رسول الله فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال اذا ترغم انوفنا كثيرة بيثرب يعنى المدينة ولعل تسميته لها بذلك ان كان بعد النهى لبيان الجواز قال عمر رضى الله عنه فان كرهت ان يقتله مهاجرى فأمره انصاريا فقال اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه السلام لابن ابى انت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى انزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فقال الحاضرون شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه كلام غلام وعسى ان يكون قد وهم فروى ان رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت هذه الآية لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك ياغلام ان الله صدقك وكذب المنافقين ورد الله عليهم مقالتهم بقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) اى ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لالغيرهم كما ان المذلة والهوان للشيطان وذويه من المنافقين والكافرين * وعن بعض الصالحين وكان فى هيئة رثة الست على الاسلام وهو العز الذى لاذل معه والغنى الذى لافقر معه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها اى كبرا فقال ليس ذلك بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية وقال بعض الكبار من كان فى الدنيا عبدا محضا كان فى الآخرة ملكا محضا ومن كان فى الدنيا يدعى الملك لشئ ولو من جوارحه نقص من ملكه فى الآخرة بقدر ماادعاه فى الدنيا فلا اعز فى الآخرة ممن بلغ فى الدنيا غاية الذل فى جناب الحق ولا اذل فى الآخرة ممن بلغ فى الدنيا غاية العزة فى نفسه ولو كان مصفوعا فى الاسواق ولا أريد بعز الدنيا أن يكون من جهة الملوك فيها انما أريد أن يكون صفته فى نفسه العزة وكذا القول فى الذلة وقال الواسطى رحمه الله عزة الله أن لا يكون شئ الا بمشيئته وارادته وعزة المرسلين انهم آمنون من زوال الايمان وعزة المؤمنين انهم آمنون من دوام العقوبة وقال عزة الله العظمة والقدرة وعزة الرسول النبوة والشفاعة وعزة المؤمنين التواضع والسخاء والعبودية دل عليه قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اى لا افتخر بالسيادة بل مفتخر بالعبودية وفيها عزتى اذ لا عزة الا فى طاعة الله ولا ذل الا فى معصية الله وقال بعضهم عزة الله قهره من دونه وعزة رسوله بظهور دينه على سائر الأديان كلها وعزة المؤمنين باستذلالهم اليهود والنصارى كما قال وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقيل عزة الله الولاية لقوله تعالى هنالك الولاية لله الحق وعزة رسوله الكفاية لقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وعزة المؤمنين الرفعة لقوله تعالى وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين يقول الفقير أشار تعالى بالترتيب الى ان العزة له بالاصالة والدوام وصار الرسول عليه السلام مظهرا له فى تلك الصفة ثم صار المؤمنون مظاهر له عليه السلام فيها فعزة الرسول بواسطة عزة الله وعزة المؤمنين بواسطة عزة الرسول سواء أعاصروه عليه السلام ام أتوا بعده الى ساعة القيام وجميع العزة لله لان عزة الله له تعالى صفة وعزة الرسول وعزة المؤمنين

لله فعلا ومنة وفضلا كما قال القشيري قدس سره العزالذى للرسول وللمؤمنين هو لله تعالى خلقا وملكا وعزه سبحانه له وصفا فاذا العزة كلها لله وهو الجمع بين قوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا وقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومن ادب من عرف انه تعالى هوالعزيز ان لايعتقد لمخلوق اجلالا ولهذا قال عليه السلام من تواضع لغنى لاجل غناه ذهب ثلثا دينه قال ابوعلى الدقاق رحمه الله انما قال ثلثا دينه لان التواضع يكون بثلاثة اشياء بلسانه و بدنه وقلبه فاذا تواضع له بلسانه و بدنه ولم يعتقد له العظمة بقلبه ذهب ثلثا دينه فان اعتقدها بقلبه ايضا ذهب كل دينه ولهذا قيل اذا عظم الرب فى القلب صغر الخلق فى العين ومتى عرفت انه معز لم تطلب العز الامنه ولايكون العز الا فى طاعته قال ذوالنون قدس سره لو اراد الخلق ان يثبتوا لأحد عزا فوق ماياثبته بسير طاعته لم يقدروا ولو ارادوا ان يثبتوا لاحد ذلة اكثر مما يثبته اليسير من ذلته ومخالفته لم يقدروا (حكى) عن بعضهم انه قال رأيت رجلا فى الطواف وبين يديه خدم يطردون الناس ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يتكفف ويسأل فحدقت النظر اليه لأتعرفه هل هو ذلك الرجل اولا فقال لى مالك تطيل النظر الى فقلت انى اشبهك برجل رأيته فى الطواف من شأنه كذا وكذا فقال اناذاك انى تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى فى موضع يترفع فيه الناس (ولكن المنافقين لايعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون مايهذون ولعل ختم الآية الاولى بلا يفقهون والثانية بلا يعلمون للتفنن المعتبر فى البلاغة مع ان فى الاول بيان عدم كياستهم وفهمهم وفى الثانى بيان حماقتهم وجهلهم وفى برهان القرآن الاول متصل بقوله ولله خزائن السموات والارض وفيه غموض يحتاج الى فطنة والمنافق لافطنة له والثانى متصل بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون ان الله معز اوليائه ومذل اعدائه (روى) ان عبد الله بن ابى لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابى وكان مخلصا وسل سيفه ومنع اباه من الدخول وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال عليه السلام لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا ولما كان عليه السلام بقرب المدينة هاجت ريح شديدة كادت تدفن الراكب فقال عليه السلام مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة اى لاجل ذلك عصفت الريح فكان كما قال مات فى ذلك اليوم زيد بن رفاعة وكان كهفا للمنافقين وكان من عظمائهم فينقاع وكان ممن اسم ظاهر او الى ذلك اشار الامام السبكى فى ثائيته بقوله

وقد عصفت ريح فأخبر انها * لموت عظيم فى اليهود بطيبة

ولما دخلها ابن ابى لم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات و استغفر له رسول الله وألبسه قميصه فنزل ان يغفر الله لهم وروى انه مات بعد القفول من غزوة تبوك قال بعض الكبار ما أمر الله عباده بارفق بالخلق والشفقة الا تأسيا به تعالى فيكونون مع الخلق كما كان الحق معهم فينصحونهم ويداونهم على كل ما يؤدى الى سعادتهم وليس بيد العبد الا التبليغ قال تعالى ماعلى الرسول الا البلاغ فعلى العارف ايضاح هذا الطريق الموصل الى هذا المقام والافصاح عن دسائسه وليس بيده اعطاء هذا المقام فان ذلك خاص بالله تعالى قال تعالى انك لاتهدى من احببت فوظيفة الرسل والورثة من العلماء انما هو التبليغ بالبيان والافصاح لاغير ذلك وجزاؤهم جزاء من اعطى ووهب والدال على الخير كفاعل الخير وفى التأويلات النجمية ولله العزة اى القوة لله الاسم الاعظم ولرسول القلب المظهر الاتم الاعم ولمؤمنى القوى الروحانية ولكن منافقى النفس والهوى وصفتهما الظلمانية الكدرة لايعلمون لاستهلاكهم فى الظلمة وانغماسهم فى الغفلة (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا صادقا (لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) فى الصحاح لهيت عن الشئ بالكسر الهى لهيا ولهيانا اذا سلوت وتركت ذكره واضربت عنه وفى القاموس لها كدعا سلا وغفل وترك ذكره كتلهى والهاه اى شغله ولهوت بالشئ بالفتح ألهو لهوا اذا لعبت به والمعنى لايشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود ففى ذكر الله مجاز اطلق المسبب وأريد السبب قال بعضهم الذكر بالقلب خوف الله وباللسان قراءة القرآن والتسبيح والتهليل والتمجيد والتكبير وتعلم علم الدين وتعليمه وغيرها وبالابدان الصلاة وسائر الطاعات والمراد نهيهم عن التلهى بها اى عن ترك ذكر الله بسبب الاشتغال بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة بالتجوز بالسبب

عن المسبب كقوله تعالى فلا يكن فى صدرك حرج وقد ثبت ان المجاز ابلغ وقال بعضهم هو كناية لان الانتقال من لاتلهكم الى معنى قولنا لا تلهوا انتقال من اللازم الى الملزوم وقد كان المنافقون بخلاء باموالهم واذا قالوا لاتنفقوا على من عند رسول الله ومتعززين بأولادهم وعشائرهم مشغولين بهم وباموالهم عن الله وطاعته وتعاون رسوله فنهى المؤمنون ان يكونوا مثلهم فى ذلك (ومن يفعل ذلك) اى التلهى بالدنيا عن الدين والاشتغال بما سواه عنه ولو فى اقل حين (فاولئك هم الخاسرون) اى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (قال الكاشفى) مقضاى ايمان آنست كه دوستى خداى تعالى غالب بود بردوستى هيچ اشياء احدى كه اكر تمام نوال دنيا ومجموع نعم آخرت روى عرض نمايند بنظر رهيچ كدام نكرد * چشم دل از نعيم دوعالم به بسته ايم * مقصود ما زدنى وعقبى توئى وبس * وفى الحديث ما طلعت الشمس الا ويجنبيها ملكان ينادبان ويسمعان الخلائق غير الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى وفى الآية اشارة الى كل ارباب الايمان الحقيقى الشهودى يقول الله لهم لاتشغلكم رؤية اموال اعمالكم الصالحة من الصلاة والزكاة والحج والصوم ولا اولاد الاحوال التى هى نتيجة الاعمال من المشاهدات والمكاشفات والمواهب الروحانية والعطايا الربانية عن ذكر ذاته وصفاته واسمائه وظهوره فى صورة الاعمال والاحوال ومن يفعل ذلك فانما يشغل بالخلق عن الحق ويحجب بالنعمة عن المنعم فاولئك هم الخاسرون خسروا رأس مال التجارة وماربحوا الا الخسران وهو حجاب عن المشهود الحقيقى قال بعضهم فى الآية بيان ان من لم يبلغ درجة التمكين فى المعرفة لايجوز له الدخول فى الدنيا من الاهل والمال والولد فانها شواغل قلوب الذاكرين عن ذكر الله ومن كان منهم فى المعرفة وقرب المذكور فذكره قائم بذكر الله اياه فيكون محفوظا من الخطرات المذمومة والشاغلات الحاجبة واما الضعفاء فلا يخرجون من بحر هموم الدنيا فاذا باشرت قلوبهم الحظوظ والشهوات لايكون ذكرهم صافيا عن كدورات الخطرات وقال سهل قدس سره لايشغلكم اموالكم ولا اولادكم عن اداء الفرائض فى اول مواقيتها فان من شغله عن ذكر الله وخدمته عرض من عروض الدنيا فهو من الخاسرين (وانفقوا مما رزقناكم) اى بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة يعنى حقوق واجب را اخراج نمايد فالمراد هو الانفاق الواجب نظرا الى ظاهر الامر كما فى الكشاف ولعل التعميم اولى وانسب بالمقام (من قبل أن يأتى احدكم الموت) بأن يشاهد دلائله وبعاين امارته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما تقدم والتشويق الى ما تأخر ولم يقل من قبل ان يأتيكم الموت فتقولوا اشارة الى ان الموت يأتيهم واحدا بعد واحد حتى يحيط بالكل (فيقول) عند تيقنه بحلوله (رب) اى آفريدكار من (لولا اخرتنى) هلا امهلتنى فلولا للتحضيض وقيل لازائدة للتأكيد ولولتمنى بمعنى لو اخرتنى (الى اجل قريب) اى امد قصير وساعة اخرى قليلة وقال ابو الليث يا سيدى ردنى الى الدنيا وابقنى زمانا غير طويل وفى عين المعانى مثل ما اجلت لى فى الدنيا (فاصدق) تا تصدق كنم وزكاة ادا نمايم وهو يقطع الهمزة لانها للتكلم وهمزته مقطوعة وبتشديد الصاد لان اصله اتصدق من التصدق فادغمت التاء فى الصاد وبالنصب لانه مضارع منصوب بان مضمرة بعد الفاء فى جواب التمنى فى قوله لولا اخرتنى (واكن من الصالحين) بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتنى اصدق واكن وفيه اشارة الى ان التصدق من اسباب الصلاح والطاعة كما ان تركه من اسباب الفساد والفسق والفرق بين التصدق والهدية ان التصدق للمحتاج بطريق الترحم والهدية للحبيب لاجل المودة ولذا كان عليه السلام يقبل الهدية لا الصدقة فرضا كانت او نفلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما من كان له مال يجب فيه الزكاة فلم يزكه او مال يبلغه الى بيت الله فلم يحج يسأل عند الموت الرجعة فقال رجل اتق الله يا ابن عباس انما سألت الكفار الرجعة قال ابن عباس رضى الله عنهما انى اقرأ عليك هذا القرآن فقال يا ايها الذين آمنوا الى قوله فأصدق واكن من الصالحين فقال الرجل يا ابن عباس وما يوجب الزكاة قال مائتا درهم فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة فالآية فى المؤمنين واهل القبلة لكن لاتخلو عن تعريض بالكفار وان تمنى الرجوع الى الدنيا لايختص بالكفار بل كل قاصر مفرط يتمنى ذلك قال بعض العلماء فى الآية دلالة على وجوب تعجيل الزكاة لان اتيان الموت محتمل فى كل ساعة وكذا غيرها من الطاعات اذا جاء وقتها لعل الاولى استحبابه

فى اغلب الاوقات ولذا اختار بعض المجتهدين اول الوقت عملا بقوله عليه السلام اول الوقت رضوان الله اى لان فيه المسارعة الى رضى الله والاهتمام بالعمل اذ لا يدرى المرء ان يدرك آخر الوقت (ولن يؤخر الله نفسا) اى ولن يمهلها مطيعة او عاصية صغيرة او كبيرة (اذا جاء اجلها) اى آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره يعنى چون عمر بآخر رسيد چيزى بر آن نيفزايند وازان كم نكنند (قال الشيخ سعدى) كه بك لحظه صورت نه بندد امان * چو پيمانه پر شد بدور زمان * واستنبط بعضهم عمر النبى عليه السلام من هذه الآية فالسورة رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقده قال بعضهم الموت على قسمين اضطرارى وهو المشهور فى العموم والعرف وهو الاجل المسمى الذى قيل فيه اذا جاء اجلهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والموت الآخر موت اختيارى وهو موت فى الحياة الدنيا وهو الاجل المقضى فى قوله ثم قضى اجلا ولا يصح للانسان هذا الموت فى حياته الا اذا وحد الله تعالى توحيد الموتى الذين انكشفت لهم الاغطية وان كان ذلك الكشف فى ذلك الوقت لا يعطى سعادة الا لمن كان من العامة عالما بذلك فاذا انكشف الغطاء يرى ما علم عينا فهو سعيد فصاحب هذا التوحيد ميت لا ميت كالمقتول فى سبيل الله نقله الله الى برزخ لا عن موت فالشهيد مقتول لا ميت وكذلك هذا المعنى به لما قتل نفسه فى الجهاد الاكبر الذى هو جهاد النفس رزقه الله تعالى حكم الشهادة فولاه النيابة فى البرزخ فى حياته الدنيا فوته معنوى وقتله مخالفة نفسه (والله خبير بما تعملون) فجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا للماوآت قال القاشانى قضية الايمان غلبة حب الله على محبة كل شئ فلا تكن محبتهم ومحبة الدنيا من شدة التعلق بهم وبالاموال غالبة فى قلوبكم على محبة الله فتحجبون بهم عنه فتصيرون الى النار فتخسرون نور الاستعداد الفطرى باضاعته فيما يفنى سريعا وتجردوا عن الاموال بانفاقها وقت الصحة والاحتياج اليها لتكون فضيلة فى انفسكم وهيئة نورية لها فان الانفاق انما ينفع اذا كان عن ملكة السخاء وهيئة التجرد فى النفس فاما عند حضور الموت فالمال للوارث لا له فلا ينفعه انفاقه وليس له الا التحسر والندم وتمنى التأخير فى الاجل بالجهل فانه لو كان صادقا فى دعوى الايمان وموقنا بالآخرة لتيقن ان الموت ضرورى وانه مقدر فى وقت معين قدره الله فيه بحكمته فلا يمكن تأخره ولتدارك امره قبل حلول المنية فانه لا يدرى المرء كيف تكون العاقبة ولذا قيل لا تغتر بلباس الناس فان العاقبة مبهمة * مسكين دل من كرچه فراوان داند * درد انش عاقبت فرومى ماند * وفى الحديث (لان يتصدق المرء فى حياته بدرهم خير من ان يتصدق بمائة عند موته وقال عليه السلام الذى يتصدق عند موته او يعتق كالذى يهدى اذا شبع وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رجل يا رسول الله اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تتصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان يعنى اهمال نكنى تا آن زمان كه جان بحلقوم رسد كوبى فلان را اين وفلانرا اين باشد وخود ازان فلان شود به مرك تو (روى) الامام الغزالى رحمه عن عبد الله المزنى انه قال جمع رجل من بنى اسرائيل مالا كثيرا فلما اشرف على الموت قال لبنيه اثنونى باصناف اموالى فاتى بشئ كثير من الخيل والابل والدقيق وغيره فلما نظر اليها بكى عليها تحسرا فراه ملك الموت وهو يبكى فقال ما يبكيك فوالذى خولك ما خولك ما انا بخارج من منزلك حتى افرق بين روحك وبدنك قال فامهلة حتى افرقها قال هيهات انقطع عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور اجلك فقبض روحه قال السلطان ولد قدس سره * بكذار جهان را كه جهان آن تو نيست * وبن دم كه همى زنى فرمان تو نيست * كرمال جهان جمع كنى شاد مشو ورتكيه بجان كنى جان آن تو نيست * وفى الآية اشارة الى اتفاق الوجود المجازى الخلقى بالارادة الروحانية لنيل الوجود الحقيقى من غير ان يأتى الموت الطبيعى بلا ارادة فيموت ميتة جاهلية من غير حياة ابدية لان النفس لم تزل جاهلة غير عارفة بربها ولا شك ان الحياة الطيبة انما هى فى معرفة الله وهى لا تحصل الا بموت النفس والطبيعة وحياة القلب والروح فمن لم يكن على فائدة من هذا الموت الارادى بتمنى الرجوع الى الدنيا عند الموت الطبيعى لتصدق الوجود المجازى بالارادة والرغبة والكون من الصالحين لقبول الوجود الحقيقى وكل من كان مستعدا لبذل الوجود الاضافى لقبول الوجود الاطلاقى وجاء زمانه باستيفائه احكام الشريعة الزهراء

واستقصائه آداب الطريقة البيضاء لا يمكن له على الحجاب والاحتجاب كما اذا جاز ان نفخ الروح في الجنين باستكمال المدة يشتعل بنور الروح البتة اللهم الا ان تعرض آفة تمنعه عن ذلك والله خبير بما تعملون من بذل الوجود الامكاني ونيل الوجود الواجبي الحقاني كما قال تعالى اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة جعلنا الله واياكم من الباذلين وجوده والمستفيضين منه تعالى فضله وجوده وان يختم لنا بالخير بان يوفقنا للاعراض عن الغير

تمت سورة المنافقين بعون الله المعين في اوائل شهر ربيع الاول من شهور سنة ست عشرة ومائة والف

(سورة التغابن مختلف في كونها مكية او مدنية وآيها ثمان عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات) من الروحانيات (وما في الارض) من الجسمانيات اى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا والمراد اما تسبيح الاشارة الذى هو الدلالة فتعم ما كل حي وجماد او تسبيح العبارة الذى هو ان يقول سبحان الله فتعمهما ايضا عند اهل الله وعن بعضهم سمعت تسبيح الحيتان في البحر المحيط يقلن سبحان الملك القدوس رب الاوقات والارزاق والحيوانات والنباتات ولولا حياة كل شئ من رطب و يابس ما اخبر عليه السلام انه يشهد للمؤذن وكم بين الله ورسوله مما جميع المخلوقات عليه من العلم بالله والطاعة له والقيام بحقه فآمن بعضهم وصدق وقبل ما اضافه الله الى نفسه وما اضاف اليه رسوله وتوقف بعضهم فلم يؤمنوا ولم يسمعوا وتأولوا الامر بخلاف ما هو عليه وقصدهم بذلك ان يكونوا من المؤمنين وهم في الحقيقة من المكذبين لترجيحهم حسهم على الايمان بما عرفه لهم ربهم لما لم يشاهدوا ذلك مشاهدة عين وعن بعض العارفين في الآية اى يسبح وجودك بغير اختيارك وانت غافل عن تسبيح وجودك وذلك ان وجودك قائم في كل لحظة بوجوده يحتاج الى كينونة بتكوينه اياه ان قلبك ولسانك اذا شتغل بذكر غيرنا وفي الحقيقة لم يتحرك الوجود الا بامره ومشيئته وتلك الحركة اجابة داعي القدم في جميع مراده وذلك محض التقديس ولكن لا يعرفه الا العارف بالوحدانية (له الملك) الدائم الذى لا يزول وهو كمال القدرة ونفاذ التصرف و بالفارسية مرو راست پادشاهى كه ارض وسما وما بينهما بيا فريد (وله الحمد) اى حمد الحامدين وهو الثناء بذكر الاوصاف الجميلة والافعال الجزيلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على تأكيد الاختصاص وازاحة الشبهة بالكلية فان اللام مشعر باصل الاختصاص قدم او اخر اى له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه المتصرف فيه كيف يشاء وهو المولى لاصول النعم وفروعها ولولا انه انعم بها على عباده لما قدر احد على ادنى شئ فالمؤمنون يحمدونه على نعمه وله الحمد في الاولى والآخرة واما ملك غيره فاستراعاء من جنابه وتسليط منه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده فلا بشر ملك وحمد من حيث لصورة لا من حيث الحقيقة * باغير او اضافة شاهى بود چنان * بريك دوچوب پاره زشطرنج نام شاه (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء فهو القادر على الايجاد والاعدام والاسقام والابراء والاعزاز والاذلال والتبييض والتسويد ونحو ذلك من الامور الغير المتناهية قال بعضهم قدرة الله تصلح للخلق وقدرة العبد تصلح للكسب فالعبد لا يوصف بالقدرة على الخلق والحق لا يوصف بالقدرة على الكسب فمن عرف انه تعالى قادر خشى من سطوات عقوبته عند مخالفته وامل لطائف نعمته ورحمته عند سؤال حاجته لا بوسيلة طاعته بل بكرمه ومنته وفي التأويلات النجمية ينزه ذاته المقدسة عن الامثال والاضداد والاشكال والانداد ما في سموات القوى الروحانية وما في ارض القوى الجسمانية له ملك الوجود المطلق وله الحمد على نعمة ظهوره في الوجود المقيد وهويته المطلقة قادرة على ظهورها بالاطلاق والتقييد وهي في عينها منزهة عنهما وهما نسبتان اعتباريتان (هو الذى خلقكم) خلقا بديعا حاويا لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك (فمنكم كافر) اى فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له حسبما تقتضيه خلقته و يندرج فيه المنافق لانه كافر مضمر وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليهما من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا قال في فتح الرحمن الكفر

فعل الكافر والايمان فعل المؤمن والكفر والايمان اكتساب العبد لقول النبي عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة وقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر عليه ذلك وعلمه منه وهذا طريق اهل السنة انتهى وفي الآية رد للدهرية والطبيعية فانهم ينكرون خالقية الله تعالى والخالق هو المخترع للاعيان المبدع لها (حكي) ان سنيا ناظر معتزليا في مسألة القدر فقطف المعتزلي تفاحة من شجرة وقال للسني ابس انا الذي قطفت هذه فقال له السني ان كنت الذي قطفتها فردها على ماكانت عليه فافحم المعتزلي وانقطع وانما الزمه بذلك لان القدرة التي يحصل بها الايجاد لا يدان تكون صالحة للضدين فلو كان تفريق الاجزاء بقدرته لكان في قدرته وصلها ومن ادب من عرف انه سبحانه هو المنفرد بالخلق والايجاد ان لا يجحد كسب العبد ولا يطوي بساط الشرع في الابتلاء بالامر والنهي ولا يعتقد ان للعبد على الله حجة بسبب ذلك (حكي) ان بعض الاكابر تعجب من تجاسر الملائكة في قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ثم قال ما عليهم شيء هو انطقهم فبلغ قوله يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه فقال صدق هو انطقهم ولكن انظر كيف افحمهم بين بذلك ان مجرد الخلق من جهة الحق لا يكون عذرا للعبد في سقوط اللوم عنهم (ومنكم مؤمن) مختار الايمان كاسب له ويندرج فيه مرتكب الكبيرة الغير التائب والمبتدع الذي لا تفضي بدعته الى الكفر وتقديم الكفر عليه لانه الانسب بمقام التوبيخ والاغلب فيما بينهم ولذا يقول الله في يوم الموقف يا آدم اخرج بعث النار يعني ميز اهلها المبعوث اليها قال ومابعث النار اي عدده قال الله من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وفي التنزيل ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وقليل من عبادي الشكور والايمان اعظم شعب الشكر (روي) ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقاله عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور فانما ادعو ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر يقول الفقير هذا القول من عمر من قبيل كسر النفس واستقصار العلم والمعرفة واستقلالهما على ما هو عادة الاكمل فلا يخفى كماله في الدين والمعرفة حتى يكون ذلك سببا لجرحه في باب الخلافة كما استدل به الطوسي الخبيث على ذلك في كتاب التجريد له وفي الحديث الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت مؤمنا ومن هنا قال بعضهم قوم طلبوه فخذلهم وقوم هربوا منه فادركهم ابراهيم خواص قدس سره كفت در بادیه وقتی بتجريدمی رفتم پیری رادیدم در کوشهٔ نشسته وکلاهی برسر نهاده وبرناری وخواری می گریست کفتم یاهذا تو کیستی کفت من ابومره ام کفتم چرامی گریی کفت کیست بکریستن سزاوار تراز من جهل هزار سال بدان درگاه خدمت کرده ام ودر رافق اعلی از من مقدم تر کس نبود اکنون تقدیر الهی وحکم غیبی نگر که مرا بچه روز آورد آنکه کفت ای خواص نکرتا بدین جهد وطاعت خویش غره نباشی که بعنایت واختیار اوست نه بجهد وطاعت بنده بمن یك فرمان آمد که آدم راسجده کن نکردم وآدم رافرمان آمد که ازان درخت مخور خورد ودر کار آدم عنایت بود عذرش بنهادند وزلت اودر حساب نیاوردند ودر کار من عنایت نبود طاعت در ینهٔ من زلت شمردند

من لم يكن للوصال اهلا * فكل احسانه ذنوب

ومن هنا يعرف سر قول الشيخ سعدي * هر که در سایهٔ عنایت اوست * کنهش طاعتست ودشمن دوست * (والله بما تعملون) مطلقا (بصير) فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم ومايرديكم من الكفر والعصيان قال القاسم رحمه الله خاطبهم مخاطبة حال كونهم ذرا فسماهم كافرين ومؤمنين في ازله واظهرهم حين اظهرهم على ماسماهم وقدر عليهم فاخبر بانه علم ما يعملونه من خير وشر واعلم ان الله تعالى يعلم لكنه يحكم ويقدر لكنه يغفر الا ان من اقصته السوابق لم تدنه الوسائل ومن اقعده جده لم ينفعه كده قيل ان بعض الاكابر بلغه ان يهوديا اوصى ان يحمل من بلده اذا مات ويدفن في بيت المقدس فقال ايكابر الازل اما علم انه لو دفن في فراديس العلى لجاءت جهنم بانكالها وحملته الى نفسها والناس على اربعة اقسام

اصحاب السوابق وهم الذين تكون فكرتهم ابدا فيما سبق لهم من الله لعلمهم ان الحكم الازلى لا يتغير باكتساب العبيد و اصحاب العواقب وهم الذين يكفرون ابدا فيما يختم به امرهم فان الامور بخواتمها والعاقبة مستورة ولهذا قيل لا يغرنكم صفاء الاوقات فان تحتها غوامض الآفات و اصحاب الوقت وهم الذين لا يتفكرون فى السوابق ولا فى اللواحق اى العواقب بل يشتغلون بمراعاة الوقت و اداء ما كلفوا من احكام ولهذا قيل العارف ابن وقته وقيل الصوفى من لا ماضى له ولا مستقبل (وفى المثنوى) صوفى ابن الوقت باشداى رفيق * نيست فردا گفتن از شرط طريق * و القسم الرابع هم الذين غلب عليهم ذكر الحق فهم مشغولون بشهود الموقت عن مراعاة الوقت وفى الآية اشارة الى هويته المطلقة عن النسب و الاضافات خلقكم اى تجلى لتعيناتكم الجنسية و النوعية والشخصية من غير تقييد و انحصار فمنكم اى فمن بعض هذه التعينات كافر يستر الحق المطلق بالخلق المقيد ويقول بالتفرقة دفعا للطاعن الطاعن ومن بعض هذه التعينات مؤمن يؤمن بظهور الحق فى الخلق ويستر الخلق بالحق و يقول بالجمعية تأنيسا للمكاشفين بالحقائق و الله بما تعملون بصير من ستر الحق بالخلق دفعا للطاعن و من ستر الخلق بالحق تأنيسا للطالب الواجد (خلق السموات والارض بالحق) اى بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية و الدنيوية والمراد السموات السبع و الارضون السبع كما يدل عليه التصريح فى بعض المواضع قال تعالى خلق سبع سموات طباقا وقال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن فان قلت ما وجه عدم ذكر العرش والكرسى فى امثال هذه المواضع مع عظم خلقهما قلت انهما وان كانا من السماء لان السماء هو الفلك والفلك جسم شفاف محيط بالعالم وهما اوسع الافلاك احاطة الا ان آثارهما غير ظاهرة مكشوفة بخلاف السموات و الارض وما بينهما فانها أقرب الى المخاطبين المكلفين و معلوم حالها عندهم ومكشوفة آثارها ومنفعتها ولهذا قالوا ان الشمس تضيح الفواكه و القمر يلونها و الكواكب تعطيها الطعم الى غير ذلك مما لا يتناهى على ان التغيرات فيها اظهر فهى على عظم القدرة أدل وقد قال تعالى كل يوم هو فى شأن واكثر هذه الشؤون فى عالم الكون و الفساد الذى هو عبارة عن السموات والارض اذ هما من العنصريات بخلاف العرش و الكرسى فانهما من الطبيعيات ولهذا الايفنيان (وصوركم فأحسن صوركم) الفاء للتفسير اى صوركم احسن تصوير وخلقكم فى احسن تقويم و اودع فيكم من القوى و المشاعر الظاهرة و الباطنة ما يحيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة فلكم جمال الصورة واحسن الاشكال ولذا لا يتمنى الانسان ان يكون صورته على خلاف ما هو عليه لكون صورته احسن من سائر الصور ومن حسن صورته امتداد قامته وانتصاب خلقته واعتدال وجوده ولا يقدح فى حسنه كون بعض الصور قبيحا بالنسبة الى بعض لان الحسن وهو الجمال فى الخلق والخلق على مراتب كما قالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان ولكم ايضا جمال المعنى و كمال الخصال * بدرون تست مصرى كه تو بى شكر ستانش * چه عجست اكر زبيرون مدد شكرندارى * شدة غلام صورت بمثال بت پرستان * توچو يوسفى وليكن سوى خود نظر ندارى * بخدا جمال خود را چو در آينه ببينى * بت خويش هم تو باشى بكسى كذر ندارى * والمعتد به هو الحسن المعنوى لان الله خلق آدم على صورته اى على الصورة الالهية التى هى عبارة عن صفاته العليا واسمائه الحسنى والا فالحسن الصورى يوجد فى الكافر ايضا * ره راست بايدنه بالاى راست * كه كافرهم ازروى صورت چوماست * نعم قد يوجد سيرة حسنة وخلق حميد فى الكافر كعدل انوشروان مثلا لكن المعتد به ما يكون مقارنا بالايمان الذى هو احسن السير قال بعض الكبار كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وان كان الحق تعالى ما استخلفه بالخطاب الالهى فان من الخلفاء من اخذ المرتبة بنفسه من غير عهد الهى اليه بها وقام بالعدل فى الرعايا استنادا الى الحق كما قال عليه السلام ولدت فى زمن الملك العادل يعنى كسرى فسماه ملكا ووصفه بالعدل ومعلوم ان كسرى فى ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من وراء الحجاب وخرج بقولنا وقام بالعدل فى الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وامثاله من المتنازعين لحدود الله والمغالبين لجنابه بمغالبة رسله فان هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى كالرسل ولا نوابه كالملوك العادلة بل هم اخوان الشياطين قال الحسين رحمه الله احسن الصور

صورة اعتنت من ذل كن وتولى الحق تصويرها بيده ونفخ فيها من روحه والبسها شواهد النعت وحلاها بالتعليم شفاها واسجد لها الملائكة المقربين واسكنها فى جواره وزين باطنها بالمعرفة وظاهرها بفنون الخدمة والجمع فى قوله فاحسن صوركم باعتبار الانواع لان صورة الرومى ليست كصورة الهندى الى غيرذلك والافراد وهو ظاهر (واليه المصير) اى والى الله الرجوع فى النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له حتى يجازيكم بالانعام لا بالانتقام فكم من صورة حسناء تكون فى العقبى شوهاء بقبح السريرة والسيرة وكم من صورة قبيحة تكون حسناء بحسنهما * چه غم زمنقصت صورت اهل معنى را * چوجان زروم بود كوتن ازحبش مى باش * وقد ثبت ان ضرس الكافر يوم القيامة مثل جبل احد وان غلظ جلده مسافة ثلاثة ايام وانه يسوء خلقه فتغلظ شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته وان اهل الجنة ضوء وجوههم كضوء القمر ليلة البدر او على احسن كوكب درى فى السماء وهم جرد مرد مكحلون ابناء ثلاث وثلاثين فطوبى لاهل اللطافة وويل لاهل الكثافة اعلم ان الله تعالى خلق سموات الكليات وارض الجزئيات بمظهرية الحق وظهوره فيهما بحسب استعداد الكل لا بحسبه وتجلى فى مظاهر صور الانسان بحسبه اى بجميع الاسماء والصفات ولذا قال تعالى فأحسن صوركم اى جعل صوركم احدية جمع جميع المظهريات الجامعة لجميع المظاهر السماوية العلوية والارضية السفلية كما قال عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته يعنى اورد الاسم الجامع فى عنوان الخلق اشارة الى تلك الجمعية فكان مصير الانسان الى الهوية الجامعة لجميع الهويات لكن حصل التفاوت بين افراده بحسب التجلى والاستتار والفعل والقوة فليس لاهل الحجاب ان يدعى كمالات اهل الكشف للتفاوت المذكور فيا عجبا من انسان خفى عليه ما فى ارض وجوده من كنز الهى غيبى من نال اليه لم يفتقر ابدا وكيف قنع بقشر مع امكان تحصيل اللب وكيف اقام فى الحضيض مع سهولة العروج الى الاوج * چه شكر هاست درين شهر كه قانع شده اند * شاهبازان طريقت بمقام مگسى

(يعلم ما فى السموات والارض) من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) اى ما تسرونه فى ما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع ادراجه فيما قبله لانه الذى يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما قال فى رهان القرآن انما كرر ما فى اول السورة لاختلاف تسبيح اهل الارض واهل السماء فى الكثرة والقلة والبعد والقرب من المعصية والطاعة وكذلك اختلاف ما تسرون وما تعلنون فانهما ضدان ولم يكرر ما فى السموات والارض لان الكل بالاضافة الى علم الله جنس واحد لا يخفى عليه شئ (والله عليم بذات الصدور) اى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة فى صدور الناس بحيث لا تغادرها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه و بافارسية وخداى تعالى داناست بآنچه در سينهاست از خواطر وافكار وانما قيل لهاذات الصدور وصاحبتها للابستها لها وكونها مخزونة فيها فى الآية ترقى من الاظهر الى الاخفى لانه عالم بما فى السموات وما فى الارض و بما يصدر من بنى آدم سرا وعلنا و بما لم يصدر بعد بل هو مكنون فى الصدور واظهار الجلالة للاشعار بعلية الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الجهات الظاهرة مثل كون السماء فى العلو والارض فى السفل او الباطنة مثل ان يكون السماء متحركة والارض ساكنة الى غيرذلك فان للمتكلمين مسلكين فى اثبات العلم الاول ان فعله تعالى متقن اى محكم خال عن وجوه الخلل ومشتمل على حكم ومصالح متكثرة وكل من فعله متقن فهو عالم والثانى انه فاعل بالقصد والاختيار لتخصيص بعض الممكنات ببعض الاحياء ولا يتصور ذلك الا مع العلم وفى قوله ما تسرون اشارة الى علماء الظاهر من الحكماء والمتكلمين والى علومهم الفكرية النظرية وما يسرون فيها من عقائدهم الفاسدة ومقاصدهم الكاسدة وفى قوله وما تعلنون اشارة الى علماء الباطن من المشايخ والصوفية والى معارفهم ومواجيدهم الذوقية الكشفية وما يظهرون منها من الكرامات وخوارق العادات والله عليم بصدور عمل كل واحد من صدور قلوبهم بحسب الرياء والاخلاص والحق والباطل (ألم يأتكم) ايها الكفرة والالف للاستفهام ولم للجحد ومعناه التحقيق (نبأ الذين كفروا) اى خبر قوم نوح ومن بعدهم

من الامم المصرة على الكفر (من قبل) اى قبلكم فيكون متعلقا بكفروا اوقبل هذا الوقت اوهذا العصيان والمعاداة فيكون ظرفا لألم يأتكم (فذاقوا وبال امرهم) عطف على كفروا والذوق وان كان فى التعارف للقليل لكنه مستصلح للكثير والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور والوبل والوابل المطر الثقيل القطار مقابل الطل وهو المطر الخفيف وامرهم كفرهم فهو واحد الامور عبر عنه بذلك للايذان بأنه امر هائل وجناية عظيمة والمعنى فذاقوا فى الدنيا من غير مهلة مايستتبعه كفرهم من الضرر والعقوبة واحسوه احساس الذائق المطعوم يعنى پس چشيدند كران بارئ خود ودشوارئ سرانجام خويش وضرر كفر وعقوبت اودردنيا بغرق وريح صرصر وعذاب يوم الظلة وامثال آن وفى ايراد الذوق رمز الى ان ذلك المذوق العاجل شئ حقير بالنسبة الى ماسيرون من العذاب الآجل ولذلك قال تعالى (ولهم) فى الآخرة (عذاب اليم) اى مؤلم لايقادر قدره وفيه اخبار بان ماأصابهم فى الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم والالم يعذبوا فى الآخرة بخلاف المؤمنين فان ماأصابهم فى الدنيا من الآلام والاوجاع والمصائب كفارة لذنوبهم على ماورد فى الاخبار الصحيحة (ذلك) اى ماذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وماسيذوقونه فى الآخرة (بانه) اى بسبب ان الشان (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) اى بالمعجزات الظاهرة والباء اما للملابسة اوللتعدية (فقالوا) عطف على كانت (ابشر) آيا آدميان مثل ما (يهدوننا) راه نمايند مارا اى قال كل قوم من المذكورين فى حق رسولهم الذى اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر وآدمى مثلنا يهدينا ويرشدنا الى الدين او الى الله والتقرب منه كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه انكروا ان يكون الرسول بشرا ولم ينكروا ان يكون المعبود حجرا وقد اجمل فى الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر فى قوله تعالى ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وارتفاع بشر على انه فاعل فعل مضمر يفسره مابعده فيكون من باب الاشتغال وهو اولى من جعله مبتدأ ومابعده خبرا لان اداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرا اومضمرا قال القاشانى لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذى هو به يفضل عليهم بالاقتباس ولم يجدوا منه الا البشرية انكروا هدايته فان كل عارف لايعرف معروفه الا بالمعنى الذى فيه فلا يوجد النور الكمالى الا بالنور الفطرى ولايعرف الكمال الا الكامل ولهذا قيل لايعرف الله غير الله وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما والا لما امكنه التوجه نحوه وكذا كل مصدق بشئ فانه واجد للمعنى المصدق به بما فى نفسه من ذلك المعنى فلما لم يكن فيهم شئ من النور الفطرى اصلا لم يعرفوا منه الكمال فانكروه ولم يعرفوا من الحق شيأ ولم يحدث فيهم طلب حتى يحتاجوا الى الهداية فانكروا الهداية وقال بعض العارفين معرفة مقام الاولياء اصعب من الممكن من معرفة الله تعالى لان الله تعالى معروف بكماله وجماله وجلاله وقهره بخلاف الولى الكامل فانه ملآن من شهود الضعف يأكل ويشرب ويبول مثل غيره من الخلق ولا كرامة له تظهر الابان يناجى ربه وانى للخلق معرفة مقامه والله لو كشف للخلق عن حقيقة الولى لعبد كما عبد عيسى عليه السلام ولو كشف لهم عن مشرقات نوره لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات نور قلبه ولكن فى ستر الحق تعالى لمقام الولى حكم واسرار وادنى مافى الستر ان لايتعرض احد لمحاربة الله تعالى اذا آذاهم بعدان عرفهم انهم اولياء الله فكان سترهم عن الخلق رحمة بالخلق وفتحا للباب اعتذار من آذاهم من غالب الخلق فان الاذى لم يزل من الخلق لهم فى كل عصر لجهلهم بمقامهم (فكفروا) اى بالرسل بسبب هذا القول لانهم قالوه استصغارا لهم ولم يعلموا الحكمة فى اختيار كون الرسل بشرا (وتولوا) عن التدبير فيما اتوابه من البينات وعن الايمان بهم (واستغنى الله) اى اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما فعل ذلك وقال سعدى المفتى هو حال بتقدير قدوهو بمعنى غنى الثلاثى والمراد كمال الغنى اذ الطلب يلزمه الكمال (والله غنى) عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم (حميد) يحمده كل مخلوق بلسان الحال ويدل على اتصافه بالصفات الكمالية او يحمده اولياؤه وان امتنع اعداؤه والحمد هو ذكر اوصاف الكمال من حيث هو وكمال ومن عرف انه الحميد فى ذاته وصفاته وافعاله شغله ذكره والثناء عليه فان العبد وان كثرت محامده من عقائده واخلاقه وافعاله واقواله فلا يخلو عن مذمة ونقص الا النبى عليه السلام فانه محمد واحمد ومحمد من كل وجه وله المحمدة والكمال وفى الاربعين الادريسية

ياحميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه قال السهروردى رحمه الله من داومه يحصل له من الاموال مالا يمكن ضبطه (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم فمعنى ازعم زيدا قائما اقول انه كذا فى تصدير الجملة بقوله ازعم اشعار بانه لاسند للحكم سوى ادعائه اياه وقوله به و يتعدى الى مفعولين تعدى العلم وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما فى حيزها فان مخففة لانا صبة لئلا يدخل ناصب على مثله والمراد بالموصول كفار مكة اى زعموا وادعوا ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا ولن يقاموا و يخرجوا من قبورهم وعن شريح رضى الله عنه لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا قال بعض المخضرمين لابنه هب لى كلاما كلما تين زعم وسوف انتهى و يكره للرجل ازيكثر لفظ الزعم وامثاله فانه تحديث بكل ماسمع وكفى بذلك كذبا واذا اراد ان يتكلم بكلام ماهو محقق لاماهو مشتبه و بذلك يتخلص من ان يحدث بكل ماسمع فيكون معصوما من الكذب كذا فى المقاصد الحسنة (قل) ردا لهم وابطالا لزعمهم باثبات مانفوه (بلى) اى تبعثون فان بلى لايجاب النفى الذى قبله وقوله (وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) اى لتحاسبن وتجزون باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ماافاده كلمة بلى من اثبات البعث و بيان تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقيق البعث بوجهين فقوله وربى قسم لعل اختياره ههنا لما ان فى البعث اظهار كمال الربوبية المفيدة لتمام المعرفة واثار دوام التربية بالنعم الجسمانية الظاهرة والنعم الروحانية الباطنة وقوله لتبعثن اصله لتبعثون حذفت واوه لاجتماع الساكنين بمجيئ نون التأكيد وان كان على حده طلبا للخفة واكتفاء بالضمة وهو جواب قسم قبله مؤكد باللام المؤكدة للقسم وثم لتراخى المدة لطول يوم القيامة اولتراخى الرتبة وظاهر كلام اللباب ان يكون وربى قسما متعلقا بما قبله قد تم الكلام عنده وحسن الوقف عليه و يجعل لتبعثن مما عطف عليه جواب قسم آخر مقدر مستأنف لتأكيد الاول لعل فائدة الاخبار بالقسم مع ان المشركين ينكرون الرسالة كما ينكرون البعث ابطال لزعمهم بالتشديد والتأكيد ايتأثر من قدر الله له الانصاف وتتأكد الحجة على من لم يقدر له وكان محروما بالكلية (وذلك) اى ماذكر من البعث والجزاء (على الله يسير) اى سهل على الله لتحقق القدرة التامة وقبول المادة واذا كان الامر كذلك (فآمنوا) بصرف ارادتكم الجزئية الى اسباب حصول الايمان (بالله) الباعث من القبور المجازى على كل عمل ظاهرا ومستور (ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم الذى اخبر عن شؤون الله تعالى وصفاته (والنور الذى انزلنا) اى انزلناه على رسولنا وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه انه حق نازل من عند الله مبين لغيره ومظهر للحلال والحرام كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية (والله بما تعملون) من الامتثال بالامر وعدمه (خبير) فمجازيكم عليه (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن وما بينهما اعتراض اومفعول لاذكر الظاهر ان الخطاب لمن خوطب اولا بقوله الم يأتكم (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون من الجن والانس واهل السماء والارض اى لاجل مافيه من الحساب والجزاء وهو يوم القيامة فاللام للعهد اى جمع هذا اليوم عن النبى عليه السلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء منادٍ ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل المراد جمع الله بين العبد وعمله وقيل بين الظالم والمظلوم اوبين كل نبى وامته (ذلك) اليوم (يوم التغابن) تفاعل من الغبن وهو ان تخسر صاحبك فى معاملة بينك وبينه بضرب من الاخفاء والتغابن ان يغبن بعضهم بعضا ويوم القيامة يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء و بالعكس وفيه تهكم لان نزولهم ليس بغبن يعنى ان كون نزول الاشقياء منازل السعداء من النار لو كانوا اشقياء غبنا باعتبار الاستعارة التهكمية والافهم بنزولهم فى النار لم يغبنوا اهل الجنة وفى الحديث مامن عبد يدخل الجنة الا رى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا ومامن عبد يدخل النار الا رى مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن فى الحقيقة هو الذى يقع فيه مالا يقع فى امور الدنيا فاللام للعهد الذى يشار به عند عدم المعهود الخارجى الى الفرد الكامل اى التغابن الكامل العظيم الذى لاتغابن فوقه قال القاشانى ليس التغابن فى الامور الدنيوية فانها امور فانية سريعة

الزوال ضرورية الفناء لايبقى شئ منها لاحد فان فات شئ من ذلك اوافاته احد واو كان حيا له فانما فات اوافيت ما لزم فواته ضرورة فلا غبن ولا حيف حقيقة وانما الغبن والتغابن فى افاتة شئ اولم يفته لبقى دائما وانتفع به صاحبه سرمدا وهو النور الكمالى والاستعدادى فتظهر الحسرة والتغابن هنالك فى اضاعة الربح ورأس المال فى تجارة الفوز والنجاة كما قال فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فمن اضاع استعداده اواكتسب منه شيأ ولم يبلغ غايته كان مغبونا بالنسبة الى الكمال التام وكأنما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه وبقى هذا متحسرا فى نقصانه انتهى وقال الراغب يوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن فى المبايعة المشار اليها بقوله ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله وبقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقوله الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فلعلهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوا من ذلك جميعا وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقال تبدو الاشياء بخلاف مقاديرها فى الدنيا وقال بعضهم يظهر يومئذ غبن الكافر بترك الايمان وغبن المؤمن بتقصيره فى الاحسان واذا دخل العارف الجنة ورآه صاحب الحال فانه يراه كما يرى الكوكب الدرى فى السماء فيتمنى ان يكون له مثل مرتبة العارف فلا يقدر عليها فيتحسر على تفويته اسباب ذلك فى الدنيا وقد ورد لايتحسر اهل الجنة فى الجنة الا ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها قيل اشد الناس غبنا يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله وعبد اطاع الله بقوة مال سيده وعصى الله سيده فدخل العبد الجنة بقوة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله وولد ورث مالا من ابيه وابوه شح به وعصى الله فيه فدخل ابوه بخله النار ودخل هو بانفاقه فى الخير الجنة * بخور اى نيك سيرت وسره مرد * كان نكون بخت كرد كردو نخورد * وفى الحديث لايأتى الله احدا الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد وقال بعض العارفين لايجوز الترقى فى الآخرة الا فى مقام حصله المكلف فى هذه الدار فمن عرف شيأ وتعلقت همته بطلبه كان له اما عاجلا واما آجلا فان ظفر به فى حياته كان ذلك اختصاصا واعتناء وان لم يظفر به فى حياته معجلا كان مدخرا له بعد المفارقة فينيله ثم ضرورة لازمة ومن لم يتحقق بمقام فى هذا الموطن لم يظفر به ثم ولذلك سمى يوم التغابن لانقطاع الترقى فيه فاعلم ذلك وقال بعضهم الغبن كل الغبن ان لايعرف الصفاء فى الكدورة واللطف فى صورة القهر فتوحش عن الحق بالتفرقة وهو فى عين الجمع والانس وايضا يقع الغبن لمن كان مشغولا بالجزاء والعطاء ورؤية الاعواض واما من كان مشغولا بمشاهدة الحق فقد خرج عن حد الغبن وايضا يقع الكل فى الغبن اذا عاينوا الحق بوصفه وهم وجدوه اعظم واجل مما وجدوه فى مكاشفاتهم فى الدنيا فيكونون مغبونين حيث لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته وان كانوا لايعرفونه ابدا حق معرفته واى غبن اعظم من هذا اذ يرونه ولا يصلون الى حقيقة وجوده وقال ابن عطاء رحمه الله تغابن اهل الحق على مقادير الضياء عند الرؤية والتجلى وقال بعض الكبار يوم شهود الحق فى مقام الجمعية يوم غبن اهل الشهود والمعرفة على اهل الحجاب والغفلة فانهم فى نعيم القرب والجمع واهل الحجاب فى جحيم البعد والفراق (ومن يؤمن بالله) بالصدق والاخلاص بحسب نور استعداده (ويعمل صالحا) اى عملا صالحا يقتضى ايمانه فان العمل انما يكون بقدر النظر وهو اى العمل الصالح ما يبتغى به وجه الله فرضا او نفلا (روى) ان ابراهيم بن ادهم رحمه الله اراد ان يدخل الحمام فطالب الحمامى الاجرة فتأوه وقال اذا لم يدخل احد بيت الشيطان بلا اجرة فانى يدخل بيت الرحمن بلا عمل (يكفر) اى يغفر الله ويمح (عنه سيئاته) يوم القيامة فلا يفضحه بها (ويدخله) بفضله وكرمه لا بالايجاب (جنات) على حسب درجات اعماله (تجرى من تحتها) اى من تحت قصورها او اشجارها (الانهار) الاربعة (خالدين فيها) حال من الهاء فى يدخله وحدا ولا حملا على لفظ من ثم جمع حملا على معناه (ابدا) نصب على الظرف وهو تأكيد للخلود (ذلك) اى ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات (الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم المهلكات والظفر باجل الطيبات فيكون اعلى حالا من الفوز الكبير لانه يكون بجلب المنافع كما فى سورة البروج والفوز العظيم فى الحقيقة هو الانخلاع عن الوجود المجازى والتلبس بلباس الوجود الحقيقى وذلك موقوف على الايمان الحقيقى الذوقى والعمل الصالح المقارن بشهود العامل فان نور الشهود حينئذ يستر ظلمات وجوده الاضافى وينوره بنور الوجود

الحقيقي و يدخله جنات الوصول و الوصال التي تجري من تحتها الانهار مملوءة من ماء المعارف و الحكم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) تصريح بما علم التزاما والمراد بالآيات اما القرآن او المعجزات فان كلا منهما آية لصدق الرسول (اولئك اصحاب النار) اى اهلها اما بمعنى مصاحبوها لخلودهم فيها او ملكوها تنزيلا لهم منزلة الملاك للتهكم حال كونهم (خالدين فيها) اى ابدا بقرينة المقابلة (وبئس المصير) اى النار كان هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن وانما قلنا كان لان الواو يمانع الحمل على البيان كما عرف فى المعانى و فى الآية اشارة الى المحجوبين عن الله المحرومين من الايمان الحقيقي به بان يكون ذلك بطريق الذوق والوجدان لا بطريق العلم والبرهان المكذبين آيات الله الظاهرة فى خواص عباده بحسب التجليات فانهم اصحاب نار الحجاب وجحيم الاحتجاب على الدوام والاستمرار وبئس المصير هذه النار فعلى العاقل ان يجتهد حتى يكشف الله عمى قلبه وغشاوة بصيرته فيشاهد آثار الله وآياته فى الانفس والآفاق و يتخلص من الحجاب على الاطلاق ففى نظر العارفين عبرة وحكمة وفى حركاتهم شأن ومصلحة (حكى) ان ابا حفص النيسابورى رحمه الله خرج مع اصحابه فى الربيع للتنزه فمر بدار فيها شجرة مزهرة فوقف ينظر اليها معتبرا فخرج من الدار شيخ مجوسى فقال له يا مقدم الاخيار هل تكون ضيفا لمقدم الاشرار فقال نعم فدخلوا و كان معهم من يقرأ القرآن فقرأ فلما فرغ قال لهم المجوسى خذوا هذه الدراهم واشتروا بها طعاما من السوق من اهل ملتكم لانكم تتنزهون عن طعامنا ففعلوا فلما ارادوا الخروج قال المجوسى للشيخ لا افارقك بل اكون احد اصحابك ثم اسلم هو واولاده ورهطه وكانوا بضع عشرة نفسا فقال ابو حفص لاصحابه اذا خرجتم للتنزه فاخرجوا هكذا * چون نظر ميداشت ارباب شهود * مؤمن آمد بى نفاق اهل جحود (ما) نافية ولذا زاد من المؤكدة (اصاب) الخلق يعنى نرسد بهيچ كس (من مصيبة) من المصائب الدنيوية فى الابدان والاولاد والاموال (الا باذن الله) استثناء مفرغ منصوب المحل على الحال اى ما اصاب مصيبة ملتبسة بشئ من الاشياء الا باذن الله اى بتقديره وارادته كانها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ان تصيبه وهذا لا يخالف قوله تعالى فى سورة الشورى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و يعفو عن كثير اى بسبب معاصيكم و يتجاوز عن كثير منها ولا يعاقب عليها اما اولا فلان هذا القول فى حق المجرمين فكم من مصيبة تصيب من اصابته لا مر آخر من كثرة الاجر للصبر وتكفير السيئات لتوفية الاجر الى غير ذلك وما اصاب المؤمنين فمن هذا القبيل واما ثانيا فلان ما اصاب من ساء بسوء فعله فهو لم يصب الا باذن الله وارادته ايضا كما قال تعالى قل كل من عند الله اى ايجادا و ايصالا فسبحان من لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء وكان الكفار يقولون لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب فى اموالهم وابدانهم فى الدنيا فبين الله ان ذلك انما يصيبهم بتقديره ومشيئته وفى اصابتها حكمة لا يعرفها الا هو ومنها تحصيل اليقين بان ليس شئ من الامر فى يديهم فيبرؤن بذلك من حولهم وقوتهم الى حول الله وقوته ومنها ما سبق آنفا من تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضى بقضاء الله الى غير ذلك ولو لم يصب الانبياء والاولياء محن الدنيا وما يطرأ على الاجسام لافتتن الخلق بما ظهر على ايديهم من المعجزات والكرامات على ان طريان الآلام والاوجاع على ظواهرهم تحقق بشريتهم لا على بواطنهم لتحقق مشاهدتهم والانس بربهم فكأنهم معصومون محفوظون منها لكون وجودها فى حكم العدم بخلاف حال الكفار و الاشرار نسأل العفو والعافية من الله الغفار وفى الآية اشارة الى اصابة مصيبة النفس الامارة بالاستيلاء على القلب و الى اصابة مصيبة القلب السيار بالغلبة على النفس فانهما باذن تجليه القهرى للقلب الصافى بحسب الحكمة او باذن تجليه اللطفى الجمالى للنفس الجانية بحسب النقمة (ومن يؤمن بالله) يصدق به ويعلم انه لا يصيبه مصيبة الا باذن الله والاكتفاء بالايمان بالله لانه الاصل (يهد قلبه) عند اصابتها للثبات والاسترجاع فيثبت ولا يضطرب بان يقول قولا يظهر وصفا يدل على التضجر من قضاء الله وعدم الرضى به ويسترجع ويقول انا لله وانا اليه راجعون ومن عرف الله واعتقد انه رب العالمين يرضى بقضائه ويصبر على بلائه فان التربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون بما ينتفر عنه الطبع وقيل يهد قلبه اى يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه فيرضى بقضائه ويسلم لحكمه وقيل يهد قلبه اى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وبالفارسية الله راه نمايد دل اورا بيسند كارى ومزيد طاعت

وقال ابو بكر الوراق رحمه الله ومن يؤمن بالله عند الشدة والبلاء فيعلم انها من عدل الله يهد قلبه الى حقائق الرضى وزوائد اليقين وقال ابو عثمان رحمه الله من صحح ايمانه بالله يهد قلبه لاتباع سنن نبيه عليه السلام وعلامة صحة الايمان المداومة على السنن وملازمة الاتباع وترك الآراء والاهواء المضلة وقال بعضهم ومن يؤمن بالله تحقيقا يهد قلبه الى العمل بمقتضى ايمانه حتى يجد كمال مطلوبه الذى امن به ويصل الى محل نظره وقال بعضهم ومن يؤمن بالله بحسب ذاته نور قلبه بنور المعرفة باسمائه وصفاته اذ معرفة الذات تستلزم معرفة الصفات والاسماء من غير عكس وباعتبار سبق الهداية ولحوقها فان الايمان بالله انما هو بهداية سابقة وهداية القلب انما هى هداية لاحقة يندفع توهم ان الايمان موقوف على الهداية فاذا كانت هى موقوفة عليه كما تفيده من الشرطية لما ان الشرط مقدم على المشروط لدار فان للهداية مراتب تقدما وتأخرا لانقطاع ولذلك ندعو الله كل يوم ونقول مرارا اهدنا الصراط المستقيم بناء على ان فى كل عمل نريده صراطا مستقيما يوصل الى رضى الله تعالى وقيل انه مقلوب ومعناه من يهد قلبه يؤمن بالله * وروى فى يهد سبع قراآت المختار من السبع يهد مفردا غائبا راجعا ضميره الى الله مجزوم الآخر ليكون جواب الشرط المجزوم من الهداية وقرئ نهد بالنون على الالتفات منها ايضا و يهد مجهولا برفع قلبه على انه قائم مقام الفاعل منها ايضا و يهد بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ورفع قلبه ايضا بمعنى يهتد كقوله تعالى امن لا يهدى الا ان يهدى و يهدأ من باب يسال و يهدأ بقلبها الفا و يهد بحذفها تخفيفا فيهما والمعنى يطمئن ويسكن الى الحق (والله بكل شئ) من الاشياء التى من جملتها القلوب واحوالها كتسليم من انقاد لامره وكراهة من كره وكآفاتها وخلوصها من الآفات (عليم) فيعلم ايمان المؤمن وخلوصه و يهدى قلبه الى ما ذكر (واطيعوا الله) اطاعة العبد لمولاه فيما يأمره (واطيعوا الرسول) اطاعة الامة لنبيها فيما يؤديه عن الله اى لا يشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعته والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سنته وليكن جل همتكم فى السراء والضراء العمل بما شرع لكم قال القاشانى واطيعوا الله واطيعوا الرسول على حسب معرفتكم بالله وبالرسول فان اكثر التخلف عن الكمال والوقوع فى الخسران والنقصان انما يقع من التقصير فى العمل وتأخر القدم لامن عدم النظر كرر الامر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله (فان توليتم) اى اعرضتم عن اطاعة الرسول (فانما على رسولنا البلاغ المبين) تعليل للجواب المحذوف اى فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه وفى التأويلات النجمية اطيعوا الله بتهيئة الاسباب بمظهرية ذاته وصفاته واطيعوا الرسول بتحصيل القابلية لمظهرية احكام شريعته الظاهرة وآداب طريقته الباطنة فان اعرضتم عن تهيئة الاسباب والاستعداد وتصفية هذين الامرين الكليين بالاقبال على الدنيا والاستهلاك فى بحر شهواتها فانما على رسولنا البلاغ المبين وعليكم العذاب المهين (الله لا اله) فى الوجود (الا هو) جملة من مبتدأ وخبر اى هو المستحق للمعبودية لا غير وهو القادر على الهداية والضلالة لا شريك له فى الارشاد والاضلال وليس بيد الرسول شئ من ذلك (وعلى الله) اى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا (فليتوكل المؤمنون) فى تثبيت قلوبهم على الايمان والصبر على المصائب واظهار الجلالة فى موضع الاضمار للاشعار بعلية التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة وفى الآية بعث لرسول الله وللمؤمنين وحث لهم على الثبات على التوكل والازدياد فيه حتى ينصرهم على المكذبين وعلى من تولى عن الطاعة وقبول احكام الدين واعلم ان التوكل من المقامات العالية وهو اظهار العجز والاعتماد على الغير وفى الحدائق التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس مما فى ايدى الناس وظاهر الامر يفيد وجوب التوكل مع انه غير موجود فى اكثر الناس فيلزم ان يكونوا عاصين ولعل المأمور به هو التوكل العقلى وهو ان يعتقد العبد انه ما من مراد من مراداته الدنيوية والاخروية الا وهو يحصل من الله فيثق به فى حصوله ويرجو منه وان كانت النفس تلتفت الى الغير وتتوقع منه نظرا الى اعتقاد سببيته والله مسبب الاسباب واما التوكل الطبيعى الذى لا يكون ثقة صاحبه طبعا الا بالله وحده ولا اعتماده الا عليه فى جميع مقاصده مع قطع النظر عن الاغيار

كلها رأسا فهو عسير قلما يوجد الا فى الكمل من الاولياء كما حكى عن بشر الحافى رحمه الله انه جاءه جماعة من الشام وطلبوا منه ان يحج معهم فقال نعم ولكن بثلاثة شروط ان لا تحمل معنا شيأ ولا نسأل احدا شيأ ولا نقبل من احد شيأ فقالوا اما الاول والثانى فنقدر عليه واما الثالث فلا نقدر فقال انتم الذين تحجون متوكلين على زاد الحاج وقيل من ادعى التوكل ثم شبع فقد حمل زادا وعن بعضهم انه قال حججت اربع عشرة حجة حافيا متوكلا وكان يدخل الشوك فلا اخرجه لئلا ينقص توكلى وعن ابراهيم الخواص رحمه الله بينما انا اسير فى البادية اذ قال لى اعرابى يا ابراهيم التوكل عندنا فاقم عندنا حتى يصح توكلك اما تعلم ان رجاءك دخول بلد فيه اطعمة يحملك ويقويك اقطع رجاءك عن دخول البلدان فتوكل فاذا كان رجاء دخول البلدان مانعا عن التوكل التام فظنك بالاقامة فى بلاد خصبة واذا اوقع الله التوكل على الجلالة لانها جامعة لجميع الاسماء فالتوكل عليه توكل تام والتوكل على الاسماء الجزئية توكل ناقص من عرف الله وكل اليه اموره وخرج هو من البين ومن جعل الله وكيله لزمه ايضا ان يكون وكيلا لله على نفسه فى استحقاق حقوقه وفرائضه وكل مايلزمه فيخاصم نفسه فى ذلك ليلا ونهارا اى لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة فان الاوقات سريعة المرور خاك دردستش بودچون بادهنكام اجل * هركه اوقات كرامى صرف آب وكل كند (يا ايها الذين آمنوا) ايمانا خالصا (ان من ازواجكم) جمع زوج يعم الحليل والحليلة وسيجىء مافى اللباب (واولادكم) جمع ولد يعم الابن والبنت (عدوا لكم) يشغلونكم عن طاعة الله وان لم يكن لهم عداوة ظاهرة فان العدو لا يكون عدوا بذاته وانما يكون عدوا بفعله فاذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة او يخاصمونكم فى امور الدين او الدنيا واشد المكر مايكون فى الدين فان ضرره اشد من ضرر مايكون فى الدنيا وجاء فى الخبر ليس عدوك الذى اذا قتلته فقد آجرك الله على قتله ولكن اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وامرأتك تضاجعك على فراشك وولدك من صلبك قدم الازواج لانها مصادر الاولاد ولانها لكونها محل الشهوات الصق بقلوب الناس واشد اشغالا لهم عن العبودية ولذا قدمها الله تعالى فى قوله زين للناس حب الشهوات من النساء وفى اللباب ان قوله ان من ازواجكم يدخل فيه الذكر فكما ان الرجل تكون زوجته وولده عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها بهذا المعنى فيكون الخطاب هنا عاما على التغليب ويحتمل ان يكون الدخول باعتبار الحكم لا باعتبار الخطاب (فاحذروهم) الحذر احتراز عن مخيف والضمير للعدو فانه يطلق على الجمع قال بعضهم احذروهم اى احفظوا انفسكم من محبتهم وشدة التعلق والاحتجاب بهم ولا تؤثروا حقوقهم على حقوق الله تعالى وفى الحديث (اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم اسخياءكم وامركم شورى بينكم اى ذا تشاور لا يتفرد احد برأى دون صاحبه فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كان امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وامركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها وفى الحديث (شاوروهن وخالفوهن) وقد استشار النبى عليه السلام ام سلمة رضى الله عنها كما فى قصة صلح الحديبية فصار دليلا لجواز استشارة المرأة الفاضلة ولفضل ام سلمة ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لا نعلم امرأة اشارت برأى فأصابت الا ام سلمة كذا قال وقد استدرك بعضهم ابنة شعيب فى امر موسى عليهما السلام (حكى) ان خسرو كان يحب اكل السمك فكان يوما جالسا فى المنظرة وشيرين عنده اذ جاء صياد ومعه سمكة كبيرة فوضعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شيرين بئس ما فعلت لانك اذا اعطيت بعد هذا احدا من عسكرك هذا القدر احتقره وقال اعطانى عطية الصياد فقال خسرو لقد صدقت لكن يقبح على الملوك ان يرجعوا فى عطيا تهم فقالت شيرين تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر او انثى فان قال ذكر فقل انما اردنا انثى وان قال انثى فقل انما اردنا ذكرا فنودى الصياد فعاد فقال له الملك هذه السمكة ذكر او انثى فقال هذه السمكة خنثى فضحك خسرو من كلامه وامر له بأربعة آلاف درهم اخرى فقبض ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جراب معه وحملها على كاهله وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب وانحنى على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران اليه فقالت شيرين للملك ارأيت الى خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على ذلك الدرهم وأخذه ولم يسهل عليه ان يتركه فغضب الملك وقال لقد صدقت ياشيرين ثم امر باعادة الصياد فقال يا دنيئ الهمة لست

بانسان ماهذا الحرص والتهالك على درهم واحد فقبل الصياد الارض وقال انى لم ارفع ذلك الدرهم لخطره عندى وانما رفعته عن الارض لان على احد وجهيه اسم الملك وعلى الآخر صورته فخشيت ان يأتى احد بغير علم فيضع عليه قدمه فيكون ذلك استخفافا بالملك وصورته فتعجب خسرو من كلامه فامر له بار بعة آلاف درهم اخرى وكتب وصية للناس بان لاتطيعوا النساء اصلا ولاتعملوا برأيهن قطعا (وحكى) ان رجلا من بنى اسرائيل اتى سليمان عليه السلام وقال يانبى الله اريد ان تعلمنى لسان البهائم فقال سليمان ان كنت تحب ان تعلم لسان البهائم انا اعلمك ولكن اذا اخبرت احدا تموت من ساعتك فقال لا اخبر احدا فقال سليمان قد علمتك وكان للرجل ثور وحمار يعمل عليهما فى النهار فاذا امسى ادخل عليهما علفهما فخط العلف بين يديهما فقال الحمار للثور اعطنى الليلة عشاءك حتى يحسب صاحبنا انك مريض فلايعمل عليك ثم انى اعطيك عشائى فى الليلة القابلة فرفع الثور رأسه من علفه فضحك الرجل فقالت امرأته لم تضحك قال لاشئ فلما جاءت الليلة القابلة اعطى الرجل للحمار علفه وللثور علفه وقال الثور اقضنى السلف الذى عندك فانى امسيت مغلوبا من الجوع والتعب فقال له الحمار انك لاتدرى كيف كان الحال قال الثور وماذاك قال ان صاحبنا البارحة ذهب وقال للجزار ثورى مريض اذبحه قبل ان يجف فاصبر الليلة واسلفنى ايضا عشاءك حتى اذا جاءك الجزار صباحا وجدك عجيفا ولايذبحك فتجو من الموت ولو تعشيت يمتلئ بطنك فيخشى عليك ان يحسبك سمينا فيذبحك انى اردلك ما اسلفتنى الليلتين فرفع رأسه عن علفه ولم يأكل فضحك الرجل فقالت المرأة لم تضحك اخبرنى والاطلقنى فقال الرجل اذا اخبرتك بماضحكت اموت من ساعتى فقالت لاابالى فقال ائتينى بالدواة والقرطاس حتى اكتب وصيتى ثم اخبر ثم اموت فناولته فبينما هو يكتب اذ طرحت المرأة كسرة من الخبز الى الكلب فسبق الديك واخذها بمنقاره قال الكلب ظلمتنى قال الديك صاحبنا يريد الموت فتكون انت شبعانا من وليمة المأتم ولكن نحن نبقى فى مبيتنا الى ثلثة ايام لايفتح لنا الباب وان مت يرمى امرأته ابعده الله واسخطه فان لى تسع نسوة لاتقدر واحدة منهن ان تسأل عن سرى ولو كنت انا مكانه لاضربنها حتى تموت او تتوب وبعد ذلك لاتسأل عن سر زوجها فاخذ الرجل عصا ولم يزل يضربها حتى تابت من ذلك * زنى راكه جهلست وناراستى * بلا پرسر خودنه زن خواستى * وافادت من التبعيضية فى قوله ان من ازواجكم الخ ان منها مالبس بعدو كما قال عليه السلام الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقال عليه السلام ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ان امرها اطاعته وان نظر اليها سرته وان اقسم عليها ابرته وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله فاذا كانت المرأة على هذه الاوصاف فهى ميمونة مباركة والافهى مشؤمة منحوسة * كراخانه آباد وهمخوابه دوست * خدارا برحمت نظرسوى اوست (وان تعفوا) عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة (وتصفحوا) بترك التثريب والتعيير يقال صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه والتثريب عليه (وتغفروا) باخفائها وتمهيد عذرها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ماعاملتم ويتفضل عليكم وهذا كقوله وان جاهداك على ان تشرك بى مالبس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق ويقيم * واراد الحطيئة وهو شاعر مشهور سفرا فقال لامرأته

عدى السنين لغيبتى وتصبرى * وذرى الشهور فانهن قصار

فاجابته واذكر صبابتنا اليك وشوقنا * وارحم بناتك انهن صغار

وقيل ان ناسا من المؤمنين ارادوا الهجرة من مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم فرينوا لهم القعود فقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا ومنعوهم الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة قال القاشانى وان تعفوا بالمداراة وتصفحوا عن جرائمهم بالحلم وتغفروا جناياتهم بالرحمة فلا ذنب ولاحرج انما الذنب فى الاحتجاب بهم وافراط المحبة وشدة التعلق لافى مراعاة العدالة والفضيلة ومعاشرتهم بحسن الخلق فانه مندوب بل اتصاف بصفات الله فان الله غفور رحيم فعليكم بالتخلق باخلاقه وفى الحث على العفو والصفح اشارة الى ان ليس المراد

من الامر بالحذر تركهم بالكلية والاعراض عن معاشرتهم ومصاحبتهم كيف والنساء من اعظم نعم الجنة وبها انظام العالم فانه لولا الازواج لما وجد الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء وقد خلق المخلوقات لاجلهم ومن الله على عباده بتذكير النعمة حيث قال خلق لكم من انفسكم ازواجا وهذا كما روى عنه عليه السلام انه كان يقول اتقوا الدنيا والنساء فان الامر بالاتقاء انما هو للتحذير عما يضر في معاشرتها لا للترك بالكلية فكما ان الدنيا لا تترك بالكلية مادام المرء حيا وانما يحذر من التعلق بها ومحبتها الشاغلة عن محبة الله تعالى فكذا النساء ولامر ما حبب الله اليه عليه السلام النساء وقال عليه السلام اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث صدقة جارية اوعلم ينتفع به اوولد صالح يدعو له كما سبق بيانه في سورة النجم فقد حث عليه السلام على وجود الولد الصالح ولم يعده من الدنيا بل عده من الخير الباقي في الدنيا وبه يحصل العمر الثاني وفي الآية اشارة الى ان النفوس الامارة اواللوامة واولادها وهي صفات تلك النفوس واخلاقها الشهوانية عدو للانسان يمنعه عن الهجرة الى مدينة القلب فلا بد من الحذر عن متابعتها ومخالطتها بالكلية وتصرفاتها في جميع الاحوال وان تعفوا عن هفواتهم الباطلة الواقعة منهم في بعض الاوقات لكونهم مطية لكم وتصفحوا بعدالتوبيخ والتعيير وتغفروا بان تستروا ظلمتهم بنور ايمانكم وشعاع معرفة قلوبكم فان الله غفور ساتر لكم يستر بلطفه رحيم بكم بافاضة رحمته عليكم جعلنا الله واياكم من اهل تقواه ومغفرته وتغمدنا بانواع رحمته (انما اموالكم واولادكم فتنة) بلاء ومحنة يوقعونكم في الاثم والعقوبة من حيث لا تحتسبون (وقال الكاشفي) آزمايش است تا ظاهر كردد كه كدام ازايشان حق رابرايشان ايثار ميكند وكدام دل درمال وولد بسته آزمحبت الهي كرانه ميكيرد وجيء بانما للحصر لان جميع الاموال والاولاد فتنة لانه لا يرجع الى مال او ولد الا وهو مشتمل على فتنة واشتغال قلب وتأخير الاولاد من باب الترقي من الادنى الى الاعلى لان الاولاد اصنى بالقلوب من الاموال لكونهم من اجزاء الآباء بخلاف الاموال فانها من توابع الوجود ولحقائه ولذا جعل توحيد الافعال في مقابلة الفناء عن الاولاد وتوحيد الذات في مقابلة الفناء عن النفس (والله عنده اجر عظيم) لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والتدبير في مصالحهم زهدهم في الدنيا بان ذكر عيبها ورغبهم في الآخرة بذكر نعيمها وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يقولن احدكم اللهم اعصمني من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى مال وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن نظيره ما حكي عن محمد ابن المنكدر رحمه الله انه قال قلت ليلة في الطواف اللهم اعصمني واقسمت على الله تعالى في ذلك كثيرا فرأيت في المنام كان قائلا يقول لي انه لا يفعل ذلك فلت لم قال لانه يريد ان يعصى حتى يغفر وهذا من الاسرار المصونة والحكم المسكوت عنها وفي مشكاة المصابيح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب اذ جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل عليه السلام من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ عليه السلام في خطبته قال ابن عطية وهذه ونحوها هي فتنة الفضلاء واما فتنة الجهال الفسقة فمؤدية الى كل فعل مهلك يقال ان اول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة اهله واولاده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يارب خذ بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه ويأكل عياله حسناته فلا يبقى له حسنة ولذا قال عليه السلام يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وهو دود يقع في الطعام والثوب وغيرهما ومن ثم ترك كثير من السلف المال والاهل رأسا واعرضوا عنهما بالكلية لان كل شيء يشغل عن الله فهو مشؤم على صاحبه ولذا كان عليه السلام يقول في دعائه اللهم من احبني واجاب دعوتي فاقلل ماله وولده ومن ابغضني ولم يجب دعوتي فاكثر ماله وولده وهذا للغالب عليهم النفس واما قوله عليه السلام في حق انس رضي الله عنه اللهم اكثر ماله وولده وبارك فيما اعطيته فهو لغيره (فاتقوا الله ما استطعتم) اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم قال بعضهم اي ان علمتم ذلك وانتصحتم به فاتقوا ما يكون سببا لمؤاخذة الله اياكم من تدبير امورهما ولا ترتكبوا ما يخالف امره تعالى من فعل او ترك وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته لما اشتد عليهم بان قاموا حتى ورمت اقدامهم وتفرحت جباههم فنزلت تيسيرا لعباد الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها آية

محكمة لاناسخ فيها لعله رضى الله عنه جمع بين الآيتين بان يقول هنا وهنالك فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم واجتهدوا فى الانصاف به بقدر طاقتكم فانه لايكلف الله نفسا الاوسعها وحق التقوى مايحسن ان يقال ويطلق عليه اسم التقوى وذلك لايقتضى ان يكون فوق الاستطاعة وقال ابن عطاء رحمه الله هذا لمن رضى عن الله بالثواب فامامن لم يرض عنه الابه فان خطابه فاتقوا الله حق تقاته اشار رضى الله عنه الى الفرق بين الابرار والمقربين فى حال التقوى فقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ناظر الى الابرار وقوله تعالى فاتقوا الله حق تقاته ناظر الى المقربين فان حالهم الخروج عن الوجود المجازى بالكلية وهو حق التقوى وقال القاشانى فاتقوا الله فى هذه المخالفات والآفات فى مواضع البليات ما استطعتم بحسب مقامكم ووسعكم على قدر حالكم ومرتبتكم قال السرى قدس سره المتقى من لايكون رزقة من كسبه ودركشف الاسرار آورده كه دريك آيت اشارت ميكند بواجب امر ودرديكرى بواجب حق چون واجب امر يامد واجب حق رارقم نسخ بركشيد زيرا كه حق بنده راكه مطالبت كند بواجب امر كند تافعل اودر دائرهٔ عفو داخل تواند شد واكر اورا بواجب حق بكيرد طاعت ومعصيت هزار ساله آنجا بكرنك دارد * بى نيازى بين واستغنا نكر * خواه مطرب باش وخواهى نوحه كر * اكرهمه انبيا اولياء بهم آيند كسى كه طاقت آن دارد كه بحق اوجل جلاله قيام نمايد باجواب حق اوبازدهد امر اومتناهيست اما حق اومتناهى نيست زيراكه بقاى امر ببقاى تكليف است وتكليف دردنياست كه سراى تكليف است اما بقاى حق ببقاى ذاتست وذات متناهى نيست بس حق متناهى نيست واجب امر برخيزد اما واجب حق برنخيزد دنيا در كذرد ونوبت امر باوى در كذرد اما نوبت حق هركز ونكذرد امر وزهر كسى راسودايى درسرست كه درامر مى نكرند انبياورسل بنبوت ورسالت خويش مى نكرند فرشتكان بطاعت وعبادت خودمى نكرند موحدان ومجتهدان ومؤمنان ومخلصان بتوحيد وايمان واخلاص خويش مى نكرند فردا چون سرادقات حق ربوبيت بازكشند انبيا باكمال حال خويش حديث علم خودطى كنند كويند لاعلم لنا ملائكة ملكوت صومعهاى عبادت خود آتش درزنند كه ماعبدناك حق عبادتك عارفان وموحدان كويند ماعرفناك حق معرفتك (واسمعوا) مواعظه (واطيعوا) اوامره (وانفقوا) ممارزقكم فى الوجوه التى امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد انفاق الزكات والظاهر العموم وهو مندرج فى الاطاعة ولعل افراده بالذكر لما ان الاحتياج اليه كان اشد حينئذ وان المال شقيق الروح ومحبوب النفس ومن ذلك قدم الاموال على الاولاد فى المواضع حتى قال الامام الغزالى رحمه الله انه قديكون حب المال من اسباب سوء العاقبة فانه اذاكان حب المال غالبا على حب الله فحين علم محب المال ان الله يفرقه عن محبوبه عقد فى قلبه البغض لله نعوذ بالله من ذلك وهذا كما ترى ان احدا اذا احب دنياه حبا غالبا على حب ابنه فلوقصد الابن ان يأخذها منه لابغض الابن واحب هلاكه (خيرا لانفسكم) خبر لكان المقدر جوابا للاوامر اى يكن خيرا لانفسكم اومفعول لفعل محذوف اى اتوا وافعلوا خيرا لانفسكم واقصدوا ماهو انفع لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم من الاموال والاولاد وماهم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) اى ومن يقه الله ويعصمه من بخل نفسه الذى هى الرذيلة المجبولة فى طينة النفس وقد سبق بيانه فى سورة الحشر وبالفارسية وهركه نكاه داشت ازبخل نفس خود يعنى حق خدايرا امساك نكند ودرراه وى بذل مى نمايد وهو مجهول مجزوم الآخر بمن الشرطية من الوقاية المتعدية الى المفعولين وشح مفعول ثان له اق على النصب والاول ضمير من القائم مقام الفاعل (فاولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مرام وفى الحديث (كفى بالمرء من الشح ان يقول آخذ حتى لاأترك منه شيأ) وفى حديث الاصمعى اتى اعرابى قوما فقال لهم هذا فى الحق اوفيما هو خير منه قالوا وماخير من الحق قال التفضل والتغافل افضل من اخذ الحق كله كذا فى المقاصد الحسنة (روى) عن النبى عليه السلام انه كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الاغفرت لى وقال عليه السلام وماذنبك صفه لى قال هواعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبى يارسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبى يارسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبى قال فذنبك اعظم

ام العرش قال بل ذنبي اعظم قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك صف لي ذنبك قال يارسول الله انى ذوثروة من المال وان السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقلني بشعلة من النار فقال عليه السلام عني يعني دورشواز من لاتحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لوقت بين الركن والمقام ثم بكيت الفي عام حتى تجرى من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت ليم لكبك الله في النار اماعلمت ان البخل كفر وان الكفار في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون * فرومانده كارا درون شادكن * زروز فرومانده كى يادكن * نه خواهنده بردر ديكران * بشكر انه خواهنده ازدرمران * وفي الآية اشارة الى ان الانفاق على الغير عملا اومالا انفاق على نفسك بالحقيقة والناس كنفس واحدة لانتفاء الغيرية في الاحدية وان من وفق لانفاق الوجود المجازى في الله فاز بالوجود الحقيقي من الله تعالى (ان تقرضوا الله) بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها وبالفارسية اكر قرض دهيد خدايرا يعني صرف كنيد درآنچه فرمايد وذكر القرض تلطف في الاستدعاء كما في الكشاف قال في اللباب القرض القطع ومنه المقراض لما يقطع به وانقرض القوم اذا هلكوا وانقطع اثرهم وقيل للقرض قرض لانه قطع شئ من المال هذا اصل الاشتقاق ثم اختلفوا فيه فقيل اسم لكل مايلتمس الجزآء عليه وقيل ان يعطى احدا شيأ ليرجع اليه ثم قيل لفظ القرض هنا حقيقة على المعنيين وقيل مجاز على الثاني لان الراجع ليس مثله بل بدله واليه يميل مافي الكشاف في سورة البقرة اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه لعله الوجه فيكون يقرض استعارة تصريحية تبعية وقوله (قرضا حسنا) تصريحية اصلية اى مقرونا بالاخلاص وطيب النفس قال سهل رضي الله عنه القرض الحسن المشاهدة بقلوبكم لله في اعمالكم كما قال ان تعبد الله كأنك تراه وقرضا ان كان بمعنى اقراضا كان نصبه على المصدرية وان كان بمعنى مقرضا من النفقة كان مفعولا ثانيا اتقرضوا لان الاقراض يتعدى الى مفعولين ففي التعبير عن الانفاق بالاقراض وجعله متعلقا بالله الغني مطلقا والتعبير عن النفقة بالقرض اشارة الى حسن قبول الله ورضاه والى عدم الضياع وبشارة باستحقاق المنفق ببركة انفاقه لتمام الاستحقاق (يضاعفه لكم) من المضاعفة بمعنى التضعيف اى التكثير فليس المفاعلة هنا للاشتراك اى يجعل لكم اجره مضاعفا ويكتب بالواحد عشرة وسبعين وسبعمائة واكثر بمقتضى مشيئته على حسب النيات والاوقات والاحوال (ويغفر لكم) ببركة الانفاق مافرط منكم من بعض الذنوب (والله شكور) يعطى الكثير بمقابلة اليسير من الطاعة اويجازى العبد على الشكر وهو الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع فسمى جزآء الشكر شكرا اوالله شكور بمعنى انه كثير الثناء على عبده بذكر افعاله الحسنة وطاعته فالشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه وهذا المعنى مختار الامام القشيري رحمه الله والشكور من لغة الشاكر والشاكر من له الشكر سئل بعضهم من اشكر الشاكرين فقال الطاهر من الذنوب بعد نفسه من المذنبين والمجتهد في النوافل بعد ادآء الفرآئض بعد نفسه من المقصرين والراضي بالقليل من الدنيا بعد نفسه من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره بعد نفسه من الغافلين والراغب في العمل بعد نفسه من المفلسين فهذا اشكر الشاكرين ومن ادب من عرف انه تعالى شكور ان يجد في شكره ولايفتر ويواظب على حمده ولايقصر والشكر على اقسام شكر بالبدن وهو ان لاتستعمل جوارحك في غير طاعته وشكر بالقلب وهو ان لاتشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته وشكر باللسان وهو ان لاتستعمله في غير ثنائه ومدحته وشكر بالمال وهو ان لاتنفقه في غير رضاه ومحبته * نفس مى نيارم زدازشكر دوست * كه شكرى نه دانم كه درخورد اوست * عطايست هرموى ازوبرتنم * چكونه بهر موى شكرى كنم * واحسن وجوه الشكر لنعم الله ان لاتستعملها في معاصيه بل في طاعته وخاصية اسم الشكور التوسعة ووجود العافية في البدن وغيره بحيث لوكتبه من به ضيق في النفس وتعب في البدن اى اعياء اشد الاعياء وثقل في الجسم وتمسح به وشرب منه برئ باذن الله تعالى وان تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد بركة ذلك ويكتب احدى واربعين مرة (حليم) لايعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم من البخل والامساك ونحوهما فيحلم حتى يظن الجاهل انه ليس يعلم ويستر حتى يتوهم الغافل انه ليس يبصر قال الامام الغزالي رحمه الله الحليم هوالذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الامر ثم لا يستفزه غضب ولايعتريه غيظ ولايحمله

على المسارعة الى الانتقام مع غاية الاقتدار بعجلة وطيش كما قال الله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة (حكى) ان ابراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات والارض رأى عاصيا فى معصيته فقال اللهم اهلكه فاهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فاهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فاهلكه الله ثم رأى رابعا فدعا عليه فاوحى الله اليه ان قف يا ابراهيم فلو اهلكنا كل عاص رأيناه لم يبق احد من الخلق ولكنا بحلمنا لا نعذبهم بل نمهلهم فاما ان يتوبوا واما ان يصروا فلا يفوتنا شئ قيل الحلم حجاب الآفات وقيل الحلم ملح الاخلاق (وشتم الشعبى رجل فقال ان كنت كاذبا غفر الله لك وان كنت صادقا غفر الله لى وكان الاحنف يضرب به المثل فى الحلم وهو يقول انى صبور ولست بحليم والفرق بين الحليم والصبور ان المذنب لا يأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم يعنى ان الصبور يشعر بانه يعاقب فى الآخرة بخلاف الحليم كما فى المفاتيح والتخلق بالاسم الحليم انما هو بان يصفح عن جنايات الناس ويسامح لهم فيما يعاملونه به من السيئات بل يجاز بهم بالاحسان تحقيقا للحلم والغفران وفى الاربعين الادريسية يا حليم ذا الاناة فلا يعاد له شئ من خلقه قال السهروردى رحمه الله من ذكره كان مقبول القول وافر الحرمة قوى الجاش بحيث لا يقدر عليه سبع ولا غيره والاناة على وزن القناة هو التثبت والوقار (عالم الغيب والشهادة) خبر بعد خبر اى لا يخفى عليه خافية (وقال الكاشفى) ميداند آنچه ظاهر ميكند از تصدق وآنچه پنهان ميدارند رد لها از ريا واخلاص وقد سبق الكلام عليه فى اواخر سورة الحشر ولعل تقديم الغيب لان عالم الغيب اعم والعلم به اتم (العزيز الحكيم) البالغ فى القدرة والحكمة (وقال الكاشفى) غالبست انتقام توانند كشيد از كسى كه صدقهٔ او خالص نبود حكم كننده بكرامت انها راكه ازروى صدق تصدق نمايند والحكم سابق فالعبرة به لا بالصورة ولذا رد بلعم بن باعور وقبل كلب اصحاب الكهف قال ابو على الدقاق قدس سره لما صرفوا ذلك الكلب ولم يتصرف انطقه الله تعالى فقال لم تصرفونى ان كان لكم ارادة فلى ايضا ارادة وان كان خلقتكم فقد خلقنى ايضا فازدادوا بكلامه يقينا ولما سمعوا كلامه اتفقوا على استصحابه معهم الا انهم قالوا يستدل علينا بآثار قدمه فالحيلة ان نحمله بالحيله فحمله الاولياء على اعناقهم وهم يمشون لما ادركه من العناية الازلية وكذا لم يكن فى الملائكة اكبر قدرا ولا اجل خطرا من ابليس الا ان الحكم الازلى بشقاوته كان خفيا عن العباد فلما ظهر فيه الحكم الازلى لعنه من عرفه ولم يعرفه * كليد قدرنيست دردست كس * توانائى مطلق خدايست وبس * زنى بو ركرد اين حلاوت بديد * همانكس كه در مارزهر آفريد * خدايا بغفلت شكستيم عهد * چه زور آورد با قضا دست جهد * چه برخيزد از دست تدبير ما * همين نكته بس عذر تقصير ما * همه هر چه كردم تو برهم زدى * چه قوت كند با خداى خودى * نه من سر ز حكمت بدر مى بردم * كه حكمت چنين مى رود بر سرم * وقال الحافظ الشيرازى رحمه الله نقش مستورى ومستى نه بدست من وتست * آنچه سلطان ازل گفت بكن آن كردم (وقال ايضا) درين چمن نكنم سرزنش بخودروئى * چنانكه پرورشم ميدهند مى رويم * وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا فى شبابيك رأسه مكتوب خمس آيات من سورة التغابن يعنى نيست هيچ مولودى كه مولود مى شود مگر كه در شبكهاى سرش مكتوب بست پنج آيت از سورهٔ تغابن والشبابيك جمع شبابك بالضم كزنار مثل خفاش وخفافيش او جمع شباكة بمعنى المشبك وهو ما تداخل بعضه فى بعض وفى الحديث (من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة وهى بالمد مع ضم الفاء وبالقصر مع فتح الفاء البغتة دون تقدم مرض ولا سبب

تمت سورة التغابن بالتيسير من الله والتعاون فى تاسع شهر ربيع الآخر من شهور سنة ست عشرة ومائة والف

(سورة الطلاق اثنتا عشرة آية مدنية وتسمى سورة النساء القصرى)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يا ايها النبى اذا طلقتم النساء) التطليق طلاق دادن يعنى عقدهٔ نكاح را حل كردن وكشادن قال فى المفردات اصل الطلاق التخلية من وثاق ويقال اطلقت البعير من عقاله وطلقته وهو طالق وطلق بلا قيد ومنه استعير طلقت المرأة اذا خليتها فهى طالق اى مخلاة عن خبالة النكاح انتهى والطلاق اسم بمعنى التطليق

كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم وفى ذلك قالوا المستعمل فى المرأة لفظ التطليق وفى غيرها لفظ الاطلاق حتى لوقال اطلقتك لم يقع الطلاق مالم ينو لوقال طلقتك وقع نوى اولم ينو والمعنى اذا اردتم تطليق النساء المدخول بهن المعتدات بالاقراء وعزمتم عليه بقرينة فطلقوهن فان الشئ لايترتب على نفسه ولا بؤمر احد بتحصيل الحاصل ففيه تنزيل المشارف للشئ منزلة الشارع فيه والاظهر انه من ذكر السبب وارادة المسبب وتخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لأمته ايضا لتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام اياهم وتغليبه عليهم ففيه تغليب المخاطب على الغائب والمعنى اذا طلقت انت وامتك وفى الكشاف خص النبى بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يافلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبار الترؤسه وانه لسان قومه فكأنه هو وحده فى حكم كلهم لصدورهم عن رأيه كما قال البقلى اذا خاطب السيد بان شرفه على الجمهور اذجمع الجميع فى اسمه ففيه اشارة الى سر الاتحاد وفى كشف الاسرار فيه اربعة اقوال احدها انه خطاب للرسول وذكر بلفظ الجمع تعظيما له كما يخاطب الملوك بلفظ الجمع والثانى انه خطاب له والمراد امته والثالث ان التقدير ياايها النبى والمؤمنون اذا طلقتم فحذف لان الحكم يدل عليه والرابع معناه ياأيها النبى قل للمؤمنين اذا طلقتم انتهى * يقول الفقير هذا الاخير انسب بالمقام فيكون مثل قوله ياايها النبى قل لازواجك قل للمؤمنين قل للمؤمنات ولان النبى عليه السلام وان كان اصيلا فى المأمورات كان امته اصيل فى المنهيات الا ان الطلاق لما كان ابغض المباحات الى الله تعالى كما سيجيء كان الاولى ان يسند التطليق الى امته دونه عليه السلام مع انه عليه السلام قد صدر منه التطليق فانه طلق حفصة بنت عمر رضى الله عنهما واحدة فلما نزلت الآية راجعها وكانت علامة كثيرة الحديث قريبا منزلتها من منزلة عائشة رضى الله عنها فقيل له عليه السلام راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة حكاه الطبرى وفى الحديث بيان فضل العلم وحفظ الحديث ومحبة الله الصيام والقيام وكرامة اهلهما عنده تعالى وآورده آنكه عبدالله بن عمر رضى الله عنهما زن خود را در حال حيض طلاق داد حضرت رسالت فرمود تا رجوع كند وآنكاه كه از حيض پاك شود اكر خواهد طلاق دهد ودرين باب آيت آمد والقول الاول هو الامثل والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدأ كما فى حواشى سعدى المفتى (فطلقوهن لعدتهن) العدة مصدر عده يعده وسئل رسول الله عليه السلام متى تكون القيامة قال اذا تكاملت العدتان اى عدة اهل الجنة وعدة اهل النار اى عددهم وسمى الزمان الذى تتربص فيه المرأة عقيب الطلاق اوالموت عدة لانها تعد الايام المضروبة عليها وتنتظر أوان الفرج الموعود لها كما فى الاختيار والمعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن متوجهات اليها وهى الحيض عند الحنفية فاللام متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام والمرأة اذا طلقت فى طهر يعقب الفرء الاول من اقرآئها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله فى السنة وابعده من الندم لانه ربما ندم فى ارسال الثلاث دفعة فالطلاق السنى هو ان يكون فى طهر لم يجامعها فيه وان يفرق الثلاث فى الاطهار الثلاثة وان يطلقها حاملا فانها اذا على طهر ممتد فتطليقها حلال وعلى وجه السنة والبدعى على وجوه ايضا منها ان يكون فى طهر جامع فيه لما فيه من تطويل العدة ايضا على قول من يجعل العدة بالاطهار وهو الشافعى حيث ان بقية الطهر لاتحتسب من العدة ومنها ماكان فى الحيض اوالنفاس لما فيه من تطويل العدة ايضا على قول من يجعل العدة بالحيض وهو ابوحنيفة رحمه الله لان بقية الحيض لاتحتسب الا ان تكون غير ممتد خول بها فانه لابدعة فى طلاقها فى حال الحيض اذ ليس عليها عدة اوتكون مما لايلزمها العدة بالاقراء فان طلاقها لايتقيد بزمان دون زمان ومنها ماكان بجمع الثلاث اى ان يطلقها ثلاثا دفعة اوفى طهر واحد متفرقة ويقع الطلاق المخالف للسنة فى قول عامة الفقهاء وهو مسيئ بل آثم ولذا كان عمر رضى الله عنه لايؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا اوجعه ضربا وطلق رجل امرأته ثلاثا بين يديه عليه السلام فقال اتلعبون بكتاب الله وانا بين اظهركم اى مقيم بينكم وفيه اشارة الى ان ترك الأدب فى حضور الاكابر الخشن ينبغى ان يصفع صاحبه اشد الصفع وقال الشافعى اللام فى لعدتهن متعلقة بطلقوهن لانها للتوقيت بمعنى عند اوفى فيكون المعنى فى الوقت الذى يصلح لعدتهن وهو الطهر وقال ابوحنيفة رحمه الله الطلاق فى الحيض ممنوع

بالاجماع فلا يمكن جعلها للتوقيت فان قلت قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء واليائسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثمة ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم فى كلهن وفى بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض فان قلت الطلاق موقوف على النكاح سابقا اولاحقا والنكاح موقوف على الرضى من المنكوحة اومن وليها فيلزم ان يكون الطلاق موقوفا على الرضى بالنكاح وهو واقع غير باطل لا موقوفا على الرضى نفسه الذى هو الباطل الغير الواقع فتفكر واعلم ان النكاح والطلاق امران شرعيان من الامور الشرعية العادية لهما حسن موقع وقبح موقع بحسب الاحوال والاوقات وقد طلق عليه السلام حفصة رضى الله عنها تطليقة واحدة رجعية كما سبق وكذا تزوج سودة بنت زمعة بمكة بعد موت خديجة رضى الله عنها وقبل العقد على عائشة رضى الله عنهن ثم طلقها بالمدينة حين دخل عليها وهى تبكى على من قتل من اقاربها يوم بدر فاستشفعت الى النبى عليه السلام ووهبت يومها لعائشة فراجعها فان قلت كيف فعل رسول الله ذلك وقد قال ابغض الحلال الى الله الطلاق وقال عليه السلام يامعاذ ما خلق الله شيأ على وجه الارض احب اليه من العتاق ولا خلق الله شيأ ابغض اليه من الطلاق وذلك لان النكاح يؤدى الى الوصال والطلاق يؤدى الى الفراق والله يحب الوصال ويبغض الفراق لا شمس ليوم الفراق ولا نهار لليلة القطيعة رابعة عدويه كفته كه كفر طعم فراق دارد وايمان لذت وصال وقس عليه الانكار والاقرار وآن طعم واين لذت فردای قیامت بدید آید كه دران صحرای هیبت وعرصهٔ سیاست قومی را كويند فراق لا وصال له وقومی را كويند وصال لا نهاية له سوختكان فراق همی كويند * فراق او ززمانی هزار روز آرد * بلای او زشبی هم هزار سال كند * افروختكان وصال همی كويند سرا پردهٔ وصلت كشيد روز نواخت * بطبل رحلت برزد فراق يار دوال * وفى الحديث تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعنه عليه السلام لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله لا يحب الذواقين والذواقات وعنه عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة قلت يحتمل ان يكون فى ذلك حكمة لا نطلع عليها بعد ان علمنا انه عليه السلام نبى حق لا يصدر منه ما هو خلاف الحق وقد دل الحديث الآخران النهى انما يكون عما لا وجه فيه وان يكون لاظهار جواز الطلاق والرجعة منه كما وجهوا بذلك ما وقع من غلبة النوم عليه وعلى اصحابه ليلة التعريس الى ان طلعت الشمس وارتفعت بمقدار فان بذلك علم شرعية القضاء وان يصلى بالجماعة وان يصدر منه عليه السلام الاحاديث المذكورة بعد ما وقع قضية حفصة وسودة رضى الله عنهما وان يكون من قبيل ترك الاولى وقد جوزوا ذلك للانبياء عليهم السلام فان قلت لعل ما فعله اولى من وجه وان كان ما امر الله به اولى من وجه آخر قلت لا شك ان ما امر الله به كان ارجح وترك الارجح ترك الاولى هذا ولعل ارجحية المراجعة فى وقت لا يقتضى ارجحية ترك الطلاق على فعله فى وقت آخر لان فى كل وقت احتمال ارجحية امر والله اعلم يقول الفقير امده الله القدير ان النبى عليه السلام كان قد حبب اليه النساء لما يحب فى النكاح من ذوق القربة والوصلة فالنكاح اشارة الى مقام الجمع الذى هو مقام الولاية كما دل عليه قوله عليه السلام ارحنى يا بلال والطلاق اشارة الى مقام الفرق الذى هو مقام النبوة كما دل عليه قوله عليه السلام كلمينى ياحميراء فالاول وصل الفصل والثانى فصل الوصل وان كان عليه السلام قد جمع بين الفصل والوصل والفرق والجمع فى مقام واحد وهو جمع الجمع كما دل عليه قوله تعالى الم نشرح لك صدرك (واحصوا العدة) الاحصاء دانستن وشمردن برسبيل استقصاء اى واضبطوها بحفظ الوقت الذى وقع فيه الطلاق واكملوها ثلاثة اقراء كوامل لانقصان فيهن اى ثلاث حيض كما عند الحنفية لان الغرض من العدة استبراء الرحم وكماله بالحيض الثلاث لا بالاطهار كما يغسل الشئ ثلاث مرات لكمال الطهارة والمخاطب بالاحصاء هم الازواج لا الزوجات ولا المسلمون والا يلزم تفكيك الضمائر ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق وقال ابو الليث امر الرجال بحفظ العدة لان فى النساء غفلة فربما لا تحفظ عدتها واليه مال الكاشفى حيث قال وشمار كنيدای مردان عدت زنان را كه ايشان ازضبط عاجزند يا ازاحصاء آن غافل

فالزوج يحصى ليتمكن من تفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا فان ارسال الثلاث فى طهر واحد مكروه عند أبى حنيفة واصحابه وان كان لابأس به عند الشافعى واتباعه حيث قال لااعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح وليعلم بقاء زمان الرجعة ليراجع ان حدثت له الرغبة فيها وليعلم زمان وجوب الانفاق عليه وانقضائه وليعلم انها هل تستحق عليه ان يسكنها فى البيت اوله ان يخرجها وليتمكن من الحاق نسب ولدها به وقطعه عنه قالوا وعلى الرجال فى بعض المواضع العدة (منها انه اذا كان للرجل اربع نسوة فطلق احداهن لايحل له ان يتزوج بامرأة اخرى مالم تنقض عدتها ومنها انه اذا كان له امرأة ولها اخت فطلق امرأته لايحل له ان يتزوج باختها مادامت فى العدة (ومنها انه اذا اشترى جارية لايحل له ان يقربها مالم يستبرئها بحيضة (ومنها انه ان تزوج حربية لايحل له ان يقربها مالم يستبرئها بحيضة (ومنها انه اذا بلغ المرأة وفاة زوجها فاعتدت وتزوجت وولدت ثم جاء زوجها الاول فهى امرأته لانها كانت منكوحته ولم يعترض شئ من اسباب الفرقة فبقيت على النكاح السابق ولكن لايقربها حتى تنقضى عدتها من النكاح الثانى ووجوب العدة لايتوقف على صحة النكاح اذا وقع الدخول بل تجب العدة فى صورة النكاح الفاسد ايضا على تقدير الدخول (ومنها انه اذا تزوج حربية مهاجرة الى دارنا بأمان وتركت زوجها فى دار الحرب فلاتحل له مالم يستبرئها بحيضة عند الامامين وقال ابو حنيفة لايجب عليه العدة (ومنها انه اذا تزوج امرأة حاملا لايحل له ان يطأها حتى تضع الحمل (ومنها انه اذا تزوج بامرأة وهى حائض لايحل له ان يقربها حتى تطهر من حيضها ومنها انه اذا تزوج بامرأة نفساء لايحل له ان يقربها حتى تطهر من نفاسها ومنها انه اذا زنى بامرأة ثم تزوجها لايحل له ان يقربها مالم يستبرئها بحيضة (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن بايقاع طلاق ثان بعد الرجعة فالامر بالتقوى متعلق بما قبله وفى وصفه تعالى بربوبيتهم تأكيد للامر ومبالغة فى ايجاب الاتقاء والتقوى فى الاصل اتخاذ الوقاية وهى مايقى الانسان مما يكرهه ويؤمل ان يحفظه ويحول بينه وبين ذلك المكروه كالترس ونحوه ثم استعير فى الشرع لاتخاذ مايقى العبد بوعد الله ولطفه من قهره ويكون سببا لنجاته من المضار الدائمة وحياته بالمنافع القائمة وللتقوى فضائل كثيرة ومن اتقى الله حق تقواه فى جميع المراتب كوشف بحقائق البيان فلايقع له فى الاشياء شك ولاريب (لاتخرجوهن) بنون مكنيد زنان مطلقه (من بيوتهن) من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة اى لاتخرجوهن من مساكنكم عند الفراق الى ان تنقضى عدتهن وانما اضيفت اليهن مع انها لازواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كما نها املاكهن وفى ذكر البيوت دون الدار اشارة الى ان اللازم على الزوج فى سكناهن مانحصل المعيشة فيه لان الدار مايشمل البيوت (ولايخرجن) ولوباذن منكم فان الاذن بالخروج فى حكم الاخراج ولااثر عندنا لاتفاقهما على الانتقال لان وجوب ملازمة مسكن الفراق حق الشرع فلايسقط باسقاط العبد كما قال فى الكشاف فان قلت مامعنى الاخراج وخروجهن قلت معنى الاخراج اى لاتخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن اولحاجة لهم الى المساكن وان لايأذنوا لهن فى الخروج اذا طابن ذلك ايذانا بأن اذنهم لااثر له فى دفع الحظر ولايخرجن بأنفسهن ان اردن ذلك انتهى فان خرجت المعتدة لغير ضرورة اوحاجة اثمت فان وقعت ضرورة بأن خافت هدما اوحرقا لها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك ان كانت لها حاجة من بيع غزل اوشراء قطن فيجوز لها الخروج نهارا لالليلا كما فى كشف الاسرار (الاان يأتين بفاحشة مبينة) اى الزنى فيخرجن لاقامة الحد عليهن ثم بعدن وبالفارسية مگر بيارند كردار ناخوش كه روشن كننده حال زنان بود دربد كردارى وقال بعضهم مبينة هنا بالكسر لازم بمعنى متبينة كبين من الابانة بمعنى بين والفاحشة ماعظم قبحه من الافعال والاقوال وهو الزنى فى هذا المقام وقيل البذآء باللد وهو القول القبيح واطالة اللسان فانه فى حكم النشوز فى اسقاط حقهن فالمعنى الاان يبذون على الازواج واقاربهم كالاب والاخ فيحل حينئذ اخراجهن وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو كل معصية وهو استثناء من الاول اى لاتخرجوهن فى حال من الاحوال الاحال كونهن آتيات بفاحشة اومن الثانى للمبالغة فى النهى عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة اى لايخرجن الااذا ارتكبن الفاحشة بالخروج يعنى ان من خرجت اتت بفاحشة كما يقال لاتكذب

الا ان تكون فاسقا يعني ان تكذب تكن فاسقا (وتلك) الاحكام (حدود الله) التي عينها لعباده والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط احدهما بالآخر (ومن يتعد) اصله يتعدى فحذفت اللام من الشرطية وهو من التعدي المتعدي بمعنى التجاوز اي ومن يتجاوز (حدود الله) حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلية الحكم في قوله تعالى (فقد ظلم نفسه) اي اضر بها قال البقلي قدس سره ان الله حد الحدود باوامره ونواهيه لنجاة سلاكها فاذا تجاوزوا عن حدوده يسقطون عن طريق الحق ويضلون في ظلمات البعد وهذا اعظم الظلم على النفوس اذ منعوها من وصولها الى الدرجات والقرب قال بعضهم التهاون بالامر من قلة المعرفة بالآمر فلابد من الخوف او الرجاء او الحياء او العصمة في علم الله فهي اسباب اربعة لاخامس لها حافظة من الوقوع فيما لاينبغي فمن ليس له واحد من هذه الاسباب فقد وقع في المعصية وظلم النفس فالكامل يعطي نفسه حقها ظاهرا وباطنا ولا يظلمها (حكي) ان معروف الكرخي قدس سره رأى جارية من الحور العين فقال لمن انت ياجارية فقالت لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان وكان قد برد له كوز ماء ليشربه فتناولت الحوراء الكوز فضربت به الارض فكسرته قال السري السقطي رحمه الله ولقد رأيت قطعه في الارض لم ترفع حتى عفا عليها التراب فكانت الحوراء لمعروف حين امتنع من شرب الماء المبرد وكانت جزاءله في اعطائه نفسه حقها فان في جسده من يطلب ضد الجارية ونحوها فلابد من اعطاء كل ذي حق حقه (لاتدري) تعليل لمضمون الشرطية اي فانك ايها المتعدي لاتدري عاقبة الامر وقال بعضهم لاتدري نفس (لعل الله) شايد خداى تعالى (يحدث) يوجد في قلبك فان القلوب بين اصبعين من اصابع الله يقلبها كيف يشاء والحدوث كون الشيء بعد ان لم يكن عرضا كان ذلك اوجوهرا واحداثه ايجاده (بعد ذلك) الذي فعلت من التعدي (امرا) يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل بغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استئناف نكاح فالامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فالظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي ليكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم به فمه اقوى وفي الآية دلالة على كراهة التطليق ثلاثا بمرة واحدة لان احداث الرجعة لايكون بعد الثلاث فني الثلاث عون للشيطان وفي تركها رغم له فان الطلاق من اهم مقاصده كما روى مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان عرش ابليس على البحر فيبعث سراياه اي جنوده واعوانه من الشياطين فيفتنون الناس فاعظمهم عنده الاعظم فتنة يجيء احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيئا ثم يجيء احدهم فيقول ماتركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول نعم انت اي نعم المضل او الشرير انت فيكون نعم بكسر النون فعل مدح حذف المخصوص به اونعم انت ذلك الذي يستحق الاكرام فيكون بفتح النون حرف ايجاب (فاذا بلغن) بس چون برسدزنان (اجلهن) اي شارفن آخر عدتهن وهي مضي ثلاث حيض ولم تغتسل من الحيضة الثالثة وذلك لانه لايمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة فحمل البلوغ على المشارفة كما قال في المفردات البلوغ والبلاغ الانتهاء الى اقصى القصد والمبتغى مكانا كان اوزمانا اوامرا من الامور المقدرة وربما يعبر به عن المشارفة عليه وان لم ينته اليه مثل فاذا بلغن اجلهن فانها للمشارفة فانها اذا انتهت الى اقصى الاجل لايصح للزوج مراجعتها وامساكها والاجل المدة المضروبة للشيء (فامسكوهن) اي فاتتم بالخيار فان شئتم فراجعوهن والرجعة عند ابي حنيفة تحصل بالقول وكذا بالوطيء واللمس والنظر الى الفرج بشهوة فيهما (بمعروف) بحسن معاشرة وانفاق لائق وفي الحديث (اكمل المؤمنين احسنهم خلقا والطفهم باهله (اوفارقوهن) ياجداشويد ازايشان وبگذاريد (بمعروف) بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة (واشهدوا) كواه كيريد اي عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع اذ قد تنكر المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيها وربما يموت احدهما بعد الفرقة فيدعي الباقي منهما ثبوت الزوجية لاخذ الميراث وهذا امر ندب لاوجوب (ذوي عدل) تثنية ذا منصوب ذو بمعنى الصاحب اي اشهدوا اثنين (منكم) اي من المسلمين كما قال الحسن اومن احراركم كما قاله قتادة يكونان عادلين لاظالمين ولافاسقين والعدالة هي

الاجتناب عن الكبائر كلها وعدم الاصرار على الصغائر وغلبة الحسنات على السيئات والالمام من غير اصرار لا يقدح في العدالة اذ لا يوجد من البشر من هو معصوم سوى الانبياء عليهم السلام كذا في الفروع (واقيموا الشهادة) ايها الشهود عند الحاجة خالصة (لله) تعالى وذلك ان يقيموها للمشهود له وعليه لا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم فلو شهد لغرض لا لله يرئ بها من وبال كتم الشهادة لكن لا يثاب عليها لان الاعمال بالنيات والحاصل ان الشهادة امانة فلا بد من تأدية الامانة كما قال تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فلو كتمها فقد خان والخيانة من الكبائر دل عليه قوله تعالى ومن يكتمها فانه آثم قلبه (ذلكم) اشارة الى الحث على الشهادة والاقامة او على جميع ما في الآية من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء العدة والكف عن الاخراج والخروج والاشهاد واقامة الشهادة بادائها على وجهها من غير تبديل وتغيير (يوعظ به) الوعظ زجر يقترن بتخويف (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره ولم يقل ذلكم توعظون به كما في سورة المجادلة لتهييج المؤمنين على الغيرة فان من لا غيرة له لا دين له ومن مقتضى الايمان بالله مراعاة حقوق المعبودية والربوبية وباليوم الآخر الخوف من الحساب والعذاب والرجاء للفضل والثواب فالمؤمن بهما يستحيي من الخالق والخلق فلا يترك العمل بما وعظ به ودلت الآية على ان الانسان يومين اليوم الاول هو يوم الدنيا واليوم الآخر هو يوم الآخرة واليوم عرفا زمان طلوع الشمس الى غروبها وشرعا زمان طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس وهذان المعنيان ليسا بمرادين هنا وهو ظاهر فيكون المراد مطلق الزمان ليلا كان او نهارا طويلا كان او قصيرا وذلك الزمان اما محدود وهو زمان الدنيا المراد باليوم الاول او غير محدود وهو زمان الآخرة المراد باليوم الآخر الذي لا آخر له لتأخره عن يوم الدنيا وجوزوا ان يكون المراد من اليوم الآخر ما يكون محدودا ايضا من وقت النشور الى ان يستقر الفريقان في مقرهما من الجنة او النار فعلى هذا يمكن ان يكونا مستعارين من اليومين المحدودين بالطلوع والغروب اللذين بينهما زمان نوم ورقدة ويراد بما بين ذينك الزمانين زمان القرار في القبور قبل النشور كما قال تعالى حكاية عن بعثنا من مرقدنا وعلى هذا يقال ليوم الآخرة غد كما مر في اواخر سورة الحشر قال بعض الكبار علمك باليقظة بعد النوم وعلمك بالبعث بعد الموت والبرزخ واحد غير ان للبرزخ بالجسم تعلقا في النوم لا يكون بالموت وكما ستيقظ على ما مت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه فهو امر مستقر فالعاقل يسعى في اليوم المنقطع ليوم لا ينقطع ويحيي على الايمان والعمل ليكون موته ونشره عليهما (ومن يتق الله) في طلاق البدعة فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور (يجعل له مخرجا) مصدر ميمي اي خروجا وخلاصا مما عسى يقع في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب وبالفارسية بيرون شدن وقال بعضهم هو عام اي ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له خروجا من كل ضيق يشوش البال ويكدر الحال وخلاصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا وعن النبي عليه السلام انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وفي الجلالين من الشدة الى الرخاء ومن الحرام الى الحلال ومن النار الى الجنة او اسم مكان بمعنى يخرجه الى مكان يستريح فيه وفي فتح الرحمن يجعل له مخرجا الى الرجعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عمن طلق امرأته ثلاثا او الفا هل له من مخرج فقال لم يتق الله فلم يجعل له مخرجا بانت منه بثلاث والزيادة اثم في عنقه ويقال المخرج على وجهين احدهما ان يخرجه من تلك الشدة والثاني ان يكرمه بالرضى والصبر فانه من قبيل العافية ايضا كما قال عليه السلام واسأل الله العافية من كل بلية فالعافية على وجهين احدهما ان يسأله ان يعافيه من كل شيء فيه شدة فان الشدة تحمل اكثرها من اجل الذنوب فكانه سأل ان يعافيه من البلاء ويعفو عنه الذنوب التي من اجلها تحمل الشدة بالنفس والثاني انه اذا حل به بلاء ان لا يكله الى نفسه ولا يخذله وان يكلأه ويرعاه وفي هذه المرتبة يصير البلاء ولاء والمحنة منحة والمقت مقة والالم لذة والصبر شكرا ولا يتحقق بها الا الكمل (ويرزقه) بعد ذلك الجعل (من حيث لا يحتسب) من ابتدائية متعلقة بيرزقه اي من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه فيوفي المهر ويؤدي الحقوق ويعطي النفقات قال في عين المعاني من حيث لا يرتقب من الخان او يعتد من الحساب

ازسببها بكذروتقوى طلب * تاخدا روزى رساندبى سبب * حق رجايى بخشدت رزق حلال * كه نباشد دركمان ودرخيال * قال عليه السلام انى لاعلم آية لوأخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فازال يقرأها ويعيدها وعنه عليه السلام من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب (وروى) ان عوف بن مالك الاشجعى رحمه الله اسر المشركون ابنه سالما فأتى رسول الله فقال اسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله واكثر لاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت (وقال الكاشفى) عوف باذن خود بقول حضرت عليه السلام عمل نمود ند اندك فرصتى رابسر عوف اراهل شرك خلاص يافتدوچهارهزار كوسفند ايشانرا رانده بسلامت بمدينه آمدوابن آيت نازل شد كه هر كه تقوى ورزد روزى حلال يابدل وفى عين المعانى فأفلت ابنه بأربعة آلاف شاة وبالامتعة وفى الجلالين واصاب ابلا لهم وغنما فساقها الى ابيه آورده اند كه درروز كار خلافت عمر رضى الله عنه مردى بيامد وازعمر توليت عمل خواست تادرديوان خلافت عامل باشد عمر كفت قرآن دانى كفت ندانم كه نياموخته ام عمر كفت ماعمل بكسى ندهيم كه قرآن نداند مرد باز كشت وجهدى ورنج عظيم برخود نهاد ردتعلم قرآن بطمع آنكه عمراورا عمل دهدچون قرآن بياموخت وياد كرفت بركات قرآن وخواندن ودانستن اورابدان جاى رسانيد كه دردل وى نه حرص ولايت ماند نه تقاضاى ديدار عمر * پس روزى عمر اورا ديد كفت ياهذا هجرتنا اى جوانمرد چه افتاد كه بيكبارگى هجرت ما اختيار كردى كفت يا اميرالمؤمنين تونه ازان مردان باشى كه كسى واداردكه هجرت تواختيار كند ليكن قرآن بياموختم وچنان توانكر دل كشتم كه ازخلق وازعمل بى نياز شدم عمر كفت آن كدام آيت است كه ترا بدين دركاه بى نيازى دركشيد كفت آن آيت كه درسورة الطلاق است (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) واعلم ان كل واحد من الضيق والرزق يكون دنيويا واخرويا جسمانيا وروحانيا وان أعسر الضيق مايكون اخرويا واوفر الرزق مايكون روحانيا فمن يتق الله حق التقوى يجعل له مخرجا من مضار الدارين ويرزقه من منافعهما فان قيل ان اتقى الاتقياء هم الانبياء والاولياء مع ان اكثرهم ابتلى بالمشقة الشديدة والفاقة المديدة كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل اجيب بأن اشد الشدة وامد المدة مايكون اخرويا وهم مأمونون من ذلك بلطف الله وكرمه الاان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون واما ما اصابهم فى الدنيا باختيارهم للاجر الجليل وبغير اختيار للصبر الجميل فله غاية حميدة ومنفعة عظيمة والله عليم حكيم يفعل مايشاء ويحكم مايريد قال بعضهم شكا اليه عليه السلام بعض الصحابة الفاقة فقال عليه السلام دم على الطهارة يوسع عليك الرزق فقال كم من مستديم للطهارة لايرتب له كفايته فضلا عن ان يوسع عليه ويوجه بان تخلف الاثر كالتوسيع مثلا لمانع لاينافى الاقتضاء اى اقتضاء العلة لمعلولها واثرها اما عند القائلين بتخصيص العلة فظاهر واما عند غيرهم فيجعل عدم المانع جزء العلة ومن المانع الغفلة وغلبة بعض الجنايات وعند غلبة احد الضدين لايبقى للآخر تأثير يقول الفقير والذى يقع فى قلبى ان اصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون بأنواع الرزق المعنوى والغذاء الروحانى من العلوم والمعارف والحكم والحقائق والتضييق لبعضهم فى الرزق الصورى والغذاء الجسمانى انما هو لتطبيق الفقر الظاهر بالباطن والفقر الباطن هو الغنى المطلق لقوله عليه السلام اللهم اغننى بالافتقار اليك وأصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون ابدا اما ظاهرا وباطنا معا واما باطنا فقط على ارلاهلها مراتب من حيث البداية والنهاية ولن ترى من اهل النهاية محروما من الرزق مطلقا الانادرا والله الغنى وفى التأويلات النجمية ومن يتق الله اى يجعل ذاته المطلقة جنة ذاته وصفاته وافعاله تعالى جنة افعاله باضافة الاشياء كلها خلقا وايجادا الى ذاته وصفاته وافعاله يجعل له مخرجا من مضايق ذاته وصفاته وافعاله الى وسائع ذاته وصفاته وافعاله ويرزقه من حيث لايحتسب من فيض اسمه الوهاب على طريق الوهب لاعلى طريق الكسب والاجتهاد (ومن يتوكل على الله) اتوكل سكون القلب فى كل موجود ومفقود وقطع القلب عن كل علاقة والتعلق بالله فى جميع الاحوال (فهو) اى الله تعالى (حسبه) بمعنى محسب اى كاف يعنى كافى المتوكل فى جميع اموره ومعطيه حتى يقول حسبى فان قلت اذا كان حكم الله فى الرزق لايتغير فما معنى التوكل قلت معناه ان المتوكل يكون فارغ القلب

ساكن الجلش غير كاره لحكم الله فلهذا كان التوكل محمودا قال عليه السلام لوانكم تتوكلون على الله احق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ومعناه تذهب اول النهار خماصا اى ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانا اى ممتلئة البطون وليس فى الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه مايدل على طلب الرزق وهوقوله تغدو وتروح وانما التوكل بعد الحركة فى امر المعاش كتوكل الزارع بعد القاء الحب فى الارض وكان السلف يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج احدكم كان اول مايأكل دينه وربما رأوا رجلا فى جماعة جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك (وفى المثنوى) كرتوكل ميكنى دركاركن * كشت كن پس تكيه برجبار كن * رمز الكاسب حبيب الله شنو * از توكل در سبب كاهل مشو * واما الذين قعدوا عن الحركة والكسب وهم الكمل فطريقتهم صعبة لايسلكها كل ضامر فى الدين ودل الحديث المذكور على ان التوكل الحقيقى ان لايرجع المتوكل الى رزق معين وغذآء موظف كالطير حتى لاينقض التوكل اللهم الا ان يكون من الكمل فان المعين وغيره سوآء عندهم لتعلق قلوبهم بالله لابغيره وفى التأويلات النجمية ومن يتوكل فى رزق نفسه من الاحكام الشرعية وفى رزق قلبه من الواردات القلبية وفى رزق روحه من العطايا والمنح الالهية الروحانية فالله الاسم الاعظم حسبه من حيث الاسماء الكافية اوالتوكل نفسه حسبه فيكون الضمير راجعا الى التوكل (ان الله بالغ امره) بالاضافة اى منفذ امره وتمم مراده وممضى قضائه فى خلقه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا وفى التأويلات النجمية ان الله بالغ امره فى كل مأمور بما هو منتهاه واقصاه وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اى يبلغ مايريد ولايفوته مراد ولايعجزه مطلوب (كما قال الكاشفى) رساننده است كارخودرا بهرچاخواهد يعنى آنچه مراد حق سبحانه باشد ازوفوت نشود وقرئ بالغ امره على الفاعلية اى نافذ امره وفى القاموس امر الله بلغ اى بالغ نافذ فليلغ اين اريديه (قدجعل الله لكل شئ) من الشدة والرخاء والفقر والغنى والموت والحيوة ونحوذلك (قدرا) اى تقديرا متعلقا بنفس ذاته وبزمانه وقومه وبجميع كيفياته واوصافه وانه بالغ ذلك المقدر على حسب ماقدره وبالفارسية اندازه كه ازان درنگذرد او مقدار او حدا معينا اووقتا واجلا ونهاية ينتهى اليه لايتقدم عليه ولايتأخر عنه ولايتأتى تغييره يعنى بامقدارى اززمانكه پيش وپس نيفتد وفى التأويلات النجمية اى رتبة وكما لا يليق بذلك الشئ وقال القاشانى ومن يتوكل على الله يقطع النظر عن الوسائط والانقطاع اليه من الوسائل فهو كافيه يوصل اليه ماقدر له ويسوق اليه ماقسم لاجله من النصيبة الدنيا والآخرة ان الله يبلغ ماأراد من امره لامانع له ولاعائق فمن تيقن ذلك ماخاف احدا ولارجا وفوض امره اليه ونجا قد عين الله لكل امر حدا معينا ووقتا معينا فى الازل لايزيد بسعى ساع ولاينقص بمنع مانع وتقصير مقصر ولايتأخر عن وقته ولايتقدم عليه والمتيقن لهذا الشاهد له متوكل بالحقيقة انتهى وفى المفردات تقدير الله الاشياء على وجهين احدهما باعطاء القدرة والثانى ان يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة وذلك ان فعل الله ضربان ضرب اوجده بالفعل ومعنى ايجاده بالفعل انه ابدعه كاملا دفعة لايعتريه الكون والفساد الى ان يشاء ان يغنيه او يبدله كالسموات ومافيها ومنه ماجعل اصوله موجودة بالفعل واجزاءه بالقوة وقدره على وجه لايتأتى غير ماقدر فيه كتقديره فى النوات ان ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير مني الآدمى ان يكون منه الانسان دون سائر الحيوان فتقدير الله على وجهين احدهما بالحكم منه ان يكون كذا ولايكون كذا اما على سبيل الوجوب واما على سبيل الامكان وعلى ذلك قوله تعالى قدجعل الله لكل شئ قدرا والثانى باعطاء القدرة عليه انتهى والآية بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق وغيره لايكون الا بتقدير الله وتوقيته لايبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله (قال الكاشفى) بناء اين آيت بر تقوى وتوكلست تقوى نفحهٔ بوستان قربست وارزتبهٔ معيت خبردهد كه ان الله مع الذين اتقوا وتوكل رائحهٔ كلزار كفايتست وارنبوى ريحان محبت رسد كه ان الله يحب المتوكلين وبى اين دوصفت قدم درطريق تحقيق نتوان نهاد * سلوك راه معنى را توكل بايدوتقوى * توكل مركب راهست وتقوى توشهٔ رهرو * قال سهل قدس سره لايصح التوكل الا لمتقين ولاتتم التقوى الا بالتوكل ولذلك قرن الله بينهما فقال ومن يتق الله الخ وقال بعضهم من تحقق

فى التقوى هون الله على قلبه الاعراض عن الدنيا و يسر له امره فى الاقبال عليه والتزين بخدمته وجعله اماما لخلقه يقتدى به اهل الارادة فيحملهم على اوضح السنن واوضح المناهج وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله تعالى وذلك منزلة المتقين وقال سهل رحمه الله من يكل اموره الى ربه فان الله يكفيه هم الدارين اجمع قال الربيع رحمه الله ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه اتاه وتصديق ذلك فى كتاب الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم اجيب دعوة الداع اذا دعان (واللائى) من الموصولات جمع التى يعنى آن زنان كه (يئسن من المحيض من نسائكم) اللائى دخلتم بهن لكبرهن و يبسهن وقدروه بستين سنة و بخمس وخمسين فلو رأته بعد ذلك لايكون حيضا قوله يئسن فعل ماض واليأس القنوط ضد الرجاء يقال يئس من مراده ييأس يأسا وفى معناه ايس ييس يأسا واياسا لاايسا وفاعلهما آيس لايائس يقال امرأة آيس اذا كان يأسها من الحيض دون آيسة لان التاء انما زيدت فى المؤنث اذا استعملت الكلمة للمذكر ايضا فرقا بينهما واذا لم تستعمل له فاى حاجة الى الزيادة ومن ذلك يقال امرأة حائض وطالق وحامل بلاتاء اذا كان حملها من الولد واما اذا كان يأسها وحملها من غير الحيض وحمل الولد يقال آيسة وحاملة وفى المغرب اليأس انقطاع الرجاء واما الاياس فى مصدر الآيسة من الحيض فهو فى الاصل أيياس على افعال حذفت منه الهمزة التى هى عين الكلمة تخفيفا والمحيض الحيض وهو فى اللغة مصدر حاضت الانثى فهى حائض وحائضة اى خرج الدم من قبلها و يكون للارنب والضبع والخفاش كما ذكره الجاحظ وفى القاموس حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا فهى حائض وحائضة من حوائض وحيض سال دمها والمحيض اسم ومصدر قيل ومنه الحوض لان الماء يسيل اليه والحيضة المرة انتهى وفى الشرع دم ينفضه رحم امرأة بالغة لاداء بها ولاياس لها اى بجعلها الشارع منقطعة الرجاء عن رؤية الدم ومن الاولى لابتداء الغاية ومتعلقة بالفعل قبلها والثانية للتبيين ومتعلقة بمحذوف (ان ارتبتم) من الارتياب بالفارسية بشك شدن اى شككتم واشكل عليكم حكمهن لانقطاع دمهن بكبر السن وجهلتم كيف عدتهن (فعدتهن ثلاثة اشهر) فقوله واللائى يئسن الخ مبتدأ خبره فعدتهن وقوله ان ارتبتم اعتراض وجواب الشرط محذوف اى ارتبتم فيها فاعلموا انها ثلاثة اشهر كذا قالوا والاشهر جمع شهر وهو مدة معروفة مشهورة باهلال الهلال او باعتبار جزء من اثنى عشر جزأ من دوران الشمس من نقطة الى تلك النقطة قال فى القاموس الشهر العدد المعروف من الايام لانه يشهر بالقمر (واللائى) وآن زنان كه (لم يحضن) اى مارأين الدم اصغرهن اى فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ماقبله عليه والشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها بعذر من الاعذار قبل بلوغها سن الآيسات فعند ابى حنيفة والشافعى لاتنقضى عدتها حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وضع السجاوندى الطاء الدالة على الوقف المطلق على وضعه وقانونه فى لم يحضن لانقطاعه عما بعده وكان الظاهر ان يضع الميم الدالة على اللازم لان المتبادر الاتصال الموهم معنى فاسدا لعله نظر الى ظهور عدم حمل التى لم تحض لصغرها (واولات الاحمال) واحدتها ذات بمعنى صاحبة والاحمال جمع حمل بالفتح بالفارسية بار والمراد الحبل اى الثقل المحمول فى الباطن وهو الولد فى البطن والمعنى وذوات الاحمال من النساء والحبالى منهن (اجلهن) اى منتهى عدتهن (ان يضعن حملهن) سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن فلو وضعت المرأة حملها اى ولدت وحطت ما فى بطنها يعنى از بالابزير آورد بعد طلاق الزوج اووفاته بلحظة انقضت عدتها وحلت للازواج فكيف بعد ساعة او يوم اوشهر وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم و يذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخى نزوله عن ذلك وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام فقال قد حللت فتزوجى (ومن يتق الله) فى شأن احكامه وحقوقه (يجعل له من امره يسرا) اى يسهل عليه امره و يوفقه للخير و يعصمه من المعاصى والشر بسبب التقوى فى للبيان قدم على المبين للفواصل او بمعنى فى (ذلك) المذكور من الاحكام وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه مابعده لما انه لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لاتعيين خصوصية المخاطبين (امر الله) حكمه الشرعى (انزله)

من اللوح المحفوظ (اليكم) الى جانبكم وقال ابو الليث انزله فى القرآن على نبيكم لتستعدوا للعمل به فايا كم ومخالفته (ومن يتق الله) بالمحافظة على احكامه (يكفر عنه سيئاته) يستر لها رضاء عنه باتقائه وبالفارسية بپوشد خداى تعالى ازو بديهاء ويرا ورباييد لها حسنات (و يعظم له اجرا) بالمضاعفة وبالفارسية وبزرك سازد براى او مزدرا يعنى اورا مزد زياده دهد در آخرت قال بعضهم يعطيه اجرا عظيما اى اجر كان ولذلك نكر فالتنكير للتعميم المنبئ عن التتميم قال فى برهان القرآن امر بالتقوى فى احكام الطلاق ثلاث مرات وعد فى كل مرة نوعا من الجزاء فقال اولا يجعل له مخرجا يخرجه مما دخل فيه وهو يكرهه ويهيئ له محبوبه من حيث لا يأمل وقال فى الثانى يسهل عليه الصعب من امره ويفتح له خيرا ممن طلقها والثالث وعد عليه الجزاء بافضل الجزاء وهو ما يكون فى الآخرة من النعماء (اسكنوهن من حيث سكنتم) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل اسكنوهن من حيث سكنتم اى بعض مكان سكناكم والخطاب للمؤمنين المطلقين (من وجدكم) اى من وسعكم اى مما تطيقونه يعنى مسكن ايشان بقدر طاقت وتواناى خويش سازيد والوجد القدرة والغنى يقال افتقر فلان بعد وجده وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له وفى عين المعانى ومن لتبيين الجنس لما فى حيث من الابهام انتهى واعترض عليه ابو حيان بانه لم يعهد فى عطف البيان اعادة العامل انما عهد ذلك فى البدل فالوجه جعله بدلا قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد اسكنها فى بعض جوانبه قال صاحب اللباب ان كانت الدار التى طلقها فيها ملكه يجب عليه ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعليه الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكترى لها دارا تسكنها قال فى كشف الاسرار واما المعتدة من وطئ الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا (ولا تضاروهن) اى ولا تقصدوا عليهن الضرر فى السكنى باى وجه كان فان المفاعلة قد لا تكون للمشاركة وبالفارسية ورنج مرسانيد مطلقات را (لتضيقوا عليهن) فى المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك وتلجؤهن الى الخروج وبالفارسية براى آنكه تنك كردانيد برايشان مساكن ايشان وفيه حث على المروءة والمرحمة ودلالة على رعاية الحق السابق حتى يتيسر لها التدارك فى امر المعيشة من تزوج آخر او غيره (وان كن) اى المطلقات (اولات حمل) ذوات حبل وبالفارسية خدا وندبار يعنى حامله واولات منصوب بالكسر على قانون جمع المؤنث وتنوين حمل للتعميم يعنى اى حمل كان قريب الوضع او بعيده (فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وتخلصوا من كلفة الاحصاء ويحل لهن تزوج غيركم اياشئن فالبائن بالطلاق اذا كانت حاملا لها النفقة والسكنى بالاتفاق واما البائن الحائل اى غير الحامل فتستحق النفقة والسكنى عند ابى حنيفة كالحامل الى ان تنقضى عدتها بالحيض او بالاشهر خلافا للثلاثة واما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لهن من التركة ولا سكنى بل تعتد حيث تشاء وان كن اولات حمل لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة اوولد صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذا المتوفى عنها الحامل وهو قول الاكثرين قال ابو حنيفة تجب النفقة والسكنى لكل مطلقة سواء كانت مطلقة بثلاث اوواحدة رجعية او بائنة مادامت فى العدة اما المطلقة الرجعية فلانها منكوحة كما كانت وانما يزول النكاح بمضى العدة وكونه فى معرض الزوال بمضى العدة لا يسقط نفقتها كالمولى وعلق طلاقها بمضى شهر فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالاجماع واما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى مادامت فى العدة لقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم اذ المعنى اسكنوا المعتدات مكانا من المواضع التى تسكنونها وانفقوا عليهن فى العدة من سعتكم لما قرأ ابن مسعود رضى الله عنه اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم وعند الشافعى لها السكنى لهذه الآية ولا نفقة لها الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل الخ فان قلت فاذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط فى قوله وان كن اولات حمل الخ قلت فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحامل فنى ذلك الوهم كما فى الكشاف (فان ارضعن لكم) الرضاع لغة شرب اللبن من الضرع او الثدى وشريعة شرب الطفل حقيقة او حكما اللبن خالص او مختلط غالبا من آدمية فى وقت مخصوص والارضاع شير دادن يعنى

هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية وعلاقة النكاح قال لكم ولم يقل اولادكم لما قال تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة فالاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند ابى حنيفة رحمه الله مادامت زوجة معتدة من نكاح (فآتوهن اجورهن) على الارضاع ان طلبن اورجون فان حكمهن فى ذلك حكم الاظئار حينئذ قال فى اللباب فان طلقها فلا يجب عليها الارضاع الان لا يقبل الولد ثدى غيرها فيلزمها حينئذ فان اختلفا فى الاجرة فان دعت الى اجرة المثل وامتنع الاب الا تبرعا فالام اولى بأجر المثل اذ لا يجد الاب متبرعة وان دعا الاب الى اجر المثل وامتنعت الام لتطلب شططا فالاب اولى به فان اعسر الاب بأجرتها اجبرت على ارضاع ولدها انتهى ان قيل ان الولد للاب فلم لا يتبعه فى الحرية والرقية بل يتبع الام لانها اذا كانت ملكا لغير الاب كان الولد ملكا له وان كان الاب حرا واذا كانت حرة كان الولد حرا وان كان الاب رقيقا اجيب بان الفقهاء قالوا فى وجهه رجح ماء الام لاعلى ماء الاب فى الملكية لان ماءها مستقر فى موضع وماء الاب غير معلوم افادت هذه المسألة ان المالكية تغلب الوالدية والتحقيق ان الاحكام شرعية لا عقلية والعلم عند شارعها يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (وائتمروا) ايها الآباء والامهات (بينكم) مبان يكد كر در كار فرزند (بمعروف) اى تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر وهو المسامحة ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه فى وجوب الاشفاق عليه فالائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا يعنى الافتعال قد يكون بمعنى التفاعل وهذا منه (وان تعاسرتم) يقال تعاسر القوم اذا تحرجوا تعسير الامر اى تضايقتم وبالفارسية واكر دشوار كنيد ومضايقه نماييد اى پدر ومادر در رضاع ومزد دادن يعنى شوهر ازاجرا باكند يازن شير ندهد (فسترضع له) اى للاب كما فى الكشاف وهو الموافق لقوله فان ارضعن لكم اوللصبى والولد كما فى الجلالين وتفسير الكاشفى ونحوهما وفيه ان الظاهر حينئذ ان يقول فسترضعه (اخرى) اى فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى غير الام ترضعه يعنى مرد دايه كيرد براى رضيع خود وما در را باكراه واجبار نفرمايد وفيه معاتبة للام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريدان تبقى غير مقضية فانت ملوم قال سعدى المفتى ولا يخلو عن معاتبة الاب ايضا حيث اسقط فى الجواب عن حيز الشرف الخطاب مع الاشارة الى انه ان ضويقت الام فى الاجر فامتنعت من الارضاع لذلك فلا بد من ارضاع امرأة اخرى وهى ايضا تطلب الاجر فى الاغلب الاكثر والام اشفق واحن فهى به اولى وبما ذكرنا يظهر كمال الارتباط بين الشرط والجزآء (لينفق) لام الامر (ذوسعة) خداوند فراخى وتوانكرى (من سعته) از غناى خود يعنى بقدر توانائى خويش برمطلقه ومرضعه نفقه كند ومن متعلقة بقوله لينفق (ومن قدر عليه رزقه) اى ضيق وكان بمقدار القوت وبالفارسية وهر كه تنك كرده شده است بروزى او يعنى فقير وتنكدست است ومن هذا المعنى اشتق الاقدر اى القصير العنق وفرس اقدر يضع حافر رجله موضع حافر يده وقوله تعالى وعلى الموسع قدره وعلى المقتر قدره اى ما يليق بحاله مقدرا عليه (فلينفق مما آتاه الله) وان قل اى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه ويطيقه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) من المال جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وبالفارسية وتكليف نفرمايد خداى تعالى هيچ تنى را مكر آنچه بدو عطا كرده است اومال يعنى تكليف ما لا يطاق نفرمايد وقد اكد ذلك بالوعد حيث قال (سيجعل الله بعد عسر يسرا) اى عاجلا او آجلا اذ ليس فى السين دلالة على تعين زمان وكل آت قريب ولو كان الآخرة وبافارسية زود باشد كه بدرآرد خداى تعالى بعد از دشوارى وتنكدستى آسانى وتوانكرى فلينتظر المعسر اليسر وفرج الله فان الانتظار عبادة وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده ووعد لفقرآء الازواج لا للفقرآء ذلك الوقت عموما كما جوزه الزمخشرى حيث قال موعد لفقرآء ذلك الوقت بفتح ابواب الرزق عليهم اولفقرآء الازواج ان انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا يقول الفقير لا بعد فى ذلك من حيث ان القرآن ليس بمحصور ولا التفات فى مثل هذا المقام الى سوق الكلام قال البقلى سيجعل الله بعد ضيق الصدر

من الاهتمام بالرزق وانفاقه سعة الصدر و يسر السخاء والطمانينة والرضى بالله وايضا سيجعل الله بعد عسر الحجاب للمشتاقين يسر كشف النقاب وفى التأويلات النجمية يعنى كل ذى سعة مأمور بانفاق مايقدر على انفاقه فالخفى المنفق عليه من جانب الحق ينفق على الروح من سعته والروح ينفق على السر من سعته والسر ينفق على القلب من سعته والقلب ينفق على النفس من سعته و النفس ينفق على الصدر من سعته والصدر ينفق على الجسم من سعته ومن قدر عليه رزقه من الفيوض الالهية فلينفق مما آتاه الله بحسب استعداده لايكلف الله نفسا الا ما آتاها فى استعدادها الازلى وقابليتها الغيبية سيجعل الله بعد عسر انقطاع الفيض يسر اتصال الفيض (وكأين من قرية) يعنى كم الخبرية فى كونها للتكثير والقرية اسم للموضع الذى يجتمع فيه الناس والمعنى وكثير من اهل قرية وبالفارسية و بسيارازاهل ديهى وشهرى فهو من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثم وصفه بصفته اومن المجاز العقلى والاسناد الى المكان وهذه الآية تحذير للناس عن المخالفة فى الاحكام المذكورة وتأكيد لايجابها عليهم (عتت عن امر ربها ورسله) قال فى المفردات العتو النبو عن الطاعة وفى القاموس عتا عتوا وعتيا استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتى انتهى والعتو لايتعدى بعن وانما عدى بها لتضمينه معنى الاعراض كانه قيل اعرضت عن امر ربها وامر رسل ربها بسبب التجاوز عن الحد فى التكبر والعناد وفى ايراده صفة الرب توبيخ لهم وتجهيل لمالان عصيان العبيد لربهم ومولاهم طغيان وجهل بشأن سيدهم ومالكهم و بمرتبة انفسهم ودوام احتياجهم اليه فى التربية قوله وكأين مبتدأ ومن قرية بيان له وعتت خبر المبتدأ (فحاسبناها حسابا شديدا) اى ناقشناها فى الحساب وضيقنا وشددنا عليها فى الدنيا واخذناها بدقائق ذنوبها وجرائمها من غير عفو بنحو القحط والجوع والامراض والاوجاع والسيف وتسليط الاعداء عليها وغير ذلك من البلايا مقدما معجلا على استئصالها وذوقها العذاب الاكبر لترجع الى الله تعالى لان البلاء كالسوط للسوق فلم تفعل ولم ترفع رأسا فابتلاها الله بمافوق ذلك كما قال (وعذبناها عذابا نكرا) اى منكرا عظيما هائلا متنفرا عنه بالطبع لشدته وايلامه اوغير متوقع فانهم كانوا لايتوقعونه ولوقيل لهم لما يصدقونه والقهر الغير المتوقع اشد الما واللطف الغير المتوقع انم لذة وبالفارسية وعذاب كرديم ايشانرا عذابى چنانكه نديده بودند ونشناخته وهو العذاب العاجل بالاستئصال بنحو الاغراق والاحراق والريح والصيحة فالنكر الامر الصعب الذى لايعرف والانكار ضد العرفان يقول الفقير اضاف الله المحاسبة والتعذيب الى نفسه مع ان سببهما كان العتو عن امره وامر رسله لان الرسل كانوا فانين فى الله فاتخذوا الله وكيلا فى جميع امورهم وتركوا التصرف والتعرض للقهر ونحوه وذلك انهم قد بعثوا بعد رسوخهم ولهذا صبروا على تكذيب امهم لهم ولو بعثوا قبل الرسوخ ربما بطشوا بمن كذبهم واهلكوه وقس عليهم احوال الكمل من الاولياء (فذاقت) پس بچشيد نداهل آن ديه (وبال امرها) اى ضرر كفرها ونقل عقوبة معاصيها اى احسته احساس الذائق المطعوم (وكان عاقبة امرها خسرا) هائلا لاخسر ورآء يعنى زيانكارى وكدام زيان ازان بدتركه ازحيات ومنافع آن محروم شدند و بعقوبات مبتلى كشتند فتجارتهم خسارة لاربح فيها لتضييعهم بضاعة العمر والصحة والفراغ بصرفها فى المخالفات قال فى المفردات الخسر والخسران انتقاص رأس المال وينسب الى الانسان فيقال خسر فلان والى الفعل فيقال خسرت تجارته ويستعمل ذلك فى القنيات الخارجية كالمال والجاه فى الدنيا وهو الاكثر وفى النفسية كالصحة والسلامة والعقل والايمان والثواب وفى الآية اشارة الى اهل قرية الوجود الانسانى وهو النفس والهوى وسائر القوى فانها اعرضت عن حكم الروح فلم تدخل فى حكم الشريعة وكذا عن متابعة امر القلب والسر والخفى فعذبت بعذاب الحجاب واستهلكت فى بحر الدنيا وشهواتها ولذاتها وكان عاقبة امرها خسران الضلالة ونيران الجهالة (اعد الله لهم) مع ذلك فى الآخرة ولام لهم لام التخصيص المحض لالام النفع كما فى قولهم دعاله فى مقابلة دعا عليه (عذابا شديدا) اى قدره فى علمه على حسب حكمته اوهيأ اسبابه فى جهنم بحيث لايوصف كنهه فهم اهل الحساب والعذاب فى الدنيا والآخرة لافى الدنيا فقط فان ما اصابهم فى الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم لعدم رجوعهم عن الكفر فعذبوا بعذاب الآخرة ايضا وهذا المعنى من قوله فحاسبناها الى هنا هو اللائق بالنظم الكريم هكذا الهمت به حين المطالعة ثم وجدت فى تفسير الكواشى

وكشف الاسرار وابى الليث والاسئلة المفحمة مايدل على ذلك والحمدلله تعالى فلا حاجة الى ان يقال فيه تقديما وتأخيرا وان المعنى اناعذبناها عذابا شديدا فى الدنيا ونحاسبها حسابا شديدا فى الآخرة على ان لفظ الماضى للتحقيق كما كثر الفاظ القيامة فان فيه وفى نحوه تكلفا بينا على ماارتكبه من بعد من اجلاء المفسرين ودل قوله فى الاثر حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا على ان المحاسبة عامة لمافى الدارين وان المراد بها فى بعض المواضع هو التضييق والتشديد مطلقا (فاتقوا الله ياأولى الالباب) اى اعتبروا بحال الامم الماضين من المنكرين المعاندين ومانزل بهم من العذاب والوبال فاتقوا الله فى اوامره ونواهيه ان خلصت عقولكم من شوب الوهم فان اللب هوالعقل الخالص من شوائب الوهم وذلك بخلوص القلب من شوائب صفات النفس والرجوع الى الفطرة الاولى واذا خلص العقل من الوهم والقلب من النفس كان الايمان يقينيا فلذلك وصفهم بقوله (الذين آمنوا) اى الايمان التحقيقى اليقينى العيانى الشهودى وفيه اشارة الى ان منشأ التقوى هوالخلوص المذكور ولاينافى ذلك زيادة الخلوص بالتقوى فكم من شئ يكون سببا لاصل شئ آخر يكون سببا فى زيادته وقوته على ذلك الآخر وبكمال التقوى يحصل الخروج من قشر الوجود المجازى والدخول فى لب الوجود الحقيقى والاتصاف بالايمان العيانى قال بعضهم الذين آمنوا حقا وصدقا ويجوز ان يكون صفة كاشفة لامقيدة فانه لايليق ان يعد غيرالمؤمنين من اولى الالباب اللهم الاان يراد باللب العقل العارى عن الضعف بأى وجه كان من البلادة والبله والجنون وغيرها فتخصيص الامر بالتقوى بالمؤمنين من بينهم لانهم المنتفعون انتهى والظاهر ان قوله الذين آمنوا مبتدأ خبره قوله تعالى (قدانزل الله اليكم) والخطاب من قبيل الالتفات (ذكرا) هوالنبى عليه السلام كما بينه بأن ابدل منه قوله (رسولا) وعبرعنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن اوتبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح اى للتجوز فيه عليه السلام بالذكر اولانه مسبب عن انزال الوحى اليه يعنى ان رسول الله شبه بالذكر الذى هوالقرآن لشدة ملابسته به فأطلق عليه اسم المشبه به استعارة تصريحية وقرن به مايلائم المستعار منه وهوالانزال ترشيحا لها اومجازا مرسلا من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب فان انزال الوحى اليه عليه السلام سبب لارساله وقال بعضهم ان التقدير قدانزل الله اليكم ذكرا يعنى القرآن وارسل اليكم رسولا يعنى محمدا عليه السلام لكن الايجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول وقددل عليه القرينة وهوقوله انزل نظيره قوله * علفتها تبنا وماء باردا * اى وسقيتها ماء باردا فيكون الوقف فى ذكرا تاما بخلافه اذاكان بدلا وقال القاشانى قدانزل الله اليكم ذكرا اى فرقانا مشتملا على ذكر الذات والصفات والاسماء والافعال والمعاد رسولا اى روح القدس الذى انزله به فأبدل منه بدل الاشتمال لان انزال الذكر هوانزاله بالاتصال بالروح النبوى والقاء المعانى فى القلب (يتلو) يقرأ ويعرض (عليكم) ياأولى الالباب اوياايها المؤمنون (آيات الله) اى القرآن (مبينات) اى حال كون تلك الآيات مبينات ومظهرات لكم ماتحتاجون اليه من الاحكام اومبينات بالفتح بمعنى واضحات لاخفاء فى معانيها عند الاهالى اولامريبة فى اعجازها عند البلغاء المنصفين وانما يتلوها اوانزله (ليخرج) الرسول ويخلص اوالله تعالى قال بعضهم اللام متعلقة بأنزل لابقوله يتلو لان يتلو مذكور على سبيل التبعية دون انزل (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الموصول عبارة عن المؤمنين بعدانزاله والافاخراج الموصوفين بالايمان من الكفر لايمكن اذلاكفر فيهم حتى يخرجوا منه اى ليحصل لهم الرسول ماهم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح باخراجهم عماكانوا عليه اوليخرج الله من علم اوقدرانه سيؤمن ولم يقل ليخرجكم اظهار الشرف الايمان والعمل الصالح وبيانا لسبب الاخراج وحثا على التحقق بهما (من الظلمات الى النور) اى من الضلالة الى الهدى ومن الباطل الى الحق ومن الجهل الى العلم ومن الكفر الى الايمان ومن الشبهات الى الدلالات والبراهين ومن الغفلة الى اليقظة ومن الانس بغيرالله الى الانس بالله على طبقاتهم ودرجاتهم فى السعى والاجتهاد بعناية الله تعالى وفى التأويلات النجمية ليخرج الذين آمنوا بالايمان العلمى وعملوا الصالحات بمقتضى العلم الظاهر لابمقتضى الحال من ظلمات التقييد بالاعمال والاحوال الى نور الاطلاق برؤية فاعلية الحق فى الاشياء انتهى * يقول الفقير انما جمع الظلمات لتراكمها وتكاثفها ولكثرة اسبابها وانواعها ولذا قال تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اى شدائدهما فانها كالظلمات وكذا الاعمال السيئة ظلمات يوم القيامة كما ورد فى حق الظلم

(ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) خالصا من الرياء والتصنع والغرض وهو استئناف لبيان شرف الايمان والعمل الصالح ونهاية امر من اتصف بهما تنشيطا وترغيبا لغيرهما لهما قال بعض الكبار لو كان الايمان بذاته يعطى مكارم الاخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وقد توجد مكارم الاخلاق بدونه وللايمان وللمكارم آثار ترجع على اصحابها فى اى دار كان كما ورد فى حق أبى طالب فانه قال العباس رضى الله عنه يارسول الله ان أباطالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم ولولا انا كان فى الدرك الاسفل من النار وكما رؤى ابولهب فى المنام وهو يمص ماء من ابهامه ليلة الاثنين لعتقه بعض جواريه حين بشرته بولادة رسول الله عليه السلام وكما قيل انه عليه السلام لما عرج به اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام مابال هذا الرجل فى هذه الحظيرة لا تمسه النار فقال جبريل عليه السلام هذا حاتم طى صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كما فى انيس الوحدة وجليس الخلوة فاذا كانت المكارم بهذه المرتبة بلا ايمان فكيف مع ايمان وعطف العمل الصالح من الصلاة والزكاة وغيرهما على الايمان الذى هو تصديق القلب عند المحققين والتصديق مع الاقرار عند البعض يفيد المغايرة على ماهو المذهب الاصح وهو كاف فى دخول الجنة بوعد الله وكرمه فى القول الحق المثبت بالادلة القوية فذكر العمل الصالح بعده للاهتمام والحث عليه اخبارا بأن اهله يدخلون ابتداء بلا حساب او بحساب يسير (يدخله جنات تجرى من تحتها) اى من تحت قصورها واشجارها (الانهار) الاربعة المذكورة فى سورة محمد عليه السلام (خالدين فيها) مقيمين فى تلك الجنات دائمين فيها وهو حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها (ابدا) ظرف زمان بمعنى دائما غير منقطع فيكون تأكيدا للخلود لئلا يتوهم ان المراد به المكث الطويل المنقطع اخرا (قد احسن الله له رزقا) حال اخرى منه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب لان الجملة الخبرية اذا لم يحصل منها فائدة الخبر ولا لازمها تحمل على التعجب اذا اقتضاه المقام كانه قيل ما احسن رزقهم الذى رزقهم الله وما اعظمه فرزقا ظاهره المفعولية لاحسن والتنوين للتعظيم لاعداده تعالى فيها ماهو خارج عن الوصف اوللتكثير عددا لما فيه مما تشتهيه الانفس من الرزق والانفس اومددا لان اكلها دائم لا ينقطع ولا بعد فى ان يكون له بمعنى اليه ويكون رزقا تمييزا بمعنى قد هيأله واعد ما يحسن اليه به من جهة الرزق قال بعض الكبار الجزاء على الاعمال فى حق العارفين من عين المنة فهو جزاء العمل لا جزاء العامل فافهم قال فى الاسئلة المقحمة الظاهر ان الرزق الحسن مال فى قدر الكفاية بلا زيادة تطغى ولا حاجة تنسى بقول الفقير هذا التفسير ليس فى محله لان المراد رزق الآخرة كما دل عليه ماقبل الآية لا رزق الدنيا وفى التأويلات النجمية ومن يؤمن بالله ايمانا حقيقيا عينيا ويعمل عملا صالحا منزها عن رؤيته مقدسا عن نسبته الى العامل المجازى يدخله جنات المكاشفات والمشاهدات والمعاينات والمحاضرات من غير الفترة الحجابية قد احسن الله له رزقا فرزق الروح بالتفريد ورزق القلب بالتجريد ورزق السر بالتوحيد ورزق الخفى بالفناء والبقاء (الله الذى) الخ مبتدأ وخبر اى الملك القادر الذى (خلق سبع سموات) بيافريد هفت آسمان بعضى بالاى بعض * نكرها للتعظيم المفيد لكمال قدرة صانعها اولكفايته فى المقصود من اثبات قدرته الكاملة على وفق حكمته الشاملة وذلك يحصل باخبار خلقه تعالى سبع سموات من غير نظر الى التعيين (ومن الارض) اى وخلق من الارض (مثلهن) اى مثل السموات السبع فى العدد والطباق وبالفارسية وبيافريد اززمين مانند آسمانها بعضى درتحت بعض فقوله مثلهن منصوب بفعل مضمر بعد الواو دل عليه الناصب لسبع سموات وليس بمعطوف على سبع سموات لانه يستلزم الفصل بين حرف العطف وهو حرف واحد وبين المعطوف بالجار والمجرور وصرح سيبويه وابوعلى بكراهيته فى غير موضع الضرورة واختلف فى كيفية طبقات الارض فالجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق وفرجة اى سواء كان بالبحار اوبغيرها بخلاف السموات قال القرطبى والاول الاصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من ان كعبا حلف بالذى فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبى عليه السلام لما رقرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين

نسألك من خير هذه القرية وخير اهلها وخير من فيها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر من فيها (وروى) شيبان ابن عبد الرحمن عن قتادة عن الحسن عن ابى هريرة رضى الله عنه قال بينما النبى عليه السلام جالس اذاتى عليهم سحاب فقال هل تدرون ما هذا العنان قالوا الله و رسوله اعلم قال هذه زوايا الارض يسوقها الله الى قوم لايشكرونه ولايدعونه ثم قال هل تدرون ما الذى فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وبحر مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم و بينها قالوا الله و رسوله اعلم قال فوقها العرش و بينه و بين السماء كبعد ما بين سماءين اوكما قال ثم قال هل تدرون ما تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال الارض وتحتها ارض اخرى بينهما خمسمائة عام ثم قال والذى نفس محمد بيده لوانكم ادليتم بحبل لهبطتم على الله ثم قرأ عليه السلام هوالاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم كما فى خريدة العجائب وفى المقاصد الحسنة لوانكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله فسره بعض اهل العلم فقال انما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف فى كتابه انتهى * قال شيخنا معناه ان علم الله شمل جميع الاقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول فى الاماكن فالله سبحانه كان قبل ان يحدث الاماكن انتهى كلام المقاصد الحسنة قال بعض العارفين فيه اشارة الى انه ما من جوهر فى العالم العلوى والسفلى الاوهو مرتبط بالحق ارتباط الرب بالمربوب وفى الحديث (اجتمع املاك عند الكعبة واحد نازل من السماء وواحد صاعد من الارض السفلى وثالث من ناحية المشرق ورابع من ناحية المغرب فسأل كل واحد صاحبه من اين جئت فكلهم قالوا من عند الله ثم نرجع ونقول فالارض بعضها فوق بعض وغلظ كل ارض مسيرة خمسمائة عام وكذا مابينهما على مادل عليه حديث ابى هريرة وفى الحديث من اخذ من الارض شبرا بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين قال ابن الملك وفيه اشعار بان الارض فى الآخرة ايضا سبع طباق وفى الكواشى قيل مافى القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الاهذه الآية وان مابين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام وكذا غلظ كل سماء والارضون مثل السموات فكما ان فى كل سماء نوعا من الملائكة يسبحون الله و يقدسونه و يحمدونه فكذا لكل ارض اهل على صفة وهيئة عجيبة ولكل ارض اسم خاص كما ان لكل سماء اسما خاصا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فالخلق قال املائكة اوجن وعن عطاء بن يسار فى هذه الآية فى كل ارض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وابراهيم مثل ابراهيمكم وعيسى كعيساكم قالوا معناه ان فى كل ارض خلقا لله لهم سادة يقومون عليهم مقام آدم ونوح وابراهيم وعيسى فينا قال السخاوى فى المقاصد الحسنة حديث الارضون سبع فى كل ارض من الخلق مثل مافى هذه حتى آدم كآدمكم وابراهيم كابراهيمكم هو مجهول ان صح نقله عن ابن عباس رضى الله عنهما على انه اخذه عن الاسرائيليات اى اقاويل بنى اسرائيل مما ذكر فى التوراة اواخذه من علمائهم ومشايخهم كما فى شرح النخبة وذلك وامثاله اذا لم يخبر به و يصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله انتهى كلام المقاصد مع تفسير الاسرائيليات وقال فى انسان العيون قد جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ومن الارض مثلهن قال سبع ارضين فى كل ارض نبى كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيساكم رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح الاسناد وقال البيهقى اسناد صحيح لكنه شاذ بالمرة اى لانه لايلزم من صحة الاسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة اسناده مايمنع صحته فهو ضعيف قال الجلال السيوطى و يمكن ان يؤول على ان المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن انبياء البشر ولايبعد ان يسمى كل منهم باسم النبى الذى يبلغ عنه هذا كلامه وحينئذ كان لنبينا عليه السلام رسول من الجن اسمه كاسمه واعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل انتهى مافى انسان العيون ونظير هذا المقام قول حضرة الشيخ الشهير بافتاده خطابا لحضرة محمود الهدائى قدس سرهما الآن عوالم كثيرة يتكلم فيها محمود وافتاده كثير قال فى خريدة العجائب وليس هذا القول اى خبر فى كل ارض آدم الخ بالعجب من قول الفلاسفة ان الشموس شموس كثيرة والقمار الاقمار كثيرة ففى كل اقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء الارض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الاقاليم لاعلى المطابقة والمكابسة واهل النظر من المسلمين يميلون الى هذا القول ومنهم من يرى ان الارض سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقى

(وحكى) الكلبي عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما انها سبع ارضين متفرقة بالبحار يعنى الحائل بين كل ارض وارض بحار لايمكن قطعها ولا الوصول الى الارض الاخرى ولا تصل الدعوة اليهم وتظل الجميع السماء قال الماوردى وعلى هذا اى وعلى انها سبع ارضين وفى كل ارض سكان من خلق الله تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم و يستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثانى انهم لايشاهدون السماء وان الله خلق لهم ضياء يشاهدونه وهذا قول من جعل الارض كرة قال سعدى المفتى وقد تؤول الآية تارة بالاقاليم السبعة اى فتكون الدعوة شاملة لجميعها وتارة بطبقات العناصر القوابل بالنسبة الى الاثيريات فهى ارضها التى ينزل عليها منها الصور الكائنة وهى النار الصرفة والطبقة الممتزجة من النار والهواء السماء كرة الاثير التى فيها الشهب وذوات الاذناب وغيرها وطبقة الزمهرير وطبقة النسيم وطبقة الصعيد والماء المشحونة بالنسيم الشاملة للطبقة الطينية التى هى السادسة وطبقة الارض الصرفة عند المركز وان حملناها على مراتب الغيوب السبعة المذكورة من غيب القوى والنفس والعقل والسر والروح والخفى وغيب الغيوب اى عين جمع الذات فالارضون هى الاعضاء السبعة المشهورة وفى التأويلات النجمية هى طبقات القلوب من الصدر والقلب والفؤاد والروع والشغاف والمهجة والروح واراضى النفوس وهى النفس الامارة و اللوامة والملهمة والمطمئنة والنفس المعدنية والنباتية والحيوانية (يتنزل الامر) اى امر الله واللام عوض عن المضاف اليه (بينهن) اى بين السموات السبع والارضين السبع والظاهر ان الجملة استئنافية للاخبار عن شمول جريان حكمه ونفوذ امره فى العلويات والسفليات كلها فالامر عند الاكثرين القضاء والقدر بمعنى يجرى قضاؤه و ينفذ حكمه بين السماء السابعة التى هى اعلى السموات و بين الارض السابعة التى هى اسفل الارضين ولايقتضى ذلك ان لايجرى فى العرش والكرسى لان المقام اقتضى ذكر ماذكره والتخصيص بالذكر لايقتضى التخصيص بالحكم كذا قالوا يقول الفقير تحقيق هذا المقام يستدعى تمهيد مقدمة وهى انه استوى الامر الارادى الايجادى على العرش كما استوى الامر التكليفى الارشادى على الشرع الذى هو مقلوب العرش والتجليات الايجادية الامرية المتنزلة بين السموات السبع والارضين السبع موقوفة على استواء امر تمام حصول الاركان الاربعة على العرش وتلك الامور الاربعة هى الحركة المعنوية الاسمائية والحركة النورية الروحانية والحركة الطبيعية المثالية والحركة الصورية الحسية وهى حركة العرش فالعرش مستوى امره الايجادى لامستوى نفسه تعالى عن ذلك ومنه يتنزل الامر الالهى بينهن وهى التجليات الالهية الدنيوية والبرزخية والحشرية والنيرانية والجنانية وكلها تجليات وجودية اشير اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن و بقوله يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها واما التجليات الشهودية فكانت وتكون فى الدنيا والآخرة لقلوب اهل الكمال وارواحهم واسرارهم من الانبياء العظام والاولياء الكرام فمعنى الآية يتنزل امر الله بالايجاد والتكوين وترتيب النظام والتكميل بين كل اسماء وارض من جانب العرش العظيم ابدا دائما لان الله تعالى لم يزل ولايزال خالقا فى الدنيا والآخرة فيفنى و يعدم عوالم و يوجد و يظهر عوالم اخرى لانهاية لشؤونه فهو كل يوم وآن فى امر وشأن بحسب مقتضيات استعدادات اهل العصر وموجبات قابليات اصحاب الزمان (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير) متعلق بخلق او يتنزل او بما يعمهما اى فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ماذكر قادر على كل شئ ومنه البعث للحساب والجزاء فتطيعوا امره وتقبلوا حكمه وتستعدوا لكسب السعادة والخلاص من الشقاوة واللام لام المصلحة والحكمة لان فعله تعالى خال عن العبث (روى) عن الامام الاعظم انه قال ان هذه الآية من اخوف الآيات فى القرآن لالام الغرض فانه تعالى منزه عن الغرض اذ هو لمن له الاحتياج والله غنى عن العالمين (وان الله قد احاط بكل شئ علما) كما احاط به قدرة لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك والاحاطة العلم البالغ و بالفارسية و بدرستى كه فرا رسيده است بهمه چيز از روى علم يعنى علم وقدرت او محيط است بهمه اشيا از موجودات علمى وعينى هيچ چيز از دائرهٔ علم وقدرت او خارج نيست * رمز يست ز سر قدرتش كن فيكون *

بادانش او يكيست بيرون ودرون * در غيب وشهادة ذرة توان يافت * ازدائرة قدرت وعلمش بيرون * ويجوز ان يكون العامل فى اللام بيان ماذكر من الخلق وتنزل الامر اى اوحى ذلك وبينه لتعلموا بماذكر من الامور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحى من عجائب المصنوعات انه لايخرج عن علمه وقدرته شئ ما اصلا قوله علما نصب على التمييز اى أحاط علمه بكل شئ كما فى عين المعانى اوعلى المصدر المؤكد لان المعنى وان الله قد علم كل شئ علما كما فى فتح الرحمن قال البقلى قدس سره لوكان للانسان قدرة المعرفة كالارواح لم يخاطبه بالعلل والاستدلال ليعلم برؤية الاشياء وجود الحق وكان كالارواح فى الخطاب بلاعلة فى تعريف نفسه اياها بقول ألست بربكم اذهناك خطاب وشهود وتعريف بغير علة فلما علم عجزه وهو فى عالم الجسم عن حمل واردات الخطاب الصرف احاله الى الشواهد بقوله خلق سبع سموات الخ وليس بعارف فى الحقيقة من عرفه بشئ من الاشياء اوبسبب من الاسباب فمن نظر الى خلق الكون يعرف انه ذوقدرة واسعة وذواحاطة شاملة ويخاف من قهره ويذوب قلبه بعلمه فى رؤية اطلاع الحق عليه قال الشيخ نجم الدين فى تأويلاته وفى هذه الآية الكريمة غوامض من اسرار القرآن مكنونة ويدل عليه قول ابن عباس رضى الله عنهما لما سئل عن هذه الآية وقال لوفسرتها لقطعوا حلقومى ورجومنى والمعنى الذى اشار اليه رضى الله عنه مما لايعبر عنه ولايشار اليه ولكن يذاق

تمت سورة الطلاق بعون الله الملك الخلاق فى خامس عشر جمادى الاولى من شهور سنة ست عشرة ومائة والف

(سورة التحريم ثنتا عشرة آية مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك) اصل لم لما والاستفهام لانكار التحريم وهو بالفارسية حرام كردن كان الاحلال حلال كردن روى ان النبى عليه السلام خلا بسريته مارية القبطية التى اهداها اليه المقوقس ملك مصر فى يوم عائشة رضى الله عنها ونوبتها وعلمت بذلك حفصة رضى الله عنها فقال لها اكتمى على ولاتعلمى عائشة فقد حرمت مارية على نفسى وابشرك ان ابابكر وعمر رضى الله عنهما يملكان بعدى امرامتى فاخبرت به عائشة رضى الله عنها ولم تكتم وكانتا متصادقتين متظاهرتين على سائر ازواج النبى عليه السلام قال السهيلى رحمه الله امرها ان لاتخبر عائشة ولاسائر ازواجه بما رأت وكانت رأته فى بيت مارية بنت شمعون القبطية ام ولده ابراهيم المتوفى فى الثدى وهو ابن ثمانية عشر شهرا فخشى ان يلحقهن بذلك غيرة واسر الحديث الى حفصة فافشته وقيل خلا بها فى يوم حفصة كما قال بعض اهل التفسير كان رسول الله عليه السلام يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه استأذنت رسول الله فى زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله الى ام ولده مارية القبطية (قال فى كشف الاسرار) دربيرون مدينه درنخلستان درسرايى مقام داشت كه زنان رسول نمى خواستند كه درمدينه باايشان نشيند وكاه كاه رسول خدا از بهرطهارت بيرون شدى واورا ديدى انتهى فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال مايبكيك فقالت انما أذنت لى من اجل هذا ادخلت امتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى فلورأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله اليس هى جاريتى احلها الله لى اسكتى فهى حرام على التمس بذلك رضاك فلاتخبرى بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت فلم تكتم فطلقها رسول الله بطريق الجزاء على افشاء سره واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية قال ابو الليث اقسم ان لايدخل عليهن شهرا من شدة مؤاخذته عليهن حتى نزلت الآية ودخل عمر رضى الله عنه على بنته حفصة وهى تبكى فقال اطلقكن رسول الله فقالت لاادرى هوذا معتزلا فى هذه المشربة وهى بفتح الراء وضمها الغرفة والعلية كما فى القاموس (وروى) انه قال لها لوكان فى آل الخطاب خير لما طلقك قال عمر فاتيته عليه السلام فدخلت وسلمت عليه فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر فى جنبه فقلت اطلقت نساءك يارسول الله فقال لافقلت الله اكبر لورأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة

وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم وطفقن نساؤنا يتعلمن من نسائهم فتبسم رسول الله وقال عمر للنبي عليه السلام لاتكثرن بامر نسائك والله معك وابو بكر معك وانا معك فنزلت الاية موافقة لقول عمر قالت عائشة رضي الله عنها لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله فقلت يارسول الله انك اقسمت ان لاتدخل علينا وانك قد دخلت في تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ونزل جبريل فقال لرسول الله عن امر الله راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وكان تحته عليه السلام يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرة بنت الحارث المصطلقية ونقلست كه حضرت پيغمبر صلى الله عليه وسلم عسل وشربت اووهر چيز كه حلو باشد دوست داشتي وقتي زينب رضي الله عنها مقداري عسل داشت كه بعضي خويشان وي درمكه بطريق هديه فرستاده بود هر گاه آن حضرت عليه السلام بخانهٔ وي آمدي زينب شربت فرمودي وآن حضرت رادرخانهٔ وي بسبب آن توقف بيشتر واقع شدي آن حال برابعضي ازواج طاهرات گران آمد عائشه وحفصه اتفاق نمودند كه چون آن حضرت بعد از آشاميدن شربت عسل درخانهٔ وي نزدهر كدام ازمادر آيند كويم ازتو بوي مغافير ميشنويم ومغفور بالضم صمغ درختيست كه عرفط خوانند ازدرختان باديه واگر چه شيرينست ولكن رايحهٔ كريهه دارد و حضرت بوي خوش دوست ميداشت براي مناجات ملك وازروايح ناخوش محترزمي بود پس آن حضرت روزي شربت آشاميد ونزد هر كدام آمد ازاز واج گفتند يارسول الله ازشما رايحهٔ مغفور مي آيد وايشان در جواب فرمودند كه مغفور نخورده ام امادرخانهٔ زينب شربت عسل آشاميده ام گفتند جرست النحلة العرفط يعني ان تلك النحلة اكلت العرفط و بالفارسية زنبور آن عسل ازشكوفهٔ عرفط چريده بود والجرس خوردن منج چرارا وفي القاموس الجرس اللحس باللسان امام زاهد رحمه الله آورده كه چون اين صورت مكرر وجود كرفت حضرت عليه السلام فرمود حرمت العسل على نفسي فوالله لآكله ابدا واين سوكند بدان خورد تادیگر كس ويرا ازان عسل نيارد فنزلت الآية قال ابن عطية والقول الاول وهو ان الآية نزلت بسبب مارية اصح واوضح وعليه تفقه الناس في الآية وقال في كشف الاسرار قصة العسل اسند كما قال في اللبابين ان هذا هو الاصح لانه مذكور في الصحيحين انتهى وقصة مارية اشبه ومعنى الآية لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين اومن العسل اى تمتنع من الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالا لك لان اعتقاد كونه حراما بعد ما احل الله مما يتصور من عوام المؤمنين فكيف من الانبياء قال الفقهاء من اعتقد من عند نفسه حرمة شئ قد احله الله فقد كفر اذما احله الله لايحرم الا بتحريم الله اياه بنظم القرآن او بوحي غير متلو والله تعالى انما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم العبد كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (تبتغي مرضات از واجك) الابتغاء جستن والمرضاة مصدر كالرضى وفي بعض التفاسير اسم مصدر من الرضوان قلبت واوها الفا والازواج جمع زوج فانه يطلق على المرأة ايضا بل هو الفصيح كما قال في المفردات وزوجة لغة رديئة وجمع الازواج مع ان من ارضاها النبي عليه السلام في هذه القصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما اما لان ارضاءهما في الامر المذكور ارضاء لكلهن اولان النساء في طبقة واحدة في مثل تلك الغيرة لانهن جبلن عليها على انه مضى مامضى من قول السهيلي اولان الجمع قد يطلق على الاثنين اوللتحذير عن ارضاء من تطلب منه عليه السلام مالايحسن وتلح عليه ايتهن كانت لانه عليه السلام كان حييا كريما والجملة حال من ضمير تحرم اى حال كونك مبتغيا وطالبا لرضى ازواجك والحال انهن احق بابتغاء رضاك منك فانما فضيلتهن بك فالانكار وارد على مجموع القيد والمقيد دفعة واحدة فمجموع الابتغاء والتحريم منكر نظيره قوله تعالى لاتأكلوا الربا اضعافا مضاعفة وفيه اشارة الى فضل مارية والعسل وفي الحديث (اول نعمة ترفع من الارض العسل) وقد بين في سورة النحل (والله غفور) مبالغ في الغفران قد غفر لك وسترما فعلت من التحريم وقصدت من الرضى لان الامتناع من الانتفاع باحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول احسانه (رحيم) قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محافظة على عصمتك (وقال الكاشفي) مهربان كه كفارت سوكند توفرمود

قال فى كشف الاسرار هذا اشد ماعوتب به رسول الله فى القرآن وقال البقلى ادب الله نبيه ان لايستبد برأيه وينبع مايوحى اليه كما قال بعض المشايخ فى قوله لتحكم بين الناس بمااراك الله ان المراد به الوحى الذى يوحى به اليه لامايراه فى رأيه فان الله قدعاتبه لماحرم على نفسه ماحرم فى قصة عائشة وحفصة فلو كان الدين بالرأى لكان رأى رسول الله اولى من كل رأى انتهى كلام ذلك البعض وفيه بيان ان من شغله شئ من دون الله وصل اليه منه ضرب لاتبرأ جراحته الابالله لذلك قال عقيب الآية والله غفور رحيم قال ابن عطاء لما نزلت هذه الآية على النبى عليه السلام كان يدعو دائما ويقول اللهم انى اعوذبك من كل قاطع يقطعنى عنك آزرده است كوشه نشين ازوداع خلق * غافل كه اتصال حقست انقطاع خلق (قدفرض الله لكم تحلة ايمانكم) الفرض هنا بمعنى الشرع والتبيين كمادل عليه لكم فان فرض بمعنى اوجب انما يتعدى بعلى والتحلة مصدر حلل بتضعيف العين بمعنى التحليل اصله تحللة كتكرمة وتعلة وتبصرة وتذكرة من كرم وعلل وبصر وذكر بمعنى التكريم والتعليل والتبصير والتذكير الاان هذا المصدر من الصحيح خارج عن القياس فانه من المعتل اللام نحو سمى تسمية اومهموز اللام مثل جزأ تجزئة والمراد تحليل اليمين كان اليمين عقد والكفارة حل يقال حلل اليمين تحليلا كفرها اى فعل مايوجب الحنث وتحلل فى يمينه استثنى وقال ان شاء الله وقوله عليه السلام لايموت لرجل ثلاثة اولاد فتمسه النار الا تحلة القسم اى قدر مايقول ان شاء الله كما فى المفردات اوقدر مايبر الله قسمه فيه بقوله تعالى وان منكم الاواردها قال فى تاج المصادر قوله فعلته تحلة القسم اى لم افعله الابقدر ماحللت به يمينى ان لاافعله ولم ابالغ ثم قيل لكل شئ لم يبالغ فيه تحليل يقال ضربته تحليلا والباب يدل على فتح الشئ ومعنى الكفارة الاطعام اوالكسوة اوالعتق اوالصوم على مامر تفصيله فى سورة المائدة ومعنى الآية شرع الله لكم تحليل ايمانكم وبين لكم ماتحل به عقدتها من الكفارة وهى المرادة ههنا لا الاستثناء اى ان يقول ان شاء الله متصلا حتى لايحنث فان الاستثناء المتصل ماكان مانعا من انعقاد اليمين جعل كالحل فالتحليل لماعقدته الايمان بالكفارة اوبالاستثناء وبالفارسية بدرستى كه بيان كرد خداى تعالى براى شما فروكشادن سوكندهاى شمارا بكفارت يعنى آنچه بسوكند بيندبد بكفارت توان كشاد قال فى الهداية ومن حرم على نفسه شيأ مما يملكه لم يصر محرما وعليه ان استباحه واقدم عليه كفارة فتحريم الحلال يمين عند أبى حنيفة رحمه الله ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله اوامة فعلى وطئها قال ابن عباس رضى الله عنهما التحريم هو اليمين فلو قال لامرأته انت على حرام فلانوى الطلاق طلقت وان نوى اليمين كان يمينا وان اراد الكذب لم يقع شئ وكذا لوحرم طعاما على نفسه ونوى اليمين كان يمينا خلافا للشافعى كما فى عين المعانى وقال بعضهم لم يثبت عن رسول الله عليه السلام انه قال لما احله الله هو حرام على وانما امتنع عن مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لااقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اى لم تمتنع منه بسبب اليمين يعنى اقدم على ماحلفت عليه وكفر عن يمينك وظاهر قوله تعالى قدفرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين فان قلت هل كفر رسول الله لذلك قلت عن الحسن البصرى قدس سره انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل انه اعتق رقبة فى تحريم مارية وعاودها لانه لاينافى كونه مغفورا له ان يكفر فهو والامة سواء فى الاحكام ظاهرا (والله مولاكم) سيدكم ومتولى اموركم (وهو العليم) بمايصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) المتقن فى افعاله واحكامه فلا يأمركم ولاينهاكم الا بمقتضى الحكمة (واذاسر النبى) الاسرار خلاف الاعلان ويستعمل فى الاعيان والمعانى والسر هو الحديث المكتتم فى النفس واسررت الى فلان حديثا افضيت به اليه فى خفية فالاسرار الى الغير يقتضى اظهار ذلك لمن يفضى اليه بالسر وان كان يقتضى اخفاءه من غيره فاذا قولهم اسررت الى فلان يقتضى من وجه الاظهار ومن وجه الاخفاء والنبى رسول الله عليه السلام فان اللام للعهد واذظرف اى اذكر الحادث وقت الاسرار والاكثر المشهور انه مفعول اى واذكر يامحمد وقت اسرار النبى واخفائه على وجه التأنيب والتعتب اواذكروا ايها المؤمنون فالخطاب ان كان له عليه السلام فالاظهار فى مقام الاضمار بأن قيل واذاسررت للتعظيم بايراد وصف ينبئ عن وجوب رعاية حرمته ولزوم حماية حرمه عمايكرهه وان كان لغيره عموما على الاشتراك اوخصوصا على الانفراد فذكره بوصف النبى للاشعار بصدقه

فى دعوى النبوة (الى بعض ازواجه) وهى حفصة رضى الله عنها تزوجها النبى عليه السلام فى شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل احد بشهرين وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبنى البيت وماتت بالمدينة فى شعبان سنة خمس واربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو امير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله ايضا ابوهريرة وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وابو حفص ابوها عمر رضى الله عنه كناه به رسول الله عليه السلام والحفص ولد الاسد (حديثا) قال الراغب كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع اوالوحى فى يقظته اومنامه يقال له حديث والمراد حديث تحريم مارية اوالعسل اوامر الخلافة قال سعدى المفتى فيه ان تحريم العسل ليس مما اسر الى حفصة بل كان ذلك عند عائشة وسودة وصفية رضى الله عنهن (فلما نبأت به) اى اخبرت حفصة صاحبتها التى هى عائشة بالحديث الذى اسره اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وافشته اليها (واظهره الله عليه) اى اطلع الله النبى على افشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل فالضمير راجع الى الحديث بتقدير المضاف واظهر ضمن معنى اطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه وحقيقته صار على ظهره واظهره على السطح اى رفعه عليه فاستعير للاطلاع على الشئ وهو من باب الافعال بمعنى برر سايدن كسى را برنهانى وديده ور كردانيدن قال الراغب ظهر الشئ اصله ان يحصل شئ على ظهر الارض فلا يخفى وبطن اذا حصل فى بطنان الارض فيخفى ثم صار مستعملا فى كل بارز للبصر والبصيرة (عرف) النبى حفصة والتعريف بالفارسية بياكاهيدن (بعضه) اى بعض الحديث الذى افشته الى صاحبتها على طريق العتاب بأن قال لها الم اك امرتك ان تكتمى سرى ولا تبديه لأحد وهو حديث الامامة (روى) انه عليه السلام لما عاتبها قالت والذى بعثك بالحق ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها أباها وبعض الشئ جزء منه (واعرض عن بعض) اى عن تعريف بعض تكرما وهو حديث مارية وقال بعضهم عرف تحريم الامة واعرض عن تعريف امر الخلافة كراهة ان ينشر ذلك فى الناس وتكرما منه وحلما وفيه جواز اظهار الشيوخ الفراسة والكرامات لمريديهم لتزيد رغبتهم فى الطريقة وفيه حث على ترك الاستقصاء فيما جرى من ترك الأدب فانه صفة الكرام قال الحسن البصرى قدس سره ما استقصى كريم قط وقال بعضهم مازال التغافل من فعل الكرام (فلما نبأها به) اى اخبر النبى حفصة بالحديث الذى افشته بما اظهره الله عليه من انها افشت سره (قالت من انبأك هذا) من اخبرك عنى هذا تعنى افشاءها للحديث ظنت ان عائشة اخبرته وفيه تعجب واستبعاد من اخبار عائشة بذلك لانها اوصتها بالكتم ولم يقل من نبأك ليوافق ما قبله للتفنن (قال) النبى عليه السلام (نبأنى) بفتح ياء المتكلم (العليم الخبير) الذى لا يخفى عليه خافية فسكتت وسلمت ونبأ ايضا من قبيل التفنن يقال ان انبأ ونبأ يتعديان الى مفعولين الى الاول بنفسهما والى الثانى بالباء وقد يحذف الاول للعلم به وقد يحذف الجار ويتعدى الفعل الى الثانى بنفسه ايضا فقوله تعالى فلما نبأها به على الاستعمال الاول وقوله فلما نبأت به على الاستعمال الثانى وقوله من انبأك على الاستعمال الثالث وقوله العليم هو والعالم والعلام من اسمائه سبحانه ومن ادب من علم انه سبحانه عالم بكل شئ حتى بخطرات الضمائر ووساوس الخواطر ان يستحيى منه ويكف عن معاصيه ولا يغتر بجميل ستره ويخشى بغتات قهره ومفاجأة مكره وعن بعضهم انه قال كنت جائعا فقلت لبعض معارفى انى جائع فلم يطعمنى شيأ فمضيت فوجدت درهما ملقى فى الطريق فرفعته فاذا عليه مكتوب اما كان الله عالما بجوعك حتى طلبت من غيره والخبير بمعنى العليم وقال الامام الغزالى قدس سره اذا اعتبر العلم المطلق فهو العليم مطلقا واذ اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الخبير واذا اضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد واذا علم العبد انه تعالى خبير بافعاله مطلع على سره علم انه تعالى احصى عليه جميع ما عمله او اخفى فى علمه وان كان هو قد نسيه فيخجل خجلا يكاد يهلكه (حكى) ان رجلا تفكر يوما فقال عمرى كذا كذا سنة يكون كذا كذا شهرا يكون منها كذا كذا يوما فبلغ عمره من الايام الوفا كثيرة فقال لو لم اعص الله كل يوم الا معصية واحدة لكان فى ديوان عملى كذا كذا الف معصية وانى فى كل يوم عملت كثيرا من المعاصى ثم صاح وفارق الدنيا يقول الفقير * مذنبم كرچه ولى رب غفوريم كرست * بمن افتاده دهداز كرمش شايد دست (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة رضى الله عنهما فالالتفات من الغيبة الى الخطاب للمبالغة فى العتاب لكن العتاب يكون للاولياء كما ان العقاب

يكون الاعداء كما قيل اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

ففيه ارادة خير لحفصة وعائشة بارشادهما الى ما هو اوضح لهما (فقد صغت قلوبكما) الفاء للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق والافالجزاء يجب ان يكون مرتبا على الشرط مسببا عنه وصغو قلبيهما كان سابقا على الشرط وكذا الكلام فى وان تظاهرا الخ والمعنى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه من صغا يصغو صغوا مال واصغى اليه مال بسمعه قال الشاعر

تصغى الغلوب الى اغر مبارك * من آل عباس بن عبد المطلب

وجمع القلوب لئلا يجمع بين تثنيتين فى كلمة فرارا من اجتماع المتجانسين وربما جمع (وان تظاهرا عليه) باسقاط احدى التاءين وهو تفاعل من الظهر لانه اقوى الاعضاء اى تعاونا على النبى عليه السلام بما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره وكانت كل منكما ظهرا لصاحبتها فيه (فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) قوله هو مبتدأ ثان جيئ به لتقوى الحكم لا للحصر والا لانحصرت الولاية له عليه السلام فى الله تعالى فلا يصح عطف ما بعده عليه وقوله وجبريل عطف على موضع اسم ان بعد استكمالها خبرها وكذا قوله وصالح المؤمنين واليه مال السجاوندى رحمه الله اذ وضع علامة الوقف على المؤمنين والظاهر ان صالح مفرد ولذلك كتبت الحاء بدون واو الجمع ومنهم من جوز كونه جمعا بالواو والنون وحذفت النون بالاضافة وسقطت واو الجمع فى التلفظ لالتقاء الساكنين وسقطت فى الكتابة ايضا حملا للكتابة على اللفظ نحو يمح الله الباطل ويدع الانسان وسندع الزبانية الى غير ذلك والمعنى فلن يعدم هوى النبى عليه السلام من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الملائكة المقربين قرينه ورفيقه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه فيكون جبريل وما بعده اى على تقدير العطف داخلين فى الولاية لرسول الله ويكون جبريل ايضا ظهيرا له بدخوله فى عموم الملائكة ويجوز ان يكون الكلام قد تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدأ وما بعده عطفا عليه وظهير خبر للجميع تختص الولاية بالله قال ابن عباس رضى الله عنهما اراد بصالح المؤمنين ابابكر وعمر رضى الله عنهما قال فى الارشاد هو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة فانه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لا وان جبريل ظهيره يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزراه وظهيراه فى تدبير امور الرسالة وتمشية الاحكام الظاهرة ومعاون آن حضرت كه رضاء او برضاء فرزندان خود ايثار كنند ولان بيان مظاهر تهماله عليه السلام اشد تأثيرا فى قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور وعن بعضهم ان المراد بصالح المؤمنين الاصحاب او خيارهم وعن مجاهد هو على رضى الله عنه يقول الفقير يؤيده قوله عليه السلام ياعلى انت منى بمنزلة هرون من موسى فان الصالحين هم الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى وكلا جعلنا صالحين وقال حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام والحقنى بالصالحين فاذا كان على بمنزلة هرون فهو صالح مثله وقال السهيلى رحمه الله لفظ الآية عام فالاولى حملها على العموم قال الراغب الصلاح ضد الفساد الذى هو خروج الشئ عن الاعتدال والانتفاع قل او كثر وهما مختصان فى اكثر الاستعمال بالافعال وقوبل الصلاح فى القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة (وروى) ان رجلا قال لابراهيم بن ادهم قدس سره ان الناس يقولون لى صالح فبم اعرف انى صالح فقال اعرض اعمالك فى السر على الصالحين فان قبلوها واستحسنوها فاعلم انك صالح والافلا وهذا من كلم الحكمة (والملائكة) مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (وقال الكاشفى) وتمام فرشتكان آسمان و زمين (بعد ذلك) اى بعد نصرة الله وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين وفيه تعظيم لنصرتهم لانها من الخوارق كما وقعت فى بدر ولا يلزم منه افضلية الملائكة على البشر (ظهير) خبر والملائكة والجملة معطوفة على جملة فان الله هو مولاه وما عطف عليه اى فوج مظاهر له معين كانهم يد واحدة على من يعاديه فاذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلا ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله ونصرة الله بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته يعنى ان نصرة الله اما نصرة ذاتية بلا آلة ولا سبب او نصرة بتوسط مخلوقاته والثانى يتفاوت بحسب تفاوت قدرة المخلوقات وقوتهم ونصرة الملائكة اعظم وابعد رتبة بالنسبة الى سائر المخلوقات على حسب تفاوت قدرتهم وقوتهم فانه تعالى مكن الملائكة على ما لم يمكن الانسان عليه

فالمراد بالبعدية ماكان بحسب الرتبة لا الزمان بان يكون مظاهرة الملائكة اعظم بالنسبة الى نصرة المؤمنين وجبريل داخل فى عموم الملائكة ولا يخفى ان نصرة جميع الملائكة وفيهم جبريل اقوى من نصرة جبريل وحده قال فى الارشاد هذا ماقالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة و يكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لمايوهمه الترتيب من افضلية المقدم اى فى النصرة فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهيره عليه السلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم و بعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل قال بعضهم لعل ذكر غير الله مع ان الاخبار بكونه تعالى مولاه كاف فى تهديدهما لتذكير كمال رفعة شأن النبى عليه السلام عند الله وعند الناس وعند الملائكة اجمعين يقول الفقير ايده الله القدير هذا ماقالوا والظاهر ان الله تعالى مع كفاية نصرته ذكر بعد نفسه من كان اقوى فى نصرته عليه السلام من المخلوقات لكون المقام مقام التظاهر لكون عائشة وحفصة متظاهرتين وزاد فى الظهير لكون المقام مقام التهديد ايضا وقدم جبريل على الصلحاء لكونه اول نصيره عليه السلام من المخلوقات وسفيرا بينه و بين الله تعالى وقدم الصلحاء على الملائكة لفضلهم عليهم فى باب النصرة لان نصرة الملائكة نصرة بالفعل القالبى ونصرة الصلحاء نصرة به و بالهمة وهى اشد ومايفيده البعدية من افضلية تظاهرهم على تظاهر الصلحاء فمن حيث الظاهر اذهم اقدر على الافعال الشاقة من البشر فاقتضى مقام التهديد ذكر البعدية وفى قوله وصالح المؤمنين اشارة الى غريبة اطلعنى الله تعالى عليها وهى ان صالحا اسم النبى عليه السلام كما فى المفردات (فان قلت كيف هو ونصرة النبى لنفسه محال (قلت هذه نصرة من مقام ملكيته لمقام بشريته ومن مقام جمعه لمقام فرقه ومن مقام ولايته لمقام نبوته كالتسليم فى قوله عليه السلام عليك ايها النبى ان صح انه عليه السلام قاله فى تشهده ونظيره نصرة موسى عليه السلام لنفسه حين فر من القبط كما قال ففررت منكم وذلك لان فيه نصرة نفسه الناطقة لنفسه الحيوانية وفيه اشارة ايضا الى القلب والقوى الروحانية المتصورة على النفس بتأييد الله تعالى وتأييد ملك الالهام قال بعض الكبار ليس فى العالم اعظم قوة من المرأة بسر لايعرفه الا من عرف فيم وجد العالم و باى حركة اوجده الحق تعالى وانه عن مقدمتين فانه نتيجة والناتج طالب والطالب مفتقر والمنتوج مطلوب والمطلوب له عزة الافتقار اليه والشهوة فى ذلك غالبة فقد بان لك محل المرأة من الموجودات وما الذى ينظر اليها من الحضرة الالهية و بماذا كانت لها القوة وقد نبه تعالى على ماخصها به من القوة بقوله وان تظاهرا الخ وماذكر الا معينا قويا من الملائكة الذين لهم الشدة والقوة فان صالح المؤمنين يفعل بالهمة وهو اقوى من الفعل فان فهمت فقد رميت بك على الطريق فانه تعالى نزل الملائكة بعد ذكره نفسه وجبريل وصالح المؤمنين منزلة المعينين ولا قوة الا بالله وقد اخبر الشيخ افضل الدين الاحدى قدس سره انه تفكر ذات ليلة فى قوله تعالى ومايعلم جنود ربك الا هو فقال فقلت اين المنازع الذى يحتاج فى مقاتلته الى جنود السموات والارض وقد قال تعالى ولله جنود السموات والارض واذا كان هؤلاء جنوده فمن يقاتلون وما خرج عنهم شخص واحد فاذا بهاتف يقول لى لاتعجب فثمة ماهو اعجب فقلت وماهو فقال الذى قصه الله فى حق عائشة وحفصة قلت وماقص فقال وان تظاهرا الخ فهذا اعجب من ذكر الجنود انتهى قال فتحرك خاطرى الى معرفة هذه العظمة التى جعل الله نفسه فى مقابلتها وجبريل وصالح المؤمنين فاخبرت بها فى واقعة فاسررت بشئ سرورى بمعرفة ذلك وعلمت من استندنا اليه ومن يقويهما وعلمت ان الله تعالى لولا ذكر نفسه فى النصرة ما استطاعت الملائكة والمؤمنون مقاومتهما وعلمت انهما حصل لهما من العلم بالله والتأثير فى العالم ما اعطاهما هذه القوة وهذا من العلم الذى كهيئة المكنون فشكرت الله على ما اولى انتهى وكان الشيخ على الخواص قدس سره يقول ما اظن احدا من الخلق استند الى ما استند اليه هاتان المرأتان يقول لوط عليه السلام لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد فكان عنده والله الركن الشديد ولكن لم يعرفه وعرفتاه عائشة وحفصة فلم يعرف قدر النساء لاسيما عائشة وحفصة الاقليل فان النساء من حيث هن لهن القوة العظيمة حتى ان اقوى الملائكة المخلوقة من انفاس العامة الزكية من كان مخلوقا من انفاس النساء ولو لم يكن فى شرفهن الا استدعاؤهن اعظم ملوك الدنيا كهيئة السجود لهن عند الجماع لكان فى ذلك كفاية فان السجود اشرف حالات العبد فى الصلاة ولولا الخوف من اثارة امر فى نفوس السامعين يؤديهم الى امور يكون فيها حجابهم عما دعاهم الحق تعالى اليه

لاظهرت من ذلك عجبا ولكن اذ لك اهل والله عليم خبير (عسى ربه) سزاست وشايد پروردكار او يعنى النبى عليه السلام (ان طلقكن) اكر طلاق دهد شمارا كه زنان او بيد وهو شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف اومتقدم اى ان طلقكن فعسى (ان يبدله) اى يعطيه عليه السلام بدلكن (ازواجا) مفعول ثان ليبدله وقوله (خيرا منكن) صفة للازواج وكذا مابعده من قوله مسلمات الى ثيبات وفيه تغليب المخاطب على الغائبات فالتقدير ان طلقكما وغيركما اوتعميم الخطاب لكل الازواج بان يكن كلهن مخاطبات لما عاتبهما بانه قد صغت قلوبكما وذلك يوجب التوبة شرع فى تخويفهما بان ذكر لهما انه عليه السلام يحتمل ان يطلقكما ثم انه ان طلقكما لايعود ضرر ذلك الاالكما لانه يبدله ازواجا خيرا منكما وليس فى الآية مايدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن فان تعليق الطلاق للكل لاينافى تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لايجب وقوعه يعنى ان هذه الخبرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة فى نفسها وكان الله عالما بانه عليه السلام لايطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن ابدله خيرا منهن تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم فانه اخبار عن القدرة وتخويف لهم لاان فى الوجود من هو خير من اصحاب محمد عليه السلام قيل م كل عسى فى القرآن واجب الا هذا وقيل هو ايضا واجب ولكن الله علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فان المذهب انه ليس على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين الا انه عليه السلام اذا طلقهن لعصيانهن له واذاهن اياه كان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله خيرا منهن وفى فتح الرحمن عسى تكون للوجوب فى الفاظ القرآن الا فى موضعين احدهما فى سورة محمد فهل عسيتم اى علمتم اوتيقنتم والثانى هنا ليس بواجب لان الطلاق معلق بالشرط فلما لم يوجد الشرط لم يوجد الابدال (مسلمات مؤمنات) مقرات باللسان مخلصات بالجنان فليس من قبيل التكرار اومنقادات انقيادا ظاهريا بالجوارح مصدقات بالقلوب (قانتات) مطيعات اى مواظبات على الطاعة اومصليات (تائبات) من الذنوب (عابدات) متعبدات اومتذللات لامر الرسول عليه السلام (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد فلا يزال ممسكا الى ان يجد مايطعمه فشبه به الصائم فى امساكه الى ان يجئ وقت افطاره وقال بعضهم الصوم ضربان صوم حقيقى وهو ترك المطعم والمشرب والمنكح وصوم حكمى وهو حفظ الجوارح من المعاصى كالسمع والبصر واللسان والسائح هو الذى يصوم هذا الصوم دون الاول انتهى اومهاجرات من مكة الى المدينة اذ فى الهجرة مزيد شرف ليس فى غيرها كما قال ابن زيد ليس فى امة محمد سياحة الا الهجرة والسياحة فى اللغة الجولان فى الارض (ثيبات) شوهر ديدكان (وابكارا) دوشيزكان والثيب الرجل الداخل بامرأة والمرأة المدخول بها يستوى فيه المذكر والمؤنث فيجمع المذكر على ثيبين والمؤنث على ثيبات من ثاب اذا رجع سميت به المرأة لانها راجعة الى زوجها ان اقام بها والى غيره ان فارقها والى حالتها الاولى وهى انه لازوج لها فهى لاتخلو عن الثوب اى الرجوع وقس عليها الرجل وسميت العذراء بالبكر لانها على اول حالتها التى طلعت عليها قال الراغب سميت التى لم تفتض بكرا اعتبارا بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء ففى البكر معنى الاولية والتقدم ولذا يقال البكرة لاول النهار والباكورة للفاكهة التى تدرك اولا وسط بينهما العاطف دون غيرهما لتنافيهما وعدم اجتماعهما فى ذات واحدة بخلاف سائر الصفات فكأنه قيل ازواجا خيرا منكن متصفات بهذه الصفات المذكورة المحمودة كائنات بعضها ثيبات تعريضا لغيرعائشة وبعضها ابكارا تعريضا لها فانه عليه السلام تزوجها وحدها بكرا وهو الوجه فى ايراد الواو الواصلة دون الفاصلة لانها توهم ان الكل ثيبات او كلها ابكار قال السهيلى رحمه الله ذكر بعض اهل العلم ان فى هذا اشارة الى مريم البتول وهى البكر والى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وان الله سيزوجه عليه السلام اياهما فى الجنة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ابو الليث رحمه الله تكون وليمة فى الجنة ويجتمع عليها اهل الجنة فيزوج الله هاتين المرأتين يعنى آسية ومريم من محمد عليه السلام وبدأ بالثيب قبل البكر لان زمن آسية قبل زمن مريم ولان ازواج النبى عليه السلام كلهن ثيب الا واحدة وافضلهن خديجة وهى ثيب فتكون هذه القبلية من قبلية الفضل والزمان ايضا لانه تزوج الثيب منهن قبل البكر وفى كشف الاسرار (روى) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه

ان النبي عليه السلام دخل على خديجة وهي تجود بنفسها يعني توفات ميكند فقال اتكرهين ماتزل بك ياخديجة وقد جعل الله في الكره خيرا كثيرا فاذا قدمت على ضرائك فاقرئيهن مني السلام فقالت يارسول الله ومن هن قال مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وحليمة اخت موسى فقالت بالرفاء والبنين اى اعرست ملتبسا بالرفاء وهو الالتئام والاتفاق والمقصود حسن المعاشرة وكان هذا دعاء الاوائل للعرس واحترز بالبنين عن البنات ثم نهى النبي عليه السلام عن هذا القول وامر بأن يقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينهما في خبر ثم ان المراد من الابدال ان يكون في الدنيا كما افاده قوله تعالى ان طلقكن لان نساء الجنة يكن ابكارا سواء كن في الدنيا ثيبات اوابكارا وفي الحديث (ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا فان قلت فاذا يكون اكثر اهل الجنة النساء وهو مخالف لقوله عليه السلام يامعشر النساء تصدقن فاني ارى اكثر اهل النار قلت لعل المراد بالرجل بعض الرجال لان طبقات الابرار والمقربين متفاوتة كما دل عليه قوله عليه السلام ادنى اهل الجنة الذي له اثنتان وسبعون زوجة وثمانون الف خادم ولايعد في كثرة الخادم لما قال بعضهم ان اطفال الكفار خدام اهل الجنة على ان الخدام لاينحصرون فيهم بل لاهل الجنة خدام اخر فان قلت كان عليه السلام يحب الاخف الا يسر في كل شئ فلماذا كثر من النساء ولم يكتف منهن بواحدة اوثنتين قلت ذلك من اسرار النبوة ولذا لم يشبع من الصلاة ومن النساء (روى) انه عليه السلام اعطي قوة اربعين رجلا في البطش والجماع وكل حلال يكدر النفس الا الجماع الحلال فانه يصفيها ويجلي العقل والقلب والصدر ويورث السكون باندفاع الشهوة المحركة على ان شهوة الخواص ليست كشهوة العوام فان نار الشهوة للخواص بعد نور المحبة وللعوام قبله ثم ان في الآيات المتقدمة فوائد منها ان تحريم الحلال غير مرضي كما ان ابتغاء رضي الزوج بغير وجهه ليس بحسن ومنها ان افشاء السر ليس من المروة خصوصا افشاء اسرار السلاطين الصورية والمعنوية لايعفى و *كل سر جاوز الاثنين شاع * اى المسر والمسر اليه او الثلثين ومنها ان من الواجب على اهل الزلة التوبة والرجوع قبل الرسوخ واشتداد القساوة ومنها ان البكارة وجمال الصورة وطلاقة اللسان ونحوها كانت نفاسة جسمانية مرغوبة عند الناس لكن الايمان والاسلام والقنوت والتوبة ونحوها نفاسة روحانية مقبولة عند الله وشرف الحسب افضل من شرف النسب والعلم الديني والادب الشرعي هما الحسب المحسوب من الفضائل فعلى العاقل ان يتحلى بالورع وهو الاجتناب عن الشبهات والتقوى وهو الاجتناب عن المحرمات ويتزين بزين انواع المكارم والاخلاق الحسنة والاوصاف الشريفة المستحسنة (ياايها الذين آمنوا قوا انفسكم) امر من الوقاية بمعنى الحفظ والحماية والصيانة اصله اوقيوا كاضربوا والمراد بالنفس هنا ذات الانسان لا النفس الامارة والمعنى احفظوا وبعدوا انفسكم وبالفارسية نكاه داريد نفسهاى خودرا ودور كنيد يعني بترك المعاصي وفعل الطاعات (واهليكم) بالنصح والتأديب والتعليم اصله اهلين جمع اهل حذفت النون بالاضافة وقد يجمع على اهالى على غير قياس وهو كل من في عيال الرجل ونفقته من المرأة والولد والاخ والاخت والعم وابنه والخادم ويفسر بالاصحاب ايضا ودلت الآية على وجوب الامر بالمعروف للاقرب فالاقرب وفي الحديث (رحم الله رجلا قال ياأهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة وفي الحديث (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهو من الرعاية بمعنى الحفظ يعني كلكم ملتزم بحفظ مايطالب به من العدل ان كان واليا ومن عدم الخيانة ان كان موليا عليه وكلكم مسئول عما التزم حفظه يوم القيامة فالامام على الناس راع والرجل راع على اهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وعبد الرجل راع على مال سيده والكل مسئول وقيل اشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل اهله وخص الاهلين بالنصيحة مع ان حكم الاجانب كحكمهم في ذلك لان الاقارب اولى بالنصيحة لقربهم كما قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين

ولان شرائط الامر والنهى قد لا توجد فى حق الاجانب بخلاف الاقارب لاسيما الاهل فان الرجل سلطان اهله وقال بعض اهل الاشارة فى الآية طهروا انفسكم عن دنس محبة الدنيا حتى تكون اهاليكم صالحين بمتابعتكم فاذا رغبتم فى الدنيا فهم يشتغلون بها فان زلة الامام زلة المأمومين وقال القاشانى رحمه الله الاهل بالحقيقة هو الذى بينه و بين الرجل تعلق روحانى واتصال عشقى سواء اتصل به اتصالا جسمانيا ام لا وكل ما تعلق به تعلقا عشقيا فبالضرورة يكون معه فى الدنيا والآخرة فوجب عليه وقايته وحفظه من النار كوقاية نفسه فان زكى نفسه عن الهيئات الظلمانية وفيه ميل ومحبة لبعض النفوس المنغمسة فيها لم يزكها بالحقيقة لانه بتلك المحبة ينجذب اليها فيكون معها فى الهاوية محجوبا بها سواء كانت قواه الطبيعية الداخلة فى تركيبه ام نفوسا انسانية متكسة فى عالم الطبيعة خارجة عن ذاته ولهذا يجب على الصادق محبة الاصفياء والاولياء ليحشر معهم فان المرء يحشر مع من احب (نارا) نوعا من النار (وقودها) ما يوقد به تلك النار يعنى حطبها و بالفارسية آتش انكيزوى فالوقود بالفتح اسم لما توقد به النار من الحطب وغيره والوقود بالضم مصدر بمعنى الاتقاد وقرئ به بتقدير اسباب وقودها او بالحمل على المبالغة (الناس) كفار الانس والجن وانما لم يذكر الجن ايضا لان المقصود فى الآية تحذير الانس ولان كفار الجن تابعة لكفار الانس لان التكذيب انما صدر اولا من الانس (والحجارة) اى تتقدبها ايضا اتقاد غيرها بالحطب ففيه بيان لغاية احراقها وشدة قوتها فان اتقاد النار بالحجارة مكان الحطب من الشجر يكون من زيادة حرها ولذلك قال عليه السلام ناركم جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى حجارة الكبريت وهى اشد الاشياء حرا اذا اوقد عليها ولها سرعة الاتقاد ونتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالابدان فيكون العذاب بها اشد وقيل وقودها الناس اذا صاروا اليها والحجارة قبل ان يصيروا اليها (قال الكاشفى) تا بتان سنكين كه كفار مى پرستند دليله قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقرن الناس بالحجارة لانهم نحتوها واتخذوها ارباما من دون الله يا كنجها زروسيم كه منشأ آن سنكست * زروسيمند سنك زردوسفيد * اندرين سنكها مينداميد * دلى ازسنك سختتر بايد * كه زسنكيش راحت افزايد * دل ازين سنك اكر تو برنكنى * سرز حسرت بسى بسنك زنى * وقيل اراد بالحجارة الذين هم فى صلابتهم عن قبول الحق كالحجارة كما وصفهم بقوله فهى كالحجارة او اشد قسوة كما قال فى التأويلات النجمية يا ايها الذين آمنوا بالايمان العلمى قوا انفسكم واهليكم من القوى الروحانية نار حجاب البعد والطرد التى يوقدها حطب وجود الناسين ميثاق الست بربكم قالوا بلى وحجارة قلوبهم القاسية وهم الصفات البشرية الطبيعية الحيوانية البهيمية السبعية الشيطانية انتهى وامر الله المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة حيث قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين للمبالغة فى التحذير ولان الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم تبع للكفار فى دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مجاورة الذين اعدت لهم هذه النار اصالة ولا يبعد ان يأمرهم بالتوقى عن الارتداد كما فى التفسير الكبير (عليها) اى على تلك النار العظيمة (ملائكة) تلى امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية التسعة عشر واعوانهم فليس المراد بعلى الاستعلاء الحسى بل الولاية والقيام والاستيلاء والغلبة على ما فيها من الامور قال القاشانى هى القوى السماوية والملكوتية الفعالة فى الامور الارضية التى هى روحانيات الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر المشار اليها بالزبانية التسعة عشر وغيرها من الملك الذى هو الطبيعة الجسمانية الموكلة بالعالم السفلى وجميع القوى والملكوت المؤثرة فى الاجسام التى لو تجردت هذه النفوس الانسانية عنها ترقت من مرانبها واتصلت بعالم الجبروت وصارت مؤثرة فى هذه القوى الملكوتية ولكنها لما انغمست فى الامور البدنية وقرنت انفسها بالاجرام الهيولانية المعبر عنها بالحجارة صارت متأثرة منها محبوسة فى اسرها معذبة بايديها (غلاظ) غلاظ القلوب بالفارسية سطبر جكران جمع غليظ بمعنى خشن خال قلبه عن الشفقة والرحمة (شداد) شداد القوى جمع شديد بمعنى القوى لانهم اقوياء لا يعجزون عن الانتقام من اعداء الله على ما امروا به وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال اقوياء على الافعال الشديدة يعملون بارجلهم كما يعملون بايديهم اذا استرحموا لم يرحموا لانهم خلقوا من الغضب وجبلوا على القهر لا لذة لهم الا فيه فمقتضى

جبلتهم تعذيب الخلق بلا مرحمة كما ان مقتضى الحيوان الاكل والشرب مابين منكبي احدهم مسيرة سنة اوكما بين المشرق والمغرب يضرب احدهم بمقمعه ضربة واحدة سبعين الفافيهوون فى النار (لايعصون الله ماامرهم) اى امره فى عقوبة الكفار وغيرها على انه بدل اشتمال من الله ومامصدرية اوفيما امرهم به على نزع الخافض وماموصولة اى لايمتنعون من قبول الامر و يلتزمونه و يعزمون على اتيانه فليست هذه الجملة مع التى بعدها فى معنى واحد (وقال الكاشفى) برشوت فريفته نشوند تا مخالفت امر بايد كرد كاعوان ملوك الدنيا يمتنعون بالرشوة (و يفعلون مايؤمرون) اى و يؤدون مايؤمرون به من غير تثاقل وتوان وتأخير وزيادة ونقصان وقال القاضى لايعصون الله ماامرهم فيما مضى ويستمرون على فعل مايؤمرون به فى المستقبل قال بعضهم لعل التعبير فى الامر اولا بالماضى مع نفى العصيان بالمستقبل لما ان العصيان وعدمه يكونان بعد الامر وثانيا بالمستقبل لما امرهم بعذاب الاشقياء يكون مرة بعد مرة قال بعض الكبار فى هذه الآية دليل على عصمة جميع الملائكة السماوية وذلك لانهم عقول مجردة بلامنازع ولاشهوة فيهم مطيعون بالذات بخلاف البشر والملائكة الارضية الذين لايصعدون الى السماء فان من الملائكة من لايصعد من الارض الى السماء ابدا كما ان منهم من لاينزل من السماء الى الارض ابدا وفيها دليل ايضا على انه لانهى عند هؤلاء الملائكة فلاعبادة للنهى عندهم ففاتهم اجر ترك المنهيات بخلاف الثقلين وملائكة الارض فانهم جمعوا بين اجر عبادة الامر واجر اجتناب النهى قال الكرمانى فى شرح البخارى ان قلت الترك ايضا عمل لان الاصح ان الترك كف النفس فيحتاج الى النية قلت نعم اذا كان المقصود امتثال امر الشارع وتحصيل الثواب اما فى اسقاط العقاب فلا فالتارك للزنى يحتاج فيه لتحصيل الثواب الى النية وماالمشتهر ان التروك لاتحتاج اليها يريدون به فى الاسقاط يعنى لو اريد بالتروك تحصيل الثواب وامتثال امر الشارع لابد فيها من قصد الترك امتثالا لامر الشارع فتارك الزنى ان قصد تركه امتثال الامر يثاب (يا ايها الذين كفروا) اى يقال لهم عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما امروا به يعنى چون زبانيه كافران رابكنارهٔ دوزخ آرند ايشان آغاز اعتذار كرده داعيهٔ خلاصى نمايند پس حق تعالى باملائكه كويد يا ايها الذين كفروا (لاتعتذروا اليوم) اى فى هذا اليوم يعنى عذر مكوييد امروز كه عذر مقبول نيست وفائده نخواهد داد قال القاشانى اذ ليس بعد خراب البدن و رسوخ الهيئات المظلمة الا الجزاء على الاعمال لامتناع الاستكمال ثمة والاعتذار بالفارسية عذر خواستن يقال اعتذرت الى فلان من جرمى و يعدى بمن والمعتذر قد يكون محقا وغير محق قال الراغب العذر تحرى الانسان مايمحو به ذنوبه وذلك ثلاثة اضرب ان يقول لم افعل او يقول فعلت لاجل كذا فيذكر مايخرجه عن كونه مذنبا او يقول فعلت ولا اعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة واعتذرت اليه اتيت بعذر وعذرته قبلت عذره (انما تجزون ماكنتم تعملون) فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعد مانهيتم عنها اشد النهى وامرتم بالايمان والطاعة فلاعذر لكم قطعا اى حقيقة والنهى عن الاتيان بما هو عذر صورة و فى حسبانهم وفى بعض التفاسير لاتعتذروا اليوم لما انه ليس لكم عذر يعتد به حتى يقبل فينفعكم و هذا النهى لهم ان كان قبل مجئ الاعتذار منهم فيوافق ظاهر قوله تعالى ولايؤذن لهم فيعتذرون وان كان بعده فيؤول هذا القول و يقال لايؤذن لهم ان يتموا اعتذارهم ولا يسمع اليه وفى التأويلات النجمية قل للذين ستروا الحق بالباطل وحجبوا عن شهود الحق فى الدنيا لاتطلبوا مشاهدة الحق فى الآخرة انما تكافأون بعدم رؤية الحق اليوم لعدم رؤيتكم له فى يوم الدنيا كما قال ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا انتهى * قال بعض العارفين لايتحسر يوم القيامة على فوات الاعمال الصالحة الا العامة اما العارفون فلا يرون لهم عملا يتحسرون على فواته بل و لايصح الفوات ابدا انتهى قسمة عادلة يجب على كل عبد الرضى بها وقول الانسان انا مقصر فى جنب الله هو من باب هضم النفس لا حقيقة اذ لايقدر احد ان ينقص مما قسم له ذرة ولايزيد عليه ذرة فلايصح الندم الا فى اعمال توهم العبد انها له ثم فوتها وذلك لايقوله عارف (مصراع) درد ائرهٔ قسمت من نقطهٔ تسليم (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) التوبة ابلغ وجوه الاعتذار

بان يقول فعلت وأسأت وقد اقلعت وفى الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على مافرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ماامكنه ان يتدارك من الاعمال بالاعادة فمتى اجتمع هذه الاربعة فقد كملت شرائط التوبة كما فى المفردات والنصح تحرى فعل اوقول فيه صلاح صاحبه والنصوح فعول من ابنية المبالغة كقولهم رجل صبور وشكور اى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا انفسهم بالتوبة فيأتوا بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا من القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لايعودون فى قبيح من القبائح الان يعود اللبن فى الضرع وكذا لوحزوا بالسيف واحرقوا بالنار موطنين انفسهم على ذلك بحيث لايلويهم عنه صارف اصلا وعن على رضى الله عنه انه سمع اعرابيا يقول اللهم انى استغفرك واتوب اليك فقال ياهذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وماالتوبة قال ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة اى القضاء صلاة اوصوما اوزكاة اونحوها ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لاتعود وان تذيب نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصى قال سعدى المفتى والمذهب السنى انه يكفى فى تحقق التوبة الندم والعزم على ان لايعود بخلاف اهل الاعتزال حيث يلزم فى تحققها عندهم رد المظالم وهو عندنا غير واجب فى التوبة قال بعض الكبار مالم تكن التوبة عامة من جميع المخالفات فهى ترك لاتوبة وقيل نصوحا من نصاحة الثوب بالفتح وهى بالفارسية جامه دوختن اى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خلاك وفى الحديث (المؤمن واه راقع فطوبى لمن مات على رقعه) ومعناه ان يخرق دينه ثم يرقعه بالتوبة ونحوه استقيموا ولن تحصوا اى لن تستطيعوا ان تستقيموا فى كل شئ حتى لاتميلوا ومنه ياحنظلة ساعة فساعة ومن بلاغات الزمخشرى مامنع قول الناصح ان يروقك وهو الذى ينصح خروقك شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع شبه التوبة فى خلوصها بذلك وكذا تخلص قول الناصح من الغش بتخلص العسل من الخلط ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقال ذوالنون المصرى قدس سره التوبة ادمان البكاء على ماسلف من الذنوب والخوف من الوقوع فيها وهجران اخوان السوء وملازمة اهل الجنة وقال التسترى رحمه الله هى توبة السنى لاالمبتدع لانه لاتوبة له بدليل قوله عليه السلام حجر الله على كل صاحب بدعة ان يتوب وقال الواسطى قدس سره هى ان يتوب لالغرض وقال الشيخ ابو عبد الله بن خفيف قدس سره طالب عباده بالتوبة وهو الرجوع اليه من حيث ذهبوا عنه والنصوح فى التوبة الصدق فيها وترك مامنه تاب سرا وعلنا وقولا وفكرا وقال القاشانى رحمه الله مراتب التوبة كمراتب التقوى فكما ان اول مراتب التقوى هو الاجتناب عن المنهيات الشرعية وآخرها الاتقاء عن الانانية والبقية فكذلك التوبة اولها الرجوع عن المعاصى وآخرها الرجوع عن ذنب الوجود الذى هو من امهات الكبائر عند اهل التحقيق * توبه چون باشد پشيمان آمدن * بردر حق نو مسلمان آمدن * خدمتى ازسر كرفتن بانياز * باحقيقت روى كردن ازمجاز * وفى التأويلات النجمية يشير الى المؤمنين الذين لم تترسخ اقدامهم فى ارض الايمان ترسخ اقدام الكمل ويحثهم على التوبة الى الله بالرجوع عن الدنيا ومحبتها والاقبال على الله وطاعته توبة بحيث ترفو جميع خروق وقعت فى ثوب دينه بسبب استيفاء اللذات الجسمانية واستقصاء الشهوات الحيوانية ويقال توبة العوام عن الزلات والخواص عن الغفلات والاخص عن رؤية الحسنات وفى الحديث (ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب اليه فى اليوم مائة مرة) ودخل فى الناس الذكور والاناث وهى اى التوبة واجبة على الفور لما فى التأخير من الاصرار على المحرم وهو يجعل الصغيرة كبيرة وعلامة قبول التوبة ان لايذكره الله ذنبه لان التوبة لاتبقى للذنب وجودا فمتى ذكر التائب ذنبه فتوبته معلولة وقد تكون التوبة مقبولة عند الله ومع ذلك فلا تدفع عن العاصى العذاب كما لوتاب السارق عند الحاكم لاترفع توبته عنه حد القطع وفى حديث ماعز كفاية فانه عليه السلام قال فى حقه انه تاب توبة لوقسمت على اهل مدينة لوسعتهم ومع ذلك فلم تدفع توبته عنه الحد بل امر عليه السلام برجمه فرجم فاعرف (وفى المثنوى) بودمردى پيش ازين نامش نصوح * بدزدلاكى زن

اورا فتوح * بود روی اوچو رخسار زنان * مردئ خودرا همی کرد اونهان * اوبحمام زنان دلاك بود * دردغا وحیله بس چالاك بود * سالهامی کرد دلاکی وعکس * بونبرد ازحال وسر آن هوس * زانکه آوازو رخش زن وار بود * لیك شهوت کامل وبیدار بود * دختران خسروازاین طریق * خوش همی مالیدومی شست آن عشیق * توبهامی کردو پادر می کشید * نفس کافر توبه اش رامی درید * رفت پیش عارفی آن زشت کار * گفت مارا در دعایی یاد دار * سرا ودانست آن آزاد مرد * لیك چون حلم خدا پیدا نکرد * سست خندید وبگفت ای بدنهاد * زانکه دانی ایزدت توبه دهاد * آن دعا ازهفت گردون درگذشت * کار آن مسکین باآخر خوب گشت * یك سبب انکیخت صنع ذی الجلال * که رهانیدش زنفرین ووبال * اندران حمام پرمی کرد طشت * کوهری ازدخترشه یاوه گشت * کوهری ازحلقهاء گوش او * یاوه گشت وهرزنی درجست وجو * پس درحمام رابستند سخت * تابجویند اولش دربیخ رخت * رختهاجستند وآن پیدانشد * دزد کوهر نیز هم رسوانشد * پس بجدجستن گرفتند از گزاف * دزد هان وکوش واندر هرشکاف * بانك آمد که همه عریان شوید * هرکه هستید ازعجوز وکرنوید * یك بیك راحاجبه جستن گرفت * تابدید آید کهر دانه شگفت * آن نصوح ازترس شد درخلوتی * روی زردواب گبود ازخشیتی * گفت یارب بارها برگشته ام * توبها وعهدها بشکسته ام * کرده ام انهاکه ازمن می مزید * تاچنین سیل سیاهی دررسید * نوبت جستن اکنون درمن رسد * وه که جان من چه سختیها کشد * این چنین اندوه کافر رامباد * دامن رحمت گرفتم داد داد * کرمرا این بار ستاری کنی * توبه کردم من زهرنا کردنی * من اگر این بارتقصیری کنم * پس دگر مشنودعا وگفتنم * درمیان یارب ویارب بدو * بانك آمد ازمیان جست وجو * جله راجستیم پیش آای نصوح * گشت بیهوش آن زمان پیدروح * بعد آن خوف وهلاك جان بده * مژدها آمد که اینك کم شده * ازغریو ونعره ودستك زدن * پرشده حمام قدزال الحزن * آن نصوح رفته بازآمد بخویش * دید چشمش تابش صدروز پیش * می حلال خواست ازوی هرکسی * بوسه می دادندبردستش بسی * بدکان بودیم ماراکن حلال * لحم توخوردیم اندر قبل وقال * زانکه ظن جله بروی پیش بود * زانکه درقربت زجله پیش بود * کوهرار بردست اوردست وبس * زوملازم تربخاتون نیست کس * اول اورا خواست جستن درنبرد * بهر حرمت داشتش تأخیر کرد * تابود کانرا بیندازد بجا * اندرین مهلت رهاند خویش را * پس حلالیها ازو می خواستند * وزبرای عذر می خواستند * گفت بدفضل خدای دادگر * ورنه زانچم گفته شدهستم بتر * آنچه گفتندم زبداز صدیکیست * برمن این کشفست ارکس راشکیست * آفرینها برتوبادا ای خدا * تاکهان کردی مرا ازغم جدا * کرسرهرموی من گردد زبان * شکرهای تونیاید دربیان * بعدازان آمد کسی کزمرحمت * دختر سلطان مامی خواندت * دختر شاهست همی خواند بیا * تاسرش شویی کنون ای پارسا * گفت رورودست من بی کارشد * وین نصوح توکنون بیمارشد * روکسی دیگر بجواشتاب وتفت * که مرا والله دست ازکار رفت * بادل خود گفت کزحد رفت جرم * ازدل من کی رود آن ترس وکرم * من بمردم یکره وبازآمدم * من چشیدم تلخئ مرك وعدم * توبهٔ کردم حقیقت باخدا * نشکنم تاجان شدن ازتن جدا * بعد آن محنت کرابارد کر * پارودسوی خطر الاکه خر (عسی ربکم) شاید پروردکارشما وفی کشف الاسرار الله برخود واجب کردتائب را ازشما (ان یکفر عنکم سیئاتکم) بستر هابل یمحوها ویبدلها حسنات (ویدخلکم جنات) جمع جنات اما لکثرة المخاطبین لان لکل منهم جنة اولتعددها لکل منهم من الانواع (تجری من تحتها الانهار) قال فی الارشاد ورود صیغة الاطماع والترجیة للمجری علی سنن الکبریاء فان الملوك یجیبون بلعل وعسی ویقع ذلك موقع القطع والاشعار بأنه تفضل والتوبة غیر موجبة له وان العبد ینبغی ان یکون بین خوف ورجاء وان بالغ فی اقامة وظائف العبادة یقول الفقیر التکفیر اشارة الی الخلاص من الجحیم لان السیئات هی سبب العذاب

فاذا زال السبب زال المسبب وادخال الجنات اشارة الى التقريب لان الجنان موضع القرب والكرامة وجريان الانهار اشارة الى الحياة الابدية لان الماء اصل الحياة وعنصرها فلا بد للانسان فى مقابلة هذه الانهار من ماء العلم ولبن الفطرة وعسل الالهام وخمر الجلال فكما ان الحياة المعنوية فى الدنيا انما تحصل بهذه الاسباب فكذا الحياة الصورية فى الآخرة انما تحصل بصورها (يوم لا يخزى الله النبى) ظرف ليدخلكم والاخزاء دور كردن ورسوا كردن وخوار كردن وهلاك كردن * ومعانى هذه الكلمة يقرب بعضها من بعض كما فى تاج المصادر والنبى المعهود * يعنى روزى كه خجل نكند خداى تعالى پيغمبر را يعنى نه نفس او را عذاب كند ونه شفاعت اورا در بارهٔ عاصيان مردود سازد * قال بعض اهل التفسير يخزى اما من الخزى وهو الفضاحة فيكون تعريضا للكفرة الذين قال الله تعالى فيهم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين او من الخزاية بمعنى الحياء والخجل وهو الانسب هنا بالنظر الى شأن الرسول خصوصا اذا تم الكلام فى النبى وان اريد المعنى الاول حينئذ يجوز ان يكون باعتبار ان خزى الامة لا يخلو عن انشاء خزى ما فى الرسول على ما يشعر به قوله فى دعائه اللهم لا تخزنا يوم القيامة ولا تفضحنا يوم اللقاء بعض الاشعار حيث لم يقل لا تخزنى كما قال ابراهيم عليه السلام ولا تخزنى يوم يبعثون ليكون دعاؤه عاما لامته من قوة رحمته وادخل فيهم نفسه العالية من كمال مروءته قيل الخزى كناية عن العذاب الملازمة بينهما والاولى العموم لكل خزى يكون سببا من الاسباب من الحساب والكتاب والعقاب وغيرها (والذين آمنوا معه) عطف على النبى ومعه صلة لا يخزى اى لا يخزى الله معه الذين آمنوا اى يعمهم جميعا بان لا يخزيهم او حال من الموصول بمعنى كائنين معه او متعلق بآمنوا وهو الموافق لقوله تعالى واسلمت مع سليمان اى ولا يخزى المؤمنين الذين اتبعوه فى الايمان كما قال آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون وذلك بسوء الحساب والتعيير والعتاب وذل الحجاب وردالجواب فيحاسبهم حسابا يسيرا بل ويرفع الحساب عن بعضهم ويلاطفهم ويكشف لهم جماله ويعطى مأمولهم من الشفاعة لاقاربهم واخوانهم ونحوهم وقال داود القيصرى رحمه الله فى قوله تعالى واسلمت مع سليمان اى اسلام سليمان اى اسلمت كما اسلم سليمان ومع فى هذا الموضع كمع فى قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه وقوله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه ولا شك ان زمان ايمان المؤمنين ما كان مقارنا لزمان ايمان الرسول وكذا اسلام بلقيس ما كان عند اسلام سليمان فالمراد كانه آمن بالله آمنوا بالله وكانه اسلم اسلمت لله انتهى كلام القيصرى وتم الكلام عند قوله معه وفيه تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق كما سبق واستحمادا الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل قوله والذين الخ مبتدأ خبره ما بعده من قوله نورهم الخ او خبره معه والمراد بالايمان هو الكامل حينئذ حتى لا يلزم ان لا يدخل عصاة المؤمنين النار (نورهم) اى نور ايمانهم وطاعتهم على الصراط قال فى عين المعانى نور الاخلاص على الصراط لاهل المعاملة بمنزلة الشمع ونور الصدق لارباب الاحوال بمنزلة القمر ونور الوفاء لاهل المحبة بمنزلة شعاع الشمس (يسعى) السعى المشى القوى السريع ففيه اشارة الى كمال اللمعان (بين ايديهم) اى يضئ بين ايديهم يعنى قدامهم جمع يد يراد بها قدام الشئ لكونه بين اليدين غالبا فالجمع اما باطلاقه على التثنية او بكثرة ايدى العباد (و بايمانهم) جمع يمين مقابل الشمال اى وعن ايمانهم وشمائلهم على وجه الاضمار يعنى جهة ايمانهم وشمائلهم او عن جميع جهاتهم وانما اكتفى بذكرهما لانهما اشرف الجهات ومن ادعيته عليه السلام اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا وفى بصرى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا واما مى نورا وخلفى نورا وفوقى نورا وتحتى نورا واجعلنى نورا وقال بعضهم تخصيص الايدى والايمان لان ارباب السعادة يؤتون صحائف اعمالهم منهما كما ان اصحاب الشقاوة يؤتون من شمائلهم ووراء ظهورهم فيكون ذلك علامة لذلك وقائدا على الصراط الى دخول الجنة وزينة لهم فيها وقال القاشانى نورهم يسعى بين ايديهم اى الذى لهم بحسب النظر والكمال العلمى و بايمانهم اى الذى لهم بحسب العمل وكماله اذ النور العلمى من منبع الوحدة والعملى من جانب القلب الذى هو يمين النفس او نور السابقين منهم يسعى بين ايديهم ونور الابرار منهم بسعى بايمانهم وقد سبق تمامه فى سورة الحديد وفى الحديث من المؤمنين من نوره ابعد ما بيننا و بين عدن ابين ومنهم من نوره لا يجاوز قدمه (يقولون) اى يقول المؤمنون وهو الظاهر او الرسول لامته والمؤمنون لانفسهم اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا اى يشفقون على العادة البشرية على نورهم و يتفكرون فيما مضى منهم من الذنوب فيقولون (ربنا)

اى پروردكارما (اتمم لنا نورنا) نكاه دار و باقى دار نورما تا بسلامت بكذريم فيكون المراد بالاتمام هو الادامة الى ان يصلوا الى دار السلام (واغفرلنا) يعنى ازظلمات كناه پاك كن (انك على كل شئ قدير) من الاتمام والمغفرة وغيرهما وقيل يدعون تقربا الى الله تعالى مع تمام نورهم كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفورله قال فى الكشاف كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب قلت لما كانت حالهم كحال المتقربين يطلبون ماهو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا وقيل يتفاوت نورهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا فيكون قوله يقولون من باب بنوفلان قتلوا زيدا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وقال سهل قدس سره لايسقط الافتقار الى الله عن المؤمنين فى الدنيا والآخرة وهم فى العقبى اشد افتقارا اليه وان كانوا فى دار العز والغنى ولشوقهم الى لقائه يقولون اتمم لنا نورنا واعلم ان مالايتم فى هذه الدار لايتم هناك الا ماكان متعلق النظر والهمة هنا فاعرف ثم ان الانوار كثيرة نور الذات ونور الصفات ونور الافعال ونور العبادات مثل الصلاة والوضوء وغيرهما كما قال عليه السلام فى حديث طويل والصلاة نور والسر فيه ان المصلى يناجى ربه و يتوجه اليه وقد قال عليه السلام ان العبد اذا قام يصلى فان الله ينصب له وجهه تلقاءه والله نور وحقيقة العبد ظلمانية فالذات المظلمة اذا واجهت الذات النيرة وقابلتها بمحاذاة صحيحة فانها تكتسب من انوار الذات النيرة الاترى ان القمر الذى هو فى ذاته جسم اسود مظلم كثيف صقيل كيف يكتسب النور من الشمس بالمقابلة و كيف يتفاوت اكتسابه للنور بحسب التفاوت الحاصل فى المحاذاة والمقابلة فاذا تمت المقابلة وصحت المحاذاة كمل اكتساب النور وفى الحديث بشر المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام فى يوم القيامة وفيه اشارة الى ان كل ظلمة ليست بعذر لترك الجماعة بل الظلمة الشديدة فان الاعذار التى تبيح التخلف عن الجماعة المرض الذى يبيح التيمم ومثله كونه مقطوع اليد والرجل من خلاف اومفلوجا اولا يستطيع المشى اوامعى اوالمطر والطين والبرد الشديد والظلمة الشديدة للصحيح وكذا الخوف من السلطان اوغيره من المتغلبين وفى الحديث وددت اناقد رأينا اخواننا قالوا يارسول الله السنا اخوانك قال انتم اصحابى واخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من امتك يارسول الله فقال ارأيتم لوان رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرانى خيل دهم بهم الايعرف خيله قالوا بلى يارسول الله قال فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وانا فرطهم على الحوض استعار عليه السلام لاثر الوضوء من البياض فى وجه المتوضى ويديه ورجليه بنور الوضوء يوم القيامة من البياض الذى فى وجه الفرس و يديه ورجليه فان الغرجمع الاغر والغرة بالضم بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم والتحجيل بتقديم الحاء المهملة بياض قوائم الفرس كلها و يكون فى رجلين و يد وفى رجلين فقط وفى رجل فقط ولايكون فى اليدين خاصة الامع الرجلين ولافى يد واحدة دون الاخرى الامع الرجلين والدهم جمع الادهم بمعنى الاسود فان الدهمة بالضم السواد والبهم جمع الابهم وفرس بهيم اذا كان على لون واحد لم يشبه غيره من الالوان ومنه استعير ماروى انه يحشر الناس يوم القيامة بهما بالضم اى ليس بهم شئ مما كان فى الدنيا نحو البرص والعرج والفرط بفتحتين المتقدم لاصلاح الحوض والدلو (ياايها النبى) اى رسول خبرد هنده يابلند قدر (جاهد الكفار) بالسيف يعنى جهاد كن با كافران بشمشير (والمنافقين) بالحجة او بالوعيد والتهديد او بلقائهم بوجه قهر او بافشاء سرهم وقال القاشانى جاهد الكفار والمنافقين للمضادة الحقيقية بينك و بينهم قيل النفاق مستتر فى القلب ولم يكن للنبى عليه السلام سبيل الى مافى القلوب من النفاق والاخلاص الابعد اعلام من قبل الله فامر عليه السلام بمجاهدة من علمه منافقا باعلام الله اياه باللسان دون السيف لحرمة تلفظه بالشهادتين وان يجرى عليه احكام المسلمين مادام ذلك الى ان يموت (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وفيه اشارة الى ان الغلظة على اعداء الله من حسن الخلق فان ارحم الرحماء اذا كان مأمورا بالغلظة عليهم فاظنك بغيره فهى لاتنافى الرحمة على الاحباب كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم (ومأواهم جهنم) سيرون فيها عذابا غليظا يعنى ومقام بازكشت كافران ومنافقان اكر ايمان نيارند ومخلص نشوند دوزخست قال القاشانى ماداموا على صفتهم اودائما ابدا لزوال استعدادهم اوعدمه (وبئس المصير) اى جهنم اومصيرهم وفيه تصريح بماعلم التزاما مبالغة فى ذمهم وفيه اشارة الى نبى القلب المجاهد فى سبيل الله

فانه مأمور بجهاد الكفار اى النفس الامارة بالسوء وصفاتها الحيوانية الشهوانية وبجهاد المنافقين اى الهوى المتبع وصفاته البهيمية والسبعية وبالغلظة عليهم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة ومقامهم جهنم البعد والحجاب و بئس المصير اذ ذل الحجاب وبعد الاحتجاب اشد من شدة العذاب يقول الفقير اذا كان الاعداء الظاهرة يحتاجون الى الغلظة والشدة فاظنك باعدى الاعداء وهى النفس الامارة ففى الغلظة عليها نجاة وفى اللين هلاك ولذا قال بعض الشعراء * هست نرمى آفت جان سمور * وزدرشتى مى بردجان خار پشت * وفى المثل العصا لمن عصى وقول الشيخ سعدى * درشتى ونرمى بهم دربهست * چوفصاد جراح ومرهم نهست * يشير الى ان للمؤمن صفة الجمال والجلال وبهاء الكمال فأول المعاملات الجمال لان الله تعالى سبقت رحمته غضبه ثم الجلال فلما لم تقبل الكفار الدعوة بالرفق واللين وكذا المنافقون الاخلاص واليقين امر الله تعالى نبيه عليه السلام بالغلظة عليهم ليظهر احكام كل من الاسماء المتقابلة ففيه اشارة الى ان من خلق للرحمة وهم المؤمنون لايغضب عليهم ولا يغلظ لانه قلب الحكمة وعكس المصلحة وان من خلق للغضب وهم الكفار والمنافقون لايرحم لهم ولايرفق بهم لذلك ودخل فيهم اهل البدعة ولذا لايجوز ان يلقاهم السنى بوجه طلق وقد عاتب الله بعض من فعل ذلك فعلى المؤمن ان يجتهد فى طريق الحق حتى يدفع كيد الاعداء ومكر الشياطين عن الظاهر والباطن ويديم ذلك لان به يحصل الترقى الذى هو من خصائص الانسان ولذا خص الجهاد بالثقلين واما جهاد الملائكة فبالتبعية او بتكثير السواد فاعرف (ضرب الله مثلا للذين كفروا) ضرب المثل فى امثال هذه المواضع عبارة عن ايراد حالة غريبة يعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها فى الغرابة اى جعل الله مثالا لحال هؤلاء الكفرة حالا وما آلا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به (امرأة نوح وامرأة لوط) اى حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ماهو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء وامرأة نوح هى واعلة بالعين المهملة اووالعة وامرأة لوط هى واهلة بالهاء (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح والمراد بكونهما تحتهما كونهما فى حكمهما وتصرفها بعلاقة النكاح والزواج وصالحين صفة عبدين اى كانتا تحت نكاح نبيين وفى عصمة رسولين عظيمى الشان متمكنين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما واظهار العبدين المراد بهما نوح ولوط لتعظيمهما بالاضافة التشريفية الى ضمير التعظيم والوصف بالصلاح والا فيكفى ان يقول تحتهما وفيه بيان شرف العبودية والصلاح (فخانتاهما) بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيهما من صحبة النبى والخيانة ضد الامانة فهى انما تقال اعتبارا بالعهد والامانة اى فخانتاهما بالكفر والنفاق والنسبة الى الجنون والدلالة على الاضياف ليتعرضوا لهم بالفجور لابالبغاء فانه ما بغت امرأة نبى قط فالبغى للزوجة اشد فى ايراث الانفة لاهل العار والناموس من الكفر وان كان الكفر اشد منه فى ان يكون جرما يؤاخذ به العبد يوم القيامة وهذا تصوير لحالهما المحاكية لهؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله عليه السلام بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة (فلم يغنيا) الخ بيان لما ادى اليه خيانتهما اى فلم يغن النبيان (عنهما) اى عن تينك المرأتين بحق الزواج (من الله) اى من عذابه تعالى (شيأ) من الاغناء اى لم يدفعا العذاب عنهما زن نوح غرق شد بطوفان وبرسر زن لوط سنك بارید (وقيل) لهما عند موتهما اويوم القيامة وصيغة المضى للتحقق قاله الملائكة الموكلون بالعذاب (ادخلا النار مع الداخلين) اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لاوصلة بينهم وبين الانبياء ذكر بلفظ جمع المذكر لانهن لاينفردن بالدخول واذا اجتمعا فالغلبة للذكور وقطعت هذه الآية طمع من يرتكب المعصية ان ينفعه صلاح غيره من غير موافقة له فى الطريقة والسيرة وان كان بينه وبينه لحمة نسب اووصلة صهر قال القاشانى الوصل الطبيعية والاتصالات الصورية غير معتبرة فى الامور الاخروية بل المحبة الحقيقية والاتصالات الروحانية هى المؤثرة فحسب والصورية التى بحسب اللحمة الطبيعية والخلطة والمعاشرة لايبقى لها اثر فيما بعد الموت اذ لا انساب بينهم يوم القيامة وقس عليه النسب الباطنى فان جميع القوى الخيرة والشريرة وان تولدت من بين زوجى الروح والجسد لكن الشريرة ليست من اهل الروح فى الحقيقة مثل ولد نوح فكل من السعداء والاشقياء مفترقون فى الدارين * چه نسبت است برندى صلاح وتقوىرا * سماع وعظ كجا نغمهٔ رباب كجا (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) اى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين

فى ان وصلة الكفر لاتضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت اعدى اعدآء الله وهى فى اعلى غرف الجنة والمراد آسية بنت مزاحم يقال رجل آسى وامرأة آسية من الأسى وهو الحزن قال بعض الكبار الحزن حلية الادباء ومن لم يذق طعام الحزن لم يذق لذة العبادة على انواعها اومن الاسو وهو المداواة والآسى بالمد الطبيب ويقال هذا حث للمؤمنين على الصبر فى الشدة حتى لايكونوا فى الصبر عند الشدة اضعف من امرأة فرعون التى صبرت على اذى فرعون كما سيجئ (اذقالت) ظرف للمثل المحذوف اى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذقالت (رب) اى يرور دكارمن (ابن لى) على ايدى الملائكة اوبيد قدرتك فانه روى ان الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وغرس شجرة طوبى بيده (عندك بيتا فى الجنة) اى قريبا من رحمتك على ان الظرف حال من ضمير المتكلم لان الله منزه عن الحلول فى مكان اوابن لى فى اعلى درجات المقربين فيكون عند ظرفا للفعل وفى الجنة صفة لبيتا وفى عين المعانى عندك اى من عندك بلا استحقاق منى بل كرامة منك (روى) انها لما قالت ذلك رفعت الحجب حتى رأت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزع روحها سئل بعض الظرفاء اين فى القرآن مثل قولهم الجار قبل الدار قال قوله ابن لى عندك بيتا فى الجنة فعندك هو المجاورة وبيتا فى الجنة هو الدار (ونجنى من فرعون) الجاهل (وعمله) الباطل اى من نفسه الخبيثة وسوء جوارها ومن عمله السئ الذى هو كفره ومعاصيه (ونجنى من القوم الظالمين) اى من القبط التابعين له فى الظلم (روى) انه لما غلب موسى عليه السلام السحرة آمنت امرأة فرعون وقيل هى عمة موسى آمنت به فلما تبين لفرعون اسلامها طلب منها ان ترجع عن ايمانها فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة اوتاد يعنى اوراچهار ميخ كردور بطنها والقاها فى الشمس حتى تعالى ملائكة رابفرمودتا كردوى درآمده بالهاخود اوراسايه كردندوا راها الله بيتها فى الجنة ونسيت ماهى فيه من العذاب فضحكت فعند ذلك قالوا هى مجنونة تضحك وهى فى العذاب وفى هذا بيان انها لم تمل الى معصية مع انها كانت معذبة فلتكن صوالح النساء هكذا وقال الضحاك امر بأن يلقى عليها حجر رحى وهى فى الاوتاد فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فاوصل الحجر اليها حتى رفع روحها الى الجنة فالقى الحجر عليها بعد خروج روحها فلم تجد الما وقيل اشتاقت الى الجنة وملت من صحبة فرعون فسألت ذلك ودر اكثر تفاسير هست كه حق سبحانه ويرا بآسمان ابرد بجسدوى وحالا دربهشت است كما قال الحسن البصرى قدس سره رفعت الى الجنة فهى فيها تأكل وتشرب وتتنعم قال فى الكشاف وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين (وفى المثنوى) تافرود آيد بلابى دافعى * چون نباشد ازتضرع شافعى * جزخضوع وبندكى واضطرار * اندرين حضرت ندارد اعتبار * فعدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند اهل الطريقة لانه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال ابن الفارض قدس سره

ويحسن اظهار التجلد للعدى * ويقبح غير العجز عند الاحبة

(ومريم ابنة عمران) عطف على امرأة فرعون وجمع فى التمثيل بين التى لها زوج والتى لازوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن وسميت مريم فى القرآن باسمها فى سبعة مواضع ولم يسم غيرها من النساء لانها اقامت نفسها فى الطاعة كالرجل الكامل ومريم بمعنى العابدة وقد سمى الله ايضا زيدا فى القرآن كما سبق فى سورة الاحزاب والمعنى وضرب الله مثلا للذين آمنوا حال مريم ابنة عمران والدة عيسى عليهما السلام وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا (التى احصنت فرجها) الاحصان العفاف يعنى بازايستادن اززشتى كما فى تاج المصادر والفرج مابين الرجلين وكنى به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه والمعنى حفظت فرجها عن مساس ارجال مطلقا حراما وحلالا على آكد الحفظ وبالفارسية آن زناكه نكاه داشت دامن خودرا ازحرام وفاحشه كما فى تفسير الكاشفى قال بعضهم صانته عن الفجور كما صان الله آسية عن مباشرة فرعون لانه كان عنينا وهو من لايقدر على الجماع لمرض اوكبر سن اويصل الى الثيب دون البكر فالتعبير عن آسية بالثيب كما مر فى ثيبات لكونها فى صورة الثيب من حيث ان لها بعلا وقال السهيلى رحمه الله احصان الفرج معناه طهارة الثوب يريد فرج القميص اى لم يعلق بثوبها ريبة اى انها طاهرة الاثواب فكنى باحصان فرج القميص عن طهارة الثوب من الريبة وفروج القميص اربعة

الكمان والاعلى والاسفل فلايذ هبن وهمك الى غيرهذا لان القرأن انزه معنى واوجز لفظا والطف اشارة واحسن عبارة من ان يريد ماذ هب اليه وهم الجاهل انتهى قال فى الكشاف ومن بدع التفاسير ان الفرج هوجيب الدرع ومعنى احصنته منعته (فنفخنا فيه) القاء للسببية والنفخ نفخ الريح فى الشئ اى فنفخنا بسبب ذلك فى فرجها على ان يكون المراد بالفرج هنا الجيب (كما قال الكاشفى) پس دردميديم در كريبان جامهٔ او وكذا السمجاوندى فى عين المعانى اى فيما الفرج من جيبها وكذا ابو القاسم فى الاسئلة لم يقل فيها الان المراد بالكناية جيب درعها وهوالى التذكير اقرب فيكون قوله فيه من باب الاستخدام لان الظاهر ان المراد بلفظ الفرج العضو وارید بضميره معنى آخر للفرج و منه قوله تعالى ومالها من فروج وكذا يكون اسناد النفخ الى الضمير مجازيا اى نفخ جبريل بأمرنا وهوانما نفخ فى جيب درعها (من روحنا) اى من روح خلقناه بلاتوسط اصل واضاف الروح الى ذاته تعالى تفخيما لها ولعيسى كقوله وطهر بيتى وفى سورة الانبياء فنفخنا فيها اى فى مريم اى احيينا عيسى فى جوفها من الروح الذى هومن امرنا وقال بعضهم احيينا فى فرجها واوجدنا فى بطنها ولدا من الروح الذى هو بامرنا وحده بلاسببية اصل وتوسل نسل على العادة العامة او من جهة روحنا جبريل لانه نفخ من جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها وفعلنا النفخ فيه وقرئ فيها على وفاق مافى سورة الانبياء اى فى مريم والمآل واحد انتهى * يقول الفقير يلوح لى ههنا سر خفى وهوان النفخ وان كان فى الجيب الا ان عيسى لما كان متولدا من الماءين الماء المتحقق وهوماء مريم والماء المتوهم وهوما حصل بالنفخ كان النفخ فى الجيب بمنزلة صب الماء فى الفرج فالروح المنفوخ فى الجيب كالماء المصبوب فى الفرج والماء المصبوب وان لم يكن الروح عينه الا انه فى حكم الروح لانه يخلق منه الروح ولهذا قال تعالى فنفخنا فيها اى فى الفرج سواء قلت انه فرج القميص اوالعضو فاعرف ولا يقبله الا الالباء الروحانيون (وصدقت) معطوف على احصنت (بكلمات ربها) اى بالصحف المنزلة على الانبياء عليهم السلام وفى كشف الاسرار يعنى الشرائع التى شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة ويقال صدقت بالبشارات التى بشر بها جبريل (وكتبه) اى بجميع كتبه المنزلة الشاملة للصحف وغيرها من الكتب الالهية متقدمة اومتأخرة (وكانت من القانتين) اى من عداد المواظبين على الطاعة فمن للتبعيض وفى عين المعانى من المطيعين المعتكفين فى المسجد الاقصى والتذكير لتغليب المذكر فان مريم جعلت داخلة فى ذلك اللفظ مع المذكرين والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم اوكانت من القانتين اى من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخى موسى عليه السلام فمن لابتداء الغاية وعن النبى عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم تكمل من النساء الااربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد و فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام كان العرب لا يؤثرون على الثريد شيأ حتى سموه بحبوحة الجنة وذلك لان الثريد مع اللحم جامع بين الغذآء واللذة وسهولة التناول وقلة المؤونة فى المضغ فضرب به مثلا يؤذن بانها اعطيت مع حسن الخلق حلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهى تصلح للبعل والتحدث والاستئناس بها والاصغاء اليها وحسبك انها عقلت من النبى عليه السلام مالم يعقل غيرها من النساء وروت مالم يروه مثلها من الرجال وقد قال عليه السلام فى حقها خذوا ثلثى دينكم من عائشة ولذا قال فى الامالى وللصديقة الربحان فاعلم * على الزهراء فى بعض الخصال

لكن الكمال المطلق انما هو لفاطمة الزهرآء رضى الله عنها كما دل عليه الحديث المذكور وايضا دل تشبيه عائشة بالثريد على تشبيه غيرها من المذكورات باللحم وهو سيد الادام يقول الفقير رأيت فى بعض الليالى المنورة كأن النبى عليه السلام يقول لى عائشة ست النساء اللاتى اجتمعن ومعناه على ما الهمت وقتئذ ان عائشة رضى الله عنها هى السادسة من النساء الست اللاتى اجتمعن فى نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الست من التسع متساوية فى الفضيلة ومنها عائشة لكن اشتهرت عائشة بالفضل ونودى عليها بذلك وخفيت احوال الباقيات من الست لحكمة خفية الهية ولذا لم يعين لى رسول الله عليه السلام من بقيت من الست ودل الحديث على كثرة كمال الرجال وقلة كمال النساء فيما بعد عصر النبى عليه السلام وان كانت القرون متفاوتة والاعصار متباينة ولذا قال الحافظ * نشان اهل خدا عاشقيست باخود دار * كه در مشايخ شهر اين نشان نمى بينم * (وقال المولى الجامى) اسرار عاشقان را بايد ز بان ديكر * دردا كه نيست پيدا در شهر همزبانى * والله الهادى

(تمت سورة التحريم فى اوائل شهر الله رجب من الشهور المنتظمة فى سلك شهور سنة ست عشرة ومائة والف)

الجزؤ التاسع والعشرون سورة الملك مكية وآيها ثلاثون بالاتفاق

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذى بيده الملك) البركة النماء والزيادة حسية اوعقلية ونسبتها الى الله تعالى باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وافعاله يعنى ان البركة تتضمن معنى الزيادة وهى تقتضى التعالى عن الغير كما قال ليس كمثله شئ اى فى ذاته اوجوب وجوده وفى صفاته وافعاله لكماله فيهما واما قوله تخلقوا باخلاق الله فباعتبار اللوازم و بقدر الاستعداد لاباعتبار الحقيقة والكنه فان الاتصاف بها بهذا الاعتبار مخصوص بالله تعالى فاين احياء عيسى عليه السلام الاموات من احياء الله تعالى فانه من الله بدعائه فالمعجزة استجابة مثل هذا الدعاء ومظهريته له بقدر استعداده و بهذا التقرير ظهر معنى قول بعض المفسرين تزايد فى ذاته فان التزايد فى ذاته لايكون الاباعتبار تعاليه بوجوده الواجب وتنزهه عن الفناء والتغير والاستقلال وصيغة تبارك بالدلالة على غاية الكمال وانيائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولااستعمال غيرها من الصيغ مثل يتبارك فى حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقق مضمونها والموصولات معارف ولاشك ان المؤمنين يعرفونه بكون الملك بيده واما غيرهم فهم فى حكم العارفين لان الادلة القطعية لما دلت على ذلك كان فى قوة المعلوم عند العاقل واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل لما ان اثرها يظهر فى الاكثر من اليد يقال فلان بيده الامر والنهى والحل والعقد اى له القدرة الغالبة والتصرف العام والحكم النافذ (قال الحكيم السنائى) يدا وقدرتست و وجه بقاش * آمدن حكمش ونزول عطاش * اصبعينش نفاذ حكم قدر * قدمينش جلال وقهر وخطر * وفى عين المعانى اليد صلة والقدرة والمذهب انها صفة له تعالى بلاتأويل ولاتكييف والملك بمعنى التصرف والسلطنة واللام للاستغراق ولذا قال فى كشف الاسرار ملك هجده هزار عالم بدست اوست والمعنى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ماسواه ذاتا وصفة وفعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الامور لابقبضة غيره فيأمر و ينهى ويعطى ويمنع ويحيى ويميت و يعز و يذل ويفقر و يغنى ويمرض و يشفى و يقرب و يبعد و يعمر و يخرب و يفرق و يصل و يكشف و يحجب الى غير ذلك من شؤون العظمة وآثار القدرة الالهية والسلطنة الازلية والابدية وقال بعضهم البركة كثرة الخير ودوامه فنسبتها الى الله تعالى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات اى تكاثر خير الذى بيده الملك وتزايد نعمه واحسانه كما قال وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها قال الراغب البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ والمبارك مافيه ذلك الخير ولما كان الخير الالهى يصدر من حيث لايحس وعلى وجه لايحصى ولايحصر قيل لكل مايشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة والى هذه الزيادة اشير بما روى لاينقص مال من صدقة وقوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا تنبيه على مايفيضه علينا من نعمه بوساطة هذه البروج والنيرات المذكورة وكل موضع ذكر فيه لفظة تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وفى الكواشى معنى تبارك تعالى عن صفات المحدثين وجميع المستعمل من (ب ر ك) و يعكسه يشتمل على معنى الثبوت اى ثبت الخير فى خزائن الذى وقال سهل قدس سره تعالى من تعظم عن الاشباه والاولاد والاضداد والانداد بيده الملك يقلبه بحوله وقوته يؤتيه من يشاء و ينزعه ممن يشاء وقيل يريد به النبوة يعز بها من اتبع و يذل بها من خالف وقال جعفر قدس سره هو المبارك على من انقطع اليه اوكان له اى فانه وارث النبى عليه السلام وخليفته وقد قيل فى حقه و بارك عليه وقال القاشانى قدس سره الملك عالم الاجسام كما ان الملكوت عالم النفوس ولذلك وصف ذاته باعتبار تصريفه فى عالم الملك بحسب مشيئته بالتبارك الذى هو غاية العظمة ونهاية الازدياد فى العلو والبركة و باعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى ارادته بالتسبيح الذى هو التنزيه كقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ كلا بما يناسبه لان العظمة والازدياد والبركة تناسب الاجسام والتنزه يناسب المجردات عن المادة وفى الآية اشارة الى ان الملك اذا كان بيده فهو المالك وغيره المملوك فلابد للمملوك من خدمة المالك * خدمت اوكن مكر شاهان ترا خدمت كنند * چاكر اوباش تا سلطان ترا كرد غلام * وفى الحديث القدسى يادنيا اخدمى من خدمنى قال فى كشف الاسرار ملك انسانيت جداست وملك دلها جدا وملك جانها

جدا زيرا انسانيت ملك دردنيا راند انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ودل ملك در آخرت راند يحبهم ويحبونه وجان ملك درعالم حقيقت راند وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة آن عزيز راه كويد فرداكه علم كبريای او بقيامت برايد كه لمن الملك اليوم من ازكوشهٔ دل خويش بدستورى اودرى بركشايم ودردى ازدردهاى او بيرون دهم تاكرد قيامت برآيد وكويم لمن الملك اكر معترضى براه آيد كويم اوكه چون ماضعفا ومساكين داردميكويد لمن الملك ماچون اوملك جبارى داريم چرانكويم لمن الملك اكراوراچون مابند كانست ماراچون اوخداوندست ومن هذا البيان يعرف سرقول عين العارفين ابى يزيد البسطامى قدس سره الهى ملكى اعظم من ملكك اى فان ملك العبد هو القديم وملك الرب هو الحادث فاعرف جدا فان هذا المقام من مزالق الاقدام (وهو) تعالى وحده (على كل شئ) من الاشياء وعلى كل مقدور من الانعام والانتقام وغيرهما (قدير) مبالغ فى القدرة عليه ومنتهى الى اقصاها يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى فى جلائل الامور ودقائقها قال بعضهم وهو على كل شئ قدير اى مايمكن ان تتعلق به المشيئة من المعدومات الممكنة لان الموجود الواجب لايحتاج فى وجوده الى شئ ويمتنع زواله ازلا وابدا والموجود الممكن لايراد وجوده اذهو تحصيل الحاصل والمعدوم الممتنع لايمكن وجوده فلا تتعلق به المشيئة فتعلق القدرة بالمعدوم بالايجاد وبالموجود بالابقاء والتحويل من حال الى حال قال القاشانى وهو القادر على كل ماعدم من الممكنات يوجده على مايشاء فان قرينة القدرة تخص الشئ بالممكن اذتعلل القدرة به فيقال انه مقدور لانه ممكن (وفى التأويلات النجمية) تعالى وتعاظم فى ذاته وصفاته واسمائه وافعاله الذى بيده المطلقة الملائى السخاء سلطنة الوجود المطلق الفائض على الوجودات المقيدة وهواى هويته المطلقة ظاهرة فى كل شئ قادرة على كل شئ (الذى خلق الموت والحياة) شروع فى تحصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة والموصول بدل من الموصول الاول فلا وقف على القدير والموت عند اهل السنة صفة وجودية مضادة للحيات كالحرارة والبرودة والحياة صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من ان الموت والحياة جسمان وان الله خلق الموت على صورة كبش املح لايمر بشئ ولايجد رائحته شئ الا مات وخلق الحياة على صورة فرس انثى بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لاتمر بشئ ولايجد رائحتها شئ الا حى وهى التى اخذ السامرى من اثرها قبضة فالقاها على العجل فحى فكلام وارد على سبيل التمثيل والتصوير والافهما فى التحقيق من قبيل الصفات لامن قبيل الاعيان هكذا قالوا وجوابه ان كون الموت والحياة صفتين وجوديتين لاينافى ان يكون لهما صورة محسوسة كالاعيان فانهما من مخلوقات عالم الملكوت ولكل منهما صورة مثالية فى ذلك العالم بها يرى ويشاهد يشاهده من يغيب عن عالم الملك ويتسلخ عن البدن يؤيده قوله عليه السلام يذبح الموت بين الجنة والنار على صورة كبش ولاذلك ان الذبح انما يتعلق بالاعيان وايضا ان عالم الآخرة عالم الصفة يعنى ان كل صفة باطنة فى الدنيا تتصور بصورة ظاهرة فى العقبى حسنة اوقبيحة فلاشئ من المعانى الاوهو مجسم مصور فقول ابن عباس رضى الله عنه محمول على هذا نعم ان قولهم ان الحياة فرس انثى يخالف قولهم ان البراق حقيقة ثالثة لاذكر ولاانثى وقال بعضهم الموت عبارة عن عدم صفة الحياة عن محل يقبلها يعنى ان الموت والحياة من باب العدم والملكة فان الحياة هى الاحساس والحركة الارادية والاضطرارية كالتنفس والموت عدم ذلك عما من شأنه ان يكون له كما قال صاحب الكشاف الحياة مايصح بوجوده الاحساس والموت عدم ذلك ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه انتهى * اى ايجاد اثر الموت بقطع ضوء الروح عن ظاهر الحى وباطنه مع كونه فى غاية الاقتدار على الحركة والتقلب وبجعله جمادا كان لم تكن به حركة اصلا وكذا ايجاد اثر الحياة بنفخ الروح واضاءة ظاهر البدن وباطنه به وبجعله قادرا على التقلب بنفسه بالارادة وعدم تلك الملكة ليس عدما محضا بل فيه شائبة الوجود والالم يعتبر فيه المحل القابل للامر الوجودى فاذلك صح تعلق الخلق بالموت كتعلقه بالحياة وبهذا التقرير اندفع ماقد اعترضوا به من ان العدم حال لايكون مخلوقا لان المخلوق حادث وعدم الحوادث ازلى ولوكان مخلوقا لزم وجود الحوادث ازلا وهو باطل وقال بعضهم معنى خلق الموت على تقدير

ان يكون الموت عبارة عن عدم الحياة قدره فان الخلق يجيء بمعنى التقدير كما في قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين ولا يبعد ان يقال ان تعلق الخلق بالموت بمعنى الايجاد انما هو بتبعية تعلقه بالحياة بذلك المعنى وقدم على الحياة لان الموت في عالم الملك ذاتي والحياة عرضية بمعنى ان الموت اسبق لان الاشياء كانت مواتا ثم عرضت لها الحياة كانطفه على ما دل عليه قوله تعالى وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ولانه ادعى الى احسان العمل واقرب الى قهر النفوس فمن جعله نصب عينيه افلح وفي الحديث (لو ان لابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت) وفي الارشاد الاقرب ان المراد به الموت الطاري وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما كما ينطق به ما بعد الآية ليبلوكم الخ فان استدعاء ملاحظتها لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية انتهى *وظاهره يخالف قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فان المراد بهذه الحياة هي الحياة الدنيوية بقرينة النشور والقرآن يفسر بعضه بعضا ثم ان الالف واللام في الموت والحياة عوض عن المضاف اليه اي موتكم وحياتكم ايها المكلفون لان خلق موت غير المكلفين وحياتهم لابتلاء المكلفين لا معنى له قال بعض العارفين الموت والحياة عرضان والاعراض والجواهر مخلوقة له تعالى واصل الحياة حياة تجليه واصل الموت موت استتاره وهما يتعاقبان للعارفين في الدنيا فاذا ارتفعت الحجب يرتفع الموت عنهم بأنهم يشاهدون عيانا بلا استتار ابدا لا يجري عليهم طوارق الحجاب بعد ذلك قال الله تعالى بل احياء عند ربهم خلق الموت والحياة يميت قوما بالمجاهدات ويحيي قوما بالمشاهدات يميت قوما بنعت الفناء في ظهور سطوات القدم ويحيي قوما بنعت البقاء في ظهور انوار البقاء ولولا التجلي والاستتار لم يظهر شوق المشتاقين وتفاوت درجات الشوق ولا يتبين وله العاشقين وتفاوت درجاتهم في العشق وقال سهل قدس سره الموت في الدنيا بالمعصية والحياة في الآخرة بالطاعة في الدنيا وقال الجنيد قدس سره حياة الاجسام مخلوقة وهي التي قال الله تعالى خلق الموت والحياة وحياة الله دائمة لا انقطاع لها اوصلها الى اوليائه في قديم الدهر الذي ليس له ابتداء فكانوا في علمه احياء قبل ايجاده لهم ثم اظهرهم فاعارهم الحياة المخلوقة التي احيى بها الخلق واماتهم في سره فكانوا في سره بعد الوفاة كما كانوا ثم اورد عليهم حياة الابد فكانوا احياء ابدا وقال الواسطي قدس سره من احياه الله عند ذكره في ازله لا يموت ابدا ومن اماته في ذلك لا يحيي ابدا وكم حي غافل عن حياته وميت غافل عن مماته (ليبلوكم ايكم احسن عملا) اللام متعلقة بخلق وظاهرها يدل على ان افعال الله معللة بمصالح العباد وانه تعالى يفعل الفعل لغرض كما ذهب اليه المعتزلة وعند اهل السنة ليس هي على ظاهرها بل معناها ان الله تعالى فعل فعلا لو كان يفعله من يراعي المصالح لم يفعله الا لتلك المصلحة والغرض فمثل هذه اللام لام العلة عقلا ولام الحكمة والمصلحة شرعا وايكم مبتدأ واحسن خبره وعملا تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثاني لفعل البلوى عدي اليه بلا واسطة لتضمنه معنى العلم باعتبار عاقبته والافهو لا يتعدى بلا واسطة الا الى مفعول واحد فليس هو من قبيل التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا وقد ذكر المفعول الاول هنا وهو كم مع اختصاصه بافعال القلوب ولا من التضمين المصطلح بل هو مستعار لمعنى العلم والبلوى الاختبار وليس هنا على حقيقته لانه انما يصور ممن يخفى عليه عواقب الامور فالابتلاء من الله ان يظهر من العبد ما كان يعلم منه في الغيب والمعنى ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع من محارم الله واسرع في طاعة الله يعني اتم عقلا عند الله وفهما لمراده فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا وعمله معرفة الله الواجبة على العباد اول كل شيء وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنع الله والتدبر في آياته المنصوبة في الانفس والآفاق كما قال عليه السلام لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض كذا في الارشاد يقول الفقير لعل حال يونس عليه السلام اشارة الى انه عمل قالبي مفضل على عمل اهل الارض في زمانه بخواص قلبية فان اعمال المقربين واحد منها مقابل بمائة الف بل بغير حساب باعتبار التفاوت في الاحسان والشهود والخلوص ولذا قال تعالى

احسن فانه بعبارته اشارة الى احوال المقربين وباشارته الى احوال غيرهم من الابرار والكفار والمنافقين وذلك ان نية الانسان لاتخلو اما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيئ نية وعملا وهو حال الكفار واما ان يكون متعلقها فى لسانه هو الآخرة وفى جنانه هو الدنيا فهو اسوأ نية وعملا وهو حال المنافقين واما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو الاخرة فهو حسن نية وعملا وهو حال الابرار واما ان يكون متعلقها فى لسانه وجنانه هو وجه الله تعالى فهو احسن نية وعملا وهو حال المقربين ولما كان المقصود الاعظم هو تحصيل هذا الاحسن صرح بذكره دون ذكر الحسن فانه مفهوم بطريق الاشارة وكذا غيره ولقد اصاب من قال فى تفسير الآية تابيازمايدشمارا يعنى باشما معامله آزمايندكان كندتا ظاهر شود كه در دار تكليف كدام ازشما نيكوتر نداز جهت عمل يعنى اخلاص كدام بيشترست وكذا من قال احسن الاعمال ما كان اخلص بان يكون لوجه الله خالصا واصوب بان يكون موافقا للسنة اى وارداعلى النهج الذى ورد عن الشرع فالعمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ولذا قال عليه السلام للاعرابى قم صل فانك لم تصل وكذا اذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ايضا ولذا جعل الله اعمال اهل الرياء والنفاق هباء منثورا وقول من قال من العارفين حسن العمل نسيان العمل ورؤية الفضل هو من مراتب الاخلاص فان الاخلاص سر عظيم من اسرار الله تعالى لاينا له الا الخواص وفى الارشاد اثار صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة فى الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فلكونه بمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام فى سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير صحيح له ولا تقريب انتهى * ثم ان المراد ايكم عمله احسن من عمل غيره ولا معنى لقول السجاوندى فى عين المعانى استفهام بمعنى الهمزة ولذا لم يعمل فيه الفعل تقديره وانتم احسن عملا ام غيركم انتهى فانه يشعر بان يكون التفاوت بالنسبة الى الانسان وغيره كالملائكة ومؤمنى الجن مثلا وليس بمراد وعبارة القرآن فى اسناد الحسن الى الانسان تدل على ان من كان عمله احسن كان هو احسن ولو انه ابشع الناس منظرا ومن كان عمله اسوأ كان بخلاف ذلك * رهراست بايدنه بالاى راست * كه كافرهم ازروى صورت چوماست * ولم يقل اكثر عملا لانه لاعبرة بالكثرة مع القبح قالوا والحسن انما يدرك بالشرع فاحسنه الشرع فهو حسن وماقبحه فهو قبيح وقال بعضهم ليبلوكم ايكم احسن اخذا من حياته لموته واحسن اهبة فى دنياه لآخرته قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما خذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك فانك لاتدرى ما اسمك غدا وسئل عليه السلام اى المؤمنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له استعدادا فالاستعداد للموت وللآخرة بكثرة الاعمال المقارنة للاخلاص سواء كانت صلاة اوصوما اوزكاة اوحجا اونحوها وان كان لبعض الاعمال تفاوت بالنسبة الى البعض الآخر كالصلاة فانها معراج الشهود وفيها كسر النفس واتعاب البدن ولذا كان السلف الصالح يكثرون منها حتى ان منهم من يصلى فى اليوم والليلة الف ركعة ونحوها وكالصوم وتقليل الطعام فانه سبب لورود الحكمة الالهية الى القلب ولذا كان بعض السلف يواصلون فمنهم من يطوى ثلاثة ايام ومنهم من يطوى فوق ذلك الى سبعة الى ثلاثين الى اربعين فربما يطوى اربعين يوما انفتح له باب الحكمة العظمى مع ان فى الصوم تهذيب الاخلاق ايضا فان اكثر المفاسد يجئ من قبل الاكل والشرب فيا ايها المؤمنون سابقوا وسارعوا فالنفس مطية والدنيا مضمار والسابقون السابقون اولئك المقربون وقد قال عليه السلام قد سبق المفردون والتفريد هو تقطيع الموحد عن الانفس والآفاق وشهود الحق فى عالم الاطلاق فلابد من السير والسلوك ثم الطيران فى هواء الوحدة والهوية الذاتية فانه يحصل انفصال عن منازل الاكوان السفلية الحدثة ويتحقق العروج الى عالم الوجوب والقدم نسأل الله من فضله ان يرينا وجهه الكريم انه هو البر الرحيم (وهو) اى والحال انه وحده (العزيز) الذى لايفوته من اساء العمل (الغفور) لمن شاء منهم بالتوبة وكذا بافضل قال بعضهم لما كان العزيز مناسبا لذلك كل من خالفه اذا علم بمخالفته قال مرغبا للمسيئ فى التوبة حتى لايقول مثلى لايصلح للخدمة الى من القاطعة واين التراب

وربه الارباب الغفور الذى يستر ذنوب المسيئ ويتلق من اقبل اليه احسن تلق كما قال فى الحديث القدسى ومن اتانى يمشى اتيته هرولة (الذى خلق سبع سموات) ابدعها من غير مثال سبق (طباقا) صفة لسبع سموات وقولهم الصفة فى الاعداد تكون للمضاف اليه كما فى قوله سبع بقرات سمان لايطرد و يجوز جعله حالا لان سبع سموات معرفة لشمولها الكل وهو مصدر بمعنى الفاعل يقال طابقه مطابقة وطباق الشئ مثل كتاب مطابقه بكسر الباء وطابقت بين الشيئين اذا جعلتهما على خذو واحد وازفتهما والباب يدل على وضع شئ مبسوط على مثله حتى يغطيه والمعنى مطابقة بعضها فوق بعض وسماء فوق سماء غلظ كل سماء خمسمائة عام وكذا جوها بلا علافة ولا عماد ولا عماسة فالسماء الدنيا موج مكفوف اى ممنوع من السيلان والثانية من درة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس اوصفر والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء و بين السابعة وما فوقها من الكرسى والعرش بحار من نور قال القاشانى نهاية كمال عالم الملك فى خلق السموات ان لايرى احكم خلقا واحسن نظاما وطباقا منها قال الجمهور ان الارض مستديرة كالكرة وان السماء الدنيا محيطة بها من كل جانب احاطة البيضة بالمح فالصفرة بمنزلة الارض و بياضها بمنزلة الماء وجلدها بمنزلة السماء غير ان خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هى مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة الخرط حتى قال مهندسوهم لو حفر فى الوهم وجه الارض لادى الى الوجه الآخر ولو ثقب مثلا بارض الاندلس لنفذ الثقب بارض الصين وان السماء الثانية محيطة بالدنيا وهكذا الى ان يكون العرش محيطا بالكل والكرسى الذى هو اقرب بها اليه بالنسبة اليه كحلقة ملقاة فى فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء فى التى فوقها بهذه النسبة (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) استئناف والخطاب للرسول اولكل احد ممن يصلح للخطاب و وضع خلق الرحمن موضع الضمير اذ المقام مقام ان يقال فى خلقه وهى السموات على ان يكون بمعنى المخلوق والاضافة بمعنى اللام للاشعار بانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا ومن لتأكيد النفى والمعنى ماترى فيه شيأ من اختلاف واضطراب فى الخلقة وعدم تناسب بل هو مستو مستقيم قال القاشانى سبب التفاوت عنها بسائطها واستدارتها ومطابقة بعضها بعضا وحسن انتظامها وتناسبها وهو من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما فى الآخر فلا يناسبه ولا يلايمه قال الراغب التفاوت الاختلاف فى الاوصاف كانه يفوت وصف احدهما الآخر اووصف كل واحد منهما الآخر وجعل بعض العلماء خلق الرحمن عاما فسئل بان المخلوقات باسرها على غاية التفاوت لان الليل غير النهار الى غير ذلك من الاضداد ثم اجاب بان ليس فيها تناقض اوزيادة غير محتاج اليها اونقصان محتاج اليه بل الكل مستقيمة مستوية دالة على ان خالقها عالم انتهى وفى الآية اشارة الى شمول رحمته الرحمانية الواسعة كل شئ كما قال يارحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان الموجودات كلها اعلوية كانت اوسفلية نورانية كانت اوظلمانية روحانية كانت اوجسمانية خلقت من نور الرحمن و رحمته من غير تفاوت فى الخلقة واصل الرزق * اديم زمين سفرهٔ عام اوست * برين خوان يغماچه دشمن چه دوست (فارجع البصر) اى رده الى رؤية السماء حتى يتضح ذلك بمعاينة ولايبقى عندك شبهة ماورجع يجئ لازما ومتعديا يقال رجع بنفسه رجوعا وهو العود الى ماكان منه البدء مكانا كان اوفعلا اوقولا بذاته كان رجوعه او بجزء من اجزائه او بفعل من افعاله ورجعه غيره رجعا اى رده واعاده (هل ترى) فيها (من فطور) جمع فطر كما فى القاموس وهو الشق (كما قال فى تاج المصادر) الفطر آفريدن وابتدا كردن وشكافتن يقال فطره فانفطر اى شقه فانشق والمعنى من شقوق وصدوع لامتناع خرقها والتيامها قاله القاشانى ولو كان لها فروج لفاتت المنافع التى رتبت لها النجوم المفرقة فى طبقاتها او بعضها او كالها كما فى المناسبات فاذا لم يرفى السماء فطور وهى مخلوقة فالخالق اشد امتناعا من خواص الجسمانيات (ثم ارجع البصر كرتين) اى رجعتين اخريين و اعد النظر مرة بعد مرة فى طلب الخلل والعيب * يعنى اكر بيك نكريستن معلوم نكردى تكرار كن نكريستن را * والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك يريد اجابات كثيرة واعانات وفيرة بعضها فى اثر بعض وذلك لان الكلال الآتى لايقع بالمرتين اى رجعة بعد رجعة وان كثرت قال الحسن رحمه الله لو كررته مرة بعد مرة الى يوم القيامة لم ترفيه فطورا وقال الواسطى رحمه الله كرتين اى قلبا و بصرا لان الاول كان بالعين خاصة والحاصل ان تكرار النظر وتجوال الفكر مما يفيد تحقيق

الحقائق واذا كان ذلك النظر فيها عند طلب الخروق والشقوق لا يفيد الا الكلال والحرمان تحقق الامتناع وما اتعب من طلب وجود الممتنع (ينقلب) ينصرف ويرجع وبالفارسية بازكردد (اليك) بسوى تو (البصر) چشم تو (خاسئا) اى ذليلا بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والذلة فقوله ينقلب مجزوم على انه جواب الامر وخاسئا حال من البصر وهو مع انه اسم فاعل من خسأ بمعنى تباعد وهرب ففيه معنى الصغار والذلة فاذا قيل خسأ الكلب خسوءا فمعناه تباعد من هوانه وخوفه كأنه زجر وطرد عن مكانه الاول بالصغار وخسأ يجيء متعديا ايضا يقال خسأت الكلب فخسأ اى باعدته وطردته وزجرته مستهينا به فانزجر وذلك اذا قيل له اخسأ قال الراغب ومنه خسأ البصر اى انقبض من مهانة وفى القاموس الخاسئ من الكلاب والخنازير المبعد لا يترك ان يدنو من الناس ولا يكون خاسئا فى الآية من المتعدى الا بان يكون بمعنى المفعول اى مبعدا (وهو حسير) اى كليل وبالغ غاية الاعياء لطول المعاودة وكثرة المراجعة وهو فعيل بمعنى الفاعل من الحسور الذى هو الاعياء كما فى تاج المصادر الحسور رنجه شدن وكند شدن چشم از مسافت دور وقال الراغب يقال للمعيى حاسر ومحسور اما الحاسر فتصور انه قد حسر بنفسه قواه واما المحسور فتصور ان التعب قد حسره وقوله تعالى وهو حسير يصح ان يكون بمعنى حاسر وبمعنى محسور انتهى والجملة حال من البصر او من الضمير المستتر فى خاسئا فيكون من قبيل الاحوال المتداخلة قال بعضهم فاذا كان الحال هذا فى بعض المصنوع فكيف عند طلب العلم بالصانع فى كماله وجلاله وجماله فكيف بمن يتفوه بالحلول والاتحاد حسبه جهنم وبئس المهاد * سبحان من تحير فى ذاته سواه * فهم خرد بكنه كمالش نبردراه * عمرى خرد چوچشمه‌ها چشمها كشاد * تاركمال كنه اله افكند نكاه * ايكن كشيد عاقبتش درد ودیده میل * شكل الف كه حرف نخستست ازاله وفى التأويلات النجمية فارجع ببصرك الظاهر من ظواهر الاشياء الى بصرك الباطن ومن بصرك الباطن الى بواطن الاشياء يعنى انظر باتحاد بصرك وبصيرتك الى ظواهر الاشياء وبواطنها هل ترى من شقوق الخلاف بحسب استعداد كل واحد من الموجودات لاعطائه كل ذى حق حقه ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير مبعد عن رؤية الخلل ومطالعة الزلل كما قال الامام حجة الاسلام قدس سره فى بعض كلماته ليس فى الامكان ابدع من هذا الوجود لانه لو كان ولم يظهر لكان بخلا وهو جواد ولكان عجزا وهو قادر كما قال تعالى الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال بعضهم انما لم يكن فى الامكان ابدع مما كان اى اظهر من هذا العالم لانه مائم الارتبتان الحق فى المرتبة الاولى وهو القدم والعالم فى الثانية وهو الامكان والحدوث فلو خلق ما خلق الى ما لا يتناهى فلا يزال فى المرتبة الثانية الامكانية (ولقد زينا السماء الدنيا) بيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض والناس وجعلناها فالزين والتزيين بالفارسية آراستن وهو ضد الشين بالفارسية معيوب كردن والدنيا تأنيث الادنى بمعنى الاقرب وكون السماء قريبا من سائر السموات انما هو بالاضافة الى ما تحتها من الارض لا مطلقا لان الامر بالعكس بالاضافة الى ما فوقها من العرش (بمصابيح) بچراغها جمع مصباح وهو السراج وتنكيره للتعظيم والمدح اى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كلها مركوزة فى السماء الدنيا مع ان بعضها فى سائر السموات لان السموات اذا كانت شفافة واجراما صافية فالكواكب سواء كانت فى السماء الدنيا او فى سموات اخرى فهى لا بد وان تظهر فى السماء الدنيا وتلوح منها فعلى التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح ودخل فى المصابيح القمر لانه اعظم نير يضئ بالليل واذا جعل الله الكواكب زينة السماء التى هى سقف الدنيا فليجعل العباد المصابيح والقناديل زينة سقوف المساجد والجوامع ولا سرف فى الخير وذكر ان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذا جاء العشاء يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الدارى رضى الله عنه المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسوارى المسجد واوقدت فقال عليه السلام نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان لى ابنة لانكحنكها وسماه سراجا وكان اسمه الاول فتحا ثم اكثرها عمر رضى الله عنه حين جمع الناس على ابى بن كعب رضى الله عنه فى صلاة التراويح فلما رآها على رضى الله عنه تزهر قال نورت مسجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب

وعن بعضهم قال امرني المأمون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد فلم ار مما اكتب لانه شيء لما اسبق اليه فرأيت في المنام اكتب فان فيه انسا للمتهجدين ونفيا لبيوت الله عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك وفيه اشارة الى سماء القلب الدنيوية منك من سماء الروح وزينة انوار المعارف والعلوم الالهية والواردات الرحمانية (وجعلناها) اي المصابيح المعبر بها عن النجوم اي بعضها كما في تفسير ابي الليث (رجوما) جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به ويرمى للطرد والزجر او جمع راجم كسجود جمع ساجد (للشياطين) هم كفار الجن يخرجون الانس من النور الى الظلمات وجمع الشياطين على صيغة التكثير لكثرتهم في الواقع فالمعنى وجعلناها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من الكواكب لا بالكواكب نفسها فانها قارة في الفلك على حالها فمنهم من يقتله الشهاب ومنهم من يفسد عضوا من اعضائه او عقله والشهاب شعلة ساطعة من نار وهو ههنا شعلة نار تنفصل من النجم فاطلق عليها النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى جعلناها رجوما جعلنا منها رجوما وهي تلك الشهب ومما يؤيد ان الشعلة منفصلة من النجوم ما جاء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ان النجوم كلها كالقناديل معلقة في السماء الدنيا كتعليق القناديل في المساجد مخلوقة من نور وقيل انها معلقة بايدي الملائكة وينصر هذا القول قوله تعالى اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت لان انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل ان هذه ثقب في السماء وينصره قول بعض المكاشفين ان الكواكب ليست مركوزة في هذا التعيين وانما هي بانعكاس الانوار في بعض عروقه اللطيفة والذي يرى كسقوط النجم فكدفع الشمس من موضع الى موضع وهذا لا يطلع عليه الحكماء وانما يعرفه اهل السلوك انتهى وقال الفلاسفة ان الشهب انما هي اجزاء نارية تحصل في الجو عند ارتفاع الابخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التي دون الفلك وقد سبق بيان هذا المقام مفصلا في اوائل الصافات والحجر فلا نعيده والذي يلوح ان مذهب الفلاسفة قريب في هذه المادة من مذهب اهل الحقائق ومر بيان مذهبهم في الصافات والله اعلم بالحقيقات (واعتدنا لهم) اي هيئنا للشياطين في الآخرة بعد الاحراق في الدنيا بالشهب ومنه العتاد اي العدة والاهبة (عذاب السعير) اي عذاب جهنم الموقدة المشتعلة فالسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا اوقدتها ولذلك لم يؤنث بالتاء في آخره مع انه اسم للدركة الرابعة من دركات النار السبع وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولكن كل من هذه الاسماء يطلق على الآخر فيعبر عن النار تارة بالسعير وتارة بجهنم واخرى بآخروا علم ان في كل دركة منها فرقة من فرق العصاة كعصاة اهل التوحيد والنصارى واليهود والصابئة والمجوس والمشركين والمنافقين ولم يذكروا الشياطين في واحدة من الدركات السبع ولعلهم يقسمون على مراتب اضلالهم فيدخل كل قسم منهم مع قسم تبعه في اضلاله فكان سببا لدخوله في دركة من الدركات الست التحتانية جزاء لضلاله واضلاله واذية لمن تبعه فيما دعا اليه بمصاحبته ومقارنته كما قال تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين اي مع شياطينهم وفي الآية اشارة الى شياطين الخواطر النفسانية والهواجس الظلمانية وعذابها عذاب الرد والانقلاب بغلبة الخواطر الملكية والرحمانية (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم وكفرهم به اما بالتعطيل او بالامساك وقال سعدي المفتي الاظهر حمله على الكفرة غير الشياطين كما يشعر به ما بعده ولئلا يلزم شبه التكرار (عذاب جهنم) اي الدركة النارية التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة يقال رجل جهم الوجه كالح منقبض وفيه اشارة الى ان عذابه تعالى وانتقامه خارج عن العادة لكونه ليس بسيف ولا سوط ولا عصا ونحوها بل بالنار الخارجة عن الانطفاء وليس للكافر المعذب من الخلاص رجاء (وبئس المصير) اي جهنم وقال بعضهم جهنم من الجهنام وهي بئر بعيدة القعر ففيه اشارة الى ان اهل النار مبعدون عن جمال الله تعالى وعن نعيم الجنة محرقون في نار البعد والقطيعة نسأل الله العافية قال في فتح الرحمن تضمنت هذه الآية ان عذاب جهنم للكافرين المخلدين وقد جاء في الاثر انه يمر على جهنم زمن تخفق ابوابها قد اخلتها الشفاعة فالذي في هذه الآية هي جهنم باسرها اي جميع الطبقات والتي في الاثر هي الطبقة العليا لانها مقر العصاة انتهى وهو مراد من قال من كبار المكاشفين يأتي زمان تبقى جهنم خالية عن اهلها وهم عصاة الموحدين ويأتي على جهنم زمان ينبت في قعرها الجرجير وهي بقلة (اذا القوا) اي الذين كفروا اي في جهنم وطرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة وفي ايراد الالقاء دون الادخال اشعار

بتحقيرهم وكون جهنم سفلية (سمعوا لها) اى لجهنم نفسها وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله (شهيقا) لانه فى الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا اى سمعوا كائنا لها شهيقا اى صوتا كصوت الحمير الذى هو انكر الاصوات وافظعها غضبا عليهم وهو حسيسها المنكر الفظيع كما قال تعالى لا يسمعون حسيسها قالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق او شهيق الحمار آخر صوته والزفير اوله والشهيق رد النفس والزفير اخراجه (وهى تفور) اى والحال انها تغلى بهم غليان المرجل بما فيها من شدة التلهب والتسعر فهم لا يزالون صاعدين هابطين كالحب اذا كان الماء يغلى به لاقرار لهم اصلا والفور شدة الغليان ويقال ذلك فى النار وفى القدر وفى الغضب وفوارات الماء سميت تشبيها بغليان القدر وفعلت كذا من فورى اى من غليان الحال وفارة المسك تشبيها به فى الهيئة كما فى المفردات قال بعضهم نطقت الآية بان سماعهم يكون وقت الالقاء على ما هو المفهوم من اذا وعلى المفهوم من قوله وهى تفور ان يكون بعده اللهم الا ان تغلى بما فيها كائنا ما كان ويؤول اذا القوا باذا اريد الالقاء او اذا قربوا من الالقاء بناء على ان صوت الشهيق يقتضى ان يسمع قبل الالقاء انتهى (تكاد تميز من الغيظ) الجملة خبر آخر وتميز اصله تتميز بتاءين والتميز الانقطاع والانفصال بين المتشابهات والغيظ اشد الغضب يقال يكاد فلان ينشق من غيظه اذا وصف بالافراط فى الغضب والمعنى تكاد تتفرق جهنم من شدة الغضب عليهم اى يقرب ان يتمزق تركيبها وينفصل بعضه من بعض وبالفارسية نزديكست كه پاره پاره شود دوزخ ازشدت خشم بركافران شبه اشتغال النار بهم فى قوة تأثيرها فيهم وايصال الضرر اليهم باعتياظ المغتاظ على غيره المبالغ فى ايصال الضرر اليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاستعمال استعارة تصريحية قال الامام لعل سبب هذا المجاز ان دم القلب يغلى عند الغضب فيعظم مقداره فيزداد امتلاء العروق حتى يكاد يتمزق قال فى المناسبات وكان حذف احدى التاءين اشارة الى انه يحصل افتراق واتصال على وجه من السرعة لا يكاد يدرك حق الادراك وذلك كله لغضب سيدها وتأتى يوم القيامة تقاد الى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون الف ملك يقودونها به وهى من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الأزمة جميعا وتحطم اهل المحشر وتقول لا تتقمن اليوم ممن اكل رزق الله وعبد غيره فلا يردها عنهم الا النبى صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع ان لكل ملك من القوة ما لو أمر به ان يقتلع الارض وما عليها من الجبال ويصعد بها فعل من غير كلفة وهذا كما اطفأها فى الدنيا بنفخة كما قال عليه السلام لقد أدنيت منى النار حتى جعلت انفثها خشية ان تغشاكم قال بعضهم تلك المهواة لشدة منافاتها بالطبع لعالم النور واصل فطرة النفس ليشتد غيظها على النفوس كما ان شدة منافرة الطباع بعضها بعضا تستلزم شدة العداوة والبغض المقتضية لشدة الغيظ يقول الفقير تقرر من هذا البيان ودل سائر الآثار الصحيحة ايضا ان جهنم لها حياة وشعور كسائر الاحياء ولذا يصدر منها كما يصدر منهم فلا حاجة الى ارتكاب المجاز عند اهل الله تعالى فى امثال ذلك قال جعفر الطيار رضى الله عنه كنت مع النبى عليه السلام فى طريق فاشتد على العطش فعلمه النبى عليه السلام وكان حذاء نا جبل فقال عليه السلام بلغ منى السلام الى هذا الجبل وقل له يسقيك ان كان فيه ماء قال فذهبت اليه وقلت السلام عليك ايها الجبل فقال الجبل بنطق فصيح لبيك يا رسول الله فعرضت القصة فقال بلغ سلامى الى رسول الله وقل منذ سمعت قوله تعالى فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة بكيت لخوف ان اكون من الحجارة التى هى وقود النار بحيث لم يبق فى ماء (كلما القى) الالقاء بيفكندن (فيها) اى فى جهنم (فوج) جماعة من الكفرة بدفع الزبانية لهم الذين هم اغيظ عليهم من النار وهو استئناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها (سألهم) اى ذلك الفوج وضمير الجمع باعتبار المعنى (خزنتها) اى خزنة النار وهى مالك واعوانه من الزبانية بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة اى ليزدادوا العذاب الروحانى على العذاب الجسمانى جمع خازن بمعنى الحافظ والموكل يعرف ذلك من قولهم بالفارسية خزينه دار قال فى تاج المصادر الخزن نگاه داشتن مال وسر (الم يأتكم) اى وقالوا لهم ايها الكفرة الفجرة الم يأتكم فى الدنيا (نذير) اى منذر يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا والانذار الابلاغ ولا يكون الا فى التخويف ويعدى الى مفعولين كما فى تاج المصادر (قالوا) اعترافا بانه تعالى قد ازاح علتهم بالكلية ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم يأتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فامر به واوعد

على ضده (بلى) لايجاب نفى اثبات النذير (فدجاءنا نذير) جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف وتحسرا على فوت سعادة التصديق وتمهيدا لبيان التفريط الواقع منهم اى قال كل فوج من تلك الافواج فدجاءنا نذير اى واحد حقيقة او حكما كانبياء بنى اسرائيل فانهم فى حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا مانزل الله عليه من آياته روى ابوهريرة رضى الله عنه عن النبى عليه السلام انه قال انا النذير والموت المغير يعنى موت عارت كنده است والساعة الموعد يعنى قيامت وعده كاهست (فكذبنا) ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى فان قلت هذا يقتضى ان لايدخلها الفاسق المصر لانه لم يكذب النذير قلت قد دلت الادلة السمعية على تعذيب العصاة مطلقا والمراد بالفوج هنا بعض من التى فيها وهم الكفرة كما سبق (وقلنا) فى حق ماتلاه من الآيات افراطا فى التكذيب وتماديا فى النكير بسبب الاشتغال بالامور الدنيوية والاحكام الرسومية الخلقية (مانزل الله) على احد (من شئ) من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم وقال بعضهم مانزل الله من كتاب ولارسول (ان انتم) اى ماانتم يامعشر الرسل فى ادعاء ان الله تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها (الا فى ضلال كبير) بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة فى التكذيب وتماديا فى التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما (وقالوا) ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل (لوكنا) فى الدنيا (نسمع) كلاما (او نعقل) شيأ وفيه دليل على ان العقل حجة التوحيد كالسمع وقدم السمع لانه لابد اولا من سماع ثم تعقل المسموع وقال سعدى المفتى قوله لوكنا الخ يجوز ان يكون اشارة الى قسمى الايمان التقليدى والتحقيقى اى الاستدلالى لانه يحتاج الى النظر دون التحقيق العيانى لانه يحصل بالكشف لا العقل (ماكنا) اليوم (فى اصحاب السعير) اى فى عداد اهل النار الموقدة واتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم فى تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم من السنة الرسل ولم تعقلوا معانيها حتى لاتكذبوا بها فاجابوا بذلك وفى التأويلات النجمية لوكنا نسمع باسماع قلوبنا اونعقل بعقول ارواحنا ماكنا فى اصحاب السعير ولكنا سمعنا باسماع مختومة وعقول معلولة مقفولة (فاعترفوا) اضطرارا حين لاينفعهم الاعتراف وهو اقرار عن معرفة وفى عين المعانى عرفوا انفسهم بالجرم (بذنبهم) اختيارا بصرف قواهم الى سوء الاقتراف وهو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله وقال بعضهم افرد الذنب لانه يفيد فائدة الجمع بكونه اسم جنس شامل للقليل والكثير او اريد به الكفر وهو وان كان على انواع فهو ملة واحدة فى كونه نهاية الجرم واقتضاء الخلود الابدى فى النار (فسحقا) مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد اى فاسحقهم الله اى ابعدهم من رحمته سحقا اى اسحاقا وابعادا بسبب ذنبهم اولفعل مرتب على ذلك الفعل اى فاسحقهم الله فسحقوا اى بعدوا سحقا اى بعدا يقال سحق الشئ مثل كرم فهو سحيق اى بعد فهو بعيد قيل هو تحقيق وقيل هو على الدعاء وهو تعليم من الله لعباده ان يدعوا عليهم به كما فى التيسير ومعناه بالفارسية پس دور كرد خداى تعالى دور كردنى ايشان را از رحمت خود قال بعضهم دعاء عليهم من الله اشعارا بان المدعو عليهم مستحقون لهذا الدعاء وسيقع عليهم المدعو به من البعد والهلاك (لاصحاب السعير) اللام للبيان كما فى هيت لك والمراد الشياطين والداخلون من الكفرة وفيه اشارة الى ان الله تعالى بعد اهل الحجاب من جنة القرب وقربهم من جهنم البعد (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) اى يخافون عذابه وهو عذاب يوم القيامة ويوم الموت ويوم القبر خوفا وراء عيونهم حال كون ذلك العذاب غائبا عنهم ولم يعاينوه بعد على ان بالغيب حال من المضاف المقدر اوغائبين عنه تعالى اى عن معاينة عذابه واحكام الآخرة اوعن اعين الناس لانهم ليسوا كالمنافقين الذين اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن على انه حال من الفاعل وهو ضمير يخشون او بما خفى منهم وهو قلوبهم فالباء للاستعانة متعلقة بيخشون والالف واللام اسم موصول وكانوا يشمون من كبد ابى بكر الصديق رضى الله عنه رائحة الكبد المشوى من شدة الخوف من الله تعالى وكان عليه السلام يصلى ولصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء والازيز الغليان وقيل صوته والمرجل قدر من نحاس (لهم مغفرة) عظيمة تأتى على جميع ذنوبهم ولما كان السرور انما يتم بالاعطاء قال (واجر كبير) اى ثواب عظيم فى الآخرة فضلا منه تعالى يكون لهم به من الاكرام ماينسيهم ماقاسوه فى الدنيا من شدائد الآلام وتصغر فى جنبه لذائذ الدنيا وهو الجنة

ونعيمها وكفته اندايمنى ازشداید ومکاره یعنی مزدترسند کان امان باشدازهرچه می ترسند * لاتخافوا مژده ترسنده است * هرکه می ترسد مبارك بنده است * خوف وخشیت خاص دانایان بود * هرکه دانا نیست کی ترسان بود * ترسکاری رستکاری آورد * هرکه درد آرد عوض درمان بود * فلابد من العقل اولا حتی یحصل الخوف ثانیا وکان بعض الاکاسرة وکانوا اعقل الملوك یرتب واحدا یکون وراءه بالقرب منه یقول اذا اجتمعت جنوده انت عبد لایزال یکرر ذلك والملك یقول له کلما قاله نعم وهکذا حال من یعرف مکر النفس و یخاف الله بقلبه قال مسروق ان المخافة قبل الرجاء فان الله تعالی خلق جنة وبارا فلن تخلصوا الی الجنة حتی تمروا بالنار قال تعالی وان منکم الاواردها قال فضیل قدس سره اذا قیل لك اتخاف الله فاسکت فانك اذا قلت لا فقد جئت بامر عظیم واذا قلت نعم فالخائف لایکون علی ما انت علیه الاتری ان الله تعالی لما اتخذ ابراهیم علیه السلام خلیلا القی فی قلبه الوجل حتی ان خفقان قلبه یسمع من بعید کما یسمع خفقان الطیر فی الهواء وقیل لفضیل بم بلغ بك الخوف الذی بلغ قال بقلة الذنوب فللخوف اسباب واول الامر العقل السلیم ثم یحصل کماله بترك العصیان وذلك ان ترك المعصیة وان کان نتیجة الخوف لکن القلب یترقی فی الرقة بترك المعصیة فیشتد خوفه فقاسی القلب لایعرف الخوف لان عقله ضعیف مغلوب یقال العقل کالبعل والنفس کالزوجة والجسم کالبیت فاذا سلط العقل علی النفس اشتغلت النفس بمصالح الجسم کما تشتغل المرأة المقهورة بمصالح البیت فصلحت الجملة وان غلبت النفس کان سعیها فاسدا کالمرأة التی قهرت زوجها ففسدت الجملة * مبر طاعت نفس شهوت پرست * که هرسا عتش قبله دیگرست * کراجامه پاکست وسیرت پلید * دردوزخش رانیابد کلید (واسروا قولکم اواجهروا به) وپنهان سازید سخن خودرادرشان پیغمبر علیه السلام یاآشکارا کنید مرانزا قال ابن عباس رضی الله عنهما نزلت فی المشرکین کانوا یتکلمون فیما بینهم باشیاء یعنی درباب حضرت پیغمبر سخنان ناشایسته کفتندی فیظهر الله رسوله علیها فقال بعضهم لبعض اسروا قولکم کیلا یسمع رب محمد فیخبره بما تقولون فقیل لهم اسروا ذلك اواجهروا به فان الله یعلمه واسرار الاقوال واعلانها مستویان عنده تعالی فی تعلق علمه والامر للتهدید لا للتکلیف وتقدیم السر علی الجهر للایذان بافتضاحهم ووقوع ما یحذرون من اول الامر والمبالغة فی بیان شمول علمه المحیط بجمیع المعلومات کان علمه تعالی بما یسرونه اقدم منه بما یجهرون به مع کونهما فی الحقیقة علی السویة فان علمه تعالی بمعلوماته لیس بطریق حصول صورها بل وجود کل شئ فی نفسه علم بالنسبة الیه تعالی اولان مرتبة السر متقدمة علی مرتبة الجهر اذ ما من شئ یجهر به الا وهو او مبادیه مضمر فی القلب یتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالی بحالته الاولی متقدم علی تعلقه بحالته الثانیة (انه علیم بذات الصدور) مبالغ فی الاحاطة بمضمرات جمیع الناس واسرارهم الخفیة المستکنة فی صدورهم بحیث لاتکاد تفارقها اصلا فکیف یخفی علیه ما تسرونه وتجهرون به ویجوز ان یراد بذات الصدور القلوب التی فی الصدور والمعنی انه علیم بالقلوب واحوالها فلا یخفی علیه سر من اسرارها قال القاشانی انه علیم بذات الصدور لکون تلك السرائر عین علمه فکیف لایعلم ضمائرها من خلقها وسواها وجعلها مرائی اسراره ولم یقل ذوات الصدور لارادة الجنس وذات هنا تأنیث ذی بمعنی صاحب حذف الموصوف واقیمت الصفة مقامه ای علیم بالمضمرات صاحبة الصدور وهی الخواطر القائمة بالقلب من الدواعی والصوارف الموجودة فیه وجعلت صاحبة الصدور بملازمتها لها وحلولها فیها کما یقال للبن ذو الاناء ولولد المرأة وهو جنین ذو بطنها (الایعلم) آیا نداند (من خلق) ای الایعلم السر والجهر من اوجد بحکمته جمیع الاشیاء التی هما من جملتها فهو انکار و نفی لعدم احاطة علمه تعالی بالمضمر والمضهر ومن فاعل یعلم ویجوز ان یکون منصوبا علی انه مفعول یعلم والعائد محذوف ای الایعلم الله من خلقه (وهو) ای والحال انه تعالی وحده (اللطیف) العالم بدقائق الاشیاء یری اثر النملة السوداء علی الصخرة الصماء فی اللیلة الظلماء (الخبیر) العالم بواطنها قال القاشانی هو المحیط ببواطن ما خلق وظواهره بل هو هو فی الحقیقة باطنا وظاهرا لافرق الا بالوجوب والامکان والاطلاق والتقیید واحتجاب الهویة بالعندیة والحقیقة بالشخصیة فان قلت ذکر الخبیر بعد اللطیف تکرار قلت لاتکرار فیه فانه قال الامام الغزالی رحمه الله انما یستحق اسم اللطیف من یعلم دقائق المصالح وغوامضها ومادق منها واماطف ثم یسلك فی ایصالها الی المستصلح علی سبیل

الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق فى الفعل واللطف فى الادراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك فى العلم والفعل الا لله تعالى والخبير هو الذى لا يعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجرى فى الملك والملكوت شئ ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبها خبيرا قال بعضهم كنا جماعة من الفقراء فاصابتنا فاقة ومجاعة فذهبنا الى ابراهيم الخواص قدس سره وقلت فى نفسى اباسط الشيخ فى احوالى واحوال هؤلاء الفقراء فلما وقع بصره على قال لى الحاجة التى جئتنى فيها الله عليم بها ام لا فارفعها اليه فسكت ثم انصرفنا فلما وصلنا الى المنزل فتح علينا بشئ واذا علم العبد انه مطلع على سره عليم بخفى ما فى صدره يكتفى من سؤاله برفع همته اليه واحضار حاجته فى قلبه من غير ان ينطق بلسانه والله لطيف بعباده ومن لطفه بهم انه يوصل اليهم ما يحتاجون اليه بسهولة فمن قوته رغيف لو تفكر فيه بعلم كم عين سهرت فيه من اول الامر حتى تم وصلح الاكل من الحارث والباذر للبذر والحاصد والدائس والمذرى والطاحن والعاجن والخابز ويتشعب من ذلك الآلات التى تتوقف عليها هذه الاعمال من الاخشاب والحجارة والحديد والحبال والدواب بحيث لا تكاد تحصر وهكذا كل شئ ينعم به على عبده من مطعوم ومشروب وملبوس فيه مقدمات كثيرة لو احتاج العبد الى مباشرتها بنفسه لعجز عن ذلك ومن سنة الله سبحانه حفظ كل لطيفة فى طى كل كثيفة كصيانة الودائع فى المواضع المجهولة الا ترى انه جعل التراب الكثيف معدن الذهب والفضة وغيرهما من الجواهر والصدف معدن الدر والذباب معدن الشهد والدود معدن الحرير وكذا جعل قلب العبد محلا ومعدنا لمعرفته ومحبته وهو مضغة لحم فالقلب خلق لهذا لا لغيره فعلى العبد ان يطهره عن لوث التعلق بما سوى الله فان الله تعالى لطف به بايجاده ذلك القلب فى جوفه ووصف نفسه بانه لطيف خبير مطلع على ما فى الباطن فاذا كان هو المنظر الالهى وجب تحليته عن الافكار والاغيار وتحليته بانواع المعارف والعلوم والاسرار وتجليته بتجلى الله الملك العزيز الغفار بوجوه اسمائه وصفاته بل بعين ذاته نسأل الله تعالى نواله وان يرينا جماله (هو) وحده (الذى جعل لكم) اى لمنافعكم (الارض) اختلفوا فى مبلغ الارض وكميتها فروى عن مكحول انه قال ما بين اقصى الدنيا الى ادناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك فى البحر ومائتان ليس يسكنها احد وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة انه قال الدنيا اى بسيطها من حيث يحيط بها البحر المحيط اربعة وعشرون الف فرسخ فملك السودان منها اثنا عشر الف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب الف فرسخ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال ربع من لا يلبس الثياب من السودان اكثر من جميع الناس وقد خرج بطليوس مقدار قطر الارض واستدارتها فى المجسطى بالتقريب وهو كتاب له يذكر فيه القواعد التى يتوسل بها فى اثبات الاوضاع الفلكية والارضية بادلتها التفصيلية قال استدارة الارض مائة الف وثمانون الف اسطار بوس وهى اربعة وعشرون الف ميل فتكون على هذا الحكم ثمانية آلاف فرسخ والفرسخ ثلاثة اميال والميل ثلاثة آلاف ذراع بالمكى والذراع ثلاثة اشبار وكل شبر اثنتا عشرة اصبعا والاصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها الى بعض وعرض الشعيرة الواحدة ست شعرات من شعر بغل والاسطار بوس اربعمائة الف ذراع قال وغلظ الارض وهو قطرها سبعة آلاف وستمائة وثلاثون ميلا يكون الفين وخمسمائة فرسخ وخمسة واربعين فرسخا وثلثى فرسخ قال فبسيط الارض كلها مائة واثنان وثلاثون الف الف وستمائة الف ميل فيكون مائتى الف وثمانية آلاف فرسخ قال صاحب الخريدة فان كان ذلك حقا فهو وحى من الحق او الهام وان كان قياسا واستدلالا فهو قريب ايضا من الحق واما قول قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقينى الذى يقطع على الغيب به انتهى (ذلولا) اى لينة منقادة غاية الانقياد لما تفهمه صيغة المبالغة يسهل عليكم السلوك فيها لتتوصلوا الى ما ينفعكم وبالفارسية نرم ومنقادتا آسان باشد سير شما بران ولو جعلها صخرة خشنة تعسر المشى عليها او جعلها لينة منبتة يمكن فيها حفر الآبار وشق العيون والانهار وبناء الابنية وزرع الحبوب وغرس الاشجار ولو كانت صخرة صلبة لتعذر ذلك ولكانت حارة فى الصيف جدا وباردة فى الشتاء فلا تكون كفاتا للاحياء والاموات وايضا ثبتها بالجبال الراسيات كيلا تميل وتنقلب بأهلها ولو كانت مضطربة متمايلة لما كانت منقادة لنا فكانت على صورة الانسان الكامل فى سكونها وسكونها وكانت هى وحقائقها فى مقابلة القلم الاعلى والملائكة

المهيمة والحاصل ان الله تعالى جعل الارض بحيث ينتفع بها وقسمها الى سهول وجبال و براري و بحار وانهار وعيون وملح وعذب وزرع وشجر وتراب وحجر ورمال ومدر وذات سباع وحيات وفارغة وغير ذلك بحكمته وقدرته قال سهل قدس سره خلق الله الانفس ذلولا فمن اذلها بمخالفتها فقد نجاها من الفتن والبلاء والمحن ومن لم يذلها واتبعها اذلته نفسه واهلكته يقال دابة ذلول بينة الذل اوهو بالكسر اللين والانقياد وهو ضد الصعوبة فالذلول من كل شئ المنقاد الذى يذل لك وبالضم الهوان ضد العز قال الراغب الذل ماكان عن قهر يقال ذل يذل ذلا والذل ماكان بعد تصعب وشماس من غير قهر يقال ذل يذل ذلا وجعلهما البيهقى فى تاج المصادر من الباب الثانى حيث قال فى ذلك الكتاب والباب الذل خور شدن والذل رام شدن وكذا فى مختار الصحاح وجعل صاحب القاموس الذل ضد الصعوبة بالضم والكسر الذل بمعنى الهوان بالضم فقط والذلول فعول بمعنى الفاعل ولذا عرى عن علامة التأنيث مع ان الارض مؤنث سماعى (فامشوا فى مناكبها) الفاء لترتيب الامر على الجعل المذكور وهو امر اباحة عند بعض اى فاسلكوا فى جوانبها وخبر فى صورة الامر عند آخرين اى تمشون فى اطرافها فمن حيث ان منكبى الرجل جانباه فشبه الجوانب بالمناكب واذا مشوا وساروا فى جوانبها واطرافها فقد احاطوا بها وحصل لهم الانتفاع بجميع مافيها قال الراغب المنكب مجتمع مابين العضد والكتف ومنه استعير للارض فى قوله فامشوا فى مناكبها كاستعارة الظهر لها فى قوله ماترك على ظهرها انتهى اوفى جبالها وشهت بالمناكب من حيث الارتفاع وكان لبشر بن كعب سرية فقال لها ان اخبرتنى ماتناكب الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فاراد ان يتزوجها فسأل ابا الدرداء رضى الله عنه فقال دع مايريبك الى مالا يريبك وهو مثل لفظ التذليل ومجاوزته الغاية اى تذليل البعير لا مطلقا كما فى حواشى سعدى المفتى فان منكب البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطأها الراكب بقدمه فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يتأتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شئ لم يتذلل فخرج الجواب عن وجه تخصيص المشى فى الجبال على تقدير ان يراد بالمناكب الجبال لكن من الجبال مايتعذر سلوكها كجبل السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج ورد فى الحديث انه تزال عليه الارجل ولا تثبت ومنها مايشق سلوكها وانما لم تعتبر لندرتها وقلتها وفى التأويلات النجمية هو الذى جعل لكم ارض البشرية ذلولا منقادة فخذوا من ارضها بقدر الحاجة من اعاليها واسافلها من اللذات الجسمانية المباحة لكم بحكم الشرع لتقوية ابدانكم وتهيئة اسباب طاعاتكم وعباداتكم لئلا تضعف بالكلية وتكل عن العبادة (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله تعالى فيها من الحبوب والفواكه ونحوها والامر ان كان امر اباحة فالرزق مايكون حلالا وان كان خبرا فى صورة الامر بمعنى تأكلون فيجوز ان يكون شاملا للحرام ايضا فانه من رزقه ايضا وان كان التناول منه حراما (واليه) اى الى الله وحده (النشور) اى المرجع بعد البعث فبالغوا فى شكر نعمه يقال نشر الله الميت نشرا احياه بعد موته ونشر الميت بنفسه نشورا فهو يتعدى ولا يتعدى كرجعه رجعا ورجع بنفسه رجوعا الا ان الميت لا يحيى بنفسه بدون احياء الله اذ هو محال (ءامنتم) آيا ايمن شديد اى مكذبان وهو استفهام توبيخ فالهمزة الاولى استفهامية والثانية من نفس الكلمة (من) موصولة (فى السماء) اى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تأويل من فى السماء امره وقضاؤه وهو كقوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض وحقيقته ءامنتم خالق السماء ومالكها قال فى الاسئلة خص السماء بالذكر ليعلم ان الاصنام التى فى الارض ليست بآلهة لانه تعالى فى جهة من الجهات لان ذلك من صفات الاجسام واراد انه فوق السماء والارض فوقية القدرة والسلطنة لا فوقية الجهة انتهى على انه لا يلزم من الايمان بالفوقية الجهة فقد ثبت فانظر ماذا ترى وكن مع اهل السنة من الورى كما فى الكبريت الاحمر للامام الشعرانى قدس سره وامارفع الايدى الى السماء فى الدعاء فلكونها محل البركات وقبلة الدعاء كما ان الكعبة قبلة الصلاة وجناب الله تعالى قبلة القلب ويجوز ان تكون الظرفية باعتبار زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى فى السماء اى ءامنتم من تزعمون انه فى السماء وهو متعال عن المكان وفى فتح الرحمن هذا المحل من المتشابه الذى استأثر الله بعلمه ونؤمن به ولا نتعرض لمعناه ونكل العلم فيه الى الله قوله من فى السماء فى موضع النصب على انه مفعول امنتم (ان يخسف بكم الارض) بعد ماجعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة

اى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من اى امنتم من فى السماء خسفه والباء للملابسة والخسف بزمن فرو بردن والخسف بزمين فرو شدن والمشهوران الباء فى مثل هذا الموضع للتعدية اى يدخلكم و يذهبكم فيها و بالفارسية فرو برد شمارا بزمين قال الجوهرى خسف المكان يخسف خسوفا ذهب فى الارض وخسف الله به الارض خسفا غاب به فيها وفى القاموس ايضا خسف الله بفلان الارض غيبه فيها (فاذا هى) پس آنكاه زمين پس ازفرو بردن شمابوى (تمور) قال فى القاموس المور الاضطراب والجريان على وجه الارض والتحرك اى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ماكانت عليه من الذل والاطمئنان وقال بعضهم فاذا الارض تدور بكم الى الارض السفلى و بعضهم تنكشف تارة للخوض فيها وتلتئم اخرى للتعذيب بها (ام امنتم) باايمن شديد وهو انتقال الى التهديد بوجه اخر (من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا) اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل اى ام امنتم من فى السماء ارساله على ان قوله ان يرسل بدل من من ايضا والمعنى هل جعل لكم من هذين امان واذلا امان لكم منهما فامعنى تماديكم فى شرككم (فستعلمون) عن قريب البتة (كيف نذير) اى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به اهو واقع ام لا اشديدام ضعيف يعنى حين حققتم المنذر به تعلمون انه لاخلف لخبرى وان عذابى لشديد وانه لادافع عنه ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ فالنذير وكذا النكير الاتى مصدران بمعنى الانذار والانكار واصلهما نذيرى ونكيرى بياء الاضافة فحذفت اكتفاء بكسر ماقبلها قال فى برهان القرآن خوفهم بالخسف اولا لكونهم على الارض وانها اقرب اليهم من السماء ثم بالحاصب من السماء فلذلك جاء ثانيا يقول الفقير اشارت الآية الاولى على ما الهمت فى جوف الليل الى ان الاستتار تحت اللحاف وعدم النهوض الى الصلاة والمناجاة وقت السحر عقوبة من الله تعالى على اهل الغفلة كالخسف ولذا لما قام بعض العارفين متهجدا فاخذه البرد و بكى من العرى قيل له من قبل الله تعالى اقتناك وانمناهم فتبكى علينا يعنى ان اقامتك وانامة الغافلين نعمة لك ونقمة لهم فاشكر عليها ولاتجزع من العرى فان بلاء العرى اهون من بلاء الغفلة واشارت الآية الثانية الى نزول المطر الشديد من السماء فانه ربما يمنع المتهجد عن القيام والاشتغال بالوضوء والطهارة فيكون غضبا فى صورة الرحمة فعلى العاقل ان لايضيع الوقت و يغتنم الفراغ قبل الشغل ايقظنا الله واياكم (ولقد كذب الذين من قبلهم) اى من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم بانزال العذاب اى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا مورد التأكيد القسمى لاتكذيبهم فقط وانكار الله تعالى على عبده ان يفعل به امرا صعبا وفعلا هائلا لايعرف وفى الآية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لقومه (اولم يروا) اى اغفلوا ولم ينظروا (الى الطير) فالرؤية بصرية لانها تتعدى بالى واما القلبية فتعديتها بفى والطير يطلق على جنس الطائر وهو كل ذى جناح يسبح فى الهواء اما لكون جمعه فى الاصل كركب وراكب اومصدره جعل اسما لجنسه فباعتبار تكثره فى المعنى وصف بصافات وفى المفردات انه جمع طائر (فوقهم) يجوزان يكون ظرفا ليروا وان يكون حالا من الطير اى كائنات فوقهم (صافات) حال من الطير والصف ان يجعل الشئ على خط مستو كالناس والاشجار ونحو ذلك ومفعول صافات وكذا يقبضن انما هو اجنحة الطير لا انفسها والمعنى باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا وقوادم الطير مقاديم ريشه وهى عشر فى كل جناح الواحدة قادمة (و يقبضن) و يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر فى ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات فان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء فكما ان الاصل فى السباحة مد الاطراف و بسطها فكذا الاصل فى الطيران صف الاجنحة و بسطها والقبض انما يكون تارة بعد تارة للاستظهار المذكور كما فى السابح قال ابن الشيخ ويقبضن عطف على صافات لانه بمعنى وقابضات والالما عطف الفعل على الاسم (مايمسكهن) فى الجو ومايأخذهن عن السقوط عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الجسمانى فانه يقتضى الهبوط الى السفل (الا الرحمن) الواسع رحمته كل شئ بان برأهن على اشكال وخصائص وهيأهن للجرى فى الهواء (انه بكل شئ بصير) يعلم ابداع المبدعات وتدبير العجائب والبصير هو الذى يشاهد و يرى حتى لايعزب عنه ماتحت الثرى وهو فى حقه تعالى عبارة عن الوصف الذى به ينكشف كمال

نعوت المبصرات فالبصر صفة زائدة على علمه تعالى خلافا للقدرية فمن عرف هذه الصفة كان المراد به دوام المراقبة ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة والمراقبة احدى ثمرات الايمان (حكى) ان بعض الملوك كان له عبد يقبل عليه اكثر مما يقبل على امثاله ولم يكن احسن منهم صورة ولا اكثرهم قيمة فكانوا يتعجبون من ذلك فركب الملك يوما الى الصحراء ومعه اصحابه وعبيده فنظر الى جبل بعيد عليه قطعة ثلج نظرة واحدة ثم اطرق فركض ذلك العبد فرسه من غير ان ينظر الملك اليه ولا اشار بشيء من ذلك ولم تعلم الجماعة لاى شيء ركض فرسه فمالبث الا ساعة حتى عاد ومعه شيء من الثلج فقيل له بم عرفت ان الملك اراد الثلج فقال لانه نظر اليه ونظر الملوك الى شيء لا يكون عبثا فقال الملك لهذا اقربه واقدمه عليكم فانكم مشغولون بانفسكم وهو مشغول بمراقبة احوالى وفى التأويلات النجمية يشير الى طيران الارواح العلوية المخلوقة قبل الاجساد بالفى عام الباسطات الاجنحة الروحانية القابضات القوادم الجسمانية من العوالم الهيولانية ما يمسكهن الا الرحمن المشتمل على الاسم الحفيظ وبه يمسكها فى جو السماء القدرة انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الاشياء الغريبة وكيف يدبر الامور العجيبة (امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) اصله ام من على ان ام منقطعة مقدرة بل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد فى ذلك والاستفهام متوجه الى تعيين الناظر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه ولا سبيل هنا الى تقدير الهمزة مع بل لان ما بعدها من الاستفهامية ولا يدخل الاستفهام على الاستفهام ومن مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته واشار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه والجند جمع معد للحرب والمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم وعسكر وعون من آلهتكم وغيرها ينصركم عند نزول العذاب والآفات متجاوزا نصر الرحمن فمن دون الرحمن حال من فاعل ينصركم ودون بمعنى غير او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى على انه نعت لمصدره او ينصركم من عذاب كائن من عند الله على انه متعلق بينصركم وقد تجعل من موصولة مبتدأ وهذا مبتدأ ثانيا والموصول مع صلته خبره والجملة صلة من بتقدير القول وينصركم خبره وام منقطعة او متصلة والقرينة محذوفة بدلالة السياق على ان يكون المعنى الله الذى له هذه الاوصاف الكاملة والقدرة الشاملة ينصركم وينجيكم من الخسف والحصب ان اصابكم ام الذى يشار اليه ويقال فى حقه هذا الذى تزعمون انه جند لكم ينصركم من دون الله واشار الرحمن للدلالة على ان رحمة الله هى المنجية من غضبه لا غير قال القاشانى اى من يشار اليه ممن يستعان به من الاغيار حتى الجوارح والآلات والقوى وكل ما ينسب اليه التأثير والمعونة من الوسائط فيقال هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فيرسل ما امسك من النعم الباطنة والظاهرة او يمسك ما ارسل من النعم المعنوية والصورية او يحصل لكم مانع ولم يقدر لكم او يمنع ما اصابكم به وقدر عليكم (ان الكافرون الا فى غرور) ان نافية بمعنى ما اى ما هم فى زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شيء يعتد به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم الاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به (امن هذا الذى يرزقكم) يعطيكم الرزق (ان امسك) الرحمن وحبس (رزقه) بامساك المطر ومباديه ولو كان الرزق موجودا او كثيرا وسهل التناول فوضع الاكلة فى فمه فامسك الله عنه قوة الابتلاع عجز اهل السموات والارض عن ان يسوغوه تلك اللقمة واعرابه كاعراب ما سبق والمعنى على تقدير كون من موصولة الله الرازق ذو القوة المتين يرزقكم ام الذى يقال فى حقه هذا الحقير المهين الذى تدعون انه يرزقكم قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان ويعاندون الرسول عليه السلام معتمدين على شيئين احدهما اعتمادهم بمالهم وعددهم والثانى اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله عليهم الاول بقوله امن هذا الذى هو جند لكم الخ وورد عليهم الثانى بقوله امن هذا الذى يرزقكم الخ (بل لجوا فى عتو ونفور) منبئ عن مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا فى عتو اى عناد واستكبار وطغيان ونفور اى شراد عن الحق وتباعد واعراض لمضادتهم الحق بالباطل الذى اقاموا عليه فاللجاج التمادى فى العناد

فى تعاطى الفعل المزجور عنه والعتو التجاوز عن الحد والنفور الفرار ففيه تحقير لهم واشارة الى انهم (حر مستنفرة فرت قسورة) يعنى كو ييا ايشان خران وحشى اندر ميدكان كه كر بخته باشند ازشير يا آز صياد يار يسمان دام يامردم تيراند از يا آوازهاء مختلف * كسى راكه بندا ردر سر بود * ميندار هركز كه حق بشنود (افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى) الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما والفاء لترتيب ذلك على ماظهر من سوء حالهم وتقديم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس حتى لوكان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشى مكبا والمكب الساقط على وجهه وحقيقته صار ذاكب ودخل فى الكب وكبه قلبه وصرعه يعنى اسقطه على وجهه ولايقال اكبه فان اكب لازم وعند صاحب القاموس لازم ومتعد ومكبا حال من فاعل يمشى والمعنى فمن يمشى وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اشد هداية ورشدا الى المقصد الذى يؤمه قال فى المناسبات لم يسم سبحانه لمشيانه طريقا لانه لايستحق ذلك ولما كان رعاصادف السهل لاعن بصيرة بل عن اتفاق قال اهدى (امن) اى اهوا هدى ام من (يمشى سويا) اى قائما سالما من الخبط والعثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء لاعوج فيه ولاانحراف وقيل المكب كناية عن الاعمى لانه لايهتدى الى الطريق فيتعسف يعنى بى راه ميرود * فيلزمه ان يكب على وجهه بخلاف البصير السوى * فرقست ميان آنكه ازروى يقين * بادىء بينا رودا ندرره دين * باآنكه دوچشم بسته بى دست كسى * هركوشه همى رود بظن وتخمين * وقال قتادة هو الكافر اكب على معاصى الله فى الدنيا فحشره الله على وجهه الى النار فى العقبى والمؤمن استقام على امر الله فى الدنيا فحشره الله على قدميه الى الجنة فى الآخرة وقيل للنبى عليه السلام وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وفيه اشارة الى ان الله تعالى يظهر للانسان يوم القيامة ماابطن اليوم خيرا اوشرا * سيرتى كاندر وجودت غالبست * هم بران تصوير حشرت واجبست * قال القاشانى افمن يمشى منتكسا بالتوجه الى الجهة السفلية والمحبة للملاذ الحسية والانجذاب الى الامور الطبيعية أهدى امن يمشى مستويا منتصبا على صراط التوحيد الموصوف بالاستقامة التامة التى لاتوصف فالجاهل المحجوب الطالب للدنيا المعرض عن المولى الاعمى عن طريق الحق مكبوب على وجهه الحجلة بواسطة ظلمة الغفلة والعارف المحقق التارك للدنيا المقبل على المولى المبصر البصير لطريق الحق ماش سويا بالظاهر والباطن على طريق التوحيد الذى لافيه امت ولاعوج (قل) ياافضل الخلق (هو) تعالى وحده (الذى انشأكم) ايها الكفار كما دل عليه السباق والسياق ويندرج فيه الانسان الغافل ايضا اى انشأكم انشاء بديعا قابلا لجمع جميع الحقائق الالهية والكيانية وابتدأ خلقكم على احسن خلق بأن صوركم فأحسن صوركم (وجعل لكم السمع) واعطى لكم الاذن لتسمعوا آيات الله وتعملوا بموجبها بل لتسمعوا الخطابات الغيبية من السنة الموجودات باسرها فانها كلها تنطق نطق الانسان كما قال الله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم قيل لبزرجمهر من اكمل الناس قال من لم يجعل سمعه غرضا للفحشاء وقدم السمع لانه شرط النبوة ولذلك مابعث الله رسولا اصم ولان فوائد السمع اقوى بالنسبة الى العوام وان كانت فوائد البصر اعلى بالنسبة الى الخواص ولان السمع مرتبة الخطاب عند انفتاح باب القلب والبصر مرتبة الرؤية ولاشك ان مرتبة الخطاب اقدم بالنسبة الى مرتبة الرؤية لان مرتبة الرؤية هى مرتبة التجلى فهى نهاية الامر الاترى انه عليه السلام سمع قبل النبوة صوت اسرافيل ولم ير شخصه واما بعدها فقد رأى جميع الملائكة وأم لهم ليلة المعراج عند السدرة بل ورأى الله تعالى بلا كيف فترقى من مرتبة الخطاب التى هى مرتبة الوحى الى مرتبة التجلى التى هى مرتبة الموحى (والابصار) لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله تعالى ولتبصروا جميع مظاهره تعالى فى غاية الكمال ونهاية الاتقان (والافئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة بل لتقبلوا بها الواردات القلبية والالهامات الغيبية قال فى القاموس الفؤاد التحرق والتوقد ومنه الفؤاد للقلب مذكر والجمع افئدة انتهى وخص هذه الثلاثة بالذكر لان العلوم والمعارف بها تحصل كما فى كشف الاسرار ولان القلب كالحوض حيث ينصب اليه ماحصل من طريق السمع والبصر (قليلا ماتشكرون) اى باستعمالها فيما خلقت لاجله من

الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف ومامزيدة لتأكيد القلة اى شكرا قليلا اوزمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قال سعدى المفتى القلة بمعنى النفى ان كان الخطاب للكفرة او بمعناها المعروف ان كان للكل بتنزيل الفعل كذا اى لاافعله قال بعض العارفين

لوعشت الف عام * فى سجدة لربى * شكر الفضل يوم * لم اقض بالتمام
والعام الف شهر * والشهر الف يوم * واليوم الف حين * والحين الف عام

قال بعضهم من وظائف السمع فى الشكر التعلم من العلماء والحكماء والاصغاء الى الموعظة ونصح العقلاء والتقليد لاهل الحق والصواب ورد اقوال اهل البدعة والهوى ومن وظائف الابصار فيه النظر الى المصاحف وكتب الدين ومعابد المؤمنين ومسالك المسلمين والى وجوه العلماء والصالحين والفقراء والمساكين بعين الرحمة والنفقات المحسنين الى المصنوعات ونظر اصحاب اليقين وارباب الشوق والذوق والحنين الى غير ذلك مما فيه خير * زبان آمد ازبهر شكر وسپاس * بغيبت نكردا ندش حق شناس * كذر كاه قرآن وپند ست كوش * به بهتان وباطل شنيدن مكوش * دوچشم از پى صنع بارى نكوست * زعيب برادر فرو كيرودوست * بهايم خمو شند وكويا بشر * پراكنده كوى از بهايم بتر * بنطق است وعقل آدمى زاده فاش * چو طوطى سخن كوى ونادان مباش * بيد كفتن خلق چون دم زدى * اكر راست كوئى سخن هم بدى * ترا آنكه چشم ودهان دادو كوش * اكر عاقلى درخلافش مكوش * مكن كردن از شكر منعم مپيچ * كه روز پسين سر برآرى بهيچ * ومن وظائف الافئدة الفكر فى جلال الله وكماله وجماله ونواله والخوف والرجاء منه والمحبة له والاشتياق الى لقائه والمحبة لانبيائه واوليائه والبغض لاعدائه والنظر فى المسائل والدلائل والاهتمام فى حوائج العيال ونحو ذلك مما فيه فائدة * صيقلى كن دلت بنور جمال * تاكه حاصل شود جميع كمال (قل) ياأكمل الخلق (هوالذى ذرأكم فى الارض) اى خلقكم وكثركم فيها لاغيره من الذرء وهو بالفارسية آفريدن قال فى القاموس ذرأ كجعل خلق والشئ كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين (واليه) تعالى لالى غيره اشتراكا اواستقلالا (تحشرون) حشرا جسمانيا اى تجمعون وتبعثون للحساب والجزاء شيأ فشيأ الى البرزخ دفعة واحدة يوم البعث فانوا اموركم على ذلك ختم الآية بقوله واليه تحشرون فبين ان جميع الدلائل المذكورة انما كان لاثبات هذا المطلوب (ويقولون) من فرط عنادهم واستكبارهم اوبطريق الاستهزاء كما دل عليه هذا فى قوله (متى هذا الوعد) اى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون فالوعد بمعنى الموعود والمشار اليه الحشر وقيل ماخوذ فوابه من الخسف والخاصب واختيار لفظ المستقبل امالان المقصود بيان مايوجد من الكفار من هذا القول فى المستقبل واما لان المعنى وكانوا يقولون (ان كنتم صادقين) يخاطبون به النبى والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام فى الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اى ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجئ الساعة والحشر فبينوا وقته (قل) ياأعلم الخلق (انما العلم) بوقته (عندالله) الذى قدر الاشياء ودبر الامور لايطلع عليه غيره (وانما انا نذير مبين) مخوف ظاهر بلغة تعرفونها ومظهر للحق كاشف عن الواقع انذركم وقوع الموعود لامحالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه اخفى الله علمه فى عباده وعن عباده وكل يتبع امره على جهة الاشتباه لايعلم ماسبق له وبما ذا يختم له وذلك قوله تعالى قل انما الخ (فلما رأوه) الفاء فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه اى رؤية بصرية فلما رأوه ونزل الامر الغير الواقع منزلة الواقع لتحققه (زلفة) حال من مفعول رأوا لان رأى من رؤية البصر كما اشير اليه آنفا اما بتقدير المضاف اى ذا زلفة وقرب اوعلى انه مصدر بمعنى الفاعل اى مزدلفا وقرب الحشر هو قرب ماأعد لهم فيه (سيئت) بد كرد دوزشت شود (وجوه الذين كفروا) بان غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة وخص الوجوه بالذكر لان الوجه هو الذى يظهر عليه اثر المسرة والمساءة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به واصل الكلام ساءت رؤية الموعود وجوههم فكانت كوجه من يقاد الى القتل او يعرض على بعض العذاب والسياءة من ساءه الشئ يسوءه سوأ ومساءة نقيض سره كما فى تاج المصادر السوء غمكين كردن ثم بنى للمفعول وفى القاموس ساءه فعل به مايكره فيكون متعديا ويجوز ان يكون لازما بمعنى قبح ومنه ساء مثلا

وسيء اذا قبح قال بعض المفسرين واهل اللغة ومنه الآية فالفعل في الحقيقة مسند الى اصحاب الوجوه بمعنى ساؤا وقبحوا قال بعضهم ان المحجوبين مع اعترافهم بالابداء منكرون للاعادة فلاجرم يسوء وجوههم رؤية ماينكرونه وتلوها الآية ويأتيهم من العذاب الاليم مالايدخل تحت الوصف (وقيل) توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم بالنار الروحانية قبل الاحراق بالنار الجسمانية والقائلون الزبانية وايراد المجهول لكون المراد بيان المقول لا بيان القائل (هذا) مبتدا اشير به الى مارأوه وزلفة وخبره قوله (الذي كنتم به تدعون) اى تطالبونه في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء والباء على هذا صلة الفعل يقال دعا بكذا اذا استدعاه وقيل هو من الدعوى اى كنتم بسبب ذكر النبي عليه السلام والمؤمنين العذاب لكم يوم القيامة تدعون ان لا بعث ولا حشر ولا عذاب فالباء للسببية ويجوز ان تكون للملابسة وعن بعض الزهاد انه تلاها في اول الليلة في صلاته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلاة الفجر هذه معاملة العارفين بجلال الله مع الله عند ملاحظة جبروته وقهره (قل) ياخير الخلق (ارأيتم) اى اخبروني خبرا انتم في الوثوق به على ماهو كالرؤية قال بعضهم لما كانت الرؤية سببا للاخبار عبر بها عنه وقال بعضهم لما كان الاخبار قولا بالرؤية شاع ارأيت في معنى اخبر (ان اهلكني الله) اى اماتني والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك و يتربصون به ريب المنون و يقولون ان امر محمد لايتم ولا يبقى بل يزول عن قريب (ومن معي) من المؤمنين وحصل مقصودكم (اورحمنا) بتأخير آجالنا وحصل مقصودنا فنحن في جوار رحمته متربصون لا حدى الحسنيين اما ان نهلك فننقلب الى الجنة اورحم بالنصرة والادالة للاسلام كما ترجو فانتم ماتصنعون واى راحة لكم في موتنا واى منفعة وغايتكم الى العذاب كما قال تعالى (فمن) پس كيست آنكه او (يجير) ينجي و يخلص قال في تهذيب المصادر الاجارة زينها ردادن وفي القاموس اجاره انقذه واعاذه (الكافرين من عذاب اليم) مؤلم شديد الايلام اى لا ينجيكم منه احد اذا نزل بكم سواء متنا او بقينا انما النجاة بالايمان والعمل الصالح ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به وقال بعضهم كيف قال ان اهلكني الله الخ بعد ان علم انه تعالى لايهلك الانبياء والمؤمنين قلت فيه مبالغة في التخويف كانه قيل نحن معاشر الانبياء والمؤمنين نخاف الله ان يأخذنا بذنوبنا فمن يمنعكم من عذابه وانتم كافرون وكيف لاتخافون وانتم بهذه المثابة من الاجرام فيكون معنى اهلكنا عذبنا بعذاب ومعنى رحمنا غفر لنا كما في الجلالين (قل) ياشفيق الخلق (هوالرحمن) اى الذي ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها وموصلها (آمنا به) وحده لما علمنا ان كل ماسواه فاما نعمة اومنعم عليه ولم نكفر به كما كفرتم على ان يكون وقوع آمنا مقدما على به تعريضا للكفار حيث ورد عقيب ذكرهم (وعليه توكلنا) فوضنا امورنا الاعلى غيره اصلا كما فعلتم انتم حيث توكلتم على رجالكم واموالكم لعلمنا بان ماعداه كائنا ماكان بمعزل من النفع والضر فوقوع عليه مقدما يدل على الاختصاص (فستعلمون) ياكفار مكة عن قريب البتة عند معاينة العذاب (من) استفهامية اوموصولة (هوفي ضلال مبين) منا ومنكم اى خطأ ظاهر (وفي التأويلات النجمية) وعلى فيضه الاتم واطفه الاعم توكلنا بكليتنا لاعلى غيره فستعلمون من هو في ضلال مبين اى من توجه اليه بالاستفاضة منه اومن اعرض عنه بالانكار له (قل) ياكرم الخلق (ارايتم) اى اخبروني (ان اصبح) اكر كردد فهو بمعنى صار (ماؤكم) وكان ماء اهل مكة من بئرين بئر زمزم و بئر ميمون الحضرمي (غورا) خبر اصبح وهو مصدر وصف به اى غائرا في الارض بالكلية ذاهبا ونازلا فيها وقيل بحيث لاتناله الدلاء ولا يمكن لكم نيله بنوع حيلة كما يدل عليه الوصف بالمصدر و بالفارسية فرو رفته بزمين چنانكه دست ودلو بدان نرسد يقال غار الماء نضب والنضب فرود شدن آب درزمين وفي المفردات الغور المنهبط من الارض (فمن يأتيكم) على ضعفكم حينئذ (بماء معين) جارو بالفارسية پس كيست آنكه بيارد براى شما اب جاري من عان الماء اومعن كلاهما جرى اوظاهر للعيون سهل المأخذ يعني تناله الايدي فهو على هذا اسم مفعول من العين بمعنى الباصرة كبيع من البيع لعل تكرير الامر بقل لتأكيد المقول وتنشيط المقول له فان قلت كيف خص ذكر النعمة بالماء من بين سائر نعمه قلت لان الماء اهون موجود واعز مفقود كما في الاسئلة المفحمة ودر آثار آمده كه بعد از تلاوت اين آيت بايد كفت كه الله رب العالمين در تفسير زاهدي رحمه الله مذكورست كه زنديق شنيد كه معلمي شاكرد خود راتلقين مي كرد فمن يأتيكم بماء معين واوجواب داد كه بأتي به

المعول والمعين قال فى القاموس المعول كمنبر الحديدة تنقر بها الجبال انتهى شبانه نابينا شدها تفى وهومن يسمع صوته ولايرى شخصه آوازداد كه اينك كه آب چشمهٔ چشم توغائرشد بكونا معول ومعين بازآرند نعوذبالله من الجراءة على الله وبياناته وترك حرمة القرآن وآياته وانما عوقب بذهاب ماء عينيه لان الجزاء من جنس العمل وفى المثنوى * فلسفئ منطقئ مستهان * مى كذشت ازسوى مكتب آن زمان * چونكه بشنيد آيت آواز نا پسند * كفت ماآريم آبى بر بلند * تا بزخم بيل وتيزئ تبر * آب را آريم از پستى زبر * شب بخفت وديداو يك شير مرد * زد طبانچه هر دوچشمش كوركرد * كفت هان زين چشمهٔ چشم اى شقى * باتبر نورى بر آر ارصادقى * روز برجست ودو چشمش كوردبد * نور فائض ازدو چشمش نابديد * وفى الحديث سورة من كتاب الله ماهى الاثلاثون آية شفعت لرجل فاخرجته يوم القيامة من النار وادخلته الجنة وهى سورة تبارك قال فى التيسير هى ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاث وثلاثون كلمة والف وثلاثمائة واحد وعشرون حرفا وفى حديث آخر وددت ان تبارك الذى بيده الملك فى قلب كل مؤمن وكان عليه السلام لاينام حتى يقرأ سورة الملك والم تنزيل السجدة وقال على رضى الله عنه من قرأها يجيئ يوم القيامة على اجنحة الملائكة وله وجه فى الحسن كوجه يوسف عليه السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لايشعر انه قبر فاذا فيه انسان يقرأ سورة الملك فاتى النبى عليه السلام فقال يارسول الله ضربت خبائى على قبر وانا لااعلم انه قبر فاذا انسان يقرأ سورة الملك فقال عليه السلام هى المانعة اى من عذاب الله تعالى هى المنجية تنجيه من عذاب القبر وكانوا يسمونها على عهد رسول الله عليه السلام المنجية وكانت تسمى فى التوراة المانعة وفى الانجيل الواقية قال ابن مسعود رضى الله عنه يؤتى الرجل فى قبره من قبل رأسه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه كان يقرأ على رأسه سورة الملك فيؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه كان يقوم فيقرأ سورة الملك فيؤتى من قبل جوفه فيقال ليس لكم عليه سبيل انه وعى سورة الملك اى حفظها واودعها فى جوفه وبطنه من قرأها فى ليلة او يوم فقد اكثر واطاب يقول الفقير سورة الملك عند اهل الحقائق هى سورة الامام الذى يلى يسار القطب وينظر الى عالم الشهادة واليه الاشارة بقوله ملك الناس فسر هذه السورة فى اولها كما ان سر يس فى آخرها وهو قوله تعالى فسبحان الذى الخ ولذا تقرأ عند المحتضر لان وقت الموت قبض الملكوت الذى هو الروح وهو بيده تعالى بقى الكلام فى قراءة المؤتى فى قبورهم وهل يصلون وهل يتعلمون العلم بعد الموت فدل حديث ابن عباس رضى الله عنهما على القراءة وكذا ماخرج السيوطى رحمه الله عن عكرمة رضى الله عنه انه قال يعطى المؤمن صحفا يقرأ فى القبر واخرج عن سعيد بن جبير رحمه الله انه رأى بعينه ثابتا البنانى رحمه الله يصلى فى قبره حين سقطت لبنة من قبره وكانوا يستمعون القرآن كثيرا من قبره واخرج عن الحسن البصرى قدس سره انه قال بلغنى ان المؤمن اذامات ولم يحفظ القرآن امر حفظته ان يعلموه القرءان فى قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع اهله وذكر اليافعى رحمه الله ان مالك بن دينار ماتت له قبل توبته بنت لها سنتان فرأها فى المنام وهى تقول له ياأبت الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فبكى وقال يابنية وانتم تعرفون القرءان فقالت ياابت نحن اعرف به منكم فكان ذلك سبب توبته ونقل الامام الشعرانى فى كتاب الجواهر له عن بعض اهل الله انه قال من اهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همتهم من يعمل فى قبورهم بغالب اعمالهم فى الدنيا ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل الى اخر البرزخ كما وقع لثابت البنانى رحمه الله فانهم وجدوا فى قبره شخصا على صورته يصلى فظنوا انه هو وانما هو مخلوق من همته وكذلك المثالات المتخيلة فى صور اهل البرازخ لاهل الدنيا فى النوم واليقظة فاذا رؤى مثال احدهم فهو اما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولى واما مثال اقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ماشاء الله تعالى من حوائج الناس وغيرها فارواح الاولياء فى البرزخ مالها خروج منه ابدا واما ارواح الانبياء عليهم السلام فانها مشرفة على وجود الدنيا والآخرة انتهى * وقال السيوطى رحمه الله نقلا عن بعض المحققين ان رسول الله عليه السلام رأى ليلة المعراج موسى عليه السلام قائما يصلى فى قبره ورآه فى السماء السادسة فالروح كانت هناك فى مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلى فى قبره ويرد على المسلم عليه وهو فى الرفيق الاعلى ولاتنافى بين الامرين فان شأن الارواح غير شأن الابدان وقد مثل بعضهم بالشمس فى السماء وشعاعها فى الارض كالروح المحمدى يرد على من يصلى

عليه عند قبره دائما مع القطع بان روحه فى اعلى عليين وهو لاينفك عن قبره كما ورد عنه قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى والرسول عليه السلام له الخيار فى طواف العوالم مع ارواح الصحابة رضى الله عنهم لقدرآه كثير من الاولياء وقال صدر الدين القنوى قدس سره فمن ثبتت المناسبة بينه و بين ارواح الكمل من الانبياء والاولياء الماضين اجتمع بهم متى شاء وتوجه توجها وجدانيا يقظة ومناما انتهى

(تمت سورة الملك بعونه تعالى فى غرة شعبان المبارك من شهور سنة ست عشرة ومائة والف)

(سورة ن مكية و آيها ثنتان وخمسون بالاتفاق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) اى هذه سورة ن او بحق ن وهى هذه السورة اقسم الله بها على سبيل التأكيد فى اثبات الحكم على ماعليه عادة الخلق مع مافيه من بيان عظم شأن المقسم به والافكما انه تعالى لايليق القسم بشانه العالى فكذا لايصح لغيره ان يكون مقسما به والنون حرف واحد فى الكتابة وثلاثة احرف فى التلفظ وقد قال عليه السلام من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر امثالها لااقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف اراد عليه السلام بالحرف مايتهجى به فيرجى ان يعطى الله بلفظ ن ثلاثين حسنة لانه مشتمل فى التلفظ على نونين بينهما واو وقال بعضهم هو مفتاح اسم النور والناصر اوقسم بنصرة الله المؤمنين اعتبارا بقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقال سهل قدس سره النون اسم من اسماء الله تعالى وذلك انه اذا اجتمعت اوائل هذه السور الثلاث الر وحم ون يكون الرحمن وقيل فيه انه اسم من اسماء النبى عليه السلام كما فى التكملة لعل هذا القائل اشار الى قوله عليه السلام اول ماخلق الله نورى فيكون النور اسمه عليه السلام فان قلت فيلزم التكرار لان القلم ايضا من اسمائه كما قال اول ماخلق الله القلم قلت التغاير فى العنوان بمنزلة التغاير فى الذات فسمى عليه السلام باعتبار نورانيته نورا و باعتبار انه صاحب القلم قلما كما سمى خالد بن الوليد رضى الله عنه سيف الله المسلول لكونه صاحب سيف وقال بعضهم هو لوح من نور واسم نهر فى الجنة (وفى المفردات) النون الحوت العظيم ولذا قال عكرمة فى الآية اقسم الله بالحوت الذى لطخ سهم نمرود بدمه لان نمرود لما رمى السهم نحو السماء عاد السهم مختضبا بدم سمكة فى بحر معلق فى الهواء فاكرم الله ذلك الحوت بان اقسم به واحل جنسه من غير ذكاة فانه لايحل الاميتتان السمك والجراد وفى معناهما مايستحيل من الاطعمة كدود التفاح والجبن فان الاحتراز عنهما غير ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل مالبس له نفس سائلة ولاسبب فى تحريمه الا الاستقذار ولولم يكن لكان لايكره وان وجد شخص لايستقذره لايلتفت الى خصوص طبعه فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كالوجع المخاط وشربه كره كما فى الاحياء يقال لوار يد به معنى الحوت كانت المناسبة بين المتعاطفين كما فيما بين كم الخليفة والف باذ نجانة يقول الفقير المناسبة بينهما خفية لايدركها الا اهل الحقائق وهى ان كبد الحوت غذاء اهل الجنة قبل كل شئ فيجدون بعد اكله حياة ابدية فى ابدانهم كما ان القلم يكتب به من العلوم مافيه حياة باقية لارواحهم ولذا سمى جبريل روحا لانه كان يجئ بالوحى الذى هو سبب لحياة القلوب والارواح فيكون ن والقلم كالماء والعلم ولاشك فى ثبوت المناسبة التامة بينهما فالقياس الذى ذكره القائل باطل وقائل الباطل جاهل وقال بعضهم هو اسم الحوت الذى احتبس يونس عليه السلام فى بطنه ولذا سماه الله تعالى ذا النون وقال بعضهم هو الحوت الذى على ظهره الارض وهو فى بحر تحت الارض السفلى اسمه ليوثا او يهموت بالياء المثناة التحتانية وفى عين المعانى اوثيا اوبرهوت كما قال على رضى الله تعالى عنه مالى اراكم كلكم سكوتا * والله ربى خلق البرهوتا

(روى) ان الله تعالى لما خلق الارض كانت تتكفأ كما تتكفأ السفينة اى تضطرب وتميل فبعث الله ملكا فهبط حتى دخل تحت الارض فوضعها على كاهله وهو كصاحب مابين الكتفين ثم اخرج يديه احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب ثم قبض على الارضين السبع فضبطها فاستقرت فلم يكن لقدمى الملك قرار فأهبط الله ثورا من الجنة له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة فجعل قرار قدمى الملك على سنامه فلم تستقر قدماه على سنامه فبعث الله بافوتة خضراء من الجنة غلظها مسيرة كذا الف عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها قدما الملك وقرون الثور خارجة من اقطار الارض مشبكة الى تحت العرش ومنخرا الثور فى ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر فهو يتنفس فى اليوم نفسين فاذا تنفس مد البحر واذا رد النفس جزر البحر وهو ضد مد ولم يكن لقوائمه

قرار فخلق الله كـ كاما من الرمل كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقر عليه قوائم الثور ثم لم يكن للكمكام مستقر فخلق الله حوتا يقال له برحوت فوضع الكمكام على و برالحوت والو بر الجناح الذى يكون فى وسط ظهره وذلك من موم بسلسلة من القدرة كغلظ السموات والارض مرارا وانتهى ابليس لعنه الله الى ذلك الحوت فقال له ما خلق الله خلقا اعظم منك فلم لا تزيل الدنيا عن ظهرك فهم بشئ من ذلك فسلط الله عليه بقة فى انفه فشغلته وفى رواية بعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فصيح الحوت الى الله تعالى منها فاذن لها فخرجت قال كعب فوالله الذى نفسى بيده انه لينظر اليها وانها لتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت قبل وانبت الله من تلك الياقوتة جبل قاف وهو من زمردة وله رأس ووجه واسنان وانبت من جبل قاف الجبال الشواهق كانبت الشجر من عروق الشجر وزعم وهب ان الحوت والثور يبتلعان ما ينصب من مياه الارض فى البحر فلذلك لا يؤثر فى البحر زيادة فاذا امتلأت اجوافهما من المياه قامت القيامة وزعم قوم ان الارض على الماء والماء على الصخرة والصخرة على سنام الثور والثور على كمكام من الرمل متلبدا والكمكام على ظهر الحوت والحوت على الريح العقيم والريح على حجاب من ظلمة والظلمة على الثرى وقد انتهى علم الخلائق الى الثرى ولا يعلم ما وراء ذلك احد الا الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وهذه الاخبار مما تزيد المرء بصيرة فى دينه وتعظيما لقدرة ربه وتحيرا فى عجائب خلقه فان صحت فاخلقها على الصانع القدير يعز يزوان تكن من اختراع اهل الكتاب وتنيق القصاص فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر كذا فى خريدة العجائب (وقال فى كشف الاسرار) بعض مفسران گفتند ماهيست برآب زير هفت طبقه زمين ماهى ازگرانى بار زمين خم درخم گرديد برمثال نون شد شكم بآب فرو برده وسر ازمشرق برآورده وذنب ازمغرب وخواست كه ازگران بارى بنالد جبريل بالك بروى زد چنان بترسيد كه گران بارئ زمين فراموش كرد وتا بقيامت نيارد كه بجنبد ماهى چون بار برداشت وتناليد رب العالمين اورا دو تشريف داد يكى آنكه بدو قسم ياد كرد محل قسم خداوند جهان كشت ديگر تشريف آنست كه كارد ازخلق او برداشت همه جانورانرا بكارد ذبح كنند واورا نكنند تا عالميان بدانند كه هركه بار كشد رنج اوضايع نكنند اى جوانمرد اگر ماهى بارزمين كشيد بندهٔ مؤمن بار امانت مولى كشيد كه وحملها الانسان ماهى كه بار زمين برداشت ازكارد قطيعت ايمن كردد (والقلم) هو مايكتب به والواو للقسم على التقدير الاول وللعطف على الثانى والمراد قلم اللوح كما جاء فى الخبر ان اول ما خلق الله القلم وانظر اليه فانشق نصفين ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك من الآجال والاعمال والارزاق وهو القدر الذى يجب ان يؤمن بخيره وشره ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والارض وبعد ما خلق القلم خلق النون اى السمكة فدحا الارض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السموات واضطرب النون فمادت الارض فاثبتت بالجبال وان الجبال لتفخر على الارض الى يوم القيامة وقد عرفت المناسبة بين القلم و بين النون بمعنى السمكة وفى رواية الواحدى فى الوسيط اول چيزى كه خداى تعالى بيافريد قلم بود پس نون رابيا فريد وآن دواتست وقلم ازان دوات نوشت آنچه بودو هست و باشد و برين تقدير خداى تعالى قسم فرمود بدوات و بقلم اعلى كه ازنور ست كما فى تفسير الكاشفى وفى القاموس النون من حروف الزيادة والدواة والحوت انتهى وعن عباس رضى الله عنهما ان المراد بالقلم قلم الكرام الكاتبين اوجنس القلم اقسم الله بالدواة والقلم لكثرة منافعهما وعظم فوائدهما فان التفاهم بالنطق والبيان انما يكون بين الحاضرين واما بالنسبة الى من غاب وبعد من اهل عصر واحد ومن اهل الزمان الآتى فانما يكون بالكتابة كما قال بعضهم البيان اثنان بيان لسان وبيان بنان ومن فضل بيان البنان ان ما تثبته الاقلام باق على الايام وبيان اللسان تدرسه الاعوام ولولم يكن للقلم مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه ومن تعظيمه تعظيم برايته فتوضع حيث لا تطأها الاقدام والاورثت الآلام وعن بعض الحكماء قوام امور الدين والدنيا بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم لولا القلم ما قام دين ولا صلح عيش قال بعضهم

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

كذا قضى الله للاقلام مذ برئت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقال بعضهم اذا اقسم الابطال يوما بسيفهم * وعدوه مما يجلب المجد والكرم

كفى قلم الكتاب فخرا ورفعة * مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم

(وما يسطرون) ما موصولة والعائد محذوف والسطر الصف من الكتابة ومن الشجر المغروس ومن القوم الوقوف وسطر فلان كذا اى كتبه سطرا سطرا وضمير الجمع لاصحاب القلم المدلول عليه بذكره والمعنى بالفارسية وسوكند يادفرمود بآنچه اصحاب قلم از آسمانيان وزمينيان مى نويسند از كتاب وكلام ودر تبيان ازابن هيضم رحمه الله نقل فرمود كه نون دهنست وقلم زبان وما يسطرون آنچه حفظه بر بنده مى نويسند حق تعالى بدينها سوكند فرموده قال بعض العارفين النون نون الذات والقلم قلم الصفات وما يسطرون هى الافعال والشؤون الالهية يكتبونها على لوح القدرة والارادة حرفا حرفا يقول الفقير فيه اشارة الى ان نون الجمع الذاتى اى دواته وهو اصل كتاب الوجود الذى هو ام الكتاب سمى بالنون لكونه مجتمع مداد مواد نقوش العالم وان شئت قلت الى نون النقطة التى هى مرتبة الاحدية وقد كان الامام على رضى الله عنه يقول فى خطبته على رؤس الاشهاد انا نقطة باء بسم الله انا جنب الله الذى فرطتم فيه انا القلم وانا اللوح المحفوظ وانا العرش وانا الكرسى وانا السموات السبع والارضون فاذا صحا ارتفع عنه تجلى الوحدة فى اثناء الخطبة يشرع معتذرا ويقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الاحكام الالهية وفى التأويلات النجمية يشير بكلمة ن الى العلم الاجمالى المندمج فى الاحدية الذاتية الجمعية وبالقلم الى العلم التفصيلى فى الوحدة الاسمائية وبما نسبنا الاجمالى الروحى الى ن والتفصيلى القلبى الى القلم لان هذه الدواة مشتملة بما فى بطنها على جميع الحروف المجردة والكلمات المركبة اشتمال النواة على الشجرة واندماج الشجرة المفصلة فى النواة المجملة فبالقلم يسطر على لوح القلب بالتفصيل كل ما هو فى ضمير الدواة بالاجمال فاذا فهمت المقصود فاعلم ان الله تعالى اقسم بعلمه الاجمالى الكائن فى الاحدية وبعلمه التفصيلى الثابت فى الواحدية وبالتحقيق اقسم باحدية ذاته المطلقة وبواحدية اسمائه الجمعية اذ العلم من حيث هو عين ذاته واقسم ايضا بكل ما سطر قلمه الكريم من دواته القديم من الحروف الالهية المجردة العلوية والكلمات الربانية المركبة السفلية انتهى كما قال بعض الكبار فى بيان حروف كتاب الوجود الظلى وكلماته وآياته وسوره ان الشؤن الغيبية حروفه العاليات والاعيان الثابتة العلمية كلماته التامات والحقائق الارواحية والمثالية آياته المتعاليات والصور الحسية العينية سوره الكاملات واما كتاب الوجود الحقيقى فحروفه المجردة الاسماء الذاتية الاحدية وكلماته الاسماء الصفاتية الواحدية وآياته الاسماء الافعالية الواحدية وسوره الاسماء الآثارية المظهرية وكل منها كتاب مبين انتهى وهكذا قال بعض الكبار القلم علم التفصيل والنون علم الاجمال وتلك الحروف التى هى مظاهر تفصيل القلم مجملة فى مداد الدواة ولا تقبل التفصيل ما دامت فيها فاذا انتقل المداد منها الى القلم تفصلت الحروف به فى اللوح وتفصل العلم بها لا الى غاية واما علم الاجمال المعبر عنه بالنون فى الرقم نصف دائرة محسوسة ونصف دائرة معقولة تشعر نقطتها فى الوسط بكونه مرادا لتتميم الدائرة الذاتية التى هى ظرف مداد الوجود ولذلك كان من الحروف الدورية عكسه كطرده فان النصف المحسوس ظرف مداد عالم الخلق والنصف المعقول ظرف مداد عالم الامر والخط الفاصل بينهما وهو خط الف قائم بين تدويرالنونين برزخ جامع وهو مستوى الصحف الالهية والكتب المتفرقة من حيطة الكتاب المحيط بالمحيطات المقول فيه ما فرطنا فى الكتاب من شئ وهو كتاب ينطوى على العلوم الجمة المنطوى عليها ايضا مداد النون وتشتمل على مائة واربع عشرة سورة كما اشتمل النون على عدد بطابقها فان النونين والواو والالف الذى انتهى اليه اسم النون مائة وثلاثة عشر وكون مسماه حرفا واحدا تمم لاربعة عشر فاعلم ذلك فانه دقيق قل ان تجده فى كلام احد انتهى وقال القاشانى ن هو النفس الكلية والقلم هو العقل الكلى والاول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة باول حروفها والثانى من باب التشبيه اذ تنتقش فى النفس صور الموجودات بتأثير العقل كما تنتقش الصور فى اللوح بالقلم وما يسطرون من صور الاشياء وماهياتها واحوالها المقدرة على ما تقع عليه وفاعل ما يسطرون الكتبة من العقول المتوسطة والارواح المقدسة وان كان الكاتب فى الحقيقة هو الله تعالى لكن لما كان فى حضرة

الاسماء نسب اليها مجازا اقسم بهما و بما يصدر عنهما من مبادى الوجود وصور التقدير الالهى ومبدأ امره ومخزن غيره لشرفهما وكونهما مشتملين على كل الوجود فى اول مرتبة التأثير والتأثر ولمناسبتهما للمقسم عليه وهو قوله (ما انت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير فى خبرما وهو مجنون والعامل فيها معنى النفى والجنون حائل بين النفس والعقل وحن فلان اى اصابه الجن اواصاب جنانه اوحيل بين نفسه وعقله فجن عقله ذلك كأنه قيل انتفى عنك الجنون يامحمد وانت برئ منه ملتبسا بنعمة الله التى هى النبوة والرياسة العامة والمراد تنزيهه عليه السلام عما كانوا ينسبونه عليه السلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عليه السلام فى غاية الغايات من حصافة العقل ورزانة الرأى قال ابوحيان قوله بنعمة ربك قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التأكيد والتشديد والمبالغة فى انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام وذهب الى القسم ايضا حضرة الشيخ نجم الدين فى تأويلاته روى انه عليه السلام غاب عن خديجة رضى الله عنها الى حراء فلم تجده فاذاهو قدطلع ووجهه متغير بلا غبار فقالت له مالك فذكر نزول جبرائيل عليه السلام وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو اول مانزل من القرآن قال ثم نزل بى الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى و صليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يامحمد فذكر عليه السلام ذلك لخديجة فذهب خديجة الى ورقة بن نوفل وهوابن عمها وكان قدخالف دين قريش ودخل فى النصرانية فسألته فقال ارسلنى الى محمد فأرسلته فأتاه فقال هل امرك جبرائيل ان تدعو احدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لأنصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول عليه السلام ووقعت تلك الوقعة فى السنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فأقسم الله تعالى على انه ليس بمجنون وهو خمس آيات من اول هذه السورة قال ابن عباس رضى الله عنهما اول مانزل قوله سبح اسم ربك وهذه الآية هى الثانية وفى التأويلات النجمية ماانت بنعمة ربك بمستور عما كان من الازل وما سيكون الى الابد لان الجن هو الستر وماسمى الجن جنا الا لاستتاره من الانس بل انت عالم بما كان خبير بما سيكون و يدل على احاطة علمه قوله عليه السلام فوضع كفه على كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ماكان وماسيكون قال الامام القشيرى قدس سره فى شرح الاسماء الحسنى نصرة الحق لعبده اتم من نصرة العبد لنفسه قال تعالى لنبيه عليه السلام ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ثم انظر بماذا سلاه وبأى شئ خفف عليه تحمل الثقال الاذى حيث قال فسبح بحمد ربك يعنى اذا تأذيت بسماع السوء فيك منهم فاسترح بروح ثنائك علينا ولذة التنزيه والذكر لنا فان ذلك يريحك ويشغلك عنهم ثم انه عليه السلام لما قبل هذه النصيحة وامتثل بامر ربه تولى نصرته والرد عنه فلما قيل انه مجنون اقسم على نفى ذلك بقوله ن والقلم الخ تحقيقا لتنزيهه لما اشتغل عنهم بتنزيه ربه ثم عاب الله القادح فيه بالجنون بعشر خصال ذميمة بقوله ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله اساطير الاولين وكان رد الله عنه وذبه اتم من رده عن نفسه حيث كان من جملة القرآن باقيا على الالسنة الى يوم القيامة (وان لك) بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة (لاجرا) لثوابا عظيما (غير ممنون) مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ اى غير منقوص ولامقطوع ومنه قيل المنون للمنية لانها تنقص العدد وتقطع المدد و بالفارسية مزدى بردوا مكه هركز انقطاع بدان راه نيابد ويقال اجر النبى مثل اجر الامة فاطبة غير منقوص و يجوز ان يكون معناه غير مكدر عليك بسبب المنة لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمت الفواضل لا الاجور على الاعمال كما فى الكشاف (وقال الكاشفى) غير ممنون منت نانهاده يعنى حق تعالى بى واسطهٔ كسى كه ازومنت بايد داشت بتو عطا كرد وفيه اشارة الى ان انوار المكاشفات والمشاهدات غير مقطوعة لكونها سرمدية فلا يزال العارف يترقى فى الشهود فى جميع المواطن ولا ممنونة لان الفتح والفيض انما يجئ من عند الله لا من عند غيره فالله يمن على عباده لا العباد بعضهم على بعض وقال بعضهم اجره قبول شفاعته وهى غير منقطعة عن اهل الكبائر من امته لا يخيب الله رجاء عليه السلام فى غفرانهم جميعا بلا عتاب ولا عذاب يقول الفقير الظاهر ان اجره عليه السلام هو الله تعالى لانه عوض له عما سواه ولذا جاء اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل والله تعالى مان لا ممنون والى هذا المقام يشير قول الصديق رضى الله عنه الله ورسوله اى ابقيت الله ورسوله حين ماقال عليه السلام ما ابقيت لاهلك ياابابكر فالله تعالى

عوض عن نفس الفانى عن نفسه وعن ولده وماله وهو الاجر العظيم لانه العظيم (وانك لعلى خلق عظيم) لا يدرك شأوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم مالا يكاد يحتمله البشر قال بعضهم لكونك متخلقا باخلاق الله واخلاق كلامه القديم ومتأيدا بالتأييد القدسى فلا تتأثر باقتراحاتهم ولا تتأذ باذاهم اذ بالله تصبر لا بنفسك كما قال واصبر وما صبرك الا بالله ولا احد اصبر من الله وكلمة على للاستعلاء فدلت على انه عليه السلام مشتمل على الاخلاق الحميدة ومستول على الافعال المرضية حتى صارت بمنزلة الامور الطبيعة له ولهذا قال تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا وما انا من المتكلفين اى لست متكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقى لان المتكلف لا يدوم امره طويلا بل يرجع اليه الطبع والانسان صورة ظاهرة لها هيئة يشاهدها البصر الذى هو فى الرأس وهى من عالم الملك وهى الشكل وصورة باطنة لها سيرة يشاهدها البصيرة التى هى فى القلب وهى من عالم الملكوت وهى الخلق فكما ان لهيئته الظاهرة حسنا او قبحا صوريا باعتبار اشكالها واوضاعها والوانها فكذلك لسيرته الباطنة حسن او قبح معنوى باعتبار شمائلها وطبائعها ومن ذلك قسموا الخلق الى المحمود والمذموم تارة والى الحسن والقبيح اخرى وكثيرا ما يطلق ويراد به المحمود فقط لانه اللائق بان يسمى خلقا ومن هذا قوله تعالى خلق عظيم وعليه قول الامام الرازى الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة ونفس الاتيان بالافعال الجميلة شئ وسهولة الاتيان بها شئ آخر فالحالة التى باعتبارها تحصل تلك السهولة الخلق وسمى خلقا لانه لرسوخه وثباته صار بمنزلة الخلقة التى جبل عليها الانسان وان احتاج فى كونه ملكة راسخة الى اعتمال وطول رياضة ومجاهدة ولذا قالوا الخلق يتبدل بالمصاحبة والمعاملة فيكون الحسن قبيحا والقبيح حسنا على حال المصاحبين والمعاملين كما فى الحديث (المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل) وفى حديث آخر (لا تجالسوا اهل الاهواء والبدع فان لهم عرة كعرة الجرب) ومن ذلك كانت مصاحبة الاخيار مستحسنة مرغبا فيها ومصاحبة الاشرار مستقبحة مرهبا عنها وكذلك يتبدل بالسعى فى اسبابه ولذلك صنف اطباء الارواح ابوابا فى علم الاخلاق لبيان ما هو صحة روحانية وما هو مرض روحانى كما الف اطباء الاشباح فصولا فى علم الابدان لبيان سبب كل مرض وعلاجه وانما افرد الخلق ووصفه بالعظمة كما وصف القرآن بالعظيم لينبه على ان ذلك الخلق الذى هو عليه السلام عليه جامع لمكارم الاخلاق اجتمع فيه شكر نوح وخلة ابراهيم واخلاص موسى وصدق وعد اسمعيل وصبر يعقوب وايوب واعتذار داود وتواضع سليمان وعيسى وغيرها من اخلاق سائر الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى فبهداهم اقتده اذ ليس هذا الهدى معرفة الله تعالى لان ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول عليه السلام ولا الشرائع لان شريعته ناسخة لشرائعهم ومخالفة لها فى الفروع والمراد منه الاقتداء بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم لو كان كل منهم مختصا بخلق حسن غالب على سائر اخلاقه فلما امر بذلك فكأنه امر بجمع جميع ما كان متفرقا فيهم فهذه درجة عالية لم تتيسر لاحد من الانبياء عليهم السلام فلا جرم وصفه الله بكونه على خلق عظيم كما قال بعض العارفين

الكل نبى فى الانام فضيلة * وجملتها مجموعة لمحمد

ولم يتصف عليه السلام بمقتضى قوته النظرية الا بالعلم والعرفان والايقان والاحسان ولم يفعل بمقتضى قوته العملية الا ما فيه رضى الله من فرض او واجب او مستحب ولم يصدر منه حرام او مفسد او مكروه فكان هو الملك بل اعلى منه وبجمع هذا كله قول عائشة رضى الله عنها لما سئلت عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القرآن ارادت به انه عليه السلام كان متحليا بما فى القرآن من مكارم الاخلاق ومحاسن الاوصاف ومتخليا عما يزجر عنه من السيئات وسفساف الخصال وفى رواية قالت للسائل الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون يعنى اقرأ الآى العشر فى سورة المؤمنين فذلك خلقه وفيه تنبيه للسامعين على عظام اخلاقه من الايمان الذى هو اصل الاخلاق القلبية والصلاة التى هى عماد الاخلاق البدنية والزكاة التى هى رأس الاخلاق المالية الى آخرها فى الآيات وفى سلسلة الذهب للمولى الجامى رحمه الله * بودهم بحر مكرمت هم كان * كوهرش كان خلقة القرآن * وصف خلق كسى كه قرآنست * خلق رانعت اوچه امكانست * وفى التأويلات النجمية كان خلقه القرآن بل كان هو القرآن كما قال العارف بالحقائق

انا القرآن والسبع المثانى * وروح الروح لا روح الاوانى

محمد بن حكيم الترمذى قدس سره فرموده كه هيچ خلق بزرگتراز خلق حضرت محمد عليه السلام نبوده چه زمشيت خود دست بازداشت وخود راكلى باحق كذاشت وامام قشيرى قدس سره كفته كه نه ازبلا منحرف شدونه ازعطا منصرف كشت وكفته كه آن حضرت را هيچ مقصد ومقصودى جزخداى تعالى نبوده كما قال الجنيد قدس سره كان على خلق عظيم لجوده بالكونين

له همم لامنتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر

وقال الحسين النورى قدس سره كيف لايكون خلقه عظيما وقد تجلى الله لسره بانوار اخلاقه يقول الفقير كان خلقه عظيما لانه مظهر العظيم فكان خلق العظيم عظيما فافهم جدا وفى تلقيح الاذهان لحضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر اوتى عليه السلام جوامع الكلم لانه مبعوث لتتميم مكارم الاخلاق كما قال عليه السلام ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وهو عين كونه على الصراط المستقيم قال صلى الله عليه وسلم ان لله ثلاثمائة وستين خلقا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال ابو بكر رضى الله عنه هل فى منها يارسول الله قال كلها فيك ياابابكر واحبها الى الله السخاء انتهى ولذلك كان احسن اخلاق المرء فى معاملته مع الحق التسليم والرضى واحسن اخلاقه فى معاملته مع الخلق العفو والسخاء وانما قال مع التوحيد لانه قد توجد مكارم الاخلاق ولاايمان كما انه قد يوجد الايمان ولااخلاق اذلو كان الايمان يعطى بذاته مكارم الاخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وللمكارم آثار ترجع على صاحبها فى اى دار كان كما ورد فى حق ابى طالب قال بعض الكبار من اراد ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يدركه من امته فلينظر الى القرآن فانه لافرق بين النظر فيه وبين النظر الى رسول الله فكأن القرآن انتشأ صورة جسدية يقال لها محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب والقرآن كلام الله وهو صفة فكأن محمدا عليه السلام خلعت عليه صفة الحق ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقال بعضهم من اراد ان يرى رسول الله فليعمل بسنته لاسيما فى مكان اميتت السنة فيه فان حياة رسول الله بعد موته هى حياة سنته ومن احياها فكأنما احيى الناس جميعا لانه المجموع الاتم الاكمل صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لم يرق بعد بعثة رسول الله سفساف اخلاق ابدا لانه صلى الله عليه وسلم ابان لنا عن مصارفها كلها من حرص وحسد وشره وبخل وخوف وكل صفة مذمومة فمن اجراها على تلك المصارف عادت كلها مكارم اخلاق وزال عنها اسم الذم قال صلى الله عليه وسلم لم يركع دون الصف زادك الله حرصا ولاتعد وقال لاحسد الا فى اثنتين وقال اكثروا من ذكر الله وقال تعالى فلا تخافوهم وخافون وقال تعالى فلا تقل لهما اف وقال اف لكم وغير ذلك من الآيات والاخبار فامر الله باجتناب بعض الاخلاق الا لمن يعتقد انها سفساف اخلاق وجهل معنى قوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن الناس من علم ومنهم من جهل فالكامل لايرى فى العالم الا اخلاق الله تعالى التى به وجدت وفى كشف الاسرار فى تفسير الآية عرض عليه مفاتيح الارض فلم يقبلها ورقاه ليلة المعراج واراه جميع الملائكة والجنة فمد يده لتفت اليها قال الله تعالى مازاغ البصر وماطغى ما لتفت يمينا وشمالا فقال تعالى انك لعلى خلق عظيم اى جوانمرد قدران مهتر كه داند وكدام خاطر بداية عزاورسد صد هزار ويست وچهار هزار نقطهٔ نبوت كه رفتند در بر دو درجات اوكواكب بودند وباآنكه اوغائب بود همه نور نبوت ازو كرفتند چنانكه آفتاب اكر چه غائب باشد كواكب نورازوى كيرند ليكن چون آفتاب پيدا شود كواكب درنور او پيدا شوند همچنين همه انبيا نورازو كرفتند ليكن چون محمد عليه السلام بعالم صورت درآمد ايشان هم كم شدند

كانك شمس والملوك كواكب * اذاطلعت لم يبد منهن كوكب

وفى القصيدة البردية فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن انوارها للناس فى الظلم

ومن اخلاقه عليه السلام ما اشار اليه قوله صل من قطعك واعف عمن ظلمك واحسن الى من اساء اليك فانه عليه السلام ما امر امته بشئ قبل الائتمار به وفى الحديث (ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار) وروى عن على بن موسى الرضى عن ابيه موسى بن جعفر عن ابيه جعفر بن محمد عن ابيه محمد ابن على عن ابيه على بن الحسين عن ابيه الحسين بن على عن ابيه على بن ابى طالب رضى الله عنهم قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بحسن الخلق فان حسن الخلق فى الجنة لا محالة واياكم وسوء الخلق فان سوء الخلق فى النار لامحالة (فستبصر ويبصرون) يقال ابصرته و بصرت به علمته وادركته فان البصر يقال للجارحة الناظرة ولقوة القلب المدركة ولايكاد يقال للجارحة بصيرة وفى تاج المصادر الابصار ديدن بچشم و بدل فالمعنى فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقال القاشانى فستبصر و يبصرون عند كشف الغطاء بالموت وقال مقاتل هذا وعيد بعذاب بدر (ولذا قال الكاشفى) بدان وقت كه عذاب نازل شود برايشان معلوم كردد كه ديوانه تومى يايشان وهوالاوضح ففيه وعد لرسول الله عليه السلام بغلبة الاسلام واهله وبالانتقام من الاعداء (بايكم المفتون) اى ايكم الذى ابتلى بفتنة الجنون فايكم مبتدأ والمفتون بمعنى المجنون خبره والباء مزيدة فى المبتدأ كما فى بحسبك زيد اوبايكم الجنون على ان المفتون مصدر بمعنى الفتون وهو الجنون كالمجلود بمعنى الجلادة والمعقول بمعنى العقل كما فى قوله (حتى اذالم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا) والباء للالصاق نحو بدهاء اوباى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء بمعنى فى والمفتون مبتدأ مؤخر والامة داخلة فى خطاب فستبصر بالتبعية لايختص به عليه السلام كالسوابق وهو تعريض بابى جهل بن هشام والوليد ابن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر اى اصالح عليه السلام ام قومه (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) تعالى المؤدى الى سعادة الدارين وهام فى تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذى لايفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيجتنبه (وهو اعلم بالمهتدين) الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والآية اشعار بان المجنون فى الحقيقة هو العاصى لا المطيع واشارة الى الضلال عن سبيل الوصول الى حضرة المولى بسبب محبة الدنيا والميل الى شهواتها والمهتدى الى طريق التوحيد والتوحد بنور العناية الازلية والهداية الابدية قال بعض الكبار وهو اعلم بالمهتدين اى القابلين للتوفيق فهداة البيان هم الرسل وهادى التوفيق هو الحق تعالى فانها دى الذى هو الله الاباية والتوفيق وليس للهادى الذى هو المخلوق الا الاباية خاصة ومن لاعلم له بالحقائق يظن ان العبد اذا صدق فى الارشاد والوعظ اثر ذلك القبول فى نفوس السامعين واذا لم يصدق فى ذلك لم يؤثر وهذا من الوهم الفاسد فانه لاقرب الى الله ولا اصدق فى التبليغ عنه ولا احب للقبول لماجاء من عند الله تعالى من الرسل لغلبة الرحمة على قلوبهم ومع ذلك فاعم القبول فيمن سمعهم بل قال الرسول الصادق فى التبليغ انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الافرارا فلم يعم القبول مع تحققنا هذه المهمة العظيمة من اكابر اولى العزم من الرسل علمنا ان المهمة ما لها اثر جملة واحدة فى المدعو وان الذى قبل من السامعين ليس هو من اثر همة الداعى الذى هو المبلغ وانما هو قوة الاستعداد فى محل القبول من حيث ماوهبه الله تعالى فى خلقه من مزاج يقتضى له قبولا مثل هذا وامثاله وهو المزاج الخاص الذى لايعلمه الاالله الذى خلقهم عليه وهو قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين قال الشيخ سعدى قدس سره * كفت عالم بكوش جان بشنو * ورنمانند بكفتش كردار * باطلست آنكه مدعى كويد * خفته راخفته كى كند بيدار * مرد بايد كه كيرد اندر كوش * ورنوشته است پند بردیوار (فلا تطع المكذبين) اى اذا تبين عندك ماتقدم قدم على مانت عليه من عدم طاعتهم فيما يدعونك اليه من الكف عنهم لكفوا عنك وتصلب فى ذلك امره عليه السلام بالتشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من اوائل مانزل دلت الآية على ان الاطاعة للعاصى عصيان والاقتداء بالطاغى طغيان (ودوا لوتدهن) اولوتلين والادهان فى الاصل مثل التدهين واشتقا قهما من الدهن لكن جعل عبارة عن الملاينة وترك الجد قال فى تاج المصادر الادهان مداهنت كردن * والتركيب يدل على لين وسهولة وقلة والمعنى احبوا لو تلاينهم وتسامحهم فى بعض الامور وترك الدعوة (فيدهنون) اى فهم يدهنونك حينئذ بترك الطعن (كما قال الكاشفى) فرمان مبر مشركان مكه راكه ترآيدين آباء دعوت مى نمايند ودوست مى دارند كه توزمى كنى بايشان وسرزنشى نكنى برشرك تاايشان نيز چرب وزمى كنند

وبردين تو طعنه زنند فالفاء للعطف على تدهن فيكون يدهنون داخلا فى حيز لو ولذا لم ينصب يدهنون بسقوط النون جوابا للتمنى والفعل الا ستقبال اوالفاء للسببية فهو مسبب عن تدهن ويجوز ان يكون الفعل للحال على معنى ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فى ادهانك فالتسبب عن التمنى وتقدير المبتدأ لانه لولاه لكان الفعل منصوبا لاقتضاء التسبب عما فى حيز التمنى ذلك قال بعضهم لاتوافقهم فى الظاهر كما لا توافقهم فى الباطن فان موافقة الظاهر اثر موافقة الباطن وكذا المخالفة والا كان نفاقا سريع الزوال ومصانعة وشيكة الانقضاء واما هم فلانهماكهم فى الرذائل وتعمقهم فى التلون والاختلاف لتشعب اهوائهم وتفرق امانيهم يصانعون ويضمون تلك الرذيلة الى رذيلتهم طمعا فى مداهنتك معهم ومصانعتك اياهم قال بعضهم المداهنة بيع الدين بالدنيا فهى من السيئات والمداراة بيع الدنيا بالدين فهى من الحسنات ويقال الادهان الملاينة لمن لاينبغى له ذلك وهو لاينافى الامر بالمداراة كما قال عليه السلام امرت بمداراة الناس كما امرت بالتبليغ قال الامام الغزالى رحمه الله فى الاحياء الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه من اصلاح اخيك بالاغضاء فانت مدار وان اغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن قال ابو الدرداء رضى الله عنه انا نبش فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره (ولاتطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل لجهله حرمة اليمين وعدم مبالاته من الحنث لسوء عقيدته وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه ادخل فى الزجر قال فى الكشاف وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم انتهى ودخل فيه الحلف بغير الله تعالى فانه من الكبائر واصل الحلف اليمين الذى يأخذ بعضهم من بعض بها الحلف اى العهد ثم عبر به عن كل يمين (مهين) حقير الرأى والتدبير لانه لم يعرف عظمة الله ولذا اقدم على كثرة الحلف من المهانة وهى القلة والحقارة ويجوز ان يراد به الكذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان يعنى عيب كننده در عقب مردم باطعنه زننده در روى يا ايشان قال الحسن رحمه الله يلوى شدقيه فى اقفية الناس وفيه اشارة الى من يعيب ويطعن فى اهل الحق فى رياضاتهم ومجاهداتهم وانزوائهم وعزلهم عن الناس (وفى الحديث لايكون المؤمن طعانا ولالعانا) وفى حديث آخر (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس) يعنى من ينظر الى عيب نفسه يكون ذلك مانعا له عن النظر الى عيب غيره وتعيبه به وذلك لا يقتضى ان لا ينهى العاصى عن معصيته اقتداء بامر الله تعالى بالنهى عن المنكر لاعجابا بنفسه وازدراء لقدر غيره عند الله فانه العالم ببواطن الامور والهماز مبالغة هامز والهمز الطعن والضرب والكسر والعيب ومنه المهمز والمهماز بكسر الميم حديدة تطعن بها الدابة قيل لاعرابى اتهمز الفرة قال السنور يهمزها واستعير للمؤدب الذى يذكر الناس بالمكروه ويظهر عيوبهم ويكسر اعراضهم كانه يضربهم باذاه اياهم (مشاء بنميم) مضر به نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية واظهار الحديث بالوشاية وهو من الكبائر اما نقل الكلام بقصد النصيحة فواجب كما قال من قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين وفى التعريفات النمام هو الذى يتحدث مع القوم فينم عليهم فيكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه او المنقول اليه اوالثالث وسواء كان الكشف بالعبارة او بالاشارة او بغيرهما وفى الحديث (لايدخل الجنة نمام) اى ماش بالسعاية وهى بالفارسية غمز كردن وفى التأويلات النجمية مشاء بنميم يحفظون كلام اهل الحق من هذه الطائفة الكريمة ثم يحكونه عند الجهال من اصحاب الحجب فيضحكون عليهم ويذهبون ذلك الكلام الى السفسفة والسفه (مناع) مبالغة مانع (للخير) اى بتحيل والخير المال اومتاع الناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق ولارباب السلوك من ارشاد الطالبين المسترشدين فذكر الممنوع منه دون الممنوع وكان للوليد بن المغيرة عشرة من البنين وكان يقول لهم ولا قاربه من تبع منكم دين محمد لانفعه بشىء ابدا وكان الوليد موسرا له تسعة آلاف مثقال فضة وكانت له حديقة فى الطائف (معتد) متجاوز فى الظلم اى يتجاوز الحق والحد بان يظلم على الناس ويمكن حمله على جميع الاخلاق الذميمة فان جميعها تجاوز عن حد الاعتدال وفى التأويلات النجمية متجاوز فى الظلم على نفسه بانغماسه فى بحر الشهوات وانهماكه فى ظلمة

المنهيات (اثيم) كثير الاسم وهو اسم للافعال المبطئة عن الثواب (وقال الكاشفي) بسيار كننا هكار زيانكار وفى التأويلات النجمية كثير الآثام بار كون الى الاخلاق الرديئة والرغبة فى الصفات المردودة (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة قال الراغب العتل الاخذ بجفاء مع الشئ وجره بقهر كعتل البعير وبالفارسية كشيدن بعنف (وقال الكاشفي) عتل يعنى سخت روى وزشت خوى انتهى ومن كان جافيا فى معاملة غليظ القلب والطبع بحيث لايقبل الصفات الروحانية ولايلين للحق اجترأ على كل معصية قال فى القاموس العتل بضمتين مشددة اللام الاكول المنيع الجافى الغليظ (بعد ذلك) اى بعد ما عد من مقابحه (زنيم) دعى ملصق بالقوم وملحق بهم فى النسب وليس منهم فالزنيم هوالذى تبناه احد اى اتخذه ابنا وليس بابن له من نسبه فى الحقيقة قال تعالى وماجعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم قال الراغب الزنيم والمزنم الزائد فى القوم وليس منهم اى المنتسب الى قوم وهو معلق بهم لا منهم تشبيها بالزنمتين من الشاة وهما المتدليتان من اذنيها ومن الحلق وفى الكشاف الزنيم من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة فى حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله وفى القاموس الزنمة محركة شئ يقطع من اذن البعير فيترك معلقا يفعل بكرامها والظاهر من قول ابن عباس رضى الله عنهما الحقيقة حيث قال انه لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف انه كان له زنمة اى فى حلقه ويقال كان يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال العتبى لانعلم ان الله وصف احدا ولاذكر من عيوبه ماذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لايفارقه ابدا وفى قوله بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه وكان الوليد دعيا فى قريش وليس من نسبهم وسنخهم اى اصلهم ادعاه ابوه المغيرة بعد ثمان عشرة سنة من مولده يعنى وليد هژده ساله بود كه مغيره دعوى كرد كه من پدر اويم واورا بخود كرفت فقوله بعد ذلك ههنا نظير ثم فى قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا من حيث انها للتراخى رتبة وفى الحديث (لايدخل الجنة جواظ ولاجعظرى ولاالعتل الزنيم) فالجواظ الجموع المنوع والجعظرى اللفاظ الغليظ والعتل كل رحيب الجوف اكول شروب غشوم ظلوم وفى الحديث (ألا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف اواقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر) وقيل بغت ام الوليد ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية فعنى زنيم حينئذ ولد الزنى وبالفارسية حرام زاده كه پدر او معلوم نباشد قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه * بغى اللام ذو حسب لئيم

درتفسير امام زاهد مذكورست كه چون حضرت رسول صلى الله عليه وسلم اين آيت درانجمن قريش بر وليد خواند پهر عيبى كه رسيد درخود بازيافت مكر حرام زادكى باخود كفت من سيد قريش و پدر من مردى معروفست ومى دانم كه محمد دروغ نكويد چكونه اين مهم را بر سر آرم شمشير كشيده نزد مادر آمد القصه بعد ازتهديد بسيار از واقرار كشيد كه پدر تو در قصهٔ زنان جرأتى نداشت واورا برادرزاد كان بودند چشم برميراث وى نهاده مر ارشك آمد غلام فلانرا بمزد كرفتم وتوفر زند اويى ودليل روشن برصدق قول زن شدت خصومت وليدست وستيزهٔ او باآن حضرت صلى الله عليه وسلم ودرين باب كفته اند * جرم وكناه مدعى ازفعل مادرست * كورا خطاى مادر اوخا كسار كرد * والغالب ان النطفة اذا خبثت خبث الولد الناشئ منها ومن ثمة قال رسول الله عليه السلام (لايدخل الجنة ولد الزنى ولاولده ولاولد ولده كما فى الكشاف وفى الحديث (لاتزال امتى بخير مالم يفش فيهم ولد الزنى فاذا فشا فيهم ولد الزنى اوالسكران يعمهم الله بعذابه وفى حديث آخر (ولد الزنى شر الثلاثة) قال الرحاوى فى شرح المنار هذا فى مولود خاص لانا قد نشاهد ولد الزنى اصلح من ولد الرشدة فى امر الدين والدنيا ويستحق جميع الكرامات من قبول شهادته وعبادته وصحة قضائه وامامته وغير ذلك فالحديث ليس على عمومه انتهى * يقول الفقير اذا كان الرضاع بغير الطباع فان من ارتضع امرأة فالغالب عليه اخلاقها من خير وشر فاظنك بالزنى ولاعبرة بالصلاح الظاهر والكرامات الصورية وفى الحديث (ولدت من نكاح لامن سفاح) وكذا سائر الانبياء عليهم السلام وجميع الاولياء الكرام قدس الله اسرارهم فالزنى اقبح من الكفر من وجه فان الله يخرج الحى من الميت اى المؤمن من الكافر بخلاف الرشيد من الزانى فولد الزنى لا يصلح للولاية الحقيقية وان كان صالحا للولاية الصورية وقيل نزلت الآية فى الاخنس ابن شريف واسمه ابى وكان ثقفيا مصطلقيا فى قريش فلذلك قال زنيم لاعلى جهة الذم لنسبه ولكن على جهة

التعريف به ذكره السهيلي قال ابن عطية وظاهر اللفظ عموم من بهذه الصفة والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمن لاسيما الولاة الامور قال في فتح الرحمن ثم هذا الترتيب انما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف والا فكونه عتلا هو قبل كونه صاحب خير يمنعه وفي برهان القرآن قوله حلاف الى قوله زنيم اوصاف تسعة ولم يدخل بينها واو العطف ولا بعد السابع فدل على ان ضعف القول بواو الثمانية صحيح (ان كان ذا مال وبنين) متعلق بقوله تعالى لا تطع على حذف الجار اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان مقولا ذا مال كثير مستظهرا بالبنين (اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين) استئناف جار مجرى التعليل المنهى اى اذا تقرأ عليه آيات كلامنا القديم قال هي احاديث لا نظام لها اكتتبوها كذبا فيما زعموه لقوله اكتتبها فهي تملى عليه وبالفارسية افسانهاء پيشينيا نست وقال السدى اساجيع الاولين اى جعل مجازاة النعم التي خولناها من المال والبنين الكفر بآياتنا قال المبرد الاساطير جمع اسطورة نحو احدوثة واحاديث وقد سبق غير هذا وفي التأويلات النجمية لا تطع الحلاف المهين الحقير في نفسه بسبب ثروة اعماله المنسوبة الى الرياء والسمعة وبنين الاحوال المطعونة بالعجب والاعجاب اذا تتلى عليه آياتنا من الحقائق والدقائق قال اساطير الاولين ماسطره الصوفية المتقدمون وهي من ترهاتهم وخرافاتهم (سنسمه على الخرطوم) اصله سنوسمه من الوسم وهو احداث السمة بالكسر اى العلامة وبالفارسية داغ كردن والميسم بالكسر المكواة اى آلة الكي والخرطوم كزنبور الانف اومقدمه اوما صمت عليه الحنكين كالخرطم كقنفذ كما في القاموس والمعنى سنجعل له سمة وعلامة يعرف بها بالكي على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله اذ الانف اكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف بالانف وحمى انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه ورغم انفه ولقد وسم العباس رضي الله عنه اباعرة في وجوهها فقال له رسول الله عليه السلام اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها اى في ادبارها وفي التعبير عن الانف بلفظ الخرطوم استهانة بصاحبه واستقباح له لانه لا يستعمل الا في الفيل والخنزير وكلما كان الحيوان اخبث واقبح كانت الاستهانة والاستقباح اشد واكثر قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها قال صاحب الكشف هو ضعيف فان الوليد مات قبله فلم يوسم بوسم بقي أثره مدة حياته وقال ازاغب نلزمه عارا لا ينمحي عنه كما قال صاحب الكشاف هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال وذلك لان الوجه اكرم موضع والانف ابين عضو منه فالوسم على الانف غاية الاذلال والاهانة لان الوسم على الوجه شين فكيف اذا كان على اظهر موضع منه وكما قال العتبي وصف الله الوليد بالحلف والمهانة والهمز والمشي بالنميمة والبخل والظلم والاثم والجفوة والدعوة فالحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة قال والذي يدل على هذا ما روى عن الشعبي في قوله عتل حيث قال العتل الشديد والزنيم الذي له زنمة من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة وقيل سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها من سائر الكفرة بان نسود وجهه غاية التسويد اذ كان باغيا في عداوة سيد المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام اقصى مراتب العداوة فيكون الخرطوم مجازا عن الوجه على طريق ذكر الجزء وارادة الكل وفي التأويلات النجمية نكوى خرطوم استعداده بكي نار الحجاب والبعد حتى لا يشم النفحات الالهية والنسمات الربانية (انا بلوناهم) يقال بلى الثوب بلى اى خلق وبلوته اختبرته كأني اخلقته من كثرة اختباري له والبلايا اختبارات والمعنى انا ابتلينا اهل مكة بالقحط والجوع سبع سنين بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكلوا الجيف والجلود والعظام والدم لتردهم وكفرانهم نعم الله تعالى (كما بلونا اصحاب الجنة) اى ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم واللام للعهد والكاف في موضع النصب على انها نعت لمصدر محذوف وما مصدرية والجنة البستان وبالفارسية باغ واصحاب الجنة قوم من اهل صنعاء وفي كشف الاسرار سه برادر بودند كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وقال السهيلي هي جنة بضروان وضروان على فراسخ من صنعاء وفي فتح الرحمن الجنة بستان يقال له ضروان باليمن وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وكانوا بخلاء وكان ابوهم يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت (قال الكاشفي) وده ازيك

حاصل نيز رابشان قسمت كردى فكان يجتمع لهم شئ كثير ويتزودون به اياما كثيرة فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ماكان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى (اذ اقسموا) ظرف لبلونا والا قسام سوكند خوردن يعنى سوكند خوردند وارثان باغ كه پنهان ازفقرا (ليصرمنها) الصرام والصرم قطع ثمار النخيل وبالفارسية بارخرما بريدن من صرمه اذاقطعه اى ليقطعن ثمارها من الرطب والعنب ويجمعن محصولها من الحرث وغيره (مصبحين) اى داخلين فى الصباح مبكرين وسواد الليل باق قوله ليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف منطوقهم واوجاء على منطوقهم لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها (ولا يستثنون) اى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شا الله ولااخرج الا ان شاء الله بمعنى واحد والجملة مستأنفة اوحال بعد حال لعل ايراده بعد ايراد اقسامهم على فعل مضمر لمقصودهم مستنكر عند ارباب المروة واصحاب الفتوة لتقبيح شأنهم بذكر السببين لحرمانهم وان كان احدهما كافيا فيه لكن ذكر الاقسام على امر مستنكر اولا وجعل ترك الاستثناء حالا منه يفيد اصالته وقوته فى اقتضاء الحرمان والاظهر ان المعنى ولا يستثنون حصة المساكين اى لا يميزونها ولا يخرجونها كما كان يفعله ابوهم وقال ابو حيان ولا يثنون عما عزموا عليه من منع المساكين قال فى تاج المصادر الاستثناء ان شا الله كفتن واستثنا كردن والباب يدل على تكرير الشئ مرتين اوجعله شيئين متواليين اومتباينين والاستثناء من قياس الباب وذلك ان ذكره يثنى مرة فى الجملة ومرة فى التفصيل لانك اذا قلت خرج الناس ففى الناس زيد وعمرو فاذا قلت الا زيدا فقد ذكرت زيدا مرة اخرى ذكرا ظاهرا انتهى قال الراغب الاستثناء ايراد لفظ يقتضى رفع بعض مايوجبه عموم لفظ متقدم او يقتضى رفع حكم اللفظ كما هو فى الاول قوله تعالى *قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة *ومن الثانى قوله لافعلن كذا ان شاء الله وعبده عتيق وامرأته طالق ان شاء الله (فطاف عليها) اى على الجنة اى احاط بها (طائف) بلاء طائف كقوله واحيط بثمره وذلك ليلا اذلا يكون الطائف الا بالليل وايضا دل عليه مابعده من ذكر النوم وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فاحرقتها (من ربك) مبتدئ من جهته تعالى قال الراغب الطوف الدوران حول الشئ ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافظا ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والخادم وغيرها قال تعالى فطاف الخ ثم يضا بما نالهم من النائبة انتهى (وهم نائمون) غافلون عما جرت به المقادير اونائمون عن طوافه بالنوم الذى هو اخو الموت وبالفارسية وايشان خفتكان بودند والنوم استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه او ان يتوفى الله النفس من غير موت اى ان يقطع ضوء الروح عن ظاهر الجسد دون باطنه اوالنوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وكل هذه التعريفات صحيحة (فاصبحت) پس كشت جنت ايشان بان بلا (كالصريم) فعيل بمعنى مفعول اى كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شئ لان النار السماوية احرقتها وقيل كالليل لان الليل يقال له الصريم اى صارت سوداء كالليل لاحترا قها (فتنادوا) اى نادى بعضهم بعضا (مصبحين) حال كونهم داخلين فى الصباح (ان اغدوا) اى اى اغدوا على ان ان مفسرة اوبان اغدوا على انها مصدرية اى اخرجوا غدوة واول النهار وبالفارسية بامداد بيرون ايد (على حرثكم) بستانكم وضيعتكم وفى كشف الاسرار دران بستان هم زرع بودهم درخت انكور انتهى يقول الفقير فالحرث يجوز ان يراد به الحاصل مطلقا وان يراد به الزرع خصوصا لانه اعز شئ يعيش به الانسان وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال والاستيلاء وقال بعضهم انه يتعدى بعلى كما فى القاموس غدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدى بكر قال الراغب الحرث القاء البذر فى الارض وتهيئتها للزرع ويسمى المحروث حرثا قال تعالى ان اغدوا على حرثكم (ان كنتم صارمين) قاصدين للصرم وقطع الثمرة وجمع المحصول اى فاغدوا فجوابه محذوف (فانطلقوا) فمضوا اليها وبالفارسية پس برفتند بجانب باغ (وهم يتخافتون) التخافت بايكديكر پنهان راز كفتن اى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة والسر كيلا يسمع احد ولا يدخل عليهم (ان لا يدخلنها) اى الجنة (اليوم عليكم مسكين) من المساكين فضلا عن ان يكثروا وبالفارسية امروز برشما يعنى در باغ شما درويشى تابهره بكيرد وازحصة ماكم نكردد وان مفسرة

لما فى التخافت من معنى القول بمعنى اى لايدخلنها تفسيرا لما يتخافتون والمسكين هوالذى لاشئ له وهو ابلغ من الفقير والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لاارينك ههنا فان دخول المسكين عليهم لازم لتمكينهم اياه من الدخول كما ان رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده فذكرا للازم لينتقل منه الى الملزوم (وغدوا) مشوا بكرة وبالفارسية وبامداد برفتند (على حرد) الحرد المنع عن حدة وغضب يقال نزل فلان حريدا اى ممتنعا من مخالطة القوم وحاردت السنة منعت قطرها والناقة منعت درها وحرد غضب (قادرين) حال مقدرة من فاعل غدوا فان القدرة مع الفعل عند اهل الحق والمعنى وخرجوا اول الصباح على امتناع من ان يتناول المساكين من جنتهم حال كونهم قادرين على نفعهم اوعلى الاجتناء والصرم بزعمهم فلم يحصل الاالنكد والحرمان وفى الكشاف وغدوا قادرين على نكد لاغير عاجزين عن النفع يعنى انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لايقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة (فلما رأوها) پس آن هنكام كه ديدند باغ را بخلاف آنچه كداشته بودند (قالوا) اى قال بعضهم لبعض (انا لضالون) اى طريق جنتنا وماهى بها لما رأوا من هلاكها (بل نحن محرومون) فالوه بعدما تأملوها ووقفوا على حقيقة الامر وانها هى مضربين عن قولهم الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها ومنعنا نفعها بجنايتنا على انفسنا بسوء نيتنا وهى ارادة حرمان المساكين وقصد منع حق الفقراء (قال اوسطهم) اى رأيا اوسنا وفى الكشاف اعدلهم وخيرهم من قولهم فلان من وسطة قومه واعطنى من وسطات مالك ومنه قوله تعالى امة وسطا (وقال الكاشفى) گفت فاضلتر ايشان ازروى عقل يابزركتر بسن يا صاحب تر برأى قال الراغب الوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان كالجود الذى بين البخل والسرف فيستعمل استعمال القصد المصون عن الافراط والتفريط فيمدح به نحو السواء والعدل ونحو وكذلك جعلناكم امة وسطا وعلى ذلك قال اوسطهم وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر ويكنى به عن الرذل نحو قولهم وسط بين الرجال تنبيها على انه قد خرج من حد الخير (ألم اقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرون الله بالتسبيح والتهليل وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا وانتقامه من المجرمين وتوبوا اليه من هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فغيرهم وفى الآية دليل على ان العزم على المعصية مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم وعلى هذا قوله تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه والعزم قوة قصد الفعل والجزم به والمحققون على انه يؤاخذ به واما الهم وهو ترجيح قصد الفعل فرفوع (قالوا) معترفين بالذنب والاعتراف به بعد من التوبة (سبحان ربنا) نعزه ربنا عن كل سوء ونقصان سيما عن ان يكون ظالما فيما فعل بنا (انا كنا ظالمين) بقصد حرمان المساكين اتباعا لشح النفس كانهم قالوا نستغفر الله من سوء صنيعنا ونتوب اليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم اخراج حق المساكين من غلة بستاننا ولو تكلموا بهذه الكلمة قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا بها بعد خراب البصرة (فاقبل بعضهم على بعض) پس روى آوردند بعضى از ايشان بر بعض ديگر (يتلاومون) اللوم الملامة وبالفارسية نكوهيدن يعنى خوار داشتن اى يلوم بعضهم بعضا على ما فعلوا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره وبالفارسية اين آزمى كفت توچنين انديشيدى وآن عذرمى آوردكه توهم بدين راضى بودى (قالوا) يعنى بكناه خود اعتراف نمودند وازروى نياز كفتند (ياويلنا) اى واى برما ودر دزدكى (انا كنا طاغين) متجاوزين حد دالله تعالى وبالفارسية از حد برند كان در كنهكارى كه درويشانرا محروم ساختيم (عسى ربنا) شايد پروردكار ماكه ازكرم اوميد واريم (ان يبدلنا) ان يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة (خيرا منها) بهترى ازان باغ (انا الى ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة لان الله منتهى رجائهم وطلبهم اولتضمنها معنى الرجوع والانالة مشهوران تتعدى الرغبة بكلمة فى اوعن دون الى روى انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله وتضرعوا اليه فابدلهم الله من ليلتهم

ماهو خير منها قالوا ان الله امر جبريل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزعر من ارض الشام اى موضع قليل النبات ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال ابو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كارجل الاسود القائم يعنى دران باغ خوشهٔ انكور ديدم برابر مردى سياه بر پاى ايستاده محققان گفته اند هر كه ببلايى مبتلا كردد ومثال او عرضهٔ تلف شود واوتأمل نمايد وداند كه باستحقاق برو نازل شده پس بكناه اعتراف نموده بحضرت عزت بازكشت كند بهتر وخوشتر از آنچه ازو بازستده بدودهد چنانچه بوستان حيوان بعوض باغ ضروانى وپير رومى قدس سره ازين معنى خبر ميدهد انجا ميفرمايد * اولم خم شكست و سر كه بريخت * من نكويم كه اين زيانم كرد * صد خم شهد صافى از پى آن * عوضم داد و شاد مانم كرد * وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كافتنى تعبا وعن الحسن رحمه الله قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لاادرى ايمانا كان ذلك منهم او على حد مايكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف فى امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيرى قدس سره بقول الفقير ان كان ذلك القول منهم على حد مايصدر من المضطر فابدال الله اياهم جنة خيرا من جنتهم يكون من قبيل الاستدراج وان كان عن توبة واخلاص فذلك الابدال من آثار تحقيق التوبة ونتائج الاخلاص فان للاخلاص ثمرات عجيبة وعن الشيخ ابى الربيع المالقى رحمه الله قال سمعت بامرأة من الصالحات فى بعض القرى اشتهر امرها وكان من دأبنا ان لانزور امرأة فدعت الحاجة الى زيارتها للاطلاع على كرامة اشتهرت عنها وكانت تدعى بفضة فنزلنا القرية التى هى بها فذكرلنا ان عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شئ فمضينا اليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها زيدان زى هذه البركة التى ذكرت لنا عن هذه الشاة التى عندكم فاعطتنا الشاة فحلبنا هافى القدح فشربنا لبنا وعسلا فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة فقالت نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شئ فحضر العيد فقال لى زوجى وكان رجلا صالحا نذبح هذه الشاة فى هذا اليوم فقلت له لاتفعل فانه قد رخص لنا فى الترك والله يعلم حاجتنا اليها فاتفق ان استضاف بنا فى ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا قراه فقلت له يارجل هذا ضيف وقد امرنا باكرامه فخذ تلك الشاة فاذبحها قالت فتحنان يبكى عليها صغارنا فقلت له اخرجها من البيت الى وراء الجدار فاذبحها فلما اراق دمها قفزت شاة على الجدار فنزلت الى البيت فخشيت ان تكون قد انفلتت منه فخرجت لانظرها فاذا هو سلخ الشاة فقلت له يارجل عجبا وذكرت له القصة فقال لعل الله قد ابدلنا خيرا منها وكانت تلك الشاة تحلب اللبن وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة اكرامنا الضيف ثم قالت ياالولادى ان شويهتنا هذه ترعى فى قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها وان تغيرت تغير لبنها فطيبوا قلوبكم قال اليافعى عنت بالمريدين نفسها وزوجها ولكن اطلقت لفظا ظاهره العموم مع ارادة التخصيص تسترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى لما طابت قلوبنا طاب ماعندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ماعندكم ولولم يكن الامر كذلك بل المراد عموم المريدين لكان يطيب اللبن من سائر الغنم ولوخبث قلبهما لما نفعهما طيب قلوب المريدين واذا طابا هما لم يضرهما خبث قلوب المريدين (كذلك العذاب) جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد اى مثل الذى بلوناه اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا وفى كشف الاسرار كذلك افعل بامتك اذا لم تعطف اغنياؤهم على فقرائهم بان امنعهم القطر وارسل عليهم الجوائح وارفع البركة من زروعهم وتجارتهم ففيه وعيد لمانعى الزكاة والصدقة باهلاك المال وانزال العذاب باى طريق كان * مكن بد كه بد بينى اى يارنيك * نيايد زتخم بدى بارنيك * كسى نيك بيند بهر دوسراى * كه نيكى رساند بخلق خداى (ولعذاب الآخرة اكبر) اعظم واشد وبالفارسية بزركتر ست چه ان عذاب زوال يابد وآن باقى باشد (لوكانوا يعلمون) انه اكبر لاحترزوا عما يؤدى بهم اليهم و يطرحهم و يرميهم عليه (ان للمتقين) اى من الكفر والمعاصى (عند ربهم) اى فى الآخرة وذكر عند للتشريف والتكريم وذلك لانه لا ملك فيها حقيقة وصورة الا لله فكأنها حاضرة عنده تعالى يتصرف فيها كيف يشاء والا فمحال كون عندية الجنة بالنسبة

الى الله تعالى مكانية وهى ظرف معمول للا ستقرار الذى تعلق به للمتقين و يجوز ان يكون متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى قوله للمتقين ولا يجوز ان يكون حالا من جنات لعدم العامل والا ظهر ان معنى عند ربهم فى جوار القدس فالمراد عندية المكانة المنزهة عن الجهة والتحيز لا عندية المكان كما فى قوله تعالى عند مليك مقتدر اذ للحقير بين قرب معنوى من الله تعالى قال الراغب عند لفظ موضوع للقرب فتارة يستعمل فى المكان وتارة يستعمل فى الاعتقاد نحو عندى كذا وتارة فى الزلفى والمنزلة كقوله تعالى بل احياء عند ربهم وعلى ذلك قيل الملائكة المقربون (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا النعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا واستفيد الحصر من الاضافة اللامية الاختصاصية فانها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف اليه (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالنا وحالهم الا مثل ما هى فى الدنيا والالم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فردهم الله تعالى والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى انحيف فى الحكم فنجعل المؤمنين كالكافرين فى حصول النجاة والوصول الى الدرجات فالمراد من المجرمين الكافرون على ما دل عليه سبب النزول وهم المجرمون الكاملون الذين اجرموا بالكفر والشرك والا فالاجرام فى الجملة لا ينافى الاسلام نعم المسلم المطيع ليس كالمسلم الفاسق ففيه وعظ للعاقل وزجر للمتبصر ثم قيل لهم بطريق الالتفات تأكيد الرد وتشديده (مالكم كيف تحكمون) تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل وما استفهامية فى موضع الرفع بالابتداء والاستفهام للانكار اى لانكار ان يكون لهم وجه مقبول يعتد به فى دعواهم حتى يتمسك به ولكم خبرها والمعنى اى شئ ظهر لكم حتى حكمتم هذا الحكم القبيح كأن امر الجزاء مفوض اليكم فتحكمون فيه بما شئتم ومعنى كيف فى اى حال أفى حال العلم ام فى حال الجهل فيكون ظرفا اوأ عالمين ام جاهلين فيكون حالا وفى التأويلات النجمية افنجعل المتقين لاحكام الشريعة وآداب الطريقة ورموز الحقيقة كالكاسبين للاخلاق الرديئة والاوصاف الرذيلة المخالفة للشريعة والطريقة والحقيقة مالكم كيف تحكمون بهذا الظلم الصريح والقول القبيح (ام لكم) اى بل الكم و بالفارسية آيا شما راست (كتاب) نازل من السماء (فيه) متعلق بقوله (تدرسون) اى تقرأون قال فى المفردات درس الشئ معناه بقى اثره ودرست العلم تناولت اثره بالحفظ ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن ادامة القراءة بالدرس (ان لكم فيه لما تخيرون) تخير الشئ واختياره اخذ خيره قال الراغب الاختيار طلب ما هو خير فعله وقد يقال ما يراه الانسان خيرا وان لم يكن خيرا وفى تاج المصادر التخير بركزيدن والمعنى ما تخيرونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فيكون مفعولا واقعا موضع المفرد فلا يكسر همزة ان ولكن لما جئ باللام كسرت فان لام الابتداء لا تدخل على ما هو فى خبر ان المفتوحة وهذه اللام للابتداء داخلة على اسم ان والمعنى تدرسون فى الكتاب ان لكم ما تختارونه لانفسكم وان يكون العاصى كالمطيع بل ارفع حالا منه فأتوا بكتاب ان كنتم صادقين و يجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين فيكون الموقع من مواقع كسر ان لعدم وقوعها موقع المفرد حكاه الله فى القرآن بصورته والفرق بين الوجهين ان المدروس فى الاول ما انسبك من الجملة وفى الثانى الجملة بلفظها وقوله فيه لا يستغنى عنه بفيه اولا فقد يكتب المؤلف فى كتابه ترغيبا للناس فى مطالعته ان فى هذا الكتاب كذا وكذا قال سعدى المفتى لك ان تمنع كون الضمير للكتاب بل الظاهر انه ليوم القيام المعلوم بدلالة المقام (ام لكم ايمان علينا) قوله علينا صفة ايمان وكذا بالغة اى عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) اى متناهية فى التوكيد والصحة لان كل شئ يكون فى نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بانه بالغ يقال لفلان على يمين بكذا اذا ضمنت وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به اى بل اضمنا لكم واقسمنا بايمان مغلظة ثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالايمان (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم الى يوم القيامة لا تخرج عن عدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او بالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه الذى هو التحكيم واتيانا عنا لحكمهم (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم

لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم كما سبق (سلهم) امر من سال يسأل بحذف العين وهمزة الوصل وهو تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اى سلهم مبكتا لهم يعنى بئس اى محمد مشركا تراكه (ايهم) كدام ايشان (بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) اى قائم يتصدى لتصحيحه كما يقوم زعيم القوم باصلاح امورهم فقوله بذلك متعلق بزعيم والزعيم بمعنى القائم بالدعوى واقامة الحجة عليها قال الراغب قوله زعيم اما من الزعامة اى الكفالة اومن الزعم بالقول وهو حكاية قول يكون مظنة للكذب وقيل للمتكفل والرئيس زعيم الا عتقاد فى قولهم انه مظنة للكذب (ام لهم) آيا ايشانرا ست (شركاء) يشاركونهم فى هذا القول و يذهبون مذهبهم (فليأتوا بشركائهم) پس بكويا ريد شريكان خود فالباء للتعدية ويجوز أن تكون للمصاحبة (ان كانوا صادقين) فى دعواهم اذلا اقل من التقليد يعنى انه كما ليس لهم دليل عقلى فى اثبات هذا المذهب وهو التسوية بين المحسن والمسيئ كما قال مالكم كيف تحكمون ولا دليل نقلى وهو كتاب يدرسونه ولا عهود موثقة بالايمان فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول حتى يقلدوهم وان كان التقليد لا يفلح من تشبث بذيله فثبت ان ما زعموا باطل من كل الوجوه وفيه اشارة الى ان اللائق بالحاكم تحرى الصواب بقدر الوسع فيما ليس بحاضر عنده وان حكم بلا تحرى فلا يخلو عن خطأ وان اصاب مثل صلى فى ارض لم يعلم القبلة فيها فانه ان صلى بتحرى فصلاته صحيحة وان اخطأ القبلة وان صلى فيها بغير تحرى فغير صحيحة وان اصابها واذا كان الحكم بلا تحرى خطأ فكيف الحكم بشئ والأدلة قائمة بخلافه (يوم يكشف عن ساق) يوم منصوب باذكر المقدر وعن ساق قائم مقام الفاعل ليكشف والمراد يوم القيامة اى اذكر يوم يشتد الامر و يصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك ولا كشف ولا ساق ثمة كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وانما هو مثل فى البخيل بان شبهت حال البخيل فى عدم تيسر الانفاق له بحال من غلت يده وكذا شبهت حال من اشتد عليه الامر فى الموقف بالمخدرات اللاتى اشتد عليهن الامر فاحتجن الى تشمير سوقهن فى الهرب بسبب وقوع امر هائل بلغ الى نهاية الشدة مع انهن لا يخرجن من بيوتهن ولا يبدين زينتهن لغير محارمهن لغاية خوفهن وزوال عقلهن من دهشتهن وفرارهن خلاص انفسهن فاستعمل فى حق اهل الموقف من الاشقياء ما يستعمل فى حقهن من غير تصرف فى مفردات التركيب بل التصرف انما هو فى الهيئة التركيبية فكشف الساق استعارة تمثيلية فى اشتداد الامر وصعوبته قال المولى الفناري فى تفسير الفاتحة فالساق التى كشفت لهم عبارة عن امر عظيم من اهوال يوم القيامة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها اذا عظم امرها وتقول لمن وقع فى امر عظيم شديد يحتاج فيه الى جهد ومقاساة شمر عن ساقك وكذلك التفت الساق بالساق اى دخلت الاهوال والامور العظام بعضها فى بعض يوم القيامة وقيل ساق الشئ اصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان فان ساق الشجر مثلا اصله والاغصان تنبت على ذلك الاصل وتقوم به فالمعنى حينئذ يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور على ما هى عليها بحيث تصير عيانا وتنكيره على الوجه الاول للتهويل لان يوم القيامة يوم يقع فيه امر فظيع هائل منكر خارج عن المألوف وعلى الثانى للتعظيم (و يدعون) اى الكفار والمنافقون (الى السجود) توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك لا على سبيل التكليف والتعبد لان يوم القيامة لا يكون فيه تعبد ولا تكليف وسيأتى غير هذا (فلا يستطيعون) لزوال القدرة الحقيقية عليه وسلامة الاسباب والآلات وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم اصلابهم اى ترد عظاما بلا مفاصل لا تثنى عند الرفع والخفض فيبقون قياما على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على تفريطهم وفى الحديث (وتبقى اصلابهم طبقا واحدا) اى فقارة واحدة ودر خبرست كه بشت كافر ومنافق چون سرون كاويك مهره شود (كأن سفافيد الحديد فى ظهورهم) عن ابى بردة عن ابى موسى رضى الله عنه قال حدثنى ابى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه فى الدنيا فذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون فى الدنيا و يبقى اهل التوحيد فيقال لهم كيف بقيتم فيقولون ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده فى الدنيا ولم نره فيقال اتعرفونه اذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال لهم كيف ولم تروه قالوا لا شبهه شئ فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون له سجدا و يبقى

اقوام ظهورهم مثل صياصى البقر فيريدون السجود ولايستطيعون كقوله تعالى يوم يكشف الخ يقول الله ياعبادى ارفعوا رؤسكم قد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى فى النار قال ابو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال والله الذى لااله الاهو احدثك ابوك بهذا الحديث فحلفت له بثلاث ايمان فقال عمر ماسمعت من اهل التوحيد حديثا هو احب الى من هذا الحديث وفى تفسير الفاتحة للفنارى رحمه الله يتجلى الحق فى ذلك اليوم فيقول لتتبع كل امة ما كانت تعبد حتى تبقى هذه الامة وفيها منا فقوها فيتجلى لهم الحق فى ادنى صورة من الصور التى كان يتجلى لهم فيها قبل ذلك فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جل وعلا هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم فى الصورة التى عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون انت ربنا فيأمرهم بالسجود فلا يبقى من كان يسجد لله الا سجد ومن كان يسجد اتقاء ورياء جعل ظهره طبقة نحاس كلما اراد ان يسجد خر على قفاه وذلك قوله تعالى يوم يكشف الخ وقال ايضا يكون على الاعراف من تساوت كفتا ميزانه فهم ينظرون الى النار وينظرون الى الجنة ومالهم رجحان بما يد خلهم احدى الدارين فاذا دعوا الى السجود وهو الذى يبقى يوم القيامة من التكليف يسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة انتهى وكفتا ندكه دران روز نورى عظيم بنمايد وخلق بسجده درافتند فيكون كشف الساق عبارة عن تجلى الالهى كما ذهب اليه البعض وفى الحديث (يوم يكشف عن ساق) قيل عن نور عظيم يخرون له سجدا كما فى كشف الاسرار وفيه ايضا عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ياخذ الله عزوجل للمظلوم من الظالم حتى لايبقى مظلمة عند احد حتى انه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه ان يخلص اللبن من الماء فاذا فرغ من ذلك نادى منادليسمع الخلائق كلهم الا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى احد عبد شيأ من دون الله الا مثلت له آلهته بين يديه ويجعل الله ملكا من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملكا من الملائكة على صورة عيسى بن مريم فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصارى ثم تلوبهم آلهتهم الى النار وهم الذين يقول الله لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون واذا لم يبق الا المؤمنون وفيهم المنافقون قال الله لهم ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله مالنا اله الا الله وما كنا نعبد غيره فينصرف الله عنهم فيمكث ماشاء ان يمكث ثم ياتيهم فيقول ايها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله مالنا اله الا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساق ويتجلى لهم من عظمته مايعرفون به انه ربهم فيخرون سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه وتجعل اصلابهم كصياصى البقر ثم يضرب الصراط بين ظهرانى جهنم انتهى واعلم ان حديث التحول مجمع عليه وهو من آثار الصفات الالهية كرؤيته فى المنام فى الصورة الانسانية والا فالله تعالى بحسب ذاته منزه عن الصورة وما يتبعها ومن مشى على المراتب لم يعثر ثم ان الآية دلت على جواز ورود الامر بتكليف مالا يطاق والقدرية لايقولون بذلك ففيها حجة عليهم كما فى الاسئلة المقحمة لكن ينبغى ان يعلم ان المراد بما لايطاق هو المحال العادى كنظر الاعمى الى المصحف ولانزاع فى تجويز التكليف به وكذا المحال العارضى كايمان ابى جهل فانه صار محالا بسبب عارض وهو اخبار الله تعالى بانه لايؤمن وقد اجاز الاشاعرة التكليف به ومنعه المعتزلة واما المحال العقلى وهو الممتنع لذاته كاعدام القديم فلم يذهب الى جواز التكليف به احد (خاشعة ابصارهم) حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها والا فالاعضاء ايضا خاشعة ذليلة متواضعة بل الخاشع فى الحقيقة هو القلب لكونه مبدأ الخشوع (وقال الكاشفى) يعنى خداوندان ابصار سر در پيش افكنده وشرمنده باشند قال ابو الليث وذلك ان المسلمين اذا رفعوا رؤوسهم من السجود صارت بيضاء كالثلج فلما نظر اليهم اليهود والنصارى والمنافقون وهم الذين لم يقدروا على السجود حزنوا واغتموا واسودت وجوههم كما قال تعالى (ترهقهم) تلحقهم وتغشاهم فان الرهق غشيان الشئ الشئ (ذلة) شدة تخزيهم كأنه تفسير لخشوع ابصارهم يقال ذل يذل ذلا بالضم وذلة بالكسر وهو ذليل يعنى خوار (وقد كانوا) فى الدنيا (يدعون) دعوة التكليف (الى السجود) اى اليه والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير اولان المراد به الصلاة اوما فيها من السجود وخص السجود بالذكر من حيث انه اعظم الطاعات

قال بعضهم يدعون بدعوة الله صريحا مثل قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا اوضمنا مثل قوله تعالى اقيموا الصلاة فان الدعوة الى الصلاة دعوة الى السجدة و بدعوة رسول الله عليه السلام صريحا كقوله عليه السلام اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا الدعاء قالوا اى السجود اوضمنا كقوله عليه السلام صلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاة اموالكم واطيعوا ذا امركم تدخلوا جنة ربكم و بدعوة علماء كل عصر ومن اعظم الدعوة الى السجود اذان المؤذنين واقامتهم فان قولهم حى على الصلاة دعوة بلامريبة فطوبى لمن اجاب دعوتهم بطوع لا باكراه امتثالا لقوله تعالى اجيبوا داعى الله والجملة حال من ضمير يدعون (وهم سالمون) حال من مرفوع يدعون الثانى اى اصحاء فى الدنيا سلمت اعضاؤهم ومفاصلهم من الآفات والعلل متمكنون من اداء السجدة وقبول الدعوة اقوى تمكن اى فلا يجيبون اليه و يأبونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره و بالفارسية وايشان تندرست بودند وقادر بران چون فرصت فوت كردند در ين روز جز حسرت وندامت بهرندارند * مده فرصت ازدست كر بايدت * كه كوى سعادت زميدان برى * كه فرصت عزيزست چون فوت شد * بسى دست حسرت بدندان برى وفى الآية وعيد لمن ترك الصلاة المفروضة اوتخلف عن الجماعة المشروعة قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال اعنى بكثرة السجود وكان السلف يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتهم التكبير الاول وسبعة اذا فاتتهم الجماعة قال ابو سليمان الدارانى قدس سره اقمت عشرين سنة ولم احتلم فدخلت مكة فاحدثت بها حدثا فاصبحت الا احتلمت وكان الحدث ان فاتته صلاة العشاء بجماعة وقال الشيخ ابو طالب المكى قدس سره فى قوت القلوب ولابد من صلاة الجماعة سيما اذا سمع التأذين او كان فى جوار المسجد وحد الجوار ان يكون بينه و بين المسجد مائة دار واولى المساجد التى يصلى فيها اقربها اليه الا ان يكون له نية فى الابعد لكثرة الخطى او لفضل امام فيه فالصلاة خلف العالم الفاضل افضل او يريد ان يعمر بيتا من بيوت الله بالصلاة فيه وان بعد وقال سعيد ابن المسيب رحمه الله من صلى الخمس فى جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وقال ابو الدرداء رضى الله عنه حافظا بالله تعالى من احب الاعمال الى الله ثلاثة امر بصدقة وخطوة الى صلاة جماعة واصلاح بين الناس وفى الآية اشارة الى انه يرفع الحجاب و يبقى المحجوبون فى حجاب انانيتهم و يشتد عليهم الامر و يدعون الى الفناء فى الله فلا يستطيعون لافساد استعدادهم الفطرى بالركون الى الدنيا وشهواتها ذليلة ابصارهم متحيرة لذهاب قوتها النورية تلحقهم ذلة الحجاب وهو ان الاحتجاب وقد كانوا فى زمان استعدادهم يدعون الى سجود الفناء بترك اللذات والشهوات وهم نائمون فى نوم الغفلة لا يرفعون له رأسا لفساد استعداد مزاجهم بالعلل النفسانية والامراض الهيولانية (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) من منصوب للعطف على ضمير المتكلم او على انه مفعول معه وهو مرجوح لامكان العطف من غير ضعف اى واذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فدعنى ومن يكذب بالقرآن وخل بينى و بينه ولا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه فانى عالم بما يستحقه من العذاب و يطيق له وكافيك امره يقال ذرنى واياه يريدون كله الى فانى اكفيك قال فى فتح الرحمن وعيد ولم يكن ثمة مانع ولكنه كما تقول دعنى مع فلان اى سأعاقبه والحديث القرآن لان كل كلام يبلغ الانسان من جهة السمع اوالوحى فى يقظته اومنامه يقال له حديث (سنستدرجهم) يقال استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة درجة حتى يورطه فيه وفى تاج المصادر الاستدراج ادنك ادنك نزديك دانيدن خداى بنده را بخشم وعقوبت خود والمعنى سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة حتى نوقعهم فيه فاستدراج الشخص الى العذاب عبارة عن هذا الاستنزال والاستدناء (من حيث لا يعلمون) اى من الجهة التى لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وفى الحديث (اذا رأيت الله ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم انه مستدرج) وتلا هذه الآية وقال امير المؤمنين رضى الله عنه من وسع عليه دنياه فلم يعلم انه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله (وروى) ان رجلا من بنى اسرائيل قال يارب كم اعصيك ولم انت لا تعاقبنى فاوحى الله الى نبى زمانه ان قل له كم من عقوبة لى عليك وانت لا تشعر كونها عقوبة ان جود عينك وقساوة قلبك استدراج منى وعقوبة لو عقلت قال بعض المكاشفين من المكر الالهى بالعبد ان يرزق العلم و يحرم العمل به او يرزق العمل و يحرم

الاخلاص فيه فمن علم اتصافه بهذا من نفسه فليعلم انه ممكور به واخفى مايكون المكر الالهى فى المتأولين من اهل الاجتهاد وغيرهم ومن يعتقدان كل مجتهد مصيب يدعو الناس على بصيرة وعلم قطعى وكذلك مكر الله بالخاصة خفى مستور فى ابقاء الحال عليهم وتأييدهم بالكرامات مع سوء الادب الواقع منهم فتراهم يتلذذون باحوالهم ويحجبون على الله فى مقام الادلال وماعرفوا مادخر لهم من المؤاخذات نسأل الله العافية وقال بعض العارفين مكر الله فى نعمه اخفى منه فى بلائه فالعاقل من لايأمن مكر الله فى شئ وادنى مكر بصاحب النعمة الظاهرة او الباطنة انه يخطر فى نفسه انه مستحق لتلك النعمة وانها من اجل اكرامه خلقت ويقول ان الله ليس يحتاج اليها فهى لى بحكم الاستحقاق وهذا يقع فيه كثيرا من لاتحقيق عنده من العارفين لان الله انما خلق الاشياء بالاصالة لتسبح بحمده واما انتفاع عباده بها فبحكم التبعية لا بالاول وقال بعض المحققين كل علم ضرورى وجده العبد فى نفسه من غير تعمل فكر فيه ولا تدبر فهو عطاء من الله لولية الخاص بلا واسطة ولكن لايعرف ان ذلك من الله الا الكمل من الرجال ويحتاج صاحب مقام الفتوح الى ميزان دقيق لانه قد يكون فى الفتوح مكر خفى واستدراج ولذلك ذكره تعالى فى القرآن على نوعين بركات وعذاب حتى لايفرح العاقل بالفتح قال تعالى ولو أن اهل الكتاب آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وقال تعالى فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد وتأمل قول قوم عاد هذا عارض ممطرنا لما حجبتهم العادة فقيل لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم واعلم ان كل فتح اعطاك ادبا وترقيا فليس هو بمكر بل عناية من الله لك وكل فتح اعطى العبد احوالا وكشفا واقبالا من الخلق فليحذر منه فانه نتيجة عجلت فى غير موطنها فينقلب صاحبها الى الدار الآخرة صفر اليدين نسأل الله اللطف قال ابو الحسين رضى الله عنه المستدرج سكران والسكران لايصل اليه المفجع المعصية الابعد افاقته فاذا افاقوا من سكرتهم خلص ذلك الى قلوبهم فازعجوا ولم يطمئنوا والاستدراج هو السكون الى اللذات والتنعم بالنعمة ونسيان ماتحت النعم من المحن والاغترار بحلم الله تعالى وقال ابو سعيد الخراز قدس سره الاستدراج فقدان اليقين فالمستدرج من فقد فوائد باطنه واشتغل بظاهره واستكثر من نفسه حركاته وسعيه لغيبوبته عن المنة وقال بعضهم بالاستدراج تعرف العقوبة ويخاف المقت وبالانتباه تعرف النعمة ويرجى القرب (واملى لهم) الاملاء مهلت دادن اى واعهالهم باطالة العمر وتأخير الاجل ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم (ان كيدى) اى اخذى بالعذاب (متين) قوى شديد لايطاق ولايدفع بشئ وبالفارسية وبدرستى كه عقوبت من محكم است بهر چيزى دفع نشود وكرفتن من سخت است كس راطاقت ان نباشد وفى الكشاف سمى احسانه ومكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للتورط فى الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه فى التسبب للهلاك قال بعضهم الكيد اظهار النفع وابطان الضر فالكيد وفى المفردات الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون محمودا ومذموما وان كان يستعمل فى المذموم اكثر وكذلك الاستدراج والمكر ولكون بعض ذلك محمودا قال تعالى كذلك كدنا ليوسف قال بعضهم اراد بالكيد العذاب والصحيح انه الامهال المؤدى الى العذاب انتهى وفى التعريفات الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة اعمال الخلق (ام تسألهم) آيا مبطلى ازايشان برابلاغ وارشاد ودعوت ايمان وطاعت وهو معطوف على قوله ام لهم شركاء (اجرا) دنيويا (فهم) لاجل ذلك (من مغرم) اى من غرامة مالية وهى مايجب الانسان فى ماله من ضرر لغير جناية منه (مثقلون) مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك اى لاتسأل منهم ذلك فليس لهم عذر فى اعراضهم وفرارهم (ام عندهم الغيب) اى اللوح اوالمغيبات (فهم يكتبون) منه مايحكمون من التسوية بين المؤمن والكافر ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وأخر نصرتك عليهم (ولاتكن) فى التضجر والعجلة بعقوبة قومك وبالفارسية مباش درد لتنكى وشتاب زدكى (كصاحب الحوت) اى يونس عليه السلام يعنى يونس كه صبر نكرد براذيت قوم وبى فرمانى الهى ازميان قوم برفت تابشكم ماهى محبوس كشت (اذنادى) داعيا الى الله فى بطن الحوت بقوله لااله الاانت سبحانك انى كنت من الظالمين (وهو مكظوم) مملوء غيظا وغما يقال كظم السقاء اذا ملأه وشد رأسه وبالقيد الثانى قال تعالى والكاظمين الغيظ بمعنى الممسكين عليه وعليه قول النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو

يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لانها عبارة عن الضجرة والمغاضبة المذكورة صريحا فى قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا لاعلى النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اى لايكن حالك كحاله وقت ندائه اى لايوجد منك ماوجد منه من الضجرة والمغاضبة فتبتلى ببلائه وهو التقام الحوت اونحو ذلك قال بعضهم فاصبر لحكم ربك بسعادة من سعد وشقاوة من شقى ونجات من نجا وهلاك من هلك ولاتكن كصاحب الحوت فى استيلاء صفات النفس عليه وغلبة الطيش والغضب للاحتجاب عن حكم الرب حتى رد عن جناب القدس الى مقر الطبع فالتقمه حوت الطبيعة السفلية فى مقام النفس وابتلى بالاجتنان فى بطن حوت الرحم (لولا ان تداركه) تاله و بلغه ووصل اليه و بالفارسية اكرنه آنست كه دريافت اورا (نعمة) رحمة كائنة (من ربه) وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وان مع الفعل فى تأويل المصدر مبتدأ خبره مقدر بمعنى ولولا تدارك نعمة من ربه اياه حاصل (لنبذ) اى طرح من بطن الحوت فان النبذ القاء الشئ وطرحه لقلة الاعتداد به (بالعراء) اى بالارض الخالية من الاشجار قال الراغب العراء مكان لاستر به (وهو مذموم) مليم مطرود من الرحمة والكرامة لكنه رحم فنبذ غير مذموم بل سقيما من جهة الجسد ومليم من الام الرجل بمعنى اتى مايلام عليه ودخل فى اللوم فان قلت فسر المذموم بالمليم وقد اثبته الله تعالى بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم اجيب على ذلك التفسير بان الالامة حين الالتقام لاتستلزم الالامة حين النبذ اذ التدارك تلافها فالتفت على ماهو حكم لولا الامتناعية كما اشير اليه فى تصوير المعنى آنفا وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هى المنفية لاالنبذ بالعراء كما فى الحال الاولى لانه نبذ غير مذموم بل محمود (فاجتباه ربه) عطف على مقدراى فتداركته نعمة ورحمة من ربه فجعله اليه وقربه بالتوبة عليه بان رد اليه الوحى وارسله الى مائة الف او يزيدون يقال جبيت الماء فى الحوض جمعته والحوض الجامع له جابية والاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء وقيل استنباه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة ومن انكر الكرامات والارهاص لابد ان يختار القول الاول لان اجتباءه فى بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن ارهاصا ولا كرامة لابد ان يكون معجزة وذلك يقتضى ان يكون رسولا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روى انها نزلت باحد حين هم رسول الله عليه السلام ان يدعو على المنهزمين فتكون الآية مدنية وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف حتى تعالى فرمود كه صبر كن وآن دعاء در توقف دار كه كارها بصبر نيكو شود * كارها ازصبر كردد دلپسند * خرم آن كز صبر باشد بهره مند * چون در افتادى بكرداب حرج * صبر كن والصبر مفتاح الفرج * دلت الآيات على فضيلة الصبر وعلى ان ترك الاولى يصدر من الانبياء عليهم السلام والالما كان يونس عليه السلام ملوما وعلى ان الندم على مافرط من العبد والتضرع الى الله لذلك من وسائل الاكرام وعلى ان توفيق الله نعمة باطنة منه وعلى ان الصلاح درجة عالية لايناها الا اهل الاجتباء وعلى ان فعل العبد مخلوق لله لدلالة قوله فجعله من الصالحين على ان الصلاح انما يكون بجعل الله وخلقه وان كان للعبد مدخل فيه بسبب الكسب بصرف ارادته الجزئية والمعتزلة يأولونه تارة بالاخبار بصلاحه وتارة باللطف له حتى صلح لكنه مجاز والاصل هو الحقيقة (وان) مخففة واللام دليلها (يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) يقال ازلقه ازل رجله يعنى بلغزانيد (لما سمعوا الذكر) لما ظرفية منصوب بزليقونك والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا اى نظر الغضبان بمؤخر العين بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك وقت سماعهم القرآن وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله اوانهم يكادون يصيبونك بالعين قال فى كشف الاسرار الجمهور على هذا القول روى انه كان فى بنى اسد عيانون والعيان والمعيان والعيون شديد الاصابة بالعين وكان الواحد منهم اذا اراد ان يعين شيأ يتجوع له ثلاثة ايام ثم يتعرض له فيقول ما الله مارايت احسن من هذا قيسقط ذلك الشئ وكان الرجل منهم ينظر الى الناقة السمينة اوالبقرة السمينة ثم يعينها ثم يقول للجارية خذى المكتل والدرهم فائتينا بلحم من لحم هذه فتبرح حتى تقع فتنحر والحاصل انه لايمر به شئ فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا عانه وكان سببا لهلاكه وفساده فسأل الكفار من قريش من بعض من كانت له هذه الصفة

ان يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مارايت مثله ولامثل حجته تا پرتوجمال ان حضرت باآسيب عين الكمال ازساحت عالم محو سازد فقال فعصمه الله تعالى (وقال الكاشفى) حق تعالى برای عصمت وی ازچشم بداين آيت رافرستاد قال الحسن البصرى قدس سره دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية (كما قال الحافظ) حضور مجلس انس است دوستان جمعند * وان يكاد بخوانيد ودر فراز كنيد * وفى الاسرار المحمدية قدقيل ان فى هذه الآية خاصية لدفع العين تعليقا وغسلا وشربا انتهى وفى الحديث (العين حق) اى اثر ها فى المعين واقع قالوا ان الشئ لا يعان الابعد كماله وكل كامل فانه يعقبه النقص بقضاء ولما كان ظهور القضاء بعد العين اضيف ذلك اليها ولما خاف يعقوب عليه السلام على اولاده من العين لانهم كانوا اعطوا جمالا وقوة و امتداد قامة وكانوا ولد رجل واحد قال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة فامرهم ان يتفرقوا فى دخولها لئلا يصابوا بالعين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين فيقول اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة و يقول هكذا كان يعوذ ابراهيم اسمعيل واسحق عليهم السلام وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله عليه الصلاة فى اول النهار فرايته شديد الوجع ثم عدت اليه آخر النهار فوجدته معافى فقال ان جبريل اتانى فرقانى فقال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال عليه السلام فافقت والرقية بالفارسية افسون كردن يقال رقاه الراقى رقيا ورقية اذا عوذه ونفث فى عوذته قالوا وانما تكره الرقية اذا كانت بغير لسان العرب ولا يدرى ماهو ولعله يدخله سحر اوكفر واما ماكان من القرآن اوشئ من الدعوات فلا بأس به كما فى المغرب للمطرزى ولاتختص العين بالانس بل تكون فى الجن ايضا وقيل عيونهم انفذ من اسنة الرماح وعن ام سلمة رضى الله عنها ان النبى عليه السلام رأى فى بيتها جارية تشتكى وفى وجهها صفرة فقال استرقوا لها فان بها النظرة واراد بها العين اصابتها من الجن كما فى شرح المصابيح وفى الحديث (لوكان شئ يسبق القدر لسبقته العين) اى لو كان شئ مهلكا اومضرا بغير قضاء الله وقدره لكان العين اى اصابتها لشدة ضررها وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ومما يدفع العين ماروى ان عثمان رضى الله عنه رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين اى سودوا نقرة ذقنه قالوا ومن هذا القبيل نصب عند علم الرؤس فى المزارع والكروم ووجهه ان النظار الشؤم يقع عليها ولا فتنكسر سورته فلا يظهر اثره ومن الشفاء من العين ان يقال على ماء فى اناء نظيف و يسقيه منه و يغسله عنس عابس بشهاب قابس رددت العين من المعين عليه والى احب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور والفاتحة وآية الكرسى وست آيات الشفاء وهى و يشف صدور قوم مؤمنين شفاء لما فى الصدور فيه شفاء للناس ونترل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء * ومن الشفاء ان يؤمر العائن فيغتسل او يتوضأ بماء ثم يغتسل به المعين قيل وجه اصابة العين ان الناظر اذا نظر الى شئ واستحسنه ولم يرجع الى الله والى رؤية صنعه قد يحدث الله فى المنظور علة بجناية نظره على غفلة ابتلاء لعباده ليقول المحق انه من الله وغيره من غيره فيؤاخذ الناظر لكونه سببها و وجهها بعض بان العائن قد ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد كما قيل مثل ذلك فى بعض الحيات قال فى الاسرار المحمدية ذوات السموم تؤثر بكيفيا تها الخبيثة الكامنة فيها بالقوة فتى قابلت عدوها انبعثت منها قوة غضبية وتكيفت نفسها بكيفية خبيثة مؤذية ومنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر فى اسقاط الجنين ومنها مايؤثر فى طمس البصر ومنها مايؤثر فى الانسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية بل بعضه بالمقابلة والرؤية كما اشتهر عن نوع من الافاعى انها اذا وقع بصرها على الانسان هلك فهو من هذا الجنس ولا يستبعدان تنبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية فتتصل بالمعين و تتخلل مسام جسمه اى ثقبه كالفم والمنخر والاذن فيتضرر به واذا كانت النفوس مختلفة فى جواهرها وماهياتها لم يمتنع ايضا اختلافها فى لوازمها وآثارها فلا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور و به يحصل الجواب عمن انكر اصابة العين وقال انها لاحقيقة لها لان تأثير الجسم فى الجسم لايعقل الا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا فامتنع حصول التأثير انتهى وعقلاء الامم على اختلاف

ملاهم ونحلهم لاتدفع امر العين ولا تنكره و بعض النفوس لاتحتاج الى المقابلة بل يتوجه الروح ونحوه يحصل الضرر فربما يوصف الشئ للاعمى فتؤثر نفسه فيه بالوصف من غير مقابلة ورؤية واذا قتلت ذوات السموم بعد لسعها خف اثر لسعها لان الجسد تكيف بكيفية السم وصار قابلا للانحراف فادامت حية فان نفسها تمده بامتزاج الهواء بنفسها وانتشاق الملسوع به قال الجاحظ علماء الفرس والهند واطباء اليونانيين ودهاة العرب واهل التجربة من المعتزلة وحذاق المتكلمين كانوا يكرهون الاكل بين يدى السباع يخافون عيونها لما فيها من النهم والشره لما ينحل عند ذلك من اجوافها من البخار الردئ وينفصل من عيونها ما اذا خالط الانسان نقصه وافسده وكانوا يكرهون قيام الخدم بالذباب والاشربة على رؤسهم مخافة العين وكانوا يأمرون اتباعهم قبل ان يأكلوا ان يطردوا الكلب والسنور او يشغلوه بما يطرح له ومن هذا يعرف بعض اسرار قوله عليه السلام من اكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لا دواء له وفائدة الرقى ان الروح اذا تكيفت به وقويت واستعانت بالنفث والتفل قابلت ذلك الاثر الذى حصل من النفوس الخبيثة والخواص الفاسدة فأزالته والحاصل ان الرقية بما ليس بشرك مشروعة لكن التحرز من العين لازم وانه واجب على كل مسلم اعجبه شئ ان يبرك او يقول تبارك الله احسن الخالقين اللهم بارك فيه فانه اذا دعا بالبركة صرف المحذور لامحالة ومن عرف باصابة العين منع من مداخلة الناس دفعا لضرره قال بعض العلماء يأمره الامام بلزوم بيته وان كان فقيرا رزقه ما يقوم به معاشه و يكف اذاه عن الناس وقيل ينفى والاحتياط الامر بلزوم بيته دون الحبس وانفى و بهذا التقرير يعرف حال المجذومين ولذا اتخذوا لهم فى بعض البلاد مكانا مخصوصا بحيث لايخالطون الناس ولا يشاركونهم فى محلاتهم وذكر الجاحظ ان اعجب ما فى الدنيا ثلاثة البوم لانها تظهر بالنهار خوفا ان تصيبها العين لحسنها قال فى حياة الحيوان ولما تصور فى نفسه انه احسن الحيوان لم يظهر الا بالليل والثانى الكركى لايطأ الارض بقدميه بل يأخذ احداهما فاذا اوطئها لم يعتمد عليها خوفا ان تخسف الارض والثالث الطائر الذى يعقد على سواقى الماء من الانهار يعرف بمالك الحزين شبيه الكركى لايشبع من الماء خشية ان يفنى فيموت عطشا ففى الاول اشارة الى ذم العجب وفى الثانى الى مدح الخوف وفى الثالث الى قدح الحرص فليعتبر العاقل من غير العاقل والسعيد من وعظ بغيره واخذ الاشارة من كل شئ نسأل الله البصيرة النافعة بمنه (ويقولون) لغاية حيرتهم فى امره عليه السلام ونهاية جهلهم بما فى القرآن من بدائع العلوم ولتنفير الناس عنه والا فقد علموا انه اعقلهم (انه) عليه السلام (لمجنون) الظاهر انه مثل قولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون (وقال الكاشفى) بدرستى كه اين مرد ديوكرفته يعنى بااوجنى است كه اوراتعليم ميدهد كما قال الوليد ابن المغيرة معلم مجنون يعنى يأتيه رئى من الجن فيعلمه وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوا منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل (وماهو الا ذكر للعالمين) على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب للسامعين من جراءتهم على التفوه بتلك العظيمة اى يقولون ذلك والحال ان القرآن ذكر للعالمين من الجن والانس اى تذكير و بيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا فى حقه من الجنون اى انه من اول الامور على كمال عقله وعلو شانه فمن نسب اليه القصور فانما هو من جهله وجنته فان الفاضل لايعرف الا ذوو

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة * فلا غرو ان يرتاب والصبح مسفر

وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفيه اشارة الى الالهام فانه ذكر لصاحبه ولمن اعتقده واقتدى به اذ الآثار باقية الى يوم القيامة وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه ذكرا وشرفا للعالمين لاريب فيه * اى شرف جمله عالم تو * روشنى ديده آدم تو * وفيه اشارة الى سادات امته واركان دينه

تمت سورة نون بعون خالق القلم ومايسطرون فى الخامس والعشرين يوم الاثنين من شعبان من سنة ست عشرة بعد المائة

(سورة الحاقة وآيها احدى وخمسون مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) هى من اسماء القيامة من حق يحق بالكسر اذا وجب وثبت لانها تحق اى يجب مجيئها و يثبت وقوعها

كما قال تعالى ان الساعة آتية لاريب فيها فالاسناد حقيقي وقال الراغب في المفردات لانها يحق فيها الجزاء فالاسناد مجازي كنهاره صائم ونحوه (ما الحاقة) الاصل ماهي اى اى شئ هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لهولها كما يقال زيد ما زيد على التعظيم لشانه فقوله الحاقة مبتدأ وما مبتدأ ثان وما بعده خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط تكرير المبتدأ بلفظه هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظائرها ومقتضى التحقيق ان تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الفائدة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا كذا في الارشاد (وما ادراك) من الدراية بمعنى العلم يقال دراه ودري به اى علم به من باب رمى وادراه به اعلمه قال في تاج المصادر الدراية والدرية والدرى دانستن و يعدى بالباء و بنفسه قال سيبويه و بالباء اكثر قوله ما مبتدأ وادراك خبره ولامساغ ههنا للعكس والمعنى واى شئ اعلمك يا محمد و بالفارسية وچه چيز دانا كرد انيدترا (ما الحاقة) جملة من مبتدأ وخبر في موضع المفعول الثاني لادراك والجملة الكبيرة تأكيد لهول الساعة وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علم المخلوقات على معنى ان اعظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لايكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام قال بعضهم ان النبي عليه السلام وان كان عالما بوقوعها ولكن لم يكن عالما بكمال كيفيتها ويحتمل ان يقال له عليه السلام اسماعا لغيره وفي التأويلات النجمية يشير بالحاقة الى التجلي الاحدي الاطلاقي في مرآة الواحدية المغني للكل كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بقهر سطوات انوار الاحدية جميع ظلمات التعينات السائرة اطلاق الذات المطلقة وسمي بالحاقة لثبوته في ذاته وتحققه في نفسه (كذبت ثمود) قوم صالح من الثمد وهو الماء القليل الذي لاماد له (وعاد) قوم هود وهي قبيلة ايضا وتمنع كما في القاموس (بالقارعة) من جملة اسماء الساعة ايضا لانها تقرع الناس اى تضرب بفنون الافزاع والاهوال اى تصيبهم بها كانها تقرعهم بها والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها زيادة في وصف شدتها فان في القارعة ما ليس في الحاقة من الوصف بقال اصابتهم قوارع الدهر اى اهواله وشدائده قيل منها قوارع القرآن للآيات التي تقرأ حين الفزع من الجن والانس لقرع قلوب المؤذين بذكر جلال الله والاستمداد من رحمته وحمايته مثل آية الكرسي ونحوها وفي الآية تخويف لاهل مكة من عاقبة تكذيبهم بالبعث والحشر (فاما ثمود) وكانوا عربا منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز يراها حجاج الشام ذهابا وايابا (فاهلكوا) اى اهلكهم الله لتكذيبهم فاخبر عن الفعل لانه المراد دون الفاعل لانه معلوم (بالطاغية) اى بالصيحة التي جاوزت عن حد سائر الصيحات في الشدة فرجفت منها الارض والقلوب وتزلزلت فاندفع ما يرى من التعارض بين قوله تعالى فاخذتهم الرجفة وبين قوله تعالى فاخذتهم الصيحة والقصة واحدة وفي الآية اشارة الى اهل العلم الظاهر المحجوبين عن العلوم الحقيقية فانهم اهل العلم القليل كما ان ثمود اهل الماء القليل فلما كذبوا فناء اهل العلم الباطن من طريق السلوك اهلكهم الله بصاعقة نار البعد والاحتجاب فليس لهم صلاح في الباطن وان كان لهم صلاح في الظاهر وذلك لانهم لم يتبعوا صالحا من الصلحاء الحقيقيين فبقوا في فساد النفس (واما عاد) وكانت منازلهم بالاحقاف وهي الرمل بين عمان الى حضر موت واليمن وكانوا عربا ايضا ذوي بسطة في الخلق وكان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين واوسطهم ما بين ذلك وكان رأس الرجل منهم كالقبة يفرخ في عينيه ومنخره السباع وتأخيره عن ثمود مع تقدمهم زمانا من قبيل الترقي من الضال الشديد الى الاضل الاشد (فاهلكوا بريح) هي الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور (صرصر) اى شديدة الصوت لها صرصرة في هبوبها وهي بالفارسية بانك كردن بازوچرغ وآنچه بدان ماند او شديدة البرد تحرق ببردها النبات والحرث فان الصر بالكسر شدة البرد (عاتية) مجاوزة للحد في شدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها والرياح مسخرة لميكائيل تهب باذنه وتنقطع باذنه وله اعوان كاعوان ملك الموت (روي انه ما يخرج من الريح شئ الا بقدر معلوم ولما اشتد غضب الله على قوم عاد امر خازن الريح ان يفتح عليهم بقدر منخر الثور فخرجت فاهلكت ما مر عليه من عاد فلما رأى خزنة الريح ذلك عرفوا ان الريح قد كثرت وعتت فاقتحموا على خزانها فسدوا افواه العيون بالاقدام وكان ذلك قبل ان يبعث هودا عليه السلام فلما بعث هودا عليه السلام عتت الريح على خزانها فلم يقدروا على ضبطها فخرجت من تحت اقدامهم فاهلكت عادا) وقيل

بناء اولياذ بجبل اواختفاء فى حفرة فانها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم (سخرها عليهم) التسخير سوق الشئ الى الغرض المختص به قهرا والمسخر هو المقيض للفعل والمعنى سلطالله تلك الريح الموصوفة على قوم عاد بقدرته القاهرة كما شاء الظاهر انه صفة اخرى ويقال استئناف لدفع مايتوهم من كونها باتصالات فلكية مع انه لوكان كذلك لكان بتسبيبه وتقديره فلايخرج من تسخيره تعالى (سبع ليال) منصوب على الظرفية لقوله سخرها انث العدد لكون الليالى جمع ليلة وهى مؤنث فتبع مفرد موصوفه يقال ليل وليلة ولايقال يوم ويومة وكذا نهارة وتجمع الليلة على الليالى بزيادة الياء على غير القياس فيحذف ياؤها حالة التنكير بالاعلال مثل الاهالى والاهال فى جمع اهل الاحالة النصب نحو قوله تعالى سيروا فيها ليالى واياما آمنين لانه غير منصرف والفتح خفيف (وثمانية ايام) ذكر العدد لكون الايام جمع يوم وهو مذكر (حسوما) جمع حاسم كشهود جمع شاهد وهو حال من مفعول سخرها بمعنى حاسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لتكثرها باعتبار وقوعها فى تلك الليالى والايام وقال بعضهم صفة لما قبله (كما قال الكاشفى) روزها وشبهاى متوالى والمعنى على الاول حال كون تلك الريح متتابعات ماخفق هبوبها فى تلك المدة ساعة حتى اهلكتهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على داء الدابة مرة بعد اخرى حتى يحسم و ينقطع الدم كما قال فى تاج المصادر الحسم بريدن و پيوسته داغ كردن فهو من استعمال المقيد فى المطلق اذالحسم هو تتابع الكى اونحسمات حسمت كل خير واستأصلته اوقاطعات قطعت دابرهم والحاصل ان تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات الاولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة اتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسوما بمعنى حاسمات اما تشبيها لها بمن يحسم الداء فى تتابع الفعل واما الان الحسم فى اللغة القطع والاستئصال وسمى السيف حساما لانه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وهى كانت ايام برد العجوز من صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال ويقال آخر اسبوع من شهر صفر الى غروب الاربعاء الآخر وهو آخر الشهر وعن ابن عباس رضى الله عنه يرفعه آخر اربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت فى سرب اى فى بيت فى الارض فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هى ايام العجز وهى آخر الشتاء ذات برد وريح شديدة فى نظر الاول قال برد العجوز ومن نظر الى الثانى قال برد العجز وفى روضة الاخبار رغبت عجوز الى اولادها ان يزوجوها وكان لها سبعة بنين فقالوا الى ان تصبرى على البرد عارية لكل واحد منا ليلة ففعلت فلما كانت فى السابعة ماتت فسميت تلك الايام ايام العجوز واسماء هذه الايام الصن وهو بالكسر اول ايام العجوز كما فى القاموس والصنبر وهى الريح الباردة والثانى من ايام العجوز كما فى القاموس والوبر وهو ثالث ايام العجوز والمعلل كمحدث وهو الرابع من ايامها ومطفئ الجمر وهو خامس ايام العجوز اورابعها كما فى القاموس وقيل مكفئ الظعن اى ميلها وهو جمع ظعينة وهو الهودج فيه امرأة ام لا والآمر والمؤتمر قال فى القاموس آمر ومؤتمر آخر ايام العجوز قال الشاعر

كم الشتاء بسبعة غبر * ايام شهلتنا من الشهر * فاذا انقضت ايام شهلتنا * بالصن والصنبر والوبر

وبآمر واخيه مؤتمر * ومعلل و بمطفئ الجمر * ذهب الشتاء مواليا هربا * وانتك موقدة من الحر

قال فى الكواشى ولم يسم الثامن لان هلاكهم واهلاكهما كان فيه وفى عين المعانى ان الثامن هو مكفئ الظعن ثم قال فى الكواشى ويجوز انها سميت ايام العجوز لعجزهم عما حل بهم فيها ولم يسم الثامن على هذا لاهلاكهم فيه والذى لم يسم هو الاول وان كان العذاب واقعا فى ابتدائه لان ليلته غير مذكورة فلم يسم اليوم تبعا لليلة لان التاريخ يكون بالليالى دون الايام فالصن ثانى الايام الثمانية اول الايام المذكورة ليا ليها انتهى يقول الفقير سر العدد ان عمر الدنيا بالنسبة الى الانس سبعة ايام من ايام الآخرة وفى اليوم الثامن تقع القيامة ويعم الهلاك ثم فى الليالى السبع اشارة الى الليالى البشرية السائرة للصفات السبع الالهية التى هى الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وفى الايام اشارة الى الايام الكاشفات للصفات الثمان الطبيعية وهى الغضب والشهوة والحقد والحسد والبخل والجبن والعجب والشره التى تقطع امور الحق واحكامه من الخيرات والمبرات يعنى قاطعات كل خير وبر وقال القاشانى واما عاد المغالون المجاوزون حد الشرائع بالزندقة والاباحة فى التوحيد فأهلكوا بريح هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة وعدم حرارة الشوق والعشق العاتية

اى الشديدة الغالبة عليهم الذاهبة بهم فى اودية الهلاك سخرها الله عليهم فى مراتب الغيوب السبع التى هى لياليهم لاحتجابهم عنها والصفات الثمان الظاهرة لهم كالايام وهى الوجود والحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والتكلم على ماظهر منهم ومابطن تقطعهم وتستأصلهم (فترى) يامحمد او يامن شأنه ان يرى و يبصر ان كنت حاضرا حينئذ (القوم) اى قوم عاد فاللام للعهد و بالفارسية پس تومى بينى قوم عادرا اگر حاضر مى بودى (فيها) اى فى محل هبوب تلك الريح او فى تلك الليالى والايام ورجحه ابو حيان للقرب وصراحة الذكر (صرعى) موتى جمع صريع كقتلى وقتيل حال من القوم لان الرؤية بصرية والصريع بمعنى مصروع اى مطروح على الارض ساقطا لان الصرع الطرح وقد صرعوا بموتهم (كأنهم) كويا ايشان ازعظم اجسام (اعجاز نخل) بخهاء درخت خرما اند الكاف فى موضع الحال اما من القوم على قول من جوز حالين من ذى حال واحد اومن المنوى فى صرعى عند من لم يجوز ذلك اى مصروعين مشبهين باصول نخل كما قال فى القاموس العجز مثلثة وكتف وكندس وكتف مؤخر الشئ واعجاز النخل اصولها انتهى والنخل اسم جنس مفرد لفظا وجمع معنى واحد تهانخلة (خاوية) اصل الخوى الخلاء يقال خوى بطنه من الطعام اى خلا والمعنى متأكلة الاجواف خالية الاشئ فيها يعنى انهم متساقطون على الارض امواتا طوالا غلاظا كأنهم اصول نخل مجوفة بلا فروع شبهوا بها من حيث ان ابدانهم خوت وخلت من ارواحهم كالنخل الخاوية وقيل كانت الريح تدخل من افواههم فتخرج ما فى اجوافهم من اد بارهم فصاروا كالنخل الخاوية ففيه اشارة الى عظم خلقهم وضخامة اجسادهم ولذا كانوا يقولون من اشد منا قوة والى ان الريح ابلتهم فصاروا كالنخل الموصوفة وفيه اشارة الى ان اهل النفس موتى لاحياة حقيقية لهم لانهم قائمون بالنفس لابالله كما قال كأنهم خشب مسندة كأنهم اعجاز نخل اى اقوياء بحسب الصورة لامعنى فيهم ولاحياة ساقطة عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقى اذلا تقوم بالله والى ان النفس وصفاتها مجوفة ليس لها بقاء لان البقاء انما هو بفيض الروح يعنى ان الذى رش عليه من رطوبة الروح حى باذن الله وصلح قابلا للصفات الالهية والامات وفسد (فهل ترى لهم من باقية) الاستفهام لانكار الرؤية والباقية اسم كالبقية لاوصف والتاء للنقل الى الاسمية ومن زائدة وباقية مفعول ترى اى ماترى منهم بقية من صغارهم وكبارهم وذكورهم واناثهم غير المؤمنين و يجوز ان يكون صفة موصوف محذوف بمعنى نفس باقية اومصدرا بمعنى البقاء كالكاذبة والطاغية والبقاء ثبات الشئ على الحالة الاولى وهو يضاد الفناء * مقرر ست كه بودند برزمانه بسى * شهان تخت نشين خسرو ان شاه نشان * چوعاصفات قضا ازمهب قهروزيد * شدند خاك وازان خاك نيز نيست نشان * فعلى العاقل ان يجتهد حتى يبقى فى الدنيا بالعمر الثانى كما دل عليه قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام واجعل لى لسان صدق فى الآخرين على ان الحياة الباقية الحقيقية هى ماحصلت بالتجلى الالهى والفيض المالى الكلى نسأل الله سبحانه ان يفيض علينا سجال فيضه وجوده بحرمة اسمائه وصفاته ووجوب وجوده (وجاء فرعون) اى فرعون موسى افرده بالذكر لغاية علوه واستكباره (ومن قبله) ومن تقدمه من الكفرة غير عاد وثمود فهو من قبيل التعميم بعد التخصيص ومن موصولة وقبل نقيض بعد وقرأ ابو عمرو و يعقوب والكسائى قبله بكسر القاف وفتح الباء بمعنى ومن معه من القبط من اهل مصر (والمؤتفكات) اى قرى قوم لوط اى اهلها لانها عطف على ماقبلها من فرعون ومن قبله يقال افكه عن الشئ اى قلبه وائتفكت البلدة باهلها اى انقلبت والله تعالى قلب قرى قوم لوط عليهم فهى المنقلبات بالخسف وهى خمس قريات صعبه وصعده وعمره ودوما وسدوم وهى اعظم القرى ثم هذا من قبيل التخصيص بعد التعميم للتتميم لان قوم لوط اتوا بفاحشة ماسبقهم بها من احد من العالمين (بالخاطئة) الباء للملابسة او التعدية وهو الاظهر اى بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ العظيم التى من جملتها تكذيب البعث والقيامة فالخاطئة على الاول مصدر كالعاقبة وعلى الاخيرين صفة لمحذوف والبناء للنسبة على التجريد والاظهر انه من المجاز العقلى كشعر شاعر (فعصوا رسول ربهم) اى فعصى كل امة رسولهم حين نهاهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فارسول هنا بمعنى الجمع لان فعولا وفعيلا يستوى فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع فهو من مقابلة الجمع بالجمع المستدعية لانقسام الآحاد على الآحاد فالاضافة ليست للعهد بل للجنس (فأخذهم) اى الله تعالى بالعقوبة اى كل قوم

منهم (اخذة رابية) اى زائدة فى الشدة على عقوبات سائر الكفار او على القدر المعروف عند الناس لما زادت معاصيهم فى القبح على معاصى سائر الكفرة اغرق من كذب نوحا وهم كل اهل الارض غير من ركب معه فى السفينة وحمل مدائن لوط بعد ان نتقها من الارض على متن الريح بواسطة من امره بذلك من الملائكة ثم قلبها واتبعها الحجارة وخسف بها وغمرها بالماء المنتن الذى ليس فى الارض مايشبهه واغرق فرعون وجنوده ايضا فى بحر القلزم اوفى النيل وهكذا عوقب كل امة عاصية بحسب اعمالهم القبيحة وجوزيت جزاء وفاقا وفى كل ذلك تخويف لقريش وتحذير لهم عن التكذيب وفيه عبرة موقظة لاولى الالباب يقال ربا الشئ يربو اذا زاد ومنه الربا الشرعى وهو الفضل الذى ياخذه آكل الربا زائدا على ما اعطاه (انا لما طغى الماء) المعهود وقت الطوفان اى جاوز حده المعتاد حتى ارتفع على كل شئ خمسمائة ذراع وقال بعضهم ارتفع على ارفع جبل فى الدنيا خمسة عشر ذراعا اوحده فى المعاملة مع خزانه من الملائكة بحيث لم يقدروا على ضبطه وذلك الطغيان ومجاوزة الحد بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه فيما اوحى اليه من الاحكام التى من جملتها احوال القيامة فاغرقهم الله منهم بالاغراق (حملناكم) ايها الناس اى حملنا آباءكم وانتم فى اصلابهم فكأنكم محمولون باشخاصكم وفيه تنبيه على المنة فى الحمل لان نجاة آبائهم سبب ولادتهم (فى الجارية) يعنى فى سفينة نوح لان من شانها ان تجرى على الماء والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لامجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بامرنا وحفظنا من غير غرق وخرق وفيه تنبيه على ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى وانما السفينة سبب صورى (لنجعلها) اى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته فضمير لنجعلها الى الفعلة او القصة بدلالة مابعد الآية من الوعى (وقال الكاشفى) تاكردانيم آن كشتى رابراى شما پندى وعبرتى درنجات مؤمنان وهلاك كافران وفى كشف الاسرار تاآنرا يادكارى كنيم تاجهان بود وقد ادرك السفينة اوائل هذه الامة وكان الواحها على الجودى (وتعيها) اى تحفظها وبالفارسية ونكاه دارد اين پندرا والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك يقال وعيت العلم ووعيت ماقلته ومنه ماقال عليه السلام لاخير فى العيش الا لعالم ناطق ومستمع واع والايعاء ان تحفظه فى غير نفسك من وعاء يقال اوعيت المتاع فى الوعاء ومنه ماقال عليه السلام لاسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما لاتوعى فيوعى الله عليك ارضخى مااستطعت وقال الشاعر

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث مااوعيت من زاد

(اذن واعية) اى اذن من شأنها ان تحفظ مايجب حفظه بتذكره والتفكر فيه ولاتضيعه بترك العمل به يقال الوعى فعل القلب ولكن الآذان تؤدى الحديث الى القلوب الواعية فعبرت الآذان بهن القلوب (وفى البستان) وكرنيستى سعى جاسوس كوش * خبركى رسيدى بسلطان هوش * والتنكير والتوحيد حيث لم يقل الآذان الواعية للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم يعنى ان من وعى هذه القصة انما يعيها ويحفظها لاجل ان يذكرها للناس ويرغبهم فى الايمان المنجى ويحذرهم عن الكفر المردى فيكون سببا للنجاة والادامة المذكورتين قال فى الكشاف الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وان ماسواها لايبالى بهم وان ملأوا ما بين الخافقين وفى الحديث (افلح من جعل الله له قلبا واعيا) وعن النبى عليه السلام انه قال لعلى رضى الله عنه عند نزول هذه الآية سالت الله ان يجعلها اذنك ياعلى قال على فانسيت شيأ بعد وماكان لى ان انسى اذهو الحافظ للاسرار الالهية وقد قال ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة وفى رواية اخذ باذن على بن ابى طالب وقال هى هذه ذكره النقاش كرچه ناصح رابود صد داعيه * پندرا اذنى بايد واعيه * كرنبودى كو شهاء غيب كير * وحى ناوردى زكردون يك بشير * قال بعضهم تلك آذان اسمعها الله فى الازل خطابه فهى واعية تعى من الحق كل خطاب وعن ابى هريرة انه قيل له انك تكثر رواية الحديث وغيرك لايروى مثلك فقلت ان المهاجرين والانصار كان شغلهم عمل اموالهم وكنت امرأ مسكينا الزم رسول الله واقنع بقوتى وقال عليه السلام يوما من الايام

انه لن يبسط احد ثوبه حتى اقضى مقالتى ثم يجمع اليه ثوبه الا وعى ما اقول فبسطت نمرة على حتى اذا قضى مقالته جمعتها الى صدرى فانسبت من مقالته عليه السلام شيأ وفيه اشارة الى تأثير حسن المقال وفائدته والا لكان دعاؤه عليه السلام كافيا فى وعيه كما وقع لامير المؤمنين رضى الله عنه (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها والنفخ ارسال الريح من الفم و بالفارسية دميدن والصور قرن من نور اوسع من السموات ينفخ فيه اسرافيل بامر الله فيحدث صوت عظيم فاذا سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون الا من شاء الله والمصدر المبهم هو الذى يكون لمجرد التأكيد وان كان لا يقام مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب اذ لا يفيد امرا زائدا على مدلول الفعل الا انه حسن اسناد الفعل فى الآية الى المصدر وهو النفخة لكونها نفخا مقيدا بالوحدة والمرة لا نفخا مجردا مبهما والمراد بها ههنا النفخة الاولى التى لا يبقى عندها حيوان الا مات و يكون عندها خراب العالم لما دل عليه الجمل والدك الآتيان وفى الكشاف فان قلت هما نفختان فهلا قيل واحدة قلت معناه انهما لا تثنى فى وقتها انتهى يعنى ان حدوث الامر العظيم بالنفخة وعلى عقبها انما استعظم من حيث وقوع النفخ مرة واحدة لا من حيث انه نفخ فنبه على ذلك بقوله واحدة وفى كشف الاسرار ذكر الواحدة للتأكيد لان النفخة لا تكون الا واحدة (وحملت الارض والجبال) اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة والريح العاصفة فان الريح من قوة عصفها تحمل الارض والجبال كما حملت ارض وجود قوم عاد وجبال جسامهم مع هوادجها (فدكتا دكة واحدة) اى فضربت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال اثر رفعها بعضها ببعض ضربة واحدة بلا احتياج الى تكرار الضرب وتثنية الدق حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والا فالظاهر فدككن دكة واحدة لاسناد الفعل الى الارض والجبال وهى امور متعددة ونظيره قوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا حيث لم يقل كن والدك ابلغ من الدق وفى الصحاح الدك الدق وقد دككه اذا ضربه وكسره حتى سواه بالارض و بابه رد وفى المفردات الدك الارض اللينة السهلة ودكت الجبال دكا اى جعلت بمنزلة الارض اللينة ومنه الدكان (فيومئذ) اى فحينئذ وهو منصوب بقوله (وقعت الواقعة) هى من اسماء القيامة بالغلبة لتحقق وقوعها و بهذا الاعتبار اسند اليه وقعت اى اذا كان الامر كذلك قامت القيامة التى توعدون بها او نزلت النازلة العظيمة التى هى صيحة القيامة وهو جواب لقوله فاذا نفخ فى الصور و يومئذ بدل من اذا كرر لطول الكلام والعامل فيهما وقعت (وانشقت السماء) وانسمان برشكافت از طرف مجره يعنى انفرجت لنزول الملائكة لامر عظيم اراده الله كما قال يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا او بسبب شدة ذلك اليوم وهو معطوف على وقعت (فهى) اى السماء (يومئذ) ظرف لقوله (واهية) ضعيفة مسترخية ساقطة القوة جدا كالغزل المنقوض بعدما كانت محكمة مستمسكة وان كانت قابلة للخرق والالتيام يقال وهى البناء يهى وهيا فهو واه اذا ضعف جدا قال فى القاموس وهى كوعى وولى تخرق وانشق واسترخى رباطه وفى المفردات الوهى شق فى الاديم والثوب ونحوهما (والملك) اى الخلق المعروف بالملك وهو اعم من الملائكة الا ترى الى قولك ما من ملك الا وهو شاهد اعم من قولك ما من ملائكة (على ارجائها) اى جوانب السماء جمع رجى بالقصر وهى جملة حالية و يحتمل ان تعطف على ما قبلها كذا قالوا والمعنى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجأون الى اكنافها وحافاتها قالوا وقوفهم لحظة على ارجائها وموتهم بعدها فان الملائكة يموتون عند النفخة الاولى لا ينافى التعقيب المدلول عليه بالفاء وقد يقال انهم هم المستثنون بقوله الا من شاء الله اى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا الملائكة ونحوهم قال المولى الفناري فى تفسير الفاتحة فاذا وهت السماء نزلت ملائكتها على ارجائها فيرون اهل الارض خلقا عظيما اضعاف ما هم عليه عددا فيتخيلون ان الله نزل فيهم لما يرون من عظم الملائكة مما لم يشاهدوه من قبل فيقولون افيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا ليس فينا وهو آت فيصطف الملائكة صفا مستديرا على نواحى الارض محيطين بعالمى الانس والجن وهؤلاء هم عمار السماء الدنيا ثم ينزل اهل السماء الثانية بعد ما يقبضها الله ايضا و يرمى بكوكبها فى النار وهو المسمى كاتما وهم اكثر عددا من اهل السماء الدنيا فيقول الخلائق افيكم ربنا فيفزع الملائكة فيقولون سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فيفعلون فعل الاولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفا ثانيا مستديرا ثم ينزل اهل السماء الثالثة و يرمى بكوكبها المسمى زهرة فى النار فيقبضها الله بيمينه فيقول

الخلائق افيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فلا يزال الامر هكذا سماء بعد سماء حتى ينزل اهل السماء السابعة فيرون خلقا اكثر من جميع من نزل فيقول الخلائق افيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا قد جاء ربنا وان كان وعد ربنا لمفعولا فيأتي الله في ظلل من الغمام والملائكة على المجنبة اليسرى منهم ويكون اتيانه اتيان الملك فانه يقول ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم فسمي بالملك ويصطف الملائكة عليه سبعة صفوف محيطة بالخلائق فاذا ابصر الخلائق جهنم لها فوران وتغيظ على الجبابرة المتكبرين يفرون بأجمعهم منها لعظم ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفزع الاكبر الا الطائفة التي لا يحزنهم الفزع الاكبر فتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون فهم الآمنون مع النبيين على انفسهم غير ان النبيين يفزعون على امتهم للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون في ذلك سلم سلم وكان قدام ان ينصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف فيجلسون عليها آمنين مبشرين وذلك قبل مجيء الرب تعالى فاذا فزع الناس خوفا من جهنم يجدون الملائكة صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحق سبحانه وتعالى الى الحشر فينادي انبياؤهم ارجعوا ارجعوا او ينادي بعضهم بعضا فهو قول الله تعالى فيما يقول رسول الله عليه السلام اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم انتهى يقول الفقير دل هذا البيان على ان المراد بالوهي سقوط السماء على الارض التي تسمى بالساهرة وان نزول الملائكة على ارجاء السماء لا يكون يوم يقوم الناس من قبورهم بالنفخة الثانية وان ذكر في اثناء النفخة الاولى كما دل عليه ما بعد الآية من حمل العرش والارض اللذين انما يكونان بعد النفخة الثانية وان معنى نزولهم طرد الخلق ونحوه كما قال تعالى لا تنفذون الا بسلطان اي لا تقصدون مهربا الا وهناك لي اعوان ولي به سلطان (ويحمل عرش ربك) وهو الفلك التاسع وهو جسم عظيم لا يعلم عظمه الا الله تعالى لانه في الآفاق بمنزلة القلب في الانفس والقلب اوسع شيء لما وسع الله كما في الحديث وكان عرش الرحمن والفائدة في ذكر العرش عقيب ما تقدم ان العرش بحاله خلاف السماء والارض ولذلك لا يفنى وايضاله وجه آخر سيأتي وعن علي بن الحسن رضي الله عنهما قال ان الله خلق العرش رابعا لم يخلق قبله الا ثلاثة الهواء والقلم والنور ثم خلق العرش من انوار مختلفة من ذلك نورا خضر منه اخضرت الخضرة ونورا صفر منه اصفرت الصفرة ونورا حمر منه احمرت الحمرة ونورا بيض وهو نورالانوار ومنه ضوء النهار قال بعض الكبار الانوار اربعة على عدد المراتب الاربع فاذا اعطى الانوار يعطى في مرتبة الطبيعة نورا اسود وفي مرتبة النفس نورا احمر وفي مرتبة الروح نورا اخضر وفي مرتبة السر نورا ابيض (فوقهم) اي فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية اي يحملون العرش فوق انفسهم فالمحمول لا يلزم ان يكون فوق الحامل فقد يكون في يده وقد يكون في جيبه فكل واحد من قوله فوقهم ويومئذ ظرف لقوله يحمل حينئذ واما على التقدير الاول فالظاهر ان فوقهم حال من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة (يومئذ) اي يوم القيامة (ثمانية) من الملائكة عن النبي عليه السلام هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى فيكونون ثمانية قال بعض العلماء الاربعة اللاحقة اشارة الى الائمة الاربعة الذين هم ابو حنيفة والشافعي ومالك واحمد لانهم اليوم حملة الشرع فاذا كان يوم القيامة انقلب الشرع العرش فيكونون من حملته حكما وروى ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون قال عليه السلام اذن لي ان احدث عن ملك من حملة العرش من شحمة اذنه الى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول سبحانك حيث كنت قال يحيى بن سلام بلغني ان اسمه زوقيل وعن الحسن البصري قدس سره ثمانية اي ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله يقول الفقير الانسب هو الاول لكونه ادخل في العظمة والهيبة واظهار القدرة ولان الاركان اربعة كاركان الكعبة واركان القلب اذ في يمين القلب الروح والسر وفي يساره النفس والطبيعة وباعتبار الظاهر والباطن يحصل ثمانية آلاف اذ الالف تفصيل الواحد بحيث لا تفصيل وراءه الا باعتبار التضعيف والله اعلم ومر في اوائل سورة حم المؤمن بعض ما يتعلق بهذا المقام فلا نعيده وفي التأويلات النجمية يشير الى عرش الذات الحاملة للصفات الثمانية الذاتية الغيبية التي هي مفاتيح الغيب الموصوفة بحمل ذوات الصفات والصفات تحمل ظهورات الصفات فافهم (يومئذ) العامل فيه قوله (تعرضون) على الله اي تسألون تحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان

العسكر لتعرف احوالهم يقال عرض الجند اذا امرهم عليه ونظر ماحالهم والخطاب عام للكل على التغليب (روى) ان فى يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا العرض وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسم لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل كما تقول جئت عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من اوقاته وذهب المشبهة من حمل العرش والعرض الى كونه تعالى محمولا حاضرا فى العرش واجيب بانه تمثيل لعناية الله بما يشاهد من احوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فيكون المراد من اتيانه تعالى فى ظلل من الغمام اتيان امره وقضائه واما حديث التحول فمحمول على ظهوره تعالى فى مرتبة الصفات ولا مناقشة فيه لان النبى عليه السلام رآه ليلة المعراج فى صورة شاب امرد لان الصورة الانسانية اجمع الصور ومثله الرؤيا المنامية والله تعالى منزه فى ذاته عن اوصاف الجسمانيات (لا تخفى منكم خافية) حال من مرفوع تعرضون ومنكم كان فى الاصل صفة لخافية قدم للفاصلة فتحول حالا اى تعرضون غير خاف عليه تعالى فعلة خفية اى سر من اسراركم وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل وغير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر فقوله منكم يتعلق بما قبله وما بعده على التجاذب (قال فى الكشاف) خافية اى سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا بستر الله عليكم والسر والسريرة الذى يكتم ويخفى فتظهر يوم القيامة احوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر احوال غيرهم فيحصل الحزن والافتضاح ففى الآية زجر عظيم عن المعصية لتأديها الى الافتضاح على رؤس الخلائق فقلب الانسان ينبغى ان يكون بحال لو وضع فى طبق وادير على الناس لما وجد فيه مايورث الخجالة وهو صفة اهل الاخلاص والنصيحة (فاما) تفصيل لاحكام العرض (من) موصولة (اوتى كتابه) اى مكتوبه الذى كتبت الحفظة فيه تفاصيل اعماله (بيمينه) تعظيما له لان اليمين يتيمن بها والباء بمعنى فى او للالصاق وهو الاوجه والمراد منهم الابرار فان المقربين لا كتاب لهم ولا حساب لهم لمكانتهم من الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه السلام قال اول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فابن ابو بكر فقال هيهات زفته الملائكة الى الجنة يقول الفقير لعل هذا مكافاته حين اخذ سيفه بيده وخرج من دار الارقم وهو يظهر الاسلام على ملأ من قريش فبسيفه ظهر الاسلام فرضى الله عنه وعن محبيه وفى الحديث اثبت احد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وكان عليه رسول الله عليه السلام وابو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فتحرك فقاله دل الحديث على ان رتبة ابى بكر فوق رتبة غيره لان الصديقية تلى النبوة (فيقول) فرحا وسرورا فانه لما اوتى كتابه بيمينه علم انه من الناجين من النار ومن الفائزين بالجنة فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله (هاؤم اقرأوا كتابيه) اى خذوا يا اهل بيتى وقرابتى واصحابى كتابى وتناولوه اقرأوا كتابى زيرا دراينجا عملى نيست كه ازا ظهار ان شرم دارم ودر تبيان اورده كه اين كتاب ديگر است بغير كتاب اعمال كه نوشته ودراو بشارت جنت است و پس چه كتاب حفظ ميان بنده وخداوندست وكسى ازانه بيند ونه خواند وفى الخبر حسنات المؤمن فى ظاهر كتابه وسيئاته فى باطنه لايراها الاهو فاذا انتهى يرى مكتوبا فقد غفرتها لك فاقلب فيرى فى الظاهر قد قبلتها منك فيقول من فرط السرور هاؤم اقرأوا كتابيه اى هلموا اصحابى كما فى عين المعانى يقال هاء يا رجل بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسرها وهاؤما يا رجلان او يا امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة بمعنى خذ خذا خذوا خذى خذا خذن ومفعوله محذوف وكتابى مفعول اقرأوا لانه اقرب العاملين فهو اقوى لكونه بمنزلة العلة القريبة واصله هاؤم كتابى اقرأوا كتابى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه ونظيره آتونى افرغ عليه قطرا والهاء للوقف والاستراحة والسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل كما هو الاصل فى هاء السكت لانها انما جيئ بها حفظا للحركة اى لتحفظ حركة الموقوف عليه اذ لولاها لسقطت الحركة فى الوقف فتثبت حال الوقف اذ لا حاجة اليها حال الوصل فلذلك كان حقها ان تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل الا ان القراء السبعة اتفقوا فى كل المواضع على اثباتها وقفا ووصلا اجراء للوصل مجرى الوقف واتباعا لرسم الامام فانها ثابتة فى المصحف فى كل المواضع وهى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وماهيه فى القارعة وما كان ثابتا فيه لابد ان يكون مثبتا فى اللفظ الا ان حمزة اسقط الهاء من ثلاث كلم وصلا وهى ماليه وسلطانيه وماهيه واثبتها وقفا على الاصل

ولم يعمل بالاصل فى كتابه وحسابيه واثبتها فى الحالين جمعا بين اللغتين وتبين من هذا التقرير ان المستحب ايثار الوقف اتباعا للوصل وان اثباتها وصلا انما هو لاتباع المصحف قال فى القاموس هاء السكت هى اللاحقة لبيان حركة او حرف نحو ماهيه وهاهناه واصلها ان يوقف عليها اور بما وصلت بنية الوقف انتهى وهذه الهاء لا تكون الا ساكنة وتحريكها لحن اى خطأ لانه لا يجوز الوقف على المتحرك وهاء السكت فى القرآن فى سبعة مواضع فى لم يتسنه وفى فبهداهم اقتده وفى كتابيه وفى حسابيه وفى ماليه وفى سلطانيه وفى ماهيه واما الهاء التى فى القاضية وفى هاوية وحاوية وثمانية وعالية ودانية وامثالها فللتأنيث فيوقف عليهن بالهاء ويوصلن بالتاء (انى ظننت انى ملاق حسابيه) الحساب بمعنى المحاسبة وهو عد اعمال العباد فى الآخرة خيرا وشرا للمجازاة اى علمت وايقنت انى مصادف حسابى فى ديوان الحساب الالهى وانى احاسب فى الآخرة يعنى دانستم وايمان آوردم كه مراحساب خواهند كرد وازا آماده ومنهيئ شدم قال الراغب الظن اسم لما يحصل من امارة ومتى قويت ادت الى العلم ومتى ضعفت جدا لم تجاوز حد التوهم انتهى ومنه يعلم قول من قال سمى اليقين ظنا لان الظن يلد اليقين انتهى وانما فسر الظن بالعلم لان البعث والحساب مما يجب بهما الايمان ولا ايمان بدون اليقين قال سعدى المفتى وفيه بحث فان ايمان المقلد نواعتبار وصرحوا بان الظن الغالب الذى لا يخطر معه احتمال النقيض يكفى فى الايمان ثم انه يجوز ان يكون المراد ما حصل له من حسابه اليسير ولا يقين به لوجوب ان يكون المؤمن بين الخوف والرجاء والمراد انى ظننت انى ملاق حسابى على الشدة والمناقشة لما سلف منى من الهفوات والآن ازال الله عنى ذلك وفرج همى انتهى بقول الفقير هذا عدول عما عليه ظاهر القرآن فان الظن فى مواضع كثيرة منه بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى حكاية قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله وهم المؤمنون بالآخرة وفى قوله تعالى وظن داود انما فتناه اى علم وايقن بالعلامة القوية قال القاضى ولعل التعبير عن العلم بالظن للاشعار بانه لا يقدح فى الاعتقاد وما يهجس فى النفس من الخطرات التى لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا يعنى ان الظن استعير للعلم الاستدلالى لانه لا يخلوا عن الخطرات والوساوس عند الذهول عما قاد اليه من الدليل للاشعار المذكور واما العلوم الضرورية والكشفية فعارية عن الاضطراب وفى الكشاف وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن اغلب يقام مقام العلم فى العادات والاحكام ويقال الظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت (فهو) اى من اوتى كتابه بيمينه (فى عيشة) نوع من العيش وهو بالفتح وكذا العيشة والمعاش والمعيش والعيشوشة بالفارسية زيستن قال بعض العلماء اذا كسر العين من العيش يلزمه التاء كما فى عيشة والعيش الحياة المختصة بالحيوان وهو اخص من الحياة لان الحياة تقال فى الحيوان وفى البارى وفى الملك ويشتق منه المعيشة لما يتعيش منه قال عليه السلام لا عيش الا عيش الآخرة (راضية) ذات رضى يرضاها من يعيش فيها على النسبة بالصيغة فان النسبة نسبتان نسبة بالحرف ككى ومدنى ونسبة بالصيغة كلابن وتامر بمعنى ذى لبن وذى تمر ويجوزان يجعل الفعل لها وهو لصاحبها فيكون من قبيل الاسناد المجازى ومآل الوجهين كون العيشة مرضية والى ما ذكرنا يرجع قول من قال راضية فى نفسها فكانها لرغادتها قد رضيت بما هى فيه مجازا او بمعنى مرضية كماء دافق اى مدفوق انتهى وفى التأويلات النجمية راضية هنيئة مريئة صافية عن شوائب الكدر طاهرة عن نوائب الحذر وبالفارسية درزندكانى باشد پسنديده صافى از كدورت ومقرون بحرمت وحشمت وذلك اى كون العيشة مرضية لاشتمالها على امور ثلاثة الاول كونها منفعة صافية عن الشوائب والثانى كونها دائمة لا يتطرق زوالها وانقطاعها والثالث كونها بحيث يقصد بها تعظيم من رضى بها واكرامه والا يكون استهزاء واستدراجا وعيشة من اعطى كتابه بيمينه جامعة لهذه الامور فتكون مرضيا بها كمال الرضى قال ابن عباس رضى الله عنهما يعيشون فلا يموتون ويصحون فلا يمرضون وينعمون فلا يرون بؤسا ابدا (فى جنة عالية) مرتفعة المكان لانها فى السماء كان النسار سافلة لانها تحت الارض او الدرجات او الابنية والاشجار فيكون عالية من الصفات الجارية على غير من هى له وهو بدل من عيشة باعادة الجار ويجوز كونه متعلقا بعيشة راضية اى يعيش عيشا مرضيا فى جنة عالية (قطوفها) ثمراتها جمع قطف بالكسر وهو ما يقطف ويجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر قال سعدى المفتى اعتبار السرعة فى مفهوم القطف محل كلام قال ابن الشيخ معنى السرعة قطع الكل مرة وفى القاموس القطف بالكسر العنقود واسم للثمار المقطوفة انتهى فلا حاجة الى ان يقال غلب هنا فى جميع ما يجتنى من الثمرة عنبا كان او غيره (دانية)

من الدنو وهو القرب اى قريبة من مريديها يعنى خوشه هاى ان ازدست چيننده نزديك بنالها القائم والقاعد والمضطجع من غير تعب وقيل لايتأخر ادراكها انتهى واذا اراد ان تدنو الى فيه دنت بخلاف ثمار الدنيا فان فى قطفها وتحصيلها تعبا ومشقة غالبا وكذا لاتؤكل الا بمزاولة اليد يقول الفقير اشجار الجنة على صورة الانسان يعنى ان اصل الانسان رأسه وهى فى طرف العلو ورجله فرعه مع انها فى طرف السفل فكذلك اصول اشجار الجنة فى طرف العلو واغصانها متدلية الى جانب السفل ولذا يرون تعبا فى القطف على ان نعيم الجنة تابع لارادة المنعم به فيتصرف فيه كيف يشاء من غير مشقة (كلوا واشربوا) باضمار القول والجمع بعد قوله فهو باعتبار المعنى والامر امر امتنان واباحة لامر تكليف ضرورة ان الآخرة ليست بدار تكليف وجمع بين الاكل والشرب لان احدهما شقيق الآخر فلا ينفك عنه ولذا لم يذكر هنا الملابس وان ذكرت فى موضع آخر يقال لمن اوتى كتابه بيمينه كلوا من طعام الجنة وثمارها واشربوا من شرابها مطلقا (هنيئا) اكلا وشربا هنيئا اى سائغا لاتنغيص فيه فى الحلقوم وبالفارسية خوردنى وآشاميدنى كوارنده وجعل الهنيء صفة لهما لان المصدر يتناول المثنى ايضا من هنأ الطعام والشراب وهنئ يهنأ ويهنؤ يهنؤ هناءة وهناء اى صار هنيئا سائغا فهو هنيء ومنه اليهنيء المشتهر فى اللسان التركى فى اللحم المطبوخ ويستعمله العجم بالخاء المعجمة بدل الهاء كما قال فى المثنوى * وين پزاز بهر ميان روزرا * يخنئ باشد شه فيروزرا * واسناد الهناءة الى الاكل والشرب مجاز للمبالغة لانها للمأكول والمشروب وقولهم هنيئا عند شرب الماء ونحوه بمعنى صحة وعافية لان السائغ محظوظ منه بسبب الصحة والعافية غالبا (بما اسلفتم) بمقابلة ماقدمتم من الاعمال الصالحة او بدله او بسببه ومعنى الاسلاف فى اللغة تقديم ماترجو أن يعود عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف فى كذا اذا قدم فيه ماله (فى الايام الخالية) اى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام فيكون المعنى كلوا واشربوا بدل ماامسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله فى ايام الصيام لاسيما فى الايام الحارة وهو الاولى لان الجزاء لابد وان يكون من جنس العمل وملائما له كما قال بعض الكبار لم يقل اشهدوا ولا اسمعوا وانما جوزوا من حيث عملوا ونظيره فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وقوله ان تسخروا منا فانا نسخر منكم ونظائر ذلك ورؤى بعضهم فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمنى وقال كل يامن لم يأكل واشرب يامن لم يشرب فلم يقل كل يامن قطع الليل تلاوة واشرب يامن بثت يوم الزحف فان هذا مالا تعطيه الحكمة كما فى مواقع النجوم (وروى) يقول الله ياأولياءى طالما غارت البكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية * قوله قلصت من الباب الثانى يقال قلص الظل اى نقص والماء اى ارتفع فى البئر والشفة اى انزوت والثوب اى انزوى بعد البسل ومصدر الجميع القلوص والتركيب يدل على انضمام شئ بعضه الى بعض وخمصه الجوع خمصا ومخمصة من الباب الاول يقال مارأيت كردو يراكر سنكى وفيه اشارة الى ايام الازل الخالية عن الاعمال والعلل والاسباب اى كلوا من نعيم الوصل واشربوا من شراب الفيض بما اسلفه الله لكم فى الازل والقدم من العناية اذ بتلك العناية قمتم مع الحق فى جميع الاحوال * چون حسن عاقبت نه بندى وزاهد بست * آنرا كه كار خود بنهايت رها كنند (واما من اوتى كتابه بشماله) تحقيرا له لان الشمال يتشاءم بها بان تلوى يسراه الى خلف ظهره فيأخذه بها ويرى مافيه من قبائح الاعمال (فيقول) تحزنا وتحسرا وخوفا مما فيه وهو من قبيل الالم الروحانى الذى هو اشد من الالم الجسمانى (يا) هؤلاء يامعشر المحشر (ليتنى) كاشكى من وهو ممتنع للمحال (لم اوت) متكلم مجهول من الايتاء بمعنى لم اعط (كتابيه) هذا الذى جمع جميع سيئاتى (ولم ادر) متكلم من الدراية بمعنى العلم (ماحسابيه) لما شاهد من سوء العاقبة وبالفارسية كاشكى ندانستمى امر وزچيست حساب من چه حاصلى نيست مرا نراجز عذاب وشدت ومحنت فاستفهامية معلق بها الفعل عن العمل ويجوز ان تكون موصولة بتقدير المبتدأ فى الصلة (ياليتها) تكرير للتمنى وتجديد للتحسر أى ياليت الموتة التى متها وذقتها وذلك ان الموتة وان لم تكن مذكورة الا انها فى حكم المذكور بدلالة المقام (كانت القاضية) اى القاطعة لامرى وحياتى ولم ابعث بعدها ولم الق ماالقى يتمنى عند مطالعة كتابه ان تدوم عليه الموتة الاولى وانه لايبعث للحساب ولايلقى ماأصابه من الخجالة وسوء العاقبة ويجوز ان يكون ضمير ليتها لما شاهد من الحالة اى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على بتمنى ان يكون بدل تلك الحالة الموتة القاطعة

للحياة لما انه وجد تلك الحالة امر من الموت فتمناه عندها وكان فى الدنيا اشد كراهية للموت قال الشاعر

وشر من الموت الذى ان لقيته * تمنيت منه الموت والموت اعظم

(ما اغنى عنى) اى لم يدفع عنى شيأ من عذاب الآخرة على ان ما نافية والمفعول محذوف (ماليه) اى الذى كان لى فى الدنيا من المال والاتباع على ان ما موصولة واللام جارة داخلة على ياء المتكلم ليعم مثل الاتباع فانه اذا كان اسما مضافا الى ياء المتكلم لم يعم وفى الكشاف ما اغنى نفى واستفهام على وجه الانكار اى اى شئ اغنى عنى ما كان لى من اليسار انتهى حتى ضيعت عمرى فيه اى لم ينفعنى ولم يدفع عنى شيأ من العذاب فالاستفهامية منصوبة المحل على انها مفعول اغنى يقول الفقير الظاهر ان ماليه هو المال المضاف الى ياء المتكلم اى لم يغن عنى المال الذى جمعته فى الدنيا شيأ من العذاب بل الهانى عن الآخرة وضرنى فضلا عن ان ينفعنى وذلك ليوافق قوله تعالى ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ وقوله وما يغنى عنه ماله اذا تردى وقوله ما اغنى عنه ماله وما كسب ونظائر ذلك فاذهب اليه اكثر اهل التفسير من التعميم عدول عما ورد به ظاهر القرآن (هلك عنى سلطانيه) قال الراغب السلاطة التمكن من القهر ومنه سمى السلطان والسلطان يقال فى السلاطة نحو قوله تعالى فقد جعلنا لوليه سلطانا وقد يقال لذى السلاطة وهو الاكثر وسميت الحجة سلطانا وذلك لما لحق من الهجوم على القلوب لكن اكثر تسلطه على اهل العلم والحكمة من المؤمنين وقوله هلك عنى سلطانيه يحتمل السلطانين انتهى والمعنى هلك عنى ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا اوضلت عنى حجتى كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ومعناه بطلت حجتى التى كنت احتج بها عليهم فى الدنيا وبالفارسية كم كشت از من حجتى كه دردنيا چنك دران زده بودم ورجح هذا المعنى بان من اوتى كتابه بشماله لا اختصاص له بالملوك بل هو عام لجميع اهل الشقاوة يقول الفقير قوله تعالى ما اغنى عنى ماليه يدل على الاول على ان فيه تعريضا نحو الوليد من رؤساء قريش واهل ثروتهم ويجوز ان يكون المعنى تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات وذلك لان كل احد كان له سلطان على نفسه وماله وجوارحه يزول فى القيامة سلطانه فلا يملك لنفسه نفعا (خذوه) حكاية لما يقوله الله يومئذ لخزنة النار وهم الزبانية الموكلون على عذابه والهاء راجع الى من الثانى اى خذوا هذا العاصى لربه (فغلوه) بلا مهلة اى اجمعوا يديه الى عنقه بالقيد والحديد وشدوه به يقال غل فلان وضع فى عنقه او يده الغل وهو بالضم الطوق من حديد الجامع لليد الى العنق المانع عن تحرك الرأس وبالفتح دست باكردن بستن وفى الفقد وكره جعل الغل فى عنق عبده لانه عقوبة اهل النار وقال الفقيه ان فى زماننا جرت العادة بذلك اذا خيف من الاباق كما فى الكبرى بخلاف التقييد فانه غير مكروه لانه سنة المسلمين فى المتمردين (ثم الجحيم صلوه) دل التقديم على التخصيص والمعنى لا تصلوه اى لا تدخلوه الا الجحيم ولا تحرقوه الا فيها وهى النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس قال سعدى المفتى فيكون مخصوصا بالمتعظمين وفيه بحث انتهى وقدم جوابه (ثم فى سلسلة) من نار وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة والجار متعلق بقوله فاسلكوه والفاء ليست بمانعة عن التعلق (ذرعها) طولها وبالفارسية كزان والذراع ككتاب ما يذرع به حديدا اوقضيبا وفى المفردات الذراع العضو المعروف ويعبر به عن المذروع والممسوح يقال ذراع من الثوب والارض والذرع يهمزون قوله ذرعها مبتدأ خبره قوله (سبعون) والجملة فى محل الجر على انها صفة سلسلة وقوله (ذراعا) تمييز (فاسلكوه) السلك هو الادخال فى الطريق والخيط والقيد وغيرها ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين العذابين الغل وتصلية الجحيم وما بينهما وبين السلك فى السلسلة فى الشدة لا على تراخى المدة يعنى ان ثم اخرج عن معنى المهلة لاقتضاء مقام التهويل ذلك اذ لا يناسب التوعد بتفرق العذاب قال ابن الشيخ ان كلتى ثم والفاء ان كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفى العطف وتواردهما على معطوف واحد ولا وجه له فينبغى ان يكون كلمة ثم لعطف مضمر على مضمر قبل قوله خذوه اى قيل لخزنة النار خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم قيل لهم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فيكون الفاء لعطف المقول على المقول مع افادة معنى التعقيب وكلمة ثم لعطف القول على القول مع الدلالة على ان الامر الاخير اشد وهول مما قبله من الاوامر مع تعاقب المأمور بها من الاخذ وجعل يده مغلولة الى عنقه وتصلية الجحيم وسلكهم اياه فى السلسلة الموصوفة والمعنى فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وتجعلوه محاطا بها فهو فيما بينها مرهق مضيق عليه

لا يستطيع حراكا كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل النار يكونون فى السلسلة كما يكون الثعلب فى الجلبة والثعلب طرف خشبة الرمح الداخل فى جلبة السنان وهى الدرع وذلك انما يكون رهقا اى غشية وبالفارسية پس درآريد اورادران يعنى درجسد او پيچيد محكم تاحركت نتواند كرد وتقديم السلسلة على السلك كتقديم الجحيم على التصلية فى الدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به اى لا تسلكوه الا فى هذه السلسلة لانها افظع من سائر مواضع الارهاق فى الجحيم وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد فهو كناية عن زيادة الطول لشيوع استعمال السبعة والسبعين و السبعمائة فى التكثير وقال سعد المفتى الظاهر انه لامنع من الحمل على ظاهره من العدد قال الكاشفى يعنى بذراع ملك كه هرزراعى هفتاديا عست وهر باعى ازكوفه تامكه وقال بعض المفسرين هى بالذراع المعروفة عندنا وانما خوطبنا بما نعرفه ونحصله وقال الحسن قدس سره الله اعلم باى ذراع هى وعن كعب لو جمع حديد الدنيا وزن حلقة منها او وضعت منها حلقة على جبل لذاب مثل الرصاص تدخل السلسلة فى فيه وتخرج من دبره ويلوى فضلها على عنقه وجسده ويقرن بها بينه وبين شيطانه يقول الفقير هذا يقتضى ان يكون ذلك عذاب الكافر لان جسده يكون فى العظم مسيرة ثلاثة ايام وضرسه مثل جبل احد على ما جاء فى الحديث وعن النبى عليه السلام قال لوان رضراضة اى صخرة قدر رأس الرجل وفى رواية لو أن رضراضة مثل هذه واشار صخرة مثل الجمجمة سقطت من السماء الى الارض وهى خمسمائة عام لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من رأس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ اصلها وقعرها قال الشراح اللام فى السلسلة فى هذا الحديث للعهد اشارة الى السلسلة التى ذكرها الله فى قوله ثم فى سلسلة الخ (روى) ان شابا قد حضر صلاة الفجر مع الجماعة خلف واحد من المشايخ فقرأ ذلك الشيخ سورة الحاقة فلما بلغ الى قوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه صاح الشاب وسقط وغشى عليه فلما اتم الشيخ صلاته قال من هذا قالوا هو شاب صالح خائف من الله تعالى وله والدة عجوز ليس لها غيره قال الشيخ ارفعوه واحملوه حتى نذهب به الى امه ففعلوا ما امر به الشيخ فلما رأت امه ذلك فزعت واقبلت وقالت ما فعلتم بابنى قالوا ما فعلنا به شيأ الا انه حضر الجماعة وسمع آية مخوفة من القرآن فلم يطق سماعها فكان هكذا بامر الله فقالت اية آية هى فاقرأوها حتى اسمع فقرأوها الشيخ فلما وصلت الآية الى سمع الشاب شهق شهقة اخرى خرجت معها روحه بأمر الله فلما رأت الام ذلك خرت ميتة وفى التأويلات النجمية قوله ثم فى سلسلة الخ يشير الى كثرة اخلاقه السيئة واوصافه الرديئة واحكام طبيعته الظلمانية اذهى يوم القيامة كلها سلاسل العذاب واغلال الطرد والحجاب (انه) بدرستى كه اين كس كانه قيل ماله يعذب بهذا العذاب الشديد فاجيب بانه (كان لا يؤمن بالله العظيم) وصفه تعالى بالعظم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات (ولا يحض على طعام المسكين) الحض الحث على الفعل بالحرص على وقوعه قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك واصله من الحث على الحضيض وهو قرار الارض والمعنى ولا يحث اهله وغيرهم على اعطاء طعام يطعم به الفقير فضلا عن ان يعطى ويبذل من ماله على ان يكون المراد من الطعام العين فاضمر مثل اعطاء او بذل لان الحث والتحريض لا يتعلق بالاعيان بل بالاحداث واضيف الطعام الى المسكين من حيث ان له اليه نسبة اوالمعنى ولا يحثهم على اطعامه على ان يكون اسما وضع موضع الاطعام كما يوضع العطاء موضع الاعطاء فالاضافة الى المفعول وذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل يعنى يكون ترك الفعل اشد فى ان يكون سبب المؤاخذة الشديدة وجعل حرمان المسكين قرينة للكفر حيث عطفه عليه للدلالة على عظم الجرم ولذلك قال عليه السلام البخل كفر والكافر فى النار فتخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح القبائح الكفر واشنع الرذائل البخل والعطف للدلالة على ان حرمان المسكين صفة الكفرة كما فى قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلا يلزم ان يكون الكفار مخاطبين بالفروع وفى عين المعانى وبه تعلق الشافعى فى خطاب الكفار بالشرائع ولا يصح عندنا لان توجيه الخطاب بالامر ولا امر ههنا على انه ذكر الايمان مقدما وبه نقول انتهى وقال ابن الشيخ فيه دليل على تكليف الكفار بالفروع على معنى انهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم اقامة الصلاة وايتاء الزكاة

والانتهاء عن الفواحش والمنكرات لاعلى معنى انهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام اهلية الادآء فيهم لان مدارا هلية الادآء هو استحقاق الثواب بالادآء ولاثواب لاعمال الكفار واهلية الوجوب لا تستلزم اهلية الادآء كما تقرر فى الاصول انتهى والحاصل ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤآخذة لاغير وعن ابى الدردآء رضى الله عنه انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلانخلع نصفها الآخر بالاطعام والحض عليه * جوى بازدارد بلاى درشت * عصابى شنيدى كه عوجى بكشت * كسى نيك بيند بهر دوسراى * كه نيكى رساند بخلق خداى (فليس له اليوم) وهو يوم القيامة (ههنا) اى فى هذا المكان وهو مكان الاخذ والنار (حميم) اى قريب نسبا اوودا يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه كقوله ولايسأل حميم حميما وقال فى عين المعانى قريب يحترق له قلبه من حميم الماء وقال القاشانى لاستيحاشه من نفسه فكيف لايستوحش غيره منه وهو من تتمة مايقال للزبانية فى حقه إعلاما بانه محروم من الرحمة وحنانهم على بطشه (ولاطعام الامن غسلين) قال فى القاموس الغسلين بالكسر مايغسل من الثوب ونحوه كالغسالة ومايسيل من جلود اهل النار والشديد الحر وشجر فى النار انتهى والمعنى ولاطعام الامن غسالة اهل النار ومايسيل من ابدانهم من الصديد والدم بعصر قوة الحرارة النارية وبالفارسية زردابه وريمى كه ازتنهاء ايشان ميرود (روى) انه لووقعت قطرة منه على الارض لافسدت على الناس معايشهم يقال للنار دركات وللكل دركة نوع طعام وشراب وسيجيئ وجه التلفيق بينه وبين قوله ليس لهم طعام الامن ضريع فى الغاشية وهو فعلين من الغسل فاليآء والنون زائدتان وفى الكواشى نونه غير زائدة وهو شجر فى النار وهو من اخبث طعامهم والظاهر ان الاستثناء متصل ان جعل الطعام شاملا للشراب كما فى قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه منى فانهم فسروه بمن لم يذقه من طعم الشئ اذاذاقه مأكولا كان اومشروبا (لايأكله الا الخاطئون) صفة غسلين والتعبير بالاكل باعتبار ذكر الطعام اى لايأكل ذلك الغسلين الا الاثمون اصحاب الخطايا وهم المشركون كماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد جوزان يرادبهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله من خطئ الرجل من باب علم اذاتعمد الخطأ اى الذنب فالخاطئ هو الذى يفعل ضد الصواب متعمدا لذلك والمخطئ هو الذى يفعله غير متعمد اى يريد الصواب فيصير الى غيره من غير قصد كما يقال المجتهد قد يخطئ وقد يصيب وفى عين المعانى الخاطئون طريق التوحيد وفى التأويلات النجمية ولايحض مساكين الاعضاء والجوارح بالاعمال الصالحات والاقوال الصادقات والاحوال الصافيات فليس له اليوم ههنا من يعينه ويؤنسه لان المؤنس ليس الا الاعمال والاحوال ولاطعام لنفسه المبشومة الاغسالة اعماله وافعاله القبيحة الشنيعة لايأكله الا المتجاوزون عن اعمال الروح والقلب القاصدون مراضى النفس والهوى متبعون للشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية (فلااقسم) اى فأقسم على ان لامزيدة للتأكيد واماحمله على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم فيرده تعيين المقسم به بقوله بما الخ وقال بعضهم هو جملتان والتقدير وماقاله المكذبون فلايصح اذهو قول باطل ثم قال اقسم (بمانبصرون ومالاتبصرون) قسم عظيم لانه قسم بالاشياء كلها على سبيل الشمول والاحاطة لانها لاتخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فالمبصر المشاهدات وغير المبصر المغيبات فدخل فيهما الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة وغير ذلك مما يكون لائقا بأن يكون مقسما به اذمن الاشياء مالايليق بأن يكون مقسما به واليه الاشارة بقول القاشانى اى الوجود كله ظاهرا وباطنا وبقول ابن عطاء آثار القدرة واسرارها وبقول الشيخ نجم الدين بمانبصرون من المشهودات والمحسوسات بابصار الظواهر ومالاتبصرون من المغيبات ببصائر البواطن يعنى بالمظاهر الاسمائية والمظاهر الذاتية وبقول الحسين اى بماأظهر الله للملائكته والقلم واللوح وبمااختزن فى علمه ولم يجر القلم به ولم تشعر الملائكة بذلك وماأظهر الله للخلق من صفاته واراهم من صنعه وابدى لهم من علمه فى جنب مااختزن عنهم الاكذرة فى جنب الدنيا والآخرة واواظهر الله مااختزن لذابت الخلائق عن آخرهم فضلا عن حمله وقال الشيخ ابوطالب المكى قدس سره فى قوت القلوب اذاكان العبد من اهل العلم بالله والفهم عنه والسمع منه والمشاهدة له شهد ماغاب عن غيره وابصر ماعمى عنه سواه كما قال تعالى فلااقسم بمانبصرون

ومالا تبصرون (انه) اى القران (لقول رسول) وقوله قول الحق كما قال وما ينطق عن الهوى وكما قال فأجره حتى يسمع كلام الله وفى كشف الاسرار اضاف القول اليه لانه لما قال قول رسول اقتضى مرسلا وكان معلوما ان ما يقرأه كلام مرسله وانما هو مبلغه فالاضافة الاختصاصية الى رسول الله تدل على اختصاص القول بالرسول من حيث التبليغ ليس الا اذ شأن الرسول التبليغ لا الاختراع وقد يأتى القول فى القرآن والمراد به القرآءة قال الله تعالى حتى تعلموا ما تقولون اى ما تقرأون فى صلاتكم (كريم) على الله تعالى يعنى بزركوار نزد خداى تعالى وهو النبى عليه السلام ويدل عليه مقابلة رسول بشاعر وكاهن لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر ولا كاهن ولم يقولوا لجبريل شاعر ولا كاهن وقيل هو جبريل اى هو قول جبريل الرسول الكريم وما هو من تلقاء محمد كما تزعمون وتدعون انه شاعر او كاهن فالمقصود حينئذ اثبات حقية القرآن وانه من عند الله والحاصل ان القرآن كلام الله حقيقة اظهره فى اللوح المحفوظ وكلام جبريل ايضا من حيث انه انزله من السموات الى الارض وتلاه على خاتم النبيين وكلام سيد المرسلين ايضا من حيث انه اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان وجعله حجة لنبوته (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قال الكاشفى) چنانچه ابوجهل ميكويد وسبق معنى الشعر فى يس (قليلا ما تؤمنون) ايمانا قليلا تؤمنون بالقرآن وكونه كلام الله او بالرسول وكونه مرسلا من الله والمراد بالقلة النفى اى لا تؤمنون اصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وانت تريد لا تأتينا اصلا يقول الفقير يجوز عندى ان تكون قلة الايمان باعتبار قلة المؤمن بمعنى ان القليل منكم يؤمنون وقس عليه نظائره (ولا بقول كاهن) كما تدعون ذلك تارة اخرى (قال الكاشفى) چنانچه عقبة بن ابى معيط كان ميبرد كرر القول مبالغة فى ابطال اقاويلهم الكاذبة على القرآن الحق والرسول الصادق والكاهن هو الذى يخبر عن الكوائن فى مستقبل الزمان ويدعى معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب وفى كشف الاسرار الكاهن هو الذى يزعم ان له خدما من الجن يأتونه بضرب من الوحى وقد انقطعت الكهانة بعد نبينا محمد عليه السلام لان الجن حبسوا ومنعوا من الاستماع انتهى وقال الراغب فى المفردات الكاهن الذى يخبر بالاخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذى يخبر بالاخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذى يخطئ ويصيب قال عليه السلام من أتى عرافا او كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل الله على محمد ويقال كهن فلان كهانة اذا تعاطى ذلك وكهن اذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك انتهى وفى شرح المشارق لابن الملك العراف من يخبر بما اخفى من المسروق ومكان الضالة والكاهن من يخبر بما يكون فى المستقبل وفى الصحاح العراف الكاهن (قليلا ما تذكرون) اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون اى لا تتذكرون اصلا (قال الكاشفى) اندكى پند ميكيريد يعنى پند كيرنمى شويد (وفى كشف الاسرار) اندك پندى پذيريد ودرمى يابيد (وفى تاج المصادر) التذكر ياد كردن وياياد آوردن وپند كرفتن ومذكر شدن كلمة كه مؤنث بود وقال بعضهم المراد من الايمان القليل ايمانهم واستيقانهم بانفسهم وقد جحدوا بالسنتهم لا معنى النفى وقال بعضهم ان كان المراد منه الايمان الشرعى فالتقليل للنفى وان كان اللغوى فالتقليل على حاله لانهم كانوا يصدقون ببعض احكام القرآن كالصلاة والخير والعفاف ونحوها ويكذبون ببعضها كالوحدة والحقانية والبعث ونحوها وعلى هذا التذكر قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما ان عدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا ينكره الا معاند فلا مجال فيه لتوهم عذر لترك الايمان فلذلك ونحوا عليه وعجب منه بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احواله عليه السلام ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم فالكاهن ينصب نفسه للدلالة على الضوائع والاخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة ويكذب كثيرا ويأخذ جعلا على ذلك ويقتصر على من يسأله ولبس واحد منها من دأبه عليه السلام والحاصل ان الكاهن من يأتيه الشياطين ويلقون اليه من اخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه منهم وما يلقيه عليه السلام من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن ان يكون ذلك بالقاء الشياطين فانهم لا يزالون شيئا فيه ذمهم وسبهم لا سيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معانى ما يلقيه عليه السلام منافية لمعانى اقوال الكهنة فانهم لا يدعون الى تهذيب الاخلاق وتصحيح العقائد والاعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معانى قوله عليه السلام فلو تذكر اهل مكة معانى القرآن ومعانى اقوال الكهنة لما قالوا بانه كاهن وفى برهان القرآن خص ذكر الشعر بقوله

ماتؤمنون لان من قال القرآن شعر ومحمد عليه السلام شاعر بعد ماعلم اختلاف آيات القرآن فى الطول والقصر واختلاف حروف مقاطعه فلكفره وقلة ايمانه فان الشعر كلام موزون مقفى ونص ذكر الكهانة بقوله ماتذكرون لان من ذهب الى ان القرآن كهانة وان محمدا عليه السلام كاهن فهو ذاهل عن ذكر كلام الكهان فانه اسجاع لامعانى تحتها واوضاع تنبو الطباع عنها ولايكون فى كلامهم ذكر الله انتهى قال المولى ابو السعود فى الارشاد وانت خبير بان ذلك ايضا مما لايتوقف على تأمل قطعا انتهى اى فتعليلهم بالعرى غير صحيح وفيه ان الانابة شرط للتذكر كما قال تعالى ومايتذكر الامن ينيب والكافر ليس من اهل الانابة وايضا مايذكر الا اولوا الالباب اى اولو العقول الزاكية والقلوب الطاهرة والكافر ليس منهم فليس من اهل التذكر ولاشك ان كون الشئ امرا بينا لاينافى التذكر الا ترى الى قوله تعالى ءاله مع الله قليلا ماتذكرون مع ان شواهد الالوهية ظاهرة لكل بصير باهرة عند كل خبير على انه يظهر من تقريراتهم انه لابد من التذكر فى نفى الكهانة لخفاء امرها فى الجملة بالنسبة الى الشعر والعلم عند الله العلام (تنزيل) اى هو منزل فعبر عن المفعول بالمصدر مبالغة (من رب العالمين) نزله على لسان جبريل تربية للسعداء وتبشيرا لهم وانذارا للاشقياء كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقال تعالى ومبشرا ونذيرا (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) كما يقوله الشعراء اى ولو ادعى محمد علينا شيأ لم نقله كما تزعمون كما قال تعالى ام يقولون تقوله بل لايؤمنون وفى ذكر البعض اشارة الى ان القليل كاف فى المؤاخذة الآتية فضلا عن الكثير سمى الافتراء تقولا وهو بناء التكلف لانه قول متكلف كما قال صاحب الكشاف التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المتقول وسميت الاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها لان صيغة افعولة انما تطلق على محقرات الامور وغرائبها كالاعجوبة لما يتعجب منه والاضحوكة لما يضحك منه وكان الاقاويل جمع اقوولة من القول وان لم يثبت عن نقلة اللغة ولم يكن اقوولة مستعملا لكن كونه على صورة جمع افعولة كاف فى التحقير ويؤيده ليس جمع الاقوال لزوم ان لايعاقب بمادون ثلاثة اقوال فالاقاويل ههنا بمعنى الاقوال لانه جمعه وفى حواشى ابن الشيخ الظاهر ان الاقاويل جمع اقوال جمع قول كانا عيم جمع انعام جمع نعم (لاخذنا منه) حال من قوله (باليمين) اى بيمينه وقال سعدى المفتى هو من باب الم نشرح لك فى التفصيل بعد الاجمال (ثم لقطعنا منه الوتين) اى نياط قلبه بضرب عنقه والنياط عرق ابيض غليظ كالقصبة علق به القلب اذا انقطع مات صاحبه وفى المفردات الوتين عرق يسقى الكبد اذا انقطع مات صاحبه ولم يقل لاهلكناه اولضربنا عنقه لانه تصوير لاهلاكه بافظع مايفعله الملوك لمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه فانه اذا أراد ان يوقع الضرب فى قفاه اخذ بيساره واذا اراد أن يوقعه فى جيده وان يكفحه بالسيف اى يواجهه وهو اشد من المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه فلذا خص اليمين دون اليسار وفى المفردات لاخذنا منه باليمين اى منعناه ودفعناه فعبر عن ذلك بالاخذ باليمين كقولك خذ بيمين فلان انتهى وقيل اليمين بمعنى القوة فالمعنى لانتقمنا بقوتنا وقدرتنا وقيل المعنى حينئذ لاخذنا منه اليمين وسلبنا منه القوة والقدرة على التكلم بذلك على ان الباء صلة اى زائدة وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال اوذكر الملزوم وارادة اللازم (فما منكم) ايها الناس (من احد عنه) اى عن القتل اوالمقتول وهو متعلق بقوله (حاجزين) دافعين وهو وصف لاحد فانه عام لوقوعه فى سياق النفى كما فى قوله عليه السلام لم تحل الغنائم لاحد اسود الرأس غيرنا فمن احد فى موضع الرفع بالابتداء ومن زائدة لتأكيد النفى ومنكم خبره والمعنى فمامنكم قوم يحجزون عن المقتول اوعن قتله واهلاكه المدلول عليه بقوله ثم لقطعنا منه الوتين اى لايقدر على الحجز والدفع وهذا مبنى على اصل بنى تميم فانهم لايعملون مالدخولها على القبيلتين وقد يجعل حاجزين خبرا لما على اللغة الحجازية ولعله اولى فتكون كلمة ما هى المشبهة بليس فمن احد اسم ما وحاجزين منصوب على انه خبرها ومنكم حال مقدم كان فى الاصل صفة لاحد وفى الآية تنبيه على ان النبى عليه السلام لو قال من عند نفسه شيئا اوزاد اونقص حرفا واحدا على ما اوحى اليه لعاقبه الله وهو اكرم الناس عليه فاظنك بغيره ممن قصد تغيير شئ من كتاب الله اوقال شيئا من ذات نفسه كما مثل بذلك بعض الفرق الضالة (وانه) اى القرآن (لتذكرة) موعظة وبالفارسية پندیست (للمتقين) لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فانه يتذكر بهذا القرآن وينتفع به بخلاف المشرك ومن مال الى الدنيا وغلب حبها

فانه يكذب به ولا ينتفع وفى تاج المصادر التذكير والتذكرة بياددادن وحرف راء مذكر كردن ومنه الحديث فذكروه اى فاجلوه لان فى تذكير الشئ اجلالا له (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) اى ان منكم ايها الناس مكذبين بالقرآن فنجازيهم على تكذيبهم قال مالك رحمه الله ماشد هذه الآية على هذه الامة وفيه اشارة الى مكذبى الالهام ايضا فانهم ملتحقون بمكذبى الوحى لان الكل من عند الله لكن اهل الاحتجاب لا يبصرون النور كالاعمى فكيف يقرون (وانه) اى القرآن (لحسرة) وندامة يوم القيامة (على الكافرين) المكذبين له عند مشاهدتهم ثواب المؤمنين المصدقين به وفى الدنيا ايضا اذا رأوا دولة المؤمنين ويجوز ان يرجع الضمير الى التكذيب المدلول عليه بقوله مكذبين (وانه) اى القرآن (لحق اليقين) اى لليقين الذى لا ريب فيه فالحق واليقين صفتان بمعنى واحد اضيف احدهما الى الآخر اضافة الشئ الى نفسه كحب الحصيد للتأكيد فان الحق هو الثابت الذى لا يتطرق اليه الريب وكذا اليقين قال الراغب فى المفردات اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتهما يقال علم اليقين عين اليقين حق اليقين وبينها فرق مذكور فى غير هذا الكتاب انتهى وقد سبق الفرق من شرح الفصوص فى آخر سورة الواقعة فارجع وقال الامام معناه انه حق يقين اى حق لا بطلان فيه ويقين لا ريب فيه ثم اضيف احد الوصفين الى الآخر للتأكيد وقال الزمخشرى لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم ويراد به البليغ الكامل فى شأنه وفى تفسير القاشانى محض اليقين وصرف اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم اى خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب شئ آخر وقال الجنيدى قدس سره حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك معرفة بالحق وهوان يشاهد الغيوب كمشاهدته للمرئيات مشاهدة عيان ويحكم على المغيبات ويخبر عنها بالصدق كما اخبر الصديق الاكبر فى مشاهدة النبى عليه السلام حين سأله ماذا ابقيت لنفسك قال الله ورسوله فاخبر عن تحققه بالحق وانقطاعه عن كل ماسوى الله ووقوفه على الصدق معه ولم يسأله النبى عليه السلام عن كيفية ما اشار اليه لما عرف من صدقه وبلوغه المنتهى فيه ولما سأل عليه السلام حارثة كيف اصبحت قال اصبحت مؤمنا حقا فاخبر عن حقيقة ايمانه فسأله عليه السلام عن ذلك لما كان يجد فى نفسه من عظم دعواه ثم لما اخبر لم يحكم له بذلك فقال عرفت فالزم اى عرفت الطريق الى حقيقة الايمان فالزم الطريق حتى تبلغ اليه وكان يرى حال ابى بكر رضى الله عنه مستورا من غير استخبار عنه ولا استكشاف لما علم من صدقه فيما ادعى وهذا مقام حق اليقين واليقين اسم للعلم الذى زال عنه اللبس ولهذا لا يوصف علم رب العزة باليقين (فسبح باسم ربك العظيم) اى فسبح الله بذكر اسمه العظيم بان تقول سبحان الله تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك ففعول سبح محذوف والباء فى باسم ربك للاستعانة كما فى ضربته بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والعظيم صفة الاسم ويحتمل ان يكون صفة ربك ويؤيده ماروى ان رسول الله عليه السلام قال لما نزلت هذه الآية اجعلوها فى ركوعكم فالتزم ذلك جماعة من العلماء كما فى فتح الرحمن وقال فى التأويلات النجمية نزه وقدس تنزيها فى عين التشبيه اسم ربك اى مسمى ربك اذ الاسم عين المسمى عند ارباب الحق واهل الذوق وقال القاشانى نزه الله وجرده عن شوب الغير بذلك الذى هو اسمه الاعظم الحاوى للاسماء كلها بان لا يظهر فى شهودك تلوين من النفس او القلب فتحتجب برؤية الاثنينية او الاثنانية والاكثرت مشبها لا مسبحا روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال خرجت يوما بمكة متعرضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فجئت فوقفت وراءه فافتتح سورة الحاقة فلما سمعت سرد القرآن قلت فى نفسى انه لشاعر كما يقول قريش حتى بلغ الى قوله انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ثم مر حتى انتهى الى آخر السورة فادخل الله فى قلبى الاسلام

(تمت سورة الحاقة بعون الله تعالى فى السابع عشر من شهر رمضان من شهور سنة ست عشرة ومائة والف)

(سورة المعارج اربع وار بعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل بعذاب واقع) من السؤال بمعنى الدعاء والطلب يقال دعا بكذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون فى الجنة كل فاكهة والمعنى دعا داع بعذاب واقع نازل لا محالة سواء طلبه

اولم يطلبه اى استدعاه وطلبه ومن التوسعات الشائعة فى لسان العرب حمل التظير على التنابر وحمل النقيض على النقيض فتعدية سأل بالباء من قبيل التعدية بحمل التظير على التنابر فانه تنابر دعا وهو يتعدى بالباء لامن قبيل التعدية بالتضمين بان ضمن سأل معنى دعا فعدى تعديته كما زعمه صاحب الكشاف لان فائدة التضمين على ماصرح به ذلك الفاضل فى تفسير سورة النحل اعطاء مجموع المعنيين ولا فائدة فى الجمع بين معنى سأل ودعا لان احدهما يغنى عن الآخر والمراد بهذا السائل على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما واختاره الجمهور هو النضر بن الحارث من بنى عبد الدار حيث قال انكارا واستهزاء اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء اوائتنا بعذاب اليم وصيغة الماضى وهو واقع دون سيوقع للدلالة على تحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا واما فى الآخرة وهو عذاب النار وعن معاوية انه قال لرجل من اهل سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له وقيل السائل هو الرسول عليه السلام استعجل بعذابهم وسأل ان ياخذهم الله اخذا شديدا و يجعله سنين كسنى يوسف وقيل ان قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لامادعاه النضر فالسؤال بمعناه وهو التفتيش والاستفسار لان الكفرة كانوا يسألون النبى عليه السلام واصحابه انكارا واستهزاء عن وقوعه وعلى من ينزل ومتى ينزل والباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرا اى فاسأل عنه لان الحروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض باتفاق العلماء وعن الامام الواحدى ان الباء فى بعذاب زائدة للتأكيد كما فى قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة اى عذابا واقعا كقولك سألته الشئ وسألته عن الشئ (للكافرين) اى عليهم فاللام بمعنى على كما فى قوله تعالى وان اسأتم فلها اى فعليها او بهم فاللام بمعنى الباء على ماذهب بعضهم فى قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله اى بان يعبدوا الله اوعلى معناه اى نازل لاجل كفرهم ومتعلقه على التقادير الثلاثة هو واقع قال بعض العارفين بهذا وصف اهل الامل والظن الكاذب الذين يظنون انهم يتركون فى قبائح اعمالهم وهم لايعذبون (ليس له) اى لذلك العذاب (دافع من الله) اى من جهته تعالى اذا جاء وقته واوجبت الحكمة وقوعه (ذى المعارج) صفة لله لانه من الاسماء المضافة مثل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا ونحوهما والمعارج جمع معرج بفتح الميم هنا بمعنى مصعد وهو موضع الصعود قال الراغب العروج ذهاب فى صعود والمعارج المصاعد ومعنى ذى المعارج بالفارسية خداوند درجهاء بلندا ست والمراد الافلاك التسعة المرتبة بعضها فوق بعض وهى السموات السبع والكرسى والعرش (تعرج الملائكة) المأمورون بالنزول والعروج دون غيرهم من المهيمين ونحوهم لان من الملائكة من لاينزل من السماء اصلا ومنهم من لايعرج من الارض قطعا (والروح) اى جبريل افرده بالذكر لتميزه وفضله كما فى قوله تعالى تنزل الملائكة والروح فقد ذكرمع نزولهم فى آية وعروجهم فى اخرى (اليه) اى يعرجون من مسقط الامر الى عرشه والى حيث تهبط منه اوامره كقول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى ربى بالذهاب اليه فجعل عروجهم الى العرش عروجا الى الرب لان العرش مجلى صفة الرحمانية فمنه تبتدأ الاحكام والى حيث شاء الله تعالى تهبط الملائكة باعمال بنى آدم الى الله تعالى والروح اليها ناظر فى ذلك المشهد (فى يوم) متعلق بتعرج كالى (كان مقداره خمسين الف سنة) مما يعده الناس كما صرح به قوله تعالى فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقوله خمسين خبر كان وهو من باب التشبيه البليغ والاصل كمقدار مدة خمسين الف سنة واعلم ان تحقيق هذه الآية يستدعى تمهيد مقدمة وهى ان البروج اثنا عشر على ماافاده هذا البيت وهو قوله * چون حمل چون ثور وچون جوزا وسرطان واسد * سنبله ميزان وعقرب قوس وجدى ودلو وحوت * وكان مبدأ الدورة العرشية من الميزان ومنه الى الحوت اوجد الله فيه الارواح السماوية والصور الاصلية الكلية المتعينة فى جوف العرش ولكل برج يوم مخصوص به ومدة هذه البروج الستة وهى الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت احد وعشرون الف سنة ومن الحمل الى بروج السنبلة فى الحكم خمسون الف سنة ومدة دور السنبلة سبعة آلاف سنة وهى جمعة من جمع

الآخرة وفى اول هذه الدورة التى هى دور السنبلة بموجب الامر الالهى الموحى به هناك ظهر النوع الانسانى وبعث نبينا عليه السلام فى الالف الآخرة من السبعة وفى الاجزاء البرزخية الجامعة بين احكام دور السنبلة ودور الميزان المختص بالآخرة فانه اذا تم دور البروج الاثنى عشر ينتقل الحكم الى الميزان وهو زمان القيامة الكبرى فاخذنا كفة الالف الاولى للدنيا فى الدولة المحمدية والكفة الاخرى للآخرة والعشراى اخذنا النصف الاول من الف الميزان الثانى لهذه النشأة والنصف الاخير منه للنشأة الآخرة ولهذا استقرت الاخبار فى قيام الساعة وامتدادها الى خمسمائة سنة بعد الف وهى النصف الاول من الالف الثانى من الميزان الثانى ولم يتجاوز حد الدنيا ذلك عند احد من علماء الشريعة فبعث النبى عليه السلام فى زمان امتزاج الدنيا بالآخرة كالصبح الذى هو اول النهار المشروع ومنه الى طلوع الشمس نظير الزمان الذى هو من المبعث الى قيام الساعة فكما يزداد الضوء بعد طلوع الفجر بالتدريج شيأ بعد شئ كذلك ظهور احكام الاخرة من حين المبعث يزداد الى زمان طلوع الشمس من مغربها كما اشار عليه السلام اليه بقوله بعثت انا والساعة كفرسى رهان و بقوله لاتقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه وحتى يحدثه فخذه بما يصنع اهله بعده وكذا يسمع جهور الناس فى آخر الزمان نطق الجمادات والنباتات والحيوانات على ماورد فى الاخبار الصحيحة فاليوم مراتب واحكام * فيوم كالآن وهو ادنى مايطلق عليه الزمان ومنه يمتد الكل وهو المشار اليه بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن فسمى الزمن الفرد يوما لان الشان يحدث فيه وهو اصغر الازمان وادقها والسارى فى كل الادوار سريان المطلق فى المقيد * ويوم كالف سنة وهو اليوم الالهى ويوم الآخرة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة وقال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون * ويوم كخمسين الف سنة والى مالايتناهى كيوم اهل الجنة فلاحد لاكبر الايام يوقف عنده فهذا اليوم الذى كان مقداره خمسين الف سنة هو يوم المعراج ويوم القيامة ايضا درفتوحات آورده كه هر اسمى را از اسماء الهيه روز بست خاص كه تعلق بدو دارد ودر قرآن در روز ازانها مذكور ست يوم الرب كه هزار سالست و يوم ذى المعارج كه پنجاه هزار سالست وكل الف سنة دورة واحدة تقع فيها القيامة الصغرى لاهل الدنيا بتبديل الاحكام والشرائع وانواع الهياكل والنفوس وكل سبعة آلاف سنة دورة لنوع خاص كالانسان وكل خمسين الف سنة دورة ايضا تقع فيها القيامة الكبرى فيفنى العالم واهله وكان عروج الملائكة من الارض الى السماء ونزولهم من السماء الى الارض لاجراء احكام الله وانفاذ امره فى مدة البروج الستة الاخر التى هى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة وهى خمسون الف سنة كما سبق وعند العارفين يطلق على نزول الملائكة العروج ايضا وان كانت حقيقة العروج انما هى لطالب العلو وذلك لان الله تعالى فى كل موجود تجليا ووجها خاصا به يحفظه فنزول الملائكة وعروجهم دائما الى الحق لعدم تحيزه وكل ماكان اليه فهو عروج وان كان فى السفليات لانه هو العلى الاعلى فهو صفة علو على الدوام وجعلت اجنحة الملائكة للهبوط عكس الطائر عبرة ليعرف كل موجود عجزه وعدم تمكنه من تصرفه فوق طاقته التى اعطاها الله له فالملائكة اذا نزلت نزلت بجناحها واذا علت علت بطبعها والطيور بالعكس فاعلم ذلك وكذلك يكون عروجهم ونزولهم اى يقع فى اليوم الطويل الذى هو يوم القيامة لاجراء احكام الله على ماشاء وانفاذ امره على مقتضى علمه وحكمته وهو مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا ودل على مدة هذا اليوم قوله عليه السلام مامن صاحب ذهب ولافضة لايؤدى منها حقها الااذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمى عليها فى نار جهنم اى مرة ثانية ليشتد حرها فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت اعيدت له اى لكيه الى نار جهنم فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة اى ان لم يكن له ذنب سواه او كان ولكن الله عفا عنه واما الى النار اى ان كان على خلاف ذلك رواه مسلم (وروى) ان للقيامة خمسين موقفا يسأل العبد فى كل منها عن امر من امور الدين فان لم يقدر على الجواب وقف فى كل موقف بمقدار اليوم الالهى الذى هو الف سنة ثم لاينتهى اليوم الى ليل اى يكون وقت اهل الجنة كالنهار ابدا ويكون زمان اهل النار كالليل ابدا اذ كمالا ظلمة لاهل النور كذلك لانور لاهل الظلمة وفيه تذكير للعاقل على ان يوم القيامة اذا كان اوله مقدار خمسين الف سنة فاذا آخره ثم هذا الطول فى حق الكافر والعاصى لا المؤمن والمطيع لما روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه

انه قيل لرسول الله عليه السلام ما اطول هذا اليوم فقال عليه السلام والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وفى التمثيل بالصلاة اشارة الى وجه آخر لسر العدد وهو ان الكافر اضاع الصلاة وهى فى الاصل خمسون صلاة فكانه عذب بكل واحدة منها الف سنة ولهذا السر يكلف يوم القيامة بالسجود لا بغيره ولا يلزم من وجود هذا اليوم بهذا الطول ومن عروج الملائكة فى اثنائه الى العرش ان يكون ما بين اسفل العالم واعلى سرادقات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان المراد بيان طول اليوم وعروج الملائكة ونزولهم فى مثل هذا اليوم الى العرش ومنه لتلقى امره وتبليغه الى محله مرارا وكرارا لا بيان طول المعارج لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء مسيرة خمسمائة عام ونخن كل واحد من السموات السبع كذلك فيكون المجموع تسعة آلاف الى العرش اى بالنظر الظاهرى والا فهى ازيد من ذلك بل من كل عدد متصور كما سيجيء الاشارة اليه وقول من قال جعل ما بين الكرسى والعرش كما بين غيرهما غير موجه لما فى الحديث الصحيح ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والارض فيكون بين الكرسى الذى هو صحن الجنة وبين العرش الذى هو سقف الجنة خمسمائة سنة مائة مرة اولها من ارض الكرسى الى الدرجة السافلة من العرش فيكون المجموع مقدار خمسين الف سنة تأمل تعرف ان كلامه ليس بصحيح من وجوه الاول ان المراد فى هذا المقام بيان الطول من اسفل العالم الى اعلاه وانه مقدار خمسين الف سنة لا من صحن الجنة الى سقفها لانه على ما ذكره من المسافة بين العرشين يزيد على ذلك المقدار بالنظر الى اسفل العالم زيادة بينة فلا يحصل المقصود والثانى ان مراد النبى عليه السلام من التمثيل بما بين السماء والارض ليس التحديد بل بيان مجرد السعة وطول الامتداد بما لا يعرفه الا الله كما يقتضيه المقام والثالث ان الحديث الذى اورده لا يدل على ان نهاية الدرجة الاخيرة من تلك الدرجات منتهية الى الدرجة السافلة من العرش بل هو ساكت عنه فيجوز ان يكون المقدار ازيد مما ذكره لان طبقات المجاهدين متفاوتة على ان سقف الجنة وان كان هو عرش الرحمن لكن المراد به ذروته وهى التى ينتهى دونها عالم التركيب وهى موضع قدم النبى عليه السلام ليلة المعراج وما بين اسفل الجنة من محدب الكرسى الى اعلاها من تلك الذروة التى هى محدب العرش لا حد له يعرف على ما سيجيء فى سورة الاعلى ان شاء الله تعالى فاذا تحققت هذا البيان الشافى فى الآية الكريمة وهو الذى اشار اليه الحكماء الالهية فدع عنك القيل والقال الذى قرره اهل المرآء والجدال فانه ان قوله فى يوم بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى ذلك لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا انتهى وفيه ان كونه محمولا على التمثيل انما يظهر اذا فسرت المعارج بغير السموات وهو خلاف المقصود ومنه ان معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة اى يقطعون فى يوم من ايام الدنيا ما يقطعه الانسان فى خمسين الف سنة لو فرض ذلك القطع وذلك لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران وبالفارسية اكر يكى از بنى آدم خواهد كه سير كند از دنيا تا آنجا كه محل امر ملائكه است وايشان بيكروز ميروند او بدين مقدار سال تواند رفت انتهى وفيه ان سير الملائكة لحظى فيصلون من اعلى الاوج الى اسفل الحضيض فى آن واحد فتقدير سيرهم باليوم المعلوم فى العرف غير واضح ومنه ان اليوم فى الآية عبارة عن اول ايام الدنيا الى انقضائها وانها خمسون الف سنة لا يدرى احدكم مضى وكم بقى الا الله تعالى انتهى وفيه ان ايام الدنيا تزيد على ذلك زيادة بينة كما لا يخفى على اهل الاخبار وعندى انها ثلاثمائة وستون الف سنة بمقدار ايام السنة دل عليه قولهم ان عمر الانسان جمعة من جمع الآخرة وقد اسلفناه فى موضعه ومنه ان المراد باليوم هو يوم من ايام الدنيا يعرج فيه الامر من منتهى اسفل الارضين الى منتهى اعلى السموات ومقدار ذلك اليوم خمسون الف سنة واما اليوم الذى مقدار الف سنة كما فى سورة الم السجدة فباعتبار نزول الامر من السماء الى الارض وباعتبار عروجه من الارض الى السماء فالنزول خمسمائة وكذا الصعود والمجموع الف وفيه انه زاد فى الطنبور نغمة اخرى حيث اعتبر العروج من اسفل الارضين ليطول المسافة وظاهر انه لا يتم المقصود بذلك ومنه ان المراد تصعد الحفظة باعمال بنى آدم كل يوم الى محل قربته وكرامته وهو السماء فى يوم كان مقداره خمسين الف سنه من سنى الدنيا او صعد فيه غير الملك لان الملك يصعد من منتهى امر الله من اسفل السفل الى منتهى امره من فوق السماء

السابعة فى يوم واحد ولو صعد فيه بنوا آدم لصعدوا فى خمسين الف سنة انتهى وفيه ما فى السابق من تقدير اليوم فى حق الملائكة مع ان قصر الصعود على الصعود بمجرد العمل قصور لانه شأن الملائكة الحافظين والآية مطلقة عامة لهم ولغيرهم من المدبرات ومنه ان قوله فى يوم متعلق بواقع على ان يكون المراد به يوم القيامة والمعنى يقع العذاب فى يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنى الدنيا فتكون جملة قوله تعرج الملائكة معترضة بين الظرف ومتعلقه انتهى وفيه انه من ضيق العطن لانه لا مانع من ارادة يوم القيامة على تقدير تعلقه بتعرج ايضا على ما عرف من تقديرنا السابق فان قلت لماذا وصف الله ذاته فى مثل هذا المقام بذى المعارج قلت للتنبيه على ان عروج الملائكة على مصاعد الافلاك ونزولهم منها انما هو للامر الالهى كما قال تعالى يتنزل الامر بينهن ومن امره ايصال اللطف الى اوليائه وارسال القهر على اعدائه ففيه تحذير للكفار من عقوبة السماء النازلة بواسطة الملائكة كما وقعت للامم الماضية المكذبة وزجر لهم عما يؤدى الى المحاسبة الطويلة يوم القيامة هذا ما تيسر لى فى هذا المقام والعلم عند الله العلام وفى التأويلات النجمية فى ذى المعارج اى يصعد بتعذيب اهل الشهوات واللذات مرتبة فوق مرتبة ومصعد افوق مصعد من معرج نفوسهم الى معرج قلوبهم ومنه الى معرج سرهم ومنه الى معرج روحهم يعذبهم فى كل مرتبة عذابا اشد من الاول وفى قوله تعالى تعرج الخ اى يعرج الخواطر الروحانية خصوصا خاطر جبريل الروح فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة من ايام الله وهى ايام السماء التى تحت حيطة الله الاسم الجامع فافهم قال القاشانى ذى المعارج اى المصاعد وهى مراتب الترقى من مقام الطبائع الى مقام المعادن بالاعتدال ثم الى مقام النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان فى مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ثم فى منازل السلوك بالانتباه واليقظة والتوبة والانابة الى آخر ما اشار اليه اهل السلوك من منازل اليقين ومنازل القلب فى مراتب الفناء فى الافعال والصفات الى الفناء فى الذات مما لا يحصى كثرة فان له تعالى بازاء كل صفة مصعدا بعد المصاعد المتقدمة على مقام الفناء فى الصفات تعرج الملائكة من القوى الارضية والسمائية فى وجود الانسان والروح الانسانى الى حضرته الذاتية الجامعة فى القيامة الكبرى فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وهو يوم من ايام الله العلى بالذات ذى المعارج العلى وهى الايام السنة السرمدية من ابتداء الازل الى انتهاء الابد واما اليوم المقدر بالف سنة فى قوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فهو يوم من ايام الرب المدبر الذى وقت به العذاب وانجاز الوعد فى قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده والتدبير فى قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وذلك اليوم هو اليوم الاخير من الاسبوع الذى هو مدة الدنيا المنتهية بنبوة الخاتم صلى الله عليه وسلم والذى قال فيه ان استقامة امتى فلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم مع قوله بعثت انا والساعة كهاتين فهذا يوم من ايام الربوبية والتدبير واما اليوم الذى هو من ايام الالوهية فهو مقدار ابتداء الربوبية باسماء الله الغير المتناهية التى تندرج معها لاتناهيها فى الاسماء السبعة وهى الحى العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم ولكل من هذه السبعة ربوبية مطلقة بالنسبة الى ربوبيات الاسماء المندرجة تحته ومقيدة بالنسبة الى ربوبية كل واحد من اخواته الى انتهائها الى التجلى الذاتى وكما ان هذا اليوم المذكور سبع من ايام الدنيا فمدة الدنيا سبع من ذلك اليوم الالهى الحاصل من ضرب ايام الدنيا فى عدد اسماء الربوبية وهى تسع واربعون سنة وآخره اول الخمسين الذى هو يوم واحد من ايام الله وهو يوم القيامة الكبرى (فاصبر) يا محمد (صبرا جميلا) لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله فان العذاب يقع فى هذه المدة المتطاولة التى تعرج فيها الملائكة والروح وعن الحسن الصبر الجميل هو المجاملة فى الظاهر وعن ابن بحر انتظار الفرج بلا استعجال وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحى وذلك مما يضجره عليه السلام او كان عن تضجر واستبطاء للنصر والمعونة (انهم) اى اهل مكة (يرونه) اى العذاب الواقع اى يزعمونه فى رأيهم (بعيدا) اى يستبعدونه بطريق الاحالة كما كانوا يقولون اذا متنا وكنا ترابا الآية من يحيى العظام وهى رميم فلذلك يسألون به وسبب استبعادهم عدم علمهم باستحقاقهم اياه يقول المرء لخصمه هذا بعيد ردا لوقوعه وامكانه (ونراه) اى نعلمه (قريبا) لعلمنا باستحقاقهم اياه بحسب استعدادهم اى هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعد هو البعد من الامكان وبالقرب هو القرب منه وقال سهل رحمه الله انهم يرون المقضى عليهم من الموت والبعث والحساب

بعيدا لبعد آمالهم ونراه قريبا فان كل كائن قريب والبعيد مالايكون وفى الحديث ماالدنيا فيما مضى ومابقى الا كشوب شق باثنين و بقى خيط واحد الوكان ذلك الخيط قد انقطع قال الشاعر

هل الدنيا ومافيها جميعا * سوى ظل يزول مع النهار

ما همچو مسافريم درزير درخت * چون سايه برفت زود بردار درخت

ومن عجب الايام انك قاعد * على الارض فى الدنيا وانت تسير

فسيرك ياهذا كسير سفينة * بقوم قعود و القلوب تطير

(يوم تكون السماء كالمهل) وهو ههنا خبث الحديد ونحوه مما يذاب على مهل وتدريج اودردى الزيت لسيلانه على مهل لثخانته وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها اوكالقير والقطران فى سوادهما و يوم متعلق بقريبا اى يمكن ولايتعذر فى ذلك اليوم اى يظهر امكانه و الا فنفس الامكان لااختصاص له بوقت اومتعلق بمضمر مؤخر اى يوم تكون السماء كالمهل يكون من الاحوال والاهوال مالايوصف (وتكون الجبال كالعهن) العهن الصوف المصبوغ قال تعالى كالعهن المنفوش وتخصيص العهن لما فيه من اللون كما ذكر فى قوله تعالى فكانت وردة كالدهان والمعنى وتكون الجبال كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا ثبت وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذاطيرته الريح قال فى كشف الاسرار اول ماتتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا (ولايسأل حميم حميما) اى لايسأل قريب قريبا عن احواله ولايكلمه لابتلاء كل منهم بمايشغله عن ذلك واذا كان الحال بين الاقارب هكذا فكيف يكون بين الاجانب والتنكير للتعميم (يبصرونهم) استئناف كانه قيل لعله لايبصره فكيف يسأل عن حاله فقيل يبصرونهم والضمير الاول لحميم الاول والثانى للثانى وجمع الضميرين لعموم الحميم لكل حميمين لاحميمين اثنين قال فى تاج المصادر التبصير بينا كردن والتعريف والايضاح و يعدى الى المفعول الثانى بالباء وقد تحذف الباء وعلى هذا يبصرونهم انتهى يعنى عدى يبصرونهم بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته الى الثانى بحرف الجر يقال بصرته به وقد يحذف الجار واذا نسبت الفعل للمفعول به حذفت الجار وقلت بصرت زيدا ومافى الآية من هذا القبيل والمعنى يبصر الاحباء الاحباء يعنى بينا كرده شوند ايشان بخويشان خود فلايخفون عليهم ولايمنعهم من التساؤل الاتشاغلهم بحال انفسهم وليس فى القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه واقرباءه وعشيرته ولكن لايسأله ولا يكلمه لاشتغاله بماهو فيه قال ابن عباس رضى الله عنهما يتعارفون ساعة ثم يتناكرون (يود المجرم) اى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب (لو) بمعنى التمنى فهو حكاية لوداداتهم (يفتدى) فداده وهو حفظ الانسان عن النائبة بمايبذل عنه (من عذاب يومئذ) اى من العذاب الذى ابتلوا به يوم اذكان الامر ماذكر وهو بكسر الميم لاضافة العذاب اليه وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه) اصله بنين سقطت نونه بالاضافة وجمعه لان كثرتهم محبوبة مرغوب فيها (وصاحبته) زوجته التى يصاحبها (واخيه) الذى كان ظهيرا له ومعينا والجملة استئناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدى باقرب الناس اليه واغلقهم بقلبه و يجعله فداء لنفسه حتى ينجوهو من العذاب فضلا عن ان يهتم بحاله و يسأل عنها كانه قيل كيف لايسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يود الخ (وفصيلته) وهى فى الاصل القطعة المفصولة من الجسد وتطلق على الآباء الاقربين وعلى الاولاد لان الولد يكون منفصلا من الابوين فلما كان الولد منفصلا منهما كانا مفصولين منه ايضا فسمى فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة فى الآية هوالآباء الاقربون والعشيرة الادنون لقوله و بنيه (التى تؤويه) اوى الى كذا انضم اليه وآواه غيره كما قال تعالى آوى اليه اخاه اى ضمه الى نفسه فمعنى تؤويه تضمه اليها فى النسب اوعند الشدائد فيلوذ بها و بالفارسية وخويشان خود راكه جاى داده اند اورا دردنيا نزد خود يعنى پناه كاه وى بوده اند (ومن فى الارض جميعا) من الثقلين اوالخلائق ومن للتغليب (ثم ينجيه) عطف على يفتدى اى يود لو يفتدى ثم ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لوكان هؤلاء جميعا تحت يده و بذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه وفيه اشارة الى مجرم الروح المنصبغ بصبغة النفس فانه يود أن يفتدى من هول عذاب يوم الفراق والاحتجاب بنى القلب وصفته وصاحبة نفسه واخى سره وفصيلته

اى توابعه وشيعته ومن فى ارض بشريته جميعا من القوى الروحانية والجسمانية ثم ينجيه هذا الافتداء ولاينفعه لفساد الاستعداد وفوات الوقت (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء اى لايكون كما يتمنى فانه بهيئته الظلمانية الحاصلة من الاجرام استحق العذاب فلا ينجو منه وفى الحديث يقول الله لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لوان لك مافى الارض من شئ اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى وعن القرطبى ان كلا يكون بمعنى الردع وبمعنى حقا وكلا الوجهين جائزان هنا فعلى الثانى يكون تمام الكلام ينجيه فيوقف عليه و يكون كلا من الجملة الثانية التى تليه والمحققون على الاول وممن ذلك وضع السجاوندى علامة الوقف المطلق على كلا (انها) اى النار المدلول عليها بذكر العذاب والمراد جهنم (لظى) وهو اعلم للنار وللدرك الثانى منها منقول من اللظى بمعنى اللهب الخالص الذى لايخالطه دخان فيكون فى غاية الاحراق لقوة حرارته النارية بالصفاء وهو خبر ان بمعنى مسماة بهذا الاسم و يجوز ان يراد اللهب الخالص على الاصل فيكون خبرا بلا تأويل (كما قال الكاشفى) بدرستى كه آتش دوزخ كه مجرم ازوفدا دهد زبانه ايست خالص (وفى كشف الاسرار) آن آتشى است زبانه زن (نزاعة للشوى) نزع الشئ جذبه من مقره وقلعه والشوى الاطراف اى الاعضاء التى ليست بمقتل كالايدى والارجل ونزاعة على الاختصاص للتهويل اى اعنى بلظى جذابة للاعضاء الواقعة فى اطراف الجسد وقلاعة لها بقوة الاحراق لشدة الحرارة ثم تعود كما كانت وهكذا ابدا والشوى جمع شواة وهى جلدة الرأس يعنى ان النار تنزع جلود الرأس وتقشرها عنه وذلك لانهم كانوا يسعون بالاطراف للاذى والجفاء و يصرفون عن الحق الاعضاء الرئيسة التى تشتمل عليها الرأس خصوصا العقل الذى كانوا لايعقلون به فى الرأس (تدعو من ادبر) اى عن الحق ومعرفته وهو مقابل اقبل ومعنى تدعو تجذب الى نفسها وتحضرفهو مجاز عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم (قال الكاشفى) زبانه ميزند وكافر رابخود ميكشد ازصدساله ودو يست ساله راه چنانچه مقناطيس آهن راجذب ميكند * وتقول لهم الى الى ياكافر و يامنافق و يازنديق فانى مستقرك اوتدعو الكافرين والمنافقين بلفظ فصيح باسمائهم ثم تلتقطهم كالتقاط الطير الحب و يجوز ان يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه فى جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه فى الشجرة اوتدعوز بانيتها على حذف المضاف اوعلى الاسناد المجازى حيث اسند فعل الداعى الى المدعو اليه (وتولى) اى اعرض عن الطاعة لان من اعرض يولى وجهه وفى التأويلات النجمية من ادبر عن التوجه الى الحق بموافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة وتولى عن الاقبال على الآخرة والادبار عن الدنيا وقال القاشانى بمناسبة نفسه للجحيم انجر اليها اذ الجنس الى الجنس يميل ولظى نار الطبيعة السفلية ماستدعت الا المدبر عن الحق المعرض عن جناب القدس وعالم النور المقبل بوجهه الى معدن الظلمة المؤثر لمحبة الجواهر الفانية السفلية المظلمة فانجذب بطبعه الى مواد النيران الطبيعية واستدعته وجذبته الى نفسها للجنسية فاحترق بنارها الروحانية المستولية على الافئدة فكيف يمكن الانجاء منها وقد طلبها بداعى الطبع ودعاها بلسان الاستعداد (وجمع) المال حرصا وحبا للدنيا (فاوعى) فجعله فى وعائه وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وتكبر باقتنائه وذلك لطول امله وانعدام شفقته على عباد الله والاما ادخر بل بذل وفى جمعا بالجمع مع الادبار والتولى تنبيه على قباحة البخل وخساسة البخيل وعلى انه لايليق بالمؤمن وفى الخبر يجاء بابن آدم يوم القيامة كانه بذج بين يدى الله وهو بالفارسية بره فيقول له اعطيتك وخولتك وانعمت عليك فما صنعت فيقول رب جمعته وثمرته وتركته اكثر ماكان فارجعنى آتك به كله فاذا هو عبد لم يقدم خيرا فيمضى به الى النار وفى الخبر يصفى عليه السلام يوما فى كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله لابن آدم تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد يعنى زمين را ازتو آواز شديد بود فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وفى التأويلات النجمية جمع الكمالات الانسانية من الاخلاق الروحانية والاوصاف الرحمانية ولم ينفق على الطلاب الصادقين العاشقين والمحبين المشتاقين بطريق الارشاد والتعليم والتسليك (ان الانسان) اى جنس الانسان (خلق) حال كونه (هلوعا) مبالغة هالع من الهلع وهو سرعة الجزع عند مس المكروه بحيث لايستمسك وسرعة المنع عند مس الخير يقال ناقة هلواع سريعة السير وهو من باب علم

وقد فسره احسن تفسير على ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (اذا) ظرف لجزوعا (مسه الشر) اى اصابه ووصل اليه الفقر اوالمرض اونحو هما (جزوعا) مبالغا فى الجزع مكثرا منه لجهله بالقدر وهو ضد الصبر وقال ابن عطاء الهلوع الذى عند الموجود يرضى وعند المفقود يسخط وفى الحديث شر ما اعطى ابن آدم شح هالع وجبن خالع فالهالع المحزن يعنى اندوهكين كند ه والخالع الذى يخلع قلبه قال بعض العارفين انما كرهت نفوس الخلق المرض لانه شاغل لهم عن اداء ماكلفوا به من حقوق الله تعالى اذالروح الحيوانى حين يحس بالالم يغيب عن تدبير الجسد الذى يقوم بالتكليف وانما لم تكره نفوس العارفين الموت لما فيه من لقاء الله تعالى فهو نعمة ومنة ولذلك ماخير نبى فى الموت الا اختاره (واذا) ظرف لمنوعا (مسه الخير) اى السعة اوالصحة اوغيرهما (منوعا) مبالغا فى المنع والامساك لجهله بالقسمة وثواب الفضل وللصحة مدخل فى الشح فان الغنى قد يعطى فى المرض مالا يعطيه فى الصحة ولذا كانت الصدقة حال الصحة افضل ودر اباب ازمقاتل نقل ميكند كه هلوع جانور يست در پس كوه قاف كه هر روز هفت صحرا ازكياه خالى ميكند يعنى همه حشايش ازامى خورد وآب هفت دريامى اشامد ودر كرما وسرما صبر ندارد وهر شب دراندیشهٔ آنست كه فردا چه خواهد خورد پس حق سبحانه وتعالى آدمى رادر بى صبرى واندیشهٔ روزى بدين دابه تشبيه ميكند * جانور را كه بجز آدمبست * معده چو پرشد سبب بى غمست * آدميست آنكه نه سيرى برد * پرسر سيرى غم روزى خورد * خورد همه عمر چه بيش و چه كم * روزى هر روزه زخوان كرم * وزره حرص واملش همچنان * هيچ غمى نيست بجز فكر نان * والا وصاف الثلاثة وهى هلوعا وجزوعا ومنوعا احوال مقدرة لان المراد بها ما يتعلق به الذم والعقاب وهو مايدخل تحت التكليف والاختيار وذلك بعد البلوغ اومحققة لانها طبائع جبل الانسان عليها كما قال المتنبى * الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذاعفة فلعلة لايظلم * ولايلزم ان لا تفارقه بالمعالجات المذكورة فى كتب الاخلاق فانها كبرودة الماء ليست من اللوازم المهيئة للوجود بل انما حصولها فيه بوضع الله تعالى وخلقه وهو يزيلها ايضا بالاسباب التى سببها اذا اراد فان قيل فيلزم ان يكون له هلع حين كان فى المهد صبيا قلنا نعم ولا محذور الا يرى انه كيف يسرع الى الثدى ويحرص على الرضاء ويبكى عند مس الالم ويمنع بماوسعه اذا تمسك بشئ فزوحم فيه قال الراغب فان قيل ما الحكمة فى خلق الانسان على مساوى الاخلاق قلنا الحكمة فى خلق الشهوة ان يمانع نفسه اذا نازعته نحوها ويحارب شيطانه عند تزيينه المعصية فيستحق من الله مثوبة وجنة انتهى يعنى كما انه ركب فيه الشهوة ركب فيه العقل الرادع وحصلت الدلالة الى الصراط السوى من الشارع قال بعض العارفين الشح فى الانسان امر جبلى لايمكن زواله ولكن يتعطل بعناية الله تعالى استعماله لاغير فلذلك قال ومن يوق شح نفسه فأثبت الشح فى النفس الا ان العبد يوقاه بفضل الله وبرحمته وقال ان الانسان خلق هلوعا الخ واصل ذلك كله ان الانسان استفاد وجوده من الله فهو مفطور على الاستفادة لاعلى الافادة فلا تعطيه حقيقته ان يتصدق او يعطى احدا شيأ ولذلك ورد الصدقة برهان يعنى دليل ان هذا الانسان وقى بها شح النفس يقول الفقير وعليه المزاح المعروف وهو ان بعض العلماء وقع فى الماء فكاد يغرق فقال له بعض الحاضرين ياسلطانى ناولنى يدك فقيل لا تقل هكذا فانه اعتاد الاخذ لا الاعطاء بل قل خذ يدى وقال بعضهم الغضب والشره والحرص والجبن والبخل والحسد وصف جبلى فى الانسان والجان وماكان من الجبلة فمحال ان يزول الا بانعدام الذات الموصوفة به ولهذا عين الشارع صلى الله عليه وسلم لهذه الامور مصارف فقال لا حسد الا فى اثنتين وامر بالغضب لله لا حمية جاهلية وقال ولا تقل لهما اف ثم مدح من قال اف لكم ولما تعبدون من دون الله وقال ولا تخافوهم ثم قال وخافون فالكل يستعملون هذه الصفات استعمالا محمودا وكثير من الفقراء يظنون زوال هذه الصفات منهم حين يعطل الله استعمالها فيهم وليس كذلك يقول الفقير ومنه يعلم صحة قول من قال ان النفس لامارة بالسوء وان كانت نفس الانبياء على ما اسلفناه فى سورة يوسف والحاصل ان اصول الصفات باقية فى الكل لبقاء المحاربة مع النفس اذلا يحصل الترقى الا بالمحاربة والترقى مستمر الى الموت فكذا المحاربة المبنية على بقاء اصول الصفات فاصل النفس امارة لكن لا يظهر اثرها فى الكاملين كما يظهر فى الناقصين فاعلم ذلك قال القاشانى ان النفس بطبعها معدن الشر ومأوى الرجس لكونها من عالم الظلمات

فن مال اليها بقلبه واستولى عليه مقتضى جبلته وخلقته ناسب الامور السفلية واتصف بالرذائل التى ارداها الجبن والبخل المشار اليهما بقوله واذامسه الشر الخ لمحبة البدن مايلائمه وتسببه فى شهواته ولذاته وانما كانا اردأ لجذ بهما القلب الى اسفل مراتب الوجود وفى الأو يلات النجمية يشير الى هلع الانسان المستعدلقبول الفيض الالهى ساعة فساعة ولحظة فلحظة وعدم صبره عن بلوغه الى الكمال فانه لايزال فى طريق السلوك يتعلق باسم من الاسماء الالهية و يتحقق به و يتخلق ثم يتوجه الى اسم آخر الى ان يستو فى سلوك جميع الاسماء اذامسه الشر الفترة الواقعة فى الطريق يجزع و يضطرب و يتقلقل ولا يعلم ان هذه الفترة الواقعة فى طريقه سبب لسرعة سلوكه وموجب لقوة سيره وطيرانه واذامسه الخير من المواهب الذاتية والعطايا الاسمائية يمنع من مستحقيه و يبخل على طالبيه (الا المصلين) استثناء من الانسان لانه فى معنى الجمع للجنس وهذا الاستثناء باعتبار الاستمرار اى ان المطبوعين على الصفات الرذيلة مستمرون عليها الا المصلين فانهم بدلوا تلك الطبائع واتصفوا باضدادها (الذين هم) تقديم هم يفيد تقوية الحكم وتقريره فى ذهن السامع كما فى قولك هو يعطى الجزيل قصدا الى تحقيق انه يفعل اعطاء الجزيل (على صلاتهم دآئمون) لايشغلهم عنها شاغل فيواظبون على ادآئها كما روى عن النبى عليه السلام انه قال افضل العمل ادومه وان قل وقالت عائشة رضى الله عنها كان عمله ديمة قدم الصلاة على سائر الخصال لقوله عليه السلام اول ما افترض الله على امتى الصلوات الخمس وآول مايرفع من اعمالها الصلوات الخمس واول مايحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر وانها آخر مايجب عليه رعايته فانه يؤخر الصوم فى المرض دون الصلاة الا ان لايقدر على التيمم والايماء واذا ختم الله الخصال بها كما قال والذين هم على صلاتهم يحافظون وكان آخرما اوصى به عليه السلام الصلاة وماملكت ايمانكم وفى الآية اشارة الى صلاة النفس وهى التزكية عن المخالفات الشرعيه وصلاة القلب وهى التصفية عن الميل الى الدنيا وشهواتها وزخارفها وصلاة السر وهى التخلية عن الركون الى المقامات العلية والمراتب السنية وصلاة الروح وهى بالمكاشفات الربانية والمشاهدات الرحمانية والمعاينات الحقانية وصلاة الخفى وهى بالفناء فى الحق والبقاء به فالكمل يداومون على هذه الصلوات (والذين) اى والا الذين (فى اموالهم حق معلوم) اى نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقة الموظفة (للسائل) اى للذى يسأل ومن كان له قوت يوم لايحل له السؤال واما حكم الدافع له عالما بحاله فكان القياس ان يأثم لانه اعانة على الحرام لكنه يجعله هبة ولا اثم فى الهبة للغنى وله ان يرده برد جميل مثل ان يقول آتاكم الله من فضله (والمحروم) الذى لايسأل اما حياء او توكلا فيظن انه غنى فيحرم وفيه اشارة الى احوال الحقائق والمعارف الحاصلة من رأس مال الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة ففيها حق معلوم للسائل وهو المستعد للسلوك والاجتهاد فينبغى ان يفيض عليه و يرشده الى طلب الحق والمحروم هو المرمى الساقط على ارض العجز بسبب الاهل والعيال والاشتغال باسبابهم فيسلبهم و يطيب قلوبهم برحمة الله وغفرانه و يفيض عليهم من بركات انفاسه الشريفة لئلا يحرم من كرم الله وفيضه (والذين يصدقون بيوم الدين) اى باعمالهم حيث يتعبون انفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزآء فمجرد التصديق بالجنان واللسان وان كان ينجى من الخلود فى النار لكن لايؤدى الى ان يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين بالاحوال المذكورة قال القاشانى والذين يصدقون من اهل اليقين البرهانى او الاعتقاد الايمانى باحوال الآخرة والمعاد وهم ارباب القلوب المتوسطون (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على انفسهم مع مالهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه تعالى (قال الكاشفى) وعلامة ترس الهى اجتناب ازملاهى ومناهيست وقال الحسن يشفق المؤمن ان لاتقبل حسناته وتقديم من يحسن ان يكون للحصر امتثالا لامره تعالى فارهبون مع جوازان يكون للتقوية (ان عذاب ربهم غير مأمون) كه عذاب خداوند ايشان نه آنست كه ازان ايمن باشند وهو اعتراض مؤذن بانه لاينبغى لاحد ان يأمن عذابه تعالى و ان بالغ فى الطاعة والاجتهاد بل يكون بين الخوف والرجاء لانه لايعلم احد عاقبته قال القاشانى والذين هم الخ اى اهل الخوف من المبتدئين فى مقام النفس السائرين عنه بنور القلب لا الواقفين معه او المشفقين من عذاب الحرمان والحجاب فى مقام القلب

من السالكين اوفى مقام المشاهدة من التلوين فانه لايؤمن الاحتجاب مابقيت بقية كما قال ان عذاب ربهم غير مأمون ومن العذاب احتجاب المرء بنفسه فانه من الموبقات الموقعات فى عذاب نار الجحيم وجحيم العقاب نسأل الله العافية (والذين هم لفروجهم) فرج الرجل والمرأة سوآتهما اى قبلهما عبر به عنها رعاية للادب فى الكلام وأدب المرء خير من ذهبه والجار متعلق بقوله (حافظون) من الزنى متعففون عن مباشرة الحرام فان حفظ الفرج كناية عن العفة (الاعلى) بمعنى من كما فى كتب النحو (ازواجهم) نسائهم المنكوحات (اوماملكت ايمانهم) من الجوارى فى اوقات حلها كالطهر من الحيض والنفاس ومضى مدة الاستبرآء عبر عنهن بما اجراء لهن لملوكيتهن مجرى غير العقلا اولانوثتهن المنبئة عن القصور واريد ماملكت الايمان يدل على ان المراد من الحافظين هنا الذكوروان كان الحفظ لازما للاناث ايضا بل اشد لانه لازم عليهن على عبيدهن وان كانوا مما ملكت ايمانهن ترجيحا لجانب الذكور فى صيانة عرضهم (فانهم) اى الحافظين (غير ملومين) على عدم حفظهامنهن اى غير معيوبين شرعا فلايؤاخذون بذلك فى الدنيا والآخرة وبالفارسية بجاى سرزنش نيستند وفيه اشعار بأن من لم يحفظ تكفيه ملامة اللائمين فكيف العذاب (فمن ابتغى) پس هركه طلب كند براى نفس خود (وراء ذلك) الذى ذكر وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين وحد النكاح اربع من الحرآئر ولاحد لملك اليمين (فاولئك) المبتغون (هم العادون) المتعدون لحدود الله الكاملون فى العدوان المتناهون لانه من عدا عليه اذا تجاوز الحد فى الظلم ودخل فيه حرمة وطئ الذكران والبهائم والزنى وقيل يدخل فيه الاستمناء ايضا (روى) ان العرب كانوا يستمنون فى الاسفار فنزلت الآية وفى الحديث ومن لم يستطع اى التزوج فعليه بالصوم استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لانه عليه السلام ارشد عند العجز عن التزج الى الصوم الذى يقطع الشهوة فلوكان الاستمناء مباحا لكان الارشاد اليه اسهل وقدابا ح الاستمناء طائفة من العلماء وهوعند الحنابلة وبعض الحنفية لاجل تسكين الشهوة جائز وفى رواية الخلاصة الصائم اذاعالج ذكره حتى امنى يجب عليه القضاء ولاكفارة عليه ولايحل هذا الفعل خارج رمضان ان قصد قضاء الشهوة وان قصد تسكين شهوته ارجو أن لايكون عليه وبال وفى بعض حواشى البخارى والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله فاولئك هم العادون اى الظالمون المتجاوزن من الحلال الى الحرام قال البغوى الآية دليل على ان الاستمناء باليد حرام قال ابن جريج سألت ابن عطاء عنه فقال سمعت ان قوما يحشرون حبالى واظنهم هؤلاء وعن سعيد بن جبير عذب الله امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم والواجب على فاعله التعزير كما قال بعضهم نعم يباح عند ابى حنيفة واحمد اذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد امرأته وجاريته لكن قال القاضى حسين مع الكراهة لانه فى معنى العزل وفى التاتارخانية قال ابو حنيفة احسبه ان ينجو رأسا برأس يقول الفقير من اضطر الى تسكين شهوته فعليه ان يدق ذكره بحجر كما فعله بعض الصلحاء المتقين حين التوقان صيانة لنفسه عن الزنى ونحوه والحق احق ان يتبع وهو العمل بالارشاد النبوى الذى هو الصوم فان اضطر فالعمل بما ذكرناه اولى واقرب من افعال اهل الورع والتقوى (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) لايخلون بشئ من حقوقها والامانة اسم لجنس مايؤتمن عليه الانسان سوآء كان من جهة البارى تعالى وهى امانات الدين التى هى الشرآئع والاحكام اومن جهة الخلق وهى الودآئع ونحوها والجمع بالنظر الى اختلاف الانواع وكذا العهد شامل لعهد الله وعهد الناس وهو ماعقده الانسان على نفسه لله اولعباده وهو يضاف الى المعاهد والمعاهد فيجوز هنا الاضافة الى الفاعل والمفعول وقال الجنيد قدس سره الامانة المحافظة على الجوارح والعهد حفظ القلب مع الله على التوحيد والرعاية القيام على الشئ بحفظه واصلاحه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيانة عند الائتمان والكذب عند التحديث والغدر عند المعاهدة والفجور عند المخاصمة من خصال المنافق اكرمى بايداز آنش امانت * فرومكذار قانون امانت * بهرعهدى كه مى بندى وفاكن * رسوم حق كزارى را اداكن * قال بعض الكبار كل من اتصف بالامانة وكتم الاسرار سمع كلام الموتى وعذابهم ونعيمهم كما سمعت البهائم عذاب اهل القبور لعدم النطق وكذلك يسمع من اتصف بالامانة كلام اعضائه فى دار الدنيا لانها حية ناطقة ولذلك تستشهد يوم القيامة فتشهد ولايشهد الاعدل مرضى بلاشك وفى التأويلات

الجمعية يشير الى الامانة المعروضة على السموات والارض والجبال وهى كمال المظهرية وتمام المضاهاة الالهية والى عهد ميثاق الست بربكم قالوا بلى ورعاية ذلك العهد ان لا يخالفه بالمخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وقال بعضهم والذين هم لاماناتهم التى استودعوها بحسب الفطرة من المعارف العقلية وعهدهم الذى اخذ الله ميثاقه منهم فى الازل راعون بان لم ينسوا الفطرة بالغواشى الطبيعية والاهواء النفسانية (والذين هم بشهاداتهم) الباء متعلق بقوله (قائمون) سواء كانت للتعدية ام للملابسة والجمع باعتبار انواع الشهادة اى مقيمون لها بالعدل ومؤدونها فى وقتها احياء لحقوق الناس فالمراد بالقيام بالشهادة اداؤها عند الاحكام على من كانت هى عليه من قريب او بعيد شريف اووضيع قال عليه السلام اذا علمت مثل الشمس فاشهد والافدع وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الامانات لابانة فضلها الان فى اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفى كتمها وتركها تضييعها وابطالها وفى الاشباه اذا كان الحق يقوم بغيرها اوكان القاضى فاسقا اوكان يعلم انها لاتقبل جاز الكتمان وفى فتح الرحمن تحمل الشهادة فرض كفاية واداؤها اذا تعين فرض عين ولا يحل اخذ اجرة عليها بالاتفاق فاذا طلبه المدعى وكان قريبا من القاضى لزمه المشى اليه وان كان بعيدا اكثر من نصف يوم لا يأثم بتخلفه لانه يلحقه الضرر وان كان الشاهد يقدر على المشى فاركبه المدعى من عنده لاتقبل شهادته وان كان لا يقدر فاركبه لابأس به ويقتصر فى المسلم على ظاهر عدالته عند ابى حنيفة رحمه الله الا فى الحدود والقصاص فان طعن الخصم فيه سأل عنه وقال صاحباه يسأل عنهم فى جميع الحقوق سرا وعلانية وعليه الفتوى وجعل بعضهم شهادة التوحيد داخلة فيها كما قال سهل رحمه الله قائمون بحفظ ماشهدوا به من شهادة ان لا اله الا الله فلا يشركون به فى شئ من الافعال والاقوال والاحوال وقال القاشانى فى الآية اى يعملون بمقتضى شاهدهم من العلم فكل ماشهدوه قاموا بحكمه وصدروا عن حكم شاهدهم لاغير (والذين هم على صلاتهم يحافظون) تقديم على صلاتهم يفيد الاختصاص الدال على ان محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز الى امور دنياهم اى يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها ويحفظونها من الاحباط باقتران الذنوب فالدوام المذكور اولا يرجع الى انفس الصلوات والمحافظة الى احوالها وفى المفردات فيه تنبيه على انهم يحفظون الصلاة بمراعاة اوقاتها واركانها والقيام بها فى غاية مايكون من الطوق فان الصلاة تحفظهم بالحفظ الذى نبه عليه فى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفى الحديث من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وابى بن خلف وهو الذى ضربه النبى عليه السلام فى غزوة احد برمح فى عنقه فمات منه فى طريق مكة وكان اشد واطغى من ابى جهل دل عليه كونه مقتولا بيد النبى عليه السلام ولم يقتل عليه السلام بيده غيره وبعض العلماء جعل المحافظة شاملة للادامة على ماهو الظاهر من قوله تعالى حافظوا على الصلوات فيكون من قبيل التعميم بعد التخصيص لتتميم الفائدة وللاشعار بان الصلاة اول مايجب على العبد اداؤه بعد الايمان وآخر مايجب عليه رعايته بعده كما سبق وكفته الدوام تعلق بفرائض دارد ومحافظت بنوافل والحاصل ان فى تكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات ايذانا بان كل واحدة من تلك الصفات حقيق بان يفرد لها موصوف مستقل لشأنها الخطير ولا يجعل شئ منها تتمة للاخرى قال بعضهم دلت هذه الآية على ان التغاير المفهوم من العطف ليس بذاتى بل هو اعتبارى اذ لا يخفى انه ليس المراد من الدائمين طائفة والمحافظين اخرى فالمقصود مدح المؤمنين بما كانوا عليه فى عهد رسول الله من الاخلاق الحسنة واعمال المرضية ففيه ترغيب لمن يجئ منهم الى يوم القيامة وترهيب عن المخالفة قال فى برهان القرآن قوله الا المصلين عد عقيب ذكرهم الخصال المذكورة اول سورة المؤمنين وزاد فى هذه السورة والذين هم بشهاداتهم قائمون لانه وقع عقيب قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون واقامة الشهادة امانة يؤديها اذا احتاج اليها صاحبها لاحياء حق فهى اذا من جملة الامانة فى سورة المؤمنين وخصت هذه السورة بزيادة بيانها كما خصت باعادة ذكر الصلاة حيث يقول والذين هم على صلاتهم يحافظون بعد قوله الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون انتهى وقال القاشانى والذين هم على صلاتهم القلب وهى المراقبة يحافظون

اوصلاة النفس على الظاهر وفى فتح الرحمن واتفق القراء على الافراد فى صلاتهم هنا وفى الانعام بخلاف الحرف المتقدم فى المؤمنين لانه لم يكتنفها قبلها ما اكتنفها فى المؤمنين قبل و بعد من تعظيم الوصف فى المتقدم وتعظيم الجزاء فى المتأخر فناسب لفظ الجمع ولذلك قرأ به اكثر القراء ولم يكن ذلك فى غيرها فناسب الافراد (اولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات الفاضلة (فى جنات) اى مستقرون فى جنات لايقادر قدرها ولايدرك كنهها (مكرمون) بالثواب الابدى والجزاء السرمدى اى سيكونون كذلك فكأن الاكرام فيها واقع لهم الآن وهو خبر آخر أوهو الخبر وفى جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير فى الخبر اى مكرمون كائنين فى جنات (فمال الذين) اى فما بال الذين (كفروا) وحرموا من الاتصاف بالصفات الجليلة المذكورة وما استفهامية للانكار فى موضع رفع بالابتداء والذين كفروا خبرها واللام الجارة كتبت مفصولة اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه قال فى فتح الرحمن وقف ابوعمرو والكسائى بخلاف عنه على الالف دون اللام من قوله فمال هؤلاء فى النساء ومال هذا الكتاب فى الكهف ومال هذا الرسول فى الفرقان وفمال الذين فى سأل ووقف الباقون فى فمال على اللام اتباعا للخط بخلاف عن الكسائى قال ابن عطية وتبعه قوم جملة لانها حرف جر فهى بعض المجرور وهذا كله بحسب ضرورة وانقطاع نفس واما ان اختار احد الوقف فيما ذكرناه ابتداء فلا انتهى (قبلك) حال من المنوى فى للذين كفروا اى فمالهم ثابتين حولك (مهطعين) حال من المستكن فى قبلك من الاهطاع وهو الاسراع اى مسرعين نحوك مادى اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) الجار متعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين وعزين حال بعد حال من المنوى فى للذين اى فرقا شتى و بالفارسية كروه كروه حلقة زد كان جمع عزة وهى الفرقة من الناس واصلها عزوة من العزو بمعنى الانتماء والانتساب كأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى اما فى الولادة اوفى المظاهرة فهم مفترقون كان المشركين يتحلقون حول رسول الله حلقا حلقا وفرقا فرقا و يستهزؤن بكلامه و يقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (ايطمع) الطمع نزوع النفس الى الشئ شهوة له واكثر الطمع من جهة الهوى (كل امرئ) هرمردى (منهم) اى من هؤلاء المهطعين (ان يدخل جنة نعيم) بالايمان اى جنة ليس فيها الا النعيم المحض من غير تكدر وتنغص (كلا) ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ اى اتركوا هذا الطمع واقطعوا مثل هذا الكلام و بالفارسية نه اينچنين است وكا فرانرا در بهشت راه نيست ان قيل كيف يكون الطمع وهم قالوا ذلك استهزاء اجيب بان الله عليم باحوالهم فلعل منهم من كان يطمع والا فيكون المراد من الردع قطع وهم الضعفاء عن احتمال صدق قولهم لعل وجه ايراد يدخل مجهولا من الادخال دون يدخل معلوما من الدخول مع انه الظاهر فى رد قولهم لندخلنها اشعار بانه لايدخل من يدخل الا باذن الله وامره للملائكة به و بانهم محرومون من شفاعة تكون سببا للدخول و بان اسناد الدخول اخبارا وانشاء انما يكون للمرضى عنهم والمكرمين عند الله بايمانهم وطاعتهم كقوله تعالى اولئك يدخلون الجنة وقوله ادخلوا الجنة وفى تنكير جنة اشعار بانهم مردودون من كل جنة وان كانت الجنان كثيرة وفى توصيفها بنعيم اشعار بان كل جنة مملوءة بالنعمة وان من طرد من راحة النعيم وقع فى كدر الجحيم وفى ايراد كل اشعار بان من آمن منهم بعد قولهم هذا واطاع الله ورسوله حق له الطمع وتعميم للردع لكل منهم كائنا من كان ممن لم يؤمن (انا خلقناهم مما يعلمون) كما قال ولقد علمتم النشأة الاولى وهو كلام مستأنف ومن ذلك وضع السجا وندى علامة الانتهاء على كلا لتمام الكلام عنده قد سبق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله و بما نزل عليه من الوحى وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية و بشئ يدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على مايعلمون من النشأة الاولى من حال النطفة ثم العلقة ثم المضغة حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما تفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تعالى فلا اقسم وفى التأويلات النجمية انا خلقناهم من الشقاوة الازلية للعداوة الابدية باليد اليسرى الجلالية القهرية كيف ينزلون مكان من خلقهم من السعادة الازلية للمحبة الابدية باليد اليمنى الجمالية اللطفية هذا مما يخالف الحكمة الالهية والارادة السرمدية ولاعبرة بالنطفة والطين لاشتراك الكل فيهما وانما العبرة بالاصطفائية والخاصية فى المعرفة فمن عرف الله كان فى جوار الله لان ترابه من تراب الجنة

فى الحقيقة وروحه من نور الملكوت ومن جهله كان فى بعد عنه لانه من عالم النار فى الحقيقة وكل يرجع الى اصله (فلا اقسم) اى اقسم كما سبق نظائره (وقال الكاشفى) فلا پس نه چنانست كه كفار ميكويند اقسم سوكند ميخورم (برب المشارق والمغارب) جمع المشارق والمغارب امالان المراد بهما مشرق كل يوم من السنة ومغربه فيكون لكل من الصيف والشتاء مائة وثمانون مشرقا ومغربا (وبالفارسية) بآفريدكان مشرقها كه آفتاب داردوهر روزاز نقطهٔ ديكر طلوع مينمايدو بخداوند مغربها كه آفتاب راهست وهر روز بنقطهٔ ديكر غروب ميكند اومشرق كل كوكب ومغربه يعنى مراد مشارق ومغارب نجومست چه هريك ازايشان راهحل شروق وغروب ازدائرة افق نقطهٔ ديكرست * اوالمراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبى وبالمغرب موته اوالمراد انواع الهدايات والخذلانات (انا لقادرون) جواب القسم (على ان نبدل خيرا منهم) اى نبدلهم خذف المفعول الاول للعلم به وخيرا مفعوله الثانى بمعنى التفضيل على التسليم اذ لاخير فى المشركين اونبدلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتى بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم ولم يقع هذا التبديل وانما ذكر الله ذلك تهديدا لهم لكى يؤمنوا وقيل بدل الله بهم الانصار والمهاجرين (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم وبالفارسية يعنى كسى برما بيشى نتواند كرفت اكرارادهٔ امرى كنيم ومغلوب نتوان ساخت در اظهار آن وقيل عاجزين لان من سبق الى شئ عجز (فذرهم) فخلهم وشأنهم (يخوضوا) ويشرعوا فى باطلهم الذى من جملته ماحكى عنهم وهو جواب الامر وهو تهديد لهم وتوبيخ كقوله اعملوا ماشئتم (ويلعبوا) فى الدنيا بالاشتغال بما لاينفعهم وانت مشتغل بما امرت به وهذه الآية منسوخة بالسيف (حتى يلاقوا) من الملاقاة بمعنى المعاينة (يومهم) هو يوم البعث عند النفخة الثانية والاضافة لانه يوم كل الخلق وهم منهم اولان يوم القيامة يوم الكفار من حيث العذاب ويوم المؤمنين من جهة الثواب فكانه يومان يوم للكافرين ويوم للمؤمنين (الذى يوعدون) الآن اوعلى الاستمرار وهو من الوعد كقولهم متى هذا الوعد ويجوزان يكون من الايعاد وهو بالفارسية بيم كردن (يوم يخرجون من الاجداث) بدل من يومهم ولذا حمل على يوم البعث جمع جدث وهو القبر (سراعا) حال من مرفوع يخرجون جمع سريع كظراف جمع ظريف اى مسرعين الى جانب الداعى وصوته وهو اسرافيل ينادى على الصخرة كما سبق (كانهم الى نصب) حال ثانية من المرفوع وهو كل مانصب فعيد من دون الله وعن ابن عمر رضى الله عنهما هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع اليها صاحبها واحد الانصاب كما قال تعالى وما ذبح على النصب وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها وقال الاخفش جمع نصب كرهن ورهن والانصاب جمع الجمع (يوفضون) من الايفاض وهو بالفارسية شتافتن واصله متعداى يسرعون ايهم يستلمه اولا وفيه تهجين لحالهم الجاهلية وتهكم بهم بذكر جهالتهم التى اعتادوها من الاسراع الى مالا يملك نفعا ولاضرا (خاشعة ابصارهم) حال من فاعل يوفضون وابصارهم فاعلها على الاسناد المجازى يعنى وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها والمعنى ذليلة خاضعة لايرفعون ما يتوقعون من العذاب (ترهقهم ذلة) هوايضا حال من فاعل يوفضون اى تغشاهم ذلة شديدة وحقارة عظيمة وهو بالفارسية خوارى ونكونسارى (ذلك) اليوم المذكور الذى سيقع فيه الاحوال الهائلة وهو مبتدأ خبره قوله (اليوم الذى كانوا يوعدون) اى يوعدونه فى الدنيا على السنة الرسل وهم يكذبون به فاندفع توهم التكرار لان الوعد الاول محمول على الآتى واستمرارى كامر وهذا الوعد محمول على الماضى بدلالة لفظ كان وفى الدلة اشارة الى ذلة الأنانية فانهم يوم يخرجون من الاجداث يسارعون الى صور تناسب هيئاتهم الباطنة فيكون اهل الأنانية فى انكر الصور بحيث يقع المسخ على ظاهرهم وباطنهم كما وقع لابليس بقوله انا خير منه فكما ان ابليس طرد من مقام القرب ورهقته ذلة البعد فكذا من فى حكمه من الانس ولذا كان السلف يبكون دما من الاخلاق السيئة لاسيما مايشعر بالانانية من آثار التعين فان التوحيد الحقيقى هوان يصير العبد فانيا عن نفسه باقيا بربه فاذا لم يحصل هذا فقد بقى فيه بقية من الناسوتية وكل اناء يرشح بما فيه فطوبى لمن ترشح منه الحق لا النفس والله اسأل ان يكرمنى به واياكم

(تمت سورة المعارج بعون خالق الداخل والخارج فى العاشر من الشوال سنة سنة عشرة ومائة والف)

* (سورة نوح مكية وآيها سبع اوثمان وعشرون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(انا ارسلنا نوحا الى قومه) مرسرنون العظمة مرارا والارسال يقابل بالامساك تكون للتسخير كارسال الريح والمطر يبعث من له اختيار نحو ارسال الرسل و بالتخلية وترك المنع نحو انا ارسلنا الشياطين على الكافرين قال قتادة ارسل نوح من جزيرة فذهب اليهم ونوح اسمه عبد الغفار عليه السلام سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه اوهو سرياني معناه الساكن لان الارض طهرت من خبث الكفار وسكنت اليه وهو اول من اوتى الشريعة فى قول واول اولى العزم من الرسل على قول الاكثرين واول نذير على الشرك وكان قومه يعبدون الاصنام واول من عذبت امته وهو شيخ المرسلين بعث ابن اربعين سنة اوثلاثمائة وخمسين اوار بعمائة وثمانين ولبث فيهم الف سنة الاخمسين عاما وعاش بعد الطوفان تسعين سنة قال بعض من تصدى للتفسير فيه دلالة على انه لم يرسل الى اهل الارض كلهم لانه تعالى قال الى قومه فلوارسل الى الكل لقيل الى الخلق اومايشابهه كما قيل لرسول الله وماارسلناك الا كافة للناس ولقول رسول الله كان النبى يبعث الى قومه خاصة و بعثت الى الناس عامة ثم قال ان قيل فاجر يمة غيرقومه حتى عممهم فى الدعاء عليهم كما قال لاتذر على الارض من الكافرين ديارا فانه اذا لم يرسل اليهم لم يكن كلهم مخالفا لامره وعاصيا له حتى يستحقوا الدعاء باهلاك اجيب بانه يحتمل انه تحقق ان نفوس كفرة زمانه على سجية واحدة يستحقون بذلك ان يدعى عليهم بالاهلاك ايضا انتهى وفيه نظر لانه قال فى انسان العيون فى قوله عليه السلام وكان كل نبى انما يرسل الى قومه اى جميع اهل زمنه اوجماعة منهم خاصة ومن الاول نوح عليه السلام فانه كان مرسلا لجميع من كان فى زمنه من اهل الارض ولما اخبر بانه لايؤمن منهم الامن آمن معه وهم اهل السفينة وكانوا ثمانين اربعين رجلا واربعين امرأة اوكانوا اربعمائة كما فى العوارف وقد يقال من الآدميين وغيرهم فلامخالفة دعا على من عدا من ذكر باستئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذى كان به هلاك جميع اهل الارض الامن آمن واولم يكن مرسلا اليهم مادعا عليهم بسبب مخالفتهم له فى عبادة الاصنام لقوله تعالى وماكنا معذبين اى فى الدنيا حتى نبعث رسولا وقول بعض المفسرين ارسل الى آل قابيل لاينافى ماذكر لانه يجوز ان يكون آل قابيل اكثر اهل الارض وقتئذ وقد ثبت ان نوحا عليه السلام اول الرسل اى لمن يعبد الاصنام لان عبادة الاصنام اول ماحدثت فى قومه وارسله الله اليهم ينهاهم عن ذلك وحينئذ لايخالف كون اول الرسل آدم ارسله الله الى اولاده بالايمان به تعالى وتعليم شرائعه فان قلت اذا كانت رسالة نوع عامة لجميع اهل الارض كانت مساوية لرسالة نبينا عليه السلام قلت رسالة نوح عليه السلام عامة لجميع اهل الارض فى زمنه ورسالة نبينا محمد عليه السلام عامة لجميع من فى زمنه ومن يوجد بعد زمنه الى يوم القيامة فلامساواة وحينئذ يسقط السؤال وهو انه لم يبق بعد الطوفان الامؤمن فصارت رسالة نوح عامة و يسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بان هذا العموم الذى حصل بعد الطوفان لم يكن من اصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا عليه السلام (ان) اى (انذر قومك) خوفهم بالنار على عبادة الاصنام كى ينتهوا عن الشرك و يؤمنوا بالله وحده فان مفسرة لما فى الارسال من معنى القول و يجوز ان تكون مصدرية تحذف منها الجار واوصل اليها الفعل اى بان انذرهم وجعلت صلتها امرا كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لايختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لاتوصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بها فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهى والمضى والاستقبال كانه قيل ارسلناه بالانذار كذا فى الارشاد وقال بعض العارفين الانبياء والاولياء فى درجات القرب على تفاوت فبعضهم يخرج من نور الجلال و بعضهم من نور الجمال و بعضهم من نور العظمة و بعضهم من نور الكبرياء فمن خرج من نور الجمال اورث قومه البسط والانس ومن خرج من نور العظمة اورث قومه الهيبة والجلال وكان نوح مشكاة نور عظمة الله ولذلك ارسله الى قومه بالانذار فلما عصوه اخذهم بالقهر

(من قبل ان يأتيهم) من الله تعالى (عذاب اليم) عاجل كالطوفان والغرق او آجل كعذاب الآخرة لئلا يبقى لهم عذرما اصلا كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والاليم بمعنى المؤلم او المتألم مبالغة والالم جسمانى وروحانى والثانى اشد كانه قيل فافعل نوح عليه السلام فقيل (قال) لهم (ياقوم) اى كروه من واصله ياقومى خاطبهم باظهار الشفقة عليهم وارادة الخير لهم وتطييب قلوبهم (انى لكم نذير) منذر من عاقبة الكفر والمعاصى وافرد الانذار مع كونه بشيرا ايضا لان الانذار اقوى وفى تأثير الدعوة لما ان اكثر الناس يطيعون اولا بالخوف من القهر وثانيا بالطمع فى العطاء واقلهم يطيعون بالمحبة للكمال والجمال يقول الفقير الظاهر ان الانذار اول الامر كما قال تعالى لنبينا عليه السلام قم فانذر والتبشير ثانى الامر كما قال تعالى و بشر المؤمنين فالانذار يتعلق بالكافرين والتبشير بالمؤمنين وان امكن تبشير الكفار بشرط الايمان لا فى حال الكفر فانهم فى حال الكفر انما يستحقون التبشير التهكمى كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم (مبين) موضح لحقيقة الامر بلغة تعرفونها او بين الانذار (ان اعبدوا الله) متعلق بنذير بان اعبدوا الله والامر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب والجوارح (واتقوه) يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات (واطيعون) يتناول امرهم بطاعته فى جميع المأمورات والمنهيات والاعتقاديات والعمليات وفى التأويلات النجمية اى فى اخلاقى وصفاتى وافعالى واعمالى واقوالى واحوالى انتهى وهذا وان كان داخلا فى الامر بعبادة الله وتقواه الا انه خصه بالذكر تأكيدا فى ذلك التكليف ومبالغة فى تقريره قال بعضهم اصله واطيعونى بالياء ولم يقل واطيعوه بالهاء مع مناسبته لما قبله يعنى اسند الاطاعة الى نفسه لما ان اطاعة الرسول اطاعة الله كما قال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى واطيعوا الرسول فاذا كانوا مأمورين باطاعة الرسول فكان للرسول ان يقول واطيعون وايضا ان الاجابة كانت تقع له فى الظاهر (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) اى بعض ذنوبكم وهو ماسلف فى الجاهلية فان الاسلام يجب ماقبله لا ما تأخر عن الاسلام فانه يؤآخذ به ولا يكون مغفورا بسبب الايمان ولذلك لم يقل يغفر لكم ذنوبكم بطى من التبعيضية فانه يعم مغفرة جميع الذنوب ماتقدم منها وما تأخر وقيل المراد ببعض الذنوب بعض ماسبق على الايمان وهو مالا يتعلق بحقوق العباد (و يؤخركم) بالحفظ من العقوبات المهلكة كالقتل والاغراق والاحراق ونحوها من اسباب الهلاك والاستئصال وكان اعتقادهم ان من اهلك بسبب من هذه الاسباب لم يمت بأجله فخاطبهم على المعقول عندهم فلبس يريد أن الايمان يزيد فى آجالهم كذا فى بعض التفاسير (الى اجل مسمى) معين مقدر عند الله والاجل المدة المضروبة للشئ قال فى الارشاد وهو الامد الاقصى الذى قدره الله لهم بشرط الايمان والطاعة صريح فى ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا به وهو المراد بقوله تعالى (ان اجل الله) وهو ماقدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر وهو الاجل القريب المطلق الغير المبرم بخلاف الاجل المسمى فانه البعيد المبرم واضيف الاجل هنا الى الله لانه المقدر الخالق اسبابه واسند الى العباد فى قوله اذا جاء اجلهم لانهم المبتلون المصابون (اذا جاء) وانتم على ماانتم عليه من الكفر (لا يؤخر) فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذى هو بقاؤكم على الكفر فلا يجئ ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه فالمحكوم عليه بالتأخير هو الاجل المشروط بشرط الايمان والمحكوم عليه بامتناعه هو الاجل المشروط بشرط البقاء على الكفر فلا تناقض لانعدام وحدة الشرط و يجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور فى قوله تعالى من قبل ان يأتيهم عذاب أليم فانه اجل موقت له حتما (لو كنتم تعلمون) شيأ لسارعتم الى مامر تكم به اولعلمتم ان الاجل لا تأخير فيه ولا اهمال وفيه اشارة الى انهم ضيعون اسباب العلم وآلات تحصيله بتوغلهم فى حب الدنيا وطلب لذاتهم حتى بلغوا بذلك الى حيث صاروا كأنهم شاكون فى الموت * روزى كه اجل درآيد از پيش و پست * شك نيست كه مهلت ندهديك نفست * يارى نرسد دران دم از هيچ كست * بر بادشود جمله هوا وهوست (قال) اى نوح مناجيا لربه وحاكيا له وهو أعلم بحال ماجرى بينه و بين قومه من القيل والقال فى تلك المدد الطوال بعد مابذل فى الدعوة غاية المجهود وجاوز فى الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل (رب) اى پروردكار من (انى دعوت قومى) الى الايمان والطاعة (ليلا ونهارا) فى الليل والنهار اى دائما من غير

فتورولاتوان فهما ظرفان لدعوت اراد بهما الدوام على الدعوة لان الزمان منحصر فيهما وفى كشف الاسرار بشبهـا درحانهـاى ايشان و بروزها درانجمنهـاى ايشان وكان يأتى باب احدهم ليلا فيقرع الباب فيقول صاحب البيت من عـلى الباب فيقول انانوح قل لااله الاالله (فلم يزدهم دعائى الافرارا) مما دعو تهم اليه وفى التأو يلات النجميـة من متابعتى ودينى ومانا علـيه من آثار وحيك والفرار بالفارسيـة كريختن وهو مفعول ثان لقوله لم يزدهم لانه يتعدى الى مفعولين يقـال زاده الله خيرا وزيده فزاد وازداد كما فى القا موس واسناد الزيادة الى الدعاء مع انها فعل الله تعالى لسببية لها والمعنى ان الله يزيد الفرار عند الدعوة لصرف المدعو اختياره اليه (وانى كلما دعو تهم) اى الى الايمان وفى التأو يلات النجمية كلما دعو تهم بلسان الامر مجردا عن انضمام الارادة الموجبـة لوقوع المأ مور فان الامر اذا كان مجردا عن الارادة لايجب ان يقع المأمور به بخلاف ما اذا كان مقرونا بالارادة فانه لابد حينئذ من وقوع المأمور به (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) اى سدوا مسامعهم من استمـاع الدعوة فالجعل المذكور كناية عن هذا السد ولامانع من الحمل على حقيقته بان يدخلوا اصابعهم فى ثقب آذانهم قصدا الى عدم الاستماع (واستغشوا ثيابهم) الاستغشـاء جامه بسردر كشيدن كما فى تاج المصـادر مأخوذ من الغشـاء وهو الغطـاء وفى الاصل اشتمـال من فوق ولما كان فيه معنى الستر استعمل بمعناه واصل الاستغشـاء طلب الغشى اى الستر لكن معنى الطلب هنا ليس بمقصود بل هو بمعنى التغطى والستر وانمـا جيئ بصيغته التى هى السين للمبالغة والثياب جمع ثوب سمى به لثوب الغزل اى رجوعه الى الحالة التى قدر لها والمعنى و بالغوا فى التغطى بثيابهم كأنهم طلبوا منها ان تغشاهم اى جميع اجزاء بدنهم آلة الابصار وغيرها لئلا يبصروه كراهة النظر اليه فان المبطل يكره رؤية المحق للتضاد الواقع بينهمـا وقس عليهمـا المتكبر والكافر والمبتدع بالنسبة الى المتواضع والمؤمن والسنى اولئلا يعرفهم فيد عوهم يقول الفقير هذا الثانى ليس بشئ لان دعوته على ماسبق كانت عامة لجميع من فى الارض ذكورهم واناثهم والمعرفة ليست من شرط الدعوة واشتباه الكافر بالمؤمن مدفوع بان المؤمن كان اقل القليـل معلوما على كل حال على ان التغطى من موجبات الدعوة لان بذلك يعلم كونه من اهل الفرار اذلم يكن فى ذلك الزمان حجاب وقال بعضهم و يجوز ان يكون التغطى مجـازا عن عدم ميلهم الى الاستمـاع والقبول بالكلية لان من هذا شأنه لايسمع كلام غيره (واصروا) اى اكبوا وقاموا على الكفر والمعاصى وفى قوت القلوب الاصرار يكون بمعنى ان يعقد بقلبه انه متى قدر على الذنب فعله اولايعقد الندم ولاالتو بة منه واكبر الاصرار السعى فى طلب الاوزار (وفى تاج المصادر) الاصرار پرچيزى باستادن وكوش راست كردن است يقـال اصر الحمار على العانة وهى القطيع من حمر الوحش اذا ضم اذنيه الى رأسه واقبل عليهـا يكدمهـا و يطردها استعير للاقبـال على الكفر والمعاصى والاكباب عليهما بتشبيه الاقبـال المذكور باصرار الحمار على العـانة يكدمهـا و يطردها ولولم يكن فى ارتكاب المعـاصى الاالتشبيـه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه فى اسوء حاله وهو حال الكدم والطرد للسفاد (واستكبروا) تعظموا عن اتباعى وطاعتى واخذتهم العزة فى ذلك (استكبارا) شديد الانهم قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال بعض العارفين من اصر على المعصية اورثته التمادى فى الضلالة حتى يرى قبيح اعماله حسنا فاذا رآه حسنا يتكبر و يعلو بذلك على اولياء الله ولايقبل بعد ذلك نصيحتهم قال سهل قدس سره الاصرار على الذنب يورث النفاق والنفاق يورث الكفر (ثم انى دعوتهم) دعوة (جهـارا) اى اظهرت لهم الدعوة يعنى آشكارا درمحافل ايشان والجهر ظهور الشئ بافراط لحاسة البصر اوحاسة السمع (ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) اشارة الى ذكر عموم الحالات بعد ذكر عموم الاوقات اى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخـالفـة واساليب متفـاوتة وثم لتفـاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد والاعلان ضد الاسرار يقال اسررت الى فلان حديثا افضيت به اليه فى خفية اى من غير اطلاع احد عليه وجهرت به اظهرته بحيث اطلع عليه الغير و يجوز ان يكون ثم لتراخى بعض الوجه عن بعض بحسب الزمان بان ابتدأ بمناصحتهم ودعوتهم فى السر فعاملوه بالامور الاربعه وهى الجعل والتغطى والاصرار والاستكبار ثم ثنى بالمجاهرة بعد ذلك فلما لم يؤثر جمع بين الاعلان والاسرار اى خلط دعاءه بالعلانية بدعاء السر فكما كلهم جميعا كلهم واحدا واحدا سرا وقال بعضهم

اشكارا كردم مر بعضى ايشانرا يعنى باشكارا آواز برد اشتم و باعلاى صوت دعوت كردم و براز كفتم مر بعضى ديكرا از ايشانرا وفى بعض التفاسير ان نوحا عليه السلام لما آذوه بحيث لايوصف حتى كانوا يضربونه فى اليوم مرات هيل صبره فسأل الله ان يواريه عن ابصارهم بحيث يسمعون كلامه ولا يرونه فينالونه بمكروه ففعل الله ذلك به فدعاهم كذلك زمانا فلم يؤمنوا فسأل ان يعيده الى ماكان وهو قوله اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا وقال القاشانى ثم انى دعوتهم جهارا اى نزلت عن مقام التوحيد ودعوتهم الى مقام العقل وعالم النور ثم انى اعلنت لهم بالمعقولات الظاهرة واسررت لهم فى مقام القلب بالاسرار الباطنة ليتوصلوا اليها بالمعقول (فقلت) لهم عقيب الدعوة عطف على قوله دعوت (استغفروا ربكم) اطلبوا المغفرة منه لانفسكم بالتوبة عن الكفر والمعاصى قبل الفوت بالموت (انه) تعالى (كان غفارا) للتائبين بجعل ذنوبهم كأن لم تكن والمراد من كونه غفارا فى الازل كونه مريدا للمغفرة فى وقتها المقدر وهو وقت وجود المغفور له وفى كشف الاسرار كان صلة اليه ورؤية التقصير فى العبودية الندم على ماضاع من ايامهم بالغفلة عن الله وفى الحديث (من اعطى الاستغفار لايمنع المغفرة لانه تعالى قال استغفروا ربكم انه كان غفارا) ولذا كان على رضى الله تعالى عنه يقول ماالهم الله عبدا للاستغفار وهو يريد ان يعذبه وعن بعض العلماء قال الله تعالى ان احب عبادى الى المتحابون بحبى والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم والغفار ابلغ من الغفور وهو من الغافر واصل الغفر الستر والتغطية ومنه قيل لجنة الرأس مغفر لانه يستر الرأس والمغفر من الله ستره للذنوب وعفوه عنها بفضله ورحمته لا بتوبة العباد وطاعتهم وانما التوبة والطاعة للعبودية وعرض الافتقار وفى بعض الاخبار عبدى لو اتيتنى بقراب الارض ذنوبا لغفرتها لك مالم تشرك بى (حكى) ان شيخا حج مع شاب فلما احرم قال لبيك اللهم لبيك فقيل له لا لبيك فقال الشاب للشيخ الا تسمع هذا الجواب فقال كنت اسمع هذا الجواب منذ سبعين سنة قال فلاى شئ تتعب نفسك فبكى الشيخ فقال قالى اى باب النجى فقيل له قد قبلناك * همه طاعت آرند ومسكين نياز * بيانا بدركاه مسكين نواز * چون شاخ برهنه باريم دست * كه بى برك ازين بيش نتوان نشست (يرسل السماء) اى المطر كما قال الشاعر اذا نزل السماء بارض قوم وقال بعضهم اى ماء السماء فحذف المضاف (عليكم) حال كونه (مدرارا) اى كثير الدر وراى السيلان والانصباب وبالفارسية فروكشايد برشما باران پى در پى و بيهنكام وفى الارسال مبالغة بالنسبة الى الانزال وكذا المدرار صيغة مبالغة ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل او امرأة معطار ويرسل جواب شرط محذوف اى ان تستغفروا يرسل السماء وفى قول النحاة فى مثله انه جواب الامر وهو ههنا استغفروا تسامح فى العبارة اعتمادا على وضوح المراد وكسر اللام بالوصل لتحرك الساكن به كان قوم نوح تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ماعكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم الله بما يمحق ماسلف منهم من المعاصى ويجلب عليهم المنافع وهو الاستغفار ولذلك وعدهم بالعوائد العاجلة التى هى اوقع فى قلوبهم من المغفرة واحب اليهم اذ النفس حريصة بحب العاجل ولذلك جعلها جواب الامر بان قال يرسل السماء الخ دون المغفرة بان قال يغفر لكم ليرغبوا فيها ويشاهدوا ان اثرها وبركتها مايقاس عليه حال المغفرة فالاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح ابواب الخيرات كان المعصية سبب لخراب العالم بظهور اسباب القهر الالهى وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم ان آمنوا ان يرزقهم الله الخصب ويدفع عنهم ماكانوا فيه يقول الفقير هذا القول هو الموافق للحكمة لان الله تعالى يبتلى عباده بالخير والشر ليرجعوا اليه الا ترى الى قريش حيث ان الله جعل لهم سبع سنين كسنى يوسف بدعاء النبى عليه السلام ليرجعوا عما كانوا عليه من الشرك فلم يرفعوا له رأسا (ويمددكم باموال وبنين) اى يوصل اليكم ويعطكم المدد والقوة بهما كما قال الله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم (ويجعل لكم) اى وينشئ لكم (جنات) بساتين ذوات اشجار واثمار (ويجعل لكم) فيها (انهارا) جارية تزينها بالنبات وتحفظها عن اليبس وتفرح القلوب وتسقى النفوس كان الظاهر تقديم الجنات والانهار على الامداد لكونهما من توابع الارسال وانما اخرهما لرعاية رأس الآية وللاشعار بان كلا منهما نعمة الهية

على حدة وعن الحسن البصرى قدس سره ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قله النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا و يسألون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الآية قال فى فتح الرحمن ولذلك شرع الاستغفار فى الاستسقاء وهو الدعاء بطلب السقيا على وجه مخصوص فاذا اجدبت الارض وقحط المطر سن الاستسقاء بالاتفاق ومنع ابو حنيفة واصحابه من خروج اهل الذمة ولم يمنعوا عند الثلاثة ولم يختلطوا بالمسلمين ولم يفردوا يوم وقد سبق بعض تفصيله فى سورة البقرة (مالكم لاترجون لله وقارا) انكار لان يكون لهم سبب مافى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد اى الظن بناء على انه اى الرجال انما يكون بالاعتقاد وادنى درجته الظن والوقار فى الاصل السكون والحلم وهو ههنا بمعنى العظمة لانه يتسبب عنها فى الاغلب ولاترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا واو تأخر لكان صفة له والمعنى اى سبب حصل لكم واستقر حال كونكم غير معتقدين لله عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان والطاعة له اى لا سبب لكم فى هذا مع تحقق مضمون الجملة الحالية و بالفارسية چيست شمارا كه اميد نداريد يعنى نمى شنا سيد مر خدا يرا عظمت و بزر كوارى واعتقاد نمى كنيد تا ترسيد از نافرمانى او وفى كشف الاسرار هذا الرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة اى لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس رضى الله عنهما مالكم لاتخشون منه عقابا ولا ترجون منه ثوابا بتوقيركم اياه وفى التأويلات النجمية مالكم لاتطلبون ولاتكسبون من اسم الله الاعظم مايوقركم عنده بالخلق بكل اسم تحته حتى تصيروا بسبب تحققكم بجميع اسمائه الداخلة فيه مظهره ومجلاه (وقد خلقكم اطوارا) يقال فعل كذا طورا بعد طور اى تارة بعد تارة وعدا طوره اى تجاوز حده وقدره والمعنى والحال انكم على حالة منافية لما انتم عليه بالكلية وهى انكم تعلمون انه تعالى خلقكم وقدركم تارات اى مرات حالا بعد حال عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم خلقا آخر فان التقصير فى توقير من هذه شؤونه فى القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لايكاد يصدر عن العاقل وقال بعضهم هى اشارة الى الاطوار السبعة المذكورة فى قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فهذه هى التارات والاحوال السبع المترتب بعضها على بعض كل تارة اشرف مما قبلها وحال الانسان فيها احسن مما تقدمها * چون صورت توبت نه نكارند بكشمير * چون قامت تو سرو نه كارند بكشور * كر نقش تو پيش بت آزر بنكارند * ازشرم فرور يزد نقش بت آزر * وقيل خلقكم صبيانا وشبانا وشيوخا وقيل طوالا وقصارا واقويا، وضعفاء مختلفين فى الخلق والخلق كما قال تعالى واختلاف السنتكم والوانكم وقيل خلقهم اطوارا حين اخرجهم من ظهر آدم للعهد ثم خلقهم حين اذن بهم ابراهيم عليه السلام للحج ثم خلقهم ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم فاراه اياهم وقال بعض اهل المعرفة خلقكم اطوارا من اهل المعرفة ومن اهل المحبة ومن اهل الحكمة ومن اهل التوحيد ومن اهل الشوق ومن اهل العشق ومن اهل الفناء ومن اهل البقاء ومن اهل الخدمة ومن اهل المشاهدة خلق طور الارواح القدسية من نور الجبروت وطور العقول الهادية العارفة من نور الملكوت وطور القلوب الشائقة من معادن القربة وطور اجسام الصديقين من تراب الجنة فكل طور يرجع الى معدنه من الغيب (الم تروا) ياقومى والاستفهام للتقرير والرؤية بمعنى العلم لعلهم علموا ذلك بالسماع من اهله او بمعنى الابصار والمراد مشاهدة عجائب الصنع الدال على كمال العلم والقدرة (كيف خلق الله سبع سموات) حال كونها (طباقا) اى متطابقا بعضها فوق بعض كما سبق فى سورة الملك اتبع الدليل الدال على انه يمكن ان يعيدهم وعلى انه عظيم القدرة بدلائل الانفس لان نفس الانسان اقرب الاشياء اليه ثم اتبع ذلك بدلائل الآفاق فقال (وجعل القمر فيهن نورا) اى منور الوجه الارض فى ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه فى السماء الدنيا لان كل واحدة من السموات شفافة لاتحجب ماوراءها فيرى الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون مافى واحدة منها كانه فى الكل على انه ذهب ابن عباس وابن عمرو وهب بن منبه رضى الله عنهم الى ان الشمس والقمر والنجوم وجوهها مما يلى السماء

وظهورها مما يلى الارض وهو الذى يقتضيه لفظ السراج لان ارتفاع نوره فى طرف العلو ولو لا ذلك لاحرقت جميع ما فى الارض بشدة حرارتها فجعلها الله نورا وسراجا لاهل الارض والسموات فعلى هذا ينبغى ان يكون تقدير ما بعده وجعل الشمس فيهن سراجا حذف لدلالة الاول عليه (وجعل الشمس) هى فى السماء الرابعة وقيل فى الخامسة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فى الشتاء فى الرابعة وفى الصيف فى السابعة ولو أضاءت من الرابعة او من السماء الدنيا لم يطق لها شئ (كما قال فى المثنوى) آفتابى كزوى اين عالم فروخت * اندكى كر پيش آيد جمله سوخت (سراجا) من باب التشبيه البليغ اى كالسراج يزيل ظلمة الليل عند الفجر ويبصر اهل الدنيا فى ضوئها الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور فى الجملة وحضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بجهت آن چراغ گفته كه كما قال تعالى وسراجا منيرا نوروى تاريكئ كفر ونفاق را ازعرصهٔ روى زمين زائل كردانيد * چراغ چشم دل چشم وچراغ جان رسول الله * كه شمع ملت است از پرتو احكام اورخشان * درين ظلمت سرا * كرنه چراغ افروختى شرعش * بكاكس را خلاصى نودى ازتاريكئ طغيان * والسراج اعرق عند الناس من الشمس بوجه الشبه الذى هو ازالة ظلمة الليل لانهم يستعملونه فى الليالى فلا يردان يقال ان نور القمر عرضى مستفاد من الشمس كضوء السراج فتشبيه القمر بالسراج اولى من تشبيه الشمس به وايضا انه من تشبيه الأعلى بالأدنى وقال حضرة الشيخ صدر الدين القنوى قدس سره فى شرح الاربعين حديثا الضياء هو امتزاج النور بالظلمة وليس فى ذات القمر ما يمتزج بالشمس حتى يسمى الناتج بينهما ضياء ولهذا سمى الحق القمر نورا دون الشمس المشبهة بالسراج لكونه ممدودا من الشجرة المباركة المنفى عنها الجهات وانها الحضرة الجامعة للاسماء والصفات (والله انبتكم من الارض نباتا) اى انباتا عجيبا وانشأكم منها انشاء غريبا بواسطة انشاء ابيكم آدم منها او انشأ الكل منها من حيث انه خلقهم من النطف المتولدة من الاغذية المتولدة من النبات المتولد من الارض استعير الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الارض لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لاستحالة حدوث النبات ووضع نباتا موضع انباتا على انه مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر دل عليه القرينة الآتية وهى قوله ويخرجكم اخراجا وقال بعضهم نباتا حال لا مصدر ونبه بذلك ان الانسان من وجه نبات من حيث ان بدأه ونشأته من التراب وانه ينموه وان كان له وصف زائد على النبات والنبات ما يخرج من الارض سواء كان له ساق كالشجر اولم يكن كالنجم لكن اختص فى التعارف بما لا ساق له بل اختص عند العامة بما يأكله الحيوان وقال بعض اهل المعرفة والله انبتكم من الارض نباتا اى جعل غذآءكم الذى تنموبه اجسادكم من الارض كما جعل النبات ينمو بالماء بواسطة التراب فغذآء هذه النشأة ونموها بما خلقت منه (ثم يعيدكم فيها) اى فى الارض بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والحشر (اخراجا) محققا لا ريب فيه وذلك لمجازاة الاولياء ومحاسبة الاعدآء ولم يقل ثم يخرجكم بل ذكر بالواو الجامعة اياها مع يعيدكم رمزا الى ان الاخراج مع الاعادة فى القبر كشئ واحد لا يجوز ان يكون بعضها محقق الوقوع دون بعض وفى التأويلات النجمية والله انبت من ارض بشريتكم نبات الاخلاق والصفات ثم يعيدكم فى تلك الارض بالبقاء بعد الفناء بطريق الرجوع الى احكام البشرية بالله لا بالطبع والميل الطبيعى ويخرجكم اى ويظهركم ويغلبكم على التصرف فى العالم بالله لا بكم ولا بقدرتكم واستطاعتكم (والله) كرر الاسم الجليل للتعظيم والتيمن والتبرك (جعل لكم) اى لمنافعكم (الارض) سبق بيانها فى سورة الملك وغيرها (بساطا) مبسوطة متسعة كالبساط والفراش تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم قال ابو حيان ظاهره ان الارض ليست كرية بل هى مبسوطة قال سعدى المفتى وانما قال ظاهره لانه يقال التشبيه انما هو فى التقلب عليها على ما فسروه انتهى وقدمر مرارا ان كرية الارض لا تنافى الحرث والغرس ونحوهما لعظم دآئرتها كما يظهر الفرق بين بيضة الحمامة وبيضة النعامة (لتسلكوا) من السلوك وهو الدخول لا من السلك وهو الادخال (منها سبلا فجاجا) اى طرقا واسعة جمع سبيل وفج وهو الطريق الواسع فجرد هنا لمعنى الواسع فجعل صفة لسبلا وقيل هو المسلك بين الجبلين قال فى المفردات الفج طريق يكتنفها جبلان ويستعمل فى الطريق الواسع

ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ اى لتسلكوا متخذين من الارض سبلا فتتصرفوا فيها مجيأ وذهابا او بمضمر هو حال من سبلا اى كائنة من الارض واوأخر لكان صفة لها ثم جعلها بساطا للسلوك المذكور لاينافى غيره من الوجوه كالنوم و الاستراحة والحرث والغرس ونحوها ثم السلوك اما جسمانى بالحركة الابنية الموصلة الى المقصد واما روحانى بالحركة الكيفية الموصلة الى المقصود ولكل منهما فوائد جليلة كطلب العلم والحج والتجارة وغيرها وكتحصيل المحبة والمعرفة والانس ونحوها وقال القاشانى والله جعل لكم ارض البدن بساطا لتسلكوا منها سبل الحواس فجاجا اى خروقا واسعة اومن جهتها سبل سماء الروح الى التوحيد كما قال امير المؤمنين رضى الله عنه سلونى عن طرق السماء فانى اعلم بها من طرق الارض أراد الطرق الموصلة الى الكمال من المقامات والاحوال كالزهد والعبادة والتوكل والرضى وامثال ذلك ولهذا كان معراج النبى عليه السلام بالبدن (قال نوح) اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه فهو بدل من قال الاول ولذا ترك العطف اى قال مناجيا له تعالى (رب) اى يرورد كار من (انهم عصونى) داموا على عصيانى ومخالفتى فيما امرتهم به مع مابالغت فى ارشادهم بالعظة والتذكير (واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا) اى استمروا على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصارت تلك الاموال والاولاد سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا اسوة لهم فى الخسار وفى وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة صحة للاتباع كما قالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فجعلوا الغنى سببا صحيحا للاتباع ودل الكلام على ان ازدياد المال والولد كثيرا مايكون سببا للهلاك الروحانى ويورث الضلال فى الدين اولا والاضلال عن اليقين ثانيا قال ابن الشيخ المفهوم من نظم الآية ان اموالهم واولادهم عين الخسار وان ازديادهما انما هو ازدياد خسارهم والامر فى الحقيقة كذلك فانهما وان كانا من جملة المنافع المؤدية الى السعادة الابدية بالشكر عليهما وصرفهما الى وجوه الخير الا انهما اذا اديا الى البطر والاغترار وكفران حق المنعم بهما وصارا وسيلتين الى العذاب المؤبد فى الآخرة صارا كانهما محض الخسار لان الدنيا فى جنب الآخرة كالعدم فمن انتفع بهما فى الدنيا خسر سعادة الآخرة وصار كمن اكل لقمة مسمومة من الحلوى فهلك فان تلك اللقمة فى حقه هلاك محض اذلا عبرة لانتفاعه بها فى جنب مافاته اليه * توغافل دراندیشهٔ سود ومال * كه سرمایهٔ عمر شد پایمال (ومكروا) عطف على صلة من لان المكر الكبار يليق بكبرآئهم والجمع باعتبار معناها والمكر الحيلة الخفية و فى كشف الاسرار المكر فى اللغة غاية الحيلة وهو من فعل الله تعالى اخفاء التدبير (مكرا كبارا) اى كبيرا فى الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير نحو طوال وطوال وطويل ومعنى مكرهم الكبار احتيالهم فى منع الناس عن الدين وتحريشهم لهم على اذية نوح قال الشيخ لما كان التوحيد اعظم المراتب كان المنع منه والامر بالشرك اعظم الكبائر فلذا وصفه الله بكونه مكرا كبارا (وقالوا) اى الرؤساء للاتباع والسفلة (لاتذرن آلهتكم) اى لاتتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ومن عطف مكروا على اتبعوا يقول معنى وقالوا وقال بعضهم لبعض فالقائل ليس هو الجميع (ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) جرد الاخيرين عن حرف النفى اذبلغ التاكيد نهايته وعلم ان القصد الى كل فرد فرد لاالى المجموع من حيث هو مجموع والمعنى ولاتذرن عبادة هؤلاء خصوصا فهو من عطف الخاص على العام خصوصا بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم وأعظم ماعندهم وقد انتقلت هذه الاصنام باعيانها عنهم الى العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل بضم دال دومة ولذلك سمت العرب بعبد ود قال الراغب الود صنم سمى بذلك اما لمودتهم له اولاعتقادهم ان بينه وبين البارى تعالى مودة تعالى الله عن ذلك وكان سواع لهمدان بسكون الميم قبيلة باليمن ويغوث لمذحج كمجلس بالذال المعجمة وآخره جيم ومنه كانت العرب تسمى عبد يغوث ويعوق لمراد وهو كغراب ابو قبيله سمى به لانه تمرد ونسر لحمير بكسر الحاء وسكون الميم بوزن درهم موضع غربى صنعاء اليمن وقيل انتقلت اسماؤها اليهم فاتخذوا امثالها فعبدوها اذ بعد بقاء اعيان تلك الاصنام كيف وقد خربت الدنيا فى زمان الطوفان ولم يضعها نوح فى السفينة لانه بعث لنفيها وجوابه ان الطوفان دفنها فى ساحل جدة فلم تزل مدفونة حتى اخرجها اللعين لمشركى العرب نظيره ماروى ان آدم

عليه السلام كتب اللغات المختلفة فى طين وطبخه فلما اصاب الارض الغرق بقى مدفونا ثم وجد كل قوم كتابا فكتبوه فاصاب اسمعيل عليه السلام الكتاب العربى وقيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم ماتوا فحزن الناس عليهم حزنا شديدا واجتمعوا حول قبورهم لايكادون يفارقونها وذلك بارض بابل فلما رأى ابليس فعلهم ذلك جاء اليهم فى صورة انسان وقال لهم هل لكم ان اصور لكم صورهم اذا نظرتم اليها ذكرتموهم واستأنستم وتبركتم بهم قالوا نعم فصور لهم صورهم من صفر ورصاص ونحاس وخشب وحجر وسمى تلك الصور باسمائهم ثم لما تقادم الزمن وانقرضت الآباء والابناء وابناء الابناء قال لمن حدث بعدهم ان من قبلكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها فى زمان مهلايل بن قينان ثم صارت سنة فى العرب فى الجاهلية وذلك اما باخراج الشيطان اللعين تلك الصور كما سبق او بانه كان لعمرو بن لحى وهو اول من نصب الاوثان فى الكعبة تابع من الجن فقال له اذهب الى جدة وائت منها بالآلهة التى كانت تعبد فى زمن نوح وادريس وهى ود الخ فذهب واتى بها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت عبادة الاصنام فى العرب وعاش عمرو بن لحى ثلاثمائة وار بعين سنة ورأى من ولده وولد ولد ولده الف مقاتل ومكث هو وولده فى ولاية البيت خمسمائة سنة ثم انتقلت الولاية الى قريش فكثوا فيها خمسمائة اخرى فكان البيت بيت الاصنام الف سنة وذكر الامام الشعرانى ان اصل وضع الاصنام انما هو من قوة التنزيه من العلماء الاقدمين فانهم نزهوا الله عن كل شئ وامر وابذلك عامتهم فلما رأوا ان بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الاصنام وكسوها الديباج والحلى والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذى غاب عن عقولهم وغاب عن اولئك العلماء ان ذلك لايجوز الا باذن من الله تعالى هذا كلامه قال السهيلى ولا أدرى من اين سرت لهم تلك الاسماء القديمة امن قبل الهند فقد ذكر عنهم انهم كانوا المبدأ فى عبادتهم الاصنام بعد نوح ام الشيطان الههم ماكانت عليه الجاهلية الاولى قبل نوح وفى التكملة روى تقى بن مخلد ان هذه الاسماء المذكورة فى السورة كانوا ابناء آدم عليه السلام من صلبه وان يغوث كان اكبرهم وهى اسماء سريانية ثم وقعت تلك الاسماء الى اهل الهند فسموا بها اصنامهم التى زعموا انها على صور الدراري السبعة وكانت الجن تكلمهم من جوفها فافتتنوا بها ثم ادخلها الى ارض العرب عمرو بن لحى بن قمعة بن الياس بن مضر فمن قبله سرت الى ارض العرب وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وهو طائر عظيم لانه ينسر الشئ ويقتلعه وفى التأويلات النجمية لا تتركن عبودية آلهتكم التى هى ود النفس المصورة بصورة المرأة وسواع الهوى المصور بصورة الرجل ويغوث الطبيعة المشكلة بشكل الاسد ويعوق الشهوة المشكلة بصورة الفرس ونسر الشره المصور بصورة النسر قال القاشانى اى معبوداتكم التى عكفتم بهواكم عليها من ود البدن الذى عبدتموه بشهواتكم واحببتموه وسواع النفس ويغوث الاهل ويعوق المال ونسر الحرص (وقد اضلوا) اى الرؤساء والجملة حالية (كثيرا) اى خلقا كثيرا او اضل الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس جمعهم جمع العقلاء لعدهم آلهة ووصفهم باوصاف العقلاء (ولا تزد الظالمين) بالاشراك فان الشرك ظلم عظيم اذ اصل الظلم وضع الشئ فى غير موضعه فهل شئ اسوأ فى هذا من وضع اخس المخلوق وعبادته موضع الخالق الفرد الصمد وعبادته (الا ضلالا) الجملة عطف على قوله تعالى رب انهم عصونى اى قال رب انهم عصونى وقال ولا تزد الظالمين الا ضلالا فالواو من الحكاية لا من المحكى اومن كلام الله لا من كلام نوح فنوح قال كل واحد من هذين القولين من غير ان يعطف احدهما على الآخر فحكى الله احد قوليه بتصديره بلفظ قال وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الاول بالواو النائبة عن لفظ قال فلا يلزم عطف الانشاء على الاخبار ويجوز عطفه على مقدراى فاخذلهم فالواو حينئذ من المحكى والمراد بالضلال هو الضياع والهلاك والضلال فى تمشية مكرهم وترويجه مصالح دنياهم لا فى امر دينهم حتى لا يتوجه انه انما بعث ليصرفهم عن الضلال فكيف يليق به ان يدعو الله فى ان يزيد ضلالهم وان هذا الدعاء يتضمن الرضى بكفرهم وذلك لايجوز فى حق الانبياء وان كان يمكن ان يجاب بانه بعد ما اوحى اليه انه لا يؤمن من قومك الا من قد آمن وان المحذور هو الرضى المقرون باستحسان الكفر ونظيره دعاء موسى عليه السلام بقوله واشدد على قلوبهم فمن احب موت الشرير بالطبع على الكفر حتى ينتقم الله منه فهذا ليس بكفر فيؤول المعنى الى ان يقال ولا تزد

الظالمين الاضلالا وغيا ليزدادوا عقابا كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقوله انى اريدان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار قالوا دعا نوح الابناء بعد الاباء حتى بلغوا سبعة قرون فلما ايس من ايمانهم دعا عليهم (مما خطيئاتهم) اى من اجل خطيئات قوم نوح واعمالهم المخالفة للصواب وهى الكفر والمعاصى ومامزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله مما خطيئاتهم فانه يدل على ان اغراقهم بالطوفان لم يكن الامن اجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين من ان ذلك كان لاقتضاء الاوضاع الفلكية اياه ونحو ذلك فانه كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الآية ولزيادة ما الابهامية فائدة غير التوكيد وهى تفخيم خطيئاتهم اى من اجل خطيئاتهم العظيمة ومن لم يرز يادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها والخطيئات جمع خطيئة وقرأ ابو عمرو خطاياهم بلفظ الكثرة لان المقام مقام تكثير خطيئاتهم لانهم كفروا الف سنة والخطيئات لكونه جمع السلامة لايطلق على مافوق العشرة الابالقرينة والظاهر من كلام الرضى ان كل واحد من جمع السلامة والتكثير لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما ولذا قيل انهما مشتركان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى مانفدت كلمات الله (اغرقوا) فى الدنيا بالطوفان لابسبب آخر وفيه زجر لمرتكب الخطايا مطلقا (فادخلوا نارا) تنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها اولانه تعالى اعدلهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار والمراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا فى الماء فان من مات فى ماء اونار اوأكلته السباع اوالطير اصابه مايصاب المقبور من العذاب عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب اى بالابدان ويحرقون من جانب اى بالارواح فجمعوا بين الماء والنار كما قال الشاعر

الخلق مجتمع طورا ومفترق * والحادثات فنون ذات اطوار

لاتعجبن لاضداد اذا اجتمعت * فالله يجمع بين الماء والنار

اوعذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لامحالة واتصال زمانه بزمانه كما دل عليه قوله من مات فقد قامت قيامته على ان النار اما نصف نار وهى للارواح فى البرزخ واما تمام نار وهى للارواح والاجسام جميعا بعد الحشر وقس على الجحيم النعيم (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) اى لم يجد احد منهم لنفسه واحدا من الانصار ينصرهم على من اخذهم بالقهر والانتقام وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم ومن دون الله حال متقدمة من قوله انصارا والجملة الاستئنافية الى هنا من كلام الله اشعارا بدعوة اجابة نوح وتسلية للرسول عليه السلام واصحابه وتخويفا للعاصى من العذاب واسبابه (وقال نوح) بعدما قنط من اهتدائهم قنوطا تاما بالامارات الغالبة وباخبار الله تعالى (رب) اى يرور دكارمن (لاتذر على الارض) لاتترك على الارض (من الكافرين) بك وبماجاء من عندك حال متقدمة من قوله (ديارا) احدا يدور فى الارض فيذهب ويجئ اى فاهلكهم بالاستئصال والجملة عطف على نظيرها السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التى عددها نوح واشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لما انها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ماجرى بينه عليه السلام وبينهم من الاحوال والاقوال والاخر عن حكاية دعائه هذا وديار من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال مابالدار ديار اوديور كقيام وقيوم اى احد وساكن وهو فيعال من الدور اومن الدار اصله ديوار وقد فعل به مافعل باصل سيد فمعنى ديار على الاول احد يدور فى الارض فيذهب ويجئ وعلى الثانى احد ممن ينزل الدار ويسكنها وانكر بعضهم كونه من الدوران وقال لو كان من الدوران لم يبق على وجه الارض جنى ولاشيطان وليس المعنى على ذلك وانما المعنى اهلاك كل ساكن دار من الكفار اى كل انسى منهم يقول الفقير جوابه سهل فان المراد كل من يدور على الارض من امة الدعوة وليس الجن والشيطان منها اذلم يكن نوح مبعوثا الى الثقلين وليس ديار فعالا من الدار والاقيل دوار لان اصل دار دور فقلبت واوه الفا فلما ضعفت عينه كان دوارا بالواو الصحيحة المشددة اذ لاوجه لقلبها ياء (انك ان تذرهم) عليها كلا او بعضا ولا تهلكهم بيان لوجه دعائه عليهم واظهار بانه كان من الغيرة فى الدين لا لغلبة غضب النفس لهواها (يضلوا عبادك) عن طريق الحق قال بعضهم عبادك المؤمنين وفيه اشعار بان الاهل لان يقال لهم عباد اهل الايمان انتهى وفيه نظر بل المراد يصدوا عبادك عن سبيلك كقوله تعالى

وصدوا عن سبيل الله دل عليه انه كان الرجل منهم ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه واوصانى بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (ولا يلدوا) ونزايد (الا فاجرا) الفجر شق الشئ شقا واسما كفجر الانسان السكر وهو بالكسر اسم لسد النهر وماسد به النهر والفجور شق ستر الديانة (كفارا) مبالغا فى الكفر والكفران قال الراغب الكفار ابلغ من الكفور وهو المبالغ فى كفران النعمة والمعنى الامن سيفجر ويكفر فالوجه ارتفاعهم عن وجه الارض والعالك فوصفهم بما يصيرون اليه بعد البلوغ فهو من مجاز الاول وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله بالوحى لقوله تعالى فى سورة هود واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فان قلت هذا اذا كان دعاء نوح متأخرا عن وحى تلك الآية وذلك غير معلوم قلت الظاهر ان مثل هذا الدعاء انما يكون فى الاواخر بعد ظهور امارات النكال قال بعضهم لا يلد الحية الا الحية وذلك فى الاغلب ومن هنا قيل (اذا طاب اصل المرء طابت فروعه) ونحوه الولد سرابيه قال بعضهم فى توجيهه ان الولد اذا كبر انما يتعلم من اوصاف ابيه او يسرق من طباعه بل قد يصحب المرء رجلا فيسرق من طباعه فى الخير والشر يقول الفقير معناه فيه ما فيه اى من الجمال والجلال فقد يكون الجمال الظاهر فى الاب باطنا فى الابن كما كان فى قابيل بن آدم حيث ظهر فيه ما بطن فى ابيه من الجلال وكان الامر بالعكس فى هابيل بن آدم وهكذا الامر الى يوم القيامة فى الموافقة والمخالفة وقال بعض الكبار اعتذار نوح يوم القيامة عند طلب الخلق الشفاعة منه بدعوته على قومه انما هو لما فيها من قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لا نفس دعائه عليهم من حيث كونه دعاء انتهى اشار الى ان دعاء نوح كان بالامارات حيث جر بهم قريبا من الف سنة فلم يظهر منهم الا الكفر والفجور ولو كان بالوحى لما اعتذر كما قال القاشانى مل من دعوة قومه وضجر واستولى عليه الغضب ودعا به لتدمير قومه وقهرهم وحكم بظاهر الحال ان المحجوب الذى غلب عليه الكفر لا يلد الا مثله فان النطفة التى تنشأ منها النفس الخبيثة المحجوبة وتتربى بهيئتها المظلمة لا تقبل الا مثلها كالبذر الذى لا ينبت الا من صنفه وسنخه وغفل عن ان الولد سرابيه اى حاله الغالبة على الباطن فربما كان الكافر باقى الاستعداد صافى الفطرة نقى الاصل بحسب الاستعداد الفطرى وقد استولى على ظاهره العادة ودين آبائه وقومه الذين نشأ بينهم فدان بدينهم ظاهرا وقد سلم باطنه فيلد المؤمن على حال النورية كولادة ابى ابراهيم عليه السلام فلا جرم تولد من تلك الهيئة الغضبية الظلمانية التى غلبت على باطنه وحجبته فى تلك الحالة عما قال مادة ابنه كنعان وكان عقوبة لذنب حاله انتهى ويدل على ما ذكر من ان دعاءه ليس مبنيا على الوحى ما ثبت ان النبى عليه السلام شبه عمر رضى الله عنه فى الشدة بنوح وابابكر رضى الله عنه فى اللين بابراهيم قال بعض العارفين فى قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فى هذه الآية عتاب لطيف فانها نزلت حين مكث يدعو على قوم شهرا مع ان سبب ذلك الدعاء انما هو الغيرة على جناب الله تعالى وما يستحقه من الطاعة ومعنى العتاب انى ما ارسلناك سبابا ولا لعانا وانما بعثناك رحمة اى لترحم مثل هؤلاء الذين دعوت عليهم كانه يقول لو كان بدل دعائك عليهم الدعاء لهم لكان خيرا فانك اذا دعوتنى لهم ربما اجبت دعاءك فوفقتهم لطاعتى فترى سرور عينك وقرتها فى طاعتهم لى واذا عنتهم ودعوت عليهم واجبت دعاءك فيهم لم يكن من كرمى ان آخذهم الا بزيادة طغيانهم وكثرة فسادهم فى الارض وكل ذلك انما كان بدعائك عليهم فكانك امرتهم بالزيادة فى الطغيان الذى اخذناهم به فتنبه رسول الله عليه السلام لما ادبه به فقال ان الله ادبنى فاحسن تأديبى ثم صار يقول بعد ذلك اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وقام ليلة كاملة الى الصباح بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم لا يزيد عليها فاين هذا من دعائه قبل ذلك على رعل وذكوان وعصية وعلى صناديد قريش اللهم عليك بفلان اللهم عليك بفلان فاعلم ذلك فاقتد بنبيك فى ذلك والله يتولى هداك (وقال بعض اهل المعرفة) نوح چون از قوم خود برنجيد بهلاك ايشان دعا كرد ومصطفى عليه السلام چون از قوم خود برنجيد بشفقت گفت اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون واعلم انه لا يجوز ان يدعى على كافر معين لانا لا نعلم خاتمته ويجوز على الكفار والفجار مطلقا وقد دعا عليه السلام على من تحزب على المؤمنين وهذا هو الاصل فى الدعاء على الكافرين (رب اغفر لى) ذنوبى وهى ما صدر منه من ترك الاولى (ولوالدى) ذنوبهما ابوه لمك بن متوشلخ على وزن الفاعل كمتدحرج او هو بضم الميم والتاء المشددة المضمومة وفتح الشين المعجمة وسكون

اللام وروى بعضهم الفتح فى الميم وامه سمخا بنت انوش كانا مؤمنين قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكفر نوح اب ما بينه و بين آدم وفى اشراق التواريخ امه قسوس بنت كابيل وفى كشف الاسرار هيجل بنت لاموس ابن متوشلخ بنت عمه وكانا مسلمين على ملة ادريس عليه السلام وقيل المراد بوالديه آدم وحواء عليهما السلام (ولمن دخل بيتى) اى منزلى وقيل مسجدى فانه بيت اهل الله وان كان بيت الله من وجه وقيل سفينتى فانها كانت فى حرز الحوائج وحفظ النفوس عن الحر والبرد وغيرهما (مؤمنا) حال كون الداخل مؤمنا و بهذا القيد خرجت امرأته واعلة وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك (وللمؤمنين والمؤمنات) بى اومن لدن آدم الى يوم القيامة وكفته اندمراد ابن امت مرحومه اند خص اولا من يتصل به نسبا ودينا لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات وفى الحديث (ما الميت فى القبر الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من اب اواخ اوصديق فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا ومافيها وان الله ليدخل على اهل القبور من دعاء اهل الارض امثال الجبال وان هدية الاحياء الى الاموات الا ستغفار لهم (ولا تزد الظالمين الا تبارا) اى هلاكا وكسرا و بالفارسية مكر هلاكى بسختى والتبرد قال الذهب قال فى الاول ولا تزد الظالمين الا ضلالا لانه وقع بعد قوله وقد اضلوا كثيرا وفى الثانى الا تبارا لانه وقع بعد قوله لا تذر على الارض الخ فذكر فى كل مكان ما اقتضاه وماشاكل معناه والظاهر انه عليه السلام اراد بالكافرين والظالمين الذين كانوا موجودين فى زمانه متمكنين فى الارض مابين المشرق والمغرب فسؤله ان يهلكهم الله فاستجيب دعاؤه فعمهم الطوفان بالغرق ومانقل عن بعض المنجمين من انه اراد جزيرة العرب فوقع الطوفان عليهم دون غيرهم من الآفاق مخالف لظاهر الكلام وتفسير العلماء وقول اصحاب التواريخ بان الناس بعد الطوفان توالدوا وتناسلوا وانتشروا فى الاطراف مغاربها ومشارقها من اهل السفينة دل الكلام على ان الظالم اذا ظهر ظلمه واصر عليه ولم ينفعه النصح استحق ان يدعى عليه وعلى اعوانه وانصاره قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم باراءة اهلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا و يصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله برائتهم فاهلكهم بغير عذاب وكم من الصبيان من يموت بالغرق والحرق وسائر اسباب الهلاك وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان بار بعين اوسبعين سنة فلم يكن معهم صبى ولا مجنون حين غرقوا لان الله تعالى قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم ولم يوجد التكذيب من الاطفال والمجانين وفى الاسئلة المفحمة ولواهلك الاطفال بغير ذنب منهم ماذا يضر فى الربوبية ليس الله يقول قل فمن يملك من الله شيأ ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا يقول الفقير الظاهر هلاك الصبيان مع الآباء والامهات لان نوحا عليه السلام الحقهم بهم حيث قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اذمن سيفجر و يكفر فى حكم الفاجر والكافر فلذلك دعا على الكفار مطلقا عموما بالهلاك لاستحقاق بعضهم له بالاصالة و بعضهم بالتبعية ودعا للمؤمنين والمؤمنات عموما و خصوصا بالنجاة لان المغفور ناج لامحالة وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان اذا قرأ القرآن بالليل فر بآية يقول ياعكرمة ذكرنى هذه الآية غدا فقرأ ذات ليلة هذه الآية اى رب اغفرلى الخ فقال ياعكرمة ذكرنى هذه غدا فذكرتها له فقال ان نوحا دعا بهلاك الكافرين ودعا للمؤمنين بالمغفرة وقد استجيب دعاؤه على الكافرين فاهلكوا وكذلك استجيب دعاؤه فى المؤمنين فيغفرالله للمؤمنين والمؤمنات بدعائه * وردعن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قال نجاة المؤمنين بثلاثة اشياء بدعاء نوح وبدعاء اسحق و بشفاعة محمد عليه السلام يعنى المذنبين وفى التأويلات النجمية رب اغفرلى ولوالدى من العقل الكلى والنفس الكلى ولمن دخل بيتى مؤمنا من الروح والقلب وللمؤمنين من القوى الروحانية والمؤمنات من النفوس الداخلة تحت نورالروح والقلب بسبب نورالايمان ولا تزد الظالمين النفس الكافرة والهوى الظالم الا تبارا هلاكا بالكلية بالفناء فى الروح والقلب وعلى هذا التأويل يكون دعاء لهم لادعاء عليهم انتهى وقال القاشانى رب اغفرلى اى استرنى بنورك بالفناء فى التوحيد ولوحى ونفسى اللذين هما ابوا القلب ولمن دخل بيتى اى مقامى فى حضرة القدس مؤمنا بالتوحيد العلمى ولارواح الذين آمنوا ونفوسهم فبلغهم الى مقام الفناء فى التوحيد ولا تزد الظالمين الذين

نقصوا حظهم بالاحتجاب بظلمة نفوسهم عن عالم النور الا تيارا هلاكا بالغرق فى بحر الهيولى وشدة الاحتجاب انتهى فيكون دعاء عليهم كما لايخفى

تمت سورة نوح بعون من بيده الفتوح يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شوال من سنة ست عشرة ومائة والف

سورة الجن ثمان وعشرون آية مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل) يامحمد لقومك (اوحى الى) اى القى على بطريق الوحى واخبرت باعلام من الله تعالى والايحاء اعلام فى خفاء وفائدة اخباره بهذه الاخبار بيان انه رسول الثقلين والنهى عن الشرك والحث على التوحيد فان الجن مع تمردهم وعدم مجانستهم اذا آمنوا فكيف لابؤمن البشر مع سهولة طبعهم ومجانستهم (انه) بالفتح لانه فاعل اوحى والضمير للشأن اى ان الشأن والحديث (استمع) اى القرآن اوطه اواقرأ وقد حذف لدلالة مابعده عليه والاستماع بالفارسية نيوشيدن والمستمع من كان قاصدا للسماع مصغيا اليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد اليه فكل مستمع سامع من غير عكس (نفر من الجن) جماعة منهم مابين الثلاثة الى العشرة وبالفارسية كر وهى كه ازده كمتر وازسه بيشتر بودند قال فى القاموس النفر مادون العشرة من الرجال كالنفير والجمع انفار وفى المفردات النفر عدة رجال يمكنهم النفر الى الحرب بالفارسية بيرون شدن والجن واحده جنى كروم وروى ونحوه قال ابن عباس رضى الله عنهما انطلق رسول الله عليه السلام فى طائفة من اصحابه الى سوق عكاظ فادركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فاخذ هو عليه السلام يصلى باصحابه صلاة الفجر فرعليهم نفر من الجن وهم فى الصلاة فلما سمعوا القرآن استمعوا له وفيه دليل على انه عليه السلام لم ير الجن حينئذ اذلو رآهم لما اسند معرفة هذه الواقعة الى الوحى فان ماعرف بالمشاهدة لايستند اثباته الى الوحى وكذا لم يشعر بحضورهم و باستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قرآءته فسمعوها فاخبره الله بذلك وقد مضى مافيه من التفصيل فى سورة الاحقاف فلا نعيده والجن اجسام رقاق فى صورة تخالف صورة الملك والانس عاقلة كالانس خفية عن ابصارهم لايظهرون لهم ولايكلمونهم الا صاحب معجزة بل يوسوسون سائر الناس يغلب عليهم النارية اوالهوآئية و يدل على الاول مثل قوله تعالى وخلق الجان من مارج من نار فان المشهوران المركبات كلها من العناصر فمايغلب فيه النار فنارى كالجن ومايغلب فيه الهوآء فهوآئى كالطير ومايغلب فيه الماء فمائى كالسمك ومايغلب فيه التراب فترابى كالانسان وسائر الحيوانات الارضية واكثر الفلاسفة ينكرون وجود الجن فى الخارج واعترف به جمع عظيم من قدمائهم وكذا جمهور أرباب الملل المصدقين بالانبياء قال القاشانى ان فى الوجود نفوسا ارضية قوية لافى غلظ النفوس السبعية والبهيمية وكثافتها وقلة ادراكها ولاعلى هيئات النفوس الانسانية واستعداداتها ليلزم تعقلها بالاجرام الكثيفة الغالب عليها الارضية ولافى صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتتصل بالعالم العلوى وتتجرد اوتتعلق ببعض الاجرام السماوية متعلقة باجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوآئية اوالنارية اوالدخانية على اختلاف احوالها سماها بعض الحكماء الصور المعلقة ولها علوم وادراكات من جنس علومنا وادراكاتنا ولما كانت قريبة بالطبع الى الملكوت السماوى امكنها ان تتلقى من عالمها بعض الغيب فلايستبعدان ترتقى افق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة اى النفوس المجردة ولما كانت ارضية ضعيفة بالنسبة الى القوى السماوية تأثرت بتأثير تلك القوى فرجمت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وادراك مداها من العلوم ولاينكر أن تشتعل اجرامها الدخانية بأشعة الكواكب فتحترق وتهلك اوتزجر عن الارتقاء الى الافق السماوى فتسفل فانها امور ليست بخارجة عن الامكان وقد اخبر عنها اهل الكشف والعيان الصادقون من الانبياء والاولياء خصوصا اكملهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهى فى الوجود الانسانى لاستتارها فى غيب الباطن (فقالوا) لقومهم عند رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرءانا) اى كتابا مقروا على لسان الرسول (عجبا) مصدر بمعنى العجيب وضع موضعه للمبالغة والعجيب ماخرج عن حد اشكاله ونظائره والمعنى بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن النظم و دقة المعنى وقال البقلى كتابا عجيبا تركيبه وفيه اشارة الى انهم كانوا من اهل اللسان قال عيزار بن حريث كنت عند عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فاتاه رجل

فقال له كنا فى سفر فاذا نحن بحية جريحة تتشحط فى دمها اى تضطرب فان الشحط بالحاء المهملة الاضطراب فى الدم فقطع رجل منا قطعة من عمامته فلفها فيها فدفنها فلما امسينا ونزلنا أتانا امرأتان من احسن نساء الجن فقالتا ايكم صاحب عمرو اى الحية التى دفنتموها فاشرنا لهما الى صاحبها فقالتا انه كان آخر من بقى ممن استمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين كافرى الجن ومسلميهم قتال فقتل فيهم فان كنتم اردتم به الدنيا ثوبناكم اى عوضناكم فقلنا لا انما فعلنا ذلك لله فقالتا احسنتم وذهبتا يقال اسم الذى لف الحية صفوان بن معطل المرادى صاحب قصة الافك والجنى عمرو بن خابر رحمه الله (يهدى الى الرشد) الى الحق والصواب وصلاح الدين والدنيا كما قال عليه السلام اللهم الهمنى رشدى اى الاهتداء الى مصالح الدين والدنيا فيدخل فيه التوحيد والتنزيه وحقيقة الرشد هو الوصول الى الله تعالى قال بعضهم الرشد كالقفل خلاف الغى يقال فى الامور الدنيوية والاخروية والرشد كالذهب يقال فى الامور الاخروية فقط (فآمنا به) اى بذلك القرآن ومن ضرورة الايمان به الايمان بمن جاء به ولذا قال بعضهم * داخل اندر دعوت اوجن وانس * تا قيامت امتش هر نوع وجنس * اوست سلطان وطفيل اوهمه * اوست شاهنشا وخيل اوهمه (ولن نشرك) بعد اليوم البتة اى بعد علمنا الحق (بربنا احدا) حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد اى لا نجعل احدا من الموجودات شريكا له فى اعتقادنا ولا نعبد غيره فان تمام الايمان انما يكون بالبراءة من الشرك والكفر كما قال ابراهيم عليه السلام انى برىء مما تشركون فلكونه قرآنا معجزا بديعا موجب الايمان به ولكونه يهدى الى الرشد موجب قطع الشرك من اصله والدخول فى دين الله كله فمجموع قوله فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا مسبب عن مجموع قوله انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ولذا عطف ولن نشرك بالواو مع ان الظاهر الفاء (وانه تعالى جد ربنا) بالفتح وكذا ما بعده من الجمل المصدرة بان فى احد عشر موضعا عطف على انه استمع فيكون من جملة الكلام الموحى به على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحى الى كيت وكيت وهذه العبارات فاندفع ما قيل من انك لو عطفت وانا ظننا وانا سمعنا وانه كان رجال وانا لمسنا وشبه ذلك على انه استمع لم يجز لانه ليس مما اوحى اليه وانما هو امر اخبروا به عن انفسهم انتهى ومن قرأ بالكسر عطف على المحكى بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج الكل تحت القول وقيل فى الفتح والكسر غير ذلك والاقرب ما قلناه والمعنى وان الشأن ارتفع عظمة ربنا كما تقول فى الثناء وتعالى جدك اى ارتفع عظمتك وفى اسناد التعالى الى العظمة مبالغة لا تخفى من قولهم جد فلان فى عينى اى عظم تمكنه اوسلطانه لان الملك والسلطنة غاية العظمة اوغناه على انه مستعار من الجد الذى هو البخت والدولة والحظوظ الدنيوية سواء استعمل بمعنى الملك والسلطان او بمعنى الغنى فان الجد فى اللغة كما يكون بمعنى العظمة و بمعنى اب الاب واب الام يكون بمعنى الحظ والبخت يقال رجل مجدود اى محظوظ شبه سلطان الله وغناه الذاتيان الازليان ببخت الملوك والاغنياء فاطلق اسم الجد عليه استعارة (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لحكم تعالى جده كانه قيل ما الذى تعالى عنه فقيل ما اتخذ اى لم يتخذ لنفسه لكمال تعاليه زوجة ولا ابنا ولا بنتا كما يقول الظالمون وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه فى اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه لعظمته اولسلطانه اولغناه فان الصاحبة تتخذ للحاجة اليها والولد للتكثير وابقاء النسل بعد فوته وهذه من لوازم الامكان والحدوث وايضا هو خارج عن دائرة التصور والادراك فكيف يكيفه احد فيدخله تحت جنس حتى يتخذ صاحبة من صنف تحته اوولدا من نوع يماثله و قد قالت النصارى ايضا المسيح ابن الله واليهود عزير ابن الله و بعض مشركى العرب الملائكة بنات الله و يلزم من كون المسيح ابن الله على ما زعموا ان تكون مريم صاحبة له ولذا ذكر الصاحبة يعنى ان الولد يقتضى الام التى هى صاحبة الاب الوالد واشار بالصاحبة الى النفس و بالولد الى القلب فيكون الروح كالزوج والاب لهما وهو فى الحقيقة مجرد عن كل علاقة وانما تعلق بالبدن لتظهر قدرة الله وايضا ليستكمل ذاته من جهة الصفات (وانه) اى الشأن (كان يقول سفيهنا) اى جاهلنا وهو ابليس اومردة الجن فقوله سفيهنا للجنس والظاهر ان يكون ابليس من الجن كما قال تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه والسفه خفة الحلم اونقيضه اوالجهل كما فى القاموس وقال الراغب السفه خفة فى البدن واستعمل فى خفة النفس

لنقصان العقل وفى الامور الدنيوية والاخروية والمراد به فى الآية هو السفه فى الدين الذى هو السفه فى الاخروى كذا فى المفردات (على الله) متعلق بيقول اورد على لان ماقالوه عليه تعالى لاله (شططا) هو مجاوزة الحد فى الظلم وغيره وفى المفردات الافراط فى البعد اى قولا ذاشطط اى بعد عن القصد ومجاوزة الحد اوهو شطط فى نفسه لفرط بعده عن الحق فوصف بالمصدر للمبالغة والمراد به نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وفى الآية اشارة الى ان العالم الغير العامل فى حكم الجاهل فان ابليس كان من اهل العلم فلما لم يعمل بمقتضى علمه جعل سفيها جاهلا لايجوز التقليد له فالاتباع للجاهل ومن فى حكمه اتباع للشيطان والشيطان يدعو الى النار لانه خلق منها (واناظننا ان) مخففة من الثقيلة اى ان الشان (لن تقول الانس والجن على الله كذبا) اعتذار منهم عن تقليدهم اسفيههم اى كنا نظن ان الشان والحديث لن يكذب على الله احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وصدقناه فان الله صاحبة وولدا فلما سمعنا القرآن وتبين لنا الحق بسببه علمنا انهم قد يكذبون عليه تعالى وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول واشار بالانس الى القوى الروحانية وبالجن الى القوى الطبيعية وقال القاشانى انس الحواس الظاهرة وجن القوى الباطنة فتوهمنا ان البصر يدرك شكله ولونه والاذن تسمع صوته والوهم والخيال يتوهمه ويتخيله حقا مطابقا لما هو عليه قبل الاهتداء والتنور بنور الروح فعلمنا من طريق الوحى الوارد على القلب بواسطة روح القدس ان لسنا فى شئ من ادراكه فليس له شكل ولا لون ولاصوت ولاهو داخل فى الوهم والخيال وليس كلام الله من جنس الكلام المصنوع المتلفظ بالفكر والتخيل والمستنتج من القياسات العقلية اوالمقدمات الوهمية والتخيلية فليس الله من قبيل المخلوق جنسا ونوعا اوصنفا اوشخصا فكيف يكون له صاحبة وولد (وانه) اى وان الشان (كان) فى الجاهلية (رجال) كائنون (من الانس) خبر كان قوله (يعوذون) العوذ الالتجاء الى الغير والتعلق به (برجال من الجن) فيه دلالة على ان للجن نساء كالانس لان لهم رجالا ولذا قيل فى حقهم انهم يتوالدون لكنهم ليسوا بمنظرين كابليس وذريته قال اهل التفسير كان الرجل من العرب اذا امسى فى وادقفر فى بعض مسايره وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فيبيت فى امن وجوار حتى يصبح فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى (فزادوهم) عطف على يعوذون والماضى للتحقق اى فزاد الرجال العائذون الانسيون الجن (رهقا) مفعول ثان لزاد اى تكبرا وعتوا وسفها فان الرهق محركة يجئ على معان منها السفه وركوب الشر والظلم قال فى آكام المرجان وبهذا يجيبون المعزم والراقى باسمائهم واسماء ملوكهم فانه يقسم عليهم باسماء من يعظمونه فيحصل لهم بذلك من الرياسة والشرف على الانس مايحملهم على ان يعطوهم بعض سؤلهم وهم يعلمون ان الانس اشرف منهم واعظم قدرا فاذا خضعت الانس لهم واستعاذت بهم كان بمنزلة اكابر الناس اذا خضع لهم اصاغرهم يقضون لهم حاجاتهم اوالمعنى فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم واذا استعاذ بهم فامنوا ظنوا ان ذلك من الجن فازدادوا رغبة فى طاعة الشياطين وقبول وسا وسهم والفاء حينئذ لترتيب الاخبار واسناد الزيادة الى الانس والجن باعتبار السببية (وروى) عن كردم بن ابى السائب الانصارى رضى الله عنه انه قال خرجت مع ابى الى المدينة فى حاجة وذلك اول ماذكر النبى عليه السلام بمكة فادانى المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملا من الغنم فقال الراعى ياعامر الوادى جارك فنادى منادلا نراه يقول ياسرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله بمكة وانه كان رجال الخ قال مقاتل كان اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من حنيفة ثم فشا ذلك فى العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال اذا كنت بوادتخاف فيه السبع فقل اعوذ بدانيال والجب من شر الاسد انتهى اشار بذلك الى ماروا ه البيهقى فى الشعب ان دانيال طرح فى الجب والقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتعبص اليه فأتاه رسول فقال يادانيال فقال من انت قال انا رسول ربك اليك ارسلنى اليك بطعام فقال الحمد لله الذى لاينسى من ذكره (وروى) ابن ابى الدنيا ان بخت نصر ضرى اسدين والقاهما فى جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يضراه وذكر قصته فلما ابتلى دانيال بالسباع جعل الله الاستعاذة به فى ذلك تمنع الشر الذى لايستطاع كما فى حياة الحيوان فعلم من ذلك ان الاستعاذة بغير الله مشروعة فى الجملة لكن بشرط التوحيد

واعتقاد التأثير من الله تعالى قال القاشانى فى الآية اى تستند القوى الظاهرة الى القوى الباطنة وتتقوى بها فزادوهم غشيان المحارم واتيان المناهى بالدواعى الوهمية والنوازع الشهوية والغضبية والخواطر النفسانية (وانهم) اى الانس (ظنوا كما ظننتم) ايها الجن على انه كلام مؤمنى الجن للكفار حين رجعوا الى قومهم منذرين فكذبوهم اوالجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة على انه كلام الله تعالى (ان لن يبعث الله احدا) انهى المخففة والجملة سادة مسد مفعولى ظنوا واعمل الاول على ماهو مذهب الكوفيين لان مافى ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها فى تأويل المصدر والفعل اقوى من المصدر فى العمل والظاهر ان المراد ببعثة الرسالة اى لن يبعث الله أحدا بالرسالة بعد عيسى او بعد موسى يقيم به الحجة على الخلق ثم انه بعث اليهم محمدا عليه السلام خاتم النبيين فآمنوا به فافعلوا انتم يامعشر الجن مثل مافعل الانس وقيل بعد القيامة اى لن يبعث الله احدا بعد الموت للحساب والجزاء يقول الفقير فيه اشارة الى اهل الغفلة من الانس والجن فانهم يظنون بالله ظن السوء ويقولون ان الله لايبعث احدا من نوم الغفلة بل يبقيه على حاله من الاستغراق فى اللذات والانهماك فى الشهوات ولايدرون ان الله تعالى يبعث من فى القبور مطلقا ويحيى اجسادهم وقلوبهم وارواحهم بالحياة الباقية لان اهل النوم لانقطاع شعورهم لايعرفون حال اهل اليقظة وفيه اثبات العجز لله تعالى والله على كل شئ قدير (وانا لمسنا السماء) اى طلبنا بلوغ السماء لاستماع مايقول الملائكة من الحوادث اوخبرها للا فشاء بين الكهنة واللمس مستعار من المس للطلب شبه الطلب بالمس واللمس باليد فى كون كل واحد منهما وسيلة الى تعرف حال الشئ فعبر عنه بالمس واللمس قال الراغب اللمس ادراك بظاهر البشرة كالمس ويعبر به عن الطلب قال فى كشف الاسرار ومنه الحديث الذى ورد ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام ان امرأتى لاتدع عنها يد لامس اى لاترد يد طالب حاجة صفرايشكوا تضييعها اماله (فوجدناها ملئت حرسا) اى حراسا وحفظة وهم الملائكة يمنعونهم عنها اسم جمع لحارس بمعنى حافظ كخدم لخادم مفرد اللفظ ولذلك قيل (شديدا) اى قويا ولوكان جمعا لقيل شدادا وقوله ملئت حرسا حال من مفعول وجدناها ان كان وجدنا بمعنى اصبنا وصادفنا ومفعول ثان ان كان من افعال القلوب اى فعلناها مملوة وحرسا تمييز (وشهبا) عطف على حرسا وحكمه فى الاعراب حكمه جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار الكواكب هكذا قالوا وقدمر تحقيقه (وانا كنا نقعد) قبل هذا (منها) اى من السماء (مقاعد للسمع) خالية عن الحرس والشهب يحصل منها مقاصدنا من استماع الاخبار للالقاء الى الكهنة اوصالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اى على الوجه الاول اى لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اى على الثانى اى مقاعد كائنة للسمع وفى كشف الاسرار اى مواضع لاستماع الاخبار من السماء وكان لكل حى من الجن باب فى السماء يستمعون فيه ومن احاديث البخارى عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة تنزل فى العنان وهو بالفتح السحاب فتذكر الامر الذى قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معه مائة كذبة من عند انفسهم يقول الفقير وجه التوفيق بين الاسترق من السماء ومن السحاب ان الملائكة مرة ينزلون فى العنان فيتحدثون هناك واخرى يتذاكرون فى السماء ولامنع من عروج الشياطين الى السماء فى مدة قليلة للطافة اجسامهم وحيث كانت نارية اوهوائية اودخانية لايتأثرون من النار اوالهوآء حين المرور بكرتهما ولوسلم فعروجهم من قبيل الاستدراج ولله فى كل شئ حكمة واسرار (فمن) شرطية (يستمع الآن) فى مقعد من المقاعد ويطلب الاستماع والآن اى فى هذا الزمان وبعد المبعث وفى اللباب ظرف حالى استعير للاستقبال (يجد له) جواب الشرط والضمير لمن اى يجد لنفسه (شهابا رصدا) الرصد الاستعداد للترقب اى شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم اوذوى شهاب راصدين له ليرجموه بما معهم من الشهب على انه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس فيكون المراد بالشهاب الملائكة بتقدير المضاف ويجوز نصب رصدا على المفعول له وفى الآية اشارة الى طلب القوى الطبيعية ان تدخل سماء القلب فوجدتها محفوفة بحراس الخواطر الملكية والرحمانية يحرسونها عن طرق الخواطر النفسانية والشيطانية بشهاب نار نور القلب المنور بنور الرب وكان الشهاب والرجم قبل البعثة النبوية لكن كثر بعدها وزاد زيادة بينة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاسترق اصلا

لئلا يلتبس على الناس اقوال الرسول المستندة الى الوحى الالهى باقوال الكهنة الماخوذة من الشياطين مما استرقوا من اقوال اهل السماء ويدل على ماذكر قوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا فانه يدل على ان الحادث هو الكمال والكثرة اى زيدت حرسا وشهبا حتى امتلأت بهما وقوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد اى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها فلما رأى الجن ذلك قالوا ماهذا الا لامر اراده الله باهل الارض وذلك قولهم (وانا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض) بحراسة السماء منا (ام اراد بهم ربهم رشدا) اى خيرا واصلاحا اوفق لمصالحهم والاستفهام لاظهار العجز عن الاطلاع على الحكمة قال بعضهم لعل التردد بينهما مخصص بالاستفهام وان يكون فاعل فعل مضمر مفسر بما بعده بمعنى لاندرى اريد شرام خير ورجوه للموافقة بين المعطوفين فى كونهما جملة فعليه والباء فى الموضعين متعلقة بما قبلها والجملة الاستفهامية قائمة مقام المفعول ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قال صاحب الانتصاف ومن عقائد الجن ان الهدى والضلال جميعا من خلق الله تعالى فتأدبوا من نسبة الرشاد اليه وجعلوا الشر مضمر الفاعل فجمعوا بين حسن الاعتقاد والادب (وانا منا الصالحون) اى المصوفون بصلاح الحال فى شأن انفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم اومايكون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطر السليمة لاالى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة والقصر ادعائى كانهم لم يعتدوا بصلاح غير ذلك البعض فالصالحون مبتدأ ومنا خبره المقدم والجملة خبران ويجوز ان يكون الصالحون فاعل الجار والمجرور الجارى مجرى الظرف لاعتماده على المبتدأ (ومنا دون ذلك) اى قوم دون ذلك فى الصلاح فحذف الموصوف لانه يجوز حذف هذا الموصوف فى التفصيل بمن حتى قالوا منا ظعن ومنا اقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق أقام ودون ظرف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور غير الكاملين فيه لافى الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب به عنه قوله تعالى (كنا طرائق قددا) واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله وانا لما سمعنا الهدى الى قوله وانا منا المسلمون اى كنا قبل هذا طرائق فى اختلاف الاحوال فهو بيان للقسمة المذكورة وقدر المضاف لامتناع كون الذوات طرائق قالوا فى الجن قدرية ومرجئة وخوارج وروافض وشيعة وسنية قال فى المفردات جمع الطريق طرق وجمع الطرق طرائق والظاهر ان الطرائق جمع طريقة كقصائد جمع قصيدة ثم قال وقوله تعالى كنا طرائق قددا اشارة الى اختلافهم فى درجاته كقوله هم درجات والطريق الذى يطرق بالارجل اى يضرب ومنه استعير كل مسلك يسلكه الانسان فى فعل محمودا كان اومذموما وقيل طريقة من النخل تشبيها بالطريق فى الامتداد والقد قطع الشئ طولا والقد المقدود ومنه قيل لقامة الانسان قد كقولك تقطيعة والقدة كالقطعة يعنى انها من القد كالقطعة من القطع وصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وفى القاموس القدة الفرقة من الناس هوى كل واحد على حدة ومنه كنا طرائق قددا اى فرقا مختلفة اهوآؤها وقد تعددوا قال القاشانى وانا منا الصالحون كالقوى المدبرة لنظام المعاش وصلاح البدن ومنا دون ذلك من المفسدات كالوهم والغضب والشهوة والمعاملة بمقتضى هوى النفس والمتوسطات كالقوى النباتية الطبيعية كذا ذوى مذاهب مختلفة لكل طريقة ووجهة مما عينه الله ووكله به قال بعض المفسرين المراد بالصالحين السابقون بالخيرات وبمادون ذلك اى ادنى مكان منهم المقتصدون الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا واما الظالمون لانفسهم فيدرج فى قوله تعالى كنا طرائق قددا فيكون تعميما بعد تخصيص على الاستئناف ويحتمل ان يكون دون بمعنى غير فيندرج القسمان الاخيران فيه (وانا ظننا) اى علمنا الآن بالاستدلال والتفكر فى آيات الله فالظن هنا بمعنى اليقين لان الايمان لايحصل بالظن ولان مقصودهم ترغيب اصحابهم وترهيبهم وذا بالعلم لابالظن كما قال عليه السلام انا النذير العريان (ان) اى ان الشان (لن نعجز الله) عن امضاء مااراد بنا كائنين (فى الارض) ايانا كنا من اقطارها فقوله فى الارض حال من فاعل نعجز والاعجاز عاجز كردن (ولن نعجزه هربا) قوله هربا حال من فاعل لن نعجز اى هاربين من الارض الى السماء والى البحار والى جبل قاف اولن نعجزه فى الارض ان ارادبنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا فالفرار من موضع الى موضع وعدمه سيان فى ان شيأ منهما لايفيد

فوائدنا منه ولعل الفائدة فى ذكر الارض حينئذ الاشارة الى انها مع سعتها وانبساطها ليست منجى منه تعالى ولا مهربا (واناالما سمعنا الهدى) اى القرآن الذى يهدى للتى هى اقوم (آمنا به) من غير تأخير وتردد (فمن يؤمن بربه) وبما انزله من الهدى (فلا يخاف) اى فهو لا يخاف فالكلام فى تقدير مبتدأ وخبر ولذلك دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف وفائدة رفع الفعل ووجوب ادخال الفاء انه دال على تحقيق ان المؤمن ناج لامحالة وانه المختص بذلك دون غيره (بخسا) اى نقصا فى الجزاء (ولا رهقا) ولا ان ترهقه ذلة وتغشاه اوجزاء بخس ولا رهقا اى ظلم اذلم يبخس احدا حقا ولا رهق اى ظلم احدا فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم قال الواسطى رحمه الله حقيقة الايمان ما اوجب الامان فمن بقى فى مخاوف المرتابين لم يبلغ الى حقيقة الايمان (وانا منا المسلمون) اى بعد استماع القرآن (ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة فالقاسط الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل الى الحق يقال قسط اذا جار واقسط اذا عدل وقد غلب هذا الاسم اى القاسط على فرقة معاوية ومنه الحديث خطابا لعلى رضى الله عنه (تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين فالناكثون اصحاب عائشة رضى الله عنها فانهم الذين نكثوا البيعة اى نقضوها واستنزلوا عائشة وساروا بها الى البصرة على جمل اسمه عسكر ولذا سميت الوقعة يوم الجمل والقاسطون اصحاب معاوية لانهم قسطوا اى جاروا حين حاربوا الامام الحق والوقعة تعرف بيوم صفين والمارقون الخوارج فانهم الذين مرقوا اى خرجوا من دين الله واستحلوا القتال مع خليفة رسول الله عليه السلام وهم عبدالله ابن وهب الراسبى وحرقوص بن زهير البجلى المعروف بذى الثدية وتعرف تلك الواقعة بيوم النهروان هى من ارض العراق على اربعة فراسخ من بغداد (فن اسلم) پس هركه كردن نهاد امر خدايراهمچنانچه ماكرده ايم قال سعدى المفتى يجوز ان يكون من كلام الجن ويجوز ان يكون مخاطبة من الله لرسوله كما فيما بعده من الآيات (فاولئك) اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى (تحروا) التحرى فى الاصل طلب الاحرى والاليق قولا اوفعلا اى طلبوا وقصدوا (رشدا) يقال رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى كما فى القاموس اى اهتداء عظيما الى طريق الحق والصواب يبلغهم الى دار الثواب فتحرى الرشد مجاز عن ذلك بعلاقة السببية وبالفارسية قصد كرده اند راه راست وازان بمقصد خواهند رسيد ودل على ان للجن ثوابا على اعمالهم لانه ذكر سبب الثواب وموجبه وقد سبق تحقيقه (واما القاسطون) الجائرون عن سنن الهدى (فكانوا لجهنم حطبا) الحطب ما يعد للايقاد اى حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس (روى) ان الحجاج قال لسعيد بن جبير حين اراد قتله ماتقول فى قال انك قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ماقال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج ياجهلة جعلنى جاهلا كافرا وتلا قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون واسند بعضهم قول سعيد الى امراة كما قال فى الصحاح ومنه قول تلك المرأة للحجاج انك قاسط عادل فيحتمل التوارد (وان لواستقاموا) ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحى الى ان الشان لواستقام الجن اوالانس او كلاهما (على الطريقة) التى هى ملة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) الاسقاء والسقى بمعنى وقال الراغب السقى والسقيا هوان تعطيه ماء ليشرب والاسقاء ان تجعل له ذلك حتى يتناوله كيف شاء كما يقال اسقيته نهرا فالاسقاء ابلغ وغدق من باب علم اذا غزر وصف الماء به للمبالغة فى غزارته كرجل عدل وتخصيص الماء الكثير بالذكر لانه اصل السعة وان كان اصل المعاش هو اصل الماء لاكثرته ولعزته وجوده بين العرب قال عمر رضى الله عنه ايما كان الماء كان العشب وايما كان العشب كان المال وايما كان المال كانت الفتنة والمعنى لاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا ووسعنا عليهم الرزق فى الدنيا وبالفارسية هرآينه بدهيم ايشانرا آب بسيار بعد ازتنك سالى يعنى روزى برايشان فراخ كردانيم وفيه دلالة على ان الجن ياكلون ويشربون ولكن فيه تفصيل وقد سبق وقال بعض اهل المعرفة المراد بالاستقامة على الطريقة هوالقيام على سبيل السنة والميل الى اهل الصلاح وبالاسقاء الافاضة على قلوبهم ماء الوداد (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فى ذلك الاسقاء والتوسيع كيف يشكرونه كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات اوفى ذلك الماء والمآل واحد (وقال الكاشفى) تابيا زماييم ايشانرا درآن

زند كانى كه بوظائف شكر چكونه قيام نمايند وفيه اشارة الى ان المرزوق بالرزق الروحانى والغذاء المعنوى يجب عليه القيام بشكره ايضا وذلك بوظائف الطاعات وصنوف العبادات وضروب الخدمات (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته اوعن موعظته اووحيه (يسلكه) يدخله (عذابا صعدا) اى شاقا صعبا يتصعد اى يعلوالمعذب و يغلبه فلايطيقه على انه مصدر وصف به للمبالغة يقال سلكت الخيط فى الابرة اذا ادخلته فيها اى يسلكه فى عذاب صعد كما قال ماسلككم فى سقر اى ادخلكم فيها فحذف الجار واوصل الفعل ثم ان كان اعراضه بعدم التصديق كان عذابه باتا بيد والا فبقدر جريمته ان لم يغفرله وروى ان صعدا جبل فى النار اذاوضع عليه يديه اورجليه ذابتا واذارفعهما عادتا وقال بعضهم صعدا جبل املس فى جهنم و يكلف الوليد ابن مغيرة صعوده اربعين عاما فيجذب من اعلاه بالسلاسل فاذا انتهى الى اعلاه انحدر الى اسفله ثم يكلف ثانيا وهكذا يعذب ابدا (وان المساجد لله) عطف على قوله انه استمع اى واوحى الى ان المساجد مختصة بالله تعالى و بعبادته خصوصا المسجد الحرام ولذلك قيل بيت الله فالمراد بالمساجد المواضع التى بنيت للصلاة وذكر الله و يدخل فيها البيوت التى يبنيها اهل الملل للعبادة نحو الكنائس والبيع ومساجد المسلمين ثم هذا لاينافى ان تضاف المساجد وتنسب الى غيره تعالى بوجه آخر اما لبانيها كمسجد رسول الله اولمكانها كمسجد بيت المقدس الى غير ذلك من الاعتبارات واعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع ثم مساجد البيوت (فلاتدعوا) اى لاتعبدوا فيها الفاء للسببية (مع الله احدا) اى لاتجعلوا احدا غير الله شريكا لله فى العبادة فاذا كان الاشراك مذموما فكيف يكون حال تخصيص العبادة بالغير (قال الكاشفى) پس مخوانيد دران باحدای تعالى يكى راچنانچه يهود ونصارى در كنايس وصوامع خود عزير ومسيح رابا لوهيت ياد ميكنند وچنانكه مشركان در حوالئ بيت الحرام ميكويند لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وكفته اند مراد ازين مساجد تمام روى زمينست كه مسجد حضرت سيد المرسلين است لقوله عليه السلام جعلت لى الارض مسجدا وتربتها طهورا پس درهيچ بقعه باياد خدا ياد ديكرى نيكو نباشد * در ابجزا زياد خدا شاد مكن *باياد وى ازكسى ديكر ياد مكن * قال بعض العارفين انما تبرأ تعالى من الشريك لانه عدم والله وجود فتبرأ من العدم الذى لايلحقه اذهو واجب الوجود لذاته والله تعالى مع الخلق ماالخلق مع الله لانه تعالى يعلمهم وهم لايعلمونه فهو تعالى معهم اينما كانوا فى ظرفية امكنتهم وازمانهم واحوالهم ماالخلق معه تعالى فانهم لا يعرفونه حتى يكونوا معه ولوعرفوه من طريق الايمان كانوا كالاعمى يعلم انه جالس زيد ولكن لايراه فهو كانه يراه بخلاف اهل المشاهدة فانه ذو بصر الهى فمن دعا الله مع الله ماهو كمن دعا الخلق مع الله هذا معنى فلا تدعوا مع الله احدا ثم ان السجود وان كان لله لايقع فى الحس ابدا الا لغير الله اى لجهة غير الله لان الله ليس بجهة بل هو بكل شئ محيط فماوقع من عبد سجود الالغير الله لكن منه ماكان لغير الله عن امر الله كالسجود لآدم وهو مقبول ومنه ماكان عن غير امره كالسجود للاصنام وهو مردود وانما وضعت المساجد للتعظيم كما انه عينت القبلة للادب يروى عن كعب انه قال انى لاجد فى التوراة ان الله تعالى يقول ان بيوتى فى الارض المساجد وان المسلم اذا توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد فهو زآئر الله وحق على المزور ان يكرم زائره ومن هنا قالوا ان من دخل المسجد ينوى زيارة الله تعالى قال بعض اهل المعرفة ان مساجد القلوب لزوار تجليه فلاينبغى ان يكون فيها ذكر غير الله وقال بعضهم ان مساجد القلوب الصافية عن القاذورات مختصة بالله تعالى و بالتجليات الذاتية والصفاتية والاسمائية فلاتدعوا مع الله احدا من الاسماء الجزئية اى طهروا مساجد قلوبكم لتجلى اسم الله الاعظم فيها لاغير وقال ابن عطاء مساجدك اعضاؤك التى امرت ان تسجد عليها لاتخضعها ولاتذللها لغير خالقها وهى الوجه واليدان والركبتان والرجلان والحكمة فى ايجاب السجود على هذه الاعضاء ان هذه الاعضاء التى عليها مدار الحركة هى المفاصل التى تنفتح وتنطبق فى المشى والبطش واكثر السعى و يحصل بها اجتراح السيئات وارتكاب الشهوات فشرع الله بها السجود للتكفير ومحو الذنب والتطهير (وانه) من جملة الموحى به اى واوحى الى ان الشأن (لما قام عبدالله) اى النبى عليه السلا ولذا جعلوه فى اسمائه لانه هو العبد الحقيق فى الحقيقة

المضاف الى اسم الله الاعظم فرقا وان كان هو المظهر له جميعا ودرآثار آمده كه آن حضرت را عليه السلام هيچ نام ازين خوشتر نيامده چه شريطهٔ عبادت وعبوديت بروجهى كه آن حضرت قيام هيچكس را قدرت براقامت بران نبوده لاجرم دروقت عروج آن حضرت برمنازل ملكى بان اسم مذكور شد كه سبحان الذى اسرى بعبده و بهنكام نزول قرآن ازمدارج فلكى اورا بهمين نام ميكنند كه تبارك الذى نزل الفرقان على عبده * آن بنده شعار بندكى دوست * كزجملهٔ بندكان كزين اوست * دادند بيندكيش راهى * كزانديده هيچ شاهى * وايراده عليه السلام بلفظ العبد للاشعار بماهو المقتضى لقيامه وعبادته وهو العبودية اى كونه عبدا له وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه اذالتقدير واوحى الى انى لما قمت وهذا على قرآءة الفتح واما على قرآءة نافع وابى بكر فيتعين كونه للاشعار بالمقتضى وفيه تعريض لقريش بانهم سموا عبدود وعبد يغوث وعبد مناف وعبد شمس ونحوها لاعبدالله وان من سمى منهم بعبدالله فانما هى من قبيل التسمية المجردة عن معانيها (يدعوه) حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كماسبق (كادوا) اى قرب الجن (يكونون عليه لبدا) جمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب وهى ماتلبد بعضه على بعض اى تراكب وتلاصق ومنها لبدة الاسد وهى الشعر المتراكب بين كتفيه والمعنى متراكمين يركب بعضهم بعضا ويقع من ازدحامهم على النبى عليه السلام تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قرآءته واقتدآء اصحابه به قياما وقعودا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله قبله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وعلى قرآءة الكسر اذا جعل مقول الجن فضمير كادوا لاصحابه عليه السلام الذين كانوا مقتدين به فى الصلاة يقول الفقير فى هذا المقام اشكال على القرآءتين جميعا لان المراد ان كان ماذهب اليه ابن عباس رضى الله عنهما على ماذهب اليه المفسرون فلامعنى للازدحام اذكان الجن بنخلة نفرا سبعة اوتسعة ولامعنى لازدحام النفر القليل مع سعة المكان وقرب القارى وانما وقع الازدحام فى الحجون بعد العود من نخلة على مارواه ابن مسعود رضى الله عنه ولامخلص الابان يقال لم يزالوا يدنون من جهة واحدة حتى كادوا يكونون عليه لبدا او بان يتجوز فى النفر وحينئذ يبقى تعيين العدد على مافعله بعضهم بلامعنى وان كان المراد ماذهب اليه ابن مسعود رضى الله عنه ففيه ان ذلك كان بطريق المشاهدة على ماسلفناه فى الاحقاف ولامعنى لاخباره بطريق الوحى على مامضى فى اول السورة وايضا انه لم يكن معه عليه السلام اذذاك الانفر قليل من اصحابه بل لم يكن الا زيد ابن حارثة رضى الله عنه على مافى انسان العيون فلامعنى للازدحام والله اعلم بمراده (قل انما ادعوا) اى اعبد (ربى ولااشرك به) اى بربى فى العبادة (احدا) فليس ذلك ببدع ولامستنكر يوجب التعجب اوالاطباق على عداوتى وهذا حالى فليكن حالكم ايضا كذلك (قل انى لاأملك) لااستطيع (لكم) ايها المشركون (ضرا ولارشدا) كانه اريد لاأملك ضرا ولانفعا ولاغيا ولارشدا اى ليس هذا بيدى بل بيدالله تعالى فانه هو الضار النافع الهادى المضل فترك من كلا المتقابلين ماذكر فى الآخر فالآية من الاحتباك وهو الحذف من كل مايدل مقابله عليه وفى التأويلات النجمية اى من حيث وجوده المضاف اليه كما قال انك لاتهدى من احببت واما من حيث وجوده الحق المطلق فانه يملك الضر والرشد كقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم قال القاشانى اى غيا وهدى انما الغواية والهداية من الله ان سلطنى عليكم تهتدوا بنورى والا بقيتم فى الضلال ليس فى قوتى ان اقسركم على الهداية (قل انى لن يجيرنى) ينقذنى و يخلصنى (من الله) من قهره وعذابه ان خالفت امره واشركت به (احد) ان استقذته اولن يجيرنى منه احد ان ارادنى بسوء قدره على من مرض اوموت اوغيرهما قال بعضهم هذه لفظة تدل على الاخلاص فى التوحيد اذالتوحيد هو صرف النظر الى الحق لاغير وهذا لايصح الابالاقبال على الله والاعراض عماسواه والاعتماد عليه دون ماعداه (ولن اجد من دونه ملتحدا) يقال الحد فى دين الله والتحد فيه اى مال عنه وعدل و يقال للملجأ الملتحد لان اللاجئ يميل اليه والمعنى ولن اجد عند الشدآئد ملجأ غيره تعالى وموئلا ومعدلا فلاملجأ ولاموئل ولامعدل الاهو وهذا بيان لعجزه عليه السلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره اى واذلا املك لنفسى شيأ فكيف املك لكم شيأ (الا بلاغا من الله) استثناء متصل من قوله لاأملك اى من مفعوله فان التبليغ ارشاد ونفع ومابينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة على نفسه فلايضر طول الفصل بينهما وفائدة الاستثناء المبالغة فى توصيف نفسه

بالتبليغ لدلالته على انه لايدع التبليغ الذى يستطيعه لتظاهرهم على عداوته وقوله من الله صفة بلاغا اى بلاغا كائنا منه وليس متعلقا بقوله بلاغا لان صلة التبليغ فى المشهور انما هى كلمة عن دون من و بلاغا واقع موقع التبليغ كما يقع السلام والكلام موقع التسليم والتكليم او استثناء من قوله ملتحدا اى لن اجد من دونه تعالى منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلنى به فهو حينئذ منقطع فان البلوغ ليس ملتحدا من دون الله لانه من الله و باعانته وتوفيقه (ورسالاته) عطف على بلاغا باضمار المضاف وهو البلاغ اى لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى وتبليغ رسالاته التى ارسلنى بها يعنى الآن ابلغ عن الله واقول قال الله كذا ناسبا للمقالة اليه وان ابلغ رسالاته التى ارسلنى بها من غير زيادة ولانقصان وقال سعدى المفتى لعل المراد من بلاغا من الله ماهو ما ياخذه منه تعالى بلا واسطة ومن رسالاته ماهو بها انتهى والمراد بالرسالة هو ما ارسل الرسول به من الامور والاحكام والاحوال لامعنى المصدر والظاهر أن المراد الا التبليغ والرسالة من الله تعالى وجمع الرسالة باعتبار تعدد ما ارسل هو به (ومن يعص الله ورسوله) فى الامر بالتوحيد بان لايمتثل امرهما به ودعوتهما اليه فيشرك به اذ الكلام فيه وهو يصلح ان يكون مخصصا للعموم فلا متمسك للمعتزلة فى الآية على تخليد عصاة المؤمنين فى النار (فان له نار جهنم خالدين فيها) اى فى النار او فى جهنم والجمع باعتبار المعنى (ابدا) بلا نهاية فهو دفع لان يراد بالخلود المكث الطويل (حتى اذا رأوا مايوعدون) غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام ولاستقلالهم لعددهم حتى قالوا هم بالاضافة الينا كالحصاة من جبال كانه قيل لايزالون على ماهم عليه حتى اذا رأوا مايوعدون من فنون العذاب فى الآخرة (فسيعلمون) حينئذ عند حلوله بهم (من اضعف ناصرا واقل عددا) اى فسيعلمون الذى هو اضعف واقل اهم ام المؤمنون فمن موصولة واضعف خبر مبتدأ محذوف و يجوزان تكون استفهامية مرفوعة بالابتداء واضعف خبره والجملة فى موضع نصب سدت مسد مفعولى العلم وناصرا وعددا منصوبان على التمييز وحمل بعضهم مايوعدون على مارأوه يوم بدر وايا ما كان ففيه دلالة على ان الكفار مخذولون فى الدنيا والآخرة وان كثروا عددا وقووا جسدا لان الكافرين لامولى لهم وان المؤمنين منصورون فى الدارين وان قلوا عددا وضعفوا جسدا لان الله مولاهم والواحد على الحق هو السواد الاعظم فان نصره ينزل من العرش (قال الحافظ) تبغى كه اسمانش ازفيض خود دهد آب * تنها جهان بكيرد بى منت سپاهى (قل ان ادرى) اى ما ادرى لان ان نافية (اقريب) خبر مقدم لقوله (ماتوعدون) و يجوزان يكون ماتوعدون فاعلا لقريب سادا مسد الخبر او قوعه بعد الف الاستفهام وما موصولة والعائد محذوف اى اقريب الذى توعدونه نحو اقائم الزيدان (ام يجعل له ربى امدا) اى غاية تطول مدتها والامد وان كان يطلق على القريب ايضا الا ان المقابلة تخصصه بالبعيد والفرق بين الزمان والامدان الامد يقال باعتبار الغاية والزمان عام فى المبدأ والغاية والمعنى ان الموعود كائن لامحالة واما وقته فادرى متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى فى اخفاء وقته من المصلحة وهو رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون الموعود انكارا له واستهزآء فان قيل البس قال عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين فكان عالما بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لاادرى اقريب ام بعيد والجواب ان المراد بقرب وقوعه هو ان مابقى من الدنيا اقل ممن انقضى فهذا القدر من القرب معلوم واما قربه بمعنى كونه بحيث يتوقع فى كل ساعة فغير معلوم على ان كل آت قريب ولذا قال تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وقال كانهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وذلك بالموت للمتقدمين ووقوع عين القيامة للمتأخرين كما اوعد نوح عليه السلام بالطوفان فلم يدركه بعضهم بل هلك قبله وغرق فى طوفان الموت و بحر البلاء قال بعض اهل المعرفة قل ان ادرى اقريب ماتوعدون فى القيامة الصغرى من الفناء الصورى والموت الطبيعى الاضطرارى والدخول فى نار الله الكبرى عند البعث لعدم الوقوف على قدر الله او فى الكبرى من الموت الارادى والفناء الحقيقى لعدم الوقوف على قوة الاستعداد فيقع عاجلا ام ضرب الله غاية واجلا (عالم الغيب) وحده وهو خبر مبتدأ محذوف اى هو عالم بجميع ماغاب عن الحس على ان اللام للاستغراق والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية (فلا يظهر) اكاه نكند (على غيبه احدا) الفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما

موجبا لعين اليقين احدا من خلقه (الا من ارتضى من رسول) الارتضاء يستدعى واصله تناول مرضى الشئ اى الا رسولا ارتضاه واختاره لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا ما اما لكونه من مبادى رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من احوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعى احد لا حد من الاولياء ما فى مرتبة الرسل من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح بل اطلاعهم بالاخبار الغيبى والتلقف من الحق فيدخل فى الرسول وارثه قال الجنيد قدس سره قعدت على غلام نصرانى متنكرا وقال ايها الشيخ ما معنى قوله عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله قال فاطرقت رأسى ورفعت فقلت اسلم اسلم فقد حان وقت اسلامك فاسلم الغلام فهذا اما بطريق الفراسة او بغيرها من انواع الكشوف وخرج من البين اهل الكهانة والتنجيم لانهم ليسوا من اهل الارتضاء والاصطفاء كالانبياء والاولياء فليس اخبارهم بطريق الالهام والكشف بل بالامارات والظنون ونحوها ولذا لا يقع اكثرها الا كاذبا ومن قال انا اخبر من اخبار الجن يكفر لان الجن كالانس لا تعلم غيبا وقد سبق ان الكهانة انقطعت اليوم فلا كهانة ابدا لان الشياطين منعوا من السماء قال ابن الشيخ انه تعالى لا يطلع على الغيب الذى يختص به علمه الا المرتضى الذى يكون رسولا وما لا يختص به يطلع عليه غير الرسول اما بتوسط الانبياء او بنصب الدلائل وترتيب المقدمات او بان يلهم الله بعض الاولياء وقوع بعض المغيبات فى المستقبل بواسطة الملك فليس مراد الله بهذه الآية ان لا يطلع احدا على شئ من المغيبات الا الرسل لظهور انه تعالى قد يطلع على شئ من الغيب غير الرسل كما اشتهر ان كهنة فرعون اخبروا بظهور موسى عليه السلام وبزوال ملك فرعون على يده وان بعض الكهنة اخبروا بظهور نبينا محمد عليه السلام قبل زمان ظهوره ونحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين فيه وارباب الملل والاديان مطبقون على صحة علم التعبير والمعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية فى المستقبل ويكون صادقا فيه ثم الآية نظير قوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء (فانه يسلك) پس بدرستى كه درمى آرد خداى تعالى يعنى ميسازد و بالعربية يدخل و يثبت (من بين يديه) اى قدام الرسول المرتضى (ومن خلفه رصدا) قال فى القاموس الرصد محركة الراصدون اى الراقبون بالفارسية نكهبانان يقال للواحد والجماعة كما فى المفردات وهو تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اى فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من بعض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته يعنى ان جبريل كان اذا نزل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه من ان يسمع الجن الوحى فيلقونه الى كهنتهم فيخبر به الكهنة قبل الرسول فيختلط على الناس امر الرسالة قال القاشانى الا من ارتضى من رسول اى اعده فى الفطرة الاولى وزكاه وصفاه من رسول القوة القدسية فانه يسلك من بين يديه اى من جانبه الالهى ومن خلفه اى ومن جهته البدنية رصدا حفظة اما من جهة الله التى اليها وجهه فروح القدس والانوار الملكوتية والربانية واما من جهة البدن فالملكات الفاضلة والهيئات النورية الحاصلة من هيا كل الطاعات والعبادات يحفظونه من تخبيط الجن وخلط كلامهم من الوساوس والاوهام والخيالات بمعارفها اليقينية ومعانيها القدسيه والواردات الغيبية والكشوف الحقيقية (ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم) متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها والابلاغ الايصال و بالفارسية رسانيدن ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى اريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشأن قد ابلغوه رسالات ربهم

سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزآء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين منكم والغاية فى الحقيقة هو الابلاغ و الجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتيب الجزآء عليهما والمبالغة فى الحث عليهما والتحذير من التفريط فيهما واما المن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى امهم كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما ابلغها الرصد اليهم كذلك (واحاط بما لديهم) اى بما عند الرصد والرسل حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جيء به لتحقيق استغنائه تعالى اى وقد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا (واحصى) علم علما بالغا الى حد الاحاطة تفصيلا و بالفارسية وشمرده است (كل شئ) مما كان وما سيكون (عددا) اى فردا فردا فكيف لا يحيط بما لديهم قال القاسم هو اوجدها فاحصاها عددا وقال ابن عباس رضى الله عنهما احصى ما خلق وعرف عدد ما خلق لم يفته علم شئ حتى مثاقيل الذر والخردل (قال الكاشفى) مراد كمال علم است وتعلق آن بجميع معلومات يعنى معلومى مطلقا ازدائرهٔ علم او خارج نيست * هرچه دانستنى است در دو جهان * نيست ازعلم شاملش پنهان * قوله عددا تمييز منقول من المفعول به كقوله وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شئ وفائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه وهذه الآية مما يستدل به على ان المعدوم ليس بشئ لانه لو كان شيأ لكانت الاشياء غير متناهية وكونه احصى عددها يقتضى كونها متناهية لان احصاء العدد انما يكون فى المتناهى فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية وذلك محال فوجب القطع بان المعدوم ليس بشئ حتى يندفع هذا التناقض والتنافى كذا فى حواشى ابن الشيخ رحمه الله

(تمت سورة الجن بعون ذى الطول والمن فى عصر الثلاثاء السابع من ذى القعدة من شهور)

(سنة ست عشرة ومائة والف)

* (سورة المزمل وآيها تسع عشرة او عشرون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يا ايها المزمل) اى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها وتغطى فادغم التاء فى الزاى فقيل المزمل بتشديدين كان عليه السلام نائما بالليل متزملا فى قطيفة اى دثار مخمل فامر ان يترك التزمل الى التشمر للعبادة و يختار التهجد على الهجود وقال ابن عباس رضى الله عنهما اول ما جاءه جبريل خافه فظن انه مس من الجن فرجع من جبل حرآء الى بيت خديجة مرتعدا وقال زملونى فزملوه كذلك اذ جاء جبريل وناداه وقال يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذى زمل امرا عظيما اى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله قال السهيلى رحمه الله ليس المزمل من اسمائه عليه السلام التى يعرف بها كما ذهب اليه بعض الناس وعده فى اسمائه وانما المزمل مشتق من حالته التى كان عليها حين الخطاب وكذا المدثر وفى خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التى هو عليها كقول النبى عليه السلام لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها اى اغضبها واغضبته فاتاه وهو نائم فدلصق بجنبه التراب فقال له قم يا ابا تراب اشعارا بانه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة رضى الله عنه قم يا نومان وكان نائما ملاطفة واشعارا بترك العتب والتأديب فقول الله تعالى لمحمد عليه السلام يا ايها المزمل تأنيس وملاطفة ليستشعر انه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الى قيام الليل وذكر الله فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة انتهى وفى فتح الرحمن الخطاب الخاص بالنبى عليه السلام كايها المزمل ونحوه عام للامة الا بدليل يخصه وهذا قول احمد والحنفية والمالكية وقال اكثر الشافعية لا يعمهم الا بدليل وخطابه عليه السلام لواحد من الامة هل يعم غيره قال الشافعى والحنفية والاكثر لا يعم وقال ابو الخطاب

من ائمة الحنابلة ان وقع جواباعم والافلا (قم الليل) بكسر الميم لالتقاء الساكنين اى لاتتزمل وترقدودع هذه الحال لما هو افضل منها وقم الى الصلاة فى الليل فانتصاب الليل على الظرفية وان استغرق الحدث الواقع فيه فحذف فى واوصل الفعل اليه فنصب لان عمل الجر لايكون فى الفعل والنصب اقرب اليه من الرفع ومن ذلك قال بعضهم هو مفعول نظرا الى الظاهر فى الاستعمال ومن ذلك فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقوله لينذر يوم التلاق فى احد الوجهين كما سبق ومثله الاحياء فى قوله من احيى ليلة القدر ونحوه فان الاحياء وان كان واقعا على الليل فى الظاهر لكن المراد به احياء الصلاة و الذكر فى الليل واستعمالهما وحد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال بعض العارفين ان الله اشتاق الى مناجاة حبيبه فناداه ان يقوم فى جوف الليل وقد قالوا ان القيام والمناجاة ليسا من الدنيا بل من الجنة لما يجده اهل الذوق من الحلاوة (الاقليلا) استثناء من الليل (نصفه) بدل من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل والنصف احد شقى الشئ اى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى اكثره فى كثرة الثواب يعنى انه يجوز ان يوصف النصف المستثنى بكونه قليلا بالنسبة الى النصف المشغول بالعبادة مع انهما متساويان فى المقدار من حيث ان النصف الفارغ لايساويه بحسب الفضيلة والشرف فالاعتبار بالكيفية لا بالكمية وقال بعضهم ان القلة فى النصف بالنسبة الى الكل لا الى العديل الآخر والالزم ان يكون احد النصفين المساويين اقل من الآخر وفيه انه من عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر كما فى الارشاد (اوانقص منه) اى انقص القيام من النصف المقارن له الى الثلث (قليلا) اى نقصا قليلا ومقدارا قليلا بحيث لاينحط الى نصف الليل (اوزد عليه) اى زد القيام على النصف المقارن له الى الثلثين فالمعنى تخييره عليه السلام بين ان يقوم نصفه اواقل منه اواكثر اى قم الى الصلاة فى الزمان المحدود المسمى بالليل الا فى الجزء القليل منه وهو نصفه اوانقص القيام من نصفه اوزد عليه قيل هذا التخيير على حسب طول الليالى وقصرها فالنصف اذا استوى الليل والنهار والنقص منه اذا قصر الليل والزيادة عليه اذا طال الليل (ورتل القرآن) فى اثناء ماذكر من القيام اى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف وبالفارسية وقرآرا كشاده حروف خوان بحديكه بعضى آن برى بعضى باشد (ترتيلا) بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها ولذا نهى ابن مسعود رضى الله عنه عن التعجل وقال ولايكن هم احدكم آخر السورة يعنى لابد للقارئ من الترتيل ليتمكن هو ومن حضره من التأمل فى حقائق الآيات فعند الوصول الى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله وعند الوصول الى الوعد والوعيد يتبع فى الرجاء والخوف وليسلم نظم القرآن من الخلل والرتل اتساق الشئ وانتظامه على استقامة والترتيل هو يداكردن سخن بى تكلف قال فى الكشاف ترتيل القرآن قرآءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجئ المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لايهزه هزا ولايسرده سردا كما قال عمر رضى الله عنه شر السير الحقحقة وشر القرآءة الهذرمة حتى يجئ المتلو فى تتابعه كالثغر الالص والامر بترتيل القرآن يشعر بان الامر بقيام الليل نزل بعد ماتعلم عليه السلام مقدارا منه وان قل وقوله انا سنلقى على الاستقبال بالنسبة الى بقية القرآن ثم الظاهر ان الامر به يعم الامة لانه امر مهم للكل والامر للوجوب كما دل عليه التأكيد اوللندب وكانت قرآءته عليه السلام مدا يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم اما الاولان فمدهما طبيعى قدر الالف واما الاخير فمده عارضى بالسكون فيجوز فيه ثلاثة اوجه الطول وهو مقدار الفات ثلاث والتوسط قدر الفين والقصر قدر الف وكان عليه السلام مجودا للقرآن كما انزل وتجويده تحسين الفاظه باخراج الحروف من مخارجها واعطاء حقوقها من صفاتها كالجهر والهمس واللين ونحوها وذلك بغير تكلف وهو ارتكاب المشقة فى قرآءته بالزيادة على ادآء مخرجه والمبالغة فى بيان صفته فينبغى ان يتحفظ فى الترتيل عن التمطيط وهو التجاوز عن الحد وفى الحدر عن الادماج والتخليط بان تكون قرآءته بحال كأنه يلف بعض الحروف والكلمات فى بعض آخر لزيادة السرعة وذلك ان القراءة بمنزلة البياض ان قل صار سمرة وان كثر صار برصا ومافوق الجعودة فهو القطط فاكان فوق القرآءة فليس بقرآءة فعلم من هذا ان التجويد على ثلاث مراتب ترتيل وحدر وتدوير * اما الترتيل فهو تؤدة وتان وتمهل قال فى القاموس ورتل الكلام ترتيلا احسن تاليفه

وترتل فيه ترسل انتهى وهو مختار ورش وعاصم وحمزة ويؤيده قوله عليه السلام من قرأ القرآن اقل من ثلاث لم يفهمه وفى قوت القلوب افضل القراءة الترتيل لان فيه التدبر والتفكر وافضل الترتيل والتدبر للقرآن ما كان فى صلاة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لان اقرأ البقرة ارتلها واتدبرها احب الى من ان اقرأ القرآن كله هذرمة اى سرعة وعن النبى عليه السلام انه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم قرأها عشرين مرة وكان له كل مرة فهم وفى كل كلمة علم وقد كان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبى فيها لم اعد لها ثوابا وكان بعض السلف اذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما فى من فهمها اكثر قال مالك بن دينار رحمه الله اذا قام العبد يتهجد من الليل ويرتل القرآن كما امر قرب الجبار منه قال وكانوا يرون ان ما يجدونه فى قلوبهم من الرقة والحلاوة وتلك الفتوح والانوار من قرب الرب من القلب وفى الحديث (يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف فى اول درج الجنة ويقال اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها) ولكون المقصود من انزال القرآن فهم الحقائق والعمل بالفحاوى شرع الانصات لقراءة القرآن وجوبا فى الصلاة وندبا فى غيرها وللقارئ اجر وللمستمع اجران لانه يسمع وينصت او يسمع باذنيه والقارئ يقرأ بلسان واحد والمستمع يؤدى الفرض ولذا قالوا استماعه اثوب من تلاوته (وفى سلسلة الذهب للمولى الجامى) صرف اوكن حواس جسمانى * وقف اوكن قواى روحانى * دل بمعنى زبان بلفظ سپار * چشم بر خط ونقط وعجم كذار * كوش از معدن جواهر كن * هوش از مخزن سرائر كن * درادا پيش مكن زبان كج مج * حرفها پش ادا كن از مخرج * دور باش از تهتك وتعجيل * كام كبراز تأمل وترتيل * واما الحدر فهو الاسراع فى القراءة كما روى انه ختم القرآن فى ركعة واحدة اربعة من الائمة عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد ابن جبير وابو حنيفة رضى الله عنهم وكان همسر بن المنهال يختم فى الشهر تسعين ختمة ومالم يفهم رجع فقرأ مرة اخرى وفى القاموس وابو الحسن على بن عبد الله بن سادان بن البنى كعربى مقرئ ختم فى النهار اربع ختمات الا ان مع افهام التلاوة انتهى * واما ما روى فى مناقب الشيخ موسى السدرانى من اكابر اصحاب الشيخ ابى مدين رضى الله عنه من انه ورد فى اليوم والليلة سبعين الف ختمة فمعناه ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة فيكون فى كل اثنتى عشرة ساعة خمسة وثلاثون الف ختمة لانها اما ان تبسط الى ثلاث واربعين سنة وتسعة اشهر واما الى اكثر وعلى التقدير الاول يكون اليوم والليلة منبسطا الى سبع وثمانين سنة وستة اشهر فيكون فى كل يوم وليلة من ايام السنين المنبسطة ايامها ولياليها ختمتان ختمة فى اليوم وختمة فى الليل كما هو العادة ويحتمل التوجيه باقل من ذلك باعتبار سرعة القارئ وهذا اى الحدر مختار ابن كثير وابى عمرو وقالون * واما التدوير فهو التوسط بين الترتيل والحدر وهو مختار ابن عامر والكسائى وهذا كله انما يتصور فى مراتب الممدود وفى الحديث (رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه) وهو متناول لمن يخل بمبانيه اومعانيه او بالعمل بما فيه وذلك موقوف على بيان اللحن وهو انه جلى وخفى فالجلى خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى بان يبدل حرفا مكان حرف بان يقول مثلا انطا لحات بدل الصالحات وبالاعراب كرفع المجرور ونصبه سواء تغير المعنى به اولا كما اذا قرأ ان الله بريئ من المشركين ورسوله بجر رسوله والخفى خطأ يخل بالعرف والضابطة كترك الاخفاء والادغام والاظهار والقلب وكترقيق المفخم وعكسه ومد المقصور وقصر الممدود وامثال ذلك ولاشك ان هذا النوع ملابس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد وانما فيه التهديد وخوف العقاب قال بعضهم اللحن الخفى الذى لا يعرفه الا مهرة القراء من تكرير الراآت وتطنين النونات وتغليظ اللامات وترقيق الراآت فى غير محلها لا يتصور ان يكون من فرض العين يترتب عليه العقاب على فاعلها لما فيه من حرج ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وفى بعض شروح الطريقة ومن الفتنة ان يقول لاهل القرى والبوادى والعجائز والعبيد والاماء لا تجوز الصلاة بدون التجويد وهم لا يقدرون على التجويد فيتركون الصلاة رأسا فالواجب ان يعلم مقدار ما يصح به النظم والمعنى ويتوغل فى الاخلاص وحضور القلب * لعنت است اين كه بهر لهجه وصوت * شود از تو حضور خاطر فوت * فكر حسن عنا يرد هوشت * متكلم شود فراموشت * لعنت است اين كه سازدت پى سيم * روز شب با امير وخواجه نديم * لعنت است اين كه همت تو تمام *

كنت مصروف لفظ وحرف وكلام * نقد عمرت زفكرت معوج * خرج شد در رعايت مخرج * صرف كردى همه حيات سره * در قرا آت سبعه وعشره * همچنين هر چه از كلام خدا * جز خدا قبلهٔ دلست ترا * موجب لعن ومايهٔ طردست * حبذا مقبلى كه زان فردست * معنئ لعن چيست مردودى * بمقامات بعد خشنودى * هر كه ماند از خدا بيك سرمو * آمد اندر مقام بعد حرو * كرچه ملعون نشد زحق مطلق * هست ملعون بقدر بعد از حق * روى ان عمران ابن حصين رضى الله عنه مر على وقاص يقرأ ثم يسأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيئ اقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس انتهى فيكون اعطاء شئ اياه من قبيل الاعانة على المعصية كالاعطاء لسائل المسجد وهو يتخطى رقاب الناس ولا يدع السواك فى كل ما استيقظ من نوم الليل والنهار وفى الخبر طيبوا طرق القرآن من افواهكم باستعمال السواك والصلاة بعد السواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وفى قوة القلوب وفى الجهر بالقرآن سبع نيات منها الترتيل الذى امر به ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذى ندب اليه فى قوله عليه السلام زينوا القرآن باصواتكم وفى قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن اى يحسن صوته وهو احب من اخذه بمعنى الغنية والاكتفاء ومنها ان يسمع اذينه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعانى ولايكون ذلك كله الا فى الجهر ومنها ان يطرد النوم عنه برفع صوته ومنها ان يرجوا بجهره يقظة نائم فيذكر الله فيكون هو سبب احيائه ومنها ان يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق الى الخدمة فيكون هو معاونا له على البر والتقوى ومنها ان يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففى ذلك كثرة عمله فاذا كان القارئ على هذه النيات فجهره افضل لان فيه اعمالا وانما يفضل العمل بكثرة النيات وكان اصحاب رسول الله عليه السلام اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وفى شرح الترغيب اختلف فى القراءة بالالحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم وابا حها ابو حنيفة وجماعة من السلف للاحاديث لان ذلك سبب للرقة واثارة الخشية وفى ابكار الافكار انما استحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينه مالم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فان افرط حتى زاد حرفا او اخفاه فهو حرام وقال بعض اهل المعرفة قوله ورتل اى انزل وجاءت التلاوة بمعنى الابلاغ فى مواضع من القرآن فالمعنى بلغ احكام القرآن لاهل النفوس المتمردة المنحرفة عن الاقبال على الآخرة وهم العوام وهذا من قبيل الظهر كما قال عليه السلام ما من آية الا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع وفصل معانيه لاصحاب القلوب المقبلة على المولى كما قال تعالى كتاب فصلت آياته وهم الخواص وهذا من قبيل البطن وفهم حقائقه لسدنة الاسرار المستهلكين فى عين المشاهدة المستغرقين فى بحر المعاينة وهم اخص الخواص وهذا من قبيل الحد واوجد اسراره لارباب الارواح الطاهرة الفانين عن ناسوتيته الباقين بلاهوتيته (انا سنلقى عليك) اى سنوحى اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى (قولا ثقيلا) وهو القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وايضا ان القرآن قديم غير مخلوق والحادث يذوب تحت سطوة القديم الا من كان مؤيدا كالنبى عليه السلام والثقل حقيقة فى الاجسام ثم يقال فى المعانى وقال بعضهم ثقيلا نلقيه كما سئل رسول الله عليه السلام كيف يأتيك الوحى قال احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشد على فيفصم عنى اى يقلع وينجلى وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل الى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا اى يترشح (قال الكاشفى) در حين نزول وحى بران حضرت برين وجه كه مذكور شد اكر برشتر سوارى بودى دست و پاى شتر خم كشتى واكر تكيه بران يكى از ياران داشتى خوف شكستن آن بودى ودرين محل روى كلبر كش برافروخته (مصراع) بسان كل كه بصحن چمن برافروزد * وفى التأويلات النجمية ثقل المحمول بحسب لطف الحامل ولاشك ان نبينا عليه السلام كان الطف الانبياء خلقا وخلقا واعدلهم مزاجا وطبعا واكملهم روحانية ورحمانية وافضلهم نشأة وفطرة واشملهم استعدادا وقابلية فلذلك خص القرآن بالثقل من بين سائر الكتب السماوية المشتملة على الاوامر والنواهى والاحكام والشرائع للطف فطرته وشمول رحمته والجملة اعتراض بين الامر وهو قم الليل وبين

تعليله وهوان ناشئة الليل الخ تسهيل ماكلفه عليه السلام من القيام يعنى ان فى توصيف ما يليق عليه بالثقل ايماء الى ان ثقل هذا التكليف بالنسبة اليه كالعدم فاذا كان ماسيكلف اصعب واشق فقدسهل هذا التكليف وفى الكشاف اراد بهذا الاعتراض ان ماكلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الصعبة التى ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلابد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه فمن استأنس بهذا التكليف لايثقل عليه امثاله يقول الفقير سورة المزمل ممانزل فى اوائل النبوة فكان قوله انا سنلقى عليك قولا ثقيلا يشير الى مدة الوحى الباقية لان حروفه مع اعتبار النون المدغم فيها ونوى التنوين اثنان وعشرون فالسين دل على الاستقبال ومجموع الحروف على المدة الباقية وجعل القرآن حملا ثقيلا لانه عليه السلام بعث لتتميم مكارم الاخلاق ولاشك ان ماكان اجمع كان اثقل والله تعالى اعلم بمراده وايضا ان كون القول ثقيلا انما هو بالنسبة الى النفس الثقيلة الكثيفة لترا كم حجبها و بعدها عن درك الحق واما بالنسبة الى النفس الخفيفة اللطيفة فخفيف ولطيف ولذا كان تعب التكاليف مرفوعا عن الكمل فهم يجدون العبادات كالعادات فى ارتفاع الكلفة وفى الذوق والحلاوة (ان ناشئة الليل) اى النفس التى تنشأ فى الليل من مضجعها الى العبادة اى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض فالموصوف محذوف والاضافة للملابسة بمعنى النفس الناشئة فى الليل (هى) خاصة (اشد وطئا) اى كلفة وثقلا مصدر قولك وطئ الشئ اى داسه برجله اوجعل عليه ثقله فان النفس القائمة بالليل الى العبادة اشد وطئا من التى تقوم بالنهار فلابد من قيام الليل فان افضل العبادات اشقها فالوطئ مصدر من المبنى للمفعول لان لواطئ الذى يلقى ثقله على العابد هو العبادة فى الليل فيكون العابد بالليل اشد موطوأله من العابد بالنهار ووطئا نصب على التمييز و يجوزان يكون معنى اشد وطئا اشد ثبات قدم واستقرارها فيكون المقصود بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام فيه من حيث انه تعالى جعل الليل لباسا يستر الناس و يمنعهم عن الاضطراب والانقلاب فى اكتساب المعاش وجعل النهار معاشا يباشرون فيه امور معاشهم فلاتثبت فيه اقدامهم للعبادة (واقوم قيلا) اسم من القول بمعناه بقلب الواو ياء اى ازيد من جهة السداد والاستقامة فى المقال ومن جهة الثبات والاستقرار على الصواب يعنى خواندن قرآن در و بصوا بتراست كه دل فارغ باشد واصوات ساكن وزبان بادل موافقت نمايد بزبان مى خواند و بدل تفكر ميكند * خاموش شد عالم بشب تاجست باشى در طلب * زيراكه بانك عربده نشويش خلوتخانه بود * ويحتمل ان تكون ناشئة الليل بمعنى قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية بمعنى العفو وهذا وافق لسان الحبشة حيث يقولون نشأ اذا قام و يكون بمعنى العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث فيكون الوطئ مصدرا من المبنى للفاعل فان كل واحد من قيام الليل ومن العبادة التى تحدث فيه ثقيلان على العابد من قيام النهار والعبادة فيه فمعنى اشد وطئا اثقل واغلظ على المصلى من صلاة النهار فيكون افضل يعنى آن سخترست ازجهت رنج وكلفت چه ترك خواب وراحت برنفس بغايت شاق است و يحتمل ان يكون المراد بناشئة الليل ساعاته فانها تحدث واحدة بعد واحدة اى ساعات الليل الناشئة اى الحادثة شيأ بعد شئ فتكون الناشئة صفة ساعات الليل فتكون اشد وطئا اى بملاحظة القيام فيها من ساعات النهار لكن ابن عباس رضى الله عنهما قيد الناشئة بما كان بعد العشاء فكان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عائشة رضى الله عنها بما كان بعد النوم فلولم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة وفى قوت القلوب ان يصلى بين العشاءين ماتيسر الى ان يغيب الشفق الثانى وهو البياض الذى يكون بعد ذهاب الحمرة وقيل غسق الليل وظلمته لانه آخر مايبقى من شعاع الشمس فى القطر الغربى اذا قطعت الارض العليا ودارت من ورآء جبل قاف مصعدة تطلب المشرق فهذا الوقت هو المستحب لصلاة العشاء الآخرة وهو آخر الورد الاول من اوراد الليل والصلاة فيه ناشئة الليل اى ساعته لانها اول نشوء ساعاته وقرأ ابن عامر وابو عمرو وطاء بالكسر والمد من المواطأة بمعنى الموافقة فان فسرت الناشئة بالنفس الناشئة كان المعنى انها اشد من جهة موافقة القلب الكائن لها لسانها وان فسرت بالقيام اوالعبادة والساعات كان المعنى انها اشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه فيها اومن جهة كونها موافقة لمايراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن رحمه الله اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق (ان لك فى النهار سبحا طويلا) اى تقلبا وتصرفا فى مهماتك كتردد السابح فى الماء

واشتغالا بشؤنك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل وهذا بيان للداعى الخارجى الى قيام الليل بعد بيان ما فى نفسه من الداعى قال الراغب السبح المر السريع فى الماء او فى الهوآء استعير لمر النجوم فى الفلك كقوله تعالى وكل فى فلك يسبحون ولجرى الفرس كقوله تعالى فالسابحات سبحا ولسرعة الذهاب فى العمل كقوله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا وفى تاج المصادر السبح تصرف كردن در معاشت وفى بعض التفاسير قيل السباحة لما فيها من التقلب باليد والرجل فى الماء وقيل معنى الآية ان فاتك من الليل شئ فلك فى النهار فراغ تقدر على تداركه فيه حتى لا ينقص شئ من حظك من المناجاة لربك ويناسبه قوله عليه السلام من نام عن حزبه او عن شئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كانما قرأه من الليل ومن اقوال المشايخ ان المريد الصادق اذا فاته ورد من اوراده يليق به ان يقضيه ولو بعد شهر حتى لا تعود النفس بالكسل فالورد من الشؤون الواردة عن الرسول عليه السلام واختياراته ومن لا ورد له لا وارد له اى وارد خاص بالخواص وفى قوت القلوب من فاته ورد من الاوراد استحب له فعل مثله متى ذكره لا على وجه القضاء لانه لا تقضى الا الفرآئض ولكن على سبيل التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذ بالعزآئم كيلا يعتاد الرخص (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقرآءة قرآن ودراسة علم خصوصا بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس فانهما من ساعات الفتح والفيض وذكر الله على الدوام من وظائف المقربين سوآء كان قلبا او لسانا او اركانا وسوآء كان قياما او قعودا او على الجنوب وبالفارسية وياد كن پروردكار خودرا وباسماء حسنى اورا بخوان قال عليه السلام من احصاها اى حصلها دخل الجنة فالمراد من ذكر اسمه ذكره تعالى بواسطة ذكر اسمه ولذا قال تعالى واذكر ربك اذا نسيت فالذكر والنسيان فى الحقيقة كلاهما من صفات القلب وعند تجلى المذكور يفنى الذكر والذاكر كما قال شيخى وسندى روح الله روحه فى شرح تفسير الفاتحة للقونوى قدس سره من اشتغل من الاسماء المجازية بما يسر الله الاشتغال به وداوم عليه فلا ريب انه يحصل بينه وبين سر هذا الاسم المشتغل به وروحه بعناية الله وفضله مناسبة ما بقدر الاشتغال ومتى قويت تلك المناسبة بينهما وكملت بحسب قوة الاشتغال وكماله يحصل بينه وبين مدلوله من الاسماء الحقيقية بواسطة هذه المناسبة الحاصلة مناسبة بقدرها قوة وكمالا ومتى بلغت الى حد الكمال ايضا هذه المناسبة الثانية الحاصلة بينه وبين هذا الاسم الحقيقى بجود الحق سبحانه وعطائه يحصل بينه وبين مسماه الحق تعالى مناسبة بمقدار المناسبة الثانية من جهة القوة والكمال لان العبد بسبب هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه ويصير مناسبا لعالم القدس بقدر ارتفاع حكم الدنس فحينئذ يتجلى الحق سبحانه له من مرتبة ذلك الاسم بحسبها وبقدر استعداده ويفيض عليه ما شاء من العلوم والمعارف والاسرار الالهية والكونية اما من الوجه العام وطريق سلسلة ترتيب المراتب والحضرات وغيرها من الوسائط والاسباب والادوات والمواد المعنوية والصورية واما من الوجه الخاص بدون الوسائل والاغيار او منهما معا جميعا اذ وجهه اما هذا او ذاك لا غير هما غير نسبة الجمع بينهما وقال بعضهم فى الآية اذا أردت قرآءة القرآن او الصلاة فقل بسم الله الرحمن الرحيم وقال القاشانى واذكر اسم ربك الذى هو انت اى اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينساك الله واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها (وتبتل اليه تبتيلا) التبتل الانقطاع والتبتيل دل ازدنيا بريدن والمعنى وانقطع الى ربك انقطاعا تاما بالعبادة واخلاص النية والتوجه الكلى كما قال تعالى قل الله ثم ذرهم وبالفارسية يعنى نفس خودرا ازانديشهٔ ماسوى الله مجرد سازواز همكى روى بردار * دل درو بندواز غيرش بكسل * هرچه جزاوست برون كن ازدل * وليس هذا منافيا لقوله عليه السلام لا رهبانية ولا تبتل فى الاسلام فان التبتل هنا هو الانقطاع عن النكاح ومنه قيل لمريم العذراء رضى الله عنها البتول اى المنقطعة عن الرجال والانقطاع عن النكاح والرغبة عنه لقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم وقوله عليه السلام تناكحوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم يوم القيامة واما اطلاق البتول على فاطمة الزهرآء رضى الله عنها فلكونها شبيهة بسيدة نساء بنى اسرآئيل فى الانقطاع عما سوى الله لا عن النكاح وقيل تبتيلا مكان تبتلا لان معنى تبتل بتل نفسه فجئ به على معناه مراعاة لحق الفواصل لان حظ القرآن من حسن النظم والرصف فوق كل حظ وقال بعضهم لما لم يكن الانقطاع الكلى الا بتجريد النبى عليه السلام نفسه عن العوآئق الصادة عن مراقبة الله وقطع العلائق عما سواه

قيل تبتيلا مكان تبتلا فيكون النظم من قبيل الاحتباك كما فى قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا على وجه وهو ان التقدير انبتكم منها انباتا فنبتم نباتا وكذا التقدير ههنا اى تبتل اليه تبتيلا يبتلك عما سواه تبتيلا والانسب يبتلك ربك تبتيلا فان التبتيل فعل الله فلا يحصل للعبد الا بمعاونته وفى التأويلات النجمية واذكر اسم ربك بفناء صفاتك وافعالك وتبتل اليه تبتيلا بفناء ذاتك وبقاء ذاته ثم ان التبتل يكون من الدنيا اما ظاهرا فقط فهو مذموم كبعض الحفاة العراة الذين اظهروا الفقر فى ظواهرهم وابطنوا الحرص فى ضمائرهم واما باطنا فقط وهو ممدوح كالاغنياء من الانبياء والاولياء عليهم السلام فانهم انقطعوا عن الدنيا باطنا اذ ليس فيهم حب الدنيا اصلا وانما لم ينقطعوا ظاهرا لان ارادتهم تابعة لارادة الله والله تعالى اراد ملكهم ودولتهم كسليمان ويوسف وداود وايوب واسكندر وغيرهم عليهم السلام واما ظاهرا وباطنا كاكثر الانبياء والاولياء وقد يكون التبتل من الخلق اما ظاهرا فقط كتبتل بعض المتعبدة فى قلل الجبال واجواف المغارات لجذب القلوب وجلب الهدايا واما باطنا لاظاهرا كاهل الارشاد وهم عامة الانبياء وبعض الاولياء اذ لابد فى ارشاد الخلق من مخالطتهم واما ظاهرا وباطنا كبعض الاولياء الذين اختاروا العزلة وسكنوا فى المواضع الخالية عن الناس قال بعضهم السلوك الى الله تعالى يكون بالتبتل ومعناه الاقبال على الله بملازمة الذكر والاعراض عن غيره بمخالفة الهوى وهذا هو السفر بالحركة المعنوية من جانب المسافر الى جانب المسافر اليه وان كان الله اقرب الى العبد من حبل الوريد فان مثال الطالب والمطلوب مثال صورة حاضرة مع مرءآت لكن لا تتجلى فيها لصدأ فى وجهها فمتى صقلتها تجلت فيها الصورة لا بارتحال الصورة اليها ولا بحركتها الى جانب الصورة ولكن بزوال الحجاب فالحجاب فى عين العبد والا فالله متجلى بنور غير خفى على اهل البصيرة وان كان فرق بين تجلى وتجلى بحسب المحل ولذا قال عليه السلام ان الله يتجلى للناس عامة ولابى بكر خاصة فتجلى العامة كتجلى صورة واحدة فى مرائى كثيرة فى حالة واحدة وتجلى الخاصة كتجلى صورة واحدة فى مرآة واحدة واليه الاشارة بقوله عليه السلام لى مع الله وقت اذ لا يخفى ان التجلى فى ذلك الوقت مخصوص به عليه السلام لا يزاحمه غيره فيه يقول الفقير ان فى هذا المقام اشكالا وهو انه عليه السلام اذا كان مستغرق الاوقات فى الذكر دائم الانقطاع الى الله على ما افاده الآيتان فكيف يأتى له التسبح فى النهار على ما افصح عنه قوله تعالى ان لك فى النهار سبحا طويلا ولعل جوابه من وجوه الاول ان الامر بالذكر الدائم والانقطاع الكلى من باب الترقى من الرخصة الى العزيمة كما يقتضيه شأن الاكامل والثانى ان التسبح فى النهار ليس من قبيل الواجب فله ان يختار التوكل على التقلب ويكون مستوعب الاوقات بالذكر والثالث ان الشغل الظاهر لا يقطع الكمل عن مراقبته تعالى كما قال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون والرابع ان ذلك بحسب اختلاف الاحوال والاشخاص فمن مشتغل ومن ذاكر والله اعلم بالمرام

(رب المشرق والمغرب) مرفوع على المدح اى هو رب هما وخالقهما وما لكهما وما بينهما من كل شئ قال فى كشف الاسرار ويدبه جنس المشارق والمغارب فى الشتاء والصيف (لا اله الا هو) استيناف لبيان ربوبيته بنفى الالوهية عما سواه يعنى هيچ معبودى نيست سزاوار عبادت مكر او (فاتخذه) لمصالح دينك ودنياك والفاء لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى (وكيلا) موكولا ومفوضا اليه لاصلاحها واتمامها واسترح انت وفى التأويلات النجمية رب مشرق الذات المطلقة عن حجب تعينات الاسماء والصفات ورب مغرب الصفات والاسماء لا ستاره باستتار حجب الصفات وهى حجب الذات وهو المتعين فى جميع الموجودات فلا اله الا هو فاتخذه وكيلا اى جرد نفسك عنك وعن وجودك المجازى واتخذ وجوده الحقيقى مقام وجودك المجازى وامش جانبك هذا مثل ما قال المريد لشيخه اريد ان احج على التجريد فقال له شيخه جرد نفسك ثم سر حيث شئت قال الامام القشيرى رحمه الله ان الله هو المتولى لاحوال عباده يصرفهم على ما يشاء ويختار واذا تولى امر عبد بجميل العناية كفاه كل شغل واغناه عن كل غير فلا يستكثر العبد حوائجه لعلمه ان مولاه كافيه ولهذا قيل من علامات التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل (حكى) عن محمد الدينورى رحمه الله انه قال كان على دين فاهتممت به فى بعض الليالى وضاق صدرى فرأيت كأن قائلا يقول لى اخذت هذا المقدار عليك الاخذ وعلينا العطاء ثم انتبهت ففتح لى ما قضيت به الدين ثم لم احاسب بعد ذلك قصابا ولا بقالا

ثم قال القشيري اعلم ان من جعل المخلوق وكيلا له فانه يسأله الاجر وقد يخونه في ماله وقد يخطئ في تصرفه او يخفى عنه الصواب والارشد لصاحبه ومن رضى بالله وكيلا اعطاه الاجر وحقق آماله واثنى عليه ولطف به في دقائق احواله بما لا يهتدى اليه آماله بتفاصيل سؤاله ومن جعل الله وكيلا لزمه ايضا ان يكون وكيلا لله على نفسه في استحقاق حقوقه وفرائضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه في ذلك ليلا ونهارا لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة قال الزروقي رحمه الله خاصية الاسم الوكيل نفي الحوائج والمصائب فمن خاف ريحا اوصاعقة ونحوهما فليكثر منه فانه يصرف عنه السوء و يفتح له ابواب الخير والرزق (واصبر على ما يقولون) يعني قريشا مما لا خير فيه من الخرافات والهذيانات في حق الله من الشريك والصاحبة والولد وفي حقك من الساحر والشاعر والكاهن والمجنون وفي حق القرآن من انه اساطير الاولين ونحو ذلك (واهجرهم هجرا جميلا) تأكيدا للامر بالصبر اى واتركهم تركا حسنا بان تجانبهم بقلبك وهواك وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما اعرب عنه ما بعد الآية قال الراغب الهجر والهجران مفارقة الانسان غيره اما بالبدن او باللسان او بالقلب وقوله تعالى واهجرهم هجرا جميلا يحتمل الثلاثة و يدعو الى تحريها ما امكن مع تحري المجاملة قال الحكماء تسلح على الاعداء بحسن المداراة حتى تبصر فرصة * آسايش دو كيتى تفسيراين دو حرفست * بادوستان تلطف بادشمنان مدارا (وذرني والمكذبين) اى دعني واياهم وكل امرهم الى فانى اكفيكهم وقد سبق في ن والقلم وقال بعضهم يجوز نصب المكذبين على المعية اى دعني معهم وهو ظاهر و يجوز على العطف اى دعني على امري مما تقتضيه الحكمة ودع المكذبين بك و بالقرآن وهو اوفق للصناعة لان النصب انما يكون نصا في الدلالة على المصاحبة اذا كان الفعل لازما وهنا الفعل متعد (اولى النعمة) ارباب التنعم و بالفارسية خداوندان نازوتن آسانى صفة للمكذبين وهم صناديد قريش وكانوا اهل ترفة وتنعم لاسيما بنى المغيرة والنعمة بفتح النون التنعم و بكسرها الانعام وما انعم به عليك و بالضم السرور والتنعم استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات وفي تاج المصادر التنعم بناز زيستن وفيه اشارة الى ان متعلق الذم ليس نفس النعمة والرزق بل التنعم بهما كما قال عليه السلام لمعاذ رضى الله عنه حين بعثه الى اليمن وآليا اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين وفيه تسلية للفقراء فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام (ومهلهم) التمهيل زمان دادن والمهل التؤدة والسكون يقال مهل في فعله وعمل في مهلة (قليلا) اى زمانا قليلا واجلهم اجلا يسيرا ولا تعجل فان الله سيعذبهم في الآخرة اذ عمر الدنيا قليل وكل آت قريب و يدل على هذا المعنى ما بعد الآية من بيان عذاب الآخرة وقال الطبري كان بين نزول هذه الآية ووقعة بدر زمان يسير ولذا قيل انها مدنية (ان لدينا) في الآخرة وفيما هيأناه للعصاة من آلات العذاب واسبابه وهو اولى من قول بعضهم في علمنا وتقديرنا لان المقام مقام تهديد العصاة فوجود آلات العذاب بالفعل اشد تأثيرا على ان تلك الآلات صور الاعمال القبيحة ولا شك ان معاصري النبي عليه السلام من الكفار قد قدموا تلك الآلات بما فعلوا من السيئات (انكالا) قيودا ثقالا يقيد بها ارجل المجرمين اهانة لهم وتعذيبا لاخوفا من فرارهم جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر من حيث ان تعداد ما عنده من اسباب التعذيب الشديد في حكم بيان اقتداره على الانتقام منهم فهم يتنعمون في الدنيا ولا يبالون وعند الله العزيز المنتقم في الآخرة امور مضادة لتنعمهم (وجحيما) و بالفارسية وآتشى عظيم وهى كل نار عظيمة في مهواة وفي الكشاف هى النار الشديدة الحر والاتقاد (وطعاما ذا غصة) هو ما ينشب في الحلق و يعلق من عظم وغيره فلا ينساغ اى طعاما غير سائغ يأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج كالضريع والزقوم وهما في الدنيا من النباتات والاشجار سمان قاتلان للحيوان الذى يأكلهما مستكرهان عند الناس فاظنك بضريع جهنم وزقومها وهو في مقابلة الهنيء والمريء لاهل الجنة و ابتلوا بهما لانهم اكلوا نعمة الله و كفروا بها (وعذابا اليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كما يدل عليه التنكير كل ذلك معد لهم ومرصد فالمراد بالعذاب سائر انواع العذاب جاء في التفسير انه لما نزلت هذه الآية خر النبي عليه السلام مغشيا عليه وعن الحسن البصري قدس سره انه امسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك

الثالثة فاخبر ثابت البنانى و يزيد الضبى و يحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا حتى شرب شربة من سويق اعلم ان اصناف العذاب الروحانى فى الآخرة ثلاثة خرقة فرقة المشتهيات وخزى خجلة الفاضحات وحسرة فوت المحبوبات ثم ينتهى الامر الى مقاساة النار الجسمانية الحسية والخزى الذل والحقارة والخجلة التحير من الحياء والفضيح الكاشف عيب المجرم (يوم ترجف الارض والجبال) ظرف للاستقرار الذى تعلق به لدنيا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة اى تضطرب وتتزلزل بهيبة الله وجلاله ليكون علامة لمجيئ القيامة وامارة لجريان حكم الله فى مؤاخذة العاصين افرد الجبال بالذكر مع كونها من الارض لكونها اجساما عظاما اوتادا لها فاذا تزلزلت الاوتاد لم يبق للارض قرار وايضا ان زلزلة العلويات اظهر من زلزلة السفليات ومن زلزلتها تبلغ القلوب الحناجر خوفا من الوقوع (وكانت الجبال) من شدة الرجفة مع صلابتها وارتفاعها (كثيبا) فى القاموس الكثيب التل من الرمل انتهى من كثب الشئ اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول فى اصله ثم صار اسما بالغلبة للرمل المجتمع (مهيلا) اى كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اى نثروا سيل بحيث لو حرك من اسفله انهال من اعلاه وسال لتفرق اجزآئه كالعهن المنفوش ومثل هذا الرمل يمر تحت الرجل ولا يتماسك فكونه متفرق الاجزآء منثورا سائلا لاينافى كونه رملا مجتمعا (وبالفارسية كوههاء سخت چون ريك روان شد ازهيبت آن روز) فقوله مهيلا اسم مفعول من هال يهيل واصله مهيول كمبيع من باع لافعيل من مهل يمهل وخص الجبال بالتشبيه بالكثيب المهيل لان ذلك خاصة لها فان الارض تكون مقررة فى مكانها بعد الرجفة دل عليه قوله تعالى و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا والحاصل ان الارض والجبال يدق بعضها ببعض كما قال تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فترجع الجبال كثيبا مهيلا ثم ينسفها الريح فتصير هباء منبثا وتبقى الارض مكانها ثم تبدل كما مر وفى التأويلات النجمية يوم ترجف ارض البشرية وجبال الانانية وكانت جبال الانانية كل واحد رملا منثورا متفتتا شبه التعينات الاعتبارية الموهومة بالرمل لسرعة زوالها وانتشارها (انا ارسلنا اليكم) يا اهل مكة شروع فى التخويف باهوال الدنيا بعد تخويفهم باهوال الآخرة (رسولا) هو محمد عليه السلام وكونه مرسلا اليهم لاينافى ارساله الى من عداهم فان مكة ام القرى فمن ارسل الى اهل مكة فقد ارسل الى اهل الدنيا جميعا ولذا نص الله تعالى عليه بقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ليندفع اوهام اهل الوهم (شاهدا عليكم) يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان وكذا يشهد على غيركم كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (كما ارسلنا الى فرعون رسولا) هو موسى عليه السلام لان هرون عليه السلام ردء له وتابع وعدم تعيينه لعدم دخله فى التشبيه وتخصيص فرعون لانه من رؤساء اولى النعمة المترفهين المتكبرين فبينه وبين قريش جهة جامعة ومشابهة حال ومناسبة سيرة (فعصى فرعون الرسول) اى فعصى فرعون المعلوم حاله كبرا وتعمدا الرسول الذى أرسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه بأن جحد رسالته ولم يؤمن به وفى اعادة فرعون والرسول مظهرين تفظيع لشأن عصيانه وان ذلك لكونه عصيان الرسول لالكونه عصيان موسى وفى ترك ذكر ملأ فرعون اشارة الى ان كل واحد منهم كانه فرعون فى نفسه لتمرده (فأخذناه) بسبب عصيانه (اخذا وبيلا) ثقيلا لايطاق يعنى باتش غرق كردم وازراه آب باتش بردم والوبيل الثقيل الغليظ ومنه الوابل للمطر العظيم والكلام خارج عن التشبيه جئ به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ماحاق بأولئك لامحالة (فكيف تتقون) قال ابن الشيخ مرتب على الارسال فالعصيان وكان الظاهر ان يقدم على قوله كما ارسلنا الا انه آخر زيادة فى التهويل اذ علم من قوله فاخذناه انهم مأخوذون مثله واشد فاذا قيل بعده فكيف تتقون كان ذلك زيادة على زيادة كانه قيل هبوا انكم لاتؤخذون فى الدنيا اخذة فرعون وامثاله فكيف تتقون اى تقون انفسكم فاتقى ههنا مأخوذ بمعنى وقى المتعدى الى مفعولين دل عليه قول الامام البيهقى رحمه الله فى تاج المصادر الاتقاء حذر كردن وخودر انگاه داشتن انتهى وافتعل يجئ بمعنى فعل نص عليه الزمخشرى فى المفصل وان كانت الامثلة لاتساعده فانه ليس وقى واتقى مثل جذب واجتذب وخطف واختطف فتأمل (ان كفرتم) اى بقيتم على الكفر (يوما) اى عذاب يوم فهو مفعول به لتتقون و يجوز ان يكون

ظرفا اى فكيف لكم بالتقوى والتوحيد فى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا اى لاسبيل اليه لفوات وقته فاتقى على حاله وكذا اذا انتصب بكفرتم على تأويل جحدتم اى فكيف تتقون الله وتخشون عقابه ان جحدتم يوم القيامة والجزآء (يجعل الولدان) من شدة هوله وفظاعة مافيه من الدواهى وهو صفة ليوما نسب الجعل الى اليوم للمبالغة فى شدته والافنفس اليوم لاتأثيرله البتة والولدان بالفارسية نوزاد كان ازمادر جمع وليد يقال لمن قرب عهده بالولادة وان كان فى الاصل يصح اطلاقه على من قرب عهده بها ومن بعد (شيبا) شيوخا يعنى پير كندوموى سرايشان سفيدسازد جمع اشيب والشيب بياض الشعر واصله ان يكون بضم الشين كحمر فى جمع احمر لان الضم يقتضى الواوفكسرت لاجل صيانة الياء فرقابين مثل سود وبين مثل بيض وجعلهم شيوخا فيه وجوه *الاول انه محمول على الحقيقة كما ذهب اليه بعض اهل التفسير ويؤيده ماقال فى الكشاف وقد مر بى فى بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحلك الغراب اى سواده واصبح وهو ابيض الرأس واللحية كالثغامة بياضا وهو بفتح الثاء المثلثة وبالغين المعجمة نبت ابيض قال اريت القيامة والجنة والنار ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون وقال احمد الدورقى مات رجل من جيراننا شابا فرأيته فى الليل وقد شاب فقلت وما قصتك قال دفن بشر فى مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من فى المقبرة كما فى فصل الخطاب و بشر المريسى ومريس قرية بمصر اخذ الفقه عن ابى يوسف القاضى الا انه اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن واضل خلقا كثيرا ببغداد فان قلت ايصال الالم والضرر الى الصبيان يوم القيامة غير جائز بل هم لكونهم غير مكلفين معصومون محفوظون عن كل خطر قلت قد يكون فى القيامة من هيبة المقام مايجثو به الانبياء عليهم السلام على الركب فحينئذ بغيرهم من الاولياء والشيوخ والشبان والصبيان وفى الآية مبالغة وهى انه اذا كان ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا وهم ابعد الناس من الشيخوخة لقرب عهدولادتهم فغيرهم اولى بذلك وكذا فى القصة السابقة فان من شاب بمجرد الرؤيا فكيف حاله فى اليقظة وهو معاين من الاهوال مايذوب تحته الجبال الرواسى * والثانى انه محمول على التمثيل بان شبه اليوم فى شدة هوله بالزمان الذى يشيب الشبان لكثرة همومه واهواله واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب لان كثرة الهموم توجب ان صار الروح الى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفأ الحرارة الغريزية وضعفها وانطفاؤها يوجب بقاء الاجزآء الغذائية غير تامة النضج وذلك يوجب بياض الشعر ومسارعة الشيب بتقدير العزيز الحكيم كما يوجب تغير القلب تغير البشرة فتحصل الصفرة من الوجل والحمرة من الخجل والسواد من بعض الآلام وما على البدن من الشعر تابع للبدن فتغيره يوجب تغيره فثبت ان كثرة الهموم توجب مسارعة الشيب كما قيل

دهتنا امور تشيب الوليد * ويخذل فيها الصديق الصديق

فلما كان حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوه كناية عن الشدة فجعل اليوم المذكور الولدان شيبا عبارة عن كونه يوما شديدا غاية الشدة وفى الحديث (يقول الله) اى فى يوم القيامة (ياآدم) خص آدم عليه السلام بهذا الخطاب لانه اصل الجميع (فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك فيقول اخرج بعث النار) اى من اهلها المبعوث اليها (قال ومابعث النار) اى عدده (قال الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون قال) اى النبى عليه السلام (فذلك) التقاول (حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها) قال ابن الملك اعلم ان الشيب والوضع ليسا على ظاهرهما اذ ليس فى ذلك اليوم حبل ولاصغير بل هما كنايتان عن شدة اهوال يوم القيامة معناه لوتصورت الحوامل والصغار هنالك لوضعن احمالهن ولشاب الصغار انتهى *وفى بيانه نظر ستأتى الاشارة اليه فى الوجه الثالث (وترى الناس سكارى) اى من الخوف (وماهم بسكارى) اى من الخمر (ولكن عذاب الله شديد) *والثالث انه محمول على الفرض والتقدير بان يكون معناه ان ذلك اليوم بحال لوكان هناك صبى لشاب رأسه من الهيبة والدهشة وهذا الوجه غير موجه وان ذهب اليه بعض من بعد من اجلة اهل التفسير اذ هو يشعر بان يوم القيامة لايكون فيه ولدان حقيقة وقد ثبت انه يبعث يومئذ ولدان كثيرة ماتوا فى الصغر وكذا من المقرران الحبلى تبعث حبلى ففى ذلك اليوم حبل وصغير نعم اذا دخلوا الجنة صاروا ابناء ثلاث وثلاثين * والرابع انه يجوز ذلك وصفا لليوم بالطول يعنى على الكناية بانه فى طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والشيب وهو لاينقضى بعد بل يمتد الى حيث يكون مقداره خمسين الف سنة فهو كناية عن غاية الطول لانه تقدير حقيقى يعنى

الثالثة فاخبر ثابت البنانى و يزيد الضبى و يحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا حتى شرب شربة من سويق اعلم ان اصناف العذاب الروحانى فى الآخرة ثلاثة خرقة فرقة المشتهيات وخزى نجلة الفاضحات وحسرة فوت المحبوبات ثم ينتهى الامر الى مقاساة النار الجسمانية الحسية والخزى الذل والحقارة والخجلة التحير من الحياء والفاضح الكاشف عيب المجرم (يوم ترجف الارض والجبال) ظرف للاستقرار الذى تعلق به لدنيا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة اى تضطرب وتتزلزل بهيبة الله وجلاله ليكون علامة لمجئ القيامة وامارة لجريان حكم الله فى مؤاخذة العاصين افرد الجبال بالذكر مع كونها من الارض لكونها اجساما عظاما اوتادا لها فاذا تزلزلت الاوتاد لم يبق للارض قرار وايضا ان زلزلة العلويات اظهر من زلزلة السفليات ومن زلزلتها تبلغ القلوب الحناجر خوفا من الوقوع (وكانت الجبال) من شدة الرجفة مع صلابتها وارتفاعها (كثيبا) فى القاموس الكثيب التل من الرمل انتهى من كثب الشئ اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول فى اصله ثم صار اسما بالغلبة للرمل المجتمع (مهيلا) اى كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اى نثروا سيل بحيث لو حرك من اسفله انهال من اعلاه وسال لتفرق اجزآئه كالعهن المنفوش ومثل هذا الرمل يمر تحت الرجل ولا يتماسك فكونه متفرق الاجزآء منثورا سائلا لاينافى كونه رملا مجتمعا (وبالفاسية كوههاء سخت چون ريك روان شد ازهيبت آن روز) فقوله مهيلا اسم مفعول من هال يهيل واصله مهيول كبيع من باع لافعيل من مهل يمهل وخص الجبال بالتشبيه بالكثيب المهيل لان ذلك خاصة لها فان الارض تكون مقررة فى مكانها بعد الرجفة دل عليه قوله تعالى و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا والحاصل ان الارض والجبال يدق بعضها ببعض كما قال تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فترجع الجبال كثيبا مهيلا ثم ينسفها الريح فتصير هباء منبثا وتبقى الارض مكانها ثم تبدل كما مر وفى التأويلات النجمية يوم ترجف ارض البشرية وجبال الانانية وكانت جبال انانية كل واحد رملا منثورا متفتتا شبه التعينات الاعتبارية الموهومة بالرمل لسرعة زوالها وانتشارها (انا ارسلنا اليكم) ياأهل مكة شروع فى التخويف باهوال الدنيا بعد تخويفهم باهوال الآخرة (رسولا) هو محمد عليه السلام وكونه مرسلا اليهم لاينافى ارساله الى من عداهم فان مكة ام القرى فمن ارسل الى اهل مكة فقد ارسل الى اهل الدنيا جميعا ولذا نص الله تعالى عليه بقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ليندفع اوهام اهل الوهم (شاهدا عليكم) يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان وكذا يشهد على غيركم كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (كما ارسلنا الى فرعون رسولا) هو موسى عليه السلام لان هرون عليه السلام ردء له وتابع وعدم تعيينه لعدم دخله فى التشبيه وتخصيص فرعون لانه من رؤساء اولى النعمة المترفهين المتكبرين فبينه وبين قريش جهة جامعة ومشابهة حال ومناسبة سيرة (فعصى فرعون الرسول) اى فعصى فرعون المعلوم حاله كبرا وتعنتا الرسول الذى أرسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه بأن جحد رسالته ولم يؤمن به وفى اعادة فرعون والرسول مظهرين تفظيع لشأن عصيانه وان ذلك لكونه عصيان الرسول لالكونه عصيان موسى وفى ترك ذكر ملأ فرعون اشارة الى ان كل واحد منهم كانه فرعون فى نفسه لتمرده (فأخذناه) بسبب عصيانه (اخذا وبيلا) ثقيلا لايطاق يعنى باتش غرق كردم وازراه آب باتش بردم والوبيل الثقيل الغليظ ومنه الوابل للمطر العظيم والكلام خارج عن التشبيه جئ به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ماحاق بأولئك لامحالة (فكيف تتقون) قال ابن الشيخ مرتب على الارسال فالعصيان وكان الظاهر ان يقدم على قوله كما ارسلنا الا انه آخر زيادة فى التهويل اذ علم من قوله فاخذناه انهم مأخوذون مثله واشد فاذا قيل بعده فكيف تتقون كان ذلك زيادة على زيادة كانه قيل هبوا انكم لاتؤخذون فى الدنيا اخذة فرعون وامثاله فكيف تتقون اى تقون انفسكم فاتقى ههنا مأخوذ بمعنى وقى المتعدى الى مفعولين دل عليه قول الامام البيهقى رحمه الله فى تاج المصادر الاتقاء حذر كردن وخودر انكاه داشتن انتهى واتقى يجئ بمعنى فعل نص عليه الزمخشرى فى المفصل وان كانت الامثلة لاتساعده فانه لبس وقى واتقى مثل جذب واجتذب وخطف واختطف فتأمل (ان كفرتم) اى بقيتم على الكفر (يوما) اى عذاب يوم فهو مفعول به لتتقون و يجوز ان يكون

ظرفا اى فكيف لكم بالتقوى والتوحيد فى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا اى لاسبيل اليه لفوات وقته فاتقى على حاله وكذا اذا انتصب بكفرتم على تأويل جحدتم اى فكيف تتقون الله وتخشون عقابه ان جحدتم يوم القيامة والجزآء (يجعل الولدان) من شدة هوله وفظاعة مافيه من الدواهى وهو صفة ليوما نسب الجعل الى اليوم للمبالغة فى شدته والافنفس اليوم لاتأثيرله البتة والولدان بالفارسية نوزاد كان ازمادر جمع وليد يقال لمن قرب عهده بالولادة وان كان فى الاصل يصح اطلاقه على من قرب عهده بها ومن بعد (شيبا) شيوخا يعنى پير كندوموى سرايشان سفيدسازد جمع اشيب والشيب بياض الشعر واصله ان يكون بضم الشين كحمر فى جمع احمر لان الضم يقتضى الواوفكسرت لاجل صيانة الياء فرقابين مثل سود وبين مثل بيض وجعلهم شيوخا فيه وجوه *الاول انه محمول على الحقيقة كما ذهب اليه بعض اهل التفسير ويؤيده ماقال فى الكشاف وقد مر بى فى بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحلك الغراب اى سواده واصبح وهو ابيض الرأس واللحية كالثغامة بياضا وهو بفتح الثاء المثلثة وبالغين المعجمة نبت ابيض قال اريت القيامة والجنة والنار ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون وقال احمد الدورقى مات رجل من جيراننا شابا فرأيته فى الليل وقد شاب فقلت وما قصتك قال دفن بشر فى مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من فى المقبرة كما فى فصل الخطاب و بشر المريسى ومريس قرية بمصر اخذ الفقه عن ابى يوسف القاضى الا انه اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن واضل خلقا كثيرا ببغداد فان قلت ايصال الالم والضرر الى الصبيان يوم القيامة غير جائز بل هم لكونهم غير مكلفين معصومون محفوظون عن كل خطر قلت قد يكون فى القيامة من هيبة المقام مايجثو به الانبياء عليهم السلام على الركب فحينئذ بغيرهم من الاولياء والشيوخ والشبان والصبيان وفى الآية مبالغة وهى انه اذا كان ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا وهم ابعد الناس من الشيخوخة لقرب عهد ولادتهم فغيرهم اولى بذلك وكذا فى القصة السابقة فان من شاب بمجرد الرؤيا فكيف حاله فى اليقظة وهو معاين من الاهوال مايذوب تحته الجبال الرواسى * والثانى انه محمول على التمثيل بان شبه اليوم فى شدة هوله بالزمان الذى يشيب الشبان لكثرة همومه واهواله واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب لان كثرة الهموم توجب ان صار الروح الى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفأ الحرارة الغريزية وضعفها وانطفاؤها يوجب بقاء الاجزآء الغذآئية غير تامة النضج وذلك يوجب بياض الشعر ومسارعة الشيب بتقدير العزيز الحكيم كما يوجب تغير القلب تغير البشرة فتحصل الصفرة من الوجل والحمرة من الخجل والسواد من بعض الاخلام وما على البدن من الشعر تابع للبدن فتغيره يوجب تغيره فثبت ان كثرة الهموم توجب مسارعة الشيب كما قيل

دهتنا امور تشيب الوليد * ويخذل فيها الصديق الصديق

فلما كان حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوه كناية عن الشدة فجعل اليوم المذكور الولدان شيبا عبارة عن كونه يوما شديدا غاية الشدة وفى الحديث (يقول الله) اى فى يوم القيامة (ياآدم) خص آدم عليه السلام بهذا الخطاب لانه اصل الجميع (فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك فيقول اخرج بعث النار) اى ميز اهلها المبعوث اليها (قال ومابعث النار) اى عدده (قال الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون قال) اى النبى عليه السلام (فذلك) التقاول (حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها) قال ابن الملك اعلم ان الشيب والوضع ليسا على ظاهرهما اذ ليس فى ذلك اليوم حبل ولاصغير بل هما كنايتان عن شدة اهوال يوم القيامة معناه لوتصورت الحوامل والصغار هنالك لوضعن احمالهن ولشاب الصغار انتهى *وفى بيانه نظر ستأتى الاشارة اليه فى الوجه الثالث (وترى الناس سكارى) اى من الخوف (وماهم بسكارى) اى من الخمر (ولكن عذاب الله شديد) *والثالث انه محمول على الفرض والتقدير بان يكون معناه ان ذلك اليوم بحال لوكان هناك صبى لشاب رأسه من الهيبة والدهشة وهذا الوجه غير موجه وان ذهب اليه بعض من بعد من اجلة اهل التفسير اذ هو يشعر بان يوم القيامة لايكون فيه ولدان حقيقة وقد ثبت انه يبعث يومئذ ولدان كثيرة ماتوا فى الصغر وكذا من المقرران الحبلى تبعث حبلى فنى ذلك اليوم حبل وصغير نعم اذا دخلوا الجنة صاروا ابناء ثلاث وثلاثين * والرابع انه يجوز ذلك وصفا لليوم بالطول يعنى على الكناية بانه فى طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والشيب وهو لاينقضى بعد بل يمتد الى حيث يكون مقداره خمسين الف سنة فهو كناية عن غاية الطول لانه تقدير حقيقى يعنى

ان هذا على عادة العرب فى التعبير عن الطول على سبيل التمثيل كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم ماناحت حمامة ومالاح كوكب وماتعاقبت الايام والشهور وفى الآية اشارة الى النفس والهوى و بعد نفوسهم من الله فى يوم قيامة الفناء الذى يجعل ولدان اعمالهم السيئة القبيحة الخبيثة الخسيسة شيبا منهدمة متفانية (السماء) مبتدأ خبره قوله (منفطر به) اى منشق بسبب ذلك اليوم لان الله تعالى مسبب الاسباب فيجوز ان يجعل شدة ذلك اليوم سببا للانفطار * ذكر الله من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله تعالى يجعل الولدان شيبا والثانى قوله السماء منفطر به لان السماء على عظمتها وقوتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فحالك بغيرها من الخلائق فالباء للسببية وهو الظاهر وتذكير الخبر لاجرائه على موصوف مذكر اى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشئ وفى القاموس السماء معروف و يذكر و يجوز ان يكون الباء بمعنى فى واليه ذهب المكى فى قوت القلوب حيث قال حروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض وهذا مثال قوله تعالى السماء منفطر به اى فيه يعنى فى ذلك اليوم وقيل الباء للآلة والاستعانة مثلها فى فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعنى ان السماء ينفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به قال بعضهم اتخاذ الآلة والاستعانة لا يليق بجناب الله تعالى ولا يناسب ذات السماء ايضا (كان وعده مفعولا) الضمير لله وان لم يجر له ذكر للعلم به والمصدر مضاف الى فاعله اى كان وعده تعالى اى يكون يوم القيامة على ماوصف من الشدائد كائنا متحققا لانه لا يخلف الميعاد فلا يجوز لعاقل ان يرتاب فيه الضمير لليوم والمصدر مضاف الى مفعوله والفاعل وهو الله مقدر قال فى الصحاح الوعد يستعمل فى الخير والشر فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا فى الخير الوعد والعدة وفى الشر الايعاد والوعيد (ان هذه) اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة وهى من قوله ان لدينا انكالا الى هنا (تذكرة) موعظة لمن يريد الخير لنفسه والاستعداد لربه و بالفارسية پندى وعبرتيست قيل القرآن موعظة للمتقين وطريق للسالكين ونجاة للهالكين و بيان للمستبصرين وشفاء للمتحيرين وامان للخائفين وانس للمريدين ونور لقلوب العارفين وهدى لمن أراد الطريق الى رب العالمين (فمن شاء) من المكلفين يعنى پس هركه خواهد ازمكلفان (اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ومقام قربه (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل) اى اقل منهما فاطلاق الادنى على الاقل مجاز مرسل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل مابينهما من الاحياز والحدود واذا بعدت كثر ذلك روى انه تعالى افترض قيام الليل فى اول هذه السورة فقام النبى عليه السلام واصحابه حولا مع مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام اكثر الصحابة الليل كله خوفا من الخطأ فى اصابة المقدار المفروض وصاروا بحيث انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وامسك الله خاتمة السورة من قوله ان ربك الخ اثنى عشر شهرا فى السماء حتى انزل الله فى آخر سورة التخفيف فنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية اصل التهجد حسبما تيسر ثم نسخ نفس الوجوب ايضا بالصلوات الخمس لما روى ان الزيادة على الصلوات الخمس زيادة (ونصفه وثلثه) بالنصب عطفا على ادنى والثلث احد اجزاء الثلاثة والجمع اثلاث اى انك تقوم اقل من ثلثى الليل وتقوم من نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) مرفوع معطوف على الضمير فى تقوم وجاز ذلك للفصل بينهما اى و يقوم معك طائفة من اصحابك ومن تبعيضية فلا دلالة فيه على ان قيام الليل لم يكن فرضا على الجميع وحاصل المعنى يتابعك طائفة فى قيام الليل وهم اصحابك وفيه وعد لهم بالاحسان اليهم كما تقول لاحد اذا اردت الوعد له انا اعلم مافعلت لى وفى قوت القلوب قد قرن الله تعالى قوام الليل برسوله المصطفى عليه السلام وجمعهم معه فى شكر المعاملة وحسن الجزاء وفى التأويلات النجمية يشير الى انسلاخ رسول القلب عن ليل طبيعته فى اكثر الاوقات بالتوجه الى الله والاعراض عن النفس الا فى اوقات قلائل وذلك لحكمة مقتضية للحجاب فان الحجاب رحمة كما قيل لولا الحجاب ماعرف الآله وطائفة من الذين مع رسول القلب من القوى الروحانية والاعضاء والجوارح (والله يقدر الليل والنهار) وحده لا يقدر على تقديرهما ومعرفة مقادير ساعاتهما واوقاتهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ و بناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا والتقدير بالفارسية اندازه كردن يعنى وخداى تعالى اندازه ميكند شب وروزرا وميداند مقادير ساعات آن قال الراغب التقدير تبيين كمية الشئ وقوله تعالى والله الخ اشارة الى ما اجرى من تكوير الليل

على النهار وتكوير النهار على الليل اى ادخال هذا فى هذا او ان ليس احد يمكنه معرفة ساعاتهما وتوفية حق العبادة منهما فى وقت معلوم والحاصل ان العالم بمقادير ساعات الليل والنهار على حقائقها هو الله وانتم تعلمون ذلك بالتحرى والاجتهاد الذى يقع فيه الخطأ فربما يقع منكم الخطأ فى اصابتها فتقومون اقل من المقادير المذكورة ولذا قال (علم) الله (ان) اى ان الشان (لن تحصوه) لن تقدروا على تقدير الاوقات على حقائقها ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فالضمير عائد الى المصدر المفهوم من يقدر قال فى تاج المصادر الاحصاء دانستن وشمردن برسبيل استقصا وتوانستن قال الراغب الاحصاء التحصيل بالعدد وروى استقيموا ولن تحصوا اى لن تحصلوا ذلك لان الحق واحد والباطل كثير بل الحق بالاضافة الى الباطل كالنقطة بالاضافة الى سائر اجزاء الدائرة وكالمرمى من الهدف واصابة ذلك شديدة واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع تكليف ما لا يطاق فانه تعالى قال لن تحصوه اى لن تطيقوه ثم انه كلفهم بتقدير الساعات والقيام فيها حيث قال قم الليل الخ ويمكن ان يجاب عنه بان المراد صعوبته لا انهم لا يقدرون عليه اصلا كما يقال لا اطيق ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه وفى التأويلات النجمية يعنى السلوك من ليل الطبيعة الى نهار الحقيقة بتقدير الله لا بتقدير السالك علم ان لن تقدروا على مدة ذلك السلوك بالوصول الى الله اذ الوصول مترتب على فضل الله ورحمته لا على سلوككم وسيركم فكم من سالك انقطع فى الطريق ورجع القهقرى ولم يصل كما قيل ليس كل من سلك وصل ولا كل من وصل اتصل ولا كل من اتصل انفصل (فتاب عليكم) بالترخيص على ترك القيام المقدر ورفع التبعة عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به فى المشبه ثم اشتق منه فتاب اى فرخص والتبعة ما يترتب على الشئ من المضرة (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) اى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل غير مقدرة بكونها فى ثلث الليل او نحوه ولو قدر حلب شاة فهذا يكون اربع ركعات وقد يكون ركعتين عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائرا كانها على طريق اطلاق اسم الجزء على الكل مجازا مرسلا فتبين ان التهجد كان واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ بهذه الآية ثم نسخ نفس الوجوب المفهوم منها بالصلوات الخمس على ما سبق وفيه تفضيل صلاة الليل على سائر التطوعات فان التطوع بما كان فرضا فى وقت ثم نسخ افضل من التطوع بما لم يكن فرضا اصلا كما قالوا صوم يوم عاشوراء افضل لكونه فرض قبل فرضية رمضان وفى الحديث ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلب عليه النوم فليرقد وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يكره النوم قاعدا وعنه عليه السلام عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم وهذا الحديث يدل على ان قيام الليل لم يكن فرضا على المتقدمين من الانبياء وامتهم بل كان من شعار صلاحهم وعنه عليه السلام ان الله ليبغض كل جعظرى جواظ سخاب بالاسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بامر الدنيا جاهل بامر الآخرة والجعظرى لفظ الغليظ والجواظ كشداد الضخم المختال والكثير الكلام والجموع المنوع والمتكبر الجافى والسخاب من السخب وهو محركة شدة الصوت سخب كفرح فهو سخاب واقل الاستحباب من قيام الليل سدسه سواء كان متواليا او قام جزأ ثم نام نومة اخرى ثم قام قياما ثانيا لانه عليه السلام لم يقم ليلة قط حتى اصبح بل كان ينام فيها ولم ينم ليلة قط بل كان يقوم فيها وباى ورد احيى الليل فقد دخل فى اهل الليل وله معهم نصيب ومن احيى اكثر ليلة او نصفها كتب له احياء ليلة جميعها ويتصدق عليه بما بقى منها كذا فى قوت القلوب وقيل المراد بالآية قراءة القرآن بعينها فتكون على حقيقتها فالمعنى ان شق عليكم القيام فقد رخص فى تركه فاقرأوا ما تيسر من القرآن من غير توقيت لصلاة فانه لا يشق وتنالون بقراءته خارج الصلاة ثواب القيام فالامر للندب وفى الحديث من قرأ فى ليلة مائة آية لم يحاجه القرآن قال الطيبى فى قوله لم يحاجه القرآن ان قراءته لازمة لكل انسان واجبة عليه فاذا لم يقرأ يخاصمه الله ويغلبه بالحجة فاسناد المحاجة الى القرآن مجاز ويفهم من كلامه ان قراءته مقدار مائة آية فى كل ليلة واجبة بها يخلص من المحاجة وعنه عليه السلام من قرأ بالآيتين من سورة البقرة فى ليلة كفتاه والمراد آمن الرسول الخ يعنى اغنتاه عن قيام الليل او حفظتاه من كل شر وسوء وعنه عليه السلام ايعجز احدكم ان يقرأ فى ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن ومن ذلك قالوا ان قراءة الاخلاص ثلاث مرات تقوم مقام ختمة واطول الآى افضلها لكثرة الحروف وان اقتصر على قصار الآى عند فتوره ادرك الفضل ان حصل العدد كذا فى قوت القلوب وفى التأويلات النجمية

ان هذا على عادة العرب فى التعبير عن الطول على سبيل التمثيل كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم ماناحت حمامة ومالاح كوكب ومانعاقبت الايام والشهور وفى الآية اشارة الى النفس والهوى و بعد نفوسهم من الله فى يوم قيامة القناه الذى يجعل ولدان اعمالهم السيئة القبيحة الخبيثة الخسيسة شيبا منهدمة متفانية (السماء) مبتدأ خبره قوله (منفطر به) اى منشق بسبب ذلك اليوم لان الله تعالى مسبب الاسباب فيجوز ان يجعل شدة ذلك اليوم سببا للانفطار * ذكر الله من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله تعالى يجعل الولدان شيبا والثانى قوله السماء منفطر به لان السماء على عظمتها وقوتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فاظنك بغيرها من الخلائق فالباء للسببية وهو الظاهر وتذكير الخبر لاجرائه على موصوف مذكر اى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشئ وفى القاموس السماء معروف و يذكر و يجوز ان يكون الباء بمعنى فى واليه ذهب المكى فى قوت القلوب حيث قال حروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض وهذا مثال قوله تعالى السماء منفطر به اى فيه يعنى فى ذلك اليوم وقيل الباء للآلة والاستعانة مثلها فى فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعنى ان السماء ينفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به قال بعضهم اتخاذ الآلة والاستعانة لا يليق بجناب الله تعالى ولا يناسب ذات السماء ايضا (كان وعده مفعولا) الضمير لله وان لم يجر له ذكر للعلم به والمصدر مضاف الى فاعله اى كان وعده تعالى اى يكون يوم القيامة على ماوصف من الشدائد كائنا متحققا لانه لا يخلف الميعاد فلا يجوز لعاقل ان يرتاب فيه الضمير لليوم والمصدر مضاف الى مفعوله والفاعل وهو الله مقدر قال فى الصحاح الوعد يستعمل فى الخير والشر فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا فى الخير الوعد والعدة وفى الشر الايعاد والوعيد (ان هذه) اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة وهى من قوله ان لدينا انكالا الى هنا (تذكرة) موعظة لمن يريد الخير لنفسه والاستعداد لربه و بالفارسية پندى وعبرتيست قيل القرآن موعظة للمتقين وطريق للسالكين ونجاة للهالكين و بيان للمستبصرين وشفاء للمتحيرين وامان للخائفين وانس للمريدين ونور لقلوب العارفين وهدى لمن أراد الطريق الى رب العالمين (فمن شاء) من المكلفين يعنى پس هركه خواهد ازمكلفان (اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ومقام قربه (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل) اى اقل منهما فاطلاق الادنى على الاقل مجاز مرسل من قبيل اطلاق الملزوم على اللازم لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل مابينهما من الاحياز والحدود واذا بعدت كثر ذلك روى انه تعالى افترض قيام الليل فى اول هذه السورة فقام النبى عليه السلام واصحابه حولا مع مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام اكثر الصحابة الليل كله خوفا من الخطأ فى اصابة المقدار المفروض وصاروا بحيث انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وامسك الله خاتمة السورة من قوله ان ربك الخ اثنى عشر شهرا فى السماء حتى انزل الله فى آخر سورة التخفيف فنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية اصل التهجد حسبما تيسر ثم نسخ نفس الوجوب ايضا بالصلوات الخمس لما روى ان الزيادة على الصلوات الخمس زيادة (ونصفه وثلثه) بالنصب عطفا على ادنى والثلث احد اجزاء الثلاثة والجمع اثلاث اى انك تقوم اقل من ثلثى الليل وتقوم من نصفه وثلثه (وطائفة من الذين معك) مرفوع معطوف على الضمير فى تقوم وجاز ذلك للفصل بينهما اى و يقوم معك طائفة من اصحابك ومن تبيينية فلا دلالة فيه على ان قيام الليل لم يكن فرضا على الجميع وحاصل المعنى يتابعك طائفة فى قيام الليل وهم اصحابك وفيه وعد لهم بالاحسان اليهم كما تقول لاحد اذا اردت الوعد له انا اعلم ما فعلت لى وفى قوت القلوب قد قرن الله تعالى قوام الليل برسوله المصطفى عليه السلام وجمعهم معه فى شكر المعاملة وحسن الجزاء وفى التأويلات النجمية يشير الى انسلاخ رسول القلب عن ليل طبيعته فى اكثر الاوقات بالتوجه الى الله والاعراض عن النفس الا فى اوقات قلائل وذلك لحكمة مقتضية للحجاب فان الحجاب رحمة كما قيل لولا الحجاب ماعرف الآله وطائفة من الذين معه رسول القلب من القوى الروحانية والاعضاء والجوارح (والله يقدر الليل والنهار) وحده لا يقدر على تقديرهما ومعرفة مقادير ساعاتهما واوقاتهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ و بناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا والتقدير بالفارسية اندازه كردن يعنى وخداى تعالى اندازه ميكند شب وروزرا ومياند مقادير ساعات آن قال الراغب التقدير تبيين كمية الشئ وقوله تعالى والله الخ اشارة الى ما اجرى من تكوير الليل

على النهار وتكوير النهار على الليل اى ادخال هذا فى هذا او ان ليس احد يمكنه معرفة ساعاتهما وتوفية حق العبادة منهما فى وقت معلوم والحاصل ان العالم بمقادير ساعات الليل والنهار على حقائقها هو الله وانتم تعلمون ذلك بالتحرى والاجتهاد الذى يقع فيه الخطأ فربما يقع منكم الخطأ فى اصابتها فتقومون اقل من المقادير المذكورة ولذا قال (علم) الله (ان) اى ان الشان (لن تحصوه) لن تقدروا على تقدير الاوقات على حقائقها ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فالضمير عائد الى المصدر المفهوم من يقدر قال فى تاج المصادر الاحصاء دانستن وشمردن برسبيل استقصا وتوانستن قال الراغب الاحصاء التحصيل بالعدد وروى استقيموا ولن تحصوا اى لن تحصلوا ذلك لان الحق واحد والباطل كثير بل الحق بالاضافة الى الباطل كالنقطة بالاضافة الى سائر اجزاء الدائرة وكالمرمى من الهدف واصابة ذلك شديدة واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع تكليف ما لا يطاق فانه تعالى قال لن تحصوه اى لن تطيقوه ثم انه كلفهم بتقدير الساعات والقيام فيها حيث قال قم الليل الخ ويمكن ان يجاب عنه بان المراد صعوبته لا انهم لا يقدرون عليه اصلا كما يقال لا اطيق ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه وفى التأويلات النجمية يعنى السلوك من ليل الطبيعة الى نهار الحقيقة بتقدير الله لا بتقدير السالك علم ان لن تقدروا على مدة ذلك السلوك بالوصول الى الله اذ الوصول مترتب على فضل الله ورحمته لا على سلوككم وسيركم فكم من سالك انقطع فى الطريق ورجع القهقرى ولم يصل كما قيل ليس كل من سلك وصل ولا كل من وصل اتصل ولا كل من اتصل انفصل (فتاب عليكم) بالترخيص على ترك القيام المقدر ورفع التبعة عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به فى المشبه ثم اشتق منه فتاب اى فرخص والتبعة ما يترتب على الشئ من المضرة (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) اى فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل غير مقدرة بكونها فى ثلث الليل او نحوه ولو قدر حلب شاة فهذا يكون اربع ركعات وقد يكون ركعتين عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائرا كانها على طريق اطلاق اسم الجزء على الكل مجازا مرسلا فتبين ان التهجد كان واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ بهذه الآية ثم نسخ نفس الوجوب المفهوم منها بالصلوات الخمس على ما سبق وفيه تفضيل صلاة الليل على سائر التطوعات فان التطوع بما كان فرضا فى وقت ثم نسخ افضل من التطوع بما لم يكن فرضا اصلا كما قالوا صوم يوم عاشوراء افضل لكونه فرض قبل فرضية رمضان وفى الحديث ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلب عليه النوم فليرقد وقد كان ابن عباس رضى الله عنهما يكره النوم قاعدا وعنه عليه السلام عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم وهذا الحديث يدل على ان قيام الليل لم يكن فرضا على المتقدمين من الانبياء وامتهم بل كان من شعار صلاحهم وعنه عليه السلام ان الله ليبغض كل جعظرى جواظ سخاب بالاسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بامر الدنيا جاهل بامر الآخرة والجعظرى لفظ الغليظ والجواظ كشداد الضخم المختال والكثير الكلام والجموع المنوع والمتكبر الجافى والسخاب من السخب وهو محركة شدة الصوت سخب كفرح فهو سخاب واقل الاستحباب من قيام الليل سدسه سواء كان متواليا او قام جزأ ثم نام نومة اخرى ثم قام قياما ثانيا لانه عليه السلام لم يقم ليلة قط حتى اصبح بل كان ينام فيها ولم ينم ليلة قط بل كان يقوم فيها وباى وردا حيى الليل فقد دخل فى اهل الليل وله معهم نصيب ومن احيى اكثر ليلة او نصفها كتب له احياء ليلة جميعها ويتصدق عليه بما بقى منها كذا فى قوت القلوب وقيل المراد بالآية قراءة القرآن بعينها فتكون على حقيقتها فالمعنى ان شق عليكم القيام فقد رخص فى تركه فاقرأوا ما تيسر من القرآن من غير توقيت لصلاة فانه لا يشق وتنالون بقراءته خارج الصلاة ثواب القيام فالامر للندب وفى الحديث من قرأ فى ليلة مائة آية لم يحاجه القرآن قال الطيبى فى قوله لم يحاجه القرآن ان قراءته لازمة لكل انسان واجبة عليه فاذا لم يقرأ يخاصمه الله ويغلبه بالحجة فاسناد المحاجة الى القرآن مجاز ويفهم من كلامه ان قراءته مقدار مائة آية فى كل ليلة واجبة بها يخلص من المحاجة وعنه عليه السلام من قرأ بالآيتين من سورة البقرة فى ليلة كفتاه والمراد آمن الرسول الخ يعنى اغنتاه عن قيام الليل او حفظتاه من كل شر وسوء وعنه عليه السلام ايعجز احدكم ان يقرأ فى ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن ومن ذلك قالوا ان قراءة الاخلاص ثلاث مرات تقوم مقام ختمة واطول الآى افضلها لكثرة الحروف وان اقتصر على قصار الآى عند فتوره ادرك الفضل ان حصل العدد كذا فى قوت القلوب وفى التأويلات النجمية

فى اشارة الآية يعنى اجمعوا واحفظوا فى قلوبكم الصافية عن كدورات النفس وانهوى مايظهر عليها لاستعدادتكم من الحقائق والدائق والعوارف والمعارف ولاتفشوها الى غير اهلها فينكروا عليكم فيرموكم بالكفر والزندقة والالحاد والاتحاد فان حقائقه ودقائقه من المكنونات الالهية (علم ان) اى ان الشأن (سيكون منكم مرضى) استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف ومرضى جمع مريض والمرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وفيه اشارة الى مرضى القلوب بحجب الانانية والاشتغال بحب الدنيا وشهواتها فانه لايظهر عليها من اسرار القرآن وحقائقه شئ * چنانچه شيخ سنائى كويد * عجب نبود كراز قرآن نصيبت نيست جزحرفى * كه ازخورشيد جزكرمى نيابد چشم نابينا * عروس حضرت قرآن نقاب آنكه براندازد * كه دار الملك ايمانرا مجرد يابداز غوغا (وآخرون) عطف على مرضى (يضربون فى الارض) صفة آخرون اى يسافرون فيها للتجارة من ضرب فى الارض سافر فيها ابتغاء الرزق قال الراغب الضرب فى الارض الذهاب فيها وهو بالارجل (يبتغون) الابتغاء جستن (من فضل الله) وهو الربح وفيه تصريح بماعلم التزاما وبيان انماحصلوه من الرزق من فضل الله ومحل يبتغون حال من ضمير يضربون وقدم ابتغاء الفضل تحصيل العلم فانه من افضل المكاسب وفيه ان معلم الخير وهو رسول الله عليه السلام كان حاضرا عندهم وقت نزول الآية فاين يذهبون الان يجعل آخر السورة مدنيا فقد كانوا يهاجرون من مكة الى المدينة لطلب العلم وايضا ان هذا بالنسبة الى خصوص الخطاب واما بالنسبة الى اهل القرن الثانى فبقاء الحكم يوقعهم فى الحرج وفى حديث ابى ذر رضى الله عنه انه قال حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وافضل من شهود الف جنازة ومن عيادة الف مريض قيل ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن بلاعلم (وآخرون يقاتلون) الاعداء (فى سبيل الله) عطف على مرضى ايضا ويقاتلون صفته وسبيل الله مايوصل الى الاجر عند الله كالجهاد وفيه تنبيه على انه سيؤذن لهم فى القتال مع الاعداء سوى الله فى هذه الآية بين درجة المجاهدين فى سبيل الله والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان الى ذوى الحاجات حيث جمع بينهما فدل على ان التجارة بمنزلة الجهاد وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ايما رجل جلب شيأ من مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء (فاقرأوا ماتيسر منه) اى واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعى الى الترخيص فاقرأوا ماتيسر من القرآن من غير تحمل المشاق فان قيل كيف ثقل قيام الليل على الاصحاب رضى الله عنهم وقد خفف على كثير من التابعين حتى كانوا يقومون الى طلوع الفجر منهم الامام ابو حنيفة وسعيد بن المسيب وفضيل بن عياض وابو سليمان الدارانى ومالك بن دينار وعلى بن بكار وغيرهم حتى قال على بن بكار الشامى منذ اربعين سنة لم يحزنى شئ الا طلوع الفجر قلت الثقلة لم تكن فى قيامه بل فى محافظة القدر المفروض كما سبق على انه لابعد فى ان يثقل عليهم قبل التعذر بذلك ثم كان من امر بعضهم انه ختم القرآن فى ركعة واحدة كعثمان وتميم الدارى رضى الله عنهما (واقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة وقيل هى زكاة الفطر اذلم يكن بمكة زكاة غيرها وانما وجبت بعدها ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا وذلك ان تجعلها من باب ماأخر حكمه عن نزوله ففيه دلالة على انه سينجز وعده لرسوله ويقيم دينه ويظهره حتى تفرض الزكاة وتؤدى (واقرضوا الله قرضا حسنا) وقرض دهيد خدايرا قرض نيكو والقرض ضرب من القطع وسمى مايدفع الى الانسان من المال بشرط رد بدله قرضا لانه مقروض مقطوع من ماله اريد به الانفاق فى سبيل الخيرات غير المفروض فانها كالفرض الذى لاخلف فى ادائه وفيه حث على التطوع كما قال عليه السلام ان فى المال حقا سوى الزكاة على احسن وجه وهو اخراجها من اطيب الاموال واكثرها نفعا للفقراء بحسن النية وصفاء البال الى الحوج الصلحاء وجه هذا التفسير هو ان قوله وآتوا الزكاة امر بمجرد اعطائها على اى وجه كان وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا ليس كذلك بل هو امر بالاعطاء المقيد بكونه حسنا وتسمية الانفاق لوجه الله اقراضا استعارة تشبيها له بالاقراض من حيث ان ماانفقه يعود عليه مع زيادة وقال بعضهم هو قول سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله اكبر والنفقة فى سبيل الله كما قال عمر رضى الله عنه او النفقة على الاهل وفى الحديث ماأطعم المسلم نفسه واهل بيته فهو له صدقة اى يؤجر عليه بحسن نيته ثم ههنا امر غامض وهو انه روى الامام الغزالى

رحمه الله عن القاضي الباقلاني ان ادعاء البرآءة من الغرض بالكلية كفر لان التنزه خاصة الهيئة لا يتصور الاشراك فيها فلعل مايقال ان العبد ليبلغ الى درجة بعمل مايعمل لالغرض بل لرضى الله اولامتثال امره فقط انما هو من الغفلة عن غرض خفي هل هو غرض جلي لكنه مراد على يقول الفقير هذا وارد على اهل الارادة واما اهل الفناء عن الارادة وهم اهل النهاية الاكملون فلا غرض لهم اصلا وامرهم عجيب لا يعرفه الا امثالهم اومن عرفه الله شأنهم (وما) شرطية (تقدموا لانفسكم من خير) اى خير كان مما ذكر ومالم يذكر (تجدوه) جواب الشرط ولذا جزم (عند الله هو خيرا واعظم اجرا) من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وفي كشف الاسرار تجدوا ثوابه خيرا لكم من متاع الدنيا واعظم اجرا لان الله يعطي المؤمن اجره بغير حساب قوله خيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تأكيد للمفعول الاول لتجدوه وفصل بينه وبين المفعول الثاني وان لم يقع بين معرفتين فان افعل في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقوله واعظم عطف على خيرا واجرا تمييز عن نسبة الفاعل والاجر مايعود من ثواب العمل دنيويا كان اواخرويا وقال بعضهم المشهور ان وجد اذا كان بمعنى صادف يتعدى الى مفعول واحد وهو ههنا بمعناه لا بمعنى علم فلا بد ان يكون خيرا حالا من الضمير وفي الحديث اعلموا ان كل امرئ على ماقدم قادم وعلى ماخلف نادم وعنه عليه السلام ان العبد اذا مات قال الانسان ماخلف وقالت الملائكة ماقدم ومر عمر رضي الله عنه ببقيع الغرقد اى مقبرة المدينة لانها كانت منبت الغرقد وهو بالغين المعجمة شجر فقال السلام عليكم اهل القبور اخبار ماعندنا ان نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت واموالكم قد قسمت فاجابه هاتف يا ابن الخطاب اخبار ماعندنا ان ما قدمناه وجدناه وما انفقناه فقد ربحناه وما خلفنا فقد خسرنا

قدم لنفسك قبل موتك صالحا * واعمل فليس الى الخلود سبيل

(وروى) عن عمر رضي الله عنه انه اتخذ حبسا يعني تمر ابلين فجاءه مسكين فأخذه ودفعه اليه فقال بعضهم مايدري هذا المسكين ماهذا فقال عمر لكن رب المسكين يدري ماهو فكانه قال وماتقدموا الخ * تونيكى كن باآب انداز اى شاه * اكر ماهى نداند داند الله (واستغفروا الله) اى سلوا الله المغفرة لذنوبكم في جميع اوقاتكم وكافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو عن تفريط وكان السلف الصالح يصلون الى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار الى صلاة الصبح واستحب الاستغفار على الاسماء من القرآن مثل ان يقول استغفر الله انه كان توابا استغفر الله ان الله غفور رحيم استغفر الله انه كان غفارا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين واغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين (ان الله غفور) يغفر مادون ان يشرك به (رحيم) يبدل السيئات حسنات وفي عين المعاني غفور يستر على اهل الجهل والتقصير رحيم يخفف عن اهل الجهد والتوفير ومن عرف انه الغفور الذي لا يعاظمه ذنب يغفره اكثر من الاستغفار وهو طلب المغفرة ثم ان كان مع الانكسار فهو صحيح وان كان مع التوبة فهو كامل وان كان عريا عنهما فهو باطل ومن كتب سيد الاستغفار وجرعه لمن صعب عليه الموت انطلق لسانه وسهل عليه الموت وقد جرب مرارا وسيد الاستغفار قوله اللهم انت ربي لااله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ماستطعت اعوذ بك من شر ماصنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت

(تمت سورة المزمل بعونه تعالى يوم الاربعاء الثاني والعشرين من ذي القعدة من سنة ست عشرة ومائة والف)

* (سورة المدثر مكية وآيها ست وثلاثون) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها المدثر) بتشديدين اصله المتدثر وهو لابس الدثار وهو مايلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه السلام الانصار شعار والناس دثار وفيه اشارة الى ان الولاية كالشعار من حيث تعلقها بالباطن والنبوة كالدثار من حيث تعلقها بالظاهر ولذلك خوطب عليه السلام في مقام الانذار بالمدثر (روى) عن جابر رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال كنت على جبل حرآء فوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري ولم أر شيئا فنظرت فوق فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة رضي الله عنها فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر يعني انه انما تدثر بناء على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعبا من الملك النازل من حيث انه رأى مالم يره قبل

ولم يسأنس به بعد فظن ان به مسا من الجن فخاف على نفسه لذلك وذكر حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر ان التدثر انما يكون من البرودة التي تحصل عقيب الوحي وذلك ان الملك اذا ورد على النبي عليه السلام بعلم او حكم يلقي ذلك الروح الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزاد عليه الثياب ليسخن انتهى وقرر بعضهم هذا المقام على غير ماذكر كما قال في كشف الاسرار وتفسير الكاشفي جابر بن عبد الله رضي الله عنه نقل ميكند از رسول صلى الله عليه وسلم در زمان فترت وحي براهي ميرفتم ناكاه از آسمان آواز شنيدم چشم بالا كردم ديدم همان ملك كه در غار حرا بمن آمده بود بر كرسي نشسته ميان زمين واسمان از سطوت وهيأت وعظمت وهيكل او خوفي بر من طاري شد بخانه باز كشتم وكفتم مرا بپوشانيد جامها بر من پوشيدند ومن در انديشهٔ آن حال بودم كه حضرت عزت جل شانه وحي فرستاد كه يا ايها المدثر وقال السهيلي رحمه الله كان عليه السلام متدثرا بثيابه حين فزع من هول الوحي اول نزوله وقال دثروني دثروني فقال له ربه يا ايها المدثر ولم يقل يا محمد ولا يا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في المزمل وفائدة اخرى مشاكلة الآية بما بعدها ووجه المشاكلة بين اول الكلام وبين قوله قم فأنذر خفي الابعد التأمل والمعرفة بقوله عليه السلام اني انا النذير العريان ومعنى النذير العريان الجاد المشمر وكان النذير من العرب اذا اجتهد جرد ثوبه واشار به مع الصياح تأكيدا في الانذار والتحذير وقد قيل ايضا ان اصل قولهم النذير العريان ان رجلا من خثعم وهو كجعفر جبل واهله خثعميون وابن انمار ابو قبيلة من معد كما في القاموس اخذه العدو فقطعوا يده وجرد واثيابه فاقبلت الى قومه تنذرهم وهو عريان فقيل لكل مجتهد في الانذار والتخويف النذير العريان فاذا ثبت هذا فقد تشاكل الكلام بعضه ببعض فامر المدثر باثياب مضاف الى معنى النذير العريان ومقابل ومرتبط به لفظا ومعنى (قم) اى من مضجعك يعني خوابكاه (فانذر) الناس جميعا من عذاب الله ان لم يؤمنوا لانه عليه السلام مرسل الى الناس كافة فلم تكن ملة من الملل الاوقد بلغتها دعوته وقرعها انذاره وافرد الانذار بالذكر مع انه ارسل بشيرا ايضا لان التخلية بالمجحة قبل التحلية بالمهملة وكان الناس عاصين مستحقين للتخويف فكان اول الامر هو الانذار يقول الفقير امده الله القدير بالفيض الكثير خوطبت بقوله قم فانذر وانا متوجه مراقب عند الرأس الشريف في الحرم النبوي فحصل لي اضطراب عظيم وحيرة كبرى من سطوة الخطاب الالهي وغلبني الارتعاد وظننت اني مأمور بالانذار الظاهري في ذلك المقام لما ان اكثر الناس كانوا يسيئون الادب في ذلك الحرم حتى اني بكيت مرة بكاء شديدا من غلبة الغيرة فقيل لي اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم ثم اني عرفت بالهام من الله تعالى اني رسول نفسي لا غير مأمور بتزكيتها واصلاح قواها ومن الله الاعانة على ذلك (وربك فكبر) وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا وعظمة عما يقول فيه عبدة الاوثان وسائر الظالمين ويروى انه لما نزل قال رسول الله عليه السلام الله اكبر فكبرت خديجة ايضا وفرحت وايقنت انه الوحي لان الشيطان لا يأمر بالتكبير ونحوه ودخل فيه تكبير الصلاة وان لم يكن في اوائل النبوة صلاة وذلك لان الصلاة عبارة عن اوضاع وهيئات كلها تعطي التقييد والله منزه عن جميع التعينات فلزم التكبير فيها لان وجه الله يحاذي وجه العبد حينئذ على ماورد في الخبر الصحيح والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ماكان اى اى شيء حدث فلا تدع تكبيره ووصفه بالكبرياء اولا للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر به وينزهه عن الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه فالفاء على هذا تعقيبية لاجزائية واعلم ان كبرياءه تعالى ذاتي له قائم بنفسه لا بغيره من المكبرين فهو اكبر من ان يكبره غيره بالتكبير الحادث ولذا قال عليه السلام ليلة المعراج لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فهو المكبر والمثنى لذاته بذاته بتكبير وثناء قديم من الازل الى الابد (وثيابك فطهر) جمع ثوب من اللباس اى فطهرها مما ليس بطاهر بحفظها وصيانتها عن النجاسات وغسلها بالماء الطاهر بعد تلطخها فانه قبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبيثا سواء كان في حال الصلاة اوفي غيرها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات فيكون التطهير كناية عن التقصير لانه من لوازمه ومعنى التقصير

ان تكون الى انصاف الساقين اوالى الكعب فانه عليه السلام جعل غاية طول الازار الى الكعب وتوعد على ماتحته بالنار وحضرت مرتضى رضى الله عنه كفت كوتاه كن جامه را فانه اتقى وابقى وهو اول مامر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة فان المشركين ماكانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات وفيه انتقال من تطهير الباطن الى تطهير الظاهر لان الغالب ان من نقى باطنه ابى الا اجتناب الخبث وايثار الطهارة فى كل شئ فان الدين بنى على النظافة ولا يدخل الجنة الا نظيف والله يحب الناسك النظيف وفى الحديث غسل الاناء وطهارة الفناء يورثان الغنى وفى المرفوع نظفوا افواهكم فانها طرق القرآن قال الراغب الطهارة ضربان طهارة جسم وطهارة نفس وقد حمل عليهما عامة الآيات وقوله وثيابك فطهر قيل معناه نفسك نزهها عن المعايب انتهى اوطهر قلبك كما فى القاموس اواخلاقك فحسن قاله الحسن وفى الخبر حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار اوعملك فاصلح كما فى الكواشى ومنه الحديث يحشر المرء فى ثوبيه اللذين مات فيهما اى عليه الخبيث والطيب كما فى عين المعانى وانه ليبعث فى ثيابه اى اعماله كما فى القاموس اواهلك فطهر هم من الخطايا بالوعظ والتأديب والعرب تسمى الاهل ثوبا ولباسا قال تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن (كما فى كشف الاسرار) وقال ابن عباس لاتلبسها على معصية ولاعلى غدر البسها وانت بر طاهر كما فى فتح الرحمن قال الشاعر

وانى بحمد الله لاثوب فاجر * لبست ولا من غدرة اتقنع

وذلك ان الغادر والفاجر يسمى دنس الثياب كما ان اهل الصدق والوفاء يسمى طاهر الثياب ودر نفحات از شيخ ابو الحسن شاذلى قدس سره نقل ميكند كه حضرت رسالت را صلى الله عليه وسلم درخواب ديدم ومرا كفت اى على طهر ثيابك من الدنس تحفظ بمدد الله فى كل نفس يعنى پاكيزه كردان جامهاى خودرا آز چرك ناهره مدد كردى بمدد وتأييد خداى تعالى درهر نفسى كفتم يارسول الله ثياب من كدامست فرمود كه برتو حق تعالى پنج خلعت پوشانيد خلعت محبت وخلعت معرفت وخلعت توحيد وخلعت ايمان وخلعت اسلام هر كه خدايرا دوست دارد بروى آسان شود هر چيز وهر كه خدايرا بشناسد در نظر وى خرد نمايد هر چيز وهر كه خدايرا بيكانكى بداند بوى شريك نيارد هيچ چيزرا وهر كه خداى تعالى را ايمان آرد ايمن كردد از هر چيز وهر كه باسلام متصف بود خدايرا عاصى نشود واكر عاصى شود اعتذار كند وچون اعتذار كند قبول افتد بفضل الله تعالى پس شيخ فرمود ازاينجا دانستم قول خدايرا وثيابك فطهر * درتو پوشيد لطف يزدانى * خلعتى از صفات روحانى * دارش از لوث خشم وشهوت دور * تا بپيرا كيزكى شوى مشهور (والرجز فاهجر) قرأ عاصم فى رواية حفص الرجز بالضم والباقون بكسر الراء ومعناهما واحد وهو الاوثان وقد سبق معنى الهجر فى المزمل اى ارفض عبادة الاوثان ولاتقربها كما قال ابراهيم عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ويقال الرجز العذاب اى واهجر العذاب بالثبات على هجر مايؤدى اليه من المآثم سمى مايؤدى الى العذاب رجزا على تسمية المسبب باسم سببه والمراد الدوام على الهجر لانه كان بريئا من عبادة الاوثان ونحوها (ولا تمنن تستكثر) برفع تستكثر لانه مستقبل فى معنى الحال اى ولاتعط مستكثرا اى رائيا لما تعطيه كثيرا اوطالبا للكثير على انه نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيأ وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته اى يعوض منها والغزارة بالغين المعجمة وتقديم الزاى الكثرة فهو اما للتحريم وهو خاص برسول الله عليه السلام لعلو منصبه فى الاخلاق الحسنة ومن ذلك حلت الزكاة لفقراء امته ولم تحل له ولاهله لشرفه اوللتنزيه للكل اى له ولامته وقال بعضهم هو من المنة لان من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به والمنة تهدم الصنيعة خصوصا اذا من بعمله على الله بان يعده كثيرا فان العمل من الله منة عليه كما قال تعالى بل الله يمن عليكم ومن شكر طول عمره بالعبادة لم يقض شكر نعمة الايجاد فضلا عما لا يحصى من انواع الجود (ولربك فاصبر) اى فاصبر لحكم ربك ولا تتألم من اذية المشركين فان المأمور بالتبليغ لا يخلو عن اذى الناس ولكن بالصبر يستحيل المر حلوا وبالتمرن يحصل الذوق تحمل چوزهرت نمايد نخست * ولى شهد كردد چودر طبع رست * وقال بعض اهل المعرفة اى جرد صبرك عن ملاحظة الغير فى جميع المراتب اى فى الصبر عن المعصية والصبر على الله والصبر فى البلاء كما قال تعالى واصبر وماصبرك الا بالله وقال القاشانى يا ايها المدثر

اى المتلبس بدثار البدن المحتجب بصورته قم عمار كنت اليه وتلبست به من اشغال الطبيعة وانتبه من رقدة الغفلة فانذر نفسك وقوالشوجميع من عداك عذاب يوم عظيم وان كنت تكبر شيئا وتعظم قدره فخصص ربك بالتعظيم والتكبير لايعظم فى عينك غيره وليصغر فى قلبك كل ماسواه بمشاهدة كبريائه وظاهرك فطهره اولا قبل تطهير باطنك عن مدانس الاخلاق وقبائح الافعال ومذام العادات ورجز الهيولى المؤدى الى العذاب فاهجر اى جرد باطنك عن اللواحق المادية والهيئات الجسمانية الفاسقة والغواشى الظلمانية والهيولانية ولاتعط المال عند تجردك عنه مستغزرا طالبا للاعواض والثواب الكثير به فان ذلك احتجاب بالنعمة عن المنعم وقصور همة بل خالصا لوجه الله افعل ماتفعل صابرا على الفضيلة لالشئ آخر غيره (فاذا نقر فى الناقور) الناقور بمعنى ماينقر فيه والمراد الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل مرة للاصعاق واخرى للاحياء فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت يعنى جعل الشئ بحيث يظهر منه الصوت بنوع قرع والمراد هنا النفخ اذهو نوع ضرب للهوآء الخارج من الحلقوم اى فاذا نفخ فى الصور والفاء للسببية اى سببية مابعدها لماقبلها دون العكس فهى بمعنى اللام السببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى اذا مادل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) فان معناه عسر الامر على الكافرين من جهة العذاب وسوء الحساب وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ ويومئذ بدل منه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو اذ والتقدير اذ نقر فيه والخبر يوم عسير وعلى متعلقة بعسير دل عليه قوله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا كانه قيل فيوم النقر يوم عسير عليهم (غير يسير) خبر بعد خبر وتأكيد لعسره عليهم لقطع احتمال يسره بوجه دون وجه مشعر بيسره على المؤمنين ثم المراد به يوم النفخة الثانية التى يحيى الناس عندها اذهى التى يخص عسرها بالكافرين جميعا واما النفخة الاولى فهى مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء فى الاخبار ان فى الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع فى تلك الثقب فى النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذى نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى وفى الحديث كيف انعم وصاحب القرن قد التقم قرنه ينظر متى يؤمر أن ينفخ فيه فقيل له كيف نصنع قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقال القاشانى ينقر فى البدن المبعوث فينقش فيه الهيئات السيئة المردية الموجبة للعذاب اوالحسنة المنجية الموجبة للثواب ولايخفى عسر ذلك اليوم على المحجوبين على احد وان خفى يسره على غيرهم الاعلى المحققين من اهل الكشف والعيان (ذرنى ومن خلقت وحيدا) حال اما من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه فى الانتقام منه اومن التاء اى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احد اومن العائد المحذوف اى ومن خلقته وحيدا فريدا لامال له ولاولد نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد زعما منهم انه لانظير له فى وجاهته ولا فى ماله وكان يفتخر بنفسه ويقول انا الوحيد ابن الوحيد ليس لى فى العرب نظير ولالابى المغيرة نظير ايضا فسماه الله بالوحيد تهكما به واستهزآء بلقبه كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وصرفاله عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد اووحيدا من ابيه ونسبه لانه كان زنيما وهو من الحق بالقوم وليس منهم كما مر اووحيدا فى الشرارة والخباثة والدناءة (وجعلت له مالا ممدودا) اى مبسوطا كثيرا وهو ماكان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقال النورى كان له الف الف دينار (وبنين) وداديم اوراسبران (شهودا) جمع شاهد مثل قاعد وقعود وشهده كسمعه حضره اى حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لايفارقونه للتصرف فى عمل اوتجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم اوحضورا معه فى الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم وكان له عشرة بنين اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة قاله المفسرون واطبق المحدثون على ان الوليد بن الوليد اسلم وعمارة قتل كافرا اما يوم بدر أوفى الحبشة على يد النجاشى قال السهيلى رحمه الله هم هشام بن الوليد والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد الذى يقال له سيف الله واما غيرهؤلاء ممن مات منهم على دين الجاهلية فلم نسمه (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض فانعمت عليه النعمة فان اجتماع المال والجاه هو الكمال عند اهل الدنيا ولذا كان يلقب ريحانة قريش والريحان نبت طيب الرائحة والولد والرزق وفى التأويلات النجمية يشير الى الوليد بن مغيرة النفس الوحيدة فى الشر والظلم والجور والجهل وكثرة اموال اعماله السيئة الذميمة وثروة اجناس اخلاقه الذميمة والى بنى اتباعه

الخبيثة الخسيسة وبسطة سلطنته ورياسته ووجاهته عند ارباب النفوس المتمردة عن اوامر الحق ونواهيه المعربدة مع الحق واهليه وهم القوى الطبيعية الظلمانية يعني دعني واياه فاني اسلط عليه ابابكر الخفي وعمر الروح وعثمان السر وعلى القلب حتى انهم بانوار روحانيتهم يطمسون ظلمات نفسانيته ويغيرون على اعماله ويقتلون بني اتباعه وشيعته ويطوون بساط سلطنته ويسدون باب بسطته (ثم يطمع) يرجو (ان ازيد) على ما اوتيه من المال والولد وثم استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لامزيد على ما اوتيه سعة وكثرة يعني انه اوتي غاية ما اوتي عادة لامثاله اولانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم اى لايجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم (كلا) ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب فيكون متصلا بماقبله (انه كان لآياتنا عنيدا) يقال عند خالف الحق ورده عارفا به فهو عنيد وعاند يعني منكر وستيزه كننده والمعاندة المفارقة والمجانبة والمعارضة بالخلاف كالعناد والعنيد هنا بمعنى المعاند كالجليس والاكيل والعشير بمعنى المجالس والمؤاكل والمعاشر وهو تعليل لماقبله على وجه الاستيناف التحقيقي فان معاندة آيات المنعم وهي الآيات القرآنية مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجا وتقديم لآياتنا على متعلقه وهو عنيدا يدل على التخصيص فتخصيص العناد بها مع كونه تاركا للعناد في سائر الاشياء يدل على غاية الخسران قيل مازال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك وهو فقير * آنكس كه نصيحت زعزيزان نكند كوش * بسيار نخايد سرا نكشت ندامت * (سأرهقه صعودا) قال الراغب رهقه الامر غشيه بقهر يقال رهقته وارهقته مثل ردفته واردفته وتبعته واتبعته ومنه ارهقت الصلاة اى اخرتها حتى غشي وقت الاخرى والصعود العقبة الشاقة ويستعار لكل مشاق وهو مفعول ثان لارهق وفي بعض التفاسير صعودا اما فعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث مثل عقبة كؤود فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال او بمعنى مفعول من صعده وهو الظاهر فيكون تذكيره اما باعتبار كون موصوفه طريقا او باتباع مثل كؤود والمعنى سأكلفه كرها بدل مايطمعه من الزيادة ارتقاء عقبة شاقة المصعد على حذف المضاف بحيث تغشاه شدة ومشقة من جميع الجوانب على ان يكون الارهاق تكليف الشيء العظيم المشقة بحيث تغشى المكلف شدته ومشقته من جميع الجوانب وقال الغزالي رحمه الله حالة تصعد فيها نفسه للنزع وان لم يتعقبه موت انتهى وهو مثل لمايلقى من العذاب الصعب الذي لايطاق ويجوز ان يحمل على حقيقته كما قال عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى كذا ابدا يعني بر بالاى آن نتوان رفت اورادر زنجيرهاى آتشين كشيده از پس مى كشند واز عقب كرزهاء آتشين كشيده از پس مى كشند واز عقب كرزهاء آتشين ميزنند تا بر آنجا ميرود در هفتاد سال و باز كشتن وزير افتادن او همچنين است قوله سبعين خريفا اى سبعين عاما لان الخريف اخر السنة فيه تتم الثمار وتدرك فصار بذلك كانه العام كله وهذا كما تسمى العلة الصورية علة تامة لذلك قال في القاموس الخريف كامير ثلاثة اشهر بين القيظ والشتاء تخترف فيها الثمار اى تجتنى وعنه عليه السلام يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد واستحقاقه له من التفكير بمعنى التفكر والتأمل كما قال في تاج المصادر التفكير انديشه كردن والتقدير اندازه وتهيئه كردن اى فكر ماذا يقول في حق القرآن وشأنه من جهة الطعن وقدر في نفسه مايقوله وهيأه (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله اوثناء عليه بطريق الاستهزاء به على معنى ان هذا الذي ذكره وهو كون القرآن سحرا في غاية الركاكة والسقوط او حكاية لما ذكروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظاما منهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك وقد سبق في قاتلهم الله في المنافقين مزيد البيان (روى) ان الوليد مر بالنبي عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة وفي بعض التفاسير فواتح سورة حم المؤمن فقال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة اى حسنا وبهجة وقبولا وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق اى كثير الماء شبه القرآن بالشجرة الغضة الطرية التي استحكم اصلها بكثرة الماء واثمرت فروعها في الهواء واثبت له اعلى واسفل ولاعلاه الاثمار ولاسفله الاغداق

على طريق التخييل (قال الكاشفي) مراورا حلاوتى وعذوبتى هست كه هيچ سخن رانبا شد و بروى طراوتى وتازكى هست كه هيچ حديثى رانبود اعلاى آن نهال مثمر سعادات كليه واسفل اين شجرهٔ طيبه عروق فضائل وحكم عليه است ثم قال الوليد وانه يعلو ولا يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد اى مال عن دينه وخرج الى دين غيره والله لتصبأن قريش كلهم اى بمتابعته لكونه رئيس القوم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه ما احماه اى اغضبه يعنى كفت كه قريش ميكويند تو سخنان محمدرا عليه السلام پسند ميدهى وانرا بزرك ميدارى وثنا ميكويى تا از فضلهٔ طعام ايشان بهره برداري اكر چنين است تا همه قريش فراهم شوند وترا كفايتى حاصل كنند تا ازطعام ايشان بى نياز شوى وليدابن سخن ازابوجهل بشنيد درخشم شد كفت الم تعلم قريش انى من اكثرهم مالا وولدا واين اصحاب محمد خود هركز ازطعام سير نشوند وازفقر وفاقه نياسايند چه صورت بندد كه ايشانرا فضلهٔ طعام بود تا بديكرى دهند پس هردو برخاستند و بر انجمن قريش شدند وليد كفت شما كه قريش ايد بدانيد كه حال وكاراين محمد درعرب منتشر كشت وموسم حج نزديكست كه عرب مى آيند وازحال وى پرسند جواب ايشان چه خواهيد داد تزعمون انه مجنون فهل رأيتموه يخنق لان العرب كانت تعتقد ان الشيطان يخنق المجنون ويتخبطه وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو وما تقول فى حقه ففكر فقال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه راضين به (ثم قتل كيف قدر) تكرير للتعجب للمبالغة فى التشنيع وثم للدلالة على ان النكرة الثانية فى التعجيب ابلغ من الاولى اى للتراخى بحسب الرتبة وان اللائق فى شأنه ليس الا هذا القول دعاء عليه وفيما بعد على اصلها من التراخى الزمانى (ثم نظر) اى فى القرآن مرة بعد مرة وتأمل فيه (ثم عبس) فقلب وجهه يعنى روى فاهم كشيد وترش كرفت لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول (و بسر) اتباع لعبس قال سعدى المفتى لكن عطف الاتباع على المتبوع غير معروف الظاهر ان كلا منهما له معنى مغاير لمعنى الآخر فعبس بمعنى قطب وجهه و بسر بمعنى قبض ما بين عينيه من السوء واسود وجهه منه ذكره الحلبى والعهدة عليه وقال الراغب البسر الاستعجال بالشئ قبل اوانه نحو ابسر الرجل حاجته طلبها فى غير آوانها وقوله ثم عبس و بسر اى اظهر العبوس قبل اوانه وفى غير وقته انتهى (ثم ادبر) عن الحق (واستكبر) عن اتباعه (فقال) عقيب توليه عن الحق (ان) نافية بمعنى ما ولذا اورد الا بعدها (هذا) الذى يقوله محمد عليه السلام اى القرآن (الا سحر يؤثر) اى يروى و يتعلم من الغير وليس هو من سحره بنفسه يقال أثرت الحديث آثره أثرا اذا حدثت به عن قوم فى آثارهم اى بعد ما ماتوا هذا هو الاصل ثم كان بمعنى الرواية عمن كان وحديث مأثور اى منقول بنقله خلف عن سلف وادعية مأثورة اى مروية عن الاكابر وفى تعلم السحر لحكمة رخصة واعتقاد حقيقته والعمل به كفر كما قيل (عرفت الشر لا للشر لكنى لتوقيه * ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه) وقد سبق معناه وما يتعلق به فى مواضعه (ان هذا) ما هذا (الا قول البشر) تأكيد لما قبله ولذا خلى عن العاطف قاله تمردا وعنادا لا على سبيل الاعتقاد لما روى قبل انه اقر بان القرآن ليس من كلام الانس والجن و اراد بالبشر يسارا وجبرا وابا فكيهة اما الاول فكانا عبدين من بلاد فارس وكانا بمكة وكان النبى عليه السلام يجلس عندهما واما ابو فكيهة فكان غلاما روميا يتردد الى مكة من طرف مسيلمة الكذاب فى اليمامة (سأصليه سقر) اى ادخله جهنم لما قال فى الصحاح سقر اسم من اسماء النار وقال ابن عباس رضى الله عنهما اسم للطبقة السادسة من جهنم يقال سقرته الشمس اذا آذته وآلمته وسميت سقر لايلامها قوله سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا بدل الاشتمال سواء جعل مثلا لما يلقى من الشدائد او اسم جبل من نار لان سقر تشتمل على كل منهما (وما ادراك ما سقر) ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لقوله سقر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع دون العكس كما سبق فى الحاقة والمعنى اى شئ اعلمك ما سقر فى وصفها يعنى انه خارج عن دائرة ادراك العقول ففيه تعظيم لشأنه (لا تبقى ولا تذر) بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنى الذى يلوح به وما ادراك ما سقر اى لا تبقى شيئا يلقى فيها الا اهلكته بالاحراق واذا اهلك لم تذره هالكا حتى يعاد خلقا جديدا وتهلكه اهلا كا ثانيا وهكذا

كما قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها اولا تبقى على شئ اى لا ترحم عليه ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لانها خلقت من غضب الجبار قال فى تهذيب المصادر الابقاء باقى كردن ونيز شفقت بردن وقيل لا تبقى حيا ولا تذر ميتا كقوله تعالى ثم لا يموت فيها ولا يحيى (لواحة للبشر) يقال لاحت النار الشئ اذا احرقته وسودته ولاحة السفر اوالعطش اى غيره وذلك ان الشئ اذا كان فيه دسومة فاذا احرق اسود والبشر جمع بشرة وهى ظاهر جلد الانسان اى مغيرة لاعالى الجلد وظواهره مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل فان قلت لا يمكن وصفها بتسويد البشرة مع قوله لا تبقى ولا تذر قلت ليس فى الآية دلالة على انها تفنى بالكلية مع انه يجوز ان يكون الافناء بعد التسويد وقيل لائحة للناس على ان لواحة اسم فاعل من لاح يلوح اى ظهر وان البشر بمعنى الناس قيل انها تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام فهو كقوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى فيصل الى الكافر سمومها وحرورها كما يصل الى المؤمن ريح الجنة ونسيمها من مسيرة خمسمائة عام (عليها) اى على سقر (تسعة عشر) اى ملكا يتولون امرها ويتسلطون على اهلها وهم مالك وثمانية عشر معه اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم مابين منكبى احدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرأفة والرحمة يأخذ احدهم سبعين الفا فى كفه ويرميهم حيث اراد من جهنم قيل هذه التسعة عشر عدد الرؤساء والنقباء واما جملة اشخاصهم فكما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فيجوز ان يكون لكل واحد منهم اعوان لا تعد ولا تحصى ذكر ارباب المعانى والمعرفة فى تقدير هذا العدد وتخصيصه وجوها (منها ان سبب فساد النفس الانسانية فى قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هى الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب ومجموعها اثنتا عشرة واما القوى الطبيعية فهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسع عشرة قال ابن الشيخ والمراد بالقوى الحيوانية القوى التى تختص بالحيوان من بين المواليد الثلاثة الحيوان والنبات والمعدن وهى قسمان مدركة وفاعلة فالمدركة اى ما لها مدخل فى الادراك بالمشاهدة والحفظ عشر وهى الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والفاعلة اى ما لها مدخل فى الفعل اما باعثة او محركة وهما اثنتان الشهوة والغضب والقوى الطبيعية هى القوى التى لا تختص بالحيوان بل توجد فى النبات ايضا وهى سبع ثلاث منها مخدومة وهى الغاذية والنامية والمولدة واربع منها خوادم وهى الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة فلما كان منشأ الآفات هو هذه القوى التسع عشرة كان عدد الزبانية هكذا قال سعدى المفتى وانت خبير بان اثبات هذه القوى يناؤه على الاصول الفلسفية ونفى الفاعل المختار فيصان تفسير كلام الله عن امثاله اى وان ذكرها الامام فى تفسيره الكبير وتبعه من بعده وقال ايضا والحق ان يحال علمه الى الله تعالى فالعقول البشرية قاصرة عن ادراك امثاله انتهى ويرده ما قال الامام السهيلى فى الامالى ان النكتة التى من اجلها كانوا تسعة عشر عددا ولم يكونوا اكثر او اقل فلعمرى ان فى الكتاب والسنة لدليلا عليها واشارة اليها ولكنها كالسر المكنون والناس اسرع شئ الى انكار ما لم يألفوه وتزييف ما لم يعرفوه ولا يؤمن فى نشرها وذكرها سوء التأويل لقصور اكثر الافهام عن الوعى والتحصيل مع قلة الانصاف فى هذا الجيل انتهى (ومنها ان ابواب جهنم سبعة ستة منها للكفار وواحد للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لامور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر واما باب الفساق فليس هناك الا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر (ومنها ان الساعات اربع وعشرون خمس منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسع عشر مشغولة بغير العبادة مصروفة الى ما يؤاخذ به بانواع العذاب يعنى انه لم يخلق فى مقابلة الخمس التى جعلت مواقيت الصلاة زبانية تكريما لها فلا يلزم الاختصاص بالمصلين من عصاة المؤمنين كما فى حواشى سعدى المفتى فلاجرم صار عدد الزبانية تسعة عشر ومنها انه تعالى حفظ جهنم بما حفظ به الارض من الجبال وهى مائة وتسعون اصلها تسعة عشر (ومنها ان المدبرات للعالم النجوم السيارة وهى سبعة والبروج الاثنا عشر الموكلة بتدبير العالم السفلى المؤثرة فيه تقدمهم بسياط التأثير وترديهم فى مهاويها (ومنها ما قال السجاوندى فى عين المعانى قد تكلموا فى حكمة العدد على انه لا تطلب للاعداد العلل فان التسعة اكثر الآحاد والعشرة اقل العشرات فقد جمع بين اكثر القليل واقل الكثير يعنى ان التسعة عشر عدد جامع بينهما

فلهذا كانت الزبانية على هذا العدد (ومنها ماقال فى كشف الاسرار ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا وعدد الزبانية تسعة عشر ملكا فيدفع المؤمن بكل حرف منها واحدا منهم وقد سبقت رحمته غضبه ومنها مالاح لهذا الفقير قبل الاطلاع على مافى كشف الاسرار وهو ان عدد حروف البسملة تسعة عشر (كماقال المولى الجامى) نوزده حرفست كه هژده هزار * عالم ازو يافته فيض عميم * ولما كانت البسملة آية الرحمة والكفار والفساق لم يقبلوا هذه الآية حيث سلكوا سبيل الكفر والمعاصى خلق الله فى مقابلة كل حرف منها ملكا من الغضب والجلال وجعله آية الغضب كما جعل خازن الجنة آية الرحمة دل على ماقلنا قوله عليه السلام يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا وهو اكبر الحيات بالفارسية اژدر فى فمه انياب مثل اسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق احمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف يبتلع الانسان والحيوان وسره انه كفر بالله وباسمائه الحسنى التى هى تسعة وتسعون فاستحق ان يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا بعددها فى قبره الذى هو حفرة من حفر النيران فلا يلزم ان يسلط عليه ذلك العدد فى النار فالتسع عدد القهر والحصر والانقراض لانه ينقرض عن اهل النار امداد الرحمة الرحيمية (ومنها مافى التأويلات النجمية من ان اختلال النفوس البشرية بحسب العمل والعلم والدخول فى جهنم البعد والطرد واللعن والحجاب والاحتجاب مترتب على موجباتها وهى تسعة غير الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وهى الاعضاء والجوارح السبع التى ورد بها الحديث بقوله عليه السلام امرت ان اسجد على سبعة اعضاء وآراب والطبيعة البشرية المشتملة على الكل المؤثرة فى الكل بحسب الظاهر والباطن ويجوز ان تكون القوة الغضبية والشهوية بدل الطبيعة فصار الكل تسعة عشر (وماجعلنا اصحاب النار) اى المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها فاصحاب النار هنا غير اصحاب النار فى قوله تعالى لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة وفى كشف الاسرار وماجعلنا خزنة اصحاب النار فحذف المضاف انتهى وفيه بعد لانهم خزنة النار لا خزنة اصحابها (الاملائكة) ليخالفوا جنس المعذبين من الثقلين فلا يرقوا لهم ولا يميلوا اليهم فان المجانسة مظنة الرأفة فلذا بعث الرسول من جنسنا ليرحم بنا ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله وبالغضب له تعالى واشدهم باسا وعن النبى عليه السلام لقوة احدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم ويروى انه لما نزل قوله تعالى عليها تسعة عشر قال ابوجهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد ابن اسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش والقوة حتى كان من قوته انه اذا قام على اديم واجتمع جماعة على ازالة رجليه عنه لم يقدروا عليه فكانوا يشدون الاديم حتى يتقطع قطعا ورجلاه على حالهما انا اكفيكم سبعة عشر منهم فاكفونى انتم اثنين فنزلت اى وماجعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون فمن ذا الذى يغلب الملائكة والواحد منهم يأخذ ارواح جميع الخلق وللواحد منهم من القوة مايقلب الارض فيجعل عاليها سافلها وتمام آدميان طاقت ديداريك فرشته ندارند تا بمقاومت بجا بسر آيند (وماجعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) اى وماجعلنا عددهم الا العدد الذى تسبب لافتتانهم ووقوعهم فى الكفر وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر اى بالفتنة عن العدد المخصوص تنبيها على التلازم بينهما وحمل الكلام على هذا لان جعل من دواخل المبتدأ والخبر فوجب حمل مفعوله الثانى على الاول ولا يصح حمل افتتان الكفار على عدد الزبانية الا بالتوجيه المذكور فان عدتهم سبب للفتنة لا فتنة نفسها ثم ليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الامر بل جعله فى القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم واستبعادهم لتولى هذا العدد القليل امر الجم الغفير واستهزاءهم به حسبما ذكر وعليه يدور ماسيأتى من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) متعلق بالجعل على المعنى المذكور والسين للطلب اى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه السلام وصدق القرآن لما شاهدوا مافيه موافقا لما فى كتابهم وفى عين المعانى سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة النار وعددهم فاجاب عليه السلام بانهم تسعة عشر يعنى دو بار باصابع يدين اشارت فرمود ودر كرت دوم ابهام يمنى را امساك فرمود (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) اى يزدادا ايمانهم كيفية بما رأوا وامن تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ماانزل (ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) تأكيد لما قبله من الاستيقان

وازدياد الايمان فان نفى ضد الشئ بعد اثبات وقوعه ابلغ فى الاثبات ونفى لما قد يعترى المسلمين والمؤمن من شبهة ما فيحصل له يقين جازم بحيث لا شك بعده وانما لم ينظم المؤمنين فى سلك اهل الكتاب فى نفى الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم فى ذلك (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك اونفاق فان كلا منهما من الامراض الباطنة فيكون اخبارا بما سيكون فى المدينة بعد الهجرة اذ النفاق انما حدث بالمدينة وكان اهل مكة اما مؤمنا حقا واما مكذبا واما شاكا (والكافرون) المصرون على التكذيب فان قلت كيف يجوز ان يكون قولهم هذا مقصودا لله تعالى قلت اللام ليست على حقيقتها بل للعاقبة فلا اشكال (ماذا أراد الله بهذا مثلا) تمييز لهذا او حال منه بمعنى ممثلا به كقوله هذه ناقة الله لكم آية اى اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل فاطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهوه بالمثل المضروب وهو القول السائر فى الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين اوثلاثين والاستفهام لانكاره انه من عند الله بناء على انه لو كان من عنده لما جاءنا قصا وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله فى الشناعة (كذلك يضل الله من يشاء) ذلك اشارة الى ماقبله من معنى الاضلال اى يضل الله من يشاء اضلاله كأبى جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم اضلالا كائنا مثل ماذكر من الاضلال لااضلالا ادنى منه لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق واصله ان الله لا يضل الا بحسب الضلالة الازلية لان الضلال وصرف الاختيار الى جانبه كل منهما من مقتضى عينه الثابتة (ويهدى من يشاء) هدايته كاصحاب محمد عليه السلام هداية كائنة مثل ماذكر من الهداية لا هداية ادنى منها لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى وحقيقته ان الله لا يهدى الا بموجب الهداية الازلية اذ الاهتداء وصرف الاختيار الى جانبه كل منهما من احواله الازلية فلا يجوز خلافه فى عالم العين والابد (وما يعلم جنود ربك) اى جموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون والجنود جمع جند بالضم وهو العسكر وكل مجتمع وكل صنف من الخلق على حدة وفى الحديث ان لله جنودا منها العسل (الا هو) لفرط كثرتها وفى حديث موسى عليه السلام انه سأل ربه عن عدد اهل السماء فقال تعالى اثنا عشر سبطا عدد كل سبط عدد التراب وفى الاسرار المحمدية ليس فى العالم موضع بيت ولا زاوية الا وهو معمور بما لا يعلمه الا الله والدليل على ذلك امر النبى عليه السلام بالتستر فى الخلوة وان لا يجامع الرجل امرأته عريانين وفيه اشارة الى ان لله فى اختيار عدد الزبانية حكمة والا فجنوده خارجة عن دائرة العد والضبط قال القاشانى ومايعلم عدد الجنود وكميتها وكيفيتها وحقيقتها الا هو لاحاطة علمه بالماهيات واحوالها وفى التأويلات النجمية الا هو يته الجامعة لجميع جنود التعينات الغير المتناهية بحسب الاسماء الجزئية وجزئيات الاسماء قال بعض العارفين خلقت الملائكة على مراتب فارواح ليس لهم عقل الا تعظيم جناب الله وليس لهم وجه مصروف الى العالم ولا الى نفوسهم قد هيمهم جلال الله واختطفهم عنهم فهم فيه حيارى سكارى وارواح مدبرة اجساما طبيعية ارضية وهى ارواح الناسى وارواح الحيوانات من كل جسم عنصرى طبيعى وهذه الارواح المدبرة لهذه الاجسام مقصورة عليها مسخر بعضها لبعض كما قال تعالى ليتخذ بعضهم بعضا سخريا وارواح اخر مسخرات لمصالحنا وهم على طبقات كثيرة فمنهم الموكل بالوحى ومنهم الموكل بالالقاء ومنهم الموكل بالارزاق ومنهم الموكل بقبض الارواح ومنهم الموكل باحياء الموتى ومنهم الموكل بالاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم ومنهم الموكل بالغراسات فى الجنة جزاء لاعمال العباد ومنهم غير ذلك واما مراتبهم وتفاوتهم ففيهم الاكبروا لكبير فجبريل اكبر من عزرائيل وميكائيل اكبر من جبريل واسرافيل اكبر من ميكائيل وقال بعضهم هذه الجنود ليست معدة للمحاربة بل هى لترتيب المملكة الظاهرة للعالم الاعلى والاسفل لانه اذا كان مافى السموات وما فى الارض جنوده فلمن يقاتلون فالحق ان المراد بهم جنود التسخير اذ العالم كله مسخر بعضه لبعض وجميع الملائكة مسخرون لنا باسرهم تحت ايدى الاثنى عشر ملكا الذين ولاهم الله على عالم الخلق ومقرهم فى الفلك الاقصى كل والى فى برج كالبراج سور المدينة جالس على تخت وقد رفع الله الحجاب بين هؤلاء الولاة وبين اللوح المحفوظ فرأوا فيه مسطرا اسماءهم

ومراتبهم وماشاء الله ان يجريه على ايديهم فى عالم الخلق الى يوم القيامة فارتقم ذلك كله فى نفوسهم وعلموه علما محفوظا لايتبدل ولايتغير كما علمنا نحن اسماءهم واحوالهم من مقابلة قلوبنا للوح المحفوظ ثم ان الله جعل لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفذان اوامرهم الى نوابهم وجعل بين كل حاجبين سفيرا يمشى بينهما بما يلقى اليه كل واحد منهما وعين الله لهؤلاه الذين جعلهم حجابا لهؤلاء الولاة فى الفلك الثانى منازل يسكنونها وانزلهم اليها وهى الثمانى والعشرون منزلة التى تسمى المنازل التى ذكرها الله بقوله والقمر قدرناه منازل يعنى فى سيره ينزل كل يوم منزلة منها الى ان ينتهى الى آخرها ثم يدور دورة اخرى ليعلموا بسيره وسير الشمس والخنس عدد السنين والحساب وكل شئ فصله الحق لنا تفصيلا فاسكن فى هذه المنازل هذه الملائكة وهم حجاب اولئك الولاة الذين فى الفلك ثم ان الله امر هؤلاء ان يجعلوا لهم نوابا ونقباء فى السموات السبع فى كل سماء نقيبا كالحجاب لهم لينظروا فى مصالح العالم العنصرى بما يلقيه اليهم هؤلاء الولاة ويأمرونهم به وهو قوله تعالى واوحى فى كل سماء امرها فجعل الله اجسام هذه الكواكب النقباء اجساما نيرة مستديرة ونفخ فيها ارواحها وانزلها فى السموات السبع فى كل سماء واحد منهم وقال لهم قد جعلتكم تستخرجون ماعند هؤلاء الاثنى عشر واليا بواسطة الحجاب الثمانية والعشرين كما يأخذ اولئك الولاة عن اللوح المحفوظ ثم جعل الله لكل نقيب من هؤلاء السبعة النقباء فلكا يسبح فيه هوله كالجواد للراكب وهكذا الحجاب لهم افلاك يسبحون فيها اذ كان لهم التصرف فى حوادث العالم والاستشراف عليه ولهم سدنة واعوان يزيدون على الالف اعطاهم الله مراكب سماها افلاكا فهم ايضا يسبحون فيها وهى تدور بهم على الملكة فى كل يوم مرة فلا يفوتهم شئ من الملكة اصلا من ملك السموات والارض فتدور الولاة وهؤلاء الحجاب والنقباء والسدنة كلهم فى خدمة هؤلاء الولاة والكل مسخرون فى حقنا اذ كنا نحن المقصود الاعظم من العالم كله قال تعالى وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه وسبب دوران الافلاك علينا كل يوم دورة انما هو لينظر هؤلاء الولاة فيما تدعو حاجة الخلق اليه من الامور فيسدوا خللهم وينفذوا احكام الله فيهم من كونه مريدا فى خلقه لامن كونه آمرا اليه فينفذون الاقدار فيهم فى ازمان مختلفة وكما جعل الله زمام هذه الامور بايدى هؤلاء الجماعة من الملائكة واقعد منهم من اقعد فى برجه ومسكنه الذى فيه تخت ملكه وانزل من انزل من الحجاب والنقباء الى منازلهم فى سموا تهم كذلك جعل فى كل سماء ملائكة مسخرة وجعلهم على طبقات فمنهم اهل العروج بالليل والنهار من الحق الينا ومنا الى الحق فى كل صباح ومساء ولا يقولون الا خيرا فى حقنا ومنهم المستغفرون لمن فى الارض ومنهم المستغفرون للمؤمنين لغلبة الغيرة الالهية عليهم كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن فى الارض ومنهم الموكلون بايصال الشرائع ومنهم الموكلون بالممات ومنهم الموكلون بالالهام وهم الموصلون العلوم الى القلوب ومنهم الموكلون بالارحام بتصوير مايكون الله فى الارحام ومنهم الموكلون بنفخ الارواح ومنهم الملائكة التسعة عشر الموكلون بالشفاعة لمن دخل النار ومنهم الموكلون بالارزاق ومنهم الموكلون بالامطار ومنهم الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والمرسلات والناشرات والنازعات والناشطات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات ولذلك قالوا وماءنا الا له مقام معلوم فما من حادث يحدثه الله فى العالم الا وقد وكل الله باجرآئه الملائكة ولكن بامر هؤلاء الولاة من الملائكة فلا يزالون تحت سلطانهم اذ هم خصائص الله ثم ان العامة ماتشهد من هؤلاء الملائكة الا منازلهم التى هى اجرام الكواكب ولا تشهد اعيان الحجاب ولا النقباء واما اهل الكشف فيشهدونهم فى منازلهم عيانا ثم اعلم ان الله قد جعل فى هذا العالم العنصرى خلقا من جنسهم ولاة عليهم نظير العالم العلوى فمنهم الرسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة امور جميع العالم من القضاة واضرابهم ثم جعل بين ارواح هؤلاء الولاة الذين هم فى الارض والولاة الذين هم فى السموات مناسبات ودقائق تمتد اليهم بالعدل مطهرة من الشوآئب مقدسة عن العيوب فيقبل هؤلاء الولاة الارضيون منهم بحسب استعداداتهم فمن كان استعداده حسنا قويا قبل ذلك الامر على صورته طاهرا مطهرا فكان والى عدل وامام فضل ومن كان استعداده رديئا قبل ذلك الامر الطاهر ورده الى شكله من الرداءة والقبح والجور فكان والى جور ونائب ظلم وبخل فلا يلوم الا نفسه فهذه امهات مراتب حكام العالم اصحاب المراتب على سبيل الاجمال واما الرعية فلا يحصى عددهم الا الله ولله تعالى فى الارض ملائكة لا يصعدون الى السماء ابدا وملائكة فى السماء لا ينزلون الى الارض

أبداكل قدعلم صلاته وتسبيحه بالهام من الله تعالى كذا فى كتاب الجواهر للامام الشعرانى رحمه الله (وماهى) اى سقر وذكر صفتها (الاذكرى للبشر) الاتذكرة وعظة وانذارلهم بسوءعاقبة الكفر والضلال وتخصيص الانس مع انهاتذكرة للجن ايضا لانهم هم الاصل فى القصد بالتذكرة اوومامعدة الخزنة الاتذكرة لهم ليتذكروا ويعلموا ان الله قادر على ان يعذب الكثير الغير المحصور من كفار الثقلين وعصاتهم بهذا العدد بل هولايحتاج فى ذلك الى اعوان وانصاراصلافانه لوقلب شعرة واحدة فى عين ابن آدم اوسلط الالم على عرق واحد من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة وانماعين العدد وخلق الجنود لحكمة لالاحتياج ويجوز ان يعود الضمير الى الآيات الناطقة باحوال سقر فانهاتذكرة لاشتمالها على الانذار (كلا) ردع لمن انكر سقراى ارتدع عن انكارها فانها حق اوانكار ونفى لان تكون لهم تذكرة فان كونها ذكرى للبشر لاينافى ان بعضهم لايتذكرون بل يعرضون عنها بسوء اختيارهم ألايرى الى قوله تعالى فمالهم عن التذكرة معرضين (والقمر) مقسم به مجرور بواو القسم يعنى وسوكند بماه كه معرفت اوقات وآجال بوى باز بسته است وفى فتح الرحمن تخصيص تشريف وتنبيه على النظر فى عجائبه وقدرته فى حركاته المختلفة التى هى مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لايختل وقال ابو الليث وخالق القمر يعنى الهلال بعد ثالثه (والليل) معطوف على القمر وكذا الصبح يعنى وبحرمة شب (اذ) بسكون الذال وهوظرف لما مضى من الزمان (ادبر) على وزن افعل اى انصرف وذهب فان الادبار نقيض الاقبال (والصبح) قال فى القاموس الصبح الفجر اواول النهار والجمع اصباح وفى المفردات الصبح والصباح اول النهار وهو وقت مااحمر الافق بحاجب الشمس (اذا) ظرف لما يستقبل من الزمان واتفقوا على اذاههنا نظرا الى تأخره عن الليل من وجه (اسفر) اى اضاء وانكشف فان الاسفار بالفارسية روشن شدن قال الراغب السفر كشف الغطاء و يختص ذلك بالاعيان نحو سفر العمامة عن الرأس والخمار عن الوجه والاسفار يختص باللون نحو والصبح اذا اسفراى اشرق لونه ووجهه واسفروا بالفجر تؤجروا من قولهم اسفرت اى دخلت فيه نحواصبحت وفى قوت القلوب الفجر الثانى هوانشقاق شفق الشمس وهو بريق بياضها الذى تحت الحمرة وهوالشفق الثانى على ضدغروبها لان شفقها الاول من العشاء هوالحمرة بعد الغروب و بعد الحمرة البياض وهوالشفق الثانى من اول الليل وهوآخر سلطان شعاع الشمس و بعد البياض سواد الليل وغسقه ثم يتقلب ذلك على الضد فيكون بدء طلوعها الشفق الاول وهو البياض و بعده الحمرة وهو شفقها الثانى وهواول سلطانها من آخر الليل و بعده طلوع قرص الشمس فالفجر هوانفجار شعاع الشمس من القلك الاسفل اذاظهرت على وجه ارض الدنيا يستر عينها الجبال والبحار والاقاليم المشرفة العالية و يظهر شعاعها منتشرا الى وسط الدنيا عرضا مستطيرا انتهى (قال الكاشفى) اقسم بالقمراى بالقلب المستعد الصافى القابل للانذار المنتفع به المتنفع بتذكيره تعظيما و بليل ظلمة النفس اذ ادبراى ذهب بانقشاع ظلمتها عن القلب باشراق نور الروح عليه وتلالى طوالعه بصبح طلوع ذلك اذا اسفرفزالت الظلمة بكليتها وتنور القلب انتهى فظهر من هذا حسن موقع ذكر القمر والليل والصبح فى مقام ذكر سقر ودواهيها لان سقر اشارة الى الطبيعة وجهنم النفس (انها لاحدى الكبر) جواب للقسم والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائه والحقت بها فكما جمعت فعلة على فعل كركبة وركب جمعت فعلى عليها والافعلى لاتجمع على فعل بل على فعالى كحبلى وحبالى والمعنى ان سقر لاحدى البلايا اولاحدى الدواهى الكبر الكثيرة وهى اى سقر واحدة فى العظم لانظيرة لها كقولك انه احد الرجال هذا اذاكان منكرا لسقر وان كان منكرا لعدة الخزنة فالمعنى انها من احدى الحجج اكبر نذيرا من قدرة الله على قهر العصاة من لدن آدم عليه السلام الى قيام الساعة من الجن والانس حيث استعمل على تعذيبهم هذا العدد القليل وان كان منكر الآيات فالمعنى انها لاحدى الآيات الكبر (نذيرا للبشر) تمييز من نسبة احدى الكبر الى اسم ان لان معناه انها من معظمات الدواهى التى خلقها الله للتعذيب فيصح ان ينتصب منه التمييز كما تقول هى احدى النساء عفافا والنذير مصدر كالنكير والمعنى لاحدى الكبر انذارا اى من جهة الانذار اوحال مما دلت عليه الجملة اى معنى قوله انها لاحدى الكبراى كبرت منذرة وحذف التاء مع ان فعيلا بمعنى فاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث لكون ضمير انها فى تأويل العذاب اولكون النذير بمعنى ذات انذار على معنى النسب كقولهم امرأة طاهر اى ذات طهارة

(لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر) بدل من للبشر باعادة الجار وان يتقدم مفعول شاء ومنكم حال من من اى نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير والجنة والطاعة فيهديه الله اولم يشاء ذلك و يتأخر بالمعصية فيضله وفيه اشارة الى ان لكسب العبد دخلا فى حصول المرحومية والمحرومية وفى التأويلات النجمية اقسم بنور قمر الشريعة الزهراء و بظلمة ليل الطبيعة الظلماء و بصبح الحقيقة البيضاء حين غلبت على غلس الطبيعة ان الجنود مظاهر احدى هذه المراتب الكلية الكبرى اما اهل الشريعة واما اهل الحقيقة واما اهل الطبيعة وقوله نذيرا للبشر اى جعلنا الحصر فى المراتب الثلاث الكلية ليتنبه الانسان و يحترز ان يكون من اهل الانذار لمن شاء منكم ان يتقدم الى مقام الشريعة او يتأخر الى مقام الطبيعة ولما كان مقام الحقيقة اعلى المراتب ولم يصل اليه الا النذر من الكمل اعرض عن ذكره انتهى و يجوز ان يكون اهل الحقيقة داخلا فى ان يتقدم لانه واهل الشريعة كل منهما من المتقدمين وان كان بينهما فرق فى التقدم وتفاوت فى السير والمسارعة والحاصل ان اهل الاستعداد تقدموا باكتساب الفضائل والخيرات والكمالات الى مقام القلب والروح والسر واما غيرهم فتأخروا بالميل الى البدن وشهواته ولذاته فوقعوا فى ورطة الطبيعة (كل نفس) من نفوس الانس والجن المكلفين (بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله بكسبها محبوسة ثابتة وفى بعض التفاسير بسبب ما كسبت من الاعمال السيئة من رهن الشئ اى دام وثبت وارهنته اى تركته مقيما عنده وثابتا والرهن ماوضع عندك ليذوب منه اب ماخذ منك والمرتهن هو الذى يأخذ المرهون ونفس المكلف محبوسة ثابتة عند الله بما اوجبه عليه من التكاليف التى هى حق خالص له تعالى فان اداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبة وخلص نفسه والا بقيت نفسه مرهونة محبوسة عنده وقال بعضهم الرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم على ان تكون التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية وفى فتح الرحمن للبلاغة اوعلى تأنيث اللفظ لاعلى معنى الانسان ونحوه وليس اى الرهينة صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لاتدخله التاء بل يستوى فيه المذكر والمؤنث الا ان يحمل على ماهو بمعنى الفاعل فانه يؤتى فى مؤنثه بالتاء كما فى عكسه فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الراغب قيل فى قوله كل نفس بما كسبت رهينة انه فعيل بمعنى فاعل اى ثابتة مقيمة وقيل بمعنى مفعول اى كل نفس مقامة فى جزاء ماقدم من عملها ولما كان الرهن يتصور من حبسه استعير ذلك للمحتبس اى شئ كان (الا اصحاب اليمين) استثناء متصل من كل نفس لكثرتها فى المعنى واصحاب اليمين اهل الاعمال الصالحة من المؤمنين اى فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين قال القاشانى كل نفس بمكسوبها رهن عند الله لافكاك لها لاستيلاء هيئات اعمالها وآثار افعالها عليها ولزومها اياها وعدم انفكاكها عنها الا اصحاب اليمين من السعداء الذين تجردوا عن الهيئات الجسدانية وخلصوا الى مقام الفطرة ففكوا رقابهم من الرهن (فى جنات) كانه قيل مابال اصحاب اليمين فقيل هم فى جنات لايكتنه كنهها ولايوصف وصفها كما دل عليه التنكير والمراد ان كلا منهم ينال جنة منها (يتساءلون عن المجرمين) تفاعل هنا بمعنى فعل اى يسألون المجرمين عن احوالهم وقد حذف المسؤل لكونه عين المسؤل عنه ولدلالة مابعده عليه (روى) ان الله يطلع اهل الجنة وهم فى الجنة حتى يرون اهل النار وهم فى النار فيسألونهم (ماسلككم فى سقر) مقدر بقول هو حال مقدرة من فاعل يتساءلون اى قائلين اى شئ ادخلكم فيها وكان سبب الدخول لكم من سلكت الخيط فى الابرة سلكا اى ادخلته فيها فهو من السلك بمعنى الادخال لامن السلوك بمعنى الذهاب فان قلت لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخا لهم وتحسيرا ولتكون حكاية الله ذلك فى كتابه تذكرة للسامعين قرأ ابوعمرو سلكم بادغام الكاف فى الكاف والباقون بالاظهار (قالوا) اى المجرمون مجيبين للسائلين (لم نك من المصلين) للصلوات الواجبة فعدم اقرارنا بفرضية الصلاة وعدم ادائها سلكنا فيها اصله نكن حذف النون للتخفيف مع كثرة الاستعمال (ولم نك نطعم المسكين) على معنى استمرار نفى الاطعام لاعلى نفى استمرار الاطعام والمراد ايضا الاطعام الواجب والا فليس بواجب من الصلاة والاطعام لايجوز التعذيب على تركه وكانوا يقولون انطعم من لو يشاء الله اطعمه فكانوا لا يرحمون المساكين بالاطعام ولا يحضون عليه ايضا كما سبق ففيه ذم للبخل ودلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة قال فى التوضيح الكفار مخاطبون بالايمان والعقوبات والمعاملات اجماعا اما العبادات فهم

مخاطبون بها فى حق المؤاخذة فى الآخرة اتفاقا ايضا لقوله تعالى ماسلككم فى سقر الآيات امافى حق وجوب الادآء فمختلف فيه قال العراقيون من مشايخنا نعم وقال مشايخ ديارنا لا وفى بعض التفاسير وللمحقق ان يقول هذا انما هو تأسف منهم على تفريطهم فى كسب الخير وحرمانهم مما ناله المصلون والمزكون من المؤمنين ولا يلزم من ذلك ان يكونوا مأمورين بالعمل قبل الايمان (وكنا نخوض مع الخائضين) اى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه والمراد بالباطل ذم النبى عليه السلام واصحابه رضى الله عنهم وغيبتهم وقولهم بانه شاعر اوساحر اوكاهن وغيرذلك والخوض فى الاصل بمعنى الشروع مطلقا فى اى شئ كان ثم غلب فى العرف بمعنى الشروع فى الباطل والقبيح ومالاينبغى وفى الحديث اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم خوضا فى معصية الله (وكنا نكذب بيوم الدين) اى بيوم الجزآء اضافوه الى الجزآء مع ان فيه من الدواهى والاهوال مالاغاية له لانه ادهاها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهى وتأخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل اذهو تكذيب القيامة وانكارها كفر والامور الثلاثة المتقدمة فسق لتفخيمها والترقى من القبيح الى القبيح كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما ينطق به قولهم (حتى اتانا اليقين) اى الموت ومقدماته فانه امر متيقن لاشك فى اتيانه وبالفارسية آمد بما مرك ومقدمات او برهمان حال مرديم فان قلت ايريدون ان كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار أم دخلها بعضهم بعضه وبعضهم بهذه قلت يحتمل الامرين جميعا كما فى الكشاف وفيه اشارة الى ان بقاءهم فى سقر الطبيعة انما كان بسبب هذه الرذائل والذمائم (فماتنفعهم شفاعة الشافعين) من الانبياء والملائكة وغيرهم اى لوقدر اجتماعهم على شفاعتهم على سبيل فرض المحال لاتنفعهم تلك الشفاعة فليس المراد انهم يشفعون لهم ولاتنفعهم شفاعتهم اذالشفاعة يوم القيامة موقوفة على الاذن وقابلية المحل فلو وقعت من المأذون للقابل قبلت والكافر ليس بقابل لها فلا اذن فى الشفاعة له فلا شفاعة ولا نفع فى الحقيقة وفيه دليل على صحة الشفاعة ونفعها يومئذ لعصاة المؤمنين والالما كان لتخصيصهم بعدم منفعة الشفاعة وجه قال ابن مسعود رضى الله عنه تشفع الملائكة والنبيون والشهدآء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا من بعثم تلا قوله قالوا لم نك من المصلين الى قوله بيوم الدين وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان محمدا عليه السلام يشفع ثلاث مرات ثم تشفع الملائكة ثم الانبياء ثم الآباء ثم الابناء ثم يقول الله بقيت رحمتى ولا يدع فى النار الا من حرمت عليه الجنة ويقول الرجل من اهل النار لواحد من اهل الجنة يافلان اما تعرفنى انا الذى سقيتك شربة ويقول آخر أنا الذى وهبت لك وضوأ ويقول آخر اطعمتك لقمة وآخر كسوتك خرقة وعلى هذا فيشفع له فيدخله الجنة اما قبل دخول النار او بعده (فمالهم عن التذكرة معرضين) الفاء لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ماقبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اى فاذا كان حال المكذبين به على ماذكر فاى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأكد الدواعى للايمان به وفى كشف الاسرار پس چه رسيد ست ايشانرا كه ازچنين پندى روگردانيده اند يقال الاعراض يكون بالجحود وبترك الاتباع له (كانهم حمر مستنفرة) حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل وحمر جمع حمار وهو معروف ويكون وحشيا وهو المراد هنا ومستنفرة من نفرت الدواب بمعنى هربت لامن نفر الحاج والمعنى مشبهين بحمرنا فرة يعنى خران رميد كان فاستنفر بمعنى نفر كاستعجب بمعنى عجب وقال الزمخشرى كانهم حمر تطلب النفار من نفوسها بسبب انهم جمعوا هم نفوسهم للنفار وحملوه عليها فابق السين على بابها من الطلب قال الراغب مستنفرة قد قرئ بفتح الفاء وكسرها فاذا كسر الفاء فمعناه نافرة واذا فتح فمعناه منفرة (فرت من قسورة) اى من اسد لان الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب اشد الهرب ومثل القسورة الحيدرة لفظا ومعنى وهى فعولة من القسر وهو القهر والغلبة لانه يغلب السباع ويقهرها قال ابن عباس رضى الله عنهما القسورة هو الاسد بلسان الحبشة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها (وقال الكاشفى) كريخنند ازشير يا ازصياد يا ريسمان دام يامردم تيراند ازيا آوازهاء مختلف شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع مافيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما افزعها يعنى چنانچه خر بيابانى از ابهامى كريزد ايشان ازاستماع

قرآن می كريند زيرا كه كوش سخن شنوودل پند پذيرندارند كما اشار اليه فى المثنوى * ازكجااين قوم وپيغام ازكجا * ازجمادى جان كجا باشد رجا * فهمهاى كج مج كوته نظر * صد خيال بددر آرددر فكر * راز جزباراز دان انباز نيست * رازاندر كوش منكرران نيست وفيه من ذمهم وتهجين حالهم مالايخفى يعنى ان فى تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله ولاترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها فى العدو اذاخافت من شئ ومن أرادا هانة غليظة لاحد والتشنيع عليه باشنع شئ شبهه بالحمار (روى) ان واحدا من العلماء كان يعظ الناس فى مسجد جامع وحوله جماعة كثيرة فرأى ذلك رجل من البله وكان قدفقد حماره فنادى للواعظ وقال انى فقدت حمارا فاسأل هذه الجماعة لعل واحدا منهم رآه فقال له الواعظ اقعد مكانك حتى ادلك عليه فقعد الرجل فاذاواحد من اهل المجلس قام واخذ فى ان يذهب فقال الواعظ للرجل خذهذا فانه حمارك والظاهر انه قال ذلك القول اخذا من هذا الكلام فانه فر من تذكرة الملك العلام (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لايكتفون بتلك التذكرة ولايرضون بها عنادا ومكابرة بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم اى اباجهل بن هشام وعبدالله بن امية واصحابهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء او يصبح عند رأس كل رجل منا اوراق منشورة يعنى مهر بركل فته عنوانها من رب العالمين الى فلان ابن فلان نؤمر فيها باتباعك اى بان يقال اتبع محمدا فانه رسول من قبلى اليك كما قالوا ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه وامرئ قال فى القاموس المرء مثلثة الميم الانسان اوالرجل ولايجمع من لفظه ومع الف الوصل ثلاث لغات فتح الراء دائما وضمها دائما واعرابها دا ئما وان مع صلته مفعول يريد وصحفا مفعول ثان ليؤتى والاول ضمير كل ومنشرة صفة صحف جمع صحيفة بمعنى الكتاب قال فى تاج المصادر وصحف منشرة شدد للكثرة (كلا) ردع عن اقتراحهم الآيات وارادتهم ماارادوه فانهم انما اقترحوها تعنتا وعنادا لاهدى ورشادا (بل لايخافون الآخرة) لاستهلاكهم فى محبة الدنيا فلعدم خوفهم منها اعرضوا عن التذكرة لالامتناع ايتاء الصحف (كلا) ردع عن اعراضهم عن التذكرة (انه) الضمير فى انه وفى ذكره للتذكرة لانها بمعنى الذكر أوالقرآن كالموعظة بمعنى الوعظ والصيحة بمعنى الصوت (تذكرة) اى تذكرة فالتنوين للتعظيم اى تذكرة بليغة كافية وفى برهان القرآن اى تذكير للحق وعدل اليها للفاصلة (فمن) پس هركه (شاء) ان يذكره ويتعظ به قبل الحلول فى القبر (ذكره) اى جعله نصب عينه وحاز بسببه سعادة الدارين فانه ممكن من ذلك (وماياذكرون) بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذلاتأثير لمشيئة العبد وارادته فى افعاله وضمير الجمع اما ان يعود الى الكفرة لان الكلام فيهم اوالى من نظر الى عموم المعنى لشموله لكل من المكلفين (الا ان يشاءالله) استثناء مفرغ من اعم العلل اومن اعم الاحوال اى ومايذكرون لعلة من العلل اوفى حال من الاحوال الابان يشاءالله اوحال ان يشاءالله ذكرهم وهذا تصريح بان افعال العبد بمشيئة الله لابارادة نفسه قال فى عين المعانى فمن شاء الخ تخيير باعطاء المكنة لتحقيق العبودية وقوله الاان يشاءالله تخيير باعضاء القدرة لتحقيق الالوهية (هو) اى الله تعالى (اهل التقوى) اى حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع فالتقوى مصدر من المبنى للمفعول (واهل المغفرة) حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه قال بعضهم التقوى هو التبرى من كل شئ سوى الله فمن لزم الآداب فى التقوى فهو اهل المغفرة

(تمت سورة المدثر فى اوائل ذى الحجة من سنة ست عشرة ومائة والف)

* (سورة القيامة تسع وثلاثون اواربعون آية مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(لااقسم بيوم القيامة) لاصلة لتوكيد القسم وماكان لتوكيد مدخوله لايدل على النفى وان كان فى الاصل للنفى قال الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة * وكاد ضمير القلب لايتقطع

اى يتقطع والمعنى بالفارسية هر آينه سوكند ميخورم بروز رستاخيز أوللنفى لكن لالنفى نفس الاقسام بل لنفى مابنئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لااقسم بكذا لااعظمه باقسامى به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر اولنفى كلام معهود قبل القسم ورده كانهم انكروا البعث فقيل لا اى ليس

الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيامة كقولك لاوالله ان البعث حق وايا ما كان فنى الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة مالا مزيد عليه واما ماقيل من ان المعنى نفى الاقسام لوضوح الامر فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به قال المغيرة بن شعبة رحمه الله يقولون القيامة القيامة وانما قيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال اما هذا فقد قامت قيامته ونظمه بعضهم

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى * غداة اقل الحاملون جنازتى

(ولا اقسم بالنفس اللوامة) قال فى عين المعانى القسم بالشئ تنبيه على تعظيمه اومافيه من لطف الصنع وعظم النعمة وتكرير ذكر القسم تنبيه على ان كلا من المقسم به مقصود مستقل بالقسم لما ان له نوع فضل يقتضى ذلك واللوم عذل الانسان بنسبة مافيه لوم والمراد بالنفس اللوامة هى النفس الواقعة بين الامارة والمطمئنة فلها وجهان * وجه يلى النفس الامارة وهو وجه الاسلام فاذا نظرت الى الامارة بهذا الوجه تلومها على ترك المتابعة والاقدام على المخالفة وتلوم ايضا نفسها على مافات عنها فى الايام الماضية من الاعمال والطاعات والمرتعة فى المراتع الحيوانية الظلمانية * ووجه يلى النفس المطمئنة وهو وجه الايمان فاذا نظرت بهذا الوجه الى المطمئنة وتنورت بنورانيتها وانصبغت بصيغتها تلوم ايضا نفسها على التقصيرات الواقعة منها والمحذورات الكائنة عليها فهى لاتزال لائمة لها قائمة على سوق لومها الى ان تتحقق بمقام الاطمئنان ولذلك استحقت ان اقسم الله بها على قيام البعث والنشر والحشر قال القاشانى جمع بين القيامة والنفس اللوامة فى القسم بهما تعظيما لشأنهما وتناسبا بينهما اذ النفس اللوامة هى المصدقة بها المقرة بوقوعها المهيئة لاسبابها لانها تلوم نفسها ابدا فى التقصير والتقاعد عن الخيرات وان احسنت لحرصها على الزيادة فى الخير واعمال البر تيقنا بالجزاء فكيف بها ان اخطأت وفرطت وبدرت من بادرة غفلة ونسيانا انتهى هذا ودع عنك القيل والقال وجواب القسم محذوف دل عليه قوله تعالى (ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه) وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والاسناد الى الكل بحسب البعض كثير والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف والعظام جمع عظم وهو قصب الحيوان الذى عليه اللحم بالفارسية استخوان ويجيئ جمع عظيم ايضا ككرام وكريم وكبار وكبير ومنه المولى العظام والمعنى ايحسب الانسان الذى ينكر البعث ان الشأن والحديث لن نجمع عظامه البالية فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد مانسفتها الرياح وطيرتها فى اقطار الارض والقتها فى البحار لمجازاته بما عمل فى الدنيا وقيل ان عدى بن ابى ربيعة ختن الاخنس بن شريف وهما اللذان كان عليه السلام يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فاخبره فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يعنى اكذب حسى اوايجمع الله هذه العظام فيكون الكلام خارجا على قول المنكر كقوله من يحيى العظام وهى رميم وقيل ذكر العظام واراد نفسه كلها لان العظام قالب النفس لايستوى الخلق الا باستوائها ودل هذا الانكار على انه ناشئ من الشبهة وذلك بالنسبة الى البعض والله قادر على الاحياء لاشبهة فيه بالنسبة الى العاقل المتكفر المستدل (بلى) ايجاب لما ذكر بعد النفى وهو الجمع اى نجمعها و بالفارسية آرى جمع كنيم حال كوننا (قادرين) فهو حال مؤكدة من الضمير المستكن فى نجمع المقدر بعد بلى (على ان نسوى بنانه) اى نجمع سلاميانه ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام وهو جمع سلامى كحبارى وهى العظام الصغار فى اليد والرجل وفى الحديث كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس اى على صاحبه صدقة من اى انواع الصدقة من قول وفعل ومال وفى القاموس البنان الاصابع اواطرافها قال الراغب البنان الاصابع قيل سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التى يمكن للانسان ان يبين بها مايريد اى يقيم يقال ابن بالمكان بين لذلك خص فى قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوى بنانه وقوله واضربوا منهم كل بنان خصه لاجل انها يقاتل بها ويدافع والمعنى على ان نسوى اصابعه التى هى اطرافه وآخر مايتم به خلقه فالبنان مفرد اللفظ مجموع المعنى كالتمر وفيه جهتان الصغر وكونه طرفا فالى اى جهة نظر ثبت المطلوب بالاولوية ولذا خص بالذكر ثم فى العظام اشارة الى كبار اعماله الحسنة والسيئة وفى البنان الى صغار افعاله الحسنة والسيئة فان الله تعالى يجمع كلا منها ويجازى عليها

(بل يريد الانسان ليفجر امامه) الفجر شق الشئ شقا واسعا والفجور شق ستر الديانة وقال بعضهم الفجور الميل فالكاذب والمكذب والفاسق فاجر اى مائل عن الحق ومنه قول الاعرابى فى حق عمر رضى الله تعالى عنه اغفر له اللهم ان كان فجر * اى كذب واللام للتأكيد مثل قوله وانصح لكم فى انصحكم وان يفجر مفعول يريد وقد يقال مفعوله محذوف يدل عليه قوله ليفجر امامه والتقدير يريد شهواته ومعاصيه وقال سعدى المفتى الظاهر ان يريد ههنا منزل منزلة اللازم ومصدره مقدر بلام الاستغراق بمعونة المقام يعنى مقام تقبيح حال الانسان اى يوقع جميع ارادته ليفجر وجعل ابو حيان بل لمجرد الاضراب عن الكلام الاول و هو تجمعهما قادرين من غير ابطال المضمون والاخذ فى بيان ما عليه الانسان من انهماكه فى الفجور من غير عطف وقال غيره عطف على يحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه من الاستفهام وهذا ابلغ واولى والمعنى بل يريد الانسان ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه فالامام ههنا مستعار للزمان من المكان وقال الراغب يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها وقيل معناه يذنب ويقول غدا اتوب ثم لا يفعل فيكون ذلك فجورا لبذله عهدا لا يفى به (وقال الكاشفى) بلكه خواهد آدمى آنكه دروغ كويد باآنچه اورادر پيش است از بعث وحساب وفيه اشارة الى ان الانسان المحجوب يريد ليفجر امامه بحسب الاعتقاد و النية قبل الاتيان بالفعل وذلك بالعزم المؤاخذ به على ما عرف فى محله (يسأل) سؤال استبعاد واستهزاء (ايان) اصله اى آن وهو خبر مقدم لقوله (يوم القيامة) اى متى يكون والجملة استئناف تعليلى كأنه قيل ما يفعل حين يريد ان يفجر ويميل عن الحق فقيل يستهزئ ويقول ايان يوم القيامة او حال من الانسان فى قوله بل يريد الانسان اى ليس انكاره للبعث لاشتباه الامر وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد ان يستمر على فجوره فى حال كونه سائلا متى تكون القيامة فدل هذا الانكار على ان الانسان يميل بطبعه الى الشهوات و الفكرة فى البعث تنغصها عليه فلا جرم ينكره و يأبى عن الاقرار به فقوله ايحسب الانسان الخ دل على الشبهة والجهل وقوله بل يريد الخ على الشهوة والتجاهل فالآيتان بحسب الشخصين وفيه اشارة الى ان المحجوب يسأل ايان يوم القيامة لاحتجابه بنفسه الظلمانية لا يشاهد القيامة فى كل ساعة ولحظة بل فى كل لمحة وطرفة لتعاقب التجليين الافنائى والابقائى كما قال تعالى بل هم فى لبس من خلق جديد (فاذا برق البصر) اى تحير واضطرب وجال فزعا من اهوال يوم القيامة من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش ثم استعمل فى كل حيرة وان لم يكن هناك نظر الى البرق وهو واحد بروق السحاب ولمعانه (وخسف القمر) اى ذهب ضوؤه فان خسف يستعمل لازما ومتعديا يقال خسف القمر وخسفه الله اوذهب نفسه من خسف المكان اى ذهب فى الارض ولكن هذا المعنى لا يناسب ما بعد الآية قال بعضهم اصل الخسف النقصان و يكون فى الوصف وفى الذات وفيه رد لمن عبد القمر فان القمر لو كان الها كما زعمه العابد لدفع عن نفسه الخسوف ولما ذهب ضوؤه قال فى فتح الرحمن الخسوف والكسوف معناهما واحد وهو ذهاب ضوء احد النيرين او بعضه وصلاة الكسوف سنة مؤكدة فاذا كسفت الشمس او القمر فزعوا للصلاة وهى لكسوف الشمس ركعتان كهيئة النافلة و يصلى بهم امام الجمعة و يطيل القراءة ولا يجهر ولا يخطب وخسوف القمر ليس له اجتماع و يصلى الناس فى منازلهم ركعتين كسائر النوافل (وجمع الشمس والقمر) فى ذهاب الضوء كما روى عن النبى عليه السلام او جمع بينهما فى الطلوع من المغرب او فى الالقاء فى النار ليكون حسرة على من يعبدهما و جاز تكرار القمر لانه اخبر عنه بغير الخبر الاول وقال القاشانى فاذا برق البصر اى تحير ودهش شاخصا من فزع الموت وخسف قمر القلب لذهاب نور العقل عنه وجمع شمس الروح وقمر القلب بان جعلا شيئا واحدا طالعا من مغرب البدن لا يعتبر لهما رتبتان كما كان حال الحياة بل اتحدا روحا واحدا انتهى (يقول الانسان) المنكر للقيامة وهو عامل فى اذا (يومئذ) اى يوم اذ تقع هذه الامور قول الآيس من حيث انه لا يرى شيئا من علامات ممكنة للفرار كما يقول من آيس من وجدان زيد اين زيد حيث لم يجد علامة اصابته (اين المفر) اى الفرار وقال سعدى المفتى ولعله لامنع من الابقاء على حقيقته والقول بصدور هذا الكلام بناء على توهمه لتحيره (كلا) ردع عن طلب المفر وتمنيه قال سعدى المفتى هذا لا يناسب ان يقوله قول الآيس اذ لا طالب حينئذ ثم قوله كلا من قول الله تعالى و جوز ان يكون من قول الانسان لنفسه وهو بعيد (لا وزر) لا ملجأ يعنى پناه كاه

نباشد كافرانرا مستعار من الجبل فان الوزر محركة الجبل المنيع ثم يقال لكل ما التجأت اليه وتحصنت به وزر تشبيها له به وخبر لا محذوف اى لا ملجأ ثمة او فى الوجود ومن بلاغات الزمخشرى اتل على كل من وزر كلا لا وزر اى اتل عليه هذه الآية ومعنى وزر الاول بالفارسية گناه كردن فان الوزر بالكسر الاثم وقال بعضهم

لعمرك ما فى الفتى من وزر * من الموت يدركه والكبر

اى لا ملجأ للفار من الموت والكبر اذ كل منهما من الامر الالهى والامر المحكم والقضاء المبرم يدرك الانسان لا محالة (الى ربك يومئذ المستقر) اى اليه تعالى وحده استقرار العباد اى لا يتوجهون الا الى حيث امرهم الله من مقام حسابه اوالى حكمه استقرار امرهم فان الملك يومئذ لله فهو كقوله ان الى ربك الرجعى وان الى ربك المنتهى واليه ترجعون اى الى حيث لا حاكم ولا مالك سواه اوالى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار فيكون المستقر اسم مكان وهو مرفوع بالابتداء والى ربك خبره ويومئذ معمول الى ربك ولا يجوز ان يكون معمول المستقر لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلا يتقدم معموله عليه وان كان اسم مكان فلا عمل له البتة وكذا الكلام فى قوله الى ربك يومئذ المساق ونحوه (ينبؤ الانسان يومئذ) اى يخبر كل امرئ برا كان اوفاجرا عند وزن الاعمال وحال العرض والمحاسبة والمخبر هو الله اوالملك بامره او كتابه بنشره (بما قدم) اى عمل من عمل خيرا كان اوشرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثانى (واخر) اى لم يعمل خيرا كان اوشرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثانى او بما قدم من حسنة اوسيئة وبما اخر من حسنة اوسيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به فى حياته وبما اخر فخلفه اووقفه اواوصى به او باول عمله وآخره (شيخ الاسلام عبدالله الانصارى قدس سره) فرموده كه گناه از پيش فرستى بجرأت ومال از پس بكذارى بحسرت كناه را بتوبه نيست كن تا نماند ومال را بصدقه پيش فرست تا بماند * كر فرستى ز پيش به باشد * كه بحسرت ز پس نكاه كنى * وفى الحديث ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر ايمن منه فلا يرى الا ما قدم من عمله وينظر اشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة (بل الانسان على نفسه بصيرة) الانسان مبتدأ وبصيرة خبره وعلى نفسه متعلق ببصيرة بتقدير على اعمال نفسه والموصوف محذوف اى بل هو حجة بصيرة وبينة واضحة على اعمال نفسه شاهدة جوارحه واعضاؤه بما صدر عنه من الافعال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتى من الجملة الحالية ووصفت بالبصارة مجازا فى الاسناد كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اوعين بصيرة اوذو بصيرة والتاء للمبالغة كما فى علامة ونسابة ومعنى بل الترقى اى ينبأ الانسان باعماله بل هو لا يحتاج الى ان يخبره غيره فانه يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك قال القاشانى بل الانسان حجة بينة يشهد بعلمه لبقاء هيئة اعماله المكتوبة عليه فى نفسه ورسوخها فى ذاته وصيرورة صفاته صور اعضائه فلا حاجة الى ان ينبأ من خارج * باش تا از صدمهٔ صور سر افيلى شود * صورت خوبت نهان وسيرت زشت آشكار (ولو القى معاذيره) حال من المستكن فى بصيرة او من مرفوع ينبأ اى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها بان يقول مثلا لم افعل اوفعلت لاجل كذا اولم اعمل اووجد مانع اوكنت فقيرا ذا عيال اوخفت فلانا اوطمعت فى عطائه الى غير ذلك من المعاذير الغير النافعة * چه چندين عذر انكيزى وچندين حيله هاسازى * چو ميدانى كه ميدانم وميدانم كه ميدانى * او ينبأ باعماله ولو اعتذر بكل عذر فى الذب عنها فان الذب والدفع لا رواج له يومئذ لانه يوم ظهور الحق بحقيقته والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر بلغة اهل اليمن اى ولو ارخى ستوره يعنى ان احتجابه واستتاره عن المخلوقات فى حال مباشرة المعصية فى الدنيا لا يغنى عنه شيأ لان عليه من نفسه بصيرة ومن الحفظة شهودا وفى الكشاف لانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب (لا تحرك به) اى بالقرآن (لسانك) مادام جبريل يقرأ ويلقى عليك (لتعجل به) اى بأخذه اى لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت (ان علينا جمعه) فى صدرك بحكم الوعد بحيث لا يخفى عليك شئ من معانيه (وقرآنه) بتقدير المضاف اى اثبات قراءته فى لسانك بحيث تقرأه متى شئت فالقرآن مصدر بمعنى القراءة كالغفران بمعنى المغفرة مضاف الى مفعوله والقراءة ضم الحروف

والكلمات بعضها الى بعض فى التنزيل وليس يقال ذلك لكل جمع لايقال قرأت القوم اذا جمعتهم (فاذا قرأناه) اى اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب التأنى (فاتبع قرآنه) اى فاشرع فيه بعد فراغ جبريل منه بلامهلة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاذا جمعناه واثبتناه فى صدرك فاعمل به وقال الواسطى رحمه الله جمعه فى السر وقرآنه فى العلانية (ثم ان علينا بيانه) اى بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه وسمى مايشرح المجمل والمبهم من الكلام بيانا لكشفه عن المعنى المقصود اظهاره وفى ثم دليل على انه يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب لاعن وقت الحاجة الى العمل لانه تكليف بمالايطاق قال اهل التفسير كان عليه السلام اذا القى الوحى نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحى كما قال تعالى ولاتعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ثم يقضيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه وعن بعض العارفين انه قال فيه اشارة الى صحة الاخذ عن الله بواسطة كانه تعالى يقول خذه عن جبريل كانك ماعلمته الامنه ولاتسابق بما عندك منا من غير واسطة واكابر المحققين يسمون هذه الجهة التى هى عدم الوسائط بالوجه الخاص والفلاسفة ينكرون هذا الوجه ويقولون لاارتباط بين الحق والموجودات الا من جهة الاسباب والوسائط فليس عندهم ان يقول الانسان اخبرنى ربى اى بلاواسطة وهم مخطئون فى هذا الحكم فانه لما كان ارتباط كل ممكن بالحق من حيث الممكن من جهتين جهة الوحدة وجهة الكثرة وجب ان تكون جهة الوحدة بلاواسطة وهو الوجه الخاص وجهة الكثرة بواسطة وهو الوجه العام ولما كان نبينا عليه السلام اكمل الخلق فى جهة الوحدة لكون احكام كثرته وامكانه مستهلكة بالكلية فى وحدة الحق واحكام وجوبه كان يأخذ عن الله بلاواسطة اى من الوجه الخاص وكان ينطبع فى قلبه مايريد الحق ان يخبره به فاذا جاءه الكلام من جهة الوسائط اى من الوجه العام بصور الالفاظ والعبارات التى اسند عنها احوال المخاطبين كان يبادر اليه بالنطق به لعلمه بمعناه بسبب تلقيه اياه من حيث اللا واسطة لينفس عن نفسه مايجده من الكربة والشدة التى يلقاها من مزاجه من التنزل الروحانى فان الطبيعة تنزعج من ذلك للمباينة الثابتة بين المزاج وبين الروح الملكى فعرف الحق نبينا عليه السلام ان القرآن وان اخذته عنا من حيث معناه بلا واسطة فان انزالنا اياه مرة اخرى من جهة الوسائط يتضمن فوائد زائدة منها مراعات افهام المخاطبين به لان الخلق المخاطبين بالقرآن حكم ارتباطهم بالحق انما هو من جهة سلسلة الترتيب والوسائط كما هو الظاهر بالنسبة الى اكثرهم فلايفهمون عن الله الا من تلك الجهة ومنها معرفتك اكتساء تلك المعانى العبارة الكاملة وتستجلى فى مظاهرها من الحروف والكلمات فتجتمع بين كمالاته الباطنة والظاهرة فتتجلى بها روحانيتك وجسمانيتك ثم يتعدى الامر منك الى امتك فيأخذ كل منهم حصته منه علما وعملا ففى قوله تعالى لاتحرك به لسانك الخ تعليم وتأديب اما التعليم فالاشارة اليه من ان باب جهة الوحدة مسدود على اكثر الناس فلايفهمون عن الله الامن الجهة المناسبة لحالهم وهى جهة الوسائط والكثرة الامكانية واما التأديب فانه لما كان الآتى بالوحى من الله جبريل فحتى يودر بذكر ماتى به كان كالتعجيل له واظهار الاستغناء عنه وهذا خلل فى الادب بلاشك سيما مع المعلم المرشد ومن هذا التقرير عرف ان قوله تعالى لاتحرك به الخ واقع فى البين بطريق الاستطراد فانه لما كان من شأنه عليه السلام الاستعجال عند نزول كل وحى على ماسبق من الوجه ولم ينه عنه الى ان اوحى اليه هذه السورة من اولها الى قوله ولوالقى معاذيره وعجل فى ذلك كسائر المرات نهى عنه بقوله لاتحرك الخ ثم عاد الكلام الى تكملة ماابتدئ به من خطاب الناس ونظيره مالوالقى المدرس على الطالب مسألة وتشاغل الطالب بشئ لايليق بمجلس الدرس فقال القى الى بالك وتفهم ماأقول ثم اكمل المسألة يقول الفقير ايده الله القدير لاح لى فى سر المناسبة وجه لطيف ايضا وهو ان الله تعالى بين قبل قوله لاتحرك به الخ جمع العظام ومتفرقات العناصر التى هى اركان ظاهر الوجود ثم انتقل الى جمع القرآن واجزائه التى هى اساس باطن الوجود فقال بعد قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ان علينا جمعه فاجتمع الجمع بالجمع والحمد لله تعالى وقد تحير طائفة من قدماء الروافض خذلهم الله تعالى حيث لم يجدوا المناسبة فزعموا ان هذا القرآن غير وبدل وزيد فيه ونقص وفى التأويلات النجمية اعلم ان كل ماامتد لاطلاق الشيئية عليه فله ملك وملكوت لقوله تعالى بيده ملكوت كل شئ

والقرآن اشرف الاشياء واكملها فله ايضا ملك وملكوت فاما ملكه فهو الاحكام والشرائع الظاهرة التى تتعلق بمصالح الامة من العبادات المالية والبدنية والجنايات والوصايات وامثالها واما ملكوته فهو الاسرار الالهية والحقائق اللاهوتية التى تتعلق بباطن خواص الامة واخص الخواص بل بخلاصة اخص الخواص من المكاشفات والمشاهدات السرية و المعاينات الروحية ولكل واحد من الملك و الملكوت مدركات يدرك بها لاغير لان الوجدانيات والذوقيات لاتسعها السنة العبارات لانها منقطع الاشارات فقوله لاتحرك الخ يشير الى عدم تعبيره بلسان الظاهر عن اسرار الباطن والحقائق الآتية عن تصرف العبارات فيها بالتعبير عنها او ان مظهره الجامع جامع بين ملك القرآن وملكوته وهو عليه السلام يتبع بظاهره ملكه و بباطنه ملكوته نسأل الله سبحانه ان يجعلنا من المتبعين للقرآن فى كل زمان (كلا) عود الى تكملة مابتدئ به الكلام يعنى نه چنانست اى آدميان كه كان برده آيد درامر عقبى (بل تحبون العاجلة) اى الدنيا يعنى دنياى شتاب كننده را (وتذرون الآخرة) فلاتعملون لها بل تنكرونها وفى التأويلات النجمية تحبون نعمة شهوة الدنيا وتذرون نعمة خمول الآخرة والخطاب للامة (وجوه يومئذ ناضرة) النضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من اثر النعم والناضر الغض الناعم من كل شئ اى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم ورونقه كما قال تعالى فى آية اخرى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره و يومئذ منصوب بناضرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام التفصيل (الى ربها ناظرة) قوله ناظرة خبر ثان للمبتدأ والى ربها متعلق بها والنظر تقليب البصر والبصيرة لادراك الشئ ورؤيته والمراد بنظر الوجوه نظر العيون التى فيها بطريق ذكر المحل وارادة الحال وهذا عند اهل القال واما عند اهل الحال فلاينحصر النظر فى البصر والاجاء القيد والله منزه عن ذلك بل ينقلب الباطن ظاهرا والظاهر بصرا بجميع الاجزاء فيشاهد الحق به كما يشاهد بالبصيرة فى الدنيا والآخرة عالم اللطافة ولذا لاحكم للقالب والجسد الظاهر هنا وانما الحكم للقلب والروح الظاهر صور الاعظاء بهما فاعرف جدا بزركى راپرسيدند كه راه ازكدام جانب است گفت ازجانب تونيست چون ازتو در گذشتى ازهمه جانبها راهست * چون بصديقان بپاكردند وزان ره ساختند * جز بدل رفتن دران ره يك قدم رابار نيست * والمعنى ان الوجوه تراه تعالى عيانا مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وحق لها ان تنضر وهى تنظر الى الخالق مثل مؤمن مثل بازاست بازرا چون بگيرند وخواهند كه شايستهٔ دست شاه گردد مدتى چشم او بدوزند بندى بر پايش نهند درخانهٔ تاريك بازدارند ازجفتش جدا كنند يك چندى بگرسنگيش مبتلى كنند تاضعيف ونحيف گردد ووطن خويش فراموش كند وطبع گذاشتگى دست بدارت آنكه بعاقبت چشمش بگشايد شمعى پيش وى بفروزند طبلى از بهر وى بزنند طعمهٔ گوشت پيش وى نهند ودست شاه مقروى سازند باخود كويد در كل عالم كرا بود اين كرامت كه مرا ست شمع پيش ديدهٔ من آواز طبل نواى من گوشت مرغ طعمهٔ من دست شاه جاى من برمثال اين حال چون خوانند كه بندهٔ مؤمن راحلهٔ خلت بوشانند وشراب محبت نوشانند باوى همين معاملت كنند مدتى درچهار ديوار لحد بازدارند كه رابى ازدست وروايى از قدم بستانند بينايى ازديده بردارند روز كار برين صفت بگذارند آنكه ناگاه طبل قيامت بزنند بنده ازخاك لحد سر برارد چشم بگشايد نور بهشت بيند دنيا فراموش كند شراب وصل نوش كند برمائدهٔ خلد بنشيند چنانچه آن باز چشم باز كند خودرا بردست شاه بيند بندهٔ مؤمن چشم باز كند خودرا قعد صدق بيند سلام ملك شنود ديدار ملك بيند ميان طوبى وزلفى وحسنى شادان ونازان درجلال وجمال حق نگران اينست كه رب العالمين گفت وليس هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره من الاشياء الكثيرة والاولى ان التقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة لان التقييد ببعض الاحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح المقتضى لعموم الاحوال وغير مناسب لقوله وجوه يومئذ ناضرة لعمومه فى الاحوال ولوسلم فالاختصاص ادعائى فان النظر الى غيره فى جنب النظر اليه لايعد نظرا بل هو بمنزلة العدم كما فى قوله زيد الجواد هكذا قالوا ولكن من اهل الجنة من فاز بالتجلى الذاتى الابدى الذى لاحجاب بعده ولا مستقر للكمل دونه وهو الذى اشار اليه عليه السلام بقوله صنف من اهل الجنة لايستتر الرب عنهم ولايحتجب وكان يذكره ايضا فى دعائه و يقول واسألك لذة النظر الى وجهك الكريم ابدا دائما

سرمدا دون ضراء مضره ولافتنة مضلة فالضراء المضرة حصول الحجاب بعد التجلى اوالتجلى بصفة تستلزم سد الحجب والفتنة المظلة كل شبهة توجب خللا اونقصا فى العلم والشهود اورده اند اورا دهريك از اوتاد اين كلما تست اللهم انى اسألك النظرة الى وجهك الكريم هركس بيهشت آزرويى دارد وعاشق جز آرزوى ديدن ديدار ندارد پيرطريقت كنت بهرة عارف در بهشت سه چيز است سماع وشراب وديدار سماع راكفت فهم فى روضة يحبرون شراب راكفت وسقاهم ربهم شرابا طهورا ديدار كفت (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) سماع بهرة كوش شراب بهرة لب ديدار بهرة ديده سماع واجد از شراب عاشقان از ديدار محبان از سماع طرب افزايد شراب زيان كشايد ديدار صفت رايد سماع مطلوب را نقد كند شراب راز جلوه كند ديدار عارف را فرد كند سماع راهفت اندام رهى كوش چون ساقى اوست شراب همه نوش ديدار راز پرهموى ديدة روشن ثم ان جميع اهل السنة حملوا هذه الآية على انها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى بلا تكييف ولا تحديد ولا يصح تأويل من قال لاضرر بها ونحوه وجعله الزمخشرى كناية عن معنى التوقع والرجاء على معنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الامن ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه وجوابه انه لا يعدل الى الكناية بلا ضرورة داعية اليها وهى ههنا مفقودة فالاحاديث الصحيحة تدل على تعين جانب الحقيقة واما قوله عليه السلام جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه حيث ان المعتزلة قالوا ان الرداء حجاب بين المرتدى والناظرين فلا تمكن الرؤية فجوابه انهم حجبوا عن ان المرتدى لا يحجب عن الحجاب اذ المراد بالوجه الذات وبرداء الكبرياء هو العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامعة للحقائق الامكانية والالهية يعنى رداء كبرياء نفس مظهرست ومشاهدة ذات بدون مظهرى محالست والرداء هو الكبرياء واضافته للبيان والكبرياء رداؤه الذى يلبسه عقول العلماء بالله للتفهيم فلا رداء هناك حقيقة فالرتبة الحجابية باقية ابدا وهى رتبة المظهر لانها كالمرآة واما قوله عليه السلام حين سئل هل رأيت ربك ليلة المعراج فقال نور انى اراه فمعناه ان النور المجرد لا تمكن رؤيته يعنى انما تتعذر الرؤية والادراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والاضافات فاما فى المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالادراك ممكن ومن المعتزلة من فسر النظر بالانتظار وجعل قوله الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى الرب جمعه آلاء فيكون مفعولا مقدما لقوله ناظرة بمعنى منتظرة والتقدير وجوه يومئذ منتظرة نعمة ربها ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه سواء اريد به المعنى الحقيقى اواريد به العين بطريق ذكر المحل وارادة الحال وتفسير الوجه بالذات وجملة الشخص خلاف الظاهر وبان الانتظار لا يعدى بالى ان جعل حرفا واخذه بمعنى النعمة فى هذا المقام يخالف المعقول لان الانتظار يعدمن الآلام ونعيم الجنة حاضر لاهلها ويخالف المنقول ايضا وهو انه عليه السلام قال ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة الف سنة يعنى تاهزال ساله راه اترايند واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية يعنى بمقدار ازان ثم قرأ عليه السلام وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقد فسر النظر بنظر العين والرؤية فظهر ان المخالف اتبع رأيه وهوا (وروى) انه عليه السلام نظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته وهو بفتح التاء وتشديد الميم من الضم اصله لا تتضامون اى لا ينضم بعضكم الى بعض ولا يقول ارتبه بل كل يتفرد برؤيته وروى بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم فتكون التاء حينئذ مضمومة يعنى لا يناكم ظلم بان يرى بعضكم دون بعض بل تستوون كلكم فى رؤيته تعالى وهذا حديث مشهور تلقته الامة بالقبول ومعنى التشبيه فيه تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح لا تشبيه المرئى بالمرئى فثبت ان المؤمنين يرونه بغير كيف ولا كم وضرب من مثال فينسون النعيم اذا راوه فياخسران اهل الاعتزال وسئل مالك بن انس رضى الله عنهما عن قوله تعالى الى ربها ناظرة وقيل له ان قوما يقولون الى ثوابه فقال مالك كذبوا فان هم عن قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم قال الناس ينظرون الى الله باعينهم ولولم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعذب الله الكفار بالحجاب وقال صاحب العقد الفريد ومن اعتقد غير هذا فهو مبتدع زنديق وقد يشهد للمطلوب ويرد دعوى اهل البدعة ان الرؤية هى اللذة الكبرى فكيف يكون المؤمنون محرومين منها والدار دار اللذة فينبغى للمؤمن ان تكون

همته من نعم الجنة نعمة اللقاء فان غيرها نعم بهيمية مشتركة قال بعض العارفين دلت الآية على ان القوم ينظرون الى الله تعالى فى حال الصحو والبسط لان النضرة من امارات البسط فلا يتداخلهم حياء ولا دهشة والانقباض عيشهم بل لو عاينوه بوصف الجلال الصرف لهلكوا فى اول سطوة من سطواته فهم يرونه فى حال الانس بنوره بل به يرونه وهنالك وجود العارف كله عين يرى حبيبه بجميع وجوده وتلك العيون مستفادة من تجلى الحق فيقوم لهم بالنظر من نفسه الى نفسه ويظهر سر الوحدة بين العاشق والمعشوق والرؤية تقتضى بقاء الرائى وهو من مقتضيات عالم الصفات واستهلاك العبد فى وجود الحق اتم كما هو مقتضى عالم الذات قال النصرابادى قدس سره من الناس ناس طلبوا الرؤية واشتاقوا اليه تعالى ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله اياهم فقالوا رؤيتنا ونظرنا فيه علل ورؤيته ونظره بلا علة فهو اتم بركة واشمل نفعا وقال بعضهم القرب المذكور فى قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو الذى منع الخلق عن الادراك للحق كما ان الهواء لما كان مباشرا لحاسة البصر لم يدركه البصر وكذلك الماء اذا غاص الغائص فيه وفتح عينيه يمنعه قربه من حاسة بصره ان يراه والحق اقرب الى الانسان من نفسه فكان لا يرى لقربه كما انه تعالى لا يرى لبعده وعلو ذاته ابن التراب من رب الارباب ولكن اذا اراد العبد ان يراه تنزل من علوه ورفع عبده الى رؤيته فرآه به ولذلك قال عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر وهما فى شأنهما متوسطان فى القرب والبعد فغاية القرب حجاب كما ان غاية البعد حجاب والكل يراه فى الدنيا لا يعرف انه هو وفرق بين العارف وغيره الا ترى انه اذا كان فى قلبك لقاء شخص وانت لا تعرفه بعينه فلقيك وسلم عليك وانت لم تعرفه فقد رأيته وما رأيته كالسلطان اذا دار فى بلده متنكرا فانه يراه كثير من الناس ولا يعرفه ثم ان منهم من يقول لم يتيسر لى رؤية السلطان الى الآن وانا اريد ان انظر اليه مع انه نظر اليه مرارا فهو فى حال بصره اعمى فما اشد حجابه ثم انه لو اتفق له النظر اليه فربما لا يتعمق ففرق بين ناظر وناظر بحسب حدة بصره وضعفه ولذا قالوا انما تفاوتت الافراد فى حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذى لا نقص فيه لانهم انما يشهدون فى حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا فى الفضيلة وقال بعض العارفين الخلق اقرب جار للحق تعالى وذلك من اعظم البشرى فان للجار حقا مشروعا معروفا يعرفه العلماء بالله فينبغى لكل مسلم ان يحضر هذا الجوار الالهى عند الموت حين يطلب من الحق ما يستحقه الجار على جاره من حيث ما شرع قال تعالى لنبيه عليه السلام قل رب احكم بالحق اى الحق الذى شرعته لنا تعاملنا به حتى لا ننكر شيأ منه مما يقتضيه الكرم الالهى فهو دعاء افتقار وخضوع وذل (حكى) ان الحجاج اراد قتل شخص فقال له لى اليك حاجة قال ما هى قال اريد ان امشى معك ثلاث خطوات ففعل الحجاج فقال الشخص حق هذه الصحبة ان تعفو عنى ففعل (ووجوه يومئذ) يتعلق قوله (باسرة) اى شديدة العبوس مظلمة ليس عليها اثر السرور اصلا وهى وجوه الكفرة والمنافقين وقال الراغب البسر الاستعجال بالشئ قبل اوانه فان قيل فقوله وجوه يومئذ باسرة ليس يفعلون ذلك قبل الموت وقد قلت ان ذلك يقال فيما كان قبل وقته قيل ان ذلك اشارة الى حالهم قبل الانتهاء بهم الى النار فخص لفظ البسر تنبيها على ان ذلك مع ما ينالهم من بعد يجرى مجرى التكلف ومجرى ما يفعل قبل وقته ويدل على ذلك قوله تعالى (تظن) تتوقع اربابها بحسب الامارات والجملة خبر بعد خبر ورجح ابو حيان والطيبى تفسير الظن بمعنى اليقين ولا ينافيه ان المصدرية كانوهم فانها انما لا تقع بعد فعل التحقق الصرف فاما بعد فعل الظن او ما يؤدى معنى العلم فتجئ المصدرية والمشددة والمخففة نص عليه الرضى (ان يفعل بها فاقرة) داهية عظيمة تقصم فقار الظهر ومنه سمى الفقير فان الفقر كسر فقار ظهره فجعله فقيرا اى مفقورا وهو كناية عن غاية الشدة وعدم القدرة على التحمل فهى تتوقع ذلك كما تتوقع الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير بناء على ان قضية المقابلة بين الآيتين تقتضى ذلك قال بعضهم اصح آنست كه آن بلا حجابست از رؤيت رب الارباب (مصراع) كه از فراق بتر در جهان بلايى نيست * وفى التأويلات النجمية وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة لا الى غيره بسبب الاعراض عن الدنيا فى هذا اليوم والاقبال على الله ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة بسبب الاقبال على الدنيا فى هذا اليوم والادبار عن الله جزاء وفاقا وقال بعضهم وجوه يومئذ ناضرة للتنور بنور القدس والاتصال بعالم النور والسرور والنعيم الدائم ووجوه يومئذ باسرة كالحة لجهامة هيئاتها وظلمة مابها من الجحيم والنيران وسماجة ما تراه هنالك

من الاهوال وسوء الجيران (كلا) ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذى ينقطع عنده مابينكم وبين العاجلة من العلاقة (اذا بلغت التراقى) الضمير للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها وتقول العرب ارسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء اى اذا بلغت النفس الناطقة وهى الروح الانسانى اعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال فاذا بلغت اليها يكون وقت الغرغرة وبالفارسية چون برسد روح باستخوانهاى سينه وكردن * وفى كشف الاسرار آن وقت كه جان بحنبر كردن رسد * جمع ترقوة بفتح التاء والواو وسكون الراء وضم القاف قال فى القاموس الترقوة ولا تضم تاؤه العظم بين ثغرة النحر والعاتق انتهى * والعاتق موضع الرداء من المنكب قال بعضهم لكل احد ترقوتان ولكن جمع التراقى باعتبار الافراد وبلوغ النفس التراقى كناية عن عدم الاشفاء * يعنى بكنارهٔ اورسيدن ونزديك شدن * والعامل فى اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق اى اذا بلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت الى الله اى الى موضع امر الله ان ترفع اليه (وقيل من راق) معطوف على بلغت وقف حفص على من وقفة يسيرة من غير تنفس قال بعضهم لعل وجهه استثقال الراء المشددة التى بعدها قاف غليظة التلفظ فى الادغام واستكراه القطع التام بين المبتدأ والخبر والاستفهام والمستفهم عنه فى النفس والفرار من الاظهار دون سكتة لانه يعد من اللحن عند اتصال النون الساكنة بالراء بين اهل القراءة وقال من حضر صاحبها من يرقيه * يعنى افسون ميكنند * وينجيه مما هو فيه من الرقية وهو التعويذ بما به يحصل الشفاء كما يقال بسم الله ارقيك وفعله من باب ضرب والاستفهام على هذا يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كأن الذين حول ذلك الانسان طلبوا له طبيبا يعالجه وراقيا يرقيه ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار كما يقال عند اليأس من الذى يقدر ان يرقى هذا الانسان المشرف على الموت وهو الظاهر كما قال الراغب من راق اى من يرقيه تنبيها على انه لا راقى يرقيه فيحييه وذلك اشارة الى نحو ما قال

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

التميمة خرزات كان العرب يعلقونها على اولادهم خوفا من العين وهو باطل لقوله عليه السلام من علق تميمة فقد اشرك واياها اراد صاحب البيت المذكور وقيل هو من كلام ملائكة الموت يقولون ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة اوملائكة العذاب من الرقى وفعله من باب علم وقوله ملائكة الرحمة لا يمانعه قوله فلا صدق ولا صلى الآيات لان الضمير فيه لجنس الانسان فلا يتعين كون المحتضر من اهل النار قال الكلبى يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقى نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه الى السماء فهو قوله من راق وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر (وظن انه الفراق) وايقن المحتضر حين عاين ملائكة الموت ان ما نزل به هو الفراق من الدنيا المحبوبة ونعيمها التى ضيع العمر النفيس فى كسب متاعها الخسيس وعبر عما حصل له من المعرفة حينئذ بالظن لان الانسان مادامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع فى الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة قال الامام هذه الآية تدل على ان الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت المعدن لان الله تعالى سمى الموت فراقا والفراق انما يكون اذا كانت الروح باقية فان الفراق والوصال صفة وهى تستدعى وجود الموصوف قال المزنى دخلت على الشافعى فى مرض موته فقلت كيف اصبحت قال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملى ملاقيا ولكأس المنية شاربا وعلى الله واردا فلا ادرى اروحى تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشأ يقول

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى * جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته * بعفوك ربى كان عفوك اعظما

وقال بعضهم

فراق ليس يشبهه فراق * قد انقطع الرجاء عن التلاق

وفى الحديث ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام عليك افارقك وتفارقنى الى يوم القيامة (قال الشيخ سعدى) كوس رحلت بكوفت دست اجل *

اى در چشم وداع سر بكنيد * اى كف ودست و ساعد وبازو * همه توديع يكديگر بكنيد * يرمن افتاده مرك دشمن كام * آخرى اى دوستان كذر بكنيد * روزكارم بشد بنادانى * من نكردم اشما حذر بكنيد * قال يحيى بن معاذ رحمه الله اذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره اربعة املاك واحد عند رأسه والثانى عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن يساره فيقول الذى عند رأسه يا ابن آدم ارفضت الآجال اى تفرقت وانضيت الآمال اى هزلت ويقول الذى عن يمينه ذهبت الاموال وبقيت الاعمال ويقول الذى عن يساره ذهبت الاشغال وبقى الوبال ويقول الذى عند رجليه طوبى لك ان كان كسبك من الحلال وكنت مشتغلا بخدمة ذى الجلال (والتفت الساق بالساق) الالتفات برهم پيچيدن اى والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت فالساق العضو المخصوص والتفافهما اجتماعهما والتواء احداهما بالاخرى او التفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل فى الشدة وجه المجاز ان الانسان اذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق من حيث ان ظهورها لازم لظهور ذلك الامر وقد سبق فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه (الى ربك يومئذ المساق) اى الى الله والى حكمه يساق الانسان لا الى غيره اى يساق الى حيث لا حكم هناك الا الله (وقال الكاشفى) بسوى جزاى پروردكار تو باز كشت باشد همه كس را فالمساق مصدر ميمى بمعنى السوق بالفارسية راندن والالف واللام عوض عن المضاف اليه اى سوق الانسان (فلا صدق) الانسان ما يجب تصديقه من الرسول والقرآن الذى نزل عليه اى لم يصدق فلا ههنا بمعنى لم وانما دخلت على الماضى لقوة التكرار يعنى حسن دخول لا على الماضى تكراره كما تقول لا قام ولا قعد وقلما تقول العرب لا وحدها حتى تتبعها اخرى تقول لا زيد فى الدار ولا عمرو او فلا صدق ماله بمعنى لا زكاه فحينئذ يطلب وجه لترجيح الزكاة على الصلاة مع ان دأب القرآن تقديم الصلاة ولعل وجهه ما كان كفار مكة عليه من منع المساكين وعدم الحض على طعامهم فى وقت الضرورة القوية وايضا فى تأخير ولا صلى مراعاة الفواصل كما لا يخفى (ولا صلى) ما فرض عليه وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة يعنى ان الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقها بترك الايمان وان لم يجب اداؤها عليه فى الدنيا (ولكن كذب) ما ذكر من الرسول والقرآن والاستدراك لدفع احتمال الشك فان نفى التصديق لا يستلزم اثبات التكذيب لكون الشك بين التصديق والتكذيب فاذا لا تكرار فى الآية (وتولى) واعرض عن الطاعة لله ولرسوله (ثم ذهب الى اهله) اهل بيته او الى اصحابه (يتمطى) يتبختر ويختال فى مشيه افتخارا بذلك وبالفارسيه پس باز كشت بسوى كسان خود مى خراميد از روى افتخار كه من چنين وچنين كارى كرده ام يعنى تكذيب وتولى من المط وهو المد فان المتبختر يمد خطاه يعنى ان التمدد فى المشى من لوازم التبختر فجعل كناية عنه فيكون اصله يتمطط بمعنى يتمدد ابدلت الطاء الاخيرة ياء كراهة اجتماع الامثال كما فى تقضى البازى او من المطا مقصورا وهو الظهر فانه يليه ويحركه فى تبختره فالفه مبدلة من واو ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب وفى الحديث اذا مشت امتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم والمطيطاء كحميراء التبختر ومد اليدين فى المشى والبأس شدة الحرب (اولى لك) واى برتو اى انسان مكذب (فاولى) پس واى برتو (ثم اولى لك فاولى) تكرير للتأكيد فهو مستعمل فى موضع ويل لك مشتق من الولى وهو القرب والمراد دعاء عليه بان يليه مكروه واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم نقل الثلاثى الى افعل فعدى الى مفعولين وفى القاموس اولى لك تهديد ووعيد اى قاربه ما يهلكه او اولى لك الهلاك فيكون اسما بمعنى احرى اى الهلاك اولى واحرى لك من كل شئ فيكون خبر مبتدأ محذوف (وقال الكاشفى) اولى لك سزا وارست ترا مر كى سخت فاولى پس سزا وارست ترا عذاب اليم در قبر ثم اولى لك پس نيك سزا وارست ترا هول قيامت فاولى پس بغايت سزاست ترا خلود در دوزخ وروى انه لما نزلت هذه الآية اخذ رسول الله بمجامع ثوب ابى جهل بالبطحاء وهزه مرة او مرتين ولكزه فى صدره وقال له اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدنى يا محمد ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيأ وانى لاعز اهل هذا الوادى فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله اسوء قتلة اقعصه ابنا عفراء واجهز عليه ابن مسعود رضى الله عنه

واقعصه قتله مكانه واجهز على الجريح اثبت قتله واسرعه وتمم عليه وكان رسول الله عليه السلام يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابوجهل (ايحسب الانسان ان يترك سدى) اى يحيى حال كونه مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك فى قبره فلا يبعث والسدى المهمل يقال اسديت ابلى اسداء اى اهملتها وتقول اسديت حاجتى وسديتها اذا اهملتها ولم تقضها وتكرير الانكار لحسبانها يتضمن تكرير انكاره المحشر ويتضمن الاستدلال على صحة البعث ايضا وتقريره ان اعطاء القدرة والآلة والفعل بدون التكليف والامر بالمحاسن والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضيا بقبائح الاعمال وذلك لايليق بحكمته فاذا لابد من التكليف فى الدنيا والتكليف لايليق بالكريم الرحيم الا ان يميز الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المفسدين فى الارض ولا يجعل المتقين كالفجار ويجازى كل نفس بما تسعى والمجازاة قد لاتكون فى الدنيا فلابد من البعث والقيامة وانما لم تكن الدنيا دار المجازاة لضيقها وقد قال بعض الكبار من طلب تعجيل نتائج اعماله واحواله فى هذه الدار فقد اساء الادب وعامل الموطن بما لا تقتضيه حقيقته (الم يك نطفة من منى يمنى) الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق وقال ابن الشيخ هو استدلال على صحة البعث بدليل ثان والاستفهام بمعنى التوبيخ والنطفة بالضم الماء الصافى قل او كثر والمنى ماء الرجل والمرأة اى ماخلق منه حيوان فالحيل لايكون الا من الماءين ويمنى بالياء صفة منى وبالتاء صفة نطفة بمعنى يصب ويراق فى الرحم ولذا سميت منى كالى وهى قرية بمكة لما يمنى فيها من دماء القرابين والمعنى الم يكن الانسان ماء قليلا كائنا من ماء معروف بخسة القدر واستقذار الطبع واذا تكرهما يمنى ويصب فى الرحم نبه سبحانه بهذا على خسة قدر الانسان اولا وكمال قدرته ثانيا حيث صير مثل هذا الشئ الدنى بشرا سويا وقال بعضهم فائدة قوله يمنى للاشارة الى حقارة حاله كأنه قيل انه مخلوق من المنى الذى يجرى على مخرج النجاسة فكيف يليق بمثل هذا ان يتمرد عن طاعة الله فيما امره ونهى الا انه تعالى عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما فى قوله تعالى فى عيسى ومريم عليهما السلام كانا يأكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة كنايه (ثم كان علقة) اى ثم كان المنى بعد اربعين يوما قطعة دم جامد غليظ احمر بقدرة الله تعالى بعد ما كان ماء ابيض كقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة وهو عطف على قوله الم يك لان انكار عدم الكون يفيد ثبوت الكون فالتقدير كان الانسان نطفة ثم كان علقة (فخلق) اى فقدر بان جعلها مضغة مخلقة بعد اربعين اخرى اى قطعة لحم قابل لتفريق الاعضاء وتمييز بعضها من بعض وجعل المضغة عظاما تتميز بها الاعضاء بان صلبها فكسا العظام لحما يحسن به خلقه وتصويره ويستعد لافاضة القوى ونفخ الروح (فسوى) فعدل له وكمل نشأته (قال الكاشفى) پس راست كرد صورت واندام اورا وروح در دميد وفى المفردات جعل خلقه على ما اقتضته الحكمة الالهية اى جعله معادلا لما تقتضيه الحكمة وقال بعضهم معنى التسوية والتعديل جعل كل عضو من اعضائه الزوج معادلا لزوجه (فجعل منه) اى من الانسان باعتبار الجنس اومن المنى وجعل بمعنى خلق ولذا اكتفى بمفعول واحد وهو قوله (الزوجين) اى الصنفين (الذكر والانثى) بدل من الزوجين ويجوز ان يكونا منصوبين باضمار اعنى ولا يخفى ان الفاء تفيد التعقيب فلابد من مغايرة بين المتعاقبين فلعل قوله فخلق فسوى محمول على مقدار مقدر من الخلق يصلح به للتفرقة بين الزوجين وقوله فجعل منه الزوجين على التفرقة الواقعة (اليس ذلك) العظيم الشان الذى انشأ هذا الانشاء البديع (بقادر على ان يحيى الموتى) وهو اهون من البدء فى قياس العقل لوجود المادة وهو يجب الذنب والعناصر الاصلية (روى) ان النبى عليه السلام كان اذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى تنزيها له تعالى عن عدم القدرة على الاحياء واثباتا لوقوعها عليه وفى رواية بلى والله بلى والله وقال ابن عباس رضى الله عنهما من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان اوغيره فليقل سبحان ربى الاعلى ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فاذا انتهى الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان اوغيره وفى الحديث (من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل سبحانك بلى ومن قرأ والمرسلات عرفا فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله) وفى الآية اشارة الى ان الله يحيى موتى اهل الدنيا بالاعراض عنها والاقبال على الآخرة والمولى

وايضا يحيي موتى النفوس بسطوع انوار القلوب عليها وايضا يحيي موتى القلوب تحت ظلمة النفوس الكافرة الظالمة بنور الروح والسر والخفى ومن اسند العجز الى الله فقد كفر بالله نسأل الله تعالى العصمة وحسن الخاتمة تمت سورة القيامة بعون من له الرحمة العامة فى الحادى والعشرين من ذى الحجة من سنة ست عشرة ومائة والف

(سورة الانسان احدى وثلاثون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل اتى) استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى اى قد اتى وبالفارسية آيا آمد يعنى بدرستى كه آمد تركوا الالف قبل هل لانها لاتقع الا فى الاستفهام وانما لزوم اداة الاستفهام ملفوظة اومقدرة اذا كان بمعنى قد ليستفاد التقرير من همزة الاستفهام والتقريب من قد فانها موضوعة لتقريب الماضى الى الحال والدليل على ان الاستفهام غير مراد ان الاستفهام على الله محال فلابد من حمله على الخبر تقول هل وعظتك ومقصودك ان تحمله على الاقرار بانك قد وعظته وقد يجيء بمعنى الجحد تقول وهل يقدر احد على مثل هذا فتحمله على ان يقول لايقدر احد غيرك (على الانسان) قبل زمان قريب والمراد جنس الانسان لقوله من نطفة لان آدم لم يخلق منها ثم المراد بالجنس بنو آدم او مايعمه وبنيه على التغليب او نسبة حال البعض الى الكل للملابسة على المجاز (حين من الدهر) الحين زمان مطلق ووقت مبهم يصلح لجميع الازمان طال اوقصر وفى المفردات الحين وقت بلوغ الشئ وحصوله وهو مبهم ويتخصص بالمضاف اليه نحو ولات حين مناص ومن قال حين على اوجه للاجل والمنية وللساعة وللزمان المطلق انما فسر ذلك بحسب ماوجده قد علق به والدهر الزمان الطويل والمعنى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد وهى مدة لبثه فى بطن امه تسعة اشهر الى ان صار شيأ مذكورا على ماذهب اليه ابن عباس رضى الله عنهما (لم يكن) فيه فالجملة صفة اخرى لحين بحذف الضمير (شيأ مذكورا) بل كان شيأ منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا نطفة فى الاصلاب فابين كونه نطفة وكونه شيأ مذكورا بالانسانية مقدارا محدود من الزمان وتقدم عالم الارواح لا يوجب كونه شيأ مذكورا عند الخلق مالم يتعلق بالبدن ولم يخرج الى عالم الاجسام (روى) ان الصديق اوعمر رضى الله عنهما كانا فى عين المعانى لما سمع رجلا يقرأ هذه الآية بكى وقال ليتها تمت فلاشئ اراد ليت تلك تمت وهى كونه شيأ غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف ومعنى الاستفهام التقريرى فى الآية ان يحمل من ينكر البعث على الاقرار بانه نعم اتى عليه فى زمان قريب من زمان الحال حين من الدهر لم يكن فيه شيأ مذكورا فيقال له من احدثه بعد ان لم يكن كيف يمتنع عليه بعثه واحياؤه بعد موته وقال القاشانى اى كان شيأ فى علم الله بل فى نفس الامر لقدم روحه ولكنه لم يذكر فيما بين الناس لكونه فى عالم الغيب وعدم شعور من فى عالم الشهادة به وفى التأويلات النجمية اعلم ان للانسان صورة علمية غيبية وصورة عينية شهادية وهو من حيث كلتا الصورتين مذكور عند الله ازلا وابدا لايعزب عن علمه مثقال ذرة لعلمه الازلى الابدى بالاشياء قبل ايجاد الاشياء وقبل وجودها خلق الخلق وهم معدومون فى كتم العدم وعلمه بنفسه يستلزم علمه باعيان الاشياء لان الاشياء مظاهر اسمائه وصفاته وهى عين ذاته فافهم اى ماتى على الانسان حين من الاحيان وهو كان منسيا فيه بالنسبة الى الحق وكيف وهو مخلوق على صورته وصورته حاضرة له مشهودة عنده وهل للاستفهام الانكارى بخلاف المجحود بين عن علم المعرفة والحكمة الالهية وقال جعفر الصادق رضى الله عنه هل اتى عليك يا انسان وقت لم يكن الله ذاكرا لك فيه (انا خلقنا الانسان) اى خلقناه يعنى جسمه والاظهار لزيادة التقرير (من نطفة) حتى كان علقه فى اربعين يوما ومضغة فى ثمانين ومنفوخا فيه الروح فى مائة وعشرين يوما كما كان ابوهم آدم خلق من طين فالق بين مكة والطائف فاقام اربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام اربعين سنة اخرى ثم من صلصال فاقام اربعين سنة اخرى فتم خلقه فى مائة وعشرين سنة فنفخ فيه الروح على ماجاء فى رواية الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما فما كان سنين فى آدم كان اياما فى اولاده وحمل بعضهم الانسان الاول على آدم والثانى على اولاده على ان يكون الحين هو الزمن الطويل الممتد الذى لايعرف مقداره والاول وهو حمله فى كلا الموضعين على الجنس اظهر لان المقصود تذكير الانسان كيفية الخلق بعد ان لم يكن ليتذكر اول امره من عدم كونه شيأ مذكورا واوآخر امره من كونه شيأ مذكورا مخلوقا من ماء حقير فلا يستبعد البعث كما سبق

(امشاج) اخلاط بالفارسية آميختها جمع مشج كسبب او كتف على لغتيه او مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته وصف النطفة بالجمع مع افرادها لما ان المراد بها مجموع الماءين يختلطان فى الرحم ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد فيخلق منهما الولد فايهما على صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة على ماروى فى المرفوع وفى الخبر ما من مولود الا وقد ذر على نطفته من تربة حفرته كل واحد منهما مشيج بالآخر وقال الحسن رحمه الله نطفة مشيجة بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت ارتفع الحيض واليه ذهب صاحب القاموس حيث قال ونطفة امشاج مختلطة بماء المرأة ودمها انتهى فيكون النطفتان ودمها جمعا وقال الراغب هو عبارة عما جعل الله بالنطفة من القوى المختلفة المشار اليها بقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية انتهى فيكون معنى امشاج الوان واطوار على ما قال قتادة وفى التأويلات النجمية اى من نطفة قوة القابلية الممتشجة المختلطة بنطفة قوة الفاعلية اى خلقنا من نطفة الفيض الاقدس المتعلق بالفاعل و نطفة الفيض المقدس المتعلق بالقابل فالفيض الاقدس الذاتى بمنزلة ماء الرجل والفيض المقدس الاسمائى بمنزلة ماء المرأة (نبتليه) حال مقدرة من فاعل خلقنا اى مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما سيأتى ليتعلق علمنا باحواله تفصيلا فى العين بعد تعلقه بها اجمالا فى العلم و ليظهر احوال بعضهم لبعض من القبول والرد والسعادة والشقاوة (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء اى عن ارادته فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء كانه قيل انا خلقناه مريدين تكليفه فاعطيناه ما يصح معه التكليف و الابتلاء وهو السمع والبصر وسائر آلات التفهيم والتمييز وطوى ذكر العقل لان المراد ذكر ما هو من اسبابه والآلة التى بها يستكمل فطريقه الاول لاكثر الخلق من السعداء السمع ثم البصر ثم تفهم العقل وفى اختيار صيغة المبالغة اشارة الى كمال احسانه اليه وتمام انعامه و بصيرا مفعول ثان بعد ثان لجعلناه وفى التأويلات النجمية فجعلناه سميعا جميع المسموعات بصيرا جميع المبصرات كما قال كنت سمعه و بصره فبى يسمع و بى يبصر فلا يفوته شئ من المسموعات ولا من المبصرات فافهم جدا يا مسكين وقال ابو عثمان المغربى قدس سره ابتلى الله الخلق بتسعة امشاج ثلاث فتنات هى سمعه و بصره ولسانه وثلاث كافرات هى نفسه وهواه وعدوه الشيطان وثلاث مؤمنات هى عقله وروحه وقلبه فاذا ايد الله العبد بالمعونة قهر العقل على القلب فلكه واستأسر النفس والهوى فلم يجدا الى الحركة سبيلا فجانست النفس الروح وجانس الهوى العقل وصارت كلمة الله هى العليا قال الله تعالى قاتلوهم حتى لا تكون فتنة (انا هديناه السبيل) مرتب على ما قبله من اعطاء الحواس فانه استئناف تعليلى لجعله سميعا بصيرا يعنى ان اعطاء الحواس الظاهرة والباطنة والتحلى بها متقدم على الهداية والمعنى اريناه وعرفناه طريق الخير والشر والنجاة والهلاك بانزال الآيات ونصب الدلائل كما قال وهديناه النجدين اى بيناله طريق الخير والشر فان النجد الطريق الواضح المرتفع فالمراد بالهداية مجرد الدلالة لا الدلالة الموصلة الى البغية كما فى بعض التفاسير (اما شاكرا واما كفورا) حالان من مفعول هديناه قال فى الارشاد اى مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعا فاما التفصيل ذى الحال فانه مجمل من حيث الدلالة على الاحوال لا يعلم ان المراد هدايته فى حال كفره او فى حال ايمانه و بالتفصيل تبين انها تعلقت به فى كل واحدة من الحالتين فالشاكر الموحد والكفور الجاحد لان الشكر الاقرار بالمنعم ورأس الكفران جحوده و يقال شاكرا لنعمة و كفورها قال الراغب الكفور يقال فى كافر النعمة وكافر الدين جميعا و يجوز ان يكون اما للتقسيم بان يعتبر ذو الحال من حيث انه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هى و يجعل كل واحد من مدخولى اما قيدا له فيحصل بالتقييد بكل منهما قسم منه اى مقسوما اليهما بعضهم شاكرا بالاهداء والاخذ فيه و بعضهم كفورا بالاعراض عنه وايراد الكفور لمراعاة الفواصل اى رؤوس الآى والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط والشكور قليل منهم ولذا لم يقل اما شكورا واما كفورا واما شاكرا واما كافرا والحاصل ان الشاكر

والكفور كنايتان عن المثاب والمعاقب ولما لم يكن مجرد الكفران مستلزما للمؤاخذة لم يصح ان يجعل كناية عنها بخلاف مجرد الشكر فانه ملزوم الاثابة بمقتضى وعد الكريم فادير امر الاثابة على مطلق الشكر لاعلى المبالغة فيه كما ادير امر المؤاخذة على المبالغة فى الكفران لاعلى اصله وكل ذلك بمقتضى سعة رحمة الله وسبقها على غضبه وقرأ ابو السماك بفتح الهمزة فى اما وهى قراءة حسنة والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا واما كونه كفورا فبسوء اختياره وفى التأويلات النجمية انا خيرناه فى الاهتداء الى سبيل الشكر المتعلق باليد اليمنى الجمالية اوالى سبيل الكفر المتعلق باليد اليسرى الجلالية فاختار بعضهم سبيل الشكر من مقتضى حقائقهم واستعداداتهم الازلية واختار بعضهم سبيل الكفر من مقتضى حقائقهم وقابلياتهم الازلية ايضا كما قال هؤلاء اهل الجنة ولا ابالى وهؤلاء اهل النار ولا ابالى اى المدح والذم يتعلق بهم لا بى ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعيد والوعد فقال (انا اعتدنا) هيأنا فى الآخرة فان الاعتاد اعداد الشئ حتى يكون عتيدا حاضرا متى احتيج اليه (للكافرين) من افراد الانسان الذى هديناه السبيل (سلاسل) بها يقادون الى جهنم وفى كشف الاسرار اعتدنا للكافرين فى جهنم سلاسل كل سلسلة سبعون ذراعا وهو بغير تنوين فى قراءة حفص واما الوقف فبالالف تارة وبدونها اخرى وتسلسل الشئ اضطرب كانه تصور منه تسلسل وتردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه ومنه السلسلة وفى القاموس السلسلة اى بالفتح ايصال الشئ بالشئ وبالكسر دائرة من حديد ونحوه (واغلالا) بها يقيدون اهانة وتعذيبا لاخوفا من الفرار جمع غل بالضم وهو ما تطوق به الرقبة للتعذيب وقد سبق فى الحاقة مفصلا (وسعيرا) نارا بها يحرقون يعنى وآتشى آفرخته كه دران بسوزند وانما يجرون الى جهنم بالسلاسل لعدم انقيادهم للحق و يحقرون بان يقيدوا بالاغلال لعدم تواضعهم لله و يحرقون بالنار لعدم احتراقهم بنار الخوف من الله تعالى وفيه اشارة الى ان الله تعالى اعد للمحجوبين عن الحق المشغولين بالخلق سلاسل التعلقات الظاهرة بحب الدنيا وطلبها واغلال العوائق الباطنة بالرغبة اليها وفيها ونار جهنم البعد والطرد واللعن وتقديم وعيد الكافرين مع تأخرهم فى مقام الاجمال للجمع بينهما فى الذكر ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان فى وصفهم تفصيلا بما يخل تقديمه بجاوب اطراف النظم الكريم (ان الابرار) شروع فى بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر كرب وارباب اوجمع بار كشاهد واشهاد وهو من يبر خالقه اى يطيعه يقال برته ابره كعلمته وضربته وعن الحسن رحمه الله البر من لا يؤذى الذر ولا يضر الشر كما قيل

ولا تؤذ نملا ان اردت كالكا * فان لها نفسا تطيب كالكا

وفى المفردات البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر اى التوسع فى فعل الخير و يراد به توسع فى طاعته و يشمل الاعتقاد والاعمال الفرائض والنوافل وقال سهل رحمه الله الابرار الذين فيهم خلق من اخلاق العشرة الذين وعدلهم النبى عليه السلام بالجنة قال عليه السلام ان لله ثلاثمائة وستين خلقا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة قال ابو بكر رضى الله عنه هل فى منها يا رسول الله قال كلها فيك يا ابا بكر واجبها الى الله السخاء (يشربون) فى الجنة و الشرب تناول كل مائع ماء كان اوغيره قال يشربون ابتداء كالمطيعين اوانتهاء كالمعذبين من المؤمنين بحكم العدل (من كأس) هى الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا على طريق ذكر المحل وارادة الحال وهو المراد هنا عند الاكثر حتى روى عن الضحاك انه قال كل كأس فى القرآن فانما عنى به الخمر فمن على الاول ابتدائية وعلى الثانى تبعيضية او بيانية (كان) بتكوين الله (مزاجها) اى ما تمزج تلك الكأس به يقال مزج الشراب خلطه ومزاج البدن ما يمازجه من الصفراء والسوداء والبلغم والدم والكيفيات المناسبة لكل منها (كافورا) اى ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة فى المقام المحمدى وكذا سائر العيون ماؤها فى بياض الكافور ورائحته و برده دون طعمه والافنفس الكافور لا يشرب ونظيره حتى اذا جعله نارا اى كنار والكافور طيب معروف يطيب به الاكفان والاموات لحسن رائحته و اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يعطى الاشياء رائحته و فى القاموس الكافور طيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يظل خلقا كثيرا وتالفه النمورة وخشبه ابيض هش و يوجد فى اجوافه الكافور وهو انواع ولونها احمر وانما تبيض بالتصعيد وعين فى الجنة انتهى

والجملة صفة كاس (عينا) بدل من كافورا يعنى كافور چشمه ايست والعين الجارية و يقال لمنبع الماء تشبيها بها فى الهيئة وفى سيلان الماء فيها (يشرب بها عباد الله) صفة عين وعباد الله هنا الابرار من المؤمنين لان اضافة التكريم الى اسمه الاعظم مختصة بالمؤمن فى الغالب كالاضافة الى كلمة التكلم كقوله يا عبادى رعايتهم حق الربوبية فمن لم يراعه فكأنه ليس بعبده اى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها كما تقول شربت الماء بالعسل فيكون كناية عن قوتها فى لذتها وعلى هذا فيه اشارة الى ان المقربين الاقوياء يشربون شراب الكافور صرفا غير ممزوج والظاهر يشرب منها فالباء بمعنى من فان حروف العوامل ينوب بعضها مناب بعض ونظيره قوله تعالى فانزلنا به الماء اى انزلنا من السحاب الماء صرح به الشيخ المكى رحمه الله فى قوت القلوب (يفجرونها تفجيرا) التفجير و التفجرة آب راندن و فى المفردات الفجر شق الشئ شقا واسعا كفجر الانسان السكر يقال فجرته فانفجر وفجرته فتفجر و المعنى يجرونها حيث شاؤا من مناز لهم كما يفيده بناء التفعيل اذ التشديد للكثرة اجراء سهلا لا تمتنع عليهم بل تجرى جريا بقوة واندفاع لان الانهار منقادة لاهل الجنة كالاشجار وغيرها فتفجيرا مصدر مؤكد للفعل المتضمن معنى السهولة والجملة صفة اخرى لعينا وفى التأويلات النجمية يشير بالابرار الى عباد الله المخلصين المخصوصين بفيض الاسم الاعظم الشامل للاسماء الذين سقاهم ربهم المتجلى لهم باسمه الباسط بكأس المحبة طهور شراب العشق الممزوج بكافور برد اليقين المفجر الجارى فى انهار ارواحهم واسرارهم وقلوبهم من فرط الرحمة وشمول النعمة وقال القاشانى ان الابرار السعداء الذين برزوا عن حجاب الآثار والافعال واحتجبوا بحجب الصفات غير واقفين معها بل متوجهين الى عين الذات مع البقاء فى عالم الصفات وهم المتوسطون فى السلوك يشربون من كأس محبة حسن الصفات لا صرفا بل كان فى شرابهم مزج فى لذة محبة الذات وهى العين الكافورية المفيدة للذة برد اليقين و بياض النورية وتفريح القلب المحترق بحرارة الشوق وتقويته فان للكافور خاصية التبريد والتفريح والبياض و الكافور عين يشرب بها صرفة عباد الله الذين هم خاصته من اهل الوحدة الذاتية المخصوص محبتهم بعين الذات دون الصفات لا يفرقون بين القهر واللطف والرفق والعنف والنعمة والبلاء والشدة والرخاء بل تستقر محبتهم مع الاضداد وتستمر لذتهم فى النعماء والضراء والرحمة والزحمة كما قال احدهم

هواى له فرض تعطف ام جفا * ومشربه عذب تكدر ام صفا

وكلت الى المحبوب امرى كله * فان شاء احيانى وان شاء اتلفا

واما الابرار فلما كانوا يحبون المنعم واللطيف والرحيم لم تبق محبتهم عند تجلى القهار والمبتلى والمنتقم بحالها ولا لذتهم بل يكرهون ذلك يفجرونها تفجيرا لانهم منابعها لا اثنينية ممة ولا غيرية والا لم يكن كافور الظلمة حجاب الاثنانية واثنينيته وسواده انتهى قال بعضهم اختلفت احوالهم فى الدنيا فاختلفت مشاربهم فى الآخرة فكل يسقى ما يليق بحاله كعيون الحياء وعيون الصبر وعيون الوفاء وغير ذلك ثم ان الكأس اما نفسانية شيطانية وهى ما تكون لاهل الفسق فى الدنيا وهى حرام وفى الحديث (اذا تناول العبد كأس الخمر ناشده الايمان بالله لا تدخلها على فانى لا استقر أنا وهى فى وعاء واحد فان ابى وشربها نفر الايمان نفرة لا يعود اليه اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه ونقص من عقله شئ لا يعود اليه ابدا * واما جسمانية رحمانية وهى ما تكون للمؤمنين فى دار الآخرة عطاء ومنحة من الله الوهاب واما روحانية ربانية وهى ما تكون لاهل المحبة والشوق فى الدارين وهى الذالاقداح قال مولانا جلال الدين قدس سره

الا ياساقيا انى لظمئان ومشتاق * ادر كاسا ولا تنكر فان القوم قد ذاقوا

خذ الدنيا وما فيها فان العشق يكفينا * لنا فى العشق جنات و بلدان واسواق

(يوفون بالنذر) استئناف كأنه قيل ماذا يفعلون حتى نالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها فهو مبالغة فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات والايفاء بالشئ هو الاتيان به تاما وافيا والنذر ايجاب الفعل المباح على نفسه تعظيما لله بان يقول لله على كذا من الصدقة وغيرها وان شفى مريضى اورد غائبى فعلى كذا واختلفوا فيما اذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كما اذا قال ان دخل فلان الدار فعلى كذا فى الناس من جعله كاليمين ومنهم من جعله

من باب النذور قيل النذر كالوعد الا انه اذا كان من العباد فهو نذر واذا كان من الله فهو وعد والنذر قربة مشروعة ولا يصح الا في الطاعة وفي الحديث (من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه قال هرون بن معروف جاءني فتى فقال ان ابي حلف علي بالطلاق ان اشرب دواء مع مسكر فذهبت به الى ابي عبد الله فلم يرخص له وقال قال عليه السلام كل مسكر حرام واذا اجمع الاطباء على ان شفاء المريض في الخمر لا يشربها اذا كان له دواء آخر واذا لم يكن يشربها ويتداوى بها في قول ثم ان الاهتمام بما اوجب الله على عبده ينبغي ان يكون اكمل مما اوجبه العبد على نفسه ومن الناس من هو على عكس ذلك فانه يتهاون بما اوجبه الله عليه فلا يؤدي الصلاة الواجبة مثلا واذا نذر شيأ في بعض المضايقات يسارع الى الوفاء وليس الا من الجهل وقال القاشاني اي الابرار يوفون بالعهد الذي كان بينهم وبين الله صبيحة يوم الازل بانهم اذا وجدوا التمكن بالآلات والاسباب ابرزوا ما في مكامن استعداداتهم وغيوب فطرتهم من الحقائق والمعارف والعلوم والفضائل واخرجوها الى الفعل بالتزكية والتصفية (ويخافون يوما) اي يوم القيامة (كان شره) اي هوله وشدته وعذابه (مستطيرا) فاشيا منتشرا في الاقدار غاية الانتشار بالغا اقصى المبالغ يعني بهمه كس بهمه جارسيده من استطار الحريق اي النار وكذا الفجر قال في القاموس المستطير الساطع المنتشر واستطار الفجر انتشر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر واطلق الشر على اهوال القيامة وشدائدها المنتشرة غاية الانتشار حتى ملأت السموات والارض مع انها عين حكمة وصواب لكونها مضرة بالنسبة الى من تنزل عليه ولا يلزم من ذلك ان لا يكون خيره مستطيرا ايضا فان ليوم القيامة امورا سارة كما ان له امورا ضارة وقال سهل رحمه الله البلايا والشدائد عامة في الآخرة للعامة والملامة خاصة للخاصة ثم ان يوفون الخ بيان لاعمالهم واتيانهم لجميع الواجبات وقوله ويخافون الخ بيان لنياتهم حيث اعتقدوا يوم البعث والجزاء فخافوا منه فان الطاعات انما تتم بالنيات وبمجموع هذين الامرين سماهم الله بالابرار قال بعض العارفين يشير الى ارباب السلوك في طريق الحق وطلبه حيث اوجبوا على انفسهم انواع الرياضات واصناف المجاهدات وتركوا الرقاد واهلكوا بالجوع الاجساد واحرقوا بالعطش الاكباد وسدوا الاذان من استماع كلام الاغيار واعموا ابصارهم عن رؤية غير المحبوب الحقيقي وختموا على القلوب عن محبة غير المطلوب الازلي خوفوا انفسهم من يوم تجلى صفة القهر والسخط باستيلاء الهيئات المظلمة على القلب وهو نهاية مبالغ الشر فاجتهدوا حتى خلصهم الله مما خافوا وادخلهم في حرمه الآمن (ويطعمون الطعام على حبه) اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه ونحوه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام فيطعمون بطيب النفس فالضمير الى مصدر الفعل كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى او كائنين على حب الله او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتي من قوله لوجه الله فالمصدر مضاف الى المفعول والفاعل متروك اي على حبهم الله ويجوز ان يضاف الى الفاعل والمفعول متروك اي على حب الله الاطعام والطعام خلاف الشراب وقد يطلق على الشراب ايضا لان طعم الشيء ذوقه مأكولا ومشروبا والظاهر الخصوص وان جاز العموم واعلم ان مجامع الطاعات محصورة في امرين الطاعة لامر الله واليه الاشارة بقوله يوفون بالنذر والشفقة على خلق الله واليه الاشارة بقوله ويطعمون الطعام فان الطعام وهو جعل الغير طاعما كناية عن الاحسان الى المحتاجين والمواساة معهم باي وجه كان وان لم يكن ذلك بالطعام بعينه الا ان الاحسان بالطعام لما كان اشرف انواع الاحسان عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع كما في حواشي ابن الشيخ وقال بعض اهل المعرفة اي يتجردون عن المنافع المالية ويزكون انفسهم عن الرذائل خصوصا عن الشح لكون محبة المال اكثف الحجب فيتصفون بفضيلة الايثار وسد خلة الغير في حال احتياجهم او يزكون انفسهم عن رذيلة الجهل فيطعمون الطعام الروحاني من الحكم والشرائع على حب الله من ذكر من قوله (مسكينا) فقيرا لا شيء له عاجزا عن الكسب وبالفارسية درويش بي مايه وقال القاشاني المسكين الدائم السكون الى تراب البدن (ويتيما) طفلا لا أب له (واسيرا) الاسر الشد بالقيد سمي الاسير بذلك ثم قيل لكل مأخوذ مقيد وان لم يكن مشدودا بذلك والمعنى واسيرا مأخوذا لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة اي اسير كان فانه عليه السلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه لانه يجب اطعام الاسير الكافر والاحسان اليه في دار الاسلام بما دون الواجبات عند عامة

العلماء الى ان يرى الامام رأيه فيه من قتل اومن او فداء او استرقاق فان القتل فى حال لاينافى وجوب الاطعام فى حال اخرى ولايجب اذاعوقب بوجه ان يعاقب بوجه آخر ولذا لايحسن فيمن يلزمه القصاص ان يفعل به غير القتل اوالمعنى اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك عبدا او امة وكذا المسجون يعنى مسجون ازاهل فقر كه درحق ازحقوق مسلمين حبس كرده باشند وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك اى بالامهال والوضع عنه بعضا او كلا وهو كل الاحسان وفى الحديث (من انظر معسرا اووضع له اظله الله تحت ظل عرشه يوم لاظل الاظله) اى حماه من حرارة القيامة وقيل الزوجة من الاسراء فى يد الازواج لما قال عليه السلام اتقوا الله فى النساء فانهن عوانى عندكم والعانى الاسير وفى القاموس العوانى النساء لانهن يظلمن فلاينتصرن وقال القاشانى الاسير المحبوس فى اسر الطبيعة وقيود صفات النفس وفى التأويلات النجمية ويطعمون طعام المعارف والحكم الالهية المحبوبة لهم مسكين السر لقرب انقياده تحت حكم الروح وذلته تحت عزته ويتيم القلب لبعد عهده ومكانه من ابيه الروح واسيرالاعضاء والجوارح المقيدين بقيود احكام الشريعة وحبال آثار الطريقه انتهى (انما نطعمكم لوجه الله) جزاين نيست كه ميخورانيم شمارا اى طعامهابراى رضاى خدا على ارادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون اى قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافاة المنقصة للاجر * هرچه دهى مى ده ومنت منه * وآنچه بمنت دهى آن خود مده * منت ومزدى كه دراحسان بود * وقت جزاموجب نقصان بود * وعن الصديقة رضى الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ماقالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عندالله والوجه الجارحة عبر به عن الذات لكونه اشرف الاعضاء وقال بعضهم الوجه مجاز عن الرضى لان الرضى معلوم فى الوجه وكذا السخط (لانريد منكم جزاء) على ذلك بالمال والنفس والفرق بين الجزاء والاجران الاجر مايعود من ثواب العمل دنيويا كان اواخرويا ويقال فيما كان عن عقد ومايجرى مجرى العقد ولايقال الا فى النافع واما الجزاء فيقال فيما كان عن عقد وغير عقد ويقال فى النافع والضار والمجازاة المكافاة وهى مقابلة نعمة بنعمة هى كفؤها (ولاشكورا) اى شكرا باللسان ومدحا ودعاء وهو مصدر على وزن الدخول والجملة تقرير وتاكيد لما قبلها قال القاشانى لانريد منكم مكافاة وثناء لعدم الاحتجاب بالاعراض والاعواض وفى التأويلات النجمية لانريد منكم جزاء بالذكر الجميل فى الدنيا ولا شكورا عن عذاب الآخرة اذ كل عمل يعمله العامل لثواب الآخرة لايكون لوجه الله بل يكون لحظ نفسه كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا وقال عليه السلام حكاية عن الله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه والحاصل ان معاملة العبد المخلص انما هى مع الله فلاحق له على الغير فكيف يريد ذلك وفيه نصح لمن اراد النصيحة فان الاطعام ونحوه حرام بملاحظة الغير وحظ النفس فيجب ان يكون خالصا لوجه الله من غير شوب بالرياء وبحظ المنعم * زعمر واى بسر چشم اجرت مدار * جود رخانهٔ زيد باشى بكار (انانخاف من ربنا يوما) اى عذاب يوم وهو مفعول نخاف فمن ربنا حال متقدمة منه ولو أخرلكان صفة له اومفعوله قوله ربنا بواسطة الحرف على ماهو الاصل فى تعديته لانه يقال خاف منه فيكون يوما بدلا من محله بدون تقدير بناء على التعدية بنفسه اوبتقدير نخاف آخر (عبوسا) من قبل اسناد الفعل الى زمانه والمعنى تعبس فيه الوجوه يعنى روزى كه رويها درو ترش كردد ازشدت اهوال كماروى ان الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران والعبوس قطوب الوجه من ضيق الصدر آومعنى عبوسا يشبه الاسد العبوس فى الشدة والضراوة اى السطوة والاقدام على ايصال الضرر بالعنف والحدة لكل من رآه فهو من المبالغة فى التشبيه فان العبوس الاسد كالعباس (قمطريرا) شديد العبوس فلذلك نفعل بكم مانفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره لالارادة مكافاتكم فقوله انانخاف الخ بدل من انما نطعمكم الخ فى معرض التعليل لاطعامهم يقال وجه قمطرير اى منقبض من شدة العبوس وفى الكشاف القمطرير العبوس الذى يجمع بين عينيه وازامام حسن بصرى رحمه الله پرسيدند كه قطرير جيست فرمود كه سبحان الله ماأشد اسمه وهو اشد من اسمه يعنى چه سخت است اسم

روز قيامت واو سخترست ازاسم خود (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم منه يعنى نكاه داشت خداى تعالى ايشانرا ازيدى ورنج وهول وعذاب ان روز فشر مفعول ثان لوقى المتعدى الى اثنين وفى الحديث الصحيح قال رجل لم يعمل حسنة قط لاهله اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لايعذبه احدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما امرهم فأمر الله البر فجمع مافيه وامر البحر فجمع مافيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يارب وانت اعلم فغفر الله له اى بسبب خشيته وقوله لئن قدر الله بتخفيف الدال من القدرة اى لئن تعلقت قدرته يوم البعث بعذاب جسمه ظن المسكين انه بالفناء على الوجه المذكور يلحق بالمحال وقدرة الله لاتتعلق بالمحال فلا يلزم منه الكفر فجمع رماده من البر والبحر محمول على جمع اجزائه الاصلية يوم القيامة ويجوز ان يحمل على حال البرزخ فان السؤال فيه للروح والجسد جميعا على ماهو المذهب الحق (ولقاهم نضرة وسرورا) اى اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه يعنى تازكى وخوبروبى وسرورا فى القلوب يعنى شادى وفرح دردل فهما مفعولان ثانيان وفى تاج المصادر التلقية جيزى بيش كسى واوردن وفى المفردات لقيته كذا اذا استقبلته به قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا (وجزاهم) اعطى كل واحد منهم بطريق الاجر والعوض (بما صبروا) ما مصدرية اى بسبب صبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس فى اجتناب المحرمات وايثار الاموال وفى الحديث (الصبر اربعة الصبر على الصدمة الاولى وعلى اداء الفرائض وعلى اجتناب المحارم وعلى المصائب (جنة) مفعول ثان لجزاهم اى بستانا يأكلون منه ماشاؤا (وحريرا) يلبسونه ويتزينون به وبالفارسية وجامه ابريسيم بهشت بپوشند فالمراد بالجنة ليس دار السعادة المشتملة على جميع العطايا والكرامات والالما احتيج الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة بل البستان كما ذكرنا فذكرها لايغنى عن ذكر الملبس ثم ان البستان فى مقابلة الاطعام والصبر على الجوع والحرير فى مقابلة الصبر على العرى لان ايثار الاموال يؤدى الى الجوع والعرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما النبى عليه السلام فى ناس معه فقالوا لعلى رضى الله عنه لو نذرت على ولديك نذرا يعنى اكر نذر كنى براميد عافيت وشفاى فرزندان مكر صواب باشد فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما رضى الله عنهم ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام تقربا الى الله وطلبا لمرضاته وشكرا له فشفيا فصاموا وما معهم شئ يفطرون عليه فاستقرض على من شمعون الخيبرى اليهودى ثلاثة اصوع من شعير وهو جمع صاع وهو اربعة امداد كل مدر طل وثلث قال الداودى معياره الذى لايختلف اربع حفنات بكفى الرجل الذى ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما اذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبى عليه السلام فطحنت فاطمة رضى الله عنها صاعا يعنى فاطمهٔ زهرا ازآن جويك صاع باسيادست آردكرد وخبزت خمسة اقراص على عددهم جمع قرص بمعنى الخبزة فوضعوا بين ايديهم وقت الافطار ليفطروا به فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم ياأهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه يعنى حضرت على رضى الله عنه نصيب خود بدان مسكين داد وسائر اهل بيت موافقت كردند يعنى سخن درويش بسمع على رسيد روى فرا فاطمه كرد وكفت

فاطم ذات المجد واليقين * يابنت خير الناس اجمعين
اماترين البائس المسكين * قد قام بالباب له حنين
يشكو الى الله وبستكين * يشكو الينا جائعا خزين

فاطمة رضى الله عنها او را جواب داد وكفت

امرك ياابن عم سمع طاعه * مابى من لؤم ولاضراعه
ارجو اذا اشبعت ذا مجاعه * الحق بالاخيار والجماعه

وادخل الخلد ولى شفاعه

آنكه طعام بيش نهاده بودند جمله بدرويش دادند وبركر سنكى صبر كردند وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فاطمه رضى الله عنها صاعى ديكر جوآرد كرد وآزان نان بخت فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم

وقف عليهم يتيم فقال السلام عليكم ياأهل بيت محمد يتيم من اولاد المهاجرين استشهد والدى يوم العقبة اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة حضرت على رضى الله عنه چون سخن آن يتيم شنيد روى فرافاطمه كرد وگفت

انى لاعطيه ولاابالى * واوثرالله على عيالى * امسواجياعا وهم واشبالى * اصغرهم يقتل فى القتال

فاثروه يعنى همچنان طعام كه در پيش بود جمله بيتيم دادند وخود كرسنه خفتند ديكر روزان صاع كه مانده بود فاطمه رضى الله عنها ازاارد كردونان بخت فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم اسير فقال السلام عليكم اهل بيت النبوة اسير من الاسارى اطعمونى اطعمكم الله من موائد الجنة ان طعام باسير دادند وبجزاب نچشيدند وسه روز بران بكذشت فلما اصبحوا فى اليوم الرابع اخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله عنهم فأقبلوا على النبى عليه السلام فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد مايسوءنى ماارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قدالتصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذيا محمد هنأك الله فى اهل بيتك فاقرأه السورة ولايلزم من هذا ان يكون المراد من الابرار اهل البيت فقط لان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فيدخل فيه غيرهم بحسب الاشتراك فى العمل وقد ضعفت القصة بتضعيف الراوى الا انها مشهورة بين العلماء مسفورة فى الكتب قال الحكيم الترمذى رحمه الله هذا حديث مفتعل لايروج الا على احمق جاهل ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات وقال لاشك فى وضعه ثم صحة الرواية تقتضى كون الآية مدنية لان انكاح رسول الله فاطمة عليا كان بعد وقعة احد وقدقال الجمهور ان السورة مكية هكذا قالوا سامحهم الله تعالى قال المولى القناري فى تفسيرالفاتحة نقلا عن جمع من العلماء الكبار ان هل اتى على الانسان من السور النازلة فى المدينة وكذا قال مجاهد وقتادة مدنية الاية واحدة وهى ولاتطع منهم آثما اوكفورا فانها مكية وكذا قال الحسن وعكرمة والماوردى مدنية الاقوله فاصبرلحكم ربك الى الاخرفانه مكى ودل على ذلك ان الاسير انما كان فى المدينة بعد آية القتال والامر بالجهاد فضمت الآيات المكية الى الآيات المدنية فان شئت قلت انها اى السورة مكية وان شئت قلت انها مدنية على ان الآيات المدنية فى هذه السورة اكثر كية من الآيات المكية فالظاهران تسمى مدنية لامكية ونحن لانشك فى صحة القصة والله اعلم (متكئين فيها) اى فى الجنة (على الارائك) برتختهاى اراسته قوله متكئين حال من هم فى جزاهم والعامل فيها جزى قيد المجازاة بتلك الحال لانها ارفه الاحوال فكان غيرها لايدخل فى الجزاء والارائك هى السرر فى الحجال تكون فى الجنة من الدر والياقوت موضونة بقضبان الذهب والفضة والوان الجواهر جمع اريكة كسفينة ولاتكون اريكة حتى تكون فى حجلة وهى بالتحريك واحدة حجال العروس وهى بيت مزين بالثياب والستور والظاهران على الارائك متعلق بمتكئين لان الاتكاء يتعدى بعلى اى مستقرين متكئين على الارائك كقوله متكئين على فرش ولايبعدان يتعلق بمقدر ويكون حالا من ضمير متكئين اى متكئين فيها على الوسائد اوغيرها مستقرين على الارائك فيكون الاتكاء بمعنى الاعتماد (لايرون فيها شمسا ولازمهريرا) اى حرارة ولابرودة كمايرون فى الدنيا لان الحرارة غالبة على ارض العرب والبرودة على ارض العجم والروم وهو حال ثانية من الضمير اى يمر عليهم هواء معتدل لاحار ولابارد مؤذ يعنى ان قوله لايرون الخ كناية عن هذا المعنى والزمهرير شدة البرد وازمهر اليوم اشتد برده وفى الحديث هواء الجنة سجسج لاحر فيه ولاقر اى معتدل لاحر فيه ولا برد فان القر بالضم البرد وفى الخبر عن النبى عليه السلام انه قال اشتكت النار الى ربها فقالت اكل بعضى بعضا فنفسنى فاذن لها فى كل عام بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فاشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم واشد ماتجدون من الحر من حرها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال فبينما اهل الجنة فى الجنة اذرأوا ضوأ كضوء الشمس وقداشرقت الجنان له فيقول اهل الجنة يارضوان قال ربنا عزوجل لايرون فيها شمسا ولازمهريرا فيقول لهم رضوان ليست هذه بشمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلى رضى الله عنهما ضحكا ضحكا اشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما انزل الله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر الى قوله وكان سعيكم مشكورا قال القاشانى لايرون فى جنة الذات شمس حرارة الشوق اليها مع الحرمان ولازمهرير برودة الوقوف

مع الاكوان فان الوقوف مع الكون رد قاسر وثقل عاصر وفى التأويلات النجمية لايرون فى جنة الوصال حر شمس المشاهدة المفنى للمشاهد بحيث لايجد لذة الشهود لان سطوة المشاهدة تفنى المشاهد بالكلية فلا يجد لذة الشهود من المحبوب المعبود والى هذا المعنى اشار النبى عليه السلام فى دعائه اللهم ارزقنا لذة مشاهدتك لازمهرير برد الحجاب والاستتار (ودانية عليهم ظلالها) عطف على ما قبلها حال مثلها والظلال جمع ظل بالكسر نقيض الضح وظلالها فاعل دانية من الدنو بمعنى القرب اما بحسب الجانب او بحسب السمك والضمير الى الجنة اواشجارها ومعناه ان ظلال الاشجار فى الجنة قربت من الابرار من جوانبهم حتى صارت الاشجار بمنزلة المظلة عليهم وان كان لاشمس فيها مؤذية لتظلهم منها ففيه بيان لزيادة نعيمهم وكمال راحتهم فان الظل فى الدنيا للراحة (وذللت قطوفها تذليلا) اى سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها للقائم والقاعد والمضطجع تمام التسخير والتسهيل من الذل بالكسر وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية اى دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وهو جمع قطف بكسر القاف بمعنى العنقود و قطفت العنب قطعته وسمى العنقود قطفا لانه يقطف و يقطع وقت الادراك (و يطاف) يدار من طاف بمعنى دار والطواف والاطافة كلاهما لازم بالفارسية كرد جيزى بكشتن وانما جاءت التعدية هنا من الباء فى بآنية (عليهم) اى على الابرار اذا ارادوا الشرب والطائف الدائر هو الخدم كما يجيء (بآنية) اوعية جمع اناء نحو كساء واكسية والاوانى جمع الجمع كما فى المفردات واصل آنية اءنية بهمزتين مثل افعلة قال فى بعض التفاسير الباء فيها ان كانت للتعدية فهى قائمة مقام الفاعل لانها مفعول له معنى والا فالظاهر ان يكون القائم مقامه عليهم (من فضة) نعت لآنية (واكواب) جمع كوب وهو الكوز العظيم المدور الرأس لاأذن له ولاعروة فيسهل الشرب منه من كل موضع ولايحتاج عند التناول الى ادارته وهو مستعمل الآن فى بلاد العرب لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه وصف الاوانى التى يشرب بها وذكره بلفظ المجهول لان المقصود مايطاف به لا الطائفون ثم ذكر الطائفين بقوله ويطوف الخ (كانت قواريرا) جمع قارورة بالفارسية ابكينه و فى القاموس القارورة ما قر فيه الشراب ونحوه (قواريرمن فضة) اى تكونت وحدثت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة و بياضها يرى ما فى داخلها من خارجها فكان تامة وقواريرالاول حال من فاعل كانت على المبالغة فى التشبيه يعنى ان القوارير انما تكون من الزجاج لامن الفضة فليس المعنى انها قوارير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليها بانها قوارير وانها من فضة من باب التشبيه البليغ لانها فى نفسها ليست زجاجا ولا فضة لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء فثبت ان آنية الجنة مباينة فى الحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها ولان قارورة الدنيا سريعة الانكسار والهلاك وما فى الجنة لايقبل ذلك و فضة الدنيا كثيفة الجوهر لالطافة فيها وما فى الجنة ليس كذلك وان شارك كل واحد منهما الاخر فى بعض الاوصاف فشبهت بالفضة فى بياضها ونقائها و بالقارورة فى شفافيتها وصفائها فهى حقيقة مغايرة لهما جامعة لاوصافهما وذلك كاف فى صحة اطلاق اسم القارورة والفضة عليها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ارض الجنة من فضة واوانى كل ارض تتخذ من تربة تلك الارض و يستفاد من هذا الكلام وجه آخر لكون تلك الاكواب من فضة ومن قوارير وهو ان اصل القوارير فى الدنيا الرمل واصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما ان الله قادر على ان يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادر على ان يقلب فضة الجنة قارورة صافية فالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على ان نسبة قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة الفضة الى الرمل فكما انه لانسبة بين هذين الاصلين فكذا بين القارورتين كذا فى حواشى ابن الشيخ قال بعضهم لعل الوجه فى اختيار كون كانت تامة مع امكان جعلها ناقصة وقوارير الاول خبرا بتكوين الله فيكون فيه تفخيم للآنية بكونها اثر قدرة الله تعالى وقوارير الثانى بدل من الاول على سبيل الايضاح والتبيين اى قوارير مخلوقة من فضة والجملة صفة لاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثانى ايضا وقرئ بغير تنوين وقرئ الثانى بالرفع على هى قوارير قال ابن الجزرى وكلهم وقفوا عليه بالالف الاحمزة وورشا وانما صرفه من صرفه لانه وقع فى مصحف الامام بالالف وانما كتب فى المصحف بالف لانه رأس آية فشابه القوا فى

والفواصل التى تزاد فيها الالف للوقف (قدروها تقديرا) صفة لقوارير ومعنى تقدير الشاربين المطاف عليهم لها انهم قدروها فى انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها فان منتهى ما يريده الرجل فى الآنية التى يشرب منها الصفاء فقد ذكره الله بقوله كانت قوارير وايضا النقاء فقد ذكره الله بقوله من فضة وايضا الشكل والمقدار فقد ذكره الله بقوله قدروها تقديرا اوقدروها باعمالهم الحسنة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله و يطاف عليهم اى قدروا شرابها على اضمار المضاف على قدر اسروآئهم ورويهم من غير زيادة ولانقصان وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فان طرفى الاعتدال مذمومان كما قال مجاهد لا فيض فيها ولا غيض اى لا كثرة ولا قلة وقال الضحاك على قدر اكف الخدم (ويسقون فيها) اى فى الجنة يسقى الله او يسقى الطائفين بامر الله وفيه زيادة تعظيم لهم ليست فى قوله يشربون من كأس بصيغة المعلوم (كأسا) خمرا (كان مزاجها) ما تمزج به وتخلط (زنجبيلا) الزنجبيل عرق يسرى فى الارض ونباته كالقصب والبردى وعلم منه ان ما كان مزاجها زنجبيلا غير ما كان مزاجها كافورا والمعنى زنجبيلا اى ماء يشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما يستطيب العرب والذ ما تستلذ به لانه يحذو اللسان و يهضم الطعام كما فى عين المعانى و لما كان فى تسمية تلك العين بالزنجبيل توهم ان ليس فيها سلاسة الانحدار فى الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع و الاحراق ازال ذلك الوهم بقوله (عينا) بدل من زنجبيلا (فيها تسمى) عند الملائكة من خازن الجنة واتباعه (سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها فكان العين سميت بصفاتها قال بعضهم يطلق عليها ذلك وتوصف به لانه علمها يعنى ان سلسبيل صفة لا اسم والا لامتنع من الصرف للعلمية و التأنيث ولم يقرأ به واحد من العشرة و يقال انما صرف مع انه اسم عين وهى مؤنث معنوى لرعاية رأس الآية قال فى الكواشى لفظ مفرد بوزن فعليل كدردبيس يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل سهل الدخول فى الحلق لعذوبته و صفائه و لذلك حكم بزيادة الباء اى بعدم التفاوت فى المعنى بوجودها وعدمها والا فالباء ليست من حروف الزيادة و قيل زيدت الباء على السلسال حتى صارت كلمة خماسية للدلالة على غاية السلاسة و الحلاوة و قال ابن المبارك من طريق الاشارة معنى السلسبيل سل من الله اليه سبيلا قال ابن الشيخ جعل الله مزاج شراب الابرار اولا كافورا وثانيا زنجبيلا لان المقصود الاهم حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم من حر العرصات وعبور الصراط وبعد استيفاء حظوظهم من انواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباعهم الى الاشربة التى تهيج الاشتهاء وتعين على تهيئة ما تناولوه من المطعومات و يلتذ الطبع بشربها فلعل الوجه فى تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك وفى التأويلات النجمية يشير بالزنجبيل الى شراب الوحدة الممزوجة بزنجبيل الكثرة المعقولة من مفهوم التوحيد و بالسلسبيل الى شراب الوحدة الصافية عن الامتزاج بزنجبيل الكثرة وسميت سلسبيلا لسلاسة انحدارها وذلك لبساطتها و صرافتها وقال القاشانى كان مزاجها زنجبيل لذة الاشتياق فانهم لاشوق لهم ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف الذى هو غاية حرارة الطلب لوصولهم ولكن لهم الاشتياق للسير فى الصفات وامتناع حصولهم على جميعها فلا تصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب كما صفت لذة محبة المستغرقين فى عين جمع الذات فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة والزنجبيل عين فى الجنة لكون حرارة الشوق عين المحبة الناشئة من منع الوحدة مع الهجر ان تسمى سلسبيلا لسلاستها فى الحلق و ذوقها فان العشاق المهجورين الطالبين السالكين سبيل الوصال فى ذوق وسكر من حرارة عشقهم لا يقاس به ذوق (و يطوف عليهم) اى يدور على الابرار (ولدان فانهم اخف فى الخدمة جمع وليد وهو من قرب عهده بالولادة (مخلدون) اى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء لا يتغيرون ابدا و بالفارسية وبخدمت مى كردد برايشان غلامانى چون كود كان نوزاد جاويد مانده در حال طفوليت او مقربون يعنى پسران كوشواره دار والخلد القرط و فى التاج انه من الخلد وهو الروح كانهم روحانيون لا جسم لهم (اذا رأيتهم) يامن شأنه الرؤية (حسبتهم لؤلؤا) جمعه اللآلى وتلألؤ الشئ لمع لمعان اللؤلؤ (منثورا) متفرقا لحسنهم و صفاء الوانهم و اشراق وجوههم وتفرقهم فى مجلس الخدمة عند اشتغالهم بانواع الخدمة وطوافهم على المخدومين مسارعين فى الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة

واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ اذا كان متفرقا يكون احسن فى المنظر من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض لغاية بياضه و بريقه فيكون مخالفا للمجتمع فيه والظاهر على ماذهب اليه البعض منثورا اى متفرقا فى الجنة فهو احسن من القيد بمجلس الخدمة وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون اى المخزون لانهن لا ينتشرن انتشار الولدان بل هن حور مقصورات فى الخيام قال فى عين المعانى وفيه اشارة الى ان الاستمتاع بظواهرهم يكون بخلاف الحور المشبهة بالبيض لانه يجمع بياض اللون الى لذة الطعم انتهى * ومنه يعلم ان لا واطئة فى الجنة وان قول من جوزها مردود باطل على ما حققناه مرارا قال بعضهم منثورا من سلكه على البساط وعن المأمون انه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج بالذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در ابى نواس كانه ابصر هذا حيث يقول

كان صغرى وكبرى من فقاقعها * حصباء درعلى ارض من الذهب

وقال بعضهم منثورا من صدفه يعنى انهم شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه وهو غير مثقوب لانه احسن واكثر ماء وبالفارسية مرواريد افشانده شده از صدف يعنى تر و تازه كه هنوز دست كس بدان نرسيده ودر درونق وآب داد شان قصورى پيدا نشده قال فى كشف الاسرار ولدان مخلدون اى غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين انتهى فسمى الغلمان ولدانا لانهم على صورتهم على ان فى اطلاقهم عليهم خطابا بما يتعارفه الناس فلا يلزم ولادتهم فى الجنة وقال فى عين المعانى قيل انهم ولدان الكفار يدخلون الجنة خدما لاهلها بدليل انهم سموا ولدانا ولا ولادة فى الجنة انتهى وفى اللباب اختلفوا فى الولدان فقيل انشأهم الله لاهل الجنة من غير ولادة لان الجنة لا ولادة فيها وهم الذين قال الله فيهم و يطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون اى مخزون مصون لم تمسه الايدى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه وروى ان الحسن رحمه الله لما تلا هذه الآية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم فقال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى عن على رضى الله عنه والحسن البصرى رضى الله عنه ان الولدان هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه اطفال المشركين هم خدم اهل الجنة وعن الحسن رحمه الله لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع انتهى كلام اللباب فالله تعالى قادر على ان يجعل اموات الكفار الذين لا يليقون بالخدمة فى الدنيا لغاية صغرهم فى مرتبة القابلية لها فى الآخرة بكمال قدرته وتمام رحمته قال النووى الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة وقال الطيبى فى شرح المشكاة الحق التوقف اى لا الحكم بانهم من اهل الجنة كما ذهب اليه البعض ولا بانهم تبع لآبائهم فى النار كما ذهب اليه البعض الآخر فالمذاهب اذا فيهم ثلاثة و فى التأويلات النجمية ويطوف عليهم ولدان مخلدون اى تجليات ذاتية مقرطون بقرطة الاسماء و الصفات اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من تشعشع انوار الذات و تلألؤ انوار الصفات و الاسماء (واذا رأيت ثم) و چون بنكرى ونظر كنى در بهشت قال فى الارشاد ليس له مفعول ملفوظ و لا مقدر ولا منوى بل معناه اى ما كل المعنى ان بصرك ايما و قع فى الجنة (رأيت نعيما) كثيرا لا يوصف وهو ما يتنعم به (وملكا كبيرا) اى واسعا وهنيئا كما فى الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه والآية من باب الترقى والتعميم يعنى ان هناك امورا اخر اعلى واعظم من القدر المذكور مرفصول آمده كه نعيم راحت اشباح است و ملك كبير لذت ارواح نعيم ملاحظهٔ دارست و ملك كبير مشاهدهٔ ديدار ودار بى ديدار بهيچ كرنيايد الجار ثم الدار زاهدان فردوس ميجويند وما ديدار دوست وفى التأويلات النجمية يعنى اذا تحققت بمقام التوحيد و حال الوحدة وصلت الى نعيم الشهود و الملك المشهود والكبير فى ذاته وصفاته واسمائه وافعاله انتهى * فيكون المراد بالملك الكبير فى الدنيا هو الشهود الحاصل لاهل الجنة المعنوية والملك بالضم بالفارسية پادشاهى ولا سلطنة فوق سلطنة المعرفة والرؤية قال فى بعض التفاسير الملك بالضم هو التصرف فى المأمورين بالامر والنهى ومنه الملك واما الملك بالكسر فهو التصرف فى الاعيان المملوكة بحسب المشيئة ومنه المالك والاول جامع للثانى لان كل ملك مالك ولا عكس (عاليهم ثياب سندس خضر) عاليهم ظرف

علی انه خبرمقدم وثیاب مبتدأ مؤخر والجملة حال من ضمیر علیهم ای یطوف علیهم ولدان عالیا للمطوف علیهم ثیاب الخ ای فوقهم وعلی ظهورهم ثیاب سندس وهو الدیباج الرقیق الفاخر الحسن و اضافة الثیاب الی السندس کاضافة الخاتم الی الفضة و بالفارسیة بر بهشتیان یعنی لباس زبرین ایشان جامهای دیبای نازك ولم یرض الزجاج بکون عالیهم نصبا علی الظرف بمعنی فوقهم لانه لم یعرف فی الظروف وخضر جمع اخضر صفة ثیاب کقوله ویلبسون ثیابا خضرا فالضمیر للابرار المطوف علیهم لان المقام مقام تعداد نعیمهم وکرامتهم فالمناسب ان تکون الثیاب الموصوفة لهم لا للولدان الطائفین وعن الامام ان المراد فرق خیامهم المضروبة علیهم والمعنی ان حجالهم من الحریر والدیباج وهذا من علامات الملك (واستبرق) بالرفع عطفا علی ثیاب بحذف المضاف ای ثیاب استبرق و هو معرب استبره بمعنی الغلیظ سبق بیانه فی سورة الرحمن وهو بقطع الهمزة لکونه اسما للدیباج الغلیظ الذی له بریق (وحلوا اساور من فضة) عطف علی ویطوف علیهم وهو ماض لفظا و مستقبل معنی و اساور مفعول ثان لحلوا بمعنی و یحلون و التحلیة التزیین بالحلی و بالفارسیة باحلی زیور کردن وفیه تعظیم لهم بالنسبة الی ان یقال وتحلوا اساور جمع اسورة فی جمع سوار وسوار المرأة اصله دستوار وکان الملوك فی الزمان الاول یتحلون بها ویسورون من یکرمونه ولا یاتی فی هذه الآیة ما فی الکهف و الحج من قوله من اساور من ذهب لامکان الجمع بین السوار الذهب والسوار الفضة فی ایدیهم کما تجمع نساء الدنیا بین انواع الحلی وما احسن المعصم اذ یکون فیه سواران من جنسین و زیادة کالذهب والفضة و الدر و ایضا لامکان المعاقبة فی الاوقات تارة یلبسون الذهب و اخری یلبسون الفضة و ایضا لامکان التبعیض بان یکون البعض ذهبا والبعض فضة فان حلی اهل الجنة یختلف حسب اختلاف اعمالهم فللمقربین الذهب وللابرار الفضة وایضا بعطی کل احد ما یرغب فیه ویمیل طبعه الیه فان الطباع مختلفة فرب انسان یکون احسن بیاض الفضة فوق احسانه لصفرة الذهب (وسقاهم) بیانها ما تدایشانرا (ربهم شرابا) هو ما یشرب (طهورا) هذا الشراب الطهور نوع آخر فوق النوعین السالفین کما یرشد الیه اسناد سقیه الی الرب العالمین ووصفه بالطهوریة لانه یطهر باطنهم عن الاخلاق الذمیمة والاشیاء المؤذیة کالغش والغل والحسد و ینزع ما کان فی اجوافهم من فذر وأذی و به تحصل الصفوة المهیئة لانعکاس نور التجلی الالهی فی قلوبهم وهی الغایة القاصیة من منازل الصدیقین فلذا ختم بها مقابلة لثواب الابرار بالطهور بمعنی المطهر صیغة اسم الفاعل وقیل مبالغة الطاهر من حیث انه لیس بنجس کخمر الدنیا وما مسته الایدی القذرة و الاقدام الدنسة ولا یؤول الی ان یکون نجسا بل یرشح عرقا من ابدانهم له ریح کریح المسك (قال الکاشفی بدانکه حوی کوثر ربهشت خاصهٔ حضرت رسالت است و ذکر آن در سورهٔ کوثر خواهد آمد وچهار جوی دیگر ازان منقیا نست آب وشیر وخمر وعسل وشمهٔ ازصفات اودرسورهٔ محمد مرقوم رقم بیان شود وچشمه ازان اهل خشیت است فیهما عینان تجریان رد وچشمه ازان اهل یمین است فیهما عینان نضاختان واین چهار چشمه در سورة الرحمن آمد دیگر چشمهٔ رحیق ازان ابرارست وچشمهٔ تسنیم ازان مقربان واین هر دو در سورهٔ مطففین مذکورند ودو چشمه ازان اهل بیت است کافور و زنجبیل که ازرا سلسبیل خوانند وشراب طهور نیز ازایشا نست ومحققان ازرا شراب شهود گویند که مرآت دل نوشنده را بانوار مع انوار قدم روشن ساخته پذیرای نقوش انعکاس ازل وابد گرداند وقت وحال اوراچنان صافی سازد که مطلقا شوائب غیریه در مشارع وحدت نماند و لنك دوکانکی مبدل گردانیده جام مدام را یك رنك سازد * همه جامست ونیست کوبی می * یامدامست ونیست کوبی جام * عارفی گفته اگر فردا بزم نشینان دار بقارا برای آنکه سرور شراب ظهور خواهند چنانید امروز باده نوشان محفل افضال رابنقد ازان نصیبی تمام داده اند * ازساقاهم ربهم بین جملهٔ ابرار مست * درجمال لایزالی هفت و پنج وچهارمست * ای جوانمرد شراب آن شرابست که دست غیب دهد درجام دل ریزد وعارف اورانوش کند قومی راشراب مست کرد وقومی رادیدار

وأسکر القوم دور کأس * وکان سکری من المدیر

بزرکی رابخواب نمودند که معروف کرخی رحمه الله کرد عرش طواف می کرد ورب العزه فرشتکانرا می گفت اوراشناسید گفتند نه گفت معروف کرخی است بمهر ما مست شده تا دیدار او بر ما باید هشیار نکردد هر کرا

امروزشراب محبت نيست فردا اورا شراب طهورنيست قال بعضهم صليت خلف سهل بن عبدالله العتمة فقرأ قوله تعالى وسقاهم ربهم شراباطهورا فجعل يحرك فمه كأنه يمص فلما فرغ من صلاته قيل له أتقرأم تشرب قال والله لولم اجد لذته عند قراءته كلذتى عند شربه ماقرأته وفى التأويلات النجمية قوله عاليهم الخ يشيرالى اتصاف اهل الجنة بملابس الصفات الالهية والاخلاق الربانية من خضرأى من الصفات الذاتية واستبرق اى من الصفات الاسمائية والى تحليهم بحلى اساور الاسماء الذاتية و الصفاتية الزاهرة الباهرة وسقاهم ربهم بكأس الربوبية والتربية شراب المحبة الذاتية الطاهرة عن شوب كدورة رقبة الاغيار (ان هذا) على اضمار القول اى يقال لهم ان هذا الذى ترونه من فنون الكرامات و يجوز ان يكون خطابا من الله فى الدنيا للابرار اى ان هذا الذى ذكر من انواع العطايا (كان لكم جزاء) عوضا بمقابلة اعمالكم الحسنة فان قيل كيف يكون جزاء لاعمالهم و هى مخلوقة لله عند اهل السنة واجيب بانها لهم كسبا عندهم ولله خلقا (وكان سعيكم) وهست شتابتن شما در كار خيردردنيا (مشكورا) مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب الخاوص نيتكم فيزداد بذلك فرحهم وسرورهم كما ان المعاقب يزداد غمه اذا قيل له هذا جزاء عملك الردئ فالشكر مجاز عن هذا المعنى تشبيها له بالشكر من حيث انه مقابل للعمل كما ان الشكر مقابل للنعم قال بعضهم ادنى الدرجات ان يكون العبد راضيا عن ربه و اليه الاشارة بقوله كان لكم جزاء واعلاها كونه مرضيا له واليه الاشارة بقوله وكان سعيكم مشكورا ولما كان كونه مرضيا اعلى الدرجات ختم به ذكر مراتب الابرار و فى التأويلات النجمية ان هذا كان لكم جزاء لاقتضاء استعداداتكم الفطرية وكان سعيكم مشكورا غير مضيع بسبب الرياء والسمعة (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) اى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فكأنه تعالى يقول ان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة وسحرفانا الملك الحق اقول على سبيل التأكيد ان ذلك وحى حق وتنزيل صدق من عندى فلاتكترث بطعنهم فانك انت النبى الصادق المصدق (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على الكافرين فان له عاقبة حميدة ولا تستعجل فى امر المقابلة والانتقام فان الامور مرهونة باوقاتها وكل آت قريب (ولاتطع منهم) اى من الكفار (آثما او كفورا) اولا حد الشيئين والتسوية بينهما فاذا قلت فى الاثبات جالس الحسن اوابن سيرين كان المعنى جالس احدهما فكذا اذا قلت فى النهى لاتكلم زيدا اوعمرا كان التقدير لاتكلم احدهما والاحد عام لكل واحد منهما فهو فى المعنى لا تكلم واحدا منهما فآل المعنى فى الآية ولاتطع كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه فاوالاباحة اى للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان اى عصيان المخاطب للداعى اليهما والاستقلال به والتقسيم الى الآثم والكفور مع ان الداعين يجمعهم الكفر باعتبار ما يدعونه اليه من الاثم والكفر لا باعتبار انتسابهم فى انفسهم الى الآثم والكفور لانهم كانو كفرة والكفرا خبث انواع الاثم فلا معنى للقسمة بحسب نفس كفرهم واثمهم وذلك ان ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد ان يكون النهى عن الاطاعة فى الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر فالمراد بالاثم ماعدا الكفر اذالعام اذا قوبل بالخاص يراد به ماعدا ذلك الخاص وخص الكفر بالذكر تنبيها على غاية خبثه من بين انواع الاثم فكل كفور آثم وليس كل آثم كفورا ولا بعد ان يراد بالآثم من هو تابع و بالكفور من هو متبوع (وقال الكاشفى) آثما كاهكارى راكه ترا باثم خواند چون عتبه بن ربيعه كه گفت ازدعوت خود بازايست تادختر خودرا بتودهم او كفورا وناسپاسى راكه ترا بكفر دعوت كند چون وليد بن مغيره كه گفت بدين آباء رجوع كن تارا تواانكر سازم و فى نهيه عليه السلام عن الاطاعة فيما يدعونه اليه مع انه ما كان يطيع احدا منهم و لا يتصور فى حقه ذلك اشارة الى ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم التى جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو و الغفلة و ان احدا لواستغنى عن توفيق الله و امداده و ارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم فظهر انه لا بد لكل مسلم ان يرغب الى الله و يتضرع اليه ان يحفظه من الفتن والآفات فى جميع اموره وقال القاشانى ولاتطع منهم آثما اى محتجبا بالصفات والاحوال او بذاته عن الذات او بصفات نفسه وهيئاتها عن الصفات او كفورا محتجبا بالافعال والآثار واقفا معها او بافعاله و مكوناته عن الافعال فتحجب بموافقتهم انتهى عصمنا الله و اياكم من موافقة الاعداء مطلقا (واذكر اسم ربك بكرة) اول النهار (واصيلا)

اى عشيا وهو آخر النهار اى وداوم على ذكره فى جميع الاوقات فاريد بقوله بكرة واصيلا الدوام لانه عليه السلام كان آتيا بنفس الذكر المأمور به وانتصابهما على الظرفية اودم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل كما يطلق على مابعد العصر الى المغرب فكذا يطلق على مابعد الزوال فيتناول وقتى الظهر والعصر قال سعدى المفتى التأويل بالدوام انما يحتاج اليه لوثبتت فرضية الصلوات الخمس قبل نزولها والظاهر انه كذلك فانها فرضت ليلة المعراج يقول الفقير وفيه ان الصلوات الخمس وان فرضت ليلة المعراج الا ان المعراج كان قبل الهجرة بسنة والتأريخ فى نزول الآية مجهول اهى نازلة قبل المعراج ام بعده فان كان الثانى ثبت مطلوبه والافلا قال القاشانى واذكر ذلك الذى هو الاسم الاعظم من اسمائه بالقيام بحقوقه واظهار كما لاته فى المبدأ والمنتهى بالصفات الفطرية من وقت طلوع النور الالهى بايجادها فى الازل وابداع كما لاته فيها وغروبه بتعينها واحتجابه بها واظهارها مع كما لاتها (ومن الليل فاسجد له) وفى بعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء پس معنى چنين باشد كه برپنج نماز مداومت نماى وتقديم الظرف للاهتمام لما فى صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص وافضل الاعمال اشقها واخلصها من الرياء فاستحقت الاهتمام بشأنها وقدم وقتها لذلك ثم الفاء لافادة معنى الشرط كأنه قال مهما يكن من شئ فاسجد له ففيها وكادة اخرى لامرها وفى التأويلات النجمية واعبد ربك المطلق حق العبودية بالفناء فيه من ليل طبيعتك وغلس بشريتك اذ السجود صورة الفناء الذاتى والركوع صورة الفناء الصفاتى والقيام صورة الفناء الافعالى فافهم بعض اسرار الصلاة (وسبحه ليلا طويلا) اى صل صلاة التهجد لانه كان واجبا عليه فى طائفة طويلة من الليل ثلثيه اونصفه اوثلثه فقوله ليلا طويلا نصب على الظرفية فان قلت انتصاب ليلا على الظرفية وطويلا نعته و معناه سبحه فى الليل الطويل فمن اين يفهم ماذكرت من المعنى قلت ظاهر ان توصيف الليل بالطول ليس للاحتراز عن القصير فان الامر بالتهجد يتناوله ايضا فهو لتطويل زمان التسبيح وفى التعبير فى التهجد بالتسبيح وتأخير ظرفه دلالة على انه ليس فى مرتبة ماقبله (ان هؤلاء) اى كفار مكة عادالى شرح احوال الكفار بعد شرح صدره عليه السلام بماذكر من قوله انا نحن الخ (يحبون العاجلة) دوست ميدارند سراى شتابنده را يعنى دنيارا وينهمكون فى لذاتها الفانية فهو الحامل لهم على الكفر والاعراض عن الاتباع لا اشتباه الحق عليهم (ويذرون) يتركون (وراءهم) اى امامهم لا يستعدون فهو حال من يوما او ينبذون وراء ظهورهم فهوظرف ليذرون فوراء يستعمل فى كل من امام وخلف والظاهر فى وجه الاستعمالين ان وراء اسم للجهة المتوارية اى المستترة المختفية عنك واستتار جهة الخلف عنك ظاهر وما فى جهة الامام قد يكون متواريا عنك غير مشاهد ومعاين لك فيشبه جهة الخلف فى ذلك فيستعار له اسم الوراء (يوما ثقيلا) لا يعبأون به ويوما مفعول يذرون وثقيلا صفته ووصفه باثقل مع انه من صفات الاعيان الجسمية لاالامتدادات الوهمية لتشبيه شدته وهوله بثقل الحمل الثقيل ففيه استعارة تخييلية وفى الآية وعيد لاهل الدنيا ونعيها خصوصا لاهل الظلم والرشوة (نحن) لاغيرنا (خلقناهم) من نطفة (وشددنا اسرهم) اى احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب ليتمكنوا بذلك من القيام والقعود والاخذ والدفع والحركة وحق الخالق المنعم ان يشكر ولا يكفر ففيه ترغيب والاسر الربط ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقد وقد الرمضاف وهو المفاصل (وفى كشف الاسرار) وآفرينش انسان سخت بستيم تآفرينش واندامان برجاى بود فعناه شددنا خلقهم وقال الراغب اشارة الى الحكمة فى تركيب الانسان المأمور بتدبرها وتأملها فى قوله وفى انفسكم افلا تبصرون وقيل وشددنا مخرج البول والغائط اذا خرج الاذى انقبض اومعناه انه لا يسترخى قبل الارادة (واذا شئنا تبديلهم) (بدلنا امثالهم) اى بدلناهم بامثالهم بعد اهلاكهم والتبديل يتعدى الى مفعولين غالبا كقوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات يعنى يذهب بها ويأتى بدلها بحسنات (تبديلا) بديعا لاريب فيه وهو البعث كما ينبىء عنه كلمة اذا فالمثلية فى النشأة الاخرى انما هى فى شدة الاسر وباعتبار الاجزاء الاصلية ولاينافيها الغيرية بحسب العوارض كاللطافة والكثافة وبالفارسية وچون خواستيم بدل كنيم ايشانرا بامثال ايشان درخلقت يعنى ايشانرا بميرانيم ودرنشأت ثانيه بمانند همين صورت وهيات بازآريم اوالمعنى واذا شئنا بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم ففيه ترهيب فالمثلية باعتبار الصورة

و لا ينافيها الغيرية باعتبار العمل والطاعة واذ للدلالة على تحقق القدرة و قوة الداعية و الا فالمناسب كلمة ان اذ لا تحقق لهذا التبديل قال القاشاني نحن خلقناهم بتعيين استعداداتهم و قويناهم بالميثاق الازلي والاتصال الحقيقي واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا بان نسلب افعالهم بافعالنا ونمحو صفاتهم بصفاتنا ونفني ذواتهم بذاتنا فيكونوا ابدالا (ان هذه تذكرة) اشارة الى السورة او الآيات القريبة اى عظة مذكرة لما لا بد منه في تحصيل السعادة الابدية جعلت عين التذكرة مبالغة وفي عين المعاني تذكرة اى اذ كار بما غفلت عنه عقولهم (وقال الكاشفي) يامعاملة اهل بيت در بذل و ايثار عبرتيست مؤمنا نرا تا بمثل آن عمل كنند واز مثل اين جزاها بهره يابند (فمن) پس هركه (شاء اتخذ الى ربه سبيلا) اى فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اى تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها و قال ان الشيخ فمن شاء النجاة من اهوال ذلك اليوم وشدته اختار سبيلا مقربا الى مرضاة ربه وهو الطاعة (وما تشاؤن الا ان يشاء الله) تحقيق الحق و بيان ان مجرد مشيتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية و ان مع الفعل في حكم المصدر الصريح في قيامه مقام الظرف و المعنى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب و انما التأثير والخلق لمشيئة الله تعالى وغاية ما في الباب ان المشيئة ليست من الافعال الاختيارية للعبد بل هي متوقفة على ان يشاء الله اياها وذلك لاينافي كون الفعل الذي تعلقت به مشيئة العبد اختياريا له واقعا بمشيئته و ان لم تكن مشيئته مستقلة فيه وهو الجبر المتوسط الذي يقول به اهل السنة و يقولون الامر بين الامرين اى بين القدر والجبر قال في عين المعاني قوله تعالى فمن شاء الخ حجة تكليف العبودية وقوله تعالى وما تشاؤن الخ اظهار قهر الالوهية (ان الله كان عليما حكيما) بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم و الحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم و الحكمة فيفعل مايستأهله كل احد ولا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه و تقتضيه حكمته قال القاشاني و ما تشاؤن الا بمشيتي بان اريد فتريدون فتكون ارادتكم مسبوقة بارادتي بل عين ارادتي الظاهرة في مظاهرهم ان الله كان عليما بما اودع فيهم من العلوم حكيما بكيفية ايداعها وابرازها فيهم باظهار كمالهم (يدخل من يشاء في رحمته) بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اى يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان و الطاعة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ماذكر (اعد لهم عذابا اليما) اى مؤلما في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اى يدخل من يشاء في رحمته و يعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر و في الآية اشارة الى ادخال الله بعض عباده في رحمة معرفته واما بعض عباده وهم الظالمون الواضعون الضلالة في مقام الهداية والجهالة في مقام المعرفة فان الله اعد لهم عذاب الحجاب المؤلم للروح والجسم وايضا عذابا بالوقوف على الرب لوقوفهم مع الغير مع الغير على الدار لوقوفهم مع الآثار وختم الله السورة بالعذاب المعد يوم البعث والحشر ففيه حسن الخاتمة لموافقته الفاتحة على مالا يخفى على اهل النظر والفهم

تمت سورة الانسان بعون ذي الاحسان يوم الثلاثاء الرابع من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف

(سورة المرسلات خمسون آية مكية استثنى منها واذا قيل لهم اركعوا الآية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) الواو للقسم والمرسلات بمعنى الطوائف المرسلات جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة باعتبار ان ملائكة كل يوم اوكل عام اوكل حادثة طائفة وعرفا بمعنى متتابعة من عرف الفرس وهو الشعرات المتتابعة فوق عنقه فهو من باب التشبيه البليغ بان شبهت الملائكة المرسلون في تتابعهم بشعر عرف الفرس واتصابه على الحالية اى جاريات بعضها اثر بعض كعرف الفرس اوالعرف بمعنى المعروف والاحسان نقيض النكر بمعنى المنكر اى الشيء القبيح فانهم ان ارسلوا للرحمة فظاهر وان ارسلوا لعذاب الكفار فذلك معروف للانبياء والمؤمنين يعني ان عذاب الاعداء احسان الاولياء فاتصابه على العلية وعصفت الريح اشتدت وعصفا مصدر مؤكد وكذا نشرا وفرقا

والفاء الدلالة على اتصال سرعة جريهن فى نزولهن و هبوطهن بالارسال من غير مهلة وهى لعطف الصفة على الصفة اذالموصوف متحد والنشر بمعنى البسط والعدول الى الواو فى الناشرات لانها غير المرسلات فالقسم الاول وصفهم الله بوصفين يتعقب احدهما على الآخر والقسم الثانى وصفهم بثلاثة اوصاف كذلك و الفرق الفصل والالقاء هنا بمعنى الايصال والانزال لاالطرح و ذكرا بمعنى الوحى مفعول الملقيات وترتيب الالقاء على ماقبله بالفاء ينبغى ان يكون لتأويله بارادة النشر والفرق و سيأتى تمامه اقسم الله بطوائف من الملائكة ارسلهن باوامره بنحو التدبير وايصال الارزاق بالتصرف فى الامطار و الرياح و كتابة اعمال العباد بالليل والنهار وقبض الارواح فعصفن فى مضيهن يعنى سخت رفتند عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى اونشرن الشرائع فى الاقطار اى فرقن واشعن اونشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل اى احيين بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء (عذرا) لاهل الحق اى معذرة لهم فى الدنيا و الآخرة لاتباعهم الحق (اونذرا) لاهل الباطل لعدم اتباعهم الحق وعذرا مصدر من عذر اذا محا الاساءة ونذرا اسم مصدر من انذر اذا خوف لامصدر لانه لم يسمع فعل مصدرا من افعل وانتصابهما على البدلية من ذكرا قال ابن الشيخ ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون عذرا اونذرا بدل البعض من الكل فانما يتعلق بمغفرة المطيعين و تخويف المعاندين بعض من جملة الوحى وان اريد بالذكر المبدل منه مايتعلق بسعادة المؤمن وشقاوة الكافر خاصة يكون بدل الكل من الكل فان القاء ما يتعلق بسعادة المؤمن متحد بالذات مع القاء عذره و محو اساءته وكذا القاء ما يتعلق بشقاوة الكافر متحد مع القاء انذاره على كفره انتهى او انتصابهما على العلية للصفات المذكورة او للاخيرة وحدها وهو الاولى بمعنى فالقين ذكرا لمحو ذنوب المعتذرين الى الله بالتوبة و الاستغفار ولتخويف المبطلين المصرين وفى كشف الاسرار لاجل الاعذار من الله الى خلقه لئلا يكون لاحد حجة فيقول لم يأتنى رسول ولاجل انذارهم من عذاب الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عذرا اونذرا قال يقول الله يا ابن آدم انما امرضكم لاذكركم والمحص به ذنوبكم واكفر به خطاياكم وربكم اعلم ان ذلك المرض يشتد عليكم و انا فى ذلك معتذر اليكم قال بعضهم المعنى ورب المرسلات الخ وفى الارشاد لعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس و الفرق على الالقاء اى مع ان الظاهر ان الفرق بين الحق والباطل يكون مع النشر لا بعده وان القاء الذكر الى الانبياء متقدم على نشر الشرائع فى الارض و احياء النفوس الموتى والفرق بين الحق والباطل فلايظهر التعقيب بينهما الايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها اوللاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم و الاجلال بالاقسام بهن ولو جئ بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب للذكر من الاستحقاق هذا وقد قيل فى هذا المقام غير ذلك لكن الحمل على الملائكة اوجه واسدل ذكرنا فى المدثر ان المحققين على انه من الملائكة المرسلات والناشرات والملقيات وغير ذلك (قال فى كشف الاسرار) درروز كار خلافت عمر رضى الله عنه مردى بيامد از اهل عراق نام اوصبيغ واز عمر ذاريات ومرسلات پرسيد صبيغ عادت داشت كه پيوسته از بن معضلات آيات پرسيدى يعنى تا كه مردم دروفروماند عمرا ورا دره زد وگفت اوو جدتك محلوقا لضربت الذى فيه عيناك يعنى اگر من تراسر سترده يافتم من ترا كردن زدم عمر رضى الله عنه اين سخن را از بهر آن گفت كه از رسول خدا عليه السلام شنيده بود در صفت خوارج كه سيماهم التحليق گفت درامت من قومى خوارج پيدا آيند نشان ايشان آنست كه ميان سر سترده دارند پس عمر نامه نبشت با موسى الاشعرى وكان امير اعلى العراق كه بكسال اين صبيغ را مهجور دارد باوى منشينيد وسخن مگوييد پس از بكسال صبيغ توبه كرد وعذر خواست وعمر رضى الله عنه توبه و عذروى قبول كرد شافعى رحمه الله گفت حكمى فى اهل الكلام كحكم عمر فى صبيغ قال فى القاموس صبيغ كاميربن عسيل كان يعنت الناس بالغوامض والسؤالات فنفاه عمر الى البصرة انتهى (انما توعدون لواقع) جواب للقسم اى ان الذى توعدونه من مجئ القيامة كائن لامحالة فانما هذه ليست هى الحصرية بل ما فيها موصولة وان كتبت متصلة فى خط المصحف والموعود هو مجئ القيامة لان المذكور عقيب هذه الآية علامات يوم القيامة وقال الكلبى المراد

ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع نظرا الى عموم لفظ الموصول وفى التأ ويلات النجمية انما توعدون من يوم قيامة الفناء الكلى فى الله لواقع حاصل بالنسبة الى اهل المعرفة و الشهود و ارباب الذوق والوجود واما بالنسبة الى اهل الحجاب و الاحتجاب فسيقع ان كانوا مستعدين لرفع الحجاب وكشف النقاب والى هذا الوقوع المحقق اشار بقوله كل شئ هالك الا وجهه اى فى الحال و بقوله كل من عليها فان اى فان فى عين البقاء اذ المقيد مستهلك فى اطلاق المطلق استهلاك نور الكواكب فى نور الشمس واستهلاك اعتبارات النصفية والثلثية و الربعية فى الاثنين و الثلاثة و الاربعة ثم اخبر عن ظهور آثار يوم القيامة وحصول دلائلها لاهل الشقاوة بقوله (فاذا النجوم طمست) محيت ومحقت ذواتها فان الطمس محو الاثر الدال على الشئ وهو الموافق لقوله واذا الكواكب انتثرت او ذهب بنورها و الاول اولى لانه لا حاجة فيه الى الاضمار و النجوم مرتفعة بفعل يفسره ما بعده او بالابتداء وطمست خبره والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى ومحل الجملة على الاعرابين الجر باذا وجواب اذا محذوف والتقدير فاذا طمست النجوم و قع ما توعدون او بعثتم اوجوز يتم على اعمالكم وحذف لدلالة قوله انما توعدون لواقع عليه وفيه اشارة الى محق نجوم الحواس العشر الظاهرة و الباطنة عن ادراك الحقائق عند طلوع شمس الحقيقة (واذا السماء فرجت) صدعت من خوف الرحمن و شققت و وقعت فيها الفروج التى تفاها بقوله و ما لها من فروج و فتحت فكانت ابوابا فالفرج الشق وكل مشقوق فرج و بالفارسية و آنكاه كه آسمان شكافته كردد و فيه اشارة الى صدع سماء الارواح وشقها عند سطوات التجليات الجلالية (واذا الجبال نسفت) جعلت كالحب الذى ينسف بالمنسف وهو ما ينفض به الحب و يذرى ونحوه و بست الجبال بسافا لنسف والبس بالفارسية پراكنده كردن ودا ميدن و فيه اشارة الى تلاشى جبال الخيالات و الاوهام الفاسدة الكاسدة عند بوادى المشاهدات وهوادى المعاينات (واذا الرسل اقتت) اى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على امهم وذلك عند تجليه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبل حصوله فان علم ذلك الى الله تعالى يعنى ان تبيين وقت حضورهم لهم من جملة علامات القيامة من حيث ان ذلك التعيين و التبيين لم يكن حاصلا فى الدنيا لعدم حصول الوقت فيقال لهم عند حصوله احضروا للشهادة فقد جاء وقتها والمعنى واذا الرسل بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وهو يوم القيامة فان التوقيت كما يجئ بمعنى تحديد الشئ و تعيين وقته فكذا يجئ بمعنى جعل الشئ منتهيا الى وقته المحدود وعلى المعنى الاول لا يقع على الذوات بدون اضمار فان الموقت هو الاحداث لا الجثث فلا يقال زيد موقت الا ان يراد موقت حضوره وكذا توقيت الرسل انما هو بالنسبة الى حضورهم لا بالنسبة الى ذواتهم لان الذوات قارة لا يعتبر فيها تعيين بخلاف الزمانيات المتجددة هكذا قالوا وقال سعدى المفتى وفى وقوعه على المعنى الثانى على الجثث بدون اضمار بحث ظاهر وان ذهب اليه صاحب الكشف ونحوه وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل لانه من الوقت والباقون ابدلوا الواو همزة لان الضمة من جنس الواو فالجمع بينهما يجرى مجرى الجمع بين المثلين فيكون ثقيلا و لهذا السبب تستثقل الكثرة على الياء ولم تبدل فى نحو ولا تنسوا الفضل بينكم لان ضمة الواو ليست بلازمة فيه وفى كشف الاسرار الالف والواو لغتان والعرب تبدل الالف من الواو تقول وسادة واسادة وكتاب مورخ ومؤرخ وقوس موتر ومؤتر وفى الآية اشارة الى رسل القلب والسر وتعيين وقت شهادتهم على امة الاعضاء و الجوارح (لاى يوم اجلت) مقدر يقول هو جواب لاذا فى قوله واذا الرسل اقتت اى يقال لاى يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل اى بجمعهم واحضارهم كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم و التعجيب من هوله قال القاشانى و اذا الرسل اى ملائكة الثواب و العقاب عينت و بلغت ميقاتها الذى عين لها اما لايصال البشرى و الروح و الراحة واما لايصال العذاب والكرب و الذلة ليوم عظيم اخرت عن معاجلة الثواب و العقاب فى وقت الاعمال و رسل البشر وهم الانبياء عينت و بلغت ميقاتها الذى عين لهم فيه الفرق بين المطيع والعاصى والسعيد والشقى فان الرسل يعرفون كلا بسيماهم (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل و هو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق و يقضى بالحقوق و يحكم بين المحسن و المسئ و يميز بين ارباب شهود الوحدة الذاتية و بين اصحاب شهود الكثرة الاسمائية والصفاتية و قال بعضهم يفصل فيه بين الحبيب و حبيبه الا من كان معاملته لله فى الله و بين الرجل وامه وابيه واخيه

الاان يكونوا متفقين على الحق و العدل (وماادراك مايوم الفصل) مامبتدأ ادراك خبره اى اى شئ جعلك داريا وعالما ماهووما كنهه اذلم ترمثله وكذالم يراحد قبلك شدته حتى تسمع منه (قال الكاشفى) وچه چيز داناكرد تراكه چيست روزفصل چه كنه اورانتوان دانست فوضع موضع الضمير ليوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ماخبر ويوم الفصل مبتدأ لابالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امر ابديعا هائلا لايقادر قدره ولايكتنه كنهه كمايفيده خبرية مالابيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كمايفيده عكسه (ويل) واى (يومئذ) اى فى ذلك اليوم الهائل (للمكذبين) بيوم يفصل فيه الرحمن بين الخلائق اى الويل والهلاك ثابت فيه لهم والويل فى الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعل لامن لفظه فاصله اهلكه الله اهلا كا اوهلك هوهلا كا عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعوعليه و يومئذ ظرفه اوصفته ووضع الويل موضع الاهلاك اوالهلاك لجواز وقوعه مبتدأ مع كونه نكرة فانه لما كان مصدرا سادا مسد فعله المتخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك كما قالوا فى سلام عليك وقال بعضهم الويل وادفى جهنم اوارسلت فيه الجبال لماعت من حره اى ذابت وقال الجنيد قدس سره الويل يومئذ لمن كان يدعى فى الدنيا الدعاوى الباطلة (الم نهلك الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن هلكوا قبل بعثة سيد المرسلين عليه السلام وذلك لتكذيبهم يوم الفصل وهواستئناف انكارلعدم الاهلاك اثباتا وتقريرا له لان نفى النفى يثبت الاثبات و يحقق الاهلاك فكأنه قيل لم يكن عدم الاهلاك بل قد اهلكناهم (ثم نتبعهم الآخرين) وهم الذين كانوا بعد بعثته عليه السلام وهو بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم فى الكفر والتكذيب اى نجعلهم تابعين للاولين فى الاهلاك فليس الكلام معطوفا على ماقبله لان العطف يوجب ان يكون المعنى اهلكنا الاولين ثم اتبعناهم الآخرين فى الاهلاك وليس كذلك لان اهلاك الآخرين لم يقع بعد فلذلك رفع تبع على ان يكون مقطوعا عماقبله و يستأنف به الكلام على وجه الاخبار عماسيقع فى المستقبل باضمار المبتدأ وفيه وعيد لكفارمكة (كذلك) اى فعلا مثل ذلك الفعل الذى اخبربه فمحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف (نفعل بالمجرمين) بكل من اجرم اى سننا جارية على ذلك وفيه تحذير من عاقبة الجرم وسوء اثره (ويل) مكروهى بزرك (يومئذ) يوم اذاهلكناهم (للمكذبين) بآيات الله وانبيائه وليس فيه تكرير لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا وفى برهان القرآن كررها فى هذه السورة عشر مرات لان كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الاولى فلايكون تكرارا مستهجنا ولو لم يكرر كان متوعدا على بعض دون بعض وقيل ان من عادة العرب التكرار و الاطناب كما ان عادتهم الاقتصار والايجاز ولان بسط الكلام فى الترغيب والترهيب ادعى الى ادراك البغية من الايجاز و قديجد كل احد فى نفسه من تأثير التكرار مالاخفاء به (الم نخلقكم) اى الم نحدثكم و اتفق القراء على ادغام القاف فى الكاف فى هذا الحرف و ذكر النقاش انه فى قراءة ابن كثير ونافع برواية قالون وعاصم فى رواية حفص بالاظهار قاله فى الايضاح (من ماء مهين) بهوان الحدوث والامكان والابتذال اى من نطفة قذرة مهينة يعنى خوار و بى مقدار والميم اصلية ومهانته قلته وخسته وكل شئ ابتذلته فلم تصنه فقد امتهنته اى خلقنا كم منه ولذا عطف عليه قوله (فجعلناه) اى الماء وبالفارسية پس نكاه داشتيم آن آب را (فى قرار مكين) وهو الرحم بكسر الحاء المهملة اى وعاء الولد فى بطن الام يعنى درقرارگاه استوار كه رحم است فالقرار موضع الاستقرار و المكين الحصين اى جعلنا ذلك الماء فى مقر حصين يتمكن فيه الماء محفوظا سالما من التعرض له فمكين من المكانة بمعنى التمكن لامنها بمعنى المنزلة والمرتبة من الكون يقال رجل مكين فى مكة اى متمكن فيها ومكين عند الامير اى ذومنزلة ومرتبة عنده فيكون فعيلا لامفيلا (الى قدر معلوم) اى مقدار معلوم من الوقت الذى قدره الله للولادة تسعة اشهر اواقل منها اواكثر وهوفى موضع الحال من الضمير المنصوب فى فجعلناه اى مؤخرا الى مقدار معلوم من الزمان (فقدرنا) اى فقدرناه والمراد تقدير خلقه وجوارحه واعضائه والوانه ومدة حمله وحياته و يدل على كون قدر المخفف لغة بمعنى قدر المشدد قراءة نافع والكسائى بالتشديد (فنعم القادرون) اى نحن بمعنى المقدرون والى هذا المعنى ذهب ابن مسعود رضى الله عنه و يجوز ان يكون فقدرنا من القدرة بمعنى فقدرنا على ذلك اى على خلقه

وتصويره كيف شئنا واردنا من مثل تلك المادة الحقيرة على ان المراد بالقدرة مايقارن وجود المقدور بالفعل ويعضده قوله فنعم القادرون حيث خلقناه بقدرتنا وجعلنا على احسن الصور والهيئات (ويل) بزركتر بلايى (يومئذ للمكذبين) اى بقدرتنا على ذلك اوعلى الاعادة قال ابو الليث اى الشدة من العذاب لمن يرى الخالق الاول فانكر الخلق الثانى (الم نجعل الارض كفاتا) عرفهم اولا نعمه الانفسية لانها كالاصل ثم اتبعها النعم الآفاقية والكفت باهم آوردن والكفات اسم ما يكفت اى يضم ويجمع من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه كالضمام لما يضم والجماع لما يجمع نحو الثقوى جماع كل خير والحمر جماع كل اثم وكفاتا مفعول ثان لنجعل لانه بمعنى الم نصيرها كفاتا تكفت وتضم (احياء) كثيرة على ظهرها فهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت والا فالاسماء الجامدة وكذا اسماء الزمان والمكان والآلة وان كانت مشتقة لاتعمل وفى اسم المصدر خلاف واما المصدر وجمع اسم الفاعل فهما من الاسماء العاملة فمن جعل الكفات مصدرا اوجمع اسم الفاعل وهو كافت كصيام جمع صائم جعله عاملا ومن جعله اسما لمن يكفت اوجمعا للكفت بمعنى الوعاء منعه من العمل غير الزمخشرى فانه جعل كفاتا وهو اسم عاملا وقد طعن فيه (واموانا) غير محصورة فى بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض اما تشبيها لها بالام فى ضمها للناس الى نفسها احياء واموانا كالام التى تضم اولادها اليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون اليها جعلت كانها تضمهم وايضا كان الارض كفات الاحياء بمعنى انهم يسكنون فيها كذلك انها كفات لهم بمعنى انها تكفت ماينفصل من الاحياء من الامور المستقذرة وتنكيرهما فى معنى التعريف الاستغراقى لالافراد والنوعية ويجوز ان يقال ان الارض وان كانت كفاتا لجميع احياء الانس واموانهم لكن الاحياء والاموات غير منحصرة فيها لان بعض الحيوان يكفته الهواء والبعض الآخر يكفته الماء فلاتكون كفاتا للجميع بل للبعض فيصح التنكير ونقل عن القفال انه قال دلت الآية على وجوب قطع يد النباش من حيث انه تعالى جعل الارض كفات الميت فتكون حرزا والسارق من الحرز يجب عليه القطع (وجعلنا فيها رواسى) اى جبالا ثوابت يعلى وبيافريديم درزمين كوههاء استوار وپاى برجا فعول جعلنا مقدر ورواسى صفته له من رسا الشئ يرسو اى ثبت والجبال ثوابت على ظهر الارض لاتزول (شامخات) صفة بعد صفة والشامخ العالى المرتفع اى طوالا شواهق يعنى بلند وسرفراز ومنه شمخ بانفه عبارة عن الكبر وفى عين المعانى رواسى اى ثوابت الاصول رواسخ العروق شامخات اى مرتفعات الفروع ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث فى غير العقلاء مطرد كاشهر معلومات ونحوه والتنكير للتفخيم اوللاشعار بان مايرى على ظهر الارض من الجبال بعض منها وان فى عداد الجبال مالم يعرف ولم ير فان السماء فيها جبال ايضا بدلالة قوله تعالى من جبال فيها من برد (واسقيناكم) وبياشامانيديم شمارا (ماء فراتا) اى عذبا جدا بان خلقنا فيها انهارا ومنابع اى جعلناه سقيالكم ومكنا كم من شربه وكذا من سقيه دوابكم ومزارعكم وسمى نهرا لكوفة فراتا للذته وقال ابو الليث ماء عذبا من السماء ومن الارض يقال الفرات للواحد والجمع وتاؤه اصل والتنكير للتفخيم اوللافادة التبعيض لان فى السماء ماء فراتا ايضا بل هى معدنه ومصبه (ويل) واد فى جهنم (يومئذ) دران روز خطرناك (للمكذبين) بامثال هذه النعم العظيمة (انطلقوا) اى يقال يومئذ للمكذبين بطريق التوبيخ والتقريع انطلقوا واذهبوا والقائلون خزنة النار وزبانية جهنم (الى ماكنتم به تكذبون) فى الدنيا من العذاب وبه متعلق بتكذبون قدم لرعاية نظم الآية (انطلقوا) خصوصا (الى ظل) اى الى ظل دخان نار جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم اى دخان غليظ اسود (ذى ثلاث شعب) جمع شعبة يعنى خدا وندسه شاخ يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب فقوله ذى ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على ان التشعب من لوازمه وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق وهو مايمد فوق صحن البيت ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش قال القاضى اخذا من التفسير الكبير خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم اولان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة فى الدماغ المشوشة للنفس عن ادراك الحقائق والقوة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب الدافعة للنفس عن القيام على حق الاعتدال والقوة الشهوية البهيمية التى عن يساره المانعة للنفس عن الاتصاف بالاوصاف

الالهية ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره فجميع مايصدر عن الانسان من العقائد الفاسدة والاعمال الباطلة لاينشأ الامن هذه القوى الثلاث الواهمة والغضبية والشهوية فهذه الثلاث لما كانت منبع جميع الآفات الصادرة عن الانسان تشعبت شعب العذاب على حسبها پس هركه خواهد كه فردا ازين دخان كه ظل من يحموم اشارت بدانست ايمن كردد امروز بنور عقل متمسك شده ازتبركى صفت شيطانى وسبعى و بهيمى بيايد كذشت * زنار يكئ خشم وشهوت حذر كن * كه ازود آن چشم دل تيره كردد * غضب چون درآمد رود عقل بيرون * هوى چون شود چيره جان خيره كردد * ويحتمل ان تكون الخصوصية لتضييعهم القوى الثلاث التى هى السمع والبصر والفؤاد كما قال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون فشكرها ورعايتها مبدأ السعادات وعدم محافظتها واتلافها منشأ الشقاوات يقول الفقير عندى وجه آخر وهوان الايمان عبارة عن التصديق والاقرار والعمل فجعلت كل شعبة من الثلاث بمقابلة واحدة من هذه الاركان دل على هذا قوله تعالى انطلقوا الى ماكنتم به تكذبون فأورد التكذيب الذى هو صفة القلب فان القلب لكونه مدار الاعضاء والقوى اذا فسد فسدا للسان وسائر الاركان فالتكذيب ظلمة باطنة للقلب ضوعفت بظلمة ترك الاقرار والعمل فلما تضاعفت الظلمات الباطنة فى الدنيا تضاعفت الظلمات الظاهرة فى الآخرة لان لكل عمل وصفة صورة شخصية جسدانية يوم القيامة (لاظليل) اخذ من الظل للتأكيد كيوم نائم اى لايظل من الحر وتوصيف الظل بانه لايظل من حر ذلك اليوم وهو حر النار للدلالة على ان تسمية مايغشاهم من العذاب بالظل استهزاء بهم فان شأن الظل ان يدفع عمن يستظل به مقاساة شدة الحر وانه ينفعه ببرده ونسمه والذى امروا بالانطلاق اليه يضاعف عليهم ماهم فيه من الحر والعذاب فضلا عن ان يستريحوا ببرده اورد لما اوهمه لفظ الظل من الاستراحة كما مر فى الواقعة

(ولايغنى من اللهب) اى غير مغن لهم من حر اللهب كما يغنى ظل الدنيا من الحر فقوله لاظليل فى موضع الجر على انه صفة لظل ولفظ غير مانع للصفتية اى ظل غير ظليل وغير مغن ومفعول يغنى محذوف هوشيأ ومن لبيانه و يغنى من اغنى عنى وجهه اى ابعده لان الغنى عن الشئ يباعده كما ان المحتاج اليه يقاربه فصح ان يعبر باغناء شئ عن شئ عن ابعاده عنه فكان المعنى ان هذا الظل لايظلكم من حر الشمس ولايدفع عنكم لهب النار واللهب مايعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر وفى التأويلات النجمية ظل الروح وظل القلب ظل ظليل ممدود نفعه واثره وروحه لاظل النفس والهوى وقال بعضهم ظل شجرة النفس الخبيثة المنقطعة عن نور الوحدة بظلمة ذاتها ليس بظليل كظل شجرة طوبى فلايفيد الروح والراحة بخلاف ظل شجرة النفس الطيبة المنورة بنور الوحدة الغير المنشعبة الى الشعب المختلفة المتضادة كالشيطانية والسبعية والبهيمية (انها) اى الشعب لانها هى المذكورة لا النار (ترمى بشرر) مى افكند در انروز شرارها كه هر شراره (كالقصر) مانند كوشكى عظيم اى كل شررة كقصر من القصور فى عظمها كما دل على هذا التفسير قوله كأنه جمالة صفر فالشرر جمع شررة وهى ماتطاير من النار فى الجهات متفرقا كالنجوم كما قال فى القاموس الشرار والشرر ككتاب وجبل مايتطاير من النار واحدتهما بهاء انتهى وكالقصر فى موضع الصفة للشرر والقصر مفرد وهو البناء العالى ووصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده والقصر ايضا الحطب الجزل ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير الآية هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشب فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء فكنا نسميها القصرا لكونها مقصورة مقطوعة من الممدودة الطويلة تأمل فى ان نارا دخانها وشررها هكذا فما بالك بحال اهلها (كأنه) اى الشرر وفى فتح الرحمن كأنه اى النار ثم رد الضمير الى لفظ النار دون معناها فقال كأنه (جمالة صفر) جمع جمل كحجارة فى جمع حجر والتاء لتأنيث الجمع او اسم جمع كالحجارة والجمل ذكر الابل والناقة انثاه واذا لم يكن فى جماعة الابل انثى يقال جمالة بالكسر والصفر جمع اصفر والصفرة لون من الالوان التى بين السواد والبياض وهى الى البياض اقرب ولذلك قد يعبر بها عن السواد والمعنى كأن كل شررة جمل اصفر او كجمل اسود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة كما قيل لبعض الظباء آدم لان بياضها تعلوه كدرة ولان صفر الابل يشوب رؤس اشعارها سواد وفى الحديث (شرار جهنم اسود كالقير) فالاول وهو التشبيه بالقصر تشبيه فى العظم

و الثانى و هو التشبيه بالجمل فى اللون والكثرة و التتابع و الاختلاط و الحركة و فى المفردات قوله تعالى كأنه جمالة صفر قيل جمع اصفر وقيل بل اراد به الصفر المخرج من المعادن ومنه قيل للنحاس صفر وفى التأويلات النجمية كل صفة من الاوصاف البهيمية والسبعية والشيطانية بحسب الغلظة و الشدة كالقصور المرتفعة و البروج المشيدة اوكأنه جمالة صفر عظيمة الهيكل طويلة الاشر صفر من شدة قوة النار فى ذلك الشرر وهى القوة الغضبية (و يل) مشقت بسيار (يومئذ للمكذبين) باهوال يوم القيامة واحوال العصاة فيه (وقال الكاشفى) مر دروغ زنا راست كه مشقت دوزخ وشرارهاى آنراباورندارند (هذا يوم لاينطقون) اشارة الى وقت دخولهم النار و يوم مرفوع على انه خبر هذا اى هذا يوم لا ينطقون فيه بشئ لما ان السؤال و الجواب و الحساب قد انقضت قبل ذلك وايضا يوم القيامة يوم طويل له مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم اولا ينطقون بشئ ينفعهم فان ذلك كلا نطق قال القاشانى لاينطقون لفقدان آلات النطق وعدم الاذن فيه بالختم على الافواه وقال بعضهم لا ينطقون من شدة تحيرهم وقوة دهشتهم و قال ابو عثمان رحمه الله اسكتهم هيبة الربوبية وحياء الذنوب كما قال الشيخ سعدى رحمه الله * سراز جيب غفلة برآور كنون * كه فردا نماند بخجلت نكون (ولا يؤذن لهم) ودستورى ندهند مرايشانرا دراعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منتظم فى سلك النفى اى لايكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب والنصب يوهم ان لهم عذرا وقد منعوا من ذكره وهو خلاف الواقع اذلو كان لهم عذر لم يمنعوا واى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر بايادية ونعمه (ويل) كرب واندوه (يومئذ للمكذبين) بهذه الاخبار وبماجاء من الحق الواقع البتة (هذا) اليوم الذى شاهدتم اهواله واحواله (يوم الفصل) بين الحق والباطل و قال البقلى هذا يوم مفارقة النفس والشيطان عن جوار قلب العارف وانفصال كل شئ عن كل محب غير محبوب به حيث استغرق فى جوده وشهوده ووجوده (جمعناكم) يا امة محمد (والاولين) من الامم وهذا تقرير و بيان للفصل اذا الفصل بين المحق والمبطل والرسل لايتحقق الا بجمع الكل فلابد من احضارهم لاسيما عند من لايجوز القضاء على الغائب (فان كان لكم كيد) حيلة تدفعون بها عنكم العذاب والظاهر ان هذا خطاب من الله للكفار (فكيدون) اصله وكيدونى حذف يا المتكلم اكتفاء بالكسرة والنون للوقاية وهو امر من كاد يكيد كيدا و هو المكر و الاحتيال والخديعة والمعنى واحتالوا لانفسكم وتخلصوا من عذابى ان قدرتم فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون يعنى حيله باخداى بيش نرود ومكرودستان عذاب ازخود دفع نتوانيد كرد * بمكروحيله عذاب خداى ردنشود * نيازبايدواخلاص ونالهٔ سحرى * توان خريد بيك آه ملك هردوجهان * ازآن معامله غافل مشوكه حيف خورى * وهذا امر اهانة وخطاب تعجيز وتقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا وتخجيل لهم بانهم كانوا فى الدنيا يدفعون الحقوق عن انفسهم و يبطلون حقوق الناس بضروب الحيل والمكايد والتلبيسات فخاطبهم الله حين علموا ان الحيل منقطعة و التلبيسات غير ممكنة بقوله فان كان لكم كيد فكيدون لما ذكر من التقريع والتخجيل و لاظهار عجزهم عن الكيد فان مثل هذا الكلام لايتكلم به الا من تيقن بعجز مخاطبه عما هو بصدده وفى بعض التفاسير اى فان وجد كيد نافع لكم على ان لكم متعلق بكان اونافعا لكم على انه حال من كيد (ويل) غم وغصة (يومئذ) دران روز هولناك (للمكذبين) حيث ظهران لاحيلة لهم فى الخلاص من العذاب (ان المتقين) من الكفر والتكذيب لانهم فى مقابلة المكذبين ففيه رد على المعتزلة (فى ظلال) جمع ظل كشعاب وشعب اوظلة كقباب وقبة اى فى ظلال ظليلة على الحقيقة كما يدل عليه الاطلاق يعنى لاكظل المكذبين وبافارسية درسايهاى در ختان بهشت باشند قال بعضهم الظاهر انه اخبار عن كونهم تحت اشجار مثمرة لهم فى جنانهم يقول الفقير الاظهر ان كونهم فى ظلال كناية عن راحتهم العظمى لان الظل للراحة وكذا قوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا ونحوه وانما ذكر الله الظل تشويقا للقلوب لان من البلاد ماهى حارة قليلة المياه والاشجار والظلال (وعيون) عذبة دافعة عنهم العطش وبالفارسية وبركنار چشمهاى آب (وفواكه) اى الوان الفاكهة يعنى ودر ميان ميوها (مما يشتهون) ويتمنون يعنى از آنچه آرزو كنند فيتناولونها لاعن جوع وامتلاء بل عن شهوة وتلذذ والحاصل انهم مستقرون فى فنون الترفه وانواع التنعم خلاف ماعليه

مخالفوهم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الخبر أى مقولا لهم كلوا من نعم الجنة وثمراتها واشربوا من مائها وشرابها اكلا وشربا هنيئا سائغا رافها بلاداء ولا تخمة بسبب ما كنتم تعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة خصوصا الصيام كما مضى فى الحاقة وهذا امر اكرام اظهارا للرضى عنهم والمحبة لهم ممسك القائلون بايجاب العمل للثواب بالباء السببية والجواب ان السببية انما هى بفضل الله و وعده الذى لا يخلف لا بالذات بحيث يمتنع عدمه او يوجب النقص او الظلم (انا كذلك) الجزاء العظيم (نجزى المحسنين) اى فى عقائدهم واعمالهم لاجزاء ادنى منه (ويل يومئذ للمكذبين) حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا فى العذاب المخلد الوبيل (وقال الكاشفى) حيل وقبح ودم مر اهل تكذيب راست كه بنعيم بهشت نمى كروند و فى التأويلات النجمية ان المتقين بالله عما سواه اى المتقين بنور الوحدة عن ظلمة الكثرة وبنور المعرفة عن ظلمة النكرة فى ظلال الاوصاف الالهية والاخلاق الربانية وعيون من مياه العلوم والحكم وفواكه مما يشتهون من التجليات الروحانية و النزلات النورانية كلوا من اطعمة المواهب الهنية واشربوا من اشربة المشارب التوحيدية هنيئا بما كنتم تعملون من الاعمال الصالحة و الافعال الحسنة انا كذلك نجزى المحسنين المشاهدين لجمالنا المطلق و يل يومئذ للمكذبين باحسان الجزاء وجزاء الاحسان (كلوا) اى مكذبان از نعيم فانى دنيا (وتمتعوا) تمتعا (قليلا) اوزمانا قليلا يعنى عيشوا مدة قليلة الى منتهى آجالكم لان زمان الدنيا قليل كمتاعها و بالفارسية و برخوردار شويد زمان اندك (انكم مجرمون) كافرون مستحقون للعذاب و بالفارسية بدرستى كه شما مشركانيد و عاقبت شمارا عذاب دائمست قوله كلوا الخ مقدر بقول هو حال من المكذبين قال فى الكواشى لا احب الوقف على المكذبين ان نصبت كلوا حالا منه والمعنى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا بما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفانى عن قريب على النعيم الخالد فلا يرد كيف يقال لهم ذلك ولا تمتع لهم فيها يعنى ان هذا القول لهم فى الآخرة لا يكون لطلب الاكل و التمتع منهم بنعيم الدنيا حقيقة لعدم امكانه بل انما يقال لهم للتذكير المذكور فيكون الامر امر توبيخ و تحسير وتحزين وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم مآله هذا اى ليس له الا الاكل و التمتع اياما قلائل ثم البقاء فى الهلاك الابدى (ويل) واى (يومئذ) دران روز جزا (للمكذبين) حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل وفى التأويلات النجمية انكم مجرمون اى كاسبون الهيئات الردية و الملكات الغير المرضية ويل يومئذ للمكذبين بان الاوصاف الحميدة افضل من الاخلاق الذميمة (واذا قيل لهم) اى للمكذبين (اركعوا) اى اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لان الركوع والانحناء لاحد تواضع له وتعظيم والسجود اعظم منه فى التواضع والتعظيم ومن ذلك قالوا ان السجود لغير الله كفر ان كان للعبادة وخطر عظيم ان كان للتعظيم و فى حواشى ابن الشيخ الركوع فى اللغة حقيقة فى مطلق الانحناء الحسى و ركوع الصلاة من جملة افراده و تفسيره بالاطاعة و الخضوع مجاز لغوى تشبيها له بالانحناء الحسى (لا يركعون) لا يخشعون و لا يقبلون ذلك و يصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلاة او بالركوع لا يفعلون اذ روى انه نزل حين امر رسول الله عليه السلام ثقيفا بالصلاة فقالوا انا لا ننحنى ولا نجبى اى لا نقوم قيام الراكع فانها سبة علينا اى ان هيئة التجبية هيئة تظهر وترفع فيها السبة وهى الاست اى الدبر وهو عار وعيب علينا فقال عليه السلام لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود وفى بعض التفاسير كانوا فى الجاهلية يسجدون للاصنام ولا يركعون لها فصار الركوع من اعلام صلاة المسلمين لله تعالى وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة فى الاخرة كما سبق مرارا (قال الكاشفى) مراد آنست كه مسلمان نشوند چه ركن اعظم اسلام بعد از شهادتين نماز ست وفيه ذم عظيم لتارك الصلاة حيث لا يجيب داعى الله اى المؤذن فانه يدعو فى الاوقات الخمسة المؤمنين الى بيت الله واقامة الصلاة وقس عليه سائر الداعين وفى التأويلات النجمية واذا قيل لهم اركعوا اى افنوا عن اللذات الحيوانية وابقوا باللذات الروحانية اذ هى مناجاة الروح و السر مع الله و لا الذ منها (ويل يومئذ للمكذبين) نفرين آن روز بر دروغ زنان راست كه ركوع وسجود را تكذيب كنند و بشرف اسلام نمى رسند (فبأى حديث) اى خبر يخبر بالحق و ينطق بما كان ومايكون على الصدق (بعده) اى بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين واخبار النشأتين على نمط بديع معجز

مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يؤمنون) اذالم يؤمنوا به اى القرآن الجامع لجميع الاحاديث فقوله فبأى الخ جواب شرط محذوف وكلمة بعد بمنزلة ثم فى افادة التراخى الرتبى اى فاذا لم يؤمنوا به وهوموصوف بما ذكر فبأى كتاب يؤمنون ختم السورة بالتعجيب من الكفار لان الاستفهام للتعجيب وبين انهم فى اقصى درجات التمرد والعناد حيث لم ينقادو المثل هذا البرهان الباهر والدليل القاطع على حقية الدين القويم من حيث كونه فى ارفع درجات الفصاحة والبلاغة وفى اقصى طبقات الاعجاز در خبرآمده كه بعد ازخواندن اين آيت بايدكفت آمنا به استدل بعض المعتزلة على ان القرآن ليس بقديم بقوله تعالى حديث اذالحديث ضد القديم لان الحدوث والقدم لايجتمعان فى شىء واحد ورد بان الحديث هنا بمعنى الخبر لا بمعنى الحادث ولوسلم فالعبارة لا تدل على ان القرآن محدث لاحتمال ان يكون المراد فبأى حديث بعد القديم يؤمنون ولوسلم فانما يدل على حدوث الالفاظ الدالة على المعانى ولا خلاف فيه وانما الخلاف فى قدم المعنى القائم بذاته تعالى روى ان المرسلات نزلت فى غار قرب مسجد الخيف بمنى يسمى غار والمرسلات يقول الفقير قد زرته وقرأت فيه سورة المذكورة وفى الصخرة العالية من الغار داخله اثر رأس النبى عليه السلام يتبرك به الآن والحمدلله على افضاله وكثرة نواله وزيارة حرمه وحرم مصطفاه مظهر نور جماله وكماله

(تمت سورة المرسلات بعون خالق البريات فى عصر يوم عاشورآء المحرم من سنة سبع عشرة ومائة والف)

(الجزؤ الثلاثون)

(سورة النبأ اربعون اواحدى واربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم) اصله عن ماادغمت النون فى الميم لاشتراكهما فى الغنة فصار عمّ ثم حذفت الالف كما فى لم ولم وفيم والم وعلم فانها فى الاصل لما وبما وفيما والى ما وعلى ماامافرقا بين الاستفهامية وغيرها اوقصدا للخفة لكثرة استعمالها وقدجاءت فى الشعر غير محذوفة كما ذكره ابو البقاء ومافيها من الابهام الايذان بفخامة شأن المسئول عنه وهو له وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة كأنه خفى جنسه فيسأل عنه فالاستفهام ليس على حقيقته بل لمجرد التفخيم فان المسئول عنه ليس بمجهول بالنسبة الى الله تعالى اذ لا يخفى عليه خافية والمعنى عن اى شئ عظيم (يتساءلون) اى اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث والحشر الجسمانى ويتحدثون فيمابينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هوحال من احواله ووصف من اوصافه فان ماوان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قديطلب بها الصفة والحال تقول مازيد فيقال عالم اوطبيب (عن النبأ العظيم) النبأ الخبر الذى له شأن وخطر وهوجواب وبيان لشأن المسئول عنه كانه قيل عن اى شئ يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم الخارج عن دائرة علوم الخلق يتساءلون على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والفائدة فى ان يذكر السؤال ثم ان يذكر الجواب معه ان هذا الاسلوب اقرب الى التفهيم والايضاح فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال فان الجار فيه مقدم على متعلقه وقيل عن النباء العظيم استفهام آخر بمعنى أعن النبأ العظيم ام عن غيره الا انه حذف منه حرف الاستفهام لدلالة المذكور عليه ونظير قوله تعالى افان مت فهم الخالدون اى افهم الخالدون (الذى هم فيه مختلفون) وصف للنبأ بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين ومن مقر بزعم ان آلهته تشفع له كما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن شاك يقول ماندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وفيه اشارة الى القيامة الكبرى وهى البقاء بعد الفناء او بعث القلب بعد موت النفس فالروح وقواه تقر بها والنفس وصفاتها تنكرها لانها جاهلة فضلا عن كونها ذائقة ومن لم يذق لم يعرف (قال الكمال الخجندى) زاهد تعجب كرد كندازعشق تو پرهيز * كين لذت اين باده چه داند كه نخوردست * فطوبى للذائقين ويا حسرة للمحرومين (كلا سيعلمون) ردع

كما يستفاد من كلا ووعيد كما يستفاد من سيعلمون اى ليس امر البعث مما ينكر اويشك فيه بحيث يتساءل عنه سيعلمون ان ما يتساءلون عنه حق لا دافع له واقع لا ريب فيه مقطوع لاشك فيه (ثم كلا سيعلمون) تكرير للردع و الوعيد للمبالغة فى التأكيد و التشديد و ثم للدلالة على ان الوعيد الثانى ابلغ واشد يعنى ان ثم موضوعة للتراخى الزمانى وقد تستعمل مجازا فى التراخى الرتبى اى لتباعد ما بين المعطوفين فى الشدة والفضاعة وذلك لتشبيه التباعد الرتبى بالتراخى الزمانى فى الاشتمال على مطلق التباعد بين الامرين والمعنى المجازى هو المراد هنا لان المقام مقام التشديد والتهديد وذلك انما يكون آكد بالحمل عليه و بعضهم حملها على معناها الحقيقى فقال سيعلمون حقيقته عند النزع ثم فى يوم القيامة ولاشك ان القيامة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع اوسيعلمون حقية البعث حين ان يبعثوا من قبورهم ثم حقية الجزاء بحسب العمل هذا وقد حمل اختلافهم فيه على مخالفتهم للنبى عليه السلام بان يعتبر فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل و ان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذلا حقية فى شئ منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل و الاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون و عيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد ولبس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه و وقوع ما يختلفون فيه بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهى و العقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل و الاختلاف و المعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب و النكال (الم نجعل الارض مهادا) الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ والمتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع و الوعيد و من هنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبى عليه السلام كما قيل و الهمزة للتقرير و المهاد البساط و الفراش و فى بعض الآيات جعل لكم الارض فراشا قال ابن الشيخ المهاد مصدر ما هدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت اطلق على الارض الممهودة اى الم نجعل الارض بساطا ممهودا تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه و بالفارسية آيا نساخته ايم زمين را فراشى كسترده تا قرار كاه شما بود وجاى تقلب و مهادا مفعول ثان لجعل ان كان الجعل بمعنى التصيير و حال مقدرة ان كان بمعنى الخلق و جوز ان يكون جمع مهد ككعاب وكعب و جمعه لاختلاف اماكن الارض من القرى والبلاد وغيرها اوللتصرف فيها بان جعل بعضها مزارع و بعضها مساكن الى غير ذلك وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبى وهوما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر (والجبال اوتادا) المراد بجعلها اوتادا لها ارساؤها بها لتسكن و لا تميد باهلها اذا كانت تميد على الماء كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من باب التشبيه البليغ جمع وتد وهومايوتد و يحكم به المتزلزل المتحرك من اللوح وغيره بالفارسية ميخ فان قيل اليست ارادة الله وقدرته كافيتين فى التثبيت اجيب بانه نعم الا انه مسبب الاسباب و ذلك من كمال القدرة قال بعضهم الاوتاد على الحقيقة سادات الاولياء و خواص الاصفياء فانهم جبال ثابتة و بهم تثبت ارض الوجود وسئل ابو سعيد الخراز قدس سره عن الاوتاد و الابدال ايهم افضل فقال الاوتاد قيل كيف فقال لان الابدال يتقلبون من حال الى حال و يبدل بهم من مقام الى مقام والاوتاد بلغ بهم النهاية و ثبت اركانهم فهم الذين بهم قوام الخلق قال ابن عطاء الاوتاد هم اهل الاستقامة والصدق لا تغيرهم الاحوال وهم فى مقام التمكين انتهى والاوتاد اربعة واحد يحفظ الشرق يقال له عبد الحى وواحد يحفظ الغرب يقال له عبد العليم و واحد يحفظ الشمال يقال له عبد المريد و واحد يحفظ الجنوب يقال له عبد القادر والابدال سبعة يحفظون اقاليم الكرة علواوسفلا وجه تسميه آنست كه چون بكى از ايشان مرديكى از چهل تن يعنى نجبا بدل اوشد و تتميم چهل تن بيكى از سيصد تن است يعنى نقباو تكميل سيصد تن بيكى از صلحاء وابدال مقيم نشوند بيكجا مكر خسته باشند و معالجه كنند و بخورند و بپوشند ونكاح كنند پس از انكه ابدال شوند وقطب الابدال نظير كوكب سهيل كما ان قطب الارشاد نظير الجدى وقطب ابدال درزمان نبى عليه السلام عصام الدين قرنى بود عم اويس وچون او متوفى شد ابن عطا احد بود ازدهى كه ميان مكه ويمن است و بلال الحبشى رضى الله عنه در زمان نبى عليه السلام از بدلاى سبعه بودى وكان الشافعى رضى الله عنه من الاوتاد

الاربعة (وخلقناكم) عطف على المضارع المنفي بلم داخل فى حكمه فانه فى قوة انا جعلنا او على مايقتضيه الانكار التقريرى فانه فى قوة ان يقال قد جعلنا (ازواجا) اى حال كونكم اصنافا فاذكر اوانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر و ينتظم امر المعاشرة والمعاش و يتسنى التناسل والزوج يقال لكل واحد من القرينين المزدوجين حيوانا او غيره كالخف والنعل ولا يقال للاثنين زوج بل زوجان ولذا كان الصواب ان يقال قرضته بالمقراضين وقصصته بالمقصين لانهما اثنان لا بالمقراض وبالمقص كذا قال الحريرى فى درة الغواص وقال صاحب القاموس يقال للاثنين هما زوجان و هما زوج انتهى ولعله من قبيل الاكتفاء باحد الشقين عن الآخر وزوجة للمرأة لغة رديئة لقوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة و يقال لكل مايقترن بآخر مماثلا له اومضادا زوج ولذا قال بعضهم فى الآية وخلقناكم حال كونكم معروضين لاوصاف متقابلة كل واحد منها مزدوج بمايقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والانوثة والطول والقصر الى غير ذلك و به يصح الابتلاء فان الفاضل يشتغل بالشكر والمفضول بالصبر و يعرف قدر النعمة عند الترقى من الصبر الى الشكر وكل ذلك دليل على كمال القدرة ونهاية الحكمة (وجعلنا) صيرنا (نومكم) وهو استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه ولذا قل فى اهل الرياضة لقلة الرطوبة (سباتا) موتا اى كالموت و المسبوت الميت من السبت و هو القطع لانه مقطوع عن الحركة ومنه سمى يوم السبت لان الله تعالى ابتدأ بخلق السموات والارض يوم الاحد فخلقها فى ستة ايام فقطع عمله يوم السبت فسمى بذلك وايضا هو يوم ينقطع فيه بنو اسرائيل عن العمل والنوم احد التوفيين كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها و التى لم تمت فى منامها اى و يتوفى التى لم تمت فى منامها وذلك لما بينهما من المشاركة التامة فى انقطاع احكام الحياة فالتنوين للنوعية اى وجعلنا نومكم نوعا من الموت وهو الموت الذى ينقطع ولا يدوم اذ لا ينقطع ضوء الروح الاعن ظاهر البدن وبهذا الاعتبار قيل له اخو الموت والنوم بمقدار الحاجة نعمة جليلة وقيل سباتا اى قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه (وجعلنا الليل) الذى يقع فيه النوم (لباسا) يقال لبس الثوب استتر به وجعل اللباس لكل مايغطى الانسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجها لباسا من حيث انها تمنعه وتصده عن تعاطى قبيح وكذا العمل وايضا من حيث الاشتمال قال تعالى هن لباس لكم و انتم لباس لهن وجعل التقوى لباسا على طريق التمثيل والتشبيه وكذا جعل الخوف والجوع لباسا على التمثيل و التشبيه تصويرا له و ذلك بحسب ما يقولون تدرع فلان الفقر و لبس الجوع و المعنى لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به مايستتر به عند النوم من اللحاف و نحوه فان شبه الليل به اكمل و اعتباره فى تحقيق المقصد ادخل صاحب فتوحات آورده شب لباس اصحاب ليل است كه ايشانرا ازنظر اغيار بپوشاند تادر خلوت خوت لذت مكالمه بامحاضره بامشاهده هريك فراخور استعداد خودبر خوردارى يابند حضرت شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه شب پردهٔ روندكان راهست روز بازار بيداران سحر گاه

الليل للعاشقين ستر * ياليت اوقاته تدوم

چون در دل شب خيال او يارمنست * من بنده شب كه روز بازارمنست فهو تعالى جعل الليل محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة فى قوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) اى وقت عيش اى حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو اخو الموت كما فى قوله تعالى و هو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا و جعل النهار نشورا ولم يقل و جعل يقظتكم حياة لتتم المطابقة بينه و بين قوله و جعلنا نومكم سباتا بل عبر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزما لها غالبا و لمراعاة مطابقة وجعلنا الليل ومنه يعلم ان قوله وجعلنا الليل ليس مستطردا فى البين لذكر النوم فى القرينة الاولى فعاش مصدر من عاش يعيش عيشا و معاشا و معيشة و عيشة و على هذا لابد من تقدير المضاف ولذا قدروا لفظ الوقت ويحتمل ان يكون اسم زمان على صيغة مفعل فلا حاجة حينئذ الى تقدير المضاف وتفسيره بوقت معاش ابرازا لمعنى صيغة اسم الزمان وتفصيل لمفهومها وفى التأويلات النجمية الم نجعل ارض البشرية مهدا سترا حتكم وانتشاركم فى انواع المنافع البشرية وجبال نفوسكم القاسية قوائم ارض البشرية وخلقناكم ازواجا زوج الروح وزوج النفس او ذكر القلب و انثى النفس و جعلنا نومكم غفلتكم راحة و استراحة باستيفاء اللذات واستقصاء الشهوات و جعلنا ليل طبيعتكم

ستر النهار روحا نيتكم وجعلنا نهار روحانيتكم معاشا تعيشون فيه بالطاعات والعبادات وهذه صورة البعث (وبنينا فوقكم) وبنا كرده ايم برسر شما را (سبعا شدادا) جمع شديد اى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لايؤثر فيها مر الدهور وكر العصور وقال ابو الليث غلاظا غلاظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام والتعبير عن خلقها بالبناء مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وفيه اشارة الى طبقات القلب السبع الاولى طبقة الصدر وهى معدن جوهر الاسلام والثانية طبقة القلب وهى محل جوهر الايمان والثالثة الشغاف وهى معدن العشق والمحبة والشفقة والرابعة الفؤاد وهو معدن المكاشفة والمشاهدة والرؤية والخامسة حبة القلب وهى مخصوصة بمحبة الله تعالى لاتعلق لها بمحبة الكونين وعشق العالمين والسادسة السويداء وهى معدن العلم اللدنى وبيت الحكمة والسابعة بيت العزة وهى قلب الاكملين وفى هذا البيت اسرار الهية لاتخرج من الباطن الى الظاهر اصلا ولايظهر منها اثر قطعا (وجعلنا) انشأنا وابدعنا (سراجا) هو الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء قال الراغب السراج الزاهر بفتيلة ودهن ويعبر به عن كل شئ مضئ ويقال للسراج مصباح (وهاجا) وقادا متلألئا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر وهو ماقال بعض المفسرين سراجا وهاجا اى مضيئا جامعا بين النور والحرارة يعنى چراغى افروخته وتابان يقال ان الشمس والقمر خلقا فى بدء امرهما من نور العرش ويرجعان فى القيامة الى نور العرش وذلك فيما روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الا احدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما قال قلنا بلى يرحمك الله فقال ان رسول الله عليه السلام سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما ابرز خلقه احكاما ولم يبق من خلقه غير آدم خلق شمسين من نور عرشه فاما ماكان فى سابق علمه ان يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا مابين مشارقها ومغاربها وماكان فى سابق علمه ان يطمسها ويحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس فى العظم ولكن انما يرى صغرهما لشدة ارتفاعهما فى السماء وبعدهما من الارض فلو ترك الله الشمس والقمر كما كان خلقهما فى بدء امرهما لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولايدرى الاجير متى يعمل ومتى يأخذ اجره ولايدرى الصائم متى يصوم ومتى يفطر ولاتدرى المرأة متى تعتد ولايدرى المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم فكان الرب تعالى انظر لعباده وارحم بهم فارسل جبريل فامر جناحه على وجه القمر فطمس منه الضوء وبقى فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذى ترونه فى القمر شبه الخطوط فيه فهو اثر المحو قال فاذا قامت القيامة وقضى الله بين الناس وميز بين اهل الجنة والنار ولم يدخلوهما بعد يدعو الرب تعالى بالشمس والقمر ويجاء بهما اسودين مكورين قد وقفا فى زلازل وبلابل ترعد فرائصهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن فاذا كانا حيال العرش خر الله ساجدين فيقولان الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا فى عبادتك وسرعتنا للمضى فى امرك ايام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انا لم ندعهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الرب صدقتما انى قد قضيت على نفسى ان ابدئ واعيد وانى معيد كما الى ما ابدأتكما منه فارجعا الى ماخلقتكما منه فيقولان ربنا لم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه قال فتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ ويعيد كذا فى كشف الاسرار وقال الشيخ رضى الله عنه فى الفتح المكى واما الكواكب كلها فهى فى جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما فى جهنم دائما انتهى يقول الفقير لعل التوفيق بين هذا وبين الخبر السابق ان كلا من الشمس والقمر حامل لشيئين النورية والحرارة فما كان فيهما من قبيل النور فيتصل بالعرش من غير جرم لان الجرم لايخلو من الغلظة والظلمة والكثافة وما كان من قبيل النار والحرارة فيتصل بالنار مع جرمهما فكل منهما يرجع الى اصله فان قلت كان الظاهر ان يتصل نورهما بنور النبى عليه السلام لانهما مخلوقان من نوره قلت ان العرش والكرسى خلقا من نوره وخلق القمران من نور العرش فهما فى الحقيقة مخلوقان من نور النبى عليه السلام ومتصل نورهما بنوره والكل نوره والحمد لله تعالى * شمسه نه مسند وهفت اختران * ختم رسل خواجه پيغمبران (وانزلنا) النون للعظمة وللاشارة الى جمعية الذات والاسماء والصفات (من المعصرات) هى السحائب اذا اعصرت اى شارفت

ان تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد فالانزال من المستعدلا من الواقع والا يلزم تحصيل الحاصل وهمزة اعصر للحينونة والمعصرات اسم فاعل يقال احصد الزرع اذا حان له ان يحصد و اعصرت الجارية اى حان لها ان تعصرا لطبيعة رحمها فتحيض و فى المفردات المعصر المرأة التى حاضت ودخلت فى عصر شبابها انتهى ولولم تكن للحينونة لكان ينبغى ان يقرأ المعصرات بفتح الصاد على انه اسم مفعول لان الرياح تعصرها و يجوز ان يكون المراد من المعصرات الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب فتمطر فهى ايضا اسم فاعل والهمزة للحينونة كذلك فان قيل لم لم تجعل الهمزة للتعدية قلنا لان الرياح عاصرة لا معصرة (ماء ثجاجا) اى منصبا بكثرة والمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به يقال ثج الماء اى سال بكثرة وانصب وثجه غيره اى اساله وصبه فهو لازم ومتعد ومن الثانى قوله عليه السلام افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وفسره الزجاج بالصباب كأنه يثج نفسه مبالغة فيكون متعديا و لا منافاة بين هذا و بين قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء فان ابتداء المطر ان كان من السماء يكون الانزال منها الى السحاب ومنه الى الارض والافانزاله منها باعتبار تكونه باسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس فانها تثير وتصعد الاجزاء المائية من اعماق الارض الرطبة اومن البحار والانهار الى جو الهواء فتنعقد سحابا فتمطر فالانزال من المعصرات حقيقة و من السماء مجاز باعتبار السببية والله مسبب الاسباب (لنخرج به) اى بذلك الماء اى بسبب وصوله الى الارض واختلاطه بها. و بما فيها وهذه اللام لام المصلحة لا لام الغرض كما تقول المعتزلة (حبا) كثيرا يقتات به اى يكون قوتا للانسان وهو ما يقوم به بدنه كالحنطة والشعير ونحوهما وفى عين المعانى الحب اسم جنس يعنى به الجمع قال الراغب الحب والحبة يعنى بالفتح يقال فى الحنطة والشعير و نحوهما من المطعومات والحب والحبة يعنى بالكثر يقال فى بزور الرياحين وحبة القلب تشبيها بالحبة فى الهيئة (ونباتا) كثيرا يعتلف به اى يكون علفا للحيوان كالتبن والحشيش كما قال تعالى كلوا وارعوا انعامكم وتقديم الحب مع تأخره عن النبات فى الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الناس و يقال لنخرج به لؤلؤا وعشبا قال عكرمة ما انزل الله قطرة الا انبت بها عشبة فى الارض اولؤلؤة فى البحر انتهى وهو مخالف للمشهور من ان اللؤلؤ لا يكون من كل مطر بل من المطر النازل فى نيسان الا ان يعمم اللؤلؤ الى الدر وغيره (وجنات) ليتفكه بها الانسان والجنة فى الاصل هى الستر من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والمراد هنا هو الاشجار لا الارض (الفافا) اى ملتفة تداخل بعضها فى بعض وهذا من محسنات الجنان كما ترى فى بساتين الدنيا و بالفارسية درهم بيچيده يعنى بسيار و بيكديگر نزديك قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف الاوزاع بمعنى الجماعات المتفرقة كالاخياف فانه ايضا بمعنى الجماعات المتفرقة المختلطة ومنه الاخياف للاخوة من آباء شتى وامهم واحدة او الواحد لف كضرب واكثر ان اولفيف كشريف واشراف وهو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء فيكون الفافا جمع الجمع او جمع ملتفة بحذف الزوائد قال ابن الشيخ قدم ذا الحب لانه هو الاصل فى الغذاء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات اليه واخرت الجنات لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه واعلم ان فيما ذكر من افعاله تعالى دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه وقانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى والثانى باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رائق مستتبع لغايات جليلة ومنافع جمة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية و لا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل لم نفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فلكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وفى التأويلات النجمية و انزلنا من المعصرات ماء ثجاجا اى من سموات الارواح بتحريك نفحات الالطاف مياه العلوم الذاتية والحكم الربانية صبا صبا لنخرج به حبا ونباتا اى انزلنا من سحائب سموات ارواحكم على ارض قلوبكم ماء العلوم والحكم لنخرج به حب المحبة الذاتية ونبات الشوق والاشتياق والود والازعاج والعشق وامثالها وجنات الفافا جنة المحبة وجنة المودة وجنة العشق ملتف بعضها ببعض (ان يوم الفصل) اى فصل الله

بين الخلائق و بين السعداء والاشقياء باعتبار تفاوت الهيئات والصور والاخلاق والاعمال وتناسبها (كان) في علمه و تقديره الازلي و الاثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضي لانه امر مقرر قبل حدوث الزمان ايضا (ميقاتا) وميعاد البعث الاولين والآخرين ومايترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لايكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر فالميقات وهو الوقت الموقت اى المعين اخص من مطلق الوقت فهو هنا زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله من البعث والجزاء (يوم ينفخ في الصور) بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولاضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره و النفخ نفخ الريح في الشئ و منه نفخ الروح في النشأة الاولى كما قال و نفخت فيه من روحي و يقال انتفخ بطنه ومنه استعير انتفخ النهار اذا رتفع ورجل منفوخ اى سمين والصور القرن النوراني والنافخ فيه اسرافيل عليه السلام والمعنى يوم ينفخ في الصور نفخة ثانية للبعث حتى تتصل الارواح بالاجساد وترجع بها الى الحياة (فتأتون) خطاب عام و الفاء فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها واذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا (افواجا) جمع فوج وهو جماعة من الناس وفي المفردات الجماعة المارة المسرعة اى حال كونكم امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا و جماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم و تباينها عن معاذ رضي الله عنه انه سأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير و بعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها يعني تكونسارا ن كه ايشانرا بروى بدوزخ ميكشند و بعضهم عمي و بعضهم صم بكم و بعضهم يمضغون السنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع و بعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار يعني بردارهاى آتشين او يخنه وبعضهم اشد نتنا من الجيف و بعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وهو بالضم جمع قتات بالتشديد بمعنى النمام يعني سخن چين (حكي) ان رجلا باع عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة فقال رضيت فاشتراه فكس الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لايحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى و احلقي من قفاه حين ينام شعرات حتى اسحر عليه فيحبك ثم قال للزوج ان امرأتك اخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناولت فجاءت المرأة بالموسى فظن انها تقتله فقام فقتلها فجاء اهل المرأة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت اى الحرام لانه يسحت الدين والمروة اى يستأصل واما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا والتنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بان يجعل الرجل الاعلى و الرأس اسفل و بالفارسية نكونسار كردن واما العمى فالذين يجورون في الحكم و اما البكم فالمعجبون باعمالهم و اما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء و القصاص الذين خالف قولهم اعمالهم و اما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم و اما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بين الناس الى السلطان يعني غمازان وسعايت كنند كان بسلاطين و ملوك و اما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات و اللذات و يمنعون حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر و الخيلاء جمع جبة وهو ثوب معروف و في الحديث نشر على ترتيب اللف وبيان المناسبة بين معاصيهم و بين الصور التي يحشرون عليها يطلب من علم التعبير ثم انه فصل هيئات اهل المعاصي مع الاسباب المؤدية اليها لانه اهم اذ التخلية قبل التحلية واكتفى بالاشارة الاجمالية الى هيئات الصالحين بقوله من امتي بمن التبعيضية والحاصل انه كما ان الاشقياء يحشرون على صور اعمالهم القبيحة كذلك السعداء يحشرون على صور اعمالهم الحسنة حتى يكون وجوه بعضهم كالقمر ليلة البدر او كالشمس على ماجاء في صحيح الروايات وقال بعضهم المراد امة الدعوة فتعم اصناف الكفرة والمؤمنين لامة الاجابة والا فالخوف على المؤمنين ايضا في نهاية المرتبة يقول الفقير الظاهر الثاني وهو ان المراد من الامة الاشقياء من اهل الاجابة دل عليه ارساله عليه السلام عينيه حين البيان وكذا بيان اصناف الاعمال من غير

ادخال الكفر فيها اذ صور الكفرة اقبح مما ذكر فى الحديث على ما ذكر فى الاخبار الصحيحة ثم الحديث ذكره الثعلبى ونحوه فى التفاسير وقبله اهل الطرفين ولا عبرة بما ذهب اليه ابن حجر من انه ظاهر الوضع فانه من الجهل بحقيقة الامر اذ يوم القيامة يوم ظهور الصفات كما دل عليه قوله تعالى يوم تبلى السرائر ولا شك ان لكل صفة صورة مناسبة لها حسنة او قبيحة ولم ينكره احد من العقلاء على انا وان سلمنا ان لفظ الحديث موضوع فمعناه صحيح مؤيد بالاخبار الصحيحة فيا ايها المؤمن لا تكن قاسى القلب كالحجر وكن ممن ينفجر من قلبه انهار الفيوض وينابيع الحكم واجتهد ان لا تكون ممن قيل فيه * حفظت شيئا وغابت عنك اشياء * فمن عباد الله المخلصين من يأخذ من الله بلا واسطة الكتاب واستناده فانه مرتبة باقية الى يوم القيامة قل من وضع قدمه عليها فلذا كثر الانكار وأكب الناس على الرسوم والظواهر من غير اطلاع على الحقائق والبواطن نسأل الله تعالى أن يجعلنا من اهل معرفته (وفتحت السماء) عطف على ينفخ بمعنى تفتح وصيغة الماضى للدلالة على التحقق اى شقت وصدعت من هيبة الله بعد ان كانت لافطور فيها و بالفارسية وشكافته شود آسمان دران روز (فكانت) پس باشد از بسيارى شكاف (ابوابا) ذات ابواب كثيرة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام و هو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله اى امره و بأسه فى ظلل من الغمام والملائكة وقيل المراد من الفتح الكشف بازالتها من مكانها كما قال تعالى واذا السماء كشطت ومن الابواب الطرق والمسالك اى تكشط فيصير مكانها طرقا لا يسدها شئ (وسيرت الجبال) المسير هو الله تعالى كما قال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة اى و سيرت الجبال فى الجو بتسييره الله و تسخيره على هيئاتها بعد قلعها عن مقرها و بالفارسية وراندە شوند كوهها درهوا وذلك عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهواء و ذلك قوله تعالى (فكانت سرابا) السراب ماتراه نصف النهار كأنه ماء قال الراغب هو اللامع فى المفازة كالماء وذلك لا نسرابه فى مرأى العين اى ذهابه وجريانه و كان السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة اى فصارت بتسييرها مثل السراب اى شيأ كلا شئ لتفرق اجزائها وانبثات جواهرها كقوله تعالى و بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اى غبارا منتشرا وهى وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها كالسحاب وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية قيل اول احوال الجبال الاندكاك و الانكسار كما قال تعالى وحملت الارض و الجبال فدكتا دكة واحدة وحالتها الثانية ان تصير كالعهن المنفوش وحالتها الثالثة ان تصير كالهباء وذلك بان تتقطع و تتبدد بعد ان كانت كالعهن كما قال فكانت هباء منبثا وحالتها الرابعة ان تنسف وتقلع من اصولها لانها مع الاحوال المتقدمة قارة فى مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها وهو المراد من قوله فقل ينسفها ربى نسفا وحالتها الخامسة ان الرياح ترفعها عن وجه الارض فتطيرها فى الهواء كأنها غبار وهو المراد بقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى تراها فى رأى العين ساكنة فى اماكنها والحال انها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لاسيما من بعيد والحالة السادسة ان تصير سرابا يقول الفقير فيه اشارة الى ازالة انانية النفوس وتعيناتها فانها عند القيامة الكبرى التى هى عبارة عن الفناء فى الله تصير سرابا حتى اذا جئتها لم تجدها شيأ ولكن العوام المحجوبون اذا رأوا اهل الفناء يأكلون مما يأكلون منه ويشربون مما يشربون منه يظنون ان نفوسهم باقية لبقاء نفوسهم لكنهم يظنون بهم الظن السوء اذ بينهم و بينهم بون بعيد قطعا وفارق عظيم جدا لانهم ازالت رياح العناية والتوفيق جبال نفوسهم عن مقارارض البشرية وجعلها الله هباء منبثا شية و فتحت سماء ارواحهم فكانت ابوابا كباب السر والخفى والاخفى فدخلوا من هذه الابواب الى مقام اوادنى فكانوا مع الحق حيث كان الحق معهم ثم نزلوا من هذه الابواب العالية الحقيقية الناظرة الى عالم الولاية فدخلوا فى ابواب العقل والقلب والمخيلة والمفكرة والحافظة والذاكرة فكانوا فى مقام قاب قوسين مع الخلق حيث كان الخلق معهم فلم يحجبوا بالخلق عن الحق الذى هو جانب الولاية ولا بالحق عن الخلق الذى هو جانب النبوة فكانوا فى الظاهر مصداق قوله تعالى يوحى الى فاين المحجوبون عن مقامهم وانى لهم ادراك شأنهم وحقيقة امرهم (ان جهنم كانت مرصادا) اى انها كانت فى حكم الله وقضائه موضع

رصد يرصد فيه و يرقب خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها فالمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه اى يسلك قال الراغب المرصاد موضع الرصد كالمرصد لكن يقال للمكان الذى اختص بالترصد والترقب وقوله ان جهنم كانت مرصادا تنبيه على ان عليها مجازا لناس انتهى كأنه عمم المرصاد حيث ان الصراط محبس للاعداء وممر للاولياء والاول اولى لان الترصد فى مثل ذلك المكان الهائل انما هو للتعذيب وهو للكفار والاشقياء (للطاغين) متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اى كائنا للطاغين وقوله تعالى (مآبا) بدل منه اى مرجعا يرجعون اليه لامحالة واما حال من ما آبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له قالوا الطاغى من طغى فى دينه بالكفر وفى دنياه بالظلم وهو فى اللغة من جاوز الحد فى العصيان والمراد هنا المشركون لما دل عليه مابعده من الآيات وعذابهم لاينتاهى لكون اعتقادهم باطلا وكذا اذا لم يعتقدوا شيئا اصلا وان كان الاعتقاد صحيحا كالمؤمن العاصى فعذابه متناه (لابثين فيها) حال مقدرة من المستكن فى للطاغين اى مقدرين اللبث فيها و اللبث ان يستقر فى المكان و لايكاد ينفك عنه يقال لبث بالمكان اقام به ملازما له (احقابا) ظرف للبثهم وهو جمع حقب وهو ثمانون سنة او اكثر و الدهر و السنة او السنون كما فى القاموس و اصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة وهى الرفادة فى مؤخر القتب وكل ماشد فى مؤخر رحل او قتب فقد احتقب والمحقب المردف وفى تاج المصادر الاحقاب درحقيبه نهادن ومنه الحديث فاحقبها على ناقة اى اردفها على حقيبة الرحل و الارداف ازپى فراشدن و ازپى كسى درنشستن ودرنشاندن فمعنى احقابا دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لايكاد يستعمل الا لارادة تتابع الازمنة وتواليها كما قال ابو الليث انما ذكر احقابا لان ذلك كان ابعد شئ عندهم فذكر وتكلم بما يذهب اليه اوهامهم و يعرفونها وهو كناية عن التأبيد اى يمكثون فيها ابدا انتهى دل عليه ان عمر رضى الله عنه سأل رجلا من هجر عن الاحقاب فقال ثمانون سنة كل يوم منها الف سنة انتهى فانهم انما يريدون بمثله التأبيد وكذا ماقال مجاهد ان الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما و اليوم الف سنة من ايام الدنيا كما روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وكذا اوارد بالحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها الف سنة كما روى عن الحسن البصرى رحمه الله وقال الراغب والصحيح ان الحقبة مدة من الزمان مبهمة اى لاثمانون عاما وكذا قال فى القاموس الحقبة بالكسر من الدهر مدة لاوقت لها انتهى والحاصل ان الاحقاب يدل على التناهى فهو وان كان جمع قلة لكنه بمنزلة جمع كثرة وهو الحقوب او بمنزلة الاحقاب المعرف بلام الاستغراق و لوكان فيه مايدل على خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم لان المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه وقال ابو حيان المدة منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا انتهى وسيأتى وجوه اخر (لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الا حميما وغساقا) جملة مبتدأة ومعنى لايذوقون لايحسون والافاصل الذوق و جود الطعم (وقال الكاشفى) يعنى نمى نمايند الان يكون ذلك باعتبار الشراب والذوق فى التعارف وان كان للقليل فهو صالح للكثير لوجود الذوق فى الكثير ايضا والمراد بالبرد مايروحهم و ينفس عنهم حر النار والافهم يذوقون فى جهنم بردالزمهرير اى بردا ينتفعون به و يميلون اليه فتنكيره للنوعية قال قتادة كنى بالبرد عن الروح لما بالعرب من الحر حتى قالوا برد الله عيشك اى طيبه اعتبارا بما يجد الانسان من اللذة فى الحر من البرد وقال الراغب اصل البرد خلاف الحرارة و برد كذا اذا ثبت ثبوت البرد واختصاص الثبوت بالبرد كاختصاص الحركة بالحر و برد الانسان مات و برده قتله ومنه السيوف البوارد وذلك لما يعرض للميت من عدم الحرارة بفقدان الروح اولما عرض له من السكون وقولهم للنوم برد اما لما يعرض له من البرد فى ظاهر جلده لان النوم يبرد صاحبه الاترى ان العطشان اذا نام سكن عطشه اولما يعرض له من السكون وقد عد المن النوم من جنس الموت وقوله تعالى لايذوقون فيها بردا اى نوما حتى يستريحوا و بالفارسية تاآسايش يابند و برودت كسب كنند انتهى بزيادة والمراد بالشراب مايسكن عطشهم والا بمعنى لكن والحميم الماء الحار الذى انتهى حره وآن آبيست كه چون نزديك روى ازدكوشت روى دران ريزد وچون بخورد امعاء واحشاء پاره پاره شود والغساق مايغسق اى يسيل من جلود اهل النار

ويقطر من صديدهم وقيحهم اخبر الله تعالى عن الطاغين بانهم لا يذوقون فى جهنم شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا فالاستثناء منقطع وقال الزجاج لا يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شئ له راحة فيكون قوله ولا شرابا بمعنى ولا ماء باردا تخصيصا بعد التعميم لكماله فى الترويح فيكون مجموع البرد والشراب بمعنى المروح فيكون قوله الا حميما وغساقا مستثنى منقطعا من البرد والشراب وان فسر الغساق بالزمهرير فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لان الزمهرير ليس بماء يشرب كما ان استثناء حميما من الشراب والتأخير لتوافق رؤس الآى ويؤيد الاول قوله عليه السلام لو ان دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لانتن اهل الدنيا وان فسر بما يسيل من صديدهم فالاستثناء من الشراب وعن ابن مسعود رضى الله عنه الغساق لون من الوان العذاب وهو البرد الشديد حتى ان اهل النار اذا القوا فيها سألوا الله ان يعذبهم فى النار الف سنة لما راوه اهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا وقال شهر بن حوشب الغساق واد فى النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعبا فى كل شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتا فى كل بيت اربع زوايا فى كل زاوية ثعبان كاعظم ما خلق الله من الخلق فى رأس كل ثعبان سم والثعبان الحية هذا وقد جوز بعضهم ان يكون لا يذوقون حالا من المنوى فى لابثين لا كلاما مستأنفا اى لابثين فيها احقابا غير ذائقين فيها شيئا سواهما ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب فيكون حالا متداخلة ويكون قوله احقابا ظرف لابثين المقيد بمضمون لا يذوقون وانتهاء هذا المقيد لا يستلزم انتهاء مطلق اللبث فهو توقيت للعذاب لا للمكث فى النار عن ابن مسعود رضى الله عنه لو علم اهل النار انهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وايضا يجوز ان يكون احقابا ظرفا منصوبا بلا يذوقون على قول من يرى تقديم معمول ما بعد لا عليها لا ظرفا لقوله لابثين فحينئذ لا يكون فيه دلالة على تناهى اللبث والخروج حيث لم يكن احقابا ظرف اللبث وايضا يجوز ان يكون احقابا ليس بظرف اصلا بل هو حال من الضمير المستكن فى لابثين بمعنى حقبين اى نكدين محرومين من الخير والبركة فى السكون والحركة على ان يكون جمع حقب بفتح الحاء وكسر القاف من حقب الرجل اذا حرم الرزق وحقب العام اذا قل خيره ومطره وقوله لا يذوقون فيها بردا تفسير لنكدهم ولا يتوهم حينئذ تناهى مدة لبثهم فيها حتى يحتاج الى التوجيه هذا ما قالوه فى هذا المقام وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه انه قال سيأتى على جهنم يوم تصفق ابوابها اى يضرب بعضها بعضا وقد اسندت هذه الرواية الى ابن مسعود رضى الله عنه كما فى العرائس ويروى عنه انه قال ليأتين على جهنم زمان تخفق ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وفى العرائس ايضا وقال الشعبى جهنم اسرع الدارين عمرانا واسرعهما خرابا وفى الحديث الصحيح ينبت الجرجير فى قعر جهنم اى لانطفاء النار وارتفاع العذاب بمقتضى قوله سبقت رحمتى على غضبى كما فى شرح الفصوص لداود القيصرى والجرجير بالكسر بقلة معروفة كما فى القاموس وقال المولى الجامى رحمه الله فى شرح الفصوص ايضا اعلم ان لاهل النار الخالدين فيها كما يظهر من كلام الشيخ رضى الله عنه وتابعيه حالات ثلاثا الاولى انهم اذا دخلوها تسلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم وملكهم الجزع والاضطراب فطلبوا ان يخفف عنهم العذاب اوان يقضى عليهم اوان يرجعوا الى الدنيا فلم يجابوا الى طلباتهم والثانية انهم اذا لم يجابوا الى طلباتهم وطنوا انفسهم على العذاب فعند ذلك رفع الله العذاب عن بواطنهم وخبت نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة والثالثة انهم بعد مضى الاحقاب الفوا العذاب وتعودوا به ولم يتعذبوا بشدته بعد طول مدته ولم يتألموا به وان عظم الى ان آل امرهم الى ان يتلذذوا به ويستعذبوه حتى لو هب عليهم نسيم من الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل وتأذيه برائحة الورد عافانا الله وجميع المسلمين من ذلك والجعل بضم الجيم وفتح العين دويبة تكون بالروث والجمع جعلان بالكسر وقال المولى رمضان والمولى صالح الدين فى شرح العقائد قال بعض الاسلاميين كل ما اخبر الله فى القرآن من خلود اهل الدارين حق لكن اذا ذبح كبش الموت بين الجنة والنار ونودى اهلهما بالخلود فيهما ايس اهل النار من الخلاص فاعتادوا بالعذاب فلم يتألموا به حتى آل أمرهم الى ان يتلذذوا به ولو هب عليهم نسيم الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل يستطيب الروث ويتألم من الورد فيصدق حينئذ قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا على عمومه لارتفاع العذاب عنهم ويصدق ايضا قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب لان المراد العذاب

المتدرلهم وقال بعض الاكامل فكما اذا استقر اهل دار الجمال فيها يظهر عليهم اثر الجمال ويتذوقون به دائما ابدا ويختفى جلال الجمال واثره بحيث يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به قطعا سرمدا فكذلك اذا استقر اهل دار الجلال فيها بعد مرور الاحقاب يظهر على بواطنهم اثر جمال الجلال و يتذوقون به ابدا ويختفى عنهم اثر نار الجلال بحيث لا يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به سرمدا لكن ليس ذلك الابعد انقطاع احراق النار بواطنهم وظواهرهم بمرور الاحقاب وكل منهم تحرقه النار الف سنة من سني الآخرة لشرك يوم واحد من ايام الدنيا والظاهر عليهم بعد مرور الاحقاب هو الحال الذى يدوم عليهم ابدا وهو الحال الذى كانوا عليه فى الازل وما بينهما ابتلآت رحمانية والابتلاء حادث قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة واليناترجعون عصمنا الله واياكم من دار البوار انتهى فهذه كلمات القوم فى هذه الآية ولا حرج فى نقلها ونحن لا نشك فى خلود الكفار وعذابهم ابدا فان كان لهم العذاب عذابا بعد مرور الاحقاب فقد بدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون كما ان المعتزلى يقطع فى الدنيا بوجوب العذاب لغير التائب ثم قد يبدو له فى الآخرة مالم يكن يحتسبه من العفو وسئل الشيخ الامام مفتى الانام عز الدين ابن عبد السلام بعد موته فى منام رآه السائل ماتقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى مقال هيهات وجدت الامر بخلاف ما كنت اظن قالوا خلود اهل النار من الكفار لا معارض له فبقى على عمومه وخلود اهل الكبائر له معارض فيحمل على المكث الطويل فاهل الظاهر والباطن متفقون على خلود الكفار سواء كانوا فرعون وهامان ونمرودا وغيرهم وانما اختلفوا فى ارتفاع العذاب عن ظواهرهم بعد مرور الاحقاب وكل تأول يبلغ علمه والنص احق ان يتبع قال حجة الاسلام الكفرة ثلاث فرق منهم من بلغه اسم نبينا عليه السلام وصفته ودعوته كالمجاورين فى دار الاسلام فهم الخالدون لا عذر لهم ومنهم من بلغه الاسم دون الصفة وسمع ان كذابا مسيلما اسمه محمد ادعى النبوة ومنهم من لم يبلغه اسمه ولا رسمه وكل من هاتين الفرقتين معذور فى الكفر ونقل مثله عن الاشعرى كذا فى شرح العقائد لمصلح الدين وقال المولى داود القيصرى فى شرح الفصوص الوعيد هو العذاب الذى يتعلق بالاسم المنتقم وتظهر احكامه فى خمس طوائف لا غير لان اهل النار اما مشرك او كافر او منافق او عاص من المؤمنين وهو ينقسم الى الموحد العارف الغير العامل والمحجوب وعند تسلط سلطان المنتقم عليهم يتعذبون بنيران الجحيم وانواع العذاب غير مخلدة على اهله لانقطاعه بشفاعة الشافعين وآخر من يشفع وهو ارحم الراحمين (جزاء وفاقا) اى جوزوا بذلك جزاء وفاقا لاعمالهم واخلاقهم كأنه نفس الوفاق مبالغة اوذا وفاق لها على حذف المضاف اووافقها وفاقا فيكون وفاقا مصدرا مؤكدا لفعله كجزاه والجملة صفة لجزاء وجه الموافقة بينهما انهم اتوا بمعصية عظيمة وهى الكفر فعوقبوا عقابا عظيما وهو التعذيب بالنار فكما انه لا ذنب اعظم من الشرك فكذا لا جزاء اقوى من التعذيب بالنار وجزاء سيئة سيئة مثلها فتوافقا وقيل كان وفاقا حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه قال سعدى المفتى اعلم ان الكفار لما كان من نيتهم الاستمرار على الكفر كما سيشير اليه قوله تعالى انهم كانوا لا يرجون حسابا اذ معناه انهم كانوا مستمرين على الكفر مع عدم توقع الحساب فوافقه عدم تناهى العذاب واللبث فيها احقابا بعد احقاب ولما كانوا مبدلين التصديق الذى يروح النفس و يثلج به الصدر بالتكذيب الذى هو ضده جوزوا بالحميم والغساق بدل ما يجعل المؤمنين مما يروحهم من برد الجنة وشرابا بها وللحنا سبة بين الماء والعلم يعبر الماء فى الرؤيا بالعلم وقال بعض اهل الحقائق ان جهنم الطبيعة الحيوانية يرصد فيها القوى البشرية وهى خزنة جهنم طبيعة ارباب النفوس الامارة والهوى المتبع للظالمين على نفوسهم بالاهوية والبدع والاباحة والزندقة والالحاد والحلول والفضول ما آل الاثمين فيها احقابا الى وقت الانسلاخ عن حكم البشرية والتلبس بملابس الشريعة وخلع الطريقة والحقيقة لا يذوقون فيها برد اليقين برفع الحجاب عن وجه بشريتهم ولا شراب المحبة لانهماكهم فى محبة الدنيا بسبب جهنم الطبيعة الاحميما وغساقا يسيل من صديد طبيعتهم وقال القاشانى الاحميما من اثر الجهل المركب وغساقا من ظلمة هيئات محبة الجواهر الفاسقة والميل اليها جزاء موافقا لما ارتكبوه من الاعمال وقدموه من العقائد والاخلاق وذلك العذاب لفساد العمل والعلم فلم يعملوا صالحا ارجاء الجزاء ولم يعلموا علما صالحا فيصدقوا بالآيات (انهم كانوا لا يرجون حسابا) تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور و بيان لفساد قوتهم العملية اى كانوا ينكرون الآخرة ولا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم فلذا كانوا يقدمون على جميع المنكرات

ولا يرغبون فى شئ من الطاعات وفسر الرجاء بالخوف لان الحساب من اصعب الامور على الانسان والشئ الصعب لا يقال فيه انه يرجى بل يقال انه يخاف و يخشى (وكذبوا) بيان لفساد قوتهم النظرية (بآياتنا) الناطقة بذلك وفى بعض التفاسير بآياتنا القولية والفعلية الظاهرة على السنة الرسل وايديهم (كذابا) اى تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصى فعوقبوا بأهول العقاب جزاء وفاقا وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء مطرد مثل كلم كلاما قال صاحب الكشاف وسمعنى بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله قال بعضهم وابدل من احد حرفى تضعيف بعض الاسماء ياء لئلا يلتبس بهذا المصدر المشدد مثل الدينار فان اصله الدنار ومثل السبنات فى قول عمر بن عبد العزيز لكاتبه فى بسم الله طول الباء واظهر السينات ودور الميم فان اصله السنات جمع السن لا جمع السين لانه ليس فى البسملة الا سين واحدة و يجوز ان يقال عبر عن السن بالسين مبالغة كأنه قيل اجعل سنه كسينه فى الاظهار كما ذهب اليه الشريف (وكل شئ) اى واحصينا كل شئ من الاشياء التى من جملتها اعمالهم فانتصابه بمضمر يفسره قوله (احصيناه) اى حفظناه وضبطناه وذلك اى انتصابه بالاضمار على شريطة التفسير هو الراجح لتقدم جملة فعله ولا يضره كون هذه الجملة معترضة كما سيجئ اولان المقصود المهم هنا الاخبار عن الاحصاء لا الاخبار عن كل شئ (كتابا) مصدر مؤكد لاحصيناه من غير لفظه لما ان الاحصاء والكتابة من واد واحد اى يتشاركان فى معنى الضبط فكأنه قال وكل شئ احصيناه احصاء مساويا فى القوة والثبات بالعلم المقيد بالكتابة او كتبناه كتابا واثبتناه اثباتا ويجوز ان يكون من الاحتباك حذف فعل الثانى بقرينة الاول ومصدر الاول بقرينة الثانى اى احصيناه احصاء وكتبناه كتابا او هو اى كتابا حال بمعنى مكتوبا فى اللوح وفى صحف الحفظة والجملة اعتراض لتوكيد كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات بانهما محفوظان للمجازاة قال القاشانى وكل شئ من صور اعمالهم وهيئات عقائدهم ضبطناه ضبطا بالكتابة عليهم فى صحائف نفوسهم وصحائف النفوس السماوية (فذوقوا) بس بجشيد عذاب دوزخ (فلن نزيدكم الا عذابا) فوق عذابكم والفاء فى فذوقوا جزائية دالة على ان الامر بالذوق مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومعلل به فيكون وكل شئ الخ جملة معترضة بين السبب ومسببه تؤكد كل واحد من الطرفين لانه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة مكتوبة يدل على ان ما يتفرع عليها من العذاب كائن لا محالة مقدر على حسب استحقاقهم به وفى الالتفات المنبئ عن التشديد فى التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روى عن النبى عليه السلام ان هذه الآية اشد ما فى القرآن على اهل النار اى لان فيها الاياس من الخروج فكلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية فى الشدة وان كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة وهذا لا يخالف قوله تعالى ولا يكلمهم الله لان المراد بالمنفى التكلم باللطف والاكرام لا بالقهر والجلال فان قيل هذه الزيادة ان كانت غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها فى اول الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع فى احسانه فالجواب انها مستحقة ودوامها زيادة لثقل العذاب وايضا ترك المستحق فى بعض الاوقات لا يوجب الابراء والاسقاط حتى يكون ايقاعه بعده رجوعا فى الاحسان وايضا كانوا يزيدون كفرهم وتكذيبهم واذيتهم للرسول عليه السلام واصحابه رضى الله عنهم فيزيد الله عذابهم لزيادة الاستحقاق فلا ظلم فان قيل قوله فذوقوا الخ تكرار لانه ذكر سابقا انهم لا يذوقون الخ قلنا انه تكرار لزيادة المبالغة فى تقرير الدعوى وهو كون العقاب جزاء وفاقا (ان للمتقين مفازا) شروع فى بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة على ما هو العادة القرآنية ووجه تقديم بيان حالهم غنى عن البيان اى ان للذين يتقون الكفر وسائر القبائح من اعمال الكفرة فوزا وظفرا بما غيبهم دل على هذا المعنى تفسيره بما بعده بقوله حدائق الخ او موضع فوز فالمفاز على الاول مصدر ميمى وعلى الثانى اسم مكان فان قيل الخلاص من الهلاك اهم من الظفر باللذات فلم اهمل الاهم وذكر غير الاهم قلنا لان الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز بالنعيم لكونه حاصلا لاصحاب الاعراف مع انهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فانه يستلزم الخلاص من الهلاك فكان ذكره اولى (حدائق واعنابا) اى بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما وهو تخصيص بعد التعميم لفضلها قوله حدائق بدل من مفازا بدل الاشتمال ان كان مصدرا ميميا لان الفوز يدل عليه دلالة التزامية

او البعض ان جعل مكانا جمع حديقة وهى الروضة ذات الاشجار ويقال الحديقة كل بستان عليه حائط اى جدار وفيه من النخل و الثمار وفى المفردات الحديقة قطعة من الارض ذات ماء سميت تشبيها بحدقة العين فى الهيئة وحصول الماء فيها والاعناب جمع عنب بالفارسية انكور قال بعضهم ذكر نفسها ولم يذكر شجرها وهو الكرم لان زيادة الشرف فيها لا فى شجرها (وكواعب) جمع كاعب يقال كعبت المرأة كعوبا ظهر ثديها وارتفع ارتفاع الكعب اى نساء عذارى فلكت ثديهن اى استدارت و صارت كالكعب فى النتوء يقال فلك ثدى الجارية تفليكا اى استدار كفلكة المغزل و يقال لهن النواهد جمع ناهد وناهدة وهى المرأة كعب ثديها و بدا للارتفاع (اترابا) لدات اى مستويات فى السن ولدة الرجل تربه وقرينه فى السن والميلاد والهاء عوض عن الواو والذاهبة من اوله لانه من الولادة قال الراغب اى لدات ينشأن معا تشبيها فى التساوى والتماثل بالتراب التى هى ضلوع الصدر ولوقوعهن على الارض معا درتفسير زاهدى آورده كه شانزده ساله باشند ومردان سى وسه ساله ودر اكثر تفاسير هست كه اهل بهشت از زنان ومردان سى وسه ساله خواهند بود والظاهر ما فى تفسير الزاهدى وهو كونهن بنات ست عشرة لكونها نصف سن الرجال وايضا دل عليه الوصف بالكعوب وهو ارتفاع ثديهن والمراد انهن بالغات تمام كمال النساء فى الحسن واللطافة و الصلاح للمصاحبة و المعاشرة بحيث لا يكن فى سن الصغر حتى تضعف الشهوة لهن ولا فى سن الكبر حتى تنكسر الشهوة عنهن بل رواء الشباب اى ماؤه جار فيهن لم يشبن ولم يتغير عن حد الحسن حسنهن وانما ذكرن لان بهن نظام الدنيا ولطافة الآخرة من جهة التنعم الجسمانى (وكأسا دهاقا) اى مملوءة بالخمر فدهاقا بمعنى مدهقة وصفت به الكأس للمبالغة فى امتلائها يقال ادهق الحوض ودهقه ملأه (لا يسمعون) اى المتقون (فيها) اى فى الحدائق (لغوا ولا كذابا) اى لا ينطقون بلغو وهو ما يلغى و يطرح لعدم الفائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضا حتى يسمعوا شيئا من ذلك بخلاف حال اهل الدنيا فى مجالسهم لاسيما عند شربهم قال بعض اهل المعرفة لا يسمعون فيها كلاما الا من الحق فان من تحقق بالحق لا يسمعه الحق الا منه ولا يشهده سواه فى الدنيا والآخرة (جزاء من ربك) مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء عظيما كائنا من ربك على ان التنوين للتعظيم (عطاء) اى تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شئ وذلك ان الله تعالى جعل الشئ الواحد جزاء وعطاء وهو غير ظاهر لان كونه جزاء يستدعى ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعى عدم الاستحقاق فالجمع بينهما جمع بين المتنافيين لكن ذلك الاستحقاق انما يثبت بحكم الوعد لا من حيث ان الطاعة توجب الثواب على الله فذلك الثواب بالنظر الى وعده تعالى اياه بمقابلة الطاعة يكون جزاء و بالنظر الى انه لا يجب على الله لاحد شئ يكون تفضلا وعطاء وهذا بمقابلة قوله جزاء وفاقا لان جزاء المؤمنين من قبيل الفضل لتضاعفه وجزاء الكافرين من قبيل العدل وهو بدل من جزاء بدل الكل من الكل لان العطاء والجزاء متحدان ذاتا وان تغايرا فى المفهوم وفى جعله بدلا من جزاء نكتة لطيفة وهى ان بيان كونه عطاء تفضلا منه هو المقصود و بيان كونه جزاء وسيلة اليه فان حق البدل ان يكون مقصودا بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة اليه (حسابا) صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف اى محسبا وقيل على حسب اعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف من عشرة وسبعمائة وغير حساب فوعده الله من المضاعفة داخل فى الحسب اى المقدر لان الحسب بفتح السين وسكونها بمعنى القدر والتقدير على هذا عطاء بحساب فحذف الجار ونصب الاسم قال بعض اهل المعرفة اذا كان الجزاء من الله لا يكون له نهاية لانه لا يكون على حد الاعواض بل يكون فوق الحد لانه ممن لا حد له ولا نهاية فعطاؤه لا حد له ولا نهاية قال بعضهم العطاء من الله موضع الفضل لا موضع الجزاء فالجزاء على الاعمال والفضل موهبة من الله يختص به الخواص من اهل وداده وفى التأويلات النجمية ان للمتقين الذين يتقون عن نفوسهم المظلمة المدلهمة بالله وصفاته واسمائه مفازا اى فوز ذات الله وصفاته حدائق روضات القلوب المنزهة الارضية واعنابا اشجار المعانى والحقائق المثمرة عنب خمر المحبة الذاتية الخامرة عين العقل عن شهود الغير والغيرية وكواعب ابكارا لطائف والمعارف وكأسا دهاقا مملوءة من شراب المحبة وخمر المعرفة لا يسمعون فيها لغوا من الهواجس النفسانية ولا كذابا من الوساوس الشيطانية جزاء من ربك عطاء حسابا اى فضلا تاما كافيا من غير عمل وقال

القاشانى ان للمتقين المقابلين للطاغين المتعدين فى افعالهم حد العدالة مما عينه الشرع والعقل وهم المتنزلون عن الرذائل وهيئات السوء من الافعال مفازا فوزا ونجاة من النار التى هى مآب الطاغين حدائق من جنان الاخلاق واعنابا من ثمرات الافعال و هيئاتها وكواعب من صور آثار الاسماء فى جنة الافعال ترابا متساوية فى الترتيب وكأسا من لذة محسبة الآثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور لان اهل جنة الآثار والافعال لا مطمح لهم الى ماوراءها فهم محجوبون بالآثار عن المؤثر و بالعطاء عن المعطى عطاء حسابا كافيا يكفيهم بحسب همهم ومطامح ابصارهم لانهم لقصور استعداداتهم لا يشتاقون الى ماوراء ذلك فلا شئ الذ لهم بحسب اذواقهم مما هم فيه (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك والمراد رب كل شئ وخالقه ومالكه (الرحمن) مفيض الخير والجود على كل موجود بحسب حكمته و بقدر استعداد المرحوم وهو بالجر صفة للرب وقيل صفة للاول وايا ما كان ففى ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور قال القاشانى اى ربهم المعطى اياهم ذلك العطاء هو الرحمن لان عطاياهم من النعم الظاهرة الجليلة دون الباطنة الدقيقة فشر بهم من اسم الرحمن دون غيره وفى التأويلات النجمية رب سموات الارواح وارض النفوس وما بينهما من السر والقلب وقواهما الروحانية هو الرحمن اى الموصوف بجميع الاسماء والصفات الجمالية والجلالية لوقوعه بين الله الجامع و بين الرحيم فله وجه الى الالوهية المشتملة على القهر وله ايضا وجه الى الرحيم الجمالى المحض (لا يملكون منه خطابا) استئناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض ومن فى منه صلة للتأكيد على طريقة قولهم بعت منك اى بعتك يعنى انه صلة خطابا قدم عليه فانقلب بيانا و المعنى لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك اذ المملوك لا يستحق على مالكه شيئا خطابا ما فى شئ ما لتفرده بالعظمة و الكبرياء وتوحده فى ملكه بالامر والنهى والخطاب والمراد نفى قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشئ من نقص العذاب وزيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وآكده كأنه قيل لا يملكون ان يخاطبوه بما سبق من الثواب والعقاب و به يحصل الارتباط بين هذه الآية و بين ما قبلها من وعيد الكفار ووعد المؤمنين و يظهر منه ان نفى ان يملكوا خطابه لا ينافى الشفاعة باذنه قال القاشانى لانهم اى اهل الافعال لم يصلوا الى مقام الصفات فلا حظ لهم من المكالمة (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) اخر الملائكة هنا تعميما بعد التخصيص واخر الروح فى القدر تخصيصا بعد التعميم فالظاهر ان الروح من جنس الملائكة لكنه اعظم منهم خلقا ورتبة وشرفا اذ هو بمقابلة الروح الانسانى كما ان الملائكة بمقابلة القوى الروحانية ولا شك ان الروح اعظم من قواه التابعة له كالسلطان مع امرائه وجنده ورعاياه وتفسير الروح بجبريل ضعيف وان كان هو مشتهرا بكونه روح القدس والروح الامين اذ كونه روحانيا ليس بالنسبة الى ذاته والا فالملائكة كلهم روحانيون وان كانوا اجساما لطيفة غير الارواح المهيمة وانما هو بالنسبة الى كونه نافخ الروح وحامل الوحى الذى هو كالروح فى الاحياء وقد اتفقوا على ان اسرافيل اعظم من جبريل ومن غيره فلو كان احد يقوم صفا واحد الكان هو اسرافيل دون جبرائيل والله اعلم بمراده من الروح وان اختلفت الروايات فيه هذا ما لاح لى فى هذا المقام بعون الملك العلام وصفا حال اى مصطفين لكثرتهم وقيامهم بما امر الله فى امر العباد وقيل هما صفان الروح صف والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملائكة صفا صفا و يوم ظرف لقوله تعالى (لا يتكلمون) وقوله تعالى (الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وهو ارجح لكون الكلام غير موجب والمستثنى منه مذكور وفى مثله يختار البدل على الاستثناء وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من مطلع السورة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يتكلمون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على ان يتكلموا بشئ من جنس الكلام الا من اذن الله له منهم فى التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اى حقا صادقا اوواقعا فى محله من غير خطأ فى قوله فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء و المعنى لا يتكلمون الا فى حق شخص اذن له الرحمن و قال ذلك الشخص صوابا اى حقا هو التوحيد وكلمة

الشهادة دون غيره من اهل الشرك فانهم لم يقولوا فى الدنيا صوابا بل تفوهوا بكلمة الكفر والشرك واظهار الرحمن فى موقع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه عليه تعالى وفى عرائس البقلى من كان كلامه فى الدنيا من حيث الاحوال والاحوال من حيث الوجد والوجد من حيث الكشف والكشف من حيث المشاهدة والمشاهدة من حيث المعاينة فهو مأذون فى الدنيا والآخرة يتكلم مع الحق على بساط الحرمة والهيبة يحقه الله به الخلائق من ورطة الهلاك قال ابن عطاء الخالص ما كان لله والصواب ما كان على وجه السنة وقال بعضهم انما تظهر الهيبة على العموم لاهل الجمع فى ذلك اليوم واما الخواص واصحاب الحضور فهم ابدا بمشهد العز بنعت الهيبة وفيه اشارة الى ان الاسرار والقلوب وقواهم الكائنين بين سموات الارواح و بين ارض النفوس لا يملكون ان يخاطبوا الحق فى شفاعة النفس الامارة والهوى المتبع بسبب لحمة النسب الواقع بينهم اذ الكل اولاد الروح والقالب كما لم يملك نوح عليه السلام ان يخاطب الحق فى حق ابنه كنعان بمعنى انه لم يقدر على انجائه اذ جاء الخطاب بقوله فلا تسألن ما ليس لك به علم (ذلك) اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم ولا غيرهم على التكلم من الهيبة والجلال (اليوم الحق) اى الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وذلك لانه متحقق علما فلا بد ان يكون متحققا وقوعا كالصباح بعد مضى الليل وفيه اشارة الى انه واقع ثابت فى جميع الاوقات والاحايين ولكن لا يبصرون به لاشتغالهم بانفسهم الملهية وهواها الشاغل (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) الفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة فى تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال وفى التأويلات النجمية مآبا اى مرجعا ورجوعا من الدنيا الى الآخرة ومن الآخرة الى رب الدنيا والآخرة لانهما حرامان على اهل الله (انا انذرناكم) اى بما ذكر فى السورة من الآيات الناطقة بالبعث و بما بعده من الدواعى او بها و بسائر القوارع الواردة فى القرآن والخطاب لمشركى العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث وفى بعض التفاسير الظاهر عموم الخطاب كعموم من لان فى انذار كل طائفة فائدة لهم (عذابا قريبا) هو عذاب الاخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وممكن وان رأوه بعيدا وغير ممكن فيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية اوضحاها وقال بعض اهل المعرفة العذاب القريب هو عذاب الالتفات الى النفس والدنيا والهوى وقال القاشانى هو عذاب الهيئات الفاسقة من الاعمال الفاسدة دون ما هو ابعد منه من العذاب القهرى والسخط وهو ما قدمت ايديهم (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) تثنية اصلها يدان سقطت نونها بالاضافة ويوم بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اى عذابا كائنا يوم ينظر المرء اى يشاهد ما قدمه من خير او شر يعنى بازيابد كردارهاى خود را از خير وشر على ان ما موصولة منصوبة بينظر لانه يتعدى بنفسه وبالى والعائد محذوف اى قدمته او ينظر اى شئ قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت متعلقة بينظر فالمرء عام للمؤمن والكافر لان كل احد يرى عمله فى ذلك اليوم مثبتا فى صحيفته خيرا كان او شرا فيرجو المؤمن ثواب الله على صالح عمله و يخاف العقاب على سيئه واما الكافر فكما قال الله تعالى (ويقول الكافر يا ليتنى) اى يا قوم فالمنادى محذوف و يجوز ان يكون يا لمحض التحسر ولمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه و بالفارسية اى كاشكى من (كنت ترابا) فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف وهو فى محل الرفع على انه خبر ليت اوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم ابعث كقوله يا ليتنى لم اوت كتابيه الى ان قال يا ليتها كانت القاضية وقيل يحشر الله الحيوان فيقتص للجماء من القرناء فنطحتها اى قصاص المقابلة لا قصاص التكليف ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله كما قال عليه السلام لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء وهذا صريح فى حشر البهائم واعادتها لقصاص المقابلة لا للجزاء ثوابا وعقابا وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشئ الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين يعنى

ابلیس آدم راعیب می کرد که از خاك آفریده شده وخود را می ستود که من از آتش مخلوقم چون دران روز کرامت آدم وتواضع فرزندان مؤمن او مشاهده نماید وعذاب وشدت خود را بیند از زبرد که کاشکی من از خاك بودمی ونسبت با آدم داشتمی ای درویش این دیدبه وطنطنه که خاکیا نراست هیچ طبقه از طبقات مخلوقا ترا نیست * خاك را خوار وتیره دید ابلیس * کرد انکارش آن حسود خسیس * ماند غافل زنور باطن او * نشدا که زسر کامل او * بهر کنجی که هست در دل خاك * این صدا داده اند در افلاك * که بجز خاك نیست مظهر کل * خاك شو خاك تا بروید کل * واما مؤمنوا الجن فلهم ثواب وعقاب فلا یعودون ترابا وهو الاصح فیکون مؤمنوهم مع مؤمنی الانس فی الجنة او فی الاعراف ونعیمهم ما یناسب مقامهم ویکون کفارهم مع کفار الانس فی النار وعذابهم بما یلائم شأنهم وقیل هو تراب سجدة المؤمن تتطفی به عنه النار وتراب قدمه عند قیامه فی الصلاة فیتمنی الکافر ان یکون تراب قدمه وفی التأویلات النجمیة یوم ینظر المرء ما قدمت یداه من الاحسان والاساءة ویقول کافر النفس الساتر للحق یالیتنی کنت ترابا قدام الروح والسر والقلب متذللة بین یدیهم مؤتمرة لاوامرهم ونواهیهم (وفی کشف الاسرار) از عظمت ان روزاست که بیست وچهار ساعت شبانروز دنیا را رمثال بیست وچهار خزانه حشر کنند ودر عرصات قیامت حاضر کردانند بکان یکان خزانه میکشایند وبر بنده عرض میدهند از ان خزانه بکشایند بر بها وجمال ونور وضیا وآن آن ساعتست که بنده در خیرات وحسنات وطاعات بود بنده چون حسن ونور بهای آن بیند چندان شادی وطرب واهتزاز روغالب شود که اگر ازا برجمله دوزخیان قسمت کنند از دهشت ان شادی الم ودرد آتش فراموش کنند خزانهٔ دیگر بکشایند تاریك ومظلم پرنتن ووحشت وآن آن ساعتست که بنده در معصیت بوده وحق از وه ظلمت ووحشت ان کردار در آید چندان فزع وهول ورنج وغم اورا فروگیرد که اگر بر کل اهل بهشت قسمت کنند نعیم بهشت برایشان منغص شود خزانهٔ دیگر بکشایند حالی که درونه طاعت بود که سبب شادی است نه معصیت که موجب اندوهست وان ساعتی است که بنده در وخفته باشد یا غافل یا بمباحات دنیا مشغول بوده بنده برآن حسرت خورد وغبن عظیم بروراه یابد همچنین خزائن یك یك میکشایند وبر عرضه میکنند ازان ساعت که در وطاعت کرده شاد میگردد وازان ساعت که در ومعصیت کرده رنجور میشود وبرساعتی که مهمل گذاشته حسرت وغبن میخورد وچون کار مؤمن مقصر دران روز این باشد پس قیاس کن که حال کافر چگونه باشد در حسرت وندامت وآه وزاری روی ابی بن کعب رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم من قرأ عم یتساءلون سقاه الله برد الشراب یوم القیامة وعن ابی الدرداء رضی الله عنه قال قال النبی علیه السلام تعلموا سورة عم یتساءلون عن النبأ العظیم وعلموا فی القرآن والمجید والنجم اذا هوی والسماء ذات البروج والسماء والطارق فانکم لو تعلمون ما فیهن لعلمتم ما انتم علیه وعلموهن وتقربوا الی الله بهن ان الله یغفر بهن کل ذنب الا الشرك بالله وعن ابی بکر الصدیق رضی الله عنه قال قلت یارسول الله لقد اسرع الیك الشیب قال شیبتنی هود والواقعة والمرسلات وعم یتساءلون واذا الشمس کورت الکل فی کشف الاسرار وفیه اشارة الی ان من تعلم هذه السور ینبغی له ان یتعلم معانیها ایضا اذ لا یحصل المقصود الا به وتصریح بان هم الآخرة ومطالعة الوعید واستحضاره یشیب الانسان ولذا ذم الحبر السمین والقاری السمین اذ لم یکن سمینا الا بالذهول عما قرأه ولو استحضره وهم به لشاب من همه وذاب من غمه لان الشحم مع الهم لا ینعقد قال الشافعی رحمه الله ما افلح سمین قط الا ان یکون محمد بن الحسن فقیل له ولم قال لانه لا یخلو العاقل من احدی حالتین اما ان یهم لآخرته ومعاده او لدنیاه ومعاشه والشحم مع الهم لا ینعقد فاذا خلا من المعنیین صار فی حد البهائم بعقد الشحم

(تمت سورة النبأ بالعون الالهی فی الثانی والعشرین من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة النازعات خمس اوست وار بعون آیة مکیة)

(بسم الله الرحمن الرحیم)

(والنازعات غرقا) الواو للقسم والقسم یدل علی عظم شأن المقسم به ولله تعالی ان یقسم بما شاء من مخلوقاته تنبیها علی ذلك العظم والنازعات جمع نازعة بمعنی طائفة من الملائکة نازعة فأنثت صفة الملائکة باعتبار کونهم طائفة ثم جمعت تلك الصفة فقیل نازعات بمعنی طوائف من الملائکة نازعات وقس علیه الناشطات ونحوه

والاظهر ان يقال والنازعين والناشطين والنزع جذب الشئ من مقره بشدة والغرق مصدر بحذف الزوائد بمعنى الاغراق وهو بالفارسية غرقه كردن وكان بزور كشيدن والغرق الرسوب فى الماء وفى البلاء فهو مفعول مطلق للنازعات لانه نوع من النزع فيكون شرطه موجودا وهو اتفاق المصدر مع عامله والاغراق فى النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع فى القوس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى الى النصل اقسم الله بطوائف الملائكة التى تنزع ارواح الكفار من اجسادهم اغراقا فى النزع يعنى جان كافران بسختى نزع ميكنند وايضا ينزعونها منهم معكوسا من الانامل والاظفار ومن تحت كل شعرة كما تنزع الاشجار المتفرقة العروق فى اطراف الارض وكما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول وكما يسلخ جلد الحيوان وهو حى وكما يضرب الانسان الف ضربة بالسيف بل اشد والملائكة وهم ملك الموت واعوانه من ملائكة العذاب يطعنونهم بحربة مسمومة بسم جهنم والميت يظن ان بطنه قد ملئ شوكا وكان نفسه تخرج من ثقب ابرة وكان السماء انطبقت على الارض وهو بينهما فاذا نزعت نفس الكافر وهى ترعد اشبه شئ بالزئبق على قدر النحلة وعلى صورة عمله تأخذها الزبانية ويعذبونها فى القبر وفى سجين وهو العذاب الروحانى ثم اذا قامت القيامة انضم الجسمانى الى الروحانى فقوله والنازعات غرقا اشارة الى كيفية قبض ارواح الكفار بشهادة مدلول اللفظ (والناشطات نشطا) قسم آخر معنى بطريق العطف والنشط جذب الشئ من مقره برفق ولين ونصب نشطا على المصدرية اقسم الله بطوائف الملائكة التى تنشط ارواح المؤمنين اى تخرجها من ابدانهم برفق ولين كما تنشط الدلو من البئر يقال نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وكما تنشط الشعرة من العجين وكما تنسل القطرة من السقاء وهم ملك الموت واعوانه من ملائكة الرحمة ونفس المؤمن وان كانت تجذب من اطراف البنان ورؤس الاصابع ايضا لكن لا يحس بالالم كما يحس به الكافر وايضا نفس المؤمن ليس لها شدة تعلق بالبدن كنفس الكافر لكونها منجذبة الى عالم القدس وانما يشتد الامر على اهل التعلق دون اهل التجرد خصوصا اذا كان ممن مات بالاختيار قبل الموت وايضا حين يجذبونها يدعونها احيانا حتى تستريح وليس كذلك ارواح الكفار فى قبضها لكن ربما يتعرض الشيطان للمؤمن الضعيف اليقين والقاصر فى العمل اذا بلغ الروح التراقى فيأتيه فى صورة ابيه وامه واخيه اوصديقه فيأمره باليهودية اوالنصرانية اونحو ذلك نسأل الله السلامة (حكى) ان ابليس عليه اللعنة تمثل للنبى عليه السلام يوما وبيده قارورة ماء فقال ايعه بايمان الناس حالة النزع فبكى النبى عليه السلام حتى بكت اهل بيته فاوحى الله تعالى اليه انى احفظ عبادى فى تلك الحالة من كيده والميت يرى الملائكة حينئذ على صورة اعماله حسنة اوقبيحة فاذا اخذوا نفس المؤمن يلفونها فى حرير الجنة وهى على قدر النحلة وعلى صورة عمله ما فقد شئ من عقله وعلمه المكتسب فى الدنيا دل عليه قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار الشهيد فى انطاكية قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فيرجون بها الى الهواء ويهيئون له اسباب التنعم فى قبره وفى عليين وهو النعيم الروحانى ثم اذا قام الناس من قبورهم ازداد النعيم بانضمام الجسمانى الى الروحانى فقوله والناشطات نشطا اشارة الى كيفية قبض ارواح المؤمنين بشهادة اللفظ ومدلوله ايضا فان قيل قد ثبت ان النبى عليه السلام اخذ روحه الطيب ببعض شدة حتى قال واكرباه وقال لا اله الا الله ان للموت سكرات اللهم اعنى على سكرات الموت اى غمراته وكان يدخل يده الشريفة فى قدح فيه ماء ثم يمسح وجهه المنور بالماء ولما رأته فاطمة رضى الله عنها يغشاه الكرب قالت واكرب ابتاه فقال لها عليه السلام ليس على ابيك كرب بعد اليوم فاذا كان امر النبى عليه السلام حين انتقاله هكذا فما وجه ما ذكر من الرفق واللين اجيب بان مزاجه الشريف كان اعدل الامزجة فاحس بالالم اكثر من غيره اذ الخفيف على الاخف ثقيل وايضا يحتمل ان يبتليه الله بذلك ليدعوا الله فى ان يجعل الموت لامته سهلا يسيرا وايضا قد روى انه طلب من الله ان يحمل عليه بعض صعوبة الموت تخفيفا عن امته فانه بالمؤمنين رؤف رحيم وايضا فيه تسلية امته اذا وقع لاحد منهم شئ من ذلك الكرب عند الموت وايضا لكى يحصل لمن شاهد من اهله ومن غيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم عليه من المشقة كما قيل بمثل ذلك فى حكمة ما يشاهد من حال الاطفال عند الموت من الكرب الشديد وايضا راحة الكمل فى الشدة لانها من باب الترقى فى العلوم والدرجات واقل الامر للناقصين كفارة الذنوب فاهل الحقيقة لا شدة عليهم فى الحقيقة لاستغراقهم فى بحر الشهود وانما الشدة لظواهرهم والحاصل

كما ان النار لا ترفع عن الدنيا والدنيا قائمة فكذا الشدة لا ترفع عن الظواهر فى هذا الموطن (والسابحات سبحا) قسم آخر معنى ايضا بطريق العطف والسبح المر السريع فى الماء او فى الهواء وسبحا نصب على المصدرية اقسم الله بطوائف الملائكة التى تسبح فى مضيها اى تسرع فيما تنزلون من السماء الى الارض مسرعين مشبهين فى سرعة نزولهم بمن يسبح فى الماء وهذا من قبيل التعميم بعد التخصيص لان نزول الاولين انما هو لقبض الارواح مطلقا ونزول هؤلاء لعامة الامور والاحوال (فالسابقات سبقا) عطف على السابحات بالفاء للدلالة على ترتب السبق على السبح بغير مهلة فالموصوف واحد ونصب سبقا على المصدرية اى التى تسبق سبقا الى ما امروا به ووكلوا عليه اى يصلون بسرعة والسبق كناية عن الاسراع فيما امروا به لان السبق وهو التقدم فى السير من لوازم الاسراع فالسبق هنا لا يستلزم وجود المسبوق اذ لا مسبوق (فالمدبرات امرا) عطف على السابقات بالفاء للدلالة على ترتب التدبير على السبق بغير تراخ والتدبير التفكر فى دبر الامور وامرا مفعول للمدبرات قال الراغب يعنى الملائكة الموكلين بتدبير الامور انتهى اى التى تدبر امرا من الامور الدنيوية والاخروية للعباد كما رسم لهم من غير تفريط وتقصير والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة وجه البعث ان الموت يستدعيه للاجر والجزاء لئلا يستمر الظلم والجور فى الوجود وما ربك بظلام للعبيد فكان الله تعالى يقول ان الملائكة ينزلون لقبض الارواح عند منتهى الآجال ثم ينجر الامر الى البعث لما ذكر فكان من شأن من يقر بالموت ان يقر بالبعث فلذا جمع بين القسم بالنازعات وبين البعث الذى هو الجواب وفى عنوان هذه السورة وجوه كثيرة صفحنا عن ذكرها واخترنا سوق الكشاف فانه هو الذى يقتضيه جزالة التنزيل وقال القاشانى اقسم بالنفوس المشتاقة التى غلب عليها النزوع الى جناب الحق غريقة فى بحار الشوق والمحبة والتى تنشط من مقر النفس واسر الطبيعة اى تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن من قولهم نورناشط اذا خرج من بلد الى بلد او من قولهم نشط من عقاله والتى تسبح فى بحار الصفات فتسبق الى عين الذات ومقام الفناء فى الوحدة فتدبر بالرجوع الى الكثرة امر الدعوة الى الحق والهداية وامر النظام فى مقام التفصيل بعد الجمع انتهى ثم ان النفوس الشريفة لا يبعد ان يظهر منها آثار فى هذا العالم سواء كانت مفارقة عن الابدان اولا فتكون مدبرات الا ترى ان الانسان قد يرى فى المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه و يرى استاذه فيسأله عن مسألة فيحلها له سئل زرارة بعد ان توفى رضى الله عنه فى المنام اى الاعمال افضل عندكم فقال الرضى وقصر الامل وعن بعضهم رأيت ورقاء بن بشر رحمه الله فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال نجوت بعد كل جهد قلت فاى الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله وقال بعضهم هلكت جارية فى الطاعون فرآها ابوها فى المنام فقال لها يا بنية اخبرينى عن الآخرة قالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان فى صحيفة عملى احب الى من الدنيا وما فيها ونظائره كثيرة لا تحصى وقد يدخل بعض الاحياء من جدار ونحوه على بعض من له حاجة فيقضيها وذلك على خرق العادة فاذا كان التدبير بيد الروح وهو فى هذا الموطن فكذا اذا انتقل منه الى البرزخ بل هو بعد مفارقته البدن اشد تأثيرا وتدبيرا لان الجسد حجاب فى الجملة الا ترى ان الشمس اشد احراقا اذا لم يحجبها غمام او نحوه (يوم ترجف الراجفة) منصوب بالجواب المضمر وهو لتبعثن والمراد بالراجفة الواقعة التى ترجف عندها الاجرام الساكنة كالارض والجبال اى تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة من هول ذلك اليوم وهى النفخة الاولى اسند اليها الرجف مجازا على طريق اسناد الفعل الى سببه فان حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الاجرام الساكنة من الرجفان وهى شدة الاضطراب ومنه الرجفة للزلزلة لما فيه من شدة الاضطراب وكثرة الانقلاب وفيه اشعار بان تغير السفلى مقدم على تغير العلوى وان لم يكن مقطوعا (تتبعها الرادفة) اى الواقعة التى ترد ف الاولى اى تجىء بعدها وهى النفخة الثانية لانها تجىء بعد الاولى يقال ردفه كسمعه ونصره تبعه كاردفه واردفته معدار كبته معه كما فى القاموس وهى حال مقدرة من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذى تقع فيه النفختان و بينهما اربعون سنة كما قال فى الكشاف لتبعثن فى الوقت الواسع الذى تقع فيه النفختان وهم يبعثون فى بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى انتهى قال فى الارشاد واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم

بيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لايبقى عند وقوع الاولى حي من الاموات ولا عند وقوع الثانية ميت الابعث وقام (قلوب) مبتدأ وتنكيره يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير كما فى شراهر ذاناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كأنه قيل قلوب كثيرة اوعاصية كما قال فى التأويلات النجمية قلوب النفس المتمردة الشاردة النافرة عن الحق (يومئذ) يوم اذتقع النفختان وهو متعلق بقوله (واجفة) اى شديدة الاضطراب من سوء اعمالهم وقبح افعالهم فان الوجيف عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل وعلم منه ان الواجفة ليست جميع القلوب بل قلوب الكفار فان اهل الايمان لايخافون (ابصارها) اى ابصار اصحابها كما دل عليه قوله يقولون والا فالقلوب لا ابصار لها وانما اضاف الابصار الى القلوب لانها محل الخوف وهو من صفاتها (خاشعة) ذليلة من الخوف بسبب الاعراض عن الله والاقبال على ماسواه يترقبون اى شئ ينزل عليهم من الامور العظام واسند الخشوع اليها مجازا لان اثره يظهر فيها (يقولون) استئناف بيانى اى هم يقولون الآن يعنى ان منكرى البعث ومكذبى الآيات الناطقة به اذا قيل لهم انكم تبعثون يقولون منكرين له متعجبين منه (أئنا) ايانا (لمردودون) معادون بعد موتنا (فى الحافرة) اى فى الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة وانما الحافر هو الماشى فى تلك الطريقة كقوله تعالى عيشة راضية اى منسوبة الى الحفر والرضى او على تشبيه القابل بالفاعل اى فى تعلق الحفر بكل منهما فاطلق اسم الثانى على الاول للمشابهة كما يقال صام نهاره تشبيها لزمان الفعل بفاعله وقال مجاهد والخليل بن احمد الحافرة هى الارض التى يحفر فيها القبور ولذا قال فى التأويلات النجمية اى حافرة اجسادنا وقبور صدورنا (أئذا) العامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون اى أئذا (كنا) ياجون كريما (عظاما نخرة) بالية ترد ونبعث مع كونها ابعد شئ من الحياة فهو تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له ظنوا ان من فساد البدن وتفرق اجزائه يلزم فساد ماهو الانسان حقيقة وليس كذلك ولو سلم ان الانسان هو هذا الهيكل المخصوص فلا نسلم امتناع اعادة المعدوم فان الله قادر على كل الممكنات فيقدر على جمع الاجزاء العنصرية واعادة الحيوة اليها لانها متميزة فى علمه وان كانت غير متميزة فى علم الخلق كالماء مع اللبن فانهما وان امتزجا لكن احدهما متميز عن الآخر فى علم الله وان كان عقل الانسان قاصرا عن ادراكه والنخر البلى يقال نخر العظم او الخشب بكسر العين اذا بلى واسترخى وصار بحيث لو مس لتفتت ونخرة ابلغ من ناخرة لكونها من صيغ المبالغة اوصفة مشبهة دالة على الثبوت ولذا اختارها الاكثر والناخرة اشبه برؤس الآى ولذا اختارها البعض وقيل النخرة غير الناخرة اذا النخرة بمعنى البالية واما الناخرة فهى العظام الفاغة المجوفة التى يحصل فيها صوت من هبوب الريح من نخير النائم والمجنون لا من النخر بمعنى البلى قال الراغب النخير صوت من الانف وسمى خرق الانف الذى يخرج منه النخير منخرا فالمنخران ثقبتا الانف (قالوا) اختيار الماضى هنا للايذان بان صدور هذا الكفر منهم ليس بطريق الاستمرار مثل كفرهم السابق المعبر عنه بالمضارع اى قالوا بطريق الاستهزاء بالحشر (تلك) الردة والرجعة فى الحافرة وفيه اشعار بغاية بعدها من الوقوع فى اعتقادهم (اذا) آنكاه وبران تقدير (كرة) الكر الرجوع والكرة المرة من الرجوع والجمع كرات (خاسرة) اى ذات خسران على ارادة النسبة من اسم الفاعل اوخاسرة اصحابها على الاسناد المجازى اى على طريق اسناد الفعل الى ما يقارنه فى الوجود كقولك تجارة رابحة والربح فعل اصحاب التجارة وهى عقد المبادلة والربح والتجارة متقارنان فى الوجود والافهم الخاسرون والكرة مخسور فيها اى ان صحت تلك الكرة فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا المعنى افاده كلمة اذا فانها حرف جواب وجزاء عند الجمهور وانما حمل قولهم هذا على الاستهزاء لانهم ابرزوا ماقطعوا بانتفائه واستحالته فى صورة المشكوك المحتمل الوقوع (فانما هى زجرة واحدة) جواب من الله عن كلامهم بالانكار وتعليل لمقدر اى لاتحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة فى قدرته فانما هى صيحة واحدة اى حاصلة بصيحة واحدة لاتتكرر يسمعونها وهم فى بطون الارض وهى النفخة الثانية كنفخ واحد فى صور الناس لاقامة القافلة عبر عن الكرة بالزجرة تنبيها على كمال اتصالها بها كأنها عينها يقال زجرا لبعير اذا صاح عليه (فاذاهم) پس آنكاه ايشان وسائر خلايق (بالساهرة) اى فاجأوا الحصول بها وهو بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها

بالزجرة واذا المفاجأة تفيد حدوث ما انكروه بسرعة على فجأة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة يعنى ان بياض الارض عبارة عن حلوها عن الماء والكلأ شبه جريان السراب فيها بجريان الماء عليها فقيل لها ساهرة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة يقال سهر كفرح لم ينم ليلا اوهى جهنم لان اهلها لا ينامون فيها او كأنه مقلوب الصاد سينا من صهرته الشمس احرقته وقال الراغب حقيقتها الارض التى يكثر الوطئ بها كانها سهرت من ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذ وقال الثورى الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وكفته اند ساهره نام زمين است نزديك بيت المقدس درحوالئ جبل اريحا كه محشر آنجا خواهد بود خداى ازا كشاده كرداند چندانكه خواهد وفى الحديث بيت المقدس ارض المحشر والمنشر وقال المولى الفنارى فى تفسير الفاتحة ان الناس اذا قاموا من قبورهم واراد الله ان يبدل الارض غير الارض تمد الارض باذن الله ويكون المحشر فيكون الخلق عليه عند ما يبدل الله الارض كيف يشاء اما بالصورة واما بارض اخرى ماهم عليها تسمى بالساهرة فيمدها سبحانه مد الاديم ويزيد فى سعتها اضعاف ما كانت من احد وعشرين جزأ الى تسعة وتسعين جزأ حتى لا ترى عوجا ولا امتا وقال فى التأويلات النجمية فاذاهم بالساهرة اى بظهر ارض الحياة كما كانوا قبله ببطن ارض الممات (هل اتاك حديث موسى) كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم يعنى فرعون ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه من حديثه ترغيبا له فى استماع حديثه وحمل له على طلب الاخبار كأنه قيل هل اتاك حديث موسى قبل هذا ام انا اخبرك به كما قال الحسن رحمه الله اعلام من الله لرسوله حديث موسى كقول الرجل لصاحبه هل بلغك ما لقى اهل البلد وهو يعلم انه لم يبلغه وانما قال ليخبره به انتهى وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص استفهام تقرير له اى حمل له على الاقرار بامر يعرفه قبل ذلك اى اليس قد اتاك حديثه وبالفارسية آياچنين نيست كه آمد بتو خبر موسى كليم عليه السلام تاتسلى دهى دل خودرا برتكذيب قوم وخبر فرستادى ازوعده مؤمنان ووعيد كافران يعنى قد جاءك وبلغك حديثه عن قريب كأنه لم يعلم بحديث موسى وانه لم يأته بعد والا لما كان يتحزن على اصرار الكفار على انكار البعث وعلى استهزاءهم به بل يتسلى بذلك فهل بمعنى قد المقربة للحكم الى الحال وهمزة الاستفهام قبلها محذوفة وهى للتقرير وزيد ليس لانه اظهر دلالة على ذلك لالانه مقدر فى النظم (اذ ناداه ربه) ظرف للحديث والمناداة والنداء بالفارسية خواندن وفى القاموس النداء الصوت اى هل اتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه اذ المراد خبره الحادث فلا بد له من زمان يحدث فيه لا ظرف للاتيان لاختلاف وقتى الاتيان والنداء لان الاتيان لم يقع فى وقت النداء او مفعول لاذكر المقدر وعليه وضع السجاوندى علامة الوقف اللازم على موسى وقال لانه لو وصل صار اذ ظرفا لاتيان الحديث وهو محال لعله لم يلتفت الى عمل حديث لكونه هنا اسما بمعنى الخبر مع وجود فعل قوى فى العمل قبله وبالجملة لا يخلو عن ايهام فالوجه الوقف كذا بعض فى التفاسير (بالواد المقدس) المبارك المطهر بتطهير الله عما لا يليق حين مكالمته مع كليمه او سمى مقدسا لوقوعه فى حدود الارض المقدسة المطهرة عن الشرك ونحوه واصل الوادى الموضع الذى يسيل فيه الماء ومنه سمى المنفرج بين الجبلين واديا والجمع اودية ويستعار للطريقة كالمذهب والاسلوب فيقال فلان فى واد غير واديك (طوى) بضم الطاء والتنوين تأويلا له بالمكان او بغير تنوين تأويلا له بالبقعة قال الفراء الصرف احب الى اذ لم اجد فى المعدول نظيرا اى لم اجد اسما من الوادى عدل عن جهته غير طوى وهو اسم للوادى الذى بين المدينة ومصر فيكون عطف بيان له قال القاشانى الوادى المقدس هو عالم الروح المجرد لتقدسه عن التعلق بالمواد واسمه طوى لانطواء الموجودات كلها من الاجسام والنفوس تحته وفى طيه وقهره وهو عالم الصفات ومقام المكالمة من تجلياتها فلذلك ناداه بهذا الوادى ونهاية هذا العالم هو الافق الاعلى الذى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل على صورته (اذهب الى فرعون) على ارادة القول اى فقال له اذهب الى فرعون (انه طغى) تعليل للامر اولوجوب الامتثال به والطغيان مجاوزة الحد اى طغى على الخالق بان كفر به وطغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم فكما ان كمال العبودية لا يكون الا بالصدق

مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما وقال القاشانى اى ظهر بانانيته وذلك ان فرعون كان ذا نفس قوية حكيما عالما سلك وادى الافعال وقطع بوادى الصفات واحتجب بانانيته وانتحل صفات الربوبية ونسبها الى نفسه و ذلك تفرعنه وجبروته وطغيانه فكان ممن قال فيه عليه السلام شر الناس من قامت القيامة عليه فهو حى لقيامه بنفسه و هواها فى مقام توحيد الصفات و ذلك من اقوى الحجب (فقل) بعد ما انيته (هل لك) رغبة وتوجه (الى ان تزكى) بحذف احدى التاءين من تتزكى اى تتطهر من دنس الكفر والطغيان ووسخ الكدورات البشرية والقاذورات الطبيعية فقوله لك خبر مبتدأ محذوف والى ان متعلق بذلك المبتدأ المضمر وقد يقال قوله هل لك مجاز عن اجذبك وادعوك والقرينة هى القريبة وهى المجاورة (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفته فتعرفه اشار الى ان فى النظم مضافا مضمرا وتقديم التزكية لتقدم التخلية على التحلية (فتخشى) اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء بالله قيل انه تعالى قال فى آخره ولن يفعل فقال موسى فكيف امضى اليه وقد علمت انه لن يفعل فاوحى اليه ان امض لما تؤمر فان فى السماء اثنى عشر الف ملك يطلبون علم القدر فلم يدركوه وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر لان من خشى الله اتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر كما قال عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا ساروا من اول الليل وان ساروا من آخر الليل فقد ادلجوا بالتشديد ثم انه تعالى امر موسى عليه السلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول و يستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى اما كونه لينا فلانه فى صورة العرض لا فى صورة الامر صريحا وليس فيه ايضا ذكر نحو الشرك والجهل والكفران من متعلقات التزكى واما اشتماله على بعض التفصيل فظاهر (فأراه) بس بنمود اورا موسى (الآية الكبرى) الفاء فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين اى فذهب اليه موسى بامر الله فدعاه الى التوحيد والطاعة وطلب هو منه المعجزة الدالة على صدقه فى دعوته والاراءة اما من التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان اراءة منه واظهارا للجلد ونسبتها اليه بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة فى قوله ولقد اريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية والصغرى غيره من معجزاته الباقية وذلك ان القلب المذكور كان المقسم على الكل فى الاراءة فينبغى ان يكون هو المراد على ما تقضيه الفاء التعقيبية (فكذب) فرعون بموسى وسمى معجزته سحرا عقيب رؤية الآية من غير روية وتأمل وطلب شاهد من عقل وناصح من فكر وقلب لغاية استكباره وتمرده (وعصى) الله بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان وافبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا فدل العطف على ان الذى ترتب على اراءة الآية الكبرى هو التكذيب الذى يكون عصيانا لله وهو التكذيب باللسان مع حصول الجزم بأن من كذبه ممن يجب تصديقه فاما تكذيب من لا يجب تصديقه فلا يكون عصيانا ويجوز ان يراد وعصى موسى فيما امر به الان الاول ادخل فى ذمه وتقبيح حاله وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته تعالى وترك دعوى الربوبية لا بارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر فقط قال بعض اهل المعرفة اراه آية صرفا ولو اراه انوار الصفات فى الآيات لم يكفر ولم يدع الربوبية اذ هنالك موضع المحبة والعشق والاذعان لان رؤية الصفات تقتضى التواضع ورؤية الذات تقتضى العربدة فكان هو محجوبا برؤية الآيات عن رؤية الصفات فلما لم يكن معه حظ شهود نور الصفة لم ينل عند رؤيتها حظ المحبة فلم يأت منه الانقياد والاذعان لذلك قال تعالى فكذب وعصى (ثم ادبر) اى تولى عن الطاعة وكلة ثم على هذا معناها التراخى الزمانى اذ السعى فى ابطال امره يقتضى مهلة او انصرف عن المجلس قال الراغب ادبر اى اعرض وولى دبره (يسعى) يجتهد فى معارضة الآية تمردا وعنادا لا اعتقادا بانها يمكن معارضتها فهو تعلل بالباطل دفعا للمجلس وهو حال من فاعل ادبر بمعنى مسرعا مجتهدا وفى الكشاف لما رأى الثعبان ادبر مدعوبا يسرع فى مشيته قال الحسن رحمه الله كان رجلا طياشا (فحشر) اى فجمع السحرة لقوله تعالى فارسل فرعون فى المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده اى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم ويجوز ان يراد جميع الناس (فنادى) بنفسه

فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه او بواسطة المنادى (فقال) لقيامه مقام الحكومة والسلطنة (انا ربكم الاعلى) لارب فوقى اى اعلى من كل من يلى امركم على ان تكون صيغة التفضيل بالنسبة الى من كان تحت ولايته من الملوك والامراء (وقال الكاشفى) يعنى اصنام كه برصورة منند همهٔ ايشان خدا يانند ومن ازهمه برترم ولما ادعى العلوية قيل لموسى عليه السلام فى مقابلة هذا الكلام انك انت الاعلى لان الغلبة على سحره غلبة عليه والحاصل انه لم يرد بهذا القول انه خالق السموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم بفساد ذلك ضرورى ومن شك فيه كان مجنونا واوكان مجنونا لما جاز من الله بعثة الرسول اليه بل الرجل كان دهريا منكرا للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس للعالم اله حتى يكون له علينا امر ونهى او يبعث الينا رسولا بل المربى لنا والمحسن الينا انا لاغيرى قال بعضهم كان ينبغى له عند ظهور ذله وعجزه بانقلاب العصا حية ان لايقول ذلك القول فكأنه صار فى ذلك الوقت كالمعتوه الذى لايدرى مايقول (امام قشيرى رحمه الله) دراطائف آورده كه ابليس اين سخن شنيده كفت مراطاقت اين سخن نيست من دعوئ خيريت كفتم برآدم اين همه بلا بمن رسيد اوكه چنين لاف ميزند تا كار او بكجا رسد قال بعض العارفين لم يدع احد من الخلائق من الكمال ماادعاه الانسان فانه ادعى الربوبية وقال انا ربكم الاعلى وابليس تبرأ منها وقال انى اخاف الله فلم يدع مرتبة ليست له قط اى انه على جناح واحد وهو الجلال فقط وكذا الملك فانه على الجمال المحض بخلاف الانسان فانه مخلوق باليدين شيخ ركن الدين علاء الدولة سمنانى قدس سره فرموده كه وقتى مراحال كرم بود بزيارت حسين منصور حلاج رفتم چون مراقبه كردم روح اورا درمقام عالى يافتم ازعليين مناجات كردم كه خدايا اين چه حالتست كه فرعون انا ربكم ومنصور انا الحق كفت هردو يك دعوى كردند روح حسين درعليين است وجان فرعون درسجين بسر من ندارسيد كه فرعون بخود بينى درافتاده همه خودرا ديد وماراكم كرد وحسين ماراديد وخود راكم كرد پس درميان فرق بسيارست (وفى المثنوى)

كفت فرعونى انا الحق كشت پست * كفت منصورى انا الحق و برست * ان انا را لعنت الله درعقب * واين انا را رحمت الله اى محب *
زانكه اوسنك سيه بود اين عقيق * آن عدوى نور بود واين عشيق * اين اناهو بود درسراى فضول * نه زراى اتحاد ازحلول *

قال فى اسئلة الحكم فان قلت ماالحكمة فى ان ابليس قد لعن ولم يدع الربوبية وفرعون وامثاله قد ادعوا الربوبية ولم يلعنوا تعيينا وتخصيصا كما لعن ابليس قيل لان نية ابليس شر من نية هؤلاء وقيل لانه اول من سن الخلاف والشقاق قولا وفعلا ونية والخلق بعده ادعوا الربوبية وسنوا البغى والخلاف بوسوسته وابليس واجه بمخالفته حضرة الرب تعالى وهم واجهوا الانبياء والوسائط وتضرعوا تارة واعترفوا بالذنوب عند المخلوق اخرى وابليس لم يعترف ولم يتضرع وهواول من سن الكفر فوزر الكفار بعده راجع اليه الى يوم القيامة ومظهر الضلالة والغواية بذاته بغير واسطة (فأخذه الله) بسبب ماذكر (نكال الآخرة والاولى) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب اى الذى ينكل من رآه اوسمعه و يمنعه من تعاطى مايفضى اليه ومحل النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قال نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق فى الآخرة والاغراق فى الدنيا واخذ مستعمل فى معنى مجازى يعم الاخذ فى الدنيا والآخرة والا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان الاستعمال فى الاخذ الدنيوى حقيقة وفى الاخروى مجاز لتحقق وقوعه واضافة النكال الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لاباعتبار ان مافيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لايتصور فى الآخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى مايؤدى اليهما لامحالة وفى التأويلات الفاشانية نازع الحق بشدة ظهور انانيته فى رداء الكبرياء فقهر وقذف فى النار ملعونا كما قال تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار و يروى قصمته وذلك القهر هو معنى قوله فاخذه الله الخ وقال البقلى لما لم يكن صادقا فى دعواه افتضح فى الدنيا والآخرة وهكذا كل من يدعى مالبس له من المقامات قال بشر انطلق الله لسانه بالعريض من الدعاوى واخلاه عن حقائقها وقال السرى العبد اذا تزيى بزى السيد صار نكالا الا ترى كيف ذكر الله فى قصة فرعون لما ادعى الربوبية فأخذه الله الخ كذبه كل شئ حتى نفسه وفى الوسيط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يارب امهلت فرعون اربعمائة سنة و يقول انا ربكم الاعلى و يكذب بآياتك و يجحد برسلك فاوحى الله اليه كان حسن الخلق

سهل الحساب فاردت انا كافئه اى مكافأة دنيوية وكذا حسنات كل كافر واما المؤمن فاكثر ثوابه فى الآخرة ودلت الآية على ان فرعون مات كافرا وفى الفتوحات المكية فرعون ونمرود مؤبدان فى النار انتهى وغير هذا من اقوال الشيخ رحمه الله محمول على المباحثة فصن لسانك عن الاطالة فانها من اشد الضلالة يقول الفقير صدر من فرعون كلمتان الاولى قوله انا ربكم الاعلى والثانية قوله ما علمت لكم من اله غيرى وبينهما على ما قيل اربعون سنة فالظاهر ان الربوبية محمولة على الالوهية فتفسير قوله انا ربكم الاعلى بقولهم اعلى من كل من يلى امركم ليس فيه كثير جدوى اذ لا يقتضى ادعاء الرياسة دعوى الالوهية كسائر الدهرية والمعطلة فانهم لم يتعرضوا للالوهية وان كانوا رؤساء تأمل هذا المقام (ان فى ذلك) اى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به (لعبرة) اعتبارا عظيما وعظة (لمن يخشى) اى لمن من شأنه ان يخشى وهو من شانه المعرفة يعنى ان العارف بالله و بشؤونه يخشى منه فلا يغرد على الله ولا على انبيائه خوفا من نزول العذاب والعاقل من وعظ بغيره چو بركشته بختى در افتد به بند * ازو نيك بختان بكيرند پند * تو پيش از عقوبت در عفو كوب * كه سودى ندارد فغان زير چوب * برآر از كريبان غفلت سرت * كه فردا نماند نجل در برت * يعنى درسينه ات (ءانتم اشد خلقا) خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة فالشدة هنا بمعنى الصعوبة لا بمعنى الصلابة لانها لا تلائم المقام اى اخلقكم بعد موتكم اشق واصعب فى تقديركم وزعمكم والافكلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد (ام السماء) ام خلق السماء بلامادة على عظمها وقوة تأليفها وانطوائها على البدائع التى تحار العقول فى ملاحظة ادناها وهو استفهام تقرير ليقروا بان خلق السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الاصعب الاعسر كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم وهى اسهل وايسر فخلقكم على وجه الاعادة اولى ان يكون مقدورا لله فكيف تنكرون ذلك قوله انتم مبتدأ واشد خبره وخلقا تمييز والسماء عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر انتم عليه اى ام السماء اشد خلقا (بناها) الله تعالى وهو استئناف وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السماء فيتم الكلام حينئذ عند قوله ام السماء و يبتدأ من قوله بناها وام متصلة واستعمل البناء فى موضع السقف فان السماء سقف مرفوع والبناء انما يستعمل فى اسافل البناء لا فى الاعالى للاشارة الى انه وان كان سقفا لكنه فى البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء فان البناء ابعد عن تطرق الاختلال اليه بالنسبة الى السقف (رفع سمكها فسواها) بيان للبناء اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذها بها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فان امتداد الشئ ان اخذ من اسفله الى اعلاه سمى سمكا واذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمى عمقا وقال بعضهم السمك الارتفاع الذى بين سطح السماء الاسفل الذى يلينا وسطحها الاعلى الذى يلى ما فوقها فيكون المراد تخنها وغلظها وهو ايضا تلك المسيرة (واغطش ليلها) الغطش الظلمة قال الراغب واصله من الاغطش وهو الذى فى عينه شبه عمش يقال اغطشه الله اذا جعله مظلما واغطش الليل اذا صار مظلما فهو متعد ولازم والاول هو المراد هنا اى جعله مظلما اذ هب النور فان قيل الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله واغطش ليلها يرجع معناه الى انه جعل المظلم مظلما وهو بعيد والجواب معناه ان الظلمة الحاصلة فى ذلك الزمان انما حصلت بتدبير الله وتقديره فلا اشكال (واخرج ضحاها) اى ابرز نهارها عبر عنه بالضحى وهو ضوء الشمس ووقت الضحى هو الوقت الذى تشرق فيه الشمس و يقوم سلطانها لانه اشرف اوقاتها واطيبها على تسمية المحل باسم اشرف ما حل فيه فكان احق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم فى الانعام واكمل فى الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثها على حركتها والاضافة يكفيها ادنى ملابسة المضاف بالمضاف اليه و يجوز ان تكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اى ابرز ضوء شمسها بتقدير المضاف والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها امام زاهد فرموده كه روز شب دنيا بآسمان پيدا كردد بسبب آفرينش آفتاب وماه دور قال بعض العارفين الليل ذكر والنهار انثى فلما تغشاها الليل حملت فولدت فظهرت الكائنات عن غشيان الزمان فالمولدات اولاد الزمان واستخراج

النهار من الليل كاستخراج حواء من آدم قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون وقال يولج الليل في النهار و يولج النهار في الليل كعيسى في مريم وحواء في آدم فاذا خاطب ابناء النهار قال يولج الليل واذا خاطب ابناء الليل قال يولج النها وقال بعض اهل الحقائق ان توارد الليل والنهار اشارة الى توارد السيئة والحسنة فكما ان الدنيا لا تبقى على ليل وحده ولا على نهار وحده بل هما يتعاقبان فيها فكذا المؤمن لا يخلو من نور الايمان و العمل الصالح و من ظلمة العمل الفاسد والفكر الكاسد ولذا قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فاذا كان يوم القيامة يلقى الله الليل في جهنم والنهار في الجنة فلا يكون في الجنة ليل كما لا يكون في النهار نهار يعني ان النهار في الجنة هو نور ايمان المؤمن ونور عمله الصالح بحسب مرتبته والليل في النار هو ظلمة كفر الكافر وظلمة عمله السيء فكما ان الكفر لا يكون ايمانا فكذا الليل لا يكون نهارا والنار لا تكون نورا فيبقى كل من اهل النور والنار على صفته الغالبة عليه واما القلب وحاله بحسب التجلي فهو على عكس حال القالب فان نهاره المعنوي لا يتعاقب عليه ليل وان كان يطرأ عليه استتار في بعض الاوقات (والارض بعد ذلك دحاها) اي قبل ذلك كقوله تعالى من بعد الذكر اي قبل القرآن بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها وقال بعضهم بعد على معناه الاصلي من التأخر فان الله خلق الارض قبل خلق السماء من غير ان يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقال في الارشاد انتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها وذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السموات ورفع سمكها و تسويتها وغيرها لا الى انفسها و بعدية الدحو عنها محمولة على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود فان اتفاق الاكثر على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وتقديم الارض لا يفيد القصر وتعيين البعدية في الوجود لما عرفت من ان انتصابه بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد ذلك وفائدة تأخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وقد مر ما يتعلق بهذا المقام في سورة حم السجدة (اخرج منها ماءها) بان فجر منها عيونا واجرى انهارا (ومرعاها) اي رعيها بالكسر بمعنى الكلاء وهو في الاصل موضع الرعي بالفتح نسب الماء والمرعى الى الارض من حيث انهما منها يظهران وتجريد الجملة عن العاطف لانها بيان وتفسير لدحاها او تكملة له فان السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من المأكل والمشرب حتما (والجبال) منصوب بمضمر يفسره قوله (ارساها) اي اثبتها واثبت بها الارض ان تميد بها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارساء تعالى ولولاه لما ثبتت في نفسها فضلا عن اثباتها للارض (متاعا لكم ولانعامكم) مفعول له بمعنى تمتيعا والانعام جمع نعم بفتحتين وهي المال الراعية بمعنى المواشي وفي الصحاح واكثر ما يقع هذا الاسم على الابل والمراد هنا ما يكون عاما للابل و البقر والغنم من الضأن والمعز اي فعل ذلك تمتيعا ومنفعة لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف ولهذا قيل دل الله تعالى بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به و يتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح فانه من الماء قال العتبي هذا اي قوله اخرج منها ماءها ومرعاها من جوامع الكلم حيث ذكر شيئين دالين على جميع ما اخرج من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب والشجر والحب والثمر والملح والنار لان النار من الشجر الاخضر والملح من الماء ونكتة الاستعارة توبيخ المخاطبين المنكرين للبعث والحاقهم بالبهائم في التمتع بالدنيا والذهول عن الآخرة (فاذا جاءت الطامة الكبرى) قال في الصحاح كل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم من باب رد والكبرى تأنيث الاكبر من كبر بالضم بمعنى عظم لا من كبر بالكسر بمعنى اسن وهذا شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها مما قيل كما ينبيء عنه لفظ المتاع والمعنى فاذا جاء وقت طلوع و قوع الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات والدواهي اي تعلوها

وتغلبها فوصفها بالكبرى يكون للتأكيد ولوفسر بما تعلو على الخلائق وتغلبهم كان مخصصا والمراد القيامة او النفخة الثانية فانه يشاهد يوم القيامة من الآيات الهائلة الخارجة عن العادة ماينسى معه كل هائل وعند النفخة الثانية تحشر الخلائق الى موقف القيامة خصت النازعات بالطامة وعبس بالصاخة لان الطم ان كان بمعنى النفخة الاولى للاهلاك فهو قبل الصخ اى الصوت الشديد الذى يحيى له الناس حين يصيخون له كما ينتبه النائم بالصوت الشديد فهو بمعنى النفخة الثانية فجعل السابق للسورة السابقة واللاحق للاحقة وان كان بمعنى النفخة الثانية فحسن الموقع فى كلا الموضعين لان الطم ورد بعد قوله تتبعها الرادفة والصخ بعد مابين عدم اصاخة النبى عليه السلام لابن ام مكتوم (يوم يتذكر الانسان ماسعى) منصوب باعنى تذكير الطامة الكبرى وما موصولة وسعى بمعنى عمل اى يتذكر فيه كل احد كائنا من كان ماعمله من خير او شر بان يشاهده مدونا فى صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه (و برزت الجحيم) عطف على جاءت اى اظهرت اظهارا بينا لايخفى على احد بعد ان كانوا يسمعون بها والمراد مطلق النار المعبر عنها بجهنم لا الدركة المخصوصة من الدركات السبع (لمن يرى) كائنا من كان على مايفيده من فانه من الفاظ العموم يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذى بصر مؤمن وكافر وقوله تعالى و برزت الجحيم للغاوين لاينافى ان يراها المؤمنون ايضا حين يمرون عليها مجاوزين الصراط وقيل للكافر لان المؤمن يقول اين النار التى توعدنا بها فيقال مررتموها وهى خامدة (فامامن طغى) الخ فاذا جاءت على طريقة قوله فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى الخ يقال ان جئتنى فان قدرت احسنت اليك و يقال اذا كانت الدعوة فاما من كان جاهلا فهنالك مقامه واما من كان عالما فههنا مقامه اى فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان كالنضر وابى الحارث المشهورين بالغلو فى الكفر والطغيان (وآثر) اختار (الحياة الدنيا) الفانية التى على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة (فان الجحيم) التى ذكر شأنها (هى) لاغيرها وهو ضمير فصل او مبتدأ (المأوى) اى مأواه فلايخرج من النار كما يخرج المؤمن العاصى فالكلام فى حق الكافر لكن فيه موعظة وعبرة موقظة واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى كما فى قولك غض الطرف فانه لايغض الرجل طرف غيره وذلك لان الخبر اذا كان جملة لابد فيها من ضمير يربطها بالمبتدأ فسدت اللام مسد العائد لعدم الالتباس فلا احتياج فى مثل هذا المقام الى الرابطة (واما من خاف مقام ربه) اى مقامه بين يدى مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ماسعى وذلك لعلمه بالمبدأ والمعاد فان الخوف من القيام بين يديه للحساب لابد ان يكون مسبوقا بالعلم به تعالى وفى بعض التفاسير المقام اما مصدر ميمى بمعنى القيام او اسم مكان بمعنى موضع القيام اى المكان الذى عينه الله لان يقوم العباد فيه للحساب والجزاء وقيل المقام مقحم للتأكيد جعل الخوف مقابلا للطغيان مع ان الظاهر مقابلته للانقياد والاطاعة بناء على ان الخوف اول اسباب الاطاعة ثم الرجاء ثم المحبة فالاول للعوام والثانى للخواص والثالث لاخص الخواص (ونهى النفس عن الهوى) عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها و لم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها والهوى ميلان النفس الى ماتشتهيه وتستلذه من غير داعية الشرع وفى الحديث ان اخوف ما اتخوف على امتى الهوى وطول الامل اما الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسى الآخرة قال بعض الكبار الهوى عبارة عن الشهوات السبع المذكورة فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وقد ادرجها الله فى امرين كما قال انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم ادرجها فى امر واحد وهو الهوى فى الآية فالهوى جامع لانواع الشهوات فمن تخلص من الهوى فقد تخلص من جميع القيود والبرازخ قال سهل رحمه الله لايسلم من الهوى الا الانبياء و بعض الصديقين ليس كلهم وانما يسلم من الهوى من الزم نفسه الادب وقال بعضهم حقيقة الانسان هى نفسه لاشئ زائد عليها وقال تعالى ونهى النفس عن الهوى فمن الناهى لها تأمل انتهى يقول الفقير ان الانسان برزخ بين الحقيقة الالهية والحقيقة الكونية وكذا بين الحقيقة الملكية و الحقيقة الحيوانية فهو من حيث الحقيقة الاولى ينهى النفس من حيث الحقيقة الثانية كما ان النبى عليه السلام يخاطب نفسه بقوله عليه السلام عليك ايها النبى من جانب ملكيته الى جانب بشريته

اومن مقام جمعه الى مقام فرقه (فان الجنة هى المأوى) له لاغيرها فنهى النفس عن الهوى معناه نهيها عن جميع الهوى على ان اللام للاستغراق والا فلا معنى للحصر لان المؤمن الفاسق قد يدخل النار اولا ثم يدخل الجنة فلا يصح فى حقه الحصر اللهم الا ان يقال معنى الحصر ان الجنة هى المقام الذى لا يخرج عنه من دخل فيه وفى بعض التفاسير المراد بالجنة مطلق دار الثواب فلا يخالف قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فان له جنتين بفضل الله فى دار الثواب جنة النعيم بالنعم الجسمانية وجنة التلذذ باللذات الروحانية ودر فصول آورده كه اين آيت درشان كسى است كه قصد معصيتى كند و بران قادر باشد خلاف نفس نموده ازخداى بترسد وازعمل آن دست بازدارد * كرنفسى نفس بفرمان تست * شبهه ميار كه بهشت آن تست * نفس كشدهر نفسى سوى پست * هر كه خلاف نفسى زد برست * قال محمد بن الحسن رحمه الله كنت نائما ذات ليلة اذا انا بالباب يدق و يقرع فقلت انظروا من ذلك فقال رسول الخليفة هرون يدعوك فخفت على روحى وقمت ومضيت اليه فلما دخلت عليه قال دعوتك فى مسئلة ان ام محمد يعنى زبيدة قلت لها انى امام العدل وامام العدل فى الجنة فقالت انك ظالم عاص قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله وحرمت عليك فقلت له يا امير المؤمنين اذا وقعت فى معصية فهل تخاف الله فى تلك الحال او بعدها فقال اى والله اخاف خوفا شديدا فقلت له انا اشهد ان لك جنتين لا جنة واحدة قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فلا طفنى وامرنى بالانصراف فلما رجعت الى دارى رأيت البدر متبادرة الى عبد الملك بن مروان خليفة روزكار بود وابو حازم امام وزاهد وقت بود ازوى پرسيد كه يا ابا حازم فرداحال وكار ما چون خواهد بود كفت اكر قرآن مى خوانى قرآن تراجواب ميدهد كفت كجا ميكو يد كفت فاما من طغى الى قوله فان الجنة هى المأوى بدانكه در دنيا هر نفسى را آتش شهوتست ودرعقبى آتش عقوبت هر كه امروز با آتش شهوت سوخته كردد فردا با آتش عقوبت رسد وهر كه امروز باب رياضت ومجاهده آتش شهوت بنشاند وهمچنين در دنيا در دل هر مؤمن بهشتى است كه ازا بهشت عرفان كويند ودرعقبى بهشتى است كه ازا رضوان كويند هر كه امروز در دنيا بهشت عرفان بطاعت آراسته دارد فردا به بهشت رضوان برسد وقال القاشانى فاما من طغى اى تعدى طور الفطرة الانسانية وتجاوز حد العدالة والشريعة الى الرتبة البهيمية او السبعية وافرط فى تعديه وآثر الحياة الحسية على الحقيقية بمحبة اللذات السفلية فان الجحيم مرجعه ومأواه واما من خاف مقام ربه بالترقى الى مقام القلب ومشاهدة قيوميته تعالى على نفسه ونهى النفس خوف عقابه وقهره عن هواها فان الجنة مأواه على حسب درجاته وقال بعضهم اشار بالآية الى حال المبتدئ فانه وقت قصده الى الله لا يجوز له الرخصة والرفاهية خوفا من الحجاب فاذا بلغ الى مقام التصفية والمعرفة لم يحتج الى نهى النفس عن الهوى فان نفسه وجسمه وشيطانه صارت روحانية والمشتهى هناك مشتهى واحد هو مشتهى الروح فالمبتدئ مع النفس فى الاشتهاء فلذا صار من اهل النهى والمنتهى مع الرب فى ذلك ومن كان مع الرب فقد تحولت شهوته لذة حقيقة مقبولة (يسألونك) مى پرسند ترا اى يا محمد (عن الساعة) اى القيامة (ايان مرساها) ارساؤها اى اقامتها يريدون متى يقيمها الله و يثبتها و يكونها فايان ظرف بمعنى متى واصله اى آن ووقت والمرسى مصدر بمعنى الارساء وهو الاثبات وهو مبتدأ وايان خبره بتقدير المضاف اذ لا يخبر بالزمان عن الحدث والتقدير متى وقت ارسائها كان المشركون يسمعون اخبار القيامة و اوصافها الهائلة مثل انها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيقولون على سبيل الاستهزاء ايان مرساها (فيم انت من ذكراها) رد وانكار لسؤال المشركين عنها واصل فيم فيما كان اصل عم عما وقد سبق والذكر بمعنى الذكر كالبشرى بمعنى البشارة اى فى اى شئ انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كانك حفى عنها اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ لان ذلك فرع علمك به وانى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب فقوله من ذكراها فيه مضاف وصلته محذوفة وهى لهم والاستفهام للانكار وانت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه و من ذكراها متعلق بما تعلق (الى ربك منتهاها) اى انتهاء علمها ليس لاحد منه شئ ما كائنا من كان فلاى شئ يسألونك عنها عائشة رضى الله عنها فرموده كه حضرت رسول عليه السلام ميخواست كه وقت آن ازخدا بپرسد حق تعالى فرمود تو ازد انستن قيامت برچه چيزى يعنى علم آن حق

تونيست زنهارتا نپرسى به پر وردكارتست منتهاى علم قيامت يعنى كس راخبر ندهد چه اطلاع بران خاصهٔ حضرت پروردكارست قال القاشانى اى فى اى شئ انت من علمها وذكرها وانما الى ربك ينتهى علمها فان من عرف القيامة هو الذى انحى علمه اولا بعلمه تعالى ثم فنيت ذاته فى ذاته فكيف يعلمها ولا علم له ولا ذات فاين انت وغيرك من علمها بل لا يعلمها الا الله وحده (انما انت منذر من يخشاها) اى وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل مافيها من فنون الاهوال لا تعيين وقتها الذى لم يفوض اليك فسالهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه اى ما انت الا منذر لا يعلم فهو من قصر الموصوف على الصفة اوما انت منذر الا من يخشاها فهو من قصر الصفة على الموصوف وتخصيص من يخشى مع انه مبعوث الى من يخشى ومن لا يخشى لانهم هم المنتفعون به اى لا يؤثر الانذار الا فيهم كقوله فذكر بالقرآن من يخاف وعيد والجمهور على ان قوله منذر من يخشاها من اضافة الصفة الى معمولها للتخفيف على الاصل لان الاصل فى الاسماء الاضافة والعمل فيها انما هو بالشبه ومن قرأها بالتنوين اعتبر ان الاصل فيها الاعمال والاضافة فيها انما هى للتخفيف (كانهم) اى المنكرين و بالفارسية كويا كفار مكه (يوم يرونها) روزى كه بينند قيامت را كه از آمدن آن همى پرسند (لم يلبثوا الا عشية اوضحاها) الضحى اسم لما بين اشراق الشمس الى استواء النهار ثم هى عشى الى الغداة كما فى كشف الاسرار والجملة حال من الموصوف فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كانه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها اى فى الاعتقاد عن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة اى عشية يوم واحد اوضحاه اى آخر يوم اولوله لا يوما كاملا على ان التنوين عوض عن المضاف اليه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته والضحى والعشية لما كانا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة لاضافة احدهما الى الآخر فلذلك اضيف الضحى الى العشية فان قيل لم يقل الا عشية اوضحى وما فائدة الاضافة قلنا لو قيل لم يلبثوا الا عشية اوضحى احتمل ان يكون العشية من يوم والضحى من يوم آخر فيتوهم استمرار اللبث من ذلك الزمان من اليوم الاول الى الزمان الآخر من اليوم الآخر واما اذا قيل الا عشية اوضحاها لم يحتمل ذلك البتة قال فى الارشاد واعتبار كون اللبث فى الدنيا اوفى القبور لا يقتضيه المقام وانما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم وفى الآية اشارة الى ساعة الفناء فى الله فانها امر وجدانى لا يعرفها الا من وقع فيها وهم باقون بنفوسهم الغليظة الشديدة فكيف يفهمونها بذكرها بلسان العبارة كما قيل من لم يذق لم يعرف كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية اوضحاها لاتصال آخر الفناء بارس البقاء كما قال العارف الطيار العطار قدس سره كر بقا خواهى فناى خود كزين * اولين چيزى كه مى زايد بقاست * وفى الحديث من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة وهو عبارة عن استقصار مدة اللبث فيما يلقى من البشرى والكرامة فى البرزخ والموقف كذا فى حواشى ابن الشيخ رحمه الله

تمت سورة النازعات بعون خالق البريات فى يوم الاثنين ثانى صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف

(سورة عبس اربعون واحدى واربعون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس) من الباب الثانى والعبس والعبوس ترش روى شدن يعنى ترش كرد روى خودرا محمد عليه السلام (وتولى) اعرض يعنى روى بكردانيد (ان جاءه الاعمى) الضمير لمحمد عليه السلام وهو علة التولى على رأى البصريين لقربه منه اى تولى لان جاءه الاعمى والعمى افتقاد البصر ويقال فى افتقاد البصيرة ايضا ولام الاعمى للعهد فيراد اعمى معروف وهو ابن ام مكتوم المؤذن الثانى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاذان ولذلك قال عليه السلام ان بلالا لا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم وكان من المهاجرين الاولين استخلفه عليه السلام على المدينة مرتين حين خرج غازيا وقيل ثلاث مرات مات بالمدينة وقيل شهيدا بالقادسية وهى قرية فوق الكوفة قال انس رضى الله عنه رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء ويقال ليوم فتح عمر رضى الله عنه يوم الفادسية فانه ظفر على العجم هناك واخذ منهم غنائم كثيرة واختلفوا فى اسم ابن ام مكتوم فقيل هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر

ابن لؤى وقيل هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم من بنى عامر بن هلال وهو ابن خال خديجة رضى الله عنها وام مكتوم اسم ام ابيه كما فى الكشاف وقال السعدى هو وهم فقد نص ابن عبد البر وغيره انها امه واسمها عاتكة بيت عامر بن مخزوم (روى) ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فى مكة وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة الناس انه اذا مال اكابرهم الى امر مال اليه غيرهم كما قيل الناس على دين ملوكهم فقال له يارسول الله علمنى مما علمك الله انتفع به وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام باقوم اذا السمع لا يكفى فى العلم بالتشاغل بل لابد من الابصار على انه يجوز انهم كانوا يخفضون اصواتهم عند المكالمة اوجاء الاعمى فى منقطع من الكلام فكره رسول الله قطعه لكلامه واشتغاله به عنهم وعبس واعرض عنه فرجع ابن ام مكتوم محزونا خائفا ان يكون عبوسه واعراضه عنه انما هو لشئ انكره الله منه فنزلت امام زاهد فرموده كه سيد عالم صلى الله عليه وسلم ازعقب اورفت واورا بازكردانيده ورداه مبارك خود بكسترانيدو بران نشانيد فكان رسول الله يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى اى لا منى مع بقاء المحبة ويقول له هل لك من حاجة ويقال ان رسول الله عليه السلام لم يغتم فى عمره كغمه حين انزلت عليه سورة عبس لان فيها عتبا شديدا على مثله لانه الحبيب الرشيد ومع ذلك فلم يجعل ذلك الخطاب بينه وبينه فيكون ايسر للعتاب بل كشف ذلك للمؤمنين ونبه على فعله عباده المتقين ولذلك روى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بلغه ان بعض المنافقين يؤم قومه فلا يترأ فيهم الا سورة عبس فارسل اليه فضرب عنقه لما استدل بذلك على كفره ووضع مرتبته عنده وعند قومه قال ابن زيد لو جاز له ان يكتم شيأ من الوحى لكان هذا وكذا نحو قوله لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك ونحو قوله امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكان ما فعله عليه السلام من باب ترك الاولى فلا يعد ذنبا لان اجتهاده عليه السلام كان فى طلب الاولى والتعرض لعنوان عماه مع ان ذكر الانسان بهذا الوصف يقتضى تحقير شأنه وهو ينافى تعظيمه المفهوم من العتاب على العبوس فى وجهه اما لتمهيد عذره فى الاقدام على قطع كلامه عليه السلام للقوم والايذان باستحقاقه الرفق والرأفة لا الغلظة واما لزيادة الانكار فان اصل الانكار حصل من دلالة المقام كأنه قيل تولى لكونه اعمى وهو لا يليق بخلقه العظيم كما ان الالتفات فى قوله تعالى (وما يدريك) لذلك فان المشافهة ادخل فى تشديد العتاب لكن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى اذا حمى فى الشكاية مواجهاله بالتوبيخ اى واى شئ يجعلك داريا وعالما بحاله ويطلعك على باطن امره حتى تعرض عنه اى لا يدريك شئ فتم الكلام عنده فيوقف عليه وليس ما بعده مفعوله بل هو ابتداء كلام وقال الامام السهيلى رحمه الله انظر كيف نزلت الآية بلفظ الاخبار عن الغائب فقال عبس وتولى ولم يقل عبست وتوليت وهذا شبيه حال الغائب المعرض ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب فقال وما يدريك علما منه تعالى انه لم يقصد بالاعراض عنه الا الرغبة فى الخير ودخول ذلك المشرك فى الاسلام وهو الوليد او امية وكان مثله يسلم باسلامه بشر كثير فكلم نبيه عليه السلام حين ابتدار الكلام بما يشبه كلام المعرض عنه العاتب له ثم واجهه بالخطاب تأنيسا له عليه السلام بعد الايحاش فانه قيل ان ابن ام مكتوم كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه من امور الدين واما اولئك الكفار فما كانوا قد اسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فكلامه فى البين سبب لقطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم والاهم مقدم على المهم فثبت بهذا ان فعل ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وما فعله النبى عليه السلام كان واجبا فكيف عاتبه الله على ذلك قيل ان الامر وان كان كما ذكر الا ان ظاهر ما فعله الرسول عليه السلام يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة لانه ترك الافضل كما اشير اليه سابقا فلذا عاتبه الله تعالى (لعله) اى الاعمال (يزكى) بتشديدين اصله يتزكى اى يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلة لعل مع تحقق التزكى وارد على سنن الكبرياء فان لعل فى كلام العظماء يراد به القطع والتحقيق او على اعتبار معنى الترجى بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكى مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكى كما فى قولك لعلك ستندم على ما فعلت (او يذكر)

بتشديدين ايضا اصله يتذكر والتذكر هو الاتعاظ يعنى باخود پند كيرد (فتنفعه الذكرى) اى فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكى التام وفى الكشاف المعنى انك لا تدرى ماهو مترقب منه من تزكى اوتذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك انتهى اشار الى ان قوله يزكى من باب التخلية عن الآثام وقوله اويذكر من باب التحلية ببعض الطاعات ولذا دخلت كلمة الترديد فقوله اويذكر عطف على يزكى داخل معه فى حكم الترجى وقوله فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل تشبيها له بليت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر اصلا واشعار بان اللائق بالمعلم ان يقصد بتعليمه تزكية متعلمه ولا ينظر الى شحمه وصورته كما ينظر العوام وبالمتعلم ان يريد بتعلمه تزكية نفسه عن ارجاس الضلالة وتطهير قلبه من ادناس الجهالة لا احكام الدنيا الدنية (اما) للتفصيل (من استغنى) عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن (فانت له تصدى) بحذف احدى التاءين تخفيفا اى تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه دون الاعمى وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام والتصدى للشئ التعرض والتفيد به والاهتمام بشأنه وضده التشاغل عنه وفى المفردات التصدى ان يقابل الشئ مقابلة الصدى اى الصوت الراجع من الجبل وفى كشف الاسرار التصدى التعرض للشئ على حرص كتعرض الصديان للماء اى العطشان وعن بعضهم اصل تصدى تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وجاء قبالتك فابدل احد الامثال حرف علة (وما عليك ان لا يزكى) اى وليس عليك بأس ووزر ووبال فى ان لا يتزكى ذلك المستغنى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ وكيف تحرص على اسلام من ليس له قابلية وقد خلق على حب الدنيا والعمى عن الآخرة وفيه استهانة لمن اعرض عنه فما نافية وكلة فى المقدرة متعلقة باسم ما وهو محذوف والجملة حال من ضمير تصدى مقررة لجهة الانكار (واما من جاءك يسعى) اى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير (وهو) والحال انه (يخشى) الله تعالى او يخشى الكفار واذاهم فى اتيانك قال سعدى المفتى الظاهر ان النظم من الاحتباك ذكر الغنى اولا للدلالة على الفقر ثانيا والمجئ والخشية ثانيا للدلالة على ضدهما اولا (فأنت عنه تلهى) بحذف احدى التاءين تخفيفا اى تتلهى وتتشاغل من لهى عن الشئ بكسر الهاء يلهى لهيا اعرض عنه لا من لهوت بالشئ بالفتح الهو لهوا اذا لعبت به لان الفعل مسند الى ضمير النبى ولا يليق بشأنه الرفيع ان ينسب اليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشئ لمصلحة وفى بعض التفاسير ولو اخذ من اللهو وجعل التشاغل باهل التغافل من جنس اللهو واللعب لكونه عبثا لا يترتب عليه نفع لم يخل عن وجه انتهى وفيه انه يلزم منه ان يكون الاشتغال بالدعوة عبثا ولا يقول به المؤمن وذلك لانه لا يجوز للنبى عليه السلام التشاغل باهل التغافل الا بطريق التبليغ والارشاد فكيف لا يترتب عليه نفع وفى تقديم ضميره عليه السلام وهو انت على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام اى مثلك خصوصا لا ينبغى ان يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وفى تقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما تنبيه حيث افادت القصة ان العبرة بالارواح والاحوال لا بالاشباح والاموال والعزيز من اعزه الله بالايمان والطاعة وان كان بين الناس ذليلا والذليل من اذله الله بالكفر والمعصية وان كان بين الناس عزيزا روى انه عليه السلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وكان الفقراء فى مجلسه عليه السلام امراء يعنى كان يحترمهم كل الاحترام وفيه تأديب للصغير بالكبير فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون فى تقريب الضعيف من اهل الخير وتقديمه على الشريف العارى عن الخير بمثل ما خوطب به النبى عليه السلام فى هذه السورة قال بعضهم بين الله درجة الفقر وتعظيم اهله وخسة الدنيا وتحقير اهلها فصح الاشتغال بصحبة الفقراء لان فيهم نعت الصدق والتجرد فالصحبة معهم مفيدة بخلاف الاشتغال بصحبة الاغنياء اذ ليس فيهم ذلك فالصحبة معهم ضائعة وفى الحديث (من تحامل على فقير لغنى فقد هدم ثلث دينه) يقال تحاملت على الشئ اذا تكلفت الشئ على مشقة وتحامل فلان على فلان اذا لم يعدل وقال بعض الاكابر انما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتواضع لاكابر قريش لان الاغراء من اللائق مظاهر العزة الالهية فكان تقديمهم على الفقراء من اهل الصفة ليوفى صفة الكبرياء حقها اذ لم يشهد لها مشاركا ولكن فوق هذا المقام ما هو

اعلى منه وهو ما امره الله به آخرا بعد ما صدر سورة عبس فى قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية فامره بان لا يشهده فى شئ دون شئ الاطلاق الذى هو الحق عليه كما قال جعت فلم تطعمنى وظمئت فلم تسقنى الحديث كما فى الجواهر للشعرانى (كلا) ازجر من التصدى للمستغنى و الاعراض عن ارشاد المسترشد قال الحسن لما تلا جبرائيل هذه الآيات على النبى عليه السلام عاد وجهه كأنما استف فيه الرماد اى تغير كأنما ذر عليه الرماد ينتظر ما يحكم الله عليه فلما قال كلا سرى عنه والتسرية اندوه را بردن اى لا تفعل مثل ذلك فانه غير لائق بك (انها) اى القرآن والتأنيث باعتبار الخبر و هو قوله (تذكرة) اى موعظة يجب ان يتعظ بها و يعمل بموجبها (فمن) پس هر كه (شاء ذكره) اى القرآن اى حفظه ولم ينسه اوتعظ به ومن رغب عنه كما فعله المستغنى فلا حاجة الى الاهتمام بامره (فى صحف) جمع صحيفة وكل مكتوب عند العرب صحيفة وهو متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف جئ به للترغيب فيها والحث على حفظها اى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح اوخبر ثان لان فالجملة معترضة بين الخبرين والسجاوندى على انه خبر محذوف اى وهى فى صحف حتى وضع علامة الوقف اللازم على ذكره هربا من ابهام تعلقه به وهو غير جائز لان ذكر من شاء لا يكون فى صحف (مكرمة) عند الله لكونها صحف القرآن المكرم (مرفوعة) اى فى السماء السابعة اومرفوعة المقدار والذكر فانها فى المشهور موضوعة فى بيت العزة فى السماء الدنيا (مطهرة) منزهة عن مساس ايدى الشياطين (بأيدى سفرة) كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب اذ فى الكتابة معنى السفر اى الكشف والتوضيح والكاتب سافر لانه يبين الشئ و يوضحه وسمى السفر بفتحتين سفرا لانه يسفر و يكشف عن اخلاق المرء قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة فقال القفال فى وجهه لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبى ان المراد فى قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة والظاهر ان تكون فى محل الجر على انها صفة لصحف اى فى صحف كائنة بايدى سفرة اومكتوبة بايدى سفرة ومن هذا وقف بعضهم على مطهرة وقفا لازما هربا من توهم تعلق الباء به (كرام) عند الله بالقرب والشرف فهو من الكرامة جمع كريم او متعطفين على المؤمنين يستغفرون لهم فهو من الكرم ضد اللؤم وقال ابن عطاء رحمه الله يريد انهم يتكرمون ان يكونوا مع ابن آدم اذا خلا مع زوجته للجماع و عند قضاء الحاجة يشير الى انهم هم الملائكة الموصوفون بقوله كراما كاتبين وفيه تأمل (برره) اتقياء لتقدسها عن المواد ونزاهة جواهرها عن التعلقات اومطيعين لله من قولهم فلان بار بخالقه اى يطيعه اوصادقين من برفى يمينه جمع بار مثل كفرة جمع فاجر (قتل الانسان) دعاء عليه باشنع الدعوات فان القتل غاية شدائد الدنيا وافظعها ومن فسر القتل باللعن اراد به الاهلاك الروحانى فانه اشد العقوبات وهو بالفارسية لعنت كرده باد انسان يعنى كافر وفى عين المعانى عذب (ما اكفره) ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه و بالفارسية چه كافر ترين خلقست تعجب من افراطه فى الكفران اى على صورته فان حقيقة التعجب انما تتصور من الجاهل بسبب خفى من سبب الشئ والذى احاط علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو فى الحقيقة تعجيب من الله لخلقه و بيان لاستحقاقه للدعاء عليه اى اعجبوا من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه وادعوا عليه بالقتل واللعن ونحو ذلك لاستحقاقه لذلك قال بعضهم لعن الله الكافر وعظم كفره حيث لم يعرف صانعه ولم يعرف نفسه التى لو عرفها عرف صانعها وقال ابن الشيخ هذا الدعاء وارد على اسلوب كلام العرب فهو ليس من قبيل دعاء من يعجز عن انتقام من يسوءه وكذا هذا التعجب ليس على حقيقته لانه تعالى منزه عن العجز والجهل بل المقصود باراد ما هو فى صورة الدعاء الدلالة على سخطه العظيم والتنبيه على انه استحق اهول العقوبات واشنعها و باراد صيغة التعجب الذم البليغ له من حيث ارتكابه اقبح القبائح ولا شك ان السخط يجوز من الله وكذا الذم و يجوز ان يكون ما اكفره استفهاما بمعنى التقريع والتوبيخ اى اى شئ حمله على الكفر و المراد من الانسان اما من استغنى عن القرآن المذكور نعوته واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده (من اى شئ خلقه) اى من اى شئ

حقير مهين خلقه يعنى نمى انديشد كه خداى تعالى ازچه چيز پيدا فريداورا ثم بينه بقوله (من نطفة) قذرة (خلقه) فمن كان اصله مثل هذا الشئ الحقير كيف يليق به التكبر والتجبر والكفران بحق المنعم الذى كساه ذلك الحقير بمثل هذه الصورة البهية وقف السجاوندى على قوله من نطفة حتى وضع عليه علامة الوقف المطلق بتقدير خلقه آخر بدلالة ماقبله وجعل قوله خلقه فقدره جملة اخرى استئنافية لبيان كيفية الخلق واتمامه من انعامه ومن جعله متعلقا بما بعده على ماهو الظاهر لم يقف عليه (فقدره) فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال اى احدثه بمقدار معلوم من الاعضاء والاشكال والكمية والكيفية فجعله مستعدا لان ينتهى فيها الى القدر اللائق بمصلحته فلا يلزم عطف الشئ على نفسه وذلك ان خلق الشئ ايضا تقديره واحداثه بمقدار معلوم من الكمية والكيفية وبالفارسية پس اندازه او بديد كرد از اعضاء واشكال وهيئات در بطن مادر او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه فالتقدير المتفرع على الخلق مأخوذ من القدر بمعنى الاطوار اى اوجده على التقدير الاولى ثم جعله ذا اطوار من علقة ومضغة الى آخر اطواره ذكرا اوانثى شقيا اوسعيدا قال بعضهم وعلى الوجهين فالفاء للتفصيل فان التقدير يتضمنه على المعنيين (ثم السبيل يسره) منصوب بمضمر يفسره الظاهر اى سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم وكان غير مفتوح قبل الولادة والهمه ان ينتكس بان ينقلب ويصير رجله من فوق ورأسه من تحت ولولا ذلك لا يمكنها ان تلدا ويسر له سبيل الخير والشر فى الدين ومكنه من السلوك فيهما وذلك بالاقدار والتعريف له بما هو نافع وضار والعقل وبعثة الانبياء وانزال الكتب ونحو ذلك وتعريف السبيل باللام دون الاضافة بان يقال سبيله للاشعار بعمومه لانه عام للانس والجن على المعنى الثانى وللحيوانات ايضا على المعنى الاول قال ابن عطاء رحمه الله يسر على من قدر له التوفيق طلب رشده واتباع نجاته وقال ابو بكر بن طاهر رحمه الله يسر على كل احد ماخلقه له وقدره عليه (ثم اماته) اى قبض روحه عند تمام اجله المقدر المسمى (فأقبره) اى جعله فى قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا اى قطعا للسباع والطير كسائر الحيوان قال فى كشف الاسرار لم يجعله مما يطرح للسباع اويلقى للنواويس والقبر مما اكرم به المسلمون انتهى يقال قبر الميت اذا دفنه بيده والقبار هو الدافن والقبر هو مقر الميت واقبره اذا امر بدفنه اومكن منه فالمقبر هو الله لانه الآمر بالدفن فى القبور قال فى المفردات اقبرته جعلت له مكانا يقبر فيه نحو اسقيته جعلت له ماء يستقى منه وقيل معناه الهم كيف يدفن انتهى (وفى المثنوى)

كندن كورى كه كمتر پيشه بود * كى زمكر وحيله واندر يشه بود * جمله حرفتها يقين ازوحى بود * اول اوليك عقل ازافزود * وعد الاماتة من النعم بالنسبة الى المؤمن فانه بالموت يتخلص من سجن الدنيا وايضا ان شأن الموت ان يكون تحفة ووصلة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم وانما كان مفتاح كل بلاء ومحنة فى حق الكافر من سوء اعتقاده وسيئات اعماله وفى بعض التفاسير ذكر الاماتة اما لانها مقدمة الاقبار واما للتخويف والتذكير بان الحياة الدنيوية فانية آخرها الموت وعن الشافعى رحمه الله

فلا تمشين فى منكب الارض فاخرا * فما قليل يحتويك ترابها

واما الحث على الاستعداد واما رعاية المقابلة بينه وبين انشره تنبيها على كمال قدرته وتمام حكمته (ثم اذا شاء انشره) اى اذا شاء انشاره واحياءه وبعثه انشره واحياه وبعثه وفى تعليق الانشاء بمشيئته له ايذان بان وقته غير متعين فى نفسه بل هو تابع لها بخلاف وقت الموت فانا نجزم بان احدا من ابناء الزمان لا يتجاوز مائة وخمسين سنة مثلا وليس لاحد مثل هذا الجزم فى النشور هكذا قالوا وفيه ان الموت ايضا له سن معلوم واجل محدود فكيف يتعين فى نفسه ويجزم بوقوعه فى سن كذا بحيث لا يكون موكولا الى مجرد مشيئته تعالى ولعل تقييد الانشار بالمشيئة لا ينافى تقييد الموت بها ايضا اذ لا يجرى عليه تعالى زمان وانه من مقدمات القيامة ولذا قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته اى لاتصال زمان الموت بزمان القيامة فهو قيامة صغرى مجهولة كالقيامة الكبرى وفيه اشارة الى ان الميت ان كان من اهل السعادة فانشاره من قبور اهل السعادة وان كان مدفونا فى قبور اهل الشقاوة وان كان من اهل الشقاوة فانشاره من قبور اهل الشقاوة وان كان مدفونا فى قبور اهل السعادة ولذا قال صاحب المشارق فى خطبة كتابه ثم اذا شاء منها انشره اى من مكة فان من دفن بمكة ولم يكن لائقا بها تنقله الملائكة الى موضع آخر وفى الحديث (من مات من امتى يعمل عمل قوم لوط

نقله الله اليهم حتى يحشر معهم وفى حديث آخر (من مات وهو يعمل عمل قوم لوط سار به قبره حتى يصير معهم و يحشر يوم القيامة معهم) كما فى الدرر المنتثرة للامام السيوطى رحمه الله وحكى ان شخصا كان يقال له ابن هيلان من المبالغين فى التشيع بحيث يفضى الى ما يستقبح فى حق الصحابة مع الاسراف على نفسه بينما هو يهدم حائطا اذ سقط فهلك فدفن بالبقيع فلم يوجد ثانى يوم الدفن فى القبر الذى دفن به ولا التراب الذى ردم به القبر بحيث يستدل بذلك لنبشه و انما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده الجم الغفير حتى كان ممن وقف عليه القاضى جمال الدين وصار الناس يجيئون لرؤيته ارسالا الى ان اشتهر امره وعد ذلك من الآيات التى يعتبر بها من شرح الله صدره نسأل الله السلامة و حكى ايضا ان محمد بن ابراهيم المؤذن حكى عنه انه حمل ميتا فى ايام الحاج ولم يوجد من يساعده عليه غير شخص قال فحملناه ووضعناه فى اللحد ثم ذهب الرجل و جئت انا باللبن لاجل اللحد فلم اجد الميت فى اللحد فذهبت وتركت القبر على حاله ونقل ان بعض الصلحاء ممن لم يمت بالمدينة رؤى فى النوم وهو يقول للرائى سلم على اولادى وقل لهم انى قد حملت ودفنت بالبقيع عند قبر العباس فاذا ارادوا زيارتى فليقفوا هناك و يسلموا ويدعوا كذا فى المقاصد الحسنة للسخاوى وفى الآية اشارة الى ان الانسان ما كان له ان يكفر لان الله خلقه من نطفة الوجود المطلق وهيأه لمظهرية ذاته وصفاته واسمائه ثم سهل عليه سبيل الظهور بمظاهر الاسماء الجمالية والجلالية ثم اماته عن انانيته فاقبره فى قبر الفناء عن رؤية الفناء ثم اذا شاء انشره بصورة البقاء بعد الفناء فعلى العبد ان يعرف قدر النعمة ولا يظهر بالعجب والغرور بان يدعى لنفسه ما كان لله من الكمالات كالعلم والقدرة والارادة ونحوها (كلا) ردع للانسان عما هو عليه وجعله السجاوندى بمعنى حقا ولذا لم يقف عليه بل على امره فانه اذا كان بمعنى حقا يكون تابعا لما بعده (لما يقض ما امره) قال فى بعض التفاسير ما فى لما صلة دخلت للتأكيد كقوله فبما رحمة من الله فلما بمعنى لم وليس فيه معنى التوقع وفى ما امره موصولة وعائده يجوز ان يكون محذوفا والتقدير ما امره به فحذف الجار اولا فبقى ما امره هو ثم حذف الهاء العائد ثانيا و يجوز ان يكون باقيا على ان المحذوف من الهاءين هو العائد الى الانسان والباقى هو العائد الى الموصول فاعرف وقس عليه امثاله اى لم يقض الانسان ما امره الله به من الايمان والطاعة ولم يؤد ولم يعرف ولم يعمل به وعدم القضاء محمول على عموم النفى اما على ان المحكوم عليه هو المستغنى او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل فلاشياع فى اللوم بحكم المجانسة واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع افراد ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا وكفته انه مراد همه آدميانند از آدم تابايين غايت وهر كز هيچ آدمى از عهده حقوق اداء اوامر الهى كما ينبغى بيرون نيايد ونتوان آمد * بنده همان به كه زتقصير خويش * عذر بدركاه خداى آورد * ورنه سزاوار خداوندى * كس نتواند كه بجاى آورد * وفى التأويلات النجمية كلا لما يقض ما امره من الاتيان بواجب حقوقنا من الظهور بحقائق اسمائنا و القيام بفضائل صفاتنا (فلينظر الانسان الى طعامه) شروع فى تعداد النعم المتعلقة بيقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اى فلينظر الانسان الى طعامه الذى عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقال ابن عباس رضى الله عنهما فلينظر الانسان الى طعامه ليعلم خسة قدره وفناء عمره وفى الحديث (ان مطعم ابن آدم جعله الله مثلا للدنيا وان قزحه وملحه فانظر الى ما ذا يصير) يقال قزح القدر جعل التابل فيها وهو كصاحب وهاجر ابزار الطعام وملحها جعل الملح فيها (انا صببنا) انزلنا انزالا وافيا من السحاب (الماء) اى الغيث وهو المطر المحتاج اليه بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فالثانى مشتمل على الاول اذ لا يلزم فيه ان يكون المبدل منه مشتملا على البدل فحينئذ العائد محذوف والتقدير صببناه (صبا) عجيبا (ثم شققنا الارض) بالنبات ولما كان الشق بعد الصب اورد كلمة ثم والشق بالفارسية شكافتن (شقا) بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغارا وكبارا و شكلا وهيئة (فانبتنا فيها) اى فى الارض المشقوقة بالنبات والفاء للتعقيب (حبا) فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد و يتسع الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وهو جنس الحبة كالتمر والتمرة فيشمل القليل

والكثير قدمه لانه الاصل فى الغذاء (وعنبا) عطف على حبا ولبس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلو انبات العنب عن شق الارض وكذا فى امثاله كذا قال فى الارشاد ولعل شق الارض فيه باعتبار اصله اول خروجه منها فان المراد هنا شجرة العنب وانما ذكره والزيتون باسم الثمرة لشهرتهما بها ووقوع كل منهما بعد ما يؤكل نفسه فاعرف وافرد العنب بالذكر من بين الثمار لانه فاكهة من وجه يتلذذ به وطعام من وجه يتغذى به وهو من اصلح الاغذية (وقضبا) اى رطبة وهى نبات يقال له الفصفصة وبالفارسية اسپست ومعربه الاسفست سميت بمصدر قضبه اى قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره اذ تقضب مرة بعد اخرى فى السنة نفس القطع وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه الرطب التى تقضب من النخل ورجحه بعضهم لمناسبته بالعنب وقال بعضهم هو مثل القتاء والطرخون والكراث وغيرها التى يقطع ساقها من اصلها يعنى للاكل وبعضهم هو القت الرطب افرده بالذكر تنبيها على اختلاف النباتات وان منها ما اذا قطع عاد ومنها ما لا يعود والقت حب الفاصول وهو الاشنان وقيل هو حب يابس اسود يدق فيلين قشره ويطحن ويخبز بقتائه اعراب طحن وبعضهم هو كل ما يؤكل رطبا كالبطيخ والخيار والباذنجان والدباء (وزيتونا) هو ما يعصر منه الزيت والمراد شجرته وتمر ثلاثة آلاف سنة خصه بالذكر لكثرة فوائده خصوصا لاهالى بلاد العرب فانهم ينتفعون به أكلا وادهانا واستضاءة وتطهرا فانه يجعل فى الصابون وكان عليه السلام يتطيب به فى الاوقات (ونخلا) هو شجر التمر جمع نخلة والرطب والتمر من انفع الغذاء وفى المجوة خاصية دفع السم والسحر وشجرته من فضلة طينة آدم عليه السلام كما سبق مفصلا (وحدائق غلبا) جمع حديقة وهى الروضة ذات الشجر او البستان من النخل والشجر او كل ما احاط به البناء او القطعة من النخل كما فى القاموس وهى هنا من قبيل التعميم بعد التخصيص والغلب جمع اغلب كحمر جمع احمر او حمراء مستعار من وصف الرقاب يقال رجل اغلب واسد اغلب اى غليظ العنق فالمعنى وحدائق عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها اولانها ذات اشجار غلاظ فعلى الاول استعارة معنوية وعلى الثانى مجاز مرسل فان اريد من غلظ العنق والرقبة مطلق الغلظ بطريق اطلاق المقيد وارادة المطلق كاطلاق المرسن على الانف واجرى على الحدائق وصفا لها بحال متعلقها وهو الاشجار سمى استعارة بناء على اللغة وفى كشف الاسرار الغلب من الشجر التى لا ثمر كالشمار والارز والعرعر والدرداء (وفاكهة) كثيرة غير ما ذكر والعنب والرمان والرطب من الفواكه عند الامامين لا عند الامام الاعظم لان العطف يقتضى المغايرة والظاهر ان مراد الاعظم ان نحو العنب والرطب لكونه مما يؤكل غذاء يحقق القصور فى معنى التفكه به اى التنعم بعد الطعام وقبله فلا يتناوله اسم الفاكهة على الاطلاق حتى لو حلف لا يأكل فاكهة لا يحنث بأكله لكونه غذاء من وجه وان كان فاكهة من وجه آخر وعطف الفاكهة عليه لا ينافى كونه فاكهة من وجه لان المراد بالفاكهة المعطوفة ما هو فاكهة من كل وجه ولا يخفى ان الفاكهة من كل وجه مغايرة لما هو فاكهة من وجه دون وجه فيصح عطفها عليه او عطفه عليها كما فى مواضع من القرآن (وابا) اى مرعى من ابه اذا امه اى قصده لانه يؤم ويقصد جزه للدواب او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيء للرعى واب الى وطنه اذا نزع اليه نزوعا تهيأ لقصده وكذا اب لسيفه اذا تهيأ له وابان ذلك فعلان منه وهو الزمان المتهيء لفعله ومجيئه او الاب الفاكهة اليابسة توءب للشتاء اى تعد وتهيأ وهو الملائم لما قبله وفى الحديث (خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع) اراد بقوله خلقتم من سبع يعنى من نطفة ثم من علقة الخ وهى الثارات السبع وبقوله رزقتم من سبع قوله حبا وعنبا الى ابا لعل الحدائق خارجة عن الحساب لانها منابت تلك المرزوقات وبقوله فاسجدوا على سبع الاعضاء السبعة وهى الوجه واليدان والركبتان والرجلان (متاعا لكم ولانعامكم) مفعول له اى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدابهم والالتفات لتكميل الامتنان وفى الآية اشارة الى حب المحبة الذاتية وخمر المحبة الصافية المتخذة من عنب الصفات وخمر المحبة الافعالية المتخذة من رطب وزيتون المعرفة ونخل التوحيد العالى من ان يصل اليه كل مدع كذاب وفاكهة الوجدانيات والذوقيات وحدائق الشوق والاشتياق والود والتجريد ونحوها واب مراعى الشهوات الحيوانية فبعض هذه النعم الشريفة مخصوص بالخواص

كالارواح والاسرار و القلوب و بعضها بالعوام كالنفوس البشرية و القوى الطبيعية العنصرية (فاذاجاءت الصاخة) شروع فى بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب مابعدها على ماقبلها من فناء النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها وجواب اذامحذوف يدل عليه يوم يفر الخ اى اشتغل كل احد بنفسه والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصخ لها الخلائق اى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصخون لها فى قبورهم فاسند الاستماع الى المسموع مجازا وقيل هى الصيحة التى تصم الآذان لشدة وقعها وقيل هى مأخوذة من صخه بالحجر اى صكه فتكون الصاخة حقيقة فى النفخة (يوم يفر المرء) روزى كه بكريزد مرد (من اخيه) از برادر خود باوجود موانست ومهربانى (وامه) وازمادر خود باكثرت حقوق كه اوراست (وابيه) واز پدر خود باوجود شفقت وعاطفت كه ازو ديده (وصاحبته) واززن خود بانكه مونس روزكارا و بوده (وبنيه) وازفرزندان خود باخيال استظهار بديشان اى يعرض الانسان عنهم ولا يصاحبهم و لا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيأ فقوله يوم منصوب باعنى تفسيرا للصاخة و تأخير الاحب فالاحب للمبالغة لان الابوين اقرب من الاخ وتعلق القلب بالصاحبة والاولاد اشد من تعلقه بالابوين وهذه الآية تشمل النساء كما تشمل الرجال ولكنها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء فى الرجال فى الكلام كثيرا قال عبد الله بن طاهر الابهرى قدس سره يفر منهم اذا ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه واوظهر له ذلك فى الدنيا لما اعتمد على سوى ربه الذى لا يعجزه شئ و تمكن من فسحة التوكل واستراح فى ظل التفويض وفى الآية اشارة الى فرار مرء القلب عن اخيه السر وامه النفس وابيه الروح وصاحبته القوى البشرية و بنيه الاعمال والاحوال لان فى ذلك اليوم لا يتخلص احد بعمله بل بفضله و طوله كما قال عليه السلام لن يدخل احدكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بغفرانه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) استئناف وارد لبيان سبب الفرار والشأن لا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور اى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به قال ابن الشيخ اى الهم الذى حصل له قد ملاء صدره فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيها بالغنى فى انه ملك شيأ كثيرا ودر باب مشغولئ قيامت فريد الدين عطار را قدس سره حكايتى منظوم است * كشتئ آورد در دريا شكست * تختهٔ زان جمله بر با لا نشست * كربه و موشى دران تخته بماند * كار شان بايكدكر تخته بماند * نه زكربه موش رارو ى كريز * نه بموش آن كربه راچنكال تيز * هر دو شان ازهول دريا ى عجب * در تحير باز مانده خشك لب * در قيامت نيز اين غوغا بود * يعنى آنجا نى تو ونى ما بود * وفى الخبر ان عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله كيف يحشر الناس قال حفاة عراة قالت وكيف تحشر النساء قال حفاة عراة قالت عائشة واسواتاه النساء مع الرجال حفاة عراة فقرأ رسول الله عليه السلام هذه الآية لكل امرئ الخ واما الفرار حذرا من مطالبتهم بالتبعات بان يقول الانسان واسيفنى بمالك والابوان قصرت فى برنا والصاحبة اطعمتنى الحرام و فعلت وصنعت و البنون ماعلمتنا وما ارشدتنا او بغضا لهم كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان يفر قابيل من اخيه هابيل و يفر النبى من امه وابراهيم من ابيه ونوح من ابنه ولوط من امرأته فليس من قبيل الفرار المذكور وكذا ماروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ماهو عليه من سوء الحال قال بعض المشايخ من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال يحيى بن معاذ اذا شغلتك نفسك فى دنياك وعقباك عن ربك اما فى الدنيا ففى طلب مرادها واتباع شهواتها واما فى الآخرة فكما اخبر الله عنه بقوله لكل امرئ منهم الخ فحتى تفرغ الى معرفة ربك وطاعته وقال بعضهم العارف مع الخلق ولكنه يفارقهم بقلبه كما قيل

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى * وابحت جسمى من اراد جلوسى

(وجوه يومئذ مسفرة) بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره و يومئذ اى يوم اذ يفر

المرء متعلق به اى مضيئة متهللة بنورية ذواتهم وصفاتها من اسفر الصبح اذا اضاء فهو من لوازم الافعال قال فى المفردات الاسفار يختص باللون ومسفرة اى مشرق لونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ذلك من قيام الليل وفى الحديث (من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار) وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله (ضاحكة مستبشرة) بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة (قال الكاشفى) ضاحكة خندان مستبشرة شادمان و فرحناك بسبب نجات ازنيران و وصول بروضهٔ جنان و فى بعض التفاسير ضاحكة مسرورة فرحة لما علم من الفوز والسعادة اولفراغه من الحساب بالوجه اليسير مستبشرة اى ذات بشارة بالخير كأنه بيان لقوله ضاحكة انتهى وفى عين المعانى ضاحكة من مسرة العين مستبشرة من مسرة القلب وقيل من الكفار شماتة وبانفسهم فرحا وقال ابن طاهر رحمه الله كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق واستبشرت بما شاهدته وقال ابن عطاء رحمه الله اسفرت تلك الوجوه بنظرها الى مولاها واضحكها رضى الله عنها وقال سهل رحمه الله منورة بنور التوحيد واتباع السنة و فى التأويلات النجمية وجوه ارباب الارواح والاسرار والقلوب العارفين بالمعارف الالهية الحقائق اللاهوتية مضيئة بانوار العلوم والحكم ضاحكة مستبشرة بنعم المكاشفات ومنح المشاهدات يقول الفقير وجوه يومئذ مسفرة لابيضاضها فى الدنيا بالتزكية والتصفية وزوال كدورتها ضاحكة لانها بكت فى الله ايام دنياها حتى صارت عمياء عن رؤية ماسوى الله تعالى مطلقا كما وقع لشعيب و يعقوب عليهما السلام مستبشرة لأمنها بدل خوفها فى الدنيا ولذا قال لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بان تقول لهم الملائكة لاتخافوا وابشروا بالجنة والرؤية والضحك انبساط الوجه وتكشر الاسنان من سرور النفس ولظهور الاسنان عنده سميت مقدمات الاسنان ضواحك و يستعمل فى السرور المجرد كما فى الآية قال الراغب واستبشر اى وجد مايبشره من الفرح و بشرته اخبرته فسار بسط بشرة وجهه وذلك ان النفس اذا سرت انتشر الدم انتشار الماء فى الشجرة (ووجوه يومئذ عليها غبرة) اى غبار وكدورة وفى الخبر يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم وقيل هى غبرة الفراق والذل (ترهقها) اى تعلوها وتغشاها (قترة) اى سواد وظلمة كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما اذا اغبر وجه الزنجى قال الراغب القتر هو الدخان الساطع من الشواء والعود ونحوهما وقترة نحو غبرة وذلك شبه دخان يغشى الوجه من الكذب قال السرى قدس سره ظاهر عليها حزن البعاد لانها صارت محجوبة عن الباب مطرودة وقال سهل قدس سره غلب عليها اعراض الله عنها ومقته اياها فهى تزداد فى كل وقت ظلمة وقترة (اولئك هم الكفرة الفجرة) اى اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الجامعون بين الكفر والفجور فلذا جمع الله الى سواد وجوههم الغبرة وفى الحديث (ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب فى وجوه الكفار) وفى عين المعانى اولئك هم الكفرة فى حقوق الله الفجرة فى حقوق العباد انتهى وفيه اشارة الى ان الفجور الغير المقارن بالكفر ليس فى درجة المقارن فى المذمومية والسببية للحقارة والخذلان لان اذ اصل الفجور الكذب و الميل عن الحق و يستعمل فى الذنب الكبير وكثيرا مايقع ذلك من المؤمن العاصى لكن ينبغى ان يخاف منه و يحذر عنه لان كبائر الذنب تجر الى الكفر كما ان صغائره تجر الى الكبائر يكى ازجملهٔ بزركان دين گفته كه اين زروسيم وانواع اموال نه عين دنياست كه اين ظروف واوعيهٔ دنياست همچنين حركات وسكنات وطاعات بنده نه عين دين است كه آن ظروف واوعيهٔ دين است دين جمله سوزودرداست ودنيا همه حسرت و باد سرد است قارون آن همه زروسيم وانواع اموال كه داشت مكروه نبود باز ازوچون حقوف حق تعالى طلب كردند امتناع نمود وحقوق حق نكزارد وكشش او بجانب زروسيم واموال دنيا مكروه بود اى بسا كسا كه دانكى درخواب ندید وفردا فرعون اهل دنيا خواهد بود كه دل اوآلودهٔ حرص دنياست واى بسا كسا كه اموال دنيادر ملك اونهادند وفردا دل خويش بازسپارد كه داغى ازين دنيا بروى ظاهر نبود سرنجام مرد ديندار دنيا كذار اينست كه درآخر سوره كفت وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وعاقبت كار دنيا كاردين كذار اينست كه كفت وجوه يومئذ عليها غبرة الخ وقال بعضهم وجوه اصحاب النفوس المتمردة وارباب الهوى عليها غبرة الانانية وغبار الانية يغطيها سواد الانينية وظلمة الشوية هم الذين ستروا وجود الحق بغبرة وجودهم وشقوا وقطعوا

نفوسهم المظلمة عن متابعة الارواح المنورة عصمنا الله واياكم من ذلك

(تمت سورة عبس بفضل الله تعالى يوم الاثنين ثامن صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة التكوير تسع اوثمان وعشرون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كورت) ارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور لافاعله لان الفاعل لايتقدم وعند البعض على الابتداء لان التقدير خلاف الاصل والاول اولى لان اذا فيها معنى الشرط والشرط مختص بالفعل وعلى الوجهين الجملة فى محل الجر باضافة اذا اليها ومعنى كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بضم بعض اجزائها لبعض على جهة الاستدارة على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها عن مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه عن مكانه وستره يجعله فى صندوق اوغيره يلف لفالها و يطوى نحو قوله تعالى يوم نطوى السماء فكان بين السماء والرفع علاقة اللزوم فتكويرها كناية عن رفعها قال سعدى المفتى ولامنع من ارادة المعنى الحقيقى ايضا وكون الشمس كرة مصمتة على تسليم صحته لايمنع من تلك الارادة لجواز ان يحدث الله فيها قابلية التكوير بان يصيرها منبسطة ثم يكورها ان الله على كل شئ قدير انتهى * واما لف ضوئها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الاقطار بان يكون اسناد كورت الى ضمير الشمس مجازيا او بتقدير المضاف على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم فاللف على هذا مجاز عن الاعدام اذلامساغ لارادة المعنى الحقيقى لان الضوء لكونه من الاعراض لايتصور فيه اللف وقال بعضهم ان الله قادر على ان يطمس نورها مع بقائها فقول الكشاف لانها مادامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف فيه نظر انتهى وجوابه ماأشير اليه من حكم الاستلزام وقيل معنى كورت القيت من فلكها على وجه الارض كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وفى الحديث (ان الشمس والقمر نوران مكوران فى النار يوم القيامة) اى مرميان فيها ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن البصرى رحمه الله قال وماذنبهما وقال الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما فى النار لايكون سببا لمضرتهما ولعل ذلك يكون سببا لازدياد الحر فى جهنم وكذا قال الطيبى تكويرهما فيها ليعذب بهما اهل النار لاسيما عباد الانوار لالتعذيبهما فى النار فانهما بمعزل عن التكليف بل سبيلهما فى النار سبيل النار نفسها وسبيل الملائكة الموكلين بها انتهى وكذا قال فى تفسير الفاتحة للفناري ان السماء اذا طويت واحدة بعد واحدة يرمى بكواكبها فى النار يقول الفقير قول الحسن ادق فان النور لايلحق بالنار الا ان يكون فيه مرتبة النارية ايضا فالشمس يلحق نورها بنور العرش ونارها بنار جهنم وقد سبق فى سورة النبأ فارجع فان قيل كيف يمكن تكويرهما فى النار وقد ثبت بالهندسة ان قرص الشمس فى العظم يساوى كرة الارض مائة وستين مرة وربع الارض وثمنها اجيب بان الله تعالى قادر على ان يدخلها فى قشرة جوزة على ذلك العظم يقول الفقير قد ثبت ان الله تعالى يمد الارض يوم القيامة فتكون اضعاف ماكانت عليه على ان وسعة الدارين تابعة لكثرة اهلهما ووسعتهم لانه ثبت ان ضرس الكافر مثل جبل احد وجسمه مسيرة ثلاثة ايام فاذا كان جسد كل كافر على هذا الغلظ والعظم فاعتبر منه وسعة جهنم فقرص الشمس فى النار كجوزة فى وسط بيت واسع ولايعرف حد الدارين الا الله تعالى (واذا النجوم) جمع نجم وهو الكوكب الطالع و يه شبه طلوع النبات والرأى وقيل نجم النبت والرأى نجما ونجوما فالنجم اسم مرة ومصدر اخرى (انكدرت) اى تناثرت وتساقطت بالسرعة كما قال واذا الكواكب انتثرت والاصل فى الانكدار الانصباب فان السماء تمطر يومئذ نجومها فلايبقى فى السماء نجم الا وقع على وجه الارض وذلك ان النجوم على ماروى ابن عباس رضى الله عنهما فى قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت تلك الكواكب من ايديهم لانه مات من يمسكها وفيه اشارة الى طى ضوء شمس الروح الذى هو الحياة وقبضه عن البدن وازالته وتناثر نجوم الحواس العشرة الظاهرة والباطنة وايضا الى تكوير الوجود الاضافى المنعكس من الوجود المطلق الحقيقى عند ظهور الحقيقة والى اضمحلال نجوم الهويات وهياكل الماهيات بحيث لايبقى لها اثر لانها نسب عدمية واعتبارات محضة (واذا الجبال سيرت) رفعت عن وجه الارض وابعدت عن اماكنها بالرجفة

(الحاصلة)

الحاصلة لافى الجو كالسحاب فان ذلك بعد النفخة الثانية والسير المضى فى الارض والتسيير ضربان باختيار وارادة من السائر نحو هو الذى يسيركم و بقهر وتسخير كتسيير الجبال وفيه اشارة الى جبال الاعضاء والجوارح الراسيات سيرت عن ارض تعيناتها و ايضا الى جبال الانواع و الاجناس الواقعة فى عالم التعينات (واذا العشار) جمع عشراء كنفاس ونفساء وليس فعلاء يجمع على فعال غير عشراء ونفساء كما فى القاموس والعشراء هى الناقة التى اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهى انفس اموال العرب ومعظم اسباب معاشهم (عطلت) العطل فقدان الزينة والشغل و يقال لمن يجعل العالم بزعمه فارغا عن صانع اتقنه و زينه ورتبه معطل وعطل الدار عن ساكنيها والابل عن راعيها والمعنى واذا العشار تركت مسيبة مهملة غير منظور اليها مع كونها محبوبة مرغوبة عند اهلها لاشتغال اهلها بانفسهم وذلك عند مجئ مقدمات قيام الساعة فان الناس حينئذ يتركون الاموال والاملاك و يشتغلون بانفسهم كما قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون وقال الامام ابو الليث وغيره هذا على وجه المثل لان فى القيامة لا تكون ناقة عشراء يعنى ان هول القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه لعلمهم جعلوا يوم القيامة ما بعد النفخة الثانية او مبادى الساعة من القيامة لكن يمكن وجود العشراء فى المبادى فلا يكون تمثيلا وفيه اشارة الى النفوس الحاملات احمال الاعمال و الاحوال و ايضا الى تعطيل عشار الارجل المنتفع بها فى السير عن الاستعمال فى المشى وترك الانتفاع بها (واذا الوحوش) قال فى القاموس الوحش حيوان البر كالوحيش والجمع وحوش ووحشان والواحد وحشى قال ابن الشيخ هو اسم لما لا يستأنس بالانسان من حيوان البر و المكان الذى لا انس فيه وحش وخلاف الوحشى الاهلى (حشرت) اى جمعت من كل جانب واختلط بعضها ببعض و بالناس مع نفرة بعضها عن البعض وعن الناس ايضا وتفرقها فى الصحارى والقفار وذلك الجمع من هول ذلك اليوم وقيل بعثت للقصاص اظهارا للعدل قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم واعجاب بصورته او صوته كالطاووس والبلبل ونحوهما فاذا بعثت الحيوانات للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل فكيف يجوز مع هذا ان لا يحشر المكلفون من الانس والجن وفيه اشارة الى القوى البشرية الطبيعية النافرة عن جناب الحق و باب القدس بان اهلكت وافنيت وجمعت الى ما منه بدت (واذا البحار سجرت) اى احميت اوملئت يتفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا مختلطا عذبها بملحها و بالعكس فتعم الارض كلها من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وجه الاحماء ان جهنم فى قعور البحار الا انها الآن مطبقة لا يصل اثر حرارتها الى ما فوقها من البحار ليتيسر انتفاع اهل الارض بها فاذا انتهت مدة الدنيا يرفع الحجاب فيصل تأثير تلك النيران الى البحار فتسخن فتصير حميما لاهل النار او تبعث عليها ريح الدبور فتنفخها وتضربها فتصير نارا على ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما فى وجه الاحماء وفى فتوحات مذكور ست كه هركاه كه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما در يارا بديدى كه فتى بانجرمتى تعود نارا ووجه الامتلاء ان الجبال تندك وتتفرق اجزاؤها وتصير كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزاؤها فى اسافلها فتمتلئ المواضع الغائرة من الارض فيصير وجه الارض مستويا مع البحار فتصير البحار بحرا واحدا مسجورا اى ممتلئا وقال بعضهم ملئت بارسال عذبها على ما لحها ئم اسيلت حتى بلغت الثور فاتلعها فلما بلغت الى جوفه نفدت وعن الحسن رحمه الله يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة قال الراغب وانما يكون كذلك لتسجير النار فيها اى اضرامها والتشديد فى مثل هذه الافعال قد يكون لتكثير الفعل وتكريره والتخفيف يحتمل القليل والكثير وخصت هذه السورة بسجرت موافقة لقوله سعرت لان معنى سجرت عند اكثر المفسرين او قدت فصارت نارا فيقع التوعد بتسعير النار وتسجير البحار وخصت سورة الانفطار بفجرت موافقة لقوله واذا الكواكب انتثرت لان فى كل من تساقط الكواكب وسيلان المياه على وجه الارض و بعثرة القبور اى قلب ترابها مزايلة الشئ عن مكانه فلا فى كل واحد قرينه وفيه اشارة الى بحار المعرفة الذاتية و حكم الصفاتية والعلوم الاسمائية فانها اذا اتحدت بالتجلى الواحدانى تصير بحرا واحدا وهو بحر الذات المشتمل على جميع المراتب والى البحار الحاصلة من اعتبارات الوجود وشؤونه الكلية ظاهرا و باطنا غيبا وشهادة دنيا وآخرة فانها قد جمعت واتحدت فصار بحر الوجود بحرا واحدا زخارا

لاساحل له ولاقعر والى بحار العناصر بانه فجر بعضها الى بعض واتصل كل جزء باصله فصارت بحرا واحدا (واذا النفوس) الظاهر نفوس الانسان و يحتمل ان تعم الجن ايضا كما فى بعض التفاسير (زوجت) التزويج جعل احد زوجا لآخر وهو يقتضى المقارنة اى قرنت باجسادها بان ردت اليها اوقرنت كل نفس بشكلها و بمن كان فى طبقتها فى الخير والشر فيضم الصالح الى الصالح والفاجر الى الفاجر اوقرنت بكتابها او بعملها فالنفوس المتمردة زوجت باعمالها السيئة و المطمئنة باعمالها الحسنة او نفوس المؤمنين بالحور و نفوس الكفرة بالشياطين وفيه اشارة الى ان الارواح الفائضة على هياكل الاشباح من عالم الامر قرنت بمواعثها وموجباتها التى هى الاسماء والصفات الالهية واسبابها اللاهوتية (واذا الموؤدة) اى المدفونة حية يقال وأدبنته يئده وأدا وهى موؤدة اذا دفنها فى القبر وهى حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق اوالاسترقاق اولحوق العار بهم من اجلهن وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا البنات به فهو احق بهن قال فى الكشاف كان الرجل اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف اوشعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان اراد قتلها تركها حتى كانت سداسية اى بلغت ست سنين فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها و يهيل عليها التراب حتى يستوى البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته (سئلت) اى سألها الله بنفسه اظهارا للعدالة او بامره للملك (باى ذنب) من الذنوب الموجبة للقتل عقلا ونقلا (قتلت) قتلها ابوها حية فعلا او رضى وتوجيه السؤال اليها لتسليتها و اظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين والذا لم يسأل الوائد عن موجب قتله لها وجه التبكيت ان المجنى عليه اذا سئل بحضر من الجانى ونسب اليه الجناية دون الجانى كان ذلك بعثا للجانى على التفكر فى حال نفسه وحال المجنى عليه فيعثر على براءة ساحة صاحبه وعلى انه هو المستحق لكل نكال فيفحم وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض وهو ابلغ فلذلك اختير على التصريح وانما قيل قتلت على الغيبة لما ان الكلام اخبار عنها لاحكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب وعلى قراءة سألت اى الله اوقاتلها لاحكاية لكلامها حين سئلت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن اطفال المشركين فقال لايعذبون واحتج بهذه الآية فانه ثبت بها ان التعذيب لايستحق الا بالذنب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان الوائدة والموؤدة فى النار اى اذا كانت الموؤدة بالغة وفيه اشارة الى ان الاعمال المشوبة بالرياء المخلوطة بالسمعة والهوى سئلت باى سبب ابطلت نوريتها وروحانيتها وايضا سئلت موؤدة النفس الناطقة التى اثقلتها وآئدة النفس الحيوانية فى قبر البدن واهلكتها باى ذنب قتلت اى طلب اظهار الذنب الذى به استولت النفس الحيوانية على الناطقة من الغضب اوالشهوة اوغيرهما فمنعتها عن خواصها وافعالها واهلكتها فاظهر فكنى عن طلب اظهاره بالسؤال ولهذا قال عليه السلام الوائدة والموؤدة فى النار لان النفس الناطقة فى النار مقارنة للنفس الحيوانية كذا قاله القاشانى (واذا الصحف نشرت) اى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب اى تفتح فيعطاها الانسان منشورة بايمانهم وشمائلهم فيقف على مافيها وتحصى عليه جميع اعماله فيقول مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة الا احصاها و فى الحديث (يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة رضى الله عنها فكيف بالنساء فقال شغل النساء يا ام سلمة قالت وماشغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اى فرقت بين اصحابها وعن مرثد بن وادعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال وفيه اشارة الى صحائف القوى والنفوس التى فيها هيئات الاعمال تطوى عند الموت وتكوير شمس الروح وتنشر عند البعث والعود الى البدن (واذا السماء كشطت) قلعت وازيلت بحيث ظهر ماوراءها وهو الجنة والعرش كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ المستور به قال الراغب هو من كشط الناقة اى تنحية الجلد عنها ومنه استعير

انكشط روعه اى زال وفيه اشارة الى كشط سماء الارواح عن ارض الاشباح والى طى ظهور الاسماء والصفات الى البطون والخفاء (واذا الجحيم سعرت) اى اوقدت للكافرين ايقادا شديدا لتحرقهم احراقا ابديا سعرها غضب الله وخطايا بنى آدم فاسعار النار زيادة التهابها لاحدوثها ابتداء وبه يندفع احتجاج من قال النار غير مخلوقة الآن لانها تدل على ان تسعرها معلق بيوم القيامة وذلك لان فيه الزيادة والاشتداد وفيه اشارة الى الجحيم الحسران والخذلان فانها اوقدت باحطاب الاعمال السيئة واجحار الاحوال القبيحة خصوصا نار الغضب والشهوة التى كانوا عليها فى هذه النشأة (واذا الجنة ازلفت) الازلاف التقريب بالفارسية نزديك كردن اى قربت من المتقين ليدخلوها كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وعن الحسن رحمه الله انهم يقربون منها لا انها تزول عن موضعها فالمراد من التقريب التعكيس للمبالغة كما فى قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار حيث تعرض النار عليهم تحقيرا وتحسيرا فقلب مبالغة ويحتمل ان يكون المراد التقريب المعنوى وهو جعل اهلها مستحقين لدخولها مكرمين فيها وفيه اشارة الى تقريب نعيم آثار الرضى واللطف من المتقين وكذا جنة الوصول والوصال لمحبى الجمال والكمال كما قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا اى فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست فى الآخرة اى بعد النفخة الثانية وقال ابى بن كعب رضى عنه ست آيات قبل القيامة بينما الناس فى اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينماهم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينماهم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم فى بعض فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج اى تلتهب قال فبينماهم كذلك اذ صدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح فاماتتهم كذا فى المعالم (علمت نفس ما احضرت) اى علمت كل نفس من النفوس ما احضرته على حذف الراجع الى الموصول فنفس فى معنى العموم كما صرح به فى قوله تعالى ولم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وقوله هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وقولهم ان النكرة فى سياق الاثبات لا تعم بل هى للافراد النوعية غير مطرد ويجوز ان يكون التنوين للافراد الشخصية اشعارا بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون هى التى علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لامتيقن به او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعى الوجود كثير الوقوع والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها لان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة واسناد حضورها الى النفس مع انها تحضر بامر الله لما انها الماعلة لها فى الدنيا كأنها احضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هى عليه فى الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لان الطاعة لا تخلو فيها عن نوع مشقة وقد ورد حفت الجنة بالمكاره وان كانت سيئة تشاهدها على ما هى عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها كما ورد وحفت النار بالشهوات وقال بعضهم العلم بالاعمال كناية عن المجازاة عليها من حيث ان العلم لازم للمجازاة وقوله علمت الخ جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد متسع محيط بما ذكر من اول السورة الى هنا من الاثنى عشر شيأ مبدأه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعمل فى كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد وعند وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال وعن عمر وابن عباس رضى الله عنهم انهما قرءا السورة فلما بلغا الى قوله علمت نفس ما احضرت قالا لهذه اجريت القصة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس

ما احضرت قال والانقطاع ظهراه اى قاله خوفا من القيامة ومجازاة الاعمال درأنروز هر نفسى بيند كه باهر خيرى كرامتى وعطايست و باهر شرى ملامتى وجزايى بر نيكى حسرت خورد كه چرا زياده نكردم و بربدى اندوه كشد كه چرا مباشر شدم وآن حسرت واندوه هيچ فائده ندارد * تو امروز فرصت غنيمت شمار * كه فردا ندامت نيايد بكار * بكوش اى توانا كه فرمان برى * كه درنا توانى بسى غم خورى * وفى الحديث العبد المؤمن بين مخافتين عمر قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه واجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالله ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا الا الجنة والنار وقال الواسطى قدس سره فى الآية علمت كل نفس وايقنت ان ما عملت واجتهدت لا يصلح لذلك المشهد وان من اكرم بخلع الفضل نجا ومن قرن بجزاء اعماله هلك وخاب وقى برهان القرآن هنا علمت نفس ما احضرت وفى الانفطار ما قدمت واخرت لان ما فى هذه السورة متصل بقوله واذا القبور بعثرت والقبور كانت فى الدنيا فتذكر ما قدمت فى الدنيا وما اخرت للعقبى فكل خائفة لائقة بمكانها وهذه السورة من اولها الى آخرها شرط وجزاء وقسم وجواب (فلا اقسم) لا صلة اورد للكلام سابق اى ليس الامر كما تزعمون ايها الكفرة من ان القرآن سحر او شعر او اساطير ثم ابتدأ فقال اقسم (بالخنس) جمع خانس وهو المتأخر من خنس الرجل عن القوم خنوسا من باب دخل اذا تأخر واصل الخنوس الرجوع الى خلف والخناس الشيطان لانه يضع خرطومه على قلب العبد فاذا ذكر الله خنس واذا غفل عاد الى الوسوسة والمعنى اقسم بالكواكب الراجع وهى ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهى المريخ بالكسر ويسمى بهرام ايضا وزحل ويسمى كيوان ايضا وعطارد ويسمى الكاتب ايضا والزهرة وتسمى الناهيد ايضا والمشترى ويسمى ناهيس وبرجيس ايضا وما من نجم يقطع المجرة غيرالخمسة فلذا خصها ونظمها بعضهم والنيرين فقال * هفت كوكب كه هست كيتى را * كاه ازايشان مدار وكاه خلل * قرست وعطارد وزهره * شمس ومريخ ومشترى وزحل * وهى الكواكب السبعة السيارة كل منها يجرى فى فلك فالقمر فى الاول وما يليه فى الثانى وهكذا على الترتيب (الجوار الكنس) الجوارى جمع جارية بمعنى سائرة والكنس جمع كانس وهو الداخل فى الكناس المستتر به وصفت الخنس بهما لانها تجرى فى افلاكها او بانفسها على ما عليه اهل الظواهر مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها بينا ترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله فرجوعه من آخر البرج الى اوله هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها واما القمران فلا يكنسان بهذا المعنى قال فى عين المعانى لخنوسها فى مجراها واستتارها فى كناسها اى موضوع استتارها فيه كما تكنس الظباء انتهى من كنس الوحش من باب جلس اذا دخل كناسه وهو بيته الذى يتخذه من اغصان الشجر وقيل جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع فى اماكنها كالوحش فى كنسها وفى التأويلات النجمية يشير الى الحواس الخمس الباطنة السيارة مع شمس الروح وقمر القلب الراجع الى بروجها بالاختفاء بحسب شعاع شمس الروح وقمر القلب لغلبة اشعتهما عليهن والدراري الخمسة الزهرة وعطارد والمشترى وبهرام وزحل مظاهر الحواس الخمس والشمس مظهر الروح والقمر مظهر القلب (والليل) عطف على الخنس اذا عسعس) اى ادبر ظلامه لان اقبال الصبح يكون بادبار الليل كما قال فى الوسيط لما كان طلوع الصبح متصلا بادبار الليل كان المناسب ان يفسر عسعس بادبر ليكون التعاقب فى الذكر على حسب التعاقب فى الوجود انتهى او اقبل فانه من الاضداد كذلك سعسع وذلك فى مبدأ الليل وهذا المعنى انسب لمراعاة المقابلة مع قرينة (والصبح) عطف عليه ايضا (اذا تنفس) آنكاه دم زند يعنى طلوع كند وتنفس او مبدأ طلوعست والعامل فى اذا معنى القسم واذا وما بعدها فى موضع الحال اقسم الله بالليل مدبرا وبالصبح مضيئا يقال تنفس الصبح اذا تبلج اى اضاء واشرق جعل تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساطه تحت ضوئه بحيث زال معه عسعسة الليل وهى الغبرة الحاصلة فى آخره والنفس فى الاصل ريح مخصوص يروح القلب ويفرج عنه يهب به عليه وفى الحديث (لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن) اى مما يفرج الكرب شبه ما يقبل باقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المخصوص المسمى بالنفس فاطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفسا بذلك ثم كنى بتنفسه بذلك عن اقبال الصبح وطلوعه واضاءة غبرته لان التنفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرعة

على الاستعارة قال القاشانى والليل اى ليل ظلمة الجسد الميت اذا ادبر باعتداء ذهاب ظلمته بنور الحياة عند تعلق الروح به وطلوع نور شمسه عليه والصبح اى اثر نور طلوع تلك الشمس اذا انتشر فى البدن بافادة الحياة وفى التأويلات النجمية يشير الى ليل الطبيعة المنشعشعة عن ظلام غيب البشرية باتباع احكام الشريعة ومخالفات آثار الطبيعة والى صبح نهار الروحانية اذا كشف واظهر آداب الطريقة ورسوم الحقيقة وهو اعظم الاقسام وافضل الايمان (انه) الضمير للقرآن وان لم يجر له ذكر للعلم به اى القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهى الهائلة وهو جواب القسم وجد القسم بهذه الاشياء ان فيها ظهور كمال الحكمة وجلال القدرة يقول الفقير سر الاقسام بها ان القرآن نور من الله فلا يرد الا على القلب النورانى الذى هو بمنزلة القمر وعلى الروح الذى هو بمنزلة الشمس وعلى القوى الروحانية التى هى بمنزلة سائر السيارات المضيئة وهذه الانوار لا تظهر فى الوجود الانسانى الا بزوال آثار الطبيعة والنفس وظهور آثار القلب والروح فاذا اشرقت انوار الروح وقواه فى ليل الوجود اضاء جميع ما فى الوجود وزال الظلام (لقول رسول كريم) هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله قال السهيلى ولا يجوز انه اراد به انه قول النبى عليه السلام وان كان النبى عليه السلام رسولا كريما لان الآية نزلت فى معرض الرد والتكذيب لمقالة الكفار الذين قالوا ان محمدا عليه السلام يقوله وهو قوله فقال الله تعالى انه لقول رسول كريم. فاضافه الى جبريل الذى هو امين وحيه وهو فى الحقيقة قول الله لكنه اضيف الى جبريل لانه جاء به من عند الله فاسناده اليه باعتبار السببية الظاهرة فى الانزال والايصال ويدل على ان المراد بالرسول هو جبريل ما بعده من ذكر قوته ونحوها وصفه برسول لانه رسول عن الله الى الانبياء وبكريم اى على ربه عزيز عظيم عنده وكذا عند الناس لانه يجئ بافضل العطايا وهو المعرفة والهداية ويتعطف على المؤمنين ويقهر الاعداء (ذى قوة) شديدة كقوله تعالى شديد القوى اى ذى قدرة على ما يكلف به لا يعجزه ولا يضعف روى انه عليه السلام قال لجبريل ذكر الله قوتك فاخبرنى بشئ من آثارها قال رفعت قريات قوم لوط الاربع من الماء الاسود بقوادم جناحى حتى سمع اهل السماء نباح الكلب واصوات الديكة ثم قلبتها ومن قوته انه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ويصعد فى اسرع من الطرف وانه رأى ان شيطانا يقال له الابيض صاحب الانبياء قصد ان يتعرض للنبى فدفعه دفعة رفيقة وقع بها من مكة الى اقصى الهند وكذا رآه يكلم عيسى عليه السلام على بعض الارض المقدسة فنفخه نفخة واحدة القاه الى اقصى جبل الهند وقيل المراد القوة فى اداء طاعة الله وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف وفيه اشارة الى صفة الروح فانه ذو سلطنة على جميع الحقائق الكائنة فى المملكة الانسانية (عند ذى العرش) اى الله تعالى وفى ايراد ذى العرش اخبار بغاية كبريائه فى القلوب وعند ظرف لما بعده من قوله (مكين) ذى مكانة رفيعة عند عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان فانه تعالى متعال عن امثالها ونحوه انا عند المنكسرة قلوبهم فان المراد به القرب والاكرام ومن مكانته عند الله ومرتبته انه تعالى جعله تالى نفسه فى قوله فان الله هو مولاه وجبريل فله اعظم منزلة عندية فانه منزلة من يلازم السلطان عند سرير الملك من مرتبة من يلازمه عند الوضوء ونحوه (مطاع) فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه لعلمهم بمنزلته عند الله قال فى فتح الرحمن ومن طاعتهم انهم فتحوا ابواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعة جبريل فريضة على اهل السموات كما ان طاعة محمد عليه السلام فريضة على اهل الارض وفيه اشارة الى ان الروح مطاع فيما بين القوى بالنسبة الى السر والقلب (ثم امين) على الوحى قد عصمه الله من الخيانة والزلل وثم بفتح الثاء ظرف مكان لما قبله اى مطاع هناك اى فى السموات وقيل لما بعده اى مؤتمن عند الله على وحيه ورسالاته الى الانبياء فيكون اشارة الى عند الله وقرئ ثم بضم الثاء تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف فيكون للتراخى الرتبى على طريق الترقى من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم وهو الامانة (قال الكاشفى) واكر رسول كريم محمد باشد عليه السلام پس او صاحب قوت طاعت ونزديك خداى خداوند قدر ومكانتست ومطاع يعنى مستجاب الدعوة ولذا قال له عمه ابو طالب ما اطوعك ربك يا محمد فقال له

وانت ياعم لواطعته اطاعك وامين يعنى براسرار غيب وفيه اشارة الى ان الروح امين فى افاضة الفيض الروحى على كل احد بحسب استعداده الفطرى (وماصاحبكم) ياأهل مكة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم عطف على جواب القسم ولذا قال فى فتح الرحمن وهذا ايضا جواب القسم (بمجنون) كما تقولون والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية فانه كان بين اظهرهم فى مدد متطاولة وقد جربوا عقله فوجدوه اكمل الخلائق فيه ولقبوه بالامين الصادق وقد استدل به على فضل جبرائيل على رسول الله حيث وصف جبريل بست خصال كل واحدة منها تدل على كمال الشرف ونباهة الشأن واقتصر فى ذكر رسول الله على نفى الجنون عنه وبين الذكرين تفاوت عظيم وهذا الاستدلال ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة فى حقه عليه السلام ياايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون لاتعداد فضائلهما والموازنة بينهما على ان فى توصيف جبريل بهذه الصفات بيانا لشرف سيد المرسلين بالنسبة اليه من حيث ان جبريل مهذه مع الصفات هو الذى يؤيده ويبلغ الرسالة اليه فاى رتبة اعلى من مرتبته بعد مائبت ان السفير بينه وبين ذى العرش مثل هذا الملك المقرب وقال سعدى المفتى الكلام مسوق لحقية المنزل دلالة على صدق ماذكر فيه من اهوال القيامة على مايدل عليه الفاء السببية فى قوله فلااقسم ولاشك ان ذلك يقتضى وصف الآتى به فلذلك بولغ فيه دون وصف من انزل عليه فلذلك اقتصر فيه على نفى مابهتوه وفيه اشارة الى ان الروح ليس بمجنون اى بمستور عن حقائق القرآن ودقائقه واحكامه وشرائعه ووعده ووعيده بل هو مكشوف له بجميع اسراره (ولقد رآه) وبالله لقد رأى رسول الله جبريل وفى عين المعانى ابصره لاجنيا (بالافق المبين) افق السماء ناحيتها والمبين من ابان اللازم بمعنى الظاهر بالفارسية روشن اى يطلع الشمس الاعلى من ناحية المشرق فالمراد بالافق هنا حيث تطلع الشمس استدلالا بوصفه بالمبين فان نفس الافق لامدخل له فى تبين الاشياء وظهورها وانما يكون له مدخل فى ذلك من حيث كونه مطلعا للكوكب نير يبين الاشياء والكوكب المبين هو الشمس واسناد الابانة الى مطلعها مجاز باعتبار سببيته لها فى الجملة فان البيان فى الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ماهو اعلى المطالع وارفعها وهو المطلع الذى اذا طلعت الشمس منه تكون فى غاية الارتفاع والنهار فى غاية الطول والامتداد وذلك عند ماتكون الشمس عند رأس السرطان قبيل تحولها الى برج الاسد وتوجه النهار الى الانتقاص وانما فعل ذلك جلا للمبين على الكمال فانه كلما كان الكوكب ارفع واعلى وكلما كان النهار اطول كان البيان والاظهار اتم واكمل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل ان يتراءى له فى صورته التى خلقه الله عليها فقال ما اقدر على ذلك وماذاك الى فاذن له فاتاه عليها وذلك فى جبل حراء فى اوائل البعثة فرآه رسول الله قدملأ الآفاق بكلكله رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وله ستمائة جناح من الزبرجد الاخضر فغشى عليه فتحول جبريل فى صورة بنى آدم وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فقيل لرسول الله مارأيناك منذ بعثت احسن منك اليوم فقال عليه السلام جاءنى جبريل فى صورته فعلق بى هذا من حسنه قالوا مارآه احد من الانبياء غيره عليه السلام فى صورته التى جبل عليها فهو من خصائصه عليه السلام واعلم ان وقوع الغشيان انما هو من كمال العلم والاطلاع الاترى الى قوله تعالى لواطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فان توليه وامتلاءه من الرعب ليس عن رؤية اجسامهم فقط لانهم اناس مثله وانما هو لما اطلعه الله عليه حين رؤيتهم من العلم كما غشى على جبريل ليلة الاسراء حين رأى الرفرف ولم يغش على رسول الله وقال عليه السلام فعلمت فضل جبريل فى العلم فكأنه عليه السلام اشار الى فضل نفسه ايضا لما غشى عليه برؤية جبريل على صورته الاصلية وانما لم يغش عليه حين رأى الرفرف كما غشى على جبريل لانه اذ ذاك فى نهاية التمكين وفرق بين البداية والنهاية والله اعلم قال القاشانى ولقد رآه بالافق المبين اى نهاية طور القلب الذى يلى الروح وهو مكان القاء النافث القدسى على ان المراد بالرسول روح القدس النافث فى روع الانسان وقال فى التأويلات النجمية اى رأى جبريل الروح حضرة ربه عند افق البقاء بعد الفناء (وماهو) اى رسول الله (على الغيب) اى على مايخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب (بضنين)

اى بمخيل اى لايخل بالوحى فيزوى بعضه غيره بلغه ولايكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا اى اجرة او يسأل تعليمه فلا يعلمه وفيه اشارة الى ان امساك العلم عن اهله بخل من ضنّ بالشئ يضن بالفتح ضنا بالكسر وضنانة بالفتح اى بخل فهو ضنين به اى بخيل و يضن بالكسر لغة والفتح افصح ذكره البيهقى فى تهذيب المصادر فى باب ضرب حيث قال الضنّ والضنانة بخيلى كردن والغابر يضن والفتح افصح فيكون من باب علم كما صرح به بعضهم بقوله هو من ضننت بالشئ بكسر النون وهو قراءة نافع وعاصم وحمزة وابن عامر قال فى النشر كذلك هو فى جميع المصاحف اى المصاحف التى يتداولها الناس والا فهو فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بالظاء وقرئ بظنين على انه فعيل بمعنى المفعول اى بمتهم اى هو ثقة فى جميع ما يخبره لايتوهم فيه انه ينطق عن الهوى من الظنة وهى التهمة واتهمت فلانا بكذا توهمت فيه ذلك اختار ابو عبيدة هذه القراءة لان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى التهمة اولى من نفى البخل ولان البخل يتعدى بالباء لابعلى وفى الكشاف هو فى مصحف عبد الله بالظاء وفى مصحف ابى بالضاد وكان رسول الله عليه السلام يقرأ بهما ولابد للقارئ من معرفة مخرجى الضاد والظاء فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان ومايليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره ومخرج الظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا فان قيل فان وضع المصلى احد الحرفين مكان الآخر قلنا قال فى المحيط البرهانى اذا اتى بالظاء مكان الضاد او على العكس فالقياس ان تفسد صلاته وهو قول عامة المشايخ وقال مشايخنا بعدم الفساد للضرورة فى حق العامة خصوصا العجم فان اكثرهم لايفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وفى الخلاصة لو قرأ بالظاء مكان الضاد او بالضاد مكان الظاء تفسد صلاته عند ابى حنيفة ومحمد واما عند عامة المشايخ كابى مطيع البلخى ومحمد بن سلمة لاتفسد صلاته (وماهو بقول شيطان رجيم) اى قول بعض المسترقة للسمع دل عليه توصيفه بالرجيم لانه بمعنى المرمى بالشهب وهو نفى لقولهم انه كهانة وسحر كما قال وماتنزلت به الشياطين وفيه اشارة الى انه ليس بمحمد القلب عند الاخبار عن المواهب الغيبية والالهامات السرية بتهمهم بالكذب والافتراء وماهو بقول بعض القوى البشرية (فاين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحى مبين وليس مما يقولون فى شئ كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب شبهت حالهم بحال من يترك الجادة وهو معظم الطريق ويتعسف الى غير المسالك فانه يقال له اين تذهب استضلالا له وانكارا على تعسفه فقيل لمن يقول فى حق القرآن مالاينبغى من وضوح كونه وحيا حقا اى طريق تسلكون آمن من هذه الطريقة التى ظهرت حقيتها ووضحت استقامتها واين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون قال ابو البقاء التقدير الى اين فحذف حرف الجر ويجوز ان لايصار الى الحذف بل الى طريق التضمين فكأنه قيل اين تؤمون وقال الجنيد قدس سره اين تذهبون عنا وان من شئ الا عندنا وفى التأويلات النجمية فاين تذهبون من طريق الحق الى طريق الباطل وتتركون الاقتداء بالروح وتختارون اتباع النفوس (ان هو) ان نافية و الضمير الى القرآن اى ماهو (الا ذكر للعالمين) موعظة وتذكير لهم و المراد الانس و الجن بدلالة العقل فانهم المحتاجون الى الوعظ والتذكير (لمن شاء منكم) ايها المكلفون بالايمان والطاعة وهو بدل من العالمين باعادة الجار بدل البعض من الكل ولاتخالف بين الاصل المتبوع والفرع التابع لان الاول باعتبار الذات والثانى باعتبار التبع (ان يستقيم) مفعول شاء اى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين مع انه ذكر شامل لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون بالتذكير دون غيرهم فكأنه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم (وماتشاؤن) اى الاستقامة مشيئة مستتبعة لها فى وقت من الاوقات يامن يشاؤها وذلك ان الخطاب فى قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة ومن لايشاؤها فالخطاب هنا لمن يشاؤها منهم روى ان اباجهل لما سمع قوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم قال الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهو رأس القدرية فنزل قوله تعالى وماتشاؤن الخ (الا ان يشاء الله) من اقامة المصدر موقع الزمان اى الاوقت ان يشاء الله تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة فان مشيتكم

لاتستتبعها بدون مشيئة الله لها لان المشيئة الاختيارية مشيئة حادثة فلابد لها من محدث فيتوقف حدوثها على ان يشاء محدثها ايجادها فظهر ان فعل الاستقامة موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على ان يريد الله ان يعطيه تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشئ موقوف على ذلك الشئ فافعال العباد ثبوتا ونفيا موقوفة الحصول على مشيئة الله كما عليه اهل السنة (رب العالمين) مالك الخلق ومربيهم اجمعين بالارزاق الجسمانية والروحانية وفى الحديث القدسى يا ابن آدم تريد واريد فتتعب فيما تريد ولا يكون الا ما اريد قال وهب بن منبه قرأت فى كتب كثيرة مما انزل الله على الانبياء انه من جعل الى نفسه شيأ من المشيئة فقد كفر قال ابو بكر الواسطى قدس سره اعجزك فى جميع صفاتك فلا تشاء الا فى مشيئته ولا تعمل الا بقوته ولا تطيع الا بفضله ولا تعصى الا بخذلانه فماذا يبقى لك وبماذا تفتخر من اعمالك وليس منها شئ اليك الا بتوفيقه وبالفارسية حق تعالى تراد رهمه وصفها عاجز ساخته است نخواهى مكر بمشيت او ونكنى مكر بقوت او وفرمان نبرى مكر بفضل او وعاصى نشوى مكر بخذلان او پس توچه دارى و بكدام فعل مى نازى وحال آنكه تراهيچ نيست * زسر تا پاهمه در پيچيم پيچ * چه پاچه سرهمه هيچيم درهيچ * وفى الحديث من سره ان ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت فان فيها بيان احواله الهائلة على التفصيل

(تمت سورة التكوير بعون الملك القدير فى وسط صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة الانفطار تسع عشرة آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) اى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا اولهيبة الرب وفى فتح الرحمن تشققها على غير نظام مقصود انما هو انشقاق لنزول بنيتها واعرابه كاعراب اذا الشمس كورت وفى التأويلات النجمية يعنى سماء الارواح والقلوب والاسرار ارتفعت تعيناتها وزالت تشخصاتها وقال القاشانى اى اذا انفطرت سماء الروح الحيوانى بانفراجها عن الروح الانسانى وزوالها بالموت (واذا الكواكب انتثرت) اى تساقطت من مواضعها سوداء متفرقة كما تتساقط اللآلى اذا انقطع السلك وهذان من اشراط الساعة متعلقان بالعلويات فان السماء فى هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه يبدأ اولا بتخريب السقف وذلك هو قوله اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب وفيه اشارة الى انتثار كواكب الحواس العشر الظاهرة والباطنة وذهابها بالموت الطبيعى فانه اذا انقطع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه تعطل الحواس مطلقا وكذا بالموت الارادى (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض بزوال المانع وحصول تزلزل الارض وتصدعها واستوائها وصارت البحار وهى سبعة بحر الروم وبحر السقالبة وبحر جرجان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند بحرا واحدا فيصب ذلك البحر فى جوف الحوت الذى عليه الارضون السبع كما فى كشف الاسرار وروى ان الارض تنشف من الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن البصرى ودخل فى البحار البحر المحيط لانه اصل الكل اذ منه يتفرع الباقى وكذا الانهار العذبة فانها بحار ايضا لتوسعها وفيه اشارة الى بحار الارواح والاسرار والقلوب حيث فجرت بعضها فى بعض بالتجلى الاحدى وصارت بحرا واحدا والى بحار الاجسام العنصرية حيث فجرت بعضها فى بعض بزوال البرازخ الحاجزة عن ذهاب كل الى اصله وهى الارواح الحيوانية المانعة عن خراب البدن ورجوع اجزائه الى اصلها (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها واخرج موتاها ولا يخالف ما سيجئ فى العاديات فان البعثرة تجئ بمعنى الاستخراج ايضا اى كالقلب وفى تاج المصادر البعثرة شوراندن وآشكارا كردن ولذا قال بعضهم بالفارسية وآنكاه كه كورها زيروز بركرده شود يعنى خاكهارا بشوراند تا مدفونات وى ازاموات وكنجها ظاهر كردد ومردكان زنده شوند ونظيره بحثر لفظا ومعنى يقال بعثرت المتاع وبحثرته اى جعلت اسفله اعلاه وجعل اسفل القبور اعلاها انما هو باخراج موتاها وقيل لسورة براءة البعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين وهما اى بعثر وبحثر مركبان من البعث والبحث مع رأ ضمت اليهما

(وقال)

وقال الراغب من رأى تركيب الرباعى والخماسى نحو هلل وبسمل اذا قال لا اله الا الله وبسم الله يقول ان بعثر مركب من بعث واثير اى قلب ترابها واثيرما فيها وهذا لا يبعد فى هذا الحرف فان البعثرة تتضمن معنى بعث واثير وهذان من اشراط الساعة متعلقان بالسفليات فانه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض ينفوذ بعض البحار فى بعض ثم يخرب نفس الارض التى هى كالبناء بان يقلبها ظهر البطن و بطنا لظهر وفيه اشارة الى خراب قبور التعينات وصيرورة المتعين مطلقا عن التعينات لان التعينات قبور الحقائق المطلقة والى قبور الابدان فانها تخرج ما فيها من الارواح والقوى بالموت (علمت نفس) اى كل نفس برة كانت اوفاجرة كما سبق فى السورة السابقة وفى فتح الرحمن نفس هنا اسم الجنس وافرادها ليبين لذهن السامع حقارتها وقلتها وضعفها عن منفعة ذاتها الا من رحم الله تعالى (ما قدمت) فى حياتها من عمل خير اوشر فان ما من الفاظ العموم (واخرت) من سنة حسنة اوسيئة يعمل بها بعده قال عليه السلام ايما داع دعا الى الهدى فاتبع فله مثل اجر من اتبعه الا انه لا ينقص من اجورهم شئ وايما داع دعا الى الضلالة فاتبع فله مثل اوزار من اتبعه الا انه لا ينقص من اوزارهم شئ اوما قدم من معصية وما اخر من طاعة وفى التأويلات النجمية علمت نفس ما قدمت اخرجت من القوة الى الفعل بطريق الاعمال الحسنة اوالسيئة وما اخرت ابقت فى القوة بحسب النية قوله علمت الخ جواب اذا اى اذا وقعت هذه الاشياء وخربت الدنيا علمت كل نفس الخ لكن لا على انها تعلم عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت فى السورة السابقة من ان المراد بها زمان واحد مبدأه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما فى حيزها من الدواهى فالمراد العلم التفصيلى الذى يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة واما العلم الاجمالى فيحصل فى اول زمان البعث والحشر لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصى يرى آثار الشقاوة فى اول الامر قال ابن الشيخ فى حواشيه العلم بجميع ذلك كناية عن المجازات عليه والمقصود من الكلام الزجر عن المعصية والترغيب فى الطاعة (يا ايها الانسان) يعم جميع العصاة ولا خصوص له بالكفار لوقوعه بين المجمل ومفصله اى بين علمت نفس الخ و بين ان الابرار الخ واما قوله بل تكذبون بالدين فمن قبيل بنوا فلان قتلوا زيدا اذا كان القاتل واحدا منهم قال الامام السهيلى رحمه الله قوله يا ايها الانسان يريد امية بن خلف ولكن اللفظ عام يصلح له ولغيره وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة اوالاسود بن كلدة الجمحى قصد النبى عليه السلام فى بطحاء مكة فلم يتمكن منه فلم يعاقبه الله على ذلك وفى زهرة الرياض ضرب على يافوخ رسول عليه السلام فاخذه رسول الله وضربه على الارض فقال له يا محمد الامان الامان منى الجفاء ومنك الكرم فانى لا اوذيك ابدا افتركه رسول الله عليه السلام (ما غرك بربك الكريم) ما استفهامية فى موضع الابتداء وغرك خبره والاستفهام بمعنى الاستبعاد والتوبيخ والمعنى اى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وامنك من عقابه وقد علمت ما بين يديك من الدواهى وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها يقال غره بفلان اذا جرأه عليه وامنه المحذور من جهته معانه غير مأمون والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدار الاغترار حسبما يغويه الشيطان و يقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة فى الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عن الداهية ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأها غره جهله وقال الحسن البصرى رحمه الله غره والله شيطانه فظهر ان كرم الكريم لا يقتضى الاغترار به بل هو يقتضى الخوف و الحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم ينافى كونه كريما بالنسبة الى المظلوم وكذا التسوية بين الموالى والمعادى فاذا كان محض الكرم لا يقتضى الاغترار به فكيف اذا انضم اليه صفة القهر ولله الاسماء المتقابلة ولذا قال نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم قال القاشانى كان كونه كريما يسوغ الغرور و يسهله لكن له من النعم الكثيرة والمنن العظيمة والقدرة الكاملة ما يمنع من ذلك اكثر من تجويز الكرم اياه وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله ان اقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال اقول غرتنى ستورك المرخاة ونظمه ابن السماك فقال

يا كاسب الذنب اما تستحى * والله فى الخلوة ثانيكا
غرك من ربك امهاله * وستره طول مساويكا

قال صاحب الكشاف قول الفضيل على سبيل الاعتراف بالخطأ فى الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع و يظن به قصاص الحشوية و يرونه من أئمتهم انما قال بربك الكريم دون صفاته من الجبار والقهار والمنتقم و غير ذلك ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرمك الكريم يقول الفقير الحق ان هذا الباب مما يقبل الاختلاف بالنسبة الى احوال الناس فليس من يفهم الاشارة كمن لا يفهمها وكم من فرق بين ذنب وذنب وظن وظن ولذا قال اهل الاشارة ايراد الاسم الكريم من بين الاسماء كانه من جهة التلقين * خود تو دادى مژده لا تقنطوا * من چرا ترسم زعصيان وعتو * چون تو هرا شكسته راسازى درست * پس خطاها برامید عفو تست * وقال يحيى بن معاذ رحمه الله غرنى بربك سالفا وآنفا

يقول مولاى اما تستحى * مما ارى من سوء افعالك * فقلت يامولاى رفقا فقد * افسدنى كثرة افضالك

وعن على رضى الله عنه انه صوت بغلام له مرارا فلم يجبه وهو بالباب فقال لم لم تجبنى فقال لثقتى بحلمك وامنى من عقوبتك فاعتقه احسانا لقوله وقال بعض اهل الاشارة عجبت من هذا الخطاب الذى فيه تهديد المخالف ومواساة الموافق كيف يخاطب المخالف بخطاب فيه مواساة الموافق ففيه من الرموز ما لا يعرفه الا اهل الاشارة قال بعضهم رأيت فى سوق البصرة جنازة يحملها اربعة وليس معهم مشيع فقلت لا اله الا الله سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها احد انى لاشيعها فتبعتها وصليت عليها ولما دفنوه سألتهم عنه قالوا ما نعرفه وانما اكترينا تلك المرأة واشاروا الى امرأة واقفة قريبا من القبر ثم انصرفوا فرفعت المرأة يدها الى السماء تدعو ثم ضحكت وانصرفت فتعلقت بها وقلت لابد ان تخبرينى بقضيتك فقالت ان هذا الميت ابنى ولم يترك شيأ من المعاصى الا فعله فمرض ثلاثة ايام فقال لى ياامى اذا مت لم تخبرى الجيران بموتى فانهم يفرحون بموتى ولا يحضرون جنازتى ولكن اكتبى على خاتمى لا اله الا الله محمد رسول الله وضعيه فى اصبعى وضعى رجلك على خدى اذا مت وقولى هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتنى فارفعى يديك الى الله وقولى اللهم انى رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما اوصانى به فلما رفعت يدى الى السماء ودعوت سمعت صوته بلسان فصيح انصرفى ياامى فقد قدمت على رب كريم رحيم فرضى عنى فلذلك ضحكت سرورا بحاله اورده الامام القشيرى فى شرح الاسماء (وفى الحديث الصحيح) ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه وستره فيقول اتعرف ذنب كذا فيقول نعم اى رب حتى قرره بذنوبه ورأى فى نفسه انه هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرلك اليوم (الذى خلقك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم لان الخلق اعطاء الوجود وهو خير من العدم منبهة على ان من قدر على الخلق وما يليه بدأ قدر عليه اعادة اى خلقك بعد ان لم تكن شيأ (فسواك) اى جعل اعضاءك سوية سليمة معدة لمنافعها اى بحيث يترتب على كل عضو منها منفعته التى خلق ذلك العضو لاجلها كالبطش لليد والمشى للرجل والتكلم للسان والابصار للبصر والسمع للاذن الى غير ذلك (فعدلك) عدل بعض تلك الاعضاء ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت مثل ان تكون احدى اليدين او الرجلين او الاذنين اطول من الاخرى او تكون احدى العينين اوسع من الاخرى او بعض الاعضاء ابيض و بعضها اسود و بعض الشعر فاحما و بعضه اشقر قال علماء التشريح انه تعالى ركب جانبى هذه الجثة على التساوى حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا فى العظام ولا فى اشكالها ولا فى الاوردة و الشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة منها فكل ما فى احد الجانبين مساو لما فى الجانب الآخر و يقال عدله عن الطريق اى صرفه فيكون المعنى فصرفك عن الخلقة المكروهة التى هى لسائر الحيوانات وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق كما قال تعالى فى احسن تقويم وقرئ فعدلك بالتشديد اى صيرك معتدل الامتناسب الخلق من غير تفاوت فيه فهو بالمعنى الاول من التخفيف وقال الجنيدى قدس سره تسوية الخلقة بالمعرفة وتعديلها بالايمان وقال ذو النون قدس سره اوجدك فسخر لك المكونات اجمع ولم يسخرك لشئ منها وفى التأويلات النجمية ياايها الانسان المخلوق على صورته كانك غرك كمال المظهرية وتمام المضاهاة خلقك فى احسن صورة فسواك فى احسن تقويم فجعل بنيتك الصورية و بنيتك المعنوية سليمة مسواة ومتعدلة ومستعدة لقبول جميع الكمالات الالهية والكيانية كما قال عليه السلام اوتيت جوامع الكلم اى الكلم الالهية والكلم الكيانية (فى اى صورة ماشاء ركبك) الجار متعلق بركبك وما مزيدة لتعميم النكرة وشاء صفة لصورة والعائد محذوف وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك والمعنى ركبك فى اى صورة

شاءها واقتضتها مشيئته وحكمته من الصور العجيبة الحسنة اومن الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاوقات وخلاف الشبه كما فى الحديث ان النطفة اذا استقرت فى الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين آدم وصورها فى اى شبه شاء وقال الواسطى رحمه الله صور المطيعين والعاصين فمن صوره على صورة الولاية ليس كمن صوره على صورة العداوة اى صور بعضهم على الصور الجمالية اللطفية وبعضهم على الصورة الجلالية القهرية قال حضرة شيخى وسندى قدس سره فى كتاب اللائحات البرقيات له لاح بالى ان تلك الصورة التركيبية تتناول الصورة العلمية والصورة الروحية والصورة المثالية والصورة الجسمية وغير ذلك من الصور المركبة فى الاطوار لكن المقصود بالذات انما هو هذه الاربع والتركيب فى الصورة العلمية والروحية عقلى ومعنوى وفى الصورة المثالية والجسمية حسى وروحى والمراد من التركيب فى الصورة العلمية ظهور الذات وفى الصورة الروحية ظهور الصفات وفى الصورة المثالية ظهور الافعال وفى الصورة الجسمية ظهور الآثار وهذه الظهورات من تلك التركيبات بمنزلة النتائج من القياسات وبمنزلة المجموع من الاجتماعات واجزآؤها انما هى احكام الوجوب واحكام الامكان والمراد من احكام الوجوب هو الاسماء الالهية الفاعلة المؤثرة والمراد من احكام الامكان هو الحقائق الكونية القابلة المتأثرة والتركيب من هذه الاجزاء فى اى صورة كان انما هو لظهور محل يكون مظهر الظهور آثارها وخواصها مجتمعة وعند هذا الظهور الاجتماعى فى ذلك المحل الجامع كالنشأة الانسانية المخاطبة ههنا ان كانت الغلبة لاجزاء احكام الوجوب تكون تلك النشأة علوية مائلة الى جانب العلو والحق وهى تكون باقية على الفطرة الاصلية الالهية قابلة مستعدة للفيض والتجلى والوصول الى عالم القدس وان كانت لاجزاء احكام الامكان تكون تلك النشأة سفلية مائلة الى جانب السفل والخلق وخارجة عن الفطرة الاصلية الازلية غير قابلة ومستعدة للفيض والتجلى والوصول الى عالم القدس بل تبقى فى عالم الدنس مدنسة بدنس الجهالة والغفلة والنسيان لاخبرلها عن نفسها وربها وتكون اعمى واصم وابكم لاتعرف يمينها من شمالها ولاترى شمالها من يمينها اولئك كالانعام بل هم اضل انتهى كلامه روح الله روحه (كلا) كلمة ردع فالوقف عليها اى ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقيل توكيد لتحقيق مابعده بمعنى حقا فالوقف على ركيك كما رجحه السجاوندى حيث وضع علامة الوقف المطلق على ركيك (بل تكذبون بالدين) قال فى الارشاد عطف على جملة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لاترتدعون عن ذلك بل تجترؤن على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا فانه يراد بالدين الجزاء والمكافاة ومنه الديان فى صفة الله اوتكذبون بدين الاسلام اللذين هما من جملة احكامه فلاتصدقون سؤالا ولاجوابا ولاثوابا ولاعقابا (وان عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون وجمع الحافظين باعتبار كثرة المخاطبين او باعتبار ان لكل واحد منهم جمعا من الملائكة كما قال اثنان بالليل واثنان بالنهار اى تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم ايها المكلفون من قبلنا الملائكة حافظين لاعمالكم وبالفارسية نكهبانان (كراما) جمع كريم اى لدينا بجبرهم فى طاعتنا او باداء الامانة اذالكريم لايكون خوانا وفى فتح الرحمن وصفهم بالكرم الذى هو نفى المذام وقيل كرام يسارعون الى كتب الحسنات ويتوقفون فى كتب السيئات رجاء ان يستغفر ويتوب فيكتبون الذنب والتوبة منه معا وفى زهرة الرياض سماهم كراما لانهم اذا كتبوا حسنة يصعدون الى السماء ويعرضونها على الله ويشهدون ويقولون ان عبدك فلانا عمل حسنة واما فى السيئة فيسكتون ويقولون الهى انت ستار العيوب وهم يقرؤن كل يوم كتابك ويمحونها فانا لانهتك استارهم واما معنى التعطف كما فى سورة عبس فلايلائم هذا المقام كما فى بعض التفاسير (كاتبين) للاعمال (يعلمون) لحضورهم وعدم افتراقهم عنكم (ماتفعلون) من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطون نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك (وفى الحديث) اكرموا الكرام الكاتبين الذين لايفارقونكم الاعند احدى الحالتين الجنابة والغائط قال فى عين المعانى قوله يعلمون يدل على ان السهو والخطأ ولاماتبعة فيه لايكتب وكذا ما استغفر منه حيث لم يقل يكتبون انتهى وقوله ماتفعلون وان كان عاما لافعال القلوب والجوارح لكنه عام مخصوص بافعال الجوارح لان ماكان من المغيبات لايعلمه الا الله وفى كشف الاسرار علمهم على وجهين فما كان من ظاهر قول اوحركة جوارح علموه بظاهره وكتبوه على جهته وما كان من باطن

ضمير يقال انهم يجدون لصالحه رائحة طيبة ولطالحه رائحة خبيثة فيكتبونه مجملا عملا صالحا وآخر سيئا انتهى وقد مر بيان هذا المقام فى سورتى الزخرف وق فارجع وخص الفعل بالذكر لانه اكثر من القول ولان القول قد يراد به الفعل فاندرج فيه وعن الفضيل انه كان اذا قرأ هذه الآية قال ما اشدها من آية على الغافلين ففيها انذار وتهويل وتشديد للعصاة وتبشير واطف للمطيعين وفى تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام فالتعظيم انما هو فى وصفهم بالكرم لا بالكتب والحفظ وطعن بعض المنكرين فى حضور الكاتبين اما اولا فبأنه لو كانت الحفظة وصحفهم واقلامهم معنا ونحن لا نراهم لجاز ان يكون بحضرتنا جبال واشخاص لا نراها وذلك دخول فى الجهالات وجوابه ان الملائكة من قبيل الاجسام اللطيفة فحضورهم لا يستلزم الرؤية الا ترى ان الله امد المؤمنين فى بدر بالملائكة وكانوا لا يرونهم الا من شاء الله رؤيته وكذا الجن من هذا القبيل ولذا قال تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فكم ان الهواء لا يرى للطافته فكذا غيره من اهل اللطافة واما ثانيا فبان هذه الكتابة والضبط ان كان لا لفائدة فهو عبث والله تعالى متعال عن ذلك وان كان لفائدة فلابد ان تكون للعبد لان الله متعال عن النفع والضرر وعن تطرق النسيان وغاية ذلك ان يكون حجة على الناس وتشديدا عليهم باقامتها لكن هذا ضعيف لان من علم ان الله لا يجور ولا يظلم لا يحتاج فى حقه الى اثبات هذه الحجة ومن لم يعلم ذلك لا تنفعه لاحتمال ان يحمل على الظلم وجوابه ان الله يجرى اموره على عباده على ما يتعارفونه فى الدنيا بينهم ليكون ابلغ فى تقرير المعنى عندهم من اخراج كتاب واحضار شهود عدل فى الزام الحجة عند الحاكم والعبد اذا علم ان الله رقيب عليه والملائكة يحفظون اعماله ويكتبونها فى الصحيفة وتعرض على رؤوس الاشهاد يوم القيامة كان ذلك ازجر له عن المعاصى وامنع من السوء واما ثالثا فبان افعال القلوب غير مرئية فلا يكتبونها مع انها محاسب بها لقوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية وجوابه ما مر من ان الآية من العام المخصوص وقد قال الامام الغزالى رحمه الله كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الملائكة الحفظة فان شعورهم يقارن شعورك حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك فى المذكور بالكلية غاب عن شعور الحفظة ايضا ومادام القلب يلتفت الى الذكر فهو معرض عن الله وفهم من هذا المقال ان قياس اطلاع الملائكة على اوقائع على اطلاع الناس غير مستقيم فان شؤونهم عملا وعملا غير شؤون الناس على ان من اصلح من الناس سريرته قد يكشف الضمائر ويطلع على الغيوب باطلاع الله تعالى فاظنك بالملائكة الذين هم الطف جسما واخف روحا (ان الابرار) الذين بروا وصدقوا فى ايمانهم باداء الفرائض واجتناب المعاصى وبالقاسية وبدرستى كه نيكوكاران وفرمان برداران جمع بر بالفتح وهو بمعنى الصادق والمطيع والمحسن واحسن الحسنات لا اله الا الله ثم بر الوالدين وبر التلامذة للاساتذة وبر اهل الارادة للشيوخ كما قال فى فتح الرحمن هو الذى قد اطرد بره عموما فبر به فى طاعته اياه وبر الناس فى جلب ما استطاع من الخيرات لهم وغير ذلك (وفى الحديث) بروا آباءكم يبركم ابناءكم (لفى نعيم) وهو نعيم الجنة وثوابها والتنوين للتفخيم (وان الفجار) وبدرستى كه دروغ كويان ومنكران حشر جمع فاجر والفجور شق ستر الديانة (لفى جحيم) اى النار وعذابها والتنوين للتهويل والجملتان بيان لما يكتبون لاجله وهو ان الغاية اما النعيم واما الجحيم وفيه اشارة الى نعيم الذكر والطاعة والمعرفة والشهود والحضور والوصال والى جحيم الغفلة والمعصية والجهل والاحتجاب والغيبوبة والفراق قال الخواص رحمه الله طاب النعيم اذا كان منه وطاب الجحيم اذا كان به وفى المثنوى * هر كجا باشد شه دشه مار ابساط * هست صحرا كربود سم الخياط * هر كجا كه يوسفى باشد چوماه * جنت است اورا چه باشد قعر چاه (يصلونها) اما صفة لجحيم او استئناف مبنى على سؤال نشأ عن تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها كما قال الخليل صلى الكافر النار قاسى حرها وباشره ببدنه ولم يصف النعيم بما يلائمه لان ما سبق من الكلام كان فى المكذبين الفجرة لان المقام مقام التخويف وذكر تبشير الابرار لانه ينكشف به حال الفجار الاشرار لان الاشياء تعرف باضدادها (يوم الدين) يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به (وما هم) ونيست فجار (عنها) اى عن الجحيم (بغائبين) طرفة عين بعنى دروجاويد باشند وبيرون نيايند كقوله تعالى وما هم بخارجين منها فالمراد دوام نفى الغيبة لا نفى دوام الغيبة وقيل وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها فى قبورهم حسبما قال النبى عليه السلام القبر

روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران (وما ادراك) الخطاب لكل من يتأتى منه الدراية وما مبتدأ وادراك خبره (ما) خبر قوله (يوم الدين) وما لطلب الوصف وان كان وضعه لطلب الحقيقة وشرح الاسم والمعنى اى شئ جعلك داريا وعالما ما يوم الدين اى اى شئ عجيب هو فى الهول والفظاعة اى ما ادراك الى هذا الآن احد كنه امره فانه خارج عن دائرة دراية الخلق على اى صورة يصورونه فهو فوقها واضعافها (ثم ما ادراك ما يوم الدين) تكرير بثم المفيدة للترقى فى الرتبة للتأكيد وزيادة التخويف والمجموع تعجيب للمخاطبين وتفخيم لشأن اليوم واظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) بيان اجمالى لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن دائرة علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرآن من قوله تعالى وما ادراك فقد اداه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه و يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيأ من الاشياء اومنصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه عليه السلام الى معرفته اذكر يوم لا تملك الخ فانه يدريك ما هو ودخل فى نفس كل نفس ملكية و بشرية وجنية وفى شئ كل ما كان من قبيل جلب المنفعة اودفع المضرة (والامر) كله (يومئذ) اى يوم اذ لا تملك نفس لنفس شيأ (لله) وحده والامر واحد الاوامر فان الامر والحكم والقضاء من شأن الملك المطاع والخلق كلهم مقهورون تحت سطوات الربوبية وحكمها و يجوز ان يكون واحد الامور فان امور اهل المحشر كلها بيده تعالى لا يتصرف فيها غيره اخبر تعالى بضعف الناس يومئذ وانه لا ينفعهم الاموال والاولاد والاعوان والشفعاء كما فى الدنيا بل ينفعهم الايمان والبر والطاعة وانه لا يقدر احد ان يتكلم الا باذن الله وامره اذ الامر له فى الدنيا والآخرة فى الحقيقة وان كان يظهر سلطانه فى الآخرة بالنسبة الى المحجوب لان المحجوب يرى ان الله ملكه فى الدنيا وجعل له شيأ من الامور والاوامر فاذا كان يوم القيامة يظهر له ان الامر والملك لله تعالى لا يزاحمه فيه احد ولا يشاركه ولو صورة وفيه تهديد لارباب الدعاوى واصحاب المخالفة وتنبيه على عظم بطشه تعالى وسطوته * وفى الحديث من قرأ اذا السماء انفطرت اعطاه الله من الاجر بعدد كل قبر حسنة و بعدد كل قطرة ماء حسنة واصلح الله شأنه يوم القيامة

(تمت سورة الانفطار بعون مالك الاقطار فى الثانى والعشرين من صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة المطففين ست وثلاثون آية مختلف فى كونها مكية او مدينة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) شدة الشر او الهلاك او العذاب الاليم وقال ابن كيسان هو كلمة كل مكروب واقع فى البلية فقولك ويل لك عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء والمحنة عليه الموجب له ان يقول واويلاه ونحوه وقيل اصله وى لفلان اى الحزن فقرن بلام الاضافة تخفيفا و بالفارسية واى وهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء على ما سبق بيانه فى المرسلات (للمطففين) الباخسين حقوق الناس فى المكيال والميزان و بالفارسية مر كاهندگان در كيل و وزن فان التطفيف البخس فى الكيل والوزن والنقص والخيانة فيهما بان لا يعطى المشترى حقه تاما كاملا وذلك لان ما يبخس شئ طفيف حقير على وجه الخفية من جهة دناءة الكيال والوزان وخساستهما اذ الكثير يظهر فيمنع منه ولذا سمى مطففا قال الراغب يقال طفف الكيل قال نصيب المكيل له فى ايفائه واستيفائه وقال سعدى المفتى والظاهر ان بناء التفعيل للتكثير لان البخس لما كان من عادتهم كانوا يكثرون التطفيف و يجوز ان يكون للتعدية انتهى روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من ابخس الناس كيلا فنزلت فحرج فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر فعملوا بموجبها واحسنوا الكيل فهم اوفى الناس كيلا الى اليوم وعن على رضى الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران وقد ارجح فقال اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كأنه امره اولا بالتسوية ليعتادها و يفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انكم معشر الاعاجم وليتم امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم

لانهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين فى الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان فى النار فقيل اوان ابنك كيال اووزان فقال اشهد انه فى النار وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن مالك بن دينار انه دخل على جاره احتضر فقال يامالك جبلان من نار بين يدى اكلف الصعود عليهما فسألت اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل باحدهما و يكال بالآخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال مايزداد الامر على الاعظما ودرفصول سبعين آورده كه هر كه در كيل ووزن خيانت كند فردا اورابقعر دوزخ درآورده ميان دوكوه ازآتش بنشانندو كو يندكلهما وزنهما آزا ميسنجد وميسوزد * توكم دهى و بيش ستانى بكيل ووزن * روزى بود كه ازكمو بيشت خبر كنند * (الذين) الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوابه الذم والدعاء بالويل (اذا اكتالوا على الناس) اى من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه والاكتيال الاخذ بالكيل كالاتزان الاخذ بالميزان (يستوفون) الاستيفاء عبارة عن الاخذ الوافى اى يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلة من بعلى لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء اوالاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لاعلى اعتبار الضرر فى حيز الشرط الذى تتضمنه كلة اذ الاخلاله بالمعنى بل فى نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافى الوفر حسبما ارادوا باى وجه يتيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه فيسرقون من افواه المكاييل و السنة الموازين (واذا كالوهم اووزنوهم) الكيل يمودن به يمانه تامقدار مكيل معلوم كردد والوزن والزنة سنجيدن تامقدار موزون معلوم شود اى واذا كالوا للناس اووزنوا لهم المبيع ونحوه و بالفارسية وچون مى بيمايند براى ناس و يامى سنجند حقوق ايشانرا فحذف الجار واوصل الفعل كما قال فى تاج المصادر وزنت فلانا درهما ووزنت لفلان بمعنى والاصل اللام ثم حذفت فوصل الفعل ومنه الآية انتهى فلفظ هم منصوب المحل على المفعولية لامرفوعه على التأكيد للواو لان واو الجمع اذا اتصل به ضمير المفعول لايكتب بعده الالف كما فى نصروك ومنه الآية اذلم يكتب الالف فى المصحف واذا وقع فى الطرف بان يكون الضمير مرفوعا واقعا للتأكيد فحينئذ يكتب بعده الالف لان المؤكد ليس كالجزء مماقبله بخلاف المفعول واما نحو شاروا بوا لماء فالاكثر على حذف الالف لقلة اتصال واو الجمع بالاسم هذا فان قلت خط المصحف خارج عن القياس قلت الاصل فى امثاله اثباته فى المصحف فلا يعدل عنه (يخسرون) اى ينقصون حقوقهم معان وضع الكيل والوزن انماهو للتسوية والتعديل يقال خسر الميزان واخسره يعنى كم كرد ومى كاست واعل ذكر الكيل والوزن فى صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال فى صورة الاستيفاء بان لم يقل اذا اكالوا على الناس اواتزنوا لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن كما قال فى الكشاف كان المطففين كانوا لايأخذون مايكال و يوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يزعزعون و يحتالون فى الملئ واذا اعطوا كالوا اووزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين جميعا انتهى و يؤيده الاقتصار على التطفيف فى الكيل فى الحديث المذكور سابقا وعدم التعرض للكيل والموزون فى الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم فى الاخذ و الاعطاء لافى خصوصية المأخوذ والمعطى قال ابو عثمان رحمه الله حقيقة هذه الآية عندى هو من يحسن العبادة على رؤية الناس و يسئ اذا خلا وفى التأويلات النجمية يشير الى المقصرين فى الطاعة والعبادة الطالبين كمال الرأفة والرحمة الذين يستوفون من الله مكيال ارزاقهم بالتمام و يكيلونه مكيال الطاعة والعبادة بالنقص والخسران ذلك هو الخسران المبين وقال القاشانى يشير الى التطفيف فى الميزان الحقيقى الذى هو العدل والموزونات به هى الاخلاق والاعمال والمطففون هم الذين اذا اعتبروا كمالات انفسهم متفضلين على الناس يستوفون اى يكثرونها و يزيدون على حقوقهم فى اظهار الفضائل العلمية والعملية اكثرمما لهم عجبا وتكبرا واذا اعتبروا كمالات الناس بالنسبة الى كمالاتهم اخسروا واستحقروها ولم يراعوا العدالة فى الحالين لرعونة انفسهم ومحبة التفضل على الناس كقوله يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا يقول الفقير فيه اشارة الى حال النفس القاصرة فى التوحيد الحقيقى فانها اذا اعطته الروح تخسره لنقصانها وقصورها فيه على انه لايدخل فى الميزان اذلا مقابل له فمن ادخله فى الميزان فقد نقص شأنه وشأن نفسه ايضا واما التوحيد الرسمى فهى تستوفيه من الروح لانه حقها

ولا نصيب سه (الا يظن) ايا تمى پندارند (اولئك) المطففون الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل فقوله الا ليست هى التى للتنبيه لان مابعد حرف التنبيه مثبت وهنا منفى لان الا التنبيهية اذا حذفت لا يختل المعنى نحو الا انهم لفى سكرتهم يعمهون واذا حذفت الا هذه اختل المعنى بل الهمزة الاستفهامية الانكارية داخلة على لا النافية وجوز ان تكون للعرض والتحضيض على الظن (انهم مبعوثون ليوم عظيم) لا يقادر قدر عظمه وعظم مافيه من الاهوال ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا فى حد الشك والوهم لا يجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه فذكر الظن للمبالغة فى المنع عن التطفيف والا فالمؤمن لا يكفيه الظن فى امر البعث والمحاسبة بل لابد من الاعتقاد الجازم (يوم يقوم الناس) منصوب باضمار اعنى (لرب العالمين) بتقدير المضاف اى لمجرد امره وحكمه بذلك لا لشئ آخر او لمحاسبة رب العالمين فيظهر هناك تطفيفهم ومجازاتهم او يقومون من قبورهم لرد رب العالمين ارواحهم الى اجسادهم روى انهم يقومون بين يدى الله تعالى اربعين عاما وفى رواية ثلاثمائة سنة من سنى الدنيا وعرق احدهم الى انصاف اذنيه لا يأتيهم خبر ولا يؤمر فيهم بأمر وآن مقام هيبت باشد كه كس رازهرهٔ سخن نباشد ثم يخاطبون يعنى از مقام هيبت بمقام محاسبه آرند واما فى حق المؤمن فيكون المكث كقدر انصرافهم من صلاة مكتوبة وفى تخصيص رب العالمين من بين سائر الصفات اشعار بالمالكية والتربية فلا يمتنع عليه الظالم القوى لكونه مملوكا مسخرا فى قبضة قدرته ولا يترك حق المظلوم الضعيف لان مقتضى التربية ان لا يضيع لاحد شيأ من الحقوق وفى هذه التشديدات اشارة الى ان التطفيف وان كان يتعلق بشئ حقير لكنه ذنب كبير قيل كل من نقص حق الله من زكاة وصلاة وصوم فهو داخل تحت هذا الوعيد وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه قرأ هذه السورة فلما بلغ الى قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا اى برفع الصوت وامتنع من قراءة مابعد من غلبة البكاء وملاحظة الحساب والجزاء وقال اعرابى لعبد الملك بن مروان انك قد سمعت ما قال تعالى فى المطففين واراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم فى اخذ القليل فانظر بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ووزن (كلا) ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب فيحسن الوقف عليه وان كان بمعنى حقا فلا لكونه حينئذ متصلا بما بعده (ان كتاب الفجار لفى سجين) تعليل للردع والكتاب مصدر بمعنى المكتوب كاللباس بمعنى الملبوس او على حاله بمعنى الكتابة واللام للتأكيد وسجين علم للكتاب جامع هو ديوان الشر دون اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف واصله فعيل من السجن مبالغة الساجن اولانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة فى مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته اذلالا لهم وتحقيرا لشأنهم وتشهده الشياطين المدحورون كما ان كتاب الابرار يشهده المقربون فالسجين مبالغة المسجون والمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اى مايكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفى ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وفى التأويلات النجمية اى كتاب استعدادهم الفطرى مكتوب فى ديوان سجين طبيعتهم المجبولة على الفسق والفجور بقلم اليد اليسرى على ورق صفحة جبينهم كما قال عليه السلام السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه (وما ادراك ما سجين) تهويل لامره اى هو بحيث لا يبلغه دراية احد (كتاب مرقوم) قال الراغب الرقم الخط الغليظ وقيل هو تعجم الكتاب وقوله كتاب مرقوم حمل على الوجهين انتهى اى هو مسطور بين الكتابة بحيث كل من نظر اليه يطلع على مافيه بلا دقة نظر وامعان توجه او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه لاهاليه اى ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب النار وكونه علامة الشر يستفاد من المقام لانه مقام التهويل وقال القفال قوله كتاب مرقوم ليس تفسير السجين بل هو خبر لان والمعنى ان كتاب الفجار لفى سجين وانه كتاب مرقوم وقوله وما ادراك ما سجين وقع معترضا بين الخبرين وقال القاشانى ان كتاب الفجار اى ما كتب من اعمال المرتكبين للرذائل الذين فجروا بخروجهم عن حد العدالة المتفق عليها الشرع والعقل لفى سجين فى مرتبة من الوجود مسجون اهلها فى حبوس ضيقة مظلمة يزحفون على بطونهم كالسلاحف والحية والعقارب اذلاء اخساء فى اسفل مراتب الطبيعة ودركاتها وهو ديوان اعمال اهل الشر ولذلك فسر بقوله كتاب مرقوم اى ذلك المحل المكتوب فيه اعمالهم كتاب مرقوم برقوم هيئات رذائلهم وشرورهم (ويل)

عظيم (يومئذ) اى يوم يقوم الناس لرب العالمين فهو متصل به وما بينهما اعتراض وقال بعضهم اى يوم اذا عطى ذلك الكتاب (للمكذبين) وقال الكاشفى ويل كلمه ايست جامع همه بديها يعنى عذاب وعقاب وشدت ومحنت دران روز مر مكذبان راست (الذين يكذبون بيوم الدين) صفة ذامة للمكذبين كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث لان تكذيبهم يوم الدين علم من قوله الا يظن اولئك الخ قال بعض اهل الاشارة المكذبون بالحق واياته هم ارباب النفوس الذين اقبلوا على الدنيا واعرضوا عن الحق ودينه الذى هو دين الاسلام وكل يجازى بحسب دينه فمن لا دين له فجزاؤه سوء الجزاء والويل العظيم ومن له دين فجزاؤه حسن الجزاء ورؤية الوجه الكريم فعليك بالتصديق (وما يكذب به الا كل معتد) متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله على الاعادة مع مشاهدته للبدء كالوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث ونحوهما (اثيم) كثير الاثم اى منهمك فى الشهوات الناقصة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحمله على انكارها فالاعتداء دل على اهمال القوة النظرية التى كمالها ان يعرف الانسان وحدة الصانع واتصافه بصفات الكمال مثل العلم والارادة والقدرة ونحوها والاثم دل على اهمال القوة العملية التى كمالها ان يعرف الانسان الخير لاجل العمل به (اذا تتلى عليه آياتنا) الناطقة بذلك (قال) من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا محيد عنه (اساطير الاولين) اى هى حكايات الاولين واخبارهم الباطلة قال فى فتح الرحمن هى الحكايات التى سطرت قديما وهى جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر وهى الحديث الذى لا نظام له (كلا) ردع للمعتدى عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه ويجوز ان يكون ردعا عن مجموع التكذيب والقول (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قرأ حفص عن عاصم بل باظهار اللام مع سكتة عليها خفيفة بدون القطع ويبتدئ ران وقرأ الباقون بادغام اللام فى الراء ومنهم حمزة والكسائى وخلف وابو بكر عن عاصم يميلون فتحة الراء قال بعض المفسرين هرب حفص من اجتماع ثقيلتى الراء المفخمة والادغام انتهى ويرد عليه قل رب فانه لا سكتة فيه بل هو بادغام احد المتقاربين فى الآخر فالوجه انه انما سكت حفص على لام بل ران وكذا على نون من راق خوف اشتباهه بتنبية البر ومبالغة مار فى حيث يصير بران ومراق وما موصولة والعائد محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية والمعنى ليس فى آياتنا ما يصح ان يقال فى شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدأ فى المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين صدأ يعلو الشئ الجلى والطبع والدنس وران ذنبه على قلبه رينا وريونا غلب وكل ما غلبك فقد رانك وبك وعليك كما فى القاموس وران فيه النوم رسخ فيه وفى التعريفات الران هو الحجاب الحائل بين القلب وعالم القدس باستيلاء الهيئات النفسانية ورسوخ الظلمانية الجسمانية فيه بحيث يحجب عن انوار الربوبية بالكلية والغين بالمعجمة دون الرين وهو الصدأ فان الصدأ حجاب رقيق يزول بالتصفية ونور التجلى لبقاء الايمان معه والرين هو الحجاب الكثيف الحائل بين القلب والايمان ولهذا قالوا الغين هو الاحتجاب عن الشهود مع صحة الاعتقاد والطبع ان يطبع على القلب والاقفال ان يقفل عليه فقيل الاقفال اشد من الطبع كما ان الطبع اشد من الرين قال القاشانى فى الآية اى صارت صدأ عليها بالرسوخ فيها وكدر جوهرها وغيرها عن طباعها والرين حد من تراكم الذنب على الذنب ورسوخه تحقق عنده الحجاب وانغلق باب المغفرة نعوذ بالله منه قال ابو سليمان الدارانى قدس سره الران والقسوة هما زماما الغفلة فمن تيقظ وتذكر أمن من القسوة والرين ودواؤهما ادمان الصيام فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام وقال بعض الكبار القلب مرآة مصقولة كلها وجه فلا تصدأ ابدا وان اطلق عليها الصدأ فى نحو حديث ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وان جلاءها ذكر الله وتلاوة القرآن فليس المراد بذلك الصدأ انه طخاء طلع على وجه القلب ولكنه لما تعلق واشتغل بعلم الاسباب عن العلم بالمسبب كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب مانعا من تجلى الحق اليه اذ الحضرة الالهية متجلية على الدوام لا يتصور فى حقها حجاب عنا فلما لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعى المحمود وقبل غيره عبر عن قبول الغير بالصدأ والكن والقفل وغير ذلك وقد نبه الله على ذلك فى قوله وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه فهى فى اكنة مما يدعوها الرسول اليه خاصة لانها فى كن مطلقا فلما تعلقت بغير ما تدعى اليه عميت عن ادراك ما دعيت اليه فلم تبصر شيأ فالقلوب ابدا لم تزل

مفطورة على الجلاء مصقولة صافية (قال مولى الجامى) مسكين فقيه ميكند انكار حسن دوست * بالو بكوكه ديده جازا جلى كند (كلا) درع وزجر عن الكسب الرائن اى الموقع فى الرين (انهم) اى المكذبين (عن ربهم) وهو وقوله (يومئذ) اى يوم اذ يقوم الناس لرب العالمين متعلقان بقوله (لمحجوبون) فلا يرونه لانهم باكسابهم القبيحة صارت مرآة قلوبهم ذات صدأ وسرت ظلمة الصدأ منها الى قوالبهم فلم يبق محل لنور التجلى بخلاف المؤمنين فانهم يرونه تعالى لانهم باكسابهم الحسنة صارت مرائى قلوبهم مصقولة صافية وسرى نور الصقالة والصفوة منها الى قوالبهم فصاروا مستعدين لانعكاس نور التجلى فى قلوبهم وقوالبهم وصاروا وجوها من جميع الجهات كوجود الوجه الباقى بل ابصارا بالكلية سئل مالك بن انس رحمه الله عن هذه الآية فقال لما حجب اعداؤه فلم يروه لابد ان يتجلى لاوليائه حتى يروه يعنى احتج الامام مالك بهذه الآية على مسألة الرؤية من جهة دليل الخطاب والا فلو حجب الكل لم يبق للتخصيص فائدة وكذلك * آنكاه درميان دوست ودشمن فرق نماند كو يى بهشت ميهمانيست * بى ديدن ميزبان چه باشد * چون دشمن ودوست راجه باشد * پس فرق دران ميان چه باشد * وعن الشافعى رحمه الله لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى وقال شيخ الاسلام عبد الله الانصارى رحمه الله لمحجوبون عن رؤية الرضى فان الشقى يراه غضبان حين يتجلى فى المحشر قبل دخول الناس الجنة وقال حسين بن فضل رحمه الله كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته فالموحد غير محجوب عن ربه وقال سهل رحمه الله حجبهم عن ربهم قسوة قلوبهم فى العاجل وما سبق لهم من الشقاوة فى الازل فلم يصلحوا لبساط القرب والمشاهدة فابعدوا وحجبوا والحجاب هو الغاية فى البعد والطرد وقال ابن عطاء رحمه الله الحجاب حجابان حجاب بعد وحجاب ابعاد فحجاب البعد لا تقريب فيه ابدا وحجاب الابعاد يؤدب ثم يقرب كآدم عليه السلام وقال القاشانى انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لامتناع قبول قلوبهم للنور وامتناع عودها الى الصفاء الاول الفطرى كالماء الكبريتى مثلا اذا روق اوصعد لم يرجع الى الطبيعة المائية المبردة لاستحالة جوهره بخلاف الماء المسخن الذى استحالت كيفيته دون طبيعته ولهذا استحقوا الخلود فى العذاب وفى المفردات الحجب المنع عن الوصول والآية اشارة الى منع السور عنهم بالاشارة الى قوله فضرب بينهم بسور اى بحجاب يمنع من وصول لذة الجنة الى اهل النار واذية اهل النار الى اهل الجنة وقال صاحب الكشاف كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال اذا اعتروا باب ذى مهابة رجبوا * والناس ما بين مرجوب ومحجوب انتهى اى ما بين معظم ومهان وانما جعله تمثيلا لا كناية اذ لا يمكن ارادة المعنى الحقيقى على زعمه من حيث انه معتزلى قال بعض المفسرين جعل الآية تمثيلا عدول عن الظاهر وهو مكشوف فان ظاهر قولهم هو محجوب عن الامير يفيد انه ممنوع عن رؤيته وهو اكبر سبب الاهانة وما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما لمحجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته فالمراد به بيان حاصل المعنى فان المحجوب عن الرؤية ممنوع عن معظم الرحمة والكرامة فالآية من جملة ادلة الرؤية فالحمد لله تعالى على بذل نواله وعطائه وعلى شهود جماله ولقائه (ثم انهم) مع كونهم محجوبين عن رؤية الله (لصالوا الجحيم) اى داخلوا النار ومباشروا حرها من غير حائل اصله صالون حذفت نونه بالاضافة وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم اشد من الحجاب والاهانة والحرمان والرحمة والكرامة فان الحجاب وان كان من قبيل العذاب الروحانى وهو اشد من العذاب الجسمانى لكن مجرد النجاة من النار اهون من العذاب لان فى العذاب الحسى حصول العذابين كما لا يخفى (ثم يقال) لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية وانما طوى ذكرهم لان المقصود ذكر القول لا القائل مع ان فيه تعميما لاحتمال القائل وبه يشتد الخوف (هذا) العذاب وهو مبتدأ خبره قوله (الذى كنتم) فى الدنيا (به) متعلق بقوله (تكذبون) فذوقوه وتقديمه لرعاية الفاصلة لا للحصر فانهم كانوا يكذبون احكاما كثيرة (كلا) ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر بعد زجر

(ان كتاب الابرار) اى الاعمال المكتوبة لهم على ان الكتاب مصدر مضاف الى مفعوله (لفى عليين) لفى ديوان جامع لجميع اعمال الابرار فعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو للمبالغة فيه سمى بذلك اما لانه بسبب الارتفاع الى اعالى الدرجات فى الجنة واما لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريمه وتعظيما وروى ان الملائكة تصعد بعمل العبد

فيستقلونه فاذا انتهوا الى ماشاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدى وانا الرقيب على ما فى قلبه وانه اخلص عمله فاجعلوه فى عليين فقد غفرت له وانها تصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ماشاء الله اوحى اليهم انتم الحفظة على عبدى وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص فى عمله فاجعلوه فى سجين وفيه اشارة الى ان الحفظة لا يطلعون على الاخلاص والرياء الا باطلاع الله تعالى (وما ادراك ما عليون) اى هو خارج عن دائرة دراية الخلق (كتاب مرقوم) اى هو مسطور بين الكتابة يقرأ بلا تكلف او معلم بعلامة تدل على سعادة صاحبه وفوزه بنعيم دائم وملك لا يبلى ولما كان عليون علما منقولا من الجمع حكم عليه بالمفرد وهو كتاب مرقوم واعرب باعراب الجمع حيث جرا ولا بنى ورفع بالخبرية لما الاستفهامية لكونه فى صورة الجمع وقيل اسم مفرد على لفظ الجمع كعشرين وامثاله فليس له واحد (يشهده) الملائكة (المقربون) عند الله قربة الكرامة اى يحضرونه ويحفظونه من الضياع وفى فتح الرحمن هم سبعة املاك من مقربى السماء من كل سماء ملك مقرب فيحضره ويشيعه حتى يصعد به الى ما يشاء الله ويكون هذا فى كل يوم او يشهدون بما فيه يوم القيامة على رؤس الاشهاد وبه تبين سر ترك الظاهر بان يقال طوبى يومئذ للمصدقين بمقابلة ويل يومئذ للمكذبين لان الاخبار بحضور الملائكة تعظيما واجلالا يفيد ذلك مع زيادة فخم كل واحد بما يصلح سواه مكانه وقال القاشانى ما كتب من صور اعمال السعداء وهيئات نفوسهم النورانية وملكاتهم الفاضلة فى عليين وهو مقابل لسجين فى علوه وارتفاع درجته وكونه ديوان اعمال اهل الخير كما قال كتاب مرقوم اى محل شريف رقم بصور اعمالهم من جرم سماوى او عنصر انسانى يحضر ذلك المحل اهل الله الخاصة من اهل التوحيد الذاتى (ان الابرار) اى السعداء الاتقياء عن دون صفات النفوس (لفى نعيم) ثم وصف كيفية ذلك النعيم بامور ثلاثة اولها قوله (على الارائك) اى على الاسرة فى الحجال يعنى برختهاى اراسته ولا يكاد تطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة وهو بالتحريك بيت العروس يزين بالثياب والاسرة والستور (ينظرون) اى الى ما شاؤا مما عينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله من النعمة والكرامة يعنى مى نگرند بچيزها كه ازان شادمان و فرحناك ميكردند از صور حسنه ومنتزهات بهيه وكذا الى اعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك للطافتها وشفوفها اى رقتها فحذف المفعول للتعميم وقوله على الارائك يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا من المنوى فى الخبر او فى الفاعل فى ينظرون والتقديم لرعاية فواصل الآى واما ينظرون فيجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا اما من المنوى فى الخبر او فى الظرف اى ناظرين قال ابن عطاء رحمه الله على ارائك المعرفة الى المعروف وعلى ارائك القربة ينظرون الى الرؤف وفيه اشارة الى ان ارباب المقامات العالية ينظرون الى جميع مراتب الوجود لا يحجبهم شئ عن المطالعة بخلاف الاغيار فانهم محجوبون عن مطالعة احوال اهل الملكوت ورمز الى ان لكل من اهل الدرجات روضة مخصوصة من الاسماء والصفات فبها ينظرون فنهم عال واعلى وليس الاشراف على الكل الا لاشرف الاشراف وهو قطب الاقطاب (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) وهو ثانى الاوصاف اى بهجة التنعم وماءه ورونقه اى اذا رأيتهم عرفت انهم اهل النعمة بسبب ما يرى فى وجوههم من القرائن الدالة على ذلك كالضحك والاستبشار كما يرى فى وجوه الاغنياء واهل الترفه فمن هذا اختير تعرف على ترى مع ان المعرفة تتعلق بالخفيات غالبا والرؤية بالجليات غالبا والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان مالهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية رائى دون رائى قال جعفر رضى الله عنه يعنى لذة النظر تتلألأ مثل الشمس فى وجوههم اذا رجعوا من زيارة الله الى اوطانهم وقال بعضهم تعرف فى وجوههم رضى محبوبهم عنهم (يسقون من رحيق) وهو ثالث الاوصاف وسقى يتعدى الى مفعولين والاول هنا الواو القائم مقام الفاعل والثانى من رحيق لان من تبعيضية كانه قيل يعض رحيق او مقدر معلوم اى شرابا كائنا من رحيق مبتدأ منه فمن ابتدائية والرحيق صافى الخمر وخالصها والمعنى يسقون فى الجنة من شراب خالص لا غش فيه ولا ما يكرهه الطبع ولا شئ يفسده وايضا صاف عن كدورة الخمار وتغير النهكة وايراث الصداع (مختوم ختامه) اى ما يختم ويطبع به (مسك) وهو طيب معروف اى مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان الطين قال فى كشف الاسرار ما ختم به مسك رطب ينطبع فيه الخاتم امر الله بالختم عليه اكراما لاصحابه فختم ومنع ان يمسه ماس او تتناوله يد الى ان يفك ختمه الابرار والاظهر انه تمثيل لكمال نفاسته اذ الشئ النفيس

يختم لاسيما اذا كان مايختم به المسك مكان الطين وقيل ختام الشئ خاتمته وآخره فمعنى ختامه مسك ان الشارب اذا رفع فاه من آخر شربه وجد رائحة كرائحة المسك اووجد رائحة المسك لكونه ممزوجا به كالاشربة المسكة فى الدنيا فانه يوجد فيها رائحة المسك عند خاتمة الشرب لا فى اول زمان الملابسة بالشرب وعن ابى الدرداء رضى الله عنه ان الرحيق شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم ولوان رجلا من اهل الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها لم يبق ذوروح الا وجد طيب ريحه (وفى ذلك) لرحيق خاصة دون غيره من النعيم المكدر السريع الفناء اوفيما ذكر من احوالهم لا فى احوال غيرهم من اهل الشمال (فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله يعنى عمل بجاى آرند كه سبب استحقاق شرب آن كردند والامر للتحضيض والترغيب ظاهرا وللوجوب باطنا بوجوب الايمان والطاعة واصل التنافس التغالب فى الشئ النفيس اى المرغوب كأن كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به واصله من النفاسة وقال البغوى اصله من الشئ النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اى يبخل وفى المفردات المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره قال ذوالنون المصرى رحمه الله علامة التنافس تعلق القلب به وطيران الضمير اليه والحركة عند ذكره والتباعد من الناس والانس بالوحدة والبكاء على ماسلف وحلاوة سماع الذكر والتدبر فى كلام الرحمن وتلقى النعم بالفرح والشكر والتعرض للمناجاة (ومزاجه من تسنيم) عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله ومابينهما اعتراض مقرر لنفاسته اى مايمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم وهو علم لعين بعينها تجرى من جنة عدن سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب فى الجنة قدرا فيكون من علو المكانة واما لانها تأتيهم من فوق فيكون من علو المكان روى انها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى اوانيهم فاذا امتلأت امسك الماء حتى لايقع منه قطرة على الارض فلا يحتاجون الى الاستقاء (عينا) نصب على المدح والاختصاص اى بتقدير اعنى (يشرب بها المقربون) من جناب الله قربا معنويا وروحانيا اى يشربون ماءها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة وهم اصحاب اليمين فالباء مزيدة او بمعنى من وفيه اشارة الى ان التسنيم فى الجنة الروحانية هو معرفة الله ومحبته ولذة النظر الى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج تارة بالنظر الى الله واخرى بالنظر الى مخلوقاته فالمقربون افضل من الابرار كما ان التسنيم اعلى واحلى من الرحيق يعنى چون مقربان مشغول بما سوى نشده اند يعنى محبت حق رابمحبت غيرنيا ميخته اند شراب ايشان صرفست وآنهارا كه محبت ايشان آميخته باشد شراب ايشان ممزوج باشد * ماشراب عيش ميخواهيم بى دردى غم * صاف نوشان ديگر ودردى فروشان ديگرند * وقال بعضهم تسبيح رهى وصف جمال تو بسست * وزهر دوجهان وراوصال تو بسست * اندردل هركسى ذكر مقصودى ست مقصود دل درهى خيال تو بسست * ودر بحر الحقائق آورده كه رحيق اشارتست بشراب خالص از كدورات خمار كونين واوانى مختومة وى قلوب اوليا واصفيا كه ختام اومسك محبت است لابشرب من تلك الاوانى الا الطالبون الصادقون فى طريق السلوك الى الله (على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولاسهم) وتسنيم اعلاى مراتب محبت است يعنى محبت ذاتيه كه غير ممزوج باشد بصفات وافعال ومقربان اهل فنا فى الله وبقا بالله انه كما قال العارف فى خمر المحبة الصرفة الخالصة من المزج

عليك بها صرفا فان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

العدل بمعنى العدول والظلم بالفتح هو ماء الاسنان وبريقها وبالضم هو الجور اى فان شئت مزجها فامزجها بزلال فم الحبيب وبريقه ان لم تقدر على شربها صرفا ولاتعدل فان العدول عن ظلم الحبيب ورشحة زلاله هو الظلم وتاكسى بربساط قرب درمجلس انس وريا ض قدس ازدست ساقئ رضاجرعة ازين شراب ناب نچشد بوبى ازسراين سخنان بمشام جان وى نرسد * سرمايه ذوق دوجهان مستى عشقست * آنها كه ازين مى نچشيدند چه دانند (إن الذين اجرموا) كانوا ذوى جرم وذنب ولاذنب اكبر من الكفر واذى المؤمنين لايمانهم فالمراد بهم رؤساء قريش واكابر المجرمين المشركين كأبى جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وامثالهم (كانوا) فى الدنيا (من الذين آمنوا) ايمانا صادقا (يضحكون) اى يستهزؤن بفقرائهم كعمار وصهيب وبلال وخباب وغيرهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل (واذا مروا) اى فقراء المؤمنين (بهم) اى بالمشركين

وهم فى انديتهم وهوالاظهر وان جاز العكس ايضا يقال مر مرا ومر وراجاز وذهب كاستمر ومره و به جاز عليه كما فى القاموس قال فى تاج المصادر المر بكذشتن بكسى و يعدى بالباء وعلى (يتغامزون) اى يغمز بعضهم بعضا و يشيرون باعينهم و يعيبونهم و يقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم و يتركون اللذات و يتحملون المشقات لما يرجونه فى الآخرة من المثوبات وامر البعث والجزاء لا يقين به وانه بعيد كل البعد والتغامز تفاعل من الغمز و هو الاشارة بالجفن و الحاجب و يكون بمعنى العيب ايضا و فى التاج التغامز يكديكر رابچشم اشارت كردن (واذا انقلبوا) من مجالسهم (الى اهلهم) الى اهل بيتهم واصحابهم الجهلة الضالة التابعة لهم والانقلاب الانصراف والتحول والرجوع (انقلبوا) حال كونهم (فكهين) متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين و يكتفون حينئذ بالتغامز (واذا رأوهم) اى المجرمون المؤمنين انهم كانوا (قالوا) مشيرين الى المؤمنين بالتحقير (ان هؤلاء لضالون) اى نسبوا المسلمين ممن راوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد وقالوا تركوا دين آبائهم القديم ودخلوا فى الدين الحادث اوقالوا تركوا التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود اولا وهذا كما ان بعض غفلة العلماء ينسبون الفقراء السالكين الى الضلال والجنون خصوصا اذا كان اهل السلوك من اهل المدرسة فانهم يضللونها اكثر من تضليل غيره * منم كنى زعشق وى اى زاهد زمان * معذور دارمت كه تو وراند يده (وما ارسلوا) اى المجرمون (عليهم) اى على المسلمين (حافظين) حال من واوقالوا اى قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم امورهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وانما امروا باصلاح انفسهم واى نفع لهم فى تتبع احوال غيرهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترأ واعليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل نقلا له بالمعنى (فاليوم الذين آمنوا) اى المعهودون من الفقراء (من الكفار) المعهودين وهوالاظهر وان امكن التعميم من الجنسين (يضحكون) حين يرونهم اذلاء مغلولين وغشيهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبرورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه قال فى بعض التفاسير لعل الفاء جواب شرط مقدر كأنه قيل اذا عرفتم ما ذكر فاعلموا ان اليوم اى يوم القيامة فاللام للعهد والذين مبتدأ ومن الكفار متعلق بقوله يضحكون وحرام للوهم ان يتوهم كونه بيانا للموصول نظرا الى ظاهر الاتصال من غير تفكر فى المعنى ويضحكون خبر المبتدأ وهوناصب اليوم لصحة المعنى (على الارائك) برتختها اى آراسته بادرو ياقوت (ينظرون) اى يضحكون منهم حال كونهم ناظرين اليهم والى ما فيهم من سوء الحال فهو حال من فاعل يضحكون (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) كلام مستأنف من قبل الله اومن قبل الملائكة والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى يثوب عبر عنه بالماضى لتحققه والثوب والاثابة المجازاة استعمل فى المكافاة بالشر قال الراغب الاثابة تستعمل فى المحبوب نحو فاثابهم الله بما قالوا جنات وقد قيل ذلك فى المكروه نحو فاثابكم غما بغم على الاستعارة و الثوب فى القرآن لم يجئ الا فى المكروه نحو هل ثوب الخ انتهى و فى تاج المصادر الثوب پاداش دادن وفى تهذيب المصادر الثوب ثواب دادن وفى القاموس الثوب التعويض انتهى وهو الموافق لما فى التاج والمراد بما كانوا يفعلون استهزاؤهم بالمؤمنين وضحكهم منهم وهوصريح فى ان ضحك المؤمنين منهم فى الآخرة انما هو جزاء لضحك الكافرين منهم فى الدنيا وفيه تسلية للمؤمنين بانه سينقلب الحال و يكون الكفار مضحوكا منهم وتعظيم لهم فان اهانة الاعداء تعظيم للاولياء والله ينتقم لاوليائه من اعدائهم فانه يغضب لاوليائه كما يغضب الليث الجرى لجروه ومن الله العصمة وعلم منه ان الضحك والاستهزاء والسخرية والغمز من الكبائر فالخائض فيها من المجرمين الملحقين بالمشركين نسأل الله السلامة

تمت سورة المطففين بعون المعين فى السادس و العشرين من صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة والف

سورة الانشقاق خمس وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(اذا السماء انشقت) اعرابه كاعراب اذا السماء انفطرت اى انفتحت بغمام ابيض يخرج منها كقوله تعالى و يوم

تشقق السماء بالغمام والباء للآلة كما فى قولك انشقت الارض بالنبات وفى ذلك الغمام الملائكة ينزلون وفى ايديهم صحائف الاعمال اوفيه ملائكة العذاب وكان ذلك اشد وافظع من حيث انه جاء العذاب من موضع الخير فيكون انشقاق السماء لنزول الملائكة بالاوامر الالهية وقيل للسقوط والانتقاض وقيل لهول القيامة وكيف لاتنشق وهى فى قبضة قهره اقل من خردلة ولامنع من جميع هذه الاقوال فانها تنشق لهيبة الله فتنزل الملائكة ثم يؤل امرها الى الفساد والاختلال وعن علىّ رضى الله عنه تنشق من المجرة وهى بفتح الميم باب السماء اى البياض المستطيل فى وسط السماء سميت بذلك لانها كاثر المجر ويقال لها بالفارسية راه كاهيان وكهكشان تنشق السماء من ذلك الموضع كأنه مفصل ملتئم فتصدع منه (واذنت لربها) واستمعت اى انقادت واذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت قدرته وارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع فهو استعارة تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل يعنى اذا اطلق الاذن وهو الاستماع فى حق من له حاسة السمع والاستماع بها يراد بها الاجابة والانقياد مجازا واذا اطلق فى حق نحو السماء مما ليس فى شأنه الاستماع والقبول يكون استعارة تمثيلية فقوله انشقاطائعين يدل على نفوذ القدرة فى الايجاد والابداع من غير ممانعة اصلا وقوله واذنت لربها يدل على نفوذ القدرة فى التفريق والاعدام من غير ممانعة اصلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذا الانقياد عند ارباب الحقائق محمول على ان لها حياة وادراكا كسائر الحيوانات اذ ما من شئ الا وله نصيب من تجلى الاسم الحى وقد سبق مرارا (وحقت) من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به اى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد اذهى مربوبة ومصنوعة له تعالى اى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى بها كل مقدور ولايتخلف عنها امر من الامور وبالفارسية وخود آنرا چنين سزد فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررة لما قبلها لامعطوفة عليه (واذا الارض مدت) اى بسطت بازالة جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت كالصحيفة الملساء اوزيدت سعة وبسطة من احد وعشرين جزأ الى تسعة وتسعين جزأ لوقوف الخلائق عليها للحساب والا لم تسعهم من مده بمعنى امده اى زاد وفى الحديث اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الاديم حتى لايكون لبشر من الناس الا موضع قدميه يعنى لكثرة الخلائق فيها قوله مد الاديم لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وفى بعض الروايات مد الاديم العكاظى قال فى القاموس هو كغراب سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما تجتمع قبائل العرب فيتعاكظون اى يتفاخرون ويتناشدون ومنه الاديم العكاظى انتهى (والقت مافيها) اى رمت مافى جوفها من الموتى والكنوز الى ظاهرها كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وهو من الاسناد المجازى والا فالالقاء والاخراج لله تعالى حقيقة فان قلت اخراج الكنوز يكون وقت خروج الدجال لايوم القيامة قلت يوم القيامة وقت متسع يجوز اعتباره من وقت خروجه ولو مجازا لانه من اشراطه الكبرى فيكون اخراج الكنوز عند قرب الساعة واخراج الموتى عند البعث (وتخلت) وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كأنها تكلفت فى ذلك اقصى جهدها كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما فى الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما فى طبعهما (واذنت لربها) وانقادت له فى الالقاء والتخلى (وحقت) اى وهى حقيقة بذلك اى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية ذكره مرتين لان الاول متصل بالسماء والثانى بالارض واذا اتصل كل واحد بغير ما اتصل به الآخر لم يكن تكرارا وجواب اذا محذوف اى اذا وقعت هذه الامور كان من الاهوال ما تقصر عن بيانه العبارة وفى تفسير الكاشفى جواب اذا آنست كه بيند انسان ثواب وعقاب را وفيه اشارة الى انشقاق سماء الروح الحيوانية بانفراجها عن الروح الانسانى وزوالها وبسط ارض البدن بنزع الروح عنها والقاء مافيها من الروح والقوى وتخليها عن كل مافيها من الآثار والاعراض بالحياة والمزاج والتركيب والشكل بتبعية خلوها عن الروح وفى التأويلات النجمية يشير الى انشقاق سماء الروح عن ظلمة غيم النفس الامارة وانقيادها لفيض ربها بتهيئة الاستعداد بما يتصرف فيها من غير اباء وامتناع والى بسط ارض النفوس البشرية لاربابها وتخليها عن احكام البشرية (ياايها الانسان) جنس الانسان الشامل للمؤمن والكافر والعاصى فالخطاب عام لكل مكلف على سبيل البدل يقال هذا ابلغ من العموم لانه يقوم مقام التنصيص فى النداء على مخاطبة كل واحد بعينه كأنه قيل يافلان ويافلان الى غير ذلك (انك كادح الى ربك كدحا) الكدح جهد النفس فى العمل

والكدفيه بحيث يؤثرفيها والجهد بالفتح بمعنى المشقة والتعب والكد السعي الشديد فى العمل وطلب الكسب من كدح جلده اذا خدشه والمعنى انك جاهد وجد اى ساع باجتهاد ومشقة الى لقاء ربك اى الى وقت لقائه وهو الموت وما بعده من الاحوال الممثلة باللقاء مبالغ فى ذلك وفى الخبر انهم قالوا يارسول الله فيم نكدح وقد جفت الاقلام ومضت المقادير فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له (فلاقيه) فلاق له اى لجزاء عملك من خير وشر عقيب ذلك لامحالة من غير صارف يلويك عنه ولا مفر لك منه ويقال انك عامل لربك عملا فلاق عملك يوم القيامة يعنى ان جدك وسعيك الى مباشرة الاعمال فى الدنيا هو فى الحقيقة سعى الى لقاء جزائها فى العقبى فلاق ذلك الجزاء لامحالة فعليك ان تباشر فى الدنيا بما ينجيك فى العقبى واحذر عما يهلكك فيها وبوقعك فى الخجالة والافتضاح من سوء المعاملة وفى الحديث النادم ينتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم الى ما اسلف وقال القاشانى انك ساع بالموت اى تسير مع انفاسك سيرا حثيثا كما قيل انفاسك خطاك فلاقيه ضرورة فالضمير للرب وفى التأويلات النجمية يشير الى الانسان المخلوق على صورة ربه وكدحه واجتهاده فى التحقق بالاسماء الالهية والصفات اللاهوتية فهو ملاق فى ما يكدح ويجتهد بحسب استعداده الفطرى (فاما من) وهو المؤمن السعيد ومن موصولة وهو تفصيل لما اجمل فيما قبله (اوتى) اى يؤتى والماضى لتحققه (كتابه) المكتوب فيه اعماله التى كدح فى كسبها (بيمينه) لكون كدحه بالسعى فيما يكتبه كاتب اليمين والحكمة فى الكتاب ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصى وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه المطلعين عليه (فسوف) پس زود بود كه (يحاسب) يوم القيامة بعد مدة مقدرة على ما تقتضيه الحكمة (حسابا يسيرا) سهلا لامناقشة فيه ولا اعتراض بما يسوؤه ويشق عليه كما يناقش اصحاب الشمال والحساب بمعنى المحاسبة وهو بالفارسية باكسى شمار كردن والمراد عد اعمال العباد واظهارها للمجازاة وعن الصديقة رضى الله عنها هو اى الحساب اليسير ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه يعنى ان يعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لاشدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح * برادر زكار بدان شرم دار * كه در روى نيكان شوى شرمسار * بجاى كه دهشت خوردانبيا * توعذر كنه راچه دارى بيا * ولذا قال عليه السلام من نوقش فى الحساب فقد هلك اى دخل النار مع الداخلين وفى تفسير الفاتحة للمولى الفناري هو مثل عرض الجيش اعنى عرض الاعمال لانهازى اهل الموقف والله الملك فيعرفون بسيماهم كما يعرف الاجناد هنا بزيهم قالوا ان عصاة المؤمنين داخلة فى هذا القسم فقوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا من وصف الكل بوصف البعض اى فالعصاة وان لم يكن لهم حساب يسير بالنسبة الى المطيعين لكن حسابهم كالعرض بالنسبة الى مناقشة اصحاب الشمال فاصحاب اليمين شاملة لهم وقد يقال كتاب عصاة المؤمنين يعطى عند خروجهم من النار وقيل يجوز ان يعطوا من الشمال لامن وراء ظهورهم وفيه ان الاعطاء من الشمال ومن وراء الظهر امر واحد وقيل لم تتعرض الآية للعصاة الذين يدخلهم الله النار وهو الظاهر وقوله عليه السلام فى بعض صلاته اللهم حاسبنى حسابا يسيرا وان دل على ان للانبياء كتابا لكن الظاهر ارشاد الامة وتعليمهم والافهم معصومون داخلون الجنة بلا حساب ولا كتاب (وينقلب) اى يرجع وينصرف من مقام الحساب اليسير (الى اهله) اى عشيرته المؤمنين اوفريق المؤمنين هم رفقاؤه فى طريق السعادة والكرامة (مسرورا) مبتهجا بحاله وكونه من اهل النجاة قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه فهذا الانقلاب يكون فى المحشر قبل دخول الجنة لاكما قال فى عين المعانى من انه يدل على ان اهله يدخلون الجنة قبله وفيه اشارة الى كتاب الاستعداد الفطرى المكتوب فى ديوان الازل بقلم كتبة الاسماء الجمالية فان من اوتيه لاتناقشه الاسماء الجلالية وينقلب الى اهله مسرورا بفيض تجلى جماله ولطفه (واما من اوتى كتابه) تكرير كتابه بدون الاكتفاء بالاضمار لتغاير الكتابين وتخالفهما بالاشتمال والحكم فى المآل اى يؤتى كتاب عمله (وراء ظهره) اى بشماله من وراء ظهره وجانبه ظرف لاوتى مستعمل فى المكان وقال الكلبى يغل يمينه ثم تلوى يده اليسرى من ورائه فيعطى كتابه بشماله وهى خلف ظهره فلا مخالفة بين هذا وبين ما فى الحاقة حيث لم يذكر فيها الظهر بل اكتفى بالشمال قال الامام ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه

بشماله و بعضهم من وراء ظهره وفى تفسير الفاتحة للفنارى رحمه الله واما من اوتى كتابه بشماله وهو المنافق فان الكافر لا كتاب له اى لان كفره يكفيه فى المؤاخذة فلا حاجة الى الكتاب من حيث انهم ليسوا بمكلفين بالفروع واما من اوتى كتابه وراء ظهره فهم الذين اوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فاذا كان يوم القيامة قيل له خذه من وراء ظهرك اى من الموضع الذى نبذته فيه فى حياتك الدنيا فهو كتابه المنزل عليه لا كتاب الاعمال فانه حين نبذه وراء ظهره ظن ان لن يحور وقال ابو الليث فى البستان اختلف الناس فى الكفار هل يكون عليهم حفظة اولا قال بعضهم لا يكون عليهم حفظة لان امرهم ظاهر وعملهم واحد وقال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ولا تأخذ بهذا القول بل يكون للكفار حفظة والآية نزلت بذكر الحفظة فى شأن الكفار الا ترى الى قوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال فى آية اخرى واما من اوتى كتابه بشماله واما من اوتى كتابه وراء ظهره فاخبر ان الكفار يكون لهم كتاب وحفظة فان قيل فالذى يكتب عن يمينه اذا اى شئ يكتب ولم يكن لهم حسنة يقال له الذى عن شماله يكتب باذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وان لم يكتب (فسوف يدعو) پس زود باشد كه بخواند اى بعد مدة منتهية الى عذاب شديد لا يطاق عليه (ثبورا) اى يتمنى لنفسه الثبور وهو الهلاك و يدعوه يا ثبوراه تعال فهذا اوانك واني له ذلك يعنى لما كان ايتاء الكتاب من غير يمينه علامة كونه من اهل النار كان كلامه واثبوراه قال الفراء تقول العرب فلان يدعو لهفه اذا قال واهفاه قيل الثبور مشتق من المثابرة على الشئ وهو المواظبة عليه وسمى هلاك الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قال فى كشف الاسرار پيرى بوعلى سياه وقتى در بازار ميرفت سائلى مى گفت بحق روز بزرگ كه مرا چيزى بدهيد پيرازهوش برفت چون بهوش بازامد اورا گفتند اى شيخ ترا اين ساعت چه روى نمود گفت هيبت وعظمت آن روز بزرگ آنكه گفت واحزناه على قلة الحزن واحسرتاه على قلة التحسر يعنى وا اندوهاى آزبى آند وهى واحسرتا آزبى حسرتى (و يصلى سعيرا) اى يدخلها و يقاسى حرها وعذابها من غير حائل وهذا يدل على ان دعاءهم بالثبور قبل الصلى و به صرح الامام واما قوله تعالى فاذا القوا منها مكانا ضيقا دعوا هنالك ثبورا فيدل على انه بعده ولا منافاة فى الجمع فانهم يدعونه اولا وآخرا بل دائما على ان الواو لمطلق الجمع لا للترتيب وفيه اشارة الى صاحب كتاب الاستعداد الفطرى المكتوب فى ديوان الازل بقلم كتبة الاسماء الجلالية فانه يتمنى ان يكون فى الدنيا نائيا فى الحق وهالكا عن انانيته وانيته و يصلى نارا لرياضة والمجاهدة ووراء ظهره من الجزاء الوفاق لانه خالف امر ربه فى قوله وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها اى من غير مدخلها بمحافظة ظواهر الاعمال من غير رعاية حقوق بواطنها يتقوى الاحوال فسبب الوصول الى حضرة الربوبية والمدخل فيها هو التقوى وهو اسم جامع لكل بر من اعمال الظاهر واحوال الباطن والقيام باتباع الموافقات واجتناب المخالفات وقال القاشانى واما من اوتى كتابه وراء ظهره اى جهته التى تلى الظلمة من الروح الحيوانى والجسد فان وجه الانسان جهته التى الى الحق وخلفه جهته التى الى البدن الظلمانى بان رد الى الطلمات فى صور الحيوانات فسوف يدعو ثبورا لكونه فى ورطة هلاك الروح وعذاب الابد و يصلى سعيرا نار الآثار فى مهاوى الطبيعة (انه) اى لان فالجملة استئناف لبيان علة ما قبلها (كان) فى الدنيا (فى اهله) فيما بين اهله وعشيرته او معهم على انهم جميعا كانوا مسرورين كما يقال جاءنى فلان فى جماعة اى معهم (مسرورا) مترفا بطرا مستبشرا يعنى شادان ونازان بمال فانى و جاه ناپايدار ومحجوب از منعم بنعم كديدن الفجار الذى لا يخطر ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون فى العواقب كسنة الصلحاء والمتقين كما قال تعالى حكاية انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين والحاصل انه كان الكافر فى الدنيا فارغا عن هم الآخرة وكان له مزمار فى قلبه فجوزى بالغم الباقى بخلاف المؤمن فانه كان له نائحة فى قلبه فجوزى بالسرور الدائم وفيه اشارة ايضا الى الروح العلوى الذى يؤتى كتابه بيمينه والى النفس السفلية التى تؤتى كتابها من وراء ظهرها واهلها القوى الروحانية النورانية والقوى الجسمانية الظلمانية (انه ظن) تيقن كما فى تفسير الفاتحة للفنارى وقال فى فتح الرحمن الظن هنا على بابه بمعنى الحسبان لا الظن الذى بمعنى اليقين وهو تعليل لسروره فى الدنيا اى ان هذا الكافر ظن فى الدنيا (ان) اى ان الامر والشأن فهى مخففة من الثقيلة سادة مع ما فى حيزها مسد مفعولى الظن او احدهما على الخلاف

المعروف (لن يحور) لن يرجع الى الله تكذيبا للمعاد والحور الرجوع والمحار المرجع والمصير وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كنت ادرى ما معنى يحور حتى سمعت اعرابية تقول لبنية لها حوري حوري اى ارجعي وحر الى اهلك اى ارجع ومنه الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اى الرجوع عن حالة جيلة والحواري القصار لرجعه الثوب الى البياض (بلى) ايجاب لما بعد لن اى بلى ليحورن البتة وليس الامر كما يظن (ان ربه) الذى خلقه (كان به) و باعماله الموجبة للجزاء والجار متعلق بقوله (بصيرا) بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما اذ لا يجوز فى حكمته ان يهمله فلا يعاقبه على سوء اعماله وهذا زجر لجميع المكلفين عن المعاصى كلها وقال الواسطى رحمه الله كان بصيرا به اذ خلقه لما خلقه ولاى شئ اوجده وما قدر عليه من السعادة او الشقاوة وما كتب له وعليه من اجله ورزقه (فلا) كلمة لا صلة للتوكيد كما مر مرارا (اقسم بالشفق) هى الحمرة التى تشاهد فى افق المغرب بعد الغروب و بغيبوبتها يخرج وقت المغرب و يدخل وقت العشاء عند عامة العلماء او البياض الذى يليها ولا يدخل وقت العشاء الا بزواله وجمعى برآنند كه آن بياض اصلا غائب نمى شود بلكه متردد ست ازافقى بافقى وقد سبق تحقيق المقام فى المزمل وهى احدى روايتين عن ابى حنيفة رضى الله عنه و يروى انه رجع عن هذا القول ومن ثمة كان يفتى بالاول الذى هو قول الامامين وغيرهما سمى به يعنى على كل من المعنيين لرقته لكن مناسبته لمعنى البياض اكثر وهو من الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب ولا شك ان الشمس اعنى ضوءها يأخذ فى الرقة والضعف من غيبة الشمس الى ان يستولى سواد الليل على الآفاق كلها وعن عكرمة ومجاهد الشفق هو النهار بناء على ان الشفق هو اثر الشمس وهو كوكب نهارى واثره هو النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والآخر سكن و بهما قوام امور العالم وفى المفردات الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس قال القاشانى فلا اقسم بالشفق اى النورية الباقية من الفطرة الانسانية بعد غرو بها واحتجابها فى افق البدن المزوجة بظلمة النفس عظمها بالاقسام بها لامكان كسب الكمال والترقى فى الدرجات بها وفى التأو يلات النجمية يشير الى ان الله تعالى اقسم بالشفق لكونه مظهر الوحدة الحقيقية الذاتية والكثرة النسبية الاسمائية وذلك لان الشفق حقيقة برزخية بين سواد الليل الوحدة و بياض نهار الكثرة والبرزخ بين الشيئين لا بد له من قوة كل واحد منهما فيكون جامعا لحكم الوحدة والكثرة فحق له ان يقسم به وانما جعل الليل مظهر الوحدة لاستهلاك الاشياء المحسوسة فيه استهلاك التعينات فى حقيقة الوحدة و يدل عليه قوله وجعلنا الليل لباسا لاستتار الاشياء بظلمته وجعلنا النهار معاشا مظهر الكثرة لظهور الاشياء فيه ولاشتمال المعاش على الامور الكثيرة (والليل وما وسق) قال الراغب الوسق جمع المتفرق اى واقسم بالليل وما جمعه وما ضمه وستره بظلمته فاموصولة يقال وسقه فاتسق واستوسق يعنى ان كلا منهما مطاوع لوسق اى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل و يأوى الى مكانه من الدواب والحشرات والهوام والسباع وذلك انه اذا اقبل الليل اقبل كل شئ الى مأواه مما كان منتشرا بالنهار وقيل يجوز ان يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين بالليل لانه تعالى قد مدح المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يقسم بهم قال القاشانى اى ليل ظلمة البدن وما جمعه من القوى والآلات والاستعدادات التى يمكن بها اكتساب العلوم والفضائل والترقى فى المقامات ونيل المواهب والكمالات وفى التأو يلات النجمية يشير الى القسم بليل النفس المطمئنة المستترة بغلسية النفس الامارة بعد الوصول الى المقام المأمول وانما صارت مطمئنة من الرجوع الى حكم النفس الامارة و بقاؤها التلوين فى التمكين من اوصاف الكمل من الذرية المحمديين ولهذا امرت بالرجوع الى ربها بقوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك وليس المقصود الذاتى من الرجوع نفس الرجوع بل المقصود الكلى هو الاتصال بالمرجوع اليه قوله وما وسق اى وما جمع من القوى الروحانية المستخلصة من يد تصرف النفس الامارة (والقمر اذا اتسق) اى اجتمع وتم بدر الليلة اربع عشرة وفى فتح الرحمن امتلأ فى الليالى البيض يقال امور فلان متسقة اى مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة قال فى القاموس وسقه يسقه جمعه وحمله ومنه والليل وما وسق واتسق انتظم انتهى اقسم الله بهذه الاشياء لان فى كل منها تحولا من حال الى حال فناسبت المقسم عليها يعنى ان الله تعالى اقسم بتغيرات واقعة فى الافلاك والعناصر على تغير احوال الخلق فان الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير

احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله والقمر اذا اتسق فانه يدل على حصول كمال القمر بعد ان كان ناقصا قال القاشانى اى نور القلب الصافى عن خسوف النفس اذا اجتمع وتم نوره وصار كاملا وفى التأويلات النجمية يشير الى القسم بقمر قلب العارف المحقق عند استدارته وبدريته (لتركبن طبقا) مفعول تركبن (عن طبق) اى لتلاقن حالا بعد حال يعنى برسيد ومتلاقى شويد حالى را بعد ازحالى كه كل واحدة منها مطابقة لاختها فى الشدة والفظاعة يقال ماهذا بطبق هذا اى لايطابقه قال الراغب المطابقة من الاسماء المتضايفة وهوان يجعل الشئ فوق آخر بقدره ومنه طابقت النعل بالنعل ثم يستعمل الطباق فى الشئ الذى يكون فوق الآخر تارة وفيما يوافق غيره اخرى وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهوالاوفق للركوب المبنئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات فى الشدة بعضها ارفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها الى حين المستقر فى احدى الدارين وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لاباعتبار شموله لافراده ك القراءة الاولى ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا الطبق اوحال من الضمير فى لتركبن طبقا اى مجاوزين لطبق اومجاوزا على حسب القراءة فعن على معناه المشهور وهو المجاوزة وتفسيره بكلمة بعد بيان لحاصل المعنى وقال ابن الشيخ عن هنا بمعنى بعد لان الانسان اذا صار الى شئ مجاوزا عن شئ آخر فقد صار الى الثانى بعد الاول فصح انه يستعمل فيه بعد وعن معا وايضا لفظ عن يفيد البعد والمجاوزة فكان مشابها للفظ بعد فصح استعمال احدهما بمعنى الآخر وفى التأويلات النجمية يخاطب القلب الانسانى المتوجه الى الله بانواع الرياضات واصناف المجاهدات والتقلبات فى الاحوال المطابقة كل واحدة منها الاخرى فى الشدة والمشقة من الجوع والسهر والصمت والعزلة وامثال ذلك (فمالهم لايؤمنون) اى اذا كان حالهم يوم القيامة كماذكر فاى شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين اى اى شئ يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وفيه اشارة الى النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية وعدم ايمانهم بالقلب وامتثالهم امره باتباع احكام الشريعة وآداب الطريقة وآثار الحقيقة (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ماقبلها اى اى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة النبى عليه السلام اوواحد من اصحابه وامته القرآن فانهم من اهل اللسان فيجب عليهم ان يجزموا باعجاز القرآن عند سماعه وبكونه كلاما الهيا ويعلموا بذلك صدق محمد فى دعوى النبوة فيطيعوه فى جميع الاوامر والنواهى ويجوز ان يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجدة على ان يكون المراد بالقرأن آية السجدة بخصوصها لامطلق القرآن كماروى انه عليه السلام قرأ ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر استهزاء وبه احتج ابوحنيفة على وجوب السجدة فان الذم على ترك الشئ يدل على وجوب ذلك وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله عليه السلام سجد فيها وكذا الخلفاء وهى الثالثة عشرة من اربع عشرة سجدة تجب عندها السجدة عندائمتنا على التالى والسامع سواء قصده ام لا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى المفصل سجدة وكذا قال الحسن هى غير واجبة ثم ان الائمة الثلاثة يسجدون عند قوله لايسجدون والامام مالك عند آخر السورة وفى التأويلات النجمية واذا قرئ على النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية المواعظ الالهية القرآنية المنزلة على رسول القلب لايخضعون ولاينقادون لاستماعها وامتثال اوامرها واثمار احكامها (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بماذكر من احوال القيامة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لايخضعون عند تلاوته وهذا من وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بماهو العلة فى عدم خضوعهم للقرآن وفى البروج فى تكذيب لانه راعى فى السورتين فواصل الآى مع صحة اللفظ وجودة المعنى وفى بعض التفاسير الظاهر ان المراد التكذيب بالقلب بمعنى عدم التصديق وهواضراب ترقى فان عدم الايمان يكون بالشك ايضا والتكذيب من شدة الكفر وقوة الانكار الحاملة على الاضراب (والله اعلم بما يوعون) بما يضمرونه فى قلوبهم ويجمعونه فى صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء فيجازيهم على ذلك فى الدنيا والآخرة فما موصولة يقال اوعيت الشئ اى جعلته فى وعاء اى ظرف ثم استعير هو والوعى لمعنى الحفظ او بما يجمعونه فى صحفهم من اعمال السوء ويدخرونه لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا تفصيليا قال القاشانى بمايوعونه فى وعاء انفسهم وبواطنهم

من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الفاسقة وقال نجم الدين من اغراقهم فى بحر الشهوات الدنيوية واحراقهم بنيران العذاب الاخروية (فبشرهم) اى الذين كفروا (بعذاب اليم) مؤلم غاية الايلام لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما وهو استهزاء بهم وتهكم كما قال تعالى الله يستهزئ بهم لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت فى الخبر المؤلم (قال الكاشفى) يعنى خبر كن ايشانرا بعذاب دردناك وفيه رمز الى تبشير المؤمنين بالثواب المريح راحة جسمانية وروحانية لان التخصيص ليس بضائع ولذلك قال تعالى (الاالذين) استثناء منقطع من الضمير المنصوب فى فبشرهم الراجع الى الذين كفروا والمستثنى وهم المؤمنون خارج عنهم اى لكن الذين (آمنوا) ايمانا صادقا وايضا الايمان العلمى بتصفية قلوبهم عن كدر صفات النفس (وعملوا الصالحات) من الطاعات المأمور بها وايضا باكتساب الفضائل (لهم) فى الآخرة (اجر غير ممنون) اى غير مقطوع بل متصل دائم من منه منا بمعنى قطعه قطعا اومنون به عليهم فان المنة تكدر النعمة من من عليه منة والاول هو الظاهر ولعل المراد من الثانى تحقيق الاجر وان المأجور استحق الاجر بعمله اطاعة لربه وان كان ذلك الاستحقاق من فضل الله كما ان اعطاء القدرة على العمل والهداية اليه من فضله ايضا حسن بصرى قدس سره كفت كسانى رايافتم كه ايشان بدنيا جوانمرد وسخى بودند همه دنيا بداد ندى ومنت ننهادند وبوقت خويش چنان بخيل بودند كه يك نفس ازرز كار خويش نه به پدر دادندى ونه بفرزند قال القاشانى لهم اجر من ثواب الآثار والصفات فى جنة النفس والقلب غير مقطوع لبراءته من الكون والفساد وتجرده عن المواد وفى التأويلات النجمية الاالذين آمنوا من الروح والسر والقلب وقواهم الروحانية وعملوا الصالحات من الاعراض عن الدنيا والاقبال على الله لهم اجر غير ممنون بمنة نفسهم واجتهادهم واكتسابهم بل بفضل الله ورحمته * قال بعض العلماء النكتة فى ترتيب السور الثلاث ان فى انفطرت التعريف بالحفظة الكاتبين وفى المطففين التعريف بمستقر تلك الكتب وفى هذه السورة اى الانشقاق ايتاؤها يوم القيامة عند العرض والله تعالى اعلم

(تمت سورة الانشقاق بعون الملك الخلاق فى سلخ صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة والف)

(سورة البروج ثنتان وعشرون آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء) كل جرم علوى فهو سماء فدخل فيه العرش (ذات البروج) جمع برج بمعنى القصر بالفارسية كوشك والمراد البروج الاثنا عشر التى فى الفلك الاعلى فالمراد بالسماء فلك الافلاك قال سعدى المفتى لكن المعهود فى لسان الشرع اطلاق العرش عليه دون السماء ويجوز ان يراد الفلك الاقرب الينا فالآية كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح انتهى وجوابه ما اشرنا اليه فى عنوان السماء ثم انها شبهت بروج السماء بالقصور التى تنزل فيها الاكابر والاشراف لانها منازل السيارات ومقر الثوابت قال الامام السهيلى رحمه الله اسماء البروج الحمل وبه يبدأ لان استدارة الافلاك كان مبدأها من برج الحمل فيما ذكروا وفى شهر هذا البرج نيسان حيث تم العشرون منه كان مولد النبى عليه السلام وكان مولده عند طلوع الغفر وهو بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء منزل للقمر ثلاثة انجم صغار والغفر يطلع فى ذلك الشهر اول الليل لان وقته النطح وهو الشرطان بالمعجمة وبفتحتين وهما نجمان من الحمل هما قرناه والى جنب الجنوبى منهما وفى القاموس والى جانب الشمالى منهما كوكب صغير ومنهم من يعده معهما فيقول هذا المنزل ثلاثة كواكب ويسميها الاشراط والى الحمل ايضا يضاف البطين وهو كزبير منزل للقمر ثلاثة كواكب صغار كانها اثافى وهو بطن الحمل وبعد الحمل الثور ثم الجوزاء ويقال لها السمر والجبار والتوأمان قال فى القاموس التوأم منزل للجوزاء انتهى وهامة الجوزاء الهقعة وهى ثلاثة كواكب فوق منكبى الجوزاء كالاثافى اذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف ثم السرطان بالمهملة ثم الاسد ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب وبين الزبانيين من العقرب وهما قرناها وكوكبان نيران فى قرنى العقرب كما فى القاموس وبين وركى الاسد ورجليه لواوهما السماك كتكاب يطلع الغفر الذى به مولد الانبياء عليهم السلام وفيه قالوا

خير المنازل فى الابد * بين الزبانى والاسد

نه يليه من الاسد ذنبه ولا ضرر فيه ومن العقرب زبانياها ولا ضرر فيهما وانما تضر بذنبها اذا شالته اى رفعته

قد حبست الناس اى على اسد اوحية يقال لها بالفارسية اژدر فقال اى الغلام اليوم اعلم الساحر افضل ام الراهب افضل فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال الراهب اى بنى انت اليوم افضل منى قد بلغ من امرك ما ادرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علىّ وكان الغلام يبرئ الاكمه وهو الذى ولد اعمى والابرص ويداوى الناس بسائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك اجمع ان انت شفيتنى قال انى لا اشفى احدا انما يشفى الله فان آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال الملك من رد عليك بصرك قال ربى فقال اولك رب غيرى قال ربى وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجئ بالغلام فقال له الملك اى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ به الاكمه والابرص وتفعل وتفعل يعنى تداوى مرضا كذا وتداوى كذا فقال اى الغلام انى لا اشفى احدا انما يشفى الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجئ بالراهب فقيل ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بالغلام فقيل ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اى الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت يعنى ادفع عنى شرهم باى سبب شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور اى سفينة صغيرة فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة اى مالت وانقلبت فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد اى ارض بارزة وتصلبنى على جذع ثم خذ سهما من كنانتى وهى التى يجعل فيها السهام ثم ضع السهم فى كبد القوس وهو مقبضها عند الرمى ثم قل بسم الله رب الغلام ففعل كما قال الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه وهو ما بين العين والاذن فوضع يده على صدغه فى موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فاتى الملك فقيل له يعنى اتى الملك آت فقال ارأيت ما كنت تحذر والله قد نزل بك حذرك اى والله قد نزل بى ما كنت تحذر منه وتخاف قد آمن الناس فامر بالاخدود اى بحفر شق مستطيل فى افواه السكك اى فى ابواب الطرق فخدت اى شقت واضرم النيران اى اوقدها واشعلها وقال من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها اى فاطرحوه فيها كرها ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى رضيع لها فتقاعست اى تأخرت ان تقع فيها فقال لها الغلام يا اماه اصبرى فانك على الحق وفى بعض الروايات كان للمرأة ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعى عن دينك والا القيتك واولادك فى النار فابت فاخذ ابنها الاكبر فالقاه فى النار ثم قال لها ارجعى عن دينك فابت فالقى ابنها الاوسط ثم قال ارجعى عن دينك فابت فاخذوا الصبى ليلقوه فيها فهمت بالرجوع فقال الصبى يا اماه لا ترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك وفى كشف الاسرار فان بين يديك نارا لا تطفأ فالقى الصبى فى النار واعد على اثره وكان هو ممن تكلم فى المهد وهو رضيع وقد سبق عددهم فى سورة يوسف وكانت هذه القصة قبل مولده عليه السلام بتسعين سنة وفيما ذكر من الحديث اثبات كرامات الاولياء وجواز الكذب عند خوف الهلاك سواء كان المهالك هو الكاذب او غيره وروى ان خربة احتفرت فى زمن عمر بن الخطاب فوجد الغلام الذى قتله الملك واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وفى بعض التفاسير فوجدوا عبد الله بن الثامر واضعا اصبعه على صدغه فى رأسه اذا اميطت يده عنها سال دمه واذا تركت على حالها انقطع وفى يده خاتم من حديد فيه ربى الله فكتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب بان يواروه ويعيدوا التراب عليه وفى بعض التفاسير فكتب اليهم عمر رضى الله عنه ان ذلك الغلام صاحب الاخدود فاتركوه على حاله حتى يبعثه الله يوم القيامة على حاله وعن على رضى الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فامرته ان يخطب الناس فيقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم يخطبهم بعد ذلك ويقول ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فامرته بالاخاديد واباقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين اراد هم تعالى بقوله قتل

اصحاب الاخدود (النار) بدل اشتمال من الاخدود لان الاخدود مشتمل على النار وهو بها يكون مهيبا مشتد الهول والتقدير النار فيه اوافيم ال مقام الضمير على اختلاف مذهبي اهل البصرة والكوفة (ذات الوقود) خداوند آتش باهيمه يعنى افروخته بهيزم وهو بفتح الواو ما يوقد به وفيه وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس على ما يدل عليه التعريف الاستغراقى ولو لم يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف اذ من المعلوم ان النار لا تخلو من حطب (اذ هم عليها قعود) ظرف لقتل والضمير لاصحاب الاخدود وقعود جمع قاعد اى لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولها فى مكان مشرف عليها من حافات الاخدود ولفظ على مشعر بذلك تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يقرب منه وفى بعض التفاسير على سرر وكراسى قعود عند النار ولو قعدوا على نفس النار لاحترقوا فالقاتلون كانوا جالسين فى مكان مشرف او نحوه و يعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان يصر القوه فى النار واحرقوه وكان عليه السلام اذا ذكر اصحاب الاخدود تعوذ بالله من جهد البلاء وهو الحالة التى يختار عليها الموت او كثرة العيال والفقر كما فى القاموس والجهد بالفتح المشقة وجهد عيشه كفرح نكد واشتد (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) جمع شاهد اى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امره وفوض اليه من التعذيب بالاحراق من غير ترحم واشفاق او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يعنى تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون هذا هو الذى يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد ذهب بعضهم الى ان الجبابرة لما القوا المؤمنين فى النار وهم قعود حولها علقت بهم النار وفى رواية ارتفعت فوقهم اربعين ذراعا فوقعت عليهم فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين سالمين ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وقبض الله ارواحهم قبل ان تمسهم النار كما فعل ذلك بآسية امرأة فرعون على ما سبق وعلى ذلك حملوا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق اى لهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا وفيه اشارة الى النفوس المتمردة الشاردة النافرة عن جناب الحق المستحقة لاحاديد النيران والخذلان والخسران الموقدة باحطاب اخلاقهم الرديئة المؤصدة باحجار اوصافهم الخبيثة النفسية الهوائية اذ هم عليها قعود بارتكابهم الشهوات وانكبابهم على اللذات والنفس والهوى وقواهم الطبيعية يشهد بعضهم على بعض بما يفعلون بمؤمنى الروح والسر والقلب من المخالفة والمجادلة والمخاصمة (وما نقموا منهم) اى وما انكروا من المؤمنين وما عابوا يقال نقم الامر اذا عابه وكرهه وفى المفردات نقمت الشئ اذا انكرته اما باللسان واما بالعقوبة (الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد) قال بلفظ المضارع مع ان الايمان وجد منهم فى الماضى لارادة الاستمرار والدوام عليه فانهم ما عذبوهم لايمانهم فى الماضى بل لدوامهم عليه فى الآتى ولو كفروا فى المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكأنه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم واما قوله تعالى حكاية وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا فلان مجرد ايمان السحرة بموسى عليه السلام كان منكرا واجب الانتقام عندهم والاستثناء مفرغ مفصح عن براءتهم مما يعاب و ينكر بالكلية على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم * تلام بنسيان الاحبة والوطن

فى ان ما انكروه ليس منكرا فى الواقع وغير حقيق بالانكار كما ان ما جعله الشاعر عيبا ليس عيبا ولا ينبغى ان يعد عيبا ولا يضر ذلك كون الاستثناء فى قول الشاعر مبنيا على الادعاء بخلاف ما فى نظم القرآن فانهم انكروا الايمان حقيقة و وصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله (الذى له ملك السموات والارض) للاشعار بمناط ايمانهم والملك بالفارسية پادشاهى وأخر هذه الصفة لان الملك التام لا يحصل الا عند حصول الكمال فى القدرة التى دل عليها العزيز وفى العلم الذى دل عليه الحميد لان من لا يكون تام العلم لا يمكنه ان يفعل الافعال الحميدة وفى كشف الاسرار وانما وصف ذاته بهذه الصفات ليعلم انه لم يمهل الكفار لاجل انه غير قادر لكنه اراد ان يبلغ بهؤلاء المؤمنين مبلغا من الثواب لم يكونوا يبلغونه الا بمثل ذلك الصبر وان يعاقب اولئك الكافرين عقابا لم يكونوا يستوجبونه الا بمثل ذلك الفعل وكان قد جرى بذلك قضاؤه على الفريقين جميعا فى سابق تدبيره وعلمه وفيه تشنيع على الكفار بغاية جهلهم

وهو الشولة فى المنازل اى ماتشول العقرب من ذنبها وكوكبان نيران يتزلهما القمر يقال لهما حمة العقرب ثم القوس ثم الجدى ثم الدلو ثم رشاء الدلو وهو منزل للقمر وهو الحوت يحسب فى البروج وفى المنازل وجعل الله الشهور على عدد هذه البروج فقال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال فى كشف الاسرار واين برجها برچهار فصل است يك فصل ازان وقت بهار است سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه درحمل وثور وجوزا باشد وفصل دوم روزكار صيف است تابستان كرم سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه درسرطان واسد وسنبله باشد وفصل سوم روزكار خريف است سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه درميزان وعقرب وقوس باشد وفصل چهارم روزكار زمستانست سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در جدى ودلو وحوت باشد وهر فصلى راطبعى ديگرست وكردش اوديگر يقول الفقير ايده الله القدير الفصل الربيعى عبارة عن ثلاثة اشهر يعبر عن اولها بآزار وعن الثانى بنيسان وعن الثالث بايار فاذا مضت سبع عشرة ليلة من الشهر الاول استوى الليل والنهار بان يكون كل منهما ثنتى عشرة ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبعة عشر يوما من حزيران وهو اول فصل الصيف و بعده تموز ثم اغستوس يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات و يكون اليوم اطول الايام كما ان الليلة تكون اقصر الليالى ثم يأخذ الليل من النهار على عكس ماسبق فينتقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبعة عشر يوما من ايلول وهو اول فصل الخريف و بعده تشرين الاول الذى هو اوسط الخريف ثم تشرين الثانى الذى هو آخره استوى الليل والنهار ايضا ثم يتزايد الليل كل يوم شعيرة حتى اذا كان سبعة عشر يوما من كانون الاول وهو اول فصل الشتاء و بعده كانون الثانى ثم شباط ينتهى طول الليل بان يكون خمس عشر ساعة وقصر النهار بان يكون تسع ساعات فهذا الحساب يعود و يدور ابدا الى ساعة القيام فالله تعالى يولج الليل فى النهار اى يدخله فيه بان ينقص من ساعات الليل و يزيد فى ساعات النهار وذلك اذا مضى من كانون الاول سبعة عشر يوما الى ان يمضى من حزيران هذا العدد وذلك ستة اشهر وهى كانون الاول وكانون الثانى وشباط و ازار ونيسان وايار و يولج الليل اى يدخله فيه بان ينقص من ساعات النهار و يزيد فى ساعات الليل وذلك ستة اشهر ايضا وهى حزيران وتموز واغستوس وايلول وتشرين الاول وتشرين الثانى وهذا كله بتقدير العزيز العليم وادارته الاجرام العلوية على نهج مستقيم و يقال المراد بالبروج هى النجوم التى هى منازل القمر وهى ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لايتخطاها ولايتقصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله دق واستقوس و يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم مبنى على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها ولظورها ايضا بالنسبة الى بعض الناس كالعرب لان البرج بنيء عن الظهور مع الاشتمال على المحاسن يقال تبرجت المرأة اى تشبهت بالبرج فى اظهار المحاسن واما البروج الاثنا عشر فليس لها ظهور حيث لاتدرك حسا والبروج الاثنا عشر منقسمة الى هذه المنازل الثمانية والعشرين والشمس تسير فى تمام هذه البروج الاثنى عشر فى كل سنة والقمر فى كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فاقسم الله تعالى بها اظهارا لقدرها وشرفها وفيه اشارة الى الروح الانسانى ذات المقامات فى الترقى والدرجات (واليوم الموعود) اى يوم القيامة اقسم الله تعالى به تنبيها على قدره وعظمه ايضا من حيث كونه يوم الفصل والجزاء و يوما تفرد الله بالملك والحكم فيه وفيه اشارة الى آخر درجات الروح من كشف التوحيد الذاتى وهى القيامة الكبرى (وشاهد ومشهود) اى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الاولين والآخرين والانس والجن والملائكة والانبياء ومايحضر فيه من العجائب فالشاهد بمعنى الحاضر من الشهود بمعنى الحضور لابمعنى الشاهد الذى تثبت به الدعاوى والحقوق وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لايكتنه وصفهما و يقال المشهود يوم الجمعة والشاهد من يحضره من المسلمين للصلاة ولذكر الله ماطلعت شمس ولاغربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لايوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيرا الا استجاب له ولايستعيذه من سوء الا اعاذه منه وفى الحديث اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهد الملائكة و يقال المشهود يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لامر الحج وعددهم هفت صد هزار كما فى كشف الاسرار و يقال الشاهد كل يوم والمشهود اهله فيكون المشهود بمعنى المشهود عليه والشاهد من الشهادة كما قال الحسن البصرى رحمه الله ما من يوم

الاو ينادى انى يوم جديد وانى على مايفعل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة * دريغا كه بگذشت عمر عزيز * بخواهد گذشت اين دمى چند نيز * گذشت آنچه در ناصوابى گذشت * دراين نيز هم درنيابى گذشت * ويقال الشاهد هوالحق من حيث الجمعية والمشهود هوايضا من حيث التفرقة وان شئت قلت من حيث الاجمال ومن حيث التفصيل لايراه بالحقيقة احد الاهو ويقال الشاهد نفس الروح والمشهود نفس الطبع وقال الحسين رحمه الله فى هذه الآية انه ما انفصل الكون عن المكون ولاقارنه (قتل اصحاب الاخدود) جواب القسم بحذف اللام المؤكدة على انه خبر لادعاء يعنى لقد قتل اى اهلك بغضب الله ولعنته والاظهر ان الجملة دعائية دالة على الجواب لاخبرية والقتل كناية عن اللعن من حيث ان القتل لكونه اغلظ العقوبات لايقع الاعن سخط عظيم يوجب الابعاد عن الخير والرحمة الذى هو معنى اللعن فكان اقتل من لوازم اللعن كأنه قيل اقسم بهذه الاشياء ان كفرة مكة ملعونون كالعن اصحاب الاخدود وجه الاظهر يدان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوابهم ويصبروا على ماكانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ماقد قيل فيهم فظهر من هذا التقرير انه ليس دعاء على اصحاب الاخدود من قبل المقسم وهو الله تعالى لانه ليس بعاجز وقد سبق تحقيقه فى سورة عبس ونحوها والاخدود الحد فى الارض وهو شق مستطيل كالنهر غامض اى عميق القرار واصل ذلك من خدى الانسان وهما ماا كتنفا الانف عن اليمين والشمال وفى عين المعانى ومنه الخد لجارى الدموع عليه واصحاب الاخدود كانوا ثلاثة وهم انطيانوس الرومى بالشأم وبخت نصر بفارس ويوسف ذونواس بنجران وهو بتقديم النون وتأخير الجيم موضع باليمن فتح سنة عشر سمى بنجران بن زيدان بن سبأ شق كل واحد منهم شقا عظيما فى الارض كان طوله اربعين ذراعا وعرضه اثنى عشر ذراعا وهو الاخدود وملأه نارا والقوا فيه من لم يرتد عن دينه من المؤمنين قالوا والقرآن انما نزل فى الدين بنجران يعنى ان اصحاب الاخدود هم ذونواس الحميرى اليهودى وجنوده وذلك ان عبدا صالحا يقال له عبدالله بن الثامر وقع الى نجران وكان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذونواس بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فحفر الخدود واضرم فيها النيران فجعل يلقى فيها كل من اتبع ابن الثامر حتى احرق نحوا من اثنى عشر الفا اوعشرين الفا او سبعين الفا وذونواس اسمه ذرعة بن حسان ملك حمير وما حولها وكان ايضا يسمى يوسف وكانت له غدائر من شعر اى ذوائب تنوس اى تضطرب فسمى ذانواس (روى) انه افلت من اهل نجران رجل اسمه دوس ذو ثعلبان ووجد انجيلا محترقا بعضه فاتى به ملك الحبشة وكان نصرانيا فقال ان اهل دينك اوقدت لهم نارا فاحرقوا بها واحرقت كتبهم وهذا بعضها فاراه الذى جاءبه ففزع لذلك فكتب الى صاحب الروم يستمده بنجارين يعلمون له السفن فبعث اليه صاحب الروم من عمل له السفن فركبوا فيها فخرجوا الى ساحل اليمن فخرج اليهم اهل اليمن فلقوهم بتهامة واقتتلوا فلم يرملك حمير لهم طاقة وتخوف ان يأخذوه فضرب فرسه حتى وقع فى الحرب فمات فيه او القى نفسه فى البحر فاستولى الحبشة على حمير وما حولها وتملكوا وبقى الملك لهم الى وقت الاسلام وقال فى كشف الاسرار اصحاب الاخدود ايشان بت پرستان بوده اند از اصحاب ذونواس يمنى ودر زمان او ساحرى بود كاهن ومشعبذ كه مدار ملك بدو بودى چون بسن شيخوخه رسيد بعرض ملك رسانيده كه من پير شده ام وضعف كلى بقواى من راه يافته * ديده ازهر شعاع تيره شود * كوش وقت سماع خيره شود * نه زبانرا مجال گويايى * نه تن خسته را توانايى * صلاح در آنست كه جوان عاقل تيز فهم بمن سپارند انچه دانسته ام بوى آموزم وبعد ازمن خلفى باشد كه امور ملك بوى منتظم تواند بود كما جاء فى حديث المشارق كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر بكسر الباء اى شاخ وطعن فى السن قال للملك انى كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه فكان فى طريقه اذا سلك اى الغلام راهب فقعد اليه اى متوجها الى الراهب وسمع كلامه فاعجبه اى اعجب كلام الراهب ذلك الغلام فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه اى ضرب الساحر الغلام لمكثه فشكا ذلك الى الراهب فقال اى الراهب للغلام اذا خشيت الساحر فقل حبسنى اهلى اى منعونى واذا خشيت اهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة

حيث عدوا ماهو منقبة هى سبب المدح منقصة هى سبب القدح (والله على كل شئ شهيد) وخدا برهمه چيزها ازافعال واقوال مؤمن وكافر كواهست و بآن دانا وهووعدلهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التى من جملتها اعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل منهما حتما قال الامام القشيرى الشهيد العليم ومنه قوله تعالى شهد الله اى علم الله والشهيد الحاضر وحضوره بمعنى علمه ورؤيته وقدرته والشهيد مبالغة من الشاهد واذا علم العبد ان الله تعالى شهيد يعلم افعاله و يرى احواله سهل عليه مايقاسيه لاجله (حكى) ان رجلا كان يضرب بالسياط وهو بصير ولا يصيح فقال له بعض الحاضرين امايؤلمك الضرب فقال نعم قال فلم لا تصيح قال فى الحاضرين لى محبوب يرقبنى فاخاف ان يذهب ماء وجهى عنده ان صحت فمن ادعى محبة الحق ولم يصبر على قرص نملة او بعوضة او ادنى اذية كيف يكون صادقا فى دعواه ولذا قالوا دلت القصة على ان المكره على الكفر بنوع من العذاب الاولى ان يصبر على ماخوف منه وان كان اظهار الكفر كالرخصة فى ذلك (حكى) ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من اصحاب النبى عليه السلام فقال لاحدهما تشهد انى رسول الله فقال نعم فتركه وقال للآخر مثله فقال لا بل انت كذاب فقتله فقال النبى عليه السلام اما الذى تركه فاخذ بالرخصة فلا تبعة عليه واما الذى صبر فاخذ بالفضل فهنيئا له وفى التأويلات النجمية والله على كل شئ من سموات الارواح وارض الاشباح والاجساد شهيد اى حاضر لمظهرية الكل وظهوره فيها ذاتا وصفات واسماء لاستلزام الذات جميع التوابع الوجودية (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) الفتن الاحراق والفتنة بالفارسية آزمون اى محنوهم فى دينهم وآذوهم وعذبوهم باى عذاب كان ليرجعوا عنه كاصحاب الاخدود ونحوهم كاروى ان قريشا كانوا يعذبون بلالا ونحوه فالموصول للجنس وانما لم يدفع البلاء قبل الابتلاء لان اهل الولاء لا يخلو عن البلاء

وهيهات هيهات الصفاء لعاشق * وجنة عدن بالمكاره حفت

(ثم) اى بعد مافعلوا مافعلوا من الفتنة (لم يتوبوا) اى عن كفرهم وفتنتهم فان ماذكر من الفتنة فى الدين لا يتصور من دين الكافر قطعا وفى ايراد ثم اشعار بكمال حلمه وكرمه حيث لا يعجل فى القهر و يقبل التوبة وان طالت مدة الحوبة قال الامام وذلك يدل على ان توبة القاتل عمدا مقبولة (فلهم) فى الآخرة بسبب كفرهم (عذاب جهنم) يعذبون به ابدا (ولهم) بسبب فتنتهم للمؤمنين (عذاب الحريق) اى عذاب عظيم زائد فى الاحراق على عذاب سائر اهل جهنم فظهرت المغايرة بين المعطوفين وان كان كل منهما حاصلا فى الآخرة و يحتمل ان يكون المراد بعذاب جهنم بردها وزمهريرها و بعذاب الحريق حرها فيرددون بين برد وحر على ان يكون الحر لاحراقهم المؤمنين فى الدنيا والبرد لغيره كما قالوا الجزاء من جنس العمل والحريق اسم بمعنى الاحتراق كالحرقة وقول الكاشفى فى تفسيره عذاب الحريق عذاب آتش سوزان يشير الى ان الحريق بمعنى النار المحرقة كما قال فى المفردات الحريق النار وكذا الحرق بالتحريك النار اولهبها كما فى القاموس وحرق الشئ ايقاع حرارة فى الشئ من غير لهب كحرق الثوب بالدق والاحراق ايقاع نار ذات لهب فى شئ ومنه استعير احرقنى بلومه اذا بالغ فى اذيته بلوم يقول الفقير الظاهر ان الحريق هنا بمعنى المحرق كاليم بمعنى المؤلم فيكون اضافة العذاب الى الحريق من قبيل اضافة الموصوف الى صفته و يستفاد زيادة الاحراق من المقابلة فان العطف من باب الترقى بحسب العذاب المترتب على الترقى من حيث العمل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الاطلاق من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب ماذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته الصبر على اذى الكفار واحراقهم وايراد الفاء اولا وتركها ثانيا يدل على جواز الامرين (جنات) يجازون بها بمقابلة النار ونحوها (تجرى من تحتها الانهار) يجازون بذلك بمقابلة الاحتراق والحرارة ونحو ذلك قال فى الارشاد ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جريها الظاهر فان اشجارها سائرة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة (ذلك) المذكور العظيم الشان وهو حصول الجنان (الفوز الكبير) الذى تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها فالحصر اضافى قال فى برهان القرآن ذلك مبتدأ والفوز خبره والكبير صفته وليس له فى القرآن نظير والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فان اشير بذلك الى الجنات نفسها فهو مصدر اطلق على المفعول مبالغة والا فهو مصدر على حاله قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهى ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله بحصول هذه الجنات ولو قال تلك لكانت الاشارة

الى نفس الجنات واخبار الله عن ذلك يدل على كونه راضيا و الفوز الكبير هو رضى الله لاحصول الجنه يقول الفقير وعندى ان حصول الجنات هو الفوز الكبير وحصول رضى الله هو الفوز الاكبر كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر وانما لم يقل تلك لان نفس الجنات من حيث هى ليست بفوز وانما الفوز حصولها ودخولها (ان بطش ربك لشديد) استئناف خوطب به النبى عليه السلام ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والبطش تناول الشئ بصولة والاخذ بعنف يقال بد باطشة وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام وان كان بعد امهال فانه عن حكمة لاعن عجز (انه هو) وحده (يبدئ و يعيد) اى يبدئ الخلق و يخرجهم من العدم الى الوجود ثم يميتهم و يعيدهم احياء للمجازاة على الخير والشر من غير دخل لاحد فى شئ منهما فقيه مزيد تقرير لشدة بطشه اوهو يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا و يعيده فى الآخرة يعنى آشكاره كند بطش خود را بركافران در دنيا و باز كر داندهم آنرا بديشان در آخرت واين نشانهٔ عدالست او يبدئ البطش اوالعذاب فى الآخرة ثم يعيده فيها كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال ابن عباس رضى الله عنهما ان اهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فيها فحما ثم يعيدهم خلقا جديدا فهو المراد من الآية وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه اسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فى النار فقال ياحذيفة ان فى جهنم لسباعا من نار وكلابا من نار وسيوفا من نار وكلاليب من نار وانه يبعث ملائكة يعلقون اهل النار بتلك الكلاليب باحناكهم و يقطعونهم بتلك السيوف عضوا عضوا و يلقونها الى تلك السباع والكلاب كلما قطعوا عضوا عاد آخر مكانه غضا طريا او يبدئ من التراب و يعيده فيه اومن النطفة و يعيده فى الآخرة يقال بدأ الله الخلق وابدأهم فهو بادئهم ومبدئهم بمعنى واحد والمبدئ المظهر ابتداء والمعيد المنشئ بعد ماعدم فالاعادة ابتداء ثان قال الامام الغزالى رحمه الله المبدئ المعيد معناه الموجد لكن الايجاد اذا لم يكن مسبوقا بمثله يسمى ابداء وان كان مسبوقا بمثله يسمى اعادة والله تعالى بدأ خلق الانسان ثم هو الذى يعيدهم اى يحشرهم فالاشياء كلها منه بدت واليه تعود و به بدت و به تعود و فى المفردات والله هو المبدئ والمعيد اى هو السبب فى المبدأ والنهاية وقال بعضهم الابداء هو الاظهار على وجه التطوير المهيئ للاعادة وهى الرجوع على مدرج تطوير الابداء فهو سبحانه بدأ الخلق على حكم مايعيدهم عليه فسمى بذلك المبدئ المعيد وانما قيل فيهما انهما اسم واحد لان معنى الاول يتم بالثانى وكذا كل اسم لايتم معناه فيما يرجع الى كمال اسماء الله الا باسم يتم به معناه قال الامام القشيرى رحمه الله ان الله تعالى يبدئ فضله واحسانه لعبيده ثم يعيده و يكرره فان الكريم من يرب صنائعه وخاصية الاسم المبدئ ان يقرأ على بطن الحامل سحرا تسعا وعشرين مرة فان مافى بطنها يثبت ولا يزلق وخاصية الاسم المعيد ذكر مرار التذكار المحفوظ اذا نسى لاسيما اذا اضيف له الاسم المبدئ (وهو الغفور) لمن تاب عن الكفر وآمن وكذا لمن تاب عن غيره من المعاصى ولمن لم يتب ايضا ان شاء (الودود) المحب لمن اطاع اوتاب كما قال ان الله يحب التوابين واين نشانهٔ فضل است بعدل بكذارت ونابود سازد و بفضل بنوازد و برافرازد * فضل اود لنوازد غمخواران * عدل اوسينه سوز جباران * عمر بن الخطاب رضى الله عنه در بتخانه مقبول وسيئات اومغفور كه وهو الغفور الودود وعبد الله بن ابى درمسجد مخذول وحسنات اومردود كه ان بطش ربك لشديد فالودود فعول بمعنى الفاعل ههنا وهوالذى يقتضيه المقام وقال سهل رحمه الله الودود المحب الى عباده باسباغ النعم عليهم و دوام العافية فيكون بمعنى المفعول لانه يحبه عباده الصالحون ومحبة العبد لله طاعته له وموافقته لامره اوتعظيمه له و هيبته فى قلبه واجمع اهل الحقيقة ان كل محبة تكون عن ملاحظة عوض فهى معاولة بل المحبة الصحيحة هى المحبة الصافية عن كل طمع و فى الاثر ان الله تعالى يقول ان اود الاوداء الى من عبدنى لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها قال بعض الكبار العشق التفاف الروحين والحب صفاء ذلك الالتفاف وخلوصه والود ثباته وتمكنه من القلب والهوى اول وقوع الحب فى القلب وفى التأويلات النجمية الودود لمن يتوجه اليه بالمحبة على سنة من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا فمن تقرب اليه بالمحبة تقرب اليه بالود لان الودائعت فى ارض القلب من المحبة لاشتقاقه من الوتد انتهى قال فى القاموس الود والوتد وقال الامام الغزالى

رحمه الله الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن اليهم ويثني عليهم وهو قريب من معنى الرحيم لكن الرحمة اضافة الى المرحوم والمرحوم هو المحتاج والمضطر وافعال الرحيم تستدعي مرحوما ضعيفا وافعال الودود لا تستدعي ذلك بل الانعام على سبيل الابتداء من نتائج الود كما ان معنى رحمته تعالى ارادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزه عن رقة الرحمة فكذلك وده ارادته للكرامة والنعمة وهو منزه عن ميل المودة والودود من عباد الله من يريد لخلق الله كل ما يريده لنفسه واعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم اريد ان اكون جسرا على النار يعبر على الخلق ولا يتأذون بها وكمال ذلك ان لا يمنعه من الايثار والاحسان الحقد والغضب وما يناله من الاذى كما قال عليه السلام حين كسرت رباعيته ودمي وجهه وضرب اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلم يمنعه سوء صنيعهم عن ارادة الخير لهم وكما امر عليه السلام عليا رضي الله عنه حيث قال ان اردت ان تسبق المقربين فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وخاصية الاسم الودود ثبوت الوداد لاسيما بين الزوجين فمن قرأه الف مرة على طعام واكله مع زوجته غلبتها محبته ولم يمكنها سوى طاعته وقد روى انه اسم الله الاعظم في دعاء التاجر الذي قال فيه ياودود ياذا العرش المجيد يامبدئ يامعيد اسألك بنور وجهك الذي ملأ اركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا اله الا انت يامغيث اغثني يامغيث اغثني يامغيث اغثني الحديث قد ذكره غير واحد من الائمة يقول الفقير كنت اذكر في السحر الاعلى ياودود وذلك بلسان القلب فصدر مني بلا اختيار ان اقول يارب اجعلني محيطا فعرفت ان للاسم المذكور تأثيرا عظيما في الاحاطة وذلك ان الودود بمعنى المحبوب ولا شك ان جميع الاسماء الالهية يود الاسم الاعظم ويميل اليه فالاسم الاعظم ودود بمعنى المفعول وغيره ودود بمعنى الفاعل فمن ذكره كان ودودا بمعنى المودود فيحبه جميع المظاهر فيحصل له الاحاطة باسرار جميع الاسماء ويصل اليه جميع التوجهات (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك مجازا اي ذو السلطنة القاهرة على المخلوقات السفلية والمخترعات العلوية وان لم يكن على السرير ويقال ثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه (المجيد) هو الشريف ذاته الجميل افعاله الجزيل عطاؤه ونواله فكان شرف الذات اذا قارنه حسن الفعال سمي مجيدا وهو الماجد ايضا ولكن احدهما دل على المبالغة وكأنه يجمع من اسم الجليل واسم الوهاب والكريم قال في القاموس المجيد الرفيع العالي والكريم والشريف الفعال ومجده عظمه واثنى عليه والعطاء كثره والتمجيد ذكر الصفات الحسنة وقرئ بالكسر صفة للعرش ومجد العرش علوه في الجهة وعظم مقداره وحسن صورته وتركيبه فانه احسن الاجسام تركيبا وصورة وفي الحديث (ما الكرسي في جنب العرش الا كحلقة ملقاة في ارض فلاة) فاذا كان الكرسي كذلك مع سعته فما ظنك بسائر الاجرام العلوية والسفلية قال سهل رحمه الله اظهر الله العرش اظهارا للقدرة لا مكانا للذات ولا احتياجا اليه قال بعضهم ومن العجب ان الله لو ملأ العرش مع تلك السعة من حبوب الذرة وخلق طيرا اكل حبة واحدة منها في الف سنة لنفدت الحبوب ولا تنقطع مدة الآخرة ومع هذا لا يخاف بنو آدم من عذاب تلك المدة ويضيعون اعمارهم في شيء حقير سريع الزوال وفيه اشارة الى قلب العارف المستوى للرحمن كما جاء في الحديث (قلب العارف عرش الله) ومجده هو انه ما وسع ذلك الواسع المجيد غيره وخاصية هذا الاسم تحصيل الجلالة والمجد والطهارة ظاهرا وباطنا حتى في عالم الابدان والصور فلقد قالوا اذا صام الابرص اياما وقرأه كل ليلة عند الافطار كثيرا فانه يبرأ باذن الله تعالى اما بلا سبب او بسبب يفتح الله له به (فعال لما يريد) بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره فيكون دليلا لاهل الحق على انه لا يتخلف شيء عن ارادته وهو خبر مبتدأ محذوف وانما قال فعال مبالغة فاعل لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة من الاحياء والاماتة والاعزاز والاذلال والاغناء والافتقار والشفاء والامراض والتقريب والتبعيد والعمارة والتخريب والوصل والفرق والكشف والحجاب الى غير ذلك من شؤونه وفي التأويلات النجمية فعال لما يريد بالمؤمن والكافر وارباب الارواح والاسرار والقلوب واصحاب النفوس واهل الهوى ان اراد ان يجعل ارباب الارواح من ارباب النفوس فهو قادر على ذلك وهو عادل في ذلك وان اراد عكس ذلك فهو كذلك وهو مفضل في ذلك يحجب من يريد بجلاله كالمنكرين ويتجلى لمن يريد

بجماله كالمقربين و يعامل لمن يريد بافاضة كماله كالعارفين قال القفال يدخل اولياءه الجنة لايمنعه مانع و يدخل اعداءه النار لاينصرهم ناصر و يمهل بعض العصاة على مايشاء الى ان يجازيهم و يعاجل بعضهم بالعقوبة اذا شاء فهو يفعل مايريد (روى) ان اناسا دخلوا على ابى بكر الصديق رضى الله عنه يعودونه فقالوا الا نأتيك بطبيب قال قد رانى قالوا فما قال لك قال انى فعال لما اريد (هل اتاك) آيا آمدبتو اى قد اتاك لان الاستفهام للتقرير (حديث الجنود) اى خبر الجموع الكافرة التى تجندت على الانبياء فى الماضى وخبرهم ماصدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وماحصل بها من العذاب والنكال (فرعون وثمود) بدل من الجنود يعنى مع انه غير مطابق ظاهرا للبدل منه فى الجمعية لان المراد بفرعون هو وقومه وقد يجعل من حذف المضاف بمعنى جنود فرعون اى هل اتاك حديثهم وعرفت مافعلوا من التكذيب و مافعل بهم من التعذيب فذكر قومك يشؤون الله وانذرهم ان يصيبهم مثل مااصاب امثالهم وقد كانوا سمعوا قصة فرعون وجنوده قوم موسى عليه السلام ورأوا آثار هلاك ثمود قوم صالح عليه السلام لانها كانت فى ممرهم وفى بلادهم واخر ثمود مع تقدمه على فرعون زمانا لرعاية الفواصل قال القاشانى هل اتاك حديث الحجو بين اما بالاثانية كفرعون ومن يدين بدينه او بالآثار والاغيار كثمود ومن يتصل بهم (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) اضراب عن مماثلتهم لهم و بيان لكونهم اشد منهم فى الكفر والطغيان وتنكير تكذيب للتعظيم كأنه قيل ليسوا مثلهم فى ذلك بل هم اشد منهم فى استحقاق العذاب و استيجاب العقاب فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لاانهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكذبون كون ماانطق به قرآنا من عند الله مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة وفى التأويلات النجمية فى تكذيب لاشتمال خلقهم وجبلتهم على صفة الكذب والتكذيب ومن جبل على صفة لايقدر على مفارقتها الا القليل من الكمل كما قال تعالى ومن لم يجعل الله له نورا اى فى الاستعداد فماله من نور * خوى بد در طبيعتى كه نشست * نرهد جز بوقت مرك ازدست * وفيه اشارة الى تكذيب المنكرين لاهل الحق ووقوفهم مع حالهم واحتجابهم عن حال من فوقهم (والله من ورائهم) من خلفهم (محيط) بهم بالقدرة وهو تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله بعدم فوت المحاط المحيط اذا سد عليه مسلكه بحيث لايجد هربا منه وفى التأويلات النجمية محيط والمحيط لايفوته المحاط و لايفوت المحيط شئ لاحاطة الله سبحانه عند العارفين بالكافرين بل الموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات فهو سبحانه باحدية جمع اسمائه سار فى الموجودات كلها ذاتا وحياة وعلما وقدرة الى غير ذلك من الصفات والمراد باحاطته تعالى هذه السرابة ولايعزب عنه ذرة فى السموات والارض وكل مايعزب عنه يلتحق بالعدم وقالوا هذه الاحاطة ليست كاحاطة الظرف بالمظروف ولا كاحاطة الكل باجزائه ولا كاحاطة الكلى بجزئياته بل كاحاطة الملزوم بلازمه فان التعينات اللاحقة لذاته المطلقة انما هى لوازم له بواسطه او بغير واسطة و بشرط او بغير شرط ولاتقدح كثرة اللوازم فى وحدة الملزوم ولاتنافيها والله اعلم بالحقائق (بل هو قرآن مجيد) اى ليس الامر كما قالوا بل هذا الذى كذبوا به قرآن شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى متضمن للمكارم الدنيوية والاخروية (فى لوح محفوظ) اى من التحريف ووصول الشياطين اليه واللوح كل صحيفة عريضة خشبا اوعظما كما فى القاموس قال الراغب اللوح واحد الواح السفينة ومايكتب فيه من الخشب ونحوه والمراد به هنا ماقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء طوله مابين السماء والارض وعرضه مابين المشرق والمغرب ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين مرة يحيى ويميت و يعز ويذل و يفعل مايشاء وفى صدر اللوح لااله الاالله وحده ودينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن به وصدق وعده واتبع رسله ادخله الجنة وفى التأويلات النجمية بل المتلو المقروء على الكفار والمنافقين قرآن عظيم مجيد شريف مثبوت فى لوح القلب المحمدى وفى الواح قلوب ورثته الاولياء العارفين المحبين العاشقين محفوظ من تحريف ايدى النفس الكافرة والهوى الماكر وسائر القوى البشرية السارية فى اقطار الوجود الانسانى وقد قال تعالى وانا له لحافظون اى فى صدور الحفاظ وقلوب المؤمنين

تمت سورة البروج بعون الله الذى اليه الرجوع والعروج وقت عصر الاحد السادس من شهر مولد النبى

عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة والف

(سورة الطارق سبع عشرة اوست عشرة آية مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق) الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة لانه يطرق بها الحديد وسمى الطريق طريقا لانه يضرب بالرجل وسمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا حيث ان الابواب مغلقة فى الليل ثم اتسع فى كل ما ظهر بالليل كائنا ماكان ثم اتسع فى التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل والمراد هنا الكوكب البادى بالليل قال الراغب عبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل قالت هند بنت عتبة يوم احد *

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * اى ابونا كالنجم شرفا وعلوا وقال الشاعر

يا راقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا

لا تفرحن بليل طاب اوله * فرب آخر ليل اجج النارا

قال سهل رحمه الله وما طرق على قلب محمد من زوائد البيان والانعام وفى التأويلات النجمية يشير الى سماء القلب وطروق كواكب الواردات القلبية والالهامات الغيبية العظيمة الشأن القوية البرهان ولفخامة امره وشهامة قدره عقبه بقوله (وما ادراك ما الطارق) اى اى شئ اعلمك بالطارق فانه لا ينال ادراك الخلق الا بالتلقى من الخلاق العليم كأنه قيل ما هو فقيل هو (النجم الثاقب) النجم الكوكب الطالع والثقب بالفارسية سوراخ كردن و الثقوب و الثقابة افروخته شدن آتش يقال ثقبه ثقبا جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اتقدت واشتعلت وثقب النجم اضاء وشهاب ثاقب اى مضئ وعبر عن الطارق اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه والمعنى النجم المضئ فى الغاية يعنى ستاره رخشنده وفروزان چون شعلهٔ آتش لانه يثقب بنوره واضاءته ما يقع عليه من الظلام او الافلاك وينفذ فيها والمراد الجنس وهو قول الحسن رحمه الله لان لكل كوكب ضوأ ثاقبا لا محالة اى فى نفسه وان حصل التفاوت بالنسبة اقسم الله بالسماء و بكواكبها لدلالتهما على قدرته وحكمته او المعهود بالثقب فهو من باب ركب السلطان وهو زحل الذى فى السماء السابعة لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات او كوكب الصبح او الثريا لان العرب تسميه النجم او الشهاب چنانچه آورده اند كه شبى حضرت رسول صلى الله عليه وسلم نشسته بود باعم خود ابوطالب ناگاه ستاره بدرخشيد وشعلهٔ آتش عظيم ازوظاهر شد ابوطالب بترسيد وگفت اين چه چيزست حضرت پيغمبر عليه السلام فرمود كه اين ستاره ايست كه ديورا از آسمان مى رانند ونشانه ايست از قدرتهاى الهى فى الحال جبريل نازل شد بدين آيت كه والسماء و الطارق وفيه اشارة الى كوكب اسمه الجمال الثاقب الطارق وكوكب اسم الجلال وقال القاشانى اى الروح الانسانى والعقل الذى يظهر فى ظلمة النفس و هو النجم الذى يثقب ظلمتها و ينفذ فيها و يبصر بنوره و يهتدى به كما قال و بالنجم هم يهتدون (ان كل نفس لما عليها حافظ) جواب للقسم وما بينهما اعتراض جئ به لتأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا قال الزجاج استعملت لما فى موضع الا فى موضعين احدهما بعد ان النافية والآخر فى باب القسم تقول سألتك لما فعلت بمعنى الا فعلت وعدى الحفظ بعلى لتضمنه معنى الهيمنة والمعنى ما كل نفس من النفوس الطيبة والخبيثة انسية او جنية الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله تعالى كما قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا آورده اند كه درمكه زنى بود فاجره وكفت من طاوس يمانى را بركردانم ازراه طاعت ودر معصيت كشم وطاوس مردى نيكوروى بود وخوش خلق وخوش طبع آن زن پر طاوس آمد و باوى سخن در گرفت برسبيل مزاح طاوس بدانست كه مقصودوى چيست گفت آرى صبر كن تا بفلان جايگاه آييم چون بدان جايگاه رسيدند طاوس گفت اكر ترا مقصودى است اينجا تواند بود آن زن گفت سبحان الله اين چه جاى آن كارست انچمنكاه خلق ومجمع نظاركيان طاوس گفت اليس الله يرانا فى كل مكان اى زن ازديدار مردم شرم دارى وازديدار الله كه بما مى نكرد خود شرم ندارى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله اين سخن در زن كرفت وتوبه كرد واز جملهٔ اولياء كشت (وحكى) ان ابن عمر رضى الله عنهما مر بغلام

يرعى غنما فقال له بعني شاة فقال انها ليست لي فقال له ابن عمر قل اكلها الذئب فقال الغلام فاين الله فاشتراه ابن عمر واشترى الغنم واعتقه ووهب له الغنم وبقي ابن عمر مدة طويلة يقول قال ذلك العبد فاين الله فصاحب المراقبة يدع من المعاصي حياء منه تعالى وهيبة له اكثر مما يدعه من يترك المعاصي بخوف عقوبته وقيل المراد بالحافظ هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين وآنكه كه برمصطفى صلى الله عليه وسلم عرضه ميكنند چنانكه درخبرست كه رسول الله عليه السلام فرمود تعرض علي اعمالكم فما كان من حسنة حمدت الله عليه وما كان من سيئة استغفرت الله لكم (وروى) عن النبي عليه السلام وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقرئ لما مخففة على ان ان مخففة وما مزيدة واللام فاصلة بين المخففة والنافية اى ان الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب وفي الآية تخويف للنفوس من الامور الضارة وترغيب في الشؤون النافعة وفي بعض التفاسير يحتمل ان يكون المراد من النفس اعم من نفس المكلف من الانسان والجن ومن نفس المكلف لعموم الحفظ من بعض الوجوه ومن الكل فيشمل النفوس الحيوانية مطلقا بل كل شئ سوى الله بناء على ان المراد من النفس الذات فان نفس كل شئ ذاته وذاته نفسه ومن الحافظ هو الله لان الحافظ لكل شئ عالم باحواله موصل اليه منافعه ودافع عنه مضاره والحفيظ من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وحلاوة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فانه على شفا جرف هار وقد اكتنفته هذه الملكات المفضية الى البوار ومن خواص الاسم الحفيظ ان من علقه عليه لو نام بين السباع ما ضرته قال القاشاني الحافظ هو الله ان اريد بالنفس الجملة وان اريد بها النفس المصطلح عليها من القوة الحيوانية فحافظها الروح الانساني (فلينظر الانسان) ليتفكر الانسان المركب من الجهل والنسيان المنكر للنشور والحشر والميزان (مم) اى من اى شئ فاصله مما حذفت الالف تخفيفا كما مر في عم (خلق) حتى يتضح ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل اليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملي حافظه ما يرديه (خلق من ماء دافق) استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع سيلان بسرعة وبالفارسية ريزيدن آب وبابه نصر وانما اول بالنسبة لان الصب لا يتصور من النطفة لظهور انها مصبوبة لا صابة فتوصيفه بانه دافق لمجرد نسبة مبدأ الاشتقاق الى ذات الموصوف به مع قطع النظر عن صدوره منه وقال بعضهم اى مدفوق ومصبوب في الرحم نحو سر كاتم اى مكتوم وعيشة راضية اى مرضية فهو فاعل بمعنى المفعول والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه ما بعده من الآية وللنظر الى امتزاجهما عبر عنهما بصيغة الافراد ووصف الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض اجزائه (يخرج) ذلك الماء الدافق (من بين الصلب والترائب) الصلب الشديد وباعتباره سمي الظهر صلبا اى من بين ظهر الرجل وترائب المرأة وهي ضلوع صدرها وعظام نحرها حيث تكون القلادة وكل عظم من ذلك تريبة وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما بين الثديين وفي القاموس الترائب عظام الصدر اوما ولى الترقوتين منه اوما بين الثديين والترقوتين اواربع اضلاع من يمنة الصدر واربع من يسرته اواليدان والرجلان والعينان اوموضع القلادة انتهى ومن ذلك يتحمل الوالد مصالح معيشة الولد وتشتد رقة الوالدة ومحبتها للولد واريد بين اشارة الى ما يقال ان النطفة تتكون من جميع اجزاء البدن ولذلك يشبه الولد والديه غالبا فيجتمع ماء الرجل في صلبه ثم يجري منه ويجتمع ماء المرأة في ترائبها ثم يجري منها وفي قوت القلوب اصل المني هو الدم يتصاعد في خرزات الصلب وهناك مسكنه فتضجه الحرارة فيستحيل ابيض فاذا امتلأت منه خرزات الصلب وهو الفقار طلب الخروج من مسلكه وهو عرقان متصلان الى الفرج منهما ينزل المني وفي اسئلة الحكم بين طريق البول وطريق المني جلد رقيق يكاد لا يتشخص كيلا يختلط المني بماء البول فيفسد حرارة جوهره وفي التأويلات النجمية خلق الانسان من ماء رطوبة النفس الرحماني الذي اشار اليه عليه السلام بقوله اني اجد نفس الرحمن من قبل اليمن دافق هذا الماء من فم فوارة المحبة المشار اليها بقوله تعالى كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت

الخلق الخارج من بين الصلب اى صلب رجل القوة الفاعلية الالهية المسماة باليد اليمنى فى قوله ثم مسح يده اليمنى على جانب الظهر الايمن فاستخرج منه ذرية بيضاء كالفضة البيضاء والترائب وترائب امرأة القابلية المسماة باليد اليسرى فى قوله ثم مسح يده اليسرى على جانب الظهر الايسر فاستخرج منه ذرارى جاءت سوداء فهو الانسان المخلوق على صورة ربه وخالقه من ماء الفيض والقبول المخمر بيدى الفاعلية والقابلية المشار اليهما بقوله خمرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا (انه) الضمير للخالق فان قوله خلق يدل عليه اى ان ذلك الذى خلق الانسان ابتداء مما ذكر (على رجعه) اى اعادته بعد موته (لقادر) اى لبين القدرة بحيث لا يرى له عجز اصلا وتقديم الجار والمجرور على عامله وهو لقادر للاهتمام به من حيث ان الكلام فيه بخصوصه فهو لا ينافى قادريته على غيره قال بعضهم خلقه لاظهار قدرته ثم رزقه لاظهار الكرم ثم يميته لاظهار الجبروت ثم يحييه لاظهار الثواب والعقاب (يوم تبلى السرائر) ظرف لرجعه ولا يضر الفصل بالاجنبى للتوسع فى الظروف والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهى التى تكتم وتخفى اى يتعرف ويتصفح ما اسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفى من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وبالفارسية روزى كه آشكارا كرده شود نهانها يعنى ظاهر كنند مخفيات ضمائر واعمال تا طيب آن از خبيث متميز كردد * كر پرده زروى كارما برداريد * آن كيست كه رسواى دوعالم نشود * والابلاء هو الابتلاء والاختبار واطلاق الابلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعرف والتمييز وابتلاء الله عباده بالامر والنهى يكون لكشف ما علم منهم فى الازل وقال بعضهم المراد بالسرائر الفرائض كالصوم والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة فانها سر بين العبد وبين ربه ولو شاء العبد ان يقول فعلت ذلك ولم يفعله امكنه وانما تظهر صحة تلك السرائر يوم القيامة قال ابن عمر رضى الله عنهما يبدى الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من ادى الامانات كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه اغبر (فماله) اى للانسان ومانافية (من قوة) فى نفسه يمتنع بها من العذاب الذى حل به (ولا ناصر) من خارج ينتصر به اذ كل نفس يومئذ رهينة بما كسبت مشغولة بجزاء ما جرت عليه خيرا كان او شرا فالمراد بالقوة المنفية هى القوة الثابتة له فى نفسه لا القوة مطلقا والا لم يبق للعطف فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وفى التعريفات هى تمكن الحيوان من الافعال الشاقة ونصر المظلوم اعانه ونصره منه نجاه وخلصه وفيه اشارة الى القوة بحسب نية الباطن وعمل الظاهر فالنية الخالصة المجردة عن العمل قد تنصر الناوى ايضا لكن اذا قارنت العمل كانت اقوى (والسماء ذات الرجع) ذات مؤنث ذو بمعنى الصاحب والرجع المطر سمى رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض اورادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه او بالیؤوب فيكون الرجع مصدرا من اللازم بمعنى الرجوع لا من المتعدى قاله بعض العلماء اولان الله يرجعه وقتا فوقتا بعد ايجاده واحداثه وقال الراغب سمى المطر رجعا لرد الهواء ما تناوله من الماء وفى كشف الاسرار لانه يرجع كل عام ويتكرر وقال عبد القاهر الجرجانى فى كتاب اعجاز القرآن انما قال للسماء ذات الرجع لان شمسها وقمرها يغيب ويطلع وبعض نجومها يرجع (والارض ذات الصدع) هو ما تصدع عنه الارض من النبات اذ الحاكى للنشور هو تشقق الارض وظهور النبات منها لا ظهار العيون فالمراد بالصدع نبات الارض سمى به لانه صادع للارض والارض تتصدع به والصدع فى اللغة الشق وفى المفردات شق فى الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما وفى الآية اشارة الى ان السماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام وما ينبت من الارض كالولد اقسم الله بالسماء اولا مجردة عن التوصيف وثانيا مقيدة بكونها ذات الرجع وكذا بالارض ذات الصدع ايماء الى المنة عليهم بكثرة المنافع ودلالة على العلم التام والقدرة الكاملة فيهما وفيه اشارة الى سماء الروح ذات الرجع فى النشأة الثانية وارض البدن ذات الصدع بالانشقاق عن الروح وقت زهوقه او الشق بعد اتصاله (انه) اى القرآن الذى من جملته ما تلى من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده (لقول) للكلام اذ القول كثيرا ما يكون بمعنى المقول (فصل) اى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كانه نفس الفصل كما قيل له

فرقا بمعنى الفارق (وماهو بالهزل) الهزل اللعب وفى فتح الرحمن ماستعمل فى غيرماوضع له من غيرمناسبة والجد ضده وهو ان يقصد به المتكلم حقيقة كلامه اى ليس فى شئ من القرآن شائبة هزل بل كله جد محض لاهزل فيه فمن حقه ان يهتدى به الغواة و تخضع له رقاب العتاة و بالفارسية و نيست او بازى و باطل وفسوس وسخريه و يظهر من الآية ان من يؤم القرآن بهزل او يتفكه بمزاح يكفر و فى هدية المهديين اذا انكر رجل آية من القرآن اوسخر بها اوعابها فقد كفر ومن قرأ القرآن على ضرب الدف اوالقصب فقد كفر ولوقال الم نشرح لك راكر بيان كرفتهٔ اوقال پوست ازقل هوالله احدبردى اوقال اين كوته ترازانا اعطيناك او قيل لم لم تقرأ القرآن فقال سير شدم ازقرآن فهذا كله و امثاله كفر ينبغى للمؤمن ان يحترز منه و يجتنب عنه (انهم) اى اهل مكة ومعاندى قريش (يكيدون) فى ابطال امره واطفاء نوره يعنى مكر ميكنند درشان رسول وحق قرآن (كيدا) حسبما فى قدرتهم (واكيد كيدا) اى اقابلهم بكيد متين لايمكن رده حيث استدرجهم من حيث لايعلمون وكيد المحدث العاجز الضعيف لايقاوم كيد القديم القادر القوى فتسمية الاستدراج والانتقام فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار كيدا من باب المشاكلة لوقوعه فى مقابلة كسبهم جزاء له والا فالكيد وهو المكر و الاحتيال لايجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيقى وتسمية جزاء الشئ باسم ذلك الشئ على سبيل المشاكلة شائع كثير (فمهل الكافرين) اى لاتشتغل بالانتقام منهم ولاتدع عليهم بالهلاك ولاتستعجل به يعنى مهلت ده كافرانرا وتعجيل مكن درطلب هلاكايشان (امهلهم) بدل من مهل وهما اى التمهيل و الامهال لغتان كما قال تعالى ومهلهم قليلا (روى) عن همام مولى عثمان رضى الله عنه انه قال لما كتبوا المصحف شكوا فى ثلاث آيات فكتبوا فى كتف شاة وارسلونى الى ابى ابن كعب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما فدخلت عليهما فنا ولتهما ايا فقرأها فاذاهى فيها لاتبديل للخلق فكتب لاتبديل لخلق الله وكان فيها لم يتسن فكتب لم يتسنه وكان فيها فامهل الكافرين فمحا الالف وكتب فمهل الكافرين ونظر فيها زيد بن ثابت فانطلقت بها اليهم فاثبتوها فى المصحف وفيه اشارة الى ان الله تعالى حافظ للقرآن من التحريف و التبديل لانه اثبته فى صدور الحفاظ والى ان المشكلات يرجع فيها الى اهل الحل (رويدا) يقال اروديرود اذارفق وتأنى ومنه بنى رويدكما فى المفردات وفى الارشاد هوفى الاصل تصغير رود بالضم وهوالمهل اوارواد مصدرا ورد بالترخيم وهواما مصدر مؤكد لمعنى العامل اونعت لمصدره المحذوف اى امهلهم امهالا رويدا اى قريبا اوقليلا يسيرا فان كل آت قريب كما قالوا كرچه قيامت دير آيد ولى مى آيد وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمافيه من الرمز الى قرب وقت الانتقام من الاعداء وفى كشف الاسرار وماكان بين نزول هذه الآية و بين وقعة بدر الازمان يسير (حكى) انه دخل ابن السماك على هرون الرشيد فطلب هرون منه العظة وقد جلس فى حصير فقال ياامير المؤمنين لتواضعك فى شرفك افضل من شرفك قال الرشيد ماسمعت شيأ احسن من هذا فقال بلى ياامير المؤمنين من اعطى مالاوجمالا وسلطانا وشرفا فتواضع فى شرفه وعف فى جماله وواسى من فضل ماله وعدل فى سلطانه كتب فى ديوان المخلصين فدعا الرشيد بالقرطاس وكتبها ثم قال زدنى فقال ياامير المؤمنين لقد امهل حتى كانه اهمل ولقد ستر حتى كانه غفر ثم قال ياامير المؤمنين هب كان الدنيا كلها فى يديك والاخرى مثلها ضمت اليك هب كان الشرق والغرب يجبى اليك فاذاجاء ملك الموت فما ذافى يديك قال زدنى فقال لم يبق من لدن آدم الى يومنا هذا احد الا وقد ذاق الموت قال زدنى فقال انهما موضعان اما جنة واما نار قال حسبى ثم عشى عليه قال ابن السماك دعوه حتى يموت فلما افاق امر له بجائزة فقيل له انه قال كذا فسأله الرشيد عن ذلك فقال ياامير المؤمنين اى شئ احسن من ان يقال ان امير المؤمنين مات من خشية الله فاستحسن كلامه واحترمه (قال الحافظ) بمهلتى كه سپهرت دهد زراه مرو * تراكه گفت كه ابن زال ترك دستان كرد * فطوبى لمن قصر امله وطال عمره وحسن عمله والله نسأل ان لايجعلنا من المغترين تمت سورة الطارق باعانة خالق النجوم البوارق يوم الاحد الرابع عشر من شهر ربيع الاول من سنة سبع عشرة ومائة والف

(سورة الاعلى تسع عشرة آية مكية عند الجمهور)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الاعلى) التسبيح التنزيه واسم الله لا يصح ان يطلق عليه بالنظر الى ذاته او باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس او الثبوتية كالعليم او باعتبار فعل من افعاله كالخالق ولكنها توفيقية عند بعض العلماء وقد سبق والاعلى صفة للرب ويجوز ان يكون صفة للاسم والاول اظهر ومعنى علوه تعالى ان يعلو عن ان يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين ومعنى اعلويته انه الزيادة المطلقة في العلو قال بعضهم ليس علوه علو جهة ولا كبره كبر جثة سبحانه عن ذلك بل علو استحقاق لنعوت الجلال والكبرياء فمن عرف علوه وكبرياءه تواضع وتذلل بين يديه وبين يدى عباده الصالحين والمعنى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة نحو ان يجعل الاعلى من العلو في المكان لا من العلو في الكمال وان يؤخذ الاستواء بمعنى الاستقرار لا بمعنى الاستيلاء وكذا نزهه عن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه كان يسمى الصنم والوثن بالرب والاله ومنه تسمية العرب مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة وكذا نزهه عن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال ويدخل فيه ان يذكر اسمه عند التثاؤب وحال الغائط وكذا بالغفلة وعدم الوقوف على معناه وحقيقته ومنه اكثار القسيم بذكر اسمه من غير مبالاة وقال جرير في الآية ارفع صوتك بذكره اى بذكر اسمه فان ذكر المدلول انما هو بذكر اسم الدال عليه فظهر من هذا التقرير ان الاسم غير مقحم وقال بعضهم الاسم والمسمى هنا واحد اى نزه ذاته عما يدخل في الوهم والخيال وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت وفي الحديث دلالة على ان لفظ الاسم مقحم قاله سعدى المفتي وعلى ان الامتثال بالامر يحصل بان يقول سبحان ربي العظيم والاعلى بدون قراءة النظم ولذا قرأ علي وابن عمر رضي الله عنهم سبحان ربي الاعلى الذي الخ فان قوله سبح امر بالتسبيح فلا بد وان يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قول سبحان ربي الاعلى ومثله سبحان ربك رب العزة فان معناه نزه ربك رب العزة فيحصل الامتثال بان يقول سبحان ربنا رب العزة على معنى تنزه ربنا رب العزة وقس على ذلك سائر المواقع المأمور بها وسر اختصاص سبحان ربي العظيم بالركوع والاعلى بالسجود ان الاول اشارة الى مرتبة الحيوان والثاني اشارة الى مرتبة النبات والجماد فلا بد من الترقي في التنزيه وكان عليه السلام وجيوشه اذا علوا الثنايا كبروا واذا هبطوا سبحوا فوضعت الصلاة على ذلك قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره في شرح الحديث اعلم ان الرفعة والارتفاع استعلاء وانه من التكبر فان كان الاستعلاء ظاهرا فهو صورة من صور التكبر وان كان باطنا فهو معنى التكبر ولما كان الكبرياء لله وحده وكان في الصعود على الثنايا ضرب من الاستعلاء موجود وشبيه به ايضا لذلك سن التكبير فيه اى ان الله اكبر واعلى من ان يشارك في كبريائه وان ظهرنا بصورة حال يوهم الاشتراك واما الامر بالتسبيح في الهبوط فهو من اجل سر المعية المشار اليها بقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم فاذا آمنا انه معنا اينما كنا فحال كوننا في هبوط يكون معنا وهو يتنزه عن التحت والهبوط لانه سبحانه فوق التحت كما انه فوق الفوق ونسبة الجهات اليه على السواء لتنزاهته عن التقيد بالجهات واحاطته بها فلهذا شرع التكبير في الصعود والتسبيح في الهبوط على الوجه المنبه عليه انتهى واول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل عليه السلام وذلك انه خطر بباله عظمة الرب تعالى فقال يا رب اعطني قوة حتى انظر الى عظمتك وسلطانك فاعطاه قوة اهل السموات فطار خمسة آلاف سنة حتى احترق جناحه من نور العرش ثم سأل القوة فاعطاه قوة ضعف ذلك وجعل يطير ويرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار في آخره كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر ساجدا وقال سبحان ربي الاعلى ثم سأل ربه ان يعيده الى مكانه والى حالته الاولى ذكره ابو الليث في تفسيره وقال النبي عليه السلام ياجبرائيل اخبرني عن ثواب من قال سبحان ربي الاعلى في صلاته او في غير صلاته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له في ميزانه اثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله صدق عبدي انا الاعلى وفوق كل شئ وليس فوقي شئ اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت لعبدي وادخلته جنتي فاذا مات زاره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدى الله فيقول يا رب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة ذكره ابن الشيخ في حواشيه وفي الحديث سبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السموات والارض) اى لاشتمال هاتين الكلمتين على كمال الثناء

والتعريف بالصفات الذاتية والفعلية الظاهرة الآثار فى السموات والارض وما بينهما وقال القاشانى اسمه الاعلى والاعظم هو الذات مع جميع الصفات اى نزه ذاتك بالتجرد عما سوى الحق وقطع النظر عن الغير ليظهر عليها الكمالات الحقانية باسرها وهو تسبيحه الخاص به فى مقام الفناء لان الاستعداد التام القابل لجميع الصفات الالهية لم يكن الاله فذاته هو الاسم الاعلى عند بلوغ كماله ولكل شئ تسبيح خاص يسبح به اسما خاصا من اسمائه (الذى خلق فسوى) صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اى خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتسنى معاشه وقال القاشانى انشأ ظاهرك فعدل بنيتك على وجه قبلت بمزاجه الخاص الروح الاتم المستعد لجميع الكمالات وفى التأويلات النجمية خلق كل شئ بحسب الوجود فسوى تسوية بها يصل الفيض الالهى المعدله بحسب استعداده الفطرى وقال بعضهم خلق الخلق فسوى بينهم فى الخلقة وميز بينهم باختصاص بعضهم بالهداية (والذى قدر) معطوف على الموصول الاول اى قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها كما قال عليه السلام ان الله قدر مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة اى جعل اجناس الاشياء وكذا اشخاص كل نوع بمقدار معلوم وكذا جعل مقدار كل شخص فى جثته واوضاعه وسائر صفاته كالحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والالوان والاشكال والطعوم والروائح والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم (فهدى) فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغى له طبعا او اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرأيت فى كل منها ما يحار فيه العقول (يحكى) ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله ان تمسح عينيها بورق الرازيانج الغض فيرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطوى بها على طولها وعلى عماها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لاتخطئها فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة باذن الله تعالى (ويحكى) ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فيه حيث قبض الله له طائرا قدره الله غذاءه من ذلك فاذا راه التمساح يفتح فه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فه والتمساح خلق كالسلحفاة ض يكون بنيل مصر وبنهر مهران فى السند كما فى القاموس ويخطف البهائم والآدميين ور بما بلغ طوله عشرين ذراعا وهو بيض فى البر فما وقع من ذلك فى الماء صار تمساحا وما بقى صار سقنقورا وهى دابة بمصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته وهو انفس ما يهدى للملوك الهند فانهم يذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر ويحملونه كذلك الى ارضهم فاذا وضعوا مثقالا من ذلك على بيض او لحم واكل نفع ذلك نفعا بليغا والسقنقور والضب والسلحفاة للذكر منها ذكران وللانثى فرجان ومن عجائب هداياته تعالى ان القطا وهو طائر يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة ايام واكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطئ لاذهابا ولا ايابا والجمل والحمار اذا سلكا طريقا فى الليلة الظلماء ففى المرة الثانية لا يخطئان والدبة اذا ولدت ولدها رفعته فى الهواء يومين خوفا من النمل لانها تضعه قطعة لحم غير متميزة الجوارح ثم يتميز اولا فاولا واذا جمع العقرب والفأرة فى اناء زجاج قرضت الفأرة ابرة العقرب فتسلم منها (وحكى) ان ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة ولم يزل يتبعها حتى انتهت الى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته فلما انتهت الى تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التى عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس الذى كان تحت الشجرة والفأرة تدخل ذنبها فى قارورة الدهن ثم تلحسه والثعلب اذا اجتمع فى جلده البق الكثير والبعوض يأخذ بفيه قطعة جلد من الحيوان فينغمس فى الماء فاذا اجتمعت فى الفر والقاء فى الماء وخرج سالما والعنكبوت تبنى بيتها على وجه عجيب غير مقدور والبشر لا يقدر على بناء البيت المسدس الا بالبركار والمسطر والنحل تبنى تلك البيوت من غير آلة والنمل تسعى لاعداد الذخيرة لنفسها فاذا احست بنداوة المكان تشق الحبة نصفين لئلا تنبت واذا وصلت النداوة اليها تخرجها الى الشمس لتجف قال بعضهم رأيت غواصا وهو طائر غاص وطلع

بسمكة فغلبه الغراب عليها فاخذها منه فغاص مرة اخرى فطلع فاخذها منه الغراب وفى الثالثة كذلك فلما اشتغل الغراب بالسمكة وثب الغواص فاخذ برجل الغراب وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب و خرج هو من الماء وفى الحديث لاتشوبوا اللبن بالماء فان رجلا كان فيمن كان قبلكم يبيع اللبن و يشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى اذا لجج فيه الهم الله القرد فاتى صرة الدنانير فاخذها وصعد الدقل و هو سهم السفينة ففتح الصرة وصاحبها ينظر اليه فاخذ دينارا ورمى به فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمها نصفين فالقى ثمن الماء فى الماء وفى عجائب المخلوقات ان شخصا قتل شخصا باصفهان والقاه فى بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فكان يأتى كل يوم الى رأس البئر وينحى التراب عنها واذا رأى القاتل نبح عليه فلما تكرر منه ذلك حفروا الموضع فوجدوا القتيل ثم اخذوا الرجل فاقر فقتل به و من عجيب شجرة النخل ان يعرض لها العشق وهى ان تميل الى نخلة اخرى فيخف حملها وتهزل وعلاجها ان يشد بينها و بين معشوقها الذى مالت اليه بحبل او يعلق عليها سعفة منه او يجعل فيها من طلعه وامثال هذا لاتحيط بها العبارة والتحرير كثيرة (والذى اخرج المرعى) اى انبت بكمال قدرته ما نرعاه الدواب غضا طريا من بين اخضر واصفر واحمر وابيض وقال ابن عباس رضى الله عنه المرعى الكلاء الاخضر وفى الصحاح الرعى بالكسر الكلاء و بالفتح المصدر والمرعى الرعى والمصدر (فجعله) بعد ذلك (غثاء) اى دريناً وهو كما يريبس كل حطام حمض او شجر او بقل قال الجوهرى الغثاء بالضم والمد ما يحمله السيل من القماش والقمش جمع الشئ من ههنا وههنا وذلك الشئ قماش ماعلى وجه الارض من فتات الاشياء حتى يقال لرذالة الناس قماش و بالفارسية خشك و پژمرده (احوى) اسود من الحوة بمعنى السواد وذلك ان الكلاء اذا جف و يبس اسود سواء كان جفافه واسوداده بتأثير حرارة الشمس او برودة الهواء وايراد الفاء التعقيبية اشارة الى قصر مدة الخضرة ورمز الى قصر مدة العمر وسرعة زوال الدنيا ونعيمها يعنى محققان ازمضمون اين آيت فهم كرده اند كه چرا كاه سبزوخرم نمايد اما اندك وقتى را بسبب هبوب رياح خزان حوادث تيره و بى طراوت خواهد بود * اگرچه خرم وتازه است كابن دنيا * ولى بنكيت باد خزان نمى ارزد * بكرده خورى وقرص قرنجاى مرو * كه خوان چرخ بيك تاى نان نمى ارزد * وفيه اشارة الى زينة الحياة الدنيا ومنافعها وماكلها ومشاربها فانها مرعى النفس الحيوانية ومرتع بهائم القوى جعلها الله سريعة الفناء وشبكة الزوال كالهشيم والحطام البالى المسود فينبغى ان لايلتفت اليها ولايشغل بها فانها مانعة عن التسبيح الخالص وهو تنزيه الذات وتجريدها عن العلائق وبها يحصل الاحتجاب عن الكمال المقدر فى حق كل احد (سنقرئك فلاتنسى) بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه السلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين قال الراغب فى المفردات اخبار وضمان من الله تعالى ان يجعله بحيث لاينسى مايسمعه من الحق انتهى والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ما اوحى اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقراء يقال قرأ القرآن فهو قارئ واقرأه غيره فهو مقرئ اى علمه اياه فهو معلم وفى تاج المصادر الاقراء قرآن كوش فراداشتن وخوانده كردن ومنه سنقرئك انتهى والمعنى سنقرئك ماتوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبرائيل فلاتنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان وفى كشف الاسرار سنجمع حفظ القرآن فى قلبك وقراءته فى لسانك حتى لاتنسى كقوله ان علينا جمعه وقرآنه (الاماشاء الله) استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى لاتنسى شيئا من الاشياء مما تقرأه الا ماشاء الله ان تنساه ابدا ان نسخت تلاوته فان النسخ نوع من الانساء وطريق من طرقه فكأنه بالنسخ محى من الصحف والصدور فالمراد بالنسيان هو النسيان الكلى الدائم بحيث لايعقبه التذكر بعده و يجوز ان يراد به النسيان المتعارف الذى يعقبه الذكر بعده وهو النسيان فى الجملة على القلة والندرة اى فلاتنسى الا ماشاء الله نسيانه ثم لايبقى المنسى منسيا دائما بل يعقبه الذكر كما هو المفهوم من المقام ويؤيد هذا المعنى ماروى انه عليه السلام اسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب ابى رضى الله عنه انها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها (وروى) ان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يقرأ القرآن فى الليل فقال عليه السلام لقد اذكرنى آية انسيتها و من هذا كان عليه السلام يقول

فى دعائه اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته اناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لى يارب العالمين وكان عليه السلام يقول انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى وقال تعالى واذكر ربك اذا نسيت ودل الكل على جواز طريان النسيان عليه وان لم يكن سهوه ونسيانه من قبيل سهو الامة ونسيانهم فانه اهل الحضور الدائم روى عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه عليه السلام كان يقرأ من الكتاب وان كان لا يكتب وفيه معجزة له عليه السلام فانه كان اميا وقد جعله الله قارئا ثم انه كان يقرأ من الحفظ ومن الصحيفة ايضا من غير تعلم الخط وكان منبع الكمالات كلها حتى انه علم الكتاب الخط وقوانينه واصحاب الحرف دقائق حرفتهم (انه يعلم الجهر ومايخفى) تعليل لما قبله وما موصولة وكل من الجهر والاخفاء شامل لما كان من قبيل القول والعمل والاخفاء لما فى الضمائر من النيات اى يعلم ماظهر ومابطن من الامور التى من جملتها ما اوحى اليك فينسى مايشاء انساءه ويبقى محفوظا مايشاء ابقاءه لما تيط بكل منهما من مصالح دينكم (ونيسرك لليسرى) عطف على نقرئك واليسرى فعلى من اليسر وهو السهولة ويسرت كذا سهلت وهيأت وضمن نيسرك معنى التوفيق ولذا عدى بدون اللام والا فالعبارة المعتادة ان يقال جعل الفعل الفلانى ميسر الفلان لا ان يقال جعل فلان ميسرا للفعل الفلانى كما فى الآية فانه قيل ونيسرك لليسرى لا ونيسر اليسرى لك وقال بنون العظمة لتكون عظمة المعطى دليلا على عظمة العطاء وفى الارشاد تعليق التيسير به عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما فى قوله تعالى ويسر لى امرى للايذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام جبل عليها كما فى قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له والمعنى ونوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى اى التى هى ايسر واسهل فى كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى) اى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما فى تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله ان نفع التذكير والعظة والنصيحة وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله عليه السلام طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه جهده حرصا على ايمانهم وكان لا يزيد ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلام بان يخص التذكير بمدار النفع فى الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه فى تذكير من لا يزيده التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما فى قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فحرف الشك راجع الى النبى عليه السلام لا الى الله وفى كشف الاسرار ان تجئ فى العربية مثبتة لا للشرط فتكون بدل قد كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد علم عليه السلام ان الذكرى تنفع لا محالة اما فى ترك الكفر او ترك المعصية او فى الاستكثار من الطاعة فهو حث على ذلك وتنبيه على انها تنفع الا ان يكون مطبوعا على قلبه غير مستعد للقبول فالنفع مشروط بشرط الاستعداد * زمين شوره سنبل بر نيارد * دروتخم عمل ضايع مكردان * والحاصل ان التذكير خاص بالمنتفع وذلك فى النهاية واما فى البداية فعام وما على الرسول الا البلاغ * من آنچه شرط بلاغست باتو ميكويم * تو خواه از سخنم پند گير وخواه ملال * قال القاشانى اجل فى قوله ان نفعت الذكرى ثم فصل بقوله (سيذكر من يخشى) اى سيتذكر بتذكيرك يعنى زود باشد كه پند پذيرد من من شأنه ان يخشى الله حق خشيته او من يخشى الله فى الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر فى امر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وفى تفسير الكبير الناس فى امر المعاد على ثلاثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفى ولا بالاثبات ومنهم من اصر على انكاره والقسمان الاولان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث (ويتجنبها) اى يتبعد من الذكرى ولا يسمعها سماع القبول (الاشقى) اى الزائد فى الشقاوة من الكفرة لتوغله فى عداوة النبى عليه السلام مثل الوليد بن المغيرة وابى جهل ونحوهما او الاشقى هو الكافر مطلقا لانه اشقى من الفاسق وروى ان من يخشى هو عثمان بن عفان رضى الله عنه والاشقى رجل من المنافقين وذلك ان المنافق كانت له نخلة مائلة فى دار رجل من الانصار فسقط ثمرها فى داره فذكر ذلك لرسول الله عليه السلام

فارسل الى المنافق ولم يكن يعلم بنفاقه فسأله ان يعطى النخلة للانصارى على ان يعطيه نخلة فى الجنة فقال أبيع عاجلا بآجل لا افعل فأعطاه عثمان رضى الله عنه حائط نخل له فنزلت الآية كما فى التكملة ونظيره ان رجلا قضى للنبى عليه السلام حاجة فقال ائتنى بالمدينة فأتاه فقال ايما أحب اليك ثمانون من الضأن او أدعو الله ان يجعلك معى فى الجنة قال بل ثمانون من الضأن قال اعطوه اياها ثم قال ان صاحبة موسى عليه السلام كانت أعقل منك وذلك ان عجوزا دلته على عظام يوسف عليه السلام فقال لها موسى ايما أحب اليك اسأل الله ان تكونى معى فى الجنة اومائة من الغنم قالت الجنة * هركه بيند مرعطار اصد عوض * زود در بازد عطارا زين غرض * آرزوى كل بود كل خواره را * كاشكر نكواردد آن بيچاره را (الذى يصلى النار الكبرى) اى يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار وآتش آن از آتش دركات ديكر تيز تر وسوزنده تر است وآن جاى آل فرعون ومنافقان ومنكران مائدة عيسى عليه السلام باشد ونار صغرى درطبقة عليا كه جاى كنهكاران امت محمد مصطفا ست عليه السلام فالكبرى اسم تفضيل لانه تأنيث الاكبر والمفضل هو ما فى اسفل دركات جهنم من النار التى هى نصيب الكفار كما قال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار والمفضل عليه ما فى الدركات التى فوقها فان لجهنم نيرانا ودركات متفاضلة كما ان فى الدنيا ذنوبا ومعاصى متفاضلة فكما ان الكفار أشق العصاة كذلك يصلون أعظم النيران وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا يعنى ان المفضل نار الآخرة والمفضل عليه نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وقد غمست فى ماء البحر مرتين ليدنى منها و ينتفع بها ولولا ذلك ما دنوتم منها و يقال انها تتعوذ بالله من جهنم وان ترد اليها يقول الفقير الظاهر ان المراد بالنار الكبرى هو العذاب الاكبر فى قوله تعالى فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو عذاب الآخرة واما العذاب الاصغر فهو عذاب الدنيا وعذاب البرزخ فانه يصغر بالنسبة الى عذاب الآخرة قال بعض الحكماء علامة الشقاوة اشياء كثيرة الاكل والشرب والنوم والاصرار على الذنب وقساوة القلب وكثرة الذنب ونسيان الرب والوقوف بين يدى الملك الجبار فهذا هو الاشقى الذى يدخل النار الكبرى وفى التأويلات النجمية النار ناران نار حجاب الدنيا بالاشتغال بالشهوات واللذات وهى الصغرى ونار حجاب الآخرة وهو الابتلاء بالخذلان والخسران والطرد والهجران كما قال تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا لفوات الاستعداد وقال القاشانى النار الكبرى هى نار الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير ونار القهر فى مقام الصفات ونار الغضب والسخط فى مقام الافعال ونار جهنم الآثار فى المواقف الاربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت وحضرة اللاهوت أبد الآبدين فالاكبر ناره (ثم لا يموت فيها) حتى يستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه كما يقال لمن ابتلى بالبلاء الشديد لا هو حى ولا هو ميت وثم للتراخى من مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحيات افظع من نفس الصلى وقال ابن عطاء لا يموت فيستريح من غم القطيعة ولا يحيى فيصل الى روح الوصلة وفى التأويلات النجمية لا يموت نفسه بالكلية ليستريح من عقوبات الحجاب والاحتجاب ولا يحيى قلبه بحياة الايمان لكونه فى دار الجزاء لا فى دار التكليف وقال القاشانى لا يموت لامتناع انعدامه ولا يحيى بالحقيقة لهلاكه الروحانى اى يتعذب دائما سرمدا فى حالة يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك اعيد الى الحياة وعذب فلا يكون ميتا مطلقا ولا حيا مطلقا يقول الفقير لا يموت لان الموت يذبح فلا موت ولا يحيى لان المغموم كالميت فيبقى فى العذاب الروحانى كما يبقى فى العذاب الجسمانى قال بعض الكبار لا حياة الا عن موت ولا موت الا عن رؤية حى فمن مات غير هذا الموت فلا يحيى ومن حى غير هذه الحياة فهى حياة حيوانية لا حياة انسانية (قد افلح) اى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه (من تزكى) اى تطهر من الكفر والمعاصى بتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى فى الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها و ينتظره (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) اقام الصلوات الخمس كقوله اقم الصلاة لذكرى اى كبر تكبيرة الافتتاح فصلى فالمراد بالذكر تكبيرة الافتتاح لكن لا يختص الذكر عند الحنفية بان يقول الله اكبر لعموم الذكر ودل العطف بالفاء التعقيبية على عدم دخول التكبير فى الاركان لان العطف يقتضى المغايرة بين المعطوفين قال الامام مراتب اعمال المكلف ثلاث فاولاها ازالة العقائد الفاسدة عن

القلب وهي المرادة بالتزكي والثانية استحضار معرفة الله بذاته وصفاته واسمائه وهي المرادة بالذكر لان الذكر بالقلب ليس الا المعرفة والثالثة الاشتغال بالخدمة والطاعة وهي المرادة بالصلاة فانها عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله لابد وان يظهر فى جوارحه واعضائه اثر الخضوع والخشوع قال بعضهم خلق الله وجهك يصلح للسجدة وعينك تصلح للعبرة وبدنك يصلح للخدمة وقلبك يصلح للمعرفة وسرك يصلح للمحبة فاذكر وانعمة الله عليكم حيث زين السنتكم بالشهادة وقلوبكم بالمعرفة وابدانكم بالعبادة (روى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى قال الله سبحانه انى مع المصلين ثلاث شرائط احداها تنزل الرحمة من عنان السماء الى مفرق رأسه مادام فى صلاته والثانية حفته الملائكة باجنحتها والثالثة أناجى معه كلما قال يارب اقول لبيك ثم قال عليه السلام لو علم المصلى من يناجى ما التفت (وروى) عن ابن عمر رضى الله عنه ان المراد بالتزكى اخراج صدقة الفطر قبل المضى الى المصلى وبالذكر ان يكبر فى الطريق حين خروجه الى المصلى وبالصلاة ان يصلى صلاة العيد بعد ذلك مع الامام وهذه السورة وان كانت مكية بالاجماع ولم يكن بمكة عيد ولا صدقة فطر الا انه لما كان فى علمه ان ذلك سيكون اثنى الله على من فعل ذلك فانه تعالى قد يخبر عما سيكون وفى الآية اشارة الى تطهير النفس عن المخالفات الشرعية وتطهير القلب عن المحبة الدنيوية بل عن ملاحظة الغير والتوجه الى الله تعالى بقدر الاستعداد اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها (بل تؤثرون الحياة الدنيا) اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تختارون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضى والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما فى قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية اوللكل فالمراد بايثارها ما هو أعم مما ذكر ومالا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة فى السعى وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة ولتشديد العتاب فى حق المسلمين وفى فتح الرحمن فالكافر يؤثرها ايثار كفر يرى ان لا آخرة والمؤمن يؤثرها ايثار معصية وغلبة نفس الامن عصم الله وفى عين المعانى خطاب للامة اذ كل يميل الى الدنيا اما رغبة فيها او ادخارا لثواب الآخرة (وفى كشف الاسرار) مصطفى عليه السلام اول قلم فتوى در حق دنيا اين راند كه حلالها حساب وحرامها عذاب آنكه روى نعمت كرد كه الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله * اكر دينت همى بايد ز دنيا دار پى بكسل * ورت دنيا همى بايد به دين وبر دنيا * وراز دوزخ همى ترسى بمالى بس مشوغره * كه اينجا صورتش مالست وآنجا شكلش ازدرها * چه مانى بهر مرداري چوزاغان اندرين بستى * قفص بشكن چوطوطا وسان يكى بر پريزين بالا (والآخرة خير وابقى) حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اى تؤثرونها على الآخرة والحال ان الآخرة خير فى نفسها لما ان نعيمها مع كونه فى غاية مايكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره وفيه اشارة الى ان ظواهر الاشياء بالنسبة الى حقائقها كالقشر بالنسبة الى اللب واللب خير من القشر وابقى لان لب الحب يحفظ زمانا طويلا وقشره اذا سلخ من اللب يطرح فى النار او يرمى بالمزابل فيفنى بعد اليومين او اكثر فأرباب القشر يؤثرون الامور الظاهرة الحسية الدنية الفانية على الامور الباطنة المعنوية الشريفة العزيزة الباقية لكونهم محجوبين عن الآخرة وارباب اللب يختارون الآخرة بل الله الآخر كما قال قل الله ثم ذرهم وبقال قد افلح من تزكى اى من تاب من الذنوب وذكر اسم ربه يعنى اذا سمع الاذان خرج الى الصلاة ثم ذم تارك الجماعة لاجل اشتغاله بالدنيا فقال بل تؤثرون الحياة الدنيا يعنى تختارون عمل الدنيا على عمل الآخرة وعمل الآخرة خير وابقى من عمل الدنيا والاشتغال بها وبزينتها (ان هذا) اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى (لفى الصحف الاولى) جمع صحيفة وهى الكتاب قال الراغب الصحيفة المبسوط من كل شئ كصحيفة الوجه والصحيفة التى كان يكتب فيها والمصحف ما جعل جامعا للصحف المكتوبة والمعنى لثابت فيها يعنى ان تطهير النفس عما لا ينبغى وتكميل الروح بالمعارف وتكميل الجوارح بالطاعة والزجر عن الالتفات الى الدنيا والترغيب فى الآخرة وفى ثواب الله فى دار كرامته لا يجوزان يختلف باختلاف الشرائع (صحف) جدك

(ابراهيم) الخليل عليه السلام (و) صحف اخيك (موسى) الكليم عليه السلام بدل من الصحف الاولى (روى) ان جميع ما انزل الله من كتاب مائة واربعة كتب انزل على آدم عليه السلام عشر صحف حروف التهجى صحيفة منها وعلى شيث عليه السلام خمسين صحيفة وعلى ادريس عليه السلام ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عليه السلام عشر صحائف والتوارة والانجيل والزبور والفرقان فصحف موسى هى الالواح التى كتبت فيها التوراة كذا قال الامام وفى التيسير صحف شيث وهى ستون وصحف ابراهيم وهى ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة وهى عشر والتوراة والانجيل والزبور والقرآن وكان فى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه وايضا الخروج عما سوى الله بنعت التجريد كما قال انى برئ مما تشركون والاقبال على الله لقوله انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض ونقل من صحف موسى يقول الله يا ابن آدم اعمل لنفسك قبل نزول الموت بك ولا تغرنك المطية فان على آثارها السفر ولا تلهينك الحياة وطول الامل عن التوبة فانك تندم على تأخيرها حين لا ينفعك الندم يا ابن آدم اذا لم تخرج حق من مالى الذى رزقتك اياه ومنعت منه الفقراء حقوقهم سلطت عليك جبارا ياخذه منك ولا اثيبك عليه وفى صحف موسى ايضا سرعة الشوق الى جماله والندم على الوقوف فى المقامات عند تعريف الصفات لقوله انى تبت اليك وانا اول المؤمنين وفى التيسير دل الكلام على قول الامام الاعظم رحمه الله ان قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة صحيحة وهو قرآن باى لسان قرئ لانه جعل هذا المذكور مذكورا فى تلك الصحف ولذلك قال وانه لفى زبر الاولين ولا شك انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة وكان قرآنا لان العبرة بالمعانى والالفاظ ظروف وقوالب لها انتهى وفيه تأييد لمن جوز نقل الحديث بالمعنى وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين اللتين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وفى الوتر بقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وبه عمل الشافعى ومالك رحمهما الله واما عند ابى حنيفة واحمد فالمستحب فى الثالثة الاخلاص فقط

تمت سورة الاعلى يوم الاثنين الخامس عشر من شهر المولد فى سنة سبع عشرة ومائة والف

* (سورة الغاشية ست وعشرون آية مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(هل اتاك حديث الغاشية) قال قطرب من ائمة النحو اى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية قال المولى ابو السعود رحمه الله فى الارشاد وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التى حقها ان يتلقاها الرواة ويتنافس فى تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التى تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهى القيامة كما قال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال يوما كان شره مستطيرا يقال غشيه يغشاه اى غطاه وكل ما احاط بالشئ من جميع جهاته فهو غاشيه (وجوه يومئذ خاشعة) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن الاستفهام التشويقى كأنه قيل من جهته عليه السلام ما اتانى حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ وهو ظرف لما بعده من الاخبار الثلاثة اى يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس فان الخشوع والخضوع والتطامن والتواضع كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يعترى الانسان من الذل والخزى والهوان فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها فى موقع التنويع وخاشعة خبره قال الشيخ لعل وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب وجوه بالاضافة الا ان الخشوع والذل لما كان يظهر فى الوجه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وانما قلنا ان الذل يظهر فى الوجه لانه ضد التكبر الذى محله الرأس والدماغ والمراد باصحاب الوجوه هم الكفار بدلالة ما بعده من الاوصاف (عاملة ناصبة) خبران آخر ان لوجوه اذ المراد بها اصحابها كما اشير اليه آنفا والنصب التعب والناصبة التعبة يقال نصب نصبا من باب علم اذا تعب فى العمل والمعنى تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها لانها تكبرت عن العمل لله فى الدنيا فاعملها الله فى اعمال شاقة وهى جر السلاسل والاغلال الثقيلة كما قال فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا والخوض فى النار خوض الابل فى الوحل اى الطين الرقيق والصعود فى تلال النار والهبوط فى وهادها وقال بعضهم خشوع الظاهر ونصب الابدان

لايقربان الى الله تعالى بل يقطعان عنه وانما يقرب منه سعادة الازل وخشوع السر من هيبة الله وهو الذى يمنع صاحبه من جميع المخالفات فالرهابنة والفلاسفة واضرابهم من اهل الكفر والبدع والضلال انما يضربون حديد البارد اويتعبون انفسهم فى طريق الهوى والسعى فيه (تصلى) تدخل (نارا) وتذوق لهبها (حامية) اى متناهية فى الحر وقدا وقدت ثلاثة آلاف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وهو خبر آخر لوجوه قال فى القاموس حمى الشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرهما وقال السجاوندى حامية اى دائمة الحمى والا فالنار لاتكون الاحامية (تسقى) بعد مدة طويلة من استغاثتهم من غاية العطش ونهاية الاحتراق اى سقاها الله اوالملائكة بامره (من عين) اى چشمهٔ آب كه (انية) اى متناهية بالغة فى الانى اى الحر غايتها لتسخينها بتلك النار منذ خلقت لووقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فاذا ادنيت من وجوههم تناثرت لحوم وجوههم واذاشربوا قطعت امعاءهم كماقال تعالى وبين حميم آن يقال انى الحميم آنتهى حره فهوآن وبلغ هذا اناه وانا غايته وفيه اشارة الى نار الطبيعة وعين الجهل المركب الذى هومشرب اهلها والاعتقاد الفاسد المؤذى (ليس لهم طعام الامن ضريع) بيان لطعام الكفار فى النار اثر بيان شرابهم واورد ضمير العقلاء اشارة الى ان المراد من الوجوه اصحابها وانما اسند اليها ماذكر من الاحوال لكونها مظهرا يظهر فيه ماقى الباطن مع انها يكنى بها كثيرا عن الذوات والضريع يابس الشبرق كزبرج وهوشوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال فى فتح الرحمن سموا ذلك الشوك ضريعا لانه مضعف للبدن ومهزل يقال ضرع الرجل ضراعة ضعف وذل وعن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه الضريع شئ فى النار يشبه الشوك امر من الصبر وأنتن من الجيفة واشد حرا من النار وهذا طعام بعض اهل النار والزقوم والغسلين لآخرين بحسب جرائمهم وبه يندفع التعارض بين هذه الآية وبين آية الحاقة وهى قوله تعالى ولاطعام الامن غسلين قال سعدى المفتى ويمكن فى قدرة الله ان يجعل الغسلين اذا انفصل عن ابدان اهل النار على هيئة الضريع فيكون طعامهم الغسلين الذى هو الضريع انتهى يقول الفقير ويمكن عندى ان يجعل كل من الضريع والغسلين والزقوم بالنسبة الى شخص واحد بحسب الاعمال المختلفة فان لكل عمل أثرا مخصوصا وجزاء متعينا فيصح الحصر وتحقيقه ان الضريع اشارة الى الشبه والعلوم الغير المنتفع بها المؤذية كالمغلطات والخلافيات والسفسطة ومايجرى مجراها على ماقاله القاشانى والغسلين اشارة الى الشهوات الطبيعية ولذا يسيل من ابدانهم فان لكل شهوة رشحا وعرقا وكل اناء يترشح بمافيه والزقوم اشارة الى خوضهم فى الانبياء والاولياء وطعنهم فى دينهم وضحكهم منهم وكانوا يتلذذون بذلك على ماأشار اليه قوله تعالى واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين اى متلذذين بمافعلوا من التغامز والسخرية ونحو ذلك على ان الزقة هو الطاعون ووجه آخر وهو انه يمكن الترتيب بالنسبة الى شخص واحد بان يكون الزقوم نزلاله والضريع اكلاله بعد ذلك والغسلين شراباله كالحميم والعلم عند الله (لايسمن) فربه نمى كند آن ضريع (ولايغنى من جوع) ودفع نمى كند كرسنكى را اى ليس من شانه الاسمان والاشباع كماهو شان طعام الدنيا وانما هو شئ يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لاعلى ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لايفيدهم شيأ منهما بل على انه لااستعداد من جهتهم ولاافادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ماهو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل مايتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يتلذذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى احشائهم الى ادخال شئ كشيف يملأها ويخرج مافيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما والتذاذ به عند الاكل والاستغناء به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه فى بطونهم الى شئ مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به فى الجملة وهو المعنى بماروى انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اى لايغنى من جوع ما وتأخير نفى الاغناء عنه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى

كلا الامرين اذا لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لتأكيد النفي (وجوه يومئذ ناعمة) اى ذات بهجة وحسن وضياء مثل القمر ليلة البدر وبالفارسية تازه باشد اثر نعمت در روى پيدا فناعمة من نعم الشئ بالضم نعومة اى صار ناعما لينا ويجوز ان يكون بمعنى متنعمة اى بالنعم الجسمانية والروحانية وهى وجوه المؤمنين فيكون المراد بها حقيقة النعمة وانما لم تعطف على ما قبلها ايذانا بكمال تباين مضمون الجملتين وتقديم حكاية اهل النار لانها ادخل فى تهويل الغاشية وتفخيم حديثها وفيه اشارة الى نعيم اللقاء الذى هو ثمرة اللطافة والنورية التى هى نتيجة التجرد كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان بالنظر الى الرب يحصل نضرة اى نضرة (لسعيها راضية) اى لعملها الذى عملته فى الدنيا حيث شاهدت ثمرته ورأت عاقبته الحميدة فاللام متعلقة براضية والتقدير راضية سعيها فلما تقدم المعمول على العامل الضعيف جئ باللام لتقوية العمل ويجوز ان تكون لام التعليل اى لاجل سعيها فى طاعة الله راضية جزاءها وثوابها ودخل فى السعى الرياضات والمجاهدات والخلوات (فى جنة عالية) اى كائنة اوممكنة فى جنة مرتفعة المحل فان الجنات فوق السموات العلى كما ان النيران تحت الارضين السبع وايضا هى درجات بعضها اعلى من بعض والدرجة مثل ما بين السماء والارض فتكون من العلو فى المكان وفى الحديث (ان المتحابين فى الله فى غرف ينظر اليهم اهل الجنة كما ينظر اهل الدنيا الى كواكب السماء) يجوز ان يكون معنى عالية علية المقدار فتكون من العلو فى القدر والشرف لتكامل ما فيها من النعيم وفيه اشارة الى المقامات العالية المعنوية لانها مقامات اهل الوجاهة والشرف المعنوى فلا يصل اليها اهل التمنى والدعوى (لا تسمع) انت يا مخاطب فالخطاب عام لكل من يصلح له او لوجوه فيكون التاء للتأنيث لا للخطاب (فيها) اى فى تلك الجنة العالية (لاغية) لغوا من الكلام وهو ما لا يعتد به فهى مصدر كالعافية او كلمة ذات لغو على انها للنسبة او نفسا تلغو على انها اسم فاعل صفة لموصوف محذوف هو نفس وذلك فان كلام أهل الجنة كله اذكار وحكم اذ لا يدخلها المؤمن الا من مرتبة القلب والروح فان النفس والطبيعة تطرحان فى النار وشأن القلب والروح هو الذكر كما ان شأن النفس والطبيعة هو اللغو فكما لا لغو فى الجنة الصورية فكذا لا لغو فى الجنة المعنوية فى الدنيا لاستغراق أهلها فى الذكر وسماع خطاب الحق ولذا لا تسمع فى مجالسهم الا المعارف الربانية والحكم الرحمانية وفى الحديث (ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس واما الدنيا ومجالس أهلها فلا تخلو من اللغو ولذلك قال عليه السلام (من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه) وهو الكلام الردئ القبيح والضجة والاصوات المختلفة لا يفهم معناها (فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك) اى ما لم يتعلق بحق آدمى كالغيبة (فيها عين جارية) التنوين للتكثير اى عيون كثيرة تجرى مياهها على الدوام حيث شاء صاحبها وهى أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من شرب منها لا يظمأ بعدها أبدا ويذهب من قلبه الغل والغش والحسد والعداوة والبغضاء وفيه اشارة الى عيون الذوق والكشف والوجدان والتوحيد فان بها يحصل الشفاء والصحة والبقاء لاهل القلوب وأصحاب الارواح (فيها سرر) يجلسون عليها جمع سرير وهو معروف يعنى درآنجا تختها بر هر تختى هفصد پيغمبر بر هر پيترى حورى چون ماه انور (مرفوعة) رفيعة السمك اى عالية فى الهواء على قوائم طوال فان السمك هو الامتداد الآخذ من أسفل الشئ الى أعلاه فالمراد برفعة سمكها شدة علوها فى الهواء فيرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما اعطاه ربه فى الجنة من النعيم الكبير والملك العظيم قال عليه السلام ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام قيل اذا جاء ولى الله ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت ويجوز ان يكون المعنى رفيعة المقدار من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال فى ذواتها وصفاتها اصل آن زرمكال بزرجد وجواهر وقال الحراز قدس سره هى سرائر رفعت عن النظر الى الاعراض والاكوان وفيه اشارة الى مراتب الاسماء الالهية التى بلغوها بالانصاف والتخلق بها فى السلوك فانها رفيعة قدرها عن مراتب الجسمانيات (واكواب) يشربون منها جمع كوب بالضم وهو اناء لا عروة له ولا خرطوم يعنى بى دسته ولوله مدور الراس ليمسك من اى طرف

اريد بخلاف الابريق وهو مستعمل فى بعض بلاد العرب الآن ولذا وقع به التشويق (موضوعة) اى بين ايديهم حاضرة لديهم لايحتاجون الى ان يدعوا بها وهو لاينافى ان يكون بعض الاقداح فى ايدى الغلمان كما سبق فى هل اتى على الانسان الخ وفيه اشارة الى ظروف خمور المحبة وشبانها على حالها مع مافيها (ونمارق) وسائد يستندون اليها للاستراحة جمع نمرقة بفتح النون وضمها والراء مضمومة فيهما بمعنى الوسادة (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض كما يشاهد فى بيوت الاكابر ايما اراد ان يجلس المؤمن جلس على واحدة واستند الى اخرى وعلى رأسه وصائف كما نهن الياقوت والمرجان وفيه اشارة الى التجريد والتفريد والجمع والتوحيد ايما يريدون يجلسون ويستندون اليها (وزرابى) اى بسط فاخرة جمع زربى قال الراغب هو ضرب من الثياب مجر منسوب الى موضع على طريق التشبيه والاستعارة (مبثوثة) اى مبسوطة على السرر زينة وتمتعا وفيه اشارة الى انبساط ارواحهم وانشراح صدورهم وانفتاح قلوبهم فى بساط القدس والانس والى مقامات تجليات الافعال التى تحت مقامات الصفات كالتوكل تحت الرضى مبثوثة اى مبسوطة تحتهم واصل البث اثارة الشئ وتفريقه كبث الريح التراب (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) الهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام والابل بكسرتين وتسكن الباء واحد يقع على الجمع وليس بجمع ولا اسم جمع والجمع آبال كما فى القاموس وقال بعضهم اسم جمع لاواحد لها من لفظها وانما واحدها بعير وناقة وجمل وكلمة كيف منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر والجملة فى حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل اى ينكرون ماذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه عن قدرة الله فلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل التى هى نصب عينهم يستعملونها كل حين انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات فى عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللائقة بتأتى مايصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنهوض من الارض بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش حتى ان ظمأها ليبلغ العشر فصاعدا واكتفاءها بالسير ورعيها الكل ماتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لايكاد يرعاه سائر البهائم وفى انقيادها مع ذلك للانسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير وتبول من خلفها لان قائدها امامها فلا يترشش عليه بولها وعنفها اسلم اليها وتأثرها من المودة والغرام وتسكرها منها الى حيث تنقطع عن الاكل والشرب زمانا ممتدا وتأثرها من الاصوات الحسنة والحداء وتصير من كمال التأثر الى حيث تهلك نفسها من سرعة الجرى ويجرى الدمع من عينيها عشقا وغراما بير رومى فرموده است * برخوان ا فلا ينظرون ما قدرت ما بينى * يكره بشتر بنكر تا صنع خدا بينى * در خار خورى قانع در بار برى راضى * اين وصف اكر جوبى در اهل صفا بينى * ولم يذكر الفيل مع انه اعظم خلقة من الابل لانه لم يكن بارض العرب فلم تعرفه ولا يحمل عليه عادة ولا يحلب درة ولا يؤمن ضره بخلاف شتركه هرچه مطلوبست از حيوان مثل نسل وحمل وشير ولحم وركوبهم ازو حاصل است وقال بعض العلماء لما ذكر الله الجنة وما اتخذ فيها من المنازل الرفيعة والسرر العالية التى سمكها كذا وكذا ذراعا قالوا فكيف يقعد احدنا عليها وقامته قصيرة وهو لايكاد يرى سطحا بغير سلم وتعجب المشركون منه وايضا كفتند بطريق سخريت كه اكر اين واقعست پس بلال وخباب وامثال ايشان اكار افتاد زيرا بسى زحمت بايد تا بربالاى آن تخت بلند رود وبعضى فرصت بايد تا از ان فرود ايند اين آيت آمد كه افلا ينظرون الخ يعنى شتر با آن همه بلندى وبزركى برشته مسخر كودكى ميشود تا بر وبر آيد وفرود آيد پس چرا از تخت بهشت متعجب ميشوند كه در فرمان بهشتى باشد (والى السماء) التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار (كيف رفعت) رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا تناله الفهوم والادراك (والى الجبال) التى يتزلون فى اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها (كيف نصبت) نصبا رصينا فهى راسخة لاتميل ولا تميد وقال ابو الليث كيف نصبت على الارض او تادا لها وفيه اشارة الى عالم المثال لانه متوسط بين سماء الروحانيات وارض الجسمانيات كالجبال فى الخارج (والى الارض كيف سطحت) اى والى الارض التى يضربون فيها يتقلبون عليها كيف سطحت سطحا وبسطت على ظهر الماء بسطا حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق والاستدلال بكونها مبسوطة

على عدم كونها كرة مجاب بان الكرة اذا كانت عظيمة جدا يكون كل قطعة منها كالسطح فيصح ان يطلق عليها البسط ففرق بين كرة وكرة كانه فرق بين بيض الحمامة و بيض النعامة و المعنى افلا ينظرون نظر التدبر و الاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث و النشور لاشعارها بان خالقها متصف بصفات الكمال من القدرة والقوة والحكمة منزه عن صفات النقصان من العجز و الضعف والجهل حتى يرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقاء الله بالايمان والطاعة در تبيان آورده كه مخاطب عرب اند واكثر ايشان اهل بريه باشند ومال ايشان شتراست وهر طرفى مينگرند جز آسمان وزمين وكوه نمى بينند لاجرم بعد ازذكر شتر آسمان وكوه وزمين يادميكرد يعنى قرنت الابل بالسماء والجبال بالارض لان الآية نزلت بطريق الاستدلال وهم كانوا مشتغلا بهذه الاشياء من غيرهم فلذا جمع الله بينها وقال الغزالى رحمه الله خص الابل بالذكر لانها لائقة بقرآئنها معنى فالسماء الظليلة والارض الزاملة والجبال الثقيلة كالابل الفرش والحمولة فالسحاب تحمل الماء الزلال والابل الاحمال الثقال والارض الجبال والكل مسخر بأمره قال القرطبى قدم الابل فى الذكر ولو قدم غيره جاز وعن القشيرى رحمه الله انه قال ليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة يقول الفقير ان قلت لو اخر ذكر الابل لكان له مناسبة تامة مع ذكر الارض لان الابل سفن البر قلت نعم لكنه اعتبر سمك الابل فترقى منه الى سمك السماء ثم يقول الفقير ولى كلام عريض فى هذا المقام ذكرته فى كتاب الواردات الحقية لى وخلاصته انه تعالى اشار بالابل الى النفوس فانها ضخمة جسيمة مثلها و بدأ بالنفوس لانها اصل بمنزلة الام ولدرجة الانوثة تقدم حكمها وان كان لها تأخر صورة كحوآء بالنسبة الى آدم واشار بالسماء الى الارواح لانها علوية و بمنزلة الاب ولهذا اردفها بها واشار بالجبال الى القلوب لانها اثبت من الرواسى ولانها خلقت بعد خلق الروح والنفس كما ان الجبال خلقت بعد خلق السماء والارض فهى بمنزلة الولد لهما ولذا عقبهما بها وقد صح ان الجبال تعبر فى الرؤيا باهل القلوب من الرجال لانهم اوتادا لارض والعمد المعنوية فى الحقيقة كما ان الجبال اوتاد الارض فى الصورة واشار بقوله نصبت دون خلقت الى ان القلوب فى الحقيقة امر ملكوتى وان ظهرت فى الصورة ظهور الولد من الابوين واشار بالارض الى الاجساد السافلة وهى مؤخرة فى المرتبة فالله تعالى سطح ارض البشرية والجسدانية لتكون مستقر النفوس وخلق النفوس لتكون مستوى القلوب وخلق القلوب لتكون عروش الروح بل السر بل الاخفى فما احسن ترتيب هذه الآية وما اشد انتظام جملتها وتناسبها فهى كالجمع بين كاتب وقلم وقرطاس ودواة والله تعالى اعلم (فذكر) الفاء لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اى فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون (انما انت مذكر) تعليل للامر بما امرت به اى مبلغ وانما الهداية والتوفيق الى الله تعالى (لست عليهم بمصيطر) اى لست بمسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار واكثر القراء قرأوا بمصيطر بالصاد على القلب لمناسبة الطاء بعدها وقرئ بالسين على الاصل و بالاشمام بان يخلط صوت الصاد بصوت الزاى بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاى وخلط حرف بحرف احد معانى الاشمام فى عرف القراء يقال سطر يسطر سطرا كتب والمسيطر والمصيطر المسلط على الشئ المشرف عليه و يتعهد احواله و يكتب عمله فاصله من السطر فالكتاب مسيطر والذى يفعله مسيطر وقال الراغب يقال سطر فلان على كذا اوتسطر عليه اذا قام عليه قيام سطر اى لست عليهم بقائم وحافظ واستعمال مسيطر هنا كاستعمال القائم فى قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والحفيظ فى قوله وما انت عليهم بحفيظ انتهى (الا من تولى) اعرض عن الحق اوعن الداعى اليه بعد التذكير (وكفر) وثبت على الكفر او اظهره وفى فتح الرحمن الا من تولى عن الايمان وكفر بالقرآن او بالنعمة وفى التأويلات النجمية الا من تولى عن الحق بالاقبال على الدنيا وكفر اى ستر الحق بالخلق وهو استثناء منقطع ومن موصولة لاشرطية لمكان الفاء ورفع الفعل اى لكن من تولى وكفر فان لله الولاية والقهر وهو المسيطر عليهم قالوا وعلامة كون الاستثناء منصلا محضا ان يحسن ذلك نحو عندى ما شان الا درهما فلا يدخل عليه ان (فيعذبه الله العذاب الاكبر) الذى هو عذاب جهنم حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها من حديد وفى فتح الرحمن الاكبر عذاب جهنم والاصغر ما عذبوا به فى الدنيا من الجوع والاسر والقتل ويؤيده ما قال

الراغب فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى فيه تنبيه على ان كل ما ينال الكافر من العذاب قبل ذلك فى الدنيا وفى البرزخ صغير فى جنب عذاب ذلك اليوم انتهى وايضا قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الاكبر فان المراد بالعذاب الأدنى هو العذاب الاصغر الدنيوى لا البرزخى لقوله تعالى بعده لعلهم يرجعون فان الرجوع انما يعتبر فى الدنيا لا فى البرزخ وفيما بعد الموت فيكون المراد بالعذاب الاكبر هو العذاب الاخروى واليه ينظر قوله تعالى يصلى النار الكبرى كما سبق وفى التأويلات النجمية العذاب الاكبر هو عذاب الاستتار فى الدنيا وعذاب نار الهجران فى الآخرة (ان الينا ايابهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر يقال آب يؤوب اوبا وايابا رجع اى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا كما قال تعالى الا الى الله تصير الامور واليه يرجع الامر كله فتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فانه يفيد معنى ان يقال ان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام كما ان مبدأهم وصدورهم كان منه وفيه تخويف شديد فان رجوع العبد العاصى المصر الى مالكه الغضوب فى غاية الصعوبة ونهاية العسرة وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها (ثم ان علينا حسابهم) فى المحشر لا على غيرنا فنحن نحاسبهم على النقير والقطمير من نياتهم واعمالهم وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتب الزمانى بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران قال ابو بكر بن طاهر رحمه الله ان الينا ايابهم فى الفضل ثم ان علينا حسابهم فى العدل وقال البقلى رحمه الله انظر كيف تفضل بعد الوعيد بان جعل نفسه مآبهم وتكفل بنفسه حسابهم فينبغى ان يعيشوا بهذين الفضلين اطيب العيش فى الدارين ويطيروا من الفرح بهذين الخطابين يقول الفقير ما قاله البقلى هو ما ذاقه العارفون بطريق المكاشفة فينبغى ان لا يغتر به العوام فانه قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتزينوا للعرض الاكبر على الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية انما خف الحساب فى الآخرة على قوم حاسبوا انفسهم فى الدنيا وثقلت موازين قوم فى الآخرة وزنوا نفوسهم فى الدنيا ومحاسبة النفس تكون بالورع وموازنتها تكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض يكون بمخافة الملك الاكبر وعن على رضى الله عنه اما بعد فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نلت من الدنيا فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعنه اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وفى الحديث ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشئ من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وقال عليه السلام لو لم ينزل على الا هذه الآية لكانت تكفى ثم قرأ آخر سورة الكهف فمن كان يرجو لقاء ربه الخ فكان هذا فصل الخطاب وبلاغا لأولى الالباب فالعمل الصالح الاخلاص بالعبادة ونفى الشرك بالخلق هو اليقين بتوحيد الخالق فاكان لله اى خالصا لاجله وبالله اى بمشاهدة قربه لا بمقارنة نفسه وهواه وفى الله اى فى سبيله وطلب ما عنده لا لاجل عاجل حظه فمقبول واهله من المقربين وحسابهم حساب يسير بل لا حساب لهم

تمت سورة الغاشية بعون الله ذى العطايا الفاشية فى السابع عشر من شهر مولد النبى عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة وا

(سورة الفجر تسع او اثنتان وثلاثون آيه مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) قال فى كشف الاسرار لما كان العرب اكثر خلق الله قسما فى كلامهم جاء القرآن على عادتهم فى القسم والفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ولا يتعلق به حكم ومستطير وهو الصادق الذى يتعلق به الصوم والصلاة اقسم الله بالفجر الذى هو اول وقت ظهور ضوء الشمس فى جانب المشرق كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس لما يحصل به من انقضاء الليل بظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش فى طلب الارزاق وذلك مشاكل النشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل (وقال الكاشفى) سوكند بصبح كه وقت مناجات دوستانست او اقسم بصباح عرفة لانه يوم شريف يتوجه فيه الحجاج الى جبل عرفات وفى الحديث (الحج عرفة) يعنى صباح روز عرفه كه وظائف دعا ونياز حاجيان

درآنست * اوصباح يوم النحر لانه يوم عظيم ايضا ويقع فيه الطواف المفروض والحلق والرمى ويروى ان يوم النحر يوم الحج الاكبر وبقولى مراددر و زاول محرم است كه سال ازو منفجر ميشود يا بامداد آذينه كه حج مسكينا نست ودرتبيان آورده كه اشارت بانفجار آب ازاصابع حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم در روز طائف وغير آن وكفته اند انفجار ناقه ازصخرهٔ صالح عليه السلام يا انفجار عيون وينابيع يا انفجار آب ازحجر موسى عليه السلام يا انفجار مطر ازسحاب ياروان شدن اشك ندامت ازديدهٔ عاصيان * يران ازدوسر چشمهٔ ديده جوى * ورآلايشى دارى ازخود بشوى (وليال عشر) هن عشر ذى الحجة والعرب تذكر الليالى وهى تعنيها بايامها تقول بنى هذا البناء ليالى الساماتية اى ايامهم اوالعشر الاواخر من شهر رمضان وتنكيرها للتعظيم لانها مخصوصة بفضائل ليست لغيرها ولذا اقسم الله بها وذلك كالاشتغال باعمال الحج فى عشر ذى الحجة وفى الحديث مامن ايام ازكى عندالله ولااعظم اجرا من خير عمل فى عشر الاضحى قيل يارسول الله ولاالمجاهد فى سبيل الله قال ولاالمجاهد فى سبيل الله الارجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ وفيه اشارة الى ان الغازى ينبغى ان يخرج من بيته على قصد ان لايعود والله يفعل مايريد واما شرف العشر الاواخر فيكفى ان ليلة القدر التى هى خير من الف شهر تطلب فيها وكفته اند مراد دهه محرم است كه عاشورا از آنست يادهه ميان شعبان كه شب برآءت در آنست * وقال البقلى هى ليال ست خلق فى ايامها السموات والارض وليلة خلق فيها آدم عليه السلام وليلة يومها يوم القيامة وليلة كلم الله فيها موسى عليه السلام وليلة اسرى بالنبى عليه السلام وقال القاشانى اقسم بابتداء ظهور نور الروح على مادة البدن عند اول اثر تعلقه به وليال عشر ومحال الحواس العشر الظاهرة والباطنة التى تتعلق عند تعلقه به لكونها اسباب تحصيل الكمال وآلاتها وفى التأويلات النجمية يشير الى القسم بانفجار الحسنة الواحدة من ارض قلب المؤمن وليال الحسنات العشر المشار اليها بقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وانما سماها بليال لكون ظهور الحسنات العشر من غيب مرتبة احدية الحسنة الواحدة من غير الاكتساب من نهار العمل بل من عالم الغيب بطريق الموهبة الالهية (والشفع) بالفارسية جفت وذلك لان الشفع ضم الشئ الى مثله (والوتر) بفتح الواو وكسرها اى شفع هذه الليالى ووترها والظاهر التعميم لان الالف واللام للاستغراق اى الاشياء كلها شفعها ووترها لان كل شئ لابد ان يكون شفعا اووترا وقال الراغب المخلوقات كلها من حيث انها مركبات كما قال ومن كل شئ خلقنا زوجين فهو الشفع واما الوتر فهو الله تعالى من حيث ان له الوحدة من كل وجه واليه يرجع قول من قال من كبار اهل الحال يشير الى القسم بشفع الكثرة الاسمائية ووتر الوحدة الذاتية الحقيقية ودخل فيهما العناصر الاربعة والافلاك التسعة والبروج الاثنا عشر والسيارات السبع وصلاة المغرب وسائرها ويوم النحر لانه عاشر ايام ذى الحجة ويوم عرفة لانه تاسع تلك الايام واليومان بعد يوم النحر واليوم الثالث وآدم وحواء عليهما السلام زوجين ومريم عليها السلام وترا والعيون الاثنتا عشرة التى فجرها الله لموسى عليه السلام والآيات التسع وايام عاد الشفع ولياليها الوتر كما قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام والشهر الذى يتم بثلاثين يوما والشهر الذى يتم بتسعة وعشرين والاعضاء والقلب والشفتان واللسان والسجدتان والركوع وابواب الجنة وابواب النار ودرجات الجنة ودركات النار وصفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز والارادة والكراهة والحياة والموت وصفات الحق وجود بلا عدم حياة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل ونفس العدد شفعه ووتره والايام والليالى واليوم الذى لاليلة بعده وهو يوم القيامة وكل نبى له اسمان مثل محمد واحمد والمسيح وعيسى ويونس وذوالنون وكل من له اسم واحد مثل آدم ونوح وابراهيم ومسجد مكة والمدينة وكذا يقال لهما الحرمان الشريفان والمسجد الاقصى والجبلان الصفا والمروة والبيت الحرام والنفس مع الروح فى حالة الجمع وهما فى حالة الافتراق وقال سهل رحمه الله الفجر محمد عليه السلام منه تفجرت الانوار وليال عشر هى العشرة المبشرة بالجنة والشفع هو الفرض والوتر هو الاخلاص فى الطاعات (والليل) جنس الليل (اذا يسر) اى يمضى وبالفارسية آنكاه كه بگذرد كقوله والليل اذا ادبر والسرى سير الليل يقال سرى يسرى سرى ومسرى اذا سار عامة الليل وسار يسير سيرا ذهب والتقييد به لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة كان جميع الحيوانات اعيد اليهم الحياة بعد الموت وتسببوا بذلك لطلب الارزاق

المدة للحياة الدنيوية التي يتوسل بها الى سعادة الدارين فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغني عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به في قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار سيره ومضيه وفي قوله وليال عشر هو الليالي بلا اعتبار مضيها بل باعتبار خصوصية اخرى فلا يغني احدهما عن الآخر ويجوز ان يكون المعنى والليل اذا يسر يعني يسري فيه الساري ويسير فيه السائر فاسناد السرى الى الليل مجاز كما في نهاره صائم اي هو صائم في نهاره فالتقييد بذلك لان السير في الليل حافظ للسائر من حر الشمس فان السفر مع مقاساة حر النهار اشد على النفس وقد قال النبي عليه السلام عليكم بالدلجة فان الارض تطوى في الليل وكذا هو حافظ من شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم في الليل وحذفت الياء اكتفاء بالكسر واسقوطها في خط المصحف لموافقة رؤس الآى وان كان الاصل اثباتها لانها لام فعل مضارع مرفوع وسئل الاخفش عن حذفها فقال اخدمني سنة فسأله بعد سنة فقال الليل يسري فيه ولا يسرى فعدل به عن معناه فوجب ان يعدل عن لفظه يعني ان سقوط الياء ليدل على ان اصل الفعل منفي عن الليل وان كان مسندا الى ضميره كما ان حركة العين في الحيوان تدل على وجود معنى الحركة في معنى الحيوان لان للتراكيب خواص بها تختلف وفيه اشارة الى ظلمة البدن اذا ذهبت وزالت بتجرد الروح والى القسم بسريانه ليل الهوية المطلقة في نهار الحقائق المقيدة كما قال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل برفع المقيدات بسطوات انوار المطلق والى القسم بليلة المعراج التي اسرى الله بعبده فيها فكانت اشرف جميع الليالي لانها ليلة القدر والشرف والقرب والوصال والخطاب ورؤية الجمال المطلق (هل في ذلك) الخ تقرير وتحقيق لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا اجلية حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم كما يقول من ذكر حجة باهرة هل فيما ذكرته حجة والمعنى هل فيما ذكر من الاشياء المقسم بها (قسم) اى مقسم به وفي فتح الرحمن مقنع ومكتفى (لذي حجر) لذي عقل منور بنور المعرفة والحقيقة يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر اوهل في الاقسام بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه وبالفارسية آيادرين سوكند كه يادكردم سوكندى پسنديده مرخداوند عقل رانا اعتبار كنندوداند كه سوكند بست محقق ومؤكد والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية بضم النون لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والتنوين في الحجر للتعظيم قال بعض الحكماء العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد فكل قلب لا عقل له فهو ميت بمنزلة قلب البهائم والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن اى الكفار كما ينبئ عنه قوله تعالى (الم تر كيف فعل ربك بعاد) الهمزة للانكار وهو في قوة النفي ونفي النفي اثبات اى الم تعلم يا محمد علما يقينيا جاريا مجرى الرؤية في الجلاء اى قد علمت باعلام الله تعالى وبالتواتر ايضا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب كفار قومك ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وبنو تميم تميما فلفظ عاد اسم للقبيلة المنتسبة الى عاد وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخيرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القرآن خبر عاد الاولى الا ما في سورة الاحقاف (ارم) عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها وكانت منازلهم بين عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف ويؤيده القراءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وفي المفردات الآرام اعلام تبنى من الحجارة وارم ذات العماد اشارة الى اعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة او على هيئة القبور وفيه ايضا حذف مضاف بمعنى اهل الاعلام (ذات العماد) صفة لارم واللام للجنس الشامل للقليل والكثير والعماد كالعمود والجمع عمد وعمد بفتحتين وبضمتين واعمدة اى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة اوذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد يطلبون الكلاء حيث كان فاذا هاجت الريح ويبس العشب رجعوا الى منازلهم اوذات البناء الرفيع وكانوا ذات ابنية مرفوعة على العمد

وكانوا يعالجون الاعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت قصورهم ترى من ارض بعيدة او ذات الاساطين اذ كانت مدينتهم ذات ابنية مرفوعة على الاسطوانات على ان ارم اسم بلدتهم وقال السهيلي رحمه الله ارم ذات العماد وهو جيرون بن سعد بن ارم وهو الذى بنى مدينة دمشق على عمد من رخام ذكر انه ادخل فيها اربعمائة الف عمود واربعين الف عماد من رخام فالمراد هذه العماد التى كان البناء عليها فى هذه المدينة وكانت تسمى جيرون وبه تعرف وسميت دمشق بدمشق بن نمرود عدو ابراهيم الخليل عليه السلام وكان دمشق قد اسلم وبنى جامع ابراهيم فى الشام انتهى لعل هذه الرواية اصح فليتأمل

(التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة اخرى لازم والضمير لها على انها اسم القبيلة اى لم يخلق مثلهم فى عظم الاجرام والقوة فى الآفاق والنواحى حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحى فيهلكهم ولذا كانوا يقولون من اشد منا قوة ونظيرهم فى الطيور الرخ وهو طير فى جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع يحمل حجرا فى رجله كالبيت العظيم ويلقيه على السفينة فى البحر اولم يخلق مثل مدينتهم فى جميع بلاد الدنيا فالضمير لها على انها اسم البلدة وقصة آن بر سبيل اجمال آنست كه عبد الله بن قلابه بطلب شترى كم شده صحراى عدن ميكشت در بيابانى بشهرى رسيد كه بارهٔ محكم داشت كه اساس آن از جزع يمانى وبرحوالئ آن قصور بسيار بود بامید آنكه كسى بيند واحوالى شترخود پرسد بدر حصار امددرى ديدهرد ومصراعش مكلل بجواهر قيمتى وهيچكس راآنجا نيافت متحير شد وچون بشهر درامد حيرتش بيفزود چه قصرها ديد برستونهاى زبرجد وياقوت بنا كرده خشتى اززر وخشتى ازنقره وفرشها برهمين وتيره وبجاى سنك ريزه مرواريد هاى آبدار ريخته ودرحوالئ هرقصرى آبهاى روان برروى لؤلؤ ومرجان ودرختان بسيار تنهاى آن از زر وبركهاى آن از زبرجد وشكوفهاى آن از سيم باخود گفت هذه الجنة التى وعد المتقون (مصراع) اين چه منزل چه بهشت اين چه مقامست اينجا * وقال والذى بعث محمد ابالحق ما خلق الله مثل هذا فى الدنيا پس قدرى ازان جواهر برداشت ودر بس وپشت بست وبمين بازآمد ومردمان آن كوهر رادردست اوديدند وحمل بريافتن كنجى كرده قصهٔ وى در زبانها افتاد تاحدى كه حال اورا بمعاويه كه دران وقت حاكم شام بود دانها كردند معاويه اوراطلبيد وتمام حكايت اواز اول تا آخر استماع كرد پس اورا در مجلس بنشانيد وكعب الاحبار راطلبيده پرسيد كه در دنيا شهرى هست كه بناى اواززر ونقره باشد ودرختان مكلل بجواهر كعب گفت آرى شهريست كه حق سبحانه وتعالى درقرآن مجيد ياد فرمود كه (لم يخلق مثلها فى البلاد) وآن شداد بن عاد ساخته واو پادشاه عظيم قدر بوده است ونهصد سال عمر داشت هرجا در عالم زرى وجوهرى بوده همه راجمع كرده وصد قهرمان باهريكى هزار فرستاد تاشهر ارم رابساختند وبسيصد سال باتمام رسيد ده سال ديگر تهيئهٔ راه اشتغال نمود امر اوملوك عالم راجمع كرد وازدار السلطنة خود بتماشاى آن شهر متوجه شديك شبه راه ميان اووآن بناماندە بود كه حق سبحانه وتعالى ملكى فرستاد تاصيحهٔ برايشان زدوهمه بمردند وآن شهر ازنظر مردم پوشيده شد چنانچه اصحاب كهف درغار وخوابنده ام كه درحكومت تومردى كوتاه بالاسرخ رنك سيرچشم كه برروى اوخالى وبركردن آن علامتى باشد بطلب شترى بدآنجا رسد وازاينجا پس بازنگريست وابن قلابه راديد گفت هو والله ذلك الرجل قال ابن الشيخ فى حواشيه وفيه بحث لان قوم عاد اهلكوا بالريح وقوم صالح اهلكوا بالصيحة الاان يراد بالصيحة ههنا الريح الشديد الصوت وذكر كعب انه كتب ابن شداد على لوح ووضع عند رأس ابيه عن لسانه حين رفعه من المفازة ودفنه

انا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد * واخو القوة والبا ساء والملك المشيد
دان اهل الارض لى من خوف وعدى ووعيدى * وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد
فأتتنا صيحة تهوى من الافق البعيد * فتوفتنا كزرع وسط بيداء حصيد

وذكر فى قوت القلوب تصنيف العالم الربانى ابى طالب المكى قدس سره انه قيل لابى يزيد البسطامى قدس سره هل دخلت ارم ذات العماد فقال صه قد دخلت الف مدينة لله تعالى فى ملكه ادنا هاذات العماد ثم اخذ بعد تلك المدائن جابلق وجابلص الى غير ذلك فظاهر قول ابى يزيد ادناها ذات العماد يخالف قوله تعالى لم يخلق

مثلها فى البلاد لكن المستفاد من الآية نفى الخلق فى الماضى ويجوز أن تكون تلك المدائن حادثة بعد نزول القرآن ويجوز ان يراد بنفى المثل هو المثل فى الزينة وبالادنى صغر الجثة وفى بعض نسخ قوت القلوب ان معنى الآية لم يخلق مثلها فى البلاد اليمن لانهم خوطبوا بما فى بلادهم كما قال الله تعالى او ينفوا من الارض اى ارض بلادهم وبمثل هذه التوجيهات يندفع الاشكال كذا فى شرح البردة لابن الشيخ (وثمود) وديكر چه كرد خداى تعالى بقوم ثمود وهو عطف على عاد وثمود قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخى جديس وهما ابنا عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد وهم قوم صالح كما قال تعالى والى ثمود أخاهم صالحا (الذين جابوا الصخر بالواد) الجوب القطع تقول جبت البلاد أجوبها جوبا وزاد الفراء جبت البلاد اجيبها جيبا اذا جلت فيها وقطعتها وجبت القميص ومنه سمى الجيب والصخر هو الحجر الصلب الشديد والواد أصله الوادى حذفت ياؤه اكتفاء بالكسرة ورعاية لرأس الآية وأصل الوادى الموضع الذى يسيل فيه الماء ومنه سمى المنفرج بين الجبلين واديا والمراد هنا هو وادى القرى بالقرب من المدينة الشريفة من جهة الشام قال ابو نضرة اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك على وادى ثمود وهو على فرس اشقر فقال اسرعوا السير فانكم فى واد ملعون والمعنى قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل انهم اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون) وجه كرد بفرعون موسى عليه السلام وهو الوليد ابن معصب بن ريان بن ثروان ابو العباس القبطى واليه تنسب الاقداح العباسية وفرعون لقب افرده تعالى بالذكر لانفراده فى التكبر والعلو حتى ادعى الربوبية والالوهية (ذى الاوتاد) جمع وتد بالتحريك وبكسر التاء ايضا بالفارسية ميخ وقد سبق فى سورة النبأ وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التى يضربونها فى منازلهم ويربطونها بالاوتاد والاطناب كما هو الآن عادة فى ضرب الخيمة اولتعذيبه بالاوتاد كما قال فى كشف الاسرار وفرعون آن كشنده ميخ بنده يعنى بطريق چهار ميخ تعذيب كننده (روى) عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فرعون انما سمى ذا الاوتاد لان امرأة خازنه خربيل كانت ماشطة هيجل بنت فرعون وكان خربيل مؤمنا يكتم ايمانه منذ مائة سنة وكذا امرأته فبيناهى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله تعالى فقالت ابنة فرعون وهل لك اله غيرأبى فقالت الهى والله ابيك والله السموات والارض واحد لاشريك له فقامت ودخلت على ابيها وهى تبكى فقال مايبكيك قالت ان الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك وآلهها والله السموات والارض واحد لاشريك له فأرسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفرى بآلهك قالت لافعل فدعا بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالله والاعذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لوعذبتنى سبعين شهرا ما كفرت به وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها اكفرى بالهك والاذبحت الصغرى على فيك ايضا وكانت رضيعة فقالت لوذبحت من فى الارض على فى ما كفرت بالله تعالى فأتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وأراد ان يذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهى من الاربعة الذين تكلموا اطفالا وقالت ياامه لاتجزعى فان الله تعالى قد بنى لك بيتا فى الجنة اصبرى فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فأسكنها الله تعالى الى جوار رحمته وكان فرعون قد تزوج امرأة من اجمل نساء بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصنع فرعون بالماشطة فقالت فى نفسها كيف يسعنى ان اصبر على مايفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينما هى تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يافرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فاعلك بك الجنون الذى كان بها قالت مابى من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذى له ملك السموات والارض ومابينهما وحده لاشريك له وهو على كل شئ قدير فبعد هابين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها مايصنع بها فرعون عند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله فقبض الله روحها واسكنها الجنة العالية وقد سبق طرف من هذه القصة فى آخر سورة التحريم فارجع ثم فى عاد اشارة الى الطبيعة البشرية

وفى ثمود الى القوة الشهوية و فى فرعون الى القوة الغضبية فلا بد للسالك من تزكيتها و ازالة آثارها (الذين طغوا فى البلاد) صفة للمذكورين من الطوائف الثلاث فيكون محرورا المحل لكون بعض المذكورين قبله محرورا بالباء وبعضها معطوفا عليه وهو احسن بحسب اللفظ اذ لا حذف فيه واختار صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير اعنى لكونه صريحا فى الذم والمقام مقام الذم وهو احسن نظرا الى المعنى والمعنى طغى كل طائفة منهم فى بلادهم وتجاوز والحد يعنى طغى عاد فى اليمن وثمود بأرض الشام والقصد بمصر كما ان نمرود طغى بالسواد وقس على هذا سائرهم (فاكثروا فيها الفساد) اى بالكفر وسائر المعاصى فان افساد يتناول جميع اقسام الاثم كما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فمن عمل بغير امر الله وحكم فى عباده بالظلم فهو مفسد متجاوز عن الحد الذى حده وفيه خوف شديد لاكثر حكام الزمان ونحوهم (فصب عليهم ربك) صب الماء اراقته من اعلى اى انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الاضغان والفساد (سوط عذاب) السوط الجلد المضفور اى المنسوج المفتول الذى يضرب به اى عذابا شديدا لا تدركه غائلة وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التى شرحت فى سائر السور الكريمة وهى الريح العاد والصيحة لثمود والغرق للقبط وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم فى الآخرة بمنزلة السوط عند السيف قال ابو حيان استعير السوط للعذاب لانه يقتضى من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره (وقال الكاشفى) چون سزاى ضرب بازياء رستخيزين عذابها مى داشتند يعنى ان السوط عندهم غاية العذاب هركونه ازعذاب رانيز سوط ميكفتند حق سبحانه بقانون كلام ايشان عذابها ى خودرا سوط كفت قال الشاعر

الم تر ان الله اظهر دينه * وصب على الكفار سوط عذاب

والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شئ مائع او جار مجراه فى السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشئ المصبوب فان قيل ألس ان الله تعالى قال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة وهو يقتضى تأخير العذاب الى الآخرة فكيف الجمع بين هاتين الآيتين قلنا انه يقتضى تأخر تمام الجزاء الى الآخرة وذلك لا ينافى ان يعجل شئ من ذلك فى الدنيا قال الواقع فى الدنيا شئ من الجزاء ومقدماته كذا فى حواشى ابن الشيخ يقول الفقير وأوجد من ذلك ان المفهوم من الآية المؤاخذة لكل الناس وهو لا ينافى ان يؤاخذ بعضهم فى الدنيا بعذاب الاستئصال كبعض الامم السالفة المكذبة (ان ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله والمذان بان كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام والمرصد المكان الذى يترقب فيه الراصدون مفعال من رصده كالميقات من وقته والباء للظرفية اى انه لفى المكان الذى تترقب فيه السابلة ويجوز ان يكون صيغة مبالغة كالطعان والباء تجريدية وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه شبه حاله تعالى فى كونه حفيظا لاعمال العباد مجازيا عليها على القبير والقطمير ولا محيد للعباد عن ان لا يكون مصيرهم الا الله بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجانى او لاخذ المكس ونحو ذلك ولا مخلص لهم من العبور الى ذلك الطريق ثم استعمل هنا ما كان مستعملا هناك (قال الكاشفى) حق سبحانه همه رامى بيند ومى شنود وبو شيده نيست * هم نهان داندوهم آنچه نهان تر باشد * بعلم السر واخفى صفت حضرت اوست * ويقال يعنى ملائكة ربك على الصراط يترصدون على جسر جهنم فى سبعة مواضع فيسأل فى اولها عن الايمان فان سلم من الشك والرياء نجا والا تردى فى النار وفى الثانى عن الصلاة فان اتم ركوعها وسجودها وافامها فى مواقيتها نجا والا تردى فى النار وفى الثالث عن الزكاة وفى الرابع عن صوم شهر رمضان وفى الخامس عن الحج والعمرة وفى السادس عن الوضوء والغسل من الجنابة وفى السابع عن بر الوالدين وصلة الرحم فان خرج منها قيل له انطلق الى الجنة والا وقع فى النار (فاما الانسان) متصل بما قبله من قوله ان ربك لبالمرصاد وكانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح نظره ومرمى صدفكره الدنيا ولذائذها

قال السهيلي رحمه الله المراد بالانسان عتبة بن ربيعة وكان هو السبب في نزولها فيما ذكروا وان كانت هذه الصفة تعم اذا ما ابتلاه ربه) اى عامله معاملة من يبتليه بالغنى و اليسار (فأكرمه) پس كرامى كند ش بجاه و اقتدار (ونعمه) ونعمت دهد ش و معيشت بر و فراخ كرداند و بآسانى كار او بسازد و الفاء تفيد بان الاكرام و التنعيم عين الابتلاء (فيقول) مفتخرا (ربى) پروردكار من (اكرمن) فضلنى بما اعطانى من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه محض تفضل عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط و الظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فاما الانسان فيقول ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمة للايذان من اول الامر بان الاكرام و التنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى فاذا لمجرد الظرفية و ان هذه الفاء لا تمنع ان يعمل ما بعدها فيما قبلها (واما اذا ما ابتلاه) اى واما هو اذا ما ابتلاه ربه فيكون الواقع بعد اما فى الفقرتين اسما فتكون الجملتان متعادلتين (فقدر عليه رزقه) پس تنك سازد بر و روزى او را يعنى ضيقه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وجعله على قدر كفايته و قوت يومه (فيقول) متضجرا (ربى اهانن) اذلنى بالفقر ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع معه ليس من الاهانة فى شئ ولذا لم يقل وأهانه فقدر عليه رزقه فى مقابلة اكرمه ونعمه بل التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين فى حق الفقير الصابر أما تأديته الى كرامة الآخرة فامر ظاهر واما تأديته الى كرامة الدنيا فلانه قد يسلم به من طمع الاعداء فيحسن فيه اعتقاد الكبراء من اهل الدنيا فيراعونه و يلتمسون منه الدعاء والتوسعة قد تفضى الى خسران الدارين بالكفران فيكون استدراجا * اى دل اكر بديدهٔ تحقيق بنگرى * درويشى اختيار كنى پرتو انگرى * قال بعضهم ربما كان التضييق اكراما له بارا لا يشغله بالنعمة عن المنعم ويجعل ذلك وسيلة له فى التوجه الى الحق و السلوك فى طريقه لعدم التعلق و عن ابى هريرة رضى الله عنه قال لقد رأيت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا فى اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ نصف الكعبين فيجمعه بيده كراهة ان ترى عورته فتأمل هل تكون هذه اهانة لخواص عباد الله فالمؤمن اما فى مقام الشكر او فى مقام الصبر وكل عليه الصلاة والسلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر * صوفى از قرچون درغم شود * عين قرش دبه ومطعم شود * زانكه جنت از مكاره رسته است * رحم قسم عاجز شكسته است * آنكه سرها بشكند اوازعلو * رحم حق وحلق نايد سوى او * كما قال بعض الكبار فى قوله فيقول ربى اهانن اى تركنى ذليلا مهينا لم يعرف المحجوب المسكين ان ربه ناظر اليه بنظر الرحمة و الشفقة اذ جذبه بالجذبة الرحمانية من العالم الطبيعى الى العالم الرحانى ومن عالم النفس الى عالم القلب ومن عالم الفرق الى عالم الجمع ومن عالم الفراق الى عالم الوصال (كلا) ردع للانسان عن مقالته المحكية و تكذيب له فيها فى كلتا الحالتين قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته على ولم ابتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر بلا تعليل بالعلل (بل لا تكرمون اليتيم) انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله و التفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيد للتشنيع و الجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اى بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على قبائحكم على المال حيث يكرمكم الله بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالنفقة و الكسوة ونحوهما وهو من بنى آدم هو الذى فقد اباه وكان غير بالغ ومن البهائم ما فقد امه قال عليه الصلاة و السلام احب البيوت الى الله بيت فيه يتيم مكرم * برحت بكن آمش از ديد باك * بشفقت بيفا نش از چهره خاك * قال فى الاشباه استخدام اليتيم بلا اجرة حرام ولولا خير ومعلمه الا لامه و فيما اذا ارسله المعلم لاحضر شريكه كما فى القنية (ولا تحاضون) بحذف احدى التاءين من تتحاضون والحض الحث والتحريض اى لا يحض بعضكم بعضا و لا يحث من اهل و غيره شكر الانعام الله تعالى (على طعام المسكين) اى على اطعام جنس المسكين و من لا يحض غيره على اطعامه فان لا يطعمه بنفسه اولى فيؤول المعنى الى ان يقال ولا تطعمون مسكينا ولا تأمرون باطعامه وفيه ذم بليغ للبخيل قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر امية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فنزلت (وتأكلون التراث)

اى الميراث واصله وراث قلبت واوه تاء والميراث هو المال المنتقل من الميت (اكلا لما) اللم الجمع يقال كتيبة ملمومة اى مجتمعة بعضها الى بعض والمعنى اكلا ذا لم على حذف المضاف اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم وفيه اشارة الى انه كان بينهم ميراث توارثوه من ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لكنهم قد بدلوه كما بدلوا غيره من بعض الاحكام او يأكلون ما جمعه لمورث من حلال وحرام ومشتبه غالبين ذلك (وتحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره ومنع حقوق وعدم انتفاع فان الجم الكثير يقال جم الماء فى الحوض اذا اجتمع فيه وكثروا المقصود ذمهم ببيان ان حرصهم على الشيء قد يوقعهم عادلون عن امر الآخرة وفيه اشارة الى ان حب المال طبيعي فلا يتخلص منه المرء بالكلية الا ان يكون من الاقوياء فكانه اشار الى ان حبه اذا لم يشتد لا يكون مذموما وقال بعض الكبار وتحبون مال الاعمال السيئة النفسانية والاحوال القبيحة الهوائية حبا كثيرا (كلا) ردع لهم عما ذكر من الافعال والتروك وانكار اى لا ينبغي ان يكون الامر كذلك فى الحرص على الدنيا وقصر الهمة على تحصيلها وجمعها من حيث تهيأ من حل او حرام وترك المواساة منها وتوهم ان لا حساب ولا جزاء فان عاقبة ذلك الحسرة والندامة على ايثار الحياة الدنيوية الفانية على الحياة الاخروية الباقية (اذا دكت الارض دكا دكا) استئناف بطريق الوعيد تعليلا للردع والدك الدق يقال دككت الشيء اذا كه كما اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض وبالفارسية كوفتن چنرى تا بزمين برابر كردد وقال الخليل الدك كسر الحائط والجبل ودكته الحمى دكا اى كسرته كسرا وقال ابو عبيد الدك حط المرتفع بالبسط ودكا الثانى ليس تأكيد اللاول بل هو دك آخر سوى الاول والمعنى اذا دكت الارض دكا مثل بعد وضرب بعضها ببعض حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت زلزالها بعد زلزلة وحركت تحريكا بعد تحريك وصارت هباء منبثا وهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وبالفارسيه چون شكسته شود زمين شكستنى بعد ازشكستنى يعنى پاره پاره كردد (وجاء ربك) اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان بنفسه من احكام هيبته وسياسته فانه عند حضوره يظهر ما لا يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه وعساكره وقال الامام احمد جاء امره وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل ولئلا التأويلات التجلي فى المظهر الجلالى القهرى (والملك) وبيايد فرشتكان بعرصة محشر (صفا صفا) اى حال كونهم مصطفين اوذوى صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب نزلهم ومراتبهم اصطفاف اهل الصلاة فى الدنيا من الانس والجن كما قال تعالى والملك على ارجائها فهم سبعة صفوف عدد السموات السبع (وجيء يومئذ بجهنم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم يعنى ان المجيء بها عبارة عن اظهارها حتى يراها الخلق مع بقائها فى مكانها فان من المعلوم انها لا تنتقل عن مكانها والباء للتعدية على ان جهنم قائم مقام الفاعل لجيء وقال ابن مسعود رضى الله عنه ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظا وزفيرا يعنى دوزخ ازخشم كافران مى جوشد ومى خروشد * فشرد شردة اوتركت لاحرقت اهل الجمع ويجثو كل نبي وولي من الهول والهيبة على ركبته ويقول نفسي نفسي حتى يعترض لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول امتى امتى فتقول النار مالى ومالك يا محمد لقد حرم الله لحمك على فلجيء بها على حقيقته فان الجر يدل على انفكاكها عن مكانها وتأوله الاولون بحمله على التجوز بان معنى يجرون يباشرون اسباب ظهورها يقول الفقير لا حاجة الى الحمل على التجوز فان بعض الامكنة كالكعبة تزور بعض الخواص بالايجاد والاعدام اللذين هما اسرع شيء من طرفة العين فلا بعد فى ان يكون مجيء جهنم من هذا القبيل على ان الارض يومئذ اوسع شيء كما بين فيما سبق فهى تسع جهنم واهل المحشر جميعا وايضا المراد بمجيء جهنم مجيء صورتها المثالية ولا مناقشة فيه فيكون كمجيء المسجد الاقصى الى مرأى النبي عليه الصلاة والسلام حين سأله قريش عن بعض اوصافه فى قصة المعراج (يومئذ) بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى (يتذكر الانسان) اى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامها وبمعاينة عينه على ان الاعمال تجسم فى النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ اى يقبل التذكير والارشاد الذي بلغ اليه فى الدنيا ولم يتعظ ولم يقبله فى الدنيا فيتعظ به فى الآخرة فيقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا

هذا الانقطاع تلزم الندم على تقصيراته واندم توبه لكن لا توبة هناك لفوت الوقت قال القاشانى يوم يتذكر الانسان خلاف ما اعتقده فى الدنيا وصار هيئة فى نفسه من مقتضيات فطرته فاظهور الدارى بصفة القهر والملائكة بصفة التعذيب لا يكون الا لمن اعتمد خلاف ماظهر عليه بما هو فى نفس الامر كالمتكبر والمتكبر (وانى له الذكرى) اعتراض جئ به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه فى اوانه وانى خبر مقدم للذكرى وله متعلق بما تعلق به الخبر اى ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك محذوف واللام للنفع اى انى له منفعة الذكرى وبه يرتفع التناقض الواقع بين اثبات التذكر اولا ونفعه ثانيا ثم انه تعالى لما نفى كون هذه الذكرى والتوبة نافعة له قوله انى له الذكرى علمنا انه لا يجب قبول التوبة كما ذهب اليه المعتزلة وفى الارشاد والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة فى دار التكليف يعنى فقد كان زعم المعتزلة ما لا يجب له على ان تذكره ليس من التوبة فى شئ فانه عالما بانه لا يكون فى الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى (يقول يا ليتنى الخاصرون (ليتنى) كاشفى من قدمت لحياتى) وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عنه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتنى عملت لاجل حياتى هذه يعنى لتحصيل الحياة الاخروية التى هى حياة تامة دائمة غير منقطعة اى عملا صالحة انتفع بها اليوم او وفر حياتى على ان اللام بمعنى فى للتوقيت ويجوز ان يكون المعنى قدمت عملا ينجينى من العذاب فاكون من الاحياء قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى. اعلم ان اهل الحق لا يستدلون الا ختيار بالكلية وليس فى هذا التمنى شبهة دلالة على استقلال العبد بفعله كما زعم المعتزلة وانما الذى يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة وما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله عند صرف قدرته الكاسبة اليه فلا واما ما يقال من ان المحبور قد يتمنى ان كان مختارا فيه وموقعه فربما يتوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفى الفعل يعتقد انه مجبور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اى طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة (فيومئذ) اى يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاهوال (لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد) الهاء راجع الى الله تعالى والعذاب بمعنى التعذيب كالسلام بمعنى التسليم وكذا الوثاق بالفتح بمعنى الايثاق وهو الشد بالوثاق وهو ما يشد به من الحديد والحبل والايثاق بالفارسية بند كردن يعنى بسلاسل وغلال واسير كردن والمعنى لا يتولى عذاب الله ووثاقه احد سواه اذ الامر كله لله فلا يلزم ان يكون يوم القيمة معذب سوى الله كيف لا يعذب احد مثل عذابه وفى عين المعانى لا يعذب كعذاب الله فى الآخرة احد فى الدنيا ويجوز ان يكون الهاء للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأ هما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول وفى الكشاف هى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابى عمر انه رجع اليه فى آخر عمره اى لا يعذب مثل عذاب الانسان احد وظاهره يقتضى ان يكون عذابه اشد من عذاب ابليس الا ان يكون المراد احد من هذا الجنس كعصاة المؤمنين نسأل الله السلامة والعافية فى الدارين (يا ايتها النفس المطمئنة) لما ذكر شقاوة النفس الامارة شرع فى بيان سعادة النفس المطمئنة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج وسكون النفس انما هو بالوصول الى غاية الغايات فى اليقين والمعرفة والشهود وفى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب تنبيه على انه بمعرفته تعالى والاكثار من عبادته يكتسب اطمئنان النفس واذا وصلت الى مقام الاطمئنان بذكر الله صار صاحبها فى مقام التلوين فى التمكين آمنا من الرجوع الى الاحكام الطبيعية والآثار البشرية فان الله تعالى لا يرد الى اوصافه من كان متمكنا فى مقام الترقى تخلص من التنزل الى مقام النفس الامارة وفى التعريفات النفس المطمئنة هى التى تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتحلت بالاخلاق الحميدة (وقال الكاشفى) اى نفس آرام كرفته بذكر من كه شاكر بودى در نعمت وصبر كننده در محنت والمعنى ان الله تعالى يقول بالذات للمؤمن اكراما له كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام او على لسان الملك وذلك عند تمام الحساب يا ايتها النفس المطمئنة (ارجعى الى ربك) اى الى ما وعدلك من الكرامة والزلفى فكونه تعالى منتهى الغاية انما هو بهذا الاعتبار فقط تمسك المجسمة به واستدل بالرجوع الذى هو العود على تقدم الروح خلقا (راضية) بما اوتيت من النعم الفاخرة (مرضية) عند الله (فادخلى فى عبادى) فى زمرة عبادى الصالحين المختصين بى

(وادخلى جنتى) معهم كقوله تعالى وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين فالدخول فى زمرة الخواص هى السعادة الروحانية والدخول معهم فى الجنات ودرجاتها هى السعادة الجسمانية وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دارثوابى وهذا يؤيد قول من قال ان الخطاب عند البعث وذهب بعضهم الى انه عند الموت كما روى ان ابابكر رضى الله عنه سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الملك سيقولها لك يا ابابكر عند موتك وقال الحسن اذا اراد الله قبضها اطمأنت الى الله ورضيت عن الله ورضى الله عنها وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما اذا توفى العبد المؤمن ارسل الله ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال لها اخرجى ايتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجده احد فى انفه والملك على ارجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الى الرحمن اى الى حضوره ومقام مخصوص من مقامات كرامانه فتسجد ثم يقال ليكائيل اذهب بهذه فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله و ينبذله فيه الريحان فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس فى قبره فيكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله واذا توفى الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل اليه قطعة بجادانتن من كل منتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم وعذاب اليم ورب عليك غضبان وقال سعيد بن جبير رحمه الله مات ابن عباس رضى الله عنهما بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم يرمثله على خلقته فدخل نعشه ثم لم يخرج منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يرى من تلاها ايتها النفس المطمئنة الخ ودل قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها ان من النفوس الطيبة من يتولى الله قبضها بنفسه فياطوبى لها وقال بعض اهل الاشارة يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى الله بتركها و بسلوك سبيل الاخرة فادخلى فى عبادى الاخروية وادخلى جنتى الصورية والمعنوية * اى بازهوا كرفته بازآى ومرو * كزرشته توسرى درانكشت منست * وقال القاشانى يا ايتها النفس المطمئنة التى نزلت عليها السكينة وتنورت بنور اليقين فاطمأنت الى الله من الاضطراب ارجعى الى ربك فى حال الرضى اى اذا تم لك كمال الصفات فلا تسكنى اليه وارجعى الى الذات فى حال الرضى الذى هو كمال مقام الصفات والرضى عن الله لا يكون الا بعد رضى الله عنها كما قال رضى الله عنهم ورضوا عنه فادخلى فى زمرة عبادى المخصوصين بى من اهل التوحيد الذاتى وادخلى جنتى المخصوصة بى اى جنة الذات وفى التأويلات النجمية ارجعى الى ربك بالفناء فيه بعد قطع المنازل والمقامات راضية من نتائج السلوك الى الله والسير فى الله مرضية عند الله بالبأس خلعة البقاء عليها فادخلى فى عبادى الباقين بى وبصفاتى وادخلى جنة ذاتى لفنائك عن ذاتك وانانيتك

تمت سورة الفجر بعون ذى المن والجحر فى اواخر شهر المولد النبوى من سنة سبع عشرة ومائة والف

(سورة البلد عشرون آية مكية اومدنية الا اربع آيات من اولها)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بهذا البلد) اى اقسم بالبلد الحرام الذى هو مكة فكلمة لا صلة دل عليه ان الله اقسم بالبلد الامين فى سورة التين و بالفارسية سوكند ميخورم بمكه وفى كشف الاسرار لا لتأكيد القسم كقول العرب لا والله ما فعلت كذا لا والله لا فعلن كذا والبلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه واقامتهم فيه وجمعه بلاد و بلدان ثم ان الله تعالى اقسم بمكة لفضلها فانه جعلها حرما آمنا ومسقط رأس النبى عليه السلام وحرم ابيه ابراهيم ومنشأ ابيه اسماعيل عليهما السلام وجعل البيت قبلة لاهل الشرق والغرب وحج البيت كفارة لذنوب العمر وجعل البيت المعمور فى السماء بازآنه (وانت حل بهذا البلد) حال من المقسم به وانت خطاب للنبى عليه السلام كفته اند در قرآن چهار هزار نام وى برد وذكروى كرد بعضى بتعريض وبعضى بتصريح والحل بمعنى الحال من الحلول وهو النزول اى والحال انك يا محمد حال فى مكة نازل بها قيد اقسامه تعالى بمكة بحلوله عليه السلام فيها اظهار المزيد فضلها فانها بعد ان كانت شريفة بنفسها ازداد شرفها بحلول النبى العظيم الشريف فيها فالاشرف فيه يحصل له شرف بشرف المكين ومافيه شرف ذاتى يحصل له بشرفه شرف زائد فمحل قدمى

النبي عليه السلام بمكة والمدينة وغيرهما ينبغي ان يحافظ على حرمته وقد سمى عليه السلام المدينة طابة لانها طابت به وبمكانه وفيه تعريض لاهل مكة بانهم لجهلهم يرون ان يخرجوا منها من به مزيد شرفها ويؤذوه * اى كعبه رازيمن قديم توصد شرف * وى مرده راز مقدم پاك توصد صفا *بطحاز نور طاعت تو يافته فروغ * بثرب وخاك تو بارونق ونوا *وفيه اشارة الى بلد مكة الوجود الانساني والى رسول القلب المستكن في الجانب الايسر منه (ووالد) وزاينده عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم عليه السلام والتنكير للتفخيم (وماولد) وآنچه زاده است وهو اسماعيل عليه السلام فانه ولده بلا واسطة ومحمد عليه السلام فانه ولده بواسطة اسماعيل فتضمن السورة القسم بالنبي عليه السلام في موضعين وايثار ما على من لمعنى التعجب مما اعطاه الله من الكمال كما في قوله والله اعلم بما وضعت اى باى شئ وضعت يعني موضوعا عجيب الشأن وهو مريم اوالوالد آدم عليه السلام وماولد ذريته وهو الانسب لمضمون الجواب فالتفخيم المستفاد من كلمة ما لابد فيه من اعتبار التغليب اى فهو من باب وصف الكل بوصف البعض اوللتعجب من الامر الذى يشترك فيه الكل كالنطق والبيان والصورة البديعة وغيرها وقيل الوالد هو النبي عليه السلام وماولد امته المرحومة لقوله عليه السلام انما انا لكم مثل الوالد اعلمكم امر دينكم ولقوله عليه السلام لعلي رضى الله عنه انا وانت ابوا هذه الامة والى هذا اشار بقوله عليه السلام كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي وهو سبب الدين ونسب التقوى وقد سمى الله النبي عليه السلام ابا للمؤمنين حيث قال النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وفي بعض القراآت وهو اب لهم فان امومية الازواج المطهرة تقتضي ابوته عليه السلام اذكل من كان سببا لايجاد شئ واصلاحه اوظهوره يسمى اباوقد قال عليه السلام انا من الله والمؤمنون من فيض نوري وصرح تعالى بفضيلة هذه الامة حيث قال وكذلك جعلناكم امة وسطا ولذا عظمهم بالاقسام بهم وفيه اشارة الى ابراهيم الروح الوالد واسمعيل السر المولود منه اوآدم الروح وابراهيم السر اوالى روح القدس الذى هو الاب الحقيقي للنفوس الانسانية كقول عيسى عليه السلام انى ذاهب الى ابى وابيكم السماوى وقوله تشبهوا بابيكم السماوى فالمراد بماولد هو النفس التي ولدها هو فكانه قيل واقسم بروح القدس والنفس الناطقة (لقد خلقنا الانسان في كبد) جواب للقسم يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده فانتفخت وأصله كبده اذا اصاب كبده كذكرته اذاقطعت ذكره ورأيته اذاقطعت رئته ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة بمعنى مقاساة الشدة وفي كبد حال من الانسان بمعنى مكابدا وحرف في واللام متقاربان تقول انما انت للعناء والنصب وانما انت في العناء والنصب ووجه آخر أن قوله في كبد يدل على ان الكبد قد احاطه به احاطة الظرف بالمظروف والمعنى لقد خلقنا الانسان في تعب ومشقة فانه مع كونه اضعف الخلق لايزال يقاسي فنون الشدآئد مبدأها ظلمة الرحم وضيقه ومنتهاها الموت ومابعده فان آدم يكابد من البلايا مالا يكابده غيره يعني ان الكبد يتناول شدآئد الدنيا من قطع سرته والتفافه بخرقة محبوس الاعضاء ومكابدة الحنان واوجاعه ومكابدة المعلم وصولته والاستاذ وهيبته ثم مكابدة شغل التزوج وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم من جملة مصائب كثيرة لايمكن تعدادها كالصداع ووجع الاضراس ورمد العين وهم الدين ونحو ذلك ويتناول ايضا شدآئد التكاليف كالشكر على السرآء والصبر على الضرآء والمكابدة في ادآء العبادات كالصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ثم بعد ذلك يقاسي شدة الموت وسؤال الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الملك المحاسب الى ان يصل الى موضع الاستقرار اما في الجنة واما في النار كما قال لتركبن طبقا عن طبق قال الامام ليس في الدنيا لذة البتة بل ذلك الذى يظن انه لذة فهو خلاص من الالم فاللذة عند الاكل هي الخلاص من الم الجوع وعند اللبس هي الخلاص من الم الحر والبرد فليس الانسان الا الم اوخلاص من الم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش واشارة الى ان الانسان المقيد بقيد التعين الوجودى خلق في تعب التعين والتقييد وفيه حرمان من المطلق ونوره فان المقيد بقيد التعين معذب بحرمان المطلق وقال القاشاني لقد خلقنا الانسان في مكابدة ومشقة من نفسه وهواه اومرض باطن وفساد قلب وغلظ حجاب اذالكبد في اللغة غلظ الكبد الذى هو مبدأ القوة الطبيعية وفساده وحجاب القلب وفساده من هذه القوة فاستعير غلظ الكبد لغلظ حجاب القلب ومرض الجهل (أيحسب) آياى پندارد والضمير

لبعض صناديد قريش الذين كان عليه السلام يكابد منهم اكثر مما يكابد من غيرهم كالوليد بن المغيرة واضرابه (ان لن يقدر عليه احد) ان مخففة من الثقيلة سادة مع اسمها مسد مفعولى الحسبان اى يحسب ان الامر والشأن لن يقدر على انتقام منه احد فحسبانه الناشئ عن غلظ الحجاب ومرض القلب فاسد لان الله الاحد يقدر عليه وهو عزيز ذو انتقام (يقول) ذلك الظان على سبيل الرعونة والخيلاء (اهلكت) انفقت كقول العرب خسرت عليه كذا اذا انفق عليه (مالا لبدا) اى كثيرا متلبدا من تلبد الشئ اذا اجتمع يريد كثرة ما انفقه سمعة ومفاخرة وكان اهل الجاهلية يسمون مثل ذلك مكارم و يدعونه معالى ومفاخر وفى لفظ الاهلاك اشارة الى انه ضائع فى الحقيقة اذ لا ينفع به صاحبه فى الآخرة كما قالت عائشة رضى الله عنها فى حق عبد الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه يارسول الله فقال عليه السلام لا ينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين (أيحسب) ذلك الاحمق المباهى (ان) اى ان الشأن (لم يره احد) حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه يعنى ان الله رآه واطلع على خبث نيته وفساد سريرته وانه مجازيه عليه فمثل ذلك الانفاق وهو ما كان بطريق المباهاة رذيلة فكيف بعده الجاهل فضيلة وفى الحديث لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيم افناه وعن ماله من اين كسبه وفيم انفقه وعن عمله ماذا عمل وعن حبه أهل البيت (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما عالم الملك من الارض الى السماء حتى يشاهد بهما فى طرفة عين النجوم العلوية التى بينه و بينها عدة آلاف سنة و يفرق بهما بين ما يضر وما ينفع و بهما يحصل شرف النظر الى وجه العالم والى المصحف والى الشواهد قال فى أسئلة الحكم العين تحرس البدن من الآفات وهى نيرة كالمرآة اذا قابلها شئ ارتسمت صورته فيها مع صغر الناظر وهو الحدقة التى هى شحمة وجعل الله العين سريعة الحركة وجعل لها اجفانا تسترها واهدابا من الشعر كجناح الطائر تطرد بانضمامها و بانفتاحها الذباب والهوام عن العين وجعل العين فى الرأس لان السراج يوضع على راس المنار وجعلها اثنتين كالشمس والقمر فانهما عينا العين الدنيوى وجعل فوقهما حاجبين اسودين لئلا يتضرر البصر بالضياء ولان الذى يتأثر فى السواد الى البياض يكون احد نظرا ولذلك جعلت الحدقة سوداء واهداب العين شعرا اسود لان السواد يقوى البصر بدليل ذى القرنين الاسكندرية رخمها بالرخام الابيض جدرها وارضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام فمن ذلك لبس الرهبان السواد فان النظر الى الابيض يفرق البصر ويضعفه ولذا قال عليه السلام فى الاثمد انه يقوى البصر وجعل الحدقة محركة فى مكانها لتتحرك الى الجهات يمنة و يسرة فيبصر بها من غير ان يلوى عنقه وجعل الناظرين جميعا على خط مستقيم عرضا ولم يقع واحد منهما اعلى ولا اخفض ليجتمع النظران على شئ واحد فلا يريا أى له الشخص الواحد شخصين وفى العينين اشارة الى العين الظاهرة والعين الباطنة فينبغى ان يحافظ على كليتهما فان نظر عينين تم من لم ير عين واحدة (ولسانا) يترجم به عن ضميره وبه تعقد المعاملات وتحصل الشهادات و يدرك الطعوم من الحلو والمر ولو لم يكن اللسان لاحتاج الانسان الى الاشارة او الكتابة فتعسر امره وانما تعدد العين والاذن وتفرد اللسان لان حاجة الانسان الى السمع والبصر اكثر من حاجته الى الكلام وفيه تنبيه ايضا على ان يقل من الكلام الا فى الخير وان لا يتكلم فيما لا فائدة فيه وهو السر فى ان الله تعالى جعل اللسان داخل الفم وجعل دونه الشفتين اللتين لا يمكن الكلام الا بفتحهما ليستعين العبد باطباق شفتيه على رد الكلام وقد حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يجعل فى فمه حجرا ليمتنع من الكلام فيما لا يعنيه وفيه اشارة الى لسان القلب فانه يتكلم به بالمفاوضة القلبية وقد ابطله كما ابطل العين الباطنة وافسد استعداد التكلم الباطنى والنظر القلبى (وشفتين) يستر بهما فاه اذا اراد السكوت ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ قال السجاوندى خص الشفة لخروج اكثر الحروف منها وفى الدعاء الحمد لله الذى جعلنا ننطق بلحم ونبصر بشحم ونسمع بعظم قال بعضهم اسبل الصانع الحكيم امام الفم سترا من الشفة ذا طرفين يضمهما ويفتحهما عند الحاجة وينص بهما المشروب وجعل الشارب محيطا من العليا ليمنع ما على وجه الشراب من القش والقذى ان يدخل حالة الشرب وفى الحديث ان الله يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين

فاطبق وفى الخبر الفرج امانة و الاذن امانة واليدامانة والرجل امانة ولاايمان لمن لاامانة له او راكو يند مادوديده بتو سپر ديم پاك تو بنظر هاى ناپاك ملطخ كردى تاآثارتقديس ازوى برخاست وخبيث شد اكنون مبخواهى كه ديدارمقدس ما بنظر خويش بيني هيهات ماپاكيم و پاكانرا پاك شايد الطيبات للطيبين دوسمع داديم ترا تاازان دوخزانه سازى ودرهاى آثارو حى درونعبيه كنى وامروز باز سپارى تو از احسال دروغ شنيدن ساختى رهكذر اصوات خبيثه كردى ونداء ماپاكست جزسمع پاك نشنودامروز بكدام كوش حديث ماخواهى شنيدزبانى داديم ترا تابامارازكويى درخلوت و قرأن خوانى در عبادت وصدق دروى فرو ارى وبادوستان ماسخن كويى تو خو دزبانرا بسساط غيبت ساختى وروز نامهٔ جدل و ديوان خصومت كردى تو امروز بكدام زبان حديث ما خواهى كرد * زبان امداز بهرشكر وسپاس * بغيبت نكر داندش حق شناس * كذركاه قران و پند ست كوش * به بهتان و باطل شنيدن مكوش * دو چشم ازپى صنع بارى نكو ست * زعيب برادر فروكير ودو ست * وفيه اشارة الى شفتى لسان القلب ولسان الرأس (وهديناه النجدين) معطوف على الم نجعل لانه فى التقدير مثبت اى جعلناله ذلك وهدينا طريق الخير والشر كما قال عليه السلام هما النجدان نجدالخير و نجدالشر فلايكن نجد الشر احب اليكم من نجد الخير اوطريق الثدين لانهما طريقان مرتفعان لنزول اللبن سببان لحياة المولود وتمكين مولود عاجز من رضاع امه عقيب الولادة قدرة علية ونعمة جلية * نه طفل زبان بسته بودى زلاف * همى روزى آمد بجوفت زناف * چونافش بريدند وروزى كسست * به پستان مادر درآويختدست * واصل النجد المكان المرتفع جعل الخير بمنزلة مكان مرتفع بخلاف الشر فانه يستلزم الانحطاط عن ذروة الفطرة الى حضيض الشقاوة فكان استعمال النجدين بطريق التغليب او لان فعل الشر بالنسبة الى قوته فى الواهمة مصور بصورة المكان المرتفع ولذا استعمل الترقى فى الوصول الى كل شئ وتكميله وقال ابن الشيخ لما وضحت الدلالة الدالة على الخير والشر صارتا كالطريقين المرتفعين بسبب كونهما واضحين للعقول كوضوح الطريق العالى للابصار وفيه اشارة الى نجد الروح ونجد القلب فابطالهما بغلبة النفس على الروح وغلبة الهوى على القلب (فلا اقتحم العقبة) الاقتحام الدخول فى امر شديد ومجاوزته بصعوبة وفى القاموس قحم فى الامر كنصر قحوما رمى بنفسه فيه فجأة بلا روية والعقبة الطريق الوعر فى الجبل فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة لصعوبة سلوكها (وما ادراك ما العقبة) اى اى شئ اعلمك يا محمد ما اقتحام العقبة فان المراد ليس العقبة الصورية واقتحامها (فك رقبة) الفك الفرق بين الشيئين بازالة احدهما عن الآخر كفك القيد والغل وفك الرقبة الفرق بينها وبين صفة الرق بايجاب الحرية والرقبة اسم العضو المخصوص ثم يعبر بها عن الجملة و جعل فى التعارف اسما للمالك كما عبر بالرأس و بالظهر عن المركوب فقيل فلان يربط كذا رأسا وكذا ظهرا والمعنى هواى اقتحام العقبة اعتاق رقبة فالفك ليس تفسير النفس العقبة بل لاقتحامها بتقدير المضاف وذلك لان العقبة عين و الفك فعل فلايكون تفسير اللآخر ثم فك الرقبة قد يكون بان ينفرد الرجل فى عتق الرقبة وقد يكون بان يعطى مكاتبه مايصرفه الى جهة فكاك رقبة وبان يعين فى تخليص نفس من قود او غرم فهذا كله يعم الفك دون الاعتاق ويحتمل ان يكون المراد بفك الرقبة ان يفك المرء رقبة نفسه من عذاب الله بان يشتغل بالاعمال الصالحة حتى يصير بها الى الجنة ويتخلص من النار وهى الحرية الوسطى وان يفك رقبة القلب من اسر النفس وقيد الهوى وتعلق السوى وهى الحرية الكبرى فيكون قوله اواطعام الخ من قبيل التخصيص بعد التعميم اشارة الى مزيد فضل ذلك الخاص بحيث خرج به من ان يتناول اللفظ السابق مع عمومه وقال بعضهم تقدم العتق على الصدقة يدل على انه افضل منها كما هو مذهب ابى حنيفة رحمه الله وفى الحديث من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار قال الراغب فك الانسان غيره من العذاب انما يحصل بعد فك نفسه منه فان من لم يهتد ليس فى قوته ان يهدى وفك الرقبة من قبيل فك النفس لانه من الاعمال الصالحة التى لها مدخل عظيم فى فكها (اواطعام فى يوم ذى مسغبة) اى مجاعة لقحط اوغلاء من سغب اذا جاع قال الراغب السغب الجوع مع التعب وربما قيل فى العطش مع التعب فسغبة مصدر ميمى وكذا مقربة ومتربة وقيد الاطعام بيوم المجاعة لان اخراج المال فى ذلك الوقت اثقل على النفس واوجب للاجر (يتيما) مفعول اطعام (ذا مقربة) اى قرابة من قرب

فى النسب قربا ومقربة وقال السمجاوندى قرب قرابة اوجوارا انتهى قيد اليتيم بان يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لانه اجتمع فيه جهتا الاستحقاق اليتم والقرابة فاطعامه افضل لاشتماله على الصدقة وصلة الرحم (ارمسكينا ذا متربة) اى افتقار من ترب بالكسر تربا بفتحتين ومتربا اذا افتقر كأنه لصق بالتراب من فقره وضره فلبس فوقه مايستره ولاتحته مايوطئه ويفرشه واما قولهم اترب فمعناه صار ذامال كالتراب فى الكثرة كما قيل أرى وعن النبى عليه السلام فى قوله ذامتربة الذى مأواه المزابل وقال ابن عباس رضى الله عنهما البعيد التربة يعنى الغريب (كما قال الكاشفى) واين چنين كس عيال مند بود ياوام دار يابيمارى خواستار يا غريبى دور ازديار وفى الحديث الساعى على الارملة والمسكين كالساعى فى سبيل الله وكالقائم لايفتر والصائم لايفطر يقول الفقير خص الفك والاطعام لصعوبة العمل بهما وجعل الاطعام لليتيم والمسكين لمالهما من ذلك يثقل على النفس فقد ينفق المرء الوفا فى هواه كاطعام اهل الهوى وبناء الابنية الزائدة ونحو ذلك ولايستكثرها واما الفقير واليتيم فلا يراهما بصره لهوانهما عنده وعلى تقدير الرؤية فيصعب عليه اعطاء درهم اودرهمين اواطعام لقمة اولقمتين واحتج الشافعى رحمه الله بهذه الاية على ان المسكين قد يكون بحيث يملك شيأ والا لكان تقييده بقوله ذامتربة تكرارا وهو غير جائز وفيه بحث لجواز ان يكون ذا متربة صفة كاشفة للمسكين وتكون الفائدة فى التوصيف به التصريح بجهة الاحتياج ليتضح ان اطعام الاحوج افضل والتكرير الذى لايجوز هو التكرير الخالى عن الفائدة وما نحن فيه ليس من هذا القبيل وفيه اشارة الى يتيم القلب المغلوب فى يد النفس والهوى ومسكين السر المذال تحت قهر النفس وعزتها وفى الارشاد وحيث كان المراد اقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضى وليس بشرط اذ قد يكون بمعنى لم فكأنه قيل فلم يقتحم العقبة (ثم كان) بس باشد اين از انكه كنده وطعام دهنده (من الذين امنوا) عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان عن العتق والصدقة ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به والافهو فى الزمان مقدم على الطاعات والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضى النافع عند الله لان يهلك مالا لبدا فى الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم وفى ذكر العقبة اشارة الى ان عقبة الآخرة لايجوزها الا من كان محققا قال المحاسبى تلك عقبة لايجوزها الا من خص بطنه عن الحرام والشبهات وتناول مقدار بقاء المهجة وقال القاسم العقبة نفسك الا ترى الى قوله فك رقبة فانه ان تعتق نفسك من رق الخلق وتشغلها بعبودية ربك (وتواصوا بالصبر) عطف على آمنوا اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن المعاصى وفى المصائب (وتواصوا بالمرحمة) مصدر بمعنى الرحما اى اوصى بعضهم بعضا بالرحمة على عباد الله اوبموجبات رحمته تعالى من الخيرات على حذف المضاف اوذكر المسبب وارادة السبب تنبيها على كماله فى السببية والرحمة بهذا المعنى اعم من الرحمة بالمعنى الاول وهى الشفقة لمن يستحقها من العباد يتيما وفقيرا او نحو ذلك وفى الحديث لايرحم الله من لايرحم الناس فقوله وتواصوا بالصبر اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله والى التكميل بعد الكمال فان الايمان كمال فى نفسه وكذا الصبر والمرحمة وغيرهما من الاعمال الصالحة والتواصى من باب تكميل الغير قال بعضهم الاطعام خصوصا وقت شدة الحاجة افضل انواع العفة والايمان اجل انواع الحكمة وهو الايمان العلمى اليقينى وجاء فيه بلفظ ثم لبعد رتبته عن الفضيلة الاولى فى الارتفاع والعلو لكونه الاساس والصبر على الشدائد من اعظم انواع الشجاعة واخره عن الايمان لامتناع حصول فضيلة الشجاعة بدون اليقين والتراحم والتعاطف من افضل انواع العدالة (اولئك) الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة وفى اسم الاشارة دلالة على حضورهم عند الله فى مقام كرامته وعلو رتبتهم وبعد درجتهم (اصحاب الميمنة) اى اليمن وهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم ويسلك بهم من طريق اليمين الى الجنة اواصحاب اليمن والخير والسعادة لان الصلحاء يامنون على انفسهم بطاعتهم وعلى غيرهم ايضا واصحاب اليد اليمنى (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن (هم) فى ضمير الغائب دلالة على سقوطهم عن شرف الحضور وانهم احقاء بالاخفاء (اصحاب المشأمة) اى الشمال وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم ويسلك بهم شمالا الى النار او اصحاب الشؤم والشر والشقاوة لان الفساق مشائيم على انفسهم بمعصيتهم وعلى غيرهم ايضا ويجب التوسل بالصلحاء والاجتناب عن الفساق او اصحاب اليد اليسرى (عليهم

خبر مقدم لقوله (نار مؤصدة) اى نار ابوابها مغلقة فلا يفتح لهم باب فلا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح ابد الاباد الانها جعلت صفة للنار اشعارا باحاطتهم فاصل التركيب مؤصدة الابواب فلما تركت الاضافة عاد الضمير اليها لانهما يتعاقبان من اوصدت الباب من المعتل الفاء وآصدته بالمد من المهموز مثل آمن اذا اطبقته واغلقته واحكمته فمن قرأها مؤصدة بالهمزة جعلها اسم مفعول من آصدت ومن لم يهمزها اخذها من اوصدت مثل اوعد فهو موعد وذلك موعد ويحتمل ان يكون من آصد مثل آمن لكنه قلبت همزته الساكنة واوا لضمة ماقبلها للتخفيف وكان ابو بكر بن عياش راوى عاصم يكره الهمزة فى هذا الحرف ويقول لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهى ان اسد اذنى اذا سمعته وكانه لم يحفظه عن شيخه الا بترك الهمزة وقد حفظه حفص بالهمزة وهو اضبط للحرف من ابى بكر على ما نقله القراء وان كان ابو بكر اكبر وأتقن وأوثق عند اهل الحديث وفيه اشارة الى ان نار الحجاب والخذلان والخسران مؤصدة على النفس الامارة

تمت سورة البلد بعون الله الاحد فى خامس الثانى من الربيعين سنة سبع عشرة ومائة وألف

* (سورة الشمس خمس عشرة او ست عشرة آية مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

والشمس) سوكند ميخورم بآفتاب (وضحاها) اى ضوئها اذا طلعت وقام سلطانها وانبسط نورها يعنى سوكند بتابش وى چون بتمام كرد وبمو ضع چاشت رسد يقال وقت الضحى اى وقت اشراق الضوء فالضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد للظل وفيه اشارة الى الاقسام بشمس الروح وضوئها المنتشر فى البدن الساطع على النفس (والقمر اذا تلاها) من التلو بمعنى التبع اى اذا تبعها بان طلع بعد غروبها آخذا من نورها وذلك فى النصف الاول من الشهر قال الراغب تلاه تبعه متابعة ليس بينهما مايليس منهما وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء فى الحكم ومصدره تلو وتلو وتارة بالقراءآن وتدبر المعنى ومصدره تلاوة ثم قال قوله والقمر اذا تلاها فانما اراد به ههنا الاتباع على سبيل الاقتداء والمرتبة وذلك انه فيما قيل ان القمر يقتبس النور من الشمس وهو لها بمنزلة الخليفة قيل وعلى هذا قوله وجعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء على مرتبة من النور اذ كل ضياء نور دون العكس وفيه اشارة الى قمر القلب اذا تلا الروح فى التنور بها وافاله نحو هاو استضاء به نورها ولم يتبع النفس فينخسف بظلمتها قال شيخى وسندى روح الله روحه فى كتاب اللائحات البرقيات له ان الشمس اية للحقيقة الالهية الكمالية الاكملية واشارة اليها والقمر آية للحقيقة الانسانية الكمالية الاكملية واشارة اليها فكما ان القمر منذ خلقه الله الى يوم القيامة كان مجلى ومظهرا لتجلى نور الشمس وظهوره فى الليل حتى يهتدى به ارباب الليل فى الظلمات الليلية فى سيرهم وسلوكهم فى طرق مقاصدهم فكذلك الحقيقة الانسانية الكمالية الاكملية منذ خلقها الله الى ابد الآبدين كانت مجلى و مظهر التجلى نور الحقيقة الالهية الكمالية الاكملية وظهوره فى الكون حتى يهتدى به ارباب الكون فى ظلمات الكون عند سلوكهم وسيرهم فى العوالم و الاطوار الكونية تزولا عند السير الى عالم الامكان وعروجا عند السلوك الى عالم الوجوب فكما ان القمر يفنى من نوره ونفسه بالتمام فى نور الشمسى ونفسها بحيث لا يبقى اثر من نوره و نفسه عند المقارنة والمواصلة الحاصلة بينهما بالتوجه الشمس القابض و الاقبال الجاذب عليه ويبقى مع نوره و نفسه اى جرمه بالكمال و بنور الشمس ونفسها بحيث لا يفنى شئ من نوره و نفسه عند المقابلة و المفارقة الكاملة الحاصلة بينهما بالارسال الى نفسه والبسط الى نوره مرارا وكرارا دائما و باقيا الى يوم القيامة فكذلك الحقيقة الانسانية الكمالية الاكملية تفنى من نورها وتعينها فى نور الحقيقة الالهية الكمالية الاكملية و تعينها بالتمام بحيث لا يبقى لها اثر ما اصلا عند الوصلة الالهية الحاصلة فى مرتبة الذات الاحدية الجمعية المطلقة بالقبض والجذب من نورها وتعينها الى نورها وتعينها الازلى الابدى السرمدى وتبقى مع نورها وتعينها بنورها بحيث لا يفنى منها اثر اصلا عند الفرقة الكونية الحاصلة فى مرتبة المظهرية الكثرتية الفرقية المقيدة بالبسط والارسال الى نورها وتعينها مرارا وكرارا ابدا سرمدا وعند تجلى النور الشمسى والالهى وظهوره فى القمر والانسان الكامل تدريجا الى حد الكمال يكمل بقاؤهما وعند استتاره واختفائه عنهما تدريجا ايضا الى حد التمام يتم فناؤهما وفناؤهما على هذا الوجه من قبض جلال الحق سبحانه و بقاؤهما على ذلك النمط من بسط

جماله تعالى والله يقبض ويبسط دائما من مرتبة كماله الذاتى بيدى جلال كماله وجماله بل يداه مبسوطتان كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انتهى كلامه قدس الله سره فان قلت اذا ههنا ليست بشرطية لعدم جوابها لفظا وتقديرا حتى يعمل فيها فتكون ظرفا مطلقا فلا بد لها من عامل وهو فى المشهور اقسم المقدر وهو انشاء فيكون للحال واذا للاستقبال ولا اجتماع بينهما فلا تكون ظرفا ووقتا له قلت اذا فى امثال هذا المقام للتعليل اى اقسم بالقمر اعتبارا بتلوها وبالنهار اعتبارا بتجليته الشمس وبالليل اعتبارا بغشيانه اياها كما تقول اشهد لك على هذا حيث كنت صالحا متدينا اى لاجل ذلك كذا فى بعض التفاسير وقال فى القاموس اذا تجيء للحال وذلك بعد القسم مثل والليل اذا يغشى والنجم اذا هوى انتهى فيكون بمعنى حين فاعرف (والنهار) هو نور الشمس الذى ينسخ ظل الارض بمحو ظلمة الليل (اذا جلاها) اى جلى الشمس يعنى هو يداكرد فانها تتجلى عند انبساط النهار واستيفائه تمام الانجلاء فكانه جلاها مع انها التى تبشطه يعنى لما كان انتشار الاثر وهو زمان ارتفاع النهار زمانا لانجلاء الشمس وكان الجلاء واقعا فيه اسند فعل التجلية اليه اسنادا مجازيا مثل نهاره صائم او جلى الظلمة او الدنيا والارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها وفيه اشارة الى نهارا ستيلاء نور الروح وقيام سلطانها واستواء نورها اذا جلاها وابرزها فى غاية الظهور كالنهار عند الاستواء فى تجلية الشمس (والليل) هو ظل الارض الحائلة بين الشمس وبين ما وقع عليه ظلمة الليل (اذا يغشاها) اى الشمس فيغطى ضوءها فتغيب وتظلم الافاق ولما كان احتجاب الشمس بحيلولة الارض بينها وبينها واقعا فى الليل صار الليل كانه حجبها وغطاها فاسند التغطية والتغشية الى الليل لذلك او اذا يغشى الآفاق والارض ولعل اختيار صيغة المضارع هنا على المضى للدلالة على انه لا يجرى عليه تعالى زمان فالمستقبل عنده كالماضى مع مراعاة الفواصل ولم يجئ غشاها من التغشية لانه يتعدى الى المفعولين وحيث كانت الواوات العاطفة نواب الواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معانى قولك اقسم بالله حق ان يعمل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما فاندفع ما يورد ههنا من ان تلك الواوات ان كانت عاطفة يلزم العطف على معمولى عاملين مختلفين وان كانت قسمية يلزم تعداد القسم مع وحدة الجواب وحاصل الدفع اختيار الشق الاول ومنع لزوم المحذور وفيه اشارة الى ليل النفس عند غشيانه بظلمتها شمس نهار الروح وهو ايضا آية من آياته الكبرى لان الليل مظهر الاسم المضل فيجوز القسم به كما جاز القسم بالنهار نظرا الى انه مظهر الاسم الهادى (والسماء وما بناها) اى ومن بناها على غاية العظم ونهاية العلو وهو الله تعالى وايثار ما على من لارادة الوصفية تعجبا الان ما يسأل بها عن صفة من يعقل كانه قيل والقادر العظيم الشان الذى بناها وكذا الكلام فى قوله (والارض وما طحاها) اى ومن بسطها من كل جانب على الماء كى يعيش اهلها فيها والطحو كالدحو بمعنى البسط وابدال الطاء من الدال جائز وافراد بعض المخلوقات بالذكر وعطف الخالق عليه والاقسام بهما ليس لاستوائهما فى استحقاق التعظيم بل النكتة فى الترتيب ان يتبين وجود صانع العالم وكمال قدرته و يظفر العقل بادراك جلال الله وعظمة شانه حسبما امكن فانه تعالى لما اقسم بالشمس التى هى اعظم المحسوسات شرفا ونفعا ووصفها باوصافها الاربعة وهى ضوؤها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم اقسم بالسماء التى هى مسير الشمس واعظم منها فقد نبه على عظمة شانهما لما تبين ان الاقسام بالشئ تعظيم له ومن المعلوم انهما لحركاتهما الوضعية وتغيراحوالهما من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع مدبر كامل القدرة بالغ الحكمة فتوسل العقل بمعرفة احوالهما واوصافهما الى كبرياء صانعهما فكان الترتيب المذكور كالطريق الى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات الى يفاع عالم الربوبية و بيداء كبريائه الصمدية وفيه اشارة الى سماء الارواح وارض الاجساد (ونفس وما سواها) اى ومن انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب وذكر فى تعريف ذات الله تعالى السماء والارض والنفس لان الاستدلال على الغائب لا يمكن الا بالشاهد والشاهد ليس الا العالم الجسمانى وهو اما علوى بسيط كالسماء واما سفلى بسيط كالارض واما مركب وهو اقسام اشرفها ذوات الانفس وقد استدل بعطف ما بعدها على ما قبلها على عدم جواز تقدير المضاف فيه مثل ورب الشمس وكذا فى غيره لا المقدر فى المعطوف عليه يقدر فى المعطوف فيكون التقدير ورب ما بناها ورب ما طحاها ورب ما سواها و بطلانه ظاهر

فان الظاهران تكون فى مواضعها موصولة فاعرف وسيجئ شرح النفس وتسويتها عندا هل التأويل ان شاء الله تعالى (فالهمها فجورها وتقواها) الفاء ان كانت لسببية التسوية فالامر ظاهر وان كانت لتعقيبها فلعل المراد منها تمام ما يتوقف عليه الالهام من القوى الظاهرة والباطنة والالهام القاء الشئ فى الروع اما من جهة الله او من جهة الملأ الاعلى واصل التهام الشئ ابتلاعه والفجور شق ستر الديانة قدم على التقوى لمراعاة الفواصل اولشدة الاهتمام بنفيه لانه اذا انتفى الفجور وجدت التقوى فقدم ما هم بشأنه اعنى والمعنى افهم النفس اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت قال بعض الكبار الالهام لا يكون الا فى الخير فلا يقال فى الشر الهمنى الله كذا واما قوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها فالمراد فجورها لتجتنبه لا لتعمل به وتقواها لتعمل به اذ ليس فى كلام الله تناقض ابدا وقال بعضهم لا يخفى ان محل الالهام هو النفس قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها فاعلمنا ان الفاعل فى الالهام هو الله تعالى لا غيره لكن الهم النفس فجورها لتعلم ولا تعمل به وتقواها لتعلم وتعمل به فهو فى قسم الفجور الهام اعلام لا الهام عمل ان الله لا يأمر بالفحشاء وكما لا يأمر بالفحشاء لا يلهم بها فانه لو الهم بها ما قامت الحجة لله على العبد فهذه الآية مثل قوله وهديناه النجدين اى بيناله الطريقين وقال بعضهم لم ينسب سبحانه الى النفس خاطر المباح ولا الهامه فيها وسبب ذلك ان المباح لها ذاتى فى نفس ما خلق عينها ظاهر المباح فهو من صفاتها النفسية التى لا تعقل النفس الا بها فخاطر المباح نعت خاص كالضحك للانسان وفى التأويلات النجمية تدل الآية على كون النفوس كلها حقيقة واحدة متحدة تختلف باختلاف توارد الاحوال والاسماء فان حقيقة النفس المطلقة من غير اعتبار حكم معها اذا توجهت الى الله توجها كليا سميت مطمئنة واذا توجهت الى الطبيعة توجها كليا سميت امارة واذا توجهت تارة الى الحق بالتقوى وتارة اخرى الى الطبيعة البشرية بالفجور سميت لوامة انتهى وفى الخبر الصحيح عن عمران بن حصين رضى الله عنه سأل رجل من جهينة او مزينة رسول الله عليه السلام مما يعمل الناس ويكدحون فيه أشئ قضى عليهم ام شئ يستقبلونه فقال عليه السلام بل قضى عليهم قال ففيم العمل اذا يا رسول الله فقال عليه السلام من كان خلقه الله لاحدى المنزلتين يهيئه الله لها ثم تلا الآية وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله عليه السلام يقول عند الآية اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها (قد افلح من زكاها) جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وقال الزجاج طول الكلام صار عوضا عن اللام وانما تركه الكشاف وغيره لانه يوجب الحذف والحذف لا يجب مع الطول ولم يجعل كذبت جوابا لان اقسام الله انما يؤكد به الوعد او الظفر وادراك البغية وهو دنيوى كالظفر بالسعادات التى تطيب بها الحياة الدنيا من الغنى والعز والبقاء مع الصحة ونحوها واخروى هو بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل لا عيش الا عيش الآخرة واصل الزكاة الزيادة والنمو ومنه زكا الزرع اذا حصل فيه نمو كثير وبركة ومنه تزكية القاضى الشاهد لانه يرفع قدره بالتعديل ومنه الزكاة لما يخرج الانسان من حق الله الى الفقراء لما فيها من رجاء البركة اولتزكية النفس اى تنميتها بالخيرات والبركات اولهما جميعا فان الخيرين موجودان فيها والمعنى قد فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انمى النفس واعلاها بالتقوى اى رفعها واظهرها وشهرها بها فاهل الصلاح يظهرون انفسهم ويشهرونها بما سطع من انوار تقواهم الى الملأ الاعلى وبملازمتهم مواضع الطاعات ومحافل الخيرات بخلاف اهل الفسق فانهم يخفون انفسهم ويدسونها فى المواضع الخفية لا يلوح عليهم سيما سعادة يشتهرون به بين عباد الله المقربين واصل هذا ان اجواد العرب كانوا يجللون فى ارفع المواضع ويوقدون النار للطارقين لتكون اشهر واللئام ينزلون الاطراف والهضاب لتخفى اماكنهم عن الطالبين فاخفوا انفسهم فالبار ايضا اظهر نفسه باعمال البر والفاجر دسها وتستعمل التزكية بمعنى التطهير ايضا كما قال فى القاموس الزكاة صفوة الشئ وما اخرجته من مالك لتطهره به فالمعنى قد افلح من طهر نفسه من المخالفات الشرعية عقدا وخلقا وعملا وقولا فقد اقسم تعالى بتسعة اشياء على فلاح من زكى نفسه ترغيبا فى تزكيتها وابن عباس رضى الله عنهما روايت كرده كه حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم نزديك تلاوت اين آيت فرمودى كه تزكيهٔ نفس موجب تزكيهٔ دل است هركاه كه نفس ازشوب هوا مزكى شود فى الحال دل ازلوث تعلق بماسوى مصفى كردد * تانفس مبرا زمناهى نشود * دل آينهٔ نورالهى نشود *

وكون افعال العبد بتقدير الله تعالى وخلقه لا ينافى اسناد الفعل الى العبد فانه يقال ضرب زيد ولا يقال ضرب الله مع ان الضرب بخلقه وتقديره وذلك لان وضع الفعل بالنسبة الى الكاسب قال الراغب وزكاء النفس وطهارتها بصير الانسان بحيث يستحق فى الدنيا الاوصاف المحمودة وفى الآخرة الاجر والمثوبة وهو ان يتحرى الانسان مافيه تطهيره وذلك ينسب تارة الى العبد لاكتسابه ذلك نحو قد افلح من زكاها وتارة الى الله لكونه فاعلا لذلك فى الحقيقة نحو بل الله يزكى من يشاء وتارة الى الشئ لكونه واسطة فى وصول ذلك اليهم نحو خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وتارة الى العبادة التى هى آلة فى ذلك نحو وحنانا من لدنا وزكاة انتهى (وقد خاب من دساها) فى القاموس خاب يخيب خيبة حرم وخسر وكفر ولم ينل ماطلب واصل دسى دسس كتقضى البازى وتقضض من التدسيس وهو الاخفاء مبالغة الدس واجتماع الامثال لما اوجب الثقل قلبت السين الاخيرة ياء وقال الراغب الدس ادخال الشئ فى الشئ بضرب من الاكراه ودساها اى دسسها فى المعاصى انتهى والمعنى قد خسر من نقصها واخفاها بالفجور وبارسالها فى المشتهيات الطبيعية وقال شيخى وسندى قدس سره فى قوله تعالى ونفس الخ المراد بالنفس هنا الذات والحقيقة الجمعية الانسانية الكمالية المخلوقة على الصورة الالهية الجمعية الكمالية لتكون مرءآة لها كما ورد خلق الله آدم على صورته ويقال لها النفس الناطقة المدبرة للبدن وماسواها اى خلقها مستوية قابلة لتكون محلى لتجليات تعيناتها الكمال والجلال والجمال ومتوسطة ممكنة لتكون مظهرا لظهورات الذات والصفات والافعال ومعتدلة صالحة لتكون مشهد المشاهدات آثار الاسماء والمراتب والاحوال وبهذه القابلية الجامعة بين القبضتين الجمال والجلال كانت اتم كل موجود فألهمها اى افاض عليها بوساطة سادة الجلال فجورها اى آثار الجلال المندرج فى جمعية حقيقتها البرزخية واحكامه واحواله من العقائد والعلوم والاعمال والمذاهب وغير ذلك مما تفجر وتميل فيه من الحق الى الباطل فتجازى بالخسران وتقواها وافاض عليها بوساطة خادم الجمال اى آثار الجمال وامور واحكامه من كلمة التوحيد العلمى الرسمى المنافى للشرك والكفر والهوى الجلى وسائر الفساد فى مرتبة الشريعة والطريقة ومن كلمة التوحيد العينى الحقيقى المزيل للشرك والكفر والهوى الخفى وباقى الكساد فى مرتبة المعرفة والحقيقة ومن غيرهما من لطائف العلوم والمعارف ومحاسن الاعمال والاحوال ومكارم الاخلاق والصفات قد افلح اى دخل فى الفلاح فى جميع المراتب صورة وحقيقة من زكاها من طهرها من رذائل آثار الجلال فى جميع الاطوار وقد خاب اى حرم من الفلاح من دساها اى اخفى فيها الآثار الجلالية والصفات النفسانية وكتم فيها العيوب والقبائح الشيطانية والاهواء والشهوات البهيمية والاعمال والاخلاق الرديئة ولم يعالجها باضدادها بل اهملها عن التربية فى مرتبة الشريعة بالتقوى والصلاح وعن التزكية فى مرتبة الطريقة بالمجاهدة والاصلاح وساعدها فى هواها وشهواتها فى النيات والمقصود والاعمال والاقوال وصارت حركاتها وسكناتها جميعا بالاهواء انتهى باختصار فان كلامه رحمه الله فى هذه الآية يبلغ الى نصف جزء بل اكثر (كذبت ثمود) المراد القبيلة ولذا قال (بطغواها) وهو استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها فان الطغيان اعظم انواع التدسية والطغوى بالفتح مصدر بمعنى الطغيان الا انه لما كان اشبه برؤوس الآيات اختير على لفظ الطغيان وان كان الطغيان اشهر وفى الكشاف الطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا من الخزى بالفتح والقصر بمعنى الاستحياء ومن الصدى بمعنى العطش والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله فالفعل منزل منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول وهو المشهور او كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام فحذف المفعول للعلم به وفيه اشارة الى ان العصيان اذا اشتد بلغ الكفر ويجوز ان تكون الباء صلة للتكذيب اى كذبت بما اوعدت به من العذاب ذى الطغوى والتجاوز عن الحد وهو الصيحة كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية اى بصيحة ذات طغيان (اذ انبعث اشقاها) منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع لبعث يقال بعثت فلانا على امر فانبعث له وامتثل قال فى كشف الاسرار الانبعاث الاسراع فى الطاعة للباعث او حين قام قدار ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد

والمذكر والمؤنث ويدل على الاول قوله تعالى فى سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فانه يدل على ان المباشر واحد معين وفضل شقاوتهم على من عداهم من شركتهم العقر مع اشتراك الكل فى الرضى به (فقال لهم) اى لثمود (رسول الله) اى علم ما عزموا عليه وهو صالح عليه السلام ابن عبيد بن جابر بن ثمود بن عوص بن ارم فالاضافة للعهد عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتمديهم فى الطغيان (ناقة الله) منصوب على التحذير وان لم يكن من الصور التى يجب فيها حذف العامل والناقة بالفارسية اشتر ماده اضيفت اليه تعالى للتشريف كبيت الله اى ذروا ناقة الله الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وعلى نبوتى واحذروا عقرها (وسقياها) يعنى شربها وهو نصيبها من الماء ولا تطردوها عنه فى نوبتها فانها كان لها شرب يوم معلوم ولهم ولمواشيهم شرب يوم اخر وكانوا يتحذرون بذلك فى مواشيهم فهموا بعقرها (فكذبوه) اى رسول الله فى وعيده بقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب (فعقروها) اى الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله قال السهيلى العاقر قدار بن سالف وامه قديرة وصاحبه الذى شاركه فى عقر الناقة اسمه مصدع بن وهر او ابن جهير والعقر النحر وقد جاء التكذيب على العقر لانه كان سبب العقر وفى الحديث قال عليه السلام لعلى يا على اتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدرى من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وذلك أراد بالناقة اشارة الى ناقة الروح فكما ان عقرها بالظلمة النفسانية والشهوات الحيوانية من مزيد شقاوة النفس فكذا قتل على رضى الله عنه فانه كان مظهرا لروحانية نبينا عليه السلام ولذا كان وارثه الاكبر فى مقام الحقيقة فالقصد الى على الولى رضى الله عنه قصد الى محمد النبى عليه السلام ولاشقاوة فوق شقاوة من قابل مظهر الرحمة الكلية بالغضب والانتقام (فدمدم عليهم ربهم) فاطبق عليهم العذاب وهو الصيحة الهائلة وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا طليت بالشحم واحيطت بحيث لم يبق منها شئ لم يمسه الشحم ودم الشئ سده بالقبر ودممت على القبر وغيره اذا اطبقت عليه ثم كرت الدال للمبالغة فى الاحاطة فالدمدمة من الدم كالكبكبة من الكب قال فى كشف الاسرار تقول العرب دممت على فلان ثم تقول من المبالغة دممت بالتشديد ثم تقول من تشديد المبالغة دمدمت والتركيب يدل على غشيان الشئ الشئ (بذنبهم) اى بسبب ذنبهم المحسكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للاذان بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب (فسواها) اى الدمدمة والاهلاك بينهم لم يفلت منهم احد من صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض (روى) انهم لما رأوا علامات العذاب طلبوا صالحا عليه السلام ان يقتلوه فانجاه الله كما قال فى سورة هود فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا (ولا يخاف عقباها) الواو للاستئناف او للحال من المنوى فى فسواها الراجع الى الله تعالى اى فسواها الله غير خائف عاقبة الدمدمة وتبعتها او عاقبة هلاك ثمود كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك والولاة فيترحم بعض الترحم وذلك ان الله تعالى لا يفعل الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعل ولا يبالى بعاقبة ما صنع وان كان من شأنه الخوف وقال بعضهم ولا يخاف هو اى قدار ولا هم ما يعقب عقرها ويتبعه وما يترتب عليه من انواع البلاء والمصيبة والعقاب مع ان صالحا عليه السلام قد اخبرهم بها

(تمت سورة الشمس فى اوائل شهر ربيع الآخر)

---

* (سورة الليل احدى وعشرون اية مكية وقيل فيها مكى ومدنى) *

---

*(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والليل اذا يغشى) اذ اللحال لكونها بعد القسم كما مر فى السورة السابقة اى اقسم بالليل حين يغشى الشمس ويغطيها ويسترها كقوله والليل اذا يغشاها فعدم ذكر المفعول للعلم به او النهار او كل ما يواريه بظلامه فعدم ذكر المفعول للتعميم والليل عند اهل النجوم ما بين غروب الشمس وطلوعها وعند اهل الشرع ما بين غروبها وطلوع الفجر الصادق اعلم المراد هنا والنهار ما يقابله (وفى كشف الاسرار) الله تعالى شب را مرتبتى و شرفى داد كه آنرا در قرآن مجيد محل قسم خود كردانيد واين شرف ازان يافت كه چون شب در ايد دوستان خدا تنها در مناجات شوند همه شب شراب صفامى نوشند وخلعت رضامى پوشند وعتاب محبوب مى نيوشند وچون وقت سحر باشد كه فرمان رسد تا درهاى اين قبهٔ پيروزه باز كشايند ودا منهاى سراد قات عرش مجيد

براند ازند ومقربان حضرت بامر حق خاموش شوند انكه جبار كائنات درعلو وكبريای خود خطاب كند كه الا قد خلا كل حبيب بحبيبه فاين احبائی يعنی هر دوستی بادوست خود در خلوت وشادی آمدند دوستان من كجا اند

الليل داج والعصاة نيام * والعابدون لدى الجلال قيام

(والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل اى ان كان المغشى غير الشمس او بين وتكشف بطلوع الشمس اى ان كان المغشى الشمس واختلاف الفاصلتين بالمضى والاستقبال لما ذكرنا فى السورة السابقة وفيه اشارة الى القسم بليل غيب الهوية المطلقه اذا يغشى نهار التعينات الاعتبارية على اهل الذوق والشهود وبنور نهار الوجودات المقيدة اذا تجلى بسبب التعينات العقلية بالنسبة الى اهل الحجاب والاحتجاب وقال الكاشانى اقسم بليل ظلمة النفس اذا ستر نور الروح اذا تجلى وظهر من اجتماعهما وجود القلب الذى هو عرش الرحمن فان القلب يظهر باجتماع هذين له وجه الى الروح يسمى الفؤاد يتلقى به المعارف والحقائق ووجه الى النفس يسمى الصدر يحفظ به الاسرار ويتمثل فيه المعانى (وما خلق الذكر والانثى) ما عبارة عن صفة العالم كما فى وما يناسبها وانها لتوغلها فى الابهام افادت ان الوصف الذى استعملت هى فيه بالغ الى اقصى درجات القوة والكمال بحيث كان مما لا يكتنه كنهه وانه لا سبيل للعقل الى ادراكه بخصوصه وانما الممكن هو ادراكه بامر عام صادق واللامان للحقيقة ويجوز ان يكونا للاستغراق اى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد فخرج مثل البغل والبغلة وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوى الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة او الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا انثى وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لانه فى الحقيقة اما ذكر او انثى وان كان مشكلا عندنا كما فى الكشاف وقيل انهما آدم وحواء عليهما السلام على ان اللام للعهد قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقرأ والذكر والانثى قال علقمة قدمنا الشام فاتانا ابو الدرداء رضى الله عنه فقال افيكم من يقرأ قراءة عبد الله بن مسعود فاشاروا الى فقلت نعم انا فقال كيف يقرأ هذه الآية قلت سمعته يقرأ والذكر والانثى قال وانا هكذا والله سمعت رسول الله عليه السلام يقرأها وهؤلاء يريدونني على ان اقرأها وما خلق فلا اتابعهم وفيه اشارة الى الذكر الذى هو الروح والانثى التى هى النفس وقد ولد القلب من ازدواجهما وعند بعض العارفين الليل ذكر والنهار انثى كما سبق فى النازعات (ان سعيكم لشتى) جواب القسم والمصدر بمعنى الجمع لما عرف ان المصدر المضاف من صيغ العموم ولذلك اخبر عنه بالجمع وشتى جمع شتيت كمرضى ومريض وهو المتفرق المتشتت والمعنى ان مساعيكم اى اعمالكم لمختلفة حسب اختلاف الاستعدادات الازلية فبعضها حسن نافع خير صالح وبعضها قبيح ضار شر فاسد وفى الحديث الناس غاديان فبتاع نفسه فمعتقها او بايع نفسه فموبقها قال الكاشانى ان سعيكم اشتت مختلفة لانجذاب بعضكم الى جانب الروح والتوجه الى الخير لغلبة النورية وميل بعضكم الى جانب النفس والانهماك فى الشر لغلبة الظلمة وقال بعضهم باطن هذه الاية ان يرى سعيه قسمة من الحق له من قبل التكوين والتخليق لقوله تعالى نحو قسمنا بينهم معيشتهم وان السعى له مراتب كمراتب المتصلين بالسلطان من الندماء والجلساء واصحاب الاسرار فسعى بالنفوس لطلب الدرجات وبالعقول لطلب الكرامات وبالقلوب لطلب المشاهدات وبالارواح لطلب المدانات وبالاسرار لفنائها فى انوار الذات وبقائها فى انوار الصفات وسعى بالارادة وبالمحبة وبالشوق وبالعشق وبالمعرفة الى غير ذلك (فاما) تفصيل لتلك المساعى المتشتة وتبيين لاحكامها (من اعطى) حقوق ماله (واتقى) محارم الله التى نهى عنها ومن جملتها المن والاذى (وصدق بالحسنى) بالخصلة الحسنى وهى الايمان او بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام او المثوبة الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) معنى التيسير التهيئة لما يقابل التعسير ومنه قوله كل ميسر لما خلق له فلا حاجة الى ان يقال استعمل التيسير فى العسرى على المشاكلة كما فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة او على حسب قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم يقال يسر الفرس للركوب اذا سرجها والجمها واليسرى تانيث الايسر والمعنى فسنهيئه ونوفقه للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه وبالفارسية پس زود باشد كه آسانى

دهيم و برابراى طريقت نيكوكه سبب آسانى وراحت باشد يعنى عملى كه اورابه بهشت رساند فوصف الخصلة باليسرى مجاز باعتبار كونها مؤدية الى اليسرى وفيه اشارة الى ان من طهر نفسه بالطاعة بالاقبال على الله والاعراض عن الدنيا واتقى فى عين تلك الطاعة عن نسبتها الى نفسه وصدق فى باطنه بالكلمة الحسنى فسنيسره للخصلة اليسرى وهى الوصول الى حضرتنا العليا وسرادقاتنا الكبرى (واما من بخل) اى بماله فلم يبذله فى سبيل الخير والبخل امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه و يقابله الجود (واستغنى) زهد فيما عنده تعالى اى لم يرغب كانه مستغن عنه فلم يتق اواستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة فلم يتق فيكون الاستغناء مستتبعا لعدم الاتقاء الذى هو مقابل الاتقاء فى الآية الاولى وبه يحصل التقابل بينهما (وكذب بالحسنى) اى ماذكر من المعانى المتلازمة (فسنيسره للعسرى) اى فسنهيئه للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها بالفارسية پس مهيا كردانيم مرورا براى صفتى كه مؤدى بد شوارى ومحنت بود يعنى كرداري كه اورا بدوزخ برد ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء والظاهر ان السين للدلالة على الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية وهو يكون فى الآخرة التى هى امر متراخ منتظر فادخلت السين وهى حرف التراخى ليدل بذلك على ان الوعد آجل غير حاضر كذا فى بعض التفاسير وفيه اشارة الى ان من بخل فى نفسه بالطاعة والعبادة الروحية والسرية والقلبية واستغنى عن الاقبال علينا وكذب بالحسنى التى اعطيناها اياه من سلامة الاعضاء والجوارح والجاه والمال فسنيسره للعسرى وهى البعد عنا والطرد واللعن ودخول نار الحجاب (ومايغنى عنه ماله) اى شيأ من العذاب فالمفعول محذوف اواى شئ يغنى عنه ماله الذى يبخل به اى لا يغنى شيأ فما مفعول يغنى والاستفهام للانكار (اذا تردى) اى هلك ومات تفعل من الردى للمبالغة والردى كالعصا وهو الهلاك قال الراغب الردى الهلاك والتردى التعرض للهلاك انتهى اوتردى وسقط فى الحفرة اذا قبر اوتردى فى قعر جهنم فالمال الذى ينتفع به الانسان فى الآخرة وقت حاجته هو الذى اعطى حقوقه وقدمه دون الذى بخل به وتركه لوارثه وفيه اشارة الى انه اذا تردى وتصدى لمخالفتنا وموافقة الطبيعة البشرية اى شئ له يخلصه من غضبنا وقهرنا عند تجلينا له بصورة القهر والنقمة (ان علينا للهدى) استئناف مقرر لما قبله اى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى ومايؤدى اليه و طريق الضلال وما يؤدى اليه وقد فعلنا ذلك بما لامزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن هنا تبين ان الهداية هى الدلالة على مايوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا وان المراد بالوجوب المفهوم من على الوجوب بموجب القضاء ومقتضى الحكمة فلا تكون الآية بظاهرها دليلا على وجوب الاصلح عليه تعالى كما يزعم المعتزلة قال القاشانى ان علينا للهدى بالارشاد الينا بنور العقل والحس والجمع بين الادلة العقلية والسمعية والتمكين على الاستدلال والاستبصار (وان لنا للآخرة والاولى) اى التصرف الكلى فيهما كيفما نشاء من الافعال التى من جملتها ماوعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى (فانذرتكم) خوفتكم بالقرآن وبالفارسية پس بيم كنم شمارا اى ياأهل مكة (نارا) ازآتشى كه (تلظى) زبانه زند وهو بحذف احدى التاءين من تتلظى اى تتلهب فان النار مؤنث وصفت به ولوكان ماضيا لقيل تلظت مع ان المراد بوصفها دوام التلظى بالفعل الاستمرارى وفى بعض التفاسير المراد من انذرتكم انشاء الانذار كقولهم بعت واشتريت اواخبار يراد به الانذار السابق فى مثل قوله تعالى فى سورة المدثر أصليه سقر وماادراك ماسقر لاتبقى ولاتذر لواحة للبشر فانها اول سورة نزلت عند الاكثرين وهذا اشد تخويف لمن يقال خافوا واتقوا نارا تلظى (لايصلاها) صليا لازما ولايقاسى حرها (الا الاشقى) الزائد فى الشقاوة وهو الكافر فانه اشقى من الفاسق وفى كشف الاسرار يعنى الشقى والعرب تسمى الفاعل افعل فى كثير من كلامهم منه قوله تعالى واتم الاعلون وقوله واتبعك الارذلون انتهى فالفاسق لايصلاها صليا لازما ولايدخلها دخولا ابديا وقد صرح به قوله تعالى (الذى كذب وتولى) اى كذب بالحق واعرض عن الطاعة وليس هذا الا الكافر (وسيجنبها) اى سيبعد عنها بحيث لايسمع حسيسها والفاعل المجنب المبعد هو الله و بالفارسية وزود بودكه دور كرده شود ازان آتش (الاتقى)

المبالغ فى الاتقاء عن الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها اوصليها الابدى واما من دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى وهو المؤمن الشقى الفاسق الغير التائب فلا يبعد عنها هذا التبعيد بل يصلاها وان لم يذق شدة حرها كما ذاق الكافر لكونه فى الطبقة الفوقانية من طبقات النار فذلك لايستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق وفى كشف الاسرار الاتقى بمعنى التقى كالاشقى بمعنى الشقى قال الشاعر

تمنى رجال ان اموت وان امت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

اى بواحد انتهى (الذى يؤتى ماله) يعطيه و يصرفه فى وجوه البر والحسنات (يتزكى) اما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لامحل له اوفى حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتى اى يطلب ان يكون عندالله زاكيا نامياً لا يريد به رياء ولاسمعة اومتزكيا متطهرا من الذنوب ومن دنس البخل وسخ الامساك (ومالاحد عنده من نعمة تجزى) استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكى خالصا لوجه الله اى ليس لاحد عنده نعمة ومنة من شأنها ان تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء مايؤتى مجازاتها (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع من نعمة لان ابتغاء وجه ربه ليس من جنس نعمة تجزى فالمعنى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه الاعلى اى لابتغاء ذاته وطلب رضاه فهو فى الحقيقة مفعول له وما آتى من المال مكافاة على نعمة سالفة فذلك يجرى مجرى ادآء الدين فلا يكون له دخل فى استحقاق مزيد الثواب وانما يستحق الثواب اذا كان فعله لاجل ان الله امره به وحثه عليه ومعنى الاعلى العلى الرفيع فوق خلقه بالقهر والغلبة كما قاله ابو الليث وقال القاشانى وصف الوجه الذى هو الذات الموجودة مع جميع الصفات بالاعلى لان لله تعالى بحسب كل اسم وجها يتجلى به لمن يدعوه بلسان حاله بذلك الاسم و يعبده باستعداده والوجه الاعلى هو الذى له بحسب اسمه الاعلى الشامل لجميع الاسماء وان جعلته وصفا لرب فالرب هو ذلك الاسم انتهى والآية نزلت فى حق ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا رضى الله عنه فى جماعة كعامر بن فهيرة واخيه وعبيد وزنيرة كسكينة وهى مملوكة رومية وابنتها ام عميس وامة بنى المؤمل والنهدية ابنتها وكانت زنيرة ضعيفة البصر فقال المشركون اذهب اللات والعزى بصرها لما خالفت دينهما فرد الله بصرها بعد ذلك وكان المشركون يؤذون هؤلاء المذكورين ليرتدوا عن الاسلام فاشتراهم ابو بكر فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابوجهل اوامية بن خلف درکشف الاسرار آورده كه اين سوره در بارهٔ دو كس است يكى اتقى كه بيشتر وصديق دانست يعنى ابو بكر رضى الله عنه و يكى اشقى كه بيشتر وزنديق دانست زاهل ضلالت يعنى ابوجهل ودر فاتحهٔ اين سوره كه بشب وروز قسم ياد ميكند اشارتست بظلمت يكى ونورانيت ديكر يعنى درشب ضلالت كسى را آن كراهى نبود كه ابوجهل شقى را ودر روز دعوت هيچكس را آن نور هدايت ظاهر نشد كه ابو بكر تقى را * سرر وشند لان صديق اعظم * كه شد اقليم تصديقش مسلم * زمهرش روزدين را روشنايى * بدو اهل يقين را آشنايى * آورده اند كه اميه بن خلف بلال را كه بندهٔ او بود بانواع آزارها عذاب ميكرد تا ازدين برگردد وهر زمان آتش محبت ربانى درباطن اوافروخته تر بود * آنجا كه منتهاى كمال اراد تست * هرچند جور پيش محبت زيادتست * روزى صديق ديد كه اميه و ديرا برخاك گرم افكنده بود وسنگهاى تفسيده برسينهٔ وى نهاده واودر بن حال احد احد ميگفت يعنى يقول امية لاتزال هكذا حتى تموت اوتكفر بمحمد وهو يقول احد احد ابو بكر را دل بر و بسوخت وگفت اى اميه واى برتواين دوست خدايرا چند عذاب كنى گفت اى ابابكر اكر دلت بر وميسوزد ازمنش بخر وفى رواية مر النبى عليه السلام بلال بن رباح الحبشى وهو يقول احد فقال عليه السلام احد يعنى الله الاحد ينجيك ثم قال لابى بكر رضى الله عنه ان بلالا يعذب فى الله فعرف مراده عليه السلام فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعنى بلالا قال نعم فاشتراه واعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا اليد كانت له عنده فنزلت وقال ابن مسعود رضى الله عنه وقد اشتراه ببرد وعشر اواق جمع اوقية وهى اربعون درهما وكان مدفونا تحت الحجارة فقالوا لو أبيت الا اوقية لبعناك فقال ولو انتم ايتم الا مائة اوقية لاشتريته بها وقيل كان عبدا لعبدالله بن جدعان سلح على اصنام قوم اى تغوط فشكوا اليه فوهبه لهم مع مائة من الابل قربانا لها فعذبوه فى الرمضاء اشد العذاب وفى رواية ابن المسيب بل ابتاعه من امية بغلام له اسمه نسطاس بكسر النون صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش. وهو مشرك

بعد ماحمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له (كما قال الكاشفي) صديق رضى الله عنه كفت يا اميه بچند ميفروشى كفت عوض ميكنم آنرا به نسطاس رومى وآن غلامى بود از ان صديق رضى الله عنه درهزار دينار استعداد داشت وصديق رضى الله عنه اورا كفته بود كه اكر ايمان آرى آن مال كه دارى بتو بخشم نسطاس مسلمان نمى شدودل مبارك صديق رضى الله عنه ازوملول بود چون اين كلمه ازاميه شنيده غنيمت شمرده نسطاس رابانمام استعداد بداد وبلال رابستد وفى الحال باميه نواب اخروى آزاد كردوفى الحديث يرحم الله ابابكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول بلال سيدنا ومولى سيدناوهو نظير قوله عليه السلام سلمان منا اهل البيت فانظر الى شرف التقوى كيف ادخل الموالى فى الاشراف ولاتغتر بالنسب المجرد فانه خارج عن حد الانصاف وقال السهيلى رحمه الله قال لابى بكر رضى الله عنه ابوه لواشتريت من له نجدة وقوة فيتعصب لك وينفعك كان اجدى من ابتياع الضعفة واعتاقهم فانزل الله هذه الآية وفهم مماذكران اعلى الاعطاء فضيلة مايكون لرضى الله واوسطه مايكون لعوض اخروى وادناه مايكون لغرض دنيوى مباح واما مايكون للرياء والسمعة اولغير ذلك ممالبس بمباح فهو اخس واقبح وقوله عليه السلام من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ماتكافئوه فادعوا له يدل على ان المكافاة مشروعة ممدوحة لكنها ليست بدرجة ابتغاء المرضاة (ولسوف يرضى) جواب قسم مضمر اى وبالله لسوف يرضى ذلك الاتقى الموصوف بماذكر وبالفارسية وزود باشدكه خشنود كردد وهو وعد كريم بنيل جميع مايبتغيه على اكمل الوجوه واجلها اذيه يتحقق الرضى قال بعضهم اى يرضى الله عنه ويرضى هو بمايعطيه الله فى الآخرة من الجنة والكرامة والزلفى جزاء على مافعل ولم يزل هذا الوعد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى ولابى بكر رضى الله عنه ههنا قال البقلى هذا الرضى لايكون من المعارف حتى يفنى فى المعروف ويتصف بصفاته حتى يكون نعته فى الرضى نعت الحق سبحانه وتعالى

* (سورة الضحى احدى عشرة آية مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار اريد بالضحى الوقت المذكور على المجاز بعلاقة الحلول والظرفية فان الزمان ظرف لمافيه اوعلى تقدير المضاف وذلك التجوز اوالحذف ليناسب الليل قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام والقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى فكان له بذلك شرف ومناسبة بحال المقسم لاجله وصلاة الضحى سنة بالاتفاق ووقتها اذا علت الشمس الى قبيل وقت الزوال وهى عند ابى حنيفة ركعتان اواربع بتسليمة وعند مالك لاتحصر وعند الشافعى واحمد اقلها ركعتان واختلف فى اكثرها فقال الشافعى ثنا عشرة وقال احمد ثمان وهو الذى عليه الاكثرون من اصحاب الشافعى وصححه النووى فى التحقيق وقد صح ان النبى عليه السلام صلى صلاة الضحى يوم فتح مكة ثمانى ركعات وهو فى بيت ام هانى وكان يصلى صلاة الضحى قبل ذلك ايضا (والليل) اى وجنس الليل قال ابن خالويه هو نسق على الضحى لاقسم لانه يصلح ان يقع فى موضع الواو ثم اوالفاء بان يقال ثم الليل مثلا وثم لايكون قسما (اذا سجى) اى سكن اهله على المجاز من قبيل اسناد الفعل الى زمانه اوركد ظلامه واستقر وتناهى فلايزداد بعد ذلك يعنى ان سكون ظلامه عبارة عن عدم تغيره بالاشتداد والتنزل وذلك حين اشتد ظلامه وكمل فيستقر زمانا ثم يشرع فى التنزل فاسناد سكون الظلمة الكائنة اليه مجاز ايضا يقال سجا البحر سجوا اذاسكنت امواجه وليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات وعن جعفر الصادق رضى الله عنه ان المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله فيه موسى وبالليل ليلة المعراج وصاحب كشف الاسرار كفته مراد از روزوشب كشف وحجابست كه نشانهٔ نسيم لطف وسموم قهر بود وعلامهٔ انوار جمال وآثار جلال كما قال الجنيد قدس سره والضحى مقام الشهود والليل اذا سجا مقام الغين الذى قال عليه السلام فيه انه ليغان على قلبى ياانشار تست بروشنى وروى حضرت مصطفى عليه السلام وكنايست ازسياهئ موى وى * والضحى رمزى زروى همچوماه مصطفى * معنئ والليل كيسوى سياه مصطفى *

وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل لان النهار انما يحدث بطلوع النير وبغروبه يعود الهواء الى حالته الاصلية ولذا قدم الظلمة فى قوله وجعل الظلمات و لنزر وتقديم النهار باعتبار الشرف الذاتى اوالعارضى فان قيل ما السبب فى انه ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته اجيب بانه وان كان ساعة من النهار لكنه يوازى جميع الليل كما ان محمدا عليه السلام يوازى جميع الانبياء عليهم السلام و بان النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان هموم الدنيا اكثر من سرورها فان الضحى ساعة والليل له ساعات (روى) ان الله تعالى لما خلق العرش اظلت غمامة سوداء عن يساره ونادت ماذا امطر فاجيبت ان امطرى الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة اخرى بذلك وهكذا الى تمام ثلاثمائة سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ما امطر فاجيبت ان امطرى السرور ساعة فلهذا السبب ترى الغموم والاحزان دائمة كثيرة و السرور قليلا ونادرا (ماودعك ربك) جواب القسم والتوديع مبالغة فى الوداع وهو الترك لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك والوداع هو الاعلام بالفراق وقال الراغب اصل التوديع من الدعة وهو ان يدعو للمسافر بان يتحمل الله عنه كآبة السفر وان يبلغه الدعة والخفض كان التسليم دعاء له بالسلامة فصار ذلك متعارفا فى تشييع المسافر وتركه وعبر به عن الترك فى الآية والمعنى ما قطعك قطع المودع وما تركك بالحط عن درجة الوحى والقرب والكرامة ففيه استعارة تبعية واشارة الى ان الرب لا يترك المربوب (وما قلى) اى وما ابغضك والابغاض ضد من داشتن والقلى شدة البغض يقال قلاه يقلوه ابغضه من القلو وهو الرمى كما يقال قلت الناقة براكبها رمت به فكأن المقلو هو الذى يقذفه القلب من بغضه ولا يقبله وقلاه وقليه يقليه ويقلاه ابغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه اوقلاه فى الهجر وقليه فى البغض كما فى القاموس فمن جعله من اليائى فمن قليت البسر والسويق على المقلى كما فى المفردات ولعل عطف وما قلى من عطف السبب على المسبب لافادة التعليل وحذفت الكاف من قلاك لدلالة الكلام عليه ولمراعاة الفواصل (روى) ان الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر يوما لتركه الاستثناء وذلك ان مشركى قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم عن امر محمد عليه السلام فقالت لهم اليهود سلوه عن اصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فان اخبركم عن قصة اهل الكهف وقصة ذى القرنين ولم يخبركم عن امر الروح فاعلموا انه صادق فجاءهم المشركون وسألوه عنها فقال عليه السلام لهم ارجعوا اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عنه اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه اوان جبريل ابطأ فشكا عليه السلام ذلك الى خديجة فقالت خديجة لعل ربك قد قلاك فنزل جبريل بقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه وقد سبق فى سورة الكهف ونزل ايضا بقوله تعالى ماودعك ربك وما قلى ردا على المشركين وتبشيرا له عليه السلام بان الحبيب لا يقلى الحبيب وانه تعالى يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا مع ان ما سيؤتيه فى الاخرة اجل واعظم من ذلك كما تنبئ عنه الآية الآتية (وروى) ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبى الله اياما لا ينزل عليه الوحى فقال لخادمته خولة ياخولة ما حدث فى بيتى ان جبريل لا يأتينى قالت خولة فكنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء نبى الله ترتعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة فقال ياخولة دثرينى فانزل الله هذه السورة فلما نزل جبريل سأله النبى عليه السلام عن سبب تأخيره فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وقيل غير ذلك وفيه اشارة الى انه عليه السلام وقع منه ما هو ترك الاولى ولذا لم يكن ممقوتا ولا مبغوضا وانما احتبس عنه الوحى للتربية والارشاد وفى التأويلات النجمية ماودعك ربك بقطع فيض النبوة والرسالة عن ظاهرك وما قلى بقطع فيض الولاية عن باطنك (والآخرة خير لك من الاولى) لما انها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق والاولى اى الدنيا لانها خلقت قبل الآخرة فانية مشوبة بالمضار فالمراد بالآخرة والاولى كراماتهما واللام فى وللاخرة لام للابتداء المؤكدة لمضمون الجملة وفى التأويلات النجمية يعنى احوال نهايتك افضل وأكمل من افعال بدايتك كما اخبر بقوله اليوم اكملت لكم دينكم الاية لانه صلى الله عليه وسلم لا يزال يطير بجناحى الشريعة والطريقة فى جو السماء السر ويترقى فى مقامات القرب والكرامة وهكذا حال ورثته (ولسوف يعطيك ربك) اللام الابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك ربك لان لام الابتداء

لاتدخل الاعلى الجملة الاسمية وليست للقسم لانها لاتدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لامحالة وان تراخى لحكمة يعنى ان لام الابتداء لما تجردت للدلالة على التأكيد وكانت السين تدل على التأخير والتنفيس حصل من اجتماعهما ان العطاء المتأخر لحكمة كائن لامحالة وكانت اللام لتأكيد الحكم المقترن بالاستقبال (فترضى) ماتعطاه مما يطمئن به قلبك يعنى شندان عطاارزانى دارد كه تو كوبى پس ومن راضى شدم وهو نسق على ماقبله بالفاء والآية عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والاخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوحات الواقعة فى عصره عليه السلام وفى خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخره من الكرامات التى لايعلمها الا الله تعالى وقد نبأ عن سمة منها قوله عليه السلام لى فى الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابها المسك ودرهركوشكى ازخدم وحور ونعم وامتعه وآنچه لايق آن بود (روى) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على فاطمة رضى الله عنها وعليها كساء من وبر الابل وهى تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عيناه لما ابصرها فقال يابنتاه تعجلى مرارة الدنيا لحلاوة الاخرة فقد انزل الله ولسوف يعطيك ربك فترضى امام محمد باقر رضى الله عنه در كوفه مى فرمود كه اى اهل عراق شما مكويد كه اميد وارترين آيتى ازقرآن آنيست كه لاتقنطوا من رحمة الله وما اهل البيت برآنيم كه اميدر ايت ولسوف يعطيك ربك فترضى بيشترست يعنى ارجى اية عند اهل البيت هذه الاية چه رسول الله صلى الله عليه وسلم راضى نشود كه يكى ازامت وى دردوزخ باشد * تماند بدوزخ كسى در كرو * كه دارد چوتو سيدى پشرو * عطاى شفاعت چنانش دهند * كه امت تمامى زدوزخ رهند * وفى الحديث اشفع لامتى حتى ينادى لى ارضيت يامحمد فاقول رب قد رضيت وقال الفهرى ومما يرضيه فيه بعد اخراج كل مؤمن ان لايسوءه فى امه وابيه وان منع الاستغفار لهما واذن له فى زيارة قبرهما فى وقت دون وقت لانهما من اهل الفترة وقال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومن لم يقنعه هذا فحظ المؤمن منهما الوقف فيهما وان لايحكم عليهما بنار الا بنص كتاب اوسنة اواجماع الامة بخلاف ماثبت فى عمه ابى طالب انتهى كلامه فى التفسير المسمى بفتح الرحمن وقال حضرت الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر اقت بمدينة قرطبة بمشهد قارانى الله اعيان رسله من لدن آدم الى نبينا عليه وعليهم السلام فخاطبنى منهم هود عليه السلام واخبرنى بسبب جمعيتهم وهو انهم اجتمعوا شفعاء للحلاج الى نبينا محمد عليه السلام وذلك انه كان قد اساء الادب بان قال فى حياته الدنيوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم همته دون منصبه قيل له ولم ذلك قال لان الله تعالى قال ولسوف يعطيك ربك فترضى فكان من حقه ان لايرضى الا ان يقبل الله شفاعته فى كل كافر ومؤمن لكنه ماقال الا شفاعتى لاهل الكبائر من امتى فلما صدر منه هذا القول جاءه رسول الله فى واقعته وقال له يامنصور أنت الذى انكرت على فى الشفاعة فقال يارسول الله قد كان ذلك قال الم تسمع انى قد حكيت عن ربى عزوجل اذا احببت عبدا كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فقال بلى يارسول الله قال فاذا كنت حبيب الله كان هو لسانى القائل فاذا هو الشافع والمشفوع اليه واناعدم فى وجوده فاى عتاب على يامنصور فقال يارسول الله انا تائب من قولى هذا فما كفارة ذنبى قال قرب نفسك لله قربانا قال فكيف قال اقتل نفسك بسيف شريعتى فكان من امره ما كان ثم قال هود عليه السلام وهو من حيث فارق الدنيا محجوب عن رسول الله والآن هذه الجمعة لاجل الشفاعة له اليه صلى الله عليه وسلم وكانت المدة بين مفارقته الدنيا وبين الجمعة المذكورة اكثر من ثلاثمائة سنة قال بعض العارفين الحقيقة المحمدية اصل مادة كل حقيقة ظهر ومظهرها اصل مادة كل حقيقة تكونت واليه يرجع الامر كله قال تعالى ولسوف يرضى ولايكون رضاه الا بعود مانفرق منه اليه فاهل الجمال يجتمعون عند جماله واهل الجلال يجتمعون عند جلاله وقال ابن عطاء قدس سره كانه يقول لنبيه افترضى بالعطاء عوضا عن المعطى فيقول لا فقيل له وانك لعلى خلق عظيم اى على همة جليلة اذ لم يؤثر فيك شئ من الاكوان ولا يرضيك شئ منها وقال بعضهم كم بين من يتكلف ليرضى ربه وبين من يعطيه ربه ليرضى وقال القاشانى ولسوف يعطيك ربك الوجود الحقانى لهداية الخلق والدعوة الى الحق بعد الفناء الصرف فترضى به حيث مارضيت بالوجود البشرى والرضى لايكون الا حال الوجود وفى التأويلات النجمية اى يظهر عليك بالفعل ما فى قوة استعدادك من انوا

الكمالات الذاتية واصناف الكرامات الصفاتية والاسمائية (الم يجدك يتيما) مات ابوك (فآوى) جواب ألم اونسق قاله ابن خالويه اى قد وجدك ربك والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى اى الم يعلمك الله يتيما فجعل لك مأوى تأوى اليه يقال اوى فلان الى منزله ياوى اويا على فعول رجع وجأ وآويته انا ايوآء والمأوى كل مكان يأوى اليه شئ ليلا او نهارا اى يرجع و ينزل ويجوز ان يكون الوجود بمعنى المصادفة و يتيما حال من مفعوله يعنى على المجاز بان يجعل تعلق العلم الوقوعى الحالى مصادفة والا فحقيقة المصادفة لا تمكن فى حقه تعالى (روى) ان ابا عبد الله ابن عبد المطلب مات وهو عليه السلام جنين قد اتت عليه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته وذلك ايوآؤه وقال بعضهم لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة فهلكت امه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين ولما اشرف جده عبد المطلب على الموت اوصى به عليه السلام ابا طالب لان عبد الله وابا طالب كانا من ام واحدة فكان ابو طالب هو الذى تكفل رسول الله الى ان بعثه الله للنبوة فقام بنصره مدة مديدة ثم توفى ابو طالب فنال المشركون منه عليه السلام ما لم ينالوا فى زمان ابى طالب اى آذوه وكان عليه السلام يقول كنت يتيما فى الصغر وغريبا فى الكبر وكان يحب الايتام و يحسن اليهم وفى الحديث من ضم يتيما وكان فى نفقته وكفاه مؤونته كان له حجابا من النار ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وانما جعله الله يتيما لئلا يسبق على قلب بشر ان الذى نال من العز والشرف والاستيلاء كان عن تظاهر نسب او توارث مال او نحو ذلك وفى التاويلات النجمية الم يجدك يتيما اى راك يتيما فآواك الى صدف النبوة ومشكاة الولاية * بس كه غواص قدم در ترك دريای عدم * غوطه زد تا بكف آورد چنين در يتيم * يا ديد تراكوهرى يكانه كه بكمال قابليت ازهمه كائنات منفرد بودى و بقطع علاقهٔ نسبت ازماسوى متوحد ترا ممكن ساخته درحضرت احديت جمع كه مقام خاص تست وفى الكشاف ومن بديع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة وان المعنى الم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير اى فى العز والشرف فآواك فى دار اعدائك فكنت بين القوم معصوما محروسا (ووجدك ضالا) معنى الضلال فقدان الشرآئع والخلو من الاحكام التى لا يهتدى اليها العقول بل طريقها السماع كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب يعنى راه نيافته بودى باحكام وشرآئع واليه يؤول معنى الغيبوبة فان ضل يجئ بمعنى غاب كما فى قوله شربت الا ثم حتى ضل عقلى * اى شربت الخمر حتى غاب عقلى وغلب قال الراغب يقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا كان او سهوا يسيرا كان او كثيرا ولذا نسب الضلال الى الانبياء والى الكفار وان كان بين الضلالين بون بعيد الا ترى انه قال فى النبى عليه السلام ووجدك ضالا فهدى اى غير مهتد لما سبق اليك من النبوة وقال فعلتها اذا وانا من الضالين وقال ان ابانا لفى ضلال مبين تنبيها على ان ذلك منهم سهو انتهى هذا واحذر عن الاساءة فى العبارة (فهدى) اى فهداك الى مناهج الشرآئع فى تضاعيف ما اوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم قدم هذا الامتنان على الاخير لان ابتداءه بعد زمان اليتم وقت التكليف فانه عليه السلام كان موفقا للنظر الصحيح حينئذ ولهذا لم يعبد صنما قط ولم يات بفاحشة وفى الاسئلة المقحمة معناه ووجدك بين ضالين فهداهم بك فعلى هذا يكون الضلال صفة قومه يقال رجل ضعيف اذا ضعف قومه وفى التاويلات النجمية اى متحيرا فى تيه الالوهية فهدى الى كمال المعرفة بالمحو بعد المحو والسكر والضلال الحيرة كما قال انك لفى ضلالك القديم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى عليه السلام ضل فى شعاب مكة حال صباه وكان عبد المطلب يطلبه و يقول متعلقا باستار الكعبة

يارب فاردد ولدى محمدا * ردا الى واصطنع عندى يدا

فوجده ابو جهل فرده الى عبد المطلب فمن الله عليه حيث خلصه على يدى عدوه فكان فى ذلك نظير موسى عليه السلام حين التقط فرعون تابوته ليكون له عدوا وحزنا وقيل غير ذلك (ووجدك عائلا) اى فقيرا يؤيده ما فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عديما يقال عال يعيل عيلا وعيلة افتقر (فاغنى) اى فاعنك بمال خديجة رضى الله عنها او بما افاء عليه من الغنائم حتى كان عليه السلام يهب المائة من الابل وفى الحديث جعل رزقى تحت ظل رمحى وفيه اشارة الى انه عليه السلام لو كان متمولا من اول الامر لكان يسبق الى بعض الاوهام انه انما وجد العز والغلبة بسبب المال فلما علا كل العلو على الاغنياء والملوك علم انه كان من جهة الحق

وقيل قنعك واغنى قلبك قال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ولذا قال الراغب اى ازال عنك فقر النفس وجعل لك الغنى الاكبر المعنى بقوله عليه السلام الغنى غنى النفس وقيل ما عال مقتصد اى ما افتقر وفى التأويلات النجمية اى فقيرا فانيا عن انيتك واثنيتك بحسب استعداد لك القديم فاغنى بالبقاء بوجوده وجوده واسمائه وصفاته انتهى فالفقر الحقيقى هو التخلى عما سوى الله وبذل الوجود وما يتبعه وهو الذى وقع الافتخار به قال الامام القشيرى رحمه الله اغنياء الله عباده على قسمين فمنهم من يغنيهم بتنمية اموالهم وهم العوام وهو غنى مجازى ومنهم من يغنيهم بتصفية احوالهم وهم الخواص وهو الغنى الحقيقى لان احتياج الخلق الى همة صاحب الحال اكثر من احتياجهم الى نعمة صاحب المال ثم المراد من تعداد هذه النعم ليس الامتنان بل تقوية قلبه عليه السلام للاطمئنان بعد التوديع (فاما اليتيم) منصوب بقوله (فلا تقهر) والفاء سببية ليست بمانعة قال الرضى يتقدم المفعول به على الفعل ان كان المنصوب معمولا لما يلى الفاء التى فى جواب اما اذا لم يكن له منصوب سواه نحو قوله فاما اليتيم فلا تقهر لانه لا بد من نائب مناب الشرط المحذوف بعد اما والقهر الغلبة والتذليل معا ويستعمل فى كل واحد منهما قال الراغب قوله فلا تقهر اى لا تذله وقال غيره فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه * وقد رايشان بشناس كه شربت يتيمى چشيده وكانت العرب تأخذ اموال اليتامى وتظلمهم حقوقهم وفى الحديث اذا بكى اليتيم وقعت دموعه فى كف الرحمن فيقول من ابكى هذا اليتيم الذى واريت والده تحت الثرى من اسكته اى ارضاه فله الجنة * الا تانكريدكه عرش عظيم * بلرزد همى چون بكريد يتيم * وقال مجاهد لا تحتقر فان له ربا ينصره وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه وفى التأويلات النجمية اى لا تقهر يتيم نفسك بكثرة الرياضة والمجاهدة من الجوع والسهر فان نفسك مطيتك وان لنفسك عليك حقا كما قال طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى (واما السائل فلا تنهر) النهر والانتهار الزجر بغلظة اى فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا يعنى بانك بروى مزن ومحروم مساز كه در دبى نوايى وتنكدستى كشيده وهذا الثانى بمقابلة الاخير وهو ووجدك عائلا فاغنى لما اعاد الفواصل والآية بينة لجميع الخلق لان كل واحد من الناس كان فقيرا فى الاصل فاذا انعم الله عليه وجب ان يعرف حق الفقر آء * نه خواهنده بردرديكران * بشكرانه خواهنده ازدرمران * قال ابراهيم بن ادهم قدس سره القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعى السائل يريد الآخرة يجئ الى باب احدكم فيقول اتبعثون الى اهليكم بشئ (وروى) ان عثمان بن عفان رضى الله عنه اهدى الى رسول الله عليه السلام عقود عنب فجاء سائل فاعطاه ثم اشتراه عثمان بدرهم وقدمه الى رسول الله ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه ففعل ذلك ثالثا فقال عليه السلام ملاطفا للسائل لاغضبان اسائل انت يا فلان ام تاجر فنزلت واما السائل فلا تنهر وهو احد وجوه احتباس الوحى هذا على ان السؤال بمعنى طلب الحاجة من الحوائج الدنيوية وجوز ان يكون من التفتيش عن الامور الدينية وفى الحديث من كتم علما يعلمه الجم يوم القيامة بلجام من نار وهذا الوعيد يشمل حبس الكتب عمن يطلبها للانتفاع وفى التأويلات النجمية اى لا تنهر سائل قلبك عن الاستغراق فى بعض الاوقات فى بحر الحقيقة لاسترا حته بذلك من اعباء تكاليف الانبياء بقولك عند ذلك الاستغراق والاستهلاك يا حيرآء كلمنى (واما بنعمة ربك فحدث) فان تحديث العبد واخباره بنعمة الله شكر باللسان وتذكير للغير وفى الحديث التحدث بالنعم شكر وازيد بالنعمة ما افاضه الله عليه صلى الله عليه وسلم من النعم الموجودة منها والموعودة وحيث كان معظم النعم نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام لاهل الضلال وتعليمه للشرآئع والاحكام حسبما هداه الله وعلمه من الكتاب والحكمة صاحب فتوحات قدس سره آورده كه نعمت چيزيست محبوب بالذات ومنعم در اغلب شكور ميباشد پس حق سبحانه تعالى حبيب خودرا فرمود كه ازنعمت من سخن كوئى كه خلق محتاجند ومحتاج چون ذكر منعم نكند بد وميل كنند واورا دوست دارد پس بجهت تحدث بنعمت من خلق را دوست من كردانى ومن ايشانرا دوست ميدارم وهذا الثالث بمقابلة الثانى وهو قوله ووجدك ضالا فهدى اخر لمراعاة الفواصل وان التحديث وهو التحديث بنعمة الله بعدا لتخلية وهو لا تقهر ولا تنهر وكررا ما لوقوعها فى مقابلة ثلاث آيات قال فى الكراشى رأى بعض التحدث بنعم الله من الطاعات مع امن الرياء وغائلة النفس وطلب الاقتداء به وكرهه بعض خوف الفتنة وفى عين المعانى قال عليه السلام التحدث بالنعم شكر وتركه كفر

واما الحديث الآخر عليكم بكتمان النعم فان كل ذى نعمة محسود يعنى عن الحسود لا غير وفى الاشباه اى رجل ينبغى له اخفاء اخراج الزكاة عن بعض دون بعض فقل المريض اذا خاف من ورثته يخرجها سرا عنهم واى رجل يستحب له اخفاؤها فقل الخائف من الظلمة لا يعلمون كثرة ماله وقال ابن عطية فى الآية حدث به نفسك اى لا تنس فضله عليك قديما وحديثا واذا جاز تحديث النعم الظاهرة جاز تحديث النعم الباطنة من الكرامات والمخاطبات ونحو ذلك وفى التأويلات النجمية اذكر شكر نعمة النبوة على ظاهر نفسك ونعمة الرسالة على باطن قلبك ونعمة الولاية على سرك ونعمة البقاء بعد الفناء على روحك وهو معنى سورة والضحى والليل اذا سجا فافهم وهذه السورة وسورة الانشراح درتان يتيمتان غاليتان لما فيهما من الحكم والمعارف ولذا كانتاهما وسورة النصر من سور الكمل من الاولياء ولما نزلت سورة الضحى كبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى فصار سنة الله اكبر اولا اله الا الله والله اكبر كما فى الكواشى وقال فى انسان العيون لما نزلت السورة المذكورة كبر عليه السلام فرحا بنزول الوحى واستمر عليه السلام لا يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل واما بنعمة ربك فحدث فعند ذلك كبر عليه السلام ايضا وكان ذلك سببا للتكبير فى افتتاح السورة التى بعدها وفى ختمها الى آخر القرآن وعن ابى بن كعب رضى الله عنه انه قرأ كذلك على النبى عليه السلام بعد امره له بذلك وانه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال الله اكبر هذا وقيل ان اول ابتداء التكبير من اول الم نشرح لا من اول الضحى وقيل ان التكبير انما هو لآخر السورة وابتدآؤه من آخر سورة الضحى الى آخر قل اعوذ برب الناس والاتيان بالتكبير فى الاول والآخر جمع بين الروايتين الرواية التى جاءت بانه يكبر فى اول السورة المذكورة والرواية الاخرى انه يكبر فى آخرها ونقل عن الشافعى رحمه الله انه قال لآخر اذا تركت التكبير من الضحى الى الحمد فى الصلاة وخارجها فقد تركت سنة من سنن نبيك عليه السلام لكن فى كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك اى التكبير عند نزول سورة الضحى باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف وفى فتح الرحمن صح التكبير عن اهل مكة قراءهم وعلمائهم وصح ايضا عن ابى جعفر وابى عمرو وورد عن سائر القراء عند الختم وهو سنة مأثورة عن النبى عليه السلام وعن الصحابة والتابعين فى الصلاة وخارجها لكن من فعله فحسن ومن لم يفعله فلا حرج عليه واما ابتداآؤه فاختلف فيه فروى انه من اول الم نشرح وروى انه من اول الضحى واختلف ايضا فى انتهائه فروى ان انتهاءه آخر سورة الناس وروى اولها وقد ثبت نصه عن الامامين الشافعى واحمد رحمهما الله ولم يستحبه الحنابلة لقراءة غير ابن كثير ولم اطلع على نص فى ذلك لابى حنيفة ومالك رحمهما الله ولفظه الله اكبر فى رواية البزى وقنبل وروى عنهما التهليل قبل التكبير ولفظه لا اله الا الله والله اكبر والوجهان عنهما صحيحان جيدان مشهور ان مستعملان وفى صفة التكبير فى رواية ابن كثير بين كل سورتين اربعة عشر وجها الاول قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة ووصل البسملة باول السورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والثانى قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة والوقف على البسملة ثم الابتداء باول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى والثالث وصله بآخر السورة والقطع عليه ووصل البسملة باول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والرابع وصله بآخر السورة والقطع عن البسملة وهو ولسوف يرضى صل الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى والخامس قطع التكبير عن آخر السورة وعن البسملة ووصل البسملة باول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسادس وصل التكبير بآخر السورة والبسملة وباول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله اكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسابع قطع الجميع اى قطع التكبير عن السورة الماضية وعن البسملة وقطع البسملة عن السورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله اكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى فهذه السبعة صفته مع التكبير ويأتى مع التهليل مثل ذلك وبقى وجه لا يجوز وهو وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة مع القطع عليها وهو ولسوف يرضى الله اكبر بسم الله الرحمن الرحيم بالوصل فى الجميع ثم يسكت على البسملة ثم يبتدئ والضحى فهذا ممتنع اجماعا لان البسملة لاول السورة فلا يجوز ان تجعل منفصلة عنها متصله بآخر السورة قبلها واعلم ان القارئ اذا وصل التكبير بآخر السورة فان كان آخرها ساكنا كسره للساكنين نحو فحدث الله اكبر

وفارغب الله اكبر وان كان منونا كسره ايضا للساكنين سواء كان الحرف المنون مفتوحا او مضموما او مكسورا نحو توابا الله اكبر وخبيرا الله اكبر ومن مسد الله اكبر وان كان آخر السورة مفتوحا فتحه وان كان مكسورا كسره وان كان مضموما ضمه نحو قوله اذا حسد الله اكبر والناس الله اكبر والا بتر الله اكبر وشبهه وان كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو حذف صلتها للساكنين نحو ربه الله اكبر وشرا يره الله اكبر واسقط الف الوصل التى فى اول اسم الله فى جميع ذلك استغناء عنها الكل فى فتح الرحمن لكن بعض المواضع منها ينبغى ان يقطع عن التكبير حذرا من الايهام وان كان مقتضى القياس الوصل نحو الا بتر الله اكبر وحسد الله اكبر

(تمت سورة الضحى فى الثانى عشر من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف)

* (سورة الم نشرح ثمانى آيات مكية وعند ابن عباس رضى الله عنهما مدنية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم نشرح لك صدرك) قال الراغب الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شرح الصدر بنور الهى وسكينة من جهة الله وروح منه وشرح المشكل من الكلام بسطه واظهار مايخفى من معانيه انتهى وفى الحديث اذا دخل النور فى القلب انشرح اى عاين القلب وانفسح اى احتمل البلاء وحفظ سر الربوبية كما قال موسى عليه السلام ربى اشرح لى صدرى اى وسع قلبى حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم بل يحتمل اذاهم وزيادة لك للايذان بان الشرح من منافعه ومصالحه عليه السلام وانكار النفى اثبات اى عدم شرحنا لك صدرك منفى بل قد شرحنا لك صدرك وفسحناه حتى حوى عالم الغيب والشهادة بين ملكتى الاستفادة والافادة فاصدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وماعاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شؤون الحق اى لم تحجب لا بالحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق بل كنت جامعا بين الجمع والفرق حاضرا غائبا وفى التأويلات النجمية يشير الى انفساح صدر قلبه بنور النبوة وحمل همومها بواسطة دعوة الثقلين وانشراح صدر سره بضياء الرسالة واحتمال مكاره الكفار واهل النفاق وانبساط صدر نوره باشعة الولاية وتحققه بالعلوم اللدنية والحكم الالهية والمعارف الربانية والحقائق الرحمانية واما شرح الصدر الصورى فقد وقع مرارا مرة وهو ابن خمس اوست لاخراج مغمز الشيطان وهو الدم الاسود الذى به يميل القلب الى المعاصى ويعرض عن الطاعات ومرة عند ابتداء الوحى ومرة ليلة المعراج در حديث آمده كه شب معراج جبريل مرا نكيه داد وازبالاى سينه تاناف من بشكافت وميكائيل طشتى ازآب زمزم آورده ودرون سينه وعروق حلق مرا بدان آب بشستند وجبرئيل دل مرا بيرون آورده بشكافت وبشست ودر آخر طشتى ازطلا مملو ازحكمت وايمان آوردند ودل مرا ازان پرساختند وبرجاى اونهادند ونقلى هست كه بخاتمى ازنور مهر كرد چنانچه أثر راحت ولذت آن هنوز درعروق ومفاصل خودمى يابم * دلم خزانهٔ اسرار بودودست قضا * درش به بست وكليدش بدلستانى داد * ومن هنا قال المشايخ لابد للطالب فى ابتداء امره ان يشتغل بذكر لااله الاالله بحيث يبدأ من الجانب الايمن للصدر ويضرب بالا على الجانب الايسر منه لينتقض به العلقة التى هى حظ الشيطان ومنبع الشهوات النفسانية مقدارا بعد مقدار ويمتلئ النور مقام مايتنقض منها وربما قاء دما اسود رقيقا لانحلاله بحرارة التوحيد ونورانيته بنار الذكر وهو من صفات الكمل فبدوام الذكر ينشرح الصدر وينفتح القلب (ووضعنا عنك وزرك) اى حططنا واسقطنا عنك حملك الثقيل وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح للقصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر (الذى انقض ظهرك) اى حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعى الى الانتقاض من ثقل الحمل وبالفارسية آن بارى كه كران ساخت پشت ترا كما قال فى تاج المصادر الانتقاض كران كردن وفى المفردات كسره حتى صار له نقيض وفى القاموس اثقله حتى جعله نقضا اى مهزولا او اثقله حتى سمع نقيضه وفى بعض التفاسير ثقل عليك ثقلا شديدا فان انتقاض الحمل الظهر انما يكون بمعنى تصويت الرحل الذى عليه وهو يكون بثقل الحمل وتأثيره المفضى الى انحراف بعض اجزاء الرحل عن محالها وحصول الصوت بذلك فيه انتهى مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه وينهمه من فرطته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام وانشراح صدره لتبليغها على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته

كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعدان بلغ و بالغ وقد يجعل قوله و وضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الادناس فيكون كقول القائل رفعنا عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر عنه زيارة قط على سبيل المبالغة فى انتفاء الزيارة منه له (ورفعنا لك ذكرك) بعنوان النبوة واحكامها اى رفع حيث قرن اسمه باسم الله فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة و فيه يقول حسان ابن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح و يشهد

وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد

وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله وغير ذلك من الالقاب المشرفة (وذو النون المصرى قدس سره فرمود رفعت ذكرا شارت باآنست كه هم انبيا عليهم السلام برحوالى عرش جولان مى نمودند وطائر همت آن حضرت عليه السلام پرواز ميكرد * سيمرغ فهم هيچكس ازانبيا نرفت * آنجا كه تو ببال كرامت پريدهٔ * هريك بقدر خويش بجايى رسيده اند * انجا كه جاى نيست بجايى رسيدهٔ) (فان مع العسر يسرا) تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين فاللام للاستغراق قال فى الكشاف فان قلت كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله و احتقارهم فذكره ما انعم الله به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر الخ كأنه قيل خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله و لطفه فان مع العسر يسرا كثيرا و فى كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجئ اليسر كأنه مقارن للعسر والا فالظاهر ذكر كلمة المعاقبة لا اداة المصاحبة لان الضدين لا يجتمعان بل يتعاقبان ان مع العسر چو يسرش قفاست * شادبرآنم كه كلام خداست * وقال بعضهم هذا عند العامة واما عند الخاصة فالمعية حقيقية كما قيل برجانم ازتو هرچه رسد بجاى منست است * كرناوك جفا ست وكرخنجر ستم * قال حضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر هى معية امتزاج لا معية مقارنة ولا تعاقب ولذلك كررها فلو لا وجود اليسر فى العسر لم يبق عسر لعموم الهلاك ولو لا وجود العسر فى اليسر لم يبق يسر وبضدها تتبين الاشياء ثم ان العسر يؤول كله الى اليسر فقد سبقت الرحمة الغضب وذلك عناية من الله فان ذلك قد يكون مصقلة وجلاء القلوب الاكابر وتوسعة لاستعدادهم فتتسع لتجلى الحضرة الالهية وكما ان حظهم من الملائم اوفر فكذلك غيرا لملائم قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولذلك قال تعالى ادعونى استجب لكم وقال عليه السلام ان الله يحب الملحين فى الدعاء وفى تعريف العسر وتنكير اليسر اشارة لطيفة الى ان الدنيا دار العسر فالعسر عند الناس معلوم معهود واليسر مجهول مبهم (ان مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد او عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اى فرحة عن الافطار و فرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين اى لن يغلب عسر الدنيا يسرى الدنيا و الآخرة فان المعرف اذا اعيد يكون الثانى عين الاول سواء كان معهودا اوجنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد مغاير لما اريد بالاول قال ابن الملك فى شرح المنار المعرفة اذا اعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى كالعسرين فى قوله تعالى فان مع الخ وهو معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما لن يغلب عسر يسرين قال فخر الاسلام فى جعل الآية من هذا القبيل نظر لانها لا تحتمل هذا المعنى كما لا يحتمل قولنا ان مع الفارس رمحا ان مع الفارس رمحا ان يكون معه رمحان بل هذا من باب التأكيد فان قلت فاذا حمل على التأكيد فما وجه قول ابن عباس رضى الله عنهما قلت كأنه قصد باليسرين ما فى قوله يسرا من معنى التفخيم فيتناول يسر الدارين وذلك يسران فى الحقيقة انتهى قال بعضهم ان مع عسر المجاهدة يسر المشاهدة ومع عسر الانفصال يسر الاتصال ومع عسر القبض يسر البسط والعسر الواحد هو الحجاب واليسران كشف الحجاب ورفع العتاب (فاذا فرغت) اى من التبليغ اومن المصالح المهمة الدنيوية (فانصب) النصب محركة التعب اى فاجتهد فى العبادة واتعب شكرا لما اوليناك من النعم السالفة و وعدناك من الآلاء الآتية وبه ارتبطت الآية بما قبلها ويجوز ان يقال فاذا فرغت من تلقى الوحى فانصب فى تبليغه و قال الحسن رحمه الله اذا كنت صحيحا فاجعل

فراغك نصبا فى العبادة كما روى ان شريحا مر برجلين يتصارعان وآخر فارغ فقال ما امر بهذا انما قال الله فاذا فرغت فانصب وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه فى دينه او دنياه من سفه الرأى وسخافة العقل واستيلاء الغفلة وعن عمر رضى الله عنه انى لاكره ان ارى احدكم فارغا سهلا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته فلا بد للمرء ان يكون فى عمل مشروع دائما فاذا فرغ من عمل اتبعه بعمل آخر وقال قتادة والضحاك فاذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء (وابو مدين مغربى قدس سره در تأويل اين آيت فرموده كه چون فارغ شوى از مشاهده اكوان نصب كن دل خود در اراى مشاهدهٔ جمال رحمن قال فى الكشاف ومن البدع ماروى عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد اى فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضة لصح للناصبى ان يقرأ هكذا ويجعله امرا بالنصب الذى هو بغض على وعداوته (والى ربك) وحده (فارغب) اصل الرغبة السعة فى الشئ ثم يراد بها السعة فى الارادة فاذا قيل رغب فيه واليه يقتضى الحرص عليه واذا قيل رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه وفى القاموس رغب فيه كسمع رغبا و يضم ورغبة اراده وعنه لم يرده واليه رغبا محركة ابتهل او هو الضراعة والمسألة والمعنى فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره وسخن تو بدركاه قرب مقبولست ودعوات طيبات تو در محل قبول * چو مقصود كون ومكان جودتست * خدا ميدهد آنچه مقصودتست وعن بعض الاكابر الم نشرح لك صدرك برفع غطاء انيتك وكشف حجاب اثنينيتك عن حقيقة احديتنا ووجه صمديتنا ووضعنا عنك ذنب وجودك الذى انقض ظهر فؤادك بان تطلعك على فناء وجودك الصورى الظلى وبقاء وجودنا الحقيقى العينى ورفعنا لك ذكرك بافنائك فينا وابقائك بنا الى مرتفع الخطاب الوارد فى شانك بقولنا ان الى ربك المنتهى اى منتهى جميع الارباب الاسماء الالهية فكذلك اليك منتهى كافة المربوبين الحقائق الكونية و بذلك الرفع كنت سيد الكل فارض بالقضاء واصبر على البلاء واشكر على النعماء فان مع عسر الابتلاء بالبلايا المؤدى الى اضطراب صدرك يسر الاعتلاء بالعطايا المفضى الى اطمئنان روحك ان مع العسر يسرا البتة اذ هكذا جرت سنتنا مع كل عبد ولن تجد لسنتنا تبديلا بان يرتفع العسر جميعا و يصير الكل يسرا او بالعكس فلا تلتفت الى اليسر والسرور فانه حجاب نورانى ولا الى العسر والالم فانه حجاب ظلمانى فاذا فرغت من اعطاء حق وارد كل وقت حاضر فانصب نفسك فى منصب اعطاء وارد كل وقت قابل اذا اتى يعنى فافعل ثانيا كما فعلت اولا وكن هكذا دائما الى ان يأتيك اليقين والى ربك اى الى جلاله وجماله وكماله فارغب لا الى غيره من الامور والاحكام الواردة عليك فى الاوقات لان فى الرغبة والالتفات الى غير الرب احتجابا عن الرب وسقوطا عن قرب الى بعد ومقامك لا يسع غير القرب والانس والحضور وعن طاووس وعمر بن عبد العزيز رحمهما الله انهما كانا يقولان ان الضحى والم نشرح سورة واحدة فكانا يقرآنهما فى ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما بالبسملة لانهما رأيا ان اول الم نشرح مشابه لقوله الم يجدك الخ وليس كذلك لان تلك حال اغتمامه عليه السلام باذى الكفار فهى حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف يجتمعان ودليله معراج ندا آمدكه اى محمد بخواه تا بخشيم رسول عليه السلام گفت خداوندا هر پيغمبرى از تو عطايى يافت ابراهيم را خلت دادى باموسى بى واسطه سخن گفتى ادريس را بمكان على رسانيدى داود را ملك عظيم دادى وزلت وى بيامرزيدى سليمانرا ملكى دادى كه بعد ازوى كس را سزاى آن ندادى عيسى را در وشكم مادر توراة وانجيل در آموختى ومرده زنده كردن بردست وى آسان كردى وابراء اكمه وابرص مر او را دادى جواب الهى آمدكه يا محمد اكرابرهيم را خلت دادم تراحبيب دادم واكر با موسى سخن گفتم بى واسطه لكن گوينده راديد و باتو سخن ميگويم بى حجاب گوينده ديدى واكر ادريس را باسمان رسانيدم ترا از آسمان بحضرت قاب قوسين اوادنى رسانيدم واكر داود را ملك عظيم دادم وزلت وى بيامرزيدم امت ترا ملك قناعت دادم وكناهان ايشان بشفاعتت بيامرزيدم واكر سليمان را مملكت دادم تراسيع مثانى وقرآن عظيم دادم وخاتمهٔ سورهٔ بقره كه بهيچ پيغمبر بجز تو ندادم ودعاهاى تو در آخر سورة البقره اجابت كردم واعطيناك الكوثر وترا بسه خصلت بر اهل زمين وآسمان فضل دادم يكى الم نشرح لك صدرك ديكر ووضعنا عنك وزرك سوم ورفعنا لك ذكرك واعطيناك ثمانية اسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وارسلناك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وجعلناك فاتحا وخاتما

وهذا السوق يشير الى السورة مدنية وفى بعض الروايات سألت ربى مسائل وددت انى لم اسأ لها اياه قط فقلت اتخذت الخ وهو الظاهر وهذا يقتضى ان يكون مسألته عليه السلام من عند نفسه من غير ان يقول الله له سل قط والله تعالى اعلم وفى الحديث من قرأها اى سورة ألم نشرح فكأنما جاءنى وانا معتم ففرج عنى

تمت سورة الانشراح بعون الفتاح

* (سورة التين ثمانى آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(والتين والزيتون) هما هذا التين الذى يؤكل وهذا الزيتون الذى يعصر منه الزيت خصهما الله من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما فى المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر رضى الله عنه أنها هدى للنبى عليه السلام سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا ولو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا الآن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن على بن موسى الرضى رضى الله عنه التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج قال الامام لما عصى آدم عليه السلام وفارقته ثيابه ستر بورق التين ولما نزل وكان مترزا بورق التين استوحش فطافت الظباء حوله فاستأنس بها فاطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال صورة والملاحة معنى وغير دمها مسكا فلما تفرقت الظباء الى مساكنها رأى غيرها عليها من الجمال ما اعجبه فلما كان الغد جاءت ظباء اخر على أثر الاول فاطعمها من الورق فغيرالله حالها الى الجمال دون المسك وذلك لان الاولى جاءت الى آدم لاجله لا لاجل الطمع والطائفة الاخرى جاءت اليه ظاهرا ولطمع باطنا فلا جرم غير الظاهر دون الباطن وفى اسئلة الحكم فان قلت ما الحكمة فى أن سائر الاشجار يخرج ثمرها فى كمامها اولا ثم تظهر الثمرة من الكمام ثانيا وشجرة التين اول ما يبدو ثمرها يبدو بارزا من غير كمام قلت لان آدم لم يستره الا شجرة التين فقال الله بعد ما سترت آدما خرج منك المعنى قبل الدعوى وسائر الاشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى قال فى خريدة العجائب اذا انثر رماد خشب التين فى البساتين هلك منه الدود ودخان التين يهرب منه البق والبعوض * واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثيرا لمنافع مع حصوله فى بقاع لا دهنية فيها كالجبال الكفى به فضلا وشجرته هى الشجرة المباركة المشهورة فى التنزيل ومر معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبى عليه السلام يقول نعم سواك الزيتون هو سواكى وسواك الانبياء من قبلى وشجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة ومن خواصها انها تصبر عن الماء طويلا كالنخل واذا لقط ثمرتها جنب فسدت والقت حملها وانثر ورقها وينبغى ان تغرس فى المدر لكثرة الغبار لان الغبار كلما علا على زيتونها زاد دسمه ونضجه ورمى دورقها ينفع العين كحلا ويقوم مقام التوتيا وفى الحديث عليكم بالزيت فانه يكشف المرة ويذهب البلغم ويشد العصب ويمنع الغشى ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الهم قال الامام ان التين فى النوم رجل خير غنى فمن ناله فى المنام نال مالا وسعة ومن اكله رزقه الله اولادا ومن اخذ ورق الزيتون فى المنام استمسك بالعروة الوثقى وقال مريض لابن سيرين رأيت فى المنام كانه قيل لى كل اللأين تشفى فقال كل الزيتون فانه لا شرقية ولا غربية وقال الطبرى المراد بالتين الجبل الذى عليه دمشق يعنى جبل الصالحية ويسمى جبل قاسيون والزيتون وهو طورزيتا الجبل الذى يلى بيت المقدس من جهة المشرق وذلك ان التين ينبت كثيرا بدمشق والزيتون بايليا (وطور سينين) هو الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه قال الماوردى ليس كل جبل يقال له طور الا ان يكون فيه الاشجار والثمار والا فهو جبل فقط وسينين وسيناء علمان للموضع الذى هو فيه ولذلك اضيف اليهما او معنى سينين بالسريانية ذو الشجر او حسن مبارك بلغة الحبشة وفى كشف الاسرار اصل سينين سيناء بفتح السين وكسرها وانما قال ههنا سينين لان تاج الآيات النون كما قال فى سورة الصافات سلام على الياسين وهو الياس فخرج على تاج ايات السورة (وهذا البلد الامين) اى الآمن يقال امن الرجل بضم الميم امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها انها تحفظ من دخلها جاهليا واسلاميا من قتل وسبى يحفظ كما الامين مايؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول بمعنى المأمون فيه على الحذف

والايصال من امنه لأنه مأمون الغوائل والعاهات كما وصف بالامن فى قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذى امن وفى الحديث من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وماظهر فيها من الخيروا البركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشأهما عليهما السلام والطور المكان الذى نودى فيه موسى عليه السلام ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه ودر بحر الحقائق آورده كه بزبان اشارت قسم است بشجرهٔ تينية قلبيه كه ثمرهٔ علوم دينيه است وشجرهٔ زيتونهٔ مباركهٔ سريه كه روشنى بخش مصباح دلست وطور سينين روح معلى كه بتجلى الهى محلى است وبلد امين خفى كه محل امن واما نست از هجوم آفات تعلقات اكوان يقول الفقير شارحا لتين الى علوم الحقيقة التى محلها السر الانسانى لأنها لذة صرفة ولذا قدمت لانها المطلب الاعلى لتعلقها بذات الله وصفاته وافعاله وكأن عمر شجرة التين قصير بالنسبة الى الزيتون فكذا عمر اهل الحقيقة غالبا اذلا معنى للبقاء فى الدار الفانية بعد حصول المقصود الذى هو الحياة الباقية الا أن يكون لارشاد الناس واشار بالزيتون الى علوم الشريعة التى محلها النفس الانسانية فهى لبست بنعيم محض لأنه لابد فى الشريعة من اتعاب النفس والقالب واشار بطور سينين الى الروح الذى هو محل المعارف الالهية ومقام المناجاة واشار ببلد الامين الى مكة الوجود المشتملة على بيت القلب فانه أمن اهلها من اختطاف الشياطين ودخول شر الوسواس الخناس فيها والى الاعمال القالبية الحاصلة بالحواس والاعضاء فالقالب اخذ الشرف من القلب وهو من الروح وهو من السر فلذا كان لكل جديرا بالاقسام به (لقد خلقنا الانسان) اى جنس الانسان (فى أحسن تقويم) يقال قام انتصب وقام الامر اعتدل كاستقام وقومته عدلته كما فى القاموس والتقويم تصيير الشئ على ماينبغى ان يكون عليه فى التأليف والتعديل وعن يحيى بن اكثم القاضى انه فسر التقويم بحسن الصورة فانه حكى ان ملك زمانه خلا بزوجته فى ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكونى احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بانحنث الا يحيى بن اكثم قال لا يحنث فقالوا خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى قال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم فالانسان احسن الاشياء ولاشئ احسن منه وفى المفردات هو اشارة الى ما خص به الانسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل مافى هذا العالم والمعنى كائنا فى احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث يراه تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء حسن الشكل كما قال وصوركم فاحسن صوركم اى صوركم احسن تصوير وكذا خلقه متصفا بالصفات الآلهية من الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام التى هى الصورة الحقيقية الآلهية المشار اليها بقوله عليه السلام خلق الله آدم على صورته وعليه يدور معنى قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه فالانسان مظهر الجلال والجمال والكمال (ثم رددناه اسفل سافلين) اى جعلناه من اهل النار الذى هو اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى أعلى عليين والحاصل انه حول بسوء حاله من احسن تقويم الى اقبح تقويم صورة ومعنى لان مسخ الظاهر انما هو من مسخ الباطن فالمراد بالسافلين عصاة المؤمنين وافعل التفضيل هنا يتناول المتعدد المتفاوت واسفل سافلين اما حال من المفعول اى رددناه حال كونه اسفل سافلين اوصفة لمكان محذوف اى رددناه الى مكان هو اسفل امكنة السافلين والاول اظهر ثم هذا بحسب بعض الافراد لانسانية لانعماسهم فى بحر الشهوات الحيوانية البهيمية وانهماكهم فى ظلمات اللذات الجسمانية الشيطانية والسبعية وفيه اشارة الى أن الاعتبار انما هو بالصورة الباطنة لا بالصورة الظاهرة ولذا قال الشيخ سعدى *رهراست بايدنه بالاى راست* كه كافرهم ازروى صورة چوماست *فكم من مصور على احسن الصور فى الظاهر وهو فى الباطن على اقبح الهيئات ولذا يجئ الناس يوم القيامة فواجا فان صفاتهم الباطنة تظهر على صورهم الظاهرة فتتنوع صورهم بحسب صفاتهم على انواع وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق اى نكسناه فى خلقه فتقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وكل سمعه وبصره وتغير كل شئ منه * دور سته درم درد هن داشت جاى * چو ديوارى از خشت سيمين بپاى *

كنونم نكه كن بوقت سخن * بيفتاده يك يك چوسوركهن * مراهمچنين جمد شبرنك بود قبادر براز نازكى تنك بود * درين غايتم رشت بايد كفن * كه مويم چوپنبه است ودوكم بدن *
قال فى عين المعانى ولم تدخل لام الجنس فى سافلين كما ورد فى مصحف عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه لانه عنى اسفل الخرفين خاصة دون كل الناس من اهل الزمانة وفى كشف الاسرار السافلون هم الضعفاء من المرضى والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير اسفل من هؤلاء جميعا (الا الذى آمنوا) ايمانا صادقا (وعملوا الصالحات) المأمور بها والمأجور عليها وهو على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه فى معنى الجمع وعلى الثانى منقطع اى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى قال ابو الليث معنى قوله الا الذين الخ يعنى لا يخرف ولا يذهب عقل من كان عالما عاملا وفى الحديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قرأ القرآن لم يرد الى ارزل العمر (فلهم اجر) فى دار الكرامة لانها المحل له ودخول الفاء لتضمن اسم لكن معنى الشرط وهو على الاول للتعليل اى لا يغير صورهم فى النار لانهم مثابون فى الجنة (غير ممنون) غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على ضعف نهوضهم وفى التيسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا مرض اوسافر كتب لهم مثل ما كان يعمل صحيحا مقيما كذا روى فى الهرم وفى تفسير ابى الليث روى عن النبى عليه السلام انه قال ان المؤمن اذا مات صعد الملكان الى السماء فيقولان ان عبدك فلانا قدمات فائذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله ان سمواتى مملوة بملائكتى ولكن اذهبا الى قبره واكتبا حسناته الى يوم القيامة ويجوز ان يكون المعنى غير ممنون به عليهم كما سبق فى آخر سورة الانشقاق (فما يكذبك بعد بالدين) بعد مبنى على الضم لحذف المضاف اليه ونيته والاستفهام مشعر بالتعجب اى فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به اى ينسبك الى الكذب بسبب اثباتك الجزاء واخبارك عن البعث والمراد الآلة الدالة على كمال القدرة فان من خلق الانسان السوى من الماء المهين وجعل ظاهره وباطنه على احسن تقويم ودرجه فى مراتب الزيادة الى ان استكمل واستوى ثم نكسه الى ان يبلغ الى ارزل العمر لا شك انه قادر على البعث والجزاء او فما يجعلك ايها الانسان كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعنى انك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب للحق فهو كاذب وحاصله ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كالا ونقصانا من اوضح دليل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فاى شئ يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبك ايها الانسان (اليس الله باحكم الحاكمين) اى أليس الذى فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء اى أليس ذلك بابلغ اتقانا للامور من كل متقن لها اذ الحاكم هو المتقن للامور ويلزمه كونه تام القدرة كامل العلم وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء والمعنى اليس الله باقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل يقال حكم بينهم اى قضى فالآية وعيد للمكذبين وانه يحكم عليهم بما هم اهله وكان عليه السلام اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين يعنى خارج الصلاة كما فى عين المعانى ويأمر بذلك ايضا قال من قرأ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ هذه السورة اعاذه الله خصلتين العافية واليقين مادام فى الدنيا ويعطى عن الاجر بعدد من قرأها

تمت سورة التين بعون الله المعين

---

* (سورة العلق ثمان عشرة اوتسع عشرة آية مكية) *

---

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(اقرأ) اى ما يوحى اليك يا محمد فان الامر بالقراءة يقتضى المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل ام لا فليس فيه تكليف ما لا يطاق سواء دل الامر على الفور ام لا والاقرب أن هذا الى قوله ما لم يعلم اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم على ما دلت عليه الاحاديث الصحيحة والخلاف انما هو فى تمام السورة عن عايشة رضى الله عنها اول ما ابتدئ به رسول الله عليه السلام من النبوة حين اراد الله به كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة كان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق

الصبح اى كضيائه وانارته فلا يشك فيها احد كما لا يشك فى وضوح ضياء الصبح وانما ابتدأ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذى هو جبريل بالرسالة فلا تحملها القوة البشريه لانها لا تحتمل رؤية الملك وان لم يكن على صورته الاصلية ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به فكانت الرؤيا أنبساله وكانت مدة الرؤيا ستة اشهر على ما هو ادنى الحمل ثم جاءه الملك فعبر من عالم الرؤيا الى عالم المثال ولذا قال الصوفية ان الحاجة الى التعبير انما هى فى مرتبة النفس الامارة واللوامة واذا وصل السالك الى النفس الملهمة كما قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها قل احتياجه الى التعبير لانه حينئذ يكون ملهما من الله تعالى فرتبة الالهام له كمرتبة مجىء الملك للرسول عليه السلام فاذا كانت مدة الرؤيا ذلك العدد يكون ابتداؤها فى شهر ربيع الاول وهو مولده عليه السلام ثم اوحى اليه فى اليقظة فى شهر رمضان وكان عليه السلام فى تلك المدة اذا خلا يسمع نداء يا محمد يا محمد ويرى نورا اى يقظة وكان يخشى ان يكون الذى يناديه تابعا من الجن كما ينادى الكهنة وكان فى جبل حراء غار وهو الجبل الذى نادى رسول الله بقوله الى يارسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عنى يارسول الله فانى اخاف ان تقتل على ظهرى وكان عليه السلام يتعبد فى ذلك الغار ليالى ثلاثا وسبعا وشهرا ويتزود لذلك من الكعك والزيت وذلك فى تلك المدة وقبلها واول من تعبد فيه من قريش جده عبد المطلب ثم تبعه سائر المتألهين وهم ابو امية بن المغيرة وورقة بن نوفل ونحوهما وكان ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد الله العزى بن قصى بن عم خديجة رضى الله عنها وكان قد قرأ الكتب وكتب الكتاب العبرى وكان شيخا كبيرا قد عمى فى اواخر عمره ثم لما بلغ عليه السلام رأس الاربعين ودخلت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان جاءه الملك وهو فى الغار كما قال الامام الصرصرى رحمه الله

وانت عليه اربعون فاشرقت * شمس النبوة منه فى رمضان

قالت عائشة رضى الله عنها جاءه الملك سحر يوم الاثنين فقال اقرأ قال ما انا بقارئ قال فأخذنى فغطنى اى ضمنى وعصرنى ثم ارسلنى فعله ثلاث مرات ثم قال اقرأ الى قوله مالم يعلم واخذ منه القاضى شريح من التابعين ان المعلم لا يضرب الصبى على تعليم القرآن اكثر من ثلاث ضربات فخرج عليه السلام من الغار حتى اذا كان فى جانب من الجبل سمع صوتا يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل ورجع الى خديجة يرجف فؤاده فحدثها بما جرى فقالت له ابشر يا ابن عمى واثبت فوالذى نفسى بيده انى لارجو أن تكون نبى هذه الامة ثم انطلقت الى ورقة فاخبرته بذلك فقال فيه

فان يك حقا يا خديجة فاعلمى * حديثك ايانا فاحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكائيل معهما * من الله وحى يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عند اهتدائه * ويشقى به الغاوى الشقى المضلل
فريقان منهم فرقة فى جنانه * واخرى باغلال الجحيم تغلل

ومكث عليه السلام مدة لا يرى جبريل وانما كان كذلك ليذهب عنه ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق الى العود وكانت مدة الفترة اى فترة الوحى بين اقرأ وبين يا ايها المدثر نحو ثلاث سنين وفى ورقة فى هذه الفترة ودفن بالحجون وقد آمن به عليه السلام وصدقه قبل الدعوة التى هى الرسالة ولذا قال عليه السلام لقد رأيته فى الجنة وعليه ثياب الحرير ثم نزل يا ايها المدثر قم فانذر فظهر الفرق بين النبوة والرسالة قال بعض العارفين اهل الارادة فى الطلب والمراد مطلوب وهو نعت الحبيب الا ترى انه لما قيل له اقرأ استقبله الامر من غير طلب ونظيره الم نشرح لك صدرك فانه فرق بينه وبين قول موسى رب اشرح لى صدرى (باسم ربك) متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اى اقرأ ملتبسا باسم الله تعالى اى مبتدئا به ليتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء اى قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ فعلم ان اقرأ باسم ربك نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخارى رحمه الله امره بذلك لان ذكر اسم الله قوله فى القرآءة وانس بمولاه فان الانس بالاسم يفضى الى الانس بالمسمى والذكر باللسان يؤدى الى الذكر بالجنان والباء فى باسم ربه تعالى على المؤمنين بانواع الكرامات فى الدارين والسين كونه سميا للدعاء الخلق جميعا والميم معناه من العرش الى تحت الثرى ملكه وملكه وفى الكواشى دخلت الباء فى اقرأ باسم ربك لتدل على الملازمة والتكرير كأخذت بالخطام ولو قلت اخذت الخطام لم يدل على التكرير

(والدوام)

والدوام وفى كتاب شمس المعارف اول آية نزلت على وجه الارض بسم الله الرحمن الرحيم يعنى على آدم الصفى عليه السلام فقال آدم الآن علمت ان ذريتى لا تعذب بالنار مادامت عليها ثم انزلت على ابراهيم عليه السلام فى المنجنيق فانجاه الله بها من النار ثم على موسى عليه السلام ففهر بها فرعون وجنوده ثم على سليمان عليه السلام فقالت الملائكة الآن والله قد تم ملكك فهى آية الرحمة والامان لرسله وامتهم ولما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كانت فتحا عظيما فأمر رسول الله فكتبت على رؤوس السور وظهور الدفاتر واوائل الرسائل وحلف رب العزة بعزته ان لا يسمه عبد مؤمن على شئ الا بورك له فيه وكانت لقائلها حجابا من النار وهى تسعة عشر حرفا تدفع تسعة عشر زبانية وفى الخبر النبوى لو وضعت السموات والارضون وما فيهن وما بينهن فى كفة والبسملة فى كفة لرجحت عليها يعنى البسملة (الذى خلق) وصف الرب به لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ماهو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القرآءة للحى العالم المتكلم اى الذى له الخلق والمستأثر به لا خالق سواه فيكون خلق منزلا منزلة اللازم و به يتم مرام المقام لدلالته على ان كل خلق مختص به او خلق كل شئ فيكون من حذف المفعول للدلالة على التعميم وقال فى فتح الرحمن لما ذكر الرب وكانت العرب فى الجاهلية تسمى الاصنام اربابا جاء بالصفة التى لا شركة للاصنام فيها فقال الذى خلق (خلق الانسان) على الاول تخصيص خلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم وعليه نزل التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته (من علق) جمع علقة كتمرة وهى الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح اى دم جامد رطب يعلق بما مر عليه لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع حيث لم يقل علقة بناء على ان الانسان فى معنى الجمع لأن الالف فيه للاستغراق لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقوم الدلائل الدالة على وجوده تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى من القراءة وفى حواشى ابن الشيخان الحكيم سبحانه لما اراد ان يبعثه رسولا الى المشركين اوقال له اقرأ باسم ربك الذى لا شريك له لابوا ان يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم فى ذلك مقدمة تلجئهم الى الاعتراف به حيث امر رسوله ان يقول لهم انهم هم الذين خلقوا من العلقة ولا يمكنهم انكاره ثم ان يقول لهم لابد للفعل من فاعل فلا يمكنهم ان يضيفوا ذلك الفعل الى الوثن لعلمهم بانهم نحتوه فبهذا التدريج يقرون بانى انا المستحق للثناء دون الاوثان لأن الالهية موقوفة على الخالقية ومن لم يخلق شيأ كيف يكون الها مستحقا للعبادة ومن هذه الطريقة ما يحكى ان زفر لما بعثه ابو حنيفة رحمه الله الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر ابا حنيفة منعوه ولم يلتفتوا اليه فرجع الى ابى حنيفة واخبره بذلك فقال له ابو حنيفة انك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر فى المسالة اقاويل ائمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولى وحجتى فاذا تمكن ذلك فى قلبهم فقل هذا قول ابى حنيفة فانهم حينئذ يستحسنونه فلا يردونه (اقرأ) اى افعل ما امرت به وكرر علامة الامر بالقرآءة تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى (وربك الاكرم) الخ فانه كلام مستأنف ولذا وضع السجاوندى علامة الوقف الجائز على خلق وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله ما انا بقارئ يريد ان القرآءة شأن من يكتب و يقرأ وانا امى فقيل له وربك الذى امرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم اى الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ولا بطلب مدح اوثواب او تخلصا من المذمة وايضا ان كل كريم انما اخذ الكرم منه فكيف يساوى الاصل وقال ابن الشيخ ربك مبتدأ والاكرم صفته والذى مع صلته خبر (الذى علم بالقلم) اى علم ما علم بواسطة القلم لاغيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقال بعضهم علم الخط بالقلم والقلم ما يكتب به لانه يقلم ويقص

ويقطع وفيه امتنان على الانسان بتعليم علم الخط والكتابة بالقلم ولذلك قيل العلم صيد والكتابة قيده وقيل

ومامن كاتب الاسيبلى * ويبقى الدهر ماكتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك فى القيامة ان تراه

ولولا القلم ما استقامت امور الدين والدنيا وفيه اشارة الى القلم الاعلى الذى هو اول موجود وهو الروح النبوى عليه السلام فان الله علم القلب بواسطته مالم يعلم من العلوم التفصيلية قال كعب الاحبار اول من وضع الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها فى الطين ثم طبخه فاستخرج ادريس ماكتب آدم وهذا هو الاصح واما اول من كتب خط الرمل فادريس عليه السلام واول من كتب بالفارسية طهمورث ثالث ملوك الفرس واول من اتخذ القراطيس يوسف عليه السلام قال السيوطى رحمه الله اول ماخلق الله القلم قال له اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة واول ماكتب القلم انا التواب اتوب على من تاب قال بعضهم وجه المناسبة بين الخلق من العلق وتعليم القلم ان ادنى مراتب الانسان كونه علقة واعلاها كونه عالما فالله تعالى امتن على الانسان بنقله من ادنى المراتب وهى العلقة الى اعلاها وهو تعلم العلم ثم الله الذى خلق الانسان على صورته الحقيقية خلقه من علقة التجلى الاول الحبى المشار اليه بقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق فصارت المحبة الذاتية علقة بالايجاد الحبى وهو اكرم الاكرمين اذهو جامع محيط بجميع الاسماء الدالة على الكرم كالجواد والواهب والمعطى والرازق وغيرها (علم الانسان مالم يعلم) بدل اشتمال من علم بالقلم وتعيين للمفعول اى علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية مالم يخطر ببالك اصلا فان قلت فاذا كان القلم والخط من المنن الالهية فما باله عليه السلام لم يكتب قلت لانه لو كتب لقيل قرأ القرآن من صحف الاولين ومن كان القلم الاعلى يخدمه واللوح المحفوظ صحيفته ومنظره لا يحتاج الى تصوير الرسوم وتشكيل العلوم بالآيات الجسمانية لان الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية وفيه اشارة بديعة الى ان امته بين الامم هم الروحانيون وصفهم سبحانه فى الانجيل امة محمد اناجيلهم فى صدورهم لو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه عليه السلام بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعداداتهم (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة فى الزجر فيوقف عليه وقال السجاوندى يوقف على مالم يعلم لانه بمعنى حقا ولذا وضع علامة الوقف عليه (ان الانسان ليطغى) اى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل ان هذا الى اخر السورة نزل فى ابى جهل بعد زمان وهو الظاهر (ان راه استغنى) مفعول له اى بطغى لان رأى وعلم نفسه مستغنيا او ابصر مثل ابى جهل واصحابه ومثل فرعون ادعى الربوبية قال ابن مسعود رضى الله عنه منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا ولا يستويان اما طالب العلم فيزداد فى رضى الله واما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان وتعليل طغيانه برؤيته لنفسه الاستغناء للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روى ان اباجهل قال لرسول الله عليه السلام ازعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله عن الدعاء ابقاء عليهم ورحمة واول هذه السورة يدل على مدح العلم واخرها على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا فى العلم والدين ومنفرا عن المال والدنيا وكان عليه السلام يقول اللهم انى اعوذ بك من غنى يطغى وفقر ينسى وفيه اشارة الى ان الانسان اذا رأى نفسه مظهر بعض صفات ربه واسمائه يدعيها لنفسه ويظن ان تلك الصفات والاسماء الالهية المودعة فيه بحكمة بالغة ملك له وهو مالكها فيعجب بها ويكمالا تها فيستغنى عن مالكها الذى اودعها فيه ليستدل بها على خالقه وبارئه (ان الى ربك الرجعى) الرجعى مصدر بمعنى الرجوع والالف للتأنيث اى ان الى مالك امرك ايها الانسان رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وانجاهمه راعمل بكارا يدنه اموال * توانكرى نه بمالست نزد اهل كمال * كه مال تالب كورست و بعداز ان اعمال (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) الاستفهام للتعجيب والرؤية بصرية والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية وتنكير عبد التفخيم عليه السلام كانه قيل ينهى اكمل الخلق فى العبودية عن عبادة ربه والعدول عن ينهاك الى ينهى عبدا دال على ان النهى كان

للعبد عن اقامة خدمة مولاه ولا اقبح منه روى ان ابا جهل قال فى ملاء من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلى لاطأن عنقه وفى التكملة نهى محمدا عن الصلاة وهم ان يلقى على رأسه حجرا فرآه فى الصلاة وهى صلاة الظهر فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فقالت والمراد اجنحة الملائكة ابصر اللعين الاجنحة ولم يبصر اصحابها فقال عليه السلام والذى نفسى بيده لودنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وكان ابو جهل يكنى فى الجاهلية بأبى الحكم لانهم كانوا يزعمون انه عالم ذو حكمة ثم سمى اباجهل فى الاسلام يقول الفقير كان عليه السلام يدعو ويقول اللهم اعز الاسلام بابى جهل او بعمر فلما اعزه الله بعمر رضى الله عنه دل على ان عمر اسعد قريش كما ان ابا جهل اشقى قريش اذ الاشياء تتبين باضدادها (ارأيت) رؤية قلبية معناه اخبرنى ذلك الناهى وهو المفعول الاول (ان كان على الهدى) فيما ينهى عنه من عبادة الله (او امر بالتقوى) اى امر بالتقوى فيما أمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وهذه الجملة الشرطية بجوابها المحذوف وهو الم يعلم بان الله يرى سدت مسد المفعول الثانى فان المفعول الثانى لأرأيت لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية وانما حذف جواب هذه الشرطية اكتفاء عنه بجواب الشرطية الثانية لان قوله ان كذب وتولى مقابل للشرط الاول وهو ان كان على الهدى او امر بالتقوى والآية فى الحقيقة تحكم بالناهى ضرورة انه ليس فى النهى عن عبادته تعالى والامر بعبادة الاصنام على هدى البتة (ارأيت) اخبرنى ذلك الناهى (ان كذب وتولى) اى ان كان مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن ونظم الامر والتكذيب والتولى فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار انفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس فى حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التى هى كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا (الم يعلم بان الله يرى) جواب للشرطية الثانية اى يطلع على احواله فيجازيه بها حتى اجترأ على مافعل اى قد علم ذلك الناهى ان الله يرى فكيف صدر منه ما صدر وانما افرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظمهما فى سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع فى نفس الامر وباستتباع الوعيد الذى ينطق به الجواب واما القسم الاول فأمر مستحيل قد ذكر فى حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر فى تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية وقيل المعنى ارأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى امر بالتقوى والناهى مكذب متول ولا اعجب من ذا بزركان گفته اند ركلمة ان الله يرى هم وعده مند رجست وهم وعيد اى فاسق توبه كن كه ترا ميبيند اى مرايى اخلاص ورزكه ترا ميبيند اى درخلوت قصد كناه كرده هش دار كه ترا مى بيند درو بشى بعد از كناهى توبه كرده بود وپوسته مى كريست گفتند چندمى كريى خداى تعالى غفورست گفت آرى هر چند عفو كند خجلت ازا كه او مى ديده چه كونه دفع كنم * كيرم كه تواز سر كنه درگذرى * زان شرم كه ريدى كه چه كردم چه كنم * قال ابو الليث رحمه الله والآية عطفة لجميع الناس ونهد يدلمن يمنع عن الخير وعن الطاعة وقال ابن الشيخ فى حواشيه وهذه الآية وان نزلت فى حق ابى جهل لكن كل من نهى عن طاعة فهو شريك ابى جهل فى هذا الوعيد ولا يلزم عليه المنع من الصلاة فى الدر المغصوبة والاوقات المكروهة لان المنهى عنه غير الصلاة وهو المعصية فان عدم مشروعية الوصف المقارن وكونه مستحقا لان ينهى عنه لا ينافى مشروعية اصل الصلاة الا انه لشدة الاتصال بينهما بحيث يكون النهى عن الوصف موهما للنهى عن الاصل احتاط فيه بعض الاكابر حتى روى عن على رضى الله عنه انه رأى فى المصلى اقواما يصلون قبل صلاة العيد فقال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له الا ننهاهم فقال اخشى ان تدخل تحت وعيد قوله تعالى ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهى عن الصلاة احتياطا واخذا بو حنيفة هذا الادب الجميل حتى قال له ابو يوسف اتقول المصلى حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لى قال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهى (كلا) ردع للناهى اللعين وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وامره بعبادة اللات (لئن لم ينته) اللام موطئة للقسم المضمر اى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ولم يتب ولم يسلم قبل الموت والاصل ينتهى بالياء يقال نها ه ينهاه نهيا ضد امره فانتهى (لنسفعا بالناصية) اصله لنسفعن بالنون الخفيفة للتأكيد ونظيره وليكونا من الصاغرين كتب فى المصحف بالالف على حكم الوقف فانه يوقف على هذه النون

بالالف تشبيها لها بالتنوين والسفع القبض على الشئ وجذبه بعنف وشدة والناصية شعر مقدم الرأس والمعنى لنأخذن في الآخرة بناصيته ولنسحبنه بها الى النار يعني لنأمرن الزبانية ليأخذوا بناصيته ويجروه الى النار بالتحقير والاهانة وكانت العرب تأنف من جر الناصية وفي عين المعاني لما ناصية عبارة عن القهر والهوان والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة يظهر أن المراد ناصية الناهي المذكور ويحتمل ان يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه في الدنيا يوم بدر فيكون بشارة بان يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه اذا عاد الى النهي فلما عاد مكنهم الله من ناصيته يوم بدر (روى) انه لما نزلت سورة الرحمن قال عليه السلام من يقرأها على رؤساء قريش فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضي الله عنه وقال انا فأجلسه عليه السلام ثم قال ثانيا من يقرأها عليهم فلم يقم الا ابن مسعود رضي الله عنه ثم ثالثا الى ان اذن له وكان عليه السلام يثق عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قرآءة السورة فقام ابو جهل فلطمه فشق اذنه وادماها فانصرف وعيناه تدمع فلما رآه عليه السلام رق قلبه واطرق رأسه مغموما فاذا جبرآئيل جاء ضاحكا مستبشرا فقال يا جبرآئيل تضحك ويبكي ابن مسعود فقال سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود ان يكون له حظ في الجهاد فقال له عليه السلام خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان له رمق فاقتله فانك تنال ثواب المجاهدين فاخذ يطالع القتلى فاذا ابو جهل مصروع يخور فخاف ان تكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ولعل هذا قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما راه ابو جهل قال له يا راعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعبا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه لم يكن احد ابغض الي منه في حال حياتي فروي انه عليه السلام لما سمع ذلك قال فرعوني اشد من فرعون موسى فانه قال آمنت وهو قد زاد عتوا ثم قال يا ابن مسعود اقطع بسيفي هذا لانه احد واقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق اذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجره الى رسول الله عليه السلام وجبرآئيل بين يديه يضحك ويقول يا محمد اذن باذن لكن الرأس ههنا مع الاذن مقطوع ولعل الحكيم سبحانه انما خلقه ضعيفا حتى لم يقو على الرأس المقطوع لوجوه احدها ان ابا جهل كلب والكلب يجر ولا يحمل والثاني ليشق الاذن فيقتص الاذن بالاذن والثالث ليحقق الوعيد المذكور بقوله لنسفعا بالناصية فيجر تلك الرأس على مقدمها قال ابن الشيخ والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية ثم انه تعالى كنى بها ههنا عن الوجه والرأس ولعل السبب في تخصيص السفع بها ان اللعين كان شديد الاهتمام بتجعيد الناصية وتطييبها (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز ابدال النهاء من المعرفة وهي نكرة لوصفها ووصف الناصية بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ كان الكافر بلغ في الكذب قولا والخطأ فعلا الى حيث أن كلامه من الكذب والخطأ ظهر من ناصيته وكان ابو جهل كاذبا على الله في أنه لم يرسل محمدا وكاذبا في أنه ساحر ونحوه وخاطئا بما تعرض له عليه السلام بانواع الاذية (فليدع) من الدعوة يعني كو بخواند ابو جهل (ناديه) اي اهل ناديه ومجلسه ليعينوه وهو المجلس الذي يندى فيه القوم اي يجتمعون وقدر المضاف لان نفس المجلس والمكان لا يدعى ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله ودار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور وهي الآن المحفل الحنفي روي أن ابا جهل مر برسول الله وهو يصلي فقال ألم أنهك فاغلظ له رسول الله فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا يريد كثرة من يعينه فنزلت (سندع الزبانية) اي ملائكة العذاب ليجروه الى النار وواحدهم يغلب على ألف ألف من امثال اهل نادية قال عليه السلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا * اجتمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من سندع خطا ولا موجب للحذف من العربية لفظا ولعله للمشاكلة مع فليدع او للتشبيه بالامر في ان الدعاء امر لا بد منه وقال ابن خالويه في اعراب الثلاثين اية الاصل سندعو بالواو غير ان الواو سا كنة فاستثقلتها اللام ساكنة فسقطت الواو في المصحف من سندع ويدع الانسان ويمح الله الباطل وكذلك الياء من وادا تمل وان الله لهاد الذين امنوا والعلة فيهن ما تأتيك من بنائهم الخط على اللفظ انتهى والزبانية في الاصل في كلام العرب الشرط كصرد جمع شرطة بالضم وهم طائفة من اعوان الولاة سموا بذلك لانهم اعلموا انفسهم بعلامات يعرفون بها كما في القاموس

والشرط بالتحريك العلامة والواحد زبنية كعفرية وعفرية الديك شعرة القفا التي يردها الى يافوخه عند الهراش من الزبن بالفتح كالضرب وهو الدفع لأنهم يزبنون الكفار اى يدفعونهم فى جهنم بشدة وبطش يعنى أن ملائكة العذاب سموا بما سمى به الشرط تشبيها لهم بهم فى البطش والقهر والعنف والدفع وقيل الواحد زبنى وكأنه نسب الى الزبن ثم غير الى زبانية كأنسى بكسر الهمزة واصلها زبانى وقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء بعد حذفها للمبالغة فى الدفع وفيه اشارة الى التجليات القوية الجلالية الجزارة اياجهل النفس الامارة واهل ناديه الذى هو الهوى وقواه الظلمانية الى نار الخذلان وجهنم الخسران (كلا) ردع بعد ردع للناهى المذكور وزجر له اثر زجر فهو متصل بما قبله ولذا جعلوا الوقف عليه وقفا مطلقا (لاتطعه) اى دم على ما انت عليه من معاصاة ذلك الناهى الكاذب الخاطئ كقوله تعالى ولا تطع المكذبين (واسجد) وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به (واقترب) وتقرب بذلك السجود الى ربك وفى الحديث (اقرب ما يكون العبد من ربه اذا سجد فأكثروا من الدعاء فى السجود) كلمة ما مصدرية وأقرب مبتدأ حذف خبره ويكون تامة اى اقرب وجود العبد من ربه حاصل وقت سجوده ودر فتوحات اين را سجدهٔ قرب كفته وهذا محل سجود عند الثلاثة خلافا لمالك وهم على اصولهم فى قولهم بالوجوب والسنية ثم ان السجود اشارة الى ازالة حجاب الرياسة وفى الحديث (لا تبرموا السجود) يعنى هركه سجده آرد از كبر دور كشت وبردركاه الله شرف متواضعان يافت روى أن ابراهيم عليه السلام اضاف يوما مائتى مجوسى فلما اكلوا قالوا مرنا يا ابراهيم قال ان لى اليكم حاجة فقالوا وما حاجتك قال اسجدوا لربى سجدة واحدة فتشاوروا فيما بينهم فقالوا ان هذا الرجل قد صنع معروفا كثيرا فلو سجدنا لربه ثم رجعنا الى آلهتنا لا يضرنا ذلك بشئ فسجدوا جميعا فلما وضعوا رؤسهم على الارض ناجى ابراهيم ربه فقال انى جهدت جهدى حتى حملتهم على هذا ولا طاقة لى على غيره وانما التوفيق والهداية بيدك اللهم زين صدورهم بالاسلام فلما رفعوا رؤسهم من السجود اسلموا والسجدة اقسام سجدة الصلاة وسجدة التلاوة وسجدة السهو وهذه مشهورة وسجدة التعظيم لجلال الله وكبريائه وسجدة التضرع اليه خوفا وطمعا وسجدة الشكر له وسجدة المناجاة وهذه مستحبة فى الاصح صادرة عن الملائكة وعن رسول الله عليه السلام وسائر الانبياء والاولياء عليهم السلام وقال ابو حنيفة ومالك سجود الشكر مكروه فيقتصر على الحمد والشكر باللسان وقال الامام هى قربة يثاب فاعلها وقال القاشانى قرأ عليه السلام فى هذه السجدة اى سجدة اقرأ (اعوذ بعفوك من عقابك) اى بفعل لك من فعل لك (واعوذ برضاك من سخطك) اى بصفة لك من صفة لك (واعوذ بك منك) اى بذاتك من ذاتك وهو معنى افترابه بالسجود

* (سورة القدر خمس او ست آيات مكية وقيل مدنية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا انزلناه فى ليلة القدر) النون للعظمة او للدلالة على الذات مع الصفات والاسماء والضمير للقرآن لأن شهرته تقوم مقام تصريحه باسمه وارجاع الضمير اليه فكأنه حاضر فى جميع الاذهان وعظمه بأن اسند انزاله الى جنابه مع أن نزوله انما يكون بواسطة الملك وهو جبرآئيل على طريقة القصر بتقديم الفاعل المعنوى الا انه اكتفى بذكر الاصل عن ذكر التبع قال فى بعض التفاسير انا انزلناه مبتدأ وخبر فى الاصل بمعنى نحن انزلناه فادخل ان للتحقيق فاختير اتصال الضمير للتخفيف ومعنى صيغة الماضى انا حكمنا بانزاله فى ليلة القدر وقضينا به وقدرناه فى الازل ثم ان الانزال يستعمل فى الدفعى والقرآن لم ينزل جملة واحدة بل انزل منجما مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة وهذه السورة من جملة ما انزل وجوابه ان المراد ان جبرآئيل نزل به جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا واملاه على السفرة اى الملائكة الكاتبين فى تلك السماء ثم كان ينزل على النبى عليه السلام منجما على حسب المصالح وكان ابتداء تنزيله ايضا فى تلك الليلة وفيه اشارة الى ان بيت العزة اشرف المقامات السماوية بعد اللوح المحفوظ لنزول القرآن منه اليه ولذلك قيل بفضل السماء الاولى على اخواتها لانها مقر لوحى الربانى وقيل لشرف المكان بالمكين وكل منهما وجه فان السلطان انما ينزل على انزه مكان ولو فرضنا نزوله على مسبخة لكفى تنزله هناك شرفا لها فالمكان الشريف يزداد شرفا بالمكين الشريف كما سبق فى سورة البلد فى نزول القرآن بالتدريج اشارة الى تعظيم الجناب المحمدى كما تدخل

الهدايا شيأ بعد شئ على ايدى الخدام تعظيما للمهدى اليه بعد التسوية بينه و بين موسى عليهما السلام بانزاله جملة الى بيت العزة وفى التدريج ايضا تسهيل للحفظ وتثبيت لفؤاده كما قال تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك وكلام الله المنزل قسمان القرآن والخبر القدسى لان جبرائيل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لان جبرائيل اداها بالمعنى ولم تجز القرآءة بالمعنى لان جبرائيل اداها باللفظ والسر فى ذلك التعبد بلفظه والاعجاز به فانه لا يقدر احد أن يأتى بدله بما يشتمل عليه من الاعجاز لفظا ومن الاسرار معنى فكيف يقوم لفظ الغير ومعناه مقام حرف القرآن ومعناه ثم ان اللوح المحفوظ قلب هذا التعين و لكن قلب الانسان الطف منه لانه زبدته واشرفه لان القرآن نزل به الروح الامين على قلب النبى المختار وهنا سؤال وهو ان الملائكة باسرهم صعقوا ليلة نزول القرآن من حضرة اللوح المحفوظ الى حضرة بيت العزة فما وجهه والجواب ان محمدا صلى الله عليه وسلم عندهم من اشراط القيامة والقرآن كتابه فنزوله دل على قيام الساعة فصعقوا هيبة منه واجلالا لكلامه وحضرة وعده ووعيده وفى بعض الاخبار ان الله تعالى اذا تكلم بالرحمة تكلم بالفارسية والمراد بالفارسية لسان غير العرب سريانيا كان اوعبرانيا واذا تكلم بالعذاب تكلم بالعربية فلما سمعوا العربية المحمدية ظنوا انه عقاب فصعقوا وسيأتى معنى القدر ثم القرآن كلامه القديم انزله فى شهر رمضان كما قال الله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وهذا هو البيان الاول ولم ندر نهارا انزل فيه ام ليلا فقال تعالى انا انزلناه فى ليلة مباركة وهذا هو البيان الثانى ولم ندر اى ليلة هى فقال تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر فهذا هو البيان الثالث الذى هو غاية البيان فالصحيح ان الليلة التى يفرق فيها كل امر حكيم وينسخ فيها امر السنة وتدبير الاحكام الى مثلها هى الليلة القدر ولتقدير الامور فيها سميت ليلة القدر ويشهد التنزيل لما ذكرنا اذا فى اول الآية انا انزلناه فى ليلة مباركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل امر حكيم والقرآن انما نزل فى ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف فى هذه الليلة موا طئة لقوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر كذا فى قوت القلوب للشيخ ابى طالب المكى قدس سره فان قلت ما الحكمة فى انزال القرآن ليلا قلت لان اكثر الكرامات ونزول النفحات والاسراء الى السموات يكون بالليل والليل من الجنة لانها محل الاستراحة والنهار من النار لان فيه المعاش والتعب والنهار حفظ اللباس والفراق والليل حظ الفراش والوصال وعبادة الليل افضل من عبادة النهار لان قلب الانسان فيه اجمع والمقصود هو حضور القلب قال بعض العارفين اعمل التوحيد فى النهار والاسم فى الليل حتى تكون جامعا بين الطريقتين الجلوتية بالجيم والخلوتية ويكون التوحيد والاسم جنا حين لك (وما ادراك ما ليلة القدر) اى واى شئ اعلمك يا محمد ما هى اى انك لا تعلم كنهها لان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها الا علام الغيوب وهو تعظيم للوقت الذى انزل فيه ومن بعض فضائل ذلك الوقت انه يرتفع سؤال القبر عمن مات فيه وكذا فى سائر الاوقات الفاضلة ومن ذلك العيد ثم مقتضى الكرم ان لا يسأل بعده ايضا وقد وقع تجلى الافعال لسيد الانبياء عليه السلام فى رجب ليلة الجمعة الاولى بين العشاءين فلذا استحب صلاة الرغائب وقتئذ و تجلى الصفات فى نصف شعبان فلذا استحب صلاة البرآءة بعد العشاء قبل الوتر وتجلى الذات فى ليلة القدر ولذلك استحب صلاة القدر فيها كما سيجئ ولما كان هذا معرضا عن الوعد بادر آتها قال (ليلة القدر) اى قيامها والعبادة فيها (خير من الف شهر) اى من صيامها وقيامها ليس فيها ليلة القدر حتى لا يلزم تفضيل الشئ على نفسه فخيرها هنا للتفضيل اى افضل واعظم قدرا واكثر اجرا من تلك المدة وهى ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر وفى الحديث من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما فى كشف الاسرار قال الخطابى فى قوله ايمانا واحتسابا اى بنية و عزيمة وهو ان يصومه على التصديق والرغبة فى ثوابه طيبة به نفسه غير كاره له ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه لكن يغتنم طول ايامه لعظم الثواب وقال البغوى قوله احتسابا اى طلبا لوجه الله وثوابه يقال فلان يحتسب الاخبار اى يطلبها كذا فى الترغيب والترهيب والمراد بالقيام صلاة التراويح وقال بعضهم المراد مطلق الصلاة الحاصل بها قيام الليل قوله غفر له ما تقدم من ذنبه قيل المراد الصغائر وزاد بعضهم ويخفف من الكبائر اذا لم يصادف صغيرة وقوله وما تأخر هو كناية من حفظهم من الكبائر

بعد ذلك او مضاه ان ذنوبهم تقع مغفورة كذا فى شرح الترغيب المسمى بفتح القريب وقال سعيد بن المسيب من شهد المغرب والعشاء فى جماعة فقد اخذ حظه من ليلة القدر كما فى الكواشى ثم ان نهار ليلة القدر مثل ليلة القدر فى الخير وفيه اشارة الى ان ليلة القدر للعارفين خير من الف شهر للعابدين لان خزائنه تعالى مملوءة من العبادات ولا قدر الا للفناء واهله وللشهود واصحابه واختلفوا فى وقتها فاكثرهم على انها فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى اوتارها لقوله عليه السلام التمسوها فى العشر الاواخر من رمضان فاطلبوها فى كل وتر وانما جعلت فى العشر الاخير الذى هو مظنة ضعف الصائم وفتوره فى العبادة ليتجدد جده فى العبادة رجاء ادراكها وجعلت فى الوتر لان الله وتر يحب الوتر ويتجلى فى الوتر على ما هو مقتضى الذات الاحدية واكثر الاقوال انها السابعة لامارات واخبار تدل على ذلك احدها حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان السورة ثلاثون كلمة وقوله هى السابعة والعشرون منها ومنها ما قال ابن عباس ايضا ليلة القدر تسعة احرف وهو مذكور فى هذه السورة ثلاث مرات فتكون السابعة والعشرين ومنها انه كان لعثمان بن ابى العاص غلام فعال يا مولاى ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمنى فاذا هى السابعة والعشرون من رمضان ومن قال انها هى ليلة الاخيرة من رمضان استدل بقوله عليه السلام ان الله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار يعتق الف الف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق الله فى تلك الليلة بعدد من اعتق من اول الشهر الى آخره ولان الليلة اولى كن ولد له ذكر فهى ليلة شكر والليلة الاخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهى ليلة صبر وفرق بين الشكر والصبر فان الشاكر مع المزيد كقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم والصابر مع الله لقوله تعالى ان الله مع الصابرين وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت سألت النبى عليه السلام لو وافقتها ماذا اقول قال قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى وعنها ايضا والدرك منها ما سألت الله الا العافية وفيه اشارة الى ما قال عليه السلام اللهم انى اسألك العفو والعافية والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة ولعل السر فى اخفائها تحريض من يريد هذا الثواب الكثير باحياء الليالى الكثيرة رجاء لموافقتها * اى خواجه چه كوبى زشب قدر نشانى * هر شب شب قدر ست اگر قدر بدانى * ونظيره اخفاء ساعة الاجابة فى يوم الجمعة والصلاة الوسطى فى الخمس واسمه الاعظم فى الاسماء ورضاه فى الطاعات حتى يرغبوا فى الكل وغضبه فى المعاصى ليحترزوا عن الكل وولیه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل * خورش ده بكنجشك وكبك وحمام * كه يك روزت افتد همايى بدام * والمستجاب من الدعوات فى سائرها ليدعوه بكلها * چه هركوشه تيرى نيازافكنى * اميدست كه ناكه كه صيدى زنى * ووقت الموت ليكون المكلف على احتياط فى جميع الاوقات وتسميتها بليلة القدر اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم اى اظهار تقديرها للملائكة بان تكتبها فى اللوح المحفوظ والا فالتقدير نفسه ازلى فالقدر بمعنى التقدير وهو جعل الشئ على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله قدر فيها كل ما يكون فى تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة وغيرها الى مثل هذه الليلة من السنة الآتية فيسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة فيدفع نسخة الارزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل ونسخة الحروب والرياح والزلازل والصواعق والخسف الى جبرآئيل ونسخة الاعمال الى اسرافيل ونسخة المصائب الى ملك الموت

فكم من فتى يمسى ويصبح آمنا * وقد نسجت اكفانه وهو لا يدرى
وكم من شيوخ ترتجى طول عمرهم * وقد هفت اجسادهم ظلمة القبر
وكم من عروس زينوها لزوجها * وقد قبضت ارواحهم ليلة القدر

يقال ان ميكائيل هو بلامين على الارزاق والاغذية المحسوسة ويقابله منك الكبد فهو الذى يعطى الغذاء لجميع البدن وكذلك اسرافيل يغذى الاشباح بالارواح ويقابله منك الدماغ وجبرائيل يغذى الارواح بالعلوم والمعارف ويقابله منك العقل وكل محدث لابد له من غذاء فغذاء الجسم بالأليف والعقل بالعلوم الضرورية والروح القدسى ايضا متعطش ولا يرتوى الا بالعلوم الالهية هذا واما لخطرها وشرفها على سائر الليالى فالقدر بمعنى المنزلة والشرف اما باعتبار العامل على معنى ان من اتى بالطاعة فيها صار ذا قدر وشرف

واما باعتبار نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة فى تلك الليلة لها قدر وشرف زائد وعن ابى بكر الوراق رحمه الله سميت ليلة القدر لانه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذى قدر لامة لها قدر ولعله تعالى انما ذكر لفظ القدر فى هذه السورة ثلاث مرات لهذا السبب وقال الخليل رحمه الله سميت ليلة القدر اى ليلة الضيق لان الارض تضيق فيها بالملائكة فالقدر بمعنى الضيق كما فى قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير لان العرب تذكر الالف فى غاية الاشياء كلها ولا تريد حقيقتها اولما روى انه عليه السلام ذكر رجلا من بنى اسرائيل اسمه شمعون لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل ان الرجل فيما مضى كان لا يقال له عابد حتى يعبد الله الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل رأى النبى عليه السلام اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل فى هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وروى عن الحسن بن على بن ابى طالب انه قال حين عوتب فى تسليمه الامر لمعاوية ان الله ارى نبيه عليه السلام فى المنام بنى امية ينزون على منبره نزو القردة اى يثبون فاغتم لذلك فاعطاه الله ليلة القدر وهى خير له ولذريته ولأهل بيته من الف شهر وهى مدة ملك بنى امية واعلمه انهم يملكون امر الناس هذا القدر من الزمان ثم كشف الغيب ان كان من سنة لمعاوية رضى الله عنه الى قتل مروان الجعدى آخر ملوكهم هذا القدر من الزمان بعينه كما فى فتح الرحمن ودل كلام الله تعالى على ثبوت ليلة القدر فى قال ان فضلها كان لنزول القرآن يقول انقطعت فكانت مرة والجمهور على انها باقية آتية فى كل سنة فضلا من الله ورحمة على عباده غير مختصة برمضان عند البعض وهو قول الامام ابى حنيفة رحمه الله وحضرة الشيخ الاكبر قدس سره الاطهر حتى لو علق احد طلاق امرأته او عتق عبده بليلة القدر فانه لا يحكم به الا بأن يتم الحول وعند الاكثرين مختصة به وكان عليه السلام اذا دخل العشر شد مئزره واحيى ليله وايقظ اهله وكان الصالحون يصلون فى ليلة من العشر ركعتين بنية قيام ليلة القدر وعن بعض الاكابر من قرأ كل ليلة عشر آيات على تلك النية لم يحرم بركتها وثوابها قال الامام ابو الليث رحمه الله اقل صلاة ليلة القدر ركعتان واكثرها الف ركعة واوسطها مائة ركعة واوسط القراءة فى كل ركعة ان يقرأ بعد الفاتحة انا انزلناه مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات ويسلم على كل ركعتين ويصلى على النبى عليه السلام بعد التسليم ويقوم حتى يتم ما اراد من مائة او اقل او اكثر ويكفى فى فضل صلاتها ما بين الله من جلالة قدرها وما اخبر به الرسول عليه السلام من فضيلة قيامها وصلاة التطوع بالجماعة جائزة من غير كراهة لو صلوا بغير تداع وهو الاذان والاقامة كما فى الفرائض صرح بذلك كثير من العلماء قال فى شرح النقاية وغيره وفى المحيط لا يكره الاقتداء بالامام فى النوافل مطلقا نحو القدر والرغائب وليلة النصف من شعبان ونحو ذلك لان ما رأه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن فلا تلتفت الى قول من لا مذاق لهم من الطاعمين فانهم بمنزلة العنين لا يعرفون ذوق المناجاة وحلاوة الطاعات وفضيلة الاوقات * هر كس از جلوهٔ كل فهم معانى نكند * شرح آن دفتر نتوشته زبلبل بشنو (تنزل الملائكة والروح فيها) استئناف مبين لما له فضلت على الف شهر واصل تنزل تتنزل بتاءين والظاهر ان المراد كلهم الاطلاق وقد سبق معنى الروح فى سورة النبأ وقال بعضهم انه ملك او التقم السموات والارضين كانت له لقمة واحدة او هو ملك رأسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وله الف رأس كل رأس اعظم من الدنيا وفى كل رأس الف وجه وفى كل وجه الف فم وفى كل فم الف لسان يسبح الله بكل لسان الف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد لكل لسان لغة لا تشبه الاخرى فاذا فتح افواهه بالتسبيح خر كل ملائكة السموات سجدا مخافة ان يحرقهم نورا فواهه وانما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من امة محمد عليه السلام بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر او هو طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا ليلة القدر كالزهاد الذين لا تراهم الا يوم العيد او هو عيسى عليه السلام لانه اسمه ينزل فى موافقة الملائكة ليطالع امة محمد عليه السلام ودر تفسير خواجه محمد پارسا رحمه الله مذكور ست كه روح حضرت محمد صلى الله عليه وسلم

فرود آيد وفى الحديث لأنا اكرم على الله من ان يدعنى فى الارض اكثر من ثلاث وكان الثلاث عشر مرات ثلاثين لأن الحسين رضى الله عنه قتل فى رأس الثلاثين سنة فغضب على اهل الارض وعرج به الى عليين وقد رآه بعض الصالحين فى النوم فقال يارسول الله بأبى انت وامى امانرى فتن امتك فقال زادهم الله فتنة قتلوا الحسين ولم يحفظونى ولم يراعوا حق فيه وعلى كل تقدير فالمعنى تنزل الملائكة والروح فى تلك الليلة من كل سماء الى الارض وهو الاظهر لأن الملائكة اذا نزلت فى سائر الايام الى مجالس الذكر فلأن ينزلوا فى تلك الليلة مع علو شأنها اولى اوالى السماء الدنيا قالوا ينزلون فوجا فوجا فمن نازل ومن صاعد كأهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك بأسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت الى غاية طلوع الفجر وذكر لفظ تنزل المفيد للتدريج وبه يندفع مايرد ان الملائكة لهم كثرة عظيمة لاتحتملها الارض وكذا السماء على ان شأن الارواح غير شأن الاجسام والملائكة وان كان لهم اجسام لطيفة يقال لهم الارواح وقال بعضهم انازلون هم سكان سدرة المنتهى وفيها ملائكة لايعلم عددهم الا الله ومقام جبرائيل فى وسطها ولايدخلون اى الملائكة النازلون الكنائس وبيوت الاصنام والاماكن التى فيها الكلب والتصاوير والخبائث وفى بيوت فيها خمر اومد من خمر اوقاطع رحم اوجنب اوآكل لحم خنزير اومتضمخ بالزعفران وغير ذلك والتضمخ بالفارسلاية بوى خوش برخو يشتن آلودن ويعدى بالباء كما فى تاج المصادر وقال فى القاموس التضمخ لطخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر قوله والروح معطوف على الملائكة والضمير لليلة القدر والجار متعلق بتنزل ويجوز ان يكون والروح فيها جملة اسمية فى موقع الحال من فاعل تنزل والضمير للملائكة والاول هو الوجه لعدم احتياجه الى ضمير فيها (باذن ربهم) اى بامره متعلق بتنزل وهو يدل على انهم كانوا يرغبون الينا ويشتاقون فيستأذنون فى النزول الينا فيؤذن لهم فان قيل كيف يرغبون الينا مع علمهم بكثرة ذنوبنا قلنا لايقفون على تفصيل المعاصى روى انهم يطالعون اللوح فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة فاذا وصلوا الى معاصيه ارخى الستر فلا يرونه فحينئذ يقولون سبحان من اظهر الجميل وستر القبيح ولأنهم يرون فى الارض من انواع الطاعات اشياء مارأوها فى عالم السموات كاطعام الطعام وانين العصاة وفى الحديث القدسى لأنين المذنبين احب الى من زجل المسبحين فيقولون تعالوا نذهب الى الارض فنسمع صوتا هو احب الى ربنا من صوت تسبيحنا وكيف لايكون احب وزجل المسبحين اظهار لكمال حال المطيعين وانين العصاة اظهار لغفارية رب العالمين * نصيب ماست بهشت اى خدا شناس برو * كه مستحق كرامت كناهكار انند (من كل امر) متعلق بتنزل ايضا اى من اجل كل امر قدر فى تلك السنة من خير اوشر او بكل امر من الخير والبركة كقوله تعالى يحفظونه من امر الله اى بامر الله قيل يقسم جبرائيل فى تلك الليلة بقية الرحمة فى دار الحرب على من علم الله انه يموت مسلما فتلك الرحمة التى قسمت عليهم ليلة القدر يسلمون ويموتون مسلمين فان قيل المقدرات لاتفعل فى تلك الليلة بل فى تمام السنة فلما ذا تنزل الملائكة فيها لاجل تلك الامور قيل لعل تنزلهم لتعين انفاذ تلك الامور وتنزلهم لأجل كل امر ليس تنزل كل واحد لاجل كل امر بل ينزل الجميع لأجل جميع الامور حتى يكون فى الكلام تقسيم العلل على المعلولات (سلام هى) تقديم الخبر لأفادة الحصر مثل تميمى انا اى ماهى الاسلامة اى لايحدث فيها داء ولاشئ من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ماينزل فى هذه الليلة انما هو سلامة ونفع وخير ولايستطيع الشيطان فيها سوأ ولاينفذ فيها سحر ساحر والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة للمبالغة فى اشتمالها عليها وعلم منه انه يقضى فى غير ليلة القدر كل من السلامة والبلاء يعنى يتعلق قضاء الله بهما اوماهى الاسلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين ومن اصابته التسليمة غفرله ذنبه وفى الحديث ينزل جبرائيل ليلة القدر فى كبكبة من الملائكة اى جماعة متضامة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم اوقاعد يذكر الله (حتى مطلع الفجر) اى وقت طلوعه قدر المضاف لتكون الغاية من جنس المغيا فمطلع بفتح اللام مصدر ميمى ومن قرأ بكسر اللام جعله اسما لوقت الطلوع اى اسم زمان وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل اى لمكثهم فى تنزلهم اولنفس تنزلهم بان لاينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقال بعضهم ليلة القدر من غروب الشمس الى طلوع الفجر سلام اى يسلم فيها الملائكة على المطيعين

الى وقت طلوع الفجر ثم يصعدون الى السماء فحتى متعلقة بسلام قالوا علامة ليلة القدر انها ليلة لا حارة ولا باردة وتطلع الشمس صبيحتها لاشعاع لها لأن الملائكة تصعد عند طلوع الشمس الى السماء فيمنع صعودها انتشار شعاعها لكثرة الملائكة اولأنها لا تطلع في هذه الليلة بين قرني الشيطان فانها على ما جاء في بعض الاحاديث تطلع كل يوم بين قرني الشيطان ويزيد الشيطان في بث شعاعها وتزيين طلوعها ليزيد في غرور الكافرين ويحسن في اعين الساجدين وقد سبق أنه يعذب الماء الملح تلك الليلة واما النور الذي يرى ليلة القدر فهو نور افحة الملائكة او نور جنة عدن تفتح ابوابها ليلة القدر او نور لواء الحمد او نور اسرار العارفين رفع الله الحجب عن اسرارهم حتى يرى الخلق ضياءها وشعاعها وهو المناسب لحقيقة ليلة القدر فان حقيقتها عبارة عن انكشاف الملكوت لقلب العارف فاذا تنور الباطن بنور الملكوت انعكس منه الى الظاهر وفي الحديث من قرأ سورة القدر اعطى ثواب من صام رمضان واحيى ليلة القدر

تمت سورة القدر بعون من له الخلق والامر في الثاني والعشرين من ثاني الربيعين من سنة سبع عشرة ومائة وألف

* (سورة القيامة والبينة والبرية ثمان او تسع آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى واريد الصلة فعلا لما أن كفرهم حادث بعد انبيائهم (والمشركين) اى عبدة الاصنام ومن للتبيين لا للتبعيض حتى لا يلزم ان لا يكون بعض المشركين كافرين وذلك أن الكفار كانوا جنسين اهل الكتاب كفرقا اليهود والنصارى والمشركين وهم الذين كانوا لا ينسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين بقوله الذين كفروا على الاجمال ثم اردف ذلك الاجمال بالتفصيل والتبيين وهو قوله من اهل الكتاب والمشركين وهو حال من الواو في كفروا اى كائنين منهم (منفكين) خبر كان اى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج نصدق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله هل هو المذكور في كتبهم وكانوا يغيرون نعوته وانفكاك الشيء أن يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه (حتى تاتيهم البينة) التي كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بالمضارع باعتبار حال المحكي لا الحكاية والبينة الحجة الواضحة (رسول) بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بها للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين (من الله) متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول واى رسول كائن منه تعالى (يتلو) صفة اخرى (صحفا) جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله من الاوراق (مطهرة) اى منزهة من الباطل لا يأتيها الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرون (وقال الكاشفي) صحيفهاى پاكيزه از كذب وبهتان ونسبة التلاوة الى الصحف وهي القراطيس مجازية او هي مجاز عما فيها بعلاقة الحلول والمراد أنه لما كان ما يتلوه الذي هو القرآن مصدقا لصحف الاولين مطابقا لها في اصول الشرائع والاحكام صار متلوه كأنه صحف الاولين وكتبهم فعبر عنه بامم الصحف مجازا (قال الكاشفي) قرآنرا صحف گفت براى تعظيم بانكه جامع اسرار جميع صحفست قال في عين المعاني وسميت الصحف لأنها الصحف بعضها على بعض اى وضع (فيها كتب قيمة) صفة لصحف في تلك الصحف امور مكتوبة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وبالفارسية دران صحيفها نوشتهاى راست ودرست يعني احكام ومواعظ وفي المفردات اشارة الى ما فيه من معاني كتب الله فان القرآن مجمع ثمرة كتب الله المتقدمة (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب) عما كانوا عليه من الوعد وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى فخصوا بالذكر

لأن جحود العالم اقبح واشنع من انكار الجاهل (الامن بعد ماجاءتهم البينة) استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى وماتفرقوا فى وقت من الاوقات الامن بعدما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله عليه السلام هو الموعود فى كتابهم دلالة جلية لاريب فيها (وما امروا الاليعبدوا الله) جملة حالية مفيدة لغاية قبح مافعلوا اى والحال انهم ماامروا بما امروا فى كتابهم لشئ من الامور الالأجل ان يعبدوا الله وهذه اللام فى الحقيقة لام الحكمة والمصلحة يعنى أن فعله تعالى وان لم يكن معللا بالغرض الا انه مغيا بالحكم والمصالح وكثيرا ماتستعمل لام الغرض فى الحكمة المترتبة على الفعل تشبيها لها بها فى ترتبها على الفعل بحسب الوجود وفى حصر علة كونهم مأمورين بما فى كتبهم من عبادة الله بالاخلاص حيث قيل وما امروا بما امروا الا لأجل ان يتذللوا له ويعظموه غاية التذلل والتعظيم ولايطلبوا فى امتثال ماكلفوا به شيأ آخر سوى التذلل لربهم ومالكهم كثواب الجنة والخلاص من النار دليل على ماذهب اليه اهل السنة من ان العبادة ماوجبت لكونها مفضية الى ثواب الجنة اوالى البعد والنجاة من عذاب النار بل لاجل انك عبد وهو رب ولولم يحصل فى الدين ثواب ولاعقاب البتة ثم امرك بالعبادة وجبت لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والمالكية وفيه ايضا اشارة الى ان من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود فى الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالمقصود الاصلى من العبادة هوالمعبود وكذا الغاية من العرفان المعروف فعليك بالعبادة للمعبود وبالعرفان للمعروف واياك وان تلاحظ شيأ غيرالله تعالى * عاشقانرا شادمانى وغم اوست * دست مزد واجرت خدمتهم اوست * وقال بعضهم الاظهر ان تجعل لام ليعبدوا الله زائدة كما تزاد فى صلة الارادة فيقال اردت لتقوم لتنزيل الامر منزلة الارادة فيكون المأمور به هذه الامور من العبادة ونحوها كما هوالظاهر ثم ان العبادة هى التذلل ومنه طريق معبداى مذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان جماعة عبدوا الملائكة والمسيح والاصنام وما اطاعوهم ولكن فى الشرع صارت اسما لكل طاعة لله اديت له على وجه التذلل والنهاية فى التعظيم والعبادة بهذا المعنى لايستحقها الا من يكون واحدا فى صفاته الذاتية والفعلية فان كان له مثل لم يمكن ان يصرف اليه نهاية التعظيم فثبت بما قلنا انه لابد فى كون الفعل عبادة من شيئين احدهما غاية التعظيم ولذلك قيل ان صلاة الصبى ليست بعبادة لأنه لايعرف عظمة الله فلا يكون فعله غاية التعظيم وفى حكمه الجاهل الغافل وثانيهما ان يكون مأمورا به ففعل اليهود ليس بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم لانه غيرمأمور به فاذالم يكن فعل الصبى عبادة لفقد التعظيم ولافعل اليهود لفقد الامر فكيف يكون ركوعك الناقص عبادة والحال انه لاامر به ولاتعظيم فيه (مخلصين له الدين) حال من الفاعل فى ليعبدوا اى جاعلين انفسهم خالصة لله تعالى فى الدين يعنى ازشرك والحاد پاكيزه باشند وازاغراض نفسانيه وقضاء شهوات صافى وبى غش والاخلاص ان يأتى بالفعل خالصا لداعية واحدة ولايكون لغيرها من الدواعى تأثير فى الدعاء الى ذلك الفعل فالعبادة لجلب المنفعة اولدفع المضرة ليست من قبيل الاخلاص وكذا الاشتغال بالمباح فى الصلاة مثل التنخع وغيره من الحظوظ النفسانية وزيادة الخشوع فى الصلاة لاجل الغير رياء ودفع الزكاة الى الوالدين والمولودين وعبيده وامائه بنا فى القربة ولذا نهى عنه فالاخلاص فى العبودية تجريد السر عماسوى الله تعالى وقال بعضهم الاخلاص ان لايطلع على عملك الا الله ولاترى نفسك فيه وتعلم ان المنة لله عليك فى ذلك حيث اهلك لعبادته ووفقك لها ولاتطلب من الله اجرا وعوضا (حنفاء) حال اخرى قول من جوز حالين من ذى حال واحد ومن المنوى فى مخلصين على قول من لم يجوز ذلك اى مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام وهو فى المعنى تأكيد للاخلاص اذ هو الميل عن الاعتقاد الفاسد واكبره اعتقاد الشركة واصل الحنف الميل وانقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هوالذى يمشى على ظهر قدميه فى شقها الذى يلى خنصرها ويجئ الحنف بمعنى الاستقامة فمعنى حنفاء مستقيمين فعلى هذا انما سمى مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للاعمى بصير وللحبشى كافور وللطاعون مبارك وللمهلكة مفازة قال ابن جبير لايسمى احد حنيفا حتى يحج ويختن لان الله وصف ابراهيم عليه السلام بكونه حنيفا وكان شانه انه حج وختن نفسه (ويقيموا الصلاة) التى هى العمدة فى باب العبادات البدنية (ويؤتوا الزكاة) التى هى الاساس فى العبادات المالية قال فى الارشاد ان اريد بهما مافى شريعتهم من الصلاة

والزكاة فالامر ظاهر وان اريد ما فى شريعتنا فمعنى امرهم بهما فى الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التى هما من جملتها (وذلك) اى ماذكر من عبادة الله بالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة (دين القيمة) اى دين الملة القيمة قدر الموصوف لئلا يلزم اضافة الشئ الى صفته فانها اضافة الشئ الى صفته وصحة اضافة الدين الى الملة باعتبار التغاير الاعتبارى بينهما فان الشريعة المبلغة الى الامة بتبليغ الرسول اياها من قبل الله تسمى ملة باعتبار انها تكتب وتملى ودينا باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اى اطاعه وقال بعضهم اضافة الدين الى القيمة اضافة العام الى الخاص كشجر الاراك ولا حاجة الى تقدير الملة فان القيمة عبارة عن الملة كما يشهد له قراءة ابى رضى الله عنه وذلك الدين القيم انتهى (وقال الكاشفى) دين القيمة يعنى دين وملت درست است وپاينده يعنى اضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين والعرب تضيف الشئ الى نعته كثيرا ونجد هذا فى القرآن فى مواضع منها قوله ولدار الآخرة وقال فى موضع وللدار الآخرة لان الدار هى الآخرة وقال عذاب الحريق اى المحرق كالاليم بمعنى المؤلم وتقول دخلت مسجد الجامع ومسجد الحرام وادخلك الله جنة الفردوس هذا وامثاله وانث القيمة لان الآيات هائية فرد الدين الى الملة كما فى كشف الاسرار والقيمة بمعنى المستقيمة التى لا عوج فيها وقال الراغب القيمة هنا اسم الامة القائمة بالقسط المشار اليهم بقوله كنتم خير امة قال ابن الشيخ بعض اهل الاديان لما بالغوا فى باب الاعمال من غير احكام الاصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فانهم ربما اتعبوا انفسهم فى الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين الحق بتحصيل الاعتقاد المطابق وبعضهم حصلوا الاصول واهملوا الفروع وهم المرجئة الذين يقولون لا تضر المعصية مع الايمان فالله تعالى خطأ الفريقين فى هذه الآية وبين انه لابد من العلم والاخلاص فى قوله مخلصين ومن العمل فى قوله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ثم قال وذلك المجموع كله هو دين الملة المستقيمة المعتدلة فكما ان مجموع الاعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم) بيان لحالهم الاخروى بعد بيان حالهم الدنيوى وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة فى الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لامحالة اوانهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصى عين النار الا انها ظهرت فى هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها فى النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية (خالدين فيها) حاله من المستكن فى الخبر واشتراك الفريقين فى دخول دار العذاب بطريق الخلود لاجل كفرهم لاينا فى تفاوت عذابهم فى الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان فالمشركون كانوا ينكرون الصانع والنبوة والقيامة واهل الكتاب نبوة محمد عليه السلام فقط فكان كفرهم اخف من كفر المشركين لكنهم اشتركوا فى اعظم الجنايات التى هى الكفر فاستحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود ولما كفروا طلبا للرفعة صاروا الى اسفل السافلين فان جهنم نار فى موضع عميق مظلم هائل يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر واشتراكهم فى هذا الجنس من العذاب لايوجب اشتراكهم فى نوعه (اولئك) البعداء المذكورون (هم شر البرية) البرية جميع الخلق لان الله برأهم اى اوجدهم بعد العدم والمعنى شر الخليقة اى اعمالا وهو الموافق لما سيأتى فى حق المؤمنين فيكون فى حيز التعليل لخلودهم فى النار اوشرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وتوسيط ضمير الفصل لافادة الحصر اى هم شر البرية دون غيرهم كيف لاوهم شر من السراق لانهم سرقوا من كتاب الله نعوت محمد عليه السلام وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا الدين الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون اقبح من كفر الجهال وظهر منه ان وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد كل احد ومن تاب منهم واسلم خرج من الوعيد وقيل لايجوز ان يدخل فى الآية ماضى من الكفار لان فرعون كان شرا منهم واما الآية الثانية الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن تقدم وتأخر لانهم افضل الامم والبرية مخففة من المهموز من برأ بمعنى خلق فهو البارئ اى الموجد والمخترع من العدم الى الوجود وقد قرأ نافع وابن ذكوان على الاصل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يفهم من مقابلة الجمع بالجمع انه لايكلف الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ فحظ الغنى الاعطاء

وحظ الفقير الاخذ والصبر والقناعة (اولئك) المنعوتون بما هو فى الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة (هم خير البرية) استدل بالآية على ان البشر افضل من الملك لظهور ان المراد بقوله ان الذين آمنوا هو البشر والبرية يشمل الملك والجن سئل الحسن رحمه الله عن قوله اولئك هم خير البرية اهم خير من الملائكة قال ويلك وانى تعادل الملائكة الذين آمنوا وعملوا الصالحات * ملا ئك را چه سود از حسن طاعت * چو فيض عشق بر آدم فرو ريخت (جزآؤهم) بمقابلة مالهم من الايمان والطاعات وهو مبتدأ (عند ربهم)ظرف للجزآء(جنات عدن) اى دخول جنان عدن وهوخبر للمبتدأ والعدن الاقامة والدوام وقال ابن مسعود رضى الله عنه عدن بطنان الجنة اى وسطها (تجرى من تحتها الانهار) ميرود ازير اشجار آن جويها چه بسنان بى آب روان نشايد وفى الارشاد ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وايا ما كان فالمراد جريانها بغير اخدود وجمع جنات يدل على ان للمكلف جنات كما يدل عليه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات والسبب فيه انه بكى من خوف الله تعالى وذلك البكاء انما نزل من اربعة اجفان اثنان دون اثنين فاستحق به جنتين دون جنتين فحصل له اربع جنان لبكائه باربعة اجفان وقيل انه تعالى قابل الجمع بالجمع فى قوله جزآؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضى مقابلة الفرد بالفرد فيكون لكل مكلف جنة واحدة لكن ادنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روى مرفوعا ويدل عليه قوله تعالى وملكا كبيرا اوالالف واللام فى الانهار للتعريف فتكون منصرفة الى الانهار المذكورة فى القرآن وهى نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر وفى توصيفها بالجرى بعد ماجعل الجنات الموصوفة جزآء اشارة الى مدحهم بالمواظبة على الطاعات كأنه تعالى يقول طاعتك كانت جارية مادمت حيا على ماقال واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فلذلك كانت انهار كرمى جارية الى الابد (خالدين فيها ابدا) متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وهوحال وذوالحال وعامله كلاهما مضمر ان يدل عليه جزآؤهم والتقدير يجزون بها خالدين فيها وقوله ابدا ظرف زمان وهو تأكيد للخلود اى لايموتون فيها ولايخرجون منها (رضى الله عنهم) استئناف مبين لما يتفضل به عليهم زيادة على ماذكر من اجزية اعمالهم اى استئناف اخبار كأنه قيل تزاد لهم اواستئناف دعاء من ربهم فلذا فصل وقد يجعل خبرا بعد خبر وحالا بتقدير قد قال ابن الشيخ لما كان المكلف مخلوقا من جسد وروح وانه اجتهدبهما فى طاعة ربه اقتضت الحكمة ان يجزيه بما يتنعم ويستريح به كل واحد منهما فجنة الجسد هى الجنة الموصوفة وجنة الروح هى رضى الرب (مصراع) چبست جنت روح را رضوان اكبر ازخدا (ورضوا عنه) حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وابيح لهم مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر لاسيما انهم اعطوا لقاء الرب الذى هو المقصد الاقصى * دارند هركس ازتو مرادى ومطلبى * مقصود مازدينى وعقبى لقاى تست (ذلك) المذكور من الجزآء والرضوان وقال بعضهم الاظهر انه اشارة الى ماترتب عليه الجزآء والرضوان من الايمان والعمل الصالح (لمن خشى ربه) براى آنكس كه بترسد از عقوبت پروردكار خود و بموجبات ثواب اشتغال نمايد وذلك الخشية التى هى من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى منا ط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية وعن انس رضى الله عنه قال عليه السلام لابى بن كعب رضى الله عنه ان الله امرنى ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا الخ قال اوسمانى لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم فذرفت عيناه اى سال دمع عينيه ومن السنة ان يستمع القرآن فى بعض الاوقات من غيره فانه قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال لى رسول الله عليه السلام وهو على المنبر اقرأ على قلت اقرأ عليك وعليك انزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى فقرأت سورة النساء حتى اتيت هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان اى تقطران وكان عمر رضى الله عنه يقول لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ حتى يكاد وقت الصلاة يتوسط فيقول

يا امير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول انا فى الصلاة وفى الحديث من استمع آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة فظهران استماع القرآن من الغير فى بعض الاحيان من السنن واما انه هل يفرض استماعه كلما قرئ بناء على قوله تعالى فاذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون فى الصلاة نعم واما خارجها فعامة العلماء على استحبابها كما فى شرح شرعة الاسلام للشيخ قورد افندى رحمه الله

تمت سورة القيمة بعون جاعل الانسان منتصب القامة فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر المنتظم فى سلك شهور سنة سبع عشرة ومائة والف من هجرة من يرى من قدام وخلف

* (سورة الزلزلة مكية اومدنية وآيها تسع اوثمان) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(اذا) چون (زلزلت الارض) اى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا فان تكرر حروف لفظه ينبئ عن تكرر معنى الزلزال (زلزالها) اى الزلزال المخصوص بها الذى تستوجبه فى الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذى لاغاية ورآءه وهو معنى زلزالها بالاضافة العهدية يقال زلزله زلزلة وزلزالا مثلثة حركه كما فى القاموس وقال اهل التفسير الزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لايوجد الا فى المضاعف كالصلصال ونحوه (واخرجت الارض اثقالها) اختيار الواو على الفاء مع ان الاخراج متسبب عن الزلزال للتفويض الى ذهن السامع واظهار الارض فى موضع الاضمار لأن اخراج الاثقال حال بعض اجزآئها والاثقال كنوز الارض وموتاها جمع ثقل بالكسر واما ثقل محركة متاع المسافر وحشمه على ما فى القاموس والمعنى واخرجت الارض ما فى جوفها من دفائنها وكنوزها كما عند زلزال النفخة الاولى الذى هو من اشراط الساعة وكذا من اموالها عند زلزال النفخة الثانية وفى الخبر تقيئ الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوانة من الذهب فيجيئ القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجيئ القاطع رحمه فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجيئ السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ قوله افلاذ كبدها اراد انها تخرج الكنوز المدفونة فيها وقيئها اخراجها ويدخل فى الاثقال الثقلان وفيه اشارة الى ان الجن تدفن ايضا (وقال الانسان) اى كل فرد من افراده لما يغشاهم من الاهوال ويلحق بهم من فرط الدهشة وكمال الحيرة (مالها) اى شئ للارض زلزلت هذه المرة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهده من الامر الهائل وتعجبا لما يرونه من العجائب التى لم تسمع بها الآذان ولا ينطق بها اللسان لكن المؤمن يقول بعد الافاقة هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون والكافر من بعثنا من مرقدنا (يومئذ) بدل من اذا (تحدث اخبارها) عامل فيهما وهو جواب الشرط وهذا على القول بان العامل فى اذا الشرطية جوابها واخبارها مفعول لتحدث والاول محذوف لعدم تعلق الغرض بذكره اذ الكلام مسوق لبيان تهويل اليوم وان الجمادات تنطق فيه واما ماذكر ابن الحاجب من ان حدث وانبأ ونبأ لايتعدى الا الى مفعول واحد فغير مسلم الصحة على ما فصل فى محله والمعنى تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها وان هذا ماكانت الانبياء ينذرونه ويخوفون منه واما بلسان المقال وهو قول الجمهور حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل على ظهرها من خير وشر حتى يود الكافر انه سيق الى النار مما يرى من الفضوح (روى) ان عبد الرحمن بن صعصعة كان يتيما فى حجر ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فقال ابو سعيد يا بنى اذا كنت فى البوادى فارفع صوتك بالاذان فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايسمعه جن ولا انس ولا حجر ولا شجر الا شهد له وروى ان ابا امية صلى فى المسجد الحرام المكتوبة ثم تقدم فجعل يصلى ههنا وههنا فلما فرغ قيل له يا ابا امية ماهذا الذى تصنع قال قرأت هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها فاردت ان يشهد لى يوم القيامة فطوبى لمن شهد له المكان بالذكر والتلاوة والصلاة ونحوها وويل لمن شهد عليه بالزنى والشرب والسرقة والمساوى ويقال ان لله عليك سبعة شهود المكان كما قال تعالى يومئذ تحدث اخبارها والزمان كما فى الخبر ينادى كل يوم انا يوم جديد وانا على ما تعمل فى شهيد واللسان كما قال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم والاركان كما قال تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم والملكان كما قال تعالى وان عليكم لحافظين والديوان كما قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم

بالحق والرحمن كما قال انا كنا عليكم شهودا فكيف يكون حالك ياعاصى بعدماشهد عليك هؤلاء الشهود (بان ربك اوحى لها) اى تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث بلسان المقال على ماعليه الجمهور او بسبب ان احدث فيها احوالا دالة على الاخبار كما اذا كان التحديث بلسان الحال وفيه اشارة الى زلزلة ارض البدن عندنزع الروح الانسانى باضطراب الروح الحيوانى والقوى والى اخراجها متاعها التى هى به ذات قدرمن القوى والارواح وهيئات الاعمال والاعتقادات الراسخة فى القلب وقال الانسان مالها زلزلت واضطربت ماطبها ومادأوها الانحراف المزاج ام لغلبة الاخلاط يومئذ تحدث اخبارها بلسان حالها بان ربك اشار اليها وامرها بالاضطراب والخراب واخراج الاثقال عند ذهوق الروح وتحقق الموت (يومئذ) اى يوم اذيقع ماذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب وانتصب يومئذ بيصدر والصدر يكون عن ورود اى هورجوع وانصراف بعد الورود والمجئ فقال الجمهورهو كونهم مدفونين فى الارض و الصدر رقيا مهم للبعث والصدر والصدور بالفارسية بازكشتن يعنى الصدر بسكون الدال الرجوع والاسم بالتحريك ومنه طواف الصدروهوطواف الوداع (اشتاتا) يقال جاؤا اشتاتا اى متفرقين فى النظام واحدهم شت بالفتح اى متفرق ونصب على الحال اى حال كونهم متفرقين بيض الوجوه والثياب آمنين ينادى المنادى بين يديه هذا ولى الله وسود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والاغلال فزعين والمنادى ينادى بين يديه هذا عدوالله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان جبرائيل عليه السلام جاء الى النبى عليه السلام يوما فقال يامحمد ان ربك يقرأك السلام وهو يقول مالى اراك مغموما حزينا وهواعلم به فقال عليه السلام ياجبرائيل قدطال تفكرى فى امرامتى يوم القيامة قال يامحمد فى امراهل الكفر ام فى امراهل الاسلام قال ياجبرائيل لا بل فى امراهل لااله الاالله قال فأخذ بيده حتى اقامه على مقبرة بنى سلمة فضرب بجناحه الايمن على قبرميت فقال قم باذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لااله الاالله محمد رسول الله الحمدالله رب العالمين فقال له جبرائيل عد فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الايسر على قبرميت فقال قم باذن الله فخرج رجل مسود الوجه ازرق العين وهو يقول واحسراه واندامتاه واسوأتاه فقال له جبريل عد فعاد كما كان ثم قال جبرائيل هكذا يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه (ليروا) اللام متعلقة بيصدر (اعمالهم) اى جزاء اعمالهم خيرا كان اوشرا والافنفس الاعمال لايتعلق بها الرؤية البصرية اذالرؤية هنا ليست علمية لان قوله فمن يعمل الخ تفصيل ليروا والرؤية فيه بصرية لتعديتها الى مفعول واحد اللهم الا ان يجعل لهاصور نورانية اوظلمانية اويتعلق الرؤية بكتبها كما سيجئ (فمن) پس هركه (يعمل مثقال ذرة خيرايره ومن يعمل مثقال ذرة شرايره) تفصيل ليروا والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة اومايرى فى شعاع الشمس من الهباء وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا وضعت راحتك اى يدك على الارض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وقال يحيى بن عمار حبة الشعيرأربع ارزات والارزة اربع سمسمات والسمسمة اربع خردلات والخردلة اربعة اوراق نخالة وورق النخالة ذرة ومعنى رؤية ما يعادل الذرة من خير وشر امامشاهدة اجزيته فمن الاولى مختصة بالسعداء والمخصص قوله اشتاتا اى فمن يعمل من السعداء مثقال ذرة خيرايره والثانية بالاشقياء بقرينة اشتاتا ايضا اى ومن يعمل من الاشقياء مثقال ذرة شرايره وذلك لان حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وماقيل من ان حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب فقد ورد أن حاتما الطائى يخفف الله عنه لكرمه وورد مثله فى ابى طالب وغيره يرده قوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله عليه السلام فى حق عبدالله بن جدعان لاينفعه لانه لم يقل يوما رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين وذلك حين قالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم و يطعم المسكين فهل ذلك نافعه وقوله عليه السلام فى حق ابى طالب ولولا انا كان فى الدرك الاسفل من النار فتلك الشفاعة مختصة به واماحسنات الكفار فمقبولة بعد اسلامهم واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبرمعه الجزاء ولاعدمه بل يفوض كل منهما الى سائرالدلائل الناطقة بعفوصغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته و بحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا اوشرا الا اراه الله اياه اما المؤمن

فيغفرله سيئاته و يثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته تحسيرا له وفى تفسير البقاعى الكافر يوقف على ماعمله من خير على انه جوزى به فى الدنيا وانه احبط لبنائه على غير اساس الايمان فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه و يقوى حزنه واسفه والمؤمن يراه ليشتد سروره به وفى جانب الشر يراه المؤمن و يعلم انه قد غفر له فيكمل فرحه والكافر يراه فيشتد حزنه وترحه وفى التأويلات النجمية ليروا اعمالهم المكتسبة بيدى الاستعدادات الفاعلية العلمية والقابلية العملية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فى الصورة الجزائية لتصور الاعمال بصور تناسبها نورانية كانت اوظلمانية ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره متجسدا فى يوم القيامة فى جسد السباع بحسب القوة الغضبية وفى جسد البهائم بحسب القوة البهيمية وكلما ازدادت الصور الحسنة المتنوعة ازدادت البهجة والسرور كما انه كلما ازدادت الصور القبيحة المختلفة ازداد العبوس والالم وفيه رمز الى انه لا يلزم من مجرد الرؤية المجازاة كما فى حق المؤمن وذلك من فضل الله تعالى على من يشاء من عباده وفى التناسير نزلت الآية ترغيبا فى الخير ولو كان قليلا كتمرة وعنبة وكسرة وجوزة ونحوها فانه يوشك ان يكثر اذا كان بنية خالصة وتحذيرا من الشر وان كان قليلا كخيانة ذرة فى الميزان وكنظرة وخطوة وكذبة فانه يوشك ان يكون كثيرا عظيما للجراءة على الله عظيم وكان الناس فى بدء الانسان يرون ان الله لا يؤاخذهم بالصغائر من الذنوب وكان بعضهم يستحيى من صدقة الشئ اليسير ويظن انه ليس له اجر حتى نزلت الآية وفى الحديث اذا زلزلت تعدل ربع القرآن رواه ابن ابى شيبة مرفوعا فتكون قراءتها اربع مرات كقراءة القرآن كله وذلك لان الايمان بالبعث ربع الايمان فى قوله عليه السلام لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى الله بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وفى بعض الآثار ان سورة الزلزلة نصف القرآن وذلك لان احكام القرآن تنقسم الى احكام الدنيا واحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على احكام الآخرة كلها اجمالا وروى ان جد الفرزدق بن صعصعة بن ناجية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرئه يعنى كفت ازآنچه برتوفرود مى آيد برمن بخوان وفى كشف الاسرار صعصعة عم فرزدق پيش مصطفى آمد ومسلمان كشت وازرسول خدا درخواست تا ازقرآن چيزى بروى بخواند فقرأ عليه السلام عليه هذه الآية اى فمن يعمل الخ فقال حسبى حسبى واشوبى وشورى ازنهاد وى برآمد و بخانه افتاد وزار بكريست وهى احكم اية وسميت الجامعة وعن زيد بن اسلم رضى الله عنه ان رجلا جاء الى النبى عليه السلام فقال علمنى ماعملك الله فدفعه الى رجل يعلمه القرآن فعلمه اذا زلزلت الارض حتى بلغ فمن يعمل الخ قال الرجل حسبى فاخبر بذلك النبى عليه السلام فقال دعه فقد فقه الرجل چون كسى داند كه بر ذره وحبه محاسبه بايد كرد امر وز بحساب خود مشغول شود * حساب كار خود امروز كن كه فرصت هست * ز خير وشر بنكر تا چها ست حاصل تو * اگر بنقد نكوئى تو انكرى خوش باش * ورت بغير بدى نيست واى بردل تو *

تمت سورة الزلزلة فى رابع جمادى الاولى

* (سورة العاديات مختلف فيها وآيها احدى عشر بلا خلاف) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات) جمع عادية وهى الجارية بسرعة من العدو وهو بالفارسية دوندن وياؤها مقلوبة عن الواو لكسرة ماقبلها اقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو (ضبحا) مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اى تضبح ضبحا على تأويل العاديات بالجماعة وهو صوت انفاسها عند عدوها يعنى صوتا يسمع من افواه الفرس واجوافها اذا عدون وهو صوت غير الصهيل والحمحمة وهى صوت البرذون عند الشعير أو بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات ضبحا او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اى ضابحات (فالموريات قدحا) الايراء اخراج النار والقدح الضرب فان الخيل يضربن بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فيخرجن منها نارا يقال قدح الزند فاورى وقدح فاصلد اى صوت ولم يور فالقدح يتقدم على الايراء بخلاف الضبح حيث يتأخر و يتسبب عن العدو والمعنى تورى النار من حوافرها اذا سارت فى الارض ذات الحجارة فالقدح استعارة لضرب الحجارة بحوافرها واقتصاب قدحا

كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة اى تقدح قدحا اوفالقادحات قدحا اوقادحات (فالمغيرات) يقال اغار على القوم غارة واغارة دفع عليهم الخيل واغار الفرس اشتد عدوه فى الغارة وغيرها اسند الاغارة التى هى مباغتة العدو للنهب والقتل والاسر الى الخيل وهى حال اهلها ايذانا بانها العمدة فى اغارتهم (صبحا) نصب على الظرفية اى فى وقت الصبح و هو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا على حين غفلة ليروا مايأتون وما يذرون ومنه قولهم عند خوف الغارة ياصباحاه اى ياقوم احذروا من شر توجه الينا صباحا (فأثرن به) عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتى عدون فاورين فاغرن فأثرن به اى فهيجن فى ذلك الوقت واصله اثورن من الثور وهو الهيجان نقلت حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو الفا فصار اثارن فحذفت الالف لاجتماع الساكنين فبقى اثرن بوزان فلن و يجوز ان يجعل الضمير لفعل الاغارة فالباء للسببية اوللملابسة (نقعا) اى غبارا وبالفارسية پس دران وقت كرد انكيخته شد من نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار سمى نقعا لارتفاعه او هو من النقع فى الماء فكان صاحب الغبار خاض فيه كما يخوض الرجل فى الماء وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور ولايظهر ثورانه بالليل وبهذا يظهر أن الايراء الذى لايظهر فى النهار واقع فى الليل ولله در شأن التنزيل قال سعدى المفتى واثارة النقع لانهم يكونون حال الاغارة مختلفين يمينا وشمالا واماما وخلفا بحسب الكر والفر فى المجاولة اثر المدبر الهارب والمصاولة مع المقبل المحارب فينشأ الغبار الكثير (فوسطن به) اى توسطن فى ذلك الوقت فوسط بمعنى توسط والباء ظرفية والتوسط درميان چيزى شدن اوتوسطن ملتبسات بالنقع فالباء للملابسة (جمعا) من جموع الاعداء اى دخلن فى وسطهم وهو مفعول به لوسطن والفاآت للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ماقبلها فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو (ان الانسان لربه لكنود) جواب القسم يقال كند النعمة كنودا كفر بها فالكنود بالضم كفران النعمة وبالفتح الكفور ومنه سمى كندة بالكسر وهو لقب ثور بن عفير ابى حى من اليمن لانه كند ابوه النعمة ففارقه ولحق باخوال له وقال الكلبى الكنود بلسان كنده العاصى و بلسان بنى مالك البخيل و بلسان مضر وربيعة الكفور والمراد بالانسان بعض افراده اى انه لنعمة ربه خصوصا لكفور اى شديد الكفران فقوله لربه متعلق بكنود قدم عليه لافادة التخصيص ومراعاة الفواصل روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث الى ناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى رضى الله عنه وكان احد النقباء فابطأ عليه صلى الله عليه وسلم خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبى عليه السلام بسلامتها و بشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين فى حقهم ماهم فيه من الكنود فاللام فى العاديات ان كانت للعهد كان المقسم به خيل تلك السرية وان كانت للجنس كان ذلك قسما بكل خيل عدت فى سبيل الله واتصفت بالصفات المذكورة وعلى التقديرين فهى مستحقة لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة و فى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة مالا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء فى حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون فى الكفران واذا كان شرف خيل الغزاة بهذه المرتبة حتى اقسم الله بها فما ظنك بشرف الغزاة وفضلهم عند الله تعالى وعنه عليه السلام الكنود هو الذى يضرب عبده و يأكل وحده و يمنع رفده اى اعطاءه فيكون بخيلا يقال كان ثلاثة نفر من العرب فى عصر واحد احدهم آية فى السخاء وهو حاتم الطائى والثانى آية فى البخل وهو ابو جباب و بخله انه كان لايوقد النار للخبز الا اذا نام الناس فاذا انتبهوا اطفأ ناره لئلا ينتفع بها احد والثالث آية فى الطمع وهو اشعب بن جبير مولى مصعب بن زبير بن العوام فرأصبى فى المكتب وعنده اشعب جالس ان ابى يدعوك فقام ولبس نعليه فقال الصبى انا اقرأ حربى وكان اذا رأى انسانا يحك عنقه يظن أنه ينتزع قميصه ليدفعه اليه وكان اذا رأى دخانا ارتفع من دار ظن ان اهلها تأتى بطعام وكان اذا رأى عروسا تزف الى موضع جعل يكنس باب داره لكى تدخل داره قال مارأيت اطمع منى الاكلبا يعنى على مضغ العلك فرسخا وقال الحسن لكنود اى لوام لربه يذكر المصيبات وينسى النعم وقال ابو عبيدة قليل الخير من الارض الكنود التى لا تنبت شيأ كانه مقلوب النكد وقال القاشانى للكفور لربه باحتجابه بنعمه عنه ووقوفه معها وعدم استعماله لها فيما ينبغى ليتوصل بها اليه و فى التأويلات النجمية لكنود بنعمه الوجود والصفات والاسماء لادعائها لنفسه

بالاستقلال والاستبداد اولعاص باستعمالها فى غير محالها اوللبخيل لاختصاصها لنفسه وعدم ايثارها على الخلق بطريق الارشاد (وانه على ذلك) اى وان الانسان على كنوده (لشهيد) اى يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه فالشهادة بلسان الحال لا بلسان المقال و يحتمل ان يجعل من الشهود بمعنى انه لكفور مع علمه بكفر انه والعمل السيئ مع العلم به غاية المذمة (وانه لحب الخير) اى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا وايثار الدنيا وطلبها وفى الاسئلة المفحمة فان قلت سمى الله جنس المال خيرا وعسى ان يكون خبيثا وحراما قلت انما سماه خيرا جريا على العادة فانهم كانوا يعدون المال خيرا فسماه الله خيرا جريا على عادتهم كما سمى الجهاد سوأ فقال لم يمسسهم سوء اى قتال والقتال ليس بسوء ولكن ذكره جريا على عادتهم (لشديد) اى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله منهالك عليه وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا اوالشديد البخيل الممسك يعنى وانه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم و يحوزون من الغنائم نصيبا شيخ الاسلام قدس سره فرموده كه اكر مال رادوست ميدارى بدست اباز بتودهند ودراى وارث منه كه داغ حسرت بردل تونهند * مال همان به كه بياران دهى * كربدهى به كه بخاكش نهى * زرزبى منفعت است اى حكيم * بهر نهادن چه سفال وچه سيم (افلا يعلم) اى اينفعل ما يفعل من القبائح او الايلاحظ فلا يعلم فى الدنيا ان الله مجازيه (اذا بعثر) بعث واخرج وقد سبق فى الانفطار فتناصب اذا محذوف فهو مفعول يعلم لا يعلم لان الانسان لا يراد منه العلم فى ذلك الوقت وانما يراد منه ذلك فى الدنيا (ما فى القبور) من الموتى واريد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل عن مرتبة العقلاء (وحصل) اى جمع فى الصحف اى اظهر محصلا مجموعا واصل التحصيل اخراج المستور باخر المغمور فيه واخذه منه كاخراج اللب من القشر واخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن والدهن من اللبن ومن الدردى والجمع والاظهار من لوازمه و يجوز ان يكون المعنى ميز خيره من شره ومنه قيل للمنخل المحصل اى الة التحصيل وتمييز الدقيق من النخالة فانه لا بد من التميز بين الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحظور فان لكل واحد حكما على حدة فتميز البعض من البعض وتخصيص كل واحد منها بحكمه اللايق هو التحصيل وفى القاموس التحصيل تميز ما يحصل والحاصل من كل شئ ما بقى وثبت وذهب ما سواه (ما فى الصدور) من الاسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الاعمال الجلية فتخصيص اعمال القلب لانه لولا البواعث والارادات فى القلوب لما حصلت افعال الجوارح فالقلب اصل واعمال الجوارح تابعة له ولذا قال تعالى آثم قلبه وقال عليه السلام يبعثون على نياتهم (ان ربهم) اى المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين فحين كانوا فى القبور كانوا كالجمادات بلا عقل ولا علم وان كان لهم نوع حياة فيها بخلاف وقت الحشر (بهم) بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) اى يوم اذ يكون ما ذكر من بعثرة ما فى القبور وتحصيل ما فى الصدور (لخبير) اى عالم بظواهره وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون قوله بهم و يومئذ متعلقان بخبير قدما عليه مراعاة للفواصل واللام غير مانعة من ذلك

* (سورة القارعة مكية وايها عشر اواحدى عشرة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة والمراد بها ههنا القيامة التى مبدأها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلايق سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتشار والارض والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله (ما القارعة) على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ اى واى شئ عجيب هى فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل

(وما ادراك ما القارعة) ما فى حيز الرفع على الابتداء وادراك هو الخبر اى واى شئ اعلمك ماشان القارعة فان عظم شانها بحيث لاتكاد تنله دراية احد حتى يدرك بها ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله (يوم يكون الناس) اى هى يوم يكون الناس على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا على ماهو رأى الكوفيين واذكر يوم الخ فانه يدريك ماهى (كالفراش المبثوث) جمع فراشة وهى التى تطير وتتهافت على السراج فتحترق و بالفارسية پروانه والمبثوث المفرق وبه شبه فراشة الفضل وهو ماينشب فيه والمبثوث بالفارسية پراكنده والمعنى كالفراش المفرق فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعى كتطاير الفراش الى النار قال جرير

ان الفرزدق ماعلمت وقومه * مثل الفراش عشين نار المصطلى

وهذا يدل على كثرة الفراش

واو فى بعض المواضع فسقط ماقال سعدى المفتى فيه ان الفراش لايعرف بالكثرة بحيث يصلح ان يكون مشبها به لاهل المحشر فيها الان يفسر بصغار الجراد اى كالجراد المنتشر حين ارادة الطيران كما قال تعالى كانهم جراد منتشر وفيه ان الفراش لم يفسر فى اللغات بصغار الجراد وقال ابن الشيخ شبه الله الخلق وقت البعث فى هذه الآية بالفراش المبثوث وفى الآية الاخرى بالجراد المنتشر وجه التشبيه بالجراد هو الكثرة والاضطراب وبالفراش المبثوث اختلاف جهات حركاتهم فانهم اذا بعثوا فرقا فيذهب كل واحد منهم الى جهة غير جهة الاخر كالفراش فانها اذا طارت لاتتجه الى جهة واحدة بل تختلف جهاتها انتهى وفيه اشارة لى ان السالك الفانى يكون فى الشهود الاحدى فى الذلة وتفرق الوجهة كالفراش واحقر واذل لانه لاقدر ولا وقع له فى عين الموحد (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) العهن الصوف المصبوغ الوانا والنفش نشر الشعر والصوف والقطن بالاصبع وخلخلة الاجزاء وتفريقها عن تراصها قال السجاوندى شد خفتها بعد رزانتها بالصوف وتلوينها بالمصبوغ ومرها بالمندوف واختصاص العهن لالوان الجبال كما قال تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود والمعنى وتكون الجبال كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف فى تفرق اجزآئها وتطايرها فى الجو وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق يبدل الله الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ماذكر من الهيئات الهائلة لبشاهدها اهل المحشر وهى واراد كت عند النفخة الاولى ولكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية (فاما من ثقلت موازينه) جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله اجمع ميزان وثقلها رجحانها لان الحق ثقيل والباطل خفيف والجمع للتعظيم اولان لكل مكلف ميزانا اولاختلاف الموزونات وكثرتها قال ابن عباس رضى الله عنهما انه ميزان له لسان وكفتان لايوزن فيه الا الاعمال ليبين الله امر العباد بما عهدوه فيما بينهم قالوا توضع فيه صحف الاعمال اظهارا للعدالة وقطعا للمعذرة اوتبرز الاعمال العرضية بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح يعنى يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور سيئة فتوضع فى الميزان اى فمن رجحت مقادير حسناته (فهو فى عيشة راضية) من قبيل الاسناد الى السبب لان العيش سبب الرضى من منعم العيش وقال بعضهم راضية اى راض صاحبها عنها وبالفارسية درزندكانى باشد پسنديده وقد سبق فى الحاقة وفى التأويلات النجمية فاما من ثقلت له موزونات الاوصاف الالهية والاخلاق اللاهوتية فهو فى راحة واستراحة من نتج تلك الاوصاف والاخلاق (واما من خفت موازينه) بان لم يكن له حسنة يعتد بها اورجحت سيئاته على حسناته وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار (فامه) اى مأواه (هاوية) هى من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها و بعد مهواها روى ان اهل النار يهوى فيها سبعين خريفا (وقال الكاشفى) وآن دركه باشد زير ترين همه دركها وعبر عن المأوى بالام لأن اهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى امه وفيه تهكم به اولانها تحيط به احاطة رحم الام بالولد اولان الام هى الاصل والكافر خلق من النار وكل شئ يرجع الى اصله وهو الاغلب وفى الكشاف من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اى سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا فكأنه قيل فقد هلك وعن قتادة فام رأسه هاوية فى جهنم لانه يطرح فيها منكوسا وام الرأس الدماغ

او الجلدة الرقيقة التي عليها وفي التأويلات النجمية واما من خفت موازينه بالاخلاق السيئة والاوصاف القبيحة الخبيثة فاصله المجبول عليه هاوية الحجاب من الازل الى الابد وهي نار حامية بنار الجهل والعمى وحطب النفس والهوى ونفخ الشيطان والدنيا وفي لفظ الثقل والخفة اشارة الى ان السعداء والاشقياء مشتركون في فعل السيئة وان كانت في الفريق الاول مرجوحة قليلة وفي الثاني راجحة كثيرة ولا يرتفع هذا الابتلاء ولذا قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه ياعلي اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة وذلك لما انه مقتضى الاسم الغفور اعلم ان ميزان الحق بخلاف ميزان الخلق اذ صعود الموزونات وارتفاعها فيه هو الثقل وهبوطها وانحطاطها هو الخفة لان ميزانه تعالى هو العدل والموزونات الثقيلة اى المعتبرة الراجحة عند الله التي لها قدر ووزن عنده هي الباقيات الصالحات والخفيفة التي لا اعتبار لها عند الله هي الفانيات الفاسدات من اللذات الحسية والشهوات وفي الهاوية اشارة الى هاوية الطبيعة الجسمانية التي يهوى فيها اهلها وفي الحقيقة الموزونات هي الاستعدادات الغيبية القابليات العلمية الازلية المسواة كفتاها بكف اليد اليمنى وبكف اليد اليسرى (وما ادراك ماهيه) وچه چيزى دانا كرد ترا كه چيست هاويه فهي للهاوية والهاء للسكت والاستراحة والوقف واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقها ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجمع اثباتها مع الوصل قال ابو الليث قرأ حمزة والكسائي بغير هاء في الوصل وبالهاء عند الوقف والباقون باثباتها في الوصل والوقف وقد سبق مفصلا في الحاقة وفيه اشعار بخروجها عن الحدود المعهودة فلا يدريها احد ثم اعلمها بقوله (نار حامية) متناهية في الحر وبالفارسية آتشى بغايت رسيده درسوزش يقال حمى الشمس والنار حميا وحميا وحموا اشتد حرهما وقد سبق

* (سورة التكاثر مختلف فيها وهي ثمان آيات) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ألهاكم التكاثر) اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه ويهمه ويقال لهوت بكذا ولهوت عن كذا اى اشتغلت عنه بلهو ويعبر به عن كل ما به استمتاع ويقال الهى عن كذا اى شغل عما هو اهم والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء نحن اكثر والمعنى شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها وبالفارسية مشغول كرد شمارا فخر كردن به بسيارى قوم قال ابن الشيخ الالهاء الصرف الى اللهو والعبث والتكاثر اذا صرف العبد الى اللهو يكون العبد منصرفا اليه ومعلوم ان الانصراف الى الشئ يقتضي الاعراض عن غيره فتفسير ألهاكم كذا بشغلكم تفسيره بما يلزم اصل معناه الا انه صار حقيقة عرفية فيه بالغلبة وحذف الملهى عنه اى الذى الهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة اما الاول فلان الحذف كالتنكير قد يجعل ذريعة الى التعظيم لاشتراكهما في الابهام واما الثاني فلان تذهب النفس كل مذهب ممكن فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام مثل الهاكم التكاثر عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات مما يتعلق بالقلب كالعلم والتفكر والاعتبار او بالجوارح كأنواع الطاعات وتعريف التكاثر للعهد والعهد المذموم هو التكاثر في الامور الدنيوية الفانية كالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء واما التفاخر بالامور الاخروية الباقية فممدوح كالتفاخر بالعلم والعمل والاخلاق والصحة والقوة والغنى والجمال وحسن الصوت اذا كان بطريق تحديث النعمة ومن ذلك تفاخر العباس رضي الله عنه بان السقاية بيده وتفاخر شيبة بان مفتاح البيت بيده الى ان قال علي رضي الله عنه وانا قطعت خرطوم الكفر بسيفي فصار الكفر مثلة والتكاثر مكاثرة اثنين مالا او عددا بان يقول كل منهما لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا والمراد هنا هو التكاثر في العدد لانه روى ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسعادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف اي غلبهم بالكثرة فقال بنو اسهم ان البغي افتانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات (قال الكاشفي) بكورستان رفتند وكورها برشمردند كه اين قبر فلان واين قبر فلان قبور اشراف قبيله خود شمردند * فكثرهم بنو اسهم يعني سه خاندان بني سهم زياده آمدند بني عبد مناف برين نسق بريكديگر تطاول نمودند وتفاخر كردند والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء (حتى زرتم المقابر) اى حتى استوعبتم عددهم وصرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات وبالفارسية تا حدى آمديد

بگورستانها ومردگانرا شماره كرديد وعبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة القبور اى جعلت كناية عنه تهكما بهم قال الطيبى انما كان تهكما لان زيارة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا لمزيد القسوة والاستغراق فى حب الدنيا والتفاخر فى الكثرة وهذا خبر فيه تفريع وتوبيخ والغاية تدخل تحت المغيا فى هذا الوجه وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت والتكاثر هو التكاثر بالمال والولد كما روى انه عليه السلام سمع انه يقرأ هذه الآية ويقول بعدها يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما اكلت فأفنيت او لبست فأبليت او تصدقت فأمضيت وفيه اشارة الى انهم يبعثون فان الزائر منصرف لا مقيم وقرأها عمر بن عبد العزيز قال ما ارى المقابر الا زيارة ولا بد لمن زار ان يرجع الى بيته اما الى الجنة او الى النار وفيه تحذير عن الدنيا وترغيب فى الآخرة والاستعداد للموت * روزى كه اجل كند شبيخون * البته بباد از جهان رفت * كردل نبودا سير دنيا * آسان بره ان جهان توان رفت (كلا) ردع عما هم فيه من التكاثر اى ليس الامر كما يتوهم هؤلاء من ان فضل الانسان وسعادته بكثرة اعوانه وقبائله وامواله اى ارتدعوا عن هذا وتنبهوا من الخطا فيه وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة (سوف تعلمون) اى سوف تعلمون الخطأ فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هون المحشر فالعلم بمعنى المعرفة ولذا قدر له مفعول واحد وهو انذار وتخويف ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم قال الحسن رحمه الله لا يغرنك كثرة من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك (ثم كلا سوف تعلمون) تأكيد لتكرير الردع والانذار وفى ثم دلالة على ان الانذار الثانى ابلغ من الاول لان فيه تأكيدا خلا عنه الاول لان فيه تنزيلا لبعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعمالا للفظ ثم فى مجرد التدرج فى درج الارتقاء كما تقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل اوالاول عند الموت فى وقت ما يبشر به المحتضر من جنة او نار او فى القبر حين سؤال منكر ونكير من ربك ومادينك ومن نبيك والثانى عند النشور حين ينادى المنادى شقى فلان شقاوة لا سعادة بعدها وحين يقال وامتازوا اليوم ايها المجرمون فعلى هذا لا تكرير فى الاية لحصول التغاير بينهما بتغاير زمانى العلمين وبتعليقهما فانه يلقى فى كل واحد من الزمانين نوعا آخر من العذاب وثم على بابها من المهلة لتباعد ما بين الموت والنشور وكذا ما بين القبور والنشور وعن على رضى الله عنه ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت السورة الى قوله تعالى ثم كلا سوف تعلمون اى سوف تعلمون فى القبر ثم فى القيامة وفى الحديث يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلذعه حتى تقوم الساعة اوان تنينا منها نفخ فى الارض ما انبتت خضرا (كلا) تكرير للتنبيه تأكيدا (لو تعلمون علم اليقين) جواب لو محذوف للتهويل فانه اذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب ممكن والعلم مصدر اضيف الى مفعوله وانتصابه بنزع الخافض واليقين صفة لموصوف محذوف والمعنى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى لو علمتم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة فاليقين بمعنى المتيقن به كمال التيقن حتى كانه عين اليقين والا فيلزم اضافة احد المترادفين الى الآخر اذ العلم فى اللغة بمعنى اليقين وقد يجعل العلم من اضافة العام الى الخاص بناء على ان اليقين اخص من العلم فان العلم قد يعم الظن واليقين فتكون اضافته كاضافة بلد بغداد ويدل عليه قولهم العلم اليقين بالوصف (لترون الجحيم) جواب قسم مضمر اكد به الوعيد حيث ان ما اوعدوا به مما لا مدخل فيه للريب وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما ولا يجوز ان يكون جواب لو لان رؤية الجحيم محققة الوقوع وليست بمعلقة فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم لا ترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح وقال بعضهم يصح ان يكون جوابا فيكون المعنى سوف تعلمون الجزاء ثم قال لو تعلمون الجزاء علم اليقين الآن لترون الجحيم يعنى يكون الجحيم دائما فى نظركم لا يغيب عنكم اصلا (ثم لترونها) تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأوها من مكان بعيد ببعض خواصها واحوالها مثل رؤية لهبها ودخانها والثانية اذا اوردوها فان معاينة نفس الحفرة وما فيها من الحيوانات المؤذية وكيفية السقوط فيها اجلى واكشف من الرؤية الاولى فعلى هذا يتنازع الفعلان فى عين اليقين او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين

فان علم المشاهدة للمحسوسات اقصى مراتب اليقين فلا يرد ان اعلى اليقينيات الاوليات وانما قيد الرؤية بعين اليقين احترازا عن رؤية فيها غلط الحس فانتصاب عين اليقين على انه صفة لمصدر لترونها وجعل الرؤية التي هي سبب اليقين نفس اليقين مبالغة (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال في التيسير كلمة ثم للترتيب في الاخبار لا في الوجود فان السؤال بانك اشكرت في تلك النعمة ام كفرت يكون في موقف الحساب قبل دخول النار والمعنى ثم لتسألن يوم رؤية الجحيم وورودها عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فتعذبون على ترك الشكر فان الخطاب في لتسألن مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يهتم بالعلم والعمل ولا يحمل على نفسه مشاقهما فان من تمتع بنعمة الله وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمنزل بعيد واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اكل هو واصحابه تمرا وشربوا ماء فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا كما في الكشاف فدخلت في الآية كفار مكة ومن لحق بهم في وصفهم من فسقة المؤمنين وقيل الآية مخصوصة بالكفار وقال بعضهم المراد بالنعيم هو الصحة والفراغ وفي الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وفي هذا الحديث دلالة على عظم محل هاتين النعمتين وجلالة خطرهما وذلك لان بهما يستدرك مصالح الدنيا ويكتسب درجات الآخرة فان الصحة تنبئ عن اجتماع القوى الذاتية والفراغ يدل على انتظام الاسباب الخارجة المفصلة ولا قدرة على تمهيد مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة الا بهذين الامرين ثم سائر النعيم من بعد توابعهما وقد قال معاوية بن قرة شدة الحساب يوم القيامة على الصحيح الفارغ يقال له كيف اديت شكرهما وعن الحسن رحمه الله ما سوى كن بؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه يسأل عنه ويحاسب عليه وقال بعض السلف من اكل فسمى وفرغ فحمد لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام وقال رجل للحسن رحمه الله ان لنا جارا لا يأكل الفالوذج ويقول لا اقوم بشكره فقال ما اجهل جارك نعمة الله عليه بالماء البارد الاكثر من نعمته بجميع الحلاوى ولذلك قال عليه السلام اول ما يسأل العبد عنه من النعيم الم نصح جسمك ونروك من الماء البارد وفي عين المعاني عن النعم الخمس شبع البطون وبرد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقال ابن كعب النعيم ذات محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو الرحمة والنعمة بالآيتين وهما قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * وهمه را ازدعوت وملت واتباع سنت اوخواهند پرسيد * چه نعمتيست بزرك ازخدا كه بر ثقلين * سپاس داريم اين نعمت است قرض العين * يقول الفقير النعيم اما نعيم جسماني وشكره بمحافظة احكام الشريعة واما نعيم روحاني وشكره بمراعاة آداب الطريقة فانه كلما ازدادت المحافظة والمراعاة ازداد النعيم كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومامن عضو من الاعضاء وقوة من القوى الا وهي مطلوبة بنوع شكر ولذلك قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا على ان عالم الصفات والاسماء كلها عالم النعيم وفقنا الله واياكم لشكر النعيم انه هو البر الرحيم وفي الحديث الا يستطيع احدكم ان يقرأ الف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع ان يقرأ الف آية في كل يوم قال اما يستطيع احدكم ان يقرأ الهاكم التكاثر مرة على ما قال السيوطي رحمه الله في الاتقان ان القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية فاذا تركنا زيادة الآلاف كان الالف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن فانها على ما ذكره الغزالي رحمه الله ثلاثة مقاصد مهمة وثلاثة متممة واحد المقاصد المهمة معرفة الآخرة المشتمل عليها السورة والتعبير عن هذا المعنى بألف آية افهم واجل واصح من التعبير بالسدس انتهى يقول الفقير هذا منتقض بسورة الزلزلة فانها ايضا تشتمل على احكام الآخرة ومعرفتها وقد سبق انها تعدل نصف القرآن او ربعه والظاهر ان المراد بالالف التكثير لان اول السورة مما ينبئ عنه ومن الله التوفيق والارشاد

(سورة العصر ثلاث آيات مكية او مدنية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والعصر) اقسم سبحانه بصلاة العصر فانه كثيرا ما يطلق العصر ويراد صلاته وذلك لفضلها الباهر لكونها وسطى لتوسطها بين الشفع الذي هو صلاة الظهر وبين الوتر النهاري الذي هو صلاة المغرب فانها لما توسطت

بين الطرفين اتصفت بالوصفين وظهرت بالحكمين وتحققت بالكمالين كما هو حكم البرازخ فحصل لها من القدر مالم يكن لكل واحد من الطرفين وايضا ان اوقات اوائل الصلوات الاربع محدودة الا العصر يعنى ان اول صلاة العصر غير محدود بالحد الحقيقى ففيه سر التنزيه عن التقييد بالحدود ولذا شرع التكبير فى الصلاة لان الله تعالى منزه عن التقييد باوضاع الصلاة وحركات المصلى قال بعض الكبار صلاة العصر بركعاتها الاربع اشارة الى التعينات الاربعة الذاتية والاسمائية والصفاتية والافعالية فى مرتبة الجمال الكونى بالفعل كما ان الظهر اشارة اليها فى مرتبة الجمال الالهى بالفعل ولاشك ان الانسان كون جامع ففى العصر اشارة اليه وفى الحديث من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله اى نقص اى ليكن من فوتها حذرا كما يحذر من ذهاب اهله وماله وسر الوعيد ان التكليف فى ادآء صلاة العصر اشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم واشتغالهم بمعايشهم آخر النهار لبرد الهواء حينئذ لا سيما فى ارض الحجاز فالكسب الحاصل فى ذلك الوقت مع السهو عن الصلاة فى حكم الخسران وسبب للخذلان (حكى) ان امرأة كانت تصيح فى سكك المدينه وتقول دلونى على النبى عليه الصلاة والسلام فراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل لها ماذا حدث قالت يارسول الله ان زوجى غاب عنى فزنيت فجاءنى ولد من الزنى فألقيت الولد فى دن من الخل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لى من توبة فقال عليه السلام اما الزنى فعليك الرجم بسببه واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرة لكن ظننت انك تركت صلاة العصر ويقال ان الله تعالى اقسم بوقت العصر نفسه كما اقسم بالفجر فقد خلق فيه اصل البشر آدم عليه السلام فكان له شرف زائد على غيره ويقال اقسم بالعشى الذى هو مابين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى لما فيها جميعا من دلائل القدرة ويقال اقسم بعصر النبوة الذى مقداره فيما مضى من الزمان مقدار وقت العصر من النهار وهو زمان يمتد الى انقراض امته فى آخر الزمان وهو ألف سنة كما قال عليه السلام ان استقامت امتى فلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم وفضل هذا العصر على سائر الاعصار ظاهر لانه عصر خير الانبياء والمرسلين وعصر خير الامم وخير الكتب الالهية وفيه ظهر تمام الكمالات تفصيلا ويقال اقسم بالدهر لانطوائه على اعاجيب الامور القهارة والمارة وللتعريض بنفى مايضاف اليه من الخسران فان الانسان يضيف المكاره والنوائب اليه ويحيل شقاوته وخسرانه عليه والاقسام بالشئ اعظام له ومايضاف اليه الخسران لايعظم عادة وقد قال عليه السلام لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر فاقسم الله بالدهر لانه بالنسبة الى الفهم العام محل شهود الآيات الالهية كالليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وغيرها وبالنسبة الى الفهم الخاص مظهر التجليات الالهية لظهوره تعالى بصفاته وافعاله فى مظهره فلما كان العصر جامعا لجميع الآيات التى اقسم الله بها فى القرآن كقوله تعالى والفجر وليال عشر وقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وقوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وقوله تعالى والضحى والليل اذا سجا ختم الله بقسم العصر اقسام جميع القسم وفى التأويلات النجمية اقسم الله بكمال دوام الزمان واستمراره لاشتماله على ولاية النبى عليه السلام ونبوته ورسالته وخلافته لقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين اى بين ماء العلم وطين المعلوم ولقوله نحن الآخرون السابقون ولقوله حكاية عن الله سبحانه لولاك لما خلقت الافلاك ولقوله انا من الله والمؤمنون منى ويقوى هذه الاحاديث قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اى من عالمى زمانه وما كان بعده وما كان قبله لان العالمين جمع محلى بالالف واللام فيدل على العموم والشمول كما فى قوله تعالى الحمد لله رب العالمين (ان الانسان) التعريف للجنس يعنى الاستغراق بدلالة صحة الاستثناء من الانسان فان صحة الاستثناء من جملة ادلة العموم والاستغراق (لفى خسر) الخسر والخسران معناه النقصان وذهاب رأس المال فى حق جنس الانسان هو نفسه وعمره والتنكير للتفخيم اى لفى خسران عظيم لايعلم كنهه الا الله فى متاجرهم وصرف اعمارهم فى مباغيهم يعنى هر آينه در زيانند بصرف اعمار در مطالب ناپايدار * مده به بيهده نقد عزيز عمر بدست * كه پس زيان كنى ومرتاندارد سود والذنب يعظم اما العظم من فى حقه الذنب اولانه فى مقابلة النعمة العظيمة وكلا الوجهين حاصل فى ذنب العبد فى حق ربه فلاجرم كان ذلك الذنب فى غاية العظم ويجوز ان يكون التنوين للتنويع اى نوع من الخسران غير ما يتعارفه الناس (الا الذين

آمنوا) بالله الايمان العلمي اليقيني وعرفوا ان لامؤثر بالحقيقة الا الله وبرزوا عن حجاب الدهر (وعملوا الصالحات) اى اكتسبوا الفضائل والخيرات الباقية فربحوا بزيادة النور الكمالي على النور الاستعدادي الذى هو رأس مالهم فانهم فى تجارة لن تبور حيث باعوا الفانى الخسيس واشتروا الباقى النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيالها من صفقة ماأربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم واستدل بعض الطوائف بالآية على ان مرتكب الكبيرة مخلد لانه لم يستثن من الخسران الا الذين آمنوا الخ والتقصى منه ان غير المستثنى فى خسر لامحالة اما بالخلود ان مات كافرا واما بالدخول فى النار ان مات عاصيا لم يغفر له واما بفوات الدرجات العالية ان غفر (وتواصوا بالحق) الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذى لاسبيل الى انكاره ولازوال فى الدارين لمحاسن اثاره وهو الخير كله من الايمان بالله واتباع كتبه ورسله فى كل عقد وعمل (وتواصوا بالصبر) اى عن المعاصى التى تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها اداؤها وعلى ما يبلو الله به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجه تحت التواصى بالحق لابراز كمال الاعتناء به اولان الاول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل مايرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضى بما فعل الله فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تشوق اليه من فعل اوترك بل هو تلقى ماورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود فان المقصود بيان مافيه الفوز بالحياة الابدية والسعادة السرمدية واشعارا بان ماعداها مما عد يؤدى الى خسر ونقص حظ اوتكرما فان الابهام فى جانب الخسر كرم لانه ترك تعداد مثالبهم والاعراض عن مواجهتهم به وروى عنه عليه السلام انه قال اقسم ربكم بآخر النهار ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا اى ابا بكر رضى الله عنه وعملوا الصالحات اى عمر رضى الله عنه وتواصوا بالحق اى عثمان رضى الله عنه وتواصوا بالصبر اى على رضى الله عنه فسرها بذلك على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم على المنبر فيكون تكرير وتواصوا لاختلاف الفاعلين واما على الاول فلا اختلاف المفعولين وهما قوله بالحق وبالصبر روى عن الشافعى رحمه الله انها سورة لولم ينزل الى الناس الا هى لكفتهم وهو معنى قول غيره انها شملت جميع علوم القرآن

تمت سورة العصر فى خامس جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة والف

* (سورة الهمزة تسع آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ويل) بالفارسية بمعنى واى وهو مبتدأ وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر خبره قوله (لكل همزة لمزة) الهمز الكسر واللمز الطعن شاع فى الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وفى القاموس الهامز والهمزة الغماز واللمزة العياب للناس او الذى يعيبك فى وجهك والهمزة من يعيبك فى الغيب انتهى وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للكثير المعود وفى ادب الكاتب لابن قتيبة فعلة بسكون العين من صفات المفعول وفعلة بفتح العين من صفات الفاعل يقال رجل هزءة للذى يهزأ به وهزأة لمن يهزأ بالناس وعلى هذا القياس لعنة ولعنة ولمزة ولمزة وغيرها وزولها فى الاخنس بن شريف اوفى الوليد بن المغيرة فان كلا منهما كان يغتاب رسول الله عليه السلام والاصح العموم لقوله تعالى لكل ولم يقل للهمزة واللمزة كما قرأ عبد الله كما فى عين المعانى وفى الحديث المؤمن كيس فطن حذر وقاف متثبت لايعجل عالم ورع والمنافق همزة حطمة لحاطب ليل لايدرى من اين اكتسب وفيم انفق) قال القاشانى الهمز واللمز رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر لانهما يتضمنان الاذية وطلب الترفع على الناس وصاحبهما يريدان يتفضل على الناس ولايجد فى نفسه فضيلة يترفع بها فينسب العيب والرذيلة اليهم ليظهر فضله عليهم ولايشعران ذلك عين الرذيلة وان عدم الرذيلة ليس بفضيلة فهو محدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتى القوة النطقية والغضبية (الذى جمع مالا) بدل من كل كانه قيل ويل للذى جمع مالا وانما وصفه الله بهذا الوصف المعنوى لانه يجرى مجرى السبب للهمزة واللمزة من حيث انه اعجب بنفسه مما جمع من المال وظن ان كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذا استنقص غيره وانما لم يجعل وصفا نحو المال لان نكرة لايصح

توصيفها بالموصولات وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى (وعدده) اى عده مرة بعد اخرى من غير ان يؤدى حق الله منه ويؤيد أنه من العد وهو الاحصاء لا من العدة انه قرئ وعدده بفك الادغام على أنه فعل ماض بمعنى احصاه وضبط عدده وقيل معنى عدده جعله عدة وذخيره لنوائب الدهر وكان الاخنس المذكور اربعة آلاف دينارا وعشرة آلاف ثم فى الجمع اشارة الى القوة الشهوانية وفى عدده الى الجهل لأن الذى جعل المال عدة للنوائب لا يعلم أن نفس ذلك المال هو الذى يجر اليه النوائب لاقتضاء حكمة الله تفريقه بالنائبات فكيف يدفعها وفى التأويلات النجمية جمع مال الاخلاق الذميمة والاوصاف الرديئة وجعله عدة منازل الآخرة والدخول على الله (يحسب أن ماله اخلده) اظهار المال لزيادة التقرير اى يعمل من تشييد البنيان وايثاقه بالصخر والآجر وغرس الاشجار وكرى الانهار عمل من يظن أنه لا يموت بل ماله يبقيه حيا فالحسبان ليس بحقيق بل محمول على التمثيل وقال ابو بكر بن طاهر رحمه الله يظن أن ماله يوصله الى مقام الخلد وانما قال اخلده ولم يقل يخلده لأن المراد أن هذا الانسان يحسب أن المال قد ضمن له الخلود واعطاه الامان من الموت فكأنه حكم قد فرغ منه ولذلك ذكره بلفظ الماضى قال الحسن رحمه الله ما رأيت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه كالموت ونعم ما قال (كلا) ردع له عن ذلك الحسبان الباطل يعنى نه چنانست كه آدمى بندارد وقال بعضهم الاظهر أنه ردع له على الهمز واللمز (لينبذن) جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع اى والله ليطرحن ذلك الذى يحسب وقوع المنع بسبب تعاطيه للافعال المذكورة وقال بعضهم ولك أن ترد الضمير الى كل من الهمزة واللمزة ويؤيده قراءة لينبذان على التثنية (فى الحطمة) اى فى النار التى شأنها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كأن شأنه كسر اعراض الناس وجمع المال قال بعضهم قولهم ان فعله بفتح العين للمكثير المتعود ينتقض بالحطمة فانها اطلقت على النار وليس الحطم عادتها بل طبيعتها وجوابه أن كونه طبعيا لا ينافى كونه عادة اذ العادة على ما فى القاموس الدين والشأن والخاصية وهو يعم الطبيعى وغيره ومنه يعلم أن النبذ فى الحطمة كان جزاء وفاقا لاعمالهم فانه لما كان الهمز واللمز عادتهم كان الحطم ايضا عادة فقوبل صيغة بصيغة وكذا ظنوا انفسهم اهل الكرامة والكثرة فعبر عن جزائهم بالنبذ المنبئ عن الاستحقار والاستقلال يعنى شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم بحصيات اخذهن احد فى كفه فطرحهن فى البحر وفيه اشارة الى الاسقاط عن مرتبة الفطرة الى مرتبة الطبيعة الغالبة (وما ادراك ما الحطمة) تهويل لامرها ببيان أنها ليست من الامور التى تنالها عقول الخلق والمعنى بالفارسية وچه چيز دانا كرد ترا دانى چيست حطمه (نار الله) اى هى نار الله (الموقدة) افروخته شد بامر وقدرت او جل جلاله وما اوقد واشعل بامر لا يقدر أن يطفئه غيره فاضافة النار اليه تعالى لتفخيمها والدلالة على أنها ليست كسائر النيران وفى الحديث اوقد عليها ألف سنة حتى احمرت ثم ألف سنة حتى ابيضت ثم ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة وعن على رضى الله عنه عجبا ممن يعصى الله على وجه الارض والنار تسعر من تحته (التى تطلع على الافئدة) اى تعلو اوساط القلوب وتغشاها فان الفؤاد وسط القلب ومتصل بالروح يعنى أن تلك النار تحطم العظام وتأكل اللحوم فتدخل فى اجواف اهل الشهوات وتصل الى صدورهم وتستولى على افئدتهم الا أنها لا تحرقها بالكلية واذا احترقت لماتت اصحابها ثم ان الله تعالى يعيد لحومهم وعظامهم مرة اخرى وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما فى الجسد واشد تألما باد نى اذى يمسه اولانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة فاطلاعها على الافئدة التى هى خزانة الجسد ومحل ودائعه يستلزم الاطلاع على جميع الجسد بطريق الاولى صاحب كشف الاسرار فرموده كه اتشى كه بدل راه يابد بجبست حسين منصور قدس سره فرموده كه هفتاد سال اتشى نار الله الموقدة درباطن مازدند تا تمام سوختند شدنا كاه شرری ازمقدحه انا الحق برون جست ودران سوختند افتاد سوختند بايد كه ازسوزش ماخبردهد * اى شمع بيا تا من وتو ازبكريم * كاحوال دل سوختنه هم سوختنه داند (انها عليهم مؤصدة) اى ان تلك النار الموصوفة مطبقة ابوابها عليهم تأكيدا لليأس من الخروج وتيقنهم بحبس الابد من اوصدت الباب واصدته اى اطبقته وقد سبق فى سورة البلد (فى عمد) جمع عمود كما فى القاموس اى حال كونهم موثقين فى اعمدة (ممددة) من التمديد بالفارسية كشيدن اى ممدودة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص اى يلقون فيها على احد قطريهم والقطر الجانب والمقطرة

الخشبة التى يجعل فيها ارجل اللصوص والشطار يعنى خشبة فيها خروق تدخل فيها ارجل المحبوسين كيلا يهربوا فقوله فى عمد حال من الضمير المجرور فى عليهم اوصفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اى كائنة فى عمد ممددة توصد عليهم الابواب وتمد على الابواب العمد المطولة التى هى ارسخ من القصيرة استيثاقا فى استيثاق لايدخلها روح ولايخرج منها غم وفيه اشارة الى ايثاقهم وربطهم فى عمد اخلاقهم واوصافهم واعمالهم ومدهم فى ارض الذل والهوان والخسران لان اهل الحجاب لاعز لهم نسأل الله تعالى ان لايزلنا بالاحتجاب انه الوهاب

(سورة الفيل خمس آيات مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية لان النبى عليه السلام ولد عام الفيل ولم يرهم والمراد باصحاب الفيل ابرهة وقومه وبالفيل هو الفيل الاعظم الذى اسمه محمود وكنيته ابو العباس كما سيجئ ونسبوا اليه لانه كان مقدمهم والمعنى الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله تعالى لابنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئات عجيبة دالة على عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته وعزته وشرف رسوله فان ذلك من الارهاصات والارهاص ان يتقدم على دعوى النبوة مايشبه المعجزة تأسيسا لها ومقدمة كاظلال الغمام له عليه السلام وتكلم الحجر والمدر معه قال بعضهم الارهاص الترصد سميت الامور الغريبة التى وقعت للنبى عليه السلام ارهاصات لان كلا منها مما يترصد بمشاهدته نبوته فالارهاص انما يكون بعد وجود النبى وقبل مبعثه وفى كلام بعضهم ان الارهاص يكون قبل وجوده ايضا قريبا من عهده كما دل عليه قصة الفيل ورجحوا الاول فان قيل اتحاد السنة بان يكون وقوع القصة عام المولد امر اتفاقى لايمنع عن كون الواقعة لتعظيم الكعبة قلنا شرفها ايضا بشرف مكانه عليه السلام الايرى انه تعالى كيف قيد الاقسام بالبلد بحلوله عليه السلام فيه حيث قال لااقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قال فى فتح الرحمن كان هذا عام مولد النبى عليه السلام فى نصف المحرم وولد عليه السلام فى شهر ربيع الاول فبين الفيل ومولده الشريف خمس وخمسون ليلة وهى سنة ستة آلاف ومائة وثلاث وستين من هبوط آدم على حكم التواريخ اليونانية المعتمدة عند المؤرخين وبين قصة الفيل والهجرة الشريفة النبوية ثلاث وخمسون سنة والمقصود من تذكير القصة اما تسلية النبى عليه السلام بأنه سيجزى من يظلمه كما جزى من قصد الكعبة واما تهديد الظلمة وتفصيلها ان ملك حمير وما حولها وهو ذونواس اليهودى لما احرق المؤمنين بنار الاخدود والاخدود الوقود على ماسبق فى سورة البروج هرب رجل منهم الى ملك الحبشة وهو اصحمة بن بحر النجاشى بتخفيف الياء الذى اسلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك وحرضه على قتال ذى نواس فبعث اصحمة سبعين الفا من الحبشة الى اليمن وامر عليهم ارياط ومعه فى جنده ابرهة بن الصباح الاشرم ومعنى ابرهة بلسان الحبشة الابيض الوجه وسيجئ معنى الاشرم فركبوا البحر حتى نزلوا ساحل عمايلى ارض اليمن وهزم ارياط ذانواس وقتله فى المعركة اوالقى هو نفسه فى البحر فهلك واستقر امر ارياط فى ارض اليمن زمانا واقام فيها سنين فى سلطانه ذلك ثم نازعه ابرهة فى امر الحبشة فكان من امراء الجند فتفرقت الحبشة فرقتين فرقة مع ارياط وفرقة مع ابرهة فكان الامر على ذلك الى ان سار احدهما الى الآخر فلما تقارب الفرقتان للقتال ارسل ابرهة الى ارياط أنك لاتفعل شيئا بان تغرى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها فابرزلى وابرز لك فأينا اصاب صاحبه انصرف اليه جنده فارسل اليه ارياط ان قد انصفت فاخرج فخرج اليه ابرهة وكنيته ابو يكسوم وكان رجلا قصيرا حشمان لحيما ذادين فى النصرانية وخرج اليه ارياط وكان رجلا طويلا عظيما وفى يده حربة وخلف ابرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وانفه وعينه وشفتيه اى شقت وقطعت وخدشت فبذلك سمى ابرهة الاشرم وحمل عتودة على ارياط من خلف ابرهة فقتله وانصرف جند ارياط الى ابرهة فاجتمعت عليه الحبشة فى اليمن بلا منازع وكان ماصنع ابرهة من غير علم النجاشى فلما بلغه ذلك غضب غضبا شديدا فقال عدا على اميرى فقتله بغير امرى

(تم)

ثم حلف لايدع ابرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فلما بلغ هذا الخبر ابرهة حلق رأسه وملأ جرابا ترابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشي مع هدايا جليلة كثيرة وكتب اليه ايها الملك انما كان ارياط عبدك وانا عبدك فاختلفنا في امرك وكل طاعة لك الا اني كنت اقوى على امر الحبشة واضبطه واسوس منه وقد حلقت رأسي حين بلغني قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من ارضي ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه في فلما وصل كتاب ابرهة الى النجاشي لان ورضي عنه وكتب اليه ان اثبت بارض اليمن حتى ياتيك امري فاقام ابرهة باليمن ثم انه رأى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله الحرام فتحرك منه عرق الحسد فبنى بصنعاء كنيسة من رخام ملون وفي بعض التفاسير ودر ودياقوت وجواهر مرصع ومزين كردانيد وفي الانسان العيون واجتهد في زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب وكان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلبانا من الذهب والفضة وستائر من العاج والابنوس وسماها القليس لكبر لارتفاع بنائها وعلوها ومنها القلانيس لانها في اعلى الرأس واراد ان يصرف اليها الحاج وفي كشف الاسرار چون رسول ابرهه باآن هديها پيش ملك نجاشي رسيد وآن پيغام بداد ملك از وخشنود شد وولايت يمن جمله بدو ارزاني داشت و بوي تسليم كرد چون ان رسول بنزديك ابرهه بازآمد ابرهه شاد شد وبشكر انكه ملك ازوخشنود كشت وزراوعقلاء مملكت خويش جمع كرد وايشانرا كفت مراراهي سازيد بعملي كه ملك راخوش آيد واورا دران عزي وجمالي بودتا آراشكر نعمت عفو واوسازم ايشان همه متفق شدند كه عرب راخانه ايست معظم ومقدس وشرف جمله عرب بدان خانه است ومردمان شرق وغرب روي بدان خانه دارند وآن خانه ازسنك است تودر صنعاء يمن كنيسهٔ بساز برنام ملك و بردين ترسايي كه دين نجاشي است واساس ان از زروسيم والوان جواهر كن وكسي فرست باطراف زمين وديار عرب وايشانرا بخوان و بزروسيم وتحفها وهديها ايشانرا رغبتي كن تاعالميان روي بدان نيسه نهند وانجا طواف كنند وملك عزي وجمالي باشد ابرهه همچنان كرد كه ايشان كفتند وآن كنيسه بدان صفت بساخت وازبهر طمع مال وزوروسيم خلق روي بدان كنيسه نهادند وهر كه انجارفتي باهديه وتحفه باز كشتي * وكتب ابرهة الى النجاشي ايها الملك اني بنيت لك كنيسة لم ير مثلها لملك قبلك واست ارضى حتى اصرف اليها حاج العرب فلما تحدث العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من بني كنانة حتى اتى القليس (وفي كشف الاسرار) وخبر دراطراف افتاده كه ازحج وزيارة وطواف كه درمكه وخانهٔ عرب بود بايمن افتاد ودران وقت رئيس مكه عبد المطلب بود مردي ازعرب ازساكنان مكه نام وي زهير بن بدر ازعبد المطلب درخواست وسوكند خورد كه من بروم ودر خانهٔ ايشان حدث كنم برخواست وآنجاشد وچندروز آنجا عبادت كرد رتبهٔ مجاورت يافت شبي كفت من ميخواهم كه اينجا امشب عبادت كنم كه مراسخت نيكو وخوش آمدست اين بقعه اورا ان شب آنجا تنها بكذاشتند ودرآن خانه مسك وعنبر فراوان بودر پيوسته بوي خوش ازان ميد ميد زهير آنجا حدث كرد وهمه ديوار ومحراب بنجاست بيالود آنكه آهنك بيرون كرد وبكريخت اين خبر در افاق واقطار منتشر كشت ومردم ازطواف آن متنفر ابرهه ازين حال اكاه شد ومتأثر كشت دانست كه اين مردار مكه بود واز مجاوران كعبه سوكند خورد كه من بالشكر وحشم بروم وآن خانهٔ ايشان خراب كنم و بازمين برابر حتى لايحجه حاج ابدا وفي حواشي ابن الشيخ كان اصل مقصوده من هدم البيت ان يصرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدتهم الى نفسه والى بلدته ورسولي فرستاد بحبشة وملك را خبر كرد ازانچه زهير كرد اندران كنيسه وازرفتن خويش سوي مكه وخراب كردن كعبه فخرج بالحبشه وكفته انه نجاشي پيلان بسيار فرستاد ولشكر وحشم وقالي السيجاوندي اغتم النجاشي لذلك وعزاه ابرهة وجهز من قواده ابو يكسوم وزيره وقال لاتحزن ان لهم كعبة هي فخرهم فنسف ابنيتها ونهبح دماءها ونتهب اموالها فخرج ابرهة بجند كثير وجم غفير ومعه فيل ابيض اللون وهو فيل النجاشي بعثه اليه بسؤاله وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة يعني بعظمت چشه مشابه كوه بود * بهيكل قوى راست چون كوه قاف * چوشيرغرين چابك اندر مصاف * ومن شأن الفيل المقاتلة ولذلك كان في مربط ملك الصين ألف فيل ابيض وهو مع عظم صورته ضعيف يخاف من الفار ويفزع منه وكان دليلهم كبير ثقيف وهو ابو رغال رجم العرب قبره حين

مات كما فى كتاب التعريف والاعلام للامام السهيلى رحمه الله وفى كشف الاسرار ابورغال درراه هلاك شد وكوروى معروفست براه يمن حاج يمن چون آنجا رسند بآن كوروى سنك اندازند حتى صار كالجبل العظيم وفى ذلك يقول جرير فى الفرزدق الشاعر

اذا مات الفرزدق فارجموه * كما ترمون قبر ابى رغال

وفى القاموس ابورغال ككتاب فى سنن ابى داود ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه الى الطائف فررنا بقبر فقال هذا قبر ابى رغال وهو ابو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التى اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه الحديث وقول الجوهرى كان دليلا للحبشة حين توجهوا الى مكة فمات فى الطريق غير جيد وكذا قول ابن سيدة كان عبد الشعب وكان عشارا جائرا انتهى كلامه ابرهه چون باطراف حرم رسد بيرون حرم نزول كرد وبعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموال تهامة يعنى هرچه در حوالئ شهر مكه شتر بودوكو سفند غارت كردودر جمله دويست سر شتر ازان عبد المطلب كه بوقف حاج كرده بود بغارت بردند وقال بعضهم فلما بلغ المغمس وهو كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر ابى رغال دليل ابرهه ويرجم كما فى القاموس اى على ما اشتهر والا فاقرب كلامه السابق خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فأبى وفى شرح البردة للمرزوقى لما نزل المغمس بعث خيلا الحميرى الى مكة وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم وقل له ان الملك يقول انى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه لحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربى فأتنى به وفى كشف الاسرار ابرهة چون آنجا نزل كرد هيبت خانهٔ كعبه دردل وى اثر كرد وازان قصد كه داشت پشيمان كشت ودردل خود بخواست كه كسى درحق خانه شفاعت كند تا باز كردد وبفرمود كه رئيس مكه را بياريد ورئيس آنكاه عبد المطلب بود باجمعى بنى هاشم بتردك ابرهه آمد وآن مرد كه فرستاده بود پيش ازرسيدن عبد المطلب درپيش ابرهه شد وقال المرزوقى رحمه الله استدان لعبد المطلب بعض وزرآئه يقال له انيس سائس الفيل وكفت قد جاءك سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤوس الجبال حقا مردى مى آيد بحضرت تو كه بدرستى وراستى سيد قريش است مردى كريم طبع نيكوروى باسيادت وباسخاوت وباهيبت وانكه ازوى نور همى تابد كه منظروى بتر سائيد يعنى نور مصطفى عليه السلام ازپيشانى وى همى تافت ابرهه خويشتن رازى نيكو بياراست وبرتخت نشست وعبد المطلب را اجازت داد چون درآمد نخواست كه ورا باخود برتخت نشاند يعنى كره ان تراه الحبشة يجلس على سرير ملكه ازتخت بزرآمد وباعبد المطلب به پايان تخت بنشست واورا اجلال كرد ونيكو بنواخت سخنان وى اورا خوش آمد وباخود كفت اكر در حق خانه شفاعت كند اورا نوميد نكنم پس ترجمانرا كفت تاحاجتى كه دارد بخواهد عبد المطلب كفت حاجت من اينست كه دويست شتر ازان من بياورده اند وكانت ترعى بذى المجاز بفرماى تابازدهند ابرهه را زان انده آمد ترجمانرا كفت پيرس ازوى تاچرا ازبهر خانهٔ كعبه حاجت نخواست خانهٔ كه شرف وعز شما بانست وسبب عصمت وحرمت شما آنست درقديم دهر ومن آمده ام تا آنرا خراب كنم مى نخواهى اين اشتر انراچه خطر باشد كه بخواهى قال عبد المطلب انا رب الابل وللبيت رب يحفظه كما حفظه من اتبع وسيف بن ذى يزن وكسرى ابرهه ازين سخن در خشم شد وكفت ردوعليه بعرانه ليرى من يحفظ البيت منى عبد المطلب بازكشت ومكانر افر مود هرچه داشتند از مال ومتاع بركرفتند وباكوه شدند ومكه خالى كردند اى تخوفا من معرة الجيش فجهز ابرهة جيشه وقدم الفيل الاعظم المذكور فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح كما بركت القصواء فى الحديبية حتى قال عليه السلام حبسها حابس الفيل ومعنى بروك الفيل سقوطه على الارض للجاءه من امر الله اولزوم موضعه كالذى برك والا فالفيل لا يبرك كما قال عبد اللطيف البغدادى الفيلة تحمل سبع سنين واذا تم حملها وارادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها لانها تدوهى قائمة ولا فواصل لقوائمها فتلدوالذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيتان انتهى وقال بعضهم الفيل صنفان صنف لا يبرك وصنف يبرك كالجمل انتهى واذا وجهوه الى اليمن اوالى غيره من الجهات هرول والهرولة كالدحرجة

مابين المشى والعدو وامر ابرهة ان يسوق الفيل الحمر ليذهب تميزه فسقوه فثبت على امره وكفته اند نفيل ابن حبيب الخثعمى كوش آن فيل كرفت وكفت ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام چون اين سخن بكوش پيل فرو كفت بازكشت وپاى در حرم نهاد ونفيل هذا قاتل ابرهة بارض خثعم وهو جبل واهله خثعميون وابوقبيلة فهزمه ابرهة فاخذ اسيرا فلما اتى به وهم ابرهة بقتله قال ايها الملك لاتقتلنى فانى دليلك بارض العرب فخلى سبيله وخرج به معه يدله على ارض العرب حتى اذا مر بالطائف رأى اهله ان لاطاقة لهم به فانقادوا له وبعثوا معه بابى رغال فازلهم بالغمس وهو على ستة اميال من مكة ومات ابورغال هناك وقبره المرجوم فيه كما فى بعض التفاسير قال المرزوقى رأى العرب جهاد ابرهة حقا عليهم فكانوا يجتمعون لقتاله فى الطريق قبائل قبائل فهزمهم ابرهة ومن جملة من هزمهم واسرهم نفيل بن حبيب اخذه وماقتله ليكون دليلاله واخذ عبد المطلب بحلقة الباب ودعا وقال (لاهم ان المرء يحمى رحله فامنع حلالك) لايغلبن صليبهم * ومحالهم غدوا محالك) وذلك انهم كانوا نصارى اهل صليب ولاهم اصلا الهم فان العرب تحذف الالف واللام وتكتفى بمايبقى والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهى البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم الشدة والقوة والغد و بالغين المعجمة اصل الغد وهو اليوم الذى يأتى بعد يومك الذى انت فيه فالتفت وهو يدعو فاذا بطير فقال والله انها لطير غريبة لابخدية ولاتهامية ولاحجازية وان لها لشأنا وفى حواشى ابن الشيخ كان عبد المطلب وابو مسعود الثقفى يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة فارسل الله طيرا سودا صغر المناقير خضر الاعناق طوالها اوحضرا اوبيضا اوبلقا اوحماما كما سئل من ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن الطير فقال حمام مكة منها وقد قال ان هذا اشتباه لان الذى قيل فيه انه من نسل الابابيل انما هو شئ يشبه الزرازير يكون بباب ابراهيم من الحرام والافحمام الحرم من نسل الحمام الذى عشش على فم الغار والزرازير جمع زرزور بضم الزاى طائر صغير من نوع العصفور سمى بذلك لزرزرته اى لصوته وعن عائشة رضى الله عنها كانت تلك الطير الابابيل اشباه الخطاطيف والوطاويط وقد نشأت فى شاطئ البحر ولها خراطيم الطير واكف الكلاب وانيابها وقال ابن جبير لم ير مثلها لافبلها ولابعدها وقال عكرمة هى عنقاء مغرب وفى الخبر انها طير بين السماء والارض تعيش وتفرخ وقيل من طير السماء قيل جاءت عشية ثم صبحتهم مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس عنهما انه راى منها عند ام هانى نحو قفيز مخطط بحمرة كالجزع الظفارى وظفار كقطام بلد باليمن قرب صنعاء ينسب اليه الجزع وارسلت ريح فزادتها شدة فكان الحجر يقع على رأس كل واحد منهم فيخرج من اسفله وينفذ من الفيل ومن بيضهم فيخرق الارض وعلى كل حجر اسم من يقع عليه قال القاشانى والهام الوحوش والطيور اقرب من الهام الانسان لكون نفوسهم ساذجة وتأثير الاحجار بخاصية اودعها الله تعالى فيها ليس بمستنكر ومن اطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب الحكمة عرف لمية امثال هذه وقد وقع فى زماننا مثلها فى اسيلاء الفأر على مدينة ابى يوزد وافساد زروعهم ورجوعها فى البرية الى شط جيحون واخذ كل واحدة منها خشبة من الايك التى على شط النهر وركوبها عليها وعبورها من النهر فهى لاتقبل التأويل كأحوال القيامة وامثالها انتهى وعن عكرمة كل من اصابته الحجارة جدرته وفى الخبر ان اول ماوقعت الحصبة والجدرى بارض العرب ذلك العام ففروا وهلكوا فى كل طريق ومنهل قال بعضهم فلم تصب منهم احدا الاهلك ولبس كلهم اصيب كما قال فى انسان العيون ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيئ القوم الى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا اى غالبهم وذهب غالب من بقى فاحتمل ماشاء الله من صفراء وبيضاء ثم اعلم اهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا انتهى يعنى والذى سلم منهم ولى هاربا مع ابرهة الى اليمن يبتدر الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل وقال الكاشفى * وبيك نفس قوم ابرهه مستأصل شدند وآن پيلان نيز همه هلاك كشتند وقال بعضهم ولم يسلم الا كندى فقال

أكندة لو رأيت ولوترينا * بجنب ربا المغمس مالقينا
حسبنا الله ان قد بث طيرا * وظل سحابة تهمى علينا

واخذ ابرهة داء اسقط انامله واعضاءه ووصل الى صنعاء كذلك وهو مثل فرخ الطير ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه فملك اليمن ابنه يكسوم بن ابرهة وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص

عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه فارى الله النجاشي كيف كان هلاك اصحابه وقال بعضهم همه هلاك شدند مكر ابرهه كه مرغ برسروى ايستاد وازمكه بيرون شدروى بجبشة نهاد وآن مرغ رهوا برسروى همى بود واونمى دانست تادريش نجاشى شدچون ابرهه صورت حال بعرض نجاشى رسانيد نجاشى ازروى تعجب برسيد كه چگونه مرغان بودند كه چندين مبارزان اهلاك كردند ابرهه رادرين حال نظر بران مرغ افتاد كفت اى ملك يكى ازين مرغان اينست همان لحظه آن مرغ سنگى كه داشت بنام وى برسرش افكند وهم دونظر نجاشى هلاك شدوازين صورت آيت عبرتى برصحيفهٔ دل نجاشى منقش كشت * نوشت خامهٔ تقدير برجريدهٔ دهر * خطى كه فاعتبروا ياأولى الابصار * وعن عائشة رضى الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان الناس ويعلم من ذلك انهما من جملة من سلم من قوم ابرهة ولم يذهبا بل بقيا بمكة كما فى انسان العيون وفى حواشى ابن الشيخ كان عبد المطلب وابو مسعود الثقفى يشاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع لهم ركز اى حس فانحط من الجبل فدخلا المعسكر فاذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل منهما لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وفى كلام سبط ابن الجوزى وسبب غنى عثمان بن عفان ان اباه عفان وعبد المطلب واباه مسعود الثقفى لما هلك ابرهة وقومه كانوا اول من نزل مخيم الحبشة فأخذوا من اموال ابرهة واصحابه شيأ كثيرا ودفنوه عن قريش فكانوا اغنياء قريش واكثرهم مالا ولما مات عفان ورثه عثمان رضى الله عنه ثم انه يرد على ماذكر ان الحجاج خرب مكة بضرب المنجنيق فلم يصبه شئ ولم يستعجل عذابه ويجاب بأن الحجاج لم يجئ لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وانما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ليسلم نفسه وفيه انه قد يشكل كونه حرما آمنا وجاء فى حق الحجاج ان عليه نصف عذاب العالم ويرد عليه ايضا قصة القرامطة وهى ان اباسعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون ان لا غسل من جنابة وحل الخمر وانه لا صوم فى السنة الا يومى النيروز والمهرجان ويزيدون فى اذانهم وان محمد بن الحنفية رسول الله وان الحج والعمرة الى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال واهل البرارى وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده ابى طاهر فان ولده اباطاهر بنى دارا فى الكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت اتباعه وذهب اليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بنى العباس غير مامرة وهو يهزمهم ثم ان المقتدر سير ركب الحاج الى مكة فوافاهم ابوطاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفى جوف الكعبة قتلا ذريعا والقى القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه واخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وسقفها وقسمه بين اصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد ان اقام بها احد عشر يوما ومعه الحجر الاسود وبقى عند القرامطة اكثر من عشرين سنة وكان الناس يضعون ايديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى اعيد الى موضعه فى خلافة المطيع لامر الله وهو الرابع والعشرون من خلفاء بنى العباس بعد اشترائه منهم وجعل له طوق فضة شده زنته ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعون درهما ونصف قال بعضهم تأملت الحجر وهو مقلوع فاذا السواد فى رأسه فقط وسائره ابيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة فى سنة ثلاث عشرة واربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الاسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الاظفار وخرج بكسره فتات اسمر يضرب الى الصفرة محببا مثل حب الخشخاش فجمع نواشيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك والملك وحشوه فى تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك يقول الفقير لعل الجواب عن مثل هذا ان الاستئصال ومايقرب منه مرفوع عن هذه الامة واكثر ماكان من خوارق العادات كان فى ايام الامم السالفة وليست الكعبة بأفضل من الانسان الكامل وقد جرت عادة الله على التسامح عن بعض من يعاديه بل يقتله وان كان اشتد غضبه عليه فهو يمهل ولا يهمل واعنة الله على الظالمين (الم يجعل كيدهم فى تضليل) الهمزة للتقرير وضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ونحوه قوله تعالى وماكيد الكافرين الا فى ضلال وضل الماء فى اللبن اذا ذهب وغاب والمعنى قد جعل مكرهم وحيلتهم فى تعطيل الكعبة عن الزوار وتخريبها فى تضييع وابطال بان اهلكهم اشنع اهلاك وجزاهم بعد اهلاكهم بمثل ماقصدوا حيث حرب كنيستهم

قال فى العيون لما هلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا هم اهل الله لان الله دمرهم ومزقت الحبشة كل ممزق وخربت ما حول تلك الكنيسة التى بناها ابرهة فلم يعمرها احد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكل من اراد ان يأخذ منها شيأ اصابته الجن واستمرت كذلك الى زمن السفاح الذى هو اول خلفاء بنى العباس فذكر له امرها فبعث اليها عامله الذى باليمن فخربها واخذ حشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها وارسل عليهم طيرا) عطف على قوله لم يجعل لان الهمزة فيه لانكار النفى كما سبق (ابابيل) صفة طيرا اى جماعات لانها كانت افواجا وجاءت بعد فوج متتابعة بعضها على اثر بعض او من ههنا وههنا جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة بالفارسية دستة بزرك وقطع شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل ابابيل مفرد كعبابيد ومعناه الفرق من الناس الداهبون فى كل وجه وكشماطيط ومعناه القطع المتفرقة وفيه انها لو كانت مفردات لاشكل فوت الصحاح ان هذا الوزن من الجمع يمنع صرفه لانه لا يوجد فى المفردات (ترميهم بحجارة) صفة اخرى لطيرا وقرأ ابو حنيفة رحمه الله رميهم اى الله او الطير لانه اسم جمع يأنيثه باعتبار المعنى والحجارة جمع حجر بالتحريك بمعنى الصخرة والمعنى بالفارسية مى افكندند بدان لشكر بسنكها يقال رمى الشئ وبه القاه (من سجيل) من طين محجر وهو الآجر معرب سنك كل وقال بعضهم متحجر من هذين الجنسين وهما سنج الذى هو الحجر وجيل لله هو الطين او هو علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفرة كان سجينا علم للديوان الذى تكتب فيه اعمالهم كله فيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود وسمى ورق الزرع بالعصف لان شانه ان يقطع فتعصفه الرياح اى تذهب به الى هنا وهنا شبههم به فى فنائهم وذهابهم بالكلية او من حيث انه حدثت فيهم بسبب رميهم منافذ وشقوق كالزرع الذى اكله الدود ويجوز ان يكون المعنى كورق زرع اكل حبه وبقى صفرا منه فيكون من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى كعصف مأكول الحب منهم بزرع اكل حبه فى ذهاب ارواحهم وبقاء اجسادهم اكتين اكله السوس والفته روثا فبيس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث وفيه تشويه لحالهم ومبالغة حسنة وهو انه لم يكتف بجعلهم امور شئ فى الزرع وهو التبن الذى لا يجدى طائلا حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالمأكول واشير اليه باول حاله على طريق الكنية مراعاة لحسن الادب واستهجانا لذكر الروث كما كنى بالاكل فى قوله تعالى كانا يأكلان الطعام عما يلزم الاكل من البول والتغوط لذلك فدأب القرآن هو العدول عن الظاهر فى مثل هذا المقام قال بعض العارفين من كان اعتماده على غير الله هلكه الله بأضعف خلقه الا ترى ان اصحاب الفيل لما اعتمدوا على الفيل من حيث انه اقوى خلق الله اهلكهم الله بأضعف خلق من خلقه وهو الطير وكفته اندا كرپيل تو نى بود يارى از پشه كم مباش كه صورت پيل است بشه كودكه كر من بقوت پيل نيستم كه يارى كشم يارى صورت پيل كه يار خويش بركس نيمكنم وفيه اشارة الى ابرهة النفس المتصفة بصفة الغضب والحقد المجبولة على خلقة الفيل كالسبعية فى السبع والكبر فى النمر فارسل الله عليها طير الارواح حاملين احجار الاذكار والاوراد فاكلتها اكل الاكلة وعصفت مزروعاتهم السيئة وبطل قلبس طبيعتها الجسمانية التى كانت تدعو القوى اليها لان هذه الدعوة كانت بتزيين الشيطان فلا تقاوم دعوة الروح الى الكعبة القلب التى كانت من الرحمن * هركه برشمع خدا آرد تفو * شمع كى ميرد بسوزد پوزاو * چون تو خفاشان بسى بينند خواب * كين جهان ماند پنيم از افتاب * قوله مأكول يوقف عليه ثم يكبر ولا يوصل حذرا من الايهام

(تمت سورة الفيل فى يوم الخميس سابع جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة والف)

* (سورة الايلاف اربع آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(لايلاف قريش) متعلق بقوله تعالى فليعبدوا وهو قول الزجاج والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة فالايلاف تعدية الالف مصدر من المبنى للمفعول مضاف الى مفعوله الاول مطلقا عن المفعول الثانى الذى هو الرحلة كما قيده

فى الايلاف الثانى يقال الفت الشئ بالقصر وآلفته بالمد بمعنى لزمته ودمت عليه وماركته فيكون كل من الالف والايلاف لازما و يقال ايضا آلفته غيرى بالمد اى الزمته اياه وجعلته يألفه فيكون متعديا قال فى تاج المصادر الايلاف الف دادن والف گرفتن وضد الايلاف والايناس هو الايحاش وقيل متعلق بما قبله من قوله فجعلهم كعصف مأكول و يؤيده انهما فى مصحف ابى رضى الله عنه سورة واحدة بلا فصل فيكون الايلاف بمعنى الالف اللازم فالمعنى اهلك الله من قصدهم من الحبشة لان يألفوا هاتين الرحلتين و يجمعوا بينهما و يلزموا اياهما و يثبتوا عليهما متصلا لا ينقطعا بحيث اذا فرغوا من ذه اخذوا فى ذ و بالعكس وذلك لان الناس اذا تسامعوا بذلك الاهلاك تهيبوا لهم زيادة تهيب واحترسوهم فضل احترام فلا يجترئ عليهم احد فينتظم لهم الامن فى رحلتيهم وكان لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون و يتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين مختطف ومنهوب وذلك ان قريشا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك الى ايام هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبا فى قريش فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله واشرف ولد آدم والناس لكم تبع فقالوا نحن تبع لك فلبس عليك منا خلاف فجمع كل بنى اب على الرحلتين فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام لان بلاد اليمن حامية حارة و بلاد الشام مرتفعة باردة ليتجروا فيبلغهم من التجارات فاربح الغنى قسمته و بين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فلم يكن فى العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش وكان هاشم اول من جمل السمراء من الشام وقريش ولد النضر بن كنانة ومن لم يلده فليس بقرشى سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن تقلبها وتضربها فتكسرها ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى والتصغير للتعظيم فكانه قيل قريش عظيم وقال بعضهم الاوجه ان التصغير على حقيقته لانه اذا كان القرش دابة عظيمة والقرش مع صغر جسمه جعل فرسه فهو لاحمالة قريش وفيه ان جعل قريش قريشا لم يكن لمناسبة الحجم بل كان لوصف الآكلية وعدم المأكولية ووصف الغلبة وعدم المغلوبية وهذان الوصفان يوجدان فى تلك الدابة على وجه الكمال فلا معنى للتصغير الا التعظيم قال الزمخشرى سمعت بعض التجار بمكة ونحن قعود عند باب بنى شيبة يصف لى القرش فقال هو مدور الخلقة كما بين مقامنا هذا الى الكعبة ومن شأنه ان يتعرض للسفن الكبار فلا يرده شئ الا اربأ خذا هلها المشاعل فيرمى على وجهه كالبرق وكل شئ عنده قليل الا النار وبه سميت قريش قال الشاعر

وقريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذى جناحين ريشا
هكذا فى البلاد حتى قريش * يأكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبى * يكثر القتل فيهموا والخموشا

الخموش الخدوش واكلا كميشا اى سريعا وفى القاموس قرشه يقرشه و يقرشه قطعه وجمعه من ههنا وههنا وضم بعضه الى بعض ومنه قريش لتجمعهم الى الحرم اولانهم كانوا يفتشون البياعات فيشترونها اولان النضر ابن كنانة اجتمع فى ثوبه يوما فقالوا تقرش اولانه جاء الى قومه فقالوا كانه جمل قريش اى شديد اولان قصيا كان يقال له القريشى اولانهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها اوسميت بمصغر القرش وهو دابة بحرية يخافها دواب البحر كلها اوسميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش والنسبة قرشى وقريشى انتهى (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) بدل من الاول ورحلة مفعول به لايلافهم وهى بالكسر الارتحال و بالضم الجهة التى يرحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهى الناقة القوية ثم استعمل فى كل سير وارتحال وافرادها مع انه اراد رحلتى الشتاء والصيف لامن الالباس مع تناول اسم الجنس للواحد والكثير وفى اطلاق الايلاف عن المفعول اولا ثم ابدال المقيد منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه والشتاء الفصل المقابل للصيف وفى القاموس الشتاء احد ارباع الازمنة والموضع المشتى والصيف القيظ او بعد الربيع والقيظ صميم الصيف من طلوع الثريا الى طلوع سهيل (فليعبدوا رب هذا

البيت الذى اطعمهم) سبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من حيرانه وسكان حرمه وقيل بدعوة ابراهيم عليه السلام يجبى اليه ثمرات كل شئ (من جوع) شديد كانوا فيه قبلهما وكاد الجوع يصيبهم الى ان جمعهم عمرو العلى وهو هاشم المذكور على الرحلتين قال ابو حيان من ههنا للتعليل اى لاجل الجوع وقال سعدى المفتى الجوع لايجامع الاطعام والظاهر انها للبدلية يقول الفقير الظاهر ان مآل المعنى نجاهم من الجوع بسبب الاطعام والترزيق (وآمنهم من خوف) عظيم لايقدر قدره وهو خوف اصحاب الفيل اوخوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم قال صاحب الكشاف الفرق بين عز ومن ان عز يقتضى حصول جوع قد زال بالاطعام ومن يقتضى المنع من لحاق الجوع والمعنى اطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فيكون من لابتداء الغاية والمعنى اطعمهم فى بدء جوعهم قبل لحاقه اياهم وآمنهم فى بدء خوفهم قبل اللحاق ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من ان تكون الخلافة فى غيرهم كما فى الكشاف وعن ام هانئ بنت ابى طالب رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى قريشا اى ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها احد قبلهم ولا يعطاها احد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة للبيت فيهم والسقاية فيهم ونصروا على الفيل اى على اصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفى لفظ عشر سنين لم يعبده احد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها احد غيرهم لايلاف قريش وتسمية لايلاف قريش سورة يرد ماقيل ان سورة الفيل ولايلاف قريش سورة واحدة فلينظر ما معنى عبادتهم لله دون غيرهم فى تلك المدة يقول الفقير اشار بقريش الى النفس المشركة وقواها الظلمة الخاطئة الساكنة فى البلد الانسانى الذى هو مكة الوجود وبالشتاء الى القهر والجلال وبالصيف الى اللطف والجمال واعنى بالقهر والجلال العجز والضعف لان المقهور عاجز ضعيف وباللطف والجمال القدرة والقوة لان الملطوف به صاحب التمكين فاما عجز النفس وضعفها فعند عدم مساعدة هواها واما قوتها وقدرتها فعند وجود المساعدة فهى وصفاتها ترتحل عند العجز والضعف الى يمن المعقولات لانها فى جانب يمين القلب وعند القوة والقدرة ترتحل الى شأم المحسوسات لانها فى جانب شمال القلب الذى بلى الصدر فهى تنقلب بين نعم المعقولات ونعم المحسوسات ولا تشكرها بان تقر بوحدة الوجود ورسالة رسول القلب كالفلاسفة المتوغلة فى المعقولات والقراعنة المنهمكة فى المحسوسات ولذا قال تعالى فليعبدوا رب هذا البيت اى بيت القلب الذى هو الكعبة الحقيقية لانها مهبط الواردات والالهامات ومن ضرورة العبادة له الاقرار برسالة رسول الهدى الذى هو القلب فالبيت معظم مشرف مطلقا لاضافة الرب اليه فما ظنك بعظمة الرب وجلاله وهيبته ورب القلب هو الاسم الجامع المحيط بجميع الاسماء والصفات وهو الاسم الاعظم الذى نيط به جميع التأثيرات العقلية والروحانية والعلمية والغيبية امروا بان يكونوا تحت هذا الاسم لاتحت الاسماء الجزئية ليتخلصوا من الشرك ويتحققوا بسر وحدة الوجود فان الاسماء الجزئية تعطى التقييد والاسم الكلى يعطى الاطلاق ومن ثمة بعث النبى عليه السلام فى ام البلاد اشارة الى كليته وجميعته وهذا الرب الجليل المفيض المعطى ازال عنهم جوع العلوم والفيوض واطعمهم بها وآمنهم من خوف الهلاك من الجوع لان نفس الجاهل كالميت ولاشك ان الاحياء يخافون من الموت هكذا وردبطريق الالهام من الله العلام

* (سورة الماعون سبع اوست آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ارأيت) يامحمد اى هل عرفت (الذى يكذب بالدين) اى بالجزآء او بالاسلام يعنى آياد يدى ودانستى آنكس راكه تكذيب ميكند بروز جزا و بادين اسلام و باور نميكند ان لم تعرفه اوان اردت ان تعرفه (فذلك الذى يدع اليتيم) اى يدفعه دفعا عنيفا و يزجره زجرا قبيحا فهو جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره وهو ابوجهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا فايس الصبى فقال له اكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزآء به وهو عليه السلام ماكان يرد محتاجا فذهب معه الى ابى جهل فقام ابوجهل و بذل المال لليتيم فعيره قريش وقالوا اصبوت فقال لاوالله ماصبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت ان لم اجبه يطعنها فى فالذى للعهد و يحتمل الجنس فيكون عاما لكل من كان مكذبا بالدين ومن شأنه اذية الضعيف ودفعه بعنف وخشونة لاستيلاء النفس السبعية عليه (ولايحض)

اى لايحث هله وغيرهم من الموسرين (على طعام المسكين) اى على بذل طعامه يعنى بطعام دادن درويش ومحتاج ويمنع المعروف عن المستحق لاستيلاء النفس البهيمية ومحبة المال واستحكام رذيلة البخل فانه اذا ترك حث غيره فكيف يفعل هو نفسه فعلم ان كلا من ترك الحث وترك الفعل من امارات التكذيب وفى العدول عن الاطعام الى الطعام واضافته الى المسكين دلالة على ان للمساكين شركة وحقا فى مال الاغنياء وانه انما منع المسكين ما هو حقه وذلك نهاية البخل وقساوة القلب اوخسة الطبع فان قلت قد لايحض المرء فى كثير من الاحوال ولايعد ذلك أثما فكيف يذم به قلت امالان عدم حضه لعدم اعتقاده الجزآء واما لان ترك الحض كناية عن البخل ومنع المعروف عن المساكين ولاشبهة فى كونه محل الذم والتوبيخ كما ان منع البر من الاحسان دلالت * چون زكرم سفله بودد ركران * منع كند ازكرم ديكران * سفله نخواهد دكرى رابكام * خس نكذارد دكسى رابجام (فويل) الفاء لربط مابعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ماذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل اى شدة العذاب (للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان احدهما ان لايكون من الانسان جوابه وموالمراد بهم كمجنون سهى انسانا والثانى ان يكون منه مولداته كمن شرب خمرا ثم ظهر منه منكر لاعن قصد الى فعله فالاول معفو عنه والثانى مأخوذ به ومنه ماذم الله فى الآية والمعنى ساهون عن صلاتهم سهو ترك لها وقلة التفات اليها وعدم مبالاة بها وذلك فعل المنافقين اوالفسقة من المؤمنين وهو معنى عن لا قال انس رضى الله عنه الحمد لله على ان لم يقل فى صلاتهم وذلك انه لو قال فى صلاتهم لكان المعنى ان الله يعتريهم وهم فيها اما بوسوسة شيطان اوبحديث نفس وذلك لايكاد يخلو منه مسلم والخلوص منه عسير لما نزلت هذه الآية قال عليه السلام هذه حيرلكم من ان يعطى كل واحد منكم مثل جميع الدنيا فان قلت هل صدر عن نبى عليه السلام سهو قلت نعم كما قال (شغلونا عن صلاة العصر) اى يوم الخندق (ملأ الله قلوبهم نارا) واضاعتها عن صلاة الفجر ليلة التعريس وايضا صلى الظهر ركعتين ثم سلم فقال له ابو بكر رضى الله عنه صليت ركعتين فقام واضاف اليهما ركعتين لكن سهوه عليه السلام فيما ذكر وفى غيره ليس كسهو سائر الخلق وايهم منه عليه السلام وهو والاستغراق والانجذاب دائما وقد قال تنام عينى ولاينام قلبى وفيه اشارة الى ان السهو عن شهود لطائف الصلاة والغفلة عن اسرارها وعلومها وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لاهون مكان ساهون فعلى العاقل ان لاتفوته الصلاة التى هى من باب المعراج والمناجاة ولايعبث فيه بالحية والثوب ولايكثر التثؤب والالتفات ونحوهما ومن المصلين من لايدرى عركم انصرف ولاما قرأ من السورة (الذين هم يراؤن) اى يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها فان قلت فحينئذ يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان الثناء لايتعلق به الرؤية البصرية قلت هو محمول على عموم المجاز اوعلى جعل الاراءة من الرؤية بمعنى المعرفة قال فى الكشاف والعمل الصالح ان كان فريضة ففى حين الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولاغمة فى فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لايلام بتركه ولاتهمة فيه وان اظهره قاصدا للاقتداء فيه كان جميلا وانما الرياء ان يقصد ان تراه الاعين فتثنى عليه بالصلاح واجتناب الرياء صعب لانه اخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة المظلمة على المسح الاسود * * كليد دردوزخست آن نماز * كه درچشم مردم كزارى دراز * والفرق بين المرآئى والمنافق ان المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرآئى يظهر زيادة الخشوع وآثار الصلاح ليعتقد من يراه انه من اهل الصلاح وحقيقة الرياء طلب مافى الدنيا بالعبادة وفيه اشارة الى ان من يضيف اعماله واحواله الى نفسه الظلمانية فهو مراء (ويمنعون الماعون) من المعن وهو الشئ القليل وسميت الزكاة ماعونا لانه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير وقال ابو الليث الماعون بلغة الحبشة المال وفى برهان القرآن قوله الذين هم ثم بعده الذين هم كرر ولم يقتصر على مرة واحدة لامتناع عطف الفعل على الاسم ولم يقل الذين هم يمنعون لانه فعل فحسن العطف على الفعل وهذه دقيقة انتهى والمعنى ويمنعون الزكاة كما دل عليه ذكره عقيب الصلاة اومايتعاورونه فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان من عدم الاعتقاد بالجزآء موجب للذم والتوبيخ فعدم المبالاة بالصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام وسوء المعاملة

مع الخلق احق بذلك وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه والمراد بما يتعاوره عادة اى يتداوله الناس بالعارية و يعين بعضهم بعضا باعارته هو مثل الفاس والقدر والدلو والابرة والقصعة والغربال والقدوم والمقدحة والنار والماء والملح ومن ذلك ان يلتمس جارك ان يخبز فى تنورك او يضع متاعه عندك يوما او نصف يوم عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يارسول الله ما الذى لا يحل منعه قال الماء والنار والملح فقالت يارسول الله هذا الماء فما بال النار والملح قال لها ياحميراء من اعطى نارا فكأنما تصدق بجميع ماطبخ بتلك النار ومن اعطى ملحا فكأنما تصدق بجميع ماطيب بذلك الملح ومن سقى شربة من الماء حيث لا يوجد الماء فكأنما احيى نفسا كما فى كشف الاسرار وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا فى الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا فى المروة فى غير حال الضرورة وفى عين المعانى فلما منعوا منعوا من الكوثر ففى الآية الزجر عن البخل الذى هو صفة المنافقين

(تمت سورة الماعون يوم عيد المؤمنين)

* (سورة الكوثر ثلاث آيات مكية اومدنية) *

---

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(انا) ان جارى مجرى القسم فى تأكيد الجملة (اعطيناك) بصيغة الماضى مع ان العطايا الاخروية واكثرما يكون فى الدنيا لم تحصل بعد تحقيقا لوقوعها (الكوثر) اى الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين فوعل من الكثرة كنوفل من النفل وجوهر من الجهر قيل لاعرابية آب ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر اى بالعدد الكثير من الخير قال فى القاموس الكوثر الكثير من كل شئ وفى المفردات وقد يقال للرجل السخى كوثر و يقال تكوثر الشئ كثر كثرة متناهية وروى عنه عليه السلام انه قرأها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير احلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء لا يظمأ من شرب منه ابدا اول واردية فقراء المهاجرين الدنسوا الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد و يموت احدهم وحاجته تلجلج فى صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير وعن عائشة رضى الله عنها من اراد ان يسمع خرير الكوثر فليدخل اصبعيه فى اذنيه وقال عطاء هو حوضه لكثرة وارديه وفى الحديث حوضى ما بين صنعاء الى ايلة على احدى زواياه ابو بكر وعلى الثانية عمر وعلى الثالثة عثمان وعلى الرابعة على فمن ابغض واحدا منهم لم يسقه الآخر فيكون الحوض فى المحشر والاظهر ان جميع نعم الله داخلة فى الكوثر ظاهرة او باطنة فمن الظاهرة خيرات الدنيا والآخرة و من الباطنة العلوم اللدنية الحاصلة بالفيض الالهى بغير اكتساب بواسطة القوى الظاهرة والباطنة صاحب تأويلات فرموده كه كوثر معرفت كثرتست بوحدت وشهود وحدت درعين كثرت واين نهر يست دربستان معرفت هركه ازوسيراب شد ابداز تشنكى جهالت ايمن است واين معنى خاصة حضرت رسالت عليه السلام وكمل اولياء امت او (فصل لربك وانحر) اى وانحر له فحذف اكتفاء بما قبله والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر من العطية التى لم يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب للمأمور به اى استيجاب والنحر فى اللبة كالذبح فى الحلق والمعنى فدم على الصلاة لربك الذى افاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه كما دل عليه اللام الاختصاصية خلافا للساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجمع اقسام الشكر وهى ثلاثة الشكر بالقلب وهو ان يعلم ان تلك النعم منه لا من غيره والشكر باللسان وهو ان يمدح المنعم و يثنى عليه والشكر بالجوارح وهو ان يخدمه و يتواضع له والصلاة جامعة لهذه الاقسام وانحر البدن التى هى خيار اموال العرب باسمه تعالى يعنى و شتر قربان كن براى وى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم و يمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية وهذا يناسب كون السورة مدنية وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى * مصطفى را عليه السلام برسيدند كه اكر كسى درو يش بود وطاقت قربان ندارد چكونه كند تا ثواب قربان

اورا حاصل شود كفت چهار ركعت نماز كنند در هر ركعتى يكبار الحمد خواند و يازدة بارانا اعطيناك الكوثر الله تعالى اوراثواب شصت قربان در ديوان روى ثبت كنند كما فى كشف الاسرار وعن على رضى الله عنه النحر ههنا وضع اليدين فى الصلاة على النحر وعن سليمان التيمى ارفع يديك بالدعاء الى نحرك وفى التأويلات النجمية وانحر بدن انانيتك وانيتك بوضع يدك اليمنى الروحانية على يدك اليسرى الجسمانية على نحرك المشروح بسيف نص الم نشرح لك صدرك (ان شانئك) يقال شنأه كنعه وسمعه شنأ ابغضه اى مبغضك (هو) للفصل (الابتر) لبغضه لك لان نسبة امر الى المشتق تفيد علية المأخذ والبغض ضد الحب والبتر يستعمل فى قطع الذنب ثم اجرى قطع العقب مجراه فقيل فلان ابتر اذا لم يكن له عقب يخلفه والمعنى هو الذى لاعقب له حيث لايبقى له نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة، آثار اقتدار تونا حشر متصل *خصم سياه روى تو بى حال وخجل *ولك فى الآخرة مالا يندرج تحت البيان وذلك انهم زعموا حين مات ابنه عليه السلام القاسم وعبدالله بمكة وابراهيم بالمدينة ان محمدا صلى الله عليه وسلم ينقطع ذكره اذا انقطع عمره لفقدان نسله فنبه الله ان الذى ينقطع ذكره هو الذى يشنأه فاما هو فكما وصفه الله تعالى ورفعنالك ذكرك وذلك انه اعطاه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلى منهم وجعله ابا للمؤمنين فهم اعقابه واولاده الى يوم القيامة وقبض له من يراعيه و يراعى دينه الحق والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين رضى الله عنه العلماء باقون مابقى الدهر اعيانهم مفقودة وآثارهم فى القلوب موجودة هذا فى العلماء الذين هم اتباعه عليه السلام فكيف هو وقد رفع الله ذكره وجعله خاتم الانبياء عليهم السلام وفى التأويلات النجمية ان شانئك هو الابتر وهو حمار النفس المبتور ذنب نسله وعقبه فان اولاد الاعمال الصالحة والاحوال الصادقة والاخلاق الروحانية والاوصاف الربانية اولادك يارسول القلب واتباعك واشياعك واعوانك يقول الفقير ايده الله القدير وردت على سورة الكوثر وقت الضحى بعد القيلولة والاشارة فيها انا بجميع اسمائنا اللطفية الجمالية الاكرامية اعطيناك يامحمد القلب ورسول الهدى المبعوث الى جميع القوى بالخير والهدى الكوثر وهو العلم الكثير الفائض من منبع الاسم الرحمن فانارحمناك بهذه الرحمة العامة الشاملة لجميع الرحمات فلذا صرت مظهر الرحمة الكلية فى جميع المواطن فلك علم الاحكام وعلم الحقائق فصل فى مسجد الفناء والتسليم وهو المسجد الابراهيمى لربك اى لشكر ربك ولادامة شهوده وابقاء حضوره معك فى جميع الحالات وانحر بدنة البدن فى طريق الخدمة و بدنة الطبيعة فى طريق العفة و بدنة النفس فى طريق الفتوة ان شانئك اى مبغضك من القوى الشريرة الانفسية والآفاقية هو الابتر المقطوع اعقابه وآخره كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين الذى ربى اولياءه فجعل لهم الوصل كما جعل لاعدائهم القطع ثم ان قوله هو الابتر يوقف عليه ثم يقال الله اكبر ولا يوصل بالتكبير حذرا من الايهام

* (سورة الكافرين ست آيات مكية اومدنية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قل يا ايها الكافرون) قالوا فى مناداتهم بهذا الوصف الذى يستزلونه فى بلدتهم ومحل عزهم وشوكتهم ايذان بانه عليه السلام محروس منهم ففيها علم من اعلام النبوة وفى التعبير بالجمع الصحيح دلالة على قلتهم اوحقارتهم وذلتهم وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وابى جهل والعاص بن وائل وامية بن خلف والاسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس ونحوهم قد علم الله انه لايأتى ولايأتى منهم الايمان ابدا على ماهو مضمون السورة فالخطاب للرسول عليه السلام بالنسبة الى قوم مخصوصين فلا يرد ان مقتضى هذا الامر ان يقول كل مسلم ذلك لكل جماعة من الكفار مع ان الشرع ليس حاكما به روى ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا استلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فايسوا منه عند ذلك وآذوه واصحابه وفيه اشارة الى الذين ستروا نور استعدادهم الاصلى بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة فحجبوا عن الحق بالغير (لا اعبد ما تعبدون) اى فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال الا ترى ان لن تأكيد

فيما ينفيه لا قال الخليل في لن اصله لا والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلب منكم من عبادة الهى والمراد ولا انتم عابدون عبادة يعتد بها اذ العبادة مع اشراك الانداد لا تكون في حيز الاعتداد (ولا انا عابد ما عبدتم) اى وما كنت عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اى لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الاسلام (ولا انتم عابدون ما اعبد) اى وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته وهو الله تعالى فليس في السورة تكرار وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله ومشتهرا بكونه عابدا لله على سبيل الاستمرار لامره يعني على ما يقتضيه جعل العبادة صلة للموصول ثم عدم الموسومية بشئ لا يقتضي عدم ذلك الشئ فلا يلزم ان لا يكون عليه السلام عابدا لله قبل البعثة بل يكون ما وقع منه قبلها من قبيل الجرى على العادة المستمرة القديمة وفي القاموس كان عليه السلام على دين قومه على ما بقي فيهم من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام في حجهم ومناكحهم وبيوعهم واساليبهم واما التوحيد فانهم كانوا بذلوه والنبي عليه السلام لم يكن الا عليه انتهى وايثار ما في اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته (لكم دينكم) تقرير لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم (ولي) بفتح ياء المتكلم (دين) بحذف الياء اذ اصله ديني وهو تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوز الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحال وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوز الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم واستلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما وفي عين المعاني ونحوه هو منسوخ بآية السيف وقال ابو الليث وفيها دليل على ان الرجل اذا رأى منكرا او سمع قولا منكرا فانكره ولم يقبلوا منه لا يجب عليه اكثر من ذلك وانما عليه مذهبه وطريقه وتركهم على مذهبهم وطريقهم يقول الفقير وردت على هذه السورة وكنت اقرأها في صلاة العصر بصوت جهوري حتى اسمعتها جميع ما في الكون واشارتها قل يا محمد القلب يا ايها الكافرون اى القوى النفسانية الساترة للتوحيد بالشرك والطاعة بالمعصية والوحدة بالكثرة والوجود الحقيقي بالوجود المجازي ونور الحقيقة الوجوبية بظلمة الحقيقة الامكانية لا اعبد ما تعبدون من الاصنام التي يعبر عنها بما سوى الله فاني مأمور بالايمان بالله والكفر بالطاغوت وكل ما سوى الله من قبيل الطاغوت والاله المجعول المقيد فلا يستحق العبادة الا الله المطلق عن الاطلاق والتقييد ولا انتم عابدون ما اعبد وهو الله الواحد القهار الذي قهر بوحدته جميع الكثرات ولكن لا يقف عليه الا اهل الوحدة والشهود وانتم اهل الكثرة والاحتجاب فاني لكم هذا الوقوف ولا انا عابد ما عبدتم من التلوينات والتقلبات في الكثرات الاسمائية والصفاتية ولا انتم عابدون ما اعبد من التمكين والتحقيق وكذا من التلوين في التمكين فانه مقتضيات ظهور حقائق جميع الاسماء وليس فيه ميل وانحراف عن الحق اصلا بل فيه بقاء مع الحق في كل طور لكم دينكم الذي هو الايمان بالطاغوت والكفر بالله وهو الدين الذي يجب التبري منه ولي دين الذي هو الايمان بالله والكفر بالطاغوت وهو الدين الذي يجب التعلق باحكامه والتخلق باخلاقه والتحقق بحقائقه هذا فحقائق القرآن ليست بمنسوخة ابدا بل العمل بها باقي ابن عباس رضي الله عنهما فرموده در قرآن سوره نيست بر شيطان سخت تر از سوره قل يا ايها الكافرون توحيد محض است ودرو برائت از شرك فمن قرأها برئ من الشرك وتباعد عنه مردة الشياطين وامن من الفزع الاكبر وهي تعدل ربع القرآن وفي الحديث مروا صبيانكم فليقرأوها عند المنام فلا يعرض لهم شئ ومن خرج مسافرا فقرأ هذه السور الخمس قل يا ايها الكافرون اذا جاء نصر الله قل هو الله احد قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب الناس رجع سالما غانما

(تمت سورة الكافرين بعون ناصر المؤمنين)

* (سورة النصر ثلاث آيات مدينة) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(اذا جاء نصر الله) اى اعانته تعالى واظهاره اياك على اعدائك فان قلت لاشك ان ماوقع من الفتوح كان بنصرة المؤمنين فما وجه اضافتها الى الله قلت لان افعالهم مستندة الى دواعى قلوبهم وهى امور حادثة لابد لها من محدث وهو الله تعالى فالعبد هو المبدأ الاقرب والله هو المبدأ الاول والخالق للدواعى ومايبتنى عليها من الافعال والعامل فى اذا هو سبح اى فسبح اذا جاء نصر الله ولا يمنع الفاء عن العمل على قول الاكثرين اوفعل الشرط وليس اذا مضافا اليه على مذهب المحققين واذا لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام النبوة لما روى ان السورة نزلت قبل فتح مكة كما عليه الاكثر (والفتح) اى فتح مكة على ان الاضافة واللام للعهد وهو الفتح الذى تطمح اليه الابصار ولذلك سمى فتح الفتوح ووقع الوعد به فى الاول سورة الفتح وقد سبقت قصة الفتح فى تلك السورة وقيل جنس نصر الله ومطلق الفتح على ان الاضافة واللام للاستغراق فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومنا طها كان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيئ سائر الفتوح وعلق به امره عليه السلام وانهما على جناح الوصول اليه عن قريب ويمكن ان يقال التعبير للاشارة الى حصول نصر الله بمجيئ جنده بهم النصر وقيل نزلت السورة فى ايام التشريق بمنى فى حجة الوداع وعاش عليه السلام بعدها ثمانين يوما اونحوها فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض مافى حيزها اعنى رؤيته دخول الناس الخ غير منقض بعد وقال سعدى المفتى وعلى هذه الرواية فكلمة اذا تكون خارجة عن معنى الاستقبال فانها قد تخرج عنه كما قيل فى قوله تعالى واذا رأوا تجارة الآية وفى المصطلحات ان الفتوح كل مايفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مغلقا عليه من النعم الظاهرة والباطنة كالارزاق والعبادات والعلوم والمعارف والمكاشفات وغير ذلك والفتح القريب هو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفته وكمالاته عند قطع منازل النفس وهو المشار اليه بقوله نصر من الله وفتح قريب والفتح المبين هو مايفتح على العبد من مقام الولاية وتجليات انوار الاسماء الالهية المفنية لصفات القلب وكمالاته المشار اليه بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر يعنى من الصفات النفسانية والقلبية والفتح المطلق هو اعلى الفتوحات واكملها وهو ما انفتح على العبد من تجلى الذات الاحدية والاستغراق فى عين الجمع بفناء الرسوم الخلقية كلها وهو المشار اليه بقوله اذا جاء نصر الله والفتح انتهى وقد سبق بعبارة اخرى فى سورة الفتح وعلى هذا فالمراد بالنصر هو المدد الملكوتى والتأييد القدسى بتجليات الاسماء والصفات وبالفتح هو الفتح المطلق الذى لافتح وراءه وهو فتح باب الحضرة الالهية الاحدية والكشف الذاتى ولاشك ان الفتح الاول هو فتح ملكوت الافعال فى مقام القلب بكشف حجاب حس النفس بافناء افعالها فى افعال الحق والثانى هو فتح جبروت الصفات فى مقام الروح بكشف حجاب خيالها بافناء صفاتها فى صفاته والثالث هو فتح لاهوت الذات فى مقام السر بكشف حجاب وهمها بافناء ذاتها فى ذاته ومن حصل له هذا النصر والفتح الباطنى حصل له النصر والفتح الظاهرى ايضا لان النصر والفتح من باب الرحمة وعند الوصول الى نهاية النهايات لايبقى من السخط اثر اصلا ويستوعب الظاهر والباطن اثر الرحمة مطلقا ومن ثمة تفاوت احوال الكمل بداية ونهاية فظهر من هذا ان كلا من النصر والفتح فى الآية ينبغى ان يحمل على ماهو المطلق لكنى اقتفيت اثر اهل التفسير فى تقديم ماهو المفيد لكنه قول مرجوح تسامح الله عن قائله (ورايت الناس) ابصرتم اوعلمتهم يعنى العرب واللام للعهد اوالاستغراق العرفى جعلوه خطابا للنبى عليه السلام ويحتمل الخطاب العام لكل مؤمن وحينئذ يظهر جواب آخر عن امرا النبى عليه السلام بالاستغفار مع انه لاتقصير له اذ الخطاب لايخصه فالامر بالاستغفار لمن سواه وادخاله فى الامر تغليب (يدخلون فى دين الله) اى ملة الاسلام التى لادين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على تقدير الرؤية البصرية حال وعلى تقدير الرؤية القلبية مفعول ثان وقال بعضهم ومما يحتاج فى القلب ان المناسب لقوله يدخلون الخ ان يحمل قوله والفتح على فتح باب الدين عليهم (افواجا) حال من فاعل يدخلون اى يدخلون فيه جماعات كثيرة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روى انه عليه السلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل ومن كل من ارادهم فكانوا يدخلون فى دين الاسلام افواجا من غير قتال

(قال الكاشفى) درسال نزول اين سوره تتابع وفود بود چون بنى اسد و بنى مره و بنى كلاب و بنى كنانه و بنى هلال وغير ايشان ازانحا واطراف بخدمت آن حضرة آمده بشرف اسلام مشرف ميشدند قال ابو عمر ابن عبد البر لم يمت رسول الله عليه السلام وفى العرب رجل كافر بل دخل الكل فى الاسلام بعد حنين منهم من قدم ومنهم من قدم وافده وقال ابن عطية والمراد والله اعلم العرب عبدة الاوثان واما نصارى بنى تغلب فما اسلموا فى حياته عليه السلام ولكن اعطوا الجزية وفى عين المعانى الناس اهل البحر قال عليه السلام الايمان يمانى والحكمة يمانية وقال وجدت نفس ربكم من جانب اليمن اى تنفيسه من الكرب وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه بكى ذات يوم فقيل له فى ذلك فقال سمعت رسول الله عليه السلام يقول دخل الناس فى دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا (فسبح بحمد ربك) التسبيح مجاز عن التعجب بعلاقة السببية فان من رأى امرا عجيبا يقول سبحان الله قال ابن الشيخ لعل الوجه اطلاق هذه الكلمة عند التعجب كما ورد فى الاذكار والكل اعجوبة سبحان الله هو ان الانسان عند مشاهدة الامر العجيب الخارج عن حد امثاله يستبعد وقوعه وتنفعل نفسه منه كانه استقصر قدرة الله فلذلك خطر على قلبه ان يقول من قدر عليه واوجده ثم انه فى هذا الزعم مخطئ فقال سبحان الله تنزيها لله عن العجز عن خلق امر عجيب يستبعد وقوعه لتيقنه بان الله على كل شئ قدير قال الامام السهيلى رحمه الله سر اقتران الحمد بالتسبيح ابدا نحو سبح بحمد ربك وان من شئ الا يسبح بحمده ان معرفة الله تنقسم قسمين معرفة ذاته ومعرفة اسمائه وصفاته ولا سبيل الى اثبات احد القسمين دون الآخر واثبات وجود الذات من مقتضى العقل واثبات الاسماء والصفات من مقتضى الشرع فبالعقل عرف المسمى وبالشرع عرفت الاسمى ولا يتصور فى العقل اثبات الذات الا مع نفى سمات الحدوث عنها وذلك هو التسبيح ومقتضى العقل مقدم على مقتضى الشرع وانما جاء الشرع المنقول بعد حصول النظر والعقول فنبه العقول على النظر فعرفت ثم علمها مالم تكن تعلم من الاسماء فاضاف لها التسبيح والحمد والثناء فالامر نا تسبيحه الا بحمده انتهى ومعنى الآية فقل سبحان الله حال كونك ملتبسا بحمده اى فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميع صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله امر بان يدوام على ذلك استعظاما لنعمته لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح وقال بعضهم والاشبه ان يراد تنزهه عن العجز فى تأخير ظهور الفتح واحمده على التأخير وصفه بان توقيت الامور من عنده ليس الا بحكم لا يعرفها الا هو انتهى او فاذكره مسبحا حامدا وزد فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه فالتسبيح مجاز عن الصلاة بعلاقة الجزئية لانها تشتمل عليه فى الاكثر روى انه عليه السلام لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمانى ركعات وحملها بعضهم على صلاة الشكر لا على صلاة الضحى وبعضهم على ان اربعا منها للشكر واربعا للضحى او فنزهه عما يقول الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال يعنى الصفات السلبية حامدا له على صفات الاكرام يعنى الصفات الثبوتية اى على آثارها او على تنزيلها منزلة الاوصاف الاختيارية لكفاية الذات المقدس فى الاتصاف بها فان المحمود عليه يجب ان يكون امرا اختياريا وقال القاشانى نزه ذاتك عن الاحتجاب بمقام القلب الذى هو معدن النبوة بقطع علاقة البدن والترقى الى مقام حق اليقين الذى هو معدن الولاية حامدا له باظهار كماله واوصافه التامة عند التجريد بالحمد الفعلى (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى او استغفره لذنبك وللمؤمنين وهو المناسب لما فى سورة محمد وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق حيث لم تشتغل عن رؤية الناس باستغفارهم اولا مع ان رؤيتهم تستدعى ذلك بل اشتغل اولا بتسبيح الله وحمده لانه رأى الله قبل رؤية الناس كما قيل مارايت شيأ الا ورأيت الله قبله وذلك لان الناس مرءآة العارف وصاحب المرءآة يتوجه اولا الى المرئى وبرؤية المرئى تلتفت نفسه الى المرءآة ولك ان تقول ان فى التقديم المذكور تعليم ادب الدعاء وهو ان لا يسأل فجأة من غير تقديم الثناء على المسؤل عنه عن عائشة رضى الله عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عليه السلام انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة ومنه يعلم ان ورد الاستغفار لا يسقط ابدا لانه لا يخلو الانسان عن الغين والتلوين وروى انه لما قرأها النبى عليه السلام على اصحابه استبشروا وبكى العباس

فقال عليه السلام ما يبكيك ياعم قال نعيت اليك نفسك اى القى اليك خبر موت نفسك والنعى القاء خبر الموت قال عليه السلام انها لكما تقول فلم يرعليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس رضى الله عنهما هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام لقد اوتى هذا الغلام علما كثيرا واذ لك كان عمر يدنيه ويأذن له مع اهل بدر ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم والكمال دليل الزوال كما قيل * توقع زوالا اذا قيل تم * اولان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الاجل كانه قال قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للامر ونبه به على ان العاقل اذا قرب اجله ينبغى ان يستكثر من التوبة وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم ابو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يابنتاه انه نعيت الى نفسى يعنى خبر وفات من دهند * نامه رسيد ازان جهان بهر مرا جعت برم * عزم رجوع ميكنم رخت بجرخ ميبرم * فبكت فقال لاتبكى فانك اول اهلى لحوقا بى فضحكت وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا قال على رضى الله عنه لما نزلت هذه السورة مرض رسول الله عليه السلام فخرج الى الناس فخطبهم وودعهم ثم دخل المنزل فتوفى بعد ايام قال الحسن رحمه الله اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالعمل الصالح وفيه تنبيه لكل عاقل (انه كان توابا) مبالغا فى قبول توبتهم منذ خلق المكلفين فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول وذلك ان قبول التوبة من الصفات الاضافية ولامنازعة فى حدوثها فاندفع ماورد ان المفهوم من الآية انه تعالى تواب فى الماضى وكونه توابا فى الماضى كيف يكون علة للاستغفار فى الحال والمستقبل وفى اختيار انه كان توابا على غفارا مع انه الذى يستدعيه قوله واستغفر حتى قيل وتب مضمر بعده والا لقال غفارا تنبيه على ان الاستغفار انما ينفع اذا كان مع التوبة والندم والعزم على عدم العود ثم ان من اضمر وتب يحتمل انه جعل الآية من الاحتباك حيث دل بالامر بالاستغفار على التعليل بانه كان غفارا وبالتعليل بانه كان توابا على الامر بالتوبة اى استغفره وتب * ذكر البرهان الرشيدى ان صفات الله التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولامبالغة فيها لان المبالغة ان يثبت للشئ اكثر مما له وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله وقال الزركشى فى البرهان التحقيق ان صيغة المبالغة قسمان احدهما ماتحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثانى بحسب تعدد المفعولات ولاشك ان تعددها لايوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفاته ويرفع الاشكال ولهذا قال بعضهم فى حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة الى الشر آئع وقال فى الكشاف المبالغة فى التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه اولانه بليغ فى قبول التوبة بحيث ينزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه (تمت سورة النصر بعون من اقسم بالعصر بعد ظهر يوم السبت)

* (سورة المسد خمس آيات مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(تبت) اى اهلكت فان التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اى هالكة من الهرم والعجز او خسرت فان التباب ايضا خسران يؤدى الى الهلاك (يدا ابى لهب) تثنية يد واللهب واللهيب اشتعال النار اذا خلص من الدخان اولهبها لسانها ولهيبها حرها وابولهب وتسكن الهاء كنية عبد العزى بن عبد المطلب لجماله اولماله كما فى القاموس يعنى ان التكنى لاشراق وجنتيه وتلهبهما والا فليس له ابن يسمى باللهب وايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روى انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقى رسول الله عليه السلام الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال يابنى عبد المطلب يابنى فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقى قالوا نعم يعنى اكر من شمارا خبر كنم باآنكه در پاى اين كوه جمعى آمده اند بداعيهٔ آنكه برشما شبيخون كرده دست بقتل وغارت بكشا ند مرادران تصديق ميكنيد يانه كفتند چرانكنيم وتو پيش مابدروغ متهم نشده قال فانى نذير لكم بين يدى الساعة فقال عمه ابولهب تبالك يعنى هلاكت باد آلهذا دعوتنا واخذ حجرا بيده ليرميه عليه السلام به فزجره الله من ذلك حيث لم يستطع ان يرميه فلا كناية فى ذكر اليدين ووجه وصف يديه بالهلاك ظاهر ولما

وصفهما بالخسران فلرد ما اعتقده من نفعه ورجحه فى اذية رسول الله عليه السلام ورميه بالحجر وذكر فى التأويلات الماتريدية انه كان كثير الاحسان الى رسول الله عليه السلام وكان يقول ان كان الامر لمحمد فيكون لى عنده يد وان كان لقريش فلى عندها يد فاخبرانها خسرت يده التى كانت عند محمد عليه السلام بعناده له ويده التى عند قريش ايضا لخسران قريش وهلاكهم فى يد محمد (وتب) اى وهلك كله فهو اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضى لتحقق وقوعه وقيل المراد بالاولى هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة على ان ذكر اليد كناية عن النفس والجملة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب فان كلمة قد لا تدخل على الدعاء وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك والمراد بيان استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شأن العاجز وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته فليست للتكريم اولكراهة ذكر اسمه القبيح اذفيه اضافة الى الصنم اوللتعريض بكونه جهنميا لانه سيصلى نارا ذات لهب يعنى ان ابالهب باعتبار معناه الاضافى يصلح ان يكون كناية عن حاله وهى كونه جهنميا لان معناه باعتبار اضافته ملابس اللهب كما ان معنى ابوالخير واخوالحرب بذلك الاعتبار ملابس الخير والحرب واللهب الحقيق لهب جهنم وهذا المعنى يلزمه انه جهنمى ففيه انتقال من الملزوم الى اللازم فهى كنية تفيد الذم فالدفع ما يقال هذا يخالف قولهم ولا يكنى كافر وفاسق ومبتدع الا لخوف فتنة اوتعريف لان ذلك خاص بالكنية التى تفيد المدح لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها قال فى الاتقان ليس فى القرآن من الكنى غير ابى لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى اى الصنم لانه حرام شرعا انتهى وفيه ان الحرام وضع ذلك لا استعماله وفى كلام بعضهم ما يفيد ان الاستعمال حرام ايضا الان يشهر بذلك كما فى الاوصاف المنقصة كالاعمش وكان بعد نزول هذه السورة لا يشك المؤمن انه من اهل النار بخلاف غيره ولم يقل فى هذه السورة قل تبت الخ لئلا يكون مشافهتها لعمه بالشتم والتغليظ وان شتمه عمه لان للعم حرمة كحرمة الاب لانه مبعوث رحمة للعالمين وله خلق عظيم فاجاب الله عنه وقرئ ابولهب بالواو كما قيل على بن ابوطالب ومعاوية بن ابوسفيان مع ان القياس الياء لكونه مضافا اليه كيلا يغير منه شئ فيشكل على السامع والحاصل ان الكنية بمنزلة العلم والاعلام لا تتغير فى شئ من الاحوال وكان لبعض امرآء مكة ابنان احدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالفتح (ما اغنى عنه ماله وما كسب) اى لم يغن عنه حين حل به التباب ولم ينفعه اصلا على ان ما نافية اواى شئ اغنى عنه على انها استفهامية فى معنى الانكار منصوبة بما بعدها على انها مفعول به اوأى اغناء اغنى عنه على انها مفعول مطلق اصل ماله وما كسبه به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع ولا احدا كثر مالا من قارون وما دفع عنه الموت والعذاب ولا اعظم ملكا من سليمان عليه السلام وقد قيل فيه نه بر بادرفتى سحركاه وشام * سرير سليمان عليه السلام * بآخر ندیدیکه بر بادرفت * خنك آنكه بادانش وداد رفت * اوماله الموروث من ابيه والذى كسبه بنفسه اوعمله الخبيث الذى هو كيده فى عداوة النبى عليه السلام اوعمله الذى ظن انه منه على شئ كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال بعضهم ما كسب منفعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب ولده (وروى) انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخى حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى وولدى فاستخلص منه وقد خاب رجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسدفى طريق الشام وذلك ان عتبة بن ابى لهب وكان تحته ابنة رسول الله عليه السلام اراد الخروج الى الشأم فقال لاتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال ابولهب اعينونى يا معشر قريش هذه الليلة فانى اخاف على ابنى دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتخللهم ويتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وهلك ابولهب بالعدسة بعد وقعة بدر اسبع ليال والعدسة بثرة تخرج فى البدن تشبه العدسة وهى من جنس الطاعون تقتل غالبا فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان واحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القرآن وفى انسان العيون لم يحفروا له حفيرة ولكن اسندوه الى حائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه وفى رواية حفروا له

ثم دفنوه بعود فى حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وعن عائشة رضى الله عنها انها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها والقبر الذى يرجم خارج باب الشبيكة الآن ليس بقبر ابى لهب وانما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة وذلك فى دولة بنى العباس فان الناس اصبحوا يوما فوجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا للفاعل فامسكوهما بعد ايام فصلبا فى ذلك الموضع فصارا يرجمان الى الآن (سيصلى) اى ماذكر من العذاب ما كل امره فى النشأة الاولى وفى النشأة الآخرة سيدخل لامحالة (نارا ذات لهب) نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصا فى انه لايؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لايؤمن ابدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابولهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ماكلفه هو الايمان بجميع ماجاء به النبى عليه السلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ماتطلق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر (وامرأته) عطف على المستكن فى سيصلى لكون الفصل بالمفعول يعنى زن اونيز با اودر آيد و داخل نار شود وهى ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابى سفيان عمة معاوية رضى الله عنه واسمها العوراء وآن درهمسايكى حضرت عليه السلام خانه داشت وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان تنثرها بالليل فى طريق النبى عليه السلام تاخارى نعوذ بالله دردا منش آو بزديا درپايش خلد وكان عليه السلام يطأه كما يطأ الحرير وفى تفسير أبى الليث حتى صار النبى عليه السلام واصحابه فى شدة وعناء وفى تفسير الكاشفى وآن حضرت كه بنماز بيرون آمدى آنهارا برسر راه بركرفتى و بطريق ملايمت كفتى اين چه نوع همسايكيست كه بامن ميكنيد * مير يختند دررە توخار باشمه * چون كل شكفته بود رخ كلستان تو (حمالة الحطب) الحطب ماأعد من الشجر شبوبا كما فى القاموس ونصب حمالة على الشتم والذم اى أذم حمالة الحطب قال الزمخشرى وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله عليه السلام بجميل من احب شتم ام جميل انتهى وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد انها تحمل يوم القيامة حزمة حطب كالزقوم والضريع وفى جيدها سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يناسب حاله فى جرمه وعن قتادة انها مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فانتصب حينئذ على الشتم حتما وقيل كانت تمشى بالنميمة وتفسد بين الناس تحمل الحطب بينهم اى توقد بينهم النائرة وتورث الشر بس هيزم كش عبار تست ازسخن چينى كه آتش خصومت ميان دوكس برمى افروزد * ميان دوكس جنك چون آتش است * سخن چين بدبخت هيزم كش است * كنداين وآن خوش دكر باره دل * وى اندرميان كور بخت و خجل * ميان دوكس آتش افروختن * نه عقلست خود درميان سوختن (فى جيدها حبل من مسد) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية والجيد بالكسر العنق ومقلده اومقدمه كما فى القاموس والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان اوجلد اوغيرهما يقال دابة ممسودة شديدة الاسر والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تحسبا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتغضب من ذلك و يشق عليها و يغضب بعلها ايضا وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة قال مرة الهمدانى كانت ام جميل تأتى كل يوم بالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هى ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذ بها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها حتى هلكت و بدوزخ رفت وفى ينابيع الحياة انها لما بلغها سورة تبت يدا ابى لهب جاءت الى اخيها ابى سفيان فى بيته وهى متحرقة غضبى فقالت له ويحك يا حمس اى يا شجاع اما تغضب ان هجانى محمد فقال ساكفيك اياه ثم اخذ بسيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال لها يا اختى ايسرك ان رأس اخيك فى فم ثعبان قالت لا والله قال فقد كاد ذلك يكون الساعة اى فانه رأى ثعبانا لو قرب منه صلى الله عليه وسلم لالتقم رأسه ثم كان من امر ابى سفيان الاسلام ومن امر اخته الموت على الكفر والكل من حكم الله السابق (قال فى كشف الاسرار) سك اصحاب الكهف رنك كفر داشت ولباس بلعام باعور طراز دين داشت ليكن شقاوت وسعادت ازلى ازهر دوجانب دركمين بود چون دولت روى نمود پوست ان سك ازروى صورت دربلعام پوشانيدند كفتند (فمثله كمثل الكلب) ومرقع بلعام دران سك پوشيدند

كفتند ثلاثة رابعهم كلبهم قوله من مسد بالوقف يعنى يوقف عليه ثم يجاء بالتكبير لما مر

* (تمت سورة المسد فى عاشر جمادى الاولى من سنة سبع عشرة ومائة وألف) *

* (سورة الاخلاص اربع أوخمس آيات مكية اومدنية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قل هو الله احد) الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها عين الشان الذى عبر عنه بالضمير اى الله احد هو الشأن هـذا اوهو أن الله احد والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها مع ان فى الابهام ثم التفسير مزيد تقرير اوالضمير لما سئل عنه اى الذى سألتم عنه هو الله اذروى ان المشركين قالوا للنبى عليه السلام صف لنا ربك الذى تدعونا اليه وانسبه اى بين نسبه واذكره فنزلت يعنى بين الله نسبه بتنزيهه عن النسب حيث نفى عنه الوالدية والمولودية والكفاءة فالضمير حينئذ مبتدأ والله خبره واحد بدل منه وابدال النكرة المحضة من المعرفة يجوز عند حصول الفائدة على ماذهب اليه ابو على وهو المختار والله علم دال على الاله الحق دلالة جامعة لمعانى الاسماء الحسنى كلها وقال القاشانى هو عندنا اسم الذات الالهية من حيث هى هى اى المطلقة الصادق عليها مع جميعها اوبعضها اولا مع واحد منها كقوله تعالى قل هو الله احد انتهى وعبد الله هو العبد الذى تحلى بجميع اسمائه فلا يكون فى عباده ارفع مقاما واعلى شأنا منه لتحققه بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته ولهذا خص نبينا عليه السلام بهذا الاسم فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة الاله وللا قطاب من ورثته بتبعيته وان اطلق على غيره مجازا لاتصاف كل اسم من اسمائه بجميعها بحكم الواحدية واحدية جميع الاسماء والاحد اسم لمن لا يشاركه شئ فى ذاته كما ان الواحد اسم لمن لا يشاركه شئ فى صفاته يعنى ان الاحد هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها فاثبت له الاحدية التى هى الغنى عن كل ماعداه وذلك من حيث عينه وذاته من غير اعتبار امر آخر والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات وهى الحضرة الاسمائية ولذا قال تعالى ان الهكم لواحد ولم يقل لاحد لان الواحدية من اسماء التقييد فبينها وبين الخلق ارتباط اى من حيث الالهية والمألوهية بخلاف الاحدية اذ لا يصح ارتباطها بشئ فقولهم العلم الالهى هو العلم بالحق من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية اذ منه ما لا تفيه الطاقة البشرية وهو ما وقع به الكمل فى ورطة الحيرة واقروا بالعجز عن حق المعرفة ومنه يعلم ان توحيد الذات مختص فى الحقيقة بالله تعالى وعبد الاحد هو وحيد الوقت صاحب الزمان الذى له القطبية الكبرى والقيام بالاحدية الاولى وعبد الواحد هو الذى بلغه الله الحضرة الواحدية وكشف له عن احدية جميع اسمائه فيدرك مايدرك ويفعل مايفعل باسمائه ويشاهد وجوه اسمائه الحسنى قال ابن الشيخ فى حواشيه قوله هو الله احد ثلاثة الفاظ كل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات السائرين الى الله تعالى فالمقام الاول مقام المقربين وهم الذين نظروا الى ماهيات الاشياء وحقائقها من حيث هى هى فلا جرم مارأوا موجودا سوى الله لان الحق هو الذى لذاته يجب وجوده واما ماعداه فممكن والممكن اذا نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق تعالى وكلمة هو وان كان للاشارة المطلقة مفتقرة فى تعيين المراد بها الى سبق الذكر باحد الوجوه اوالى ان يعقبها ما يفسرها الا انهم يشيرون بها الى الحق ولا يفتقرون فى تلك الاشارة الى مايميز المراد بها من غيره لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث وقع الابهام بان يتعدد مايصلح لان يشار اليه وقد بينا انهم لا يشاهدون بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كانت لفظة هو كافية فى حصول العرفان التام لهؤلاء والمقام الثانى مقام اصحاب اليمين وهو دون المقام الاول وذلك لانهم شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الخلق ايضا موجودا فحصلت الكثرة فى الموجودات فلا جرم لم تكن لفظة هو كافية فى الاشارة الى الحق بل لا بد هناك من مميز به يتميز الحق من الخلق فهؤلاء مفتقرون الى ان يقرن لفظة الله بلفظة هو فقيل لاجلهم هو الله لان لفظة الله اسم للموجود الذى يفتقر اليه ماعداه ويستغنى هو عن كل ماعداه فتتميز به الذات المرادة عما عداه والمقام الثالث مقام اصحاب الشمال وهو اخس المقامات وهم الذين يجوزون ان يكون واجب الوجود اكثر من واحد فقرن لفظة الاحد بما تقدم ردا على هؤلاء وابطالا لمقالهم فقيل قل هو الله احد انتهى كلامه ومنه يعلم صحة ما اعتاده الصوفية من الذكر

بالاسم هو وذلك لان اهل البداية منهم وهم المحجوبون تابعون لاهل النهاية منهم وهم المكاشفون فكانهم كلهم ماشاهدوا فى الوجود الا الله فالله عندهم بهويته المطلقة السارية متعين لاحاجة الى التعيين اصلا فضمير هو راجع اليه لا الى غيره كما ان الضمير فى انزلناه راجع الى القرآن لتعينه وحضوره فى الذهن فقول الطاعن انه ضمير ليس له مرجع متعين فكيف يكون ذكر الله تعالى مردود على ان الضمائر اسماء وكل الاسماء ذكر لافرق بينها بالظهرية والمضمرية فعلى هذا يجوز ان يدخل اللام فى كلمة هو فى اصطلاح الصوفية لانها اشارة الى الهوية ولامناقشة فى الاصطلاح ثم قوله قل امر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل وفيه اشارة الى سر قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم فكانه يقول انا شهدت بوحدة الهوية فى مقام الجمع فاشهد انت ايضا تلك الوحدة فى مقام الفرق ليظهر سر الاحدية واللااحدية ويحصل التطابق بينهما جمعا وتفصيلا هكذا الاح بالبال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ هو الله بلا قل وكذا فى المعوذتين لانه توحيد والاخريان تعوذ فيناسب ان يدعو بهما وان يؤمر بتبليغهما وقد سبق فى سورة الاعلى مايغنى عن تكراره ههنا وقال بعضهم انما اثبت فى المصحف قل والتزم فى التلاوة مع انه ليس من دأب المأمور بقل ان يتلفظ فى مقام الاضمار الا بالمقول لان المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل واحد ابتلى به بما ابتلى به المأمور فاثبت ليبقى على مر الدهور منا على العباد (الله الصمد) مبتدأ وخبر فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمد اليه من باب نصر اذا قصده اى هو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى بذاته وكل ماعداه محتاج اليه فى جميع جهاته فلا صمد فى الوجود سوى الله فهو مثل زيد الامير يفيد قصر الجنس على زيد فاذا كان هو الصمد فمن انتفت الصمدية عنه لا يستحق الالوهية وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من يتصف به فهو بمعزل عن استحقاق الالوهية كما اشير اليه آنفا وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى وبين الوهيته المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح فاثبات الصمدية له سبحانه انما هو باعتبار استنادنا اليه فى الوجود والكمالات التابعة للوجود واما باعتبار احدية ذاته فهو غنى عن هذه الصفة والحاصل ان الصمدية تقتضى اعتبار كثرة الاسماء والصفات فى الله دون الاحدية وعبد الصمد هو مظهر الصمدية الذى يصمد اليه اى يقصد لدفع البليات وايصال امداد الخيرات ويستشفع به الى الله لدفع العذاب واعطاء الثواب وهو محل نظر الله الى العالم فى ربوبيته له يقول الفقير جرى على لسان الباطن بلا اختيار منى وذلك بعد الاشراق ان اقول ازلى ابدى احدى صمدى اى انت يارب ازلى احدى وابدى صمدى فالازلية ناظرة الى الاحدية كما ان الابدية ناظرة الى الصمدية وذلك باعتبار التحليل والتعقيد فان الاحدية لا تتجلى الا بازالة الكثرات فعند الانتهاء الى مقام الغنى الذى هو الغيب المطلق تزول الكثرة ويكون الزوال ازلا وهذا تحليل وفناء وعبور عن المنازل وعروج الى المرصد الاعلى والمقصد الاقصى عينا وعلما واما الصمدية فباعتبار الابدية التى هى البقاء وذلك يقتضى التعقيد بعد التحليل فهى بالنزول الى مقام العين بالمهملة اى العين الخارجى والعلم الشهادى الذى اسفل منازله عالم الناسوت والحاصل ان الاحدية جمع والصمدية فرق فمقام الاحدية هى النقطة الغير المنقسمة التى انبسطت منها جملة التراكيب الواحدية فاول تعينا تهلهى مرتبة آدم ثم حوآء لان حوآء انما ظهرت بعد الهوآء المنبعث من تعين آدم الحقيقى ولذا انقلبت الهاء حاء فصار الهوآء حوآء وخاصية الاسم الاحد ظهور عالم القدرة وآثارها حتى لو ذكره الفانى فى خلوة على طهارة ظهرت له العجائب بحسب قوته وضعفه وخاصية الاسم الصمد حصول الخير والصلاح فمن قرأه عند السحر مائة وخمسا وعشرين مرة ظهرت عليه آثار الصدق والصديقية وفى اللمعة ذاكره لا يحس بالم الجوع مادام ملتبسا بذكره والقرآءة وصلا احد الله الصمد منونا مكسورا لالتقاء الساكنين وكان ابو عمرو فى اكثر الروايات يسكت عند هو الله احد وزعم ان العرب لا تصل مثل هذا وروى عنه انه قال وصلها قرآءة محدثة وروى عنه انه قال ادركت القرآء كذلك يقرأونها قل هو الله احد وان وصلت نونت وروى عنه انه قال احب الى اذا كان رأس آية ان يسكت عندها وذلك لان الآية منقطعة عما بعدها مكتفية بمعناها فهى فاصلة وبها سميت آية واما وقفهم كلهم

فيسكتون على الدال ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل (لم يلد) نزاد كسى را تنصيصا على ابطال زعم المفترين فى حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفى على صيغة الماضى من غير ان يقال لن يلد اولا يلد اى لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شئ ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا ولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه فان قلت لم قال فى هذه السورة لم يلد وفى سورة بنى اسرآئيل لم يتخذ ولدا اجيب بان النصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة فقوله لم يلد اشارة الى الرد عليه ومنهم من قال اتخذه ولدا تشريفا كما اتخذ ابراهيم خليلا تشريفا فقوله لم يتخذ ولدا اشارة الى الرد عليه (ولم يولد) ونزاده شد از كسى اى لم يصدر عن شئ لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا اولاحقا وقال بعضهم الوالدية والمولودية لا تكونان الا بالمثلية فان المولود لابد ان يكون مثل الوالد ولا مثلية بين هويته الواجبة وهو باتنا الممكنة انتهى وقال البقلى لم يلد ولم يولد اى لم يكن هو محل الحوادث ولا الحوادث محله والتصريح بانه لم يولد مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ماقبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان مايلد يولد ومالا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد الاعتراف بانه لا يلد وفى كشف الاسرار قدم ذكر لم يلد لان من الكفار من ادعى ان له ولدا ولم يدع احد انه مولود (وفى التفسير الفارسى) لم يلد ردبهودست كه كفتند عزير پسر اوست ولم يولد ردنصاراست كه كويند عيسى خداست * قال ابو الليث لم يلد يعنى لم يكن له ولد يرثه ولم يولد يعنى لم يكن له والديرث ملكه (ولم يكن له كفوا احد) يقال هذا كفاؤه وكفؤه مثله وكافأ فلانا ماله وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى اى لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله بل هو خالق الاكفاء ويجوز ان يكون من الكفاءة فى النكاح نفيا للصاحبة واما تأخيراسم كان فلمراعاة الفواصل ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لان المراد منها نفى اقسام الامثال فهى جملة واحدة منبه عليها بالجمل قال القاشانى ماكانت هويته الاحدية غير قابلة للكثرة والانقسام ولم تكن مقارنة الوحدة الذاتية لغيرها اذ ماعدا الوجود المطلق ليس الا العدم المحض فلا يكافئه احدا اذ لا يكافئ العدم الصرف الوجود المحض (وقال الكاشفى) ردمجوس ومشركان عربست كه كفتند اورا كفوهست نعوذ بالله وكفته اند هر آيتى ازين سوره تفسير آيت پيش است چون كويند من هو تو كويى احد چون كويند احد كبست تو كويى صمد چون كويند صمد كيست تو كويى الذى لم يلد ولم يولد چون كويند لم يلد ولم يولد كيست تو كويى الذى لم يكن له كفوا احد وقال بعضهم كاشف الوالهين بقوله هو وكاشف الموحدين بقوله الله وكاشف العارفين بقوله احد والعلماء بقوله الصمد والعقلاء بقوله لم يلد الخ وهواى لم يلد اشارة الى توحيد العوام لانهم يستدلون على الصانع بالشواهد والدلائل وقال بعض الكبار ان سورة الاخلاص اشارة الى حال النزول وهو حال المجذوب فاولا يقول هو الله احد الله الصمد الخ وحال الصعود يعتبر من الآخر الى جانب هو فيقول اولا لم يكن له كفوا احد ثم يترقى الى ان يقول هو لكن لا ينبغى للسالك ان يكتفى بوجدان هو فى القرآن بل ينبغى ان يترقى الى القرآن الفعلى فيشاهد هو فى القرآن وهو محيط بالعوالم كلها وهو اول ما ينكشف للسالك ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع معارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه وهو علم المبدأ وصفاته اذ ماعداه ذرآئع اليه وقال عليه السلام اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد اى ماخلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وماوجبت يارسول الله قال وجبت له الجنة وعن سهيل بن سعد رضى الله عنه جاء رجل الى النبى عليه السلام وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فاد رالله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه وعن على رضى الله عنه انه قال من قرأ قل هو الله احد بعد صلاة الفجر احدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذ واواجتهد الشيطان وفى الحديث ايعجز احدكم ان يقرأ القرآن فى ليلة واحدة فقيل يارسول الله من يطيق ذلك قال ان يقرأ قل هو الله احد ثلاث مرات وروى انه نزل جبريل عليه السلام بتبوك فقال يارسول الله ان معاوية بن المزنى رضى الله عنه مات فى المدينة أتحب ان اطوى لك الارض فتصلى

عليه قال نعم فضرب بجناحه على الارض فرفع له سريره وصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة كل صف سبعون الف ملك ثم رجع فقال عليه السلام بم ادرك هذا قال بحبه قل هو الله احد وقراءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال رواه الطبراني وصحب سورة الاخلاص [illegible] سبعون ألف ملك كلما مروا باهل سماء سألوهم عما معهم فقالوا نسبة الرب سبحانه ولهذا سميت هذه السورة نسب الرب كما في كشف الاسرار وسميت سورة الاخلاص لاخلاص الله من الشرك اوللخلاص من العذاب اوخالصة في التوحيد قال الامام الغزالي رحمه الله تعالى (عفوربي وثبتني بالخلاص * واعتصامي بسورة الاخلاص) اولانها سورة خالصة لله ليس فيها ذكر شئ من الدنيا والآخرة وقال الحنفي لانها تخلص قارئها من شدائد الآخرة وسكرات الموت وظلمات القبر واهوال القيامة وقال القاشاني لان الاخلاص تمحيض الحقيقة الاحدية عن شائبة الكثرة

* (تمت سورة الاخلاص يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الاولى من شهور سنة سبع عشرة ومائة والف) *

* (سورة الفلق خمس آيات مدنية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قل اعوذ برب الفلق) الفلق الصبح لانه يفلق عنه الليل ويفرق فهو من باب الحذف والايصال فعل بمعنى مفعول كالصمد والقبض بمعنى المصمود اليه والمقبوض كما مر فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وذلك انما يتحقق بان يكون الشئ مستورا ومحجوبا بآخر ثم يشقق الحجاب الساتر عن وجه المستور ويزول فيظهر ذلك المستور وينكشف بسبب زواله وذلك الحجاب المشقق مفلوق والمحجوب والمنكشف بزواله مفلوق عنه والصبح صار مفلوقا عنه بازالة ماعليه من ظلمة الليل يقال في المثل هو أبين من فلق الصبح والفلق ايضا الخلق لان الممكنات باسرها كانت اعيانا ثابتة في علم الله مستورة تحت ظلمة العدم فالله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد فاظهر ما في علمه من المكونات فصارت مفلوقا عنها وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه لتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بفرع باب الالتجاء اليه والاعاذة به قالوا اذا طلع الصبح تتبدل الثقلة بالخفة والغم بالسرور روى ان يوسف عليه السلام لما القي في الجب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل باذن الله تعالى يسأله ويأمره بان يدعو به فقال ياجبريل ادع انت وأؤمن فدعا جبريل وامن يوسف عليهما السلام فكشف الله تعالى ماكان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال ياجبريل وانا ادعو ايضا وتؤمن انت فسأل يوسف ربه ان يكشف الضر عن جميع اهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة في آخر الليل وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قدم الشام فرأى دور اهل الذمة وماهم فيه من خفض العيش وماوسع عليهم به من دنياهم فقال لا ابالي البس من ورآئهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار

(من شر ما خلق) اى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ماكان من ذوات الطبائع والاختيار وبالفارسية از بدئ آنچه آفريده است از مؤذيات انس وجن وسباع وهوام فيشمل جميع الشرور والمضار بدنية كانت اوغيرها من ضرب وقتل وشتم وعض ولدغ وسحر ونحوها واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالكلية وقرأ بعض المعتزلة القائلين بان الله لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قرآءة مردودة مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شئ (ومن شر غاسق) تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اى ومن شر ليل مختلط ظلامه مشتد وذلك بعد غيبوبة الشفق من قوله تعالى الى غسق الليل اى اجتماع ظلمته وفي القاموس الغسق محركة ظلمة اول الليل وغسق الليل غسقا ويحرك اشتدت ظلمته فالغاسق الليل المظلم كما في المفردات واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا اوهو السيلان وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزآئه (اذا وقب) الوقب النقرة في الشئ كالنقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء ووقب

اذا دخل فى وقب ومنه وقبت الشمس اذا غابت ووقب الظلام دخل والمعنى اذا دخل ظلامه فى كل شئ وتقييده به لان حدوث الشر فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل اغدر الليل لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر والغوث يقل فى الليل ولذا لو شهر انسان بالليل سلاحا فقتله المشهر عليه لايلزمه قصاص ولو كان نهارا يلزمه لانه يوجد فيه الغوث والحاصل انه ينبعث اهل الحرب فى الليل وتخرج عفاريت الجن والهوام والمؤذيات ونهى رسول الله عليه السلام عن السير فى اول الليل وامر بتغطية الاوانى واغلاق الابواب وايكاء الاسقية وضم الصبيان وكل ذلك للحذر من الشر والبلاء وقيل الغاسق القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت اخذ رسول الله عليه السلام بيدى فاشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وشره الذى يتقى مايكون فى الابدان كالآفات التى تحدث بسببه ويكون فى الاديان كالفتنة التى بها افتتن من عبده وعبد الشمس وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لاتشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الافى ذلك قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين واذا طلعت قلت الامراض والآلام وقيل هو كل شر يعترى الانسان ووقوبه هجومه ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ولسبه وفى القاموس هو الذكر اذا قام وهو منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وجماعة (ومن شر النفاثات) وان شر دمند كان من النفث وهو شبه النفخ يكون فى الرقية ولاريق معه فان كان معه ريق فهو التفل يقال منه نفث الراقى ينفث وينفث بالضم والكسر والنفاثات بالتشديد يراد منها تكرار الفعل والاحتراف به والنفاثات تكون للدفعة الواحدة من الفعل ولتكراره ايضا (فى العقد) جمع عقدة وهى مايعقده الساحر على وتر أوحبل اوشعر وهو ينفث ويرقى واصله من العزيمة ولذلك يقال لها عزيمة كما يقال لها عقدة ومنه قيل للساحر معقد والمعنى من شر النفوس اوالنساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها وتعريفها اما للعهد اوللايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لماروى ابن عباس رضى الله عنهما وعائشة رضى الله عنها انه كان غلام من اليهود يخدم النبى عليه السلام وكان عنده اسنان من مشطه عليه السلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها ولذا ينبغى ان يقطع الظفر بعد التقليم وكذا الشعر اذا اسقط من اللحية والرأس نصفين اواكثر لئلا يسحر به احد وتولاه لبيد بن اعصم اليهودى وبناته وهن النفاثات فى العقد فدفنها فى بئر اريس وفى عين المعانى فى بئر لبنى زريق تسمى ذروان فمرض النبى عليه السلام روى انه لبث فيه ستة اشهر فنزل جبرآئيل بالمعوذتين بكسر الواو كما فى القاموس واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا والزبير وعمارا رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعونة البئر وهى الصخرة التى توضع فى اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبى عليه السلام فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كأنما انشط من عقال وجعل جبرآئيل يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل شئ يؤذيك من عين وحاسد فلذا جوز الاسترقاء بما كان من كلام الله وكلام رسوله لابما كان بالعبرية والسريانية والهندية فانه لايحل اعتقاده فقالوا يارسول الله افلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام اما انا فقد عافانى الله واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضى الله عنها ماغضب النبى عليه السلام غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيأ هو لله فيغضب الله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزآئم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها فعلى هذا فالنفاثات هى جنس النساء اللاتى شأنهن ان يغلبن على الرجال ويحولنهم عن آرآئهم بانواع المكر والحيلة فمعنى الآية ان النساء لاجل استقرار حبهن فى قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأى الى رأى فامر الله تعالى رسوله بالتعوذ من شرهن اعلم ان السحر تخييل لااصل له عند المعتزلة وعند الشافعى تمريض بما يتصل به كما يخرج من فم المشائب ويؤثر فى المقابل وعندنا سرعة الحركة

ولطافة الفعل فيما خفي فهمه وقيل طلسم بني على تأثير خصائص الكواكب كتأثير الشمس في زئبق عصى سحرة فرعون والمعتزلة انكروا صحة الرواية المذكورة وتأثير السحر فيه عليه السلام وقالوا كيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضي الى القدح في النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ولحصل فيه عليه السلام ذكر العيب ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال اهل السنة صحة القصة لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم انه مسحور و ذلك لانهم كانوا يريدون بكونه مسحورا انه مجنون ازيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فاما ان يكون مسحورا بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من حيث بشريته و بدنه فلا بعد فيه وتأثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في بدنه من حيث انه انسان و بشر فانه عليه السلام يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة والمرض والموت والاكل والشرب ودفع الفضلات وتأثير السحر فيه من حيث بشريته لا يقدح في نبوته وانما يكون قادحا فيها لو وجد للسحر تأثير في امر يرجع الى النبوة ولم يوجد ذلك كيف والله تعالى يعصمه من ان يضره احد فيما يرجع اليها كما لم يقدح كسر رباعيته يوم احد فيما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وفي كشف الاسرار فان قيل ما الحكمة في نفوذ السحر وغلبته في النبي عليه السلام ولما ذا لم يرد الله كيد الكائد الى نحره بابطال مكره وسحره قلنا الحكمة فيه الدلالة على صدق رسول الله عليه السلام وصحة معجزاته وكذب من نسبه الى السحر والكهانة لان سحر الساحر عمل فيه حتى التبس عليه بعض الامر واعتراه نوع من الوجع ولم يعلم النبي عليه السلام بذلك حتى دعا ربه ثم دعا فاجابه الله و بين له امره ولو كان ما يظهر من المعجزات الخارقة للعادات من باب السحر على ما زعم اعداؤه لم يشتبه عليه ما عمل من السحر فيه ولتوصل الى دفعه من عنده وهذا بحمد الله من اقوى البراهين على نبوته وانما اخبر النبي عليه السلام عائشة رضي الله تعالى عنها من بين نسائه بما كشف الله تعالى له من امر السحر لانه عليه السلام كان مأخوذا عن عائشة رضي الله تعالى عنها في هذا السحر على ما روى يحيى بن يعمر قال حبس رسول الله عليه السلام عن عائشة سنة فبينما هو نائم او بين النوم واليقظة اذا اتاه ملكان جلس احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فهذا يقول للذي عند رأسه ما شكواه قال السحر قال من فعل به قال لبيد بن اعصم اليهودي قال فاين صنع السحر قال في بئر كذا قال فاذا واؤه قال يذهب الى تلك البئر فينزح ماءها فانه ينتهي الى صخرة فاذا رآها فليقلعها فان تحتها كوة وهي كوز سقط عنقها وفي الكوة وتر فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فيحرقها بالنار فيبرأ ان شاء الله تعالى فاستيقظ عليه السلام وقد فهم ما قالا فبعث عليا رضي الله عنه الى آخر ما سبق وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله عليه السلام اذا اشتكى شيأ من جسده قرأ قل هو الله احد والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذي يشتكي وفيه اشارة الى الهواجس النفسانية والخواطر الشيطانية النفاثات الساحرات في عقد عقائد القلوب الصافية الطاهرة اخباث السيئات العقلية والواث الشكوك الوهمية والعياذ بالله منها (ومن شر حاسد اذا حسد) بالوقف ثم يكبر لان الوصل لا يخلو من الايهام اى اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه ترتب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا اوفعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير وفي الكشاف فان قلت فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت عرف النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ويجوز ان يراد بالحاسد قابيل لانه حسد اخاه هابيل والحسد الاسف على الخير عند الغير وفي فتح الرحمن تمنى زوال النعمة عن مستحقها سواء كانت نعمة دين اودنيا وفي الحديث المؤمن يغبط والمنافق يحسد وعنه عليه السلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واول ذنب عصي الله به في السماء حسد ابليس لآدم فاخرجه من الجنة فطرد وصار شيطانا رجيما وفي الارض قابيل لاخيه هابيل فقتله قال الحسين بن الفضل رحمه الله ذكر الله الشرور في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر انه اخبث الطبائع كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اكثر ذرعالم از حسد بدتر بودى

(ختم)

ختم این سوره بدان کردی * حسد آتشی دان که چون برفروخت * حسود لعین راهمان لحظه سوخت * کرقتم بصورت همه دین شوی * حسدکی گذارد که حق بین شوی * وفیه اشارة الی حسد النفس الامارة اذا حسدت القلب وأرادت ان تطفئ نوره وتوقعه فی الظلمات وکفران النعمة الذی هو سبب لزوالها وفی الحدیث ان النبی علیه السلام قال لعتبة ابن عامر رضی الله عنه الم تر آیات انزلت هذه اللیلة لم یر مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس قوله الم ترکلمة تعجب وما بعدها بیان لسبب التعجب یعنی لم یوجد آیات کلهن تعویذ غیرهاتین السورتین وهما قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وفی الحدیث دلیل علی انهما من القرآن وردعلی من نسب الی ابن مسعود رضی الله عنه انهما لیستا منه وفی عین المعانی الصحیح انهما من القرآن الا انهما لم تثبتا فی مصحفه للامن من نسیانهما لانهما تجریان علی لسان کل انسان انتهی اعلم ان مصحف عبدالله بن مسعود رضی الله عنه حذف منه ام الکتاب والمعوذتان ومصحف ابی بن کعب رضی الله عنه زید فیه سورة القنوت ومصحف زید بن ثابت رضی الله عنه کان سلیما من ذلک فکان کل من مصحفی ابن مسعود وابی منسوخا ومصحف زید معمولا به وذلک لانه علیه السلام کان یعرض القرآن علی جبرائیل علیه السلام فی کل شهر رمضان مرة واحدة فلما کان العام الذی قبض فیه عرضه مرتین وکان قرأة زید من آخر العرض دون قرأة ابی وابن مسعود رضی الله عنهما وتوفی علیه السلام وهو یقرأ علی ما فی مصحف زید و یصلی به قال عبدالله بن مسعود رضی الله عنه جمیع سور القرآن مائه واثنتا عشرة سورة قال الفقیه فی البستان انما قال انها مائة واثنتا عشرة سورة لانه کان لایعد المعوذتین من القرآن وکان لا یکتبهما فی مصحفه و یقول انهما منزلتان من السماء وهما من کلام رب العالمین ولکن النبی علیه السلام کان یرقی و یعوذ بهما فاشتبه علیه انهما من القرآن اولبستا منه فلم یکتبهما فی المصحف وقال مجاهد جمیع سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة وانما قال ذلک لانه کان یعد الانفال والتوبة سورة واحدة وقال ابی بن کعب رضی الله عنه جمیع سور القرآن مائة وست عشرة سورة وانما قال ذلک لانه کان یعد القنوت سورتین احداهما من قوله اللهم انا نستعینک الی قوله من یفجرک والثانیة من قوله اللهم ایاک نعبد الی قوله ملحق وقال زید بن ثابت رضی الله عنه جمیع سور القرآن مائة واربع عشرة سورة وهذا قول عامة الصحابة رضی الله عنهم وهکذا فی مصحف الامام عثمان بن عفان رضی الله عنه وفی مصاحف اهل الامصار فالمعوذتان سورتان من القرآن روی ابو معاویة عن عثمان بن واقد قال ارسلنی ابی الی محمد بن المنکدر وسأله عن المعوذتین اهما من کتاب الله قال من لم یزعم انهما من کتاب الله فعلیه لعنة الله والملائکة والناس اجمعین وفی نصاب الاحتساب لو انکر آیة من القرآن سوی المعوذتین یکفر انتهی وفی الاکمل عن سفیان بن سختان من قال ان المعوذتین لیستا من القرآن لم یکفر لتأویل ابن مسعود رضی الله تعالی عنه کما فی المغرب للمطرزی وقال فی هدیة المهدیین وفی انکار قرآنیة المعوذتین اختلاف المشایخ و الصحیح انه کفر انتهی

* (تمت سورة الفلق من القرآن بعون الله الملک المنان) *

* (سورة الناس ست آیات مدنیة) *

* (بسم الله الرحمن الرحیم) *

(قل اعوذ برب الناس) ای مالک امورهم ومربیهم بافاضة مایصلحهم ودفع مایضرهم قال القاشانی رب الناس هوالذات مع جمیع الصفات لان الانسان هوالکون الجامع الحاصر لجمیع مراتب الوجود فربه الذی اوجده وافاض علیه کماله هوالذات باعتبار جمیع الاسماء الجمالیة والجلالیة تعوذ بوجهه بعد ماتعوذ بصفاته ولهذا تأخرت هذه السورة عن المعوذة الاولی اذ فیها تعوذ فی مقام الصفات باسمه الهادی فهداه الی ذاته وفی الحدیث (اعوذ برضاک من سخطک وبمعافاتک من عقوبتک و اعوذ بک منک) ابتدأ بالتعوذ بالرضی الذی هو من الصفات لقرب الصفات من الذات ثم استعاذ بالمعافاة التی هی من صفات الافعال ثم لما ازداد یقینا ترک الصفات فقال واعوذ بک منک قاصرا نظره علی الذات وابتدأ بعض العلماء فی ذکر هذا الحدیث بتقدیم الاستعاذة بالمعافاة علی التعوذ بالرضی للترقی من الادنی الذی هو من صفات الافعال الی الاعلی الذی هو من صفات الذات قال بعضهم من بقی له التفات الی غیر الله استعاذ بافعال الله و صفاته فاما

من توغل فى بحر التوحيد بحيث لايرى فى الوجود الا الله لم يستعذ الا بالله ولم يلتجئ الا الى الله والنبى عليه السلام لما ترقى عن هذا المقام وهو المقام الاول قال اعوذ بك منك يقول الفقير فى الالتجاء الى الله فى هذه السورة دلالة على ختم الامر فان الله تعالى هو الاول الآخر واليه يرجع الامر كله وان الى ربك المنتهى وفيه اشارة الى نسيان العهد السابق الواقع يوم الميثاق فان الانسان لولم ينسه لما احتاج الى العود والرجوع بل كان فى كنف الله تعالى دائما (ملك الناس) عطف بيان جئ به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الشامل والسلطان القاهر فاذكروه فى ترجيح المالك على الملك من ان المالك مالك العبد وانه مطلق التصرف فيه بخلاف الملك فانه انما يملك بقهر وسياسة ومن بعض الوجوه فقياس لايصح ولايطرد الافى المخلوقين لافى الحق فانه من البين انه مطلق التصرف وانه يملك من جميع الوجوه فلا يقاس ملكية غيره عليه ولا تضاف النعوت والاسماء اليه الامن حيث اكمل مفهوماته ومن وجوه ترجيح الملك على المالك ان الاحاديث النبوية مبينات لاسرار القرآن ومنبهات عليها وقد ورد فى الحديث فى بعض الادعية النبوية لك الحمد لا اله الا انت رب كل شئ ومليكه ولم يرد ومالكه وايضا فالاسماء المستقلة لها تقدم على الاسماء المضافة واسم الملك ورد مستقلا بخلاف المالك ومما يؤيد ذلك ان الاسماء المضافة لم تنقل فى احصاء الاسماء الثابتة بالنقل مثل قوله عزوجل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا وذى المعارج وشبهها وايضا فان الحق يقول فى آخر الامر عند ظهور غلبة الاحدية على الكثرة فى القيامة الكبرى والقيامات الصغرى الحاصلة للسالكين عند التحقق بالوصول عقيب انتهاء السير وحال الانسلاخ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والحاكم على الملك هو الملك فدل انه ارجح وقد جوزوا القراءة بمالك وملك فى سورة الفاتحة لافى هذه السورة حذرا من التكرار فان احد معانى الاسم الرب فى اللسان المالك ولاترد الفاتحة فان الراجح فيها عند المحققين هو الملك لا المالك (اله الناس) هو لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولى لترتيب مبادى حفظهم وحمايتهم كما هو قضارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وايضا ان ملك الناس اشارة الى حال الفناء فى الله كما اشرنا اليه واله الناس لبيان حال البقاء بالله لان الاله هو المعبود المطلق وذلك هو الذات مع جميع الصفات فلما فنى العبد فى الله ظهر كونه ملكا ثم رده الله الى الوجود لمقام العبودية فتم استعاذته من شر الوسواس لان الوسوسة تقتضى محلا وجوديا ولاوجود فى حال الفناء ولاصدر ولاوسوسة ولاموسوس بل ان ظهر هناك تلوين بوجود الانانية يقول اعوذ بك منك فلما صار معبودا بوجود العابد ظهر الشيطان بظهور العابد كما كان اولا موجودا بوجوده وايضا مقام الربوبية المقيدة بالناس هو لحضرة الامام الذى على باب عالم الملكوت وفيها يشهد وهى موضع نظره فانها ثلاث حضرات اختصت بثلاثة اسماء نالها ثلاثة رجال وهى حضرت الرب والملك والاله فرجالها الامامان والقطب والامامان وزيران للقطب صاحب الوقت وينفرد القطب بالكشف الذاتى المطلق كما ينفرد الامام الذى على يسار القطب بباب عالم الشهادة الذى لاسبيل للامام الثانى الذى على يمينه اليه وانما اضيف امام الربوبية للناس وهو معه الملكوتيات لانه لابد له عند موت الامام الثانى المسمى بالملك ان يرث مقامه بخلاف غيره وفى الارشاد تخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته لان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم فى التخصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من هلكة الشيطان وتسلطه عليه حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير بالاضافة فان مالا شرف فيه لايعبأ به ولايعاد ذكره بل يترك ويهمل وقد قال من قال

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

والتضوع بوى خوش دميدن فلولا ان الناس اشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بذكرهم (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة وهو الصوت الخفى الذى لايحس فيحترز منه كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر

والفرق بين المصدر واسم المصدر هو ان الحدث ان اعتبر صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سمي مصدرا واذا لم يعتبر بهذه الحيثية سمي اسم مصدر ولما كانت الوسوسة كلاما يكرره الموسوس ويؤكده عند من يلقيه اليه كرر لفظها بازاء تكرير معناها والمراد بالوسواس الشيطان لانه يدعو الى المعصية بكلام خفي يفهمه القلب من غير ان يسمع صوته وذلك بالاغرار بسعة رحمة الله او بتخييل ان له في عمره سعة وان وقت التوبة باق بعد سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة لدوام وسوسته فقد اوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بانه الوسواس الخ ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه وانما وصفه باعظم صفاته واشدها شرا واقواها تأثيرا واعمها فسادا وانما استعاذ منه بالاله دون بعض اسمائه كما في السورة الاولى لان الشيطان هو الذي يقابل الرحمن ويستولي على الصورة الجمعية الانسانية ويظهر في صور جميع الاسماء ويتمثل بها الا بالله والرحمن فلم تكف الاستعاذة منه بالهادي والعليم والقدير وغير ذلك فلهذا لما تعوذ من الاحتجاب والضلالة تعوذ برب الفلق وههنا تعوذ برب الناس ومن هذا يفهم معنى قوله عليه السلام من رآني فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي وكذا لا يتمثل بصور الكمل من امته لانهم مظاهر الهداية المطلقة قال بعض الكبار الالقاء اما صحيح او فاسد * فالصحيح الهي رباني متعلق بالعلوم والمعارف او ملكي روحاني وهو الباعث على الطاعة وعلى كل ما فيه صلاح ويسمى الهاما * والفاسد نفساني وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجسا او شيطاني وهو يدعو الى معصية ويسمى وسواسا وفي آكام المرجان ويحصر ما يدعو الشيطان اليه ابن آدم في ست مراتب المرتبة الاولى الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم ردأنه واستراح من تعبه معه وهذا اول ما يريده من العبد والمرتبة الثانية البدعة وهي احب الى ابليس من المعصية لان المعصية يتاب منها فتكون كالعدم والبدعة يظن صاحبها انها صحيحة فلا يتوب منها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الثالثة وهي الكبائر على اختلاف انواعها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الرابعة وهي الصغائر التي اذا اجتمعت اهلكت صاحبها كالنار الموقدة من الحطب الصغار فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة الخامسة وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذي فات عليه باشتغاله بها فاذا عجز عن ذلك انتقل الى المرتبة السادسة وهي ان يشغله بالعمل المفضول عما هو افضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل ومن الشياطين شيطان الوضوء ويقال له الولهان بفتحتين وهو شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء قال عليه السلام تعوذوا بالله من وسوسة الوضوء ومنهم شيطان له يقال له خنزب وهو الملبس على المصلي في صلاته وقراءته قال ابو عمرو البخاري رحمهما الله اصل الوسوسة ونتيجتها من عشرة اشياء اولها الحرص فقابله بالتوكل والقناعة والثاني الامل فاكسره بمفاجاءة الاجل والثالث التمتع بشهوات الدنيا فقابله بزوال النعمة وطول الحساب والرابع الحسد فاكسره برؤية العدل والخامس البلاء فاكسره برؤية المنة والعوافي والسادس الكبر فاكسره بالتواضع والسابع الاستخفاف بحرمة المؤمنين فاكسره بتعظيمهم واحترامهم والثامن حب الدنيا والمحمدة فاكسره بالاخلاص والتاسع طلب العلو والرفعة فاكسره بالخشوع والذلة والعاشر المنع والبخل فاكسره بالجود والسخاء (الخناس) الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه (حكي) ان بعض الاولياء سأل الله تعالى ان يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فاراه الحق تعالى هيكل الانسان في صورة بلور وبين كتفيه خال اسود كالعش والوكر فجاء الخناس يتجسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء بين الكتفين فادخل خرطومه قبل قلبه فوسوس اليه فذكر الله فخنس وراءه ولذلك سمي بالخناس لانه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب ولهذا السر الالهي كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبرائيل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لانه يجري وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام اشارة الى عصمته من وسوسته لقوله اعانني الله عليه فاسلم اي بالختم الالهي وشرح الصدر ايده وبالعصمة الكلية خصه فاسلم قرينه وما اسلم قرين آدم عليه السلام فوسوس اليه لذلك ويجوز ان يدخل الشيطان في الاجسام لانه جسم لطيف وهو وان كان مخلوقا في الاصل من نار لكنه ليس بمحرق لانه لما امتزج النار بالهواء صار تركيبه مزاجا مخصوصا كتركيب الانسان وفي الوسواس اشارة الى الوسواس الحاصل

من القوة الحسية والخيالية وفى الخناس الى القوة الوهمية المتأخرة عن مرتبتى القوتين فانهما تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست وتأخرت توسوسه وتشككه كما يحكم الوهم بالخوف من الموتى مع انه يوافق العقل فى ان الميت جماد والجماد لا يخاف منه المنتج لقولنا الميت لا يخاف منه فاذا وصل العقل واوهم الى النتيجة نكص الوهم وانكرها (الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكر تعالى ولذا قال فى التأويلات النجمية اى الناسى ذكر الله بالقلب والسر والروح كما قال تعالى يوم يدعو الداع بحذف الياء انتهى ومحل الموصول الجر على الوصف فلا وقف على الخناس او النصب او الرفع على الذم فيحسن الوقف عليه ذكر سبحانه وتعالى وسوسته اولا ثم ذكر محلها وهو صدور الناس تأمل السر فى قوله يوسوس فى صدور الناس ولم يقل فى قلوبهم والصدر هو ساحة القلب وبيته فانه تدخل الواردات عليه فتجتمع فى الصدر ثم تلج فى القلب فهو بمنزلة الدهليز وهو بالكسر ما بين الباب والدار ومن القلب تخرج الارادات والامر الى الصدر ثم تفرق على الجنود فالشيطان يدخل ساحة القلب وبيته فليق ما يريد القاءه الى القلب فهو يوسوس فى الصدور ووسوسته واصلة الى القلوب قال بعض ارباب الحقايق للقلب امرآء خمسة ملكية يسمون الحواس كحاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الشم وحاسة الذوق وحاسة اللمس وامرآء خمسة ملكوتية يسمون ارواحا كالروح الحيوانى والروح الخيالى والروح الفكرى والروح العقلى والروح القدسى فاذا نفذ الامر الالهى الى احد هؤلاء الامرآء من القلب بادر لامتثال ما ورد عليه على حسب حقيقته وقس عليه الخواطر والوساوس فان عزم الانسان يخرج كلامنها الى الخارج ويجريها من طرق الحواس والقوى وقوله فى صدور الناس يدل على انه لا يوسوس فى صدور الجن قال فى آكام المرجان لم يرد دليل على ان الجنى يوسوس فى صدور الجنى ويدخل فيه كما يدخل فى الانسى ويجرى منه مجراه من الانسى (من الجنة والناس) الجنة بالكسر جماعة الجن ومن بيان للذى يوسوس على انه ضربان جنى وانسى كما قال تعالى شياطين الانس والجن والموسوس اليه نوع واحد وهو الانس فكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فشيطان الانس يكون كذلك وذلك لانه يلقى الاباطيل ويرى نفسه فى صورة الناصح المشفق فان زجره السامع يخنس ويترك الوسوسة وان قبل السامع كلامه بالغ فيه قال فى الاسئلة المفحمة من دعا غيره الى الباطل فان تصوره فى قلبه كان ذلك وسوسة وقد قال تعالى ونعلم ما توسوس به نفسه فاذا جاز ان توسوسه نفسه جاز ان يوسوسه غيره فان حقيقة الوسواس لا تختلف باختلاف الاشخاص ويجوز ان تكون من متعلقة بيوسوس فتكون لابتداء الغاية اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن انهم يعلمون الغيب ويضرون وينفعون ومن جهة الناس كالكهان والمنجمين كذلك وفى الجنة اشارة الى القوى الباطنة المستجة المستورة اذ سمى الجن بالجن لاستجنانه وفى الناس الى القوى الظاهرة اذ الناس من الايناس وهو الظهور كما قال آنست نارا وفى هذا المقام لطيفة بالغة وهى ان المستعاذ به فى السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهى انه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة انواع من الآفات وهى الغاسق والنفاثات والحاسد واما فى هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلاثة اوصاف وهى الرب والملك والاله والمستعاذ منه آفة واحدة وهى الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب كلما كان اهم والرغبة فيه اتم واكثر كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر والمطلوب فى السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفى هذه السورة سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بهذا ان فى نظم السورتين الكريمتين تنبيها على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت امرا واحدا الا انها اعظم مرادا واهم مطلوبا وان سلامة البدن من تلك الآفات وان كانت امورا متعددة ليست بتلك المثابة فى الاهتمام وفى آكام المرجان سورة الناس مشتملة على الاستعاذة من الشر الذى هو سبب الذنوب والمعاصى كلها وهو الشر الداخل فى الانسان الذى هو منشأ العقوبات فى الدنيا والآخرة وسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشر الذى هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من خارج فالشر الاول لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه منة الكف عنه لانه ليس من كسبه والشر الثانى يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهى وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يصنع

ذلك ثلاث مرات وفى قوت القلوب للشيخ ابى طالب المكى قدس سره وليجعل العبد مفتاح درسه ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذبك من همزات الشياطين واعوذبك رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسوله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحى القيوم * وفى اسئلة عبد الله بن سلام اخبرنى يامحمد ما ابتداء القرآن وما ختمه قال ابتداؤه بسم الله الرحمن الرحيم وختمه صدق الله العظيم قال صدقت وفى خريدة العجايب يعنى ينبغى ان يقول القارئ ذلك عند الختم والافختم القرآن سورة الناس وفى الابتداء بالباء والاختتام بالسين اشارة الى لفظ بس يعنى حسبك اى حسبك من الكونين ماأعطيناك بين الحرفين كما قال الحكيم سنائى رحمه الله * اول وآخر قرآن زجه باآمد وسين * يعنى اندرره دين رهبر توقرآن بس * يقول الفقير اليه الله القدير ان الله تعالى انما بدأ القرآن ببسم الله وختمه بالناس اشارة الى ان الانسان آخر المراتب الكونية كما ان الكلام آخر المراتب الالهية وذلك لان ابتداء المراتب الكونية هو العقل الاول وانتهاؤها الانسان ومجموعها عدد حروف التهجى واول المراتب الالهية هو الحياة وآخرها الكلام ولذا كان اول مايظهر من المولود الحياة وهو جنين وآخر مايظهر منه الكلام وهوموضوع لان الله تعالى خلق آدم على صورته فكان اول الكلام القرآنى اسم الله لانه المبدأ الاول وآخره الناس لان الانس هوالمظهر الآخر والمبتدئ يعرج تعلما الى ان ينتهى الى المبدأ الاول واسمه العالى والمنتهى ينزل تلاوة الى ان ينتهى الى ذكر الانس السافل وحقيقته ان الله تعالى هو المبدأ جلاء والمنتهى استجلاء وهوالاول بلابداية والآخر بلانهاية (روى) عن ابن كثير رحمه الله انه كان اذا انتهى فى آخر الختمة الى قل اعوذ برب الناس قرأ سورة الحمد لله رب العالمين وخمس آيات من اول سورة البقرة على عدد الكوفى وهو الى واولئك هم المفلحون لان هذا يسمى حال المرتحل ومعناه انه حل فى قراءته آخر الختمة وارتحل الى ختمة اخرى ارغاما للشيطان وصار العمل على هذا فى امصار المسلمين فى قراءة ابن كثير وغيرها وورد النص عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله ان من قرأ سورة الناس يدعو عقيب ذلك فلم يستجب ان يصل ختمه بقراءة شئ وروى عنه قول آخر بالاستحباب واستحسن مشايخ العراق قراءة سورة الاخلاص ثلاثا عند ختم القرآن الا ان يكون الختم فى المكتوبة فلايكررها وفى الحديث من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن كان كمن شهد فتحا فى سبيل الله تعالى وعن الامام البخارى رحمه الله انه قال عند كل ختمة دعوة مستجابة واذا ختم الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه ومن شك فى غفرانه عند الختم فليس له غفران ونص الامام احمد على استحباب الدعاء عند الختم وكذا جماعة من السلف فيدعو بما احب مستقبل القبلة رافعا يديه خاضعا لله موقنا بالاجابة ولايتكلف السجع فى الدعاء بل يجتنبه ويثنى على الله تعالى قبل الدعاء وبعده ويصلى على النبى عليه السلام ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه من الدعاء وعنه عليه السلام انه امر على بن ابى طالب رضى الله عنه ان يدعو عند ختم القرآن بهذا الدعاء وهو اللهم انى اسألك اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار وفى شرح الجزرى لابن المصنف ينبغى ان يلح فى الدعاء وان يدعو بالامور المهمة والكلمات الجامعة وان يكون معظم ذلك اوكله فى امور الآخرة وامور المسلمين وصلاح سلاطينهم وسائر ولاة امورهم فى توفيقهم للطاعات وعصمتهم من المخالفات وتعاونهم على البر والتقوى وقيامهم بالحق عليه وظهورهم على اعداء الدين وسائر المخالفين وبما كان يقول النبى عليه السلام عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن العظيم واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه مانسيت وعلمنى منه ماجهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار واجعله حجة لى يارب العالمين وكان ابو القاسم الشاطبى رحمه الله يدعو بهذا الدعاء عند ختم القرآن اللهم انا عبيدك وابناء عبيدك وابناء امائك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم هوالك سميت به نفسك اوعلمته احدا من خلقك وانزلته فى شئ من كتابك اواستأثرت به فى علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء احزاننا وهمومنا وسائقنا وقائدنا اليك والى جنانك جنات النعيم ودارك دار السلام

مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا ارحم الراحمين * يقول الفقير رافعا يديه الى الرب القدير اللهم انى اعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقد انجزت لى ما وعدتنى انك لا تخلف الميعاد وجعلت رؤياى حقا واحسنت بى اذ اخرجتنى من سجن الهم وخاطبتنى عند ذلك بقولك سل تعط فجعلت منتهى سؤلى رضاك و بشرتنى بقبول خدمتى هذه حيث قلت فتقبلها ربها بقبول حسن وكنت ادعوك باتمام النعمة واكمال المنة فلما كن بدعائك رب شقيا فانعم على فيما بقى من عمرى القليل باضعاف ما عودتنى به قبل هذا من انواع آلائك واصناف نعمائك واختم لى بخير وهدى ونور * و بكل بر وسعادة وسرور * وصل على نبيك النبيه الذى هو مفتاح الخيرات * ومصباح السائرين الى منازل القربات فى جنح الاوقات * وعلى آله واصحابه القاده * ومن تبعهم من السادة * هذا وقد تم تحرير روح البيان * فى تفسير القرآن * فى مدة الوحى تقريبا لما ان قسى الاقدار رمتنى الى اقاصى اقطار الارض * وايدى الاسفار النائية تداولتنى من طول الى عرض * حتى اقامنى الله مقام الاتمام * فجاء باذن الله التمام * يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الاولى المنتظم فى سلك شهور سنة سبع عشرة ومائة والف * من هجرة من يرى من قدام وخلف *

وقلت فى تاريخه نظما

ان من جناب ذى المنن * ختم تفسير الكتاب المستطاب
قال فى تاريخه حق التفسير * حامدا لله قد تم الكتاب

وقلت بحساب الحروف المنقوطة

وقع الختم بجود البارى
وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

تاريخ فخر الموالى عبد الهادى افندى باقى زاده

ذا كتاب ندرت امثاله * لاجرم من عظم الآثار
روضة اسطرها اشجار * اثمرت فاكهة الاسرار
اسمه روح بيان حقا * راحة القلب لدى الابرار
درمن الفه لله * قطب عصره هو فى الاقطار
فضله الظاهر فوق الرازى * علمه الباطن كالعطار
دام بالفضل و بالارشاد * صانه الله من اكدار
ارخ الختم بذا التاريخ * اب تفسير كلام البارى

تاريخ فخر المدرسين محمد افندى رمزى

كان تاريخ ختمه المختوم

تاريخ فخر الوعاظ السيد نورى افندى

قلنا لدى تمامه * ارخ ولله ختامه

تاريخ ابراهيم اغاصا فى المدانيوى

بم اسرار خدا

م

قد طبع فى المطبعة العامره فى اوآخر شهر شوال سنه خمسه وثمانين ومائتين والف من الهجرة النبوية

۲۹۷٫۱۲۳ ے
5188
آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔